

العمارة الإسلامية في مصر

المجلد الأول

الأخشيديون والفاطميون
(٩٣٩ - ١١٧١ م)

تأليف

ل. ا. س. - كريزويل

راجعه واستخرج تصويحه وقدم له وعلق عليه

د / محمد حمزة إسماعيل الحداد

أستاذ العمارة والآثار والحضارة الإسلامية

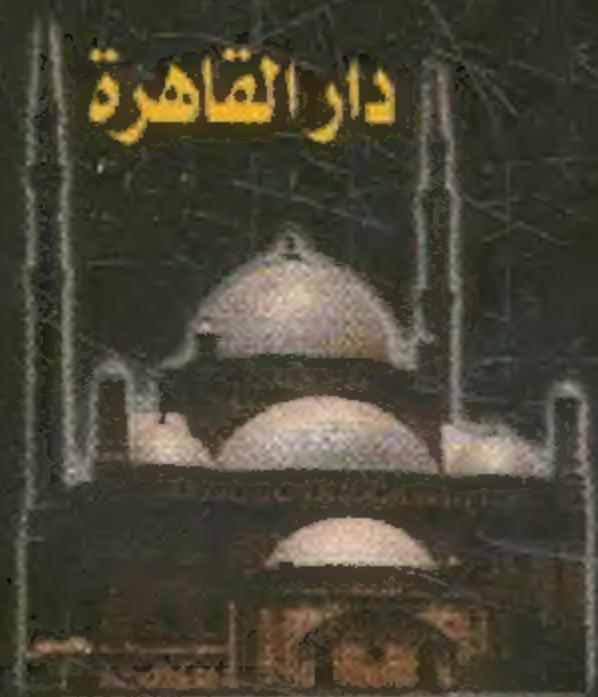
كلية الآثار - جامعة القاهرة

ترجمة

د / عبد الوهاب علوب

أستاذ الدراسات الشرقية المساعد

كلية الآداب - جامعة القاهرة



١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة
ت ٣٩٢٩١٩٢

الناشر -

مكتبة زهراء الشرق



١١٦ شارع محمد فريد
ت ٣٩٢٩١٩٢ موبايل: ٠١٢٣١٧٧٥١٠

العمارة الإسلامية فى مصر

المجلد الاول

الأخشيديون والفاطميون

(٩٣٩ - ١١٧١ م)

تأليف

ك . ا . س . كريزويل

ترجمة

د . عبدالوهاب علوب

أستاذ الدراسات الشرقية المساعد

كلية الآداب - جامعة القاهرة

راجعته واستخرج نصوصه وقدم له وعلق عليه

د . محمد حمزة إسماعيل الحداد

أستاذ العمارة والآثار والحضارة الإسلامية

كلية الآثار - جامعة القاهرة

الناشر

دار القاهرة

١١٦ ش محمد فريد - القاهرة

تليفون: ٣٩٢٩١٩٢

الناشر

مكتبة زهراء الشرق

١١٦ ش محمد فريد - القاهرة

تليفون: ٣٩٢٩١٩٢

اسم الكتاب	:	العمارة الإسلامية في مصر
اسم المؤلف	:	المجلد الأول : - الإخشيدون والفاطميون
اسم المترجم	:	ك. أ. س. كريزول
(اسم المراجع والمقدم له والمستخرج نصوصه والمعلق عليه)	:	د/ عبد الوهاب علوب
رقم الطبعة	:	أ. د. محمد حمزة الحداد
السنة	:	الأولى
رقم الإيداع	:	٢٠٠٤
الترقيم الدولي	:	٢٠٠٥١
	:	I. S. B. N.
	:	977 - 314 - 227 - 2
اسم الناشر	:	مكتبة زهراء الشرق ودار القاهرة
العنوان	:	١١٦ شارع محمد فريد
البلد	:	جمهورية مصر العربية
المحافظة	:	القاهرة
التليفون	:	٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢
فاكس	:	٠٠٢٠٢٣٩٣٣٩٠٩
المحمول	:	٠١٢٣١٧٧٥١٠

هذه ترجمة كاملة للمجلد الأول من كتاب
The Muslim Architecture of Egypt
by
K. A. C. Creswell
Cairo, 1952

المحتوى

الموضوع	الصفحة
تقديم	ن - ق
مقدمة المؤلف	١ - ٢
الفصل الأول : ظهور الفاطميين وبناء المهدي	٣ - ١١
ظهور الفاطميين ، عبید الله أول الخلفاء الفاطميين ، بناء المهدي ، الأسوار والبوابات ، وصف مارمول ، تدمير المهدي ، الميناء ، الأعمدة المستخدمة كأربطة [ميد] .	
مسجد المهدي الجامع : وصفه ، الجامع من الداخل ، الحرم ، كيف كان الشكل الأصلي للحرم ، الفترة الزمنية	
الأصول المعمارية : المدخل التذكارى ، تأثيره على الجوامع اللاحقة ، عبید الله وتجريد حملتين على مصر ، وفاة المهدي	
..... هوامش	١٢ - ١٣
..... المصادر والمراجع	١٣ - ١٤
الفصل الثانى : الاخشيديون	١٥ - ٢٢
..... تاريخ الأسرة الإخشيدية	
..... مشهد الشريف طباطبا : وصفه ، تعريف ، التاريخ	
..... محراب عتيق : وصفه ، التاريخ	
..... الفصل الثالث : بناء القاهرة	٢٣ - ٤٠
..... ولاية المعز ، الأسباب الفلكية للهجوم على مصر ، فتح مصر وسقوط الفسطاط	
..... بناء القاهرة : لحظة مناسبة حدودها المنجمون ، السمات الاسطورية للقصة	
..... الأسوار والبوابات : باب القراطين أو باب المحروق ، باب القنطرة ، باب زويلة الأول ، باب الفتوح الأول ، باب النصر الأول ، باب القراطين الأول ، باب القنطرة الأول ، باب البرقية الأول والثانى ، باب الخوخة وباب سعادة ، باب سعادة الثانى ، باب سعادة الأول ، باب الفرج الثانى ، تخطيط النصف الشرقى من السور الجنوبي لبدر الجمالى ، مواد البناء ، بوابة حديدية منقولة من الفسطاط ، الخندق ، القصر الشرقى أو القصر الفاطمى الكبير .	
..... المصادر والمراجع	٤٠ - ٤١
..... الفصل الرابع : الجامع الأزهر	٤٣ - ٧٢
..... تاريخ الجامع : بناؤه ، تحول الجامع إلى مدرسة ، الحاكم يحظر الخطبة ، أعمال المستنصر والحافظ والأمر ، أعمال صلاح الدين ، تاريخ الجامع فى عهد المماليك البحرية ، تاريخ الجامع فى عهد المماليك الجراكسة ، أعمال السلطان قايتباى والسلطان الغورى ، أعمال عثمان كتنخدا وعبد الرحمن كتنخدا ، عمارة رواق الشرقاوية ، تاريخ الجامع منذ عام ١٨٠٠ م .	
..... وصف وتحليل : الواجهة الرئيسية [الشمالية الغربية] لمجمع المباني ، الواجهة الجنوبية الغربية ، المدخل	

الرئيسى (باب قايتباى)، الصحن، الرواقان الشمالى الشرقى والجنوبى الغربى، الحرم، السقف، زيادة عبد الرحمن كتحدا، الجدار الشمالى الغربى، الجدار الجنوبى الغربى، الجدار الشمالى الشرقى، الجدار الجنوبى الشرقى، مادة البناء، البائكة الخارجية للحرم، هل كانت العقود السابقة التى كانت قائمة على الدعامات أصلية ؟

- زخرفة الأسطح : أ - جوانب المجاز القاطع ب - الطرف الشمالى الغربى من المجاز القاطع ج - زخرفة المحراب، الحشوات الزخرفية بجدار القبلة د - زخرفة الجدار الشمالى الشرقى
- إعادة بناء الجامع الأصلى : الحرم، الواجهة المطللة على الصحن، الأروقة الجانبية، الزيادة.
- الأصول المعمارية : قباب الأركان الخلفية للحرم، المجاز القاطع.

- المصادر والمراجع ٧٦ - ٧٢

الفصل الخامس : جامع الحاكم ١١٦ - ٧٧

- تاريخ الجامع
- تاريخه اللاحق
- الترتيب والأبعاد الأساسية، عشوائية التصميم، الجدران وبنائها، المدخل التذكارى، المدخل الصغرى فى الواجهة الشمالية الغربية، كيف كانت هذه المجازات ؟
- الجامع من الداخل، المداخل الباقية، الحرم، المجاز القاطع، الدعامات، العقود، السقف، أساس القبة التى تتقدم المحراب، القبة التى تتقدم المحراب، قباب الأركان الخلفية للحرم، النوافذ، المحراب، زخرفة الحرم، الشرافات، النتوءات الكبرى [الأركان]، البروز [النتوء أو الركن] الغربى، البروز [النتوء أو الركن] الشمالى، وضع المآذن بالنسبة للأركان المثالية للجامع، هل ترجع المكعبات إلى نفس تاريخ الجامع ؟ البروز الشمالى، آخر الأدلة، نتائج البحث، المئذنة الشمالية، المئذنة الغربية، مقارنة بين زخرفة المئذنة الغربية وزخرفة المدخل التذكارى.
- الأصول المعمارية : التخطيط، المدخل التذكارى، المداخل المحورية الثلاثة، الشرافات، الدعامات، وضع المآذن، المئذنة الغربية، النجمة الخماسية (خاتم سليمان).

- المصادر والمراجع ١١٨ - ١١٦

الفصل السادس : النصف الأول من القرن الحادى عشر [ق ٥هـ] ١٣٠ - ١١٩

- جامع المقس : رواية المقرئى، أهميته الطبوغرافية
- أضرحة السبع بنات، الوصف، كل ضريح يقع فى حوش، تاريخ بناء الأضرحة، الأصول المعمارية، المقابر الكائنية.
- مسجد لؤلؤة : وصف المسجد، مادة البناء، تاريخ البناء.
- مدخل زيادة جامع الحاكم : وصفه، الهوية والتاريخ، الأصول المعمارية.
- القاهرة فى أواسط القرن الحادى عشر [ق ٥هـ].

الفصل السابع : بيوت الفسطاط ١٣٩ - ١٣١

- تاريخها وفترة بنائها

- طبيعة الركام
- منزل رقم ١ ، منزل رقم ٢ ، منزل رقم ٣ ، منزل رقم ٥ ، منزل رقم ٦ ، منزل رقم ٧ .
- السمات العامة للمنازل
- الأصول المعمارية
- قطع من الأعمال الخشبية المحفورة من القصر الصغير أو القصر الغربى الفاطمى .
- الفصل الثامن : أضرحة جبانة أسوان ١٤١ - ١٥٥**
- وصف جبانة أسوان - كارثة أثرية
- المقابر
- ١ - مقابر تتكون من مساحة مسورة مستطيلة وصغيرة .
- ٢ - مقابر ذات حشوات جانبية .
- ٣ - مقابر مقبية .
- الأضرحة : النمط الرابع - النمط المستطيل - كيف تطورت هذه الأنماط ، نظرية مونييريه ،
- الأضرحة ذات القباب : مناطق الانتقال ، رقاب القباب ، مادة البناء ، مشكلة تاريخ بناء المقابر والأضرحة ، وصف لبعض النماذج ، تصنيف الأضرحة .
- ضريح [مشهد] السبعة وسبعين وليا : وصف سومرز كلارك ، تاريخ البناء .
- الفصل التاسع : أعمال بدر الجمالى ١٥٧ - ١٦٨**
- معذنة أسنا : وصف المعذنة ، السلم ، تاريخ بناء المعذنة .
- معذنة المشهد البحرى أو الباب قرب الشلال : وصف المعذنة ، تاريخ بناء المعذنة .
- معذنة المشهد القبلى أو بلال قرب الشلال ، وصف المعذنة ، المعذنة من الداخل ، تاريخ بناء المعذنة .
- المسجد : وصف بينيديت ، إعادة تصور التخطيط ، مادة البناء ، تاريخ بناء المسجد .
- معذنة أسوان [الطابية] : وصف المعذنة ، المعذنة من الداخل ، تاريخ بناء المعذنة .
- معذنة أبى الحجاج بالأقصر : وصف المعذنة ، المعذنة من الداخل .
- التاريخ المرجح للمجموعة [المآذن الخمس] .
- مسجد [مشهد] الجيوشى : وصف المسجد ، المسجد من الداخل ، المحراب ، الشرافات ، المعذنة ، مادة البناء ، تاريخ بناء المسجد [المشهد] .
- الفصل العاشر : التحصينات الفاطمية لبدر الجمالى ١٦٩ - ٢٠٥**
- الظروف التاريخية - رواية المقرئى .
- تاريخ البوابات ، انطباعات الرحالة .
- باب النصر : وصفه ، الأبراج وبنائها ، الملاط ، البوابة ، المجاز ، برج السلم ، المنصة الرئيسية ، التجاويف الثلاثة الغامضة ، الجزء العلوى من البرجين .
- باب الفتوح : وصفه ، الأبراج ، البوابة ، المجاز ، المنصة الرئيسية ، المنصة العليا ،

- أسوار بدر الجمالى : أى جزء من أسوار القاهرة ينسب إلى بدر ، وصف السور الشمالى ، طول الجزء (أ) إلى جنوب باب النصر ، القطاع ب ، درج السلم المكتشف ، البرج الأول ، القطاع (ج) والبرج الثانى ، القطاع (د) والبروز الكبير ، القطاع (هـ) ، الشرفة الداخلية ، برج السلم الكبير ، القطاع (و) ، البرج ذو الواجهة المستديرة ، القطاع (ز)

الفصل الحادى عشر : التحصينات الفاطمية لبدر الجمالى (تابع) ٢٠٧ - ٢٢٥

- باب زويلة : وصفه ، كيفية بناؤه ، الأبراج ، البوابة ، المجاز ، المنصة الرئيسية ، المنصة العليا ، هل كان هذان البرجان أعلى مما هما عليه الآن ؟ ، استخدام باب زويلة كبرج طبلية ، أصل تسمية باب زويلة بباب المتولى .

- السور الجنوبي : وصفه

- الأصول المعمارية : البرجان الجانبيان المربعان ، المثلثات الكروية ، استخدام الأعمدة كأربطة [ميد] ، العقد نصف الدائرى ، الاعتاب المقوسة ، العقود المنحوتة فى نقطة التقاء مدامكين ، حنايا على هيئة أنصاف قباب بصنجات مروحية ، حنايا على هيئة أنصاف قباب صغيرة للغرض الزخرفى ، أعتاب ذات كتل عاتقة على شكل اسفين ، حليات متصلة ، الصنج المعشقة ، تقاطع الأقبية الأسطوانية المرتفعة ، المخدات المتلاصقة فى باب الفتوح ، الدروع الواقية على باب النصر ، العنصر الزخرفى المستخدم فى الدروع المستديرة ، زخرفة العقد الأمامى بباب الفتوح ، الحشوات ذات العقود المروحية الشكل بباب زويلة .

- ملخص

المصادر والمراجع ٢٢٥ - ٢٢٧

- جامع بدر الجمالى بجزيرة الروضة ٢٢٨ - ٢٢٩

- ملحوظة : رؤى الثيران على كوابيل باب الفتوح ٢٢٩

الفصل الثانى عشر : وزارة الأفضل شاهنشاه ٢٣١ - ٢٣٧

- وفاة بدر الجمالى وتولى ابنه الأفضل خلفا له .

- محراب الأفضل بجامع ابن طولون ، وصفه ، تاريخ المحراب ، الأصول المعمارية .

- المشهد فى أسوان : وصفه ، المبنى الملحق به ، التحليل ، تاريخ البناء .

- خضرة الشريفة (= مسجد الشريفة ؟) : وصفه ، مادة البناء ، هوية البناء وتاريخه .

الفصل الثالث عشر : ستة أضرحة فاطمية متأخرة ٢٣٩ - ٢٥٠

- الضريح القديم المواجه لخانقاه بيبس الجاشنكير [القبة الفاطمية بالجمالية] : وصفه ، المقرنصات

- ضريحا محمد الجعفرى والسيدة عاتكة : ضريح محمد الجعفرى ، ضريح السيدة عاتكة ، المحراب ،

تاريخ الضريحين ، تطور المقرنصات : الحلقة المفقودة فى القاهرة القديمة [حتى مصر القديمة جنوب القاهرة].

- ضريح الشيخ يونس : وصفه ، منطقة الانتقال ، تاريخ البناء .

- ضريح أخوة يوسف : وصفه ، المحراب الثلاثي ، تاريخ البناء .
- الضريح الفاطمي بقوص : أساس القبة ، منطقة الانتقال ، الرقبة والقبة [الخوذة] ، تاريخ البناء .
- الفصل الرابع عشر : أعمال المأمون البطاحي ٢٥١ - ٢٥٧
- مشهد أم كلثوم : وصفه ، تاريخه ، الأصول المعمارية .
- جامع الأقمر : وصفه ، الواجهة ، زخرفة الواجهة ، الجامع من الداخل ، تسقيف الأروقة الجانبية ، تاريخ الجامع ومراحل بنائه .
- المصادر والمراجع ٢٥٨ - ٢٦٠
- الفصل الخامس عشر : مشهد السيدة رقية ٢٦١ - ٢٦٧
- وصفه ، المشهد من الداخل ، منطقة الانتقال ، الرقبة ونوافذها ، القبة [الخوذة] ، المحراب الرئيسي ، المحاريب الأصغر ، كيف كان الشكل الأصلي للمشهد ؟ ، تاريخ البناء ، التابوت ، تطور ما يعرف بالدلاية المقرنصة ، ليس هناك أثر يدل على التأثير الشامي والعراقي أو الفارسي .
- الفصل السادس عشر : أعمال الخليفة الحافظ لدين الله ٢٦٩ - ٢٧٨
- في الجامع الأزهر : أروقة الصحن : وصفها ، زخرفة الواجهة .
- : القبة بمقدمة الحجاز القاطع [قبة البهوا] : وصفها ، زخارفها ، الزخرفة الشبكية المفرغة للنوافذ ، أقدم نموذج ياقٍ للتوافذ ذات الزجاج الملون بمصر ، زخرفة القبة من الداخل ، تاريخ بناء القبة وأروقة الصحن ، الأصول المعمارية : القبة الكائنة في النهاية الشمالية للمجاز القاطع [قبة البهوا] ، البيشتاق .
- الأعمال الخشبية المحفورة من ضريح السيدة نفيسة : الباب ، السطح السفلي لمعبرة الباب ، المحراب .
- ضريح محمد الحصري : وصفه ، الضريح من الداخل ، تاريخ البناء ، الأصول المعمارية .
- الفصل السابع عشر : القاعة الفاطمية ٢٧٩ - ٢٨١
- قاعة الدردير : وصفها ، تاريخ البناء ، الأهمية المعمارية للقاعة .
- الفصل الثامن عشر : ضريحا [مشهدا] يحيى الشيبه والقاسم أبي الطيب ٢٨٣ - ٢٨٩
- ضريح [مشهد] يحيى الشيبه : وصفه ، الحجرة ذات القبة ، الحجاز المسقوف ، المحراب ، المبنى الملحق ، التحليل وإعادة تصور الشكل الأصلي للضريح ، تاريخ البناء ، الأصول المعمارية .
- ضريح [مشهد] القاسم أبو الطيب ، وصفه ، مادة البناء ، إعادة تصور الشكل الأصلي للضريح .
- إعادة تصور الشكل الأصلي للضريح [مشهد] أم كلثوم .
- الفصل التاسع عشر : بقايا مشهد سيدنا الحسين ٢٩١ - ٢٩٥
- تاريخ المشهد الحسيني ، وصفه ، الباب الأخضر ، الشرفة ، هوية مبنى الباب الأخضر وتاريخ بنائه .
- مؤذنة أبو الغضنفر : تاريخ الجامع والضريح ، وصف الضريح ، المؤذنة ، تاريخ المؤذنة .
- الفصل العشرون : جامع الصالح طلائع ٢٩٧ - ٣٠٩
- مقدمة تاريخية ، تاريخ الجامع ، تاريخه اللاحق ، إعادة بناء الجامع بأكمله باستثناء الحرم [مقدم

الجامع] ، تقدم البحث ، الواجهة الشمالية الغربية ، الحجرات الركنية والسقيفة الخارجية ، الواجهة الشمالية الشرقية ، الواجهة الجنوبية الغربية ، النصف الأيسر من الواجهة الشمالية الشرقية ، الواجهة الخلفية ، مادة البناء ، الشرافات ، الجامع من الداخل ، هل كان هناك رواق شمالي غربي أصلاً ؟ الحرم [مقدم الجامع] ، المحراب ، المنبر ، الملقف ، النوافذ ، تاريخ بناء الجامع ، تأثيره على الجوامع اللاحقة ، ملحوظة .

- المصادر والمراجع ٣١١ - ٣١٢
- الخاتمة ٣١٣ - ٣١٥
- قائمة بالآثار التي ورد وصفها بهذا المجلد ٣١٧ - ٣١٩
- التعليقات (أ. د. محمد حمزة الحداد) ٣٢١ - ٤٠٥
- ثبت الأشكال واللوحات ٤٠٦ - ٤٣٥
- الأشكال ٤٠٩ - ٤١٥
- اللوحات ٤١٦ - ٤٣٥

تقديم

كانت العمارة الإسلامية ولا تزال تحتل مكانة مرموقة بين طرز العمارة التي عرفتتها الحضارة الإنسانية ، فقد استطاعت العمارة الإسلامية التي إنتشرت في أقطار عديدة أن تحقق لنفسها طرازاً فريداً بين تلك الطرز ، حيث أضافت العمارة الإسلامية إلى التراث المعماري العالمي نظاماً تخطيطية لم تكن معروفة من قبل كالجوامع والمدارس والخانقاهات وغير ذلك ، كما أدخلت على نظم العمارة المدنية والحربية أنظمة جديدة جعلت لها طابعاً فريداً مميزاً .

وإتكرت العمارة الإسلامية كذلك عناصر معمارية وزخرفية عديدة إتسمت بالمهارة والتنوع والدقة البالغة وبقيمتها الجمالية التي لا تخطئها العين .

وليس أدل على مكانة هذا الطراز وعلو شأنه من أنه قد أثر تأثيراً واضحاً في العمارة والفنون الأوروبية كما هو معروف .

ومن الحقائق المعروفة في تاريخ العمارة والفنون أن الطرز المختلفة تكاد تتشابه كلها في مراحل تطورها من حيث الخضوع لعدد من العوامل العامة التي يتأثر بها كل طراز بطريقته الخاصة فتوجهه وتؤثر عليه عند نشأته وفي أثناء خطوات تطوره وتساعد على خلق شخصيته وطابعه وملامحه .

وقد ساهمت في نشأة وتطور طراز العمارة الإسلامية عدة عوامل دينية وسياسية واقتصادية وبيئية ، ويمكن القول بأن هذه العوامل تكاد تكون متشابهة في معظم أقطار العالم الإسلامي مما زاد من الروابط التي تربطها ببعضها توثيقاً وهو الأمر الذي أضفى على الطراز الإسلامي طابعه العام الذي يتسم به وهو طابع الوحدة الظاهرة التي لا مجال لانكارها أو التشكك فيها على الرغم من إحتفاظ كل قطر من الأقطار الإسلامية بطابع محلي مميز لها خاص بها .

وفي ضوء ما تقدم يتضح أنه قد تفرع عن ذلك الطراز الإسلامي العام عدة طرز فرعية أو محلية ، إذ أن كل قطر من الأقطار الإسلامية قد أخذ يتخذ لنفسه سمات خاصة وشخصية مستقلة يتميز بها في قليل أو كثير عن بقية الأقطار الأخرى متأثراً في ذلك بعوامل البيئة المحلية وغيرها من العوامل السابق الإشارة إليها ، وهو الأمر الذي أنتج عدة مدارس أو طرز فرعية محلية في كل منها لها سماتها ومميزاتها بالإضافة إلى الطابع الإسلامي العام الذي لا يمكن أن تخطئ العين والذي كانت لها تنضوي تحت لوائه .

ويهمنا من بين تلك الطرز الفرعية المحلية الطراز المصري ، ذلك الطراز الذي ظهر على أرض مصر وتطور بها وتميز بسمات خاصة ، ولكن دون أن يفقد صلته بالطراز الإسلامي العام الذي هو فرع منه أو بغيره من الطرز الإسلامية المحلية المعاصرة له في الشرق والغرب والتي أثرت فيه أو أثر هو فيها .

هذا وتحفظ مصر بسلسلة طويلة متصلة الحلقات تنتظم فيها مجموعة كبيرة من العماثر المتنوعة والمتعددة ، وهو الأمر الذي يمكن في ضوئه أن نتبع في يسر وسهولة نشأة هذا الطراز وتطوره والتأثيرات المختلفة التي وقعت عليه سواء من شرق العالم الإسلامي أو من غربه .

وإذا كان هذا الطراز قد إرتبط في نشأته وتطوره بعوامل البيئة المحلية المصرية من حيث الموقع الجغرافي المتميز وظروف المناخ وتوفر المواد الخام اللازمة للبناء كالحجر والآجر ، فإنه من جهة ثانية قد إرتبط بالدول

الإسلامية التي حكمت مصر وما تعتنقه هذه الدول من مذاهب دينية فضلا عن إستقرار الأحوال السياسية والاقتصادية فى عهد كل دولة من هذه الدول وما كان يصاحب هذا وذلك من إستقرار الأوضاع الاجتماعية وتحسن العلاقات الخارجية التي كان لها أثرها البالغ فى تبادل التأثيرات المعمارية والفنية .

وإذا كان هذا الطراز قد ظهر بشكل واضح مميز خلال العصر الفاطمى (٣٥٨ - ٥٦٧هـ / ٩٦٩ - ١١٧١م) ، إلا أن ذلك لا يعنى أنه قد ظهر كاملا فى ذلك العصر فإن بذور هذا الطراز كانت قد غرست ونبتت قبل ذلك العصر كما يستدل من الشواهد الأثرية القليلة الباقية (الحداد ، الطراز المصرى ، ص ٢ - ٧) . هذا وقد وقعت على العمارة المصرية الإسلامية خلال العصر الفاطمى عدة تأثيرات من شرق وغرب العالم الإسلامى إلا أنها كانت تأثيرات جزئية لم تستطع أن تغير جوهر هذا الطراز أو تفقده شخصيته المستقلة المميزة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإن هذه التأثيرات سواء أكانت عناصر معمارية أو زخرفية سرعان ما تطورت وتمصرت أى إكتسبت طابعا مصرية خالصا ظل ينمو ويواصل تطوره خلال العصرين الأيوبي والملوكى ، بل واستمرت إبان العصر العثمانى . (الحداد ، الطراز المصرى ، ص ٧ - ٢٤) .

والكتاب الذى نقدمه اليوم للناطقين بلغة الضاد ، سواء من المتخصصين أو من القراء الأعزاء ، يعد عصب دراسة العمارة والآثار الإسلامية فى مصر ، ولا تأنى الأهمية البالغة لهذا الكتاب من أن مؤلفه أحد الرواد من المستشرقين والعلماء الأجانب الذين حملوا منذ أواخر القرن ١٩م والنصف الأول من القرن ٢٠ المنصرم عبء دراسة العمارة والآثار الإسلامية فى مصر فحسب وإنما تكمن هذه الأهمية فى أن هذا الكتاب يعد أول دراسة علمية متخصصة أرست اللبنات الأولى الرئيسة لكل من يتصدى لدراسة العمارة الإسلامية ومراحل تطورها فى مصر .

وليس أدل على ذلك من إستعراض الدراسات والبحوث التى سبقت ظهور هذا الكتاب ، فللهولة الأولى يلاحظ فى هذه الدراسات السابقة أنها كانت دراسات عامة أى تتناول العمارة والفنون فى مصر الفاطمية ضمن دراسات العمارة والفنون الإسلامية بصفة عامة كما هو الحال فى دراسات كل من : سلاطين ، الفن الإسلامى (١) العمارة (١٩٠٧م) ، وفاجو الفن العربى (١٩٠٩م) ، وريفويرا العمارة الإسلامية (١٩١٤م) ، وريشموند ، العمارة الإسلامية (١٩٢٦م) ، وجورج مارسيه ، فن الإسلام ، (١٩٤٧م) وغير ذلك . أو ضمن الدراسات المتعلقة ببعض الأقطار والمدن الإسلامية كما هو الحال فى دراسات كل من : مارجليوث ، القاهرة ، القدس ، دمشق (١٩٠٧م) ، بريجز ، العمارة المحمدية فى مصر وفلسطين (١٩٢٤م) وغير ذلك .

أو ضمن الدراسات المتعلقة بالآثار الإسلامية فى مصر عامة والقاهرة خاصة كما هو الحال فى دراسات كل من : فرانز ، القاهرة (١٩٠٣م) ، ريشموند ، أهمية القاهرة (١٩١٣م) ، ودراسات ديفونشير عن آثار القاهرة (١٩١٧م) و (١٩٢٥م) و (١٩٢٦م) ، ودراسة تارشى عن العمارة والفن الإسلامى فى مصر (١٩٢٣م) ودراسة محمود أحمد دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة (١٩٣٩م) .

أو ضمن الدراسات المتعلقة بدراسة المساجد المصرية عامة ومساجد القاهرة خاصة ومن أهمها دراسة كل من هوتكير وفيت عن : مساجد القاهرة (١٩٣٢م) . ودراسة محمد عبد العزيز مرزوق عن : مساجد القاهرة قبل عصر المماليك (١٩٤٢م) ، ودراسة حسن عبد الوهاب عن تاريخ المساجد الأثرية (١٩٤٦م) .

كذلك اتجهت دراسات أخرى إلى موضوعات محددة مثل نشر النقوش الكتابية أو دراسة الوحدات أو العناصر المعمارية والزخرفية والتأثيرات الفنية أو دراسة الفنون الزخرفية في العمارة والفنون الإسلامية في مصر عامة أو خلال العصر الفاطمي خاصة كما هو الحال في دراسات كل من : فان برشم (الكوربس ، مصر (١) ١٨٩٤م) ، وفيت (الكوربس ، مصر (٢) ١٩٢٩م) وفيت ورفاقه الريسورتوار (١٩٣٥م) ، ودراسة فلورى عن زخارف جامع الحاكم والأزهر (١٩١٢م) ، ودراسات بوتى : اسهام فى دراسة المقرنصات (١٩٢٩م) ، وسائل التحصين فى مدينة القاهرة القديمة (١٩٣١م) ، تطور شكل التاء فى المساجد (١٩٣٢م) ، ودراسة جورج مارسيه عن التأثيرات الفنية فى مصر (١٩٣٥م) ودراسة لام عن الأخشاب الفاطمية (١٩٣٦م) ، وفيت : نقوش فاطمية جديدة (١٩٤٢م) ، وحسن الهوارى ، ثلاث مآذن فاطمية (١٩٣٥م) ، ومونيريه دى فيليار : جبانة أسوان الإسلامية (١٩٣٠م) وغير ذلك .

ومما له دلالة أن كريزول لم يشذ عن هذه القاعدة كما يتضح من إستعراض بحوثه ودراساته ، التى سنشير إليها فيما بعد ، قبل صدور الجزء الأول من كتابه العمارة الإسلامية فى مصر .

وعلى ضوء ما تقدم تتجلى أهمية كتاب كريزول وقيمته بالنسبة للدراسات التى سبقته ، ونضيف على ذلك فنقول أن هذه الأهمية قد إزدادت حتى بعد صدور هذا الكتاب ١٩٥٢م لأن غالبية الدراسات العربية التى نشرت عقب التاريخ المذكور قد خرجت من عباءة هذا الكتاب المهم ولم تحيد عنه إلا فى القليل النادر كما هو الحال فى دراسات وآراء كل من المرحومين - بإذن الله - أحمد فكرى وفريد شافعى كما سنشير فيما بعد .

وهنا لا بد لنا من وقفة قصيرة نقدم فيها - أولاً - ترجمة موجزة لمؤلف هذا الكتاب وأهم مآثره العلمية - وثانياً - لمترجم هذا الكتاب وأهم مآثره العلمية .

والبروفيسور كريزول هو الكابتن كيبيل ارشبلد كميرون ، ولد فى عام ١٨٧٩م بلندن وتوفي فى عام ١٩٧٤م ، وقضى ما يقرب من نصف قرن مقيماً بالقاهرة. وقد أخذت شهرة كريزول فى الانتشار عبر أوروبا وأمريكا، فقدرته الجامعات والمعاهد العلمية على اختلافها وتساقبت الي دعوته لإلقاء المحاضرات بها. وفى عام ١٩٤٦م، منحته جامعة أكسفورد درجة الدكتوراه فى الآداب. وفى العام التالى، إنتخب عضواً فى الأكاديمية البريطانية، ومنحته جامعة برينستون درجة الدكتوراه الفخرية فى الآداب. كما حصل على العضوية الفخرية فى العديد من الجمعيات العلمية فى العالم، منها جمعية آثار الهند، معهد الآثار الألمانى، الجمعية الشرقية الألمانية، المجمع العلمى المصرى، المركز الأمريكى للدراسات الأثرية بمصر، الجمعية الملكية لآسيا الوسطى، وغيرها. كما أنعم على الكابتن كريزول بالعديد من الأنواط الفخرية، وكان يدعى للمشاركة فى لجان الاشراف على معارض الفنون الإسلامية حول العالم.

ويرجع الفضل إلى الأستاذ كريزول فى إنشاء معهد الآثار الإسلامية فيما بين الأعوام ١٩٣٣م و١٩٥٤م. وكان أول أستاذ للعمارة الإسلامية بجامعة القاهرة فيما بين الأعوام ١٩٣٣ و ١٩٥١. ثم شغل فيما بين الأعوام ١٩٥٦ و ١٩٧٤ منصب الأستاذ الفخري للعمارة والفنون الإسلامية بمعهد الدراسات الشرقية الملحق بالجامعة الأميركية بالقاهرة. وقد بلغ درجة عالية من الشهرة فى مجال الآثار والعمارة الإسلامية، وقل أن نجد مؤلفاً أو بحثاً يخلو من اشارة الى أعماله وأبحاثه المتعددة فى هذا المجال. ويكفيه فخراً ذلك الفهرس الببليوجرافى الذى ضمنه جميع ما كتب عن الآثار الإسلامية من أبحاث ودراسات، والذي أكمله من بعده بعض تلامذته المعروفين (بيرسون وماينكه وسكانلون) .

ولا شك أن كتاب العمارة الإسلامية في مصر يعد أحد أشهر مؤلفات كريزول؛ وقد ضمنه خلاصة أبحاثه ودراساته عن العمارة المصرية الإسلامية التي بدأها منذ سنة ١٩١٩م ببحثه الموجز الذي نشرته مجلة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة تحت عنوان «تأريخ موجز للآثار الإسلامية في مصر حتى عام ١٥١٧م». ومنذ هذا التاريخ - أي سنة ١٩١٩م - توالى البحوث والدراسات الفردية عن العمارة الإسلامية، مثل بوابات القاهرة، تأسيس القاهرة، جامع عمرو ومشروع إعادة بنائه في أزهي عصوره، الأسوار الضخمة في جامع الحاكم، قلعة الجبل، أصول التخطيط المتعمد في مدارس القاهرة، تطور المذنة، الفن الإسلامي في مصر، الزخارف الطولونية المكتشفة حديثاً، اكتشافات أثرية حديثة في الفسطاط، الفن الفاطمي (العمارة)، وغير ذلك.

صدر الجزء الأول من كتاب «العمارة الإسلامية في مصر» في سنة ١٩٥٢م عن مطبعة كلارندن بأكسفورد. وهو يغطي الفترة التاريخية الممتدة فيما بين ٩٣٩ و ١١٧١م. أي العصرين الأخشيدي والفاطمي. أما الجزء الثاني فنشر في سنة ١٩٥٩م بنفس المطبعة، ويغطي الفترة الممتدة فيما بين الأعوام ١١٧١ و ١٣٢٦م. أي العصر الأيوبي بأكمله وأوائل عصر المماليك البحرية. وبعد الكتاب بجزئيه أهم مصادر العمارة المصرية الإسلامية حتى سنة ١٣٢٦م، ولا غني لأي باحث عنه؛ فهو يمتاز بالجمع بين الجانبين الوصفي والتحليلي في الدراسة. فلم يقتصر الأستاذ كريزول على وصف العماائر المختلفة؛ وإنما كان يعتمد أيضاً على دراسة العناصر المعمارية والزخرفية وتحليلها لمعرفة الأصول والبدائيات الأولى لكل عنصر منها، مع إبراز التأثيرات الوافدة، مشرقية كانت أم مغربية؛ فضلاً عن إستخلاص الابتكارات والإضافات المصرية في مجال العمارة الإسلامية.

وعلى الرغم من أهمية هذا الكتاب وغيره من أعمال الأستاذ كريزول العديدة، إلا أنه لم ينقل منها إلى العربية سوى كتاب واحد موجز عن الآثار الإسلامية المبكرة وبعض البحوث القصيرة نشرت بمجلة المقتطف، وبحث قلعة الجبل نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب في سنة ١٩٧٤م. وكان القصد من ترجمته إضافة عمل قيم للمكتبة العربية يخدم دارسي العمارة الإسلامية عامة والعمارة المصرية الإسلامية خاصة.

وهنا لا بد لي - ثانية - من أن أشيد بالمجهود الفائق والتميز، الذي بذله أخى وصديقي الجليل الدكتور / عبد الوهاب علوب أستاذ الدراسات الشرقية المساعد بكلية الآداب - جامعة القاهرة في نقل هذا الكتاب المهم وترجمته إلى اللغة العربية، وليس هذا بجديد على الدكتور علوب فهو صاحب باع طويل وشهرة واسعة في حقل التعريب والترجمة خلال العقد الأخير من القرن العشرين المنصرم، وحتى الآن، وحسبنا أن نشير، على سبيل المثال وليس الحصر، إلى بعض أعماله المترجمة (سواء عن الإنجليزية أو الفارسية) ومنها تاريخ الجزيرة العربية والإسلام (١٩٩٣م)، أثينة السوداء (الجزء الأول) للحضارة الكلاسيكية (١٩٩٧م)، ديانة الساميين (١٩٩٧م)، مصادر دراسة التاريخ الإسلامي (مع د. الحلوجي) (١٩٩٨م)، والإسلام في البلقان وتاريخ المغول وغير ذلك (سواء ما نشر أو لا يزال قيد النشر).

وها هو الدكتور علوب يضيف جانباً مهماً إلى رصيده المتميز وهو جانب العمارة والآثار الإسلامية، وسوف تشهد الأعوام القليلة المقبلة - بمشيئة الله تعالى - مزيداً من التعاون المثمر بيننا من أجل إخراج المكتبة الآثارية الإسلامية المعربة؛ وهو المجال الذي تفتقر إليه كثيراً المكتبة العربية.

هذا ولا يقف نشاط الدكتور علوب المتميز عند حد الترجمة فحسب؛ فإن له العديد من البحوث والدراسات والمؤلفات المنشورة؛ فضلاً عن المعاجم وتنوّه في هذا المقام بمعجمه الشهير المرسوم بـ «معجم الآثار والأديان» (إنجليزي - عربي - فارسي) دار الأمين، القاهرة ١٩٩٦م.

وأتمنى للدكتور علوب المزيد من التقدم وأسأل الله العليّ القدير أن يوفقه إلى ما فيه خير للعلم وأهله.

هذا وقد روعي في الترجمة أن تكون مطابقة للأصل ومحقة لكلا المنهجين (الوصفي والتحليلي) ولجميع المعاني التي ضمنها المؤلف فقرات كتابه فقرة فقرة ؛ ومن ثم تم التقييد بتعبيرات المؤلف وتركيب عباراته قدر الإمكان والمحافظة على الروح العامة للكتاب ؛ ولكن دون الإخلال بسياق العبارة العربية .

أما عن المصطلحات فتمنى أن تكون هذه الترجمة بداية موفقة نحو ضرورة توحيد المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية حيث أنه لا يوجد إتفاق - حتى الآن - حول دلالة المصطلحات الفنية سواء المصطلحات العربية أو الفارسية أو التركية أو المقابل العربي للعديد من المصطلحات الواردة في البحوث والدراسات الأجنبية وهو الأمر الذي سبق أن أشرنا إليه من قبل (الحداد ، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية ، دراسة تحليلية لبعض المصطلحات الأجنبية المترجمة في العمارة الإسلامية ...) ويسرني أن أنتهز هذه الفرصة كي أدعو كافة الباحثين إلى عقد ندوة أو أكثر حول المصطلحات الفنية وضرورة توحيدها حتى يعم النفع وتزداد الفائدة .

وفي ترتيبنا للهوامش التي أدرجها المؤلف أسفل كل صفحة من النص الأصلي ، فضلنا إدراجها داخل المتن (باستثناء هوامش الفصل الأول التي أوردناها بنهاية الفصل) حتى يسهل على القارئ التعرف إليها ؛ إضافة إلى ذلك فقد أبقينا على قائمة المصادر والمراجع التي أوردتها المؤلف بنهاية كل فصل كما هي ونفس ترتيبها زيادة في الفائدة .

ونظراً لأهمية هذا الكتاب لم أكتف بمراجعة الترجمة فحسب بل تعاملت مع هذا الكتاب كنص تاريخي مهم بحاجة إلى التحقيق العلمي ؛ وقد إقتضى ذلك أولاً - الرجوع إلى جميع النصوص التاريخية في مصادرها الأصلية ؛ ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى أن المؤلف كان في بعض الأحيان يقتطف من النص العربي العبارة أو الكلمة التي يريد الاستدلال بها ، وهذه الطريقة تزيد من المتاعب في تفهم النص ؛ بل تجعل ترجمة ما إقتطفه المؤلف من النص العربي غير واضحة ، ولذلك فإنه من الأفضل والأنسب إستخراج النص الأصلي وإثباته كاملاً بعد تحقيقه في مظانه الأصلية ثم وضعه في موضعه بالمتن المترجم وإذا كان المؤلف قد أضاف إلى النص العربي الأصلي ما لم يرد به أصلاً ففي هذه الحالة كان يتم التنبيه في الحاشية مع التعليق على هذا الموضوع .

وقمت - ثانياً - بتزويد الكتاب بالعديد والعديد من التعليقات والتحقيقات العلمية (٣٩٥ حاشية ومنها الكثير من الحواشي المطولة) وذلك إعتماً على المصادر الأصلية والدراسات الحديثة (عربية كانت أم أجنبية) التي نشرت عقب صدور هذا المجلد الذي بين أيدينا عام ١٩٥٢م ؛ ولذلك فإن هذه التعليقات تكاد أن تكون وحدها كتاباً مستقلاً يحوى خلاصة الدراسات الجادة التي نشرت عقب صدور هذا المجلد الأول الذي بين أيدينا عام ١٩٥٢م بكل ما تتضمنه من إضافات وأراء جديدة وهو ما يثرى هذه الترجمة ثراءً كبيراً بمشيئة الله تعالى .

والحق أن الدافع الرئيس الذي كان وراء حرصى على تزويد هذه الترجمة بمثل هذه التعليقات وتلك التحقيقات بهذا الشكل الذي يجعل منها جزءاً متمماً للكتاب الأصلي هو ظهور العديد من الدراسات العربية المنشورة في العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين المنصرم يغلب عليها الجانب الوصفي البحت وبالتالي لم

تضيف فى الجانب التحليلى أى جديد على ما أشار إليه كرىزول عن العمارة المصرية الإسلامية فى العصرين الإخشيدى والفاطمى ويستثنى من ذلك دراسات كل من العالمين المرحومين (بإذن الله) فريد شافعى وأحمد فكرى .

ومما زاد الطين بلة إستمرار هذه الظاهرة بل وظهور نوعية جديدة من الدراسات العربية المنشورة فى السنوات العشر الأخيرة التى لا يصدق عليها سوى مقولة إنها « جامع لمتفرق » أو « قص ولصق » أو « مجرد سدخانة » أى أنها كتب محاضرات للطلبة أو كتب سياحية وبالتالى فإنه لا يشترط - فى عرف أصحابها - أن تضيف أى جديد ؛ فضلا عن عدم الأمانة العلمية (سرقة أو إنتحال ؛ ويرر أمثال هؤلاء ذلك بالقول « وقد حتمت على السرعة فى اخراج هذا الكتاب عدم وضع هوامش فى هذه الطبعة ...» ؛ وكثرة الأخطاء بل وعدم الإلمام بكافة أدوات ومفردات البحث العلمى الرصين والمنهج العلمى السليم .

ولعل أولى خطوات ذلك المنهج وأبسط قواعده هو الإلمام - على الأقل - بما إنتهت إليه الدراسات الأجنبية الحديثة التى نشرت عقب صدور هذا المجلد الأول الذى بين أيدينا عام ١٩٥٢م، وهو ما نفتقر إليه غالبية الدراسات العربية المزعومة وعلى الأخص ما نشر منها إبان العقد الأخير كما لا يخفى على الكثيرين من المتخصصين ؛ وهو الأمر الذى يحتاج إلى وقفة طويلة لاحقة بمشيئة الله تعالى .

وعلى ضوء ما تقدم نتمنى ، من الله العلى القدير ، بترجمة هذا الكتاب القيم إلى العربية وما يزدان به من تعليقات وتحقيقات علمية أن يعم النفع وتزداد الفائدة ؛ وأن يكون ذلك حافزا قويا على نشر البحوث والدراسات الجادة الرصينة وتنشيط الحركة العلمية فى هذا المجال . وهذا هو الغرض الذى نرمى إليه وننشده . فالباحث المدقق نهم لا يشبع لا يمل ولا يكل من طول البحث وعنائه لأنه راغب دائما فى الوصول إلى لب الحقيقة وكبدها .

وبعد ؛ فأرجو أن أكون قد أسهمت بنصيب فى مراجعة هذا الكتاب المهم ، وفى إستخراج نصوصه التاريخية الأصلية ووضعها فى موضعها بالمتن المترجم ؛ وأن أكون قد وفقت - بفضل الله تعالى وتوفيقه وعونه - كذلك فى التعليق عليه والتقديم له .

والحمد لله أولاً وآخرأ .

أ. د. محمد حمزة إسماعيل الحداد
أستاذ العمارة والآثار والحضارة الإسلامية
كلية الآثار - جامعة القاهرة
مصر الجديدة فى
٢٠٠٤/١/١

مقدمة المؤلف

فى كتابنا بعنوان Early Muslim Architecture (١) (العمارة الإسلامية المبكرة) قمنا بتغطية القرون الثلاثة الأولى من الإسلام فى كل الدول ومنها مصر (جامع عمرو ومقياس النيل و جامع ابن طولون) ، فهذه أفضل طريقة لدراسة أصول العمارة الإسلامية وتطورها فى عصورها المبكرة. أما هذا الكتاب الذى بين أيدينا، فيقتصر على دولة واحدة هى مصر بدءاً من النقطة التى توقفنا عندها فى الكتاب الأول.

إن أقدم أثر فى مصر بعد جامع ابن طولون هو ضريح الشريف طباطبا الذى شيد فى عهد الأخشيديين (٢). وخلف هذه الأسرة فى حكم مصر الفاطميون (٣٥٩-٥٦٦هـ / ٩٦٩-١١٧١هـ) (٣) وتستغرق عمارة عصرهم هذا المجلد بأكمله. ولكن لما كانت هذه الأسرة قد نشأت فى المهديّة بتونس حيث شيدت أول جامع فاطمى فى عام ٣٠٨ هـ (٩٢٠م)، فقد رأينا ضرورة البدء من هذه النقطة، فلانزال هناك بعض الأجزاء الأصلية من هذا الجامع الذى يحظى بأهمية فائقة نظراً لتأثيره على العمارة الإسلامية فى مصر. فمدخله التذكارى الذى يعد الأول من نوعه فى التاريخ الإسلامى والتنوّان الكبيران (قاعدتا معذنتيه؟) على طرف واجهته الرئيسة، كلها تفسر السمات الرئيسة لجامع الحاكم. إلا أن هذا العمل ماكان ليرى النور لولا اهتمام صاحب الجلالة الملك فاروق الأول بالفنون والآثار ولولا عطاءه الجزيل إسهاماً فى تكاليف طباعة هذا المجلد.

سنلاحظ فى دراسة العمارة الفاطمية وأصولها أن نظرية التأثير الفارسى التى شاعت فى وقت من الأوقات لم تعد تجد مبرراً لوجودها، وأن التأثير الخارجى فى تلك الحقبة كان آتياً - كالأسرة نفسها - من شمال أفريقيا، فيما عدا حصون الوزير الأرمنى بدر الجصالى (٤) بماتميز به من سمات سورية شمالية وأرمينية.

تعتبر هذه الحصون -البوابات الثلاث والصور الشمالي- التى بدأ تشييدها قبل مغادرة الحملة الصليبية الأولى (٥) أرض أوروبا بعشر سنوات، أهم آثار ذلك العصر، ولو أنها ظلت غير منشورة ولا تحظى بما تستحقه من اهتمام بسبب احتجابها وراء مبان لا قيمة لها. ولكن تمت الآن إزالة هذه المباني الرديئة لمسافة ٤٥٠م وعمق ٤٥م. فكانت النتيجة مشهداً بديعاً يبدأ من باب النصر ويمتد غرباً لمسافة ٢٢٠ متراً بعد باب الفتوح.

كما يتضمن هذا المجلد وصفاً كاملاً وتحليلاً للجامع الأزهر ويحوى أول تخطيط واسع النطاق ينشر له، إضافة الى عدد كبير من الصور الفوتوغرافية للزخارف الجصية التقطت من فوق سلم خشبى ارتفاعه حوالى ١٢ قدماً سمحت لى السلطات باستخدامه. كما يتناول تطور الضريح الإسلامى فى علاقته بالسبع بنات وأضرحة القرن الحادى عشر بأسوان.

ومن السمات الأخرى لهذا المجلد احتواءه على مجموعة من الصور الفوتوغرافية المرتبة ترتيباً زمنياً وتصور تطور القبة ودلاياتها فى ذلك العصر، بالإضافة الى مجموعة أخرى للمحاريب والمآذن. وأضيفت الى هذه المجموعة الأخيرة مساقط رأسية واسعة النطاق لمئذنتى جامع الحاكم وأخرى لجوامع إسنأ والشلال وأبى الحجاج بالأقصر.

البيبلوجرافيا: كما فعلت فى كتابى الأول بعنوان Early Muslim Architecture (العمارة الإسلامية المبكرة) حاولت فى هذا الكتاب أن أقدم أكمل قائمة بالمصادر والمراجع عن كل أثر من الآثار المعنية، مع إيضاح تاريخ كل مرجع مما يمكن الدارسين، خاصة من لا دراية لهم بالآثار الشرقية، من العثور على المصادر والمراجع المعاصرة لما يدرسونه من آثار. وحين تكون هذه المصادر والمراجع قصيرة نسبياً، فإن القارئ يجدها متضمنة فى

النصر؛ أما حين تطول، فانه يجدها مرتبة في نهاية كل باب.
الصور الفوتوغرافية : هناك دائما من يسألني عن نوعية آلات التصوير والعدسات التي استعنت بها. وقد استعنت
في عملي بآلتي تصوير: (١) آلة تصوير Contessa Nettel (Stuttgart) ١٣ × ١٨ سم ومعها جزء إضافي يتيح
تعديلاً بؤرياً قدره ١٥,٥ و ١٣,٥ سم حين الضرورة، (٢) آلة تصوير سينكلير Sinclair من خشب الماهوجنى ١٨
× ٢٤ سم.

ك . أ. كريزويل
القاهرة فى يونيو ١٩٥١

الفصل الأول

ظهور الفاطميين وبناء المهديّة

سقطت الأسرة الطولونية في ٢٩ صفر ٢٩٢ (١٠ يناير ٩٠٥م) بعد أن استمرت سبعة وثلاثين عاماً^(٦)، وأصبحت مصر ولاية تحت حكم الولاة (ومعظمهم من الأتراك) المعينون من قبل الخليفة العباسي^(٧). إلا أنه كانت ثمة قوة جديدة ناهضة في الغرب وهم الفاطميون الذين تمكنوا من القضاء على أغلبية القيروان في جمادى الآخرة من سنة ٢٩٦ (فبراير/مارس ٩٠٩م)^(٨)، وكان من المقدر لهم أن يفتحوا مصر فيما بعد وأن يحكموها لمدة تربو على المئتي عام. ونبدأ الآن في دراسة قيام هذه الأسرة^(٩).

ظهور الفاطميين^(١٠)

كان الفاطميون^(١) يدعون النسب إلى عبيد الله^(١١) المهدي الذي زعموا أنه كان أخا الإمام الثاني^(١٢) عشر الذي اختفى في ظروف غامضة بسامراء. إلا أن هناك روايات أخرى^(٢) ترى أنه كان ابن أحد الأئمة المختفين الذين اتبعوا نهج الطائفة بعد وفاة الإمام السابع^(١٣). ولكن على الرغم من الدراسة القيمة التي قام بها دي غويه^(٣) إلا أن هناك اتفاقاً بين بيكر ورايتماير^(٤) على أن أصل الفاطميين لا يزال أمراً يلفه الغموض. ويعزو خصوم الفاطميين^(١٤) أصل أسرتهم إلى ميمون القداح^(١٥)، ذلك الكحال الذي أسس إحدى فرق الشيعة المغالية^(٥) وتوفي في عام ٢٦٢^(١٦) (٨٧٥م)، فواصل ابنه عبدالله طريقه من بعده، واشترط المرور بسبع مراحل للانضمام إلى طائفته^(١٧)، وادعى لنفسه إمامة آل بيت النبي باعتباره حفيد جعفر الصادق، ونال شهرة واسعة في الأهواز^(١٨) لكنه في النهاية اضطر إلى الفرار إلى البصرة ومنها إلى سلمية^(١٩) حيث ولد له ولد أسماه أحمد^(٢٠).

وبعد وفاته خلفه ولده أحمد الذي أوفد داعياً^(٦) إلى العراق^(٢١) حيث التقى بحمدان بن الأشعث^(٢٢) المعروف باسم «قرمط» والذي أعلن خروجه وأسس فرقة القرامطة^(٢٣)، وكان هؤلاء هم أسلاف الفاطميين^(٢٤). وكان لأحمد ولدان هما حسين ومحمد المعروف باسم «أبي الشلغلغ»^(٢٥). وخلف حسين أبيه، وحين وافته المنية لم يخلفه ولده سعيد، بل خلفه أخوه أبو الشلغلغ الذي أوفد داعيين من طرفه إلى مراكش^(٢٦)، وهما أبو عبدالله^(٢٧) وأخوه أبو العباس^(٢٨). فأقاما بين البربر وحظيا بمكانة رفيعة بينهم، وسرعان ما جمعا حولهما عدداً كبيراً من الرجال المسلحين وقاما بطرد زيادة الله^(٢٩) آخر أمراء الأغلبية من البلاد في جمادى الآخرة من عام ٢٩٦ هـ (فبراير/مارس ٩٠٩م)^(٧).

عبيد الله أول الخلفاء الفاطميين^(٣٠)

كان لحسين ولد تربي في كنف عمه أبي الشلغلغ وحظي بصيت واسع في سلمية (على بعد ١٥ ميلاً من مدينة حماة) بعد وفاة عمه. لكنه اضطر فيما بعد إلى الفرار إلى مراكش^(٣١) عن طريق مصر حيث تمكن من

تفادى محاولة القبض عليه^(٣٢) ليلقى نفس المصير فى سجلماسة^(٨) وتم إنقاذه على يد أبى عبدالله المنتصر الذى أعلن خضوعه وأثنى عليه باعتباره «المهدى المنتظر» فى ربيع الثانى من عام ٢٩٧هـ (ديسمبر ٩٠٩م/يناير ٩١٠م)، وألقيت الخطبة باسمه فى المسجد الجامع بالقيروان بلقب الإمام عبيدالله المهدى أمير المؤمنين^(٩). وبعد أربعين يوماً، رحل عبيدالله الى رقادة^(٣٣) التى اتخذها عاصمة له الى أن تم إنشاء المهديّة (البكرى، ص ٢٧).

وسرعان ما وجد أبو عبدالله نفسه موضع تجاهر، فداخلته الغيرة فبدأ فى التشكيك فى أصل المهدى وأنه ينبغى أن يظهر كراماته ويبدى دلائل بعثته. فقضى المهدى على الخطر قبل استفحاله بقتله. ونتيجة للمشكلات التى ترتبت على هذا الحادث قرر إنشاء مدينة حصينة لتأمين مستقبل أسرته^(١٠).

بناء المهديّة^(٣٤)

بدأ المهدى فى سنة ٣٠٠هـ (٩١٣/٩١٢م)^(١١) فى الطواف بالسواحل حيث زار تونس وقرطاجة بحثاً عن موقع مناسب لبناء عاصمته الجديدة. وبعد طول تردد، استقر رأيه على شبه جزيرة حمة (أو «جمة») بين سوسة وصفاقس، والتى تبلغ الميل طولاً ولا تتصل بالأرض إلا بعنق لا يزيد عرضه عن ٤٠٠م. يقول ابن حماد^(٣٥): «كان له بصير بعلم النجوم فاخططها بطالع الأسد لأنه برج ثابت» (ص ٤١)^(١٢) وهناك إجماع بين معظم المؤرخين على أن عملية الإنشاء بدأت فى الخامس من ذى القعدة سنة ٣٠٣هـ (١١ مايو ٩١٦م)^(١٣). فيذكر التيجانى^(٣٦) نقلاً عن كاتب يدعى ابن الرقيق^(٣٧) (ص ٣٥٨) أن السور (البري) الغربى الذى كان يضم البوابات أنشئ أولاً، أما الأسوار التى يذكر ياقوت أنه كان يمكن أن يمر فوقها فارسان جنباً الى جنب (معجم البلدان، ج ٤، ص ٦٩٤)، فقد تم بناؤها فى سنة ٣٠٥هـ (٩١٧/٩١٨م) حسب قول البكرى (ص ٣٠)، أو فى ربيع الأول من سنة ٣٠٤هـ (سبتمبر/أكتوبر ٩١٦م) طبقاً لرواية ابن عذارى (ج ١، ص ١٧٦).

هناك جزء من المدينة ردم تحت الماء، وهو الجزء الذى بنى فوقه الجامع الأعظم ودار المحاسبات وعدة منشآت أخرى^(٣٨). ويضيف البكرى قائلاً إن المسجد كان يضم تسع بلاطات وإن بناءه كان على درجة كبيرة من الروعة والانتقان^(١٤). كما بنى عبيد الله قصراً لنفسه، وكان مدخله جهة الغرب؛ وفى مواجهته على الجانب الآخر من الميدان كان قصر ابنه أبى القاسم. وكان مدخله من الشرق^(١٥) ويذكر ابن حماد (ص ١٠) أن كلا هذين القصرين و«دار الصناعة» كانوا لا يزالون قائمين حين دون كتابه (أى فى سنة ١٢٢٠م). ويرى مارسيه أن قصر عبيدالله كان يحتل النتوء الأرضى الذى يشغله الآن الحصن التركى «برج الرأس» وتجه واجهته نحو الغرب ويمتد أمامه فضاء بلا أى بناء حديث فوقه سوى صفوف من الأسوار يعتقد أنها بقايا قصر أبى القاسم، ويبدى أسفه على أن الحفائر لم تبدأ بعد بهذا المكان.

وهناك ٣٦٠ صهريجاً وقناة مغطاة تسحب الماء من الخارج^(٣٩). يقول البكرى إن «دار الصناعة» التى كانت تقع شرق القصر كانت «تتسع أكثر من مائتى مركب وفيها قبوان كبيران طويلان لألات المراكب وعددها لثلاثا تصلها شمس ولا مطر»، ومينائها (المرسى) كان منقور فى حجر صلد يسع ثلاثين مركباً، على طرفى المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد فإذا أريد إدخال سفينة فيه أرسل حراس البرجين أحد طرفى السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدوها كما كانت بعد ذلك تحصيناً لثلاثا نظرها مراكب الروم^(٤٠). وهناك إجماع بين المؤرخين عدا الدمشقى (ص ٢٣٤) وابن خلدون^(١٦) على أن عبيدالله غادر رقادة الى حاضرتة الجديدة فى سنة ٣٠٨هـ (٩٢١/٩٢٠م) (بينما يرى ابن خلدون أنه غادر إليها فى سنة ٣٠٦هـ (٩١٨/٩١٩م)). أما ياقوت وابن خلكان

وابن عذارى فيحددون اليوم بأنه ٨ شوال ٣٠٨ هـ (١٩ فبراير ٩٢١ م)؛ ويحدد المقرئى الشهر بأنه صفر من عام ٣٠٨ هـ. (يوليه/ أغسطس ٩٢٠ م) وقد ظلت حاضرة حتى عام ٣٣٤ هـ (٩٤٦/٩٤٥ م) حيث استبدلت بها صبرة (٤١).

الأسوار والبوابات

كانت أسوار المهدية فى زمن البكرى تضم « ستة عشر برجاً؛ ثمانية منها فى السور الأول وثمانية فى الزيادة » (٤٢). ويقول ابن حوقل (٤٣) « ولها سور من حجارة وله بابان ليس لهما فيما رأيته من الأرض شبيه ولا نظير غير البابين اللذين على سور الرفقة (أى الرقة) وعلى مثالهما عملاً ومثل شكلهما إتخذا » (٤٤) وهو مالا يتفق والمدخل الحالى للمهدية والذى يحتوى على جانبيه على برجين عاليين نصف مئمنين يبلغ ارتفاع كل منهما ما يقرب من ٢٠ م؛ وينفتح كل منهما على دهليز مقبى طوله ٤٤ م ويسمى « السقيفة الكحلة » [أى المظلمة أو المعتمة]، وبه ١٢ دخلة ضحلة ذات مصاطب ليجلس عليها الحراس (مارسيه، ج١، ص ١٣٢-١٣٤). وينبغى التأكيد على هذا الاختلاف فى ضوء ما ذهب اليه مارسيه حيث يرى أن هذا البناء هو الذى وصفه كل من المقرئى ومارمول (١٧) ولانرى من جانبنا أن البناء الحالى يمكن أن يعود الى القرن العاشر. فنرى من جانبنا أن الأبراج المتعددة الأضلاع التى تقع على جانبى البوابة الحالية بناها الأتراك، وتشبه برجين متماثلين آخرين يقعان على جانبى باب القلة (٤٥) بقلعة القاهرة. وبالإضافة الى هذه الاعتراضات، فليس على المرء إلا أن يقرأ قول مارمول كرفجال (٤٦) بأن المدخل الوحيد على الجانب البرى (فهناك بالطبع باب مائى) كان يقع فى البرج الثانى (ولم يكن بين برجين كما هو الحال الآن). والمبرر الفنى فى نظره يرجع للقصف المتواصل الذى تعرضت له تحصينات المهدية على يد قوات شارل الخامس فى سنة ١٥٥٣، مما يجعله مقتنعاً بأنه كان من المستحيل أن يبقى منها سوى بضع بقايا شائفة.

ويجب أن نأخذ إشارة ابن حوقل الى وجود بوابتين على أنها تعنى مصراعى باب حديدى لبوابة واحدة. ويتضح ذلك من قول البكرى بأن المدينة كان يحاصرها البحر من كل اتجاه عدا من ناحية الغرب حيث تم العثور على المدخل. ثم نجده يواصل حديثه ليحدثنا عن بوابتى المدينة الجديدة وأنها صنعتا من الحديد ودون استخدام أى نوع من الخشب، وأن كلا منهما كانت تزن « ألف قنطار » (وهو رقم مبالغ فيه لأنه يوازى حوالى ٥٠ طناً، ولعله التبس عليه مع الرقم « مئة قنطار »، وقد نقله بالطبع عن ابن الأثير (٤٧)، ج٨، ص ٧٠)، وطوله ثلاثون شبراً فى كل مسمار من مساميرها ستة أرتال (ص ٢٩). ويذكر كل من الإدريسي (ص ١٠٨) والتيجانى والعمرى أنهما كانتا تتكونان من صفائح من الحديد مركبة بعضها فوق بعض. ولا يزال المقرئى يعد أكثرهم وضوحاً حيث يقول إنه كانت هناك ثلاث طبقات شدت الى بعضها البعض بمسامير ضخمة. ويذكر كل من التيجانى والمقرئى أنه بسبب وزنهما الهائل، قرر المهدى أن تكون محاورهما زجاجية بحيث يمكن أن يقوم رجل واحد بفتحهما وإغلاقهما. ومنجد أن نفس هذه الحكاية تنطبق على بوابات القاهرة الفاطمية. ويشير البكرى (ص ٢٩) وكتاب الاستبصار (ص ٨) أن هناك عدداً من الحيوانات (الأبراج الفلكية) تم تصويرها على هاتين البوابتين. ويقول مارمول الذى رآهما بنفسه فى سنة ١٥٥٣ إن « كلا منهما كان عليها صورة أسد يواجهه أسد آخر » (٤٨) (مارمول، ج٢، ص ٢٧٠).

وصف مارمول

يصف مارمول كرفجال أسوار المهدية بالحالة التى كانت عليها قبل أن يدمرها شارل الخامس فى سنة ١٥٥٣ بقوله (٤٩)؛

«... كانت الأبراج الأربعة للجزء الأوسط مربعة؛ أما البرجان الآخران اللذان شيذا على البحر فكانا مستديرين ومرتفعين؛ وكان لها جميعاً أبواب صغيرة تغطيها صفائح من حديد وتتسم بالانخفاض الشديد حتى أن المرء لا يدخلها إلا منحنيًا. وكان كل برج بمثابة حصن مستقل.

وفي البرج المربع الآخر الذي كان بجهة الشرق، كان يقع المدخل الرئيسي. ولم يكن هناك أى مدخل آخر من جهة البر. وكان يحتوى على قبو ضخم مظلم تحت البرج نفسه وست بوابات على مستوى واحد تكسوها صفائح سميكة من الحديد. وكانت البوابة الثانية من الخارج قد صنعت من صفائح سميكة من الحديد بعضها فى بعض بدون أى خشب. وكان على كل منها أسد برونزى فى حالة استرخاء يواجهه أسد آخر. ولم تكن هذه البوابات مسطحة مستوية، بل كانت منحنية الى الخارج. وكانت بكل منها شجرة حديدية تشبه بوابات الصمامات التى كانت تسقط من أعلى البرج. وعلى بعد ثمانى خطوات خارج هذا السور -أو القلعة- كان هناك سور منخفض آخر يبلغ سمك بنائه ١٢ قدمًا؛ وتسعة أبراج تفصل بينها مساحات واسعة بحيث كان هناك فى المساحة الفاصلة بين كل برجين من أبراج القلعة ثلاثة أبراج صغيرة. وفى البرج الأوسط، كانت هناك بوابة تميل نحو الشرق. وكانت مساحة المدينة ٥٣٠٠ خطوة على شكل محيط دائرة. وكان تضم أبراجًا فى كل ٣٠ خطوة».

(Description generale , II, fols. 269b-270a).

تدمير المهديّة

وفيما يلي نورد وصف نفس الكاتب لعملية التدمير المنظمة التى تعرضت لها التحصينات على يد قوات شارل الخامس فى سنة ١٥٥٣ :

«... كان هناك اثنا وعشرون^(٥٠) لغماً تحت الأسوار والأبراج الرئيسة؛ وكان كل منها يضم عدة تفريعات تجرى تحت المنشآت. ولكى يتم تفجيرها جميعاً فى وقت واحد ، اتخذت الترتيبات التالية: كانوا يعينون جندياً عند كل من هذه الألفام ومعه فتيل طوله ذراع وذو سمك موحد. وصدرت الأوامر لهم بإشعال الفتيل لدى سماع دوى مدفع يتم إطلاقه باتجاه البحر. وعند إطلاق ثانى طلقة، كان عليهم أن ينزلوها فى وقت واحد ويضعوها فى ماسورة ضخمة أعدت لهذا الغرض؛ ثم يضعونها فى مداخل الأنفاق بحيث يظل شبران من الفتيل فى البارود. أما بقية الفتيل - شاملاً طرفه القابل للاشتعال - فكان يجب أن يبقى فى الخارج حتى يتسنى إشعالها جميعاً فى لحظة واحدة ولكى يمكن للنار التى تصل الى البارود أن تفجر الألفام كلها فى نفس اللحظة. وصدرت الأوامر لكل من الجنود بأن يذهب بعد إعداد الفتيل للاطلاع على ما فعله زميله. وكان الضابط المكلف ملزماً بتنفيذ كل شئ بسرعة كبيرة؛ لأنه إذا انفجر أحدها قبل الأخرى لما تحقق الهدف المطلوب مما كان سيؤدى الى ترك المدينة فى حالة يصعب إعادة تحصينها من جديد ... فكانت الألفام الأولى التى يتم تفجيرها هى تلك التى تقع على الجانب الغربي. وانفجرت كل الأبراج القائمة على الجانب البرى باتجاه الشرق، وهى الأبراج التى كان المهدي قد شيدها بمهارة بالغة وبتكاليف باهظة حتى أن المؤرخين العرب والأفاقة يقولون إنها ما كانت لتصبح أقوى من ذلك إلا إذا صنعت من فولاذ. وأخيراً كان حجم الدمار على كل جانب فى كل مرة هائلاً لدرجة تجعل الأمر يبدو وكأن كل عناصر الجيش قد خرجت للقتال مرة واحدة. وتغيرت المدينة بأسرها لدرجة تجعل الصعب أن يتعرف عليها حتى سكانها أنفسهم. وكان هناك لغم واحد من كل تلك الألفام على البوابة البرية لم ينفجر. ونزل «دون هرناندو» بنفسه وفجّر فيما بعد لينفجر معه البرجان المشيدان على المدخل الميناء ليكشفوا عن أعمدة ضخمة من الرخام تحتتهما (انظر لوحة ٢٤) خوفاً من تآكل الأساسات بمرور الوقت بفعل أمواج البحر» (II, fol. 283b - 284a).

فى ضوء ما ذكر، لم أندش حين لم أعثر بين كل هذه الأسوار إلا على جزء صغير يتضح فى اللوحة ٢ جـ. ويمثل هذا الجزء بقايا برج كان قائماً على حافة البحر على الجانب الجنوبى من شبه الجزيرة الصغيرة. وكانت هناك فتحة طويلة يغطيها عقد مدبب وتوصل الى الداخل؛ وكانت مبنية من الحجر المصقول. وكانت الكتلة صغيرة لدرجة غير عادية وهو ما يذكرنا بنظيراتها فى مئذنة القيروان وبعض المباني الفاطمية بالقاهرة، وخاصة ما يعرف منها باسم «خضراء الشريفة». ولا تزال هناك بقايا أخرى من السور بالقرب من بوابة المهديّة الحالية الى أن تم تدميرها فى سنة ١٨٩٩ (مارسيه، جـ ١، ص ١٣٣).

الميناء

لا يزال الميناء قائماً. وهو عبارة عن حوض مستطيل منحوت فى الصخر مساحته حوالى ١٢٦ × ٥٧ م. ويرى البعض أن هذا الميناء كان ميناء فينيقياً قديماً أعيد إحياءه على يد الفاطميين (١٨) إلا أن كلاً من التيجاني (ص ٣٦١) والمقرئى يذكران صراحةً أنه من بناء الفاطميين وحدهم. ويتصل بالبحر بقناة عرضها حوالى ١٥ م. ولا تزال آثار البرجين اللذين كانا على جانبي المدخل باقية على حالها كما وصفها مارمول فى أعقاب التفجير الذى سبق ذكره. ويمكن رؤية أطراف سبعة أعمدة مترابطة على قاعدة البرج الغربى (لوحة ٢ أ)، وهى تعمل كرباط يربط بين الكتلة الخارجية والأجزاء الداخلية المبنية من الدبش. ويبدو أن هذين البرجين كانا فوق قبر كان على السفن أن تمر من تحته، إذ لا يزال يمكن رؤية بقايا متساقطة فى المجاز المائى.

الأعمدة المستخدمة كأريطة [ميد]

تعد هذه الأعمدة على حد علمى أقدم نموذج قائم من هذه التقنية؛ ولا نجده فى عمارة الشام قبل الإسلام. إلا أن هناك ما يدل على وجود نموذج إسلامى قديم له. ويذكر المقدسى أن جده (الفلسطينى) استعان به فى عكا بين عامى ٢٦٤ و ٢٧٠ هـ (٨٧٨ و ٨٨٣ م)، وسنود الى هذه النقطة فيما بعد.

مسجد المهديّة الجامع

وصفه

يحتل المسجد الجامع (لوحتان ١، ٢ ب) مساحة عرضها حوالى ٦٠ م وعمقها ٨٢ م. ويتأخم قبلته إفريز ضيق عرضه حوالى متر واحد. والجانب الشمالى منه تخفيه البيوت. ويتم الدخول الى جانبه الشمالى الغربى عن طريق ثلاثة أبواب تفتح على زيادة تحتوى على مئذنة حديثة ومرحاض وحديقة صغيرة مسوّرة. والمداخل تبدو حديثة، وكذلك السور. وأعتقد أن الزيادة كلها حديثة البناء. وعلى الجانب البعيد، يلاحظ وجود مدخل تذكارى متميز مكون من بروز مستطيل مساحته ٨,٥٥ × ٢,٩٨ م وارتفاعه ٨,٧٠ م، ويخرقه من الوسط عقد على هيئة حدوة فرس مستدير اتساعه ٤ م (لوحة ١ ب)، وهو بمثابة الطرف الخارجى لمجاز مقبى بقبو اسطوانى يقع خلفه مدخل يغطيه عتب وعقد عاتق ويفتح على المسجد. وعلى جانبي المدخل دخلتان ضحلتان معقودتان على شكل حدوة فرس فى أسفله. وعلى جانبي العقد من أعلاه عقدان ضيقان ولكنهما عميقان ونصف دائريين من حيث التخطيط. وهناك حشوات موضوعة بعضها فوق بعض تزين الجوانب الخارجية. وعقود المحاريب العلوية جميعاً تشكل الحواف الخارجية وتقوم على حلقة مبسطة تتألف من شبكة وربع دائرة. وتدور أيضاً حول مجاز المدخل على مستوى بروز العقد. وعلى كل من جانبي المجاز وتحت القبو نجد دخلة ضحلة كدخلات الجزء الخارجى.

ويتوج واجهات البروز الثلاث إفريز على شكل سطح بسيط قائم على أعمدة قوامه إفريز مستوي بين حليتين ربع دائريتين. وكل ما عدا ذلك مستوي تماماً وخالي من الزخارف سوى قرص ربما كان مزخرفاً فيما مضى بحلية وردية الشكل في الكوشة اليمنى لعقد المدخل.

وفي وسط السور، إلى يمين المدخل التذكاري ويساره، هناك مدخلان آخران (B و C)، أولهما، أو على الأقل إطاره المحيط به، يعد مستحدثاً. ويلاحظ خلفه إلى اليمين وجود بروز ضخيم (لوحة ١ ج) ناتئ بحوالي ٢,٩٧ م (أي ما يوازي نتوء المدخل الرئيسي). وواجهته الشمالية مساحتها حوالي ٧,٣٢ م وواجهته الغربية ٧,٨٨ م. ولا شك أنه الجزء الأدنى من معذنة (وسرى أن معذنتي مسجد الحاكم اللتين تشكلان بروزين مماثلين تزيد مساحتهما عن ٧,٥ م). وإذا نظرنا إلى الطرف الآخر من الصحن، يتبين وجود بروز مماثل على الطرف؛ ولا يعد حرماً منه إلا جانب واحد فقط؛ أما بقية جوانبه (المشوهة جزئياً) فهي مطمورة في أحد البيوت، ويمكن النظر إليها وفحصها من سطحه.

الجامع من الداخل

إذا اجتازنا المدخل الرئيسي نصل إلى سقيفة مقبية تحملها دعائم توازي الضلع المجاور للصحن. وتتفاوت تلك الظلة من حيث العمق، وتتكون من ثلاثة عشر عقداً يوازي أحدها المدخل الرئيسي، وستة منها إلى اليمين ومثلها إلى اليسار (لوحة ١ أ). والبائكات الثلاث عشرة بين تلك الأعمدة مسقوفة بطريقة واحدة. وبنيت من ظهر كل دعامة عقد، وترتكز على هذه العقود أقبية متقاطعة (لوحة ٢ أ). والعقود الستة في شرق المركز تنخفض قليلاً عن السبعة الأخرى (ويبلغ ارتفاع الواجهة ٤,٠٥ م)، إلا أن واجهتها تتراجع بمقدار ٩٦ سم. كما أن نقاط ارتكاز القوس لا تزيد عن ٣٩ سم في ارتفاعها بدلاً من ٦٣. لذا فمن المستبعد أن ترجع بقية الأجزاء إلى نفس التاريخ. أما بالنسبة لما تبقى، فهناك شكوك فيما إذا كان أصلياً. وكل أشكال العقود تؤدي تلك الشكوك؛ فهي ليست عقوداً مستديرة أو مديبة على شكل حدوة فرس؛ بل هي عقود مديبة قائمة على ركائز بانحناء طفيف. ويقل ارتفاع جزئي السقيفة بمقدار ٧ م عن السور الخارجي الذي بنيت بمواجهته، وهذه نقطة محسومة؛ ففي الواجهة الخارجية للسور الغربي السائر وارتفاعه ٦,٧٠ م هناك أخدود صغير يهدف إلى استيعاب ماسورة لصرف السطح (كما هو الحال بسامراء). ويجري هذا الأخدود حتى قمة الواجهة، في حين أن سطح الرواق وراءه أكثر انخفاضاً بمقدار مترين. من ثم فلا بد أن سطح الرواق الأصلي كان أعلى بحوالي مترين.

وفي الطرف الشرقي من السقيفة، هناك غرفة لا بد أنها كانت تسد طرف السقيفة الشمالية الشرقية ولم يبق منها شيء حالياً. ويبلغ عرض الصحن نفسه ٤٩,٠٩ م وعمقه ٣٤,٣١ م. ويتكون جانبه الشرقي من جدار تام الاستواء وراءه بيوت. وعلى الجانب المقابل، نجد سقيفة تبدو حديثة العهد تماماً (لوحة ٢ ب إلى اليمين). وعلى الجانب الأقصى، نجد بأكعة بخمسة عشر عقداً ترتكز على أعمدة (لوحة ٢ ب). والعقد الأخير غرباً تقطعه السقيفة الغربية، مما يؤكد حداثة عهده نسبياً.

الحرم^(٥١) [مقدم الجامع]

ويبلغ عرضه ٣٠ م وعمقه ٢٣ م؛ ولا يحتل سوى الجزء الذي يقع وراء العقود المركزية التسعة للظلة. وخلف الجدار ووراء العقود الثلاثة على كلا الطرفين هناك صحنان مفتوحان مجردان شبيهان بطراز مسجد حسان^(٥٢) بالرباط. (19) وتحمل واجهة الحرم تاريخ ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥/١٩٠٦ م). ويتكون الجزء الداخلي من تسع بلاطات

[أروقة] مكونة من ثمانى بائكات ذات سبعة عقود يرتكز كل منها على أعمدة، وبالتالي فهناك ٤٨ عموداً، ١٨ منها من الرخام شبه الشفاف بتيجان تمثل مزيجاً غريباً من عناصر كلاسيكية شتي، وعلى كل منها هلالان. وعلمت من محمد بن زينب مفتى المهديّة أن هذه الأعمدة من نوع صنع بإيطاليا للتسويق في المنطقة. وصنعت هذه الأعمدة بعينها خصيصاً ليوسف صاحب طبا الذي كان يشيد مسجداً بتونس في سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٩/١٧٩٨م)، وأنه لم يقتنع بهم فقرر الاستعانة بها في إعادة بناء بائكات مسجد المهديّة الجامع. وهناك شك في أن جزءاً كبيراً من هذه البائكات لم يكن قد بنى في ذلك العهد.

وهناك نقش كتابي فوق المحراب في الخلف وعليه تاريخ ١٣٣٤هـ (١٩١٦/١٩١٥م)، إلا أن وراءه محراب متميز يمكن إلقاء نظرة عليه من خلال ثقب صغير في ظهر المحراب الجديد الذي بنى على مسافة متر واحد أمامه. ويفضل الضوء الآتي عبر لوح زجاجي سميك أقيم بحذى السطح المنبسط للمسجد يمكن رؤية تكوينه من خلال فجوة منحنية بأخاديد رأسية مزينة برؤوس محززة.

قام جورج مارسيه قبل عدة سنوات بالنزول الى هذا المكان الذي يضم هذا اللوح الزجاجي الآن، ثم قام برسم صورة إيضاحية للمحراب، وهي الصورة التي سمح لي بعرضها في هذا الكتاب. ويتضح أن المحراب يتكون من حنية نصف دائرية عرضها ٢ سم وعمقها ١٠ سم تزينها تسع حنايا ممتدة لأعلى، ضحلة ومستطيلة الشكل يتوج كلاً منها طاقيّة محارية الشكل. وهذه الطاقيّة ذات حجمين وتضم خمسة وعشرة أخاديد على التوالي، منها أربع من النوع الأول وخمس من الآخر رتبت بشكل تبادلي. وهناك فجوة لجذع زاوية في الزاويتين الخارجيتين للمحراب. أما بالنسبة لنصف قبته [طاقيّة المحراب] فهناك بقايا قبو إلا أن سطحه اختفى تماماً. وفي أول يوليو ١٩٤٨، دخلت مسجد صفاقس الجامع ووجدت أن المحراب يحمل ما يدل على إعادة بناء محراب المهديّة لأنه يضم جزءاً محارياً منخفضاً، ولا تزال بعض التجاويف تحتفظ بطواقي متماثلة. ثم يلي ذلك شريط عرضه حوالي ٨٠ سم ويتكون من أربعة أسطر بالخط الكوفي يليه نصف قبة (غير مدببة). وبالتالي فقد استنتجت من جانبي أن الجزء المحرز من محرابنا هذا لا بد أن نعتبره وزرة وأن نصف القبة كان يفصلها عنه شريط (به نقوش كتابية أو زخرفية) عرضه بين ٨٠ سم ومتر واحد. وبدونه كان المحراب سيزداد انخفاضاً وعرضاً.

كيف كان الشكل الأصلي للحرم؟ يخرج مارسيه بعدد من الاستنتاجات في هذا الصدد (Manuel, I, p. 107) من عبارتين لسلاطين نوردهما هاهنا للاستشهاد :

١. «... يستنتج من تخطيط هرتز بك (للجامع الأزهر) أن الدكة الحقيقية تشير الى وجود بلاطة وسطى [رواق أوسط] يحيط بها صف مزدوج من الأعمدة، وهو نسق شديد القدم وربما كان مستورداً من تونس (حيث نجده في المساجد الجامعة بصفاقس وتونس والقيروان والمهديّة وبجاية وقفصة وغيرها)» (20)

٢. فيما يتعلق بتخطيط جامع تونس الكبير الذي يتخذ شكل حرف T ويضم قبة على كل من طرفي البلاطة الوسطى (والقبة الموجودة على الطرف الشمالي مستحدثة) يقول:

«إن هذا التخطيط مطبق في كل الجوامع التونسية قبل القرن الحادي عشر. فنجد في مدن تونس وسوسة وصفاقس والقيروان والمهديّة وقفصة وبجاية كما سبق أن ذكرنا في تخطيط جامع ابن طولون» (Manuel, I, p. 215).

وهاتان العبارتان غير صحيحتين؛ فالبلاطة الوسطى لمسجد تونس الجامع لا يحيط بها صف مزدوج من الأعمدة (انظر اللوحين ٩١ جـ، ٩٢ أ). والمسجد الجامع في سوسة ليست به قبة في كل من طرفي البلاطة

الوسطى ولا أى تخطيط على شكل حرف T. كما أن هذا الجامع لا يشبه جامع ابن طولون من أية ناحية؛ ذلك أن مارسية يستنتج منها أن البلاطة الوسطى -حسب قول سلادين- أوسع من البلاطات الأخرى ومن البلاطة العرضية الموازية لجدار القبلة. وهناك قبة على كل من طرفى البلاطة الوسطى وهو نسق يتفق مع الطراز الأغلبى. وترتكز العقود على أعمدة وعلى تيجان أعمدة قديمة. وتحيط بالصحن الرئيسى سقائف [ظلات] ترتكز عقودها المهشمة على دعائم من بناء متين لأعمدة صغيرة (Manuel, I, p. 107).

ويمكن ملاحظة عدم الدقة فى الجزء الأخير من اللوحة (١٠٠). ويجب الحذر التام فى التعامل مع بقية الأجزاء حيث أنها تقوم على تسليم الكاتب بالأحكام العامة التى أصدرها سلادين. وبالطبع لم يتمكن سلادين من دخول جامع تونس الكبير، فاكتمل بما عرضه من أوصاف شفوية أدلى بها أصدقائه التونسيون. وتوضح اللوحة (٩١ ج) أن وصفهم لم يكن دقيقاً تماماً. وينطبق ذلك أيضاً على مسجد سوسة الجامع الذى لا يشبه المجموعة التى صنفه سلادين ضمنها. وقد ينطبق نفس الشئ على مسجد المهديّة الجامع أيضاً. ولم نطأه -على حد علمي- قدم أوربى قبل زيارتي له فى سنة ١٩٢٨. وكل ما يمكن أن نتأكد منه بشأن حرمة الأصل هو أنه كان هناك تسعة بلاطات [أروقة] (متعامدة على الجدار الخلفى) ومن المحتمل أن البلاطة الوسطى منها كانت أكثر اتساعاً من بقية البلاطات وأنه كان به محراب محارى متميز (٥٣).

الفترة الزمنية

نخرج من تحليلنا بالنتائج التالية؛ إن الواجهة الشمالية بأكملها بما فى ذلك المدخل التذكارى والبروز الغربى وما تبقى من البروز الشرقى كلها تعد أصلية، وكذلك المحراب القديم أو ما تبقى منه. يلى ذلك من حيث الترتيب الزمنى ما يحيط بالباب الكائن بالجدار الغربى الساتر؛ يليه الحرم الذى يرجع الى بدايات القرن التاسع عشر؛ ثم واجهته الشمالية التى تعود الى عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥/١٩٠٦ م). ويأتى الرواق الغربى بعدها بفترة قصيرة. ويلى ذلك المحراب الحالى الذى يعود الى عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٥/١٩١٦ م).

الأصول المعمارية؛ المدخل التذكارى

يعد هذا المدخل أقدم مدخل تذكارى معروف حتى الآن. وقبل بداية القرن الرابع (العاشر الميلادى)، كانت مداخل المسجد خالية من الزخارف ومستطيلة بشكل عام وعبارة عن فتحات بحذى الجدار، كما هو الحال فى قصر الحلايات (لوحة ٥٣ ب، ج) وحران (لوحة ٨١) وجامع عمرو لعام ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) وقرطبة (لوحة ٢٨ ج، ٢٩ ب) وسوسة (لوحة ٥٩، ٦٠) والقيروان (لوحة ٤٧ أ، ب) وسامراء (لوحات ٦٣-٦٥) وأبى دلف وجامع ابن طولون (اللوحتان ٩٧، ٩٨) والتى تخلق مداخلها من أى نوع من المعالجات التذكارية. ثم نأتى الى النموذج الذى وصفناها لتونا ويلييه جامع الحاكم المستوحى منه والمداخل التذكارية الثلاثة لجامع يبرس الأول (٦٦٥-٦٦٧ هـ/١٢٦٦-١٢٦٩ م). وهى تشبه فى شكلها العام أقواس النصر الرومانية (٥٤) كما يشير مارسية (Manuel, I, p. 109)، وهى أقواس كأقواس تيمجاد أو جميلة (الجم) حيث تقوم الحنايا على جانبي الفاصل بين العمودين.

تأثيره على الجوامع اللاحقة

إن مسجد المهديّة الجامع ذو أهمية خاصة لا لكونه أول أثر فاطمى فحسب، بل لتأثيره على الجوامع اللاحقة

أيضاً. فقد شُيد على غراره المدخل التذكاري لجامع الحاكم ومدخل زيادة جامع الحاكم ومدخل جامع بيبرس الأول بصورة مباشرة ، ووضع المئذنتين في الركنين ، وهو أول نموذج لهذا الطراز ، قد إتبّع في جامع الحاكم .

عبيد الله وتجريد حملتين على مصر

ظل عبيد الله في الحكم لمدة خمس وعشرين سنة وامتد سلطانه من فاس الى حدود مصر التي جرد اليها حملتين تحت قيادة ابنه أبي القاسم. وفي الحملة الأولى، تمكن الجيش الفاطمي من احتلال الاسكندرية في الثامن من محرم ٣٠٢هـ (٣ أغسطس ٩١٤م) دون مقاومة، وتقدمت حتى بلغت الفيوم بالطريق الصحراوي. وفي النهاية، أمكن صدها في ٢٢ جمادى الآخرة ٣٠٢ (١٢ يناير ٩١٥م) وتم طردها بفضل الإمدادات التي وصلت من بغداد. وفي عام ٣٠٦هـ (٩١٨/٩١٩م)، جرد جيشاً آخر على مصر، وتم إخلاء الاسكندرية مرة أخرى دون قتال في ٨ صفر ٣٠٧هـ (١٠ يوليو ٩١٩م) ليتقدم الجيش الفاطمي الى الفيوم ويستولي على صعيد مصر. ومرة أخرى وصلت قوات من العراق وتم تحرير الفيوم في ١٨ صفر ٣٠٩هـ (٢٨ يونيو ٩٢١م). وتم إجلاء الغزاة تماماً في نفس العام (الكندي، ٢٧٨؛ وابن عذاري، ج١، ص ١٩٠). ولقى معظم جنود جيشه حتفهم عطشاً في طريق العودة. وعلى الرغم من هذا الانتصار، ظلت الأوضاع في مصر في حالة فوضى لسنوات عديدة تالية (٥٥).

وفاة المهدي

توفي عبيد الله بالمهدية في ١٤ ربيع الأول ٣٢٢هـ (٤ مارس ٩٣٤م) (ابن حماد، ص ١٥). وخلفه ابنه أبو القاسم الذي اتخذ لقب القائم. وتلقى القائم دعوة لإرسال جيش الى مصر من جانب حاكم مصر أحمد بن كيفلغ لدى سماعه نبأ خلعه وتنصيب محمد بن طنج حاكماً على مصر في ٢٣ رمضان ٣٢٣هـ (٢٦ أغسطس ٩٣٥م) (الكندي، ص ٢٨٥). فاستجاب القائم لدعوته ودخل الاسكندرية في ربيع الثاني ٣٢٤هـ (فبراير ٩٣٦م) إلا أن جيشه انهزم وطُرد بعد تكبد خسائر فادحة على يد حسن أخي الأخشيدي في الخامس من جمادى الآخرة ٣٢٤هـ (٣٠ أبريل ٩٣٦م) (الكندي، ٢٨٧-٢٨٨؛ ابن الأثير، ج٨، ص ٢١٣؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٢١٦-٢١٧؛ المقرئ، الخطط، ج٢، ص ٣٥١).

هوامش

1 تعود التسمية في رأى «جامع التواريخ» الى قيام سلطتهم الروحية والدنيوية على نيل محدهم الذى يرجع الى فاطمة بنت النبي.

2Quatremere, "Memoires historique sur la dynastie des Khalifes Fatimides", *Journal Asiatique* 3me sér., t. II, pp. 97 ff.; Fournel, *Les Berbers*, II, pp. 30 ff.

3De Goeje, *Mémoires sur les Carmathes du Bahrain et les Fatimides*, Leide, 1886.

4Becker, *Beitrage zur Geschichte Egyptens unter dem Islam*, I, p. 2; Reitemeyer, *Die Städtegrundungen der Araber im Islam*, p. 112.

5 منهم عبدالعزيز بن شداد الحميرى لدى ابن الأثير، ج٨، ص ٢٠، والرواية التالية مأخوذة عن المقرئى، الخطط، ج١، ص ٣٤٨.

6 كان هذا اللقب هو الخامس في قائمة كبار زعماء الطائفة، انظر مقالة Da'i, Carra de Vaux, in the *Encyclopaedia of Islam*, I. p. 895.

7 انظر ابن حماد، ط فوندرهايدن، ص ٨، وابن الأثير، ج٨، ص ٣٠-٣٦.

8 تقع سجلماسة على أطراف الصحراء الكبرى حوالى مئتى ميل جنوب شرق فاس، وكانت منزلاً للقوافل المتجهة الى بلاد السود، وكانت آخر مرة يرد اسمها في التاريخ في النصف الأول من القرن ١٧م، وزار أطلالها الرحالة رولفس عام ١٨٦٤.

9 الجدول التالى يوضح نسبه : [حسب رواية المتكرين والطاعنين في صحة النسب]

ميمون القداح

عبدالله

أحمد

محمد (أبو الشلفلغ)

حسين

سعيد (عبدالله المهدي) أول الخلفاء

الفاطميين (٩٠٩-٩٣٤م)

10 وكان ثلثه يسخرون من احتجاجاته قائلين: «إن من أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك»، عريب بن سعد القرطبي، ابن الأثير، ج٨، ص ٤١.

11 عريب بن سعد القرطبي، ترجمة نيكلسن، ص ١٣٦، البكري، ص ٣٠، ويقدم ابن الأثير (ج٨، ص ٧٠) التاريخ على أنه عام ٣٠٣هـ (٩١٦/٩١٥م)، ياقوت، معجم، ج٤، ص ٦٩٤، ابن عذاري، ج١، ص ١٦٩.

12 ويقول إن هذا هو ما جعل المدينة تحتل ماحاق بها من نوازل.

13 ابن الأثير، ج٨، ص ٧٠، ابن خلكان، وفيات، ج١، ص ٣٨٦، ياقوت، معجم، ج٤، ص ٦٩٥، أبو الفداء، تقويم، ص ١٤٥، ابن خلدون، ج٤، ص ٣٨.

14 ويشير مارسيه Manuel, i. p. 107 الى أن النص الذى يقرأ «سبعة» يجب تصحيحه الى «تسعة»، والفارق في العربية في وضع النقطة.

15 ويشير مارسيه Manuel, i. p. 107 الى المصادقة الغربية في وضع هذين القصرين كلاً في مواجهة الآخر شرقاً وغرباً من ميدان،

مما يشبه وضع القصرين الكبير والصغير اللذين بنيا بالقاهرة الفاطمية فيما بعد.
16 ويحدد التاريخ بأنه عام ٣٠٦ هـ (٩١٨ م).

17 *Description generale de Africa*, II, fols. 269-70.

18 Guérin, *Voyage archéologique*, I, p. 141.

19 Dieulafoy, *La mosquée d'Hassân*, XLII, fig. 1.

20 *Manuel d'Art musulman: L'architecture*, I, p. 94.

المصادر والمراجع

- | | |
|--|-----------|
| (وفاة عريب بن سعد القرطبي) | ٩٧٧/٩٧٦ |
| ابن حوقل، ص ٤٧-٤٨ | ٩٧٨/٩٧٧ |
| البكري، ص ٢٩-٣١ | ١٠٦٨ |
| الإدرسي، ص ١٠٨-١٠٩ | ١١٥٤ |
| كتاب الاستبصار | ١١٩١ |
| ابن حماد | ١٢٢٠ |
| ياقوت الحموي، معجم، ج ٤، ص ٦٩٣-٦٩٦ | ١٢٢٥ |
| المكيني | ١٢٠٤ |
| ابن الأثير، ج ٨، ص ٧٠ | ١٢٣٣ |
| ابن خلكان، وفيات الأعيان، ط بولاق، ١٢٧٥، ج ١، ص ٣٨٦، ج ٢، ص ١-٣ | ١٢٧٤/١٢٥٦ |
| الدمشقي، ص ٢٣٤ | ١٣٠٠ |
| ابن عذاري، بيان، ج ١، ص ١٦٩-١٧٠، ١٧٦، ١٨٧-١٨٨، ٢١٤-٢١٥ | ١٣٠٦ |
| التيجاني، رحلة | ١٣٠٦ |
| (وفاة) يحيى الأنصاري، مناهج الفكر | ١٣١٨ |
| أبو الفداء، تقويم، ص ١٤٥ | ١٣٢١ |
| أبو الفداء، تاريخ | ١٣٢٩ |
| مستوفي، نزهة القلوب | ١٣٤٠ |
| ابن فضل الله العمري، مسالك الأيصار | ١٣٤٥/١٣٤٤ |
| عبدالرشيد البكوي | ١٤٠٥ |
| ابن خلدون، العبر (ط بولاق، ١٢٨٤ هـ)، ج ٤، ص ٣٨، ج ٢، ص ١٨-٢٦ | ١٤٠٦ |
| المقريزي، الخطط، ج ١، ص ١٣٥١، ج ٢، ص ١٢-١٥ | ١٤٢٤ |
| Marmol Caravajal, <i>Description generale d'Africa</i> (Granada, 1573), II, fols. 269a and 283b. | 1553 |
| النصف الثاني من القرن السادس عشر، أحمد بن علي المحلى، تحفة الملوك | |
| Ogilby (John), <i>Africa</i> , p. 269. | 1670 |
| القيرواني، ص ٥٤ | ١٦٨١ |
| Guérin (V.), <i>Voyage archéologique dans la Régence de Tunis</i> , I, pp. 132-8 and 140-43. | 1862 |

- 1881 Wüstenfeld (F.), *Geschichte der Fatimiden-Chalifen*, pp. 48-9.
- 1885 Cagnat (R) and H. Saladin, *Voyage en Tunisie. Le tour du monde*, XLIX, pp. 294-6.
- 1907 Saladin (H.), *Manuel d'art musulman*, I: *L'architecture*, I, pp. 94 and 215.
- 1912 Reitemeyer (Else), *Die Städtegrundungen der Araber im Islam*, pp. 137-41.
- 1913 De Smet (J. J.), *Mahdia (Africa). Tunis*, 1913.
- 1926 Marçais (G.), *Manuel d'art musulman: L'architecture*, I, pp. 107-9.
- 1926 Marçais (G.), art. al-Mahdiya, in: *the Encyclopaedia of Islam*, III, pp. 121-2.
- 1938 Aziz Suriyal Atiya, *The Crusades in the Later Middle Ages*, pp. 411-13.
- 1947 Marçais (G.), *L'art de l'Islam*, p. 68.

الفصل الثاني

الأخشيديون

تاريخ الأسرة الأخشيدية

كان محمد بن طنج حاكم مصر الجديد من أصل تركي ، وكان تاريخ أسرته يشبه تاريخ أسرة أحمد بن طولون ؛ فكان جده^(٥٦) ، كطولون ، مجلوياً من فرغانة^(٥٧) للخليفة المعتصم^(٥٨) أقطعه اقطاعاً بسامراء. وتوفي في سنة ٢٤٧هـ (٨٦١م) وذهب أحد بنيه واسمه طنج^(٥٩) الى مصر والتحق بخدمة ابن طولون^(٦٠). ثم انتقل فيما بعد الى خدمة خمارويه^(٦١). وبعد سقوط الأسرة^(٦٢) ، مضى الى بغداد بصحبة محمد بن سليمان^(٦٣). وفي النهاية ، زج به الخليفة المكتفي^(٦٤) بالله في السجن مع ابنه محمد (ابن سعيد المغربي ، كتاب المغرب ، طبعة تالكفيس ، ص ٥-٧). وتوفي في سجنه. أما ابنه ، فقد أطلق سراحه وتولى حكم الرملة^(٦٥) وتم تنصيبه حاكماً على دمشق في سنة ٣١٨هـ^(٦٦) (٩٣٠م). وفي السابع من رمضان ٣٢١هـ (٣١ أغسطس ٩٣٣م) تم تنصيبه حاكماً على مصر ، إلا أن قرار تنصيبه ألغى بعد اثنين وثلاثين يوماً وأسند الى أحمد بن كغلغ بدلاً منه (الكندي ، ص ٢٨١).

وتم تنصيب محمد بن طنج حاكماً على مصر مرة أخرى عام ٣٢٣هـ (٩٣٥م) مما أدى الى ثورة حاكمها الفعلي ابن كغلغ كما رأينا في الباب السابق (الكندي ، ص ٢٨٥ ؛ ابن سعيد المغربي ، ص ١١-١٢). وفي رمضان ٣٢٧هـ^(٦٧) (يوليو ٩٣٩م) ، منحه الخليفة الراضي لقب الأخشيد^(٦٨) لأنه كان ينحدر من نسل حكام فرغانة الذين كانوا يحملون ذلك اللقب الذي يعنى -حسب قول الكندي وابن خلكان- «ملك الملوك» (الكندي ، ص ٢٨٨ ، ج ٢ ، ص ١٦-١٧ ؛ ابن خلكان ، ج ٢ ، ص ٦٠). وكان حاكماً قوياً ونشطاً. وفي فترة الأحد عشر عاماً التي قضاها في الحكم ، لا نسمع عن وقوع حركات اضطراب أو تمرد. وتوفي في ٢١ ذى الحجة ٣٣٤هـ (٢٤ يوليو ٩٤٦م) عن ولدين أحدهما في الرابعة عشر من عمره ، وهو أبو القاسم أونوجور ، والآخر هو أبو الحسن علي. وخلفاه في الحكم على التوالي (الكندي ، ص ٢٩٣-٢٩٦ ؛ ابن سعيد ، ص ٤٣). وعاش الأول حتى ذى القعدة ٣٤٩هـ (٩٦٠م) ، والآخر حتى محرم ٣٥٥هـ (٩٦٦م). إلا أن كلاهما كان في الحقيقة خاضعاً لسيطرة عبد خصي يقال له كافور كان الأخشيد قد اشتراه عام ٣١٢هـ (٩٢٤م). ونال كافور الحظوة حتى تم تنصيبه أتابكاً أو وصياً على الولدين. وبموت الأخشيد ، أصبح كافور وصياً على العرش^(٦٩) ونودي بلقب «أستاذ» (ابن خلكان ، ص ٦١٤).

وبعد وفاة أبي الحسن علي ، رفض كافور إعلان ابنه أبي الفوارس أحمد حاكماً ، وكان صبياً في الحادية عشرة من عمره. وتولى حكم مصر إسمياً الى أن وافته المنية في جمادى الأولى ٣٥٧هـ (٩٦٨م). ثم تلى ذلك إعلان أبي الفوارس أحمد حاكماً لكنه لاذ بالفرار بعد سنة واحدة لدى وصول الجيش الفاطمي بقيادة جوهر. ولدينا من هذه الحقبة^(٧٠) (٣٢٣-٣٥٧هـ / ٩٣٥-٩٦٨م) أثران هما^(٧١) :

١ . مشهد الشريف طباطبا : ٣٣٤هـ (٩٤٣م)

٢ . محراب قديم يتقدم ضريح [مشهد] يحيى الشيبه.

مشهد الشريف طباطبا (٣٣٤هـ / ٩٤٣م)

وصفه : على بعد ٥٠٠ م غرب ضريح الإمام الشافعي، وعلى مسافة ٢٣٠ م شمال حمامات عين الصيرة الكبرى، هناك مساحة يحيط بها سور غير منتظم الشكل مساحتها ٢٠ × ٣٠ م تقريباً بطرفها الجنوبي قبتان. وإذا دخلنا من باب يقع على الطرف الشمالي الشرقي، نجد في الوسط بناءً حديث العهد إلى اليسار، ويتكون من فسحة مربعة في الوسط تغطيها قبة على حنايا ركنية، وفسحة مستطيلة إلى اليمين واليسار تتقدمها قاعة ذات قبة اسطوانية مستعرض عرضها ٢,٤٥ م وطولها ١٠ م تقريباً. والجزء الذي تعد هذه القاعة دركاهاً له يلتف حول هذه الدركاه من طرفها الشمالي الشرقي. وهناك عدد من التراكيب متفرقة في المكان. ومن الغريب أنه لا يحتوى على محراب. وأضيفت إلى الركن الشرقي حجرة مربعة مساحتها ٤,٢٥ م تغطيها قبة على حنايا ركنية غير متقنة. كل هذه الأشياء لا تهمنا في شيء؛ أما إذا طفنا بالمكان، نلاحظ وجود بقايا من بناء مربع من الآجر شديد القدم (لوحة ١٣) مساحته حوالي ١٨ م وتخطيطه واضح. ويتراوح ارتفاع هذه البقايا بين ٦٠ و ١٠٥ سم ويبلغ ارتفاع جدار القبلة ٦٥ سم (ولا يوازي هذا الجدار واجهة المبنى الحديث الذي ذكرناه منذ قليل، مما يرجع إلى أن من شيد هذا البناء كان يظن أن القبلة غير دقيقة فأراد أن يصححها بالانحراف بالمحور بمقدار ٣,٥ إلى اليمين (جنوباً، والحقيقة أنه كان ينبغي أن ينحرف به بمقدار ٧ إلى اليسار بحيث يصبح ٤٥ جنوب شرق). وفي الوسط، هناك محراب عرضه ١,٥٢ م وعمقه ١,١٥ م مما يحدث بروزاً خارجياً عرضه ٢,٦٥ م.

وهناك أساسات أربع دعائم متعامدة من الآجر لاتزال قائمة ويبلغ ارتفاع إحداها ١,٠٥ م. وتتكون جميعاً من جزء مربع مركزي مساحته ٨٥ سم أدمج بكل ضلع منه عمود على هيئة ثلاثة أرباع دائرة من الآجر يرتكز على قاعدة ذات حلقة قلبية متميزة الشكل (لوحة ٣ ب). وأقيمت هذه الأعمدة لتقسيم الداخل إلى تسعة مربعات تقسيمًا دقيقًا للغاية. ولا تتفاوت أضلاع هذه المربعات إلا من ٤,٩٣ إلى ٥,٠٤ م فقط. ولا بد أن هناك اثني عشر عقدًا نتجت عنها؛ إذ هناك عمودان مستطيلان على شكل ثلاثة أرباع دائرة ناتجان من جدار القبلة نرى بقايا أحدهما على الجدار الجنوبي الغربي، ودعامة على شكل حرف T مطمورة في الجدار الشمالي الغربي بقي منها جزء يبلغ ارتفاعه ٣ م تقريباً.

وبشكل العمود الأخير مشكلة؛ فلو لم يكن هناك إلا عمود مدمج واحد كتلك الأعمدة المدمجة التي نراها على جدار القبلة في هذا الموضع لكنا استنتجنا أن المبنى كان يضم تسع فسحات بين أعمدة تحيط بها أربعة جدران مع وجود باب يواجه المحراب. ولو كانت كالأعمدة الأربعة الكائنة بالوسط، لكانت النتيجة الحتمية أن يتجه عقد آخر باتجاه الشمال الغربي ليساعد على تكوين ما لا يقل عن صف آخر من الفسحات المربعة، مما يجعلها ٤ × ٣ = ١٢ بدلاً من ٩ فقط. ولكن بما أن هذه الدعامة تضم ثلاثة أعمدة مدمجة فقط (بقي منها اثنان بالارتفاع الكامل للدعامة، في حين لم يبق من الثالث إلا قاعدته المستطيلة) بدلاً من أربعة، فالنتيجة الوحيدة التي نخرج بها أن البناء كان يفتح إلى الشمال الغربي من خلال ثلاثة عقود، مما يوحي بوجود صحن يحيط به سور.

مما يؤسف له استحالة البحث عن أية بقايا خارج الجدار الشمالي الغربي؛ فالأرضية منحوتة بعمق يزيد عن

المتر لتكشف عن عدد من القبور المنحوتة في الصخر وممتلئة بالرمل الى منتصفها.

بعد أن وصفنا الشكل المتميز لهذا البناء الذى يشبه مسجد أسوان الذى قام بنشره سومرز كلارك، ويشبه مسجداً آخر بجوار مئذنة بلال بالقرب من الشلال^(٧٢)، عرضت على لجنة حفظ الآثار العربية ضرورة إزالة بقايا الحجارة التى تحجبه لكشف الجدار الشمالى الشرقى ودعاماته وكذلك الدعامة الثانية التى تتخذ شكل حرف T على الجانب الشمالى الغربى. وتمت الموافقة على هذا المطلب وتم تنفيذ المهمة بدقة، وتبين أن المبنى كان أهم مما كنا نتصور. فكشفت عملية الإزالة عن عدم وجود أية جدران خارجية؛ فلم يكن البناء الآجرى الذى يقع وراء دعامات الجدار يشكل جزءاً من جدار خارجى متصل، بل مجرد قطعة صغيرة؛ أى أن دعامات الجدار المفترضة كانت فى الحقيقة دعامات على شكل حرف T. كما تبين أنه حتى جدار القبلة لم يكن متصلاً. إذ وجد أن ركنيه الجنوبي والشرقى دعامتان على شكل حرف L أذرعهما أطول قليلاً من أذرع الدعامات التى تتخذ شكل حرف T لكى تقاوم ضغط العقود بصورة أفضل. وكان الجزء الوحيد من الجدار الخارجى هو ذلك الذى يشكل جانب القبلة من الفسحة التى فيها المحراب بين عمودين.

هكذا يمكن القول إن مسجد أو مشهد طباطبا يعد مقبرة كانوبية مثل السبع بنات، إلا أنه ذو تسع قباب بدلاً من قبة واحدة. وأعتقد أنه بناء فريد فى العمارة الإسلامية^(٧٣). أما بالنسبة لوجود المقابر الكانوبية فسنناقشها بصورة أكثر تفصيلاً فيما بعد.

تعريف

ترك ابن الزيات وصفاً لهذه الجبانة [القرافة] بالصورة التى كانت عليها فى سنة ١٤٠١م. فيذكر ضريح القاضى بكار^(٧٤) الى الجنوب من باب القرافة^(٧٥) بعد عين الصيرة بمسافة قصيرة (الكواكب السيارة، ص ٤٨). وهذا هو موضع البقايا الموجودة حالياً، وهى على بعد ٧٥م الى الجنوب من قبر القاضى بكار وعلى بعد ٢٣٠م الى الشمال من حوض عين الصيرة. كما يقدم قائمة بأفراد أسرة طباطبا المدفونين بمشهد الشريف^(٧٦) وهم:

على بن الحسن بن (إبراهيم) طباطبا المتوفى فى سنة ٢٥٥هـ (٨٦٩م)

أحمد بن على بن الحسن بن (إبراهيم) طباطبا

عبدالله بن أحمد بن على بن الحسن بن (إبراهيم) طباطبا المتوفى ٣٤٨هـ (٩٥٩-٩٦٠م. انظر ابن

خلكان، وفيات، ج ١، ص ٣٦٧-٣٦٩)

خديجة ابنة محمد بن اسماعيل بن القاسم الرسى بن إبراهيم طباطبا المتوفاة ٣٢٠هـ (٩٣٢م)

(الكواكب السيارة، ص ٦١)

أبو الحسن على بن الحسن بن على بن محمد بن أحمد بن على بن الحسن بن (إبراهيم) طباطبا

(الكواكب السيارة، ص ٦٢)

أبو محمد الحسن بن على بن محمد بن أحمد بن على بن الحسن بن (إبراهيم) طباطبا المتوفى

٣٥٤هـ (٩٦٥م) ووالدته وابنه (الكواكب، ص ٦٢)

نفيسة ابنة على بن الحسن بن (إبراهيم) طباطبا

الشريف طباطبا الأصغر شقيق عبدالله بن أحمد المتوفى فى جمادى الأولى ٣٣٤هـ (ديسمبر ٩٤٣م)

أمينة بن الحسن بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن (إبراهيم) طباطبا، وهي والددة علي الأزرق .

الحسين بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن (إبراهيم) طباطبا وولده نفيسة ابنة علي الأزرق.

وإذا أدرجنا الترتيب الزمني لمقابر الأشخاص الذين ذكر ابن الزيات أنهم مدفونون بمشهد الشريف طباطبا نخرج بما يلي :

الجيل الثالث	علي	توفي ٢٥٥هـ (٨٦٩م)
الجيل الرابع	أحمد	؟
الجيل الرابع	نفيسة	؟
الجيل الخامس	خديجة	توفيت ٣٢٠هـ (٩٣٢م)
الجيل الخامس	طباطبا الأصغر	توفي ٣٣٤هـ (٩٤٣م)
الجيل الخامس	عبدالله	توفي ٣٤٨هـ (٩٥٩-٩٦٠م)
الجيل السادس	الحسن	توفي ٣٥٤هـ (٩٦٥م)
الجيل السابع	علي	؟
الجيل السابع	أمينة	؟
الجيل السابع	الحسين	؟
الجيل التاسع	نفيسة	؟

وتتفق أربعة من هذه الأسماء مع الأسماء المدونة على بطاقات معلقة على الجدار أعلى التراكيب بالمبنى الجديد؛ ومن ثم يتضح ما حدث. فقد تعرض المشهد القديم للشريف طباطبا للدمار التام ولا بد أن إدارة الأوقاف قررت إقامة مبنى جديد الى الجنوب مباشرة بين ١٨٦٠ و ١٨٧٠م ونقلت اليه بعضا من القبور، إن لم يكن جميعها. وفيما بعد، أقيم سور خارجي حول مكان المشهد القديم وبنى الجدار على الجزء الخارجى من الدعامات الكائنة على الجوانب الجنوبية الغربية والشمالية الغربية. أما على الجانب الشمالى الشرقى، فتم بناء الجدار على بعد أمتار قليلة. ولا بد أن الزيادة التى تشمل قبة الركن الشرقى تمت إضافتها بعد أن تم بناء المشهد الجديد، ولكن لا بد أن ذلك تم قبل سنة ١٩١٢م إذ يتضح تخطيطه غير المنتظم على خريطة للقاهرة روجعت فى ذلك العام.

التاريخ [الفترة الزمنية]

نظراً لتفرد البناء الذى ندرسه فى القاهرة، ونظراً لأن واحداً من المباني الأربعة الأخرى بمصر والتي تشبهه بصورة ما يعود الى القرن الحادى عشر وآخر الى القرن العاشر، فإن هناك ما يبرر لنا أن نستنتج أن تاريخ بنائه التقريبى هو عام ٣٣٤هـ (٩٤٣م) وهو تاريخ وفاة الشريف طباطبا الأصغر.

محراب عتيق

وصفه

يلاحظ غرب ضريح [مشهد] يحيى الشبيه ويحذى جداره الخلفى وجود طاقية محارية لمحراب صغير بقيته تحت سطح الأرض. وكان هذا المحراب فى حالة مختلفة تماماً حين رآه فرانز قبل ٥٠ عاماً. فيقول فى حديثه عن ضريح يحيى الشبيه: «يلاحظ على أحد الجدران المجاورة وجود بقايا محراب جصى بزخارف طولونية» (Kairo, p. 134). واختفت كل هذه الزخارف الطولونية إلا أن قالباً منها تم نقله لحسن الطالع فى سنة ١٩٠٣م، ولا يزال محفوظاً بمتحف الفن العربى^(٧٧) (لوحتان ٣ج و ١١٤ج). ومن الواضح كما يشير فلورى (ص ١٠٦) إلى أن الطاقية المحارية لا يمكن أن تعود إلى نفس الحقبة المبكرة التى تعود إليها الزخرفة الجصية. فعلى الرغم من ظهور الطواقى المحارية الشكل فى فترة مبكرة جداً من تاريخ الإسلام (ومنها المحراب الرخامى بمتحف بغداد وهو ربما ينتمى إلى جامع المنصور) إلا أنها لا تظهر بالقاهرة إلا بعد ذلك بفترة طويلة كما يتضح من الاطلاع على ترتيب المحاريب (لوحتان ١١٤ - ١٢١). ونلاحظ هنا أن أقدم محراب ذو طاقية محارية هو محراب أم كلثوم (لوحتان ١١٨ ب و ٨٢ب) ويرجع إلى عام ٥١٦هـ (١١٢٢م) وتليه محاريب مشهد السيدة رقية التى ترجع إلى عام ٥٢٧هـ (١١٣٣م).

ويتضح من اللوحة (٣ج) أن المحارة ذات الحافة المزدوجة التسنين تعد دخيلة على الأسلوب المتبع. وكان هناك محراب غير مزخرف أصلاً تتوجه عقود مدببة متحدة المركز والعقد الداخلى منها فى تجويف. وكان على جانبيه التجويف زوجان من الأعمدة الجصية المدمجة الرفيعة لا يزال زوج منهما باقياً. وتتكون الزخرفة من شريط من الأرابسك يمشى على طول القمة وشريط بالخط الكوفى منقوش على الإطار المعقود وحشو كوشات العقد والقطعتان الباقيتان على جانبيه التجويف (لوحة ١١٤ج)، ولم يتم وضع قوالب هاتين القطعتين فى مستواها الصحيح، حيث كانت الزخارف الأصلية على مستوى أعلى من ذلك).

كانت المقارنة بين الشريط الكوفى وبين نقوش ابن طولون والأزهر ستقدم أساساً آمناً تماماً لأغراض التاريخ. إلا أن النصف السفلى منها تعرض للأضرار على أثر استحداث المحارة مؤخراً لدرجة أن شخصية الحروف لم يعد من الممكن التحقق منها، ولا بد لأية محاولة تهدف إلى تحديد التاريخ أن تعتمد على تحليل الأرابسك، وهى مهمة قام بها فلورى بإتقان بالغ. حيث يقول:

«يتكون الشريط الأفقى على القمة (لوحة ٣ج) من تتابع منتظم لبواعم عريضة وأنصاف مراوح نخيلية وضعت فى أزواج مع وجود براعم صغيرة فيما بينها. ونجد كلا العنصرين الزخرفيين متكررين فى «الطرز التخطيطى» بسامراء وابن طولون. ومن ناحية أخرى، هناك سمة غير مألوفة، وهى العنصر الزخرفى الثلاثى الوريقات ذو الثقب فى الوسط والذى يحمل أنصاف مراوح نخيلية ويربط بين كل برعمة إلى الأخرى. وكان هذا العنصر يرتبط أصلاً بالعنصر الثلاثى الوريقات بسامراء والذى يحتوى على ثلاثة ثقب فى الزوايا. وإذا كانت الوريقات الثلاثية للأسطح السفلية لعقود مسجد ابن طولون تتخذ الهيئة التى نراها بسامراء، فإن محرابنا هذا لا يرتبط بالفن الطولونى القديم. ونجد نفس هذه الوريقات الثلاثية المبسطة وقد تكررت فى النصف الثانى من القرن العاشر بالجامع الأزهر» (لوحة ١٧).

ولم يبق من الأشرطة الزخرفية الرأسية على جوانب المحراب إلا حشوتان مستطيلتان صغيرتان (لوحة ١١٤ج) إلا أنهما يمكن إكمالهما بسهولة من أعلى ومن أسفل. ومن الزخارف، يمكن الحكم بأن هذه الأشرطة لا يبدو أنها كانت لها أية

صلة عضوية بكوشات العقود أعلاها، بل كان يفصلها عنها الشريط المنقوش وكانت تدور بزوايا اليمنى عند قاعدة العقد وتستمر أفقياً.

وعندما يتم مد نموذج الشريط الرأسى يمينا ويساراً فإنه يتحول الى شريط مميز ذى زخرفة مسطحة. وفى هذا النموذج الأخير، لاتعجز العين حتى غير المدربة فى إدراك العناصر الزخرفية الرئيسية، أى أزواج من أنصاف المراوح النخيلية تتناوب مع البراعم العريضة. وتتصل أشرطة الزخرفة المتوازية ببعضها البعض اتصالاً وثيقاً فى طراز الأرباسك حتى أن أزواج أنصاف المراوح النخيلية والبراعم بالصف العلوى تنبثق عن براعم الصف الذى يقع تحته. وينبغى أن نلاحظ عملية تحول أزواج أنصاف المراوح النخيلية؛ فهى تلتف لولبياً الى أسفل بحيث تقطع البراعم التالية لها، وبهذه الصورة، تتكون برعمة ثانوية بدون شكل حلزوني (وليس لهذه البرعمة الثانوية نصيب فى تحديد تاريخ زخرفة محرابنا هذا، لأنها متوفرة بالفعل بسامراء). وللخطوط الطرفية الانسيابية التى تثرى أنصاف المراوح النخيلية أهمية خاصة؛ فهى تجسم سطحها وتضفى عليها سمة أشد تميزاً. ويزيد وضوح التناقض بين العناصر الزخرفية النباتية فاتحة اللون وأنصاف المراوح النخيلية الفاتحة اللون فى نمط الشريط الممتد. وليس هناك نمط شريطى ممتد بهذا التناغم الإيقاعى بين الضوء والظل بين نماذج سامراء وابن طولون التخطيطية. لذا فهذا الجزء من زخرفة المحراب يعد شاهداً على مرحلة لاحقة من التطور.

وهناك خاصية فنية لا بد من ذكرها فى هذا الصدد. فالأشكال النباتية للأشرطة الأفقية والرأسية، باستثناء الورقة النباتية الثلاثية المتصلة، مستمدة من الأسلوب التخطيطى القديم، إلا أنها لاتتنسجى الى ذلك الأسلوب كما ينبغى لها، لأن حوافها ليست مستديرة بل متعرجة. وفى هذه الزخارف التى تميل الى البساطة لاتتضح التلاعب الدقيق بالضوء والظل، وهو ما يميز الأسلوب التخطيطى فى كل من سامراء وابن طولون؛ بل يقترب من أسلوب الشطف المائل (steep cut) والذى يبدو الضوء والظل فيه فى تناقض تام. ولو كان لدينا الأصل بدلاً من القالب، لزاد وضوح هذا التميز النوعى القائم على منهج العمل. وإذا سألنا عن أصله فإن كوشات العقد الكبيرة تقدم لنا إجابة قاطعة.

تمثل كوشات العقد هذه اتحاداً مفاجئاً بين عناصر شتى من الزخارف، وهى سمة دخيلة على الفن العباسى القديم. ونجد أفضل مادة تصلح للمقارنة فى محرابين مسطحين بجامع ابن طولون. فالزخرفة الموحدة بكل منهما تمثل تناقضاً حاداً مع هذا المزيج من الأساليب الذى نراه بمحرابنا هذا.

ولنلق الآن نظرة على كوشة العقد (فيما عدا زخارف نصفى البرعمة، فإن كوشات العقد تتناسب إحداها مع الأخرى فى كل النواحي بحيث يمكن إكمال الكوشة اليمنى التى تعرضت للدمار من نظيرتها اليسرى). فبالإضافة الى أنصاف المراوح النخيلية المعروفة والتى ينشأ أحدها عن عنصر متدل drop motive به ثقب مثلثة وخط منحوت، يمكن ملاحظة وجود عنصر زخرفى نصف برعمى متقن بالجزء العلوى الى اليمين، وهو مستعار من أسلوب الشطف المائل (التصويرى). وبدلاً من نموذج الشبكة المبسط والذى كان هو القاعدة فى الفن القديم، تم إحلال شريط زخرفى أكثر إتقاناً هاهنا. فكان الفنان الفاطمى المتأخر يفضل الاستعانة بمثل هذه النماذج فى سبيل التمييز زخرفياً بين عناصره الزخرفية الورقية والزهرية (وأفضل مثال على ذلك زخارف محراب جامع الجيوشي، لوحة ٤٨ ج).

تعد هذه المعالجة الزخرفية للأسطح المستوية سمة ظاهرة للزخارف الجصية القاهرية فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر. ولكن لأهمية لها فيما يتعلق بتطورها. فما كان لها أن تؤثر بأية صورة على إيقاع التصميم التخطيطى (قارن بينه وبين محراب مقام على نهر الفرات). ونقطة التحول الحاسمة هى دخول نمط ساق النبات المتطور على عناصر زخرفية باقية من القرن التاسع. وسبق أن أوضحنا أن هناك أسلوباً جديداً نجم عن دمج الزخرفة التخطيطية بورقة العنب العباسية فى

القرن العاشر (Flury, *Das Schriftband an der Türe des Mahmud von Ghazna Der Islam*, VIII, p. 226f.) ويعود

محرابنا هذا أقدم أثر في مصر، مما يدل على مدى أهميته التاريخية.

تختلف ورقة العنب المعروفة عن أوراق العنب التي تجدها في الفن العباسي في سطحها الخالي من أية زخارف. وسنرى أن الشكل البيضاوي المدبب في الوسط مخوش (مخيش) وليس مجسماً بيروز. وكما هو الحال في أسلوب ورقة العنب بسامراء والقاهرة ودير السريان ونايين، فإن ورقة العنب هنا تحيط بها ساق نبات يطوقها (Syria, II, p. 308). كما أن الساق لا ترى في صورتها النحيفة القديمة، بل كعنصر زخرفي أكثر ثراءً وتطوراً في تصميمه. فيلاحظ أولاً أن الساق مزدوج، ولا نجد لهذه المعاملة غير الطبيعية أثراً في الزخرفة الجصية القاهرية بالقرن التاسع. ومن ناحية أخرى، يبدى الفن الفاطمي منذ بدايته ميلاً للسيقان النباتية المزدوجة بهدف إبراز الإيقاع التخطيطي للزخرفة. وكما تتضاعف خطوط الزخارف المتشابهة بجامع ابن طولون في أغلبها، فربما كانت مضاعفة الساق النباتية مستعارة من الزخرفة الهندسية لهذا الجامع (فإذا كان الفن القبطي قد ترك أثراً حاسمة على تطور الفن الطولوني، فربما كانت الساق النباتية المزدوجة تستخدم في حقبة زمنية أقدم في القاهرة؛ فهي تعد سمة للآثار القبطية المصرية لفترة زمنية ممتدة)، حيث ظهر الميل إلى إضفاء صبغة هندسية على الزخارف النباتية في فن القاهرة.

كما نلاحظ تشعيب السيقان والثناء بوريقات تملأ الزوايا أو بخطوط مستعرضة تربط بين كل ساقين. ولا تزال التفريعات النحيفة لأسلوب ورقة العنب بسامراء ودير السريان ونايين بدون زخرفة على الإطلاق.

التاريخ [الفترة الزمنية]: بعد أن قارنا بين مختلف العناصر الزخرفية للأشرطة وكوشات العقد وبين ما يقابلها قبل ذلك وبعده بالقاهرة، لا ينبغي أن نجد صعوبة في تحديد تاريخ المحراب بصورة أدق من ذلك. فمن الواضح أنه لا يعود إلى الفن الطولوني في القرن التاسع. فلا نجد في أي أثر من آثار تلك الحقبة مثل هذا الخليط المعجيب من الأساليب الثلاثة الأقدم زماناً. كما أن زخرفة دير السريان الذي ينتمي إلى عام ٩٠٠م تقريباً (والتاريخ الفعلي هو ١٢٢٥ بتقويم الإغريق، أي ٩١٣-٩١٤م طبقاً لما ورد بالنقش السرياني على عتب المدخل إلى الهيكل) تمثل مرحلة مبكرة من التطور (Die) (Gipsornamente des Dêr es-Sûrjani, Der Islam, VI, Abb. 1-6) وقد يمكن إرجاع المحراب إلى القرن العاشر بكل يقين؛ أما ما بقي أن نحدده فهو ما إذا كان يعود إلى أصل فاطمي مبكر أم ينتمي إلى النصف الأول من القرن العاشر (٧٨). فورقة العنب القديمة التي لا تجدها في زخارف الجامع الأزهر التي تتميز بدرجة فائقة من الثراء وكذلك أنصاف المراوح النخيلية غير المزخرفة وغياب التداخل بين السيقان النباتية وتزاحم الزخارف، كلها شواهد على أن محرابنا هذا أقدم من بناء الجامع الأزهر، وقد يرجع إلى أواسط القرن. ولا أجد ما يبرر إرجاعه إلى تاريخ أقدم من ذلك؛ فالشريط المنقوش الضيق في لوحة (٣ج) ينم عن نمط متطور من كتابة الحروف الكوفية. ويبين ذلك الجزء من الشريط والذي تجده على الجانب الأيسر من العقد الأوراق النباتية الثنائية والثلاثية الخارجة من الحروف.

ومن المفيد أن نعرف ما إذا كان عمال الجص المصريون هم الذين قاموا دون تأثير خارجي بتعديل شكل سيقان العنب النحيفة في الفن الطولوني وربطوها بعناصر الأسلوب التخطيطي. فكان هذا الابتكار ذا أهمية بالغة فيما يتعلق ببداية الفن الفاطمي.

هناك على حد علمي أثر جصى واحد يقارب أثرنا هذا زمنياً. ويتضح فيه مزج مماثل بين العناصر الزخرفية للأسلوب التخطيطي وأسلوب الشطف المائل الزخرفي وزخرفة وريقات العنب. وهو المحراب الجصى لجامع خرجرد (٧٩) الخسرب. ويتضح في هذا المحراب وجود سيقان مزدوجة متطورة مرتبطة بأنصاف مراوح نخيلية ووريقات عنب (E. Diez).

Churasandische Baundenkmäler , Taf. 30). ويميل (ديز) الى إرجاع تاريخ هذا الأثر الى القرن التاسع ويركز بصورة خاصة على الزخرفة ذات الشريط المزدوج القديمة مما لم يكن يتفق والذوق الفارسي اللاحق. ولكنى أرى شيئاً من الخطر فى محاولة إرجاع عمر الأثر الى فترة أسبق بناءً على ندرة بقايا زخرفة المحراب حيث لم يتبق منها شيء، وفى محاولة لتحديد علاقته بنيانين والذوق الفارسي فى تلك الحقبة (E. Diez, Persien , pp. 124-5). وعلينا أن نقنع بالتوصل الى حقيقة أن الأساليب المختلفة الثلاثة الخاصة بسامراء تمتزج معاً فى خرجرد وأن زخارف الساق النباتية تبرز بصورة أوضح فى بلاد فارس فى القرن العاشر منها فى الفن العباسى الأقدم زمنًا. ولا يمكن لنا الآن أن نجيب على السؤال عما إذا كان محرابنا هذا يعد إبداعاً مصرياً أم محاكاة لنموذج أجنبي. على أى الأحوال، يمكن القول إن زخرفته بصورة عامة وعناصره الزخرفية المتباينة تمثل نموذجاً لأهم المحاريب الجصية القاهرية فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر.

ونصادف الأشرطة الزخرفية الأفقية ذات البراعم العريضة فى سلسلة من آثار الفن الفاطمى المتأخر، إلا أنها تحتوى دائماً على عناصر دينارية diaper. كما أن محاريب السيدة رقية (لوحات ١١٩ ج، ١٢٠ أ) والتي أشرنا اليها فى البداية، وكذلك المحراب المسطح الخاص بالوزير الأفضل بجامع ابن طولون (لوحة ٧٧) والمحراب الثلاثى بضريح إخوة يوسف يجب أن تذكر فى هذا السياق. ويتضح من الحد الأفقى الأعلى للمحراب الجانبى (لوحة ١١٨ أ) من هذا الأثر وجود تناغم متميز بينه وبين عناصر أنصاف المراوح النخيلية الزخرفية.

لعبت الساق المتطورة ومنذ البداية دوراً بارزاً فى الفن الفاطمى لدرجة تجعل الاستشهاد بأمثلة بعينها أمراً لا ضرورة له. فنصادفها فى أقصى درجات تطورها فى زخرفة محراب جامع الجيوشى فى أواخر القرن الخامس (١١ م، لوحة ٤٧)، مما يوضح أن دخول الساق النباتية فى الزخرفة العباسية يمد خطورة محددة الى الأمام؛ فهي تضيف حيوية متجددة وحركة إيقاعية حرة على الكتلة الزخرفية الجامدة للأسلوبين التخطيطى والشطف المائل. ويلاحظ أن الساق النباتية ليست هى الشيء المهم فى التطور الذى حدث بمصر، بل صفتها الإيقاعية المتميزة.

إن الزخارف النباتية ذات السيقان التخطيطية فى الموصل تعطى بتتابع خطوطها المضطرب وتداخلها غير الفعال انطباعاً بالزحام والهمجية إذا ما قورنت بالبنية الرقيقة لمحراب الجيوشى. فالسمى الى إيجاد تدفق إيقاعى واضح فى الخطوط يمد من خصائص الفن الفاطمى منذ بداياته الأولى. وبناء على ذلك، كانت مصر أرضاً غير خصبة للزخارف النباتية اللولبية ذات السيقان القصيرة والخاصة بالأسلوب التخطيطى المبكر، ولو أنها عاشت لفترة طويلة بالأقاليم الشرقية من الدولة الإسلامية.

الفصل الثامن

بناء القاهرة

ولاية المعز

نعود الآن الى الأسرة الفاطمية. توفي الحاكم الثاني [الخليفة القائم بالله] أبو القاسم في ١٣ شوال ٣٣٤هـ (١٨ مايو ٩٤٦م) بعد حكم دام اثني عشر عاماً، وخلفه ابنه اسماعيل المنصور الذي أنشأ مدينة صبرة التي عرفت فيما بعد بالمنصورية في سنة ٣٣٤هـ (٨٠) (٩٤٥/٩٤٦م) (ابن حماد، ص ٢٣) أو ٣٣٧هـ (٩٤٨/٩٤٩م) (البكري، ص ٢٥)، وكانت رابع مدينة ملكية يتم بناؤها بجوار القيروان. وكان لها خمس بوابات، الباب القبلي والباب الشرقي وباب زويلة وباب كتامة وباب الفتوح (البكري، ص ٢٥). وظل في الحكم الى أن توفي في شوال ٣٤١هـ (فبراير ٩٥٣م) وخلفه ولده المعز وكان آنذاك في الرابعة والعشرين من عمره، وكان ذا ثقافة رفيعة وكان حاكماً نشطاً، فتمكن بمعاونة رئيس وزرائه وقائده جوهر (٨١)، وهو من أصل يوناني بيزنطي [رومي]، من إقرار النظام والاستقرار في ربوع دولته. وكان ذلك تمهيداً لفتح مصر، وهي مهمة جمع لإنجازها ما يعادل ٢٤ مليون دينار، وقضى عامين في حفر الآبار وإنشاء منازل القوافل على الطريق الى الاسكندرية (انظر المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٣٥١-٣٥٢).

الأسباب الفلكية للهجوم على مصر

يرى دى غويه أن المعز فكر في شن الهجوم على مصر بناء على اتحاد المشتري وزحل في برج الجدى في سنة ٣٥٦هـ (٩٦٧م). وفي دعمه لهذا الرأي، يعرض أمثلة عديدة تدلل على أهمية دور الفلك والتنجيم في الحياة اليومية للشرق في العصور الوسطى، وخاصة لدى الفاطميين. ويذكر كتب النجوم والسحر التي سرقت من عبيدالله (المهدي فيما بعد) قرب الطاحونة عندما كان هارباً بأفريقيا. وتمت استعادة هذه الكتب على يد القائم إبان حملته الفاشلة على مصر. ويقال إنها كانت تحوى نبوءة بانتهاء حكم العرب في المغرب في أواخر القرن الثالث الهجري (وهي نبوءة تشبه نبوءة القاهرة لدى المقرئزي (الخطط، ج ١، ص ٣٧٢-٣٧٣) وقوله بانتشار المجاعة بمصر حين يدخل زحل مدار الجوزاء وحلول الكوارث بها حين يتحد زحل مع المريخ في برج السرطان. ووردت نبوءة القاهرة لدى ابن خلدون أيضاً). وكانت هذه النبوءة مرتبطة، في رأى دى غويه، باتحاد زحل بالمشتري في برج الجدى، وهو ما حدث عام ٢٩٦هـ (٩٠٨م) وهو العام الذى شهد سقوط دولة الأغالبة وعلو نجم الفاطميين وحكمهم للقيروان. ومن المعروف أن الفاطميين كانوا يتوقعون بدء حقبة جديدة وهي حقبة «الدين الحق» مع بدء دولة السماء عام ٣١٦هـ (٩٢٨م). ويرى دى غويه أن المعز الذى عرف ببراعته في التنجيم علا نجمه باتحاد نجمى مماثل عام ٣٥٦هـ (٩٦٧م) ببداية إعداد حملته الضخمة على مصر (Memoires sur les Carmathes du Bahraïn , 1886, pp. 115-28). ويذكرنا أن هولاء كوخان لم يجرؤ في سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) وهو في أوج قوته على مهاجمة بغداد إلا حين طمأنه منجمه الشهير الطوسى (Memoires , p. 128).

قد يكون لهذه الاعتبارات أثر على المعز، إلا أننا نعتقد أن يعقوب بن كلس (٨٢) لعب دوراً مهماً، بل أهم دور في ذلك طبقاً لقول أبى المحاسن.

فتح مصر وسقوط الفسطاط

كانت مصر فى حالة ضعف أمام أى غزو، نتيجة لما ألم بها من اضطرابات داخلية ومجاعة أدى إليها هبوط منسوب النيل وتفشى الطاعون. وتلقى المعز تقريراً مفصلاً عن الأوضاع فيها من يعقوب بن كلس اليهودى المرتد الهارب. كان يعقوب يهودياً عراقياً ولد ببغداد فى سنة ٣١٨هـ (٩٣٠م)، وهاجر الى فلسطين بصحبة أبيه وبدأ تجارة فى الرملة. يذكر ابن خلكان عن ابن عساكر أنه كان يهودياً فاسداً «كسر» أموال التجار، وفى اللحظة المناسبة، فر هارباً من دائنيه. وبعد فترة وفى سنة ٣٥٥هـ (٩٦٦م)، ظهر بمصر فى هيئة تاجر ثرى يتعامل مع حاكمها كافور. وظل نجمه يعلو ويرتقى لديه حتى بلغه يوماً أن كافور قال «لولا أنه يهودى لكان الأولى بالوزارة». فأدرك أن الإسلام هو الدين الحق الأوحى. يقول المقرئى إنه كان يشاق لتولى منصب الوزارة. لذا فقد تحول الى الإسلام عام ٣٥٦هـ / ٩٦٧م، (الخطط، ج٢، ص ٢٩، ٣٠). إلا أن الوزير الفعلى فى ذلك الوقت، وهو ابن الفرات، أدرك صلاحية يعقوب للمنصب بعد إسلامه. وفى العام التالى، حين توفى كافور، ألقاه ابن الفرات فى السجن، إلا أنه تمكن من الهرب بالرشوة، ثم فر هارباً الى بلاط حاكم شمال أفريقيا الفاطمى. ورغم تحوله الى الإسلام، إلا أننا نعلم أنه حين كان بالمهدية انضم الى اليهود تماماً (ابن القلانسي، ص ٣٢، ج٢، ص ٩-١١)، لكنه ظل يتطلع الى الانتقام من مصر، فاتبع خطة بسيطة مفادها حث البلاد التى لجأ إليها هارباً على غزو البلاد التى فر منها. يقول أبو المحاسن (ج٢، ص ٣٩٦، ج٢، ص ٥-٦) إنه كان واحداً من أهم العوامل فى دفع المعز الى تجريد حملة بقيادة جوهر على مصر من خلال الدعاية المناسبة (٨٣). وكان قد أساء استغلال الأزمة المالية وهبوط منسوب النيل وضياح المحاصيل وتفشى الأوبئة وضعف الحكومة المصرية. لكنه لم يرافق جوهر فى حملته على مصر خوفاً من التعرض للهلاك، وفضل العودة إليها بعد استقرار الحملة وذهاب المعز الى مملكته الجديدة بعد ثلاث سنوات ونصف السنة. وما أن حل بها حتى بدأ سياسة مالية شاملة بإدخال دينار جديد، مما أدى الى سقوط قيمة الدينار الراضى الى الثلث، وما ترتب على ذلك من خسائر هائلة بين الأهالى (٨٤) (المقرئى، ج٢، ص ٦). وبعد فترة وجيزة، تولى الوزارة. وحدث أن قام أحد الشعراء بهجائه هو والخليفة فى مناسبتين؛ فرج به الخليفة فى السجن. وبعد فترة، أرسل فى طلبه وعزم على العقو عنه. وحين سمع يعقوب بما عزم عليه الخليفة، تأمر على الشاعر وقته (ابن الأثير، ج٩، ص ٨٢).

وتم استدعاء القبائل العربية وزحف جوهر على رأس مئة ألف رجل وكمية هائلة من البضائع على ظهور الدواب من القيروان فى ١٤ ربيع الأول ٣٥٨هـ (٥ فبراير ٩٦٩م)، (ابن خلكان، ج١، ص ١٦٦)، ووصل الى الجيزة فى ١٧ شعبان ٣٥٨هـ / ٦ يوليو ٩٦٩م، (ابن حماد، ط فوندرهايدن، ص ٤٠)، ثم عبر النهر بقواته وهاجم الجيش الذى احتشد لمواجهة على الضفة الشرقية وأنزل به هزيمة ساحقة، واستسلمت المدينة على أثر تلك الهزيمة (٨٥)، وزحف الجيش الى الفسطاط منتصراً وعسكر بالسهل الرملى العظيم الى الشمال وكان يحده من الشرق المقطم، ومن الغرب الخليج وهو ترعة متفرعة من النيل تسير شمال الفسطاط وتمر بهليوبوليس القديمة وتنتهى عند السويس. وكان هذا السهل الرملى خالياً من المباني إلا ما كان يخص حديقة كافور [البستان الكافورى] وديراً قبطياً يسمى «دير العظام» (وهو الموقع الذى حل محله فيما بعد جامع الأقمر) وقصر صغير يسمى «قصر الشوك» (٨٦) وهو اسم لا يزال باقياً كاسم لأحد الأحياء.

بناء القاهرة

فى نفس تلك الليلة «اختط» جوهر موقع القصر الذى تم إعداده لاستقبال المعز. وحين أتى كبار رجال الفسطاط فى صباح اليوم التالى لتهنئته، وجدوا الأساسات حُفرت بالفعل (*L'Histoire sur la topographie du Caire*, p. 415). وشيد سوراً مساحته ١٢٠٠م من الطوب اللبن (ابن دقماق، ج٥، ص٣٦). يذكر المقرئى أن جزءاً كبيراً من هذا السور كان لا يزال قائماً فى عصره «على مسافة ٥٠ ذراعاً وراء السور الحالى» أى سور صلاح الدين بين باب البرقية ودرب بطوط الى أن تهدم فى سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠م). ويبدى دهشته من ضخامة حجم الطوب الذى بنى به هذا السور والذى يصفه بأنه يبلغ الذراع طولاً وثلاثى الذراع عرضاً. ومن الغريب أن ياقوت يستخدم نفس تعبير المقرئى فى وصفه لسماك جدار قصر المهديّة أولى العواصم الفاطمية، وهو أنه كان يكفى لعبور فارسين من فوقه (يقول فان برشم إن الذراع الذى قصده المقرئى هو الذراع البلدى الذى كان أساس وحدات القياس المصرية وطوله ٥٨٢٦م، مما يعنى أن حجم الطوب المقصود هنا هو ٣٨,٥ × ٥٨ سم).

والسبب فى تشييد هذه الأسوار الدفاعية العريضة هو تمكين المدافعين عن السور من التعبئة السريعة عند أية نقطة تتعرض للتهديد عن طريق التسلق وما الى ذلك. وكانت عادة المحاصرين منذ عصر الرومان أن يقيموا أبراجاً خشبية متحركة كبيرة وارتفاعها أعلى من الأسوار المستهدف مهاجمتها. وكانت هذه الأبراج حين توضع عند الأسوار تسيطر على الأسوار الدفاعية وتسمح بإنزال قوات وراءها عن طريق الجسور المتحركة. وما لم تكن الأسوار الدفاعية عريضة بما فيه الكفاية، ما كان يمكن للقوات المحاصرة أن تصد القوات المهاجمة (*Violet de-Duc, Military Architecture, transl., pp. 24-5*).

كان المفترض فى ذلك السور أن يكون حصناً يضم قصراً للخليفة (يعرف «بالقصر الشرقى» أو «القصر الكبير») وإدارات حكومية وأحياء للحاميات. وكانت هناك منشآت أخرى كالحزانة ودار سك العملة [دار الضرب] والمكتبة والضريح الملكى [التربة المعزية أو تربة الزعفران] ودار الصناعة والاسطبلات وما الى ذلك. وتبدو نوايا جوهر صريحة لدى ابن دقماق الذى يذكر أنه بنى القصور لسيدته بحيث يبقى عليه وعلى رفاقه وجيشه بمعزل عن عامة الناس كما جرت العادة فيما بعد بالنسبة للملوك من أبناء عبدالمؤمن [الدولة الموحدية] الذين فعلوا ذلك فى مراکش وتلمسان وأماكن أخرى.

وسمى القصر فى البداية «المنصورية» (ابن دقماق، ج٥، ص٣٥) على اسم قصر المنصورية الذى بناه المنصور بالله والد المعز خارج القيروان. وكان هذا التطابق فى الأسماء مثير دهشة الباحث كاي (*Al-Kahira* "and its Gates," *J.R.A.S.*, 1882, p. 233) الذى يعلق قائلاً أن تشييد مدينة حصينة ومنعزلة كان يتفق على ما يبدو وعادة البلاط الفاطمى (والأغلبى من قبله)، وإن المنصورية كانت دون شك النموذج الذى بنيت القاهرة على غرارها ولو أنها لم تكن نواة لمدينة جديدة ولم تتفوق على القيروان وهى العاصمة القديمة. ومن الواضح كما يشير رايتماير (*Städtegründungen*, p. 114) أن جوهر كان مكلفاً ببناء مدينة حول قصر بما يشبه العلاقة بالفسطاط كما هى العلاقة بين المنصورية والقيروان. وفى هذا الصدد، يذكر أن بوابتين من بوابات المنصورية سميتا باب زويلة وباب الفتوح (البكري، ص٢٥) وهما اسمان سرى أنهما اختيرا لبوابتين من بوابات القاهرة، وهو ما يذكرنا بما تم فى المدينة الصينية بكين، تلك المدينة التتية أو «البوابة المحرمة» كما اختطها قبلها خان بعد ذلك بثلاثة قرون. وكما يشير كاي، ليس هناك ما يدل على أن جوهر أو سيده كان يهدف الى بناء مدينة

جديدة بالمعنى المعتاد للكلمة أو كان يتنبأ بما حدث فيما بعد وهو تحرك سكان المدن الثلاث الفسطاط والعسكر والقطائع وسكناتهم بجوار الحصن الملكي وتدفقهم بعد أن قضى صلاح الدين على هذه الأسيرة في سنة ٥٦٧هـ (١١٧١م) إلى داخل السور وبناء المساجد والمباني الخاصة على أنقاض قصورها التي سارع إليها الخراب . ولم يكن يسمح لأحد حتى ذلك الوقت باجتياز أسوار القاهرة إلا لجنود الحامية وكبار رجال الدولة (J.R.A.S., p. 231). أما بالنسبة لموقعها فيذكر المقرئ في خطه (ج ١ ، ص ٣٦١) « وقصد جوهر باختطاط القاهرة حيث هي اليوم أن تصير حصناً فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر (أي الفسطاط) ليقاثلهم من دونها ».

لحظة مناسبة حددها المنجمون

كانت القرارات الهامة كبناء مدينة تحت حكم أسرة كالفاطميين الذين كانوا رمزاً للزهد لا يتم البت فيها إلا بعد استشارة المنجمين (وهو ما حدث كذلك بالنسبة لبناء بغداد). فأمر جوهر باستدعائهم وأمرهم باختيار اللحظة المناسبة لبناء مدينة لا يطرد الفاطميون منها أبداً. وأقيمت الأعمدة على طول الخنادق التي تم حفرها لوضع أساسات السور؛ وتم ربط الأعمدة بحبال تتدلى منها أجراس بحيث يمكن للمنجمين حين تحين اللحظة المناسبة أن يرسلوا إشارة على طول خط الخنادق. وأمروا الفعلة والبنائين بالاستعداد لإلقاء الحجارة وكل ما تصل إليه أيديهم في الحفر. ولكن قبل حلول الساعة المناسبة، حط غراب على الحبال فرت الأجراس وبدأ الفعلة في العمل ظناً منهم أن إشارة البدء صدرت من جانب المنجمين. وفي تلك الساعة، كان كوكب المريخ في صمود، وكان هذا الكوكب يسمى عندهم «قاهر الفلك»، مما اعتبروه نذير شؤم (المقرئ، ج ١ ، ص ٣٧٧). ويتضح من رواية المقرئ مع افتقارها إلى التماسك أن المدينة الجديدة سميت في البداية بالمنصورية على اسم مدينة القصر (٨٧) التي بنيت خارج القيروان بأمر من المنصور بالله ثالث (٨٨) الخلفاء الفاطميين، وأن اسم «القاهرة» لم يتم اختياره لها إلا عندما جاء المعز إلى مصر، أي بعد أربعة أعوام، حيث رأى من قراءته لخريطة البروج أن هذا الاسم فآل حسن (٨٩). ويذكر المقرئ أن الأسوار كانت تشيد بالطوب اللبن وأن المدينة ظلت تسمى بالمنصورية إلى أن أمر المعز حين جاء إليها بعد أربع سنوات (٧ رمضان ٣٦٢هـ / ١١ يونيو ٩٧٣م) بتغيير اسمها إلى «القاهرة» مع أنه بعد ذلك بسبعة أسطر فقط يحكى قصة المنجمين بطريقة توحى للقارئ بأن اسم «القاهرة» تم اختياره في تلك اللحظة، في حين أن ابن دقماق كان واضحاً تماماً في هذه المسألة. وكان كل من لين (Cairo Fifty Years Ago, pp. 24-6) رافيس (Essai, I, p. 420) هما اللذان أوضحا هذه النقطة الأخيرة عند المقرئ، وهي نقطة يبدو أنها فاتت على لين هول (History of Egypt, p. 103). أما بيكر فيتبع رأى رافيس في مقالته عن القاهرة بدائرة المعارف الإسلامية.

السمات الأسطورية للقصة

كانت قصة المنجمين والغراب من الواضح بحيث أن الكتاب الذين تناولوا بناء القاهرة لم يفكروا في الارتياح في مصداقيتها. ويبدو أنه فاتهم أن المسعودي روى بدوره حكاية مشابهة في روايته التي يبدو الجانب الخرافي واضحاً فيها عن بناء الاسكندرية على يد الاسكندر الأكبر. فيقول إن العمال وقفوا متراسين بأمر من الاسكندر على طول خط تم تحديده للمدينة الجديدة، ونصبت العصي على طول هذا الخط وربطت فيها الحبال، وكان أحدها مشدوداً إلى دعامة رخامية وضعت على باب خيمة الملك. وعلقت الأجراس على الحبال

وظل الفعلة ينتظرون إشارة البدء التى كان عليهم أن ينطلقوا لدى سماعها وفى لحظة واحدة الى العمل فى القاء الأساس. وكان الاسكندر يأمل بذلك أن يضمن لبدء بناء مدينته أن يتم فى «ساعة سعد». ولكن حين حل اليوم الموعد وحانت اللحظة المختارة، ثقلت جفونه وغلبه النوم، فحط غراب على الجبال فى لحظة ورنّت الأجراس وبدأ العمال فى العمل. واستيقظ الاسكندر، وحين أدرك ما حدث قال «كنت أتمنى شيئاً ولكن الله أراد شيئاً آخر» (المسعودي، مروج الذهب، جـ ٢، ص ٤٢٣ - ٤٢٥).

هكذا يتضح أن القصة التى رواها المقرئى كانت متداولة قبل بناء القاهرة بست وعشرين سنة، مما يلقي ضوءاً جديداً تماماً على القضية. فلم يعد من الممكن تقبل رواية المقرئى إلا بتحفظ شديد. بل أعتقد أن ما سبق يبرر لنا أن نعتبرها خرافة.

الأسوار والبوابات

يمكن تتبع تخطيط سور القاهرة فى الجزء الأكبر منه من خلال المعلومات التى يقدمها المقرئى فيما عدا الجزء الكائن بين باب النصر وباب البرقية فليست بين أيدينا أية تفاصيل عنه. ونظراً لإتمام العمل المبدئى ليلاً وفى عجلة شديدة، لوحظ فى صباح اليوم التالى وجود ازورارات فى تخطيط القصر حيث لم تكن الخطوط مستقيمة (ابن خلكان، جـ ١، ص ١٦٨). ولاشك أن ذلك ينطبق أيضاً على جدران السور الخارجى الرئيسى. ومع ذلك كان مستطيلاً مساحته ١١٠٠ م تقريباً من الشرق الى الغرب، و١١٥٠ م تقريباً من الشمال الى الجنوب. وكان السور الجنوبى يواجه القسطنطينية والسور الشرقى يواجه المقطم وكان السور الشمالى مفتوحاً على الريف والغربى يحاذى الترعة (الخليج). وعلى مسافة غير بعيدة منه بنى قصر اللؤلؤة (٩٠). وفيما بعد بنيت دار الذهب (٩١) على المساحة الفاصلة (المقرئى، جـ ١، ص ٤٦٧). وظلت الترعة قائمة الى حوالى عام ١٩٠٠ حيث تم ردمها وأجرى خط للترام فرقها وتسمى اليوم شارع الخليج المصرى (٩٢)، ويوازيه شارع بين السورين. ويذكر المقرئى أنه كان فى عهده صفان من المباني يطل أحدهما على الخليج والآخر على الطريق الذى يصل بين باب القنطرة وباب سعادة ويسمى بين السورين (المقرئى، جـ ٢، ص ٢٤).

أما السور الذى أقيم فيما بعد، وهو سور صلاح الدين، فكان فى المنطقة الفاصلة بين هذا الشارع وبين الخليج، مكان صف البيوت التى كانت شرفاتها تطل يوماً على الخليج وأبوابها تفتح على شارع بين السورين، أى أن أبوابها كانت مغلقة على الخليج. إذ لم تكن المسافة الفاصلة بين الخليج والشارع تزيد عن ١٥ م. ولا بد أن السور الخارجى (السابق) كان يقع على الجانب الآخر من هذا الشارع، بينه وبين درب سعادة، أى وراء السور اللاحق بمسافة تتراوح بين ٣٠ و ٥٠ م.

كان هناك حسب رواية المقرئى ثمانى بوابات هى كالتالى: باب زويلة ذو القوسين فى السور الجنوبى؛ باب الفرج فى السور الغربى (وسمى أن هذه البوابات لا بد أن كانت تقع فى الجانب الجنوبى)؛ وباب سعادة وباب القنطرة أيضاً فى السور الغربى؛ وباب الفتوح وباب النصر فى السور الشمالى؛ وباب البرقية وباب القراطين فى السور الشرقى (تغير اسم الأخير ليصبح «باب المحروق»). وكانت هناك بوابة أخرى هى باب الخوخة وبنيت حسب رواية المقرئى بعد عصر جوهر (المقرئى، جـ ١، ص ٣٦١ - ٣٦٢). ولم يعد لأى من هذه البوابات وجود اليوم، حيث حلت محلها جميعاً بوابات لاحقة حين اتسع نطاق القاهرة وتم بعض هذا الإحلال على يد بدر الجمالى وبعضه الآخر على يد صلاح الدين. ولاتزال ثلاث من هذه البوابات اللاحقة قائمة ومعروفة، وهى

باب زويلة وباب الفتوح وباب النصر، وكلها تنسب الى بدر الجمالي. وهناك بوابة رابعة جزء منها مدفون والجزء الآخر ظاهر وتعرف بباب القراطين أو باب المحروق.

باب القراطين أو «باب المحروق»

يقول القلقشندي (صبح الأعشي، ج ٣، ص ٣٥٣) إن سوق الغنم كان يقع داخل باب المحروق، وكان من الطبيعي أن يستقر القراطون (تجار البرسيم) في هذا المكان وأن تستمد البوابة اسمها منهم. وتغير اسمها فيما بعد ليصبح «باب المحروق». وسميت بذلك الاسم بسبب ما فعله ٧٠٠ من المماليك القارين من القاهرة لدى علمهم بإعدام الأمير أقطاي في ٢١ شعبان ٦٥٢ هـ (٦ أكتوبر ١٢٥٤ م)، المقريري، (ج ١، ص ٣٨٣). فحين غادروا ديارهم ليلاً وتقدموا باتجاه هذه البوابة وجدوها مغلقة. وجرت العادة في ذلك الزمان بإغلاق كل بوابات القاهرة في أثناء الليل. فأضرموا النار في الباب الضخم وفروا من الثغرة التي فتحتها النيران. لذا، سميت البوابة «باب المحروق». ولكن أين كانت بوابة المحروق هذه؟ تحدد البعثة الفرنسية شارعاً صغيراً بالقرب من السور الشرقي يسمى «درب المحروق» وتحدد برجاً ضخماً مستديراً عند نهايته مع وجود فتحة صغيرة في جدار السور على جانبه الجنوبي عليها اسم «باب درب المحروق». وفي حديثه عن عام ١٨٨٨، يذكر على مبارك أن من بين الشعاب المختلفة لذلك الدرب (أي شارع الباطلية) عطفة الشراية التي تؤدي الى قرافة المجاورين (٩٣). وهذه الفتحة هي موقع باب المحروق، وهو أحد بوابات القاهرة (الخطط الجديدة، ص ٥٤٤). ويسلم كازانوفاً بهذا الرأي.

كانت الفتحة الصغيرة التي تضمها خريطة البعثة الفرنسية مدفونة بالفعل تحت الركام عندما جئت الى القاهرة لأول مرة في سنة ١٩١٦. الا أنني تقبلت الأمر بناء على اسم الشارع. وافترضت أن البرج المستدير الضخم (برج رقم ١٧ على خريطة القاهرة بمقياس ١ : ٥٠٠٠) كان هو البرج الجنوبي على أحد جانبي بوابة ضخمة، وافترضت أن هناك برجاً ضخماً آخر يخفيه الركام ويقع بالقرب من الأول على الجانب الشمالي. وبناء على طلب مني، وافق أحمد بك السيد الذي كان يتولى في ذلك الوقت إدارة شعبة الآثار العربية على إجراء حفريات في هذا الموضع. وتم الكشف عن البرج المستدير الضخم حتى قاعدته، فأنكشفت بوابتان جانبيتان صغيرتان بعرض ١,٢٦ م على جانبي البرج وفتحتان في داخل الخندق. وكانت أولاهما هي الفتحة التي تظهر على الخريطة والتي يشير إليها على مبارك. وهاتان البوابتان لم تكونا للمرور، حيث لا يزيد عرض الواحدة منهما عن المتر كثيراً، بل كانتا بغرض دفاعي كتلك التي أقامها فيلو البيزنطي (١٥٠-١٠٠ ق.م) وقال «على المرء أن يهني أبواباً جانبية وخلفية عديدة على جوانب الأبراج لتسهيل عملية الفرار وتكون بحيث لا يتمكن الجند إذا ما هزموا من التقهقر فيتركوا ميامنهم مكشوفة دون حماية. فالجندى الذي يهرب من باب خلفي يعود فيدخل من باب خلفي آخر» (ج ١، ص ٢٥).

وهكذا يتضح أن هذا البرج المستدير الضخم ليس أحد برجين على جانبي مجاز كبير، وكان لابد من البحث عن باب المحروق في مكان آخر. وعلى بعد ٢٧٥ م الى الجنوب، كان هناك برجان (برقمي ١٣ و ١٤ على خريطة القاهرة بمقياس ١ : ٥٠٠٠) وضع أحدهما بالقرب من الآخر، كما هو الحال دائماً حين يتحتم الدفاع عن مجاز بوابة ما كتلك التي تقع على بعد ١٥٠ م الى الجنوب من البرج الركني من برج الظفر وفي بوابتي القلعة اللتين قمت بالحفر بحثاً عنهما عامي ١٩٢٣ و ١٩٢٤ (Creswell, Archeological Research at the Citadel of Cairo, XXIII, pp. 147-56)، ومن ثم، اقتنعت بأن هذين البرجين كانا يمثلان باب المحروق الحقيقي،

وهو ما أكدته عمليات الحفر التجريبية التي قامت بها اللجنة والتي كشفت عن أن هذه كانت بالفعل بوابة للمدينة، أى باب المحروق. وبالنظر فى الخريطة، نلاحظ انقسام درب الأحمر (٩٤) الى ثلاثة أفرع عند جامع قجماس الإسحاقى (٩٥) يمر الفرع الأوسط منها، وهو شارع أبو كلبة، من أمام جامع أصلم البهائى (٩٦) ؛ ولو كان امتد مسافة ٦٠ م أخرى ، لمر عبر محور هذه البوابة تماما. وكان الجزء الأخير منها قد بنى فى عهد البعثة الفرنسية وتم تجاوزه بعد تسوير البوابة بقليل.

واكتشف باتريكلو بقايا قاعدة البرج الشمالى لبوابة خامسة فى سنة ١٩٢٠ ، وقد يكون مجرد جزء من باب القنطرة.

باب القنطرة

اتخذت هذه البوابة اسمها من القنطرة التى بناها جوهر على الخليج الأعظم لربط المدينة بميناء المقس إبان زحف القرامطة فى شوال ٣٦٠ هـ (أغسطس ٩٧١ م، المقرئى، ج١، ص ٣٨٢). ويتضح من النبذة المدونة أسفل البوابة أن اسمها الأصلى كان «باب الرماحين». ونضيف أن القنطرة كانت قائمة فى ذلك المكان الى أن تم ردم الخليج فى أواخر القرن التاسع عشر. وكان كازانوفاً أيضاً هو الذى قام بجمع الفقرات التى تشير لدى المقرئى الى هذه البوابة (Citadelle, pp. 528-9). وقمنا بتغيير ترتيبها لإيضاح تتبعها المنطقى ومحتواها.

١- خط باب القنطرة

كان هذا الخط يعرف باسم «حارة المرتاحية» ثم «حارة الفرحية» ثم «الرماحين». وفيما بين الرماحين، الذى يعرف اليوم باسم «باب القوس» داخل باب القنطرة، وبين الخليج كانت هناك أرض فضاء لا عمارة فيها تمتد من باب الرماحين الى باب الخوخة وباب سعادة وباب الفرج (المقرئى، ج٢، ص ٢٤). والفرحية حسب رواية المقرئى هى نفسها سوقة أمير الجيوش (٩٧).

٢- يقع خط باب القنطرة بين حارة بهاء الدين وسوقة أمير الجيوش، وينتهى من قبله إلى خط بين السورين (ج٢، ص ٢٤).

٣- تؤدى سوقة أمير الجيوش الى باب القنطرة (ج٢، ص ١٠١). ويذكر أبو المحاسن أن اسم أمير الجيوش تم اختصاره الى «مرجوش» (طبعة جوينبول، ج٢، ص ٤٢٠). ونخلص من ذلك بالتالى الى أن باب القنطرة كان يقع عند المنطقة التى يمر عندها هذا الشارع الذى لا يزال موجوداً تحت الاسم الاخير بالخليج.

٤- وبالقرب من باب الفتوح، هناك طريق يؤدى الى حارة بهاء الدين وباب القنطرة (المقرئى، ج١، ص ٧-٨). وتقع هذه الحارة حسب رواية المقرئى (ج٢، ص ٢) بين باب الفتوح القديم والجديد، وبالتالى فهو يقع بين السور القديم والجديد. والحقيقة أن هناك شارعاً يسمى بين السيارج يتجه غرباً من الركن الغربى من جامع الحاكم حيث حددنا موقع باب الفتوح الأول وينعطف بزاوية يمنى عند طرفه الغربى ليلتقى بسوقة مرجوش عند النقطة التى اقترحناها كموقع لباب القنطرة.

وجد باتريكلو فى عمليات الحفر التى قام بها فى سنة ١٩٢٠ قاعدة البرج الشمالى لإحدى البوابات ولها واجهة نصف دائرية تشبه البرجين القائمين على جانبي باب الفتوح وباب زويلة. وعشر عليها عند الجانب الشمالى من نقطة التقاء الطريق بالخليج. ويتضح من تخطيط تلك البوابة أن الجزء الأمامى المنحنى كان مزخرفاً بحشوة غائرة. وهناك جزء سفلى من درج حلزونى يمكن رؤيته بالجزء الخلفى من البرج، والى الشمال منه،

على بعد حوالى ١,٥ م أسفل المستوى الحالى للأرضية، كان الجزء السفلى من جدار حجرى يتجه شمالاً بحذى شارع الخليج المصري، أى مسار الخليج القديم. ودار الجدل فى ذلك الوقت حول ما إذا كانت بقايا هذا الأثر تنتمى الى باب القنطرة الأول أو الثانى، إلا أن الخلاف يحسمه وجودها بين بين السورين والخليج، مما يعنى أنها كانت على مسار سور صلاح الدين، وبالتالى، فهى تمثل جزءاً من باب القنطرة الثانى، فى حين أن باب القنطرة الأول كان يقع على الجانب الآخر من بين السورين على الأرجح.

ويبدو أن باب القنطرة الأول ظل قائماً حتى عام ١٨٧٨، إذ يذكر على مبارك أن بداية هذا الشارع (رأس الشارع) أمام باب القنطرة كانت معقودة، وكانت تعرف باسم «باب القوس». وأمر قاسم باشا والى القاهرة بإزالتها فى سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) لأنها كانت آيلة للسقوط مع أنها كانت فى حالة جيدة. وكانت تضم نقشاً كوفياً عليها (الخطط الجديدة، ج٣، ص ٢٣). من ثم يمكن القول إن موقع خمس من البوابات اللاحقة تحدها البقايا التى تخلفت منها. ونحاول فيما يلى تحديد مواقع البوابات الخمس التى حلت هذه البوابات اللاحقة محلها.

باب زويلة الأول (٩٨)

إن موقع باب زويلة الأول يحدده ما يذكره كل من القلقشندى والمقرئى (٩٩) من أن هناك بعض الأجزاء الباقية منه كانت لاتزال قائمة قرب جامع سام بن نوح. يقول المقرئى:

«كان باب زويلة عندما وضع القائد جوهر القاهرة بابين متلاصقين بجوار المسجد المعروف اليوم بسام بن نوح فلما قدم المعز الى القاهرة دخل من أحدهما وهو الملاصق للمسجد الذى بقى منه الى اليوم عقد ويعرف بباب القوس فتيا من الناس به وصاروا يكثرئون الدخول والخروج منه وهجروا الباب المجاور له حتى جرى على الألسنة أن من مر به لا تقضى له حاجة وقد زال هذا الباب ولم يبق له أثر اليوم» (الخطط، ج١، ص ٣٨٠)

ويورد القلقشندى رواية مماثلة (ج٣، ص ٣٥٣). ويبدو أن القوسين كان المقصود منهما أن يخصص أحدهما للدخول والآخر للخروج.

ومن يدخل باب زويلة الحالى ويتقدم تاركاً جامع المؤيد (١٠٠) على يساره، يصل الى سبيل تركى متأخر (١٠١) (يسمى «مدرسة العقادين»). وعند أقرب ركن لباب زويلة، هناك باب صغير يؤدى الى مسجد سام بن نوح (وكان يعرف قبل ذلك باسم «جامع ابن البناء»، وكان قبل ذلك ديراً يسمى دير سام بن نوح، وقام الخليفة الحاكم بتحويله الى مسجد (١٠٢) (المقرئى، ج١، ص ٣٧٣، ج٢، ص ٣٢-٣٣). إلا أن البناء الحالى يعد حديث العهد، مما يدلنا على النقطة المحددة. لكننا نلاحظ سمة أخرى. فبحذى شارع المناخية المؤدى الى الجامع، هناك شارع آخر يسمى شارع المنجدين، ويفصله عن الشارع الأول صف نحيل من الدكاكين بطول ٤٠ م تقريباً ولا يزيد عرضه عن ٦ م. والأرجح أن هذين الشارعين المتوازيين المتجاورين كانا يمثلان محورى عقدي باب زويلة الأول. ويبدو أن هناك مربطين نشأ بين اتجاهى المرور وتحولاً فيما بعد شيئاً فشيئاً الى منشأتين دائمتين، وتحولت الأرض الى ملكية خاصة منزوعة من الشارع، وهو ما يحدث منذ قرون فى كل أنحاء القاهرة. لذا، يمكننا أن أحدد موقع باب زويلة الأول على الطرفين الشماليين من هذين الشارعين ويلا مسان الركن الجنوبي الغربى من مسجد سام بن نوح.

وتبلغ المسافة الفاصلة بين الجانب الجنوبي من هذا الجامع وباب زويلة الحالى حوالى ١٣٠م. بناء على ذلك فالأرجح أن الجدار الجنوبي الأصيل كان على بعد حوالى ١٣٠م داخل السور الحالى. واتخذ باب زويلة اسمه عن قبيلة من البربر كانت تحتل حياً من أحياء المهديّة. وكانت هذه القبيلة بمثابة فرقة بجيش جوهر؛ وحين تم بناء المدينة، تم تخصيص أحد أحيائها قرب هذه البوابة لسكنائهم (١٠٣).

باب الفتوح الأول

يقول المقرئى : « ... وبقي منه إلى يومنا هذا عقده وعضادته اليسرى وعليه أسطر من الكتابة بالكوفى وهو برأس حارة بهاء الدين من قبيلها دون جدار الجامع الحاكمى » (١٠٤) (جـ ١ ، ص ٣٨١) . وتم افتتاح هذا الجامع فى رمضان ٣٨٠هـ (٩٩٠م) . وكان يقع خارج أسوار ذلك العصر؛ وبالتالى، فلا بد أن السور الأول كان يجرى إلى الجنوب منه، ولا بد أن باب الفتوح الأول كان يقع قريباً من ركنه الغربى على ناصيتى شارع باب الفتوح الحالى.

باب النصر الأول

كانت هذه البوابة أيضاً تحتل موقعاً داخل باب النصر تماماً. يقول المقرئى :
١. « ... أحدهما باب النصر وموضعه بأول الرحبة التى قدام الجامع الحاكمى الآن وأدركت قطعة منه كانت قدام الركن الغربى من المدرسة القاصدية وما بين هذا المكان وباب النصر الآن مما زيد فى مقدار القاهرة بعد جوهر ... » (جـ ١ ، ص ٣٦١) ؛

(ولم يعد لهذه المدرسة وجود إلا أن هناك جامعاً يسمى جامع الشيخ قاصد يظهر فى تخطيط ناپليون لعام ١٧٩٨م. ولا يزال هناك ضريح صغير للشيخ قاصد (١٠٥) يقع حالياً على الجانب الشرقى من شارع باب النصر. ويبدو أنه كل ما تبقى من تلك المدرسة).

٢. وفى وصفه لأحد المتزهات (١٠٦) يسير شمالاً على طول ما يسمى حالياً بشارع الجمالية، يقول المقرئى : « ويجد على يسره وكالة الأمير قوصون (١٠٧) ثم يسلك من باب الوكالة ... وبعدها باب النصر القديم وأدركت فيه قطعة كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى وقد زال ويسلك منه إلى رحبة الجامع الحاكمى فيجد على يمينه المدرسة القاصدية وعلى يسره بابى الجامع الحاكمى وتجاه أحدهما الشارع المسلك فيه إلى حارة العبدانية وحارة العطوفية وغير ذلك » (جـ ١ ، ص ٣٧٧) . ويذكر القلقشندى تلك القطعة المتبقية من باب النصر القديم (أى الأول) والتى يحدد موقعها « بالقرب من وكالة قوصون » (جـ ٣ ، ص ٣٥٣) .
٣. « ... وأدركت قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى بحيث تكون الرحبة التى فيما بين المدرسة القاصدية وبين بابى جامع الحاكم القبليين خارج القاهرة » (جـ ١ ، ص ٣٨١) .

ويحدد هذا الوصف موقعه. فهذه الوكالة لا يفصلها عن الركن الجنوبى لجامع الحاكم إلا ٣٥م. لذا، فلا بد أن السور القديم كان يمر عبر هذه الفجوة وواجهته الأمامية تقع على مسافة من ١٢٥ إلى ١٤٠م من الواجهة الحالية.

باب القراطين الأول

عرفنا حتى الآن أن بوابات جوهر كانت أقرب من البوابات اللاحقة عليها ولكنها تدور على نفس المحاور،

أى أن البوابات اللاحقة كانت تفتح على نفس الطريق ولكنها أبعد منها. ومع ذلك، فإن هذا لا ينطبق على باب القراطين الأول، لأن سور جوهر لم يكن يمتد إلى الجنوب إلى هذا الحد. كما أن المقرئ يشير صراحة إلى أن هذه البوابات لم تكن «على ما هي عليه الآن ولا في مكانها عندما وضعها جوهر». (جـ ١، ص ٣٨٠). والآن إذا رسمنا خطاً إلى الشرق من جامع سام بن نوح بزوايا يمتد إلى الشارع الذي يمر خلال باب زويلة، فقد نقرب من خط سور جوهر. ويلاحظ أن هذا الخط يمكن رسمه بين نواصي عدد من الطرق المسدودة التي تنتهي عند أى من طرفيه. ولا يعبره سوى شارع متعرج واحد هو شارع حيضان الموصلى حيث يقع جامع سودون القصري (١٠٨). وكان هذا الشارع يصل إلى السور الشرقي الحالي (سور صلاح الدين) على مقربة من البرج المستدير الضخم ذي الباب السرى على كل من جانبيه. والسؤال التالي: ما هي حدود سور جوهر الشرقي داخل السور الحالي؟ وسنرى أن المسافة بينهما كانت ٥٠ ذراعاً (أى ٢٥ م) إلى الداخل. وإذا رسمنا خطاً يوازي السور الشرقي الحالي على مسافة ٢٥ م إلى الداخل، فإن النقطة التي يتصل عندها هذا الخط بالخط القادم من جامع سام بن نوح يعطينا ركن سور جوهر. واعتقد أن باب القراطين الأول يقع بالقرب من الركن. كما سنرى أن باب سعادة لا بد أنه كان يقع قريباً جداً من الركن الآخر المواجه له.

باب القنطرة الأول

من المرجح أن هذه البوابة سانت تفتح على سوق مروجوش؛ ولكن على مسافة إلى الداخل قبل النقطة التي يعبره عندها شارع بين الصورين. فقد رأينا فيما سبق أن هذا الشارع كان يمر بين سور جوهر وسور صلاح الدين. وينبغي الآن أن نناقش بقية البوابات، أى باب البرقية وباب سعادة وباب الفرع.

باب البرقية الأول والثاني

يصعب تحديد موقع باب البرقية من كتابات المقرئ، لأن الفصل الذي يخصه هذا المؤرخ لبوابات القاهرة يتوقف بعد العنوان الجانبى «باب البرقية» بقليل. ويضيف كازانوف أن هذه الفقرة ظلت مجهولة في كل مخطوطات المقرئ التي اطلع عليها بباريس، وأن عنوان «باب البرقية» مفقود في بعضها أيضاً (ترجمة كازانوف الإنجليزية، جـ ٤، ص ٩٧). إلا أن لدينا إشارة إليها في أوائل كتابه (١٠٩) حيث يقول: «وكان في الجهة الشرقية من القاهرة [وهى الجهة التى يسلك منها إلى الجبل] بابان أحدهما يعرف الآن بالباب المحروق والآخر يقال له باب البرقية وموضعهما دون مكانهما الآن ويقال لهذه الزيادة من هذه الجهة بين الصورين وأحد البابين القديمين موجود إلى الآن (أى فى عصره) أسكفته (اعتابه) ...» (١١٠). ولعله كان يقصد أن يقول إن الجزء السفلى كان مدفوناً تحت أكداش من الركام. وليست هناك بوابة بهذا الاسم حالياً. بل لم يرد لها ذكر على الخريطة التى رسمتها البعثة الفرنسية عام ١٧٩٨ لأن اسمها كان تغير. ويذكر الجبرتي أن الفرنسيين حاصروا باب البرقية المعروف بباب الغرب فى ١٩ ذى القعدة ١٢١٥ هـ (أبريل ١٨٠١ م، عجائب، جـ ٣، ص ١٥٤). ويذكر أيضاً أنهم سدوا باب البرقية المعروف بباب الغرب فى ٤ شوال ١٢١٨ هـ (يناير ١٨٠٤ م) وأنهم بدأوا فى سد هذه البوابة، إلا أنهم توقفوا عن العمل وتركوها كما كانت، لأن المراكب والجنائز كانت تمر خلالها (جـ ٣، ص ٢٧١). ويذكر فى موضع آخر أن عبدالرحمن كتحدا (١١١) بنى مسجداً قرب باب البرقية المعروف بباب الغرب وأضاف إليه صهريجاً وحوضاً وسقايًا ومكتباً ورتب فيه تدريسا (جـ ٢، ص ٦).

إذن، كان باب البرقية يعرف بباب الغريب. وإذا عدنا إلى خريطة البعثة الفرنسية، نجد هذا الاسم. وبالقرب منه جامع عبدالرحمن كتحدا الذى لا يزال قائماً على الجانب الأيسر من حارة يسمى «حارة الغريب». وتمر هذه الحارة بجبانة بنفس الاسم وتستمر حتى تصل إلى طريق يؤدي إلى مقابر الخلفاء (١١٢) على الحافة الخارجية للمنحنى الأيمن الذى يخترق به أكواما ضخمة من الركام.

وقبل حوالي ربع قرن، قام المرحوم على بك بهجت بعملية تنقيب محدودة على حافة الركام عند هذه النقطة، وعثر على قمة برج يحتمل أنه كان أحد برجين على جانبي هذه البوابة. ولكن بعد فترة وجيزة، انهارت واجهة المنحدر الذى تكون نتيجة لهذه الحفرة، فغطت قمة البرج وتوقف العمل للأسف. واستأنفت لجنة حفظ الآثار العربية عمليات التنقيب بناء على طلب منى فى هذه المنطقة فى شتاء ٤٢-١٩٤٣. وتم الكشف عن قمة البرج مرة أخرى وتم تنظيف الجزء الداخلى الذى كان يمكن الدخول إليه عن طريق درج من المجاز الدفاعي. ثم تم الكشف عن قمة طول جدار على كلا جانبيه بغرض معرفة ما إذا كان يجاوره برج آخر كما هو الحال فى كل بوابات بدر الجمالى وصلاح الدين (فيما عدا الباب المدرج فى القلعة)؛ إلا أنه لم يتم العثور على مثل هذا البرج.

يتضح من كل هذا ومن البناء الداخلى للبرج أن البرج الذى تم الكشف عنه كان على أحد جانبيين فقط، ولم يكن جزءاً من بوابة. وتم استئناف الحفر على الجانب الآخر من الطريق. وتم الكشف عن امتداد الجدار الواصل بين البرجين. ولكن لم يكن من الممكن الاستمرار لأكثر من عدة أمتار حيث يبدأ عند هذه النقطة كوم مرتفع من الركام، وكانت تكاليف عملية التطهير اللازمة باهظة. ومع ذلك، فإذا أخذنا فى اعتبارنا مكان جامع سيدى الغريب، يتأكد لنا أن طول هذا الجدار الواصل بين البرجين (ويحتمل أن يبلغ من ٧٠ إلى ٨٠م) لابد أنه كان ينتهى فى البوابة التى تم التنقيب عنها.

وبنظرة إلى الخريطة يتضح أن هذا البرج يقع على خط مستقيم من الجدار الممتد من البرج المستدير الضخم عند نهاية درب باب المحروق (البرج رقم ١٦ على خريطة القاهرة بمقياس ١ : ٥٠٠٠) وبرج الظفر؛ وبالتالي، فهو ينتمى إلى أعمال صلاح الدين. ولكن إلى أى حد كان باب البرقية الأول يتراجع إلى الوراء؟ ينبئنا المقرئى أنه حتى عام ٨٠٣هـ (١٤٠٠م)، كانت هناك قطعة ضخمة من سور جوهر المشيد من الطوب اللبن بين باب البرقية ودرب بطوط، وأن هذا السور كان يبعد ٥٠ ذراعاً (٢٥م) عن سور صلاح الدين (ج ١، ص ٣٧٧). وهنا يبرز السؤال: أين كان يقع درب بطوط؟ ولا نجد إجابة واضحة على هذا السؤال عند المقرئى. ولكن بعد أن أوشكت على التخلّى عن المشكلة يأمأ منها، توصلت إلى الإجابة. فقام أكمل مويرج بنشر صك وقفية لمدرسة ضريح السلطان قلاوون محفوظ بميونخ عام ١٩١٨ (Zweiägyptische Waqf-Urkunden, Le Monde Oriental, Uppsala, XII, p. 41) وتضم حدود الملكيات المختلفة التى تشكل جزءاً من الوقف. ويأخذى هذه الحجج، يذكر درب بطوط فى سياق الحديث عن سوق الغنم وباب المحروق. وهذا يكفي. فالأرجح أن ذلك الجزء من السور الذى رآه المقرئى كان يقع جنوب باب البرقية، أى بينه وبين الركن الجنوبي الشرقى من سور جوهر. وإذا رسمنا خطاً نقطياً موازياً لسور صلاح الدين، وعلى مسافة ٢٥م وراءه، ووضعنا باب البرقية عليه، فالأرجح أن موقع باب البرقية الثانى كان على نفس مستوى الموقع الذى حددناه.

باب الخوخة وباب سعادة

- نورد فيما يلى الفقرات التى يشير فيها المقرئ الى كل من باب سعادة وباب الخوخة:
١. «... وكان فى الجهة الغربية من القاهرة وهى المطلة على الخليج الكبير بابان أحدهما باب سعادة والآخر باب الفرج وباب ثالث يعرف بباب الخوخة أظنه حدث بعد جوهر» (جـ ١، ص ٣٦٢)؛
 ٢. «وكان فيما بين باب سعادة وباب الخوخة وباب الفرج وبين الخليج فضاء لابنيان فيه» جـ ١، ص ٣٦٤؛
 ٣. ويذكر كذلك أنه كان يمكن الوصول اليه من الشارع الرئيسى المتجه من الشمال الى الجنوب عن طريق سوق الحريريين وبئر زويلة والبندقانيين وسوقة الصاحب وحارة الوزيرية وباب سعادة (جـ ١، ص ٣٧٤)؛
 ٤. «... ومن جهتها الغربية ثلاثة أبواب باب القنطرة وباب الفرج وباب سعادة» (جـ ١، ص ٣٨٠)؛
 ٥. وفى حديثه عن الجهة الغربية من القاهرة، يقول: «... فإنها من سور القاهرة الذى فيه باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة» (جـ ٢، ص ١٠٩)؛
 ٦. جامع الفخرى (يعرف حالياً باسم جامع البنات) (١١٣) «بجوار دار الذهب التى عرفت بدار بهادر الأعسر المجاورة لقبو الذهب من خط بين السورين فيما بين الخوخة وباب سعادة» (جـ ٢، ص ٣٢٨)؛
 ٧. «دار الذهب : هذه الدار خارج القاهرة فيما بين باب الخوخة وباب سعادة» (جـ ٢، ص ٦٣)؛
 ٨. دار الذهب : وكان بجوار [منظرة] الغزالة دار الذهب وموضعها الآن على يسرة الخارج من باب الخوخة فيما بينه وبين باب سعادة وكانت مطلة على الخليج وفى مكانها اليوم دار تعرف ببهادر الأعسر وبقي منها عقد بجوار دار الأعسر يعرف الآن بقبو الذهب من خطة بين السورين» (جـ ١، ص ٤٧٠)؛
 ٩. «باب الخوخة: يسلك اليه من سوقة الصاحب ومن سوقة المسعودي» (جـ ٢، ص ٤٥)؛
 ١٠. «(بستان العدة) هذا المكان من جملة الأحكار التى فى غربى الخليج وهو بجوار قنطرة الخرق وبجوار حكر النوبى قريب من باب اللوق تجاه الدور المطلة على الخليج من شرقيه المقابلة لباب سعادة وحارة الوزيرية» (جـ ٢، ص ١١٩)؛
 ١١. «سوقة الصاحب يسلك اليها من خط البندقانيين ومن باب الخوخة» (جـ ٢، ص ١٠٤)؛
 ١٢. ويذكر السخاوى أن سوق القرب يقع داخل باب سعادة بالقرب من حارة الوزيرية (الضوء اللامع، جـ ٦، ص ١٧٦).
- كنت أظن أنه يمكن العثور على مزيد من المعلومات فى صكوك وقفيات جامع الفخرى المعروف حالياً باسم جامع البنات، وفى وقف جامع القاضى يحيى زين الدين (١١٤)، وكلاهما يقع فى الجزء الجنوبى من شارع بين السورين. فطلبت من حسن أفندى عبدالوهاب بلجنة الآثار العربية أن يبحث عنها فى المحكمة الشرعية. ووفق الرجل فى العثور على الصكوك الأخيرة تحت رقم ١١٠، ملف رقم ١٧، وتحدد فيها حدود الجامع كما يلى: (أ) «تشمل حدوده الشمالية (أى الشمالية الغربية) السبيل والكتّاب الذى يعلو باب الخوخة. وتنص الحجة على أن السبيل والكتّاب كان يقع على الطرف الجنوبى القبلى؛ (ب) حده الغربى (أى الجنوبى الغربى) هو الطريق الذى يخترق باب الخوخة.
- من ثم فإن باب الخوخة كان يلامس الجانب الجنوبى الغربى من جامع القاضى يحيى. ويتحدد الموقع

الدقيق لباب الخوخة، يتضح بالتالى أن باب سعادة الثانى كان فى مكان ما بين جامع البنات ونهاية السور الغربى.

باب سعادة الثانى

رأينا فيما سبق أن الفقرة (١٠) تتعلق ببستان العدة باعتباره يقع بالقرب من قنطرة الخرق (١١٥). ويتضح الجسر وهو يعبر الخليج (وتم ردمه فى سنة ١٩٠٠ تقريباً) على خريطة البعثة الفرنسية عند النقطة التى يعبره عندها غيط العدة ويتحول بعد ذلك الى شارع تحت الربع ويستمر حتى باب زويلة. ولعل «غيط العدة» يستمد اسمه من بستان العدة الذى يقع أمام باب سعادة حسب ما ورد بالفقرة. إذن لا بد أن باب سعادة كان قريباً جداً من القنطرة، أى بالقرب من قصر منصور باشا (١١٦) وإلى القاهرة فى ذلك الوقت. ويؤكد ذلك على مبارك بقوله : «وفى الجهة الغربية باب سعادة ومحله بجوار الحد القبلى لسراى الأمير منصور باشا بقرب جامع اسكندر» (١١٧) الذى هدم وصار محله الميدان الكائن أمام منزل الباشا المذكور وكان هذا الباب على رأس زقاق هدم ضمن ماهد من الأبنية فى إنشاء الميدان المذكور. وكان هذا الزقاق من درب سعادة (الخطط الجديدة، ج١، ص٦).

وإذا نظرنا الى خريطة ١٧٩٨، نلاحظ أن درب سعادة لم يكن يستمر حتى شارع تحت الربع؛ بل كان ينحرف بحدة غرباً على خط يتفق مع الواجهة الحالية لقصر منصور باشا ليلتقى بشارع بين السورين عند نقطة تبعد حوالى ٣٠ م من الخليج.

ويذكر على مبارك فيما بعد أن باب درب سعادة القديم كان يقع على جانب من قبر «ست سعادة»، وأنه كان معقوداً بالحجارة وكان باباً ضخماً يضم فى داخله حماماً يسمى «حمام درب سعادة»، وفى مواجهته سبيل. واندثرت كل هذه المباني مع تكية الوزير اسكندر باشا وجامعه وسبيله وما الى ذلك، وأنه تم إنشاؤه فى سنة ٩٦٣ (١٥٥٥م) حين تم تخطيط الميدان (الخطط الجديدة، ج١، ص٦). وأعتقد أن هذا هو موقع باب سعادة الثانى. وفى غرفة تحتل ركناً من القصر ليس له سوى باب واحد يفتح على الشارع مباشرة، نجد قبراً يقال له «ست سعادة» وعادة ما نجد بجواره امرأة أو امرأتين تؤديان الصلاة.

وهكذا، فالأرجح أن السور الجنوبى الثانى كان يستمر حتى هذه النقطة ثم ينحرف شرقاً ليمر بين شارع تحت الربع وحارة الجداوى. وهذا هو السبب فى رأى فى عدم وجود فتحة واحدة على الجانب الشمالى للشارع أو على الجانب الجنوبى من الحارة.

باب سعادة الأول

أما باب سعادة الأول، فإن كازانوف (١١٨) يحدد موقعه بالقرب من الطرف الجنوبى للسور الغربى الأول بناء على رواية المقرئى (ج١، ص٣٨٣) بأنه اتخذ اسمه من سعادة بن حيان الذى جاء من بلاد المغرب بعد أن بنى جوهر القاهرة وأقام بالجيزة وذهب جوهر للقاءه. ونتيجة لهذا اللقاء، دخل القاهرة عبر هذه البوابة فى رجب ٣٦٠ (مايو ٩٧١م). ويستنتج كازانوف أنه لا بد وقد عبر الى القسطنطينية على جسر القوارب ثم اتخذ طريقه الى القاهرة من الجنوب ودخل من خلال باب سعادة الذى نعرف أنه كان فى الناحية الغربية. ويخلص من ذلك أنه كان قريباً جداً من الطرف الجنوبى لتلك الناحية.

وعلينا الآن أن نحدد موقع هذه الزاوية من سور جوهر. فإذا تخيلنا خطاً وهمياً يتجه غرباً من باب زويلة الأول بمحاذاة مسجد سام بن نوح، نجد إلى الشمال من هذا الخط الوهمي عدداً لا حصر له من الشوارع الضيقة ينتهي كل منها بزقاق مسدود. فلماذا كانت هذه الأزقة الملتوية كلها مسدودة بهذه الصورة؟ أعتقد أنها كانت تنتهي عند سور جوهر الذي كان يمر إلى جنوبها مباشرة، وأن تخطيط الشارع ظل باقياً إلى يومنا هذا. وإلى الجنوب مباشرة من هذا الخط الوهمي، نجد شارعاً يسمى الجزء الغربي منه «سكة النبوية» (١١٩) والجزء الشرقي «شارع الأشرقية». ولا نجد فتحة واحدة على الجانب الشمالي من هذا الشارع، مما قد يعزى إلى أن سور جوهر كان قريباً منه. وإن صح تصوري هذا فلا بد أن السور الجنوبي الأول كان يتصل بالسور الغربي الذي كان يجرى شرقاً من بين السورين قرب الجانب الشمالي من المحكمة المصرية الحالية؛ وبالتالي، فإنني أحدد مكان باب سعادة الأول في هذا الموضع.

باب الفرع الثاني

رأينا أن هذه البوابة ورد ذكرها في الفقرات ١، ٢، ٤ التي سبق الاستشهاد بها. ونضيف إليها ما يلي:

١. «ربع السلطان خارج باب زويلة فيما بين باب زويلة وباب الفرع ويعرف ذلك الخط اليوم به فيعرف خط تحت الربع» (١٢٠) (جـ ٢، ص ٣٧٩). ولا يزال شارع تحت الربع (١٢١) موجوداً حتى الآن.

٢. «وفي نصف جمادى الآخرة سنة ثمانى عشرة وثمانمائة ابتدئ بهدم السور الحجر فيما بين باب زويلة الكبير وباب الفرع عندما هدم الملك المؤيد شيخ الدور ليبنى جامعاً فوجد عرض السور في الأماكن نحو العشرة أذرع» (جـ ١، ص ٣٧٩).

كان باب الفرع حسب رواية المقرئى يقع على الجانب الغربي في مواجهة الخليج؛ إلا أن على مبارك (جـ ٥، ص ١٢٥) قام بنشر وثيقة هي صك وقفية حمّام السلطان المؤيد عام ٨٢٣-٨٢٤ هـ (١٤٢١-١٤٢٢ م)، ثم جامعته الذي حدد حدوده بما يلي:

قبلى (= جنوب شرق) بئر الساقية الخاص بالجامع.

شرقى (= شمال شرق) على الطريق (أى شارع الأشرقية) المؤدى إلى باب الفرع وفيه الباب (أى باب الحمّام وهو فسحة بين عمودين ولها طاقة مقرنصة بزاوية داخلية من الشارع) وثلاثة دكاكين وحوض ماء.

بحرى (= شمال غرب) باب الفرع.

غربى (= جنوب غرب) ربع الظاهر (أى ربع السلطان بيبس الأول)

وهو ما يتناقض تماماً مع ما يذكره المقرئى، إلا أن هذه وثيقة قانونية لا مجال لتكذيبها. وحين نتمعن النظر في الموقع نجد أن زاوية الشيخ فرج تقع على مسافة ١٦ م غرب الحمّام. كما أننا إذا تفحصنا القطعة الصغيرة من الجدار السائر والتي لا تزال نائمة [بارزة] من الناحية الغربية من باب زويلة، نجد أنها توازي الواجهة الجنوبية الغربية لجامع المؤيد وعلى بعد ٨,٥ م خلفها. وإذا مددنا خطاً موازياً للواجهة الجنوبية الغربية وإلى الخلف منها بمسافة ٨,٥ م، نجد أنها تستمر حتى تصل إلى الزاوية الصغيرة. والنتيجة المحتملة هي أن باب الفرع يحتل تقريباً موقع الزاوية. ولما كانت بوابات المدن في الشرق غالباً ما تضم أولياء مغمورين تحتها، فإنني أعتقد أن باب الفرع كان تحت أحد الأولياء، وأن البوابة حين تمت إزالتها بقي الولي وأعيد بناء مشواه فيما بعد وربما لعدة مرات.

تخطيط النصف الشرقي من السور الجنوبي لبدر الجمالى

من المرجح أن باب الفرع الثاني كان من أعمال صلاح الدين وليس بدر الجمالى. فنحن نعلم صراحة أن

كلاً من المعمارين المسيحيين (١٢٢) الثلاثة الذين قدموا من الرها قام ببناء بوابة، أى باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة. أما باب الفرّج، فلم يرد ذكره بينها، وبالتالي يجب أن نستنتج أن سور بدر الذى يمتد غرباً من باب زويلة كان ينحرف بزاوية حادة نحو الشمال ليصل الى الموضع الذى احتله فيما بعد باب الفرّج الثانى ويتصل بسور جوهر الى الشرق من باب الفرّج الأول. بعبارة أخرى، إن الامتداد الذى نفذه بدر على الجانب الجنوبي من القاهرة لم يكن يمثل إضافة متحدة الشكل بعمق ١٣٠ م من طرف الى الطرف الآخر. لكن الأرجح أنه كان يشكل بروزاً يمتد لجزء واحد من الجانب الجنوبي، تماماً كما هو الحال بالنسبة للامتداد على الجانب الشمالي.

ولكن كيف كان امتداد هذه القطعة المتبقية من سورهِ والتي تبلغ ٧٥ م والكائنة خلف البيوت على الجانب الشمالي من درب الأحمر؟ من واقع تجرّبتنا مع النصف الغربى من السورين الجنوبيين، قمنا برسم خط وهمى بين شارع حيضان الموصلى وشبكة من الأزقة المسدودة قرب كنيسة مار مرقس. ولا يمر هذا الصف بأى شارع غير حارة الروم. وفى هذه النقطة، يبدو أنه كانت هناك بوابة خلفية، إذ يذكر المقرئى (ج١، ص ٣٧٣) خوخة حارة الروم البرانية (١٢٣) (أى خارج سور جوهر).

مواد البناء

يذكر المقرئى أن بعض قطع سور جوهر كانت لاتزال قائمة فى عصره، ويضيف أن آخر قطعة بقيت تعرضت للدمار عام ٨٠٣ هـ (١٤٠٠/١٤٠١ م). وكانت مبنية من الطوب اللبن، وحجم كل طوب \approx ذراع (ج١، ص ٣٧٧).

رأينا أن المقرئى شاهد بضع سطور من النقوش الكوفية على العضادة اليسرى (الغربية) من باب الفتوح الأول، وأن على مبارك يقول إنه كانت هناك نقوش كوفية ظاهرة على باب القنطرة الأول (باب القوس) قبل هدمه فى سنة ١٨٧٨ (ويتضح بالتالى أن البوابات لا يمكن أن تكون من طوب لبن كالأسوار. وما كان من الممكن لها إلا أن تكون من الطوب الأحمر أو الحجارة. والمرجح أن تكون من حجارة لأن بعضاً من بوابات القصر كانت كذلك). ثم يذكر المقرئى تحت عنوان جانبى «السور الثانى» أن بدر الجمالى شيد الأسوار من الطوب اللبن والبوابات من الحجارة وأنه بدءاً من منتصف جمادى الثانية ٨١٨ هـ (١٤١٤ م) بدأ هدم السور الحجرى (سور بدر) بين باب زويلة الكبير وباب الفرّج (ج١، ص ٣٧٩). ولاتنطبق عبارته الأولى على سور بدر الذى بنى من حجارة كما سنرى (الباب العاشر). كما أنها تتناقض مع نص العبارة التالية لها مباشرة. وأعتقد أنها تشير الى سور جوهر وأن العبارة نُقلت مصادفة عن مصدر آخر بما عرف عن المقرئى من أساليب «القص واللصق» فى كتاباته.

بوابة حديدية منقولة من الفسطاط

يرى رايتماير أن العرب بعد أن بنوا مدناً جديدة فى العراق كانوا مولعين بنقل بوابات المدن القديمة اليها. فنقلوا على سبيل المثال بوابة مدينة زنداورد الفارسية القديمة الى مدينة واسط؛ ثم نقلوها فيما بعد من واسط الى بغداد بعد بنائها بفترة وجيزة (الطبرى، ج٣، ص ٣٢١). وحين بنى جوهر القاهرة، نقل اليها بوابة حديدية من دار الامارة بالفسطاط. إلا أننا لانعلم أين أقامها على وجه اليقين. ويقتصر القلقشندى (ج٣،

ص ٣٣٦) على ذكر أنه نقلها الى القصر. ويفترض أن هذه البوابة هي التي أشار اليها مجير الدين بقوله ان السلطان بيبرس أنشأ خاناً بالقدس في سنة ٦٦٢ (١٢٦٣ م) ونقل اليها بوابة قصر الخلفاء الفاطميين بالقاهرة (١٢٤) (ص ٤٣٤). ولعله كان يهدف الى محاكاة المهديّة التي كان لها بوابتان مصنوعتان من حديد كما يقول البكري. ولعل أوضح مثال على هذا العرف أن عمورية حين فتحها الخليفة المعتصم في سنة ٢٢٣ هـ (٨٣٨ م) بعد حصار دام ٥٥ يوماً تعرضت للدمار ونقلت بوابتها الى سامراء. وبعد الجلاء عن سامراء، تم نقلها الى الرقة (ابن الشحنة، طبعة سر كيس، ص ٤٠). ولكن في عام ٣٥٣ هـ (٩٦٤ م)، تم ترميمه لباب نقلها الى القرامطة على يد سيف الدولة بغرض الوفاء بحاجتهم الى الحديد (ابن الشحنة، ص ٤١). ثم نعلم أنه تم استخدامها من جانب الملك الناصر يوسف عام ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) في حلب في ترميمه لباب قنشرين. وعندما استولى المغول على حلب عام ١٢٥٨ م، كانت أول ما تم تدميره. ولكن حين استعاد بيبرس المدينة من أيديهم، قام بإزالة الصفائح الحديدية منها ونقلها بمساميرها الكبيرة الى دمشق ثم الى مصر (ابن الشحنة، ص ٤١).

الخندق

رأينا أن موقع القاهرة تم اختياره بهدف صريح هو تغطية مداخل المدن الثلاث الفسطاط والعسكر والقطائع وحمايتها من غارات القرامطة الذين كانوا يهددون الفسطاط. ومن بنود هذه الخطة-أى حماية المدن- أمر جوهر بحفر خندق واسع عمقه عشرة أذرع وكذلك عرضه. وكان الخندق يتجه غرباً من المقطم الى منية الأصبع (١٢٥). وتم البدء فى حفره فى شعبان ٣٦٠ هـ (يونية ٩٧١ م) وانتهى العمل فيه على وجه السرعة (Kay, p. 230). ويسجل التاريخ غارتين بعد ذلك بقليل؛ الأولى فى ربيع الأول ٣٦١ هـ (ديسمبر ٩٧١ م) والأخرى فى سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٤ م). وتم عبور الخندق فى المرة الثانية، إلا أن القاهرة ظلت صامدة أمامهم (Quatremere, Vie du Khalife Moëz, III, pp. 88, 177-80).

القصر الشرقى أو القصر الفاطمى الكبير (١٢٦)

يعود الفضل الى الأبحاث الطبوغرافية الشاقة التى قام رافيس على ضوء خطط المقريزى فى الوقوف على حدود القصر الشرقى وتخطيط واجهاته الرئيسية. وليس من المحتمل تعديل هذه المعلومات فى أية دراسة جديدة. وتظهر نتيجة أبحاث رافيس باللون الأحمر على خريطة آثار القاهرة لعام ١٩٢٥. ومع أن بعضاً من البوابات التى كانت لانزال قائمة فى بدايات القرن الخامس عشر شاهدها المقريزى، إلا أنه لم يتم العثور على أى جزء من أجزاء القصر فى العصور الحديثة. وحتى رافيس يبدو وقد تخلى عن إعادة تصور بنائه وهو ما كان يزعم القيام به. ولا غرابة فى ذلك، حيث لا نجد أية معلومات معمارية عنه لدى المقريزى أو لدى غيره من المؤرخين. وكل ما نعرفه هو أن القصر كان قائماً فى وسط السور المحيط بالقاهرة وحوله الخلاء ولا تتصل به المبانى حسب قول ناصر خسرو (١٢٧):

«حين ينظر المرء من خارج المدينة، يرى قصر السلطان (أى الخليفة) قائماً كالطود فى عدد منشآت وارتفاعها. أما من داخل المدينة فلا يمكن رؤية أى جزء منه بسبب علو أسواره واستحكاماته» (١٢٨) (سفرنامه، ط شيفر، ص ٤٣).

ويقول ناصر خسرو في موضع آخر:

«يتكون هذا القصر من اثني عشر جناحاً وتضم أسواره عشر بوابات. وعددت فيما يلي تلك التي كانت على مستوى الأرض منها واستبعدت تلك التي كانت تحت مستوى سطح الأرض، وهي باب الذهب، باب البحر، باب السيرج، باب الزهومة، باب السلام، باب الزبرجد، باب العيد، باب الفتوح، باب الزلافة، باب السرية ... وشيدت أسوار هذه الأجنحة من الحجر المنحوت، وحجارتها شديدة التلاصق لدرجة يتصور المرء معها أنها قدت من صخرة واحدة ... وتحت مستوى سطح الأرض نجد باباً يخرج السلطان منه على ظهر جواده» (١٢٩) (سفرنامه، ٤٤).

ويقول في موضع آخر:

«بنى قصر آخر خارج المدينة (لعله القصر الغربي أو القصر الصغير الذي بناه الخليفة العزيز، كرزويل) يؤدي إليه هذا المجاز. وتتميز مبانيه وألوانه بالارتفاع الشاهق من خارجها. وتضم في دهاليزها الدكاكين (١٣٠) (٢). وفي موضع آخر، يقدم ناصر خسرو مزيداً من التفاصيل عن القصر الشرقي فيقول: «... كان يضم اثني عشر قصراً أحدها يجاور الآخر، وجميعها متماثلة في شكلها. كان كل قصر دخلته أجمل من سابقه. وكل منها يفتش مساحة مئة ذراع مربع، فيما عدا آخرها وكان يقع على ستين ذراعاً فقط. وكان هذا القصر الأخير يحتوى على عرش يشغل عرض القاعة بالكامل. وتقع مطابخ السلطان خارج القصر ويقوم عليها خمسون خادماً يعملون ليل نهار. وهناك مجاز تحت مستوى سطح الأرض يؤدي من القصور إلى المطابخ» (١٣١) (سفرنامه، ٥٤).

وبعد ١٢٠ سنة، استقبل الخليفة الفاطمي العاضد رسولين من قبل الصليبيين عام ١١٦٧م، إلا أن كل ما نعرفه منهما عن هذا القصر هو أنهما سلكا عدة أفنية إلى أن وصلا إلى حجرة العرش حيث كان الخليفة جالساً وراء ستار ثقيل. وعندما أزيح الستار، ظهر الخليفة جالساً على عرش من ذهب (١٣٢) (لم يرد ذكره لدى ناصر خسرو) (١٣٣)، إلا أن المقرئى ولحسن الطالع يقدم لنا معلومات معمارية موجزة عن أربع من بوابات القصر، اثنتان منها (باب الريح وباب العيد) كانتا لا تزالان قائمتين (١٣٤) في عصره؛ والأخريان (باب الذهب وباب البحر) يبدو أنه وجد معلومات عنهما في بعض المصادر التي لم يذكرها (١٣٤). وهذه هي معلومات المقرئى:

«... باب الذهب الذي موضعه الآن محراب المدرسة الظاهرية التي أنشأها الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وكان يملو عقد باب الذهب منظره يشرف الخليفة فيها من طاقات في أوقات معروفة» (١٣٥) (الخطط، ج ١، ص ٣٦٢).

«... باب الريح وقد أدركنا منه عضادته وأسكفته وعليها أسطر بالقلم الكوفي وجميع ذلك مبنى بالحجر إلى أن هدمه الأمير الوزير المشير جمال الدين يوسف الأستاد» (١٣٦) (الخطط، ج ١، ص ٣٦٢، وتمت هذه الإزالة عام ٨١١هـ/١٤٠٨م).

ويذكر في موضع آخر أن الدهليز كان طويلاً وبالتالي كان معتماً تماماً:

«... باب العيد وهو عقد محكم البناء ويعلوه قبة قد عملت مسجداً» (١٣٧) (ج ١، ص ٤٣٥).

أما باب البحر (١٣٨) الذي كان يدعمه صف من الأعمدة، فسمى «دهليز العمود» (١٣٩) (الخطط، ج ١، ص ٣٨٦). وتم بناؤه في عهد الحاكم (٩٦٦-١٠٢١م).

نستنتج من ذلك أن: (أ) واحدة على الأقل من هذه البوابات (وهي باب الريح) كانت بنيت كلها من الحجارة (وسبق أن استنتجنا أن جوهر كان بنى بعضاً من بوابات المدينة بالحجارة) مع أن أسوار المدينة كانت مشيدة بالطوب اللبن، والجامع الأزهر بالطوب المحروق؛ (ب) إحدى البوابات كانت لها قبة أو ربما حجرة معقودة تعلوها على غرار بوابات بغداد التي أنشأها المنصور في سنة ١٤٧هـ (٧٦٥م)؛ (ج) بوابة أخرى من هذه البوابات (هي باب الذهب) كانت بها حجرة (يطلق عليها المقرئ اسم «منظرة» تعلوها، وكان الخليفة يطل منها في مناسبات خاصة؛ (د) إحدى البوابات (باب البحر) كانت تحتوى على دهليز معقود يرتكز على أعمدة؛ (هـ) إحدى البوابات كانت تشتمل على ممر عرضه عشرة أذرع (٥م تقريباً) لكنه شديد الطول (٣٥م) [نحو ٣٢م]، وبالتالي، كان شديد العمق، مما يذكرنا بالسقيفة الكحلة [المظلة أو المعتمة] بالمهدية؛ (و) إحدى هذه البوابات (باب الريح) كانت عليها نقوش كوفية.

المصادر والمراجع

- | | |
|--|----------------|
| ناصر خسرو، ط شيفر، ص ٤٢-٤٤ | ١٠٤٥ |
| المكيني، ط ايرينيوس، ص ٢٢٧ | ١٢٠٤ (مولده) |
| ابن حماد، ط فوندرهايدن، ص ٤٠-٤٦ | ١٢٢٠ |
| ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٤٢ | ١٢٢٥ |
| ابن خلكان، وفیات الأعيان، ج ١، ص ١٦٦-١٦٩، ج ٢، ص ١٤٩-١٥١ | ١٢٧٤ |
| الدمشقي، ص ٢٣٠ | ١٣٠٠ (تقريباً) |
| ابن عذاري، ج ١، ص ٢٢٩ | ١٣٠٦ |
| أبو الفداء، التقويم، ص ١٠٨ | ١٣٢١ |
| أبو الفداء، تاريخ، ط رابسكه، ج ٢، ص ٤٩٨-٥٠١ | ١٣٢٩ |
| ابن دقماق، ج ٥، ص ٣٥-٣٧ | ١٣٩٩ قبل |
| الدميري، حياة الحيوان | ١٤٠٥ |
| المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٣٥٩-٣٦٤ | ١٤١٢ |
| 1457 ANON. Gotha Ms. 1628-9 | |
| أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ط جوينبولز، ج ٢، ص ٣٦٣ | ١٤٦٩ |
| السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٥ | ١٥٢٢ |
| 1672 VANSLEB (F), Nouvelle relations d'un voyage fait en Égypte, pp. 117-19. | |
| 1730 TOURTECHOT DE GRANGER, Relations du voyage fait en Égypte, p. 135. | |
| 1747-51 FOURMONT, Description des plaines d'Heliopolis et de Memphis, p. 16. | |
| 1837 QUATREMERIE, Vie du Khalife Fatimite Moëzz. Journal Asiatique, 3me Sér., t. III, pp. 44-50. | |
| 1843 WILKINSON (Sir Gardner), Modern Egypt and Thebes, I, pp. 224-5. | |
| 1848 MARCEL, Égypte, pp. 98-101. | |
| 1849 CURZON (Robert), Visits to Monasteries in the Levant, pp. 24-5. | |

- 1851 POOLE, (Mrs. S.), *The English woman in Egypt*, I, p. 135.
- 1858 DE MARLÉS, Firmin, *ou le jeune voaygeur en Égypte*, pp. 231-2.
- 1880 BOZONNET, *Égypte, Souvenirs de voyage*, pp. 70-1.
- CHARMES (G), *Cinq mois au Caire*, pp. 54-6.
- 1882 KAY, (H. C.), *Al-Kahira and its Gates*, J.R.A.S., 1882, pp. 229-45.
- 1883 VAUJANY (H. de), *Le Caire*, pp. 97-102.
- 1887-90 RAVAISSE (Paul), *Essai sur l'histoire et sur la topographie du Caire*. M.M.A.F.C., I, p. 412.
- ١٨٨٩-٨٨ على مبارك، الخطط الجديدة، ج١، ص١٥، ج٢، ص٩٧.
- 1891 ABBATE (W.), *Les Origines du Caire*. B.I.É., 3me Sér., No. 1, pp. 16-18.
- BERCHEM (M. van), *Notes d'archeologie arabe*. Hournal Asiatique, 8me Sér., t. XVII, pp. 443-5.
- 1894 CASANOVA (P.), *Histoire et description de la Citadelle du Caire*. M.I.F.A.O., VI, pp. 525-34.
- 1896 LANE (E.W.), *Cairo Fifty Years Ago*, pp. 22-9.
- 1898 LANE-POOLE (S.), *Saladin*, pp. 112-15.
- 1901 LANE-POOLE (S.), *A History of Egypt in the Middle Ages*, pp. 101-3.
- 1902 LANE-POOLE (S.), *The Story of Cairo (Medieval Towns Series)*, pp. 117-32.
- 1912 REITMEYER (E.), *Beschreibung Ägyptens im Mittelalter*, pp. 185-93.
- 1912 REITMEYER (E.), *Die Städtegrundungen der Araber im Islam*, pp. 112-15.
- BECKER (C. H.), art. *Cairo*, in the *Encyclopedia of Islam*, I, pp. 821-3.
- 1913 AHMED ZEKY PASHA, *Les nouveaux égouts du Caire et les passages souterrain des Khalifes Fatimites*. B.I.É., 5me Sér., t. VI, pp. 1-10.
- TODD (J.A.), in E. du Cane, *Banks of the Nile*, pp. 55-6.
- 1922 HASWELL (C.J.R.), *Cairo: Origin and Development*. Bull. de la Soc. Roy. de Géographie, XI, pp. 171-6.
- 1923 O'LEARY (de Lacy), *A Short History of the Fatimid Khalifate*, pp. 102-5.
- 1926 RICHMOND (E.T.), *Moslem Architecture*, pp. 76-7.
- 1927 MIGEON (G.), *Manuel d'Art musulman*. II.
- 1933 CRESWELL (K.A.S.), *The Foundation of Cairo*. Bulletin of the Faculty of Letters (Egyptian University), I, pp. 258-81.
- ١٩٣٤ محمود أحمد. تأسيس القاهرة، الهندسة. ص١٤، ٣٢٢-٣٣٥.

الفصل الرابع الجامع الأزهر

اشتق اسم الأزهر (١٤٠) من «الزهراء» وهو لقب فاطمة بنت النبي والتي يدعى الخلفاء الفاطميون أنهم ينحدرون من نسلها، مما حدى بالبعض الى افتراض أن اسم الجامع تم اختياره إكراماً لها (١٤١). إلا أن هذا الاحتمال الذى يفنده رافيس (Essai, M.M.A.D.C., III, p. 86) ويؤيده فولرز (art. Al-Azhar, Encyclopedia of Islam, I, p. 532) لا نجد له ما يؤيده فى أى مصدر عربى.

تاريخ الجامع (١٤٢)

بناؤه

يقول مفضل بن أبى الفضائل (١٤٣) (١٣٥٨ م) ان الجامع الأزهر كان أول جامع يتم انشاؤه لأهالى القاهرة وإن جوهر القائد بناء عندما إختط القاهرة وانتهى من بنائها؛ ويذكر أن صلاة الجمعة أقيمت لأول مرة به فى رمضان ٣٦١هـ (١٦ يونيو-١٥ يوليو ٩٧٢ م). وكان جوهر بنا القاهرة فى سنة ٣٥٨هـ. إلا أن رواية المقرئى التى ترجع الى تاريخ لاحق على هذه الرواية بسبعين عاماً، فتعد أكثر اكتمالاً، حيث يقول:

«هذا الجامع أول مسجد أسس بالقاهرة والذي أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلى مولى الإمام أبى تميم معد الخليفة أمير المؤمنين المعز لدين الله لما إختط القاهرة وشرع فى بناء هذا الجامع فى يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلاثمائة وجمع فيه وكتب بدائر القبة ... مما أمر بينائه عبدالله ووليه أبو تميم ... على يد عبده جوهر الصقلى وذلك فى سنة ستين وثلاثمائة. وأول جمعة جمعت فيه فى شهر رمضان لسبع خلون منه سنة إحدى وستين وثلاثمائة» (الخطط، ج-٢، ص ٢٧٣).

معنى ذلك أنه كانت هناك قبة فى الركن الأيمن الخلقى من حرم الجامع وقبة أخرى بالطبع فى الركن الأيسر الخلقى كذلك بفرض التماثل، كما هو الحال فى جامع الحاكم. يقول المقرئى إنه كانت هناك منطقة من فضاء فى صدر الجامع فى محرابه (١٤٤)، كما هو الحال فى محراب جامع عمرو، وكانت تسزن خمسة آلاف درهم نقرة. (الخطط، ج-٢، ص ٢٧٥).

تحول الجامع الى مدرسة

يقول مفضل بن أبى الفضائل إنه فى عام ٣٧٨هـ (٢١ ابريل ٩٨٨ - ١٠ ابريل ٩٨٩ م) ناقش الوزير أبو الفرج الذى كان يسمى يعقوب بن كلس مع الخليفة (العزیز) مسألة إجراء رواتب منتظمة لبعض الفقهاء، فأمر الخليفة لكل منهم بمبلغ يكفى لسد حاجته وأنه ابتاع لهم داراً بجوار الجامع، وكانوا يحضرون فى يوم الجمعة ويعقدون حلقات للدرس به، وكان كبيرهم يسمى أبى يعقوب (طبعة بلوشيه، ج-١٢، ص ٥٠٠؛ ويضيف المقرئى، ج-٢، ص ٢٧٣ أنهم كانوا خمسة وثلاثين فقيهاً).

ويفترض البعض أن هذا كان معناه إدخال تعديلات معمارية ومنهم فلورى (Flury, Die Ornamente وريتشموند (Richmond, Moslem Architecture, 81 وغيرهما. ولكن لاحاجة الى مثل هذه الافتراضات؛ لأن

حلقات الدرس كانت تعقد بالجامع، وخاصة في الحرم حيث يحتفى الطلاب والمعلمون من الشمس والمطر تماماً، كما هو الحال اليوم بالأزهر، الى أن تم بناء مبنى خاص حيث يجلس كل شيخ الى جوار عمود أو على دكة أمام عمود ويحاضر لحقة من الطلاب. ونجد وصفاً كاملاً لهذا المشهد لدى ابن خلدون حيث يخبرنا أن طالبين من طلاب الامام الشافعى وهما محمد بن عبدالحكم والبويطى تنازعا حول شرف خلافته فى الأستاذية بجامع عمرو^(١٤٥). ويذكر أن محمد بن عبدالحكم غضب وغادر المكان الذى اعتاد الشافعى على التدريس به، واتخذ لنفسه موضعاً تحت الطاق الذى كان يعقد فيه حلقات الدرس (ابن خلدون، جـ ٢، ص ٥١٦). كما يذكر المفضل بن أبى الفضائل أن العزيز أجرى بعض التجديدات فى الجامع وقام بترميم بعض أجزائه (طبعة بلوشيه، جـ ١٢، ص ٥٠٠) وأن الجامع كان قد بنى منخفضاً وتم رفع سقفه مسافة ذراع^(١٤٦) (جـ ١٢، ص ٥٠١).

الحاكم يحظر الخطبة (١٤٧)

يقول مفضل إن خطبة الجمعة كانت تلقى بالأزهر الى أن تم بناء جامع الحاكم فى سنة ٤٠٣ هـ ثم بدأت الترتيبات الجديدة. ويقول إنه رأى فى سيرة الحاكم^(١٤٨) كيف أقيمت صلاة الجمعة بمسجد الحاكم الجديد فى يوم الجمعة التاسع من رمضان ٣٩٩ هـ (٧ مايو ١٠٠٩ م) وإن الخليفة اعتاد بعد ذلك على إلقاء خطبة الجمعة فيه مرة وفى الجامع الأزهر مرة، وفى جامع ابن طولون مرة ثالثة وفى جامع مصر (أى جامع عمرو) مرة رابعة، ثم تم حظر إلقاء الخطبة بالجامع الأزهر فيما بعد (ص ٥٠١، ٥٠٢، وانظر القلقشندي، جـ ٣، ص ٣٦٤). كما أمد الحاكم (٣٨٦-٤١١ هـ / ٩٩٦-١٠٢٠ م) الجامع بباب خشبى محفور من خشب الصنوبر التركى فى سنة ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م)، وهو محفوظ حالياً بمتحف الفن العربى^(١٤٩) (لوحة ١١٨ جـ).

أعمال المستنصر والحافظ والأمير

يقول المقرئ:

ثم إن المستنصر (٤٢٧-٤٨٧ هـ / ١٠٣٥-١٠٩٤ م) جدد هذا الجامع أيضاً وجده الحافظ لدين الله

(٥٢٤-٥٤٤ هـ / ١١٣٠-١١٤٩ م) وأنشأ فيه مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربى الذى فى مقدم الجامع

بداخل الرواق عرفت بمقصورة فاطمة (جـ ٢، ص ٢٧٥)

وفى عام ٥١٩ هـ (١١٢٥-١١٢٦ م)، أهدى الخليفة الأمر محراباً خشبياً للجامع وهو محفوظ حالياً بمتحف الفن العربى^(١٥٠) (لوحة ١١٨ جـ).

أعمال صلاح الدين

يسجل التاريخ عدة أحداث وقعت فى عهد صلاح الدين منها:

١. إزالة الشريط الفضى من فوق المحراب فى ٢ ربيع الأول ٥٦٩ هـ (١٥١) (١١ أكتوبر ١١٧٣ م) (المقرئ، جـ ١، ص ١٣)؛

٢. تعلية مئذنة الجامع (مفضل بن أبى الفضائل، جـ ١٢، ص ٥٠٠)؛

٣. وقف إقامة صلاة الجمعة قرابة قرن نتيجة لرد الفعل السنى (المقرئ، جـ ٢، ص ٢٧٦).

تاريخ الجامع فى عهد المماليك البحرية :

يذكر مفضل بن أبى الفضائل أن السلطان بيبرس البندقدارى فكر فى سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ م) فى إقامة صلاة الجمعة بالجامع الأزهر، وأن صلاة الجمعة لم تقم به قبل ذلك منذ عهد الخليفة الحاكم العبيدي (١٥٢)، وأن هذا الحال استمر منذ أن بنى الحاكم الجامع المعروف باسمه (وهو ما يذكره القلقشندي، ج٣، ص ٣٦٤) وأن الجامع صار فى حالة سيئة للغاية منذ ذلك الحين، وأن الأمير عز الدين أيدمر الحلبي حين شيد داره بالقرب من الجامع، قام بترميم الأجزاء المخرّبة فيه مما أدى الى إعادةلقاء الخطبة فيه من جديد، ورغم اعتراض بعض الفقهاء بدءاً من ١٨ ربيع الثانى ٦٦٥ (يناير ١٢٦٦ م، ج١٢، ص ٤٩٨-٤٩٩). ووردت تفاصيل هذا الخلاف بين الفقهاء لدى المقرئى فى «السلوك»، طبعة بلوشيه، ج١، ص ٥٥٦.

ويروى المقرئى مزيداً من التفاصيل فى هذا الشأن، حيث يقول:

«ثم إنه جدد فى أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى. قال القاضى محبى الدين بن عبدالظاهر فى كتاب سيرة الملك الظاهر (١٥٣) لما كان يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الأول سنة خمس وستين وستمئة أقيمت الجمعة بالجامع الأزهر فتبرع الأمير عز الدين له بجملة مستكثرة من المال ... وشرع فى عمارته فعمّر الواهى من أركانه وجدرانه وبيضه وأصلح سقوفه وبلغه وفرشه وكساه حتى عاد حرماً فى وسط المدينة واستجد به مقصورة حسنة» (الخطط، ج٢، ص ٢٧٥)

ويتضح من نقش مدون على حشوة خشبية مساحتها ١٠٥ × ٢٥ سم كانت محفوظة ضمن مجموعة شيفر أن المنبر (١٥٤) الذى كان بيبرس أقامه بالجامع تم العمل فيه فى ١٣ ربيع الأول من نفس العام (١٢) ديسمبر ١٢٦٦ م (Van Berchem, C.I.A. Egypte, I, 189-90) أى قبل خمسة أيام من إعادةلقاء الخطبة فيه. يقول المقرئى:

«ثم لما كانت الزلزلة بديار مصر فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمئة سقط الجامع الأزهر والجامع الحاكمى وجامع مصر وغيره فتقاسم أمراء الدولة عمارة الجوامع فتولى الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة الجامع الحاكمى وتولى الأمير سلاّر عمارة الجامع الأزهر» (ج٢، ص ٢٧٦)

وفى عام ٧٠٩ هـ (١٣١٠ م) بنيت المدرسة الطيبرسية (١٥٥) أمام النصف الأيمن من واجهة الجامع الشمالية الغربية (المقرئى، ج٢، ص ٣٨٣) وبذلك تم قطع جدار الجامع. يذكر المقرئى أن الجامع تم ترميمه على يد القاضى نجم الدين محمد الأسعدى (نسبة الى أسعدى بأرمينيا) فى سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م الخطط، ج٢، ص ٢٧٦). وسرى أن الزخرفة الجصية المحيطة بعقد المحراب ربما كانت جزءاً من الأعمال التى تمت بأمر منه. وفى عام ٧٣٤ هـ (١٣٣٣ م) أقيمت مدرسة الأمير آقبغا على النصف الأيسر من الواجهة الشمالية الغربية وفصل جدار الجامع كما كان بالنسبة للمدرسة الطيبرسية قبل ذلك بأربعة وعشرين عاماً. وبنيت هذه المدرسة التى تم الانتهاء منها فى سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م) مكان مiazza الجامع الأزهر. يقول المقرئى:

«ولم يكن لهذا الجامع مiazza عندما بنى ثم عملت مiazzaه حيث المدرسة الآقبغاوية الى أن بنى الأمير آقبغا عبدالواحد مدرسته المعروفة بالمدرسة الآقبغاوية» (١٥٦) (الخطط، ج٢، ص ٢٧٦)

«ثم جددت عمارته فى سنة احدى وستين وسبعمئة عندما سكن الأمير بشير الجمدار (وهو الأمير الذى أخذ على عاتقه إتمام مدرسة السلطان حسن) فى دار الأمير فخر الدين ... فأخرج الخزائن والصناديق ونزع تلك

المقاصير وتتبع جدرانها وسقوفه بالإصلاح حتى عادت كأنها جديدة وبيض الجامع كله وبلطه ... وأنشأ على باب الجامع القبلى حانوتا لتسييل الماء العذب فى كل يوم وعمل فوقه مكتب سبيل لإقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز ... (جـ٢، ص ٢٧٦)

تاريخ الجامع فى عهد المماليك الجراكسة [أو البرجية] يقول المقرئى:

«وفى سنة ثمانمائة هدمت منارة الجامع وكانت قصيرة وعمرت أطول منها فبلغت النفقة عليها من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم نقرة وكملت فى ربيع الآخر من السنة المذكورة فملقت القناديل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر وأوقدت حتى اشتعل الضوء من أعلاها الى أسفلها واجتمع القراء والوعاظ بالجامع ... فلم تزل هذه المئذنة الى شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة فهدمت ليل ظهر فيها وعمل بدلها منارة من حجر على باب الجامع البحرى بعدما هدم الباب وأعيد بناؤه بالحجر وركبت المنارة فوق عقده وأخذ الحجر لها من مدرسة الملك الأشرف خليل التى كانت تجاه قلعة الجبل وهدمها الملك الناصر فرج بن برقوق وقام بعمارة ذلك الأمير تاج الدين التاج الشوبكى والى القاهرة ومحتسبها الى أن تمت فى جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وثمانمائة فلم تقم غير قليل ومالت حتى كادت تسقط فهدمت فى صفر سنة سبع وعشرين وأعيدت وفى شوال منها ابتدئ بعمل الصهرج الذى يتوسط الجامع فوجد هناك آثار فسقية ماء ... وتم بناؤه فى ربيع الأول وعمل بأعلاه مكان مرتفع له قبة يسبل فيه الماء ... ولم يكن لهذا الجامع ميضأة عندما بنى ثم عملت ميضأته حيث المدرسة الآقبغاوية الى أن بنى الأمير آقبغا عبدالواحد مدرسته المعروفة بالمدرسة الآقبغاوية هناك وأما هذه الميضأة التى بالجامع الآن فان الأمير بدر الدين جنكل بن الهباب بناها ثم زيد فيها بعد سنة عشر وثمانمائة ميضأة المدرسة الآقبغاوية» (الخطط، جـ٢، ص ٢٧٦)

وفى أواسط القرن الخامس عشر بنى ضريح مدرسة جوهر القنقبائى (١٥٧) الصغير أمام الجانب الشمالى الشرقى مع وجود نافذة تفتح على آخر أروقة الحرم. وليس بها نقش بتاريخ البناء، ولم يذكر تاريخه لدى أى مؤرخ. ولكن بما أن جوهر توفى فى أول شعبان من عام ٨٤٤هـ (٢٦ ديسمبر ١٤٤٠م)، فالأرجح أنه بنى قبل هذا التاريخ وبعد عام ٨٣١هـ (١٤٢٩م) عندما ظهر البناء لأول مرة فى التاريخ كخازن للسلطان برسباى (أبو المحاسن، طبعة بوبر، جـ٦، ص ٦٣٦).

ويبدو أن هناك العديد من التعديلات أجريت فى سنة ٨٥٠هـ (١٤٤٦م)؛ حيث يذكر السخاوى أنه فى يوم الأحد الثالث من ربيع الثانى تم نفى الأمير سودون الى حلب وكان يقوم بالإشراف على «عمارة» الجامع الأزهر وفى وقت كان العمال منشغلين فيه بطلاء المحراب وصقل الأعمدة (التبر المسبوك، ص ٩١).

أعمال السلطان قايتباى والسلطان الغورى

قام السلطان قايتباى بزخرفة الجامع. وكان أول أعماله اقامة البوابة فى نهاية المجاز الكائن بين المدرسة الآقبغاوية والمدرسة الطيبرسية. ويرجع تاريخ هذا المجاز الى رجب ٨٧٣هـ (يناير ١٤٦٩م) طبقا لما ورد فى نقش يدور عبره بارتفاع يقرب من المترين عن الأرض (Mehren, Kerâfat, II, p. 59).

وبعد ثمانى سنوات، قام بانجاز آخر. يقول ابن اياس انه فى ذى الحجة من عام ٨٨١هـ (١٤٧٧م) قام بزيارة للجامع وأمر بترميم الأجزاء المهتمة به وخصص لهذا الغرض عشرة آلاف دينار (ابن اياس، تاريخ، جـ٢،

ص ١٦٩). فماذا كان هذا الإنجاز؟ لعله كان المئذنة القائمة على يمين مجاز بوابته؛ فهي تحمل اسمه، ولو أنها غير مؤرخة (Van Berchem, 47-8) ومجاز بوابة ذا عقد مدبب تحت الرواق الشمالى الشرقى ويؤدى الى مجاز معقود يؤدى بدوره الى صحن الميضأة الكبير حيث نجد خرطوشاً (١٥٨) يحمل اسم قايتباى فى كل ركن علوى (Van Berchem, pp. 45-6).

وضمن أحداث فى سنة ٩٠٠ هـ، يقول ابن إياس انه فى محرم (أكتوبر ١٤٩٤ م)، تمت أعمال ترميم الأزهر تحت إشراف خواجه مصطفى بن محمود بن رستم الرومى وان السلطان قايتباى أنفق خمسة عشر ألف دينار على هذه الأعمال (ج ٢، ص ٢٨٥). وكما يشير فان بيرشم فإن اسم والده يفسر سبب اختيار السلطان له ليتولى الإشراف على العملية، إذ كان محمود بن رستم هو النحاس الذى أتى بقايتباى فى صباه الى مصر عام ٨٣٩ هـ وباعه للسلطان برسباى وظل يسمى بالمحمودى الى أن تولى العرش (C.I.A., Égypte, I, p. 675).

ويبدو أن هذه العملية استمرت؛ إذ نجد نقشاً على حشوة خشبية كانت تحت الرواق الجنوبى الغربى تحمل أمراً لخواجه مصطفى ابن خواجه محمود بن رستم بإقامة مقصورة بالجامع فى شعبان ٩٠٠ (١٤٩٥ م Van Berchem, 46-7). وهناك ثلاث حشوات خشبية محفوظة حالياً بمتحف الفن العربى (١٥٩) (تحت أرقام ٧٤ الى ٧٦ بالكتالوج القديم وأرقامها الحالية ٦١٩، ٦٩٣، ٤١٢ على التوالي) تسجل قيام نفس هذا الرجل بمزيد من الترميمات فى الجامع، إذ تنص الحشوة رقم ٧٤ على اسمه (Herz, 2me éd., 97-8) وتسجل الحشوة رقم ٧٥ اسمه وتاريخ رجب ٩٠١ هـ (مارس ١٤٩٦ م)، وتحتوى الحشوة رقم ٧٦ على اسمه ومسقط رأسه فى بورصة، ولكن بدون أى تاريخ (Herz, 98).

كما أضاف السلطان الغورى مئذنة ثانية على الجانب الشمالى الغربى من الصحن الى جوار المدخل الشمالى الغربى الصغير وتحمل نقشاً باسمه ولكن بدون تاريخ (Van Berchem, Égypte, II, 48-9). وظل السلطان الغورى فى الحكم من ٩٠٦ الى ٩٢٢ هـ (١٥٠١-١٥١٦ م). ولعله من الممكن أن ننسب الى هذا السلطان بناء القبة الكائنة أمام المحراب استناداً الى مقرنصات. ولا نجد مثلاً واحداً يشابه هذه المقرنصات طوال العصر المملوكى كله الى أن نأتى الى تلك المقرنصات التى تحمل قبة ضريح الإمام الليث (١٦٠)، وهى تمثل جزءاً من جامع يرجع تاريخ مدخله الى الأول من رجب ٩١١ هـ (١٥٠٥ م)، وانظر (Creswell, Brief Chronology, 16, p. 154). والتشابه هاهنا كبير لدرجة لا تبقى لدى أى شك فى نسبتها اليه. ويذكر ابن أبى السرور عملية ترميم للجامع حوالى عام ١٥٩٥ م على يد سيد محمد باشا والى مصر (١٦١).

أعمال عثمان كتخدا وعبد الرحمن كتخدا

يقول الجبرنى (ط بلاق، ج ١، ص ١٦٨) إن الأمير عثمان كتخدا (١٦٢) (المتوفى ١١٤٨ هـ/ ١٧٣٥ م) أقام زاوية للعميان ورواق الأتراك والرحبة الملحقة به ورواق السليمانية (١٦٣). إلا أن أكبر إضافات تمت بالجامع كانت إضافات عبد الرحمن كتخدا، ويعددها الجبرنى قائلاً: وأنشأ وزاد فى مقصورة الجامع الأزهر مقدار النصف طولاً وعرضاً، يشتمل على خمسين عموداً من الرخام تحمل مثلها من البوائك المقوصرة المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت، وسقف أعلاها بالخشب النقى وبنى به محراباً جديداً ومنبراً، وأنشأ له باباً عظيماً جهة حارة كتامة وبنى بأعلاه مكتاباً قنطرة معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن وبداخله رحبة متسعة وصهريج عظيم وسقايًا لشرب العطاش المارين وعمل لنفسه مدفناً

بتلك الرحبة وعليه قبة معقودة وتركيبية من رخام بديعة الصنعة (شاهد قبر) وبها أيضاً رواق مخصوص بمجاورين الصعايدة المنقطعين لطلب العلم ، ويسلك من تلك الرحبة بدرج يصعد منه إلى الرواق وبه مرافق ومنافع ومطبخ ومخادع وخزائن كتب وبنى بجانب ذلك الباب منارة وأنشأ باباً آخر جهة مطبخ الجامع وعليه منارة أيضاً ، وبنى المدرسة الطيبرسية وأنشأها نشوءاً جديداً ، وجعلها مع مدرسة الأقبغاوية المقابلة لها من داخل الباب الكبير الذى أنشأ خارجها جهة القبو الموصل للمشهد الحسينى وخان الجراكسة وهو عبارة عن بابين عظيمين كل باب بمصراعين وعلى يمينهما منارة وفوقه مكتب أيضاً ، وبداخله على يمين السالك بظاهر الطيبرسية ميضأة ، وأنشأ لها ساقية لخصوص إجراء الماء إليها وبداخل باب الميضأة درج يصعد منه للمنارة ورواق البغداديين والهنود فجاء هذا الباب وما بداخله من الطيبرسية والأقبغاوية والأروقة من أحسن المباني فى العظم والوجاهة والفخامة (١٦٤). (الجبرتي، ط بولاق، جـ ٢، ص ٥).

وأرخ بعضهم ذلك بحساب الجمل : «بعبد رحمن باب الأزهر انفتحا» (١٦٥) وضع فى النهاية وقيمتة الرقمية ١١٦٥ هـ (١٧٥١ م). وكل هذه الزيادات المذكورة لاتزال قائمة فيما عدا المئذنة القائمة على المدخل الشمالى الشرقى.

عمارة رواق الشرقاوية

يذكر الجبرتي (ط بولاق، جـ ٤، ص ١٦١) أن طلاب مديرية الشرقية كانوا يقيمون بالمدرسة الطيبرسية وأن الشيخ الشرقاوى أقنع إبراهيم بك والى القاهرة ببناء مكان خاص لهم. فقام إبراهيم بك بتخصيص منزل بحذى الجامع، قرب المدرسة الجوهريّة دون أن يدفع ثمنه وألحق به قطعة أرض وبنى رواق الشرقاوية مستعينا بالحجارة وعمود ضخمة (لعله العمود الذى نراه هناك حالياً) من جامع بيبرس على الطريق الى العباسية. ويبدو أن الباب الذى يصله بالرواق الشمالى الشرقى كان قائماً قبل هذا، إذ تحمل عتبته زخارف من طراز عصر قايتباي. كان إبراهيم فى البداية ضابطاً فى عام ١١٩٢ هـ (١٧٧٨ م) ، وبعد فترة وجيزة أصبح والياً على القاهرة، وقتل بمعركة الأهرام فى السابع من صفر ١٢١٣ هـ (يوليو ١٧٩٨ م). وبالتالي فقد يرجع هذا الرواق الى الفترة من ١٧٧٨ الى ١٧٩٨.

وفى ٢٨ رجب ١٢٠٣ هـ (١٧٨٩ م) بدأ والى مصر فى طلاء جدران الجامع الأزهر بالجير والمغرة. وفى ١١ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) قام الفرنسيون بقصف القاهرة بالمدافع من القلعة ومن فوق الروابى الممتدة على طول الجانب الشرقى من المدينة، وذلك لقمع حركة التمرد الكبرى. ويذكر الجبرتي أن نيران مدافعهم كانت موجهة الى الأزهر والمنطقة المحيطة به (الجبرتي، جـ ٣، ص ٢٦).

تاريخ الجامع منذ عام ١٨٠٠ م

يسجل الجبرتي فى يومياته أنه فى يوم الاثنين التاسع من رجب ١٢٢٩ هـ (٢٧ يونية ١٨١٤ م)، وقع زلزال لحظة أذان العشاء، مما أدى بالمؤذنين الى الهبوط من أعلى المآذن بسرعة، والى سقوط شرافة من شرافات الجامع الأزهر (جـ ٤، ص ٢١١).

وضع ياسكال كوست أول رسم لتخطيط الجامع فى حوالى عام ١٨٢٠ م. وكان محمد على طلب منه القيام بوضع تخطيط لجامعين. وأجاب كوست بأنه قبل أداء تلك المهمة لابد من التعرف على الجوامع الكبرى بالقاهرة من الداخل. فصدرالفرمان له بذلك. إلا أنه أمر بعدم دخول الأزهر. ونظراً لرغبته فى أداء ما

كُلف به، ذهب يوما للقاء المسؤول عن الأزهر، فرحب به. وأخبره كوست بأمر الوالى له برفع تقرير عن حالة أرضية مختلف أجزاء الجامع التى تحتاج الى إصلاح ورميم؛ وبذلك تمكن من أخذ عدد من القياسات يكفى لوضع تخطيط تقريبي للتصميم العام للجامع وألقى نظرة عامة عليه من الداخل، ورسم بعض التفاصيل، وخاصة تفاصيل مدخل عبدالرحمن كتحدا الشمالى الغربى ذى العقدين [باب المزينين] (انظر كتابه *Architecture Arabe, ou Monuments du Caire* اللوحات ٧، ٨، ٣٧). وفى عام ١٨٥٥، نشر جيرودى برانجى تخطيطاً آخر للجامع من الداخل وصورة للصحن الغربى (*Monuments et paysages de l'Orient*، لوحة ١٢).

وفى عام ١٢٩٠ (١٨٧٣-١٨٧٤م)، أعيد بناء بعض البائكات فى النصف الأيمن من الحرم (تاريخ جامع الأزهر، يوسف أحمد، ص ٥٧). وفى عام ١٨٨٣م، كان الجامع فى حالة خطيرة كما يتضح من الفقرة التالية من تقارير لجنة حفظ الآثار العربية: «وتم القيام بأعمال كبرى فى هذا المسجد، إلا أنها مرت دون ذكر. والأجزاء الرئيسية من هذا البناء تحتاج الى ترميم كامل» (*Comité de Conservation, Exercice* 1882-83, 2me éd., p. 34). وبعد ذلك بفترة وجيزة، كتب على مبارك قائلاً إن وزارة الأوقاف كانت قد أمرت بإزالة المدرسة الآقبغاوية التى ظلت قائمة الى ذلك الحين وبدأت فى إعادة بنائها. وكانت هذه المنشأة تتكون من واجهتين إحداهما شمالية شرقية والأخرى شمالية غربية ومن أربع دعائم وثمانية أعمدة يتركز عليها السقف (الخطط الجديدة، ج ٢، ص ٩١). وقد ذكرنا هذه المعلومة فى هذا الموضع لأننا سنرى أن واجهتها الشمالية الغربية الجديدة كانت تتحكم فى تخطيط بقية الواجهة الشمالية الغربية لمجموعة منشآت الأزهر.

وفى عام ١٣٠٦هـ (١٨٨٨-١٨٨٩م)، قام الخديوى توفيق بتجديد معظم المقصورات الخشبية التى يرجع تاريخها الى عام ٩٠٠هـ فى عهد السلطان قايتباي، وكانت تفصل الحرم عن الظلة. [الرواق القبلى للصحن من أعمال الحافظ] وكانت المقصورات الجديدة نسخة من الأخرى القديمة. وتم نقل بعض أجزاء من المقصورات القديمة الى متحف الفن العربى (يوسف أحمد، ص ٥٧). كما قام بإعادة بناء جزء من الحرم كان أضافه عبدالرحمن كتحدا. ويتأكد ذلك من نقش مدون أعلى الباب الجنوبى الغربى لذلك الجزء (باب الصعايدة). وإذا أمعنا النظر فى الجزء المثل على حارة كتامة ومقارنته بالتخطيطات القديمة، يتضح أنه قام بإعادة بناء الواجهة برمتها من أقصاها الى أقصاها، وربما بعض الجدران الفاصلة وراءها أيضا. وفى عام ١٨٩٠م تم إبلاغ اللجنة ببدء مشروع لإعادة بناء البائكات القائمة على دعائم خلف ظلات الصحن؛ فنجد الدعائم تميل باتجاه الصحن بمقدار يزيد عن ٢٠ سم على ستة أمتار فى بعض المواضع.

كما تم إبلاغ اللجنة بأن أعمال التنقيب أوضحت أن «أبدان الأعمدة تميل قليلاً فوق قواعدها بسبب سلسلة من عمليات الترميم». ومن ثم، فقد اقترح ما يلى: (١) إعادة بناء البائكات بقواعدها كاملة؛ (٢) النسخ الدقيق للزخارف الجصية القديمة التى تزين الواجهات الداخلية للعقود (القائمة على أعمدة) لواجهات الصحن الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية والشمالية الغربية؛ (٣) صيانة القبة الصغيرة الكائنة فى وسط الجانب الشرقى مع إعادة بناء بقية الواجهة. ووافق أعضاء اللجنة على هدم كل البائكات التى تشكل واجهات الصحن الشمالية الشرقية والشمالية الغربية والجنوبية الغربية. إلا أنهم أصروا على ضرورة صيانة القبة الكائنة فى مركز الواجهة الجنوبية الشرقية مهما بلغت التكاليف. أما بالنسبة للبائكة القائمة على دعائم وراءها، فقد رأوا ضرورة تدعيمها وتحديد قواعدها وترميم الجزء العلوى منها وجعله رأسياً إن أمكن. وكانت الزخرفة الجصية على واجهتها الجنوبية الشرقية سليمة لم تصب بسوء (*Comité du Conservation, Exercice 1890*, pp. 104-5).

وفى ابريل ١٨٩١ ، تم إبلاغ اللجنة بأن المقاول لم يتمكن من إنجاز المهمة الموكلة اليه على الوجه المطلوب؛ وبالتالي، تم تفويض مهندس اللجنة تفويضاً كاملاً (Exercice 1890, p. 48). وستناقش ما تم تفصيلها حين نأتى الى وصف الجامع وتحليله.

وفى جمادى الأولى ١٣١٠ هـ (نوفمبر ١٨٩٢ م)، قام الخديوى عباس الثانى بزيارة الجامع، وكان لايزال العمل جارياً فى البنايات الأربع التى تكون ظلات الصحن وفى الحشوات الجصية التى تشكل زخرفتها. وتم تجديد معظم الإفريز الحجرى للزخارف المفرغة تحت الشرافة (يوسف أحمد، ص ٥٧-٥٨). أما بالنسبة لما تم عمله فى حالة البنايات القائمة على دعائم والتى تفصل الحرم عن الصحن، فسنناقشها فيما بعد.

رأينا أن المدرستين الطبرسية والآقبغاوية ومعدنة السلطان الغورى كانت جميعاً قد بنيت خارج الجدار الشمالى الغربى للجامع وأن عبدالرحمن كتحدا ربط بين هاتين المدرستين بظلة ذات عقد مزدوج وبمعدنة الى يمينها. وفى القرن التاسع عشر، تكديست منشآت أخرى عديدة من دكاكين ومراحيض عامة ومخازن وسلالم الى الدور العلوى على الجانب الشمالى الغربى الى يمين المدخل ذى العقد المزدوج وعلى طول الجانب الجنوبى الغربى وحتى المدخل الثانى ذى العقد المزدوج والذى ينتسب الى عبدالرحمن كتحدا. ولتوسيع الطريق وإضافة واجهة للجامع لم تكن له من قبل، تقرر إزالة هذه المنشآت (تضم كل الطبقات القديمة من كتاب بايدىكر تخطيطاً للأزهر تظهر فيه هذه المنشآت، فى حين تظهر الطبقات الأحدث الواجهة الشمالية الغربية بالرواق العباسى، وكذلك الواجهة الجنوبية الغربية. والأرجح أنه حصل على كل هذه التخطيطات من وزارة الأوقاف. وعلى الرغم مما بذلت من جهد فى فحص وثائق الأزهر، إلا أنى لم أوفق فى العثور على الأصول فيما عدا أصل واحد يظهر فيه الواجهتان الجديدتان فى حالة مكتملة. لكنى عثرت على تخطيطين تبدو فى أحدهما الواجهة الشمالية الغربية قبل التعديلات (شكل ١٢) وفى آخر الواجهة الجنوبية الغربية (شكل ١٣). وعلى الرغم من افتقار التخطيط الأول للدقة فى الجزء الأيسر الذى تبدو فيه المدرسة الآقبغاوية)، إلا أنى أقدمه هاهنا لا لشيء إلا لعدم وجود ما هو أفضل منه).

وفى عام ١٨٩٤ ، ظهر هذا الاقتراح لأول مرة وانتهى بإضافة الجزء الأكبر للواجهتين الشمالية الغربية والجنوبية الغربية. وفى الاجتماع التالى، تم إبلاغ اللجنة بأن الخديوى كان يرغب فى بناء الرواق العباسى وفى الوقت نفسه فى توسيع الشارع على الجانب الشمالى الغربى للجامع. ووافقت اللجنة على ذلك بشرط وضع تخطيطات وصور للمعدنة (Comité de Conservation, Exercice 1894, 2me éd., 48). ولم أتمكن من العثور على أى من هذه التخطيطات والصور؛ إلا أن الجزء السفلى من المعدنة ورد لدى كوست فى كتابه بعنوان Architecture Arabe (لوحه ٨) ولدى هاى فى كتابه بعنوان Illustrations of Cairo (لوحه ٢٩)، وتم تسليم تصميمات هذا المشروع الى اللجنة فى ١٢ ديسمبر ١٨٩٤ وتم تنفيذ التفاصيل (Exercice 1894, pp. 130-31).

وفى الثانى من يناير ١٨٩٦ ، أبلغ مدير الأوقاف اللجنة ببدء إزالة المنشآت الطفيلية غرب باب المزينين. فقررت اللجنة ضرورة إزالة الكتاب الكائن بأعلى هذه البوابة والذى نجده مصوراً لدى كوست فى لوحه رقم (٨)، مما أدى الى ترك قمة مجاز البوابة على نفس مستوى واجهة الآقبغاوية. وقررت اللجنة ضرورة الإبقاء عليها عند هذا المستوى. وتم وضع حجر أساس العمل الجديد فى ١٢ شوال ١٣١٣ هـ (مارس ١٨٩٦ م) (Exercice 1897, pp. 117). وفى أبريل ١٨٩٧ ، أبلغت اللجنة مهندسها، ويدعى هرترز، بضرورة إزالة الترايع ذات

الطلاء الأحمر والذي كان يشوه بوابة قايتباي (Exercice 1897, pp. 117). وفى عام ١٣١٧ هـ (١٩٠٠ م) أضيفت الصنابير للميضأة الحالية (سليمان رشاد، كنز الجواهر، ص ٥٨). ويبدو أنه تم الانتهاء من الواجهة الجديدة والرواق العباسى - وكلاهما ارتفاعه ثلاثة طوابق - ومدخل جديد للجامع فى سنة ١٩٠١، لأن اللجنة اتجهت لمعاينة الإضافات الجديدة فى ١٩ يناير من ذلك العام (Exercice 1901, p. 26). وكان قد تم إبلاغها قبل ذلك بثلاثة أيام باقتراح بإزالة كل المنشآت الكائنة على الجانب الجنوبى الغربى من الجامع وإضافة واجهة جديدة بنفس طراز وارتفاع تلك الواجهة التى أضيفت حديثاً الى الجانب الشمالى الغربى وبناء حجرات للإدارة والمحاضرين والطلاب بينها وبين الجدار الخارجى للجامع. ولما كان جزء من غرف الطابق العلوى يتداخل مع الجزء القديم من الحرم بمسافة ٤,٥ م، تقرر إحلال جزع من الصلب له تاج من الصلب محل العمود المستقل القديم وطلاء الأجزاء الجديدة بما يشبه الرخام.

وصف وتحليل (١٦٦)

يتكون الجامع الأزهر بزياداته العديدة حالياً من مجمع مباني مساحته حوالى ١٢٠ م عرضاً و ١٣٠ عمقاً (شكل ٢٠). ويشكل الجامع الأصلى مستطيلاً عرضه حوالى ٨٥ م وعمقه ٧٠ م فى منتصف هذا المجمع وتحيط به من كل جوانبه منشآت أكثر ارتفاعاً وأحدث عهداً (إذ نجد على الجوانب الشمالى الغربى والجنوبى الغربى والجنوبى الشرقى أن هذه المنشآت جميعاً من ثلاثة طوابق) بحيث لم تعد واجهته ظاهرة من أى جانب.

الواجهة الرئيسية لمجمع المباني

يبلغ طول هذه الواجهة - الشمالية الغربية - حوالى ٩١ م ويتخللها مدخلان؛ فالى اليسار، نجد المدخل ذا العقد المزدوج [باب المزينين] وينتمى الى عبدالرحمن كتخدا؛ والى اليمين مدخلا أقامه الخديوى عباس الثانى فى سنة ١٩٠١. وتخطيط هذه الواجهة ليس خطاً مستقيماً تماماً؛ فالجزء الذى ينتمى الى عبدالرحمن كتخدا يبدو منحرفاً، كما يتضح من التخطيط (شكل ٢٠). وعلى يسار هذا الجزء، نجد الواجهة الحديثة للمدرسة الآقباوية التى ترجع الى ثمانينيات القرن التاسع عشر. ومر بنا أنه عندما تم بناء الرواق العباسى والغرف التى تقع بينه وبين المدخل الرئيسى، تم تحديد تخطيطه بخط يمتد من واجهة الآقباوية ويتكون هذا الجزء من ثلاثة طوابق على الطراز شبه المملوكى.

الواجهة الجنوبية الغربية

ترجع هذه الواجهة فيما عدا الجزء الذى ينتمى الى الرواق العباسى الى تاريخ أحدث من الجزء الأيمن من الواجهة الشمالية الغربية، فقد سبق أن رأينا أنها بدأت من عام ١٩٠١، وتستمر حتى مدخل عبدالرحمن كتخدا الثانى (باب الصعايدة)، وتبلغ مساحتها (شاملة الرواق العباسى) ما يزيد قليلاً عن ١٠٥ م. وتشتمل على واجهة ارتفاعها ثلاثة طوابق تخفى وراءها الجدار الأصلى الخارجى للجامع ولكنها لاتوازيه. فأحد أطرافها يبعد عنه بمسافة ٤,٦٧ م، فى حين تبلغ المسافة الفاصلة بينهما عند النقطة التى تمر عندها من الركن الجنوبى للجامع الأصلى حوالى ١,٤٢ م فقط. وبهذا تكونت سلسلة من ثلاثة طوابق من الغرف الصغيرة. وتضم هذه الواجهة مدخلين كما يتبين فى شكل (٢٠).

وهناك فسحة بين عمودية عرضها ١٠,٤٣ م، على جانبيها مثذنة، وتمثل مجازاً يؤدى الى مدخل

عبدالرحمن كتحدا الثانى المزدوج العقد والمعروف بباب الصعايدة. ثم نأتى الى حارة كتامة وفى نهايتها وعلى بعد ٦٠ م تقريباً، نجد ثالث مداخل عبدالرحمن كتحدا والمعروف بباب الشورة وعلى جانبيه معذنة أيضاً، ثم تنحرف الحارة بعد ذلك جهة اليمين.

المدخل الرئيسى (باب قايتباي)

نعود الآن الى المدخل الرئيسى ذى العقد المزدوج على الواجهة الشمالية الغربية [باب المزينين]. فإذا مررنا منه نجد أمامنا مجازاً عرضه حوالى ٥,٥ م مكشوف السطح وعلى جانبيه واجهة ذات قيمة رفيعة، وإلى يساره مباشرة نجد المدخل المقرنص العظيم بالمدرسة الآقباوية فى فسحة عميقة. وبقيّة الجانب الأيسر من المجاز تمثله واجهة هذه المدرسة التى تضم نافذتين مركبتين فى دخلات ضحلة طويلة. وإلى يميننا نجد الواجهة المتعددة الألوان والخاصة بالمدرسة الطيبرسية (وهى مصورة لدى تاركى فى كتابه *L'architettura e l'arte Musulmana*, tav. 28) والتى تنتمى الى عبدالرحمن كتحدا فى عام ١١٦٥ هـ (١٦٧) (١٧٥١ م). ونجد أمامنا البوابة الرئيسة الجميلة المصورة فى كتاب فرانتز *Die Baukunst des Islam*, Fig. 101، وهى أحد الأعمال المبكرة للسلطان قايتباي. ونرى معذنته الرائعة تعلو شامخة الى يمينها. ونجد أرضية المجاز مبلطة ببلاطات مصقولة من نوع من الرخام يتميز بالصلابة الشديدة وبه علامات يميل لونها الى الحمرة. وتمثل هذه الأرضية مجازاً فخيماً بمعنى الكلمة يؤدى الى الجامع.

الصحن

وإذا مررنا تحت بوابة قايتباي، نجد أنفسنا تحت الظلة الشمالية الغربية للصحن. وعرض هذه الظلة ٤,٨ م وعمقها ٣,٨٥ م. وهناك أحد عشر عقداً على الجانبين الشمالى الغربى والجنوبى الشرقى وتسعة عقود على الجانبين الآخرين. وهكذا فالظلات التى تكونت تتفاوت من ٤ الى ٥ م فى العمق. والعقود جميعاً من "برع الشديد الانكسار، وترتكز على أعمدة رخامية، وتبرز عند ارتفاع ٣,٧٦ م وترتفع الى ٥,٨٢ م. ويبلغ ارتفاع الواجهة شاملة الشرافة ١٠,٧٥ م. والجزء الأوسط من الواجهة الجنوبية الشرقية أعلى من بقية الأجزاء بمقدار متر واحد تقريباً وبطول ٦ م؛ وبالتالي، فهو يشكل بشتاقاً (انظر كتاب كريزول *Early Muslim Architecture*، جـ ٢، ص ٦٦) يلفت النظر الى العقد الأوسط (لوحة ٨٩ ب). ووراء البشتاق قبة على مقرنصات الى الأمام مباشرة من المدخل المؤدى الى المجاز القاطع. وقد رأينا أن جميع ظلات الصحن، فيما عدا الجزء المعقود الذى أشرنا اليه لتونا، أعيد بناؤه فى عامى ١٨٩١-١٨٩٢، وهى العملية التى أزيلت فيها الظلات التى كانت قائمة، ولكنها لم تعد كما كانت. وسرى فيما بعد أن هذه الظلات ربما كانت تنسب الى الحافظ لدين الله (٥٢٤-٥٤٤ هـ/١١٣٠-١١٤٩ م).

وإذا مررنا تحت هذه الظلات، نلاحظ أن السطح الخشبي المسطح لا يزيد ارتفاعه عن ٦,٨٧ م عن بلاط الأرضية؛ أى أقل من ارتفاع الواجهة بمقدار ٣,٨٨ م. وإذا مررنا عبر الحرم (لوحة ٤ أ)، نجد أن أسطح السقائف الجانبية منخفضة كذلك ولا يزيد ارتفاعها عن ٦,٩٢ م عن الأرضية. بعبارة أخرى، فإن الجزء العلوى من واجهات الصحن يعد فى الحقيقة جداراً بنى بغرض إخفاء انخفاض الجامع ويضفى على الصحن مزيداً من الجلال عما كان لو لم يكن ارتفاع واجهته الرئيسة سوى ٧ م فقط.

الرواقان (١٦٨) الشمالى الشرقى والجنوبى الغربى

هناك خلف الظلة على جميع الجوانب فيما عدا الجانب الشمالى الغربى بأكات على دعائم بمتوسط

١,٦٠ × ١,١٣ م. والعقود هنا أيضاً هي عقود منكسرة من النوع الصريح. والدعامات التي تخص البائكات الى يمين الصحن ويساره تتخذ شكل حرف T في تخطيطها. وتبرز من واجهاتها الخلفية بائكات بكل منها ثلاثة عقود وتنتهى أمام الجدران الخارجية للجامع تماماً. وتتكون الدعامات الوسطى لهذه البائكات من أزواج من الأعمدة كما يتضح فى الشكل ٢٠ فيما عدا فى الرواق الجنوبي الغربي (١٦٩)، حيث تم استبدال دعامات ببعضها وجدران بالفواصل.

وفى البلاطات الثالثة والسادسة والعاشر من الرواق الأخير، هناك درج يؤدى الى أبواب عليا. وتفتح البلاطة السادسة الى داخل دركاه الباب الأول فى الواجهة الجنوبية الغربية. ومن هذه الدركاه، يمكن الوصول أيضاً الى السلم المؤدى الى الطابقين العلويين الخاصين بالزيادة التى بنيت فى سنة ١٩٠١. وتؤدى الأبواب فى البلاطتين الثالثة والعاشر الى ثلاث حجرات وأربع حجرات على التوالي فى الزيادة نفسها.

وفى البلاطة السادسة للرواق الشمالى الشرقى، هناك مجاز باب حجرى معقود وأنيق مزخرف بحواشى زخرفية وزوج من خراطيش [رنوك كتابية] السلطان قايتباي. ويفتح الى داخل دهليز معقود يزيد طوله عن ٥ م بقليل ويؤدى الى الميضأة الرئيسية. وهناك باب فى البلاطة الرابعة يؤدى الى رواق الحنفية. وهناك باب آخر فى البلاطة الحادية عشر يؤدى الى غرفتين كانتا مخصصتين لوزارة الأوقاف حين كان يزور الجامع.

الحرم [مقدم الجامع]

(لوحة ٤٤): يتكون الحرم من مستطيل ضخم عرضه حوالى ٨٥ م ويزيد عمقه عن ٢٤ م بقليل وينقسم الى خمسة أروقة [بلاطات] بأربع بائكات على أعمدة رخامية تسير موازية لجدار القبلة. ويتخلل هذه البائكات من الوسط مجاز، مما يكون منها بائكتين كل منهما من خمسة عقود تسير من الصحن الى المحراب. وتتوقف البائكات الثلاث الأولى أمام جوانب المجاز، مما يجعلها تنقسم الى بائكات بكل منها تسعة عقود. إلا أن البائكة الرابعة تسير عبر المجاز بهدف دعم القبة التى تعلو مربعة المحراب، مع وجود زوج اضافى من الأعمدة بهدف حمل العقد الأوسط وفى الوقت نفسه خفض المسافة بين دعامتيه، كما يتضح فى اللوحة (٤٤). ومن الواضح أن القبة الحالية ودلاياتها ترجع الى تاريخ أحدث كثيراً. رأينا من قبل أنها ترجع الى عهد السلطان الغورى. وتبرز عقود المجاز بمقدار ٣,٢٠ م وترتفع الى ٦,١٦ م.

وهناك باب فى البلاطة الثالثة بالحرم الى اليمين يؤدى الى دركاه به غرفة طويلة وضيقة الى اليسار وسلم الى اليمين. وعلى الجانب الأقصى، هناك باب على الشارع. ويفتح الباب الأيسر الكائن بالبلاطة الرابعة بالحرم الى داخل الرواق المخصص لطلاب مديرية الشرقية. وسبق أن رأينا من قبل أن هذا الرواق يرجع الى الفترة من ١٧٧٨ الى ١٧٩٨ م. أما الباب، فالأرجح أنه أقدم كثيراً؛ فأعنتابه منحوتة بزخرفة من طراز قايتباي (٨٧٢-٩٠١ هـ/١٤٦٨-١٤٩٦ م). وفى البلاطة الخامسة، يضم الجدار الأيسر نافذة تنتمى الى الإيوان الجنوبي الغربى من مدرسة ضريح جوهر القنقبائى (المدرسة الجوهريّة) (١٧٠) (لمزيد من التفاصيل عن هذه المدرسة، انظر الخطط الجديدة، على مبارك، ج٢، ص ٩١).

السقف

يمثل السقف سقف الظلة فى شدة انخفاضه بالنسبة لمساحة الحرم، وارتفاعه ٦,٩٢ م فقط من مستوى الأرضية. ويزيد ارتفاع سقف المجاز عنه بمقدار ١,٧٧ م، أى المسافة الى الجانب السفلى من الدعامات الأفقية.

وتزداد الإضاءة فى الحرم بعدد من الفتحات التى تشبه الأبواب السرية والمقصود بها استقبال ربح الشمال والسماح لها بالنفاذ الى داخل الجامع (وتعرف هذه الفتحات باسم الملاقف). ولعل تاريخ السقف بأكمله لا يزيد عن خمسين عاماً.

زيادة عبدالرحمن كتخدا (١٧١)

يلاحظ حالياً أن جزءاً كبيراً من الجانب الخلفى من الحرم يفتح الى داخل زيادة عمقها أربع بلاطات، ويتم الصعود اليها بثلاث درجات سلم. وهى بالطبع زيادة عبدالرحمن كتخدا التى أمر الخديوى توفيق ببناء بانياتها فى سنة ١٨٨٨، إلا أن جزءاً من الجدار الخلفى من الحرم القديم لا يزال باقياً (أ) قطعة فى الوسط طولها ٧م تقريباً، وفيها أقيم المحراب القديم وبروزه فى الخلف؛ (ب) الى اليمين، حيث نجد ١٠م مضمونة بحشوتين من الزخارف الجصية الجميلة، والنصف الأيمن من حشوة ثالثة ونافذتين.

تعد زيادة عبدالرحمن كتخدا أضيق من الجزء القديم من الحرم (حوالى ٦٩م بدلاً من ٨٥). ونظراً لكونها تسير بحذى الجانب الشمالى الشرقى من الجزء القديم، فإننا نجد محور محرابها يتجه يساراً (حوالى ٩٠، ٤٠م شرقاً). والى يمين محرابه الرئيسى، هناك محرابان أصغر حجماً كما يتضح من الشكل (٢٠). وفى الطرف الأيسر بالبلاطة الأولى، هناك المدخل المؤدى الى المدرسة الجوهرية. وهناك باب آخر بالطرف المواجه من نفس البلاطة يفتح الى داخل غرفة كبيرة خلف جدار الحرم القديم مباشرة وبطوله. وينتمى السلم والمجاز الذى يضم على جانبيه ثلاث غرف بين هذه الغرفة والشارع الى أعمال فى سنة ١٩٠١، كما يتضح من مقارنة التخطيط الراهن بالشكل (١٣). وفى البلاطة الأخيرة والى اليمين، هناك ممر بوابة واسع يؤدى الى الصحن الكائن خلف المدخل الثانى ذى العقد المزدوج لعبدالرحمن كتخدا والذى يعرف بباب الصعايدة، وعلى جانبيه مثذنة (رقم ٣). وعلى جانبى هذا الصحن وعلى الجانب الشمالى الغربى، هناك ضريح عبد الرحمن كتخدا؛ وعلى الجانب المقابل غرفة معقودة طويلة تحتوى على سبيل. وفى المساحة بين هذا السبيل وبين شارع كتامة، هناك صف طويل من الحجرات معظمها دكاكين. ويسير هذا الصف وراء الجدار الخلفى للحرم وحتى باب الشورية والمثذنة القائمة على جانبيه (رقم ٤) وكلها من أعمال عبدالرحمن. وفوق هذه الدكاكين، هناك طابقان من الحجرات للطلاب يتم الصعود اليهما بسلمين بكل منهما باب يفتح الى داخل الجامع (تم تسويرها حديثاً) وباب آخر يفتح على الشارع.

وفى الجزء الخلفى من الحرم والذى يسير من ركنه الشرقى الى باب الشورية، هناك مجاز طويل يرتفع ٧٠سم عن أرضية الحرم ويفصله عنه حاجز ارتفاعه حوالى ١، ٢٠م، وكان يستخدم قديماً فى توزيع الجراية على الطلاب الذين كانوا يقفون فى الجزء السفلى. وهناك باب على الطرف الشرقى من هذا المجاز يفتح على ضريح خالى من الزخرفة ويضم قبة على مقرنصات ويعرف اليوم خطأ باسم «ضريح الست نفيسة» (يقع ضريح الست نفيسة بجوار ضريح الخلفاء العباسيين بالطرف الجنوبى من شارع الأشرف. وتركناه على التخطيط بدون تحديد تاريخ له، إلا أنه يرجع الى تاريخ سابق على ١١٦٥هـ (١٧٢) (١٧٥١م). فالجامع لم يكن يمتد ليصل الى بابه الحالى قبل ذلك التاريخ.

الجدار الشمالى الغربى

نبدأ الآن فى دراسة الجدار الشمالى الغربى للجامع كما يتضح فى التخطيط (شكل ٢٠). وبدءاً من

اليسار، نلاحظ أن حوالى ٣٣ م منه تتكون من سور حجري سمكه متران تقريباً ويمثل جدار قبلة المدرسة الآقبغاوية. وبه نافذتان مستطيلتان ينتميان الى ضريح الأمير. ويتضح من تخطيطه أن المعمار كان يظن أن اتجاه الأزهر ليس دقيقاً، فاختار اتجاهها ينحرف قليلاً الى الشرق. ثم يلى ذلك زحمة من الأبنية بطول ٧ م وتتكون من بوابة قايتباى ومئذنة تنتمى أيضاً الى السلطان قايتباى. وتليها قطعة أخرى من سور بنى أيضاً من الحجر طوله يزيد قليلاً عن ١٢ م ويشكل جدار المدرسة الطيبرسية، ويضم مستطيلين. وهنا أيضاً انحرف المعمار عن اتجاه الأزهر ولكن باتجاه الغرب بدلاً من الشرق. وهناك سلم ضيق منحوت من الجدار الجنوبي الغربى للمدرسة. ثم يلى ذلك كتلة ضخمة من البناء تتكون من الجزء الصلب السفلى من مئذنة الغورى وسلمها الملحق بها (ويصعد الى مستوى السقف فقط، وهو أمر مألوف فى مآذن القاهرة التى شيدت بعد الزلزال المدمر الذى وقع فى سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٣ م). والطول الإجمالى لهذه الكتلة ٦٣, ٩ م. وأضيف الى جانبها الأقصى مجاز المدخل الغربى ولم يكن لها وجود قبل الرواق العباسى كما يتضح فى الشكل (١٢).

وهناك قطعة أخرى من جدار يزيد طولها قليلاً عن ١٣ م بها ثلاث دخلات معقودة، وهى تؤدى بنا الى الركن الغربى من داخل المبنى. ويوضح الشكل (١٢) أن أولى هذه الدخلات وأعماقها لم يكن لها وجود قبل بناء الرواق العباسى.

وهكذا يتضح أن الجدار الشمالى الغربى من الجامع تم تقطيعه فى تواريخ متعددة باستثناء الثمانية أمتار الأخيرة. وحتى هذا الجزء لا يمكن قبوله لعدة أسباب. فإذا قارنا الأطراف الشمالية الغربية للباثكتين القائمتين على دعائمات، نجد أن العقد الأخير يضم مسافة ٢, ٣٨ م بين دعائمه، ويرتكز على دعامة ناتئة [بارزة] بمقدار ٦٣ سم عن الجدار الشمالى الغربى، فى حين أن نظيره على الجانب المقابل له بين دعائمه مسافة قدرها ٢, ٦٩ م ويخرج من الجدار مباشرة. وهكذا فإن الدعامة الأخيرة من البائكة الأولى مساحتها $٢, ٣٨ \times ٠, ٦٣$ = ٣, ١ م من الجدار الشمالى الغربى، فى حين تبلغ مساحة نظيرتها المقابلة لها لا تزيد عن ٢, ٦٩ م، بفارق ٣٢ سم. ونستنتج من ذلك أن الركن الغربى الأصلى كان يزيد بمقدار ٣٢ سم تقريباً الى الشمال عما هو الآن، وأن الجدار الحالى تم الخروج به لهذه المسافة؛ مما يعنى أن الخط المستقيم للجدار الشمالى الغربى الأصلى كان يسير مسافة ٣٠ سم خلف واجهة الثمانية أمتار الأخيرة من الجدار الحالى ومسافة ٢٠ سم أمام الواجهة الخلفية للفسحتين المعقودتين. إضافة الى ذلك، فإن الجانب الشمالى الغربى لهذا الجدار ينتمى الى الرواق العباسى. وبهذا، فمن المستبعد أن يكون أى جزء من أجزائه أصلياً.

الجدار الجنوبى الغربى

وتتخلله أبواب عرضها جميعاً حوالى مترين فى الفسحات الثالثة والسادسة والعاشرة والرابعة عشر بين الأعمدة واتجاهها من الشمال الى الجنوب. ويتضح من الشكل (١٣) أنه كانت هناك أبواب فى نفس هذه الفسحات بين الأعمدة قبل أربعين عاماً، وأنها جميعاً عدا الأخير كانت أصغر كثيراً من الأبواب الحالية. لذا فمن الواضح أن ثلاثة من مجازات الأبواب هذه أعيد بناؤها كما كان هناك باب صغير فى كل من الفسحتين الأخيرتين اللتين اختفيتا منذ ذلك الحين. والجدار كله مغطى بالجص على جانبيه، مما يجعل من الصعب فحصه فحصاً دقيقاً. إلا أنه أصلى ولو فى جزء منه، مما يتضح من بقايا زخرفة جصية فى الفسحة الثالثة عشر شبيهة بالزخرفة التى نراها على الجدار الشمالى الغربى ولا تزال موجودة على طول المكان الذى كانت به نافذة

فيما مضى (والجزء الأدنى من الجدار القائم فى هذه الفسحة، وكذلك كل الأجزاء الموجودة فى الطرف القريب من الحرم، تمت إعادة بنائها بالحجر، ويمكن التعرف على التعشيقات فيما بينها من خلال الملاحظ) ومن فجوتين معقودتين باستدارة عمقها ٦٠ سم تقريباً وعرضها ١,٦٢ م وارتفاعها ٢,٠٥ م فى وسط الفجوتين الرابعة والخامسة. ومن الواضح أنهما فتحتان من فتحات النوافذ الأصلية التى سدت بجدران. ودليل ذلك شكلهما المعقود باستدارة.

يبلغ سمك هذا الجدار حسب قياسه من خلال مجازات الأبواب ما بين ١,٢٠ و ١,٢٥ م باستثناء حالة المجاز الأول (بالفسحة الثالثة) حيث يبلغ سمكه ١,٤٥ م. ويأخذ الجدار فى الضيق تدريجياً بدءاً من هذه النقطة. لذا، فربما أعيد بناؤه وتدعيمه جزئياً من الخارج. وسبق أن رأينا منذ قليل أن النقطة التى يصطدم عندها بالجدار الشمالى الغربى الحالى ربما تقع الى الشمال بقليل من الركن الأصيلى هنا.

الجدار الشمالى الشرقى

وهو يمثل أكثر المشكلات الفازاً بسبب تخطيطه الناقص. فالجزء الذى ينتمى الى الفسحات الست الأخيرة (الى أقصى الجنوب، وتحتفظ خمسة منها بزخارفها القديمة - اللوحات ٩، ١٠، ١١ أ) يتميز بالاستقامة. ولكن الى الشمال مباشرة من هذا الجزء، نجد أن الجدار ينحرف بمقدار ٨٨ سم. وبعدها يفقد الاستقامة تماماً (الشكل ٢٠). ولما لمجال لافتراض أن مثل هذه الحالة كانت قائمة فى الجامع الأصيلى. فقد تم بناؤه على أرض مفتوحة رحبة عند بناء القاهرة، ولم يكن هناك مبانى أخرى تؤثر على تخطيطه. إلا أن الاستقامة الحالية لهذا الجزء تعود على الأقل الى عصر السلطان قايتباي، حيث أن مجاز الباب بالفسحة السادسة من ناحية الشمال والتى تؤدي الى الميضاة كان من إنشائه. وينحرف جدار الفسحات الخمس الى الشمال من هذا المجاز باتجاه الشرق. ولكن مع ذلك، لا يمكن أن يتوافق الركن الشمالى الحالى فى وضعه مع الركن الأصيلى. فلو كان الجزء المستقيم ممتداً، لمر الى الشرق منه بحوالى ٥٠ سم.

ونلاحظ مع ذلك أن الأجزاء الأمامية نصف الدائرية لهذه الدعامات الجدارية تقع كلها تقريباً على خط مستقيم مع الجزء الأمامى الذى ينتمى الى واجهة الحرم، وأن العقود بدلاً من أن تكون على شكل عقد منكسر بنيت كالعقود الثلاثة الأولى تماماً (وترتكز أيضاً على أزواج من الأعمدة) على كل من طرفى نفس الواجهة، مما يغرى بالظن بأنها تنتمى الى الجامع الأصيلى كالأخيرة وأن هذا الجزء من الجدار الشمالى الشرقى أعيد بناؤه فى تاريخ لاحق (ولكن قبل عصر قايتباي) وتم إبرازه على خط مستقيم جديد يستوى تقريباً مع الجزء نصف الدائرى من الدعامات. ولكن إذا تفحصنا بناء هذه الدعامات الجدارية فى المناطق القليلة للفاية التى سقط عنها ملاحظاتها، نكتشف حقيقة غير متوقعة، وهى أنها تتكون من أجزاء تبادلية من الطوب والحجر. وينطبق ذلك أيضاً على دعامات واجهة الحرم التى بنيت فى ٩١-١٨٩٢، ولو أن العقود أعلاها تنتمى فى هذه الحالة الى شكل العقود المنكسرة.

وهكذا فبدلاً من استنتاج أن البائكات الداخلية لهذا الرواق (والرواق المقابل له) أصلية، اضطرت الى عرضها فى التخطيط على أنها غير محددة التاريخ.

وفيما يتعلق بمجازات الأبواب، فإن المجازات الكائنة فى الفسحات الرابعة والحادية عشر صغيرة وخالية من أية مميزات معمارية. ويبدو أنها جميعاً تم نحتها فى تاريخ قريب نسبياً؛ فى حين أن المجاز الكائن بالفسحة الرابعة

عشر أعتاب أسكفة مزخرفة بإتقان، وربما كانت من أعمال قايتباي. ولعل من الحقائق المثيرة التي تخرج بها من فحص هذا الجدار هذين البروزين بعرض مترين تقريباً وعمق متر واحد في رواق الشراقة. ونظراً لقيامهما على محوري البائكتين الأولى والثالثة بالحرم (باتجاه من الشمال الى الجنوب)، فإننا نميل الى استنتاج أن كل بائكات الحرم كانت مدعمة عند كل من طرفيها. ولكن ينبغي لنا أن نقاوم هذا الميل؛ لأن هذا الجدار يميل الى الخارج لدرجة ملحوظة. ولو كانت كل بائكة مدعمة بدرجة كبيرة في الأصل، لما كان من المحتمل أن تتزحزح الى الخلف لهذه الدرجة. والاحتمال الأقوى هو أن الجدار اكتسب ميلاً في البداية بسبب الرغبة في التدعيم وأن هذين الكتفين أقيما هناك لحمايته. وليس هناك أى أثر لأى كتف على الجانب المقابل من الحرم اليوم. كما لم يكن هناك شئ من هذا القبيل قبل أربعين عاماً (الشكل ١٣). فلا أجد لها أى وجود فى تخطيط قديم بدءاً من حوالى عام ١٨٩٠ ضمن مجموعة لجنة حفظ الآثار العربية. إلا أن الكتف الجنوبي نجده فى تخطيط لوزارة الأوقاف بتاريخ ١٨٩٤. ومن ثم، فلعله يرجع الى الخديوى توفيق والآخر الى الخديوى عباس الثانى.

الجدار الجنوبي الشرقى

تمت إزالة الجدار الجنوبي الشرقى بأكمله فيما عدا طولين أحدهما طوله حوالى ٧م ويضم المحراب والآخر طوله حوالى ١٠م، وهو أصلى بالتأكيد نظراً لزخرفته بحشوتين عظيمتين من الزخارف الجصية (اللوحة ٧ أ، ٨). والجدار الذى يمتد من هنا الى الركن الجنوبي بنى من الحجر وينتمى الى أعمال عبدالرحمن كتخدا.

مادة البناء

الطول الأول فى الجدار والذى أشرنا اليه لتونا مغطى بأكمله بالملاط؛ إلا أن الواجهة الخلفية للطول الثانى يمكن فحصها من الحجرة الكائنة خلفه. والمادة التى استخدمت والتى تبدو مكشوفة بصورة واضحة هى الطوب، وهو طوب شبيه بنظيره المستخدم فى بناء جامع ابن طولون.

البائكة الخارجية للحرم

نعود الآن الى الحرم. تمثل البائكة المجاورة للصحن مشكلة فيما عدا عقدها الأوسط. وسبقت الإشارة الى أن العقود الستة الأولى الى اليمين واليسار كانت مائلة لدرجة شديدة (٢٠ سم على ٦م) فى عام ١٨٩٠ لدرجة تقرر معها ضرورة تدعيمها وتحديد الأساس. ولكن تقرر أيضاً ضرورة الحفاظ على الجزء العلوى وتعديله الى الوضع الرأسى إن أمكن. وظلت الزخرفة الجصية على واجهته الجنوبية الشرقية سليمة. وفى ١٣ ابريل ١٨٩١، تم إبلاغ اللجنة بأن المقاول لم يتمكن من تنفيذ العملية على الوجه المطلوب. من ثم تم تفويض المهندس المعماري التابع للجنة، فماذا فعل؟ لا نجد أية معلومات عن ذلك فى الوثائق؛ ومن الصعب أن نحقق فى مأساة أثرية بعد خمسين عاماً من وقوعها. ولكن هناك شيئاً واحداً مؤكداً، وهو أن الدعامات فيما عدا الدعامتين الوسطيتين وراء القبة تمت إزالتها تماماً على الأرجح؛ لأن الدعامات الحالية وواجهات العقود التى تعلوها تعد اليوم رأسية تماماً. وهل تم تصوير الزخرفة الجصية أو رسمها؟ وليس هناك من المسؤولين عن الأعمال الجصية الجديدة على قيد الحياة سوى يوسف أفندى أحمد. فأخبرنى أنه كان مسؤولاً عن النقوش

الكتابية وأن يوسف على ومساعدته أمين الشافعي كانا مسؤولين عن الزخارف، وتوفى كلاهما. ويجد يوسف أفندي صعوبة بالطبع في أن يتذكر ما حدث بدقة بعد مرور خمسين عاما. إلا أنه يعتقد أن هناك رسما كروكيا وضع للزخارف قبل إزالتها. وربما تم الإبقاء على بعض الجص القديم وأعيد استخدامه. لكنه ليس على يقين من ذلك. وقمت من جانبي بمراجعة كل رسومات الأزهر المحفوظة بسجلات وزارة الأوقاف ولجنة حفظ الآثار العربية على الآثار دون أن أعثر على مثل هذه الرسومات أو الصور.

وهل يمكن قبول الزخرفة الجصية الحالية على أنها أصلية في جزء منها والجزء الآخر على أنه نسخة طبق الأصل من الأعمال القديمة؟ ان مجرد القاء نظرة عليها يكفي لإثارة شكوك جادة في الأذهان. بداية، فإن المراوح النخيلية ذات الأطراف المسننة الطويلة والتي تملأ الفراغات الضيقة المتروكة بين أطراف العقود المنكسرة والأشرطة نصف الدائرية للنقش الذي يحيط بها (اللوحتان ١١ ب، ١٣) لا تتفق مع تحديد القرن العاشر تاريخا لها. وما علينا إلا أن نلقى نظرة سريعة على زخرفة عقود المجاز القاطع (اللوحتان ٤ ب، ٦ ب) لكي ندرك مدى اختلاف المراوح النخيلية الفاطمية المبكرة. فلاوجود لأي شيء شبيه بالمراوح النخيلية المسننة الطويلة في البائكة المعاد بناؤها حتى نهاية القرن الثالث عشر كأطر النوافذ بجامع السلطان بيبرس الذي انتهى العمل فيه عام ٦٦٧ هـ (١٢٦٩ م) وضريح السلطان قلاوون الذي انتهى العمل فيه في سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٤ م) وجامع الأمير حسين (٧١٩ هـ/١٣١٩ م، انظر كريزويل *The Year Book of Oriental Art* ص ٣٨-٣٩، واللوحتين ٢٦ ب، ٢٧)، وبالتالي يجب رفض هذا الجزء من الزخرفة.

هذا ما توصلت اليه عندما قامت مدام فلورى في سنة ١٩٣٦ بنشر دراسة قصيرة (Ledécor épigraphique des monuments Fatimides du Caire, Syria, xvii, pp. 365-76) كانت قد عثرت عليها بين أوراق زوجها عقب وفاته. وفي هذه المقالة، توصل فلورى الى استنتاج مايلي: (أ) جوانب العقود على جانبيها نقوش تنتمي الى طراز متأخر، وكثيرا ما يجد المرء سلسلة من عبارة «الملك لله» بحروف لايمكن أن تنتمي الى فترة سابقة على نهاية القرن السادس (١٢ م)؛ (ب) النقوش الكائنة على قاعدة الحشوات المعقودة الدائرية تتألف من حروف كوفية حديثة تماما؛ (ج) أن بقية النقوش المحيطة بالحشوات المعقودة الدائرية والعقد نصف الدائري أعلى الفتحة العقدية المنكسرة تضم حروفا تنتمي الى أعمال العزيز (٣٦٥-٣٨٦ هـ/٩٧٥-٩٩٦ م). ويتضح الفارق بين هذه العصور بصورة واضحة في رسمه الجميل (شكل ١٤).

لكننا قد نذهب الى ما هو أبعد من ذلك. فقد سحنت لفلورى بالصدفة في سنة ١٩١٠ فرصة شراء صورة سالبة تضم عقدا كان بهذه الواجهة قبل إزالتها (وأعيد وضع تصور لها هنا في اللوحة ١٢ ب). ويمكن تحديد تاريخ هذه الصورة بما يبدو في خلفيتها من ظلال جديدة للصحف؛ إلا أنها لاتزال تفتقر الى شرافتها وزخارفها الجصية. وبناء على ذلك، فهي تعود الى ما قبل زيارة الخديوي عباس الثاني في سنة ١٨٩٢، حيث كانت الأعمال الجصية في ذلك الوقت لاتزال جارية. ومن الغريب أن فلورى نفسه يبدو انه تجاهل هذه الوثيقة الشديدة الأهمية في دراسته المشار اليها. ويتضح من بروز العقد الى اليسار أننا أمام أول عقد الى شرق المجاز القاطع حيث وضعت الدكة اليوم. ويتضح منها أن التكوين الإجمالي للجزء الأوسط تم تغييره، فليس هناك شريط دائري يحيط بالعقد المنكسر والمراوح النخيلية المسننة التي أثارت شكوكي ليست موجودة. وتسير النقوش على طول الجزء العلوي المستقيم للعقد المنكسر حيث لا وجود لأي نقش اليوم. بعبارة أخرى،

فاطار العقد الدائري مستحدث. والمراوح النخيلية المستننة المنسوخة عن نماذج من أواخر القرن الثالث عشر حلت محل النقش. إضافة الى ذلك، فأشرطة النقوش الضيقة التي تتصاعد اليوم على الجوانب الرأسية للعقد المنكسر مستحدثة كذلك، لأنه لم تكن هناك نقوش قبل ذلك. وحتى السرة الكائنة بكوشة العقد اليمنى لا تحمل أى شبه بالسرة الحالية؛ فهي تتكون من عناصر مشعة، فى حين أن السرة الحالية تتألف من دوائر متداخلة. أما بالنسبة لكوشة العقد اليسرى فليست بها سرة اليوم. ومن ثم، يمكن لنا أن نرفض هذه الزخرفة بأكملها.

تنطبق نفس الملحوظة على الإفريز المحتد أسفل السقف (وهو لا يظهر فى رسم فلورى، انظر اللوحتين ١٢-١٣). فهو نسخة من نظيره بأعلى العقود الثلاثة على الأعمدة على طرفى كل منها. ويتكون من مراوح نخيلية (لوحة ١٤)، فى حين أن الإفريز الذى نراه فى الصورة (لوحة ١٢ ب) يتكون جزئيا من عناصر كمثرية الشكل، وهو صورة طبق الأصل من نظيره الكائن بأعلى الحشوات الموجودة على جدار القبلة وكذلك على الجدار الشمالى الشرقى (اللوحات ٧أ، ٨، ٩، ١٠، ١١أ). وهكذا يجب رفض كل شئ عدا الجزء الداخلى من الحشوات المستديرة الرأس بأعلى الدعامات. وقمت بالصعود الى أعلى الدكة بالصورة القديمة وتفحصتها بعدسة مكبرة وقارنت تفاصيلها بالزخارف الكائنة الى يمين العقد ويساره. ووجدت أن الزخرفة الجصية تشبه نظيرتها التى تظهر بالصورة. وحتى الكلمات المنقوشة حول عقد الحشوة اليمنى مختلفة؛ وبالتالي، فإن فلورى ضلل يوسف أفندى أحمد الذى أخذ حروف كلماته من نقوش أصلية بمكان آخر بالجامع. وسألت يوسف أفندى عما إذا كانت النقوش القديمة منسوخة بحيث يمكن إعادةتها من جديد على الدعامات التى تنتمى اليها، وكانت إجابته بالنفى.

أما حين نأتى الى دراسة بقية الحشوات، نجد ما يلي: (أ) أن بعض أجزاء الزخرفة الجصية تعد أدكن لونا من غيرها، مما يوحي بأن أجزاء الحشوات القديمة تمت صيانتها ثم أعيد استخدامها وتم إكمال البقية من ابتكار العامل الذى قام بالمهمة؛ (ب) أن بعض التصميمات، وخاصة الشجيرات ذات الثمار المتدلية وإحداها ذات جذع مكون جذرين يلتوى أحدهما على الآخر (اللوحتان ١٣ ب، ج، والشكل ١٥) تشبه نظيرتها على قبة الصخرة وعلى منبر القيروان، وأنه لمن الصعب أن تصدق أن مثل هذه التصميمات أمكن ابتكارها فى نهاية القرن التاسع عشر، إذ لا نجد مثيلا لذلك فى أى مكان آخر بمصر. لذا، فائنا مضطرون الى الاعتقاد بأن هذه الشجيرات بعضها تكوينات أصلية تم تنفيذها فى العصر الفاطمى وتم الاحتفاظ بها إبان إزالة الدعامات وبعضها الآخر تكوينات قائمة على ما كان موجودا قبل هذه الإزالة. فتتنمى الشجيرات الداكنة اللون الى النوعية الأولى، وتنتمى الأخرى ذات اللون الأفصح والتى تبدو أحدث عهدا الى النوعية الأخرى. أى أن الجزء الوحيد من زخرفة هذه العقود الاثنى عشر الذى يمكن اعتباره بأى حال من الأحوال وثيقة أثرية هو زخرفة الحشوات الكائنة أعلى الدعامات والى حد ما أيضا. وأنه لمن المؤسف أن هذه البائكات تمت إزالتها دون أن يتم تسجيلها أو تسجيل الزخارف الجصية المبكرة التى كانت تزينها، ومن المؤسف أن يحدث ذلك بعد تسع سنوات من إنشاء لجنة حفظ الآثار العربية وبعد مايقرب من خمسة وأربعين عاما من اختراع التصوير الفوتوغرافى (١٧٣).

هل كانت العقود السابقة التى كانت قائمة على الدعامات أصلية؟

يتخذ فلورى من شكل العقد المنكسر دليلا على ذلك، ويستشهد بقان برشم (ترجع كتاباته الى ١٨٩١)

فيما يلي :

« في كل الجوامع الفاطمية، نجد أن الصور الجانبية لعقود الحرم والفلالات من النوعية التي يطلق عليها اسم «العقد الفارسي» (١٧٤) l'arc persan، بمعنى أنها ناشئة عن عقد منحنى ينتهي عند كل من طرفيه بخط تماس دائرة. وهذه الصورة الجانبية المألوفة في العمارة الإسلامية في فارس والبلاد المجاورة لها لا وجود لها في مصر إلا في العصر الفاطمي، مما يمكن تحليله بمظاهر المؤثرات الفارسية في وادي النيل في ظل حكم أسرة لها أصول فارسية من خلال أصولها الإسماعيلية وعقائدها الشيعية. ويتضح هذا التأثير الفارسي من خلال التفاصيل المعمارية. إلا أن العقود الأقدم زمنا بالأزهر والتي تمثل هي الأخرى الصورة الجانبية التي تميز العقد الفارسي تشير بكل تأكيد إلى أصلها الفاطمي » (Notes d'archéologie Arabe, Journal Asiatique, 8me sér., t. xvii, pp. 428-9).

ونرى من جانبنا أن الزعم بتأثير الفاطميين بفارس بناء على جذورهم الإسماعيلية وعقائدهم الشيعية يعد أمرا مشكوكا فيه (١٧٥)، رغم أن الغالبية يتقبلونه بتسليم مطلق. فاستمر العصر الفاطمي في مصر من ٩٦٩م إلى ١١٧١م، أي لمدة تزيد عن مئتي عام. إلا أن هناك أسرة سنية متشددة أسسها طغرل بك التركي السلجوقي وتولت زمام الحكم بفارس في سنة ٤٢٩هـ (١٠٣٨م) بحيث أنه طوال فترة المئتي عام التي حكم الفاطميون فيها مصر، ظلت فارس تحت حكم سني لمدة ١٣٣ عاما (١٧٦)، أو ما يعادل نسبة ٦٧ بالمئة من الحقبة الفاطمية. ويؤمن سلاطين بنفس الرأي حيث يقول :

« إن بانيات الأزهر التي تتركز على أعمدة تنتمي إلى شكل حاد شديد التميز مثل عقود المحارب المتداخلة بينها، وهو شكل العقد المبني من الطوب، وبصورة عامة العقد المستخدم في بلاد فارس. وكانت الأسرة الفاطمية شيعية كالفرس، مما يفسر وجود علاقات وطيدة مع فارس، وربما يفسر تأثير العمارة الفارسية أيضا » (Manuel, 95-6).

ويشير فان برشم مرة أخرى إلى نفس المسألة في سنة ١٩٠٩، حيث يذكر أن الفن الإسلامي بمصر الفاطمية كان يستوحى الأنماط الفارسية بصورة مباشرة، مما يرجع إلى الانتماءات الدينية والسياسية (Une inscription du sultan mongol Uldjaitu, Mélanges Derenbourg, p. 377). وبعد ذلك بثلاثة وعشرين عاما، كتب هوتكير قائلا :

« ... وسبب قوة العلاقات مع فارس يرجع إلى الانتماء إلى العقيدة الشيعية التي اعتنقها الفاطميون » (Les mosquées du Caire, 218).

وهو رأي أيده مارسيه بعد مراجعته لكتاب هوتكير، حيث قال :

« يتضح الأصل التونسي للخلفاء الفاطميين في تخطيط الأزهر. وصحبت علاقاتهم بفارس أنماط من العقود ظلت البلاد تتجاهلها حتى الآن » (Revue Africaine, xxiv, p. 29).

ويشير هذا الجدل الدائر حول العقود العديد من الشكوك، وهو يقوم على حقيقة أن العقد المنكسر كان سائدا في العمارة الفارسية كما هو شائع في ذلك الوقت (١٨٩١). هذا كلام معقول، ولكن في ذلك الوقت كان أقدم أثر معروف من العمارة الفارسية عدا المآذن والمدافن البرجية هو ضريح السلطان سنجر (١٧٧) (توفي ٥٥٢هـ/١١٥٧م) بمرق القديمة. فأى دليل لدينا على أنه كان معروفا في فارس حين تم بناء الأزهر؟ ورغم الزيادة الهائلة في عدد الآثار الفارسية التي عرفت ونشرت، إلا أن أيا منها لا يكاد يرجع إلى تاريخ أسبق من تاريخ الأزهر حتى وإن كان ذلك يشمل آسيا الوسطى (بخارى) باعتبارها جزءا من مجال العمارة الفارسية.

وفيما يلي قائمة بها:

١. دمغان: تاريخانه (١٧٨)، عقود من الطراز الساساني الإهليلجي فيما عدا بعض منها تدل على ميل الى القمة المدببة (Briggs, in Burlington Magazine lxi, p. 184)؛

٢. بخارى: ضريح إسماعيل الساماني (١٧٩) قبل عام ٢٩٦ (٩٠٧م)، عقود مدببة من الطراز ذي المركزين، والفواصل بين المركزين ربع شبر (Cohen-Weiner, Turan, pp. 12-13, 33)؛

٣. ناين (١٨٠): جامع، وهذه العقود التي ترجع بزخارفها الجصية الى أواخر القرن العاشر (أي نفس عصر إنشاء الأزهر) تنتمي الى الطراز ذي المراكز الأربعة؛

٤. اصفهان (١٨١): مسجد جامع، وتنتمي عقود أقدم أجزائه ويرجع الى عهد ملك شاه (٤٦٥-٤٨٥هـ / ١٠٧٢-١٠٩٢م) أي بعد بناء الأزهر بمئة سنة الى الطراز الرباعي المراكز. ولكن يستحيل إدراجها ضمن العقود المنكسرة.

أما بالنسبة للطراز الرباعي المراكز من العقود، فأقدم نموذج معروف له هو بوابة بغداد بالرقعة (١٨٢) (١٥٥هـ / ٧٧٢م). وتقع هذه البوابة على بعد مئات الأميال من أقرب نقطة من أراضي فارس، في حين لا يفصلها عن الشام سوى مسافة توازي عرض الفرات. ومن ثم يمكن القول إن الطراز الإهليلجي من العقود الفارسية في العصر الإسلامي والموروثة عن العصر الساساني ظهر أولاً وصحبه ميل نحو القمة المدببة. ثم تلاه العقد المدبب الثنائي المركز (بخارى) والذي كان معروفاً بالشام قبل ذلك بقرون عديدة. ثم تبعه الطراز الرباعي المحور (اصفهان) والذي عرف بالرقعة قبل ذلك بقرون. وسرعان ما اتخذ هذا الطراز شكل عقداً منكسراً، ولكن كان ذلك في أواسط القرن الثاني عشر من قبيل ضريح جلال الدين حسين بأوزكند ويرجع الى الرابع من ربيع الثاني ٥٤٧هـ (١١٥٢م Cohen-Weiner, Turan, p. 35 & taf. xii-xiii). وهكذا فالحقائق تنكر تلك الأفكار الشائعة التي دامت طوال الخمسين عاماً الماضية.

ولا نجد للعقد المنكسر أثراً بمصر قبل ١١٠٠م. فعقود جامع الحاكم (٣٨٠-٤٠٣هـ / ٩٩٠-١٠١٣م) وجامع الجيوشي (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) لا تنتمي الى هذا الطراز. ومع ذلك، فإن عقد المحراب باخوة يوسف (١١٠٤-١١٢٥م، لوحة ١١٨ أ) ينتمي الى الطراز المنكسر الحقيقي. فنصفاه العلويان مستقيمان تماماً، كما هو الحال في عقد الأزهر الموضح في الصورة التي اشتراها فلوري. وتنتمي الى هذا الطراز أيضاً العقود التي تدعم القبة أمام المدخل المؤدى الى الجواز القاطع بالأزهر. وربما كانت تعود تاريخياً الى عهد الحافظ لدين الله (٥٢٤-٥٤٤هـ / ١١٣٠-١١٤٩م).

وهكذا يصبح من المستحيل أن ترجع العقود المنكسرة التي تمت إزالتها في سنة ١٨٩١ (وأحدها موضح باللوحة ١٢ ب) الى عصر بناء الجامع. وكنت دائم الشك في هذه الدعامات؛ فكنت أستبعد أن يقوم أحد ببناء بائكة من ١٩ عقداً كلها ذات مسافة واحدة بين دعامتيها وأن يدعم الثلاثة الأوائل عند كل طرف بأزواج من الأعمدة والباقي على دعامات. أليس من المحتمل أن تكون البائكة كلها كانت فيما مضى تتركز على أزواج من الأعمدة فيماعد العقد الأوسط الذي يغلق الجواز القاطع؟ وهناك دليل آخر يؤيد هذا الرأي. فباستقراء مختلف الملاحظات القصيرة التي دونت عن الأزهر بصورة متفرقة في تقارير اللجنة اكتشفت أن الأعضاء أبلغوا في عام ١٨٩٠ بأن أعمال التنقيب أوضحت أنه «على أثر سلسلة عمليات الترميم أصبح ثقل الأعمدة يزيد

على الأساسات التي تعد أقل من البناء الرأسي» (Comité de Conservation, Exercice 1890, p. 104). وهذه الأساسات بلاشك متواصلة كما في جامع عمرو (انظر كتابنا *Early Muslim Architecture* المجلد الثاني، ص ١٩٠ والشكل ١٦٨). والعادة أن تكون أعرض من الدعامات بحوالى متر. ومتوسط حجم الدعامات ١,١٣ × ١,٦٠ م، وبالتالي، ينبغى أن يكون عرض الأساسات حوالى مترين. ومن ناحية أخرى، فلو كانت الأساسات أصغر حجماً قليلاً من الدعامات الحالية أى بعرض ١,٢٥ م مثلاً لكانت مناسبة تماماً لأزواج من الأعمدة كتلك التي نجدها في بقية البائكة. فالأساسات المتواصلة في بائكات جامع عمرو تتفاوت في العرض بين ١ م و ١,٥ م (انظر E. M. A.، الشكل ١٦٨). أى أنه من المحتمل أن البائكة بأكملها في الجامع الأصلي كانت تتركز على أزواج من الأعمدة أقيمت طولياً مثل العقود الثلاثة الأخيرة عند كل طرف كما نراها حالياً.

زخرفة الأسطح

- يمكن تقسيم زخرفة الأسطح الجصية بالجامع الأزهر الى ست مجموعات على النحو التالي:
- أ) و (ب) زخرفة المجاز القاطع (الجوانب والطرف الشمالى الغربى).
- ج) زخرفة المحراب.
- د) الحشوات الكائنة على ما تبقى من جدار القبلة الأصلي.
- هـ) الزخارف الكائنة على الجدار الشمالى الشرقى بالحرم وجزء باقى على الجدار المقابل فى الفسحة الرابعة من جدار القبلة.
- و) زخرفة كوشات العقد بالعقود الثلاثة الأخيرة عند كل من أطراف البائكة المجاورة للصحن.
- ز) زخرفة الجزء الذى يتركز على دعامات فى نفس البائكة.

أ. جوانب المجاز القاطع (١٨٣) [الرواق (البلاطة) الأوسط العمودى] (اللوحتان ٤ ب، ٦ أ)

ينبغى أن نشير فيما يتعلق بهذه الزخرفة الى الزخارف الكائنة فى بعض كوشات عقد آيا صوفيا التي أشار اليها أوين جونز باعتبارها أساساً لبعض طرز الزخرفة السطحية الإسلامية. فيقول فيما يتعلق بكوشات عقد آيا صوفيا «نجد عليها نسقاً زخرفياً يختلف كل الاختلاف عن السمات الإغريقية الرومانية لهذه الأبنية ولا يستبعد أن يكون محصلة لبعض التأثيرات الآسيوية» (وأعتقد أنه على حق، وأن هذا التأثير لم يكن آسيوياً بصورة عامة، بل شامياً). فإذا تفحصنا هذه الزخارف على كوشات العقد (الشكل ١٦)، نرى أنها تتكون من حلقات متماوجة على شكل نبات شوكة اليهود، وتكاد تشكل ثنائياً حلزونية من نبات شوكة اليهود. وكان هذا الشكل شائعاً فى الشام باختلاف أنما نجد فى كل حالة حلقة مفردة من نبات شوكة اليهود تشكل صففاً مفرداً من ثنائيات النبات الحلزونية، فى حين أننا نجد فى آيا صوفيا (٥٣٢-٥٣٧ م) العديد من الصفوف المتوازية من حلقات نبات شوكة اليهود التي تميل الى الشكل الحلزوني الناقص وضعت جنباً الى جنب بحيث تملأ كوشة العقد بأكملها). ويواصل أوين جونز قائلاً:

«مهما كان الأمر، فهذه الكوشة نفسها أساس الزخرفة السطحية للعرب والمسلمين» (١٨٤). ويلاحظ أن أوراق النبات المحيطة بالمركز هي بقايا ورقة نبات شوكة اليهود. ومع ذلك فهي أول محاولة للخلاص من مبدأ أوراق النبات التي

تخرج احدها من الأخرى، أى تواصل الحلية دون فواصل. ونجد النمط موزعا على الكوشة كلها بحيث يفرز مساحة لونية متساوية، وهو ما يعد هدفا ثابتا للعرب والمور... إلا أنه كان ثم اختلاف، وهو أن الزهور أو أوراق النبات عند الإغريق لا تشكل جزءا من الحلية، بل تثبت منها، فى حين أن الحلية عند العرب تتحول الى ورقة نبات بسيطة... ويبدو أن الزخرفة (شكل ١٦) التى نوردناها هنا من آيا صوفيا تعد واحدة من أقدم نماذج هذا التعبير

(Cranmur of Ornament , p. 3 of Chapter on Arabian Ornament) .

ويؤكد فرانز باشا بعد ذلك بسنوات عديدة على أن زخارف عقد آيا صوفيا بترتيب خطوطها تشبه نظيرتها بكوشات الأزهر، وأن أوراق الأخيرة تحاول أن تتحرر من الأنماط البيزنطية (Kairo , p. 25) . يقول فلوري :

«... لذا فقد يكون من المفيد أن نؤكد على وجود الاختلافات. ففي زخارف الأزهر، نرى السيقان أقل ازدحاما بالأوراق وبالتالي فهي أطول أيضا. وفى الوقت نفسه، نجد الاستدارة واضحة لدرجة أن شخصيتها المتماوجة تنمحي أحيانا. وفى هذه النقطة، فإن كوشات العقود بالأزهر تشبه بعض الأنماط فى المشتى. ولا يزال النوع فى أشكال الأوراق مذهلا. ففي كنيسة آيا صوفيا، نجد أن نمط نبات شوكة اليهود سائدا. أما أوراق الأزهر، فعلى النقيض من ذلك تكاد تنطق بسمة المراوح النخيلية. وماله أهمية خاصة هو أن التوريق اللولبي ذا السيقان القصيرة الذى احتفظ بشكله البدائي العتيق فى الشام وبين النهرين وحتى القرنين السادس والسابع اتخذ هنا صورة المراوح النخيلية. وفى أعمال المحالين المتماثلة، نجد قدرا من التشابه والشكل (١٧) الذى يوضح قمة العقد الثانى من المدخل الى اليمين لا بد من الاستشهاد به فى هذا الموضع باعتباره عينة متميزة من أقدم أسلوب فى الأزهر. وتوضح الرغبة فى التماثل فى الزخرفة الخطية وتزداد وضوحا فى كوشى العقد اللتين ترتبط محاليتيهما معا فى قمة العقد وتنتهى بورقة نباتية على شكل حرف T عادية»

«... وحيثما تكشفنا حشوات العقد عن حشو غير متماثل (وهو ما نجده فى كوشة العقد بأعلى العمود الأول الى اليسار) فلا بد أن نفترض أن هناك ترميمات لاحقة تمت فيها. ونرى هذه الحالة ماثلة فى كوشة العقد الضخمة باللوحه (١٠)، انظر لוחتي رقم ٤ ب). ولا تنتمى المراوح النخيلية المتعددة الفصوص والتي ركبت مع فتحات على شكل حرف (و) والتي تختلف فى أسلوبها وتكتيكها تمام الاختلاف عن أعمال المحالين المحيطة بها الى الزخرفة الأصلية، وهو ما نراه لا فى هذا الموضع وحسب، بل بصورة متكررة على الجدار المقابل. وتكشف هذه العناصر عن أصلها الأجنبى حيثما وجدت من خلال التنوع والأسلوب الذى تشيعه على السطح... أما حدادة زخرفة العقد الدائرى (فى الطرف الشمالى الغربى من المجاز القاطع، لوحه ٦ ب) وزخرفة كوشة العقد فهي أمر مؤكد» (Flury,)

(Die Ornamente , p. 32-3) .

(ب) الطرف الشمالى الغربى من المجاز القاطع (اللوحة ٦ ب)

لدينا هنا مخطط زخرفى كبير نسبيا. وعلى إطار الجزء الأعلى من العقد المذهب والقائم على ركائز، نجد شريطا بالخط الكوفى يدور بزوايا يمنى بأعلى المنبت بحيث يشكل حشوة على كل جانب. والترتيب يجعل كوشات العقد تبدو أصغر مما لو كانت بدأت من حيث كان متوقعا لها أن تبدأ، أى عند منبت العقد أو عند قاع الجزء القائم على ركائز. والنتيجة ليست مرضية تماما. فزخرفة البلاطات السفلية التى تكونت بذلك تبدو وكأنها ترجع الى عملية ترميم حديثة. أما زخرفة كوشات العقد فتعد نصف أصلية. وتشبه زخرفة المجاز القاطع الى حد كبير. وهى مرتبة بطريقة متماثلة هنا أيضا حول محور مركزى فيما عدا أن الحلقات الاضافية على الجانب المجاور للعقد أضيفت لملء الجزء المستدق الطرف. والحافة العلوية من زخرفة كوشة العقد تمشى على

خط واحد مع الحافة العلوية من الزخرفة الجصية للبائكات الجانبية (لوحة ١٥).

وفوق هذه الحافة العلوية الشديدة التميز، نجد أربع حشوات معقودة ومستديرة مرتبة فى أزواج على كل من جوانب مستطيل وإطار مركزى أطول قليلا. ويسير إفريز من أنصاف المراوح النخيلية بأعلى الحشوات المعقودة المستديرة، ثم ينحرف بزوايا يمنى ويغوص ماراً تحت الإطار المستطيل فى الوسط. ويلفتنا فلورى (Die Ornamente) الى الطريقة التى وضع هذا الإفريز حول الاستدارات الأربع ذات الزوايا اليمنى عن طريق خمس مراوح نخيلية مفصصة، وهو عكس ما نجده بجامع ابن طولون حيث نجد أشرطة الزخارف التى تسير حول العقود عادة ما تتوقف كل أمام الآخر عند المنحنيات إلا فى ثمانى حالات (راجع كتابنا E.M.A.، جـ ٢، ص ٣٤٥ واللوحات ١٠١ ب، ١٠٢ ب، ج). وكان هذا الإطار المستطيل يضم فيما مضى نافذة جصية ذات زخارف هندسية. وانكسرت ولم يبق منها إلا بضع أجزاء حول الحافة. وفى المكان الذى كانت تشغله، نجد نافذة جصية أخرى بزجاج أخضر وأصفر وتنتمى الى منطقة انتقال المقصورة القبابية الصغيرة التى سبقت الإشارة إليها.

(ج) زخرفة المحراب

يتكون المحراب من حنية مستديرة تغطيها نصف قبة [الطاقية] مفرغة وضعت فى إطار معقود مستدير يرتكز على أعمدة رخامية ذات تيجان على شكل ساعة (ويصور جاييه فى كتابه بعنوان *L'art Arabe* (شكل ١٨) تاجا لمحراب الأزهر يبدو وكأنه مصنوع من جص. ولم أتمكن من العثور عليه لافى الأزهر ولا فى غيره). والجزء شبه الدائرى من الحنية محشو بخطوط رأسية من الرخام الأبيض والملون تبادليا. ولا يمكن أن يرجع هذا التصميم الى ما قبل عملية الترميم التى أمر بيبرس بتنفيذها فى سنة ٦٦٥ (١٢٦٦م)، إذ أن هذه الخطوط الرخامية يندر وجودها بالقاهرة قبل نهاية العصر الأيوبي. وكان كل من نصف القبة والإطار المعقود مغطى ببطانة من الخشب المطلقى حتى عام ١٩٣٣ (ونجده مصورا لدى كل من هوتكير وفيت، المرجع السابق، لوحة ٩١). وفوق هذا، هناك إطار جصى ممتد عبر عرض المجاز القاطع كله. وتشغل الجزء الذى يعلو المحراب تماما بائكة صماء ذات خمسة عقود ثلاثية ترتكز على أعمدة صغيرة ذات تيجان على شكل ساعة، ثلاثة منها محشوة بتصميمات هندسية كما لو كان القصد منها أن تكون نوافذ؛ واثنان بهما أنماط متماثلة ومتقنة من التوريق. وهى تشبه (أ) البائكات الصماء الصغيرة فى المحراب على الجدار الشمالى بجامع عمرو والتى قد تعود الى الأمير سلار فى سنة ٧٠٣ (١٣٠٤م). وهناك بائكات صماء مشابهة فى (ب) جامع الأمير حسين الذى يرجع الى ٧١٩ هـ (١٣٢٠م)؛ (جـ) فى الجامع العمرى بقوص، وتشبه أنماط التوريق المتماثلة نظرائها على الحشوات الخشبية التى تعلو مدخل جامع ألماس (٧٣٠ هـ / ١٣٢٩م) شبها قريبا. أما الجامة الكائنة الى اليسار، فهى الأخرى تشبه الجامة التى نجدها بجامع الأمير حسين. وهكذا، فربما تمت كل هذه الأعمال بين عامى ٧٠٠ و ٧٣٠ هـ وفى النصف الثانى من هذه الفترة، لا النصف الأول منها. وإذا اتجهنا الى مسألة تاريخ الجامع، نجد أنه تم ترميمه على يد القاضى نجم الدين الأسعدى فى سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥م). ولستنتج من ذلك أنه كان جزءا من هذه الأعمال (وينسبها محمود باشا جميعا الى الأمير عز الدين أيدمر الحلى فى سنة ٦٦٣ (١٢٦٦م) Comité de Conservation, Exercices 1933-5, p. 57).

تم اكتشاف الزخرفة الجصية الأصلية للعقد ونصف القبة [طاقية المحراب] على يد محمود باشا أحمد فى

سنة ١٩٣٣ (Concise Guide, p. 25, Fig. 7) حين قام برفع الكسوة الخشبية المطلية التي كانت تخفيها وراءها (١٨٥). وتتألف زخرفة نصف القبة [الطاقية] من سيقان محززة متماوجة ذات مراوح نخيلية بفصين وثلاثة فصوص تلتف بصورة متماثلة حول محور مركزي قوامه مروحة نخيلية مدببة ذات خمسة فصوص وكأس حلزوني الشكل أو «مروحة نخيلية على شكل كأس». وفي الجزء الأدنى يمينا ويسارا، نجد نصف مروحة نخيلية ذات ورقة نبات بها خمسة فصوص ترتفع في الوسط. وهناك أيضا مراوح نخيلية مماثلة، ولو أنها في حالة أقل جودة، في الوسط بالمجاز القاطع، إحداها أعلى العمود الثاني إلى اليمين (لوحة ٥ ب) وأخرى بكوشة العقد إلى اليمين بجوار الجدار الشمالي الغربي وثالثة مماثلة تماما في جدار القبلة على قمة البلاطة اليسرى (لوحة ٨ أ). إضافة إلى هذا، فالنقش المحيط ينصف القبة يشبه نظيره الذي يجرى حول الحشوات على الجدار الخلفي. وبهذا فلا مجال للشك في أن زخرفة طاقية المحراب والمجاز القاطع وما تبقى من جدار القبلة الأصلي تنتمي جميعا إلى حقبة زمنية واحدة. أما في النقش الذي نراه على الواجهة الخارجية من الإطار المعقود، فإن الفراغات البيضاء المتروكة بين قوائم الحروف فيملأها عدد من العناصر الزخرفية الصغيرة، مما يوحي بأنها نتاج عملية ترميم تمت في تاريخ لاحق نوعا ما. كما أن هناك ميزة أخرى لا نجد لها في أي جزء آخر من الجامع. فهذا النقش الخارجي ليس مسطحا إلا في جوانبه. ومن النقطة التي يبدأ فيها المنبت تبدأ حوافه العلوية في الالتفاف لولبيا بدرجة طفيفة بحيث تصح تأثير قصر الخطوط كما هو الحال في مسجد سوسة الجامع (٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م، E.M.A., II, p. 249). وسنجد نفس هذه الخاصية في بعض نقوش جامع الحاكم.

الحشوات الزخرفية بجدار القبلة

كان الجدار الخلفي، كما هو واضح من الأمتار العشرة الباقية منه، تتخلله نوافذ معقودة مستديرة بعتبات تعلو ٣,٦٧ م فوق الأرضية وضعت على محور كل عقد بالباثكات. وفيما بين كل نافذة، هناك حشوة زخارف معقودة مستديرة تتفق مع النوافذ في حجمها وشكلها تماما (لوحة ١٧ أ). وترتبط ببعضها البعض بشريط متصل من النقوش يصعد على جانب نافذة ويهبط تحت أخرى وينحرف بزوايا يمنية ليحجرى أفقيا لمسافة قصيرة ثم ينعطف مرة أخرى ليدور حول الحشوة. وزخرفة هذا النقش في غاية البساطة. فتتكون من عدد قليل من الأقراص المنقوطة في الفراغات العارية كما هو الحال بجامع ابن طولون. وبنيت عدد قليل من ورقات النبات ذات الفصين من الحروف بصورة متفرقة (ويقارنها فلوري بنقوش موجودة ببعض الأعمال الأسبانية [الأندلسية] من قبيل علب العاج (١٨٦) الخاصة بالمغيرة وترجع إلى عام ٣٥٧ هـ / ٩٦٨ م والمحفوفة بمتحف اللوفر). وهناك إفريز يتكون من شريط من الزخرفة النباتية يمتد ويكاد يلامس قمة كل عقد. وبهذا تتكون كوشات عقد عادية. وإذا ألقينا نظرة على الجدار الشمالي الشرقي (لوحات ٩-١١)، يزول أي شك في أن هذا التخطيط تم بشريطين آخرين إضافيين، العلوي من الأرباسك والسفلي بالكوفي، وكانا يمتدان تحت مستوى عتب النافذة مباشرة.

لم يبق من الحشوات إلا اثنتان (اللوحتان ٨ أ، ٨) وجزء من حشوة ثالثة وجميعها في حالة جيدة ومكسوة بزخرفة نباتية ومحور كل منها يشطر الزخرفة إلى جزئين متماثلين. وتشبه السيقان المحززة نظيراتها في زخرفة المجاز القاطع. ونجد مبدأ التراكم التصاعدي الدائري سائدا هنا أيضا؛ إلا أن الزخرفة تمتاز عن نظيرتها بالمجاز القاطع بوجود عدد من العناصر الكمثرية الشكل أو البراعم المشقوقة من الوسط وحتى المركز، وهي بلاشك مشتقة من ثمرة فاكهة ما. ولهذا النمط شهرته نظرا لاستدارته، لأن كل عناصر الوريقات النباتية

ظلت مسطحة. وتبرز السمة المخالفة للطبيعة فى الزخرفة كلها فى إضافة العناصر الوردية الشكل (أ) أو الكمثرية). وتقوم الأوتاد فى جزء منها على السويقات لكنها تنبت كذلك على شكل توريق من أنصاف المراوح النخيلية أو تعامل كعناصر حشو حر. ومعظم الأوتاد والسويقات النباتية والمراوح النخيلية تبدو وقد تحققت بطريقة عشوائية. فاستخدم الفنان عنصر الورد المرن لكى يحصل على حشو مكثف بصورة موحدة متماثلة. ومع ذلك فهناك قدر من الارتباط العضوى بين الأوتاد والأوراق، مما لا يعود فى أصله الى الظروف العرضية للفراغات. وقد نرى مثالا على هذا النوع فى المتن المعقود الأيمن بالجزء السفلى الى اليسار (لوحة ٨ ب)، إذ ينمو الورد هنا مع كأس حلزوني الشكل (فلورى، ص ٣٤).

وتتميز معظم الأوراق النباتية فى الأزهر بسمة المراوح النخيلية. وما يضيف قدرا من الجاذبية فى ذلك هو الحالة التى تتضح أمام أعيننا أى أصل الأشكال الورقية الجديدة. فمن التقسيم المدهش لأنصاف المراوح النخيلية التقليدية وتحللها تخرج سلسلة من الأوراق النباتية ذات الفصين والثلاثة فصوص، وهو ما يتكرر بجامع الحاكم باختيارات محددة وتنوعات جديدة (نفس المصدر، ص ٣٥).

وأحيانا ترتبط فصوص الأوراق النباتية على شكل أنصاف مراوح نخيلية يتصل أحدها بالآخر بخط حدودى رقيق كما هو الحال فى المحارب الجصية المجاورة للدكة بجامع ابن طولون (انظر كتابنا E.M.A.، ج ٢، لوحة ١٢٣ أ، ب). وفى حالات أخرى تتأكد حواف الفصوص بحاشية مزدوجة. وهى فى هذه الخاصة تختلف عن نظيراتها بجامع الحاكم.

يوجه فلورى النظر الى سمة أسلوبية مهمة وغير مألوفة بالنسبة للأعمال الأسبق وهى ظهور الخلفية. «... فالزخرفة الطولونية القصيرة الساق نجدها فى سطح مستوى واحد. أما فى الأزهر فتتحرك الزخرفة بحرية واضحة على خلفية مرئية بوضوح» (فلورى، ص ٣٦). وعلى هذه الخلفية، لا يزال من الممكن رؤية بقايا اللون الأزرق إذا تفحصناها عن كثب من فوق سلم. وهناك فارق جوهري آخر يبرزه فلورى وهو أن أشرطة النقوش فى كل هذه الزخارف ترتبط بصورة أوثق كثيرا بالتزيين عنها بجامع ابن طولون الذى يرجع الى تاريخ أسبق منه بمئات السنين.

وبين الأوراق النباتية ذات الفصين والثلاثة فصوص، هناك أشكال متنوعة. ففي وسط الحشوة اليمنى وبين عنصرين على شكل كمثري، هناك ورقتان نباتيتان لا يمكن أن تكونا قد تطورتا لعنصر المروحة نخيلية. وبإمعان النظر، يتضح أنهما نصفان ورقتين نباتيتين يكسوهما الزغب وتتجهان نحو الداخل على جانبي خط منحنى. ونجد أوراقا مماثلة على الجدار الشمالى الشرقى بالفسحة الأخيرة (لوحة ١٩) حيث تضم عنصرين كمثري الشكل وضعا متجاورين. وهناك شكل زخرفى آخر مؤثر للغاية عند منبت عقد الحشوة اليسرى.

كما استخدمت النقاط التى صنعت بمثقاب فى كل من هاتين الحشوتين أحيانا بصورة مفردة وأحيانا فى مجموعات من ست نقاط تتوافق مع أركان شكل مسدس، ونقطة سابعة مركزية، كما هو الحال فى المحراب الجصى الى يمين الدكة [دكة المبلغ] بجامع ابن طولون (انظر كتابنا E.M.A.، ج ٢، لوحة ١٢٣ أ).

والجزء السفلى الضيق من كل كوشة عقد مزخرف بسويقة متماوجة وأنصاف مراوح نخيلية. وتنتهى فى أعلاها بمروحة نخيلية ذات خمسة فصوص. وفى الجزء العلوى من كل كوشة عقد، هناك سرة ناتئة مسطحة. وتتكون كل منهما من أربعة أشكال كمثرية وضعت بصورة مشعة تشبه الحلقات الزهرية الصغيرة بالمشتى. وفى

منتصف الآخرين صليب معقوف [المفروكة] ذو أطراف ملتوية حولها ثلاثة أنصاف مراوح نخيلية تملأ الفراغ المتروك.

يتكون الإفريز من سلسلة من العناصر الكمثرية الشكل ووريقات نبات ثلاثية وضعت كل منها فوق الأخرى بفواصل منتظمة بينها. والوريقة الثلاثية هي العليا في أحداها والعنصر الكمثرى الشكل في الأخرى والفراغ بينهما تملأه عناصر مروحية نخيلية مسطحة.

٤. زخرفة الجدار الشمالي الشرقي

وتنقسم إلى خمسة أجزاء بالبائكات التي تنتهي في مواجهتها. وتشغل مركز كل فسحة تكونت من ذلك نافذة معقودة مستديرة يحيط بها إطار عبارة عن شريط كوفي يبدأ أفقياً ويتصاعد ليدور حول النافذة ثم يسير بحذى أفقى مرة أخرى (لوحات ٩-١١). وتحتها مباشرة، هناك شريطان آخران يسيران على خط مستقيم. ويتكون الشريط العلوى المعرض من الأرباسك، بينما يتكون الشريط السفلى من الكوفي، وهو بنفس عرض الشريط الأول تقريباً. ولم يبق هذا الشريط الكوفي السفلى إلا في فسحتين فقط (الأولى والرابعة من جدار القبلة). وهناك شريط رابع يسير تحت السقف مباشرة فيلامس طرفه الأدنى قمة العقد بالكاد. والكوشات المكونة من ذلك تملأها زخرفة كثيفة تشبه ما نراه على جدار القبلة ولو أنها في حالة أقل جودة منها بكثير.

قام فلورى بدراسة هذه الأشرطة الكوفية دراسة وافية (Syria, pp. 374-68, Figs. 2-5) توصل فيها إلى أن الأشرطة التي نراها في الفسحة الرابعة من جدار القبلة (لوحة ٢٠، شكل ١٨) ترجع في تاريخها إلى تاريخ بناء الجامع أى عام ٣٦١هـ (٩٧٢م)، إلا أنه يرى فروقا طفيفة بين الأحرف المستخدمة في هذه الفسحة وبين تلك المستخدمة بالفسحة الثالثة (لوحة ١٠، شكل ١٩). ويخلص من ذلك إلى أن الأخيرة قد تكون من أعمال العزيز (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م)، فيرى -وهو رأى خطأ في اعتقادنا- أنه قام بترميم أجزاء من الجامع. وهناك جزء باق مزخرفة على الجدار الجنوبي الغربى بالفسحة الرابعة من القبلة يوضح أن الأسلوب هنا هو نفسه الذى نراه على الجدار المقابل. وأعتقد أن الزخارف الهندسية على النوافذ في هذا الموضع تنتمى إلى تواريخ أحدث إلا ما ظهر منها في اللوحة ٩ أ.

إعادة بناء الجامع الأصلي

نحن الآن فى وضع يسمح لنا بمحاولة وصف بناء الجامع الأصلي، وهو أمر غير هين فى عدة جوانب منه. فمن الواضح أن الحرم الأصلي كان قاصراً على الأروقة (البلاطات) الخمسة الأولى من البناء الحالي. إذ أن هذه المساحة تحدها الجدران الجانبية الحالية من اليمين واليسار بصورة واضحة. ولا تزال الزخارف الجصية الأصلية محفوظة على هذه الجدران عند الطرف الشمالى الشرقى من كل راق (لوحات ٩-١١) وجزء باقٍ عند الطرف الجنوبى الغربى من الرواق الأول. ويحدها باتجاه القبلة حوالى ١٠ م من جدار بمواجهة العقدين الثالث والرابع من جهة اليمين حيث نجد زخارف مشابهة وفى حالة جيدة؛ ويحدها فى الوسط حوالى ٧ م من جدار يقع المحراب الأصلى فى وسطه. كما أن الطرف الشمالى من المجاز القاطع وكذلك العقود الأربعة الأولى إلى اليمين واليسار والمتجهة صوب القبلة مضمونة بزخارفها الجصية. أما العقد الأخير (الخامس) إلى اليمين واليسار فيخلو من الزخرفة. وقد ترجع القبة التي يدعمونها وبناء على وصف مقرنصاتها إلى السلطان الغوري. وهكذا يتم تحديد الركنين الخلفيين للجامع. أما الركنان الأماميان، فسبق أن رأينا أن الركن الشمالى ربما

كان يبعد حوالي ٥٠ سم جهة الشمال الشرقي، والجنوبي بحوالي ٣٢ سم جهة الشمال الغربي من وضعهما الحالي. من ثم، فالأرجح أن الجامع الأصلي كان مستطيلا بالقياسات الداخلية التالية:

شمال غرب ٨٤,٧٥ شمال شرق ٦٩,٠٠ جنوب غرب ٦٨,١٥

الحرم [مقدم الجامع]

وكان يتكون من خمسة أروقة (بلاطات) تسير موازية لجدار القبلة ويقطعه في الوسط مجاز قاطع بحيث تترك تسعة عقود من كل بائكة الى اليمين واليسار. وكانت هذه البائكات ترتكز على أعمدة رخامية أخذت من مباني ضخمة أخرى. وعند نهاية كل بائكة، كان هناك عمود جداري. وكانت عقود المجاز القاطع ترتكز على أعمدتها الخاصة بحيث كان المجاز القاطع يحتوى على جانبيه على أزواج من الأعمدة. من ثم كان هناك ٢٢ عمودا لكل صف يسير من جانب الى الجانب الآخر إلا في الصف المجاور لجدار القبلة حيث علينا أن نضيف اثنين آخرين للعقد الحامل للقبلة والذي يمر بالمجاز القاطع. وعلينا كذلك أن نضيف زوجين آخرين من الأعمدة لانحناء العقود الجانبية الحاملة للقبلة. ومحصلة ذلك $22 + 22 + 22 + 22 + 22 + 4 = 94$ عمودا غير البائكة المجاورة للصحن.

لكننا نسينا أنه كانت هناك قبة على يمين الركن الخلفي من الحرم وبلاشك كانت هناك قبة أخرى (١٨٧) على يسار الحرم الخلفي أيضا بفرض التماثل، كما هو الحال بجامع الحاكم. والأرجح أنه كانت هناك حاجة في ذلك الوقت الى أعمدة إضافية. فربما دعت الحاجة الى إقامة عمودين في كل من الحالتين، كما يتضح في الشكل (٢١)، مما يجعل العدد الإجمالي ٩٨ عمودا. ونظرا لقصر الأعمدة، لم يكن السقف يزيد في ارتفاعه عن ٦,٩٢ م. إلا أن ذلك تمت معالجته فيما بعد في حالة المجاز القاطع برفعه بمقدار ١,٧٧ م في فترة مبكرة بحيث يتكون منور بالسقف، وهو ما يحتمل القيام به عقب الانتهاء من بناء الجامع مباشرة، إذ من المرجح أن تكون الحشوات الخمس التي تشكل قمة التخطيط الزخرفي الجصى عند طرفه الشمالى الغربى فوق مستوى سطح البلاطات الجانبية معاصرة لبقية الأجزاء من الناحية العملية. وكانت الحشوة الوسطى من هذه الحشوات الخمس مستطيلة. وكانت تحيط بنافذة مزودة بزخارف هندسية جصية لم يبق منها سوى الحافة المكسورة. ولانستطيع أن نحدد ما إذا كانت هناك نوافذ في المنور السماوى أم لا. وربما تعود النوافذ المعقودة المنكسرة الصغيرة الى القرن الثالث عشر الميلادى (مقارنة بنوافذ ضريح شجرة الدر ٦٤٨هـ/١٢٥٠م) ونوافذ الخانقاة البندقارية ٦٨٣هـ/١٢٨٣م) عندما أعيد بناء جدران المنور السماوى وربما بصورة شاملة.

الواجهة المطلة على الصحن

رأينا فيما سبق أن هذه الواجهة كانت تتكون من ١٩ عقدا ترتكز على أزواج من الأعمدة وضعت طوليا كما هو الحال بالنسبة للعقود الثلاثة في كل طرف من البائكات الحالية. وكانت هذه البائكة تنبت من دعائم جدارية عند أى من الطرفين. ويرتكز العقد الأوسط الذى لا يزال باقيا (بناء على زخرفته) على دعائم أيضا. ومحصلة ذلك ١٦ نقطة للتدعيم مؤلفة من أزواج من الأعمدة، أى ٣٢ عمودا، وإذا أضيفت الى الـ ٩٨ عمودا التى سبق حصرها، يصبح المجموع ١٣٠ عمودا للحرم الأصلي إضافة الى دعامتين للعقد الأوسط.

الأروقة الجانبية

فى ضوء ما نعرفه اليوم عن مساجد قرطبة والقيروان وتونس الجامعة، وهو أنها لم يكن بها فى الأصل

بائكات على ثلاثة جوانب من الصحن (١٨٨) (انظر كتابي E.M.A.، جـ ٢، ص ١٥٤-١٥٥، ٣٢٤ والشكلين ١٤٦-١٤٧)، فلاسبيل للتأكد من أن الجامع الأزهر كانت به بائكات فى الأصل، خاصة وأنه بنى على يد أسرة أنت من المغرب. ولكن لو كانت به أروقة جانبية، لما كان هناك ما يدعو لأن تكون مختلفة عن نظيراتها الحالية إلا فيما يتعلق بالبائكات المجاورة للصحن والتي لم يكن من الممكن أن تكون ذات عقود منكسرة فى تلك الحقبة. ولو كانت بالجامع الأصلى أروقة جانبية، فربما كانت البائكات المجاورة للصحن ترتكز على أزواج من الأعمدة أقيمت طويلا. ولم يكن هناك رواق على الجانب الشمالى الغربى.

الزيادة (١٨٩)

رأينا أن مسجدى سامراء وأبى دلف الجامعين انظر كتابي E.M.A.، جـ ٢، ص ٢٥٩، واللوحه ٦٣ كانت بهما زيادات، وكذلك جامعا عمرو وابن طولون انظر كتابي E.M.A.، جـ ٢، ص ١٧١ والشكل (٢٥٧). وفى حالة الجامع الأخير، كانت الميضاة فى الزيادة الشمالية الغربية؛ وفى جامع عمرو، تحتل الميضاة الحالية مساحة كانت ذات يوم جزءا من الزيادة الشمالية الغربية.

إن تخطيط العديد من شوارع القاهرة لم يطرأ عليها أى تعديل منذ عدة قرون (سوى تحول العديد منها الى الضيق بالتعدى على الطريق العام. فعلى سبيل المثال، بنيت المحال والحجرات فوقها على واجهة جامع الأقمر فى سنة ٧٩٩ هـ (١٣٩٧ م) وظلت واجهة جامع الصالح طلائع مختلفة بنفس الصورة حتى حوالى عام ١٩٢٢ (لوحه ١٩٧). ونفس الشئ نجده فى حالة مدرسة ضريح السلطان قلاوون وجامع المؤيد الى أن تمت إزالة المنشآت التجارية بتوصية اللجنة قبل أربعين أو خمسين عاما. ولا زالت هذه التعديلات قائمة فى كل أرجاء القاهرة بصورة بطيئة، ولا يبدو أن هناك من يهتم الأمر). لذا، جال بخاطرى أن هذا قد يكون هو الحال بالنسبة للتخطيط الحالى للشارع على الجانب الشمالى الغربى من الجامع الأزهر، وأن المساحة التى تبلغ حوالى ٢٠ م بينه وبين الجامع كانت تشغلها يوما زيادة ما. وحين عرفت بعد عدة سنوات أن المدرسة الآقبغاوية التى تحتل النصف الشرقى من هذه المساحة كانت شيدت عام ٧٣٦ (١٣٣٦ م) فى مكان ميضاة الأزهر، كان ذلك تأكيدا لما ذهب اليه ظنى.

وأعتقد أن زيادة الأزهر كانت عبارة عن صحن طويل يسير على طول الجانب الشمالى الغربى من الجامع وأن جدارها الخارجى يتفق تقريبا مع التخطيط الراهن للشارع، وأن المدرسة الطيبرسية شيدت فى سنة ٧٠٩ (١٣٠٩ م) على الجزء الخالى الى يمين مدخل الجامع مباشرة، وأن الأمير آقبغا قام بإخلاء النصف الآخر بإزالة الميضاة قبل بناء مدرسته مكانها فى سنة ٧٣٦ (١٣٣٦ م). ومنذ ذلك الحين لم يعد للزيادة وجود.

الأصول المعمارية

قباب الأركان الخلفية للحرم

نظرا لأن الأسرة الفاطمية جاءت من شمال أفريقيا، فمن المتوقع أن هذه السمة الجديدة التى لم تعرف فى الشام أو العراق أو بلاد فارس جاءت من المغرب أيضا. ولكن حين نمعن النظر فى تخطيطات هذه الجوامع والتى نشرت (ولا يزال من الصعب دخول جوامع المغرب) (١٩٠)، فإننا نعجز عن العثور على أى مثال لهذه السمة قبل منتصف القرن السادس الهجرى (١٢ م). ولا ينبغي أن يعزى السبب فى ذلك الى عدم وجود جوامع قديمة، إذ لا يزال هناك عدد كبير منها محفوظا، مثل مساجد القيروان الجامعة - ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م

و(٢٤٨هـ/٨٦٢م) و(٢٣٦هـ/٨٥٠م انظر E.M.A.، ج٢، ص ٢٤٨-٢٥٣ والأشكال ١٩٧-٢٠١) وتونس (٢٥٠هـ/٨٦٤م) والجامع المقام بقلعة بنى حماد (٣٩٨هـ/١٠٠٧م، انظر Blanchet, in the *Nouvelles archives des Missions*, xvii, pp. 3-10) وجامع القرويين بفاس (٣٤٥هـ/٩٥٦م، انظر روض القرطاس، طبعة تورنبرج، ص ٣١-٣٤) وجامع تلمسان الجامع (٥٣٠هـ/١١٣٦م، انظر Brosselard, "Les inscriptions Arabe de Tlemcen," *Revue Africaine*, III, 1858, pp. 86-92).

وظهرت السمة التي نبحث عنها الآن لأول مرة خارج مصر. وفيما يلي قائمة بكل الأمثلة التي نعرفها (١٩١):

١. تنمل: جامع عبدالمؤمن (١٩٢) (انظر Douité, C.R. de L'Arabe, des Inscriptions et Belles Lettres, 1901, p. 335). قبة أمام المحراب وقبة في كل من ركني الحرم الخلفيين. وتعلو كل منهما أسطح هرمية وتكسوها تريعات خضراء. وتم بناؤه عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م (روض القرطاس، ص ١٢٦)؛
٢. مراکش: جامع الكتبية (انظر Douité ١٩٢٣، ص ٢٤٩-٢٥٢). قبة أمام المحراب وقبة في كل من ركني الحرم الخلفيين وقبة في منتصف المسافة بينهما وبين المحراب. ويقال إن عبدالمؤمن لدى دخوله مراکش في سنة ٥٤١هـ (١١٤٦م) قام ببناء جامع بعد تدمير جامع المرابطين (الحلل الموشية، طبعة ألوش، ص ١١٩). ونجد مزيداً من التفاصيل في كتاب الاستبصار حيث ورد به أن (عبدالمؤمن) «بنى فيها جامعاً عظيماً، ثم زاد فيه مثله أو أكثر في قبلته»، كان قصراً ورفع بينهما المنار العظيم الذي لم يشيد في الإسلام مثله... مما يفسر سبب وجود مثذنة كبيرة بين هذين المبنيين (Ms Bibl Nat. No. 2225, Fol. 80) واستشهد بها باسيه وتيراس (ص ٢٠٠-٢٠١ ويشيران إلى أن هذه الفقرة لم ترد في النص المطبوع) (١٩٣). وكل هذا مما لا يتفق مع الموقف تماماً. وبناء عليه بدأت الكتبية الأولى التي كانت بقاياها لا تزال موجودة في سنة ٥٤١هـ (١١٤٦م). والأرجح أن الجامع الآخر الكائن جنوب هذه البقايا بدأ قبل ٥٥٨هـ (١١٦٣م) (١٩٤) وهو العام الذي توفي فيه عبدالمؤمن؛

٣. أشبيلية: جامع (١٩٥) تعرض حرمه للتدمير في السنوات الأولى من القرن الخامس عشر حين بنيت الكاتدرائية الحالية (Terrace, *La Grand Mosquée almohade de Séville*; Henri Basset, II, pp. 249-66, Fig. I, & pls. I-VI). وبدأ بناؤه في سنة ٥٦٧هـ (١١٧١م) على يد أبي يعقوب يوسف وتم افتتاحه بعد ذلك بأحد عشر شهراً (روض القرطاس، ص ١٣٨). ويتأكد مما تبقى منه وما قاله ألونزو مورجادو الذي رأى الجامع في أواخر القرن السادس عشر (Alonso Morgado, *Historia de Sevilla*, Sevilla, 1587, Fol. 95b) أنه كان هناك ١٧ بلاطاً [رواقاً]. ونظراً لاتساع الصحن الأوسط والصحنين الخارجيين بالمقارنة ببقية الصحنين، وهو نفس ما نراه في تنمل وفي الكتبية بمراكش. فمن المؤكد تقريباً أنه كان هناك ثلاث قباب في البلاطة المستعرضة خلف الحرم. ويرى تيراس أنه كان هناك قبتان أخريان كما هو الحال في مراکش (١٩٦) (ص ٢٦٢، شكل ١)، وهذا بالطبع محتمل ولكنه ليس مؤكداً من الناحية العملية كما هو الحال في الثلاث الأخرى؛

٤. مراکش: جامع القصبة. قبة أمام المحراب وقبة في كل من الركنين الخلفيين من الحرم (١٩٧) (Basset & Terrace, p. 210 & Fig. 99). وبدأ عام ٥٩١هـ/١١٩٥م (روض القرطاس، ص ١٥١).

٥. تازة: مسجد جامع أسسه عبدالمؤمن (١١٥٢-١١٦٣م) وقام بتوسيعه أبو يعقوب (١٢٨٦-١٣٠٦م) الذي ينسب إليه البناء الحالي. ويضم قبة أمام المحراب ولكن بدلاً من وجود قبة في كل من الركنين الخلفيين من

الحرم، نجد الفسحتين المعنيتين يغطيهما سقف خشبي به أربعة جوانب منحدرية وجزء مسطح فى الوسط (Pauty, p. 117, Fig. 21). ورغم عدم وجود قباب على هاتين الفسحتين (١٩٨)، إلا أنهما تتميزان بسقف يختلف عنه فى بقية الجامع. لذا فقد أدرجناهما بهذه القائمة.

٦. مراكش: جامع موسن (Basset & Terrace). وبه قبة أمام المحراب وقبة فى الركنين الخلفيين من الحرم (Basset & Terrace, p. 308 & Fig. 163) وبناء مولاي عبدالله السعدى فى الفترة من ٩٦٤ الى ٩٨١ هـ (١١٥٦-١١٧٣ م)؛

٧. مراكش: جامع باب دكالة؛ وبه قبة أمام المحراب وقبة فى الركنين الخلفيين من الحرم. وبنى فى سنة ١٥٥٧ م (Pauty, p. 123, Fig. 29).

وهكذا، يمكننا أن نقول عن هذه السمة إنها لم تظهر بشمال أفريقيا إلا فى منتصف القرن السادس الهجرى (١٢ م) تحت حكم عبدالمؤمن. ولكن هل كان هناك تأثير فى الاتجاه المضاد؟ وإذا وجد مثل هذا التأثير فمن الصعب تفسير عدم وجود مثل هذه الأنماط فى تونس أو الجزائر، بل لا وجود لمثلها الا فى أبعد أقاليم شمال أفريقيا عن مصر.

إضافة الى ذلك فالأروقة [البلاطات] فى مصر تتساوى فى عرضها وتسير من الشرق الى الغرب. فى حين أن البلاطات [الأروقة] بالمغرب تسير عمودية على جدار القبلة، إلا أنها لا تبلغه، إذ هناك بلاطة مستعرضة هنا أعرض من البلاطات الأخرى فيماعد البلاطة الوسطى والبلاطتين الجانبيتين وهى أعرض كذلك. أى أن القباب تساعد على إبراز أطراف البلاطات الأعرض. ولما كانت هناك قباب وسيطة (كما هو الحال فى الكتبية)، تم إنشاء البلاطات الموجودة بها بصورة أعرض أيضا.

من ثم، فنتيجة دراستنا تعد سلبية فى بعض جوانبها، ومن المحتمل ألا تكون هناك صلة بين مصر وشمال أفريقيا فى هذا الجانب خاصة (١٩٩).

المجاز القاطع [الرواق (البلاطة) الأوسط العمودى]

نجد هذه الخاصية فى جامعين شديدي القدم (٢٠٠) هما مسجد دمشق الجامع (٨٧-٩٦ هـ/٧٠٥-٧١٥ م، انظر كتابى E.M.A، ج١، ص ١١١-١١٤ والشكلين ٥٧، ٦٦) ومسجد قصر الحير [الشرقى] (١١٠ هـ/٧٢٩ م، انظر E.M.A، ج١، ص ٣٣٧ والشكلين ٤١١-٤١٢ واللوحتين ٥٦ ج، ع). وبعدهما لا علم لى بأى نموذج آخر فى العالم الإسلامى إلا النموذج الذى نحن بصددده ها هنا باستثناء واحد بشمال أفريقيا.

نظرا لأن كل جوامع شمال أفريقيا باستثناء واحد تضم بلاطات [أروقة] تسير متعامدة على جدار القبلة، يتضح أنه لا مجال للتساؤل عن إمكانية وجود مجاز قاطع من النوع الذى نحن بصددده ولو أن بعضها يضم بلاطة وسطى أعرض من غيرها. والاستثناء الوحيد هو جامع القرويين بفاس (٢٠١)، وفيه تجرى البلاطات موازية لجدار القبلة على عكس ما هو سائد تماما فى شمال أفريقيا. ومما يؤسف له استحالة دخول غير المسلمين الى داخل هذا الجامع. لكن بوتنى قام بنشر تخطيط له فى Le Plan de l'Université Qarawiyyin á Fez، الجزء ٣، ص ٥١٥-٥٢٣) دون أن يطلعنا على هوية من قام بذلك أو عن كيفية حصوله عليه. وقام مارسيه بنشر منظر عام (الشكل ٢٢) تم رسمه من مبنى قريب له (Manuel, I, Fig. 169) ويظهر فى الشكل سطح جمالونى يميز

الى منتصف الحرم باتجاه المحراب ويرتفع فوق أسطح البلاطات المستعرضة. أى أن لدينا هاهنا نفس تلك السمة المميزة التى نبحث عنها على قدر ما يمكن لنا أن نحكم من الخارج.

وحين ننظر الى التخطيط الذى نشره بوتى، نلاحظ أن البائكتين تسيران من الصحن باتجاه المحراب عند نفس هذه النقطة، كما هو الحال بالأزهر. ولكن تظهر البائكات المستعرضة وهى تعبر هذا الجزء المركزى بدلا من التوقف على أى من جانبيه، مما يعد خطأ فى التخطيط. ولو كانت الحال كذلك، لما كان هناك مايرر وجود البائكتين المذكورتين والسطح الجمالونى ذى الزوايا اليمنى. وهكذا يبدو من المحتمل أن يكون لدينا هاهنا مثال على مجاز قاطع شبيه بنظيره بالأزهر ويرجع الى تاريخ أقدم.

بنى جامع القرويين فى سنة ٢٤٥هـ (٨٥٩م، روض القرطاس، ٢٩-٣٠)، وكان يضم أربع بلاطات [أروقة] بكل منها ١٢ عقدا (قوس) تسير موازية لجدار القبلة. وتم توسيعه عام ٣٤٥هـ (٩٥٦م، روض القرطاس، ٣١-٣٢)، أى قبل ١٤ عاما من البدء فى إنشاء الأزهر.

يبقى لنا أن نؤكد على أن البائكات التى تظهر فى تخطيط بوتى لاتعبر البائكتين المتوازيتين اللتين تسيران باتجاه المحراب وأن الجزء الوسيط بسطحه الجمالونى يرجع فى تاريخه الى عام ٣٤٥هـ. والى أن يصبح ذلك مؤكدا، فإن الزعم بأن هذا الجامع يقدم تفسيراً للمجاز القاطع بالجامع الأزهر يظل مؤقتا. وإذا اتضح أن البائكات المستعرضة تعبر الجزء الأوسط بالفعل أو أن هذا الجزء الأوسط ذا السطح الجمالونى العالى لا يرجع فى تاريخه الى عام ٣٤٥هـ، فعلىنا أن نتوقف عن البحث عن مجاز قاطع بشمال أفريقيا.

المصادر والمراجع

١٢٥٦-١٢٧٤	ابن خلكان، وفيات الأعيان (ط بولاق، ١٢٧٥هـ، ج١، ص١٦٦)
١٣٥٨	مفضل بن أبى الفضائل، النهج السديد
١٣٦٢	القلقشندي، ج٣، ص٣٦٤
١٤٢٤	المقرئى، الخطط، ج٢، ص٢٧٣-٢٧٧
١٤٤١	المقرئى، السلوك، ط زيادة، ج٢، ص٥٥٦
١٤٥٨	أبو المحاسن، ط جوينبول، ج٢، ص٤٠٩
١٤٩٧	جلال الدين السيوطى، حسن المحاضرة (بولاق، ١٢٩٩هـ) ج٢، ص١٨٣
١٥٢٢	ابن إياس، تأريخ، ج١، ص١٤٦، ج٢، ص١٦٩
١٦٢٢	الإسحاقى، كتاب أخبار الأول (القاهرة، ١٣٠٣هـ)، ص١٢٤
١٦٤٦	ابن أبى السرور

المصادر والمراجع

- 1692 - C. 1708 Maillet, Description de l'Égypte. PP. 197 - 9.
- 1747-51 Fourmont, Description historique et géographique des plaines d'Héliopolis et de Momphis, PP. 47 - 53 .
- 1811 - Jomard, in the Description de L'Égypte, Etat moderne, II, PP. 665 and 667 - 8; Parckoucke's ed., XVIII, PP. 303 - 4, 308 - 9, and 314 .
- 1814 'Au Bey El Abbassi (Badia Y Lebleish), Voyages, II, PP. 240 - 42 .
- 1821 A;-Gabarti, Aga'ib al-Athar, I, P. 168, last line-P. 169, 1, I, and P. 398, 11 - I - 3; II, P. 5, 1. 24-P. 6, 1. 14; P. 178, 11, 2-3; III, P. 26, II. 7-8; IV, P. 161, 28, 162, 1.4 and p. 211, II. 4-7; Bu-laq transl., II, PP. 61-2; III, PP. 191 and 239-41; V, P. 66; VI, P. 56; VIII, PP. 364-5; and IX, P. 96 .
- 1822 Scholz (J. M. A.), Reise, P. 119 .
- 1834 St. John (J. A.), Egypt and Mohammed Ali, II, PP. 335 - 7 .
- 1835 Michaud and Poujoulat Correspondance d'Orient, VI, PP. 4 - 7 .
- Wilkinson (J. G.), Topogeaphy of Thebes, PP. 298 - 9 .
- 1837 Quatremère, Vie du Khalife fatemite Moczz. Journal Asiatique, 3^{me} sér., t. III, PP. 75-6 .
- 1839 Coste (Pascal), Architrcture arabe, ou Monuments du Kaire, PP. 33-4 and pls. VII-VIII and XXXVII.
- Schurert (G. H. von), Reise in das Morgenland, II, PP. 85-8.
- 1840 Clot (A. B.), Aperçu général sur l'Égypte, II, pp. 547-50 .
- Hay (Robert), Illustrations of Cairo, pl. XXIX and relative text.
- 1842 Hessemer (F. M.), Arabische und alt-italicnischc Bau Verzierungen, PP. 38-9, 40, and 43, and 1, Taf, 8, 22, 42, and 43 .
- 1844 S'Estourmel (Joseph), Journal d'un Voyage en Orient, II, PP. 268-70.
- Wilkinson (Sir Gardner), Modern Egypt and Thebesm I, P. 233 .
- 1845 St. John (J. A.), Egypt and Nubia, PP. 245 - 8.
- Poole (Sophia), The Englishwoman in Egypt, I, PP. 160-64 .
- 1848 Marcel (J. J.), Egypte, I, PP. 101-2 and pl. 3.
- 1851 - 5 Girault De Prangey, Monuments et Paysages de l'Orient, pl. 12 .
- 1855 Seetzen (U. J.), Reisen durch Syrien, III, PP. 379-81 .
- 1857 Laorty, Égypte, pp. 243 - 5.
- 1859 Fornt (Giuseppe), Viaggio nell' Egitto, I, PP. 147 - 8.
- 1860 Batissier, Histoire de l'art monumental (2^{mo} éd.), P. 423 .
- Lane (E. W.), Modern Egyptians, pp. 210-12 and 588.
- 1861 Wilkinson (Sir Gardner) On Saracenic Architecture. Papers rend at the R. I. B. A., XI, P. 224 .
- 1862 Anon., Darstellung mehrerer Minarets. Allgemeine Bauzeitung, XXVII, P. 348 and Blatt 537₂.
- 1863 Couffon (A. de.), Les Mosquées du Cair, Reuve Contemporaint, XXXV, P. 593 .
- Paton (A. A.), A History of the Egyptian Revolution, II, PP. 323-5 .
- Sepp (B.), Jerusalem und das heilige Land, II, pp. 611-16; 2te Aufl., pp. 713-17 .
- 1865 Stacquez (H. J. T.), L'Égypte, la Basse Nubic etle Sinai, P. 85 .
- 1868 Ampère (J. J.), Voyage en Égypte et en Nubie, PP. 224 = 5; 1881 ed., pp. 223 - 5 .
- Saint-Aionan (Laurent de), La Terre Sainte, Syrie, Égypte, PP. 157-8 .
- 1869 Mehirey (A. F.), Tableau général des monuments religieux du Caire. Mélanges Asiatigues, VI, pp. 335-7.

- 1870 Meuren (A. E.), Cāhirab og Kerāfat, II, pp. 58-61 .
- 1871 Lacour (Raoul), L'Égypte, d' Alexandrie à la seconde Cataracte, pp. 160-62 .
- 1872 Dor (V.E.), L'Instruction publique en Égypte, pp. 139-74 and 185-76 .
- 1872 Anon,m The Mosque of Cairo, The Architect, VIII, p. 47 .
- Lenoir (Pa.l), La Fayoum, le Sinai et Pétra, pp. 169-71.
- 1873 Savigny Dr Menocorps, Journal d'un Voyage en Orient, pp. 53-4 .
- 1876 Blanc (Charles), Voyage de la Haute Égypte, pp. 70-71 .
- 1817 Prisse S'Avannes, l'Art arabe, Texte, pp. 95-7, 141, and 250, and pl. VII (From Coste, without acknowledgement); Atlas, pl. IV.
- 1878 Coste (Pascal) Notes et souvenirs de voyages, I, pp. 30 - 31 .
- Isanbert (Émile), Itinéraire ... de L'Orient, deuxième partie, 2^{mo} éd., pp. 318-21, with plan (from Coste).
- 1880 Cuarnes (Gabriel), Cinq mois au Caire., pp. 343-56.
- Rogers (E. T.), and Miss F. Rogers, The Mosques of Cairo. The Art Journal , New Series, XIX, P.77.
- 1883 Cuilde (Mme I,cc), Un Hiver au Caire, pp. 297-301.
- Huconnet (Léon), En Égypte, pp. 210-12.
- Vaujany (Il. de), Le Caire t ses environs, pp. 154-66 .
- 1887 Adany (Rudolf), Architektonik des muhammedanischen und romanischen Stils, pp. 22-5, with plan.
- 1887-8 Ali Pasha Murarak, al - Khitat al-Cadida, II, pp. 90 - 91 and Iv, pp. 10-44 .
- 1889 Ravaisse (Paul) Essai sur l'histoire et sur la topographie CaCaire d'après Makrizi. M. M. A. F C., III, pp.86-8.
- Ravaisse (P.), Sur trois mibrâbs en bois sculpté. M. I. E., II, pp. 628-37 and pl. I.
- 1889 Cuesnet (Eugène) Plaies d'Égypte, pp. 130-32 .
- 1891 Berciien (M. van), Notes d'archéologue arabe. Journal Asiatique, 8^{me} sér., t. XVII, pp. 424-9.
- H ... (Th.), Eine Orientreise, pp. 71-3 .
- 1892 Montbard (G.), En Égypte, pp. 332-4 and illus.on p. 331 .
- 1893 Gaver (Al.), L'Art arabe, pp. 75-6 and figs. 18, 24-5, and 28.
- 1894 Berciiem (M. van), Corpus Inscriptionum Araicarum Égypte, I, pp. 43-50, 630, 632-3, and 674-6, pls. XXII, and XIIV.
- Herz (Max), Comité de Conservation, Exercice 1894 (2^{me} éd.), pp. 47-8.
- Herz (Max), in the B. I. É., 3^{me} sér., No. 4, p. 53 .
- J. Allemand (Ch.), Le Caire, pp. 62-6, with 3 illus.
- 1895 Alis (Harry), Promenade en Égypte, P. 238.
- Herz (Max), Catalogue ... musée national de l'art arabe, pp. xxviii, 38, 112 - 13, 123, 125, 126, 172-3, and 179; 2^{mo} éd., pp. xxxiv-xxxv, 69, 77-9, 93-4, 98, 101 - 2, 112, 126, 132, 245, and figs. 18 and 21.
- 1896 Franz (Julius), Die Baukunst des Islam, 2^{le} Aufl., Figs. 90 and 101 .
- J.Ane (E. W.), Cairo liifty Years Ago, pp. 78-83 .
- Tomascuki (Paul), Ernstes und Heiteres aus einer Orient-Reisc, pp. 109-11 .
- 1897 Reynolds - Ball(E. A.), The City of the Caliphs, pp. 144-5 .
- Scuroeder, La Vic et les paysages en Égypte, i plate (unnumbered)..

- Smith (James), *A Pilgrimage to Egypt*, pp. 71-3, with plate.
- Yūsuf Auilad, *Ta'rikh al-Cami al-Azhar, al-Agial*, June 19th and 26 th, and July, 3rd and 10th, 1897.
- 1898 Dovas (G. C.), *Souvenir of Egypt*, pls. 15 and 25.
- 1899 Penfield (F. C.), *Present-Day Egypt*, pp. 59-66, with 1 illus.
- Worsfold (W. B.), *The Redemption of Egypt*, pp. 101 - 3, with 1 illi. s.
- 1900 Miceon (G.), *Les Mosquées et tombeaux du Caire. Reuue de l' Art anciell et moderne*, VII, pp. 140-42, with 1 illus.
- 1902 Gurlitt (C.), *Geschichte der Kunst*, p. 284.
- Lane-Poole (Stanley), *The Story of Cairo (Medieval Towrs Seriet)*, pp. 123-5 .
- Sulayman Rasad Al-Hanafi, *Kanz al-Gawhar fi Ta'rikh al-Azhar (Cairo, 1320 I I.)*, pp. 22 ff.
- 1903 Franz (Julius), *Kairo*, pp. 21-6, with 3 illus.
- Reltemeyer (Elsce), *Beschrcibung Agyptens im Mittelalter*, pp. 209-10 and 217 .
- 1904 Borrmanxn (Richard), *Geschichte der Baukunst*, 1, p. 333 .
- 1907 Arminjon (Pierre), *L'Enseignement, la doctrine et la vic dans les universités musulmanes d'Égypte*, pp. 55-60.
- Marcolioutr (D. S.), *Cairo, Jerusalem & Damascus*, pp. 40-46, with 1 col. plate.
- Saladin(H.), *Manuel d'Art musulman, I : J. Architecture*, pp. 93-7 and figs. 51-4.
- 1909 Abbnte (O.), *Egyptiaca*, pp. 598-600 .
- Faco (V.), *Arte araba*, pp. 91-2 and tav. VII-VIII and x (wrongly numbred as XI).
- Gayer (Al.), *Trois étapes d'art*, pp. 278-80 .
- Miceon (G.), *Le Caire*, pp. 49-54, with 3 illus.
- Tuierscu (I I.), *Pharos, Antike, Islam und Occident*, p. 117 and Abb. 125 .
- 1910 Berciicm (Max van) and J. Strzycowski, *Amida*, pp. 319-20 and Abb. 266 .
- Riioné (Arthur), *L'Égypte à petites journées (2^{me} éd.)*, pp. 347-50, with 1 illus, (also reproducod in the *G. B. A.*, 2^{me} pér., t. XXIV, p. 42 .
- 1911 Slauen (Douglas), *Oriental Cairo*, pp. 185-92 .
- Vollers (K.), art. *Azhar*, in the *Encyclopaedia of Islam*, I, pp. 532-9 .
- 1912 Flury (S.), *Die Ornamente der Hakim - und Ashar Moschce*, pp. 27-42, Abb. 6-8 and Taf. VIII-XIV and XXI .
- 1913 Abbate (O.), *R@rparation d'un oubli historique. B. I. E.*, 5^{me} sér., t. VI, pp. 11-14 .
- 1914 Rivoira (G. T.), *Architettura musulmana*, pp. 160 ff. and figs. 131-3 ; English transl., pp. 163-8 .
- 1915 Balian (Caro), I, *Égypte et l'architecture arabe*, pp. 71- 6, eith 3 illus . {in Armenian} .
- Diez (E.), *Die Kunst der islamischen Völker*, pp. 54-5 .
- 1961 Prost (C.), *Les Revêtements céramiques dans les monumepts musulmans de l'Égypte. M. I. F. A. O.*, XL, p. 25 .
- 1971 Devonsuire (Mrs. R. L.), *Rambles in Cairo*, pp. 8-16, with 3 illus.; 2nd ed., pp. 7013 and pls. V-Ix
- 1919 Creswell (K. A. C.), *A Brief Chronology of the Muhammadan Monuments of Egypt, B. I. F. A. O.*, XVI, pp. 49-51 and pl. II A.
- 1920 Woermann (Karl), *Geschichte der Kunst (2^{le} Aufl.)*, P. 391 and Abb. 327 .
- 1923 Tarchi (Ugo), *L'Architettura e l'Arte musulmana*, p. 9, tav. 22-8, and 4 figs. on p. 7 .
- 1924 Briggs (M. S.), *Muhammadan Architecture in Efypt and Palestine*, pp. 67-9, 128, and 198, and Figs, 2708, 36, and 105 .
- 1925 Devonshire (Mrs, R. L.), *Quatre-vingts Mosquées*, P. II and pl. VI.

- Quibell (A. A.), *A Wayfarer in Egypt*, pp. 84-5 .
- 1926 Devonshire Mrs. R. L.), *L'Égypte musulmane*, p. 34 and pl. V.
- Migeon (G.), *Les Arts musulmans*, p. 12 and pl. IX.
- Richmond (E. T.), *Moslem Architecture*, pp. 79-83 and figs. 21 - 2 .
- 1929, Devonshire (Mrs. R. L.), *Le Décor en stuc des Mosquées du Caire*. *L'Égyptienne*, 5^{me} année, no. 52, p. 31 and fig . 3.
- Munthe (Gustaf), *Islams Konst*, p. 70, with 1 illus .
- Wiet (G.), *Corpus Inscriptionum Arabicarum*, -- Égypte, II, pp. 103 - 25 .
- 1930 Diez (E.), art, *Masjid*; in the *Encyclopaedia of Islam*, III, p. 382 .
- 1931 Creswell (K. A. C.), in Ross (E. Denison), *The Art of Egypt through the Ages* pp. 61 - 2 and pl. 267.
- Grousset (R.) *The Civilizations of the East*, I, pp. 216 - 17 and figs. 127 - 8 .
- 1932 Hauteceur (L.), and G. Wiet, *Les Mosquées du Caire*, pp. 216-24, fig. 3 and pls. 9-15, 91, 206, and 236.
- Pauty (E.), *L'Evolution du dispositif en T dans les mosquées à portiques*, *Bulletin des Études orientales*, II, P. 107 and fig . 9.
- 1933 Combe (E.), *Précis de l'histoire d'Égypte*, III, pp. 111-12 .
- 1934 Wiet (G.), *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe*, V, p. 95; VI, pp. 73-4; VIII, pp. 149-50 .
- 1936 David- Weill (Jean), *Bois à épigraphes (Catalogue général du Musée Arabe du Caire)*, II, pp. 9-10, 24-5, and 37-8, and pls. XXIX and XXXII .
- Elury (Samuel), *Le Décor épigraphique des monuments fatimides du Caire*. *Syria*, XVII, pp. 360-76, with 7 figs.
- Lamb (C. J.), *Fatimid Woodwork , its style and chronology* . *B. I. E.*, XVIII, pp. 68-9 and pl. III ; pp. 80-81 and pl. IX .
- 1939 Mainud Aumad, *Concise Guide to the principal Arabic Monuments in Cairo*, pp. 47-52 and Figs. 6-7.
- 1942 Muhammad ' Abd Al- Aziz, *Masagid al-Qahira, qabl asr al-Mamalik* , pp. 55-6, fig. 7 and 2 plates .
- 1944 Davis (R. H. C.), *The Mosques of Cairo*, P. 22 and figs. 16 and 24 .
- 1947 Marçais (Georges), *L'Art de l'Islam*, pp. 70 and 84 and pl. XVIII .

الفصل الخامس

جامع الحاكم

تاريخ الجامع

يقول المقرئ :

« هذا الجامع بنى خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة وأول من أسسه العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد وخطب فيه وصلى بالناس الجمعة ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله فلما وسع أمير الجيوش بدر الجمالى القاهرة وجعل أبوابها حيث هى اليوم صار جامع الحاكم داخل القاهرة وكان يعرف أولاً بجامع الخطبة ويعرف اليوم بجامع الحاكم ويقال له الجامع الأنور. قال الأمير مختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحى فى تاريخ مصر وفيه معنى شهر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة خط أساس الجامع الجديد بالقاهرة مما يلى باب الفتوح من خارجه وبدئ بالبناء فيه وتخلق فيه الفقهاء ... وقال فى حوادث سنة احدى وثمانين وثلثمائة لأربع خلون من شهر رمضان صلى العزيز بالله فى جامع صلاة الجمعة وخطب وكان فى مسيره بين يديه أكثر من ثلاثة آلاف وعليه طيلسان ويده القضيب وفى رجله الحذاء ... » (جـ ٢، ص ٢٧٧)

ويقول ضمن أحداث سنة ٣٩٣هـ (١٠٠٢م) :

« أمر الحاكم بأمر الله أن يتم بناء الجامع الذى كان الوزير يعقوب بن كلس بدأ فى بنيانه عند باب الفتوح فقدر للنفقة عليه أربعون ألف دينار فابتدئ فى العمل فيه وفى صفر سنة احدى وأربعمائة زيد فى منارة جامع باب الفتوح وعمل لها أركان طول كل ركن مائة ذراع وفى سنة ثلاث وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بعمل تقدير ما يحتاج اليه جامع باب الفتوح من الحصر والقناديل والسلاسل فكان تكسير ما ذرع للحصر ستة وثلاثين ألف ذراع فبلغت النفقة على خمسة آلاف دينار » (جـ ٢، ص ٢٧٧)

ويقول أيضاً :

« وتم بناء الجامع الجديد بهاب الفتوح وعلق على سائر أبوابه ستور دبيقية عملت له وعلق فيه تنانير فضة عدتها أربع وكثير من قناديل فضة وفرش جميعه بالحصر التى عملت له ونصب فيه المنبر وتكامل فرشہ وتعليقه وأذن فى ليلة الجمعة سادس شهر رمضان سنة ثلاث وأربعمائة لمن بات فى الجامع الأزهر أن يمضوا اليه فمضوا وصار الناس طول ليلتهم يمشون من كل واحد من الجامعين الى الآخر بغير مانع لهم ولا اعتراض من أحد من عسس القصر ولا أصحاب الطوف الى الصبح وصلى فيه الحاكم بأمر الله بالناس صلاة الجمعة وهى أول صلاة أقيمت فيه بعد فراغه » (جـ ٢، ص ٢٧٧)

وينقل عن ابن عبد الظاهر (متوفى ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م) قوله (٢٠٢) :

« وعلى باب الجامع الحاكمى مكتوب أنه أمر بعمله الحاكم أبو على المنصور فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة (٢٠٣) وعلى منبره مكتوب أنه أمر بعمل هذا المنبر للجامع الحاكمى المنشأ بظاهر باب الفتوح فى سنة ثلاث وأربعمائة » (جـ ٢، ص ٢٧٧)

ونلخص فيما يلى ما بلغنا عن فترة بنائه. أولاً، تم وضع كل أساساته وبدأ البناء فى شهر رمضان ٣٨٠هـ (نوفمبر ٩٩٠م). ويبدو أن الأعمال الرئيسة فيه إنتهت بعد ذلك بعام واحد، حيث أدى العزيز صلاة الجمعة

لأول مرة به فى ٤ رمضان ٣٨١هـ (١٤ نوفمبر ٩٩١م). وفى عام ٣٩٣هـ (١٠٠٢م)، أى بعد ذلك باثنتى عشرة سنة، أتم الحاكم بناء الجامع بتكاليف بلغت أربعين ألف دينار، وسرى أن المدخل الرئيسى والمذنتين كانت عليها نقوش ترجع الى رجب من نفس العام (مايو ١٠٠٣م). وفى صفر ٤٠١هـ، أضيفت الى المذنتين أركان (٢٠٤) طولها مئة ذراع. وسرى أن هذه الأركان كانت تشكل نتوءاً كبيراً. وفى عام ٤٠٣هـ (١٠١٣م)، تمت إضافة الستائر والحصر والمصاييح والمقاعد ومنبر جديد (والأرجح أنه كان هناك منبر سابق، لأن العزيز بالله كان ألقى أول خطبة من فوقه فى ٤ رمضان ٣٨١هـ) وأقيمت أول صلاة جمعة به بعد إتمامه فى يوم الجمعة السادس من رمضان (٢١ مايو ١٠١٣م).

ونعود الى المقرئى حيث لايزال ينقل عن ابن عبد الظاهر قوله (٢٠٥):

«وعلى البدنة التى تجاور باب الفتوح وبعض البرج مكتوب أن ذلك بنى سنة ثلاثين وأربعمائة (٢٠٦) فى زمن المستنصر بالله ... فىكون بينهما سبع وثمانون سنة. قال والفسقية وسط الجامع بناها صاحب عبدالله بن على بن شكر وأجرى الماء إليها .. والزيادة التى الى جانبه قيل انها بناء ولده الظاهر على ولم يكملها وكان قد حبس فيها الفرغ فعملوا فيها كنائس هدمها الملك الناصر صلاح الدين وكان قد تغلب عليها وبنيت اصطبلات ...»
«فلما كان فى الأيام الصالحة ... ثبت عند الحاكم انها [أى الاصطبلات] من الجامع وأن بها محراباً فانتزعت ...»
«وبنى فيها ما هو الآن فى الأيام المعزية (٢٠٧) على يد الركن الصيرفى ولم يسقف» (جـ ٢، ص ٢٧٨)
وطبقاً لقول القلقشندي، أقيمت صلاة الجمعة مرة أخرى فى الجامع الأزهر بدلاً من جامع الحاكم بأمر من بيبرس فى سنة ٦٦٥هـ (١٢٦٦م).

«ثم جدد هذا الجامع فى سنة ثلاث وسبعمائة وذلك أنه لما كان يوم الخميس ثالث عشرى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمائة تزلزلت أرض مصر والقاهرة وأعمالهما ورجف كل ما عليهما واهتز وسمع للحيطان قعقة وللسقوف قرقة ومارت الأرض بما عليها وخرجت عن مكانها وتخيل الناس أن السماء قد انطبقت على الأرض فهربوا من أماكنهم وخرجوا عن مساكنهم وبرزت النساء حاسرات وكثر الصراخ والمويل وانتشرت الخلائق فلم يقدر أحد على السكون والقرار لكثرة ما سقط من الحيطان وخر من السقوف والمآذن وغير ذلك من الأبنية وفاض ماء النيل فيضاً غير المعتاد وألقى ما كان عليه من المراكب التى بالساحل قدر رمية سهم وانحسر عنها فصارت على الأرض بغير ماء واجتمع العالم فى الصحراء خارج القاهرة وباتوا ظاهراً باب البحر بحرهم وأولادهم فى الخيم وخلت المدينة وتشعثت جميع البيوت حتى لم يسلم ولا بيت من سقوط أو تسقط أو ميل ... فكان مما تهدم فى هذه الزلزلة الجامع الحاكمى فإنه سقط كثير من البدنات التى فيه وخرب أعالي المذنتين وتشعثت سقوفه وجدرانته فانتدب لذلك الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ونزل اليه ومعه القضاة والأمراء فكشفه بنفسه وأمر يرم ما تهدم منه وإعادة ما سقط من البدنات فأعيدت وفى كل يدنة منها طاق وأقام سقوف الجامع وبيضه حتى عاد جديداً ... ورتب فيه دروساً أربعة لأقراء الفقه على مذاهب الأئمة الأربعة ... وحفر فيه صهريجاً بصحن الجامع ليملاً كل سنة من ماء النيل ... فكان ما أنفق عليه زيادة على أربعين ألف دينار» (جـ ٢، ص ٢٧٨)

(وتم العثور على ذراع محنطة فى البناء فى أثناء عملية الترميم بجوار باب الفتوح):

«ثم جدد هذا الجامع وبلط جميعه فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فى ولايته الثانية ... فى سنة ستين وسبعمائة ... (٢٨٠) » والجامع الآن متهدم وسقوفه كلها ما من زمن الا ويسقط منها الشئ بعد الشئ

فلايماد وكانت ميضأة هذا الجامع صغيرة بجوار ميضأته الآن فيما بينها وبين باب الجامع وموضعها الآن مخزن ت المراحل على علوه طبقة عمرها شخص من الباعة ... وهذه الميضأة الموجودة الآن أحدثت وأنشأ الفسقية التي فيها ابن كرسون في أعوام بضع وثمانين وسبعمئة وبيض مثذنتى الجامع واستجد المثذنة التي بأعلى الباب المجاور للمنبر رجل من الباعة وكملت في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمئة وخرق سقف الجامع حتى صار المؤذنون ينزلون من السطح الى الدكة التي يكبرون فوقها وراء الأمام (ج ٢ ، ص ٢٨٠) .

تاريخه اللاحق

تحول الجامع في فترة الاحتلال الفرنسي الى حصن واستخدمت مآذنه كأبراج للمراقبة (Mehren, *Mélanges* asiatique, VI, p. 298). ويذكر على مبارك أنه في عام ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) «أضاف اليه نقيب الأشراف السيد عمر مكرم أربع بائكات في مؤخره» (١) وكان يشكل جامعاً بمنبر وخطبة وميضأة ومراحيض، (الخطط الجديدة، ج ٤، ص ٨١). ويذكر ويلكنس في سنة ١٨٤٢ أنه كان ثم طريق عام في زمنه من منتصف الجانب الشمالي الغربي الى الجانب الجنوبي الشرقي من المبنى (Modern Egypt and Thebes, I, p. 234). ويذكر على مبارك أنه في الجزء الأول من القرن التاسع عشر استخدمه بعض الشوام من صناعات المصاييح الزجاجية ونساجي الحرير وما الى ذلك، وأنه لم يكن مفتوحاً من أبوابه سوى بابين (ج ٢، ص ٦٦). ويذكر روجرز الذي كتب في سنة ١٨٨٠ أن الصحن «ظل يستخدم كمصنع للحبال حتى وقت قريب» (Art Journal, New Series, XIX, p. 77). وتمت إقامة المتحف العربي في بنائه الأول في سنة ١٨٨٠ في هذا المكان فيما تبقى من الحرم. وفي عام ١٨٨٣، وضعت الأشياء التي تم جمعها في مبنى أقيم في الصحن (٢٠٨) وظلت في مكانها هذا الى أن تم بناء المتحف الحالي حوالي عام ١٨٩٦ (٢٠٩) (Lane-Poole, *Social Life in Egypt*, p. 96).

الترتيب والأبعاد الأساسية (٢١٠)

يتكون جامع الحاكم من مستطيل ضخم مساحته ١٢٠,٧٨ م (على الجانب الجنوبي الشرقي) × ١١٣,٠١ م (على الجانب الشمالي الغربي) من الداخل، مع وجود نتوء أجوف بركنيه الغربي والشمالي (شكل ٣٢). وتقوم مآذنه المتميزة في هذين النتوءين. وفي منتصف الواجهة الشمالية الغربية، وبين هذين النتوءين، نجد بوابة أثرية عرضها حوالي ١٥,٥٠ م مما يؤدي الى بروز ٦,١٦ م عن الواجهة. وفي كل من جداري البرجين، بين البوابة الأثرية والنتوءين، نجد مجازين بإطارين مستطيلين. وتم تنظيم البائكات حول الصحن على النحو التالي: كانت هناك خمس بائكات على الجانب الجنوبي الشرقي، واثنان على الجانب الشمالي الغربي، تضم كل منها ١٧ عقداً. وكان هناك بحذى الجدارين الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي ثلاث بائكات تحوى كل منها على ٩ عقود، وكانت في مواجهة البائكات الخارجية الى الشمال الغربي والجنوب الشرقي. وبناء على هذا، كان الصحن يحده ١١ عقداً على الجانبين الجنوبي الشرقي والشمال الغربي، و ٩ عقود فقط على الجانبين الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي، والأرجح أن عرضه كان ٧٨,٠٣ م (على الجانب الجنوبي الشرقي) وعمقه ٦٧,٥٥ م (على الجانب الشمال الشرقي) ويبلغ عرض الدعامات حوالي ٢,٥٨ م والعقود ٤,٤٣ م بين كل عقدين بنسبة تقرب من ٤ : ٧. ومن السمات المهمة للحرم، المجاز الذي يزيد عرضه عن ٦ م بقليل ويجرى من الصحن الى المحراب. وكانت كل هذه البلاطات مغطاة في الأصل بسقف خشبي مسطح ذي ارتفاع موحد عدا ما فوق المجاز وكان ارتفاعه ٢,٥٠ م تقريباً (شكل ٢٧).

عشوائية التصميم

من السمات المميزة لهذا الجامع العشوائية الواضحة فى التصميم. فالمساحة المحيطة بجدران ليست مستطيلة تماما. والجوانب المتقابلة غير متساوية الأطوال والواجهة الشمالية الغربية لاتسير فى خط مستقيم؛ وكذلك واجهة الحرم. أما الجانب الشمالى الشرقى الممتد من النتوء وحتى الحرم فمساحته ١٠٨,٥٣ م، فى حين تبلغ مساحة الجانب المقابل له ١٠٧,٣٥ م فقط، بفارق ١,١٨ م. ويبلغ عرض المنطقة من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى من أمام الحرم ١٢٠,٧٠ م، ومن أمام النتوءات ١٢١,٢٨ م، بفارق ٥٨ سم. وتتقوس واجهة الحرم الى الأمام بمقدار ٦٠ سم فى الوسط حتى لوقيست بالقرب من الأرضية. ومع أن الجدار الشمالى الغربى مواز لخط يمتد بزوايا يمتد الى الجدار الشمالى الشرقى بمسافة ثلاثة أرباع طوله عند بلوغه نقطة وسطا بين المدخل الرئيسى ومنتوء المئذنة الشمالية، إلا أنه ينحنى بصورة واضحة.

الجدران وبنائها

من غير الممكن قياس أو فحص الجزء الخارجى من الجدار الشمالى الشرقى؛ لأن سور بدر الجمالى بنى ملاصقا له؛ وكذلك الجزء الخارجى من الجدار الجنوبى الشرقى، لأن وكالة السلطان قايتباى [باب النصر] بنيت ملاصقة لجزء كبير منه فى سنة ٨٨٥ (١٤٨٠ م، Van Berchem, *Égypte*, I, pp. 493-9). وبسبب أن جزءا كبيرا من بقيته أعيد بناؤه أو ربما تم تربيعة (ويعود تاريخ بعض الأجزاء المعاد بناؤها الى ما بعد زلزال ٧٠٢ هـ (١٣٠٣ م) الكبير كما يتضح من رواية المقرئى) كالبوابة (لوحة ١٦ ج) والجزء السفلى قرب النتوء الشمالى (لوحة ٢٣ ب). وبنى هذا الجدار بين البرجين من كتل صغيرة مكسوة بطريقة عشوائية وتسمى «تلاتات»، وهو أسلوب بناء نصادفه مرة أخرى فى السبع بنات وجامع لؤلؤة وجامع الجيوشي، ونشاهده فى أكمل صوره بمشهد [خضرة] الشريفة لعام ٥٠١ هـ (١١٠٧ م) حيث نجد السطح الخارجى مكسوا بصورة متقنة. ويشبه وهو فى أكمل صوره بناء قصر الشمع شبا كبيرا (شكل ٢٣) اذا ما استبعدنا الأجزاء الآجرية، مما يؤدى بنا الى استنتاج أنه يعد نوعا محليا ناتجا عن ظروف اقتلاع الحجارة المحلية وأساليبه. ويتميز الجدار الشمالى الشرقى بأسلوب بناء مشابه، ولو بطريقة أكثر عشوائية قليلا. وهو أحد دعائم الجدران التى بنى طرف البائكات فيها من حجارة أيضا. والأرجح أن كل هذه الجدران كانت مكسوة بالجص الذى بقيت منه أجزاء على الجدار الفاصل الى يسار المدخل الرئيسى. وما كان من الممكن الكشف عن أسلوب البناء إلا حيث يكون كساؤه جيدا؛ ومثل هذا الأسلوب من البناء لم يكن مستخدما إلا فى المدخل الأثرى (لوحة ١٧) وفى أطر المداخل الأقل شأنًا (لوحة ١٥) والمآذن والنتوءات الكبرى. ويتكون الجدار الجنوبى الغربى من قطع دبش مصفوفة أو من آجر ذى حشو مطرز، ويعد فى جزء كبير منه حديث البناء. وفى صورة التقطها بيتو ضمن المجموعة التى أقتنيها هناك منظر للمئذنة الغربية من الصحن (لوحة ٢٧ أ) وتوضح بها فجوة كبيرة فى هذا الجدار. وينبنى الإشارة الى أنه لم يبق سوى بقايا نافذة واحدة فى المساحة الممتدة بين هذه المئذنة وبين البائكة الخارجية من الحرم بأكملها. وتنتمى هذه النافذة الى جزء باقى من الجدار الأصلى الممتد من مسافة ٢٧ م من الحرم الى مسافة ١٧,٥٠ م منه. وعند حافته الأخيرة، نجد منبت عقد نافذة أخرى يليه جدار - أسفله من الآجر وأعلاه ومن الدبش (ويراجع جزء منه الى الورا بمسافة ٢٥ سم) - يمتد حوالى ١١ م حتى البقايا التالية من الجدار الأصلى. ويلتقى به الجدار الأخير عند مسافة ٦,٦٠ م من واجهة الحرم، ويستمر عبر

البلاطتين الخارجيتين ثم يتحول الى جدار حديث يتراجع بمقدار ٨٥ سم (حيث أعيد بناؤه بصورة محاذاة). ويمتد عبر البلاطتين الثالثة والرابعة، أى الجدار الأصلي الذى يظهر مرة أخرى بالفجوة الأخيرة. والجدار الجنوبي الشرقى من نوعية الحشو المطرز كذلك. والجزء الذى يقع الى يمين المجاز لم يبن فى خط مستقيم، فى حين أن الجزء الى اليسار والذى يعد أقل سمكا من العمل الأصلي يتراجع الى الخلف بحوالى نصف المتر. والأجزاء الأصلية الوحيدة هى أطراف المجاز والفجوتان الى الشمال الشرقى منه وقطعة صغيرة عند الطرف الجنوبي الغربى بين الركن ودعامة الجدار الأولى.

كانت الجدران المحيطة تتوجها شرافة من الآجر مكونة من شريط غائر يحتوى على سلسلة من ست حلقات وريدية ذات فصوص تتناوب مع تعبير زخرفى كنقطة التقاء طرفى سهم كان بأعلاها صف من العرائس مساحته حوالى ١,٧٣ م من المنتصف الى المنتصف وارتفاعه ١,٥٠ م وسمكه ٢٤ سم. وفى منتصف كل منها فتحة معقودة مدببة ارتفاعها ٥٨ سم وعرضها ٣٠ سم. ولا تزال أجزاء من هذه الشرافة موجودة على الجدار الفاصل الى يسار البوابة الأثرية (شكل ٣١) وعلى قمة الأخيرة على جانبها الشمالى الشرقى. وأعيد بناء الأجزاء المفقودة عام ١٩٤٢، وأعيد بناء الشرافة الكائنة فوق الجدار الفاصل الى يمين المدخل فى عام ١٩٤٥. وارتفاع الجدار الفاصل من أسكفة البوابة الثانية ١١,٧٤ م، ومساحة الشريط حوالى ٦٥ سم، والعرائس ١,٥٠ م، فيصبح ارتفاعه الإجمالى ١٣,٨٩ م فى مقابل ارتفاع جامع ابن طولون الذى يبلغ ١٤,٤٩ م (الواجهة الشمالية الشرقية). وسناقش تاريخ بناء هذه العرائس فيما بعد.

المدخل التذكارى

تتكون هذه البوابة الجميلة من برج عرضه ١٥,٥٠ م ويرز عن الجانب الشمالى الغربى من الجامع بمقدار ٦,١٦ م. ويتخلله فى وسطه مجاز ذو قبو اسطوانى عرضه ٣,٤٨ م وطوله ٥,٥٠ م. وإذا تركنا مجالا للارتفاع عن الأرضية، يكون ارتفاعه ١١ م تقريبا، إلا أن الجزء الأكبر من الواجهة الأمامية لهذا المدخل التذكارى لا يظهر للعيان حاليا. ومن أجل الوصول اليه، ينبغى ترك الشارع الرئيسى والدخول فى حارة طولها ٢٠ م تقريبا على يسارها بعض البيوت المتواضعة (تمت إزالتها حاليا) يليها ما يسمى «ضريح بدر الجمالى» (٢١١) (وهو القائد الأرمنى الشهير للخليفة المستنصر الفاطمى وسنتحدث عن أعماله فى البابى التاسع والحادى عشر)، وعلى يمينها جانب الوكالة (وهى الوكالة التى تمت إزالتها فى يونيو ١٩٤٧) والذى يخفى وراءه الجزء الأكبر من الجدار الفاصل بين هذه البوابة وبين التتوء الغربى ويتداخل مع البوابة نفسها (شكل ٣٢). وكل مانراه من هذه الحارة هو القبو الاسطوانى حيث تختفى بقية البوابة (لوحة ١٦ ب). والمجاز المقبب مبنى من الحجارة حتى مستوى منبت القبو. وعند كل ركن خارجى هناك عمود مدمج مصقول بتاج شمعى موزق على قمته؛ والعمود الأيسر فى حالة جيدة؛ أما الآخر الى اليمين، فهو ملبس بالجص. وهذان العمودان لا يستويان من حيث الارتفاع، حيث يبلغ ارتفاع العمود الأيسر ٢,٥٠ م، بينما يبلغ ارتفاع العمود الأيمن ٢,٩٢ م إذا قيس من مستوى الأرضية الحالى الى قمة التاج. وتجرى العوارض الخشبية الى الخلف داخل الجدار أعلى هذين التاجين.

وهناك لوح حجرى طويل عليه نقوش بالنسخ فوق قنطرة العقد (لوحة ١٦ ب) يسجل ترميم الجامع على يد الأمير بيبرس الجاشنكير (الذى أصبح السلطان بيبرس الثانى فيما بعد) فى عام ٧٠٣ هـ (١٣٠٤ م)، أى بعد

الزلازل الكبير بعام واحد. وينص النقش على أن الترميم تم في ذى الحجة ٧٠٣ هـ. واحتل هذا اللوح مكان الشرافة التي فقدت الغرض من وجودها. وخلف هذا المجاز المعقود، هناك باب عرضه ٢,٢١ م يمتد فوقه عقد حجري مسطح فوقه عقد عاتق من الآجر. ولم يعد البناء فوق المجاز منتظم الشكل، بل يتحول الى دبش مصفوف. وبما أن العقد المسطح شديد التحافة من الخلف الى الأمام، فالجدار من فوقه نحيف أيضا. وهناك فجوة طويلة ضيقة بعمق ١,٣٥ م وعرضها ٢,٥٤ م تجرى بطول ارتفاع الجدار المحيط تركت على الجانب الداخلى من المجاز. وهذه الفجوة مسقوفة على مستويين حاليا: (أ) على مستوى العتبة؛ (ب) عند القمة يتكون السقف في كل حالة من قوائم سقالات وألواح خشبية.

وأمام المجاز وعلى الجانب الأيمن منه هناك قطعة زخرفية غير عادية (لوحة ١٦ ج، ب). فهي مشغولة بالأرابسك داخل هيكل من سطح كلاسيكى قائم على أعمدة ومقاسها ١,٦٠ م من حافتها العليا الى حافتها السفلية وطولها يزيد قليلا عن ١,٥ م. ويرجع السطح الرئيسى لهذا الشريط مسافة ١٣ سم من سطح الجدار الحالي، إلا أن حافته العلوية والسفلية بهما تنوء قدره ١٣ سم، وبالتالي فإن هاتين الحافتين تستويان تماما مع الجدار. وإذا درنا حول الضريح الى اليسار، يمكننا أن نرى الجانب الشمالى الشرقى لهذا المدخل التذكارى ونلاحظ أنه ناتئ عن الجدار الفاصل بما لا يقل عن ٦,١٦ م.

وتزين جانبي البوابة (لوحة ١٧) حشوتان معقودتان بعمق ٣١ سم يجرى عبرها شريط من الزخارف يتبع النوء بأكمله والزوايا الداخلة ويتطابق تماما مع الشقة الكائنة على الجانب الأيمن من مجاز المدخل من حيث العرض (١,٦٠ م) ومن حيث تفاصيل الزخرفة (نشرت هذه الزخرفة للمرة الأولى في نشرة لجنة حفظ الآثار العربية، ١٩٠٧، ص ١٣٢-١٣٤). وتتكون الحلية المعمارية التى تشكل حافته السفلية من شريط مجدول يحفه من أعلاه ومن أسفله صف من القضببان القصيرة، وفوقه بحوالى ١,٥ م وتحت منبت الطواقى المعقودة مباشرة، نجد حلية معمارية بنفس الحجم ولكن تختلف فى تكوينها، ويجرى تحتها صف من أنصاف المراوح النخيلية، ويجرى بينهما شريط جميل من الزخارف حدوده الخارجية تشبه حدود نافذة فى المئذنة الغربية (لوحة ٣٢ أ). ويتكون الشريط نفسه من إطار هندسى قوامه صف من الأشكال السداسية المستطيلة، يدعم كل زوج منها ورقة نباتية ثلاثية تحيط بورقة نبات ذات ثلاثة فصوص، وترتبط من أسفلها بأنصاف مراوح نخيلية موضوعة بين الحلقات النباتية الثلاثية الوريقات (شكل ٢٤).

ترتكز الحشوات على طبلية وحافتها مزخرفة بحلية بسيطة (شكل ٢٤ ب) وتنتهى فى أعلاها بطواقى معقودة مديبة ضحلة غير مسطحة تماما، بل تنحرف الى الأمام قليلا عند الحواف وتحملها عبر أركان الفجوة كوابيل أفقية كما هو الحال فى قصر الأخيضر وفوق أساس قبة مسجد القيروان الجامع (E.M.A.، ج ٢، ص ٣١٦، شكل ٢٣٥، لوحة ٨٤ ب). وللطاقية اليسرى حافة مزدوجة إلا أن الحافة اليمنى فقدت كل هذا الجزء. وكلا الطاقيتين محفورتان بزخارف بارزة جريئة. وفى الجزء العلوى من الطاقية اليمنى، هناك مروحة نخيلية تشبه بعض مثيلاتها فى مسجد قرطبة الجامع فى العمل المنسوب الى الحكم الثانى فى سنة ٣٥٥ هـ (٩٦٦ م. Marçais, Manuel, I, Fig. 157). والأرجح أن الطاقيتين المعقودتين وضعتا فى إطار مستطيل قوامه نقش كوفى غير مزخرف (سورة آل عمران، آية ١٩٩) وبه حافة خارجية مزدوجة من قضبان زخرفية قصيرة. ولم يبق من هذا الإطار سوى الجزء الهابط الى اليسار. وبعد هبوطه، يدور بزوايا يمنى ويجرى أفقيا فوق عمود

مستطيل ناتئ قليلا؛ ووضع هذا الجزء مقلوبا (ربما أعيد الى مكانه مقلوبا بطريق الخطأ). والعمود المستطيل الأيمن يدعم بداية هذا النقش. ولكن ماهى وظيفة العمود المستطيل الأوسط الذى تتساوى واجهته مع السطح المستوى الرأسى للعمودين المستطيلين الخارجيين؟ قد يفترض أن النقش الهابط فى الوسط كان يجرى أفقيا ويصعد مرة أخرى ليحيط بالطاقيّة الثانية فيشكل بذلك إطارين مستطيلين. وقد تسمح المساحة بذلك، إلا أنها لا تسمح للحافة المزدوجة للقضبان الزخرفية القصيرة أيضا. لذا، ربما كانت الأخيرة تستمر أفقيا عند القمة بحيث تشكل إطارا خارجيا واحدا للجميع (كنت أتمنى أن يتم العثور على الواجهة الأخرى فى حالة جيدة حيث تمت إزالة الوكالة التى بنيت ملاصقة للنصف الأيمن من الواجهة عام ١٩٤٧ لكى تجيب على هذه التساؤلات. ولكن للأسف وجدت فى حالة يرثى لها). واختفت زخرفة كوشات العقد تماما عدا بقية منها على الجزء السفلى الى يسار العقد الأيسر وتحاذى سطح حافة القضبان القصيرة.

وفى الحشوات أسفل الشريط، نجد مربعين وضعا على شكل معين. وبالمربع الأيسر نجمة ذات ثمانية أطراف مكونة من مربعين متقاطعين. ويربط بين الأطراف المتناوبة حلقات بأربع دوائر تلامس المربع المطوق بالكاد (شكل ٢٥). كما تربط بين هذه الدوائر الأربع حلقات بها دائرة مركزية أصغر حجما، خارجها عنصر ذو أربعة فصوص. وتمر الأشرطة المحززة التى تشكل كل هذه العناصر من تحت ومن فوق بعضها البعض بصورة تبادلية. وتشبه زخرفة الحد الخارجى زخرفة السطح الأدنى للطاقيّة اليسرى. والحشوة اليمنى بتصميم قائم على نجمة ذات ثمانية أطراف فى وسطه.

وهناك خط فاصل يجرى مائلا من اليمين الى اليسار عبر المربع الداخلى للحشوة اليسرى فيقسمه الى نصفين متساويين، مما يرجح أن هذين اللوحين تم نحتهما أولا ثم تم تركيبهما فى الجدار. كما تتكون الحافة الخارجية من عدة قطع لاعلاقة لفواصلها بكتل البناء. وفوق الحشوات، يستمر سطح الجدار فى الصعود الى أعلى فى حالة سيئة. ولا يزال من الممكن رؤية بقايا الشرافة ذات النقش المخرم على طول القمة. وفى الوسط، أسفل الافريز قليلا، نجد فتحة مستطيلة تبدو كنافذة، وسنعود اليها فيما بعد.

وننتجه الآن الى فحص جدران المجاز المعقود محاولة تخيل بنائه. تم مؤخرا ترميم الجانب الأيسر الى ارتفاع مترين تقريبا. أما الجانب الأيمن، فلم تتم إعادة بنائه وحسب، بل تم الخروج به الى الأمام بمسافة ١٣ سم كما سبقت الإشارة بحيث يحاذى الآن الحليات العلوية والسفلية لشريط الزخرفة. وتفصل المداميك الأربعة الأولى تحت الجانب الأخير بين الوصلة وبين المداميك الكائنة الى يمينها. وتحتها يتكون الجدار من الطوب الأحمر (حلت محله الحجارة فى عملية ترميم تمت عام ١٩٤٣ أو ١٩٤٤) مع قليل من قوالب الحجارة. على هذا، يمكن القول إن الجدار الأيمن ولمسافة ٤ م من واجهة البوابة ليس أصليا. فماذا حل محله؟ إن تطابق كتلة الزخرفة الى اليمين تطابقا تاما من حيث التفاصيل ومن حيث القياسات مع نظيرتها الجانبية يؤكد أن هذه الزخرفة كانت تجرى بصورة متصلة حول الجانبين وعلى الواجهة. وربما كانت هناك حشوات فى الواجهة أيضا. من المؤكد أنه كانت هناك حشوة على كل من جانبي المجاز المعقود؛ فيستدل من فحصه على أن الشريط يمتد مسافة ١,٥٢ م من الجدار القاطع وأن الحليات المعمارية العلوية والسفلية تتحول الى الجدار بزوايا يماني، وقد تستمر الى داخل المفصل لعدة سنتيمترات. ومن الواضح أنه كانت هناك حشوة مفرغة ها هنا. وإذا تفحصنا الطرف الداخلى لهذه الكتلة، نجد أن النمط ليس مكتملا تماما. ومن الممكن أن نستنتج من

تمثل الزخارف على الجانبين أنها كانت متصلة الى مسافة أطول، لأن شريط الزخرفة الأوسط في الحالة الأخيرة ربما كان مكتملا. وشريط الزخرفة الذي يجرى على طول حافته العلوية والسفلية يدور حول الطرف بحيث يحيط به تماما. ويستدل من الفحص على أن هذه الزخرفة تمتد في الحقيقة الى مسافة أبعد، وقد تمتد الى داخل المفصل المفتوح بينه وبين عضادات الباب لعدة سنتيمترات. علينا إذن أن نخرج من ذلك بأن هناك عمليات تغيير مكثفة حدثت في الطرف الداخلي من مجاز المدخل، وأن المجاز الحالي والجدار الذي يعلوه يشغلان تخطيطا سابقا على التخطيط الأصلي. كما شاهد جاردنر ويلكنسن في سنة ١٨٣١ نقشا كوفيا للحاكم على المجاز خلف مجاز المدخل المذكور (Topography of Thebes, pp. 299-300) مما يعنى أن هذه التغييرات حدثت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. أما النقش، فقد أرسل جاردنر ويلكنسن صورة منه لفون هامر الذي قام بنشرها في سنة ١٨٣٨ (Journal Asiatique, 3me sér., t. V, pp. 388-91) وتتفق محتوياتها مع رواية المقرئى التى أردناها من قبل، ولكن بصورة غير حرفية. إذ يشير فان برشم (Égypte, pp. 50-51) الى أن المقرئى لم يهدف الى تقديم نسخة حرفية، بل يقول: «يروى أن...». وكان هذا النقش لا يزال باقيا على حالته الأصلية حين رآه فريث (Frith) في سنة ١٨٦٠ (Lower Egypt, Thebes and the Pyramids). وتحدث مس روجرز في سنة ١٨٨٠ عن المصير الذى آل اليه فتقول: «منذ سنوات قلائل، انهارت الأحجار التى تحمل هذا السجل التاريخى ومعهها كم كبير من البناء والدبش. ولدى سماع نبأ هذا الحادث، قام ا. ت. روجرز بتصريح من نوبار باشا بجمع البقايا ونقلها الى وزارة الخارجية. إلا أن وزارة الأوقاف لم توافق على استبدال الحجارة المنهارة أو إزالة الأحجار الباقية» (E. T. Rogers & Miss Rogers, "The Mosques of Cairo," the Art) (Journal, New Series, XIX, p. 77). ويضيف الباحثان: «والمدخل الرئيسية للجامع كلها مغلقة بالبناء حاليا... وهناك مدخل واحد من داخل مقهى ومدخل آخر من داخل مصنع للبيرة... ومدخل ثالث من داخل مصنع زجاج». وفي عام ١٨٨٨، وهو العام الذى زار فيه فان برشم القاهرة لأول مرة، كانت كل بقايا النقش اختفت (Notes, XVII, p. 433).

وبإتمام العنصر الزخرفى الذى كان مختفيا فى جزء منه وراء عضادة الباب، وبإضافة الإطار وكتلة من جدار غير مزخرف، نجد أن كل ذلك يبلغ ٤٣ سم، وهو ما يصل مجموعه اذا أضفنا الطول الحالى للمجاز المعقود الى ٥,٩٣ م بدلا من ٥,٥٠ م. وعلى فرض أن سطح الجدار كان متساويا فى العرض على كل من جانبيه هذه الحشوة، تكون النتيجة $٥,٩٣ - ٢ = (١,٥٢ + ٠,٤٣) \times ٢ = ٢,٠٣$ م وهو عرض الحشوة الفائرة. ويتفق ذلك مع الحشوتين الكائنتين على الجانبين ومساحتهما ١,٩٤ و ٢,٠٦ م على التوالي.

أما بالنسبة لواجهة كل من جانبيه قنطرة العقد، فهناك مجال لحشوتين معقودتين فى كل حالة، لأن عرض كل واجهة (٥,٩٦ م) يساوى تقريبا عرض الجانب (٦,١٦ م). إلا أنى أعتقد أنه لم تكن هناك الا حشوة واحدة بفسحة قدرها ٢ م تقريبا على كل من جانبيها (كما هو الحال فى المجاز)، لأن هذا يعطينا الواجهة الثلاثية العقود التى اشتهرت فى العمارة الإسلامية المبكرة ومن أمثلتها قاعة العرش فى المشتى (E.M.A., I, pp. 356-7, Fig. 439) وبيوت الأخيضر وباب العامة (بيت الخليفة) بسامراء وباب الميدان بقصر ابن طولون؛ ومن النماذج الأحدث زمنا واجهة حرم اللؤلؤة والجوشى وخضرة الشريفة ورقية والعديد من المدارس الشامية والجزء الأوسط من واجهة حرم مسجد القيروان الجامع (ربما عصر الحفصيين ٦٩٣ هـ / ١٢٩٤ م) الذى لفت مارسيه نظرنا اليه (Remarques sur l'esthétique Musulmane, Annales des l'Institut d'Études Orientales, IV, pp. 84).

4-62). وبهذا يصل المجموع الى ثمانى حشوات.

واذا تسلقنا قمة الجدار الفاصل ومشينا على طول البوابة التذكارية، نلاحظ أن الجوانب مجوفة وأن النصف الشمالى الشرقى به دعامة مستطيلة مساحتها 3 × 1 م تقريبا وتقوم فى الوسط كقائم الدرايزين فى أسفل السلم. ونظرا لكثافة الأطلال التى تملأ الجزء الداخلى الى النصف، فلا سبيل لمعرفة ما اذا كان هذا هو الحال أم لا. الا أن الفتحة التى تبدو كنافذة على أحد جانبي البوابة تعزز هذا الاحتمال. ولما كان جانبا مجاز المدخل يشغلها جزئيا شريط زخرفى جميل سبق وصفه، فمن المحتمل أن المدخل المؤدى الى هذا السلم كان من الواجهة الداخلية للبوابة. إلا أن الجدار هناك أعيد بناؤه برمه منذ عام 1880 (شكل 32).

من سطح الوكالة الذى يتداخل مع النصف الأيمن من البوابة يمكن ملاحظة وجود نافذتين مستطيلتين فى كوشات قنطرة العقد ولا يمكن رؤيتهما من الشارع. وبالصعود الى قمة البوابة والنظر الى داخل النصف الجنوبى الغربى، نلاحظ أنه ليس هناك بدن، وأن الصورة الداخلية ظاهرة حتى مسافة كبيرة الى أسفل. ويمكن رؤية العديد من جذوع النخيل مدمجة فى البناء. وعلى الجانب الجنوبى الغربى، يمكن رؤية الصورة الداخلية من نافذة وهو يتطابق نظير له سبق وصفه فوق زخرفة الجانب الآخر؛ فيصبح المجموع الكلى أربعة نوافذ. ويغطيه من الخارج جدار من الطوب سمكه نصف متر تقريبا بنى فى مواجهته دون سبب واضح إلا أن يكون بمثابة جانب من بيت اختفى مع مرور الزمن. واذا تمت إزالته من القمة حتى القاع، فإن حشو الجزء السفلى والمطابق لنظيره الذى يرى على الجانب الآخر يصبح مكشوفاً (وتمت إزالته بالفعل فى يونيو 1947).

وتم إخلاء الصورة الداخلية من هذا النصف من المدخل التذكارى فى سنة 1943؛ وانكشف قائم الدرايزين المستطيل ودورتان ونصف دورة من السلم. وكانت الدورة السفلية تجرى باتجاه القبلة على الجانب المجاور لمجاز المدخل. إذن فمن المرجح أنه كان هناك باب على الواجهة الداخلية بجوار المدخل الرئيسى، وباب آخر يقابله ويؤدى الى السلم فى النصف الآخر من البرج، إلا أن كل أعمال البناء هنا أعيد بناؤها من جديد.

المدخل الصغرى فى الواجهة الشمالية الغربية

سبقت الإشارة الى مجاز مسور (لوحة 15 جـ، شكل 26) فى الجدار الفاصل الى يسار البوابة الرئيسية. ومحوره 48, 15 م من الجانب الى البوابة المذكورة وتحت النافذة الثالثة فى هذا الجدار الفاصل تماما. أما الفتحة التى يمتد فوقها عقد أفقى وضع فى إطار مستطيل تشكله حلية معمارية مفلطحة فعرضها 1,97 م وارتفاعها 3,94 م بنسبة 1 : 2 تماما. ويرتكز العقد على عضادات بنيت بفواصل دقيقة وكسيت بطريقة سلسلة فى صفوف بمتوسط ارتفاع 22 سم، ويتوجها صفان آخران من البناء ويحيط بالجميع إطار خارجى يتكون بدوره من حلية معمارية مفلطحة غير منحوتة على بناء العضادات بل مكونة من كتل منفصلة وضعت رأسيا وتعود عند مستوى الأرضية وحتى فتحة الباب التى كشفت عتبتها الجرانيتية مؤخرا (أواخر 1943). ويفترض أنها كانت تعود الى الصعود لأعلى لتجرى على طول الجزء العلوى من الصفيين اللذين يتوجان العقد (أو ربما فوق صف ثالث اختفى ولم يعد له وجود). بالتالى، فإن مساحة الجميع تصبح 3,89 × 5,12 م. والبناء المصقول ليس موصولا ببناء مدماك الثلاثات الذى يحيط به. وبالقرب من النتوء الغربى، هناك مجاز مماثل تعرض إطاره المنحوت لمزيد من الأضرار. ويمكن رؤية جانبه الداخلى فى اللوحة (27 أ)، إلا أنه يختفى حاليا وراء مبان حديثة، كما انكشف جانبه الخارجى فى أوائل عام 1944 حين تم الكشف عن هذا النتوء. ولا بد

من وجود مجاز آخر مماثل بجوار التتوء الآخر، فعلى الجانب الداخلى من الجدار، وفى إحدى السقائف المبنية فى مواجهته وبالقرب من التتوء نفسه نجد بقايا عارض وعقد عائق تحت النافذة السابعة من الوسط مباشرة. ولا يمكن رؤية العقد والنافذة إلا من الجانب الداخلى (حيث يختبئ الباب حالياً وراء سقيفة، ولكن يمكن التعرف على صورته فى اللوحة ٢٤ ج)، بينما يغطيهما على الجانب الخارجى بروز ضخمة من سور بدر الجمالى الذى يدور حول الجانبين الشمالى الشرقى والشمالى الغربى لمكعب يحيط بالمئذنة وكذلك حول الجانب الجنوبى الغربى الى أن يتوقف فى مواجهة الجدار الفاصل للجامع (انظر الشكل ٣٢).

إذا حدث واكتشفنا مدخلين صغيرين آخرين فى الجدار الفاصل الى يسار المدخل، فمن المتوقع بالطبع أن نعث على مدخلين مماثلين فى النصف الآخر. ويمكن رؤية المدخل المجاور للتتوء الجنوبى كما رأينا من قبل. أما بقية الجدار، فهى مختفية على الجانبين (وحيث تمت إزالة الوكالة فى سنة ١٩٤٧ لم يتم العثور على أثر لهذا المدخل، حيث أعيد بناء الجدار الفاصل عند هذه النقطة). لكننا إذا عدنا الى وصف المقرئى للشريان الرئيسى للقاهرة فى العصور الوسطى [القصة] والذى يصحب القارئ فيه فى جولة تخيلية من باب زويلة الى باب الفتوح (الخطط، ج ١، ص ٣٧٧) نجده يتحدث عن «إحدى بوابات الجامع الحاكمي» و«الى اليمين نجد بوابة أخرى للجامع الحاكمي» و«الى اليمين نجد المدخل الكبير للجامع الحاكمي». إذن فلا جدال فى وجود مدخل تذكارى فى وسط الواجهة الشمالية الغربية وزوج من المداخل الثانوية بالجدار الفاصل على كل من جانبيه.

كيف كانت هذه المجازات؟

سنرى فيما بعد أن المئذنة الشمالية، أو بالأحرى ذلك الجزء منها الذى يشكل نتوءاً على الواجهتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية قبل بناء التتوءات الكبرى يجرى أسفل مستوى الأرضية الأصلية للمسجد بما لا يقل عن ١,٧٥ م. ولا يعنى هذا سوى أن مستوى الأرضية الأصلية خارج الواجهتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية كان أدنى كثيراً من مستوى الأرضية الأصلية للمسجد فى الداخل، ويؤيد هذا الرأى حقيقة أن العتبة الجرانيتية لباب الفتوح تنخفض عن المستوى الحالى للشارع بمقدار ٢,٤٠ م بينما لا يزيد انخفاض عتبة المجاز الذى نتحدث عنه عن ٤٠ سم، أى أنها ترتفع عن مستوى الشارع فى عام ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) بمقدار مترين. والنتيجة الواضحة هى أن مجازات أبواب الجامع كان يتم الوصول إليها عن طريق سلالم يرجع أنها كانت نصف دائرية (شكل ٢٤) كما هو الحال بجامع ابن طولون قبل ذلك بما يقرب من ١٢٥ سنة (الخطط، ج ١، ص ٣٧٧).

الجامع من الداخل

وإذا دلفنا عبر المجاز الكبير الى داخل الجامع، نجد صورة واضحة للدمار الرهيب. فبدلاً من أن نجد صحناً تحيط به بوائك مهيبة، نرى رحبة واسعة مفتوحة يحف بها الى اليسار خشب من كل صنف. ويشغل الجانب الأيمن منها مباني حديثة بشعة تنتمى الى مدرسة السلحدار (٢١٢) (لوحة ١٨ أ، ب). وتبلغ المساحة الداخلية ١٢٠,٧٠ م (الجانب الجنوبى الشرقى) × ١٣,٠١ م (الجانب الشمالى الشرقى). فلم يبق من الجامع إلا القليل (لوحة ٣٢). فاختفى الرواق الشمالى الغربى برمته عدا العقد الأول من البائكة الداخلية عند الطرف الشمالى الشرقى ومنبت العقد الثانى ودعامة جدار العقد الأول من البائكة الخارجية (لوحة ٢٣ ب).

وعلى الطرف الجنوبي الغربي، لم يبق إلا بقايا من العقدين الأخيرين من البائكة الداخلية المتصلة بالواجهة الجنوبية الشرقية للنتوء الكبير (لوحة ٢٧ أ). ولم يبق من البائكات الشمالية الشرقية سوى خمسة عقود من الصف الداخلى (لوحة ١٨ أ). ويتضح من المقاسات أن هناك مكانا لما لا يزيد عن تسعة عقود بين البائكة الخارجية للحرم والبائكة الخارجية للرواق الشمالى الشرقى.

وعند منبت أحد العقود على الدعامتين الثانية والثالثة بالحرم (لوحة ١٩ أ)، يمكن رؤية أن هذا الرواق الجانبى كان بعمق ثلاث بلاطات (أعيد بناء الدعامة الرابعة حديثا. أما صورة الدعامة الأصلية (لوحة ١٩ أ) فتدل على أن واجهتها كانت مصقولة بحيث لا يمكن أن تكون هناك بائكة تم انتزاعها منها). ومن البائكات الجنوبية الغربية، لم يبق حاليا إلا أعقاب دعامتين من البائكة الداخلية، ولو أن هناك أربعة عقود ظلت قائمة حتى عام ١٨٧٥ (Rhoné, L'Égypte à petite journées, 2me éd., p. 359). أما الحرم الذى كان يتكون من خمس بائكات تجرى بحذى جدار القبلة، فعانى دمارا هائلا أيضا ولم يبق منه إلا المجاز وبائكتان على يساره. وتداعت ثلاثة عقود من الواجهة، إلا أن قواعد الدعامات لاتزال باقية (عدا واحدة) بحيث يمكن أن نرى أنه كان هناك ١٧ عقداً من اليمين الى اليسار. وبقي ١١ عقداً فى مواجهة الصحن.

بعبارة أخرى، كان التصميم الداخلى على النحو التالى: كانت هناك خمس بائكات على الجانب الجنوبى الشرقى واثنان على الجانب الشمالى الغربى بكل منها ٩ عقود. وكانت هذه البائكات تقف فى مواجهة البائكات الخارجية الى الشمال الغربى والجنوب الشرقى، مما نتج عنه صحن يحده ١١ عقداً الى الشمال والشرق و ٩ عقود الى الشرق والغرب بعرض ٧٨.٣ م وعمق ٦٧.٥٥ م.

المداخل الباقية

قبل الدخول فى الوصف التفصيلى للحرم، ينبغى فى البداية أن نحسم مسألة المداخل المتبقية. فإضافة الى المداخل الخمسة بالواجهة الشمالية الغربية، هناك مدخل مسدود على الجانب الشمالى الشرقى بمواجهة العقد الأوسط من ذلك الجانب من الصحن، ويتكون من عقد مدبب من الحجر المنحوت، يعلوه عارض خشبى طويل مطموور فى البناء، يعلوه عقد عاتق من الحجر غير المصقول (لوحة ١٩ هـ). وإذا دخلنا الشرفة الخارجية التى تدخل فى سور القاهرة الشمالى عند هذه النقطة، نجد كتفين عرضهما ٢.٣٢ و ٢.٣٧ م يفصل بينهما ٣ م ويبرزان داخل الشرفة الخارجية على الجانب المجاور للجامع. ويتميزان بالبناء غير المصقول الشبيه ببناء سور الجامع على هذا الجانب. ويتضح من المقاييس أنهما أقبما بصورة سيامتريّة على كل من جانبى خط يمر بوسط مجاز الباب. ولما كان هذا الجزء من سور القاهرة قد بناه بدر الجمالى فى سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م)، فإن هذا المجاز لا يمكن أن يرجع الى تاريخ أحدث.

وإذا اتجهنا الآن الى الجدار القائم على الجانب الآخر من الجامع، نجد أن جزءا كبيرا منه يبدو حديث العهد. ولكن هناك دليل على وجود مجاز بوابة على واجهته الخارجية. ويمكن فحصه من النتوء الكبير بواجهة الحرم ولكن فى طولين منفصلين، أولهما من داخل مقهى والآخر بالهبوط الى شارع الضبية وعبور مجاز المدخل الكبير لبيت تركى حديث العهد ثم الدوران يسارا والمرور ببعض النحاسين والدخول الى ساحة مفتوحة واسعة، ويقع سور الجامع على جانب منها. وهو مبنى بطريقة ركيكة ويبدو أنه حديث البناء، ولكن فى واجهته هناك دعامتان بنيتا بناء جيدا وعرضهما ٢.٠٨ و ٢.١٣ م على التوالى بنتوء قدره ١.٥٥ م (لوحة

١٩ء)، ويفصل بينهما ٢,٥١ م. وترتفع الأرضية ها هنا ارتفاعا ملحوظا. إلا أن هناك عارضا يمكن رؤيته مطمورا في الجزء الأدنى من السور. ويتضح من المقاسات أن الدعامة اليسرى مساحتها ٣٦,٢٣ م من النتوءات. وبإضافة ٢,٠٨ م (دعامة) و ١,٢٥ م (نصف المسافة بينهما) تكون النتيجة ٣٩,٥٦ م، وهى المسافة من خط وسط مجاز الباب من واجهة النتوء. وتتطابق المسافة بين الدعامتين تقريبا مع وضع العقود الوسطى للبياتكات الجنوبية الغربية الثلاث. من ثم، فمن المفترض أن كان هناك مدخل فى هذا الموضع يتطابق تقريبا مع المدخل المسور على الجانب المقابل.

ونعود الآن الى المدخل الأخير. ففي عام ١٩٤٠، قامت اللجنة ببناء على طلب منى بإزالة حشو هذا المجاز. واتضح أن العقد كان طرفا لقبو اسطوانى ارتفاعه ٣,٨٠ م تقريبا ويمتد لمسافة ٢,٨٢ م، أى أنه يمتد الى نقطة تتطابق مع الواجهات الخارجية للدعامتين الكائنتين بالشرفة الخارجية، وبالتالي، فالأرجح أن هذا هو العمق الإجمالى للمدخل. إلا أن سور الجامع يبلغ سمكه ١,٥٥ م. لذا فمن المرجح أن مجاز البوابة كان يبرز بمقدار $2,82 - 1,55 = 1,27$ م من واجهة الجامع. وينتهى القبو عند هذه النقطة حيث نجد وراءه وعلى مستوى أعلى قليلا سقفا من الدبش غير متساو، ونرى فيه الجانب السفلى من أحد الأعمدة المستخدمة كمدماك فى سور بدر الجمالى (شكل ٩١). ويمتد هذا الجزء لحوالى ١,٣٠ م؛ ثم نجد عقدا مديا ارتفاعه ٣,٣٠ م وعرضه ١,٦١ م وعمقه ٨٤ سم، وكان مختلفيا حتى وقت قريب من الخارج حيث تنخفض أسكفته عن مستوى الأرضية بما يزيد عن ٤ م (وتم كشفه حاليا، لوحة ٥٩ ب). ولكن لا ينبغي أن نستنتج أن بدر الجمالى كان يجل هذا المدخل، لأن العقد الخارجى يبدو مستحدا وليس من المحتمل أنه ترك السقف الدبش غير المستوي. واستنتج من جانبى أن هذا المدخل كان مختلفيا فى البداية وراء السور وأن عملية نحت أجريت على السور فى تاريخ لاحق وتمت إضافة العقد الخارجى. ولكن هناك سمة أخرى غير متوقعة؛ فصفوف البناء فى الجدران الجانبية تحت القبو بدلا من أن تتوقف عند نقطة تبعد ٢,٨٢ م من الطرف الداخلى عند نقطة تبدأ فيها أعمال بدر الجمالى، نجد أنها تجرى الى اليمين نحو عضادات قنطرة العقد. إضافة الى ذلك، فالبناء لا يبدو أنه ينتمى الى هذه الفترة. ويجب أن نستنتج من ذلك أنه أعيد تخطيطه أو بناؤه فى وقت لاحق، ربما فى نفس الوقت الذى استحدث فيه العقد الخارجى. وتمت معاملة الطول البالغ ٤,١٢ م على أنه طول واحد.

وإذا اتجهنا الآن الى العقود الخمسة بالباثكة الداخلية للرواق الشمالى الشرقى، نجد أن العقد الخامس الذى كان يمثل العقد الأوسط يأتى بمواجهة هذا الباب المسدود (شكل ٣٢). ومع أن مساحة هذا العقد (٤,٦٠ م) هى نفس مساحة بقية الباثكة، إلا أن الدعامات الكائنة على كل من جانبيها أعرض من البقية بمقدار ١,٢٠ م. كما أن العمود المستطيل الناتى من جدار والقائم بالواجهتين الأمامية والخلفية لهاتين الدعامتين ليس قائما فى الوسط. ويتضح من فحص البناء الذى فقد جزءا كبيرا من كسوته الجصية أن هناك فاصل رأسى بالمدماك. ولا يمتد هذا الفاصل الى أعلى بأكثر من مترين (ومما يؤسف له أن البناء الذى جرى هنا تم تجديده على يد اللجنة بحيث لم يعد لهذه القطعة الأثرية المهمة وجود. إلا أنى أوضحتها فى التخطيط). وأجدنى مضطرا لافتراض أن هذه الدعامات تم توسيعها وقت بناء الجامع، وأن هذا العقد تم تضيقه الى مساحته الحالية. ولو كان الحال كذلك، فالأرجح أن العقد الأصلى كان قد جعل العقد الأوسط أعرض من بقية العقود. وتبلغ المساحة الحالية للعقد ٤,٦٥ م، والعرض الحالى لإحدى الدعامات ٤,٠٣ م والخارجية ٣,٩٢ م.

ولكن لو كانت سيمترية مع أعمدتها المستطيلة، لكان عرضها ٣, ٢٨ م بتخفيض ٧٥ و ٧٤ سم على التوالي. وإذا أضيف ذلك الى المساحة الحالية للعقد، تكون النتيجة ٦, ١٤ م كما كان العقد الأصلي، أى ما يساوى مساحة المجاز (٦, ٣٢ م).

وهناك مدخلان مسوران آخران فى هذا السور عرض أحدهما ٢, ٦٨ م عند طرف البلاطة الخارجية للرواق الشمالى الغربى، الى يمين الداخل الى نتوء المئذنة الكبير؛ وعرض الآخر ٢, ٤٩ م تقريبا عند طرف البلاطة الثالثة (الوسطى) للحرم (شكل ٣٢). وليست هناك أبواب ظاهرة فى السور الجنوبى الشرقى اليوم (أو بالأحرى لم تكن هناك أبواب حين تم عمل التخطيط الخاص بى لأول مرة. إلا أن هناك اليوم بابا صغيرا بالجزء الجنوبى الغربى تم عمله من جانب اللجنة حين تم تدعيم هذا السور)، اذ تمت إعادة معظمه تقريبا. إلا أن المقرئ يسعفنا فى هذا الشأن كذلك فيقول فى وصفه للطريق المؤدى الى باب النصر (الخطط، ج ١، ص ٣٧٧) أنه كان هناك الى اليمين مدرسة القاصد، والى اليسار بابان لجامع الحاكم وأن أحدهما كان فى مواجهة الشارع المؤدى الى حارة العبدانية وحارة العطوفية. ولا يزال هناك شارع بالاسم الأخير يؤدى الى خارج الشارع الرئيسى على خط واحد تقريبا مع محراب الجامع. وفى موضع آخر (الخطط، ج ١، ص ٣٨١) يكرر هذه العبارة. فكان أحد هذين البابين مجاور للمنبر. اذ يتحدث المقرئ عن بناء مئذنة «فوق الباب المجاور للمنبر» فى سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م). وربما كان الباب الآخر على الجانب الآخر من المحراب.

إن الجزء الأعظم من السور الجنوبى الغربى حديث البناء، ولم يكن من الممكن حتى وقت قريب القول بأنه كان هناك ثلاثة مداخل أصلا، كما هو الحال فى الجدار المقابل والذى يعد الوحيد فيهما الذى يمكن التأكيد على أن المدخل التذكارى فيه هو المدخل الأوسط (وفى تمييز هذا الجزء الذى يمثل الطرف الجنوبى الغربى من الحرم قامت اللجنة بعمل مدخل صغير لايزيد عرضه عن ١, ٢٤ م عند نهاية البلاطة الخلفية من الحرم). ولكن بعد نزع ملكية عدد من الدكاكين الصغيرة وإخلاء النتوء الغربى فى سنة ١٩٤٤ / ٤٣، كشفت اللجنة عن عضادات مدخل أقل شأنًا بالقرب من الجانب الشمالى الشرقى من هذا البروز. وتنتمى العضادة اليسرى الى نفس نوعية عضادات المداخل الأقل شأنًا فى الواجهة الشمالية الغربية؛ اذ تحدها حلية معمارية مفلطحة الوجه؛ والعرض الكلى للعضادة والحلية يبلغ ٩٧ سم. وتبلغ مساحة جانب الفتحة من البروز ٢, ٨٩ م. وعرض مجاز الباب ١, ٩٤ م. ونظرا للتطابق التام بين المدخلين الكائنين فى السور الجنوبى الغربى وبين مدخله فى السور المقابل، فلاشك أنه كان هناك مدخل ثالث بالبلاطة الثالثة من الحرم يتطابق مع المدخل المقابل. وهكذا كان هناك ١٣ مدخلا أصليا على النحو التالى:

- ١ بوابة تذكارية فى الواجهة الشمالية الغربية
- ٤ مداخل أصغر فى نفس الواجهة
- ٣ مداخل فى الواجهة الشمالية الشرقية (منها مدخل تذكاري)
- ٣ مدخل فى الواجهة الجنوبية الغربية (منها مدخل تذكاري)
- ٢ بالجزء الخلفى من الحرم

الحرم [مقدم الجامع]

وعرضه ١٢٠,٧٨ م وعمقه ٣٢ سم، ويتكون من خمسة أروقة [بلاطات] عرضها ٥ م تقريبا تجرى بموازاة جدار القبلة. والعقد الأوسط من الواجهة والذي بني، على عكس العقود الأخرى، من حجر تم تسويده عند منبته وتم استحداث مجاز باب عادي به مصاطب على يد عمر مكرم في سنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م). ويقع الفاصل الرأسى بين التجديدات وبين الأطراف القديمة فوقها في جزء متدل بمقدار ٧٠ سم تقريبا، مما يحدو بنا الى افتراض أنه كان هناك عقدان مدمجان في هذا الموضع (لوحة ١٩ ج). وإذا تفحصناه من الداخل، يتأكد لنا ذلك؛ لأن جدار الحشورقيق السمك والجزء المتدلى به تتوء واضح ويمكن أن نرى أن الجانب السفلى منه يرتكز على ثلاثة ألواح خشبية كانت فيما مضى تشكل كتلة ارتكاز قوس العقد والتي تعلوها حلية معمارية تماثل نظيرتها فوق زوج من الأعمدة فوق القبة (تمت إزالة هذا الحشو في سنة ١٩٤٣ وإحلال الأعمدة ١٩٤٧. لوحة ١٩ ج).

المجاز القاطع [الرواق (البلاطة) الأوسط العمودى]

لدى دخولنا، نلتقى لثانى مرة فى مصر برواق أو مجاز قاطع يزيد عرضه عن ٦ م بقليل (بين ٦,٣٢ و ٦,٠٢ م) ويؤدى الى المحراب مباشرة (لوحة ٢٠ أ، شكل ٢٧). وتنتهى البائكات المستعرضة على كل من طرفيها بدعامات على شكل حرف T. وليست هناك عقود تعبر هذا المجاز القاطع عدا عقد واحد ينتمى الى الصف المجاور لجدار القبلة، اذ كان من المحتم أن تكون فى هذا الموضع قاعدة مربعة للقبة أمام المحراب.

الدعامات

كل الدعامات باستثناء الدعامتين اللتين ذكرناهما لتونا بنيت من الطوب الأحمر الداكن وترتكز على أساسات متصلة (وأدين بهذه المعلومات ليوسف أفندى أحمد، إلا أن هناك تحفظا واحدا فى ذلك. فعندما أعيد بناء بعض دعامات البائكة المجاورة لجدار القبلة فى سنة ١٩٤٥، وجد أنها ترتكز على أساسات متصلة، والأساسات المتصلة غالبا ما تستخدم فى دعامات الكاتدرائيات الانجليزية). والطوب الذى يتميز بالخشونة وعدم الانتظام يشبه نظيره المستخدم بجامع ابن طولون. وهناك أربعة أنواع من الدعامات على النحو التالى:

أ. الدعامات الخارجية التى تشكل واجهة الصحن، وهناك مستطيلات مزخرفة بها عمود مستطيل على جانبه الداخلى فقط، وعرضها حوالى ٢,٦٧ م وسمكها ١,٥٠ م ويفصل بينها ٤,٤١ م.

ب. دعامات البائكات الداخلية، وتشبه نظيرتها بجامع ابن طولون من حيث النوع، إلا أنها أقل جودة فى التنفيذ. وتختلف مقاييسها لدرجة كبيرة؛ فالأعمدة المدمجة المبنية من الآجر فى الزوايا تعد أسماك بكثير وتفتقر الى التيجان على شكل كأسى ليحل محلها لوح مسطح بسيط مكون من لوحين أو ثلاثة ألواح خشبية (لوحتان ١٨ أ، ١٩ أ) مما يذكرنا بالطريقة التى عولجت بها الأعمدة الكائنة على واجهة طاق كسرى وفى القصر فى عمان ولكن من حيث الشكل فقط (Saladin, Manual, 98).

ج. دعامات المجاز القاطع التى تتخذ شكل حرف T فى التخطيط. ويلاحظ أن الدعامات اليسرى تختلف الى حد ما عن نظيرتها اليمنى (شكل ٣٢).

د. الدعامتان على جانبي العقد الأوسط من الواجهة تتخذ شكل حرف L كالأخريين الحاملتين للقبة. ويلحق بكل من الدعامتين الأخريين زوجان من الأعمدة المدمجة (تمت إزالة أحد الزوجين بالعقد الأيمن ليحل محله البناء) بتيجان على شكل كأسى (أوزهرة لوتس) وتحمل العقود التى تدعم القبة. وهناك زوجان

من الأعمدة المماثلة وضعا أمام جدار القبلة ويحملان انحناء العقود الجانبية. كانت هناك إذن ستة أزواج من الأعمدة تحت القبة. ويجب أن يضاف إليها زوجان من الأعمدة على جانبي المدخل المؤدى الى المجاز القاطع؛ فتكون المحصلة ثمانية أزواج.

وإذا استبعدنا دعائم الجدار يصبح العدد الإجمالي للدعائم ١٦٠ لم يتبق منها إلا ٦٦ دعامة في عام ١٩٢٠ حين بدأ عمل التخطيط الملحق. وأعيد بناء العديد منها منذ ذلك الحين، الى جانب عقودها. وكل دعامة مشبوكة بجارتها بنظام من الأربطة الخشبية. وتتكون الدعائم الكائنة تحت القبة من جذع نخلة تخفيه ثلاثة ألواح خشبية مثبتة فيه على الجوانب ومن أسفل (لوحة ٢٠). ووضعت هذه الأربطة الخشبية أسفل منبت العقود مباشرة لتحمل شدة ضغطها؛ بينما هناك مجموعة أخرى بزوايا يميني منها لتحفظ البائكات مشبوكة على مسافات صحيحة فيما بينها. ويذكر ريفوريرا أن «هذا الأسلوب يعزى الى بيبرس نظرا لطبيعة الدعائم نفسها» (Moslem Architecture, 158). ولا تحمل الأربطة الخشبية البسيطة أية إشارة الى التاريخ، إلا أن الأربطة المركبة تحت القبة مزخرفة بزخارف فاطمية (لوحتان ٢٠ أ، ب) والأرجح بالتالي أن تكون أصلية. وعند النقطة التي طمرت فيها العوارض المستعرضة في الدعائم، نجد أعمدة ضحلة مستطيلة تتراوح في عرضها بين ٧٠ و ٩٠ سم وتمثل دعما صوريا، وهي معالجة لا نجدها بجامع ابن طولون. وهذه الأعمدة المستطيلة لا وظيفة لها تقريبا ولا يمكن وصف تأثيرها بأنه إيجابي.

يذكر المقرئى ضمن حديثه عن الزلزال الكبير لعام ٧٠٢ (١٣٠٣ م) أن عددا كبيرا من بدناته في الداخل انهارت وتم ترميمها بطاق في كل بدنة. ولكن ماذا تعنى «بدنة»؟ قام كاترمير في ترجمته لرشيد الدين بجمع عدد من الفقرات التي ورد فيها هذا اللفظ (Histoire des Mongols de la Perse, 252). ففي الفقرة السادسة المأخوذة عن ابن الأثير لا يمكن للفظ أن يعنى سوى «جدار بين برجين». ويستخدم المقرئى هذا اللفظ بهذا المعنى أيضا حين يصف نقش بدر المجاور لباب الفتوح بأنه يقوم «على بدنة وجزء من برج». وهنا نجد لفظ «بدنة» يقابل لفظ «برج». ويجرى النقش المذكور على طول جدار بين برجين، ثم على طول جانبي برج كبير. إذن فاللفظ هنا أيضا لا يعنى إلا «جدار بين برجين». وفي وصفه للقلعة، يقول انها تحيط بها أسوار حجرية بأبراج وبدنات؛ وهنا أيضا نجد لفظ «برج» يقابله لفظ «بدنة» (الخطط، جـ ٢، ص ٢٠٤). لكن المقرئى نفسه يذكر في موضع آخر ضمن وصفه لباب زويلة أن السلطان المؤيد بنى «مئذنة على كل بدنة». وترتكز هاتان المئذنتان على برجى باب زويلة. إذن فلفظ «بدنة» فى هذه الفقرة لا يعنى سوى «برج». وهكذا فهو يعنى إما «جدار بين برجين» أو «برج» (وهى النتيجة التي توصل اليها فان برشم قبل سنوات عديدة فى Notes, Journal Asiatique, 8me Sér., t. XVII, p. 431). والأرجح أنه يعنى «جدار بين برجين» على ما يبدو. ولكن فى العبارة التي وردت فى بداية هذه الفقرة، نجد أن عبارة «طاق فى كل بدنة» تعنى الفتحة المعقودة فوق كل دعامة وتساعد على إضاءة البناء كما هو الحال فى كل الدعائم بجامع ابن طولون. ولكن من الغريب أن نلاحظ أنه لا يرى اليوم منها إلا أربع فتحات فقط (اثنان منها مصمتان، لوحة ١٨). ولكن رأينا فيما سبق أن هناك ٩٤ دعامة لم يعد لها وجود؛ وربما أعيد بناء معظمها كل بطاق فى عام ٧٠٣ هـ وانهارت منذ ذلك الحين. ويؤكد على ذلك رسم تم عمله فى سنة ١٨٠٠ (شكل ٢٨). ويبين الركن الشمالى للصحن مع خمسة عقود من البائكة الخارجية للرواق الشمالى الغربى وثلاثة من الصف الخارجى للرواق الشمالى الشرقى

لاتزال قائمة. فى الحالة الأولى، نجد أن أربعة من الدعامات الخمس فوقها طاق؛ وفى الحالة الأخيرة، نجد طاقا فوق الدعامات الثلاث كلها. وهناك تخطيط قديم آخر محفوظ بمتحف «فيكتوريا وألبرت» (E.2843-1918). ويبين هذا التخطيط المثانة الغربية وجزءا من الرواق الجنوبي الغربى الذى لاتزال أربعة عقود من بائطه الداخلية قائمة. ويتوج الدعامة الشمالية الأخيرة طاق. على أية حال، فالعقود الثلاثة المرتكزة تماما على الدعامات القائمة ذات الطاق والعقدين النابتين جزئيا منها من المرجح أن تكون تداعت وأعيد بناؤها فى سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٣م). وما يؤكد ذلك شريط الكتابة (على واجهتها الداخلية لأن البائكات المجاورة للصحن ليست بها أفاريز كتابية على واجهتها الخارجية) رغم أنه مدون بالخط الكوفي، إلا أنه يدل على اختلاف واضح اذا قورن بالنقوش التى تجرى حول قمة المربع تحت القبة وعلى طول جوانب المجاز القاطع (عدا تلك النقوش التى تعلو العقد الأول الى يمين الداخل ويساره. Flury, Die Ornamente der Hakim- und Ashar Moschee, pp. 13-18). وفى العقد الرابع من الواجهة الى يمين الوسط، هناك شرح كبير يجرى الى اليمين فى البناء الأجرى. وعند هذه النقطة، يتغير النقش بصورة مفاجئة (Flury, p. 14). وهذا لا معنى له إلا أن الدعامات الأربع التى تتوجها طيقان وبالتالي العقود التى ترتكز عليها تماما أو تثبت جزئيا منها ترجع الى ترميمات ٧٠٣هـ.

العقود

ينبنى أيضا أن نذكر أن الدعامات التى تدعم العقد الأوسط بنيت من الحجر (لوحات ١٨أ، جـ، ١٩جـ) وكذلك حشو أقرب كوشة عقد الى اليمين واليسار. أما العقد القائم الى يمين ويسار الداخل الى المجاز القاطع، فكلاهما من الطوب الأجر كما هو الحال فى بقية الجامع. إلا أن كوشة العقد المجاورة للصحن حشيت بمداميك من حجر فى كل حالة منها (تساقت الجص الذى تعلو العقد الى اليمين وكشف عن هذه الحقيقة، ولم يسقط فى حالة العقد الأيسر. إلا أننا نفترض من جانبنا أن الحالة تحته هى نفس حالة العقد الأيمن). كما تدل الأشرطة التى تعلو كل عقد (على كلا الواجهتين) على اختلافات واضحة حين تقارن بنظيراتها الموجودة تحت القبة وفى بقية المجاز القاطع.

ولكن يلاحظ أن العقود التى أعيد بناؤها لها نفس الشكل المدبب وبدون أى التواء عند المنبت لتلك التى ثبت انتمائها الى البناء الأصلي بناء على أسلوب الإفريز الكوفى الذى يعلوها. ومع ذلك فهناك نوع آخر من العقود يمكن ملاحظته فى الحرم، وهو عقد بنى بصورة عشوائية بقمة مستديرة ومسافة الدعامتين تزيد فى حدها الأقصى عن المسافة بين الدعامتين اللتين ينبت منهما وعددها ثلاث ويمكن رؤيتها جميعا فى اللوحة (١٨أ)، الأول من اليمين بالبائكة المجاورة للصحن؛ والثالث والرابع بالصف الخلفى، وهو ما يؤدى الى افتراض حدوث عملية ترميم أخرى. فبالعودة الى تاريخ الجامع نعرف أنه تم ترميمه وتبليطه بأكمله فى زمن الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فى فترة ولايته الثانية فى سنة ٧٦٠هـ (١٣٥٩م).

ولكن كيف يتسنى لنا أن ننسب هذه العقود التى تتخذ شكل حدوة الفرس الى تلك الحقيقة فى حين أننا نعرف أن عقد حدوة الفرس المستدير ظهر لأول مرة فى مصر فى أواخر القرن الثالث عشر؟ (وهذا ما ستناقشه بالمجلد الثانى). نظرا للتشابه بين شكلها وشكل عقود النافذة بالسور الشمالى لجامع عمرو، مما لا يمكن أن يعود الى تاريخ أقدم من عام ٦٦٦هـ (١٢٦٨م) وخمسة بالسور الجنوبي الغربى ربما ترجع فى تاريخها الى عام ٧٠٣هـ، فإننا نميل الى إرجاعها الى عملية الترميم التى تمت فى نفس ذلك العام، فى حين يمكن إرجاع

العقود التي تحدثنا عنها منذ قليل الى فترة أخرى غير محددة. لكن هناك طاقا ببعض الدعامات التي تركز عليها وليس هناك طيقان في تلك الدعامات التي تدعم عقود حدوة الفرس، مما يدعونا الى إرجاع الأولى الى الأعمال التي تمت في سنة ٧٠٣ هـ حيث تمت إعادة بناء الدعامات المنهارة بطاق في ذلك العام. فاذا افترضنا أن عقود حدوة الفرس الثلاثة أعيد بناؤها في سنة ٧٠٣ هـ دون إلحاق أضرار بالدعامات، إذن بهم نفس اختلاف شكلها عن العقود الستة التي تحدثنا عنها في البداية؟ هذه مشكلة أستطيع تحديدها دون حلها. لكنها لحسن الطالع لا تؤثر على شكل الجامع بأي شكل؛ اذ من الواضح أن تخطيطه لم يتغير عبر القرون.

السقف

بعد السقف الحالي الذي لا يغطي سوى المجاز القاطع وبالكيتين الى اليسار حديثا تماما. وارتفاع الأول ١٣,٩٢ م والآخر ١١,٤٢ م.

أساس القبة التي تتقدم المحراب

كان سطح المجاز القاطع حتى عام ١٩٣١ على نفس مستوى البقية وكان يعلوه في اتجاه الجنوب الشرقي أساس القبة ورقبتها أمام المحراب (لوحة ٢٢ أ). فعلى الجزء المقابل لمنطقة الانتقال، نرى ثلاث حشوات معقودة مديبة وقمم ثلاث حشوات أخرى ترتفع وراءها (Pauty, L'Evolution du dispositifs en T dans les mosquées à portique d'Études Orientale, II, 91). والحشوات الثلاث الأخيرة تحاذي سطح الأساس وواضح أنها تنتمي اليه، في حين تعد الثلاث الأولى جزءا من زيادة جصية متقنة وضعت أمامها ومتصلة بها. وتشبه أنصاف المراوح النخيلية المسننة الطويلة بالحشوة الخارجية بقايا أنصاف مراوح نخيلية مماثلة لانزال باقية حول أطراف بعض النوافذ بجامع يببرس الأول الذي تم في عام ٦٦٧ هـ (١٢٦٩ م)، وفي المحراب الجصى لما يعرف بضريح مصطفى باشا [رباط ازدمر الصالحى] الذي تم بناؤه في الفترة ٦٦٦-٦٧٢ هـ (١٢٦٧-١٢٧٣ م)، وفي بقية من زخرفة جصية على منبت عقد على الجانب الشمالى الغربى لضريح فاطمة خاتون الذى تم في ربيع الأول ٦٨٣ هـ (مايو ١٢٨٤ م)، وفي زخارف نافذة جصية تنتمي الى مدرسة الأمير قره سنقر الذى بنى في سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م). وفي هذه المدرسة، نجد أيضا إطارا بسيطا ذا فصوص وسط أنصاف المراوح النخيلية، كما هو الحال بحشوة الحاكم. ولم يعد هناك شك في انتماء حشوة الحاكم الى الأعمال التي قام بها يببرس الثانى في أعقاب زلزال ٧٠٢ هـ الكبير. ويمكن إرجاع زخرفة النافذة المكسورة في الوسط والتي يمكن أن نلاحظ في بقاياها نجمة ذات ثمانية أطراف الى نفس الفترة.

ولم يبق من الحشوة اليسرى سوى بقايا معدودة حول الحافة إلا أنها تتطابق مع الحشوة الأخرى. لكن ضياع الجزء الأكبر من هذه الحشوة كشف عن الحشوة الفاطمية الواضحة القوية وراءها (لوحتان ٢٢ أ، ج). وستحدث عن هذه الحشوة فيما بعد.

ويستمر الغلاف الجصى يمينا ويسارا الى أن يتوقف في خط رأسى مستقيم يتطابق تماما مع الواجهات الداخلية لجدران المجاز القاطع، في حين يستمر الأساس الآجرى الى أن يحاذي الواجهات الخارجية لنفس الجدران. ومن الواضح أن جدران المجاز القاطع كانت فيما مضى تستمر الى أعلى بما يكفى لتمكين السطح المرتكز عليها من إظهار قمم الحشوات القديمة. وقامت اللجنة في سنة ١٩٣١ بإزالة سطح المجاز القاطع ورفع الجدران الجانبية وأقامت سطحاً جديداً على المستوى المذكور. وبما لاشك فيه أن هذا المنور في السقف كانت

به نوافذ، إلا أننا لا يمكن أن نجزم بعددها. وأقامت اللجنة ثلاث نوافذ، كل فوق الأخرى، ليصبح المجموع ١٢ على كل جانب. ويرتفع مستوى السطح الجديد عن أسكفات النوافذ بحوالى ٢,٤٧ م (من الأسكفات الى الأربعة ٢,٤٧ م، والى السقف بينهما ٢,٦٩ م).

القبة التى تتقدم المحراب

تتحول البائكة أمام المحراب الى مثنى بأربع حنايا ركنية، إلا أن الشكل المربع محمول خارجيا. وهناك نافذة فى الجدار بين كل حنية ركنية وبقايا شبكية هندسية حول الحافة الداخلية لكل منها. وتعلوها رقبة مثمثة، ويبرز البناء الآجرى الى الأمام مرتين عند نقطة الالتقاء. وهناك نافذة فى كل واجهة بها بقايا شبكات هندسية حول الحافة الداخلية فى كل حالة. وتم الحفاظ على الشبكية بأكملها على الجانب الشمالى الغربى وتصدع القبة على أركان الرقبة كما يتضح فى اللوحة (٢٢ب).

ويرى ريشويرا أن هذه القبة ربما لم تكن أصلية. وقد يرجع ذلك الى (أ) الشكل المستدير لتاجها، (ب) الخطوط الباهتة الظاهرة بالصورة الفوتوغرافية (لوحة ١٠٩ ب) والممتدة الى أسفل لحوالى ثلثى الارتفاع الكلى وتدل على إطار خشبي. وأكبر احتمال أن الجزء العلوى لهذه القبة معاد بناؤه (ولو أنه ليس هناك دليل على ذلك بتقارير اللجنة). أما القمة المنحدرة التى أضيفت الى الرقبة المثمثة ربما بغرض إسقاط ماء المطر، فهى حديثة بالتأكيد؛ فلانجد مثل هذه السمة بأى مكان آخر فى آثار القاهرة. ولا شك أنها أنشئت حين تمت إضافة التكسية الأسمنتية الفاتحة اللون الى الرقبة لتدعيمها فى سنة ١٩١٥ أو ١٩١٦.

قباب الأركان الخلفية للحرم

إن أكثر السمات الداخلية تميزا بهذا الجامع وجود بقايا قبة على حنيات ركنية بركنى الحرم الخلفيين. وبقايا القبة الموجودة بالركن الشرقى محفوظة فى حالة أفضل، ويمكن أن نرى فيها حنية ركنية وبقايا نافذة شبكية الى اليمين، وفى جزء من جانب آخر من رقبة مثمثة الشكل بنافذة شبكية فى حالة ممتازة (لوحات ١٨ أ، ج، ١٠٩ء). ووراءها نجد أحد الأبراج المربعة لسور القاهرة الشمالى الثانى الذى بدأ بدر الجمالى فى تشييده فى سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) كما سرى فيما بعد. ويتناسب الركن الشرقى من الجامع مع هذا البرج الذى بنى بزاوية داخلية معكوسة تفى بالغرض. إلا أن القسم العلوى من هذا البرج ينحنى ليتبع ويتناسب مع السطح المنحنى الذى كان للقبة. وفى الركن الجنوبى من الحرم، هناك حنية ركنية مماثلة وفى حالتها الكاملة وبقايا الجزء السفلى من حنية ركنية أخرى (لوحة ١٠٩ ج). وكل هذه الحنايا الركنية على نفس مستوى حنايا القبة التى تعلو المحراب، وترتكز على شريط كوفى متقن محفوظ بعناية فائقة أسفل الحنية الجنوبية. وحين نهبط الى مستوى الأرض، نجد دليلا آخر؛ ففى الركن الشرقى، نلاحظ أن الدعامة التى أعيد بناؤها للمساعدة على تدعيم القبة بها عمود جصى مستطيل ناتئ بمقدار ٥٤ سم على الجانب الجنوبى الشرقى منها (شكل ٣٢). والأرجح أن يكون هناك عمود مستطيل آخر ناتئ من جدار القبلة. إلا أن جدار القبلة للأسف أعيد بناؤه بدبش حديث غير متقن. وعلى الطرف الآخر ويجوار الركن الجنوبى، تحت القبة الأخرى، نرى جزءا من الجدار الأصلى لا يزال قائما. ونلاحظ هنا عمودا مستطيلا ناتئا من جدار (يرز بمقدار ٧٧ سم على أحد جانبيه، وبمقدار ٦٤ سم على جانبه الآخر. ويرجع الفارق الى تقديم ذلك الجزء من جدار القبلة الذى يرجع الى تاريخ أحدث الى الأمام) ويحمل منبت العقد (شكل ٣٢). والأرجح أن هذا العقد المستعرض كان يشكل

جزءاً من المربع تحت قبة تقوم بالتالي في الركنين الداخليين من الحرم. ورأينا أن الجامع الأزهر كانت به قبة بأحد ركنيه الخلفيين وربما في كل منهما.

النوافذ

وجدنا في جامع ابن طولون أن النوافذ أقيمت دون إشارة إلى العقود؛ إلا أن بعض التقدم حدث هنا. فالنوافذ، كما هو الحال بالأزهر، أقيمت على محور كل عقد. وبالتالي فمن المرجح أنه كان هناك ١٦ نافذة في كلا الجدارين الجانبيين و١٧ بجدار الحرم والواجهة الشمالية الغربية؛ فيصبح العدد الإجمالي ٦٦. ولاتسد المآذن أطراف البائكة الداخلية الشمالية الغربية. وهكذا فإن هذا العدد لم يخف، ولكن بسبب نفس هذه المآذن والبوابة التذكارية، انخفض عدد النوافذ في الواجهة الشمالية الغربية إلى ١٤. وكانت هناك ١٦ نافذة عادية ونافذتان صغيرتان بجدار الحرم لأن النافذة التي تعلو المحراب تم حذفها وثقبت نافذتان معقودتان مستديرتان صغيرتان في كوشات العقد بدلا منها. فيكون لدينا $١٦ + ١٦ + ١٤ + ٦٢ = ٦٤$ نافذتين صغيرتين = ٦٤ نافذة.

ومما يؤسف له أنه لم يبق من جدار الحرم الأصلي سوى أقل القليل؛ إلا أن هناك نافذتين إلى يسار المجاز القاطع في حالة جيدة (لوحتان ٢١ أ، ب). ومساحة النافذة اليسرى $١,٦٠ \times ١,٢٤$ م، ومساحة اليمنى $١,٦٦ \times ١,٢٧$ م، وحوافهما السفلية ٦,٦٧ م من مستوى سطح الأرضية القديم. وهما فتحتان معقودتان مستديرتان في إطار من شريط كوفي كما هو الحال بالأزهر، غير أنهما لا يتصلان كل بالآخر، لأن هذا الشريط لا يدور بزوايا اليمنى ويجري أفقياً إلى أن يلتقي بالنافذة التالية. ويوضح فلوري (ص ٢٠، ٢١) أن النقوش التي تمثل الإطار كانت ترجع تاريخياً إلى أقدم فترات الجامع وأن الحروف الطويلة الرفيعة للنقش (الملك لله) والتي تشكل الزخارف الهندسية للنافذة اليمنى من نتاج الفن المغربي في القرن الثالث عشر أو الرابع عشر (المجلد الثاني). وهو ما ينقلنا إلى فترة ترميمات بيبرس الثاني [الجاشنكير] في أعقاب زلزال ٧٠٢ هـ الكبير، ويعزى إليه هذا الحشو بالتالي.

ومع ذلك فحشو النافذة الأخرى له أهمية كبرى رغم الأضرار التي لحقت به. وإذا تفحصناه عن كثب، نجده يتحلل إلى إطار هندسي مكون من أشربة متداخلة تشكل نجمة ثمانية الأطراف تتداخل أطرافها تبادلياً كما يتضح في الشكل (٢٩) وتتشكل فيما بينها صلبان، وهو ما كان يمثل ترتيباً مفضلاً في تزيينات الزخرفة الفارسية بالبريق المعدني في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. يقول فلوري:

«يتبين تقدم الفن الإسلامي الأقدم زمناً بامتزاج الأشكال النباتية بالتراكيب الهندسية المتداخلة. وتوضح العلاقة بالزخرفة السطحية الفاطمية الأولى من الوريقات ذات البتلتين والتي تتطابق تماماً مع أشكال الوريقات التي نجدها على إفريز النقش الكبير. وتعد تراكيب الوريقات الزخرفية ذات الفصين والتي تستخدم كحشو للمساحة العلوية إلى اليمين على درجة من التميز. وليست لدي فكرة عن وجود نماذج إسلامية قديمة تتطابق تماماً مع هذه النماذج. ويمكن مقارنتها بحشو العقود الكبيرة بجامع ابن طولون (E.M.A., II, pp. 343-5). وهناك أيضاً نجد أن السطح مغطى بأكمله بتصميم هندسي متداخل، إلا أن حشو المقصورات المنفردة يختلف اختلافاً جوهرياً عن حشو هذا العقد المستدير. وهناك نجد زحمة من العناصر الزخرفية البسيطة التي تنفصل كل منها عن الأخرى بالشرائط المتداخلة، بينما نجد توريقاً نباتياً ذا بتلتين يقطع الإطار الهندسي ويربط بين مختلف المقصورات. وينبغي أن نركز على التقاطع

باعتباره دليلا مدهشا على تطور التزيين النباتي الى هذه الدرجة ... ويجب أن نقر بأن النافذة المعقودة المستديرة التي سبقت الإشارة إليها لها أهمية كبرى من الناحية التطورية. فهي بلاشك أقدم الزخارف الجصية بالقاهرة. وتدلنا على الطريق الى التزيين النباتي الكلاسيكي» (Flury, 22).

وهناك نافذتان بهما بقايا من شبكات شعرية حول الحواف. ولا تزال باقيتين بالصور الجنوبي الغربي بالبلاطتين الأولى والثانية من الحرم. وهناك بقايا نافذة ثالثة في مواجهة العقد الثالث من الصحن باتجاه الشمال. وتم تصوير كل النوافذ (عدا واحدة) في الجانب الشمالي الشرقي بالحجارة، وهو ما قد يعود الى فترة بناء السور الشمالي. وتم سد واحدة منها بالواجهة الشمالية الغربية بإضافات بدر الجمالي، كما سنرى حين مناقشة النتوءين الكبيرين اللذين يحيطان بالمآذن. وتحتفظ أربع منها بالشبكات الشعرية الهندسية ولا زالت محفوظة. ومع أن الجدران المحيطة بنيت من حجر، إلا أن العقود التي تعلو كل هذه النوافذ بنيت بالآجر.

المحراب

كان المحراب حتى سنة ١٩٣١ مصفوحا بحشوات رخامية مؤرخة بعام ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ - ١٨٠٩ م) أضافها السيد عمر مكرم. ثم تمت إزالتها لينكشف المحراب الأصلي الأكبر حجما، إلا أنه لم يبق من زخارفه أى أثر (لوحة ١١٥ ب). وكان المحراب الذى تمت إزالته يقع على بعد ٧٠ سم تقريبا الى يسار محور المحارز القاطع، بينما وضع المحراب الذى تم الكشف عنه فى الوسط، وطمرت فى البناء الآجرى لنصف القبة [الطاقية] سدادات خشبية لعلها وضعت بغرض إضافة كسوة خشبية. ولا غرو فى ذلك، فهناك عدد من المحاريب مكسوة بالخشب وأقدمها موجود بمسجد القيروان الجامع حيث نجد بمحراب أبى ابراهيم أحمد نصف قبة [طاقية] مكسوة بالخشب بزخرفة عنقودية مطلية (انظر E.M.A، ج٢، ص ٣٠٨، لوحة ٨٦ ج). وفى قلعة حلب، نجد أن المسجد الصغير المسمى بمقام إبراهيم والذي أنشأه نور الدين فى سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) به محراب مبطن بأعمال خشبية تشبه جوانب المنبر وعليه نقوش نصها «عمل معالى ابن سالم» ولكنه بدون تاريخ. وكان سوبرنهايم يظن أنه معاصر للمسجد (ص ٢٠٤)، إلا أنى يؤكد أن البطانة الخشبية كانت لا تزال قائمة حين جلت القوات البريطانية عن حلب فى أكتوبر ١٩١٩، لكنها اختفت منذ ذلك الحين. وفى حلب أيضا وفى المدرسة الحلاوية التى كانت كنيسة وتم تحويلها الى مدرسة فى سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨ م. ابن الشحنة، ط بيروت، ص ١١٥) نجد محرابا مكسوا بالخشب تمت إضافته فى سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م). ويجب أن نضيف الى ذلك النماذج التالية بالقاهرة: المحراب الخشبي الذى أهدي الى الجامع الأزهر من قبل الخليفة الأمر (لوحة ١١٨ ج) والمحراب الخشبي لجامع السيدة نفيسة والذي ربما صنع فى سنة ٥٤١ هـ (١١٤٥ - ١١٤٦ م) والمحموظ الآن بمتحف الفن العربى (لوحة ١٢٠ ج). وفى ضريح السلطان الأشرف خليل الذى أنشئ فى سنة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨ م)، نرى فى المحراب الخالى تقريبا من الزخارف سدادات خشبية ولا تزال بقايا من كسوته الخشبية ملتصقة بالجزء العلوي.

وهناك محراب آخر ينبغى ذكره، وهو محراب صغير ملبس بالجص بصورة عشوائية، ولم يعد له وجود. وحين قمت بتصويره فى سنة ١٩٢٠، كان على السطح مع أساس القبة (لوحة ١١٥ أ). وكان على ما أذكر قائما بذاته دون سداة على الجانب الشمالى الشرقى منه. وعندما رأى فلورى هذه الصورة بعد عدة سنوات فوجئ، لأنه لم يكن قد رأى الأصل. ونظرا لوجود شوائب فى الصورة، فقد صعدت الى السطح لإعادة تصويره لأفاجأ

باختلافه . وكما نرى، فإن الحد الذى يحيط بالعقد يستمر أفقيا يمينا ويسارا (كما هو الحال بمحاريب الأفضل (لوحة ٧٧) والشيخ يونس (لوحة ١١٧ ج) وإخوة يوسف (لوحة ١١٨ أ) والمحاريب الجانبية الداخلية بالسيدة رقية (لوحتان ١١٩ ج، د، هـ)) ويدعمه جذعان جصيان كبيران بصورة غير متناسبة بتاجين وقاعدتين على شكل كأسى. والجذع الأيمن محطم. وكل كوشة عقد محشوة تقريبا بمروحة نخيلية؛ ويتوج الجميع نقش كوفى خلفيته غير مقوسة.

زخرفة الحرم [مقدم الجامع]

الزخرفة الرئيسية للحرم (وزخرفة الأروقة الأخرى حين كانت قائمة بالطبع) عبارة عن شريط جميل من الكتابة الكوفية المزخرفة يجرى فوق البائكات وعبر الجدران التى تقع تحت السقف مباشرة. وهناك شرائط مماثلة تزين الجواز القاطع أسفل النوافذ مباشرة، إلا أنها على مستوى أعلى قليلا من الأخرى (٢٥ سم تقريبا). إضافة الى ذلك، فنظرا لوجود السدادات الحائطية أعلى الحشوات الكائنة فوق أساس القبة (لوحة ١٢٢) فمن المحتمل أنه كان هناك إفريز خشبى ربما نحت بنقش كوفى كما هو الحال بجامع ابن طولون، وكان يجرى حول قمة المربع تحت القبة وأسفل الحنايا الركنية مباشرة (لوحة ١٠٩ أ). لكنه يتميز عن البقية بسمة جديدة على مصر؛ اذ ينحني الجزء العلوى الى الأمام قليلا، تماما كما هو الحال بمسجد سوسة الجامع الذى بنى فى سنة ٢٣٦هـ (٨٥٠ - ٨٥١ م). (E.M.A.، ج٢، ص ٢٤٩، شكل ١٩٨). وتنطبق نفس هذه الملاحظة على طولى النقش الذى لا يزال باقيا أسفل الحنية الركنية بالركن الخلفى الأيمن للحرم (لوحة ١٠٩ ج). ولا يمكن تحديد ما اذا كانت الأسطح السفلية لقناطر العقود كانت تضم زخرفة كشكك التى تراها بجامع ابن طولون وجامع نابين.

والأربطة الخشبية بالعقود الثلاثة الحاملة للقبة مركبة وتتكون كل منها من جذع نخلة مغلف من أسفله وعلى جوانبه بثلاثة ألواح خشبية. والألواح الخشبية الجانبية مزخرفة بزخارف سامراء، الطراز الثالث، (لوحتان ٢٠ ب، ج). والحلزونات المزدوجة قريبة الشبه بشكل البلطة الحربية التى تراها على مصراعى الباب (لوحة ٣٣) الذى أهده الخليفة الحاكم للجامع الأزهر فى سنة ٤٠٠هـ (١٠١٠ م) وهو محفوظ حاليا بمتحف الفن العربى. وهذه الأربطة موضوعة داخل الدعائم أسفل المنبت مباشرة وتستمر زخارفها على حشوات خشبية أضيفت الى الأوجه الثلاثة لهذه الدعائم وعلى نفس مستواها (لوحتان ٢٠، ٢١ أ).

يبقى لدينا حشوتان من الزخارف الجصية على أساس القبة احدهما، وهى الحشوة اليمنى، تختفى تماما تقريبا وراء الحشوة المقابلة لها، فى حين أن الحشوة اليسرى مكشوفة بأكملها بسبب انهيار الحشوة المقابلة لها فى سنة ٧٠٣هـ. ويبلغ ارتفاع هذه الحشوة الكبيرة ١,٨٠ م وعرضها ٩٠ سم (لوحة ٢٢ ج، شكل ٣٠). لدينا هنا تركيب سيمترى يتكون من نوع من شجرة نخيلية بها حزوز طولية مستقيمة. «وفى منتصف المسافة الى أعلى تنقسم وتكون شكلا بيضاويا مديبا يحيط به عنصر زخرفى من ورقة نباتية ذات ثلاث وريقات مزدوجة؛ ثم تتوحد مرة أخرى وتتوجهها ورقة نبات صغيرة جدا بها ثلاث وريقات. وتستحق السويقات التى تنفرع من الجذر فى أفرع مزدوجة اهتماما خاصا. فهى بانسيابيتها المتميزة تذكرنا بأشكال بين النهرين. ونرى فى تنفيذها الدقيق تطورا باتجاه الزخرفة الطولونية وفن الأزهر. ونظرا للدقة الفنية فى هذا العمل، يمكن لنا أن نفترض توسعا كبيرا فى هذه الزخرفة الجصية» (Flury, 25). وتنتمى الوريقات النباتية إلى النمط الحاكمى ذى البتلتين والثلاث بتلات.

الشرافات

بقيت أجزاء من الشرافات فى أربعة أماكن: (أ) على الجدار بين البرجين القائم على يسار المدخل الرئيسى (لوحتان ١٥، ٢٣ ب). واختفت الشرافة على الجوانب الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية تماما؛ (ب) على قمة المدخل التذكارى وعلى جانبه الشمالى الشرقى (لوحة ١٥ ب)؛ (ج) على قمة الطابق السفلى من التواء الذى يحيط بالمئذنة الغربية (لوحة ٢٧ ج)؛ (د) على واجهة الحرم (لوحة ١٨ ب). وتتكون الشرافة فى كل الحالات من منطقتين. فتتطابق المناطق السفلية فى (أ) و (ب) حيث تتكون كل منهما من شق عرضه ٦٥ سم مخرم بست حلقات معمارية وردية الشكل ذات ستة فصوص تسير تبادليا مع تعبير زخرفى يشبه رأسى حربة يلتقى طرفاهما. وتعتبر المنطقة السفلية من (د) مختلفة تماما (لوحة ١٨ ب). وتعد (ج) شبيهة لكنها لا تتطابق تماما. وتتطابق المناطق العلوية من (أ) و (ب)؛ وتتكون من سلسلة من العرائس المتدرجة والمبتورة القاعدة بمسافة ١,٧٣ م من المركز الى المركز وبارتفاع ١,٥٠ م وبسمك ٢٤ سم. وفى وسط كل منها فتحة معقودة مدببة ارتفاعها ٥٨ سم وعرضها ٣٠ سم (شكل ٣١). وتختلف المنطقة العلوية من (ج) اختلافا تاما عن (أ) و (ب). ولكن يبدو من الأجزاء الباقية أن (د) كانت شبيهة بها. ولكن أيها أقدم؟ لعل هناك ما يدعوا الى استنتاج أن الباقى منها على البروز الغربى كانت هى الأقدم زمنا بناء على الصلة بينها وبين نظيراتها بجامع ابن طولون، وأن الباقى منها على الجدار بين البرجين يجب أن يعزى الى ترميمات بيبرس الثانى. وسبق أن رأينا أن عقود واجهة الحرم التى حفظت البقايا فوقها من المرجح أن تكون سقطت ثم أعيد بناؤها بأمر من هذا السلطان. من ثم، فالشرافات التى تتركز عليها لا يمكن أن ترجع زمنا الى ما قبل عام ٧٠٣ هـ (١٣٠٤ م). إذن علينا أن ننسب المنطقة العلوية من الشرافة (ج) الى نفس الفترة وأن نعتبر كلا من (أ) و (ب) بقايا من الأعمال الأصلية (كان الجزء العلوى الهش من الشرافة التى تتوج هذا البروز لحقت بها أضرار بالغة فى أثناء بناء المكعب العلوى. أما الشرافة على البروز الآخر، فربما اختفت فى سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) حين بنى بدر الجمالى سوره حولها).

ولا يزال هناك نمط آخر على قمة الجزء العلوى من البروز الغربى (لوحة ٢٧ أ). ولا يتكون هذا النمط من زخارف مفرغة؛ بل وضع على الحافة العلوية من البروز بدلا من الوقوف فوقها مستقلا. كما يختلف فى تصميمه عن كل من (أ) و (ب) و (ج) و (د). وسنرى أن الأجزاء العلوية من كل من هذين البروزين بناها بيبرس الثانى. لذا، ينبغى أن ينسب العمل اليه.

التواءات الكبرى [الأركان]

تعد القبتان القائمتان بالركنيتين الخلفيتين من الحرم سمة فريدة. ونأتى الآن الى سمة أخرى لا تقل عنها تميزا؛ أى التواءين المربعين على طرفى الواجهة الشمالية الغربية واللذين ثبتت منهما المئذنتان (شكل ٣٢). وسنبداً بتناول هذين التواءين والمشكلات الناجمة عنها قبل أن نقدم وصفا تفصيليا للمآذن. يتكون كل بروز من مكعبين وضع العلوى منهما مؤخرا عن السفلى بحوالى ٧٥ سم فى حالة التواء الغربى (وهو نفس مقدار ارتفاع السور المحيط بالجامع) ولكن يزيد هذا المقدار كثيرا فى حالة المكعب الشمالى الذى يدل بناؤه على فوارق واضحة. فجدران المكعبين الغربيين العلوى والسفلى مثلا تنحدر الى الخلف قليلا، مما يشكل هرما مبتورا وضعت قمته المثالية على ارتفاع كبير (لوحة ٢٧ أ)، فى حين أن جدران المكعب السفلى فى حالة المكعبات

الشمالية (لوحة ٢٣ ج). وترى في الصورة من خلال فجوة بالجدار) تقف رأسية، ولا ينحدر الى الخلف سوى جدران المكعب العلوى فقط. ومن قمة كل منهما، تخرج مئذنة ثمانية الأضلاع تعلوها ثلاثة صفوف من المقرنصات وطاقية [قببية] مضلعة. ويخترق النتوءين باب فى واجهتيهما الجنوبية الشرقية نلاحظ لدى دخولنا عبره أن المكعبات جوفاء وتشكل حفرا لاتزال المآذن الحجرية الأصلية للجامع محفوظة بها. وتساعد العقود الداعمة على قمة المكعبات العلوية على بقاء كل مئذنة فى مكانها. وعند هذه النقطة، تبدأ الأجزاء الآجرية العليا التى ترى وحدها من الخارج. والمكعب الشمالى من الداخل دائرى وبه تجاويف كبيرة فى نصفه العلوى. والمكعب الغربى مربع ويدون تجاويف. ونصعد الى الداخل فى كل منهما بسلاسل حديدية تجرى حول الواجهة الداخلية للمكعبين، ولكن بعد الوصول الى مستوى مواز لقمة المكعب السفلى، نصعد على درجات حجرية.

ويتضح من وصف كل من فاوجانى (Vaujany, Le Caire, I, p. 171) وفان بيرشم (Notes d'archéologie "Arabe," Journal Asiatique, 8me Sér., t. XVII, p. 435) الذى زار هذا الجامع فى سنة ١٨٨٨ أن النطاق الداخلى فى ذلك الوقت كان مقيدا بدرجة أكبر مما هو عليه الآن، حيث كان الصعود يتم بمنحدر حلزونى كانت حافته الداخلية تتركز على واجهة المئذنة. وتمت إزالة معظم هذا المنحدر (فى حالة المئذنة الشمالية، هناك جزء لايزال باقيا أسفل النافذتين الجنوبية والشرقية بالشريط السابع) تحت إدارة هرترز باشا (وردت الإشارة اليه فى معظم تقارير اللجنة) ليحل محله السلم الحديدى الحالى ونتج عن ذلك إضفاء حرية على المآذن أكبر مما كانت عليه فى عصر فان برشم. ويجب أن يعزى الى هذا المنحدر الحلزونى جزء كبير من الأضرار التى لحقت بهذين الأثرين.

بنيت المئذنتان من كتل صغيرة من الحجر الجيرى أثقن كساؤها وبفواصل محكمة الصنع (وهناك حقيقة لفت لىن پول النظر اليها وهى أن المقريزى لم ير الجزء المحباً وراء النتوءات، فيشير الى إنه لم تبن بالقاهرة مآذن حجرية إلا فى عصر السلطان قلاوون. Lane-Poole, The Story of Cairo, p. 139). والمئذنة الشمالية بدن دائرى يرتكز على قاعدة مربعة؛ أما المئذنة الغربية فبها بدن مربع الى ارتفاع ١٣,٩٠م تتحول بعده الى شكل ثمانى الأضلاع فى سلسلة من خمسة طوابق تتراجع مع ارتفاعها. وعند بلوغ نقطة توازى قمة المكعبات العلوية المتصلة بها كل من المئذنتين بدعامتين طاثرتين (كانت المئذنة الغربية تتصل بالمكعب بثمانى دعائم طائفة أزيلت منها الدعامتان بالركن الشرقى، فى حين أن المئذنة الشمالية تتصل بها بدعامتين فقط) تتحول مادة البناء الى الآجر. ويدعم منطقة الانتقال عدد من جذوع النخيل بنيت بالآجر. ويتكون الجزء الآجرى من بدن ثمانى الأضلاع بفتحات فى كل واجهة وتتوجه قبة مضلعة. وتتميز المنطقة الانتقالية من البدن الى القبة بصفوف من المقرنصات (لوحتان ٢٣ ج، ٢٧ أ). والتناقض واضح بين البناء المتقن للجزء السفلى بزخارفه الجميلة المنحوتة بإتقان وبين البناء الآجرى العشوائى للجزء العلوى بزخرفته الجصية الخشنة، وهو تناقض يدل بوضوح على اختلاف تاريخ البناء. وتعد أقدم مئذنة لها قمة مزخرفة تشبه هذه القمم شيها طفيفا تلك المئذنة التى تقع على جانب ضريح أبى الغضنفر (لوحة ١٢٣ء) وبنيت فى سنة ٥٥٢ (١١٥٧م). إلا أن هذه المئذنة ليست سوى النموذج الأصلى. ويجب أن ننزل الى مدرسة السلطان الصالح نجم الدين أيوب التى بنيت فى ٦٣٩-٦٤١هـ (١٢٤٢-١٢٤٤م) قبل أن نجد مايشبهها من حيث التطور. ونجد هنا صفين من المقرنصات فقط، وهو الحال أيضا بالنسبة لمبخرة زاوية الهنود التى بنيت فى سنة ١٢٥٠م (وهى منشورة بالمجلد الثانى).

ومن ناحية أخرى، تقدم معذنة مدرسة ضريح الأمير منقر سعدى [حسن صدقه] التى بنيت فى سنة ٧١٥هـ (١٣١٥م. Van Berchem, Égypte, I, pp. 733-6) مثالا مطابقا، ولو أنه أكثر ثراء.

أما الجزء السفلى الحجرى من المئذنتين فهو مؤرخ فيهما بنقوش رائعة باسم الحاكم بخت فاطمى مبكر نحت ببروز واضح. وتمثل أشرطة زخرفية أحدها على المئذنة الشمالية وآخران على المئذنة الغربية. وبالتالى فأجزاءهما السفلية تندرج حتما ضمن أعمال الحاكم، فى حين أن القسم يجب أن تعزى الى فترة ما بين منتصف القرن السابع (١٣م) وبين عام ٧١٥هـ (١٣١٥م).

يقول المقرئى إن هذا الجامع تم ترميمه فى سنة ٧٠٣هـ لأنه فى يوم الخميس ٢٣ ذى الحجة ٧٠٢هـ (٨ أغسطس ١٣٠٣م) وقع زلزال «بمصر والقاهرة» والمناطق الأخرى المحيطة واهتز كل شئ، وإنه من بين الأبنية التى سقطت جامع الحاكم وإن الجزءين العلويين من المئذنتين سقطا، ثم تم إيفاد الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ليعنى بالأمر. لذا فالأجزاء العلوية الحالية تعزى الى عام ٧٠٢هـ (١٣٠٣م)، ويمكن أن نزعّم أنها تعزى الى ترميمات بيبرس الثانى فى سنة ٧٠٣هـ. ويؤيد رواية المقرئى نقش عليه تاريخ ذى الحجة ٧٠٣هـ (يوليو ١٣٠٤م)، ويحتل مكان الشرافة فوق قبو المدخل الرئيسى.

يستنتج فان برشم بعد تحليله المائل لما ورد منذ قليل أن المعمارى الخاص الذى كلفه بيبرس الثانى بالمهمة فى رفع قممه الآجرية المزخرفة على ما تبقى من المآذن القديمة حاول أن يشبك البناء بأكمله بمكعب بنائى خارجى. ويضيف قائلا: «وربما كان لهذه الكتل المركزية الضخمة غرض عسكرى فى عهد المماليك البحرية حيث كان نفس هذا الجامع يؤدى مهمة الحصن. على أية حال لايسع المرء إلا أن يقر مع پريس دافين بأن المكعبات من عمل بدر الجمالى. ولمزيد من الإقناع يكفى أن نعقد مقارنة بين تكسية المكعب بالمئذنة الشمالية وبين نظيره فى التواء الكبير بسور بدر الذى يتركز عليه» (Notes, pp. 440-41). ويقول معلقا فى حاشية:

«إن تكسية التواء تتطابق مع تكسية سور بدر التى سندرسها بمزيد من التفاصيل فيما بعد. فهناك كتل ضخمة مكسوة بإتقان شديد وبدون تكسية جصية. ويتكون المكعب الذى يقوم أعلاها من أحجار أصغر كثيرا ومنحوتة بصورة أكثر خشونة وبمفاصل هاون أكثر سمكا. إنه مجرد بناء شديد البساطة تغطيه تكسية من الجص تم حفظها فى أماكنها وتنتهى فى أعلاها بإفريز من النقوش القرآنية من طراز الأسرة المملوكية المبكرة... أما المزاغل التى تتوج المكعب، فهى حديثة (وتنسب الى الحملة الفرنسية) كنظيراتها بالجدران بين الأبراج والتواءات التى تنسب لبدر».

وينهى حديثه بقوله:

«على أية حال، فهذا الفحص يسمح بتحديد النقطتين التاليتين: ١. إن المئذنتين (القمتين المزخرفتين) المشيدتين من الآجر من أعمال بيبرس الثانى؛ ٢. إن مكعبات القاعدة، بصرف النظر عن تاريخها الدقيق، لا ترجع الى تاريخ البناء الأصلى لأنها تخفى المآذن القديمة. وربما كانت معاصرة للمآذن الآجرية مثلها فى ذلك مثل المنحدر الحلزونى الذى يمر عبر الواجهات الأربع للمآذن البدائية دون أدنى اعتبار لممارتها».

ونتفق معه فى النقطة الأولى تماما؛ إلا أن مشكلة المكعبات أكثر تعقيدا مما يتصور كل من پريس دافين وفان برشم؛ إذ يختلف المكعبان السفليان الشمالى والغربى من حيث الحجم وأسلوب الانشاء وفى تكسية البناء.

البروز [النتوء أو الركن] الغربى

تم تنفيذ المكعب السفلى للبروز الغربى بأسلوب بناء مختلف تمام الاختلاف؛ فالكتل أصغر كثيرا والأسطح مكسوة بصورة عشوائية والمفاصل سميكة للغاية، ولأنز للأعمدة التى تعمل كمدماك أو وصلة. وهو شبيه ببناء المكعب الشمالى العلوى، إلا أنه لا يتطابق معه. ويتطابق أسلوب بناء كل من المكعبين العلويين بصورة واضحة.

يزين الواجهات البارزة للمكعب السفلى وحتى منتصفه نقش كوفى جميل (لوحة ١٢٧) نحت على كتل رخامية وعرضه ٤٣ سم يبدأ بجوار نقطة بدء سور الجنوبى الغربى للجامع، ويجرى حوله ليتوقف فى مواجهة الواجهة الشمالية الغربية. وطوله الكلى ٥٠,٥ م (كانت بعض أجزاء هذا النقش ظاهرة فى فترة ما، إلا أن كل المباني المحيطة بقاعدة هذا البروز أزيلت فى سنة ١٩٤٣). وكان فلورى الذى قمت بتسليمه الصور الفوتوغرافية بهذا النقش ينسبه لبدر الجمالى على أساس التشابه بين حروفه وبين حروف نقش بدر بجوار باب الفتوح (لوحة ٦٢ ب).

إلا أن النقش لا يعنى أن هذا البروز ينسب له؛ فهو آية قرآنية (سورة الروم، آية ٥٦). ولا تذكر المصادر التى ترجع الفضل فيه لكل من العزيز والحاكم وبيبرس الثانى وغيرهم شيئا عن الإضافات التى تنسب لبدر. من ناحية أخرى، سنرى أن هناك فقرة لدى المقرئى تلقى الضوء على تاريخه الدقيق.

البروز [النتوء أو الركن] الشمالى

وبعد أكبر كثيرا وواجهاته الخارجية رأسية، فى حين أن الواجهات الخارجية للبروز الغربى تميل الى الورا، مما يعد اختلافا جوهريا، كما أنه ليس مربعا كاملا، بل يتكون من مربع داخلى منطلق عليه اسم «وهمى» مؤقتا أضيفت حوله زيادة (شكل ٣٢). وتبدأ هذه الزيادة عند النقطة التى يلامس عندها سور القاهرة المربع الداخلى وتمر حول واجهتيه الشمالية الشرقية والشمالية الغربية، وينتهى أمام الجدار الشمالى الغربى بين برجى الجامع تاركا زاوية المربع الداخلى تبرز فى داخل هذا الجدار.

وهذا النتوء الداخلى فى نفس حجم النتوء الداخلى للمكعب الغربى. ولا مجال لإنكار نسبة بناء المكعب الشمالى السفلى لبدر الجمالى، وهو ماذهب اليه كل من پريس دافين وفان برشم. فهو من بناء نفس الأيدى التى بنت السور الشمالى ويحمل كل بصمات بدر الجمالى وعمارته الحرية التى تتمثل فى الكتل المصقولة ذات الحواف المشطوفة والحجارة المعالجة بإتقان ملحوظ. وفى الأجزاء السفلية دوائر حجرية كبيرة هى نهايات أعمدة وضعت كمدماك بين الواجهة المتقنة التكسية وبين القلب المكون من الدبش، وهى مجموعة سمات لا وجود لها فى أى مكان آخر فى مصر.

وتفسير ذلك أن بدر الجمالى قام فى عام ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) ببناء سور القاهرة متصلا بالسور الشمالى الشرقى لجامع الحاكم. وحين التقى بالنتوء القائم عند الركن الشمالى من الجامع، اضطر الى الدوران الى الخارج بزوايا يمنى كما يتضح فى الشكل (٣٢). فيدور السور حول نصف البروز ثم يستمر فى نفس الاتجاه الذى يسبق البروز ولكن على خط مستقيم يزيد بحوالى ٣ م الى الجنوب الغربى. ويؤكد ذلك نقش باسمه يبدأ عند الزاوية الكارة بجوار باب الفتوح ويجرى على طول الجدار بين برجين (١٩, ٦٠ م) ويستمر على طول الجانبين الشمالى الغربى والشمالى الشرقى للبروز.

إلا أن بدرًا استمر في عمله حول البروز الأصلي للجامع (في صورة ذراع على شكل حرف L) السى أن التقى بالواجهة الشمالية الغربية للجامع حيث تمتد مسافة ٤,٥٧ م بعيدا إلى الجنوب الغربي عن البروز الداخلي، مما أدى إلى سد النافذة السابعة والباب الذى يقع تحتها (لوحة ٢٣ ب، شكل ٣٢) ولا يزال من الممكن رؤية كل منهما من الداخل. ويجب أن تؤكد مرة أخرى على أن هذا البروز الضخم تحدد سواء من حيث الحجم أو الوضع ببروز سابق عليه يتطابق في حجمه مع نظيره في الركن الغربي من الجامع. من ثم، فالمكعب يتفق في حجمه مع نظيره الجنوبي والمكعب الخارجى الناقص. وتتميز أجزاء كلا البروزين اللذين يبرزان داخل الجامع بواجهات رأسية، مما قد يعزى إلى الدعامات المتصلة بهما.

وهذه نقطة مهمة لدرجة أن قررت إدارة الوثائق العربية إجراء اختبار لها في عام ١٩٤٣. وتم نزع شقفة من أرضية سطح زيادة بدر الجمالى على الجانب الجنوبي الغربي بجوار واجهة البروز العلوي. وسرعان ماتم التوصل إلى حافة بروز الحاكم على عمق ١٥-٢٠ سم. وفي الوقت نفسه تم الكشف عن حقيقة مؤكدة. فلو حظ أن جانب بروز بدر الجمالى لا يوازي جانب المكعب العلوي؛ فهناك فارق يبلغ ٤٧ سم بين المسافة (٤,٧٠ م) بجوار شرفة الجامع والمسافة (٥,١٧ م) من الركن. وتبين أن نفس هذه الملاحظة تنطبق على الحافة المكشوفة للبروز الداخلي؛ فهي تبعد بمقدار ٦٧ سم عن قاعدة المكعب العلوي على أحد طرفيها وبمقدار ١,٠٧ م على الطرف الآخر بفارق ٤٠ سم. أى أن بدر جعل الواجهة الجنوبية الغربية من بروزه موازية تماما للبروز الداخلي، بينما أقام بيبس الثانى مكعبه منحرفا. ووجد أن جزءا من الشريط السفلى من الشرفة لا يزال سليما عند الركن الشمالى (لوحة ٢٧ ب).

وحين ثبت لإدارة الوثائق العربية صحة رأيي، سعت إلى التأكد مما إذا كان هذا البروز مزخرفا بشريط من الكتابة الكوفية كنظيره الغربى أم لا. لذا استمرت الإدارة في عملها وقامت بإزالة حشو الدبش من أعمال بدر بطول المترين تقريبا وعمق بين ٥ و ٦ م. ولدى بلوغ مستوى يساوى الشريط الآخر، تبين أن هناك كما كبيرا من البناء تمت إزالته. وعلى هذا، فلا شك أن كلا من بروزى الحاكم كان مزخرفا في الأصل وحتى المنتصف بشريط كوفى على كتل من الرخام.

نرى من جانبنا أن بدر الجمالى حين قام بتكسية بروز الحاكم في سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م)، أزال هذا النقش ليحصل على الرخام ليعكسه ويعيد استخدامه في نقشه له على الجانب الآخر من البروز (لوحتان ٦١ أ، ٦٢)، وتم حفره أيضا على كتل من الرخام بطول ٥٩ م. والأرجح أن النقش الذى أزاله كان طوله حوالي ٤٩,٥٠ م؛ أى أنه لم يمثل إلا ١٠ م تقريبا من الرخام المطلوب. أما العرض فلا يمثل صعوبة، لأن كتل النقش على بروز الحاكم عرضها ٤٣ سم (وتتكون الحلية المعمارية أعلى النقش وأسفله من قطع منفصلة من الرخام عرض كل منها ٤ سم تقريبا، بمجموع ٥١ سم لها جميعا)، في حين أن كتل نقش بدر لا تزيد على ٣٦ سم لا يظهر منها إلا ٣٠ سم، منها ٣ سم أعلى وأسفل يغطيها تداخل الصفوف المتجاورة. (شكل ٨٨).

وضع المآذن بالنسبة للأركان المثالية للجامع

يتضح من القياسات الدقيقة أن الواجهتين الجنوبيتين الشرقيتين للمئذنتين الحجريتين كلاهما على خط تام مع الواجهة الداخلية لواجهة الجامع الشمالية الغربية (شكل ٣٢) وأن كل مئذنة تشكل في الوقت نفسه بروزا على واجهتين.

هل ترجع المكعبات الى نفس تاريخ الجامع؟

هذه مسألة شديدة الأهمية. فلو لم يكن لها وجود أصلا لجرت جدران الجامع داخل المئذنتين، مما يجعلنا نتوقع أن نجد علامات على المئذنتين عند النقاط التي كانت جوانب الجامع تتلامس معها لو امتدت. والأرجح أن تكون هناك أربع نقاط اختبار من هذا النوع، اثنتان على كل مئذنة. ويتضح من التخطيط أن المئذنة الغربية لا يمكن الوصول إليها عند النقطة التي كانت الواجهة الشمالية الشرقية متلامسها. ولكن بفضل السقالات التي لم أذكرها في سنة ١٩٢٣ تمكنت من فحص واجهتها الجنوبية الشرقية، فارتفاعها الكلى من الأرضية الى قمة الجزء المربع. ويقف كل شريط زخرفي على مسافة ١,٢٥ م من الركن الجنوبي والى يمينه مساحة عرضها ١,٦٠ م تقريبا حيث تحطم جدار موصول بالمئذنة. ولا يزال من الممكن أن نرى عارضا بارزا من المئذنة (لوحة ٣١ أ) والأرجح أنه أقيم داخل هذا الجدار قرب قمته. والنتيجة الوحيدة الممكنة هي أن جدار الجامع الجنوبي الغربي كان ينتهى أمام المئذنة وكان موصولا بها، وهو أمر تأكد الآن. إذ قامت اللجنة ببناء على طلب منى بتبليط أسفل هذه الواجهة المحطمة فى أوائل عام ١٩٤٤، وسرعان ما توصلت لقاعدة هذا الجدار والتي كانت بسمك ١,٥٧ م وتجرى داخل المئذنة عند نقطة ١,٢٥ م من الركن الجنوبي.

ولما كان سمك السور الشمالى الغربى ١,٦٠ م وواجهته الداخلية على خط واحد مع الواجهة الجنوبية الشرقية للمئذنة، فإننا نتوقع من الأشرطة الزخرفية أن تتوقف عند هذه المسافة من الركن الشرقى. ومما يؤسف له أن واجهتها الشمالية الشرقية يكسوها حشو من الدبش بارتفاعها كاملا. إلا أن شريط النقش العلوى ترك مكشوفاً، ويتوقف كما هو متوقع على مسافة ١,٦٠ م من الركن. من ثم، فمن المؤكد أن سور الجامع الشمالى الغربى كان مرتبطاً بالمئذنة، مما يتحتم أن ينتج عنه تنوء قدره ٧,٥٦ - ١,٦٠ = ٥,٩٦ م على هذا الجانب و ١,٢٥ م على الجانب الجنوبي الغربى.

البروز الشمالى

يلاحظ لدى دخولنا أن الحليتين المعمارتين بالطبليّة المربعة للمئذنة لا تجرى باستدارة كاملة؛ بل تعود (كما يتضح باللوحة ٢٤ ج) على الجانبين الجنوبي الغربى والجنوبى الشرقى، فى الحالة الأولى على مسافة ١,٥٤ م من الركن الجنوبي، وفى الحالة الأخيرة على مسافة ١,٥٧ م من ناحية إطار باب المدخل الى السلم. يفترض من ذلك أن أسوار الجامع كانت تبدأ من هاتين النقطتين. ويتضح من التخطيط (شكل ٣٢) أن هذه هى النقطة التي كانت الأسوار ستلامس المئذنة عندها لو امتدت.

ولكن هل كانت الجدران تنطلق من هاتين النقطتين تماما؟ تم عمل ثقب (على يد هرتز؟) داخل السور المجاور للركن الجنوبي من المئذنة حتى يمكن المرور منه. إلا أننا هنا فوق مستوى الأرضية الأصلية إذ تجرى الطبليّة لمسافة تزيد عن ١,٢٥ م الى أسفل. ويتضح من عملية حفر قامت بها اللجنة عند النقطة (ب) بناء على طلب منى أن سور التلاتات الذى يزيد سمكه عن ١,٥ م، أى السور الشمالى الغربى للجامع، تجرى داخل الطبليّة عند هذه النقطة، مما يفسر السبب فى ارتداد حلية الطبليّة عند نقطة تبعد ١,٥٤ م عن الركن. لكن هناك حقيقة غريبة هنا. فحشو الدبش فوق رؤوسنا (بين التنوء والمئذنة) والذى تمت إزالته جزئيا عند هذه النقطة (ب) يوضح أن خط الوصل الرأسى على الجزء المستدير من المئذنة لا يقع رأسيا فوق الخط الذى يتصل السور عنده بالطبليّة، بل يتراجع عنه بحوالى ٥٠ سم. ولا شك فى ذلك على الإطلاق، لأن الخط محدد تماما.

وكل صفوف البناء المكسوة بإتقان بالمتونة تتوقف عنده تماماً، وكذلك الحلية المحدبة الأولى والثانية. لذا فقد انخفض سمك سور الجامع من مستوى قمة الطبلية فصاعداً. لكن السور الشمالي الغربي له نفس السمك (أى ١,٥٧ م) بالنسبة لارتفاعه كاملاً. وعلى هذا، فالتفسير لا بد أن يحدث فى مكان ما بين النقطة التى يغطيها فيها بروز والنقطة التى يعود الى الظهور فيها قرب المتونة. أما بالنسبة للغرض من هذا الخفض الذى يبلغ ٥٠ سم فلا أملك إلا أن أفترض أنه يرمى الى كشف المزيد من الواجهة المستديرة للمتونة.

آخر الأدلة

ظهر مؤخراً دليل جديد على عدم أصالة هذين التتويين حين تخلص البروز الغربى من المنشآت الرديئة المحيطة به. وأدى ذلك الى الكشف عن أحد المداخل الفرعية بالواجهة الشمالية الغربية يشبه نظيره المصور فى اللوحة ١٥ ج. واتضح أن (أ) جدار البروز لا يتصل بواجهة الجامع؛ (ب) وأنه يتداخل مع الحلية المعمارية المفلطحة الوجه بعضادة الباب اليمنى (تم تجديد هذه العضادة فى البناء الجديد وأضيفت اليها عضادة جديدة مفلطحة الوجه ولا يغطيها البروز. وهكذا تم تدمير دليل أثري).

نتائج البحث

هكذا، نجد لدينا أربع مراحل متتالية فى تطور البروز الشمالى:

١. المتونة وحدها (٣٩٣هـ/١٠٠٣م) وجدران الجامع التى تجرى بداخلها،
 ٢. البروز الداخلى المحيط بالمتونة ونفس ارتفاعات جدران الجامع، وسنرى أن هذا البروز الداخلى أضيف فى سنة ٤٠١هـ (٢١٣) (١٠١٠م)، إلا أن الركن الذى يبرز داخل الجامع يعد فى اعتقادى من أعمال بيبرس الذى يبدو أنه احتاج اليه فى بناء المكعب العلوى (٢١٤)؛
 ٣. أعمال بدر الجمالى الذى قام ببناء السور الشمالى ودار به حول الجزء الشمالى الشرقى من مكعب الحاكم فى سنة ٤٨٠هـ (١٠٨٧م) فكوّن بروزاً كبيراً فى السور نفسه استمر حول المكعب الى أن التقى بالجدار الشمالى الغربى بين برجى الجامع ليسد نافذة وباباً فى العملية؛
 ٤. أعمال بيبرس الثانى الذى قام فى سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٤م) بخفض المساحة الخالية داخل البروز وجعله مستديراً فى التخطيط من الداخل عن طريق تبطينه ببناء خشن وملأ الجزء الأدنى من الفراغ الذى بقى حتى الآن بمنحدر حلزونى (أزيل منذ ذلك الوقت)، وفى الوقت نفسه، أضاف الركن الذى يبرز فى داخل الجامع، ثم بنى المكعب العلوى الذى وصله بالمتونة عن طريق عقدين على جانبيه الشمالى الشرقى والجنوبى الغربى.
- ولننظر الآن ما اذا كان المقرئى لديه ما يؤيد هذه النتائج التى تم التوصل اليها. يذكر المقرئى أن المسيحى (ربما المسيحى) فى كتابه تاريخ مصر يروى ضمن حديثه عن أحداث عام ٣٩٣هـ (١٠٠٢م) أن الخليفة الحاكم أمر بإتمام الجامع الذى كان الوزير يعقوب بن كلس بدأ بناءه عند باب الفتوح وقدرت التكاليف بأربعين ألف دينار وبدأ العمل فيه، وفى صفر ٤٠١هـ (سبتمبر ١٠١٠م)، أضيفت زيادة الى المآذن تتكون من أركان طول كل منها مئة ذراع. والتبس الأمر على فان برشم فى ترجمته للفظ «أركان» فى هذا السياق، فترجمه الى لفظ «arêtes» ووضع بجواره أداة استفهام ويقول فى حاشية: «الركن هو الزاوية. وأرى أن

هذا اللفظ يدل في هذا السياق على الزوايا البارزة الأربع les quatre arêtes التي تحد واجهات معذنة تقوم على قاعدة مربعة. وهذه هي المعلومة الوحيدة التي يمكن إدراكها من المعذنة. لكن هذا التفسير غير كافٍ، لأن المآذن القديمة لهذا الجامع كانت اسطوانية في الجزء العلوي منها ... وربما تحتاج الى جدران للأساس. وأرجو ألا تكون جدران نفس هذين البروزين، إذ يستدل من السياق أنه يشير الى شيء في علاقته بالمآذن. اكتشفنا أن الذراع المستخدم في قياس هذا الجامع كان ذراعاً غير الذي نعرف، وتحدث هنا عن الذراع الذي يرد عادة لدى المقرئ، وهو ذراع العمل ومقداره ٦٥٦ مليمتر (Mahmoud Bey, "Lesysteme métrique actuel d'Égypte," *Journal Asiatique*, 7me Sér., t. I, pp. 100-101) وبالتالي فإن ١٠٠ ذراع من هذا النوع تساوي ٦٥,٦ م. ولما كانت مساحة كل جانب من البروز الجنوبي ١٧ م، فإن مساحته الكلية تصبح ٦٨ م، وهو ما يؤكد افتراضى بأن الأركان التي يبلغ طولها ١٠٠ ذراع هي الجدران الأربعة الخاصة بالمكعبات المحيطة بالمآذن. ويسلم فيت (Wiet) بالنتائج التي توصلت إليها حين كتب بعد أن تم نشر نظريتي بثمانية أعوام. ومما يؤكد صدق ذلك إجابة إدوارد براون عن سؤال عن المعانى المحتملة للفظ «ركن» حيث قال إنها تعنى «منحدراً كجانب الهرم أو البرج ولو أنها عادة ماترد بمعنى «دعامة» أو «زاوية». وصدرت عنه هذه الإجابة دون أن تكون لديه أدنى فكرة عن موضوع السؤال أو النظرية المذكورة.

المعذنة الشمالية

وتتكون من برج اسطوانى يبلغ قطره ٧,٤٣ الى ٦,٥٠ م وترتكز على طبليّة [قاعدة سفلية بارزة] ارتفاعها ٣,٦٥ م ومربعها ٧,٦٨ م. وينقسم البدن الى ثمانية أشرطة أو طوابق ارتفاعها ١,١٣، ١,٤٧، ٢,٢٦، ١,٧١، ٢,٧٥، ١,٤٩، ٣,٧٦، ١,٦٢ م على التوالي غير الحلية المعمارية المحدبة (الطارة) التي تفصل بينها. وكل طابق أصغر قليلاً من نظيره الذى تحته. ويمكن تشبيهها بتلسكوب قائم على طرفه (شكل ٣٦). وأول هذه الأشرطة خال من الزخارف؛ وثانيها مزخرف بثلاث جامات كبيرة؛ وثالثها مزخرف بثلاث نوافذ صماء؛ ورابعها بنقش كوفى رائع؛ وخامسها بثلاث نوافذ؛ وسادسها بشريط رائع من الأرابسك؛ وسابعها بثلاث نوافذ؛ وثامنها بشريط من الجامات. ويبدأ فوقها الطابق التاسع، وهو جذع اسطوانى خال من الزخارف ارتفاعه ٢,٥١ م ويبدأ فوقه البناء الآجرى لعام ٧٠٣ هـ (١٣٠٤ م). ومساحة الجزء الباقي منها ٣,٦٥ م (طبليّة) بالإضافة الى ٢٠,٠٤ م (جذع) مساحته ٢٣,٧٠ م.

يقع المدخل المؤدى الى السلم فى الجانب الجنوبي الشرقى الى اليسار قليلاً من المركز. وأضيف الى هذا الجزء من الجذع وجهاً مسطحاً يبرز قليلاً عرضه ٣,٠٢ م وارتفاعه ٣,٨٩ م. ويحيط بهذا الوجه المسطح حلية صغيرة مفلطحة الوجه فى نفس السطح المستوى مع الحلية العليا للطبليّة التى أقيم فيها المدخل (شكل ٣٣، لوحة ٢٣). وعتبة الباب على بعد ١,٠٩ م أسفل قمة الطبليّة و٢٠ سم فوق البلاط. لكن هذا البلاط يعلو بمقدار ٥٧ سم فوق الأرضية الأصلية للجامع بحيث كان لابد من صعود درجتين أو ثلاث درجات للوصول إليها. ويصعد المرء حالياً ١١ درجة الى يمين هذا البلاط للدوران حول الطبليّة وهو مالم يكن ممكناً إلا بقطع السور الشمالى الشرقى للجامع عند النقطة التى يجرى عندها فى داخل المعذنة.

وعرض المجاز ١,١٠ م وارتفاعه ٢,١٩ م بنسبة ١ : ٢ بالضبط، وهو ما ينطبق على المداخل الأصغر للجامع. وتم وضعه فى تجويف ضحل، وترتكز عتبه على زوج من الأعمدة المستطيلة الناتئة من جدار بتاجين لهما

واجهة مفلطحة، مما يضيف عليهما مظهرا إغريقيا أصيلا. ويحيط بالعتبة من ثلاثة جوانب حاشية مفلطحة الوجه مزينة بالأرابيسك. ويلفتنا فلورى الى «الإيقاع الجميل للمحاليق المتداخلة ... وتتميز الحاشية ذات الوريقة الثلاثية فى الوسط وفى الركنين بأهمية خاصة بالنسبة لتاريخ الزخرفة. وتأتى السوقة بعد حاشية الوريقة النباتية وتتخذ شكل العقد المدبب الذى تضيع معه السمة النباتية» (ص ٤٤). ويمكن تمييز الطلاء الأزرق فى تجاويف الزخرفة. ويعلو ذلك حلية ربع دائرية تنحرف الى الأمام الى أن تحاذى وجه الجدار. ويعلوها نقش كوفى جميل (لوحة ١٢٣) فى حشوة غائرة تحيط بها حلية مفلطحة الوجه. وإذا صعدنا صفا واحدا فوقها، نجد حلية مفلطحة الوجه صغيرة، مما يشكل جزءا من الحاشية المستطيلة الخارجية.

وتستمر الواجهة المسطحة السابقة الذكر الى أعلى فوق الحلية المفلطحة الوجه الى ارتفاع ٨,٨٠ م فوق البلاط أمام المدخل؛ أى على قمة الشريط الرابع المزخرف بنقش كوفى رائع ينتهى قبل الوصول إليها. ويتقدم الجزء السفلى على الجزء العلوى بعدة سنتيمترات. وفى هذه الواجهة العلوية، فوق المدخل مباشرة، نجد نافذة مساحتها ١ م × ٥٣ سم وضعت فى إطار مشطوف حافته السفلية تعلو عن البلاط بمسافة ٦,٣٢ م، وتزخرفه سوقة متماوجة جميلة فى وسطها نصف مروحة نخيلية تشبه نظيرتها على عتبة الباب. ونحتت جوانب كل عنصر نحتا عميقا باللون الأزرق بخلفية حمراء.

تبدأ الطبلية (لوحة ٢٤ جـ) [القاعدة السفلية البارزة] بجزء خالٍ من الزخرفة ارتفاعه ١,٥ م ومساحة مربعه ٧,٦٨ م تقطعه حلية واحدة فقط كما يتبين من الشكل ٣٦. وفوق هذا الجزء نجد الجزء المنمق بارتفاع يزيد عن المترين، وهو مزخرف بشقتين طوليتين بعرض ٢٢ سم بهما أشرطة متداخلة مما يشكل أوراقا نباتية رباعية ونحيمات رباعية الأطراف. وهناك جامة قطرها ٤٢ سم وضعت فى منتصف كل جانب فى الفراغ الذى ترك بعرض ٥٥ سم بين هاتين الشقتين الطوليتين. وتتكون الشقة الشمالية الشرقية من نجيمة ذات عشرة أطراف تتكون من شكلين خماسيين متداخلين تتصل جوانب أحدهما بفصوص صغيرة بالدائرة الوسطى التى تحتوى على لفظ الجلالة «الله» (شكل ٣٤). وتكاد الجامة الموجودة على الجانب الشمالى الغربى أن تندثر. أما الجامة الجنوبية الغربية، فلا تزال باقية وفى حالة جيدة، وتتكون من مزيج من خمس دوائر ونجيمة خماسية مدببة (شكل ٣٥)، وتنتمى الى نفس المدرسة التصميمية التى ينتمى إليها المربع فى الحشوة اليسرى للمدخل التذكارى (شكل ٢٥).

وينتهى الجزء المزخرف من الطبلية على الجانب الجنوبى الشرقى على مسافة ١,٥٧ م من الجانب الأيمن من الإطار المحيط بالمدخل. وتعود الحليات بزوايا يمنى لتشكيل حاشية طرف (لوحة ٢٤ جـ). وتنتهى على الجانب الجنوبى الغربى على مسافة ١,٥٤ م قبل الوصول الى حذى الجانب الجنوبى الشرقى (اختفى الركن ومعه ما يقرب من متر مكعب من البناء). ثم تعود الحليات كما سبق. ولكن لماذا تتوقف زخرفة الطبلية عند هاتين النقطتين بدلا من الالتفاف الكامل؟ لأن هذا المكان الذى تجرى فيه جدران الجامع بسمك ١,٥ م داخل جوانب المئذنة كما سبق الإشارة.

ولنبدا الآن فى وصف أسلوب المعالجة الخارجية للأشرطة التسعة التى ينقسم إليها البدن الدائرى للمئذنة بحليات جريئة معظمها حليات محدبة. ويخلو الشريط الأول من الزخرفة تماما. وتزين الشريط الثانى جامتان رائعتان فى الجانبين الشمالى الشرقى والشمالى الغربى. وتتكون الأولى من جزء مركزى غائر قليلا قطره ٧٥ سم ويضم نجيمة ثمانية مكونة من مربعين متقاطعين ويربط بين أركانها وبين المحيط حلقات. وفى المنتصف نجد

سطرين من الكوفى البسيط. ووضع كل ذلك فى شريط خارجى من الكوفى بقطر إجمالى قدره ١,٢٢ م (لوحة ٢٤ء). ولحقت أضرار بالغة بالجزء الأوسط من الشريط الشمالى الغربى. والأرجح أن كانت هناك جامة تواجه الجنوب الغربى، إلا أن هذا الجزء يخفيه حشو من الدبش ولا يزال موجودا عند هذه النقطة.

والشريط الثالث مزخرف بثلاث نوافذ صماء كلها على مستوى واحد تواجه الشرق والشمال والغرب وهى متشابهة من حيث الحجم والتكوين ولكن ليس من حيث الزخارف. ويحيط بالنافذة الصماء الأولى ومساحتها $1,13 \times 0,47$ م إطار مشطوف تليه حاشية خطوط تدور حول الأركان بصورة متميزة بنصف مروحة نخیلية؛ وهى سمة مشتركة فى النوافذ الثلاث جميعا. وتم وضع هذا الجزء فى إطار مكون من خطوط متداخلة تحيط به حلقة ربع دائرية. وبالنافذة الصماء فجوة مساحتها ٢٧,٥ سم ولا تزال أجزاء من زخارفها الهندسية محفوظة. ولم يبق من هذه الواجهة سوى الجزء السفلى. أما الجزء العلوي، فيبدو أنه كان يشبه نظيره بالنافذة التالية. وتبلغ المساحة الكلية $2,17 \times 1,62$ م.

تشبه النافذة الثانية (الشمالية) النافذة الأخيرة غير أن حاشية الخطوط المتداخلة حل محلها الأرابسك. وهنا ولحسن الطالع بقيت الزخارف الهندسية المكونة من ثلاثة ألواح سليمة (لوحة ٢٤ أ). والحلقة التى تتوسط هذه النافذة والتى تحفظ السيقان معا تجدها مرة أخرى فى حاشية الأرابسك بالنافذة الشمالية فى الشريط السابع. وتشبه النافذة الثالثة (الغربية) النافذة الأخيرة من حيث التكوين، ولا يزال الجزء الأعظم من زخارفها الهندسية باقيا (لوحة ٢٤ ب).

والشريط الرابع مزخرف بنقش كوفى رائع ارتفاعه ٦٨ سم وضع بين حاشيتين من الوريقات النباتية التى تنبت من سويقة متماوجة (لوحة ٢٥ء). ويعتبر فلورى هذا الشريط «واحدا من أجمل الأشرطة التى أبدعها الفن الإسلامى فى هذا المجال، أى زخرفة النقوش». ويضيف قائلا:

«إن المزيج المتناغم من الكتابة والمخاليق ونبات حشو الفراغ الذى يصاحبه يبرر الاستنتاج بأن هناك سلسلة طويلة من المحاولات أجريت على هذا الشريط الكتابي» (ص ٤٥-٤٦). وتنحدر واجهته الى الخارج قليلا.

ويحتوى النقش الكتابي على اسم الخليفة الحاكم وألقابه وينتهى بعبارة «فى رجب من سنة ...» (Wiet, C.I.A. Égypte, II, p. 127). ومما يؤسف له أن السنة محيت منه (لوحة ٢٥ جـ). ويتوقف النقش حاليا على بعد ٨٠ سم من الجزء المسطح فوق المدخل المؤدى الى السلم. وأعيد بناؤه بصورة عشوائية). لكننا رأينا أن النقش فوق المدخل الرئيسى - قام بنشره فون هامر - مؤرخ بتاريخ نفس الشهر من عام ٣٩٣ هـ. وسنرى أن المئذنة الجنوبية مؤرخة بشهر رجب ٣٩٣ هـ أيضا، مما يؤكد أن السنة المفقودة هى ٣٩٣ هـ. وفى هذه الحالة، فالأرجح أن تكون هذه المئذنة قد انتهت فى مايو أو يونيو ١٠٠٣ م.

ويحتوى الشريط الخامس على ثلاث نوافذ أصغر من النوافذ الأخرى، إذ لا تزيد مساحتها عن $1,45 \times 1$ م فى مجملها (ويبدو أن هذه النوافذ لم ينتبه اليها فلورى حيث لا يرد ذكرها لديه). وتتجه هذه النوافذ نحو الشمال الشرقى والشمال الغربى. إلا أن النافذة الأخيرة التى تم حشوها جزئيا بالدبش، لا ترى إلا من السلم الداخلى. إذ يخفيها من الخارج حشو الدبش الخاص بالبروز والذى لم تتم إزالته عند هذه النقطة. وتم وضع كل منها فى إطار مشطوف مزخرف بالأرابسك، واحتفظت الأولى ببقايا من الزخارف الهندسية وكذلك بالطلاء الأزرق الذى يملأ خلفية الأرابسك.

والشريط السادس مزخرف بشريط رافع من الأرابيسك عرضه ٥٣ سم (لوحة ٢٥ ب). ويتضح الأسلوب الفني الإسلامي الجميل للمعالجة في التخطيط القديم لصف من أنصاف المراوح النخيلية تربط بينها خطوط معقودة. ويضفي المزيج العضوي من العناصر النباتية والهندسية والحركة الإيقاعية والتباين المتناسق للأشكال الفردية على الإفريز سمة كلاسيكية. ومع أن لدينا نموذجين صغيرين فقط، إلا أنهما يوضحان مدى الدقة التي اتبعها الصناع في الحرص على التفاصيل (Flury, p. 46).

ويخترق الجزء المواجه للجنوب من الشريط الجزء السفلي من نافذة؛ وهي أول نافذة نراها حين ندخل هذا البروز من قمة سور القاهرة. وفتحة النافذة مساحتها ١,٣٥ م × ٠,٥٨ م. ولحقت بإطارها الخارجي المزخرف أضرار جسيمة. وكما هو الحال في النافذة التالية إلى اليمين، كانت هناك حاشية عريضة من الأرابيسك لم يبق منها إلا شقفة صغيرة بالجزء السفلي إلى اليمين واليسار. ويحيط بالنصف العلوي إطار في حلية محدبة محطمة ليست سوى جزء من الحلية المحدبة التي تجرى دائريا وتفصل الشريط السادس عن السابع. ولدى لمس جانب هذه النافذة، تدور بزوايا يمينى وتخطيط بنصفها العلوي ثم تهبط وتستمر على نفس المستوى (وهكذا فليست هناك حلية حول النصف السفلي من هذه النافذة التي تتطابق أسكفتها مع الحافة السفلية للإفريز الأرابيسك الكبير).

ويحتوى الشريط السابع على ثلاث نوافذ أخرى تواجه الشرق والشمال والجنوب، وكل منها على مستوى أعلى من سابقتها. وهذه النوافذ، كتنظيراتها بالشريط الخامس، ليست بها حواش كوفية. وحلت محلها أفاريز أنصاف مراوح نخيلية عريضة «تحتوى على ثلاثة أنواع من الوريقات النباتية الموجودة في الزخرفة الحجرية الفاطمية». وتم تنفيذ المزيج المكون من العناصر الهندسية والنباتية هنا بأسلوب شديد الاتقان. وتستحق معالجة الأركان على اختلافها اهتماما خاصا (Flury, p. 45). وفتحة النوع الأول مساحتها ١,٣٦ م × ٠,٥٨ م، ولها حاشية خالية من الزخرفة يحيط بها شريط من الأرابيسك وراء حلية محدبة مهشمة، ومساحتها الإجمالية ٢,٣٤ × ١,٤٩ م (لوحة ٢٥ أ).

والنافذتان الأخريان مسورتان (وتم إخلاؤهما في أواخر ١٩٤٣)، ولإطاريهما نفس التكوين (لوحتان ٢٦ أ، هـ). ولكن هناك سمة جديدة تظهر هنا؛ وهى الدرايزين المخرم (أو ألواح الإغلاق) بحيث يتمكن المؤذن من الأذان من فتحة النافذة دون التعرض لخطر السقوط. ويبدو أن فلورى تصور أنها بقايا نافذة ذات زخارف هندسية كانت تملأ الفتحة كلها، وهو تصور خاطئ، لأن حوافها العليا تشكل خطا مستقيما تماما إلا فى طرف من نصف مروحة نخيلية على كل طرف من طرفيها. ويجب أن نؤكد فى هذا الصدد أن هذه النوافذ الثلاث لم تكن مخفية حتى عام ٧٠٣ هـ (١٣٠٤ م)، لأنها فوق قمة التتوء. ومن ثم، كانت أول ما أمكن استخدامه للآذان؛ فى حين أن نظيراتها فى الشريط الخامس كانت منخفضة للغاية. ولوح الإغلاق الخاص بالنافذة الشمالية يخترقه تصميم متداخل قاعدته نجيمة خماسية مقلوبة أو شكل خماسى مقلوب (خاتم سليمان) بنصف مروحة نخيلية فى وسطها. وإذا عدنا الآن إلى النافذة الأولى، يتضح من الحافة المكسورة الناتئة قليلا إلى أسفل يميناً ويساراً أنه كان هناك لوح إغلاق هنا أيضاً.

ويتكون الشريط الثامن من صف من الجامات قطرها ٥٣ سم وتفصل كل منها عن الأخرى مسافة ٢٣ سم، وتحتوى إحداها على نجيمة خماسية مقلوبة (لوحة ٢٦ أ)، وتحتوى جامة أخرى على نجيمة ثمانية بمرعين

متقاطعين كالعادة (لوحة ٢٦ب)، وتحتوى ثلاثة على حلية معمارية وردية ذات سبعة فصوص مكونة من شريط متداخل متصل (لوحة ٢٦ج) تشبه الحلية الوردية ذات الفصوص الستة والتي نراها على باب النصر (لوحة ٥١ب). وتحولت الجامة المواجهة للجنوب الشرقى الى نافذة صغيرة. وهى لاتأتى فوق النافذة السفلية مباشرة كما رأينا فيما سبق؛ إذ تواجه الأخيرة جنوب جنوب شرق وليس جنوب شرق.

والشريط التاسع ناقص، فليس به سوى ١١ صفا من الحجارة المكسوة بارتفاع ٢,٥١م، ويحيط به متران من الدبش يليهما البناء الآجرى الذى تم فى سنة ٧٠٣هـ. والجزء الأكبر من هذا السطح الحجرى لهذا الشريط مكسو بالجص الا عند الجزء الشمالى الشرقى. ولكن اذا تفحصناه من الداخل، يمكن أن نرى نافذة صغيرة عرضها ٤٥ سم وارتفاعها ٩٢ سم وتواجه الشمال الغربى، وتتفق أسكفتها مع قمة الصف الثانى من هذا الشريط، وتمتد عبر أربعة صفوف. كما نكتشف أن قائم الدرابزين المربع وبير السلم المستدير كلاهما يتوقف عند هذه النقطة؛ أى بمسافة ٣,٢٧م فوق الحافة السفلية للصف الذى يجرى فوق إفريز الجامات مباشرة. من ثم، فإن هذه النقطة تتطابق من الخارج مع الحافة العليا للصف الحادى عشر.

السلم

سبق أن قدمنا وصفا للمدخل المؤدى الى السلم. ولدى عبورنا منه نجد أنفسنا فى دركاه به تجويف على جانبه الأقصى (شكل ٣٣). والمسافة بين هذه الفجوة وبين المدخل يغطيها الجانب السفلى من الكتل بطول ٨٠ سم، مما يشكل درجات السلم، وترتكز على الحلقات المعمارية المتقنة. وبير السلم دائرى وقطره فى الجزء السفلى ٣,٩٥م. ويقل قطره قليلا كلما صعدنا الى أن يصل الى ٣,١م فقط حيث ينتهى العمل الأصلي. أما قائم الدرابزين، فهو مربع ومساحته ١,٨م على كل جانب وتبرز منه حلقات مفلطحة الوجه كفواصل؛ وبقي قائما الى نفس مستوى البناء الخارجى للمئذنة. ويبدأ السلم على الجانب الأيمن من الدركاه ويرتفع باتجاه عكس عقارب الساعة. ومتوسط ارتفاع درجات السلم ١٧ سم. ونلاحظ أن أسكفات فجوات النافذة وحتى فى الحالات التى أضيفت اليها دريزينات فى الشريط السابع، فهى تعلو كثيرا عن أقرب درجات السلم (بمتر أو يزيد)، مما يتطلب جهدا للوصول اليها.

المئذنة الغربية

وهى تختلف كلية عن نظيرتها الشمالية. وتتكون من بدن مربع ارتفاعه ١٣,٩٠م تعلوه خمسة طوابق مشمنة يتراجع كل منها عن الذى تحته (شكل ٤٠) وارتفاعها ٢,٨٦، ٢,٥٥، ٢,٦٣، ٠,٥٧م على التوالي. وبناء على هذا فالارتفاع الباقى على حاله هو ٢٤,٢٦م فى مقابل ٢٣,٧٠م بالنسبة للمئذنة الأخرى. لذا فربما انهارت قمتهما عند نفس المستوى تماما فى زلزال ٧٠٢هـ.

ومساحة الجزء المربع يزيد قليلا عن ٧,٥٠م على كل جانب. وجانبه الجنوبي الغربى مكشوف تماما، وكذلك معظم جانبه الشمالى الغربى فيما عدا الأربعة أمتار الأولى. إلا أن واجهته الشمالية الشرقية مخبأة تماما وراء حشو الدبش الخاص بالنتوء فيما عدا الشريط الكبير عند القمة. وستقوم فى البداية بوصف الواجهة الجنوبية الغربية (شكل ٤٠). ينقسم البدن الى ١١ حلية وطوقا حجريا منقوشا فى ١١ شريطا تتفاوت فى عرضها، أربعة منها بدون زخارف، وأربعة مزينة بالأرابيسك، واثنان بالنقوش الكوفية، وواحد بثلاثة مربعات وضعت على شكل معينات. وهناك شريطان (الخامس والتاسع) بكل منهما نافذة. وعدا ذلك، فهما خاليان من

أية زخارف. وتعامل الأمتار الثلاثة الأولى كطبلية يخلو نصفها السفلى من الزخرفة، وبقيتها مزدانة بثلاثة أشرطة من الأرابسك، أحدهما عريض والآخر ضيق وتحيط بحاقتيها أربع حلقات. وتتكون الأشرطة الضيقة من سويقة متماوجة وورقة نباتية أعلاها وأسفلها تبادليا. وينبت الشريط الأوسط العريض من الأرابسك المتقن من صف من النجمات السداسية بكل منها ورقة نباتية ذات خمسة فصوص (لوحة ٢٨ ج، شكل ٣٧).

ويخلو الشريط الخامس من الزخرفة فيما عدا نافذة ضيقة وطويلة لا يزيد عرضها عن ٣٣ سم برأس تشبه نظيرتها بالفجوة التي نراها أسفل سلم المئذنة الشمالية. ويحيط بالشريط السادس من أعلى ومن أسفل طوق حجري منقوش ومزدان بنفس الزخرفة التي نجدها على الحافة السفلية لسطح المدخل الرئيسى القائم على أعمدة (لوحة ١٧). وكل منها محشو بتصميم متداخل متقن داخل حافة بسيطة من المحاليق المتماوجة. وبقي المربعان الخارجيان فى حالة جيدة (لوحة ٢٨ أ، شكل ٣٩). أما المربع الأوسط، فلحققت به أضرار فادحة بحيث لا يميز منه إلا بقايا أربع دوائر، دائرة بكل ركن، مما يجعله شبيها بتكوين يزين أحد المعينات التي نجدها على الجانب الشمالى الشرقى للمدخل الرئيسى (شكل ٢٥).

ويخلو الشريط السابع من الزخرفة، إلا أنه يعلوه شريط رائع من الدانتيل وضع بصورة غير منتظمة (شكل ٣٧)، مما يشكل الحافة السفلية لشريط كبير من الكوفى المبسط (لوحة ٢٩ أ) باسم الخليفة الحاكم (Van Berchem, Notes, XI, p. 427). لكننا لانرى تاريخا عليه، لأن الجانب الشمالى الشرقى من المئذنة حيث ينتهى هذا الشريط يختبئ بأكمله وراء حشو الدبش حتى ارتفاع هذا الشريط ومن فوقه. ويحف به من أعلى صف آخر من الدانتيل يشبه نظيره الأول، ولو أن ارتفاعهما غير متطابق.

ويخلو الشريط التاسع من الزخارف إلا بنافذة تشبه نظيرتها الموجودة فى الشريط الخامس ولو أنها أقل فى العرض (لا يزيد عن ٢٥ سم). ويتكون الشريط العاشر من إفريز من الأرابسك وضع فى سلسلة من الأطر الثلاثية الوريقات بحافة عريضة خالية من الزخرفة فى أعلاها وأدناها (لوحتان ٣٠ أ، ج، شكلان ٣٧، ٣٨). وتفتقر الحلقات التى تقسم هذا الشريط الى الدانتيل. ويزدان الشريط الحادى عشر بنقش كوفى عظيم ارتفاعه متر تقريبا، ويعد أكثر اتقاناً من الشريط الكائن أسفله (لوحتان ٣٠ أ، ب)؛ ويحتوى على اسم الحاكم وألقابه (Wiet, Égypte, II, p. 127)، إلا أن الجزء الأخير منه يختبئ وراء بقايا حجارة الى أن طلبت من اللجنة إزالتها لاقتناعنا بوجود تاريخ عليه. وهكذا، تمت إزالة الحجارة فى إبريل ١٩٤٣، وقام بقراءة الجزء الذى تم كشفه السيد جاستون فيت. ينتهى النقش بعبارة «... فى شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة» (مايو ١٠٠٣ م. Répertoire, XIII, p. 271). ويؤكد توافق الشهور على أن التاريخ المفقود على المئذنة الأخرى هو ٣٩٣ هـ أيضا. وفوق هذا النقش، نجد حلية مشطوفة تبرز قليلا عن البقية يليها ٦٠ سم من البناء. ويزدان النصف العلوى بنوع من الزخرفة المشجرة الصماء.

نحن الآن على ارتفاع ١٣.٥٣ م فوق الأرضية، وهناك صف آخر من البناء مربع فى تخطيطه إلا أنه يتراجع قليلا الى الوراء، يليه طابق مئمن. ويميل المرء الى اعتبار هذا الصف الرابع والأخير نوعا من القواعد المربعة التى تنتمى الى الجزء المئمن. ويرجع الفضل الى السقالات التى تفضلت اللجنة بوضعها تحت تصرفى بغرض تصوير كل هذه الزخارف فى قيامى بمزيد من الاكتشافات. فعلى قمة الجانب الجنوبي الغربى، والى جوار العقد الأيسر، لاتزال هناك شقفة صغيرة باقية من الشرافة ارتفاعها ١٠، ١ م (لوحة ٣٢ ج). يتضح الآن أن

الزخرفة المشجرة الصماء التي أشرنا إليها منذ قليل والتي تبقى جزء منها على الجانب الجنوبي الغربي (شكل ٤١) ما هي إلا الحافة السفلية من شرافة متقنة ذات زخارف مفرغة يمكن ترميمها الآن وبارتفاع ١٠,١٠ م (شكل ٣٨)، إلا أن قممتها اندثرت الى الأبد.

ينطبق الوصف الأخير (لِلواجهة الجنوبية الغربية) على الواجهة الشمالية الغربية أيضا، عدا أن النافذة الثانية وضعت بالشريط السابع بدلا من التاسع وأن قممتها عولجت بصورة مختلفة نظرا لوضع السلم (لوحة ٢٩ جـ،) وتحتاج قمم هذه النوافذ الى عناية خاصة لأنها النماذج المؤرخة الوحيدة من نوعها. ومن اليسير أن ندرك أن خطوطها العامة قد تكون الحافز لتطوير الحشوات التي نراها على أبراج باب زويلة - اللوحتان ٧٢ جـ، ٧٣ جـ، - ونماذج أخرى في هذا المجال). ويفترض أن هذا الوصف ينطبق أيضا على الجانب الشمالي الشرقي، غير أن النافذة السفلية كانت إما صماء أو تم حذفها كلية؛ إذ لا نجد لها أثرا يمكن رؤيته من السلم. هذا في حين أن النافذة العليا (التي يمكن رؤيتها من السلم) تم وضعها في الشريط التاسع.

تدور زخرفة الواجهة الجنوبية الغربية حول الركن وعلى طول الواجهة الجنوبية الشرقية ويطول ١,٢٥ م؛ أي الى النقطة التي يبدأ منها السور الجنوبي الغربي للجامع قبل بناء التلوات. والبناء الذي نراه الى يمين هذه النقطة خشن ومكسور. ويتوقع المرء أن أشرطة الزخرفة ستبدأ - ككل الحلقات - من الزاوية الكارة التي تكونت من ذلك، إلا أنه لا يبدأ من هناك إلا أشرطة الأرباسك الثلاثة الأولى، ولا يبدأ شريطا النقش من الزاوية الكارة؛ بل من الحافة اليمنى للجانب الجنوبي الغربي. والجزء الذي يدور حول الركن محشو بالزخارف. وفي حالة الشريط الثامن، هناك حشوتان ونصف حشوة مكونة من قطعة زخرفة جريئة رائعة ومكررة مرتين ونصف المرة (لوحة ٢٩ ب). ونلاحظ نفس الشيء في الشريط الحادي عشر. وهنا أيضا، يبدأ النقش الكبير عند الحافة اليمنى من الواجهة الجنوبية الغربية. والجزء الذي يدور حول الركن محشو بقطعة من الأرباسك مختبئة تماما وراء عقد مشبكي حاليا (لوحة ٣١ أ). أما الشريط العاشر الذي يعد الأرباسك الخاص به مركبا، فلا يدور حول الركن، وهو ما يعد تصميمًا مختلفًا تم استخدامه هنا (لوحة ٣١ أ، الجزء السفلي).

وعلى الجانب الجنوبي الشرقي، فوق المدخل المؤدى الى السلم، نجد فتحتين معقودتين من الآجر، أولاهما مساحتها ٢,٧٥ × ١ م، والثانية ٢,٥ × ٠,٨٤ م، وأسكفة الأولى تعلو عن الحلية الرابعة بصف واحد.

الجزء المثلث

أربعة جوانب منه حرة تماما. إلا أن الجوانب المواجهة للأركان الخارجية الثلاثة من الجزء المربع مختبئة وراء ثلاثة أزواج من العقود المشبكية التي تصل بين المثلثة وبين قمة التلوة العلوى (من المرجح أنه كان هناك فيما مضى زوج من العقود المشبكية في الركن الشرقي أيضا، إذ هناك بقايا منهما يمكن رؤيتهما بوضوح على جدران البروز. ويبدو أنهما أزيلتا على يد هيرتز). ويبلغ ارتفاع الطابق المثلث الأول ٢,٨٦ م، ويختلف عن بقية الطوابق بوجود دعامة نصف دائرية عرضها ١,٥٢ م (لوحة ٣٢ أ) في منتصف كل جانب من الجوانب المواجهة لأركان المربع. والحافة العليا لهذا الطابق مزخرفة بشريط بارز قليلا مكون من أنصاف مراوح نخيلية ذات ثلاثة فصوص، ويدور أيضا حول قمم الدعامات (شكل ٤٠). كما يتميز هذا الطابق بوجود مصلى صغير نوعا على الجانب الجنوبي الشرقي ويفتح على السلم بعقد منكسر ويفتح على الخارج بعقد مدبب وضع في إطار مستطيل بارز (لوحة ٣١ ب، شكل ٤١) مع وجود بقايا من شرافة تشبه التصميم الذي نراه على الطابق

المستطيل الرابع (لوحة ٣٢ ب). والجزء السفلى من هذا الإطار يحاذي الحافة السفلية للشرافة عند قمة الطابق الرابع. ويبلغ عمق المصلى الصغير ١,٢٦ م وعرضه ١,١٠ م وارتفاعه ٢,٥٤ م، وإلى اليمين واليسار، نجد حنايا معقودة تشبه المحاريب عرضها ٦٢ سم وعمقها ٢٤ سم بفجوات للجذوع الركنية، وفي كل كوشة، هناك نجيمة خماسية (لوحة ٣١ أ، شكلان ٤١، ٤٢). ويرتكز السطح الحجري المسطح والمزخرف بزخارف رائعة على طنف مفلطح الوجه.

بنى هذا المصلى الصغير بحيث يشكل بروزا بمقدار ٤٧ سم على الواجهة الجنوبية الشرقية للطابق المثلث الأول. أى أن الشكل المثلث على هذا الجانب يرجع إلى الارتفاع مسافة ٤٧ سم عن واجهة الشرفة. ولكن على الجانب المقابل لا ترجع واجهة هذا الطابق إلا بمسافة ١٢,٥ سم. والنتيجة أن المحور الحقيقي للطوابق المثلثة مزحزح بمقدار ١٧ سم إلى شمال غرب محور الجزء المربع. ولكن لما كانت جوانب الشكل المثلث غير متساوية فيما بينها - حيث أن الجانب الغربي أطول من نظيره الجنوبي - فالنتيجة أن مركز الجانب الغربي ونوافذه ظل قريبا جدا من محور الجزء السفلى كما يتضح في شكل (٤٠).

ويبلغ ارتفاع المثلث الثاني ٢,٥٥ م، وحافته العلوية تزدان بطوق حجري منقوش بارز قليلا ومزخرف كما يتضح بالشكل ٣٨، حلية ١٣. وبالطابق الثالث وارتفاعه ٢,٦٣ م طنف مماثل نوعا (الشكل ٤٠). ولا يزيد ارتفاع الطابق الرابع عن ١,٧٥ م. والصف الثاني مزين بتصميم وردت صورته في الشكل (٤٠، الشريط ١٥)، والجزء الذى يعلو الصف الثالث بشكل بأكى أصم يشبه الشرفة (لوحة ٣٢ ب، شكل ٤٠، شريط ١٦). ويأتى فوق هذا الطابق المثلث الخامس الذى لم يتبق منه إلا صفان ارتفاعهما الإجمالى ٥٧ سم، وقطره ٦,٢٨ م وتم قياسه مباشرة عبر القمة من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى.

أما نوافذ الطوابق المثلثة، ففي المثلث الأول نجد نافذة خالية من الزخارف وطويلة وضيقة على الجانبين الجنوبي الغربى والشمالى الغربى (ومساحة الأولى ٢٨ × ٨٠ سم والأخيرة ٠,٤٣ × ١,٩٢ م) ولكن ليس على الجانب الشمال الشرقى. وعلى الضلع الجنوبى الشرقى، هناك المصلى الذى سبقت الإشارة إليه. وفي الطابق الثانى، هناك نافذة مستطيلة على كل من الأضلاع الشمالى الشرقى (لوحة ٣٢ أ) والشمالى الغربى والجنوب الغربى والجنوب الشرقى. وتبلغ مساحة الأولى ٠,٦٩ × ١,١٢ م، والثانية ٠,٦٢ × ١,١٩ م، وكل من الثالثة والرابعة صماء. ولكل من هذه النوافذ حواشٍ مسطحة ومزخرفة بالأرابسك. وفي الطابق الثالث، نجد نافذة مستطيلة على الجانب الجنوب الغربى (٠,٤١ × ١,٣٢ م)، وعلى الجانبين الشرقى والشمالى، أى الجانبين المواجهين لأركان المربع، نجد نافذتين مستطيلتين أولاهما (٠,٣٩ × ١٠٠ سم) يمكن رؤيتها من الخارج، والأخرى لا ترى إلا من السلم، لأن الجزء الخارجى منها مخفف وراء العقود المشبكية التى ترجع لعام ٧٠٣ هـ. والتى سبق ذكرها. كما يختبئ الضلعان الجنوبى والغربى من الخارج، ولكن ليست هناك دلائل على وجود نافذة يمكن رؤيتها من الداخل.

المدخل المؤدى إلى السلم (شكل ٤٣)

ويتصل بالمدخل الصغيرة للجامع منه إلى سائر مداخل المئذنة الأخرى. ومما يؤسف له أن بناءها أصابه التآكل لدرجة كبيرة. وتبلغ مساحة الفتحة ٠,٩٩ × ٢,١١ م - أى بنسبة ١ : ٢ تماما تقريبا كما هو الحال بالنسبة للمداخل الأخرى. ويحيط بعضادات الباب (٣٢ سم عرضا) إطار فى حاشية مفلطحة الوجه ومزخرفة

بشريط ضيق من الأرابيسك، ويدور لأعلى ليشكل تاج عمود، وإلى أسفل ليكون قاعدة. والفتحة تتخللها أسكفة خالية من الزخارف تحيط بها حاشية مفلطحة الوجه مزخرفة بنفس طريقة زخرفة عضادات الباب. وتبلغ المساحة الكلية ١,٨١ × ٢,٤٢ م، أى بنسبة ٣ : ٤. ورغم خلو الواجهة الخارجية للأسكفة من الزخارف، إلا أن واجهتها الداخلية مزخرفة بثلاث حشوات صغيرة وجميلة من الأرابيسك لم توضع فى المركز تماما (شكل ٤٣). ومن الواضح أنها نسخت من باب خشبي، لأن مفصلات إطار باب منقور تم تزيينها على الحجر. وللسلم درابزين دائري من الحجر، لكنه مغطى بقبو اسطوانى مرتفع من الآجر. وهو معتم تماما بسبب التواء المحيط به. إلا أنه يبدو أنه أقيم قبل بناء التواء، لأن النوافذ صغيرة جدا وضيقة، وخاصة فى الجزء المربع منها.

مقارنة بين زخرفة المئذنة الغربية وزخرفة المدخل التذكاري

بكل مئذنة حجر ذو كسوة جميلة، وتتخللها عند الفواصل نافذتان كانتا تسمحان بنفاذ الضوء الى السلم الحلزونى بالداخل. ولكن يفاجأ المرء بالاختلاف الجوهرى بين الالنتين فى كل من الشكل والزخرفة. فمع أن المئذنة الشمالية بها شريطان جميلان، أحدهما كتابى والآخر من الأرابيسك. إلا أن زخرفتها تتركز على أطر النوافذ العديدة بحواشى كتابية منحوتة نحتا رقيقا، وعلى الدرابزينات الجميلة بها والتي لا يزال العديد منها باقيا. فى حين أن المئذنة الغربية نوافذها صغيرة وضيقة وعارية تماما. وتتركز الزخرفة على أربعة أسرطة زخرفية عظيمة، اثنان منها كتابيان، والآخران من الأرابيسك. إضافة الى ذلك، تم إحلال حلقات محدبة ذات زخارف زاخرة محل الحلقات المحدبة الخالية من الزخرفة.

ولا يجد المرء بدا من استنتاج أننا أمام عمليتين لمعمارين مختلفين. ولكن على الرغم من اختلاف التخطيط الزخرفى للمئذنة الشمالية عن نظيره فى المئذنة الأخرى، إلا أن هناك صلة وثيقة بينه وبين نظيره على المدخل التذكاري. فالجزء السفلى من حشوات هذا المدخل مزخرف بمربعات من الزخرفة وضعت على هيئة معينات، وهو نفس ما نراه فى التخطيط المتبع فى الجزء الأدنى من المئذنة. والجزء الوسيط من شريط الأرابيسك ينتمى الى الشريط التاسع للمئذنة (لوحتان ٣٠ أ، ج) وتنطبق حافته الخارجية مع شريط النافذة فى الطابق المثلث الثانى (لوحة ١٣٢). وتنتمى الحلقات أعلاه وأسفله الى نفس الفئة التى تنتمى اليها حلقات المئذنة. والشريط الذى يجرى أسفل القبيبات [قمة المئذنة] يشبه الشريط الذى يجرى على طول طنف الطابق المثلث الثانى الى حد ما. وبالتالي، فالأرجح أن كلا من المئذنة الغربية والمدخل التذكاري من عمل معمار، والمئذنة الشمالية من عمل معمار آخر.

الأصول المعمارية

التخطيط

إن تخطيط جامع الحاكم يشبه بصورة عامة تخطيط جامع ابن طولون، بفارق رئيسى فى المجاز القاطع والقبتين بالركنيتين الخلفيتين. وسبق أن التقينا بهاتين السمتين بالجامع الأزهر. ولكن بدلا من الأروقة المكونة من ٢/٢/٢/٥ بائكات، نجد أن التركيب هنا هو ٢/٣/٣/٥. وعدد البائكات من اليسار الى اليمين ١٧ فى الحاليتين؛ إلا أن هناك عددا أقل من العقود فى البائكات الجانبية - أى ٩ فقط بدلا من ١٣ عقدا.

المدخل التذكارى

يعد البروز العظيم الذى يضم المدخل وحشوتين على كل من جانبيه - واحدة على كل جانب أسفل القبو وربما واحدة على كل نصف من نصفى الواجهة الخارجية - تطوراً لأول مدخل تذكارى فى تاريخ الإسلام، أى مدخل مسجد المهديّة، أول عاصمة للفاطميين (لوحة ١ ب). ويبرز الأخير بمسافة ٢,٩٨ م وعرضه ٨,٥٥ م، وهى مقاييس تتضاعف تقريباً بجامع الحاكم (٦,١٦ × ١٥,٥٠ بدلاً من ٥,٩٦ × ١٧,١٠ م).

المداخل المحورية الثلاثة

كان أول جامع يضم ثلاثة مداخل محورية هو مسجد دمشق الجامع لأنه بنى فى داخل معبد سريانى. وكان يضم أربعة مداخل محورية كان الجنوبي منها مسوراً بينما بقيت الثلاثة الأخرى للاستخدام. ومن المؤكد أن جامع قصر الحير (١١٠ هـ / ٧٢٩ م) ومسجد حران الجامع (أواخر العصر الأموي) كان كل منهما يضم ثلاثة مداخل محورية. ويليهما الجامع الأزهر إن صحت استنتاجاتي. ثم يأتى بعدهم جامع البقلّى (أواخر القرن الثالث عشر، واختفى الجامع تقريباً، إلا أن مدخلين منه لا يزالان باقين من السور المحيط به حين رأيته لأول مرة فى سنة ١٩١٧) وجامع الماردانى (٧٣٩ هـ / ١٣٣٩ م. انظر تقرير لجنة حفظ الآثار العربية لعام ١٩٠٥، لوحة ١) وجامع زين الدين ببولاقي (٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م، تقرير اللجنة ١٥-١٩١٩) وجامع أزيلك (٨٨٠ هـ / ١٤٧٥ م، تقرير اللجنة فى ١٨٩٤، وتمت إزالته فى سنة ١٨٦٩).

الشرافات

سبق أن تناولنا أصول الشرافات المدرجة والمقطوعة القاعدة فيما يتصل بسامراء (E.M.A.، ج ٢، ص ٢٤٣). ويمكن أن نضيف إلى السلسلة التى وردت به نموذجين أمويين، أحدهما من قصر الوليد الأول بالمنية على بحيرة طبرية والآخر من قصر هشام بخربة المفجر على بعد ٤ أميال شمال أريحا (Baramki, "Excavations at Khirbet el Mefjir," *Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine*, X, pp. 155-6 & Plate XXXII, 6).

الدعامات

وهى على ما يبدو نسخة مشوهة من دعامات جامع ابن طولون كما يلاحظ عامة.

وضع المآذن

بالنسبة لوضع المآذن التى أقيمت بحيث تشكل بروزات على طرفى الواجهة، مما يعد سمة لا نجدها فى أى جامع آخر بمصر، فالأرجح أنه مستمد من مسجد المهديّة الجامع حيث يعد البروزان (لوحة ١ ج، شكل ١) بمثابة الجزء السفلى من زوج من المآذن المربعة (وهو الشكل السائد بغرب العالم الإسلامى) أو كانا يدعماهما على الأقل. ولم يتبع هذا الترتيب فى مصر من بعد.

المئذنة الغربية

ليس هناك فى العالم الإسلامى سوى ست مآذن فقط أقدم زمناً من مآذن جامع الحاكم، وهى:

١. مئذنة مسجد القيروان الجامع (١٠٥-١٠٩ هـ / ٧٢٤-٧٢٨ م)؛

٢. مئذنة قصر الحير (١١٠ هـ / ٧٢٩ م)؛

٣. مئذنة مسجد سامراء الجامع (٢٣٤-٢٣٧هـ / ٨٤٨-٨٥٢م)؛
 ٤. منارة سوسة (٢١٥) (ومع أنها فنار، إلا أنها تنتمي معماريا لسلسلة مآذن شمال افريقيا ٢٤٥هـ / ٨٥٩م)؛
 ٥. مئذنة أبي دلف (٢٤٥-٢٤٧هـ / ٨٦٠-٨٦١م)؛
 ٦. المئذنة الثانية لمسجد قرطبة الجامع (٣٤٠هـ / ٩٥١م) والمحفوفة الآن داخل البرج الحالي.
- وهكذا فالمادة التي تصلح للمقارنة نادرة للغاية. على أي، قام مارسيه بنشر مئذنة مسجد صفاقس الجامع المتميزة (Manuel d'art musulman: l'architecture, I, pp. 162-5 & Fig. 91) والتي قد تكون أقدم زمنا إذا صح رأيه بإرجاعها الى عصر الصنهاجيين والى الفرع الزيرى من البربر الذين حكموا القيروان. فإن أمكن إرجاع هذه المئذنة الى الثلاثين عاما الأولى من هذه الأسرة، فهي بذلك تسبق مآذن الحاكم زمنيا.
- تتكون هذه المئذنة من ثلاث طوابق كلها مربعة. والطابق السفلى منها ضخم جدا وينقسم الى أربعة بينها حلقات أفقية بسيطة. وتشبه النوافذ نظيراتها بالمئذنة الغربية لجامع الحاكم، فهي صغيرة وضيقة ومقفلة بأعلاها بنفس الطريقة (شكل ٤٥). وعلى قمة هذا الطابق، هناك حلقة نائية؛ يليها شريط خالٍ من الزخرفة يليه إفريزان يتكون أولهما من سرر ضحلة، والثاني من نقش كوفي، وتتوج الجميع شرفة مخرومة. وفوق ذلك، نجد طابقا مربعا ثانيا أقل كثيرا فى ارتفاعه يتوجه إفريز مائل وشرفة. ويعلو كل ذلك تنور مربع بقبة مضلعة وعقد مفتوح فى كل واجهة. ويشبه شكل العقد أيضا النوافذ الموجودة بالطابق السفلى من المئذنة المعنية. صحيح أنه ليس هناك طابق مئمن، إلا أن من ينظر الى تخطيط مارسيه، يندهش للشبه الكبير بينه وبين هذه المئذنة.
- ومما يؤسف له أننا لانعلم تاريخها على وجه الدقة، ولو أنه من المحتمل أن كلا من الإفريزين الكوفيين أو أحدهما على الأقل يحتوى على تاريخ المنشئ واسمه؛ وهذه مسألة يجب بحثها بأسرع وقت. وإن ثبت أنها تسبق المئذنة الغربية لجامع الحاكم، فلا يكاد يكون هناك شك فى أن الأخيرة مستوحاة منها.

النجمة الخماسية (خاتم سليمان)

وهي عنصر يظهر مرتين على المئذنة الشمالية (لوحة ٢٦ أ، ب). وفى الدركاه الصغير على قمة الجزء الرابع من المئذنة الغربية (لوحة ٣١ ب)؛ ويظهر هنا لأول مرة فى الفن الإسلامى. فهل وظيفته سحرية أم زخرفية؟ يظهر هذا التساؤل لأن هذا الرمز استخدم بكثرة لأغراض سحرية وطلسمية. فنجد مكررا بالخطوط الوسيطة للطقوس السحرية. ويتأكد أصله اليهودى التقليدى بوجود أقدم نموذج له فى العتبة المنهارة بمعبد يهودى ينتمى الى القرن الثانى (شكل ٤٦).

وللنجمة الخماسية دلالة خير أو شر تبعا لاتجاه أطرافها طبقا للإيمان بالقوى الخفية. فإذا كان أحد أطرافها الى أعلى يكون أثرها خيرا؛ وإذا وضعت مقلوبة، أى اثنان من أطرافها الى أعلى، فهي ترمز الى الشر. ومع أن الأربع نجيمات الخماسية التى نجدها فى الدركاه الصغير بالمئذنة الغربية وضعت الى أعلى، نجد العكس فى النماذج الموجودة بالمئذنة الشمالية. ومن المعروف أن الفاطميين كانوا يولون أهمية خاصة للتنجيم والسحر، وخاصة الخليفة الحاكم. ومن الواضح أنه كان يمارس السحر، إذ دخل عليه أحد قادته -ويسمى فضل- ذات يوم على حين غرة ووجده ومعه جثة طفل كان قد اشتراها، وكان قد قطع الرقبة لتوه وكان منهما فى استخراج الكبد والأمعاء حين فوجئ بدخوله؛ فلم يتمكن القائد من إخفاء هلهه ومضى الى داره وهو على يقين من دنو أجله، لأنه عرف ما لا ينبغى له أن يعرف. ولم يلبث حتى اقتيد الى ساحة الإعدام (Lane-Poole).

تذكرنا هذه الحكاية بالسحر الأسود الذي كان يمارسه السحرة في العصور الوسطى في أوروبا. ومنه ذلك الاحتفال الذي أقيم في سنة ١٥٧٤ بغرفة شارل التاسع ملك فرنسا حين كان طريح الفراش. كان شارل يحتضر وكانت معه أمه كاترين دي ميديشي حيث ضربت عنق طفل على المذبح بعد تناوله العشاء الأخير. تم وضعت رأسه على شيء أسود فوق منضدة؛ ثم بدأت الطقوس وتلاوة الرقى والتعاويذ الى أن صدر صوت واهن ارتعد الملك شارل على أثره وظل يصرخ قائلا «ابعدوا الرأس! ابعدوا الرأس!» الى أن وافته المنية (Eliphas Levi, 395). كما اعترف جيل دي ريتز قبل قرن من الزمان عندما كان يحاكم في سنة ١٤٤٠ أنه هو وشريكه في الجريمة قتل العديد من الأطفال بنفس هذه الطريقة.

المصادر والمراجع

- | | |
|------|--|
| ١٢٧٤ | ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص ١٨٧ |
| ١٣٥٨ | مفضل بن أبي الفضائل، النهج السديد |
| ١٤١٢ | القلقشندي، ج٣، ص ٣٦٤ |
| ١٤٤١ | المقرئزي، السلوك، ط زيادة، ج١، ص ٩٤٥ |
| ١٤٩٧ | السيوطي، ص ٥١١ |
| ١٥٢٢ | ابن لباس، التاريخ، ج١، ص ٥١ |
| ١٦٢٢ | الإسحاقى، كتاب أخبار الأول (القاهرة، ١٣٠٣هـ)، ص ١٣٠. |

- 1800? LANGLOIS, painting in the Musée Langlois at Caen .
 ----- MARILHAT-- painting preserved in the Musée du Louvre .
 1811 JOMARD, in the Description de l'Égypte, Etat moderne, II, P. 668, and Planches, I, pl. 28; Panckoucke's ed., XVIII, pp. 309-10 .
 1835 WILKINSON (J. G.), Topography of Thebes, pp. 299-300 .
 1838 HAMMER _ PURGSTALL (J.), Inscription coufique de la mosquée de Hakim bi-Emrillab. Journal , 3^{me} sér., t. V, pp. 388-91, with I figure .
 1839 TAVLOR (Baron), and L. Reybaud, p. 255, with plate .
 1842 HESSEMER (F. M.), Arabische und alt-italienische Bau-Verzierungen, I, P. 39 and Taf. 14 and 31 .
 1844 WILKINSON (Sir Cardner), Modern Egypt and Thebes, I, pp. 231-2 and 233-4 .
 1848 MARCEL (J. J.), Egypte, I, pl. 7.
 1849 RORERTS (David), Egypt & Nubia, III, 1st plate (nerthern minaret) .
 1851 POOLE (Mrs. S.), The Englishwoman in Egypt, I, pp. 164-5 .
 1852 DU CAMP (Maxime), Egypte, pl. 4 .
 ----- PATTERSON (J. L.), Journal of a Tour in Egypt, p. 175 .
 1857 LAORTY, L'Egypte, PP. 242-3 .
 1860 FRITH (F.), Cairo, Sinai, Jerusalem, 15th and 22nd plates and rekative text .
 1861 WILKINSON (Sir Cardner), on Saracenic Architecture. Papers read at the R. I. B. A., XI, p. 224 .
 1862? FRITH (F.), Lower Egypt, Thebes, and the Pyamids, 5th plate and teltative text.
 1863 COUFFON (A. de), Les Mosquées du Caire. Reuve Contemporaine, XXXV, P. 590 .
 ----- PATON (A. A.), A History of the Rgyptian Revolution, II, P. 329 .
 ----- SEPP (B.), Jerusalem und das heilige Land, II, P. 624 ; 2^{le} Aufl., II, p. 725.
 1869 MEHREN (A. F.), Tableau général des monuments religieux du Caire . Mélanges Asiatiques, VI, pp. 297-8.
 1970 CRACE (J. D.), Arabic Architecture in l'gypt and Spain. Sssional Papers of the R. J. B. A., XX, p. 72 and Figs. 1 and 2.
 ----- MEIIREN (A. F.), Câhirah og Kerâfat, II, p. 2.
 1871 CASTELLAZZI (G.), Ricordi di architettura orientale, tav. I and relative text.
 1872 LENOIR (Paul), Le Fayoum, le Sinai et Pétra, pp. 168-9.
 1873 BOURGOIN (Jules), Les Arts arabes, pls. 81-2 and 86-7.
 1875 COUSINIER, Drawing reroduced by Rhoné, q. U., P. 359 .
 1877 HUGONNET (L.), L'Architecture arabe du Caire. L'Art, VII. PP. 229-30 .
 ----- PRISSE D'AVENNES, L'Art arabe, Texte, pp. 98-9 .
 1878 ISAMBERT (Emile), Itinéraire ... de l'Orient, deuxième partie, 2^{me} éd, pp. 321-2 .
 1880 ROCERS (E. T.)and Miss E. ROGERS, The Mosques of Cairo. The Art Journal New Series, XIX, P. 77.
 1881 SCHEFER (C.), Nassiri Khosrau, p. 135n .
 1882 RHONÉ (Arthur) in the G. B. A., 2^{me}, t. XXV, p. 67 .
 1883 FOURNEL (Victor), Au Pays du Soleil, p. 446 .
 ----- Hugonnet (Léon). En Egypte, pp. 226 - 7.
 ----- VAUJANY (H, de), Caire, pp. 166 - 71 .
 1884 LANE_POOLE (Stanley), Social Life in Egypt, pp. 96-8 and illus. on p. 90 .
 1887 BÉCHARD (E.), and PALMIERI, L'Égypte et la Nubie, pl. XII .
 1887-8 'ALI PASHA MUBARAK, al-Khital al Gadidida, II, P. 66, 11. 7-19 and IV, p. 79, 1. 33-p. 81, 1. 7 .
 1889 RAVAISSE (Paul), Essai. M. M. A. F. C., III, p. 104 .
 1891 BERCHEM (Max Van), Notes d'archéologie arabe. Journal Asiatique, 8^{me} dér., t. XVII, pp. 429-42 and plate.
 1893 GAYET (Al.), L'Art arabe, pp. 76 and 129, and figs. 19-20 and 37-8.
 ----- LANE-POOLE (Stanley), Cairo : : Sktches of uts History, Monuments, and Social Life, pp. 48-50, with Illus .
 1894 BERCHEM (Max van), Corpus Inscriptionum Arabicarum.
 ----- ÉGYPTTE, I, pp. 50-54 and 629-30, and pls XII, XVI, and XX .
 1805 GIROFF (Florence), Guide du Caire et environs, pp. 40-41 .

- I IERZ (Max). Catalogue ... Musée nationale de l'Art arabe, pp. ii-v and xxiii-xxix; 2^{me} éd. (1906), pp. viii-ix and xxxiv - xxxvi .
- 1896 LANE (E. W.), Cairo Fifty Years Ago, pp. 86-7.
- 1898 Doyas (G. C.), Souvenir of Egypt, Plate 26 .
- REVNOLDS - BALL (E. A.), The City of the Caliphs, p. 147 .
- 1899 WORSFORD (W. B.), The Redemption of Egypt, pp. 117 - 18, with 1 illus.
- 1902 Comité de Couseroation, Exercice 1902, p. 44 ; 1996, pp. 98 and 101-2 ; 1907, pp. 90-91 .
- GURLITT (C.), Geschichte der Kunst, p. 385 .
- LANE-POOLE (S.), The of Cairo, pp. 137-9
- 1903 FRANZ (Julius), Kairo, pp. 26-9, with 2 illus.
- 1904 STRZYCOWSKI (J.), Mschatta Jahrbuch der kgl. Preussischen Kuhnslsimmlugeu, XXV, p. 333 and Abb. 100 .
- 1907 MARCOLIOUTII (D. S.), Cairo, Jerusalem & Damascus, pp. 46-7 .
- SALADIN (II.), Nanuel d'Art musulman, I. - L'Architecturc, pp. 97-9 and 120-21, and figs. 55-6 and 77.
- 1908 Comité de Cousersntion , Exerrice 1907, pp. 133-4 and pls. II-III; 1910, p. 35; 1911, pp. 16 and 43 .
- 1909 FACO (Vincenzo), Araba, pp. 93-5 and tav. XI.,
- STRZYGOWSKI (J.), in the Neuc Jahrbilcher für das klassische Alterum, XXIII, pp. 358-9 and Abb.6-7 .
- TUIERSCII (H.), Pharos, Antike, Islam und Occident, pp. 113 - 16 and Abb. 112 .
- 1910 RUONÉ (Arthur), L'Égypte à petites journées (2^{me} éd.), pp. 356 - 60, with illus.
- STRZYCOWSKI (L.), in van BERCIEN and STRZYCOWSKI, Amidd, pp. 206-7 and Abb. 126 .
- 1911 STADEN (Douglas), Oriental Cairo, pp. 175-6 .
- 1912 FLURY (S.), Die Ornamente der Hakim- und Asharmoschec, PP. 9-26 and 43-50, Abb. 1-5, and Taf. I-VII and XIX-XXXIV .
- 1913 RICHMOND (E. T.), The Significance of Cairo. J. R. A. S., 1913, p. 32 .
- 1914 RIVOIRA (G. T.), Architettura musulmana, pp.160-80 and figs. 134-7 ; English transl., pp. i58-77 .
- 1915 DIEZ (Ernst), Die Kunst er islamischen Völker, pp. 45 , 55 - 6 and Abb. 72 - 6 .
- 1916 BERCHEN (Max van), in the Cunité de Couseruntion , C. R. de L'Exervirc, 1911, pp. 93 - 4 .
- 1917 DEVONSHIRE (Mes, R. L.) Rambles in Cairo, pp. 18 - 20; 2nd ed., pp. 15-17 and pl. X.
- 1919 GRESWELL (K. A. C.), Brief Chronology . B. I. F. A. O., XVI, pp. 51 - 2 .
- 1920 WOERMAXN (K.), Geschichte der Kunst (2^{ie} Aufl.), II, pp. 391-2 .
- 1923 CRESWELL (K. A. C.), The Grent Salients of the Mosque of al-Hakim J. R. A. S., 1923-84, Plates VII-XI and bigs, 1-2 .
- TARCHI (Ugo), UArchitettura e l'arte musulmana, in Egitto, p. 9 and tav. 29-30 .
- 1924 BRIGGS (M. S.), Muhammadan Architecture in Egypt and Palestine pp. 69-71 and I.igs. 29 - 31 .
- 1925 DEVONSHIRE (Mrs. R. I.), Quatre-vingts Mosquées, pp. 11 - 21 and pl. VII .
- GLÜCK (H.), and E. DIEZ., Die Kunst des Islam, pp. 28 - 9, 534-5, Abb. 10 and Tef. 155-6.
- QULRELL (A. A.), A Wayfarer in Egypt, pp. 85 - 6 .
- 1926 DEVONSHURE (Mrs. R. L.), L'Égypte musulmane, p. 37 and pl. VI .
- RICHMOND (E. T.), Moslem Architecture, pp. 93-6 and Fig. 23 .
- 1929 DUE (E.), art Manara, in the Encyclopaedia of Islam, III, p. 229, with illus .
- MONTUE (Gustal), Islams Konst, pp. 70 - 71, with 1 illus.
- WIET (G.), Corpus Inscriptionum : Arabicarum - Égypte, II, pp. 125-9 .
- 1931 GROUSSET (R.), The Civilizations of the East, pp. 217-18 .
- 1932 PAUTY (E.), La défense du l'ancienne vills du Caire. B. I. F. A. O., XXXI, pp. 152-3 and pl. 1 .
- 1932 HAUTECOFUR (L.), and G. Wiet, les Mosquées du Caire, pp. 134, 137, 159 and 220 - 26, and pls. 16-23 .
- PAUTY (E.), L'Evolution du dispositif n T dans les mosquées à portiques. Bulletin d'Émdes orientales, II, pp. 91-3, 110-12, fig. 12 and pls. XXIII-XXV.
- 1935 MARCAIS (Georges), Les Échanges artistiques entre l'Égypte et les pays musulmans occidentaux. Hespér- it, XIX, pp. 97, 100-101, 104-6 and figs. 1 and 9.
- WIET (G.), Répertoire chronologique d'Épigraphie arabe, VI, pp. 44-7, and XIII, PP. 242 and 271 .
- 1936 LAMM (C. J.), Fatimid Woodwork, its style and CI logy. B. I. E., XVIII, P. 68 .
- PAUTY (E.), in the Comité de Conseruation, Exercice , 1932, pp. 125 - 7 .
- 1939 MAIIMÜD AHMAD, Concise Guide to the principal, Monuments in Cairo, pp. 59-62 and Figs. 9-10 .
- 1942 MUNAMMAD AND AL-AZIZ, Masagid al-Qahira qa al-Mamalik, pp. 67-81, with 4 figs. and 4 plates .
- 1947 MARÇAIS (Georges), L'Art de l'Islam. pp. 70-71, 8 84, and pl. XXII .

الفصل السادس

النصف الأول من القرن الحادى عشر [ق ٥هـ]

جامع المقس

رواية المقرئى

من المعروف أن جامع المقس بنى بأمر من الحاكم فى سنة ٣٩٣هـ (١٠٠٢م). وفيما يلى ما ورد لدى المقرئى بشأن هذا الجامع:

«هذا الجامع أنشأه الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل بالمقس لأن المقس كان خطة كبيرة وهى بلد قديم من قبل الفتح كما تقدم ذكر ذلك فى هذا الكتاب [أى كتاب الخطط للمقرئى] وقال فى الكتاب الذى تضمن وقف الحاكم بأمر الله الأماكن بمصر على الجوامع كما ذكر فى خبر الأزهر مانعه ويكون جميع ما بقى مما تصدق به على هذه المواضع يصرف فى جميع ما يحتاج إليه فى جامع المقس المذكور من عمارته ومن ثمن الحصر العبدانية والمظفورة وثمانى أمدود للبخور وغيره على ما شرح من الوظائف فى الذى تقدم وكان لهذا الجامع نخل كثير فى الدولة الفاطمية ويركب الخليفة الى منظره كانت بجانبه عند عرض الأسطول فيجلس بها لمشاهدة ذلك كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب عند ذكر المناظر وفى سنة سبع وثمانين وخمسمائة انشقت زريبة من هذا الجامع فى شهر رمضان لكثرة زيادة ماء النيل وخيف على الجامع السقوط فأمر بعمارته. ولما بنى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب هذا السور الذى على القاهرة وأراد أن يوصله بسور مصر من خارج باب البحر الى الكوم الأحمر حيث منشأة المهرانى اليوم وكان المتولى لعمارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى أنشأ بجوار جامع المقس برجاً كبيراً عرف بقلعة المقس فى مكان المنظره التى كانت للخلفاء» (ج ٢، ص ٢٨٣)؛ وفى سنة ٧٧٠هـ (١٣٦٨-١٣٦٩م) قام صاحب شمس الدين المقسى وزير الأشرف شعبان بن حسين بهدم هذا البرج وأدخله فى حقوق الجامع المذكور [أى جامع المقس] حين جدد بناءه. (القلقشندي، صبح، ج ٣، ص ٣٥٠).

«فلما أمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بإدارة السور على مصر والقاهرة تولى ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش، وجعل نهايته التى نلى القاهرة عند المقسم، وبنى برجاً مشرقاً على النيل وبنى مسجداً جامعاً واتصلت العمارة منه إلى البلد وجامعه تقام فيه الجمعة والجماعات» (المقرئى، الخطط، ج ٣، ص ٤١٠).

أهميته الطبوغرافية

إن قول ابن إياس بأن ابن الشيخ محمد بن عنان عاش فيه وإشارة الجبرتي الى أن «جامع المقس الذى يعرف اليوم بأولاد عنان على الخليج الناصري فى باب البحر» تمت إزالته فى سنة ١٢١٣ (١٧٩٨م) يكفى لإثبات أن جامع أولاد عنان الحديث بشارع نوبار يحتل موقعه (٢١٦)، وبالتالي فمع أننا ليست بين أيدينا معلومات معمارية عنه، إلا أنه يتميز بأهمية طبوغرافية خاصة إذ يمكننا من تحديد موضع أحد أطراف سور صلاح الدين [أى نهايته من هذه الجهة].

أضرحة السبع بنات (٢١٧) (٤٠٠هـ/١٠١٠م)

الوصف

فى المنطقة الخالية التى تقع جنوب أطلال القسوط هناك أربعة أضرحة صغيرة جميعها فقدت قبابها

وبعضها فقد جدرانها السفلية كذلك (الشكلان ٤٧، ٤٨، لوحة ٣٤ وسقط ركن فى كل حالة منها فيما عدا الثالث. إلا أن الأول كان سليما قبل أربعين عاما كما نرى فى الصورة الطبوغرافية التى رسمتها اللجنة فى سنة ١٩١٢. وتم ترميم الأركان منذ ذلك الحين) والأضرحة الثلاثة الأولى على خط واحد تقريبا، وهو خط يجرى من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى. أقيم الضريح الأول الى أقصى الغرب على بعد أمتار قليلة الى الجنوب. ويبعد الرابع بمسافة ١٢,٢٧ م عن الثالث؛ ويبعد الثالث بمسافة ٢٠,١٥ م عن الثانى؛ ويبعد الثانى عن الأول بمسافة ١٣,٩٥ م. وهى جميعا متشابهة فى تصميمها. كما تكاد الأضرحة الأول والثالث والرابع أن تتطابق من حيث الحجم بمتوسط ٦,٤٠ م^٢ من الخارج، و٤,٢٧ م من الداخل. أما الثانى فهو أكبر من الآخرين ويضم محرابين صغيرين. وتتكون جميعها من ثلاثة طوابق، طابق سفلى مربع بعقد مفتوح فى وسط كل واجهة، ومنطقة انتقالية بينها نافذة فى وسط كل واجهة، ورقبة مشعنة بها نافذة فى وسط كل واجهة. ويتراجع كل من الطابقين العلويين من الخارج، وهو تأثير ناتج عن نقص تصاعدى فى سمك الجدران. ونفصل بين هذه الطوابق من الداخل والخارج حليات مستطيلة صغيرة. وفيما يلى أبعادها الرئيسية:

الأول	الثانى	الثالث	الرابع	
٦,٤٣	٧,١٠	٦,٤٤	٦,٣٠	القاعدة من الخارج
٤,٢٩	٤,٨٤	٤,٢٩	٤,٢٤	القاعدة من الداخل
٣,٨٠	٤,٥٠	٣,٧٠	٣,٥٥	ارتفاع الطابق الأول X
١,٦٣	١,٩٥	١,٧٩	١,٧٧	ارتفاع الطابق الثانى
-	١,٦٤	١,٦٦	١,٥٧	ارتفاع الطابق الثالث
٠,٣٣	٠,٣١	٠,٤٩	٠,٤٦	تراجع الطابق الثانى
٠,٣٢	٠,٣٤	٠,١٦	٠,٢٠	تراجع الطابق الثالث

X من مستوى الأرضية الحالى

تتكون مادة بناء الطابق السفلى من حجر التلانات أو كتل مكسوة بطريقة غير مستوية وصغيرة الحجم من أحجار المقطم الجيرية وتشبه الكتل الموجودة بأسوار جامع الحاكم وخضرة الشريفة وجامع الجيوشي. وحجم البناء كما يلى:

الأول : ٥,٧٥ مدماك بكل متر ٣٤ - ٣٩ × ١٣ - ١٨ سم

الثانى : ٦,٥٠ مدماك بكل متر ٣٢ - ٤١ × ١٥ - ١٨ سم

الثالث : ٦,٠٠ مدماك بكل متر ٣٣ - ٤٢ × ١٧ - ٢٠ سم

الرابع : ٦,٥٠ مدماك بكل متر ٣٠ - ٤٢ × ١٥ - ٢٤ سم

وتأكلت بعض الترقيعات الضخمة فى بعض المواضع وقامت اللجنة بترميمها (وفى حالة الضريح الثانى، تمت الاستعانة بمزيج من الآجر والحجارة). وفى الطابق السفلى، يتوسط كل جانب منه فتحة ذات عقد مدبب من النوع ذى المراكز الأربعة. وتتكون صنجات عقود الأول والثالث من لبنات وأحجار مجانبية تبادليا، وتتكون فى كل من الثانى والرابع من أحجار مجانبية فقط (وعمق الصنجات ٢٧، ٤٠، ٣٥، ٤٠ سم على التوالي). وهناك حلية مستطيلة تجرى دائريا فى الداخل والخارج فوق تيجان هذه العقود مباشرة. وتتكون الحلية

فى الأول من لبنات بارزة من الآجر وضعت مسطحة وغطيت بطبقة سميكة من الملاط. ويبدو أن ذلك ينطبق كذلك على الرابع، إلا أنه عانى أضرارا بالغة وتم ترميمه. وفى الثانى، تتكون نفس الحلية من الملاط فقط، ولعل ذلك من عمل اللجنة.

تأتى المنطقة الانتقالية فوق ذلك مباشرة. ويقل من الداخل ليصبح مشمنا بأربع حنايا ركنية بين كل منها والأخرى نافذة معقودة مدببة بنفس الحجم والتخطيط الخاص بالحنايا (لوحة ٣٤). وتراجع عقود كل من الحنايا والنوافذ الى الوراء وترتكز على الحلية المستطيلة التى تحدثنا عنها لتونا. إلا أن الشكل المربع خارجيا تم الاحتفاظ به، أما واجهاته الأربع فتراجع الى الوراء لأن الجدران أقل سمكا هنا.

بنى هذا الطابق والرقبة المشمنة التى تعلوه من الطوب الأحمر الداكن الصغير الحجم. وتتألف عقود النوافذ من لبنات وأحجار مجانية تبادليا بحلقة من الآجر ككسوة وضعت مسطحة فيما عدا فى الثالث حيث نجد أحجارا مجانية فقط، والثانى حيث لا نجد حلقة كاسية. وهناك حلية مستطيلة من اللبنة الآجرية المكسوة بالملاط تجرى حول قمة هذا الطابق من الداخل والخارج.

وتقوم المنطقة الانتقالية بدعم رقبة مشمنة ذات حلية مستطيلة على القمة ونافذة فى مركز كل واجهة. وتتميز هذه النوافذ بالشكل الغريب لعقودها (لوحة ٣٤هـ)، وتم ترميم النوافذ فى الثالث والرابع، أما ما بقى منها فى الثانى فهو سليم. واختفت الرقبة فى الأول تماما؛ وهى تشبه من هذه الناحية نظيراتها بمنشأة صغيرة بنيت بعد قرن تقريبا بمدافن أسوان (لوحة ٧٨). ومما يؤسف له أن القبة التى تتركز على هذه الرقبة المشمنة دمرت تماما فى كل حالة. ويحتفظ كل ضريح ببقايا مهمة من الجص الذى يكسو الجزء الداخلى والى درجة أقل على الجزء الخارجى من الطوابق الثلاثة جميعا.

كل ضريح يقع فى حوش

ظهر فى عام ١٩٤٤ اكتشاف مهم، حيث قررت اللجنة القيام بعمليات تنقيب للبحث عن أية بقايا من الأضرحة الثلاثة. ويكسو سطح الصخرة هنا حوالى نصف المتر من الحصى وبقايا الحجارة. وسرعان ما كشف التنقيب عن القواعد المربعة لضريحين آخرين، مما أدى الى مد الصف باتجاه شمال شرق على نفس الخط تقريبا؛ إلا أن أعمال الحفر على كلا الطرفين فشلت فى كشف أى أثر للسابع.

وتم اكتشاف آخر غير متوقع، حيث وجد أن كل ضريح يقوم فى حوش خاص به عبارة عن مساحة مربعة تشبه الضريح بمدخل فى وسط الجانب الشمالى الغربى (شكل ٤٨). وتم العثور على الأسكفات سليمة والجدران - التى تتفاوت فى سمكها من ٧٣ سم الى ١ م ولا تزال تحتفظ بغطاء من الجص - قائمة الى ارتفاع ٥٠ سم تقريبا وتتساوى حوافها العليا تقريبا فى مستواها مع المستوى الحالى للأرضية. وتتباعد الأضرحة الأربعة التى لا تزال قائمة بمسافات قليلة فيما بينها (تتفاوت الأبعاد من ١٠,٨٠ الى ٢٠,١٥ سم). ولكن بإضافة أحواشها، يصبح الفاصل بينها ٤ م فيما عدا فى حالتى الثانى والثالث حيث تبلغ المسافة ١٠,٦٠ م.

تاريخ بناء الأضرحة

هذه الأضرحة الأربعة التى كان عددها فى الأصل سبعة كما يتضح من اسمها كانت تعرف باسم «القباب السبع» بآخر القرافة الكبرى كما يذكر المقرئى (ج٢، ص ٤٥٩) الذى يستشهد بابن سعيد المغربى فى قوله أنها مشاهد سبعة أشخاص من أسرة المغربى (انظر المقرئى، ج١، ص ١٥٧-١٥٨) قتلوا بأمر من

ال خليفة الحاكم أخذا بالشار بعد فرار الوزير أبى القاسم الحسين ابن على المغربى الى مكة (وكان وزيرا لنصر الدولة أبى النصر أحمد الحاكم المروانى الى ميفارقين فى سنة ٤١١هـ). ووقعت هذه المذبحة حسب رواية ابن خلكان فى سنة ٤٠٠هـ (١٠١٠م، ج١، ص ٢٢١). لذا، نعتقد أن هذه الأضرحة تنتمى لعام ٤٠٠هـ (٢١٨) (١٠١٠م).

الأصول المعمارية

كان مجرد كوم من الحجارة كافيا للإشارة الى موقع مدفن فى الجزيرة العربية قبل الهجرة (٢١٩). واستمر ذلك فى الفترة الأولى من ظهور الإسلام، وحتى قبر فاطمة بنت محمد كان مجهولا (Lammens, 119, *Fatima et les filles de Mahomet*). ثم تحول الأمر الى سنة، حيث تنص الأحاديث النبوية الأولى على أن النبى نفسه كان يحظر إقامة أى بناء فوق القبور (٢٢٠) (أحمد بن حنبل، المسند، القاهرة، ١٣١٣هـ، ج٣، ص ٣٣٩). من هنا جاء هدم الوهابيين لعدد من المقابر والأضرحة بالمدينة [بالبقيع] فى سنة ١٨٠٣م وقيام ابن سعود بهدم ما يقرب من ٢٥ ضريحاً أقيمت بدلا منها.

ولإثبات صحة هذه الأحاديث، لانتاج إلا للاستشهاد بالنقش الموجود على قبر ذى النون المصرى مؤسس التصوف فى مصر والذي توفى فى سنة ٢٤٥هـ (٨٥٩م) ودفن بالقاهرة بجبانة سيدى عقبة جنوب شرق ضريح الإمام الشافعى. ويحتوى النقش على مايلي: «طلب بمحض إرادته الصادقة ألا يقيم أحد شاهدا على قبره ولا ينشئ قبة عليه» (Massignon, "Seconde note sur l'état d'avancement des études archeologique (Arabe en Égypte," B.I.F.A.O., IX, 91-4).

أما الخلفاء العباسيون الأوائل، فلم يشاءوا أن يستدل على مكان قبورهم (٢٢١). فعندما توفى المنصور مثلاً، تم حفر مايزيد على مئة قبر للتمويه (ابن الأثير، ج٤، ص ١٣). وحدث أول انتهاك لهذه السنة التى تقضى بعدم إقامة أبنية فوق الأضرحة فى أواسط القرن الثالث الهجرى (٢٢٢)، إذ يقال ان الخليفة المنتصر حين توفى فى ربيع الثانى ٢٤٨هـ (٨٦٢م)، حصلت أمه اليونانية (زوجة الخليفة المتوكل) على إذن باقامة ضريح له يعرف «بقبة الصليبية» (الطبرى، ج٣، ص ١٤٩٨). ويتكون من غرفة مربعة (مثمنة من الخارج) تغطيها قبة على مقرنسات، ويحيط بها رواق مسقوف مثنى الشكل. وهناك باب فى وسط كل جانب من جوانب الغرفة المربعة والرواق المثنى. ولا تحتوى هذه الأبواب حالياً على أية أطر للمداخل، مما يجعلنا نستنتج أنها لم تكن مغلقة بأبواب. أى أن الضريح كان مفتوحاً على الدوام للشمس والرياح والمطر. فكان قبراً كانوياً فى حقيقة الأمر. وما أن بدأت مخالفة الأحاديث النبوية، حتى استمرأها الناس؛ فتم دفن الخليفتين التالين المعتر والمهتدى تحت أرضية نفس هذا الضريح (الطبرى، ج٣، ص ١٤٩٨).

والضريح الثانى من الناحية التاريخية هو ضريح اسماعيل السامانى ببخارى (توفى ٢٩٥هـ/٩٠٧م)، وهو مكعب مغطى بقبة وبه باب فى كل واجهة. وهو بلا أطر للمداخل أيضاً، مما يدل فرضاً على أنه كان مفتوحاً دائماً، أى أنه كان قبراً كانوياً أيضاً.

وفى نفس هذا التاريخ تقريباً، نعلم أن أبا الهيجاء عبدالله الحمدانى الذى توفى فى سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) بنى قبة كبيرة على أربعة جوانب ولها باب فى كل جانب (أى أنه مجرد مكعب له قبة ومفتوح الجوانب) وقبة أخرى ذات أربعة جوانب مفتوحة فوق قبر الإمام على بالنجف (ابن حوقل، ص ١٦٣). وتلى ذلك القبة التى بنيت فى قم فى سنة ٣٦٦هـ (٩٧٦م) فوق قبر محمد بن موسى الذى توفى فى ٢٢ ربيع الأول ٢٩٦هـ (١٩ ديسمبر ٩٠٨م). ثم أعقب ذلك بناء أربعة قبور كانوية صغيرة جنوب الفسطاط وسبق وصفها.

ولكن من أين جاء هذا النوع «الكانوبي» (٢٢٣) من الأضرحة؟ نبدأ أولاً بتقديم صورة موجزة عن مختلف أنماط الأضرحة المعروفة في الشرق قبل الإسلام بما فيها تلك المنحوتة في الصخر.

مع أن القبة هي الغطاء السائد للأضرحة في العالم الإسلامي، إلا أنها لم تكن القاعدة السائدة في الشرق القديم - في مصر مثلاً - حيث كانت المصطبة والهرم هي الأشكال المعمارية السائدة. وفي بلاد فارس، هناك ثلاثة أضرحة معروفة، هي قبر قورش في بزارجاد والقبر البرجي المسمى قبر زردشت في نقش رستم. والثالث مماثل له في بزارجاد ولكنه في حالة سيئة للغاية. ويتكون الأول (قبر قورش) من حجرة صغيرة بنيت من كتل ضخمة من الحجر على قمة قاعدة مدرجة ويعلوه سقف جمالوني من الحجر. ويقوم في فناء تحيط به صفوف من الأعمدة لم يبق منها سوى عمود أو اثنان. وفي الشام وفلسطين وما وراء نهر الأردن - عدا المقابر المنحوتة في الصخر - نجد ستة أنواع من الأضرحة على النحو التالي:

١. آثار ثنائية الأعمدة وفيها يعلو القبر عمودان يربط بينهما سطح قائم على أعمدة. ولم يدم هذا النمط إلى ما بعد القرن الثاني الميلادي؛

٢. المقابر البرجية وتشتهر بصورة خاصة في بالميره [تدمر] حيث نجد برجاً من عدة طوابق ومزخرف بالنمط الكلاسيكي يعلو مدفنًا تحت الأرض (انظر Wood, Robert, *The Ruins of Palmyra*, 49-50). وهناك أيضاً مقابر برجية مستديرة اثنان منها في بصرى.

٣. قاعدة مربعة مكعبة الشكل تحتوي في الغالب على غرفة دفن وضع عليها ناووسان في العراء (وأمثلتها في الجوانية وتلتيته وكفر مارس وخربة فارس). يقول بتلر: «عادة ما تحتوي مدافن ناووس جبل ربيعة المرتفعة غرفة دفن داخل القاعدة أسفل الناووس... وتضم غرفة الدفن عقوداً زخرفية على ثلاثة من جوانبها، ويحتوي الجانب الرابع على مدخل باب» (Butler, *Architecture*, 108)؛

٤. مقابر كانوبية ومبلى شرحها فيما بعد؛

٥. غرفة مكعبة يعلوها هرم مدرج (وأمثلتها في ربيعة وتلتيته والبارة ومعرانة) وفي حالات نادرة تعلوها قبة؛

٦. أضرحة على شكل معبد صغير (وأمثلتها في خربة حاس وسرجيلة ورويح).

المقابر الكانوبية

نعود الآن إلى المقابر الكانوبية. يقول بتلر: «هناك ثلاثة أنواع من المقابر الكانوبية، ١. نوع محمول على أعمدة وعوارض؛ ٢. نوع يرتكز على عقود؛ ٣. المزج بين المقبرة الكانوبية والناووس المرتفعة من النوع الكلاسيكي الذي أشرنا إليه في رقم (٣) منذ قليل (Butler, 108). ومن النماذج الرائعة للنمط الأول ما نجده في دانا؛ ويتكون من قاعدة مربعة على أركانها أربعة أعمدة تحمل سقفًا هرميًا منخفضًا. وينسب بتلر تاريخها إلى القرن الثالث الميلادي (Butler, 73-74). وهناك نموذج رائع آخر قام بنشره كومونت ويقع بالقرب من قرية أسر (Études Syriennes, p. 210، الشكلان ٧٨، ٧٩) بالمنطقة التي تقع إلى الشمال من Araban chai قبل أن تسقط في الفرات فوق «روم قلعه» (وكانت هذه المنطقة جزءاً من كوماجين القديمة، ويمكن الوصول إليها من حلب عن طريق عين تاب ومرعش). وهناك منصة عالية مجوفة بأربع دعائم ركنية مزخرفة بأزواج من الأعمدة المستطيلة الكورنثية. وترتكز على هذه الدعائم عوارض تحمل سقفًا هرميًا مجوفًا إطاره الخارجي مقوس ومقعر (شكل ٤٩). وهناك قريتان هما حسن أوغلو (Alif) بنفس المنطقة وبهما نماذج رائعة من النمطين ٢ و ٣.

ويتكون ضريح حسن أوغلو (شكل ٥٠) من أربعة عقود مفتوحة تتركز على منصة مربعة ارتفاعها ٢,٥٠ م تقريباً بطنف بارز. وبنيت كل عقد من عمود مستطيل مضلع يتاج كورنثي. وهناك أعمدة مستطيلة أطول في الأركان الخارجية تحمل السطح الذي يعلو العقد (Cumont, p. 204). واختفى السقف الذي كانت تحمله هذه العقود الأربعة. ولكن يفترض أنه كان هرمياً أجوف كما هو الحال في الأضرحة الموجودة في أسر و (Alif). وكانت المنصة الجوفاء العالية تحتوى على غرفة للنواويس. وضريح Alif شبيه بذلك بيد أننا هنا لا نجد سوى ثلاثة جوانب مفتوحة، والرابع مغلق بجدار به باب صغير (Cumont, p. 208). وتحمل العقود والسطح أعمدة كورنثية مستطيلة؛ والصف السفلى من السطح فقط هو الذى لا يزال قائماً في مكانه، إلا أن هناك بقايا محفورة بشاء متناثرة على الأرض. ولحسن الطالع أن السقف ظل سليماً في جزء منه - وهو قبو متقاطع - وكان بلاشك يحمل سقفاً هرمياً أجوف. والأرجح أن هذين الضريحين ينتميان إلى نفس الفترة بحكم تشابه حليتهما وتاجيهما. ومما يؤسف له أن أياً منهما لا يحمل تاريخاً، إلا أن هناك سمات نقش يوناني لاتزال محفوظة جزئياً على الأول، مما حدى بكومونت إلى افتراض أنه يرجع إلى أوائل القرن الثانى الميلادى (Cumont, p. 204).

وهناك ضريح آخر شبيه في نمطه بالضريحين اللذين سبق وصفهما في براد بجبل سمعان على بعد ٢٥ ميلاً تقريباً شمال غرب حلب، ومساحته ٦م^٢ تقريباً، ويتكون من نفس العناصر التى يتكون منها ضريح حسن أوغلو وضريح Alif فيما يبد أنه يفتقر إلى الأعمدة الكورنثية والسطح القائم على أعمدة. ودعاماته الركنية منخفضة للغاية. وتحمل العقود الأربعة سقفاً هرمياً أجوف لحجر تاجى متناغم. وبداخل المنصة المرتفعة، نجد غرفة بها فجوتين معقودتين (شكل ٥١). ويعتقد بتلر أن النواويس الكبيرين الراقدين على الأرض حالياً كانا فى الأصل موضوعين تحت الظلة. ويعتقد كومونت أيضاً أن هناك ناووساً كان موضوعاً على منصة الضريح القائم فى ألف ويقول: «ليس من المستغرب أن نجد بالشام نواويس مكشوفة فى العراء أو تحت ظلة بسيطة من الحجر بدلاً من أن تكون مغلقة فى قبو. وتحفظها متانة جوانبها وثقل أغطيتها من التدنيس» (Cumont, p. 209). ويذكر الضريحين الغربيين فى كوكنايا (de Vogüé, *Syrie centrale*, p. 119) حيث وضع ناووسان جنباً إلى جنب تحت سقف هرمى أجوف من الحجر يتركز على ثمانى دعامات متماثلة تحمل جزءاً مستطيلاً (شكل ٥٢). وتتضمن إحدى هاتين المقبرتين الكانوبيتين تاريخاً يوازى سنة ٣٨٤م.

وهناك مقبرة تماثل مقبرة براد بالجوانية، وعليها تاريخ يوازى عام ٣٩٨م (Butler, p. 109). وهناك نموذجان فاطميان آخران لنموذج السبع بنات (بأرقام ١٧ و ٢٣ لدى مونريه *La Necropoli musulmana di Aswan* Fig. 5). ونجدهما بجبانة أسوان المتميزة (انظر اللوحتان ٤٠ أ، ب). وهناك ضريحان آخران بالقاهرة من القرنين الرابع عشر والخامس عشر: ضريح الأمير تنكزيف (٢٢٤) (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) بالجبانة الشمالية [منشئة ناصر شرق القاهرة] عند سفح المقطم (Mehren, *Calirah og Kerafat*, I, p. 65) وضريح (لم ينشر) فى حوش الأسرة، وينتمى إلى ضريح السلطان برسباي. وبنى الأخير فى سنة ٨٣٥هـ (١٤٣٢م) (٢٢٥).

وأعتقد أن نمط السقيفة [المظلة] اتبع فى الأضرحة الأولى للتوفيق بين مقتضيات الأحاديث النبوية وبين الرغبة فى بناء مقابر تذكارية. وربما كان هناك إحساس بأن الضريح تحت ظلة مفتوحة تحت الشمس والريح والمطر لا يخالف الأحاديث النبوية لدرجة كبيرة. كما أن المقابر الكانوبية كانت موجودة بالفعل بالشام فى العصر الهيلنستي. ومسألة بناء والده أحد الخلفاء، وهى يونانية، لأول ضريح فى العالم الإسلامى تمثل حلقة

الوصل بين الأضرحة الهيلنستية والعالم الإسلامي (٢٢٦).

ولكن سرعان ما برزت الحاجة الى وجود محراب. وفي أحد أضرحة السبع بنات، نجد محرابا صغيرا جدا (لوحة ٣٤) محشورا على كل من جانبي العقد القبلي. ولم يكن ذلك كافيا. وكانت الخطوة التالية اغلاق جانب القبلة لتوفير مساحة للمحراب كانت الأضرحة السابقة تفتقر اليها. ولدينا نموذج على هذا النمط بالقاهرة فى ضريح محمد الحصواتي، وسبعة نماذج بأسوان (بأرقام ١٠، ١٢، ٢٠، ٢٣، ٤٢، ٤٧، ٥٠ لدى مونيريه). وكانت الخطوة التالية والأخيرة تتمثل فى اغلاق الجوانب الأربعة جميعا مع ترك مدخل واحد فقط تجاه المحراب.

مسجد لؤلؤة (٢٢٧) (٤٠٦ هـ / ١٠١٥ - ١٠١٦ م)

وصف المسجد

إن الجزء المتبقى حاليا من بناء يعرف بقبر لؤلؤة بنت المقوقس لا يقل تميزا عن اسمه الذى يحتفظ بذكرى غامضة للمقوقس زعيم القبط الذى يرى بتلر أنه هو نفسه سيروس بطريك الاسكندرية فى زمن الفتح، وهى وجهة نظر يسلم بها لين پول (History of Egypt in the Middle Ages, 5). ويقع بالقرب من المقطم الى الشرق قليلا من جامع اخوة سيدنا يوسف على مايعد الآن قمة صخرة نظرا لعملية التحجير التى تنفذ من حوله (انظر Frith, Lower Egypt, Thebes and the Pyramids) إلا فى شق ضيق يتم الوصول اليه عبره من ناحية الغرب (لوحة ٣٥، شكل ٥٣). وتتكون البقايا من حجرة سفلية معقودة بقبو برميلي عرضها ٤,٨٢ م وعمقها ٣,٢٣ م وارتفاعها ٦ م تقريبا وبواجهة ثلاثية العقود. والعقد الأوسط أعلى من العقود الجانبية. وكانت تعلوها حجرة معقودة بنفس الطريقة وبنافذة مستطيلة فى الجانب الشمالى الغربى، إلا أن الواجهة الأمامية بأكملها ومعها القبو إنهارا على أثر هطول أمطار رعدية غزيرة فى ربيع ١٩١٩. ويمكن أن نرى فوق هذه الحجرة بقايا حجرة ثالثة أو حجرتين (٢٢٨). ويبدو أن هناك جدارا فاصلا فى الوسط. وبالحجرة اليمنى نافذة تفتح على الجنوب الشرقى. واختفى الجدار الخلفى للحجرة الأخرى تماما تقريبا، وربما كان قائما بنفس الطريقة.

وفى الحجرة السفلية محراب ضيق طويل بلا إطار وخال من أية زخارف وعرض فجوتها ٩٠ سم وعمقها ٧٢ سم وارتفاعها ٣,٥ م (لوحة ١١٥ ج). ومن السمات الغريبة التى تميز الحجرة السفلية أنها نحتت فى الصخر جزئيا، وهو الجزء السفلى فى الشمال الشرقى. والجزء الآخر بالجدار الجنوبي الشرقى بين الزاوية الشرقية والمحراب من الصخر. ويبدو أنها حين بنيت، كانت تلامس قاع منحدر المقطم كما هو الحال فى ضريح إخوة يوسف. وبالحجرة العليا محراب خال من الزخارف أيضا وبحافة مجوفة مستديرة. ولم يكن هناك بالتالى جذع ركنى لأى من المحرابين. ويجرى تنوء المحراب المستطيل على الواجهة الخلفية بارتفاع المبنى بأكمله. وعلى كل من جانبي المحراب العلوي، نجد نافذتين صغيرتين وضعنا بأعلى الجدار. وتنحدر الحواف السفلية الى أسفل بزاوية مقدارها ٦٠ تقريبا، مما يعد خاصية غير مألوفة فى مصر (والنماذج الأخرى التى أذكرها فى برج السلم بجوار باب الفتوح وفى تربة أبى منصور إسماعيل ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م).

ويمكن دخول الحجرة السفلية من باب مكسور على الجانب الجنوبي الغربى. لكن الأرجح أنه كان يتم الدخول اليها فى الأصل بعقد ثلاثى موجود حاليا على حافة واجهة أفقية لصخرة. وفوق المدخل الحالي، هناك نافذة مستطيلة وأخرى صغيرة جدا فوقها. ويبدو أن الجدار كان يستمر حتى النقطة (أ). أما عند النقطة

(ب)، فكان يتوقف على بعد ١٨، ١ م من الواجهة الخارجية للحرم. وتبدأ عند هذه النقطة قطعة من جدار سمكها ٥٠ سم تقريبا وبزاوية. ويبدو أن عقدا صغيرا كان يعلوها.

وقبل انهيار الواجهة والسقف بالحجرة العليا كان يمكن الصعود إليها من ثقب بالقبو السفلى فى الزاوية الى يمين المحراب؛ إلا أن جزءا كبيرا من الجزء المنهار انحسر فى مكان حرج على جانب من هذا الثقب، مما يجعل أية محاولة للصعود محفوفة بالمخاطر. وهناك محراب (لوحة ١١٥ء) بهذه الحجرة أيضا. ونرى على الواجهات الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية أسطحا مصقولة ناعمة بلافصل بنائى. ويتضح أنها كانت هى حدود المبنى. ويصعب القول بأن عملية ترميم أجريت على الجانب الشمالى الغربى من المبنى؛ كما يصعب تخمين المكان الذى كان السلم يقع فيه والذى كان يستخدم فى الصعود الى الطابق العلوى.

مادة البناء

استخدمت فى بناء الطابق الأول كتل مكسوة بطريقة عشوائية (تلاتات) من الحجر الجيرى المستخرج من المقطم والقلب من الدبش بأحجام متوسطة. ويتراوح حجم اللبئات بين ١٥ و ٢٠ سم، والأحجار المجانبية بين ٤٢ و ٥٠ سم، والصفوف الستة = ١٠، ١ م. وتتميز حشوات الأسمنت بالسمك المميز. ووضعت الأحجار بصورة دقيقة وكسيت بنفس الدقة على واجهتها الخارجية، إلا أنها وضعت وكسيت بطريقة شديدة العشوائية من الداخل. فالبناء إذن يعد أقل جودة اذا قورن ببناء جامع الجيوشى أو جامع خضرة الشريفة. وكان القصد من التشطيب العشوائى للجزء الداخلى أن يكون مختفيا وراء كسوة من الجص. وهناك الآن طبقتان أو ثلاث فى بعض المواضع ولكن ليس هناك أثر لأى نوع من الزخرفة. وكل الأقبية والجدران التى تعلو الطابق الأول من الطوب الأحمر القانى، ويميل بعضه الى السواد. ونرى تغير المواد بوضوح من الخارج. وتحول الكسوة الجصية دون رؤية الطريقة التى تم بها رص طوب القباء.

يتكون العقد الأوسط من الواجهة -والذى يخلو تماما من الجص- من الخارج من حلقة من لبنات الطوب وضعت مستوية مع حلقة خارجية من الصنج الحجرية وضعت على هيئة مشعة، وهو عكس التكوين المألوف فى تلك الحقبة. والمنحنى الداخلى والواجهة الداخلية من الآجر. وبهذا يكون لدينا حالتان من الخروج على المألوف: وضع الحلقات وخلط مواد البناء. والعقود الجانبية على قدر ما تسمح به الرؤية بنيت من الطوب أيضا، وعقد المحراب السفلى من الحجر، ويشبه فى تخطيطه عقد الواجهة الأوسط.

تاريخ البناء

يقول ابن الزيات إن جامع اللؤلؤة كان منهارا وأن الحاكم حين عرف فضائله قام بترميمه فى سنة ٤٠٦ هـ وسماه «اللؤلؤة»، وأن الجامع يقع بالقرب من مقام الياس أخى شيبان الراعى (الكواكب السيارة، ص ١٤). ويقول المقرئى: «(اللؤلؤة): هذا المكان مسجد فى سفح الجبل باق الى يومنا هذا كان مسجدا خرابا فبناه الحاكم بأمر الله وسماه اللؤلؤة قيل كان بناؤه فى سنة ست وأربعمائة وهو بناء حسن» (ج-٢، ص ٤٥٦).

مدخل زيادة جامع الحاكم

(٤١١-٤٢٧ هـ / ١٠٢١-١٠٣٦ م)

كان باتريكولو أول من لفت الانتباه فى عام ١٩١٩ الى هذا البناء الغريب المستتر على الجانب الشرقى من شارع باب الفتوح الى الجنوب من جامع الحاكم بحوالى ٦٠ م. وأشار (فى معرض حديث خاص مع

المؤلف) الى إن المنشأة التى تعرف اليوم بزاوية أبى الخير الكليباتي (٢٢٩) ربما كانت من أصل فاطمى بناء على شكل عقود ذات المراكز الأربعة.

كان بناؤه فى ذلك الوقت فى حالة متدهورة، ولم يكن جانبه الجنوبي الغربى تم كشفه بعد. وبالإضافة الى ذلك كانت أرضيته تعلو الأرضية الحالية بحوالى مترين. ومنذ ذلك الحين، أنفقت ٨٠٠ جنيه استرليني على إزالة الأنقاض وتخليص الجانب الجنوبي الغربى وتجديد بنائه الذى تم فى بعض المواضع وبلغ منابت العقود.

وصفه: هناك مدخل منخفض بمصاطب على اليمين واليسار، ويغلف الجميع فسحة ثلاثية معقودة ويفتح على سلم حديث يهبط مسافة ٢,٣٠ م. ونجد أمامنا الواجهة الشمالية الغربية للمبنى التى نبحت عنها، والفارق بينها وبين حذى الشارع ١٢ تقريبا (شكل ٥٤، لوحة ٣٦). وعلى الرغم من دخول جانبه الشمالى الشرقى ضمن بيت من أربعة طوابق، إلا أنه من السهل أن نرى أننا أمام كتلة مستطيلة عرضها ١٢ م وعمقها ٨,٥ م تقريبا. وتخترق كلا من واجهتيه عقود ذات تجاويف مزدوجة على جانبيها حشوتان. ويبلغ عمق الصنج الموجودة على العقد الخارجى ٥٠ سم، وتحيط بها حلية عرضها ١٧ سم، مما يجعل العمق الاجمالى ٦٧ سم. وتقع قمة هذه الحلية الخارجية على ارتفاع ٨,١٥ م من الأرضية، وتدور هذه الحلية ثم تسير أفقيا عند النقطة التى يبدأ عندها ذلك الجزء من العقد القائم على ركائز. وتعلو حافتها السفلية عن الأرضية بستة أمتار، وتحتها إفريز خشبى يسير دائريا مع حافتها السفلية على ارتفاع ٤,٥ م من الأرضية. بعبارة أخرى، فإن البناء يبدو وكأنه بناء كلاسيكى رباعى البوابات، ولو أنه ليس هناك ما يوصف بالكلاسيكية فى شكل عقودها؛ فهى من الطراز الفاطمى المبكر ذى المراكز الأربعة قبل أن تتخذ شكل العقد المنكسر الصارم (٢٣٠). والدعامات التى تدعم هذه العقود مزخرفة بحشوات صماء على واجهاتها الخارجية، مما يذكرنا بجانبى المدخل التذكارى للجامع.

ويختلف العقد الجنوبي الشرقى عن بقية العقود؛ فهو مجوف مرتين. وهناك عقد داخلى تعلو أسكفة كبيرة. ووراء ذلك نجد قبوا اسطوانيا طوله ٦ م تقريبا ويتميز بالميل نحو محور البناء الرئيسى بسبب القبلة. ومن الواضح تماما أن هذا الجزء المائل الذى يمثل مصلى صغيرا ويحتوى على نصب للكليباتى كان مضافا؛ فهناك فاصل ظاهر عند النقطة (أ) بين بناء العقد وبناء القبو من ورائه. ويستمر هذا الفاصل الى أسفل لمسافة ٦٠ سم تحت منبت العقد ثم يتوقف. ولاشك أنه كان فيما مضى يستمر حتى مستوى الأرضية، إلا أن البناء بأكمله تم تجديده هنا بحيث أن الجزء الذى ينبت منه العقد يتحد مع الجزء الذى يدعم القبو. وبجدار القبلة ثلاث نوافذ عالية، مما يمكننا من قياس سمكه (٧٥ سم).

وهناك حلية عرضها ٢٤ سم تسير دائريا حول الدعامات بارتفاع ٧٠ سم من الأرضية. ويتدلى البناء على قمة الدعامات أسفل منبت العقود مباشرة. ويبلغ الجزء المتدلى ٥٠ سم تقريبا بحيث يضطر الى افتراض أنه كان يدعمه فى كل حالة عمود أو زوج من الأعمدة كما هو الحال تحت قبة جامع الحاكم (لوحة ٢٠) ولو أنه لم يتم العثور على بقايا منها بين الركائز على عمق مترين تقريبا. وتمت إزالته للهبوط الى مستوى الأرضية الأصلي. كما أنه من المفاجئ أيضا أن الحلية المذكورة منذ قليل كان يجب نحتها، فالأرجح أنها كانت تسير وراء كل هذه الأعمدة المفترضة. وعلى الجزء السفلى من هذا الجزء المتدلى كانت هناك بقايا إفريز خشبى عرضه نصف المتر تقريبا، والحافة السفلية منه على ارتفاع ٤,٥ م تقريبا من الأرضية. وتم ترميم هذه الأجزاء كما هو موضح باللوحة (٣٦)؛ إلا أن اللجنة قامت بملءه حول الجزء الداخلى من البناء بأكمله، بل حول

الخارج أيضا. ويساورنى الشعور بأن كل ذلك خطأ، ولو أنه لم يعد من الممكن مساءلة من قاموا بالعمل. وسنرى فى التخطيط أن هناك بين العقود الأربعة فسحة وسطى مساحتها $3,50 \times 6$ م بقيت دون تسقيف. ولاشك أنها ناتجة عن قبو اسطوانى مستعرض. ولكن فى تاريخ لاحق انخفضت هذه الفسحة الى مربع مساحته $3,5$ م على كل ضلع عن طريق إضافة عقد من الأجر عرضه 70 سم الى اليمين واليسار وبنيت من كوابيل حجرية؛ وبالتالي فالمربع الناتج تغطيه قبة ضحلة على مثلثات كروية لها نفس نصف القطر.

نتنقل الآن الى فحص الجناح الجنوبي الغربي. ونلاحظ هنا حشوتين (p2, p3) وتشبهان الحشوة (p1) من حيث العمق ولكنهما أضيق. ولم تتمكن من تحديد الارتفاع الأصلي لهذه الحشوات. وتم ترميمها من حيث البناء وحتى مستوى الإفريز الخشبي الذى يعد البناء فوقه فى حالة من الدمار تجعل من العسير أن نخرج بمعلومات منه عدا بالنسبة للحشوة (p2). والمكان معتم تماما هنا، ولكن باستخدام السلم، يمكن التعرف على المداميك المنحوتة الثلاثة بالجزء السفلى من النصف الأيسر لشبه قبة ضحلة زال نصفها الأيمن. وتتوافق الحافة السفلية من المداميك السفلى مع الحافة العليا للإفريز الخشبي.

وعند النقطة (ب) كان هناك جدار من الدبش يبلغ ارتفاعه 4 م تقريبا وسمكه 85 سم. وتمت إزالته حاليا. ووراءه وعند النقطة (ج) نجد جدارا آخر من البناء الجيد. والمداميك السفلية الخمسة به تتوافق تماما مع نظيراتها فى البوابة الرباعية. وفوق ذلك، هناك دبش، إلا أن البناء الجيد يبدو مرة أخرى فى الأجزاء الأعلى، ولو أن هذه المداميك الظاهرة لا تتفق تماما مع نظيراتها بالبروز. ويتضح كل شئ الآن؛ فالبناء الذى نتحدث عنه هو مدخل تذكاري ناتئ بمسافة $8,5$ م من منشأة كل ما تبقى منها جدارها الخارجى (ج).

الهوية والتاريخ

أمكن التعرف على هوية هذا المبنى بفضل المقريري، جـ ١، ص ٣٧٥) الذى يصحب القارئ فى جولة تخيلية عبر الشريان الرئيسى [القصبية] للقاهرة فى العصور الوسطى من باب زويلة وحتى باب الفتوح ويذكر كل أثر يمر به. فيذكر جامع الأقمر والحارة التى تقع الى الشمال منه وتؤدي الى خانقاه بيبرس الجاشنكير بالجمالية؛ ثم الى اليسار مدخل الى حارة برجوان (التي يقع بجوارها جامع السلحدار)؛ ثم سوق المتعشين التى كانت تسمى سوق أمير الجيوش. وعلى الجانب الأقصى من هذه السوق الى اليمين، كانت هناك حارة سد (لا تزال موجودة). والى اليسار طريق يؤدي الى سويقة أمير الجيوش (سوق مرجوش حاليا) وتؤدي بدورها الى باب القنطرة (انظر شكل ٨). واذا واصلنا شمالا، نجد جمالون ابن صيرم (من الواضح أنه سوق ذات سقف جمالوني). وتقوم هناك المدرسة الصيرمية (بنيت فى سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م، انظر المقريري، جـ ٢، ص ٣٧٨). وعلى طرف الجمالون، الى اليمين، كان المدخل الى زيادة جامع الحاكم، وتليه إحدى بوابات جامع الحاكم. بدأت هذه الزيادة على يد الخليفة الظاهر الذى حكم من ٤١١ الى ٤٢٧ هـ (١٠٢١-١٠٣٦ م)، إلا أنها ظلت غير مكتملة الى أن قام بإكمالها السلطانان الصالح نجم الدين (٦٣٧-٦٤٧ هـ / ١٢٤٠-١٢٤٩ م) والمعز أيبك (٦٤٨-٦٥٥ هـ / ١٢٥٠-١٢٥٧ م) (٢٣١)، القلقشندي، جـ ٣، ص ٣٦٤). وهذا الوصف يساعدنا تماما، لأن شكل العقود وتناوب الصنج لكتلة وكتلتين تبادليا يتوافق تماما مع كونه ينتمى الى القرن الحادى عشر كالسبع بنات وجامع الجيوش وخضرة الشريفة.

وتتحول الأسكفة عند النقطة (أ) الى عتبة للباب داخل الزيادة. والجزء المستقيم وراءها والذى يمتد مسافة

٢٠٢٩ م يصبح فتحة بسمك الجدار (ج) الذى تنشئ فى داخله الأبواب كما يتبين فى الشكل (٥٤). لكن عمقه يزيد الى حد ما بالنسبة لواجهته الخلفية التى لا تتوافق مع الواجهة الخلفية للجدار (ج)، إلا اذا كانت الأخيرة بسمك ١,٨٠ م، وهو أمر مستبعد. وإذا افترضنا أن (ج) كان بسمك يتراوح بين ١,٥٠ و ١,٦٠ م كجدران الجامع، نستنتج أنه كان هناك إطار ناتئ حول الواجهة الداخلية لمدخل الباب. وإذا مددنا الجدار (ج) الى الشمال، فإنه يمس الجدار الجنوبي الغربى للجامع عند نقطة تبعد حوالى ١٧ م من المكان الذى يتصل عنده البروز الغربى (أجريت هذه الحسبة بناء على خريطة للقاهرة بمقياس ١: ١٠٠٠).

والأرجح أن الزيادة تعرضت لتعديلات فى تاريخ لاحق (بعد عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م)، فنسى الغرض الأصلى من هذا المدخل التذكارى وتحول الى ضريح لأحد الأولياء وهو أبو الخير الكليباتي. وألحق به بناء إضافي على شكل قبو اسطواني. ويرجع ميله الى الرغبة فى التوجه صوب مكة بصورة أدق من اتجاه المدخل التذكارى. والجزء الناتئ من هذا المدخل التذكارى وكذلك جدران الزيادة التى يذكر القلقشندي (ج-٣، ص ٣٦٥) أنها لم تكن مسقوفة ربما كانت متوجة بشرافة كتلك التى نراها بالجامع، مما يجعل الارتفاع الكلى ٨,١٥ + ٢,١٥ م، أى ١٠,٣٠ م.

الأصول المعمارية

كل ما سبق ذكره عن الأصول المعمارية للمدخل الرئيسى لجامع الحاكم ينطبق هنا. ويجب إضافة هذه البوابة الى سلسلة المداخل التذكارية التالية:

جامع المهدي الكبير ٣٠٨ هـ (٩٢١ م)
جامع الحاكم ٣٨٠-٤٠٣ هـ (٩٩٠-١٠١٣ م)
مدخل زيادة جامع الحاكم ٤١١-٤٢٧ هـ (١٠٢١-١٠٣٦ م)
جامع بيبرس الأول ٦٦٥-٦٦٧ هـ (١٢٦٦-١٢٦٩ م)

وتتميز هذه البوابة بأنها الوحيدة فى السلسلة التى تضم على جانبيها عقودا مفتوحة؛ وهى السمة التى تربط بينها وبين قوس النصر لكراكلا فى تيبسا بعد دمجها بسور المدينة الذى شيده سولمون والى أفريقيا من قبل جوستيان فى سنة ٥٣٥ م (انظر Gsell, Les monuments antique de l'Algérie, I, p. 180, Fig. 60).

القاهرة فى أواسط القرن الحادي عشر [ق ٥ هـ]

بدأ الخليفة المستنصر بالله حكمه فى سنة ٤٢٧ هـ (١٠٣٦ م) وظل فى الحكم قرابة ستين عاما (توفى فى ذى الحجة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م). وفى عام ١٠٤٧ م، زار مصر الرحالة الفارسي الشهير ناصر خسرو (٢٣٢) الذى وجد البلاد فى حالة من الرخاء والاستقرار. وربما كان وصفه مناسبا لنا فى هذا المقام نظرا لما يلقيه من ضوء على العمارة وفنونها والحياة اليومية للشعب فى تلك الحقبة.

وصل ناصر خسرو الى مصر فى ٧ صفر ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) ووجد القاهرة مدينة عظيمة لا تقارن بها إلا مدن قلائل. ويقدر أنها كانت تضم ما لا يقل عن ٢٠ ألف دكان للبيع فى الأسواق؛ وجميعها من ممتلكات الخليفة وكانت تؤجر فى الغالب مقابل عشرة دنائير فى الشهر لكل وحدة. وكانت الأسواق تضم أعدادا هائلة من الوكالات والحمامات وغيرها من المنشآت، وكلها ملك للخليفة أيضا. وكان قصر الخليفة يقف وحده فى

وسط المدينة. وفي كل ليلة، كان يصعد إليه ألف حارس. وكان القصر الذى يمكن رؤيته من خارج المدينة يبدو كجبل نظرا لضخامته وعلو المباني التى يتألف منها. لكنه لم يكن يرى من داخل المدينة بسبب ارتفاع أسواره المحيطة به. وكانت منشآت القصر مبنية بناء عظيمًا وكأنها مشيدة من كتلة واحدة من الحجر (٢٣٣). ويذكر ناصر خسرو بوابات المدينة الخمس، وهى باب النصر وباب الفتوح وباب القنطرة وباب زويلة وباب الخليج؛ إلا أنه يذكر أن المدينة لم يكن يحيط بها سور حصين، حيث اختفى سور جوهر الآجرى فى خلال السنوات الثمانين منذ أن تم بناؤه. وكانت البيوت من خمسة طوابق أو ست، وكانت تبدو كالقلاع وتفصل بينها حدائق ورياض (٢٣٤). وكانت مشيدة بعناية وفخامة وكأنها شيدت من أحجار كريمة لا من جص وآجر وأحجار عادية (٢٣٥).

وكان يفصل «مدينة مصر» (الفسطاط) عن القاهرة مساحة تبلغ حوالى الميل تفتershها الحدائق، إلا أنها كان يغمرها الماء فى فترة الفيضان بحيث كانت تبدو كبحيرة (٢٣٦). وهذه هى «بركة الحبش» المعروفة. وكانت «مدينة مصر» مشيدة على أرض مرتفعة لتحاشي الفيضان، وكانت تبدو كالجبل من بعيد. كانت البيوت ترتفع بها من ٧ الى ١٤ طابقًا ومساحتها حوالى ٣٠ ذراعًا. وكل منها يسع حوالى ٣٥٠ فردًا. وكانت بعض الأسواق والشوارع لا تستقبل ضوء النهار نظرا لأنها كانت مغطاة وتضيئها المصابيح بصورة دائمة (٢٣٧). وكانت «مصر» تمتد على طول ضفاف النيل، وكانت هناك عدة جواسق مطلة على النهر، ويمكن للمرء أن يدلى بدلوه فيه ويسحب الماء. وكان يربط بين مصر والروضة جسر من ٣٦ قاربا. وكان التجار والفلاحون والصناع والأدباء يمتطون الحمير التى كانت تقف للإيجار على كل ناصية شارع. ويقال إنه كان هناك حوالى ٥٠ ألفا منها. ولم يكن يركب الخيل إلا رجال الجيش (٢٣٨).

وفى فترة زيارة ناصر خسرو لمصر، وجدها على درجة عالية من الرفاهية. وعندما كان فيها، ولد للخليفة ولد وأمر الناس بإقامة الأفراح، فأقيمت ولائم ومآدب لامثيل لها فى الفخامة والأبهة (٢٣٩). ولم يكن الأقباط يتعرضون لأى اضطهاد وكان بعضهم على درجة كبيرة من الثراء (٢٤٠). وحضر ناصر خسرو احتفال قطع السد ورأى الخليفة الذى كان فى التاسعة عشرة من عمره وهو متجه فى مركبه الى الحفل. وكان حليقا نظيفا مرحا ويرتدى عباءة بيضاء وفوقها سترة طويلة فضفاضة، وعلى رأسه عمامة بيضاء ويمتطى بغلا يكسوه سرج فى غاية البساطة وبلا زينات من ذهب أو فضة. وكان يتقدم مركبه ٣٠٠ رجل من الديالة على أقدامهم يرتدون عباءات من القماش الموشى وزنار بأكمام طويلة «على الطراز المصري». والى جوار الخليفة كان يركب حامل المظلة ويرتدى عمامة موشاة بالذهب ومرصعة بالجواهر. وكانت المظلة نفسها على درجة عالية من الفخامة ومرصعة بالأحجار الكريمة والآلئ. وعلى يمينه ويساره كان الخصيان يحرقون البخور. وكان الناس يسجدون حين يمر الخليفة، وكانوا يدعون له. ويتبعه الوزير وقاضى القضاة وكبار المسئولين. وكانت هناك حامية تمثل فيها كل قوات الخليفة من بربر وترك وفرس وغيرهم. وكانت الحاشية تضم الأدباء والعلماء والشعراء والأمراء الذين كانوا فى زيارة البلاط (٢٤١). (ناصر خسرو، طبعة شيفر، ص ٣٨-٥٧).

الفصل السابع بيوت الفسطاط

تاريخها وفترة بنائها

رأينا أن الفسطاط أنشئت على يد عمرو بن العاص في سنة ٢١هـ (شتاء ٦٤١ - ٦٤٢م) بعد عودته من حصار الاسكندرية وأنها اتسعت حول جامع عمرو الى الشمال قليلا من حصن قصر الشمع الروماني. وعندما أطاح العباسيون بالأسرة الأموية، قام صالح بن على الوالى العباسى على مصر بإنشاء ثكنة عسكرية الى الشمال منها في سنة ١٣٣هـ (٧٥٠م). وحين استقل ابن طولون بمصر في سنة ٢٥٦هـ (٨٧٠م)، وجد أن الفسطاط والعسكر ضاقت به وبأتباعه بعد أن استكثر من العبيد والرجال. لذا فقد أمر ببناء القطائع شمالي العسكر، وكانت حدودها على النحو التالي: الى الشرق موقع القلعة الحالي، والى الشمال شارع الصليبة، والى الغرب قلعة الكباش (قرب مدرسة قايتباي)، والى الجنوب خط رسم شرقا وغربا يخرق جامع زين العابدين الذى يقع الى الشمال قليلا من مجرى العيون (٢٤٢).

ظلت الفسطاط زاهرة الى أن وقعت المجاعة الكبرى في سنة ٤٤٦هـ (١٠٥٤م) وما تلاها من انتشار الأوبئة (المقرئى، ج١، ص ٣٣٥). يقول المقرئى إن المجاعة ازدادت سوءا وانتشر الطاعون فى «مصر» (الفسطاط) والقاهرة وما يحيط بهما من أحياء الى عام ٤٥٤هـ (١٠٦٢م) حين نشبت الثورة الكبرى واجتاحت البلاد. ويذكر المقرئى أيضا أن قحطا عظيما ألم بالبلاد تحت حكم المستنصر فى سنة ٤٥٧هـ (١٠٦٥م) واستمر حتى عام ٤٦٤هـ (١٠٧١م). ومع الندرة والقحط، عم الطاعون واستمر مدة سبع سنوات ارتفع منسوب النيل فيها وانخفض، ولكن أحدا لم يستزرع الأرض (ج١، ص ٣٣٧). ونتيجة لهذه المجاعة -حسب قول المقرئى- خربت الفسطاط وخلت العسكر والقطائع والمنطقة التالية «لمصر» (الفسطاط) ابتداء من الجزء المجاور للقرافة وحتى بركة الحبش من الأهالي (٢٤٣).

وهكذا أخليت الفسطاط جزئيا وتكون «الخراب» أو المنطقة الصحراوية. ويذكر المقرئى أن الوزير بدر الجمالى سمح «أباح للناس من العسكرية والملحية والأرمن وكل من وصلت قدرته إلى عمارة أن يعمر ما شاء فى القاهرة مما خلا من دور الفسطاط بموت أهلها فأخذ الناس فى هدم المساكن وتحوها بمصر ووعمرها بها فى القاهرة وكان هذا أول وقت إختط الناس فيه بالقاهرة». (ج١، ص ٥). ويذكر فى موضع آخر أن موقعى القطائع والعسكر تعرضا للنهب وسرقت المواد حتى أن جزءا كبيرا من المنطقة سوى بالأرض وأصبح يابا، وأن البيوت التى كانت بين القاهرة و«مصر» تهدمت ولم يبق بها «إلا بعض البساتين» (ج١، ص ٣٠٥). وحين ساد الخراب فى أعقاب هذه الكارثة الكبرى صدر الأمر ببناء سور لإخفاء الخراب عن عين الخليفة فى طريقه من القاهرة الى مصر فى المنطقة الواقعة بين العسكر والقطائع وبناء سور آخر بجوار جامع ابن طولون. وعندما تولى الأمر الخلافة (٤٩٥هـ/١١٠١م)، أعلن وزيره المأمون البطائحي فى القاهرة ولمدة ثلاثة أيام أن «من كان له دار فى الخراب أو مكان أو يؤجره من غير نقل شئ من أنقاضه ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق». (ج١، ص ٣٠٥).

ووقع الدمار الأخير بعد ذلك بست وسبعين سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م) حين تقدم عمورى [الأول] ملك

[بيت المقدس] بعد استيلائه على بلبيس للزحف باتجاه العاصمة. فوجد شاور أنه قد يعسكر في الفسطاط التي خلعت من أية دفاعات. فأصدر أمرا بإخلاء المدينة وإحراقها. وفي وصفه لعملية الإخلاء يذكر المقرئى : « وقد ماج الناس واضطربوا كأنما خرجوا من قبورهم إلى المحشر لا يعبا والد بولده ولا يلتفت أخ إلى أخيه وبلغ كراء الدابة من مصر إلى القاهرة بضعة عشر دينارا وكراء الحمل إلى ثلاثين دينارا ... وبعث شاور بعشرين ألف قارورة (٢٤٤) نطفة فاستمرت النار تأتى على مساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين من صفر لتمام أربعة وخمسين يوما والنهاية (للصوص) من العبيد ورجال الأسطول وغيرهم بهذه المنازل فى طلب الخبايا (الكنوز) ... ومنذ ذلك الحين، ساد الخراب الفسطاط وبقي منه اليوم «كيهان مصر» (٢٤٥) (ج-١، ص ٣٣٩).

ويذكر القلقشندي أن «الخراب» ازداد اتساعا بعد احتراق الفسطاط وزادت الفجوة اتساعا. وبعد انقضاء عهد بيسرس الأول، بدأ الناس فى نهب الأحياء المهجورة للحصول على مواد البناء واستعانوا بها فى بناء المساكن الجديدة على ضفتى النيل بكل من الفسطاط والقاهرة. وزاد حجم الدمار واستمر حتى زمن المؤرخ (القلقشندي) حتى لم يبق من المباني سوى تلك التى تقع على حافة النيل بالمنطقة المجاورة لجامع عمرو (ج-٣، ص ٣٣٨).

وعندما تولى صلاح الدين حكم مصر فى سنة ٥٧٢هـ (١١٧٦م)، قرر بناء سور يحيط بالقاهرة والفسطاط والقلعة (ج-٢، ص ٢٣٣). وكان جزءا من هذه الخطة يشمل بناء سور يجرى من جنوب غرب القلعة وحتى النيل؛ وإلى الجنوب من قصر الشمع. وتم الكشف عن جزء من هذا السور فى عمليات التنقيب. وهناك سبعة أطوال موجودة على خط يسير باتجاه الشمال الشرقى نحو القلعة (٢٤٦). إلا أن جزءا كبيرا منه تم تقطيعه فى عمليات التحجير. ويخترق الجزء الذى تم الكشف عنه بقايا البيوت بحيث يمكن العثور على جزء من بيت وجزء من الصرف الصحى على جانب من السور وجزء آخر على الجانب الآخر منه. وأحيانا نجد شقفا تم دمجها فى السور نفسه (شكل ٥٥). وأحيانا نجد الأسوار الآجرية (ج-٤، ٤) وقد تم تقطيعها لعدة سنتيمترات بجوار الجدار بين البرجين. ولا سبيل إلى تفسير هذه التفاصيل إلا بالصورة التالية: عندما وضع أساس السور، كانت المنطقة التى يقطعها قد أخليت بالفعل؛ فتم حفر خنادق فى كتل من الركام لإنشاء الجدار بين البرجين فيها. وفى عرض هذه الخنادق، تم رفع ما وجد من بناء أجرى (Fouilles d'al-Foustat, 119-20) (٢٤٧).

طبيعة الركام

بدأ حفر الموقع على يد على بك بهجت فى سنة ١٩١٢. ولا سبيل إلى مقارنة ركام الفسطاط بموقع مثل كنوسوس أو ديلوس أو تيرينس أو برين أو أولبيا أو بين النهرين أو غيرها، حيث يرتفع السطح بصورة مستمرة من خلال أطلال البيوت المهدمة أو الأجزاء التى لا يمكن إعادة استخدامها. فانتشرت فوق الأرض وبنيت البيوت الجديدة على المستوى الأعلى قليلا والذى تكون نتيجة لذلك. ومن الواضح أن ألفين أو ثلاثة آلاف عام من الاحتلال المتواصل لموقع كان فى الأصل مسطحا يحوله إلى تل على ارتفاع غير قليل، وتتراكم الطبقات المتوالية عليه فوق بعضها البعض فى ترتيب زمنى بحيث تتفاوت حقبة الحفريات بصورة مباشرة حسب تفاوت العمق الذى توجد فيه.

لا وجود لمثل هذه الظروف فى الفسطاط، فقد دلت عمليات التنقيب على أن كل دار قد بنيت فوق سطح

الصخرة التى تقع تحت الموقع كله، ولم يحدث أن تم العثور على حالة للدار بنيت على ركام دار أخرى. واتضح
هذه الحقيقة فى نقاش دار بين سايس وسومرز كلارك وفارنال فى سنة ١٩٢٠ بصحيفة إيجيپتيان جازيت نشرت
ترجمة فرنسية له من جانب اللجنة (Exercices, 279-300). وثبت أن هذا الركام لم يكن بقايا الفسطاط، بل يتكون
من بقايا حجارة من القاهرة (شقف من الآجر ودبش وبقايا بناء وبقايا أوانى فخارية وقلل وسجاجيد وحصر وغير
ذلك) أُلقيت على الفسطاط أو بعارة أدق على الجزء الشرقى منها والذي أُخلى منذ مدة طويلة. وتبين أن هذه
البلدة كانت تتكون من شوارع ضيقة غير منتظمة لا يزيد عرض أى منها عن ٦ م، بينما لا يزيد معظمها عن
١,٥ م (Fouilles d'al-Foustat, 32). ولا يبدو أن الشوارع كانت ممهدة، حيث لم يتم العثور على أية أحجار لتعبيد
الطرق من أى نوع (Fouilles, 34). وفى بعض البيوت التى تم الكشف عنها، وجد أن الجدران كانت قائمة
بارتفاع متر أو مترين بينما لم يتبق فى أماكن أخرى سوى خط باهت يستدل عليه من بعض الشقف الآجرية
وبعض بقايا ملاط. ويمكن للمرء حسب قول من تولوا عمليات التنقيب أن يدرك صعوبة الاستدلال على صورة
التخطيط فى ظروف كهذه وصعوبة تحديد عدد البيوت المستقلة وتحديد حدودها (Fouilles, 31-39).

منزل رقم ١ (٢٤٨)

وتبلغ مساحته الإجمالية حوالى ١٨ × ١٠ م. وكانت به جدران تعد فى حالة أفضل من سائر الجدران،
حيث ظلت قائمة فى بعض المواضع بارتفاع ٥ م. ويتكون المنزل من جزءين متميزين يصل بينهما باب واحد
(٥٦ فى الشكل ٥٦). ونصفه فقط يؤدى الى الشارع. وكان كل جزء يدور حول فناء مستطيل بحوض فى
الوسط. ويحيط بالفناء A ثلاث فتحات الى الشمال والجنوب، وربما أمكن لنا أن نستنتج أنها كانت معقودة وتعد
بمثابة واجهة ثلاثية معقودة. والفتحة الوسطى عرضها ضعف عرض الفتحتين الجانبيتين تقريبا. وبذكرنا التخطيط
الذى نجده خلف (A) مباشرة بالتخطيط على شكل حرف T فى البيوت القائمة بكل من الأخضر وسامراء
والعسكر. وهناك غرفة الى اليمين وأخرى الى اليسار (c, d) وكلاهما تفتحان على سقيفة مستعرضة تضم ثلاث
فتحات بجوار الصحن. ورغم وجود أربع فتحات فى الواجهتين الشرقية والغربية. ويلاحظ أن الفتحات الثلاث
الأولى تشكل مجموعة مكونة من فتحة وسطى أعرض، على جانبيها فتحات أضيق، وجميعها تفتح على غرفة
واحدة؛ فى حين أن الفتحة الرابعة تنمى الى جزء منفصل من البيت، وعلى الجانب الشرقى تفتح على غرفة
مستطيلة، وتؤدى على الجانب الغربى الى عدة درجات (b) تؤدى الى أعلى الى المدخل الوحيد للنصف الآخر
من البيت.

والحوض الموجود بالفناء (A) من النوع المألوف المربع فى أعلاه والمثلث فى أسفله. ويحيط به على جوانبه
الثلاثة نوع من الخنادق ربما كان المقصود به أن يكون حوض زهور، اذ كان لا يزال مملوءا بالخضر المتحجرة حين
تم حفره. وكان الحوض يستمد ماءه من صهريج مثلث الشكل. وكان المكان يضم بئرا لمد الصهريج بالماء.

وبالباب الذى يؤدى الى السلم (f) يفتح مباشرة على الصحن (b) الذى نجد فى وسطه حوضا آخر تمتد اليه
قناة (k) من الصهريج المثلث الذى سبق ذكره. وهنا أيضا نجد واجهتين ثلاثيتين العقود على الجوانب المقابلة
للصحن وفجوة (q) عرضها حوالى مترين وعمقها حوالى متر على الجانب الشمالى وحشوة عريضة لكنها ضحلة

للتغاية في المواجهة. والواجهة الثلاثية العقود على الجانب الغربى تفتح على مجموعة ليوان [جناح] على شكل حرف T تشبه نظيرتها على الجانب الجنوبي من الصحن (A). وهناك مرحاض عمومى خلف الفجوة (q). ومن (o) يمكن الدخول الى صحن صغير (X) به حوض صغير على الجانب الجنوبي وحجرة صغيرة جدا (y) الى الشمال. وفي الصحن (b) والحجرات المحيطة به وأيضا في الصحن (v) نجد قطعة كبيرة من البلاط (من الحجر على شكل عظمة سمكة) لاتزال محفوظة.

ويشير المنقبون الى أن الصحن الكبير (A) الذى يقع بالقرب من مدخل الشارع كان بمثابة وسط السلامك فى حين أن الجزء الأعلى الذى لا يحتوى على مدخل من الشارع يرجح أنه كان هو الحريم. والباب (2d) قرب السلم (f) والذى يفتح على نهاية حارة سد كان يمثل مدخلا خاصا للنساء (Fouilles d'al-Foustat, p. 43).

منزل رقم ٢

مع أن أجزاء مهمة من هذا المنزل لاتزال محفوظة وتصل فى بعض المواضع الى ارتفاع ٢,٥ م، إلا أن حدوده الدقيقة نحو الشرق والجنوب لا يمكن تحديدها، حيث لم يبق أى أثر من هذا الجزء. ويتكون مثل هذا المنزل المشار اليه من جزئين منفصلين كل به صحنه الخاص به (A, B) ولكن بدون حوض (شكل ٥٧). ويبدو أن المدخل من الشارع كان يقع عند النقطة (E) التى كان يواجهها باب يؤدى الى الجزء الآخر من المنزل والذى يفترض أنه كان للحريم حول الصحن (B). وطبقا للشكل (١١) المقتبس عن جابريل، كان يمكن الوصول الى المدخل من الشارع عبر بابين قرب النقطة (G)؛ إلا أن ذلك موضع شك اذا نظرنا الى الشكل (١٠) المقتبس عنه كذلك.

وعلى الجانب الجنوبي الغربى من كل صحن مجموعة ليوان [جناح] على شكل حرف T (a, b, c, d)، وتعد مجموعة الصحن (B) أشد إتقاناً لأن حجرة المدخل متصلة بالحجرات الجانبية؛ بل تمت إضافة دهليز مستعرض أيضا فى الخلف بحيث يمكن الطواف حول b. وأضيفت الى كل من الحجرتين الجانبيتين (c, d) بليوان الصحن الذى يتخذ شكل حرف T ثلاثة طيقان (طاقجه) للجرار والقلل وما الى ذلك (لوحة ٣٧ ب). ويبدو فى الجوانب الثلاثة المتبقية من كل صحن تقسيما ثلاثيا داخل حشوات أو فتحات أوسطها أعرض من الآخرين. ولكن اذا كنا نجد بالصحن (A) أبوابا وحشوات ضحلة فقط، فإننا نجد فى الصحن (B) فجوة (ونرجح تسميتها «فجوة» بدلا من «ليوان» التى يستخدمها كل من بهجت وجابريل) فى وسط كل جانب وعرضها ١,٥ م وعمقها من ١,٥ الى ٢ م.

وهناك ثلاث درجات عند النقطة (m) منحوتة فى الصخر تهبط الى فوهة بئر مستطيل مغطاة بقبو. وكان مستوى الماء فيه حوالى ١١ م تحت مستوى الصحن. وكان لكل من نصفى المنزل مرحاضه الخاص، أحدهما عند النقطة (x) والآخر وراء النقطة (z). وكان هناك سلم عند النقطة (G) يؤدى الى السطح أو ربما الى طابق علوى فى هذا المنزل بالذات.

منزل رقم ٣

يبدو أن المدخل من الشارع كان يقع عند النقطة (x)، ولكن يحتمل أن الدهليز (s, s, w) كان يؤدى الى

مدخل آخر. وعلى عكس المنزلين السابقين، نجد أن هذا المنزل لا ينقسم الى قسمين مستقلين؛ فليس به سوى صحن واحد مساحته ٢٧م^٢؛ إلا أن واجهتي هذا الصحن صممتا بياثكات ثلاثية، الوسطى منها كالعادة أعرض من الآخرين (انظر شكل ٥٨). وتحتل الجانب الغربى مجموعة ليوان [جناح] على شكل حرف T (a, b, c, d) فى مواجهتها حجرة مساحتها ٣ × ٢,٥ م على جانبي فتحتها (المعقودة؟) حشوتان ضحلتان. ويشغلها حوض (k) يتصل بالحوض الموجود بالصحن عبر قناة (m). وخلف (k) هناك دخلة وماسورة [أنبوبة أو قصبية] (a2) تنتهى رأسيا فى الجدار القائم خلفها. وتفسير كل هذا التخطيط سهل؛ فكان المقصود بالدخلة أن تتخذ شادروانا رخاميا مائلا بسطح مضلع (لعله سلسلة من أسنان المنشار) يجرى الماء من تحته فى غشاء رقيق ويبرد الهواء بالتبخير الخفيف، ثم يجرى داخل (k)، وفى النهاية، من خلال القناة تحت الأرضية (m) داخل (j). وكان هذا التخطيط يسمى «سلسبيل» ونراه فى العديد من البيوت القديمة والأسبله بالقاهرة. إلا أن أقدم نموذج سليم لا يزال باقيا هو الذى نجده بقصر زيزة (عزيزة) بباليرمو (شكل ٥٩) الذى بدأه وليام الأول فى سنة ١١٦٦ وأتمه وليام الثانى (Herz, Catalogue, p. 22). ويليه فى القدم النموذج الذى نراه على الجانب الغربى من مدرسة نور الدين بدمشق وشيد فى سنة ٥٦٧هـ (١١٧٢م).

منزل رقم ٥

لم يبق من هذا المنزل سوى بقايا ضئيلة، إلا أن الصحنين A, B يمكن تمييزهما بسهولة. والطول الكلى للمنزل حوالى ٣٠م. ويحد الصحن (A) الى الشمال الغربى والجنوب الشرقى واجهة من ثلاث بياثكات. والفتحة الوسطى أعرض من الفتحتين الجانبيتين (شكل ٦٠). وخلف الواجهة الجنوبية الشرقية، نجد التخطيط المعتاد على شكل حرف T ويتكون من سقيفة مستعرضة (a) وثلاث حجرات مستطيلة (c, b, d). وهناك سمة جديدة، وهى أن هذه السقيفة المستعرضة تنتهى بحشوات مفرغة كما هو الحال بالمنزل رقم ٨ (شكل ٦٢)، وأن الحجرات الثلاث التى تفتح على الصحن لاتتصل إحداها بالأخرى. ويمتد بلاط الحجرة الوسطى الى أعلى وحتى الحوض الموجود بالصحن، فيشكل منصة مستطيلة (f) ترتفع مسافة ١٠م فوق بلاط الصحن المكون من ألواح مساحتها ٢٥ × ٦٠ سم وضعت على شكل هيكل سمكة.

وعلى جوانب الصحن الأخرى، دخلات متماثلة ميمترية ضحلة (h, g) وضعت قريبة من (a). والحوض مربع فى أعلاه ومثلث فى أسفله. وهناك أنبوتان برونزيتان صغيرتان قطر كل منهما ٢ سم ووضعت كل منهما على أحد الركنين، ربما بقصد أن تكون متنفسا. وربما كان القصد من الحوضين المملوءين بالخضر المتحجرة على جانبي حوض الماء أن يكونا مكانا للزهور.

والصحن (B) ليس به حوض، ويبدو أن جانبه الجنوبي الغربى كانت به مجموعة على شكل حرف T (p, o)، إلا أن الترميم ليس مؤكدا لأن كل الجدران اختفت. وفى مواجهتها، كانت هناك حشوة ضحلة (n)، وعلى الجانبين الآخرين دخلتان (m, d). ويبدو أن المدخل من الشارع كان عند النقطة (r) وربما كان هناك مدخل آخر عند (q) أيضا. وهنا أيضا نجد منزلا مكونا من قسمين منفصلين: سلامك وحرملك.

منزل رقم ٦

وهذا هو أهم هذه المنازل. وطوله ٤٠ م تقريبا، ويحتوى على أكبر عدد من النافورات التى تم العثور عليها حتى الآن. ويتجه الحوض (A) ومساحته ١٤,٥ × ٩ م (بنسبة ٣:٢) نحو أربع نقاط أصلية، مما يعد مناقضا للقاعدة المتبعة فى مواضع أخرى (شكل ٦١). ويتخذ من الشمال والجنوب واجهة بثلاث بلكات خلفها المجموعة المعتادة التى تتخذ شكل T (a, b, c, d) و (a', b', c', d'). وخلف النقطة (b') نجد حوضا مربعا فى أعلاه وبكل من جوانبه فجوة شبه دائرية ومثلث من أسفله. ومن المرجح أن الدخلة التى تقع خلفه كان المقصود بها اتخاذ شادروان يقوم عليه الصهريج (h). وهناك قناة (J) وطولها ١١ م تقريبا به شادروان (o) عند أحد طرفيها تؤدي منه الى الحوض النائر (f) بالصحن، ولوح رأسى عند النقطة التى تنطلق منها هذه القناة من الليوان ليشكل خزاناً وشلالاً صغيراً. ولعل القناة (p) على الجانب الجنوبي من الحوض المائى كان الهدف منها أن تكون مزهية، اذ وجدت بها قوالب متحجرة من الخضر. وهناك حوض آخر لعله كان خاصاً بشجرة.

وعلى الجانبين الشرقي والغربي من الصحن، نجد عددا من الحجرات (e, e, e, e, e, e) وتتفاوت فى أحجامها وأحيانا تجدها تتخذ شكلا غير منتظم. ومن الركن الجنوبي الشرقي، هناك ممر شديد الضيق ربما كان مرحاضا. ولعل النقطة (k) كانت حماما. ويبدو أن الماء كان يأتى من صهريج (r) بثلاث أنابيب. وكانت تأتي من النقطة (y) الى النقطة (h) ومنها كانت تنساب على شادروان الى داخل الحوض، ومن (a) الى داخل الحوض (f) بالصحن، ومن خلال (B) الى داخل المرحاض (m).

وكالعادة، نجد بهذا المنزل صحناً آخر (غير موضح) غير معلوم الشكل كوضع المدخلين (q) والآخر غير موضح). وتم العثور على عدة شقف من نوعية خاصة من الزخارف بهذا المنزل. وتتكون من أنماط هندسية كانت خطوطها من الآجر البارز بمسافة ١ سم من سطح كتلة الجص طمرت فيها بصورة متعامدة (لوحة ٣٧). ولا وجود لهذا التقنية فى أى أثر آخر بمصر؛ إلا أنه يستخدم كثيرا فى العمارة السلجوقية. وربما نرى نموذجا جيدا منه بضريح يوسف بن قصير بنخجوان الذى يرجع إلى شوال ٥٥٧ هـ (سبتمبر ١١٦٢ م). انظر Khanikoff, "Les inscriptions musulmanes du Caucase," *Journal Asiatique*, 5me Sér., t. XX, p. 120. وهناك نموذج آخر غريب منه تحتل فيه قطع الحجارة مكان الآجر، ونجده فى «سبند» بأرومية ويرجع الى عام ٥٨٠ (١١٨٤-١١٨٥ م). انظر Godard, Notes complementaire sur les Tombeaux de Maragha, *Athar-e Iran*, I, 156-60. وهناك شكل متطور منه فى «سبند سرخ» [المقبرة القرمزية] فى مراغه ويرجع الى شوال ٥٤٢ هـ (٤ مارس ١١٤٨ م). وفيه أضيفت الى الآجر الأحمر بضع نقاط من الميناء الزرقاء واللوان النباتية التى زخرفت بها الأرضية الجصية تحمل آثار الطلاء الأزرق (Godard, 3-6). وتم تطور آخر له نجده بالقرب من «سبند سرخ» فى ضريح اسطوانى يرجع الى رجب ٥٦٣ هـ (ابريل - مايو ١١٦٨ م)، لأن النقوش الكوفية المثقنة موجودة فى الآجر المزخرف بالميناء باللون الأزرق التركوازى (Godard, 6-7). ويبلغ هذا الأسلوب ذروته بضريح مؤمنة خاتون الجميل بنخجوان ويرجع الى عام ٥٨٢ هـ (١١٨٦ م) واستخدم فيه الآجر المزجج بألوان مختلفة مما أضفى تأثيراً رائعاً للألوان المتعددة. (Khanikoff, 113-115). وفى «سبند كابوده» [المقبرة الزرقاء] بمراغه (وتعد فى نظر أهالى المنطقة بضريح والده هولاكو) والتى ترجع الى عام ٥٩٣ هـ (١١٩٦ م) (٢٤٩).

كما تم العثور على بقايا لوح من الحجر الجيري يمثل جزءا من إطار معقود (لوحة ٣٧) بهذا المنزل. ومن الواضح أنه ينحدر من أصل القشور الكلسية فى سيفساء قبة الصخرة وجامع دمشق الكبير.

منزل رقم ٨

يضم هذا المنزل صحنًا واحدًا، إلا أن المعمار نجح هنا في جعل الصورة الداخلية متماثلة ومستطيلة (شكل ٦٢). ويبدو أن المدخل كان عند النقطة (g)، وكان يشكل مع الدركاه (p) المدخل المنكسر. وبالقرب منه، هناك دكة مثلثة (r) لا تزال بمكانها. وعلى كل من جوانب الصحن الذي تبلغ مساحته $4,5 \times 6$ م، نجد واجهة من ثلاث بانيات. وعلى الجانب الجنوبي الشرقي، نجد المجموعة المعتادة على شكل حرف T (a, b, c, d) وتنتهي السقيفة المستعرضة بحشوات مفرغة، كما هو الحال في المنزل رقم ٥ (شكل ٦٠). وفي وسط كل من الجوانب الأخرى، هناك دخلة أصغر من أن نطلق عليها اسم ليوان؛ إذ لا يزيد عرض أكبرها عن مترين. ويحتل الحوض بشكله المعتاد -مربع في أعلاه ومثلث في أسفله- وسط الصحن. وهناك انبويتان خزفيتان (B, a) على الحائط تهبطان من صهريج لم يعد موجودا ويمران أسفل الصحن. وتنتهي إحدهما بمنفس برونزي بمتصف الحوض. وتسير الأخرى حوله وربما كانت تساعد المنافس الموجودة بالأركان كما هو الحال بالمنزل رقم ٥.

السمات العامة للمنازل

إذا وضعنا التخطيطات التي رسمت بنفس المقياس للجزء الرئيسى لكل منزل أحدها إلى جانب الآخر (شكل ٦٣)، نجد درجة مذهلة من التشابه ولأول وهلة. ونجد في كل حالة صحنًا مستطيلًا ذا أبعاد متفاوتة. وعلى أحد جوانب هذا الصحن، هناك خطة ثلاثية العقود، العقد الأوسط منها أعرض من العقد الجانبيين. وتركز العقود على دعائم مستطيلة من الآجر. وتشكل هذه العقود الثلاثة سقيفة وراءها حجرة عمقها أكبر من عرضها، وتتفق مع العقد الأوسط مع وجود حجرة أصغر حجمًا إلى اليمين واليسار، وتفتح على السقيفة، ولكن بدون اتصال مباشر بالحجرات الجانبية. وعلى الجوانب الثلاثة الأخرى، هناك حجرة أو حشوة موضوعة على محور مركزي بمدخل أو فتحة إلى اليمين واليسار. ويجرى المحور الرئيس بصورة عامة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي. وهناك مجاز بدوران ذي زاوية يعنى [الباشورة أو المدخل المنكسر] يؤدي بصورة عامة من المدخل إلى إحدى الفسحات الجانبية بحيث لا يمكن رؤية الصحن من الشارع. أما الوحدة المستخدمة في العمل، فيوضح جابريل (ص ٥٨ و ٧٨) أن ذراع العمل البالغ ٦٤ سم هو الذى يبدو أنه كان مستخدماً.

الأصول المعمارية

إن مزيج الظلة [السقيفة] المستعرضة ثلاثية العقود ووراءها ثلاث حجرات متوازية تفتح إحداها (الوسطى) على الظلة بكامل إتساعها - وهو النظام الذى يطلق عليه هرترفلد نمط الصالة على هيئة حرف T المقلوب - نجده هنا كما وجدناه بقصر شيرين وسامراء والعسكر شمال الفسطاط ولكن مع وجود اختلاف يتمثل في أن هذا التجميع تكرر بقصر شيرين والأخضر على الجانبين الشمالى والجنوبى ليشكل جانباً صيفياً وآخر شتوياً، وهو ما لا نجده بالفسطاط.

رأينا أن التخطيط الشامى كما نراه بقسطل وقصر حرانه والمشتى والطوبة كان يختلف اختلافاً تاماً؛ وبالتالي يمكن القول إن التخطيط الذى نراه بالفسطاط انتقل من العراق ربما في العصر الطولونى (٢٥٠). أما عن نمط البيوت التى ظهرت بمصر الإسلامية قبل ذلك العهد، فليست لدينا معلومات عنها (وما يؤسف له أن سومرز كلارك لم يضع تخطيطاً للبيت الذى نقب عنه في سنة ١٩٠٠ بقرية المدينة بصعيد مصر بين المنيا ومنفلوط).

قطع من الأعمال الخشبية المحفورة من القصر الصغير أو القصر الغربى الفاطمى (٤٥٠هـ/١٠٥٨م)

ليس بين أيدينا كثير من المعلومات المعمارية المفصلة عن القصر الغربى الفاطمى [القصر الصغير] الذى بدأه العزيز وأكمّله المستنصر فى سنة ٤٥٠هـ (١٠٥٨م)؛ إلا أن هناك بعض الأفاريز الخشبية المتقنة اكتشفها هرتز فى سنة ١٩١١ فى أثناء عمليات الترميم التى نفذت فى مدرسة ضريح السلطان الناصر محمد بسوق النحاسين بجوار ضريح السلطان قلاوون. وكان أصدر أمره بإعادة تركيب أحد الألواح الخشبية بالإفريز المنحوت الذى يدور حول الجدران الأربعة أسفل منطقة الانتقال . وظهر حينذاك أن هذا اللوح الخشبي المحفور كان ينقسم الى مناطق مستطيلة محشوة بصور لبشر وحيوانات؛ ويفصل بين كل منها والأخرى منطقة على شكل نجيمة محشوة بالأرابيسك. فأمر هرتز على الفور بإزالة الألواح الخشبية المتبقية ووجد أن سبعة منها كان بها حفر مماثل على الظهر (Herz, Boiserie Fatimites, III m p. 170). ثم تم نقلها فيما بعد الى متحف الفن العربى (لوحة ٣٨). وهى محفورة بأنواع عديدة من الأشكال، منها على سبيل المثال شخص يقود جملا أو بغلا محملا، أو موسيقيون يعزفون على العود أو القيثارة، أو رجل مسلح يهاجم أسدا برمح طويل، أو رجل يحارب بسيفه ودرعه المستدير، أو رجال على ظهور الجياد والصقور على سواعدهم، ومشاهد شراب وغير ذلك. وتحتوى الحشوات التى تتخذ شكل نجيمات على موضوع واحد بصورة عامة، فهو إما طائر أو أرنب أو ما شابه (٢٥١).

سارع هرتز على أثر ذلك الى المتحف لإعادة فحص أجزاء عديدة فى القاعتين الرابعة والسادسة. وكانت هذه الأجزاء تشبه الأجزاء التى اكتشفها الى درجة مذهلة، وهى باب مزدوج بالقاعة الرابعة انخفض ارتفاعه الأصلي الى ٣,٨٢م بإزالة قطعة من قمته (لوحتان ٣٩أ، ب). والزخرفة فيه منحوتة بعمق وتتكون من أشكال لبشر فى حالة تشبه الرقص وآخرين يعزفون على القيثارة أو يمسون بكؤوس فى أيديهم. وبقيّة المساحة محشوة بالأرابيسك وطيور الحجل وغير ذلك. وهناك حشوة خشبية أخرى بالقاعة السادسة وطولها ٦٠سم تقريبا، وبها عناصر زخرفية مشابهة، أى صور لرجال يشربون وحيوانات (لوحة ٣٩ج). ونظرا للترتيب المتماثل للأشكال والصور على كل من نصفى الحشوة، يتبين أنها كانت تشكل جزءا من سقف أو سطح سفلى من قنطرة مجاز.

ثم اكتشف هرتز أن سجل المتحف المدون قبل ذلك بثلاثين عاما كان ينص على أن الباب المزدوج والحشوة كانا قد تم نقلهما من جامع السلطان قلاوون، وهى عبارة غير محددة لأنها تشمل ضريح السلطان ومدرسته ومارستانه، وجميعها تشكل مجمعا كبيرا من المنشآت. ثم أثبت أن الباب المقطوع القمة كان يتوافق مع المجاز تماما عند نهاية الدهليز الكبير بين الضريح والمدرسة ويفتح على داخل المارستان. أما السطح السفلى للقنطرة، فوجدت مكانها إحدى الفجوات التى نراها فى العارض (اختفى منذ ذلك الوقت) الذى كان فوق بئكة نفس المجاز. فقرر حينئذ أن يرى ما إذا كانت أية شقف أخرى من المارستان يمكن تتبعها بسجلات المتحف. ووجد أن جزءا من باب (اللوحة ٣٩هـ الى اليسار) بحشوة أخرى تم تثبيته على الوجه الآخر.

يشير هرتز الى أن قطع الجزء الباقى من الباب والأفاريز الخشبية ذات الواجهة المنحوتة والمقلوبة ناحية الجدار والواجهة الخارجية المنحوتة بزخارف مختلفة تماما توحى جميعا بأنها صنعت من مواد مأخوذة من مبنى آخر ثم أعيد استخدامها. فأى مبنى كان هذا؟ طبقا لما ورد لدى المقرئى، كان مارستان قلاوون يحتل مكان قصر ست الملك ابنة الخليفة العزيز (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م). وكان قصر ست الملك هو القصر الغربى الفاطمى

الذى بناه العزيز وقام بتجديده بصورة شاملة الخليفة المستنصر الذى أنفق مليونى دينار عليه فى سنة ٤٥٠هـ بحيث يكون سجنا للخليفة العباسى القائم [٤٢٢ - ٤٦٧هـ] الذى أجبر على التنازل عن العرش على يد البساسيرى (٢٥٢). واشتراه السلطان قلاوون فى ٢٨ ربيع الأول ٦٨٢هـ (١٢٨٣م) من احدى حفيدات السلطان الأيوبى العادل وأعطاه قصرًا آخر بدلا منه، ثم بدأ فى إنشاء مجمعه الضخم. وتم العمل بسرعة كبيرة من جانب الأمير منجر الشجاعى الذى استخدم كل ما يمكن إعادة استخدامه من مواد، كالباب الكبير مثلا (٢٥٣).

وكل من رأى الرسوم المميزة على السقف الخشبى الذى تم إكماله بين ١١٤٣ و ١١٤٩ ورأى كنيسة بالاتين بباليرمو، يدرك على الفور أهمية المنحوتات الخشبية بالنسبة لأية محاولة لتفسير طرازها وتاريخ تطورها. كما أنها على درجة من الأهمية فى تحديد تاريخ الحشوات العاجية المنحوتة بمجموعة كران فى فلورنسا، والتي يقال عادة إنها ترجع الى القرن الثالث عشر، إلا أنها يجب أن تدرج الآن ضمن أعمال القرن الثانى عشر على الأكثر (٢٥٤).

الفصل الثامن

أضرحة جبانة أسوان

سهل جنوب القاهرة

فيما بين عين الصيرة الى الشرق وموضع الفسطاط الى الغرب، كانت هناك جبانة مليئة بالأضرحة والمشاهد وما الى ذلك. ويصف ابن الزيات هذه الجبانة كما كانت في سنة ١٤٠١م، (٢٥٥) واختفى كل شئ اليوم. فلا ترى العين إلا صحراء شاسعة ملؤها الحفر والحاجر المهجورة وبقايا تقطيع الصخور. وفيما عدا السبع بنات ومسجد الشريفة وضريح [مشهد] طباطبا ومقبرة القاضي بكار (٢٥٦)، لا نعرف أيًا من المباني التي كانت قائمة في هذا الموضع (٢٥٧).

وصف جبانة أسوان

ربما أمكن لنا أن نرسم صورة لما كانت عليه هذه الجبانة العظيمة بأسوان حيث تقع جبانة شاسعة تضم آثارا ترجع الى القرنين الحادى عشر والثانى عشر ولا تزال قائمة. وتقع فى الصحراء شرقى الجبانة الحديثة، وتبدأ عند الطرف الشمالى من حى قتيانية وتستمر على جانبى طريق الشلال وحتى نقطة تبعد حوالى ٦٠٠ م شمال جبانة الانجليز. ويبلغ طولها الإجمالى حوالى ١٨٠٠ م وأقصى عرض لها حوالى ٥٠٠ م (٢٥٨). ونرى المقابر منتشرة فى المكان دون نظام أو ترتيب، مما يرجع الى طبيعة الأرض حيث تقطعها وديان عميقة وتتخللها كتل ضخمة من الجرانيت، ونادرا ما نرى فيها مسطحات مستوية. ومع أن ذكرها ورد فى أعمال نوردن ويومار وويلكنسن وغيرهم من الرحالة، إلا أن الفضل فى توجيه الانتباه اليها يعزى الى مونيريه دى فيليار. ولكن ينبغى أن نشير الى أن بعضا من انتقاداته الحادة لمن ألقى عليهم مسؤولية الكارثة التى محت عنها تاريخها لا مبرر له؛ فهناك صورة فوتوغرافية التقطها تينار فى سنة ١٨٥١ نرى فيها المكان وقد امتلأ بكومة من النقوش، وبالتالي، بدأ رفع هذه النقوش التى كانت تحمل تواريخ الأضرحة قبل قرن من الزمان (٢٥٩). ولكن اذا كان مونيريه يبالغ قليلا فى قوله بأن كل مقبرة كانت لا تزال تحتفظ حتى كارثة ١٨٨٧ بشاهدتها وعليه اسم المتوفى وتاريخ وفاته، مما يعنى أن كل مقبرة كانت مؤرخة، فلا بد لنا أن نقر بأن معظم المقابر كانت لا تزال تحتفظ بنقوشها حتى ذلك الحادث (انظر رسالة محمد بن بيرم فى لجنة حفظ الآثار، ١٨٩٦، ص ٨٣).

كارثة أثرية

يقدم لنا بدمج تفاصيل هذا الحادث حيث كان فى أسوان فى ذلك الوقت فى ديسمبر ١٨٨٧. فيصف لنا حدثا وقع بأسوان ولم يدر عنه أحد شيئا. فقد انهمرت سيول من المطر أغرقت المدينة وبلغت أسطح المكان وأخرجت عددا كبيرا من الرفات بالجبانة الحديثة. وبواصل قائلا:

«وفى الجبانة العربية القديمة التى تقع قرب أحد المحاجر القديمة فى التلال، التقينا باتنين من أعيان المدينة ينعيان ما ألم بالمدينة من أضرار. وكان بعض المقابر هاهنا يمثل أقدم الأضرحة الاسلامية المعروفة بصعيد مصر وتنتمى الى القرون الهجرية الأولى ... وكانت كلها مشيدة من الطين وكان يبعثها دعامات وأفاريز، مما يوحي بأنها كانت نسخا من أصول ييزنطية كانت مشيدة من الطين أيضا. وكانت القباب الصغيرة لا تزال تحتفظ برونقها وطلائها الأبيض وتضفى على كآبة المكان شيئا من الإشراق. وعلى قمة كل مقبرة لأحد الأعيان، كانت هناك شواهد

مستطيلة من الحجر الرملى حفرت عليها بالخط الكوفى حروف باسم المتوفى وبعض الآيات القرآنية وتاريخ الوفاة. ولما كانت كثرة من هذه الشواهد التذكارية ترجع فى تاريخها الى القرنين الثالث والرابع الهجريين، فإن أهميتها التاريخية والجغرافية واضحة. وحين وصلنا الى الرجلين، أشارا لنا الى الأضرار الجسيمة التى ألقت بالمقابر من جراء السيول. فقد انهارت القباب والدعامات والطين والجص والزخارف الجصية وأجزاء من الآجر الطينى التى كانت تدعم الألواح المستطيلة المنقوشة. وكانت هذه الألواح غارقة فى طين سائل. وكان من المستحيل إعادة بناء هذه المقابر. وقال الرجلان إن الحفاظ على الألواح المنقوشة كان مستحيلا، وكذلك الإبقاء عليها فى أماكنها فوق المقابر فكانت بكل تأكيد متعرضة للسرقه أو يعاد استخدامها فى أغراض انشائية أخرى. وفى ذلك الوقت، لم يكن هناك سوى نموذجين للشواهد الكوفية بالمتحف البريطانى. وكنت حريصا على الحصول على مجموعة منها. وكان الرجلان على أتم استعداد لأن آخذ منها أى عدد أشاء شريطة أن أخرج بها من مصر الى مكان يمكن الحفاظ عليها فيه. فاخترت أربعة عشر نموذجا من أقدمها وأفضلها حالا دون تردد ... وعندما جاء المأمور لزيارتي بعد ذلك مباشرة، أخبرنى بأنه يقدم شكره للانجليز على آخذ الشواهد، لأنه ما كان ليستطيع حمايتها تماما. ثم عرض عليّ أن أبتاع منه ستة شواهد كوفية أخرى كان يخفيها قرب داره. وكان السعر معتدلا، فاشتريتها منه. فقام أمين متحف بولاق بإبلاغ رئيسه بالقاهرة بما بدر منى ومن المأمور، وجاءته الأوامر باستعادة الشواهد التى يعثر عليها فى أسوان. فما كان منه إلا أن اتجه الى الجبانة وأخذ ينزع الشواهد عن القبور التى كان أهالى أصحابها لا يزالون يزورونها. وكانت نتيجة ذلك اشاعة السخط بالمدينة. ولم يعبأ الأمين بما حوله؛ بل استمر فى شحن الشواهد فى القارب» (Nile and Tigris , p. 97).

ويذكر مونييريه أن بعضا من هذه النقوش «أودع بمتحف صغير بأسوان دون سبب معروف، إلا أنها تم نقلها جميعا الى متحف الفن العربى [الإسلامى] بالقاهرة، بينما وجد بعضها الآخر طريقه الى مجموعات خاصة. وكان يمكن للعلاج أن يؤتى لثماره لو تم تنفيذه بأمانة وبمنهج علمى سليم، أى لو كان جريئوه فى عام ١٨٨٨ ودى مورجان فى سنة ١٨٩٦ حرصا على الحفاظ على النقوش وعلى تاريخ الجبانة أيضا. فإزالة بلاطات الشواهد أمر سهل وبسيط؛ أما قصر التفكير على الحفاظ على النقوش دون الحرص على الآثار التى وضعت عليها فقد نتج عنه تدمير البيانات التاريخية والأثرية الشديدة الأهمية. وحتى لو لم يريدا القيام بدراسة علمية للجبانة، كان من الممكن وضع رقم مسلسل على كل بلاطة شاهد وتكراره على المقبرة التى يتم نزعها عنها حتى يمكن الركون الى هذا التاريخ فى دراستنا العلمية. ولم يكن ذلك بالأمر العسير. إلا أن حظ الشواهد العسر جعلها تنتمى الى التاريخ الإسلامى لا الى التاريخ الفرعونى. فلم يعد من الممكن أن نكتب اليوم تاريخ العمارة الإسلامية فى أسوان وتاريخ واحدة من أقدم الجبانات الإسلامية وأهمها على أساس سليم».

إن نزع هذه النقوش التاريخية كان بمثابة كارثة أثرية. ولم ينته سوء طالع الجبانة بنزع بلاطات الشواهد؛ بل أضيفت اليه إقامة خط حديدى (وهو مهجور حاليا) وشق طريق من أسوان الى الشلال، وكلاهما يمر عبرها. ونجم عن ذلك بالطبع تدمير عدد من الأضرحة. وفى ١٩٠١، تمت إزالة ضريح بمسجد كان قائما فوق التل المواجه لفندق كاتاراكت لإنشاء خزان (مونييريه، ص ٣-٤).

المقابر (٢٦٠)

يقسم مونييريه المقابر الى ثلاث مجموعات:

١. مقابر تتكون من مساحة مسورة مستطيلة وصغيرة

وهى تزيد قليلا عن الحجم الذى يستوعب التابوت. وتدفن الجثة فى الأرض وحولها أربعة جدران تشكل

مساحة مسورة صغيرة تبلغ ٣ × ٤ م. ولا يزيد ارتفاع الجدران عن مترين. ويدعم هذه الجدران من الداخل اكتاف جصية مستطيلة فى الأركان وأحيانا فى وسط الوجه الداخلى للجدران الطولية. وليس هناك مدخل؛ بل فتحات هلالية الشكل تترك أحيانا بالجزء العلوى من الجدار. ويمكن أن ينظر الى الداخل من خلالها. وفى بعض الحالات، نجد محرابا نصف دائريا صغيراً فى الجانب الداخلى للجدار الجنوبي (انظر مونييريه، الشكلان ٢٨، ٢٩). وهناك حشوة غائرة بالواجهة الخارجية من الجدار الجنوبي وضع فيها النقش التذكاري. والمساحات المسورة التى بنيت لتضم مقبرتين زودت بحتيتان؛ بينما زودت المساحات المعدة لثلاث مقابر بثلاث حنايا. أما الجزء الخارجى فهو خالٍ تماما بصورة عامة، وسمته الوحيدة المميزة هى وجود الحشوة الغائرة الخاصة بالنقش التذكاري؛

٢. مقابر ذات حشوات جانبية

ويتكون هذا النمط كسابقه من أربعة جدران. ولكن بدلا من أن تكون خالية تماما من الزخارف، نجدها مزخرفة بحشوات مستطيلة عريضة وضيقة بالتبادل مع وجود ست نجميات مدببة أعلاها (شكل ٦٤). والحشوة الوسطى بالجدار الجنوبي والتى تعمل كنقش تذكاري نزعها أحيانا أسنان مثلثة تشير الى الداخل. والمكان من الداخل بصورة عامة ملىء بالتراب حتى قمة الجدار. لكن هناك أحيانا غرفة مقبية اسطوانية لدفن الجثمان، وكثف العقد ملىء بالتراب حتى مستوى الأرض. وهذا هو الحال بالنسبة لمقبرة وحيدة فى الجبانة كلها احتفظت بنقشها التذكاري المؤرخ بشوال ٤١١ هـ (يناير - فبراير ١٠٢١ م)؛

٣. مقابر مقبية

ويتكون هذا النمط الثالث من قبو اسطوانى صغير مغلق عند كل من طرفيه. وعلى جدار الطرف الشمالى، نجد فتحة معقودة كان يتم إدخال الجثمان منها، وكان العقد يتم سده بعد الدفن. وعلى جدار الطرف الجنوبي من الخارج، هناك حشوة غائرة للنقش التذكاري. وتتنوع معالجة الجوانب؛ ففي بعض الحالات، يتم ترك منحني القبو ظاهراً؛ وفى حالات أخرى، يتم بناؤه مستويا بالآجر بحيث يشكل كتلة منشورية تشبه المصطبة. وفى هذا النوع من المقابر، نجد أن البناء بأكمله مشيد بالطوب اللبن فيما عدا عقد المدخل حيث تم بناؤه بالطوب الأحمر [الآجر].

الأضرحة

يصنف مونييريه (ص ٢٣-٢٤) الأضرحة الى نمطين رئيسين : مربع ومستطيل. وبكل من النمطين ثلاثة أنواع فرعية (شكل ٦٥). يتكون النمط المربع من حجرة مربعة تغطيها قبة. ولهذا النمط ثلاثة أنواع فرعية نظرا للتنوع بالجزء السفلى منه:

أ) يتكون الجزء السفلى من أربعة عقود تنبت من دعائم ركنية على شكل حرف L

ب) الجانب الجنوبي مغلق ويتوسطه محراب وتركزت عقوده الثلاثة الباقية مفتوحة.

ج) الجوانب الأربعة جميعا مغلقة بجدار. وهناك محراب يتوسط الجانب الجنوبي وباب يتوسط الجدار المقابل للمحراب .

ويتكون النمط المستطيل من حجرة مستطيلة يتوسطها مربع تعلوه قبة ثم غطى كل من الجزئين الباقيين على جانبي المربع من الشرق والغرب بقبو اسطوانى قصير . وينقسم هذا النمط فى رأى مونييريه الى ثلاث مجموعات فرعية هى :

(أ) باب فى منتصف كل جانب

(ب) نفس الشئ عدا أنه حل محل الباب فى الجانب القبلى محراب .

(ج) نفس الشئ مثل (ب) عدا أن له بابا واحدا فقط (يواجه المحراب) وتمت إضافة فناء أمامى على الجانب الشمالى . وهذا النمط شديد الندرة وليس هناك منه إلا نموذجان.

كما أن هناك ثلاثة متغيرات فرعية ضمن هذا النوع الأخير. وفى النوع الأول، نجد أن عرض القبو الاسطوانى هو نفس عرض القبة، ويقل فى النوع الثانى. وفى النوع الأخير، نجد حشوة غائرة الى الشمال والجنوب أيضا.

كيف تطورت هذه الأنماط؟

هناك عدة أمثلة بنى فيها ضريح من نوع ما فى مقابل ضريح من نوع آخر مختلف وسابق، مما يمكننا من تحديد تتابعهما التاريخى والإجابة على السؤال المذكور. فعلى سبيل المثال، لدينا ضريح من النوع المستطيل بقبة ترتكز على أربع حنايا ركنية بينها نوافذ على شكل حرف (V) فيما بينها وتبرز الى الخارج. وتم بناؤه فى تاريخ لاحق فى مقابل رقم ٢٣ (حسب ترتيب مونييه) وهو مربع بسيط تعلوه قبة على أربع حنايا ركنية (شكل ٦٨). من ثم، يمكن أن نستنتج أن النوع «المربع ذا القبة» كان سابقا على النوع المستطيل، لولا المجموعة التى تشكلها الأضرحة أرقام ١٧، ١٨، ١٩ (شكل ٦٦). ولدينا هاهنا تتابع معكوس؛ فتم تشييد رقم ١٩ أولا؛ وفى النهاية، تم تشييد رقم ١٨ فى مواجهته. وجعل الجانب المتصل أقل سمكا من الجانب المواجه له. وفى فترة لاحقة تم بناء رقم ١٧، وهو مربع ذو قبة بسيطة وعقود مفتوحة ويجاور رقم ١٨ ويقع على نفس محوره. وهنا أيضا تم بناء الجانب الموصل بينهما بحيث يكون أقل سمكا من البقية لنفس السبب. وتفسير ذلك أنه بعد أن تطور النوعان، فإن النوع الأسبق زمنا (أيا كان) لم يختف؛ بل ظل موجودا جنبا الى جنب مع أنواع تطورت فيما بعد، مما يجعل الدليل على التابع الزمنى المذكور يبدو متناقضا وغير مكتمل.

نظرية مونييه

يدرج مونييه (ص ٢٤) النوع المستطيل الذى تغطيه قبة وسطى وقبوان اسطوانيان قصيران ضمن مرحلة أسبق من المربع ذى القبة قائلا إن النوع الأول كان مشتقا من المقبرة ذات القبو الاسطوانى المستطيل من خلال إحلال قبة محل الجزء الأوسط من القبو الاسطوانى وإن النوع «المربع ذا القبة» جاء فيما بعد. ولا نظن من جانبنا أن هذا هو المسار الطبيعى للتطور المعماري. فإقامة قبة على مربع كانت مشكلة صعبة لم يستطع حتى الرومان حلها. وبعد أن تم حل هذه المشكلة، أمكن ظهور مسألة مد جانبيين أو أكثر من جوانب المربع عن طريق الأقبية الاسطوانية.

أما بالنسبة لمناطق الانتقال، فكان التطور يتجه من البساطة الى التعقيد. ومادام الأمر كذلك، ينبغى أن نستنتج أن أشد مناطق الانتقال بساطة جاءت أولا ثم تلتها الأنواع الأكثر تعقيدا والمكونة من أربع حنايا ركنية بينها أربع نوافذ على شكل حرف V تبرز الى الخارج (أرقام ٥، ٧، ١١، ١٥، ١٩). والنماذج الستة من هذا النوع والتى لاتزال محفوظة بأسوان لم توجد أبدا فوق مربعات ذات قباب بسيطة؛ بل إنها جميعا فوق أضرحة من النوع المستطيل ذى القبو الاسطوانى فى جزء منه. وهكذا يبدو أن المسار الحقيقى للتطور كان على النحو التالى:

الثانى (أ) قبة على أربعة عقود مفتوحة

الثانى (ب) قبة على ثلاثة عقود مفتوحة والجانب القبلى مغلق وبه محراب

الثانى (ج) قبة على حجرة مربعة، والمحراب فى الجانب القبلى وتجاهه باب .

النوع الثالث

- (أ) ضريح مستطيل بقبة فى الوسط وقبو اسطوانى الى اليمين واليسار وباب يتوسط كل ضلع.
- (ب) ضريح مستطيل بقبة فى الوسط وقبو اسطوانى الى اليمين واليسار ولكن بثلاثة أبواب فقط ومحراب يتوسط الجانب الجنوبي.
- (ج) ضريح مستطيل بقبة فى الوسط وقبو اسطوانى الى اليمين واليسار ولكن بباب واحد فقط فى اتجاه المحراب وفناء أمامى أمام المدخل.
- من ثم، أجدنى أميل الى قلب الترتيب الذى اتبعه مونيريه، فتصبح المجموعة الثالثة عنده المجموعة الثانية عندي، وتتحول المجموعة الثانية عنده الى المجموعة الثالثة عندي.

النوع الثانى (أ)

هناك نموذجان فى حالة جيدة من هذا النوع، وهما رقما ٣٣ و ١٧ (لوحة ٤٠، ب). وكلاهما فقد قبتيه، وفقد الأخير رقبته أيضا، والنموذج رقم ٣٣ صغير جدا فى الحقيقة حيث لاتزيد مساحته عن ١,٥ م^٢ من الداخل و ٢,٤ م^٢ من الخارج (شكل ٦٦). وهناك أربعة ألواح حجرية [بلاطات أفقية مثلثة مستقيمة الحافة] وضعت عبر الأركان وتمثل دعما لرقبة ثمانية ملتوية الى الداخل. وأركانها العلوية تنحرف الى الأمام كالقرون كما هو الحال فى كل الرقاب بالجبانة التى لاتزال محفوظة فى حالة جيدة. والنموذج رقم ١٧ أكبر حجما حيث لاتزيد مساحته عن ٣ م^٢ من الداخل وأقل من ٤ م^٢ من الخارج (شكل ٦٦). ومنطقة الانتقال منفذة بأربع حنايا ركنية شيدت كتلك التى نراها بفيروزآباد. وهو نمط مستخدم أيضا فى ضريحين آخرين هما رقما ٥٤ و ٥٥. وفى كل من هذين الضريحين، عولجت منطقة الانتقال كجزء من القاعدة المكعبة وليست بها أية نوافذ.

النوع الثانى (ب)

هناك ما لا يقل عن أحد عشر نموذجا من هذا النوع، وهى أرقام ١٠، ٤٧، ١٣، ١٤، ٢٠، ١٢، ٢٣، ٣١، ٢٦، ٥٠، ٤٢. وفى كل من هذه الحالات، نجد فى الجدار الجنوبي محراب خال من الزخرفة. وفى كل من هذه الحالات تم تنفيذ الانتقال بعقد مدبب وحنايا ركنية على هيئة نصف قبة، عدا الحالة الأخيرة حيث يغطيها قبو قبائى (٢٦١) انهار الجزء الأكبر منه (لوحة ٤٢، ب). وأضرحة هذا النوع أكبر قليلا من أضرحة المجموعة السابقة، اذ يبلغ متوسط مساحة كل منها ٢,٥ م^٢. وهناك أربع نوافذ تظهر حاليا فى منطقة الانتقال بين الحنايا الركنية عدا رقمى ١٠ و ٤٧ حيث لا نجد أية نافذة، وفى أرقام ١٣ و ١٢ و ٢٣ حيث لا نجد إلا ثلاث نوافذ فقط وعولجت الرابعة من الخارج كمحراب أصم ليحمل النقش التذكارى للمتوفى. ومن الواضح أن الرقاب كلها تنتمى الى هذا النوع، بشماني نوافذ وأضلاع ملتوية الى الداخل و«قرون» فيما عدا الرقاب التى تدهور حالها الى درجة كبيرة. وفقدت النماذج أرقام ١٣ و ٢٣ قبابها تماما، فلا يبقى سوى تسع قباب جميعها مدببة عدا رقم ٤٧ الذى أصبح تاجه مسطحا. وتوحى البقايا التى نجدها عند أركان القاعدة المكعبة فى النماذج أرقام ١٠، ١٣، ١٤، ٢٠، ٢٣، ٣١ أنه كان هنا نوع ما من قواعد التماثيل.

النوع الثانى (ج)

هناك ستة نماذج من هذا النوع، وهى أرقام ٥٤، ٣٩، ٤٦، ٥١، ٣ ونموذج غير مرقم بحصن هارون. وفى رقم ٥٤، تم تنفيذ الانتقال عن طريق نوع مماثل لما نراه من الحنايا [حنايا مخروطية مستوية السطح] فى فيروزآباد (لوحة ٤٢، و)؛ وفى أرقام ٣٩، ٤٦، ٥١ والنموذج الموجود بحصن هارون، عن طريق حنايا ركنية معقودة مدببة أو على هيئة نصف قبة؛ وفى النموذج ٣ بمثلثات كروية. وفقد النموذج الأخير قبتيه. وجميعها بها نوافذ بين المثلثات، والرقاب بشماني نوافذ وأضلاع ملتوية الى الداخل و«قرون».

الأضرحة ذات القباب

مناطق الانتقال

- أقيمت قباب هذه الأضرحة على المربعات بخمسة طرق مختلفة كالتالي:
١. بعتب حجرى وضع عبر كل ركن فيتحول المربع بذلك الى مثنى، وهو أسلوب لا يستخدم بأمان إلا مع القباب الصغيرة جدا كتلك التى تنتمى الى النماذج ٦، ٢١، ٢٢، ٢٧، ٣٣، ٤٨، ٥٥.
 ٢. بمنحدر مثلث من الحجر، والنموذج الوحيد على ذلك الأسلوب نجده فى رقم ٤٩.
 ٣. بمثلثات كروية، ونجد هذا الأسلوب فى أرقام ٣، ٨، ١٨، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٧.
 ٤. بحنايا مخروطية بصورة تشبه نصف مخروط وضع على جانبه ويشبه فى بنائه بناء فيروزآباد. ولا يتبع هذا الأسلوب إلا فى أرقام ١٧، ٥٤، ٥٥.
 ٥. بحنايا ركنية عادية، أى بأنصاف اسطوانات على هيئة نصف قبة. ونجد هذا النمط مستخدما بما لا يقل عن عشرين مرة فى أرقام ٢، ٤، ١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣١، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٦، ٤٧، ٥٠، ٥١ وفى ضريح حصن هارون؛
 ٦. وهذا الأسلوب مشتق من الأسلوب السابق، حيث تم تنفيذ منطقة الانتقال من الحنايا الركنية. أما الفراغ بينها، فتشغله نوافذ على شكل حرف ٧ ومحراب على هيئة نصف قبة فوق كل منها. وتمتد هذه المحاريب الى أعلى بين النوافذ الموضوعة الحنايا الركنية. والحنايا الركنية والنوافذ على شكل حرف ٧ والمحاريب التى على هيئة نصف قبة كلها ناتئة الى الخارج، وأشكالها المستديرة تعطى تأثيرا غريبا للغاية. وقد يوصف هذا النمط بأكمله بأنه تطوير غير ذى معنى ولا جدوى من النوع الخامس، وهو يقتصر تماما على الأضرحة القبابية المستطيلة المستخدمة فى أرقام ٥، ٧، ١١، ١٥، ١٩، ٣٢.

رقاب القباب

هناك دائما رقبة بين منطقة الانتقال والقبة. وتتفاوت هذه الرقاب (عدا فى النموذجين ٢٨ و ٤٨ وهما مربعان من الداخل) من منشور مثنى بسيط الى الشكل الغريب الذى نراه فى النوع السادس السابق الذكر. ولا نجد المنشور المثنى البسيط المسطح الجوانب إلا فى النماذج ٤، ٢٨، ٣٩ حيث تتميز الرقبة بجوانبها المقعرة كما هو الحال فى النماذج ٧، ٣٠، ٥٠ حيث تميل الأركان العلوية الى الانحناء الى الأمام قليلا، وهو مالا يزال ملحوظا فى النماذج ٢٠، ٤٧، ٥١، ٥٢؛ ويتخذ شكلا مطلقا فى النماذج ١٢، ١٤، ٣١، ٤٩ حيث تبرز الأركان كالأقرون. وتم تنفيذ ذلك عن طريق إبراز الآجر. وبعد هذا النوع من الرقاب خاصية تميز صعيد مصر ونراه فى الشلال وإسنا وقوص وسوهاج (انظر مونييريه)؛ إلا أنه غير معروف فى القاهرة. ونجد الرقاب المثلثة ذات الجوانب المسطحة (بدون «قرون») فى مسجد القيروان الجامع فى القبة المشيدة أمام المحراب (٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م) وفى مسجد سوسة الجامع فى القبة المشيدة أمام المحراب (٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م)؛ وبالتالي، فهذه الرقاب الاسطوانية قد تكون تطورا لنمط تونسى أقدم كان له تأثيره على صعيد مصر [أى جنوب مصر] لا شمالها على ما يبدو.

وتتميز النوافذ فى هذه الرقاب عامة بأنها فتحات مبسطة معقودة ومستديرة عدا بالنموذجين ٢٤ و ٢٥ اللذين يشبهان النوافذ الموجودة برقبة مشهد السيدة رقية (لوحات ٨٦ ج، ١١٣ أ، ب).

مادة البناء

شيدت الأضرحة بصفة عامة بأبسط المواد المتاحة - أى بالطوب اللبن - فيما عدا العقود وأحيانا القباب حيث

استخدم الطوب الأحمر [الآجر] بمقاس $25 \times 12 \times 3,5$ سم عادة. والجدران مكسوة بصورة عامة بطبقة من الجص سقطت منها أجزاء كبيرة وأحيانا تكسوها ألواح حجرية.

مشكلة تاريخ بناء المقابر والأضرحة

سبق أن ذكرنا المأساة التي تعرضت لها كل هذه الأضرحة والمقابر -عدا واحدة- ففقدت نقوشها التي تحمل التواريخ. وقام مونيريه (نفس المصدر) بتصنيف النقوش الستمائة التي تم رفعها من أسوان تحت التواريخ التالية (٢٦٢):

القرن الثاني الهجرى	(٨م)	١٢
القرن الثالث الهجرى	(٩م)	٤٩٦
القرن الرابع الهجرى	(١٠م)	٥١
القرن الخامس الهجرى	(١١م)	٣٨
القرن السادس الهجرى	(١٢م)	٣

٦٠٠

وهكذا فإن ما يقرب من خمسة أسداس هذا العدد (٤٩٦ من ٦٠٠) ينتمى الى القرن الثالث الهجرى، ومعظمه بين الأعوام ٢٤٤ و٢٦٦ هـ (٨٥٥-٨٧٩م) بمعدل سنوى عشرة تقريبا. فى حين كان هناك ٢٠٠ فى الأربعين عاما السابقة بمعدل خمسة كل عام. وفى الثلاثين عاما التالية، كان هناك ٣٥ فقط. وهكذا كان أقصى معدل للنشاط من سنة ٢٠٠ الى ٢٦٦ هـ (٨١٥-٨٧٩م)، أى فى أوائل العصر العباسى وتحت حكم أحمد بن طولون [ت ٢٧٠ هـ]. ويخرج مونيريه بالنتائج التالية:

١. المقابر من النوعين أ، ب هى الأقدم لأنها تقليد لنموذج مصرى كان منتشرا إبان الدولة الحديثة ولا يزال مستخدما فى الحقبين البيزنطية والقبطية.
٢. تعد المقابر ذات الأقبية (النوع ج) أحدث زمنا من المقابر السابقة، وترجع إحداها الى شوال ٤١١ هـ (يناير - فبراير ١٠٢١م).
٣. الأضرحة من النوع الثالث (أى النوع الثانى فى ترتيبنا) مشتقة من النماذج الكلاسيكية التى كانت منتشرة فى الامبراطورية البيزنطية ومصر القبطية (واحة الخارجة)
٤. تعد أضرحة النوع الثانى (أى النوع الثالث فى ترتيبنا) تطورا للمقبرة المستطيلة ذات القبو الاسطوانى ولا سابقة لها، لا كلاسيكية ولا قبطية.

ثم يضيف مونيريه قائلا إن «محاولة تحديد التواريخ على مثل هذا الأساس الواهى تعد أمرا غير جاد علميا ولا يؤدى بنا إلا الى الخطأ الى أن يزيد التعمق فى دراسة العمارة الإسلامية بصعيد مصر. وأعتقد أن كل الأضرحة بجبانة أسوان تعد متأخرة نسبيا، أى تنتمى الى القرون من الحادى عشر الى الثالث عشر الميلادى. وأعتقد أن أغلب النقوش الشاهدية جاءت من مقابر بسيطة. لكن هذا رأى الشخصى ولا وثائق لى أدلى بها عليه». إن استنتاجاته تبدو سليمة، لكنى أعتقد أن هناك دلائل أكبر تؤيدها أكثر مما ظن هو نفسه. وسأحاول أن أثبت أن تواريخ هذه الأضرحة يمكن تضييقها من الجانبين. ولنبدأ بالبناء المعروف حاليا بالمشهد (رقم ١ عند مونيريه). وسرى أن بناؤه تم فى أواخر القرن الحادى عشر الى أوائل الثانى عشر الميلادى على الأرجح، وأنه كان أحدث الأضرحة القائمة بناء على منطقة انتقاله التى تمثل مرحلة متأخرة من التطور عن أى من المنشآت الأخرى الموجودة بالجبانة. كما رأينا أن هناك ما لا يزيد عن ثلاثة نقوش من مجموع ٦٠٠ ترجع فى تاريخها الى ما بعد

عام ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) لذا يمكن لنا أن نستنتج أن أضرحتنا لا تنتمي الى فترة أحدث من القرن الحادى عشر. ولنبداً الآن من الجانب الآخر. رأينا أن إقامة الأبنية فوق القبور كان محرماً فى فجر الإسلام وأن أول ضريح تمت إقامته فوق قبر خليفة كان قبة الصليبية بسامراء والتي أقيمت فوق قبر المنتصر على يد والدته اليونانية التي حصلت على إذن خاص بذلك لدى وفاته فى سنة ٢٤٨ هـ (٨٦٢ م). وكان الضريح التالى هو ضريح إسماعيل السامانى (توفى ٢٩٦ هـ / ٩٠٧ م) فى بخارا. وهو مكعب فوقه قبة بجوانب مفتوحة (فيما مضى). ثم يلى ذلك «القبة الضخمة القائمة على أربعة أضلاع بباب على كل ضلع» (أى مكعب آخر فوقه قبة وبجوانب مفتوحة) بنيت فوق قبر الإمام على بالنجف على يد أبى الهيجاء عبدالله الحمدانى الذى توفى فى سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩ م)؛ ثم القبة التى بنيت بقم فى سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) فوق قبر محمد بن موسى؛ ثم السبع بنات بالفسطاط (٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م). ونستنتج أن المقبرة الكانونية [ذات السقيفة] - أى المكعب ذى القبة والجوانب المفتوحة - كان أول نوع حتى مطلع القرن الحادى عشر (٢٦٣). ورأينا أنه من بين الخمسين ضريحاً بأسوان لا ينتمى الى هذا النمط سوى أربعة فقط (هى أرقام ١٧، ٣٣ واثنتان غير مرقمين). ولا يحتمل بالتالى أن يرجع أى من هذه الأضرحة الى تاريخ أسبق من عام ١٠٠٠ م وأن مونييه كان محقاً تماماً حين ظن أن الجزء الأكبر من النقوش الشاهدية (واعتقد أنها كل النقوش التى ترجع الى ما قبل عام ٤٠٠ هـ) جاء من المقابر البسيطة.

وصف لبعض النماذج

يعد النموذج رقم ٣٣ (لوحة ٤٠ أ، شكل ٦٦) أحد أصغر النماذج فى الجبانة كلها؛ فلا تزيد مساحته عن ١,٥٧ م مربع من الداخل وما لا يزيد عن ٢,٥ م من الخارج. وبنى بأكمله من الطوب اللبن، مساحة كل طوبة ٢٤ × ١٦ × ٧ سم، ويفتح على كل الجوانب الأربعة بعقود يتكون كل منها من حلقتين من الطوب اللبن تقل عن متر فى مساحتها. والألواح الحجرية المسطحة الموضوعة عبر الأركان بارتفاع ١,٧٨ م عن الأرضية تمثل دور المقرنصات، وترتكز عليها رقبة القبة المثلثة وارتفاعها ٩٠ سم وبها نوافذ مساحتها ٤٠ × ٢٥ سم وهى مسطحة من الخارج وأركانها العلوية بارزة بحيث تمثل «قرونا» عادية، وهو ما يميز الجبانة كلها. ولم يبق من القبة سوى بعض الصفوف هنا وهناك. وكل ذلك موضوع على قاعدة مربعة يبلغ ارتفاعها نصف المتر تقريباً، وتبرز حوالى ١٦ سم على الجانبين الشمالى والجنوبى فقط. والمساحة من قمة الجدران الخارجية وحتى مستوى الأرضية حوالى ٢,٥ م بحيث يمثل الجزء السفلى (ذى القاعدة المربعة) مكعباً تاماً مساحته ٢,٥ م على كل جانب. وهناك ضريح آخر (غير مرقم) الى الجنوب ومفتوح أيضاً على الجوانب الأربعة جميعاً وبه قاعدة مربعة عريضة تبرز بمسافة متر شمالاً وجنوباً، وقاعدة مربعة أخرى على بعد ٤ م تقريباً الى الشرق بدون قبة أو رقبة؛ إلا أن حناياه الركنية [المخروطية] الدقيقة لاتزال باقية.

رقم ٧ (لوحة ٤٠ ب، ٤٤ ج، شكل ٦٦): بنى هذا الضريح الذى فقد رقبته وقبته أمام الجانب الغربى من رقم ١٨ والجانب الملاصق أقل سمكاً من البقية ومساحته أقل من ٣ م^٢ من الداخل. وعلى كل ركن حنيه [زات سطح مخروطى مستو] من الطوب الأحمر بنيت كمثيلتها فى فيروزآباد. وسطح الجدار بينها منحني. ويلاحظ أن الحنايا وضعت بين الجزء العلوى من العقود بدلا من وضعها فى منطقة انتقالية مستقلة فوقها.

رقم ١٠ (لوحة ٤٠ ج، شكل ٦٦): يعد هذا الضريح الذى بنى بكامله من الطوب اللبن فى حالة سيئة للغاية. ومن الغريب أنه ليس مربعا، بل مستطيلاً الى حد ما؛ اذ تزيد مساحته بمقدار ٣٥ سم من الشمال الى الجنوب عنها من الشرق الى الغرب. ويبلغ سمك الجدران حوالى ٧٠ سم. وعلى قمة الجانب الجنوبى، هناك حشوتان غائرتان مستطيلتان وضعتا على ما يبدو بهدف وضع اللوحة التذكارية. وتعد الحنايا الركنية فيه فقيرة،

وليس بينها نوافذ. وتعلو حافاتها السفلية عن الأرضية بمسافة ٢.٨ م ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقال ٨٢ سم. ورقبة القبة مثمثة من الداخل ومقعرة من الخارج وبها ثمانى نوافذ. ومع أن الجزء الأكبر من القبة انهار، إلا أنه من الواضح أنه تم رفعه على الأركان الثمانية عن طريق ألواح حجرية صغيرة.

رقم ٤٧ (لوحة ٤٠ هـ، شكل ٦٦): بنى هذا الضريح الذى تبلغ مساحته ٢ م^٢ من الداخل و٢٣,١٠ م^٢ من الخارج من الطوب المحروق بأكمله. ويضم محرابا ذا عقد منكسر بالضلع الجنوبي، ويرتكز على قاعدة مربعة من الطوب بكسوة أسمنتية عرضها يقل عن متر واحد. والحنايا الركنية فقيرة كما هو الحال فى النموذج رقم ١٠. وترتفع حوافها السفلية عن ٢ م فوق الأرضية. ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقال ٩٤ سم. وقرون ربة القبة ليست بالقدر المعتاد من النتوء، وتميل قمة القبة الى الاستواء قليلا.

رقم ١٣ (لوحة ٤٠ هـ، شكل ٦٧): تبلغ مساحته حوالى ٣ م^٢ على كل ضلع من الداخل و٤,٢٠ م^٢ تقريبا من الخارج. وتم بناء الجزء السفلى منه بأكمله من الطوب اللبن بما فى ذلك العقود الرئيسية بيد أن عددا قليلا من قوالب الطوب المحروق تم استخدامها على قمة هذه العقود الرئيسية كما نرى فى اللوحة، وهى خاصية سنجدها مرة أخرى فى النموذج ١٤. وتنحدر الجدران الخارجية الى الخلف قليلا ويتوجها صف مستقيم من الألواح الحجرية البارزة قليلا. وبنيت الحنايا الركنية المعقودة التى وضعت بحوافها السفلية فوق الأرضية بمسافة ٢,١٠ م من الطوب المحروق. وعقود النوافذ فيما بينها أصغر قليلا. وتم سد العقد الجنوبي (كما هو الحال بالنسبة للنماذج أرقام ١٤، ١٢، ٢٠، ٢٣) وبقيت حشوة ضحلة على الضلع الداخلى وتشغل مكانها من الخارج حشوة غائرة مستطيلة ضيقة. وكانت تشغلها على الأرجح فيما مضى لوحة تذكارية. ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقال ١,١٠ م وتمثل مثمنا محددا واضح المعالم، وفوقه ربة مثمثة بنفس الارتفاع تقريبا ومقعرة من الخارج وبها ثمانى نوافذ، «القرون» هاهنا ليست بارزة تماما، كما هو الحال فى النموذج ٤٧. وتم وضع الربة على منطقة الانتقال بصف مستقيم من الألواح الحجرية الناتئة. وانهارت القبة إلا بضع صفوف شيدت من الطوب المحروق. وتحت القبة، هناك قاعدة مربعة ارتفاعها ٢٠ سم ومساحتها ٢,٥ × ٢ م.

رقم ١٤ (لوحة ٤١ أ، ب، شكل ٦٧): وهو يشبه النموذج السابق الى درجة كبيرة؛ فهو بنفس الحجم تقريبا وبنى بكامله من الطوب اللبن وبنفس الاستثناءات المذكورة فى النموذج السابق. وتبدأ منطقة الانتقال على ارتفاع ٢,٣٥ م من الأرضية وارتفاعها ١,٧ م. وترتفع قمة القبة عن الأرضية بمسافة ٦,٤٥ م. وهنا أيضا نجد حشوة ضحلة تحتل مكان النافذة الجنوبية. ويحتل مكانها من الخارج إطار معقود غائر. وتنحدر الجدران الخارجية الى الخلف قليلا ويتوجها صف مستقيم من الألواح الحجرية. وينظر الى مائبقى بالركن الشمالى الغربى، يبدو أنه كانت هناك قاعدة تمثال مبسطة من نوع ما. وتبرز القبة المثمثة من الداخل والمقعرة من الخارج فوق منطقة الانتقال وفوقها قبة من الطوب المحروق. وتحت القبة قاعدة مربعة متميزة من الطوب المكسو بالجص وارتفاعها ٤٣ سم. والجزء الأوسط غائر بمسافة ١١ سم.

رقم ١٢ (لوحة ٤١ هـ، شكل ٦٧): ويقل حجمه قليلا عن سابقه، حيث تبلغ مساحته ٢,٧٠ م^٢ من الداخل و٤,٢٠ م^٢ تقريبا من الخارج. وتميل سائر جدرانه الى الانحدار قليلا الى الداخل. وهو مبنى من الطوب اللبن بنفس الاستثناءات التى تنطبق على سابقه. فرغم وجود كسوة محفوظة فى حالة جيدة تماما من الجص، إلا أن هناك بعضا من الطوب اللبن مكشوبا عند المحراب. وتبدأ منطقة الانتقال على ارتفاع ٢,٣٠ م عن الأرضية ويبلغ ارتفاعها ٩٨ سم. وهنا أيضا نجد أن النافذة الجنوبية قد سدت (كما هو الحال فى النموذجين ١٣، ١٤) مما نتج عنه حشوة ضحلة فى الداخل والخارج. وكانت الحشوة الغائرة الخارجية بالطبع مخصصة للوحة التذكارية. والربة

المشعنة من الداخل والتي تحتوى على «قرون» من الخارج بها ثمانى نوافذ معقودة مستديرة. ويبلغ ارتفاع قمة القبة عن الأرضية ٦,٢٥ م. وترتفع الأرضية عن الأرض بمسافة ٣٠ سم ومبلطة بالطوب الأحمر. وتحت القبة قبر أجوف كما نرى فى اللوحة.

رقم ٢٠ (لوحة ٤١ ء، شكل ٦٧): وحجمه تقريبا هو نفس حجم النموذج السابق. وتم بناؤه من الطوب اللبن. ويلاحظ أن الضلع الجنوبي أطول من نظيره الشمالى بمقدار ٣٣ سم. وحين نتمعن النظر، يتبين أن ذلك يرجع الى زيادة سمك الضلع الغربى من الجنوب الى الشمال مع أن منطقة الانتقال تتبع الخط (أ). وتفسير ذلك كما يلي، عند نقطة الاتصال بالضريح (ب) يمكن أن نرى أن الضلع الشرقى من الضريح مكسو بالجص، فى حين أن الضلع الغربى للنموذج (٢٠) المتصل به ليس مكسوا بالجص؛ وبالتالي، فالأرجح أن (ب) هو الذى بنى أولا، لأن ضلعه الشرقى ما كان يمكن أن تضاف اليه كسوة جصية مالم يكن قائما بمفرده ومستقلا حين تم بناؤه. وعندما تم بناء النموذج (٢٥) ظهرت الرغبة فى تعديل القبلة بتحويلها الى اليسار قليلا. وفى سبيل تخشى ظهور فجوة، تم بناء جداره الغربى كما يتبين باللوحة. وتم ترك محراب فى الوسط بدلا من عقد مفتوح. ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقال ١,٢٢ م وترتفع عن الأرضية بمقدار ٢,٥٠ م. وتبرز الحنايا الركنية أكثر من المعتاد وترتكز على ألواح حجرية. وهناك نافذة بين كل اثنين عدا على الضلع الجنوبي حيث نجده يعامل بنفس الطريقة التى عوملت بها النماذج ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ٢٣ القريبة منه. ورقبة القبة مشعنة من الداخل إلا أنها مقعرة من الخارج. والقبة محمولة عبر أركان الرقبة على ألواح حجرية طائرة. وتحت القبة التى تعلو قممتها بارتفاع ٦,٦٠ م عن الأرضية قاعدة مربعة من الطوب المحروق مساحتها ٢,٤٤ × ٢,١٧ م.

رقم ٢٣ (لوحة ٤١ هـ، شكل ٦٨): وحجمه يساوى حجم النموذج السابق وبنى من نفس المزيج من المواد الخام الموزعة بنفس الطريقة. فهو مغلق على ضلعه الشمالى. ولم يترك به سوى حشوة. ويبدو أن الجزء السفلى من هذه الحشوة كان مغلقا دائما، فتجرى الصفوف فى داخلها، فى حين من المحتمل أن كانت فوقها كوة هلالية الشكل. إذ نرى الإطار المعقود وهو يمر مباشرة ويمكن رؤيته من الخارج وربما لم يتم تسويره إلا لاحقا، لأن الوصلة مختلفة تماما وتتكون من صف واحد من اللبنة وضع مسطحا بصورة تبادلية مع صف آخر وضع على حافته. ويتكون الحشو - على خلاف الجدار من تحته - من صف من الطوب اللبن وضع رأسيا؛ يليه صف وضع أفقيا، وهكذا بالتناوب. ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقال ١,٠٦ م، والحواف السفلية للحنايا الركنية تعلو الأرضية بمسافة ٢,٣٩ م. وارتفاع الرقبة التى تبرز الى الأمام قليلا هو تقريبا نفس ارتفاع منطقة الانتقال. وانهارت القبة، أما الأرضية التى تعلو عن مستوى سطح الأرض بحوالى قدم واحد، فتمتد جنوبا بقاعدة مربعة عرضها ١,١٠ م، وطرفها الشرقى مغلق بجدار يزيد ارتفاعه عن المتر بقليل وبه محراب صغير.

رقم ٣١ (لوحة ٤٢ أ): انهيار نصفه ولم يبق سوى الضلعين الشرقى والجنوبى بمساحات ٣,٣٣ و ٣,٤٦ م على التوالى وجزء من القبة. وهو مشيد من الطوب فيما عدا كل العقود والرقبة بأكملها والقبة، حيث بنيت من الآجر المحروق. ولا يزيد سمك القبة عن سمك طوبة واحدة. وهناك أربع نوافذ بين الحنايا الركنية، فلم يتم سد النافذة الجنوبية منها بحيث يترك مكان بها من الخارج للوحة التذكارية. وعوضا عن ذلك، تمت معاملة العقد الرئيسى أسفل كل حشوة معقودة من الداخل والخارج على السواء. وتهشم هذا الجزء، إلا أن جزءا من الكسوة الجصية لا يزال باقيا وتمتد تحته المداميك محاذية. ويمثل الجزء المعقود من الحشوة حشوة غائرة ثانية عمقها ١٩ سم بغرض أن تتسع للوحة التذكارية على ما يبدو. ولا تزال هناك منصة ربع دائرية باقية على ركنين.

رقم ٤٢ (لوحة ٤٢ ب): تميزه سمتان، أولا هما أن المحراب يقع على الضلع الشمالى، والأخرى أنها مغطاة

بقبو قبائي (٢٦٤)، وهي مميزة لانراها حسب علمى فى أى مكان آخر بأسموان عدا فى المشهد. وفوق المحراب حشوة غائرة مستطيلة كانت بالضرورة تحوى لوحة تذكارية ذات يوم.

رقم ٤٦ (لوحة ٤٢ ج، د، هـ، شكل ٦٨): تبلغ مساحته من الداخل ٢,١٥ م وبنى بكامله من الطوب اللبن عدا العقود. وللمحراب ذى العقد المنكسر ظهر مسطح. وترتفع الحنايا الركنية عن الأرضية بمسافة ٢,٠٧ م، ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقال ٥٨ سم والرقبة ٨٠ سم. وعلى خلاف الحال فى النموذج السابق، نراه يضم نوافذ بين المقرنسات.

رقم ٥٣ (لوحة ٤٢ هـ، شكل ٦٨): بنى بكامله من الطوب اللبن باستثناء القبة والحنايا الركنية. وهو أكبر قليلا من النماذج التى وصفناها حتى الآن. فتبلغ مساحته من الداخل ٣,٢٠ م، ومن الخارج ٥ م. والجدران خالية من الزخارف من الداخل وليس بها محراب؛ إلا أنها تبرز الى الخارج بحشوات معقودة عرضها ١,٧٠ م وعمقها من ٢٤ الى ٣٠ سم. وبالحشوة الجنوبية حشوة غائرة ثانية عرضها ٩٠ سم كانت بالضرورة بغرض أن تسع لوحة تذكارية. أما المدخل فيمثل مشكلة؛ فيتم الدخول اليه من خلال فتحة ضيقة وطويلة فى الحشوة الشرقية عرضها نصف المتر تقريبا وحوافها مهشمة. وتحتها مباشرة شريحتان من عقد تهشمت قمته. فهل كان هذا هو المدخل الأصلي للضريح، أم القبو الكائن أسفله؟ وما يؤسف له أن مستوى الأرضية لايمكن تحديده بسبب تراكم الرمال. وتنتمى الحنايا الركنية المبنية بالآجر المحروق الى النمط الفيروزآبادي، [ذات سطح مخروطى مستو] وكذلك شكل السطح بينها، حيث ينحرف باتجاه أضلاع النوافذ. ويبلغ ارتفاع المنطقة الانتقالية ٨٠ سم. وتعد الرقبة المستديرة من الداخل أطول قليلا من المعتاد وأضلاعها الداخلية مقعرة وبها «قرون» فى حالة سيئة وترتكز عليها قبة من الآجر المحروق. وعلى الجانب الجنوبى هناك مصلى صغير تمت إضافته وبه محراب.

رقم ٥٤ (لوحة ٤٢ هـ، شكل ٦٨): وهو أكبر قليلا من الداخل عن سابقه، حيث تبلغ مساحته ما يزيد عن ٣,٥ م، إلا أن جدرانه أقل سمكا، مما يجعله يبدو بحجم مماثل تماما من الخارج. وكما هو الحال فى النموذج السابق، بنى هذا النموذج كله من الطوب اللبن عدا الحنايا الركنية والقبة. والجدران بارزة من الخارج بحشوات ذات فجوات مضاعفة، إلا أن الجدران من الداخل خالية من الزخارف عدا عقود الحشوات التى تستمر كما هو الحال فى النموذج ٥٢ (لوحة ٤٣ أ) باستثناء العضادات. وليس به محراب. وبه مدخل واحد وضع فى حشوة الضلع الشرقى. ولا مجال لتحديد مستوى الأرضية نظرا لتراكم الرمال. وتنتمى الحنايا الركنية الى النمط الفيروزآبادي كما هو الحال فى النموذج ٥٣. ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقال ٨٠ سم وارتفاع الرقبة ١,٢٥ م. وهناك شريط غائر غريب الشكل يدور حول القبة من الخارج بسبب غياب أربعة مدايميك من الطوب. وليس هناك تفسير لانتظامه الدقيق.

رقم ٢٤ (لوحة ٤٣ ج، د، هـ، شكل ٦٩): بنى بكامله من الطوب اللبن بما فى ذلك العقود. والاستثناء الوحيد هو القبة التى بنيت من الطوب المحروق. ونأتى الآن الى أول الأضرحة المستطيلة، حيث يبلغ الفارق بين الطول والعرض ٧٠ سم تقريبا. وعلى جانبي المدخل على الضلع الجنوبى أعمدة صغيرة من الطوب اللبن، وهى سمة لا تجدها إلا فى النموذج ٢٥ القريب منه. وتعلوه حشوة معقودة على ظهرها حشوة أخرى أصغر حجما كانت بالضرورة بغرض أن تسع اللوحة التذكارية. وعلى الجانب المقابل هناك عقد مفتوح، لكن هناك حشوة معقودة تتجه شرقا وغربا فقط.

يتحول الجزء الداخلى المستطيل الى ما يشبه المربع بقبوين اسطوانيين قصيرين فوقهما منطقة الانتقال بارتفاع ٦٠ سم وبارتفاع ٢,٠٥ م عن الأرضية. وهناك أربع حنايا ركنية من النمط العادي، ولكن بدلا من وجود النوافذ

بينها، نجد أربع حنايا تأخذ هيئة نصف قبة أصغر قليلا من الحنايا الركنية. وأشد السمات تميزا نجدها في الرقبة، فهي شديدة الارتفاع (١,٤٤م) وتخرقها أغرب أشكال النوافذ. ووضع في كل من الزوايا الكارة الثماني عمود صغير ذو قاعدة عشوائية وتاج غير متقن. أما من الخارج فتتسم الرقبة بقدر أكبر من الإتقان مما نراه في أى نموذج آخر حتى الآن. وتمثل القبة نمطا جديدا، فقد شيدت بثمانية فصوص مقعرة من الداخل، محدبة من الخارج. ويفصل بين كل منها والآخر ضلع بارز. وترتفع قمته عن الأرضية بمسافة ٦,٠٥م، وفي ركنين من أركان الجدران الخارجية نجد كومتين من الطوب من الواضح أنها بقايا منصة بدائية.

رقم ٢٥ (لوحة ٤٣ ب، شكل ٧٠): وهو نسخة طبق الأصل تقريبا من النموذج ٢٤ غير أنه أصغر قليلا من حيث الحجم (٢,٠٤ × ٢,٦٤م من الداخل) وأكثر إتقانا من حيث البناء، فتم بناء عقود المدخل والحنايا الركنية وعقود النافذة والرقبة والقبة من الآجر المحروق. والجدران الخارجية تتوجها كسوة من الألواح الحجرية. ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقال ٥٨سم وترتفع عن الأرضية ٢,١٣م. ويبلغ ارتفاع الرقبة ١,٤٠م تقريبا. والفارق الوحيد في القبة، فلا يفصل بين الفصوص الثمانية ضلع بارز. وترتفع قمة القبة عن الأرضية بمسافة ٥,٣٦م.

رقم ٢٨ (لوحة ٤٣ هـ): وهو أحد أصغر الأضرحة في الجبانة، فلاتزيد مساحته عن ٢ × ١,٣٠م من الداخل و ٢,٩١ × ٢,١٥م من الخارج. وفي منتصف كل ضلع نجد حشوة ذات فجوة يشكل الجزء المعقود منها كوة هلالية الشكل. وإلى اليمين واليسار، نجد أخاديد رأسية ضيقة لانزال تحتفظ بكسوتها الجصية وليس هناك دليل على وجود مدخل، ولو أنه يمكن الدخول عبر حشوة مكسورة. وتم تخفيف الجزء الداخلى المستطيل الى مربع بقبوين اسطوانيين طولهما ٣٦ و ٤٠سم الى الشمال والجنوب. وتم وضع القبة على المربع الذى تم تصميمه بما يبدو وكأنه مثلثات كروية، إلا أنها صغيرة ومكسوة بطبقة سميكة من الجص لدرجة تثير الشك الى حد ما. وهناك رقبة مستديرة من الداخل ومثمرة من الخارج بأضلاع مسطحة وليس بها سوى أربع نوافذ لارتفاع أعتابها عن الأرضية إلا بمسافة ١,٧٨م. ويبلغ ارتفاع قمة القبة ٣,٢٤م. ولم يبق من الطوب المحروق إلا الرقبة والقبة، حيث بنيت بقية البناء من الطوب اللبن عدا أربعة مدايك وضعت أسفل منبت العقود مباشرة. ونرى بقايا مداكين آخرين تم الاحتفاظ بهما هنا وهناك على قمة الجدران الخارجية.

ولكن هل يمكن أن تنتمى هذه المقبرة الى النوع (ب) أو (ج) بنيت فوقه رقبة وقبة؟ مما لاشك فيه أن الرقبة المثلثة لا تنتمى الى النمط الغريب ذى الأضلاع المقعرة والقرون، والذي يميز الجبانة كلها.

رقم ٥ (لوحة ٤٤ أ، شكل ٧٠): مساحته ٢,٧٥ × ١,٩٢م من الداخل و ٤,٠٣ × ٣,١٩م من الخارج. وبه حشوة غائرة بها عقد مسنن فى وسط كل واجهة. وكانت هناك كوة هلالية الشكل على ظهر الواجهتين الشرقية والشمالية. ويبدو أن الجزء أسفلها كان مسدودا فى الأصل. كما يبدو أن المدخل كان على الجانب الغربى. والحشوة المعقودة على ظهر الفجوة الجنوبية حتى مستوى التسنين الثانى من العقد (يرى مونيريه فى هذا الجزء السفلى حشوا لاحقا ربما لأنه يمتد حتى التسنين الثانى من العقد)، وهناك كوة هلالية الشكل باقية، وفى الجزء السفلى، هناك حشوة غائرة مستطيلة ضحلة ربما كانت خاصة باللوحة التذكارية. ويؤدى القبوان الاسطوانيان - وطول كل منهما ٤٣سم على كلا الطرفين - الى خفض المستطيل وتحويله الى ما يشبه المربع. ويقل هذا المربع فى حجمه أكثر وأكثر نظرا لوجود أربعة عقود ضيقة على مستوى أعلى قليلا. ويتحول المربع الى مثنى بأربع حنايا ركنية بارتفاع ٢,٧٥م عن الأرضية، إلا أن مكان النافذة المعتادة بين كل حنيه وأخرى يشغله محراب عميق على شكل حرف V تتوجه نصف قبة ترتفع عن الحنايا وتخرق الرقبة بحيث لا يبقى مكان فى

الأخيرة إلا لأربع نوافذ (وضعت فوق الحنايا مباشرة) بدلا من ثماني. وتتوج هذه المحاريب الأربعة التي لا تؤدي أى غرض على الإطلاق أنصاف قباب صغيرة. والحنايا الركنية مكشوفة تماما من الخارج، وكذلك المحاريب على شكل حرف ٧، وهذا على خلاف ما وصفناه من نماذج حتى الآن. ولم تبدل أية محاولة لوضع منطقة انتقال بين أشكالها المثلثة التي تبرز كالأسافين وبين منحني تيجانها التي على هيئة أنصاف قباب. والرقبة مقعرة من الخارج وبها «قرون» أقل بروزا من المعتاد. وأركانها محمولة حتى مستوى السطح بين الحنايا والمحاريب، أى أن منطقة الانتقال والرقبة عولجت من الخارج ككيان واحد. ويبدو الشكل برمته فى غاية الغرابة ولا مثيل له فى أى مكان إلا فى النماذج الخمسة الأخرى المجاورة (أرقام ٧، ١١، ١٥، ١٩، ٣٢). وترتفع قمة القبة بمسافة ٥,٤٠ م عن الأرضية. وفى الجنوب، هناك مصلى صغير يتكون من محراب صغير يسبقه رصيف مرتفع عرضه ١,٢٠ م وعمقه ٢,٦٣ م؛ وعلى الطرف الجنوبي من الضلع الشرقي، هناك رحبة مسورة صغيرة مهشمة بها حفرتان مستديرتان فى أرضيتها. ويرى مونيريه (ص ١٢) أنها سبيل.

تصنيف الأضرحة

نموذج	مونيريه	كريزويل	أسلوب الانتقال
		نمط ٢ أ	مثل الأحناب
رقم ٣٣	شكل ٥٥	شكل ٦٦ لوحة ٤٠ أ	مثل فيروزآباد
رقم ١٧	شكل ٥ لوحة ١٣ أ، ب	شكل ٦٦ لوحة ٤٠ ب	
		نمط ٢ ب	
رقم ١٠		شكل ٦٦ لوحة ٤٠ جـ	
رقم ١٢	شكل ٥٦ لوحة ١٥ أ	شكل ٦٧ لوحة ٤١ ع	حنايا ركنية
رقم ١٣	شكل ٥٧ لوحة ١٥ جـ	شكل ٦٧ لوحة ٤٠ هـ، و	حنايا ركنية
رقم ١٤	لوحة ١٥ جـ	شكل ٦٧ لوحة ٤١ أ، ب	حنايا ركنية
رقم ٢٠	شكل ٥٨ لوحة ١٦ جـ، ١٨ أ	شكل ٦٧ لوحة ٤١ جـ	حنايا ركنية
رقم ٢٣	شكل ٥٩، ٤، ٢٠	شكل ٦٨ لوحة ٤١ هـ، و	حنايا ركنية
رقم ٢٦	شكل ٦٩		حنايا ركنية
رقم ٤٢	شكل ١٢ لوحة ٢٠ جـ	لوحة ٤٢ ب	قبو قبابى
رقم ٤٦		شكل ٦٨ لوحة ٤٢ جـ، د	حنايا ركنية
رقم ٤٧	شكل ٦٠ لوحة ٢٠ ب	شكل ٦٦ لوحة ٤٢ جـ	حنايا ركنية
رقم ٥٠	شكل ٥٨		حنايا ركنية
		نمط ٢ جـ	
رقم ٣٩			حنايا ركنية
رقم ٥١	لوحة ٢١ ب	لوحة ٤٢ جـ	
رقم ٥٣		شكل ٦٨ لوحة ٤٢ هـ، ٤٣ أ	مثل فيروزآباد

رقم ٥٤	شكل ٦٨ لوحة ٤٢ هـ، ٤٣ أ	مثل فيروز آباد
حصن هارون	شكل ٢	
رقم ٣	شكل ١٠	مثلث كروي؟ قبة مفقودة
مقرنسة		رقم ٣١
		شكل ٦٨، ٦١

نمط ٣ أ مستطيلات

رقم ٥٢	لوحة ٢١ جـ	لوحة ٤٣ أ	منحدر مثلث
رقم ٢٤	شكل ٤٧ لوحة ٢٢ أ، ب	شكل ٦٩ لوحة ٤٣ جـ، د	حنايا ركنية
رقم ٢٥	لوحة ١٧ جـ، د	شكل ٧٠ لوحة ٤٣ أ	حنايا ركنية
رقم ٣٦			حنايا ركنية
رقم ٣٨			حنايا ركنية
رقم ٤٠			حنايا ركنية
رقم ٨	شكل ٦٦، ٤٢ لوحة ١٤ أ	لوحة ٤٣ و	مثلث كروي
رقم ١٨	شكل ٥ لوحة ١٦ أ	شكل ٦٦	مثلث كروي
رقم ٢٨	شكل ٤٨ لوحة ١٨ جـ		مثلث كروي
رقم ٣٠	شكل ٤٩ لوحة ١٩ أ		مثلث كروي
رقم ٣١	شكل ٦٧		مثلث كروي
رقم ٣٤	شكل ٥١		مثلث كروي
رقم ٣٧	شكل ٥٢		مثلث كروي
رقم ٩	شكل ٤٣ لوحة ١٤ ب		٨ شواهد كوفية كبيرة
رقم ٤٨	شكل ٥٣ لوحة ٢٠ ب		وضعت على كابولي ألقى
رقم ٤٩	شكل ٦٥، ٥٤ لوحة ٢١ أ		منحدر
رقم ٥٥			؟
رقم ٥	شكل ١١ لوحة ١١ ب، جـ، ١٢ ب	شكل ٧٠ لوحة ٤٤ أ، ب	حنايا ركنية فيما بينها حنايا على شكل ٧
رقم ٧	شكل ٢٠ لوحة ١٣	لوحة ٤٤ جـ، د	د
رقم ١١	شكل ٤٤ لوحة ١٥ جـ		د
رقم ١٥	شكل ٤٥ لوحة ١٥ ب		د
رقم ١٩	شكل ٥ لوحة ١٦ أ	شكل ٦٦ لوحة ٤٤ هـ، و	د
رقم ٣٢	لوحة ١٩		د
نمط ٣ ب			
رقم ١٦			؟
رقم ٢١	شكل ٦٤، ٤٦		حجب
رقم ٢٢			حجب
رقم ٢٧			حجب
نمط ٣ جـ			
رقم ٢	شكل ٩ لوحة ١١ أ		حنايا ركنية
رقم ٤	شكل ٤١ لوحة ١٢ أ		حنايا ركنية (القبة مفقودة)

ضريح [مشهد] السبعة وسبعين وليا

تعرض هذا الأثر الذى كان يشغل مكان الخزان فوق التل المواجه لفندق كاتاراركت بأسوان للدمار فى أواخر عام ١٩٠١م.

وصف سومرز كلارك

يرجع السجل الوحيد الذى بين أيدينا عن هذا البناء إلى سومرز كلارك ، حيث يقول :
تعرضت قطعة فنية رائعة فى فترة متأخرة لأحد أعمال التخريب . وفى جنوب أسوان ، هناك جبانة ضخمة تتميز بوجود أعداد كبيرة من المقابر ذات القباب . وعلى النقاط البارزة من الضلع الجرانيتى ترى مقابر متميزة تضافى على المنظر تفردا وتميزا . وآخر المقابر الكبرى إلى الشمال وتعرف بمقبرة السبعة والسبعين واليا تعد مبنى على جانب كبير من الأهمية ، إلا أنه تعرض للتخريب والإهمال . ومع ذلك ، فهو لا يزال يمثل أهمية كقطعة فنية من العمارة العربية . فلماذا تعرض هذا المكان للدمار ؟ لأنه تم تنفيذ مشروع ضخم فى أسوان لإمداد المدينة بالمياه . وقام أحد المهندسين بإقناع مدير المدينة بالموافقة على اتخاذ موقع الجبانة المشار إليها كأفضل موقع للصهاريج العالية . وسرعان ما تم تدمير الجبانة ليحل محلها بناء يشبه الصندوق المربع . وحول الصهريج ، هناك أربعة أعمدة جرانيتية حمراء ملقاة وقطعة من تاج عمود يبرز على مزخرف بنات شوكة اليهود [الأكاتس] وأجزاء من الأثر المدمر الذى كانت تتوجه القباب . وتمكنت بمعاونة من الأستاذ سترزيجوفسكى من إرسال تخطيط (شكل ٧١) للأثر الذى تعرض للتدمير بلا داع . وكانت قد أضيفت إليه مئذنة . وللمبنى أهمية أكبر كجامع منه كمقبرة .

يتضح من التخطيط أن المبنى كان مربعا تبلغ مساحته الكلية ١٢م وكان مسقوفا بتسع قباب رتبت فى ثلاثيات ، وجعل له مدخلان محوريان ومحراب . وتبين ازدواجية سمك الجدار أن المصلى الكائن على الضلع الشمالى بعد إضافة زيدت عليه فيما بعد . وقد تنطبق نفس هذه الملحوظة على المئذنة والمنشآت الأخرى بالجزء الجنوبي ، إلا أننا ينبغي أن نأخذ فى الاعتبار أن مئذنة المشهد القبلى قرب الشلال بنيت خارج المسجد ولكنها متصلة به وتبدو معاصرة له .

تاريخ البناء

كان هنا اذن أثر شبيه بمشهد الشريف طباطبا ولو أنه أصغر منه حجما ، عدا أن الدعامات المتعامدة حلت محلها أعمدة جرانيتية . ويمثل المحراب بروزا مستديرا بدلا من كونه بروزا مستطيلا . والجوانب ليست مفتوحة . لذا ، فهناك ما يبرر لنا إدراجه تاريخيا ضمن أعمال أواخر القرن العاشر . ولكن لو صدقت نظريتي بأن الضريح الكانوبى [ذو السقيفة] كان بمثابة النوع الوحيد المعروف فى ذلك الوقت (٢٦٥) ، إذن فقد بنى كمسجد على الرغم من تسميته بمقبرة بحكم انسداد جوانبه . ولكن اذا أخذنا فى اعتبارنا أن تاريخ المبنى الرئيسى بجبانة أسوان يرجع الى القرن الحادى عشر وأن قاعة المصلين بالمشهد القبلى تعد نسخة معدلة منه ، فمن الأجدى لنا أن نرجعه الى ذلك القرن ، لا الى القرن العاشر .

الفصل التاسع

أعمال بدر الجمالي

مئذنة إسنا ٤٧٤ هـ / ١٠٨١-١٠٨٢ م

وصف المئذنة

إن البناء الراهن للجامع العمرى أو الجامع العتيق بإسنا لا يرجع الى تاريخ قديم (٢٦٦)، بل هناك فى ركنه الغربى مئذنة من الآجر تتصل بالجامع بمدماك. وهو أثر يستحق كل اهتمام من جانبنا (الشكل ٧٢، لوحة ١٢٣ ب). تتكون المئذنة من طابق سفلى مربع يبلغ ارتفاعه ١٠,٧٨ م تتناقص جوانبه من ٤,٧٤ م الى ٤,٥٥ م. وأقيم فوقه طابق اسطوانى يبلغ ارتفاعه ٨,٠٥ م يتناقص تدريجيا من ٤,٥٥ الى ٤ م. وهناك شرفة خارجية خشبية بدرابزين بارتفاع متر واحد يلتف حول هذا الطابق بارتفاع ١٥,٧٦ م من الأرضية. ويعلو الطابق الاسطوانى طابق مئذنة لا يزيد ارتفاعه عن ١,٥٥ م وأضلاعه مقعرة وأركان هذه الأضلاع تنحني فى أعلاها الى الخارج كالقرون، وهى سمة غريبة لاحظنا وجودها من قبل فى جبانة أسوان التى ترجع الى القرن الحادى عشر. وفى منتصف كل جانب هناك نافذة إذا نظرنا من داخلها نرى لها قمة ذات ثلاثة فصوص، إلا أن الفصوص الجانبية تم حشوها وكسيت من الخارج بالجص، ووظيفتها تدعيم جوص سداسى [قمة المئذنة] صغير تخترق كلا من جوانبه نافذة ذات عقد مدبب، ويبلغ ارتفاعها الإجمالى ٣,٤١ م (مساحة الرقبة والقبة من الداخل ٣,٣١ م، وبإضافة ١٠ سم هى سمك القبة يصبح المجموع ٣,٤١ م)، وبالتالى فالأرجح أن يبلغ الارتفاع الإجمالى للمئذنة ٢٣,٧٩ م.

بنى الطابق السفلى من الآجر، وتم دمج الخشب بين كل ثمانية صفوف أو تسعة. والآجر مطلى باللون متعددة. أما الجزء الاسطوانى والقبة التى تعلوه فقد طليت بطلاء أبيض كثيف.

السلم

يمكن الدخول اليه عبر باب منخفض فى الجانب القبلى. ويرى السلم مربع وتندرج درجاته على مسافات ضيقة حول قائم درابزين مربع. وهناك أولا ثلاث درجات على الجانب الشمالى الشرقى تليها بسطة، ثم تليها بقية درجات السلم مقسمة الى أربع (٤/٤/٤/٤) وبين كل أربع درجات بسطة. وكل درجاته من الآجر على حافتها قطعة من الخشب. وعند هذه النقطة نجد بابا يفتح على صحن صغير يقل ارتفاعه عن مستوى السقف بمتر واحد تقريبا. وبعد ثلاث قلبات بكل منها أربع درجات نصل الى قمة الجزء المربع. وبعد قلبتين بكل منهما أربع درجات يتحول بير السلم الى الشكل المئذنة، ونجد عوارض قصيرة وضعت على الأركان. وبعد سبع قلبات بكل منها أربع درجات نصل الى مستوى الشرفة الخشبية التى تفتح الى الشرق، وهنا يتحول بير السلم الى الشكل الدائري. وإذا صعدنا خمس قلبات تتكون من ٢/٤/٢/٤/٤ درجات على التوالى، نصل الى قمة الطابق الاسطوانى، يليها سلم مستقيم من الآجر يصعد منه الى الأرضية الخشبية للجوصق السداسى.

يضاء سلم الجزء المربع بزوجين من النوافذ، وضعت نافذتا كل زوج منهما على مستوى واحد، أى دون اعتبار لوضع درجات السلم. وتم وضع نافذة خامسة فى المنتصف على كل جانب فوق قمة الطابق المربع (وتم اختزال النافذة الشمالية الشرقية من الداخل نظرا لأن السلم يقطعها). وفى الطابق الاسطوانى نجد ثمانى نوافذ صغيرة جدا وضعت على مستويات متفاوتة لتتناسب مع السلم.

تاريخ بناء المئذنة

رأينا أن الجوسق على قمة هذه المئذنة ينتمى بصورة وثيقة إلى القباب الصغيرة التى ترجع إلى القرن الحادى عشر بجبانة أسوان نظرا لما تتميز به من «قرون». والبدن الذى يتناقص تدريجيا والذى يشكل الطابق الثانى منها لا مثيل له فى مصر إلا الأبدان الأربعة الأخرى التى سيرد وصفها فى هذا الباب والتى لا يمكن أن يرجع تاريخ بناء أى منها إلى ما بعد العصر الفاطمى؛ ذلك أنها تضم نقشا كوفيا ذا مضمون تاريخى نفذ بالآجر ونقشا آخر على بعد حوالى ميل واحد من المرجح أن يكون قد بنى قبل عام ٥٣٤هـ (١١٣٩م) نظرا لوجود تاريخ ذلك العام محفورا بصورة عشوائية على الجزء الداخلى من جوسقه. لذا فلدينا ما يبرر إرجاع هذه المئذنة إلى القرن الحادى عشر أو الثانى عشر. ونصل بذلك إلى نقش كوفى تم حفره على لوح مذبح رخامى مطمور بجدار القبلة بالحرم إلى جوار نقش كوفى آخر يشير إلى تاريخ إنشاء الجامع. يحتوى النقش الأول على عبارة: «هذه المئذنة بناها ... أبو منصور سارتكين» (٢٦٧) ... فى شهر سنة ٤٧٤هـ (١٠٨٢م). ونظرا لوجود البدن المربع الذى تتوجه اسطوانة تتناقص تدريجيا، ونظرا للرقبة المقعرة المثمنة ذات القرون والتى لا وجود لها سوى فى القرن الحادى عشر، ينتفى الشك فى أن المئذنة المشار إليها هى المئذنة الحالية. فقد كان أبو منصور سارتكين أحد رجال الدولة الفاطمية قام بترميم جامع قوص فى عام ٤٧٣هـ (١٠٨١م) وتوفى تحت أسوار عسقلان فى سنة ٤٩٤ (١١٠١م) (Wiet, Égypte, II, 32-5).

مئذنة «المشهد البحرى» أو «الباب» قرب الشلال

وصف المئذنة

يتدفق نيل أسوان فى وادٍ يضم تلالا صخرية تكسوها كتل صخرية جرانيتية ترتفع تدريجيا على حوافها فى انحدار شديد. وعند السفح والمنحدرات الدنيا لهذه التلال، هناك عدد من القرى النوبية التى بنيت إبان التعليمة الثانية لسد أسوان؛ فالماء يغمرها تماما حين يحتلى السد. والقريتان الأولىان على الضفة الشرقية حين يتجه المراء جنوبا من الشلال تسمى إحداهما على الخريطة «المشهد البحرى» أو «الباب» والأخرى «المشهد القبلى» أو «بلال» (وقد قلب بوثنى هذين المسميين، فسميت القرية الشمالية عنده «بلال» - وهو ما نجده عند مونييريه أيضا - والجنوبية «الباب») وبكل منهما مآذن متميزة ذات صلة وثيقة بمآذن إسنا.

تتكون مئذنة المشهد البحرى من قاعدة مربعة منحدره قليلا مساحتها ٤,١٥م على كل من أضلاعها (فى المتوسط) ويبلغ ارتفاعها ٤,٥٨م يعلوها بدن اسطوانى منحدر بارتفاع ٤,٤٣م ويضم ثلاث نوافذ صغيرة جدا ومعقودة بغرض إضاءة بئر السلم (لوحة ١٢٢ ب). والنافذة الأخيرة تتوجها منصة بارزة قليلا من الألواح الحجرية ترتكز على دعائم خشبية ذات مقطع عرضى متفاوت (فبعضها مربع وبعضها مستدير وبعضها الآخر مستطيل) وضعت بطريقة مشعة داخل البناء الآجرى. وأقيم فوقها جوسق صغير مساحته ٢,٥٠م بنافاذة معقودة فى كل واجهة منه و«منصة» بسيطة للغاية عند الأركان. أما القبة التى تعلوه فتتخللها فتحات على شكل نجمى فهى محمولة عبر أركان المربع بأعتاب حجرية. وأركان هذا الجوسق الأربعة تلامس حافة المنصة المستديرة مما يضطرنا إلى الشك فى أصالته. والاحتمال الأرجح هو أنه استبدل به جوسق مثنى مفتوح يشبه جوسق مآذن إسنا أو المشهد القبلى (اللوحتان ١٢٣ ب و ١٢٢ ج).

بنى الجزء السفلى من الطابق الأول من كتل جرانيتية هناك منها ثمانية صفوف، وشيد البناء الذى يعلوه من الطوب الآجر. ونتيجة للتعليمة الثانية لسد أسوان، يتعرض الجزء السفلى من هذه المئذنة بكامله للغمر تحت

الماء معظم شهور السنة. وحين زرتها للمرة الثانية (أكتوبر ١٩٤٤) في وقت كان منسوب الماء فيه منخفضا وجدت أن مصلحة الأشغال العامة كانت قد أحاطت كل الفتحات في الطابقين السفليين بجدران بما في ذلك المدخل في أثناء ترميم الجزء السفلى عام ١٩٣٣. لذا لم أتمكن من الصعود لرفع القياسات. أما هذه القياسات التي أوردناها هنا فقد اقتبسناها من مذكرات حسن الهوارى . ومما يؤسف له أن الارتفاعات (١,٢٩ و ١,٦١ م) التي أوردتها عن الجوسق والقبة لا تبدو متناسبة كما يتبين من الصورة الضوئية، والأرجح أن ارتفاعاتهما الحقيقية كانت حوالي ١,٩٠ م و ٨٠ سم على التوالي وأن إجمالى ارتفاع المئذنة كان حوالى ١١,٧٠ م.

تاريخ بناء المئذنة

هناك سطران كوفيان تم تشكيلهما تماما بقوالب الآجر التي وضعت رأسية بطريقة مائلة أو أفقية حسب الحاجة، يجريان حول البدن الاسطوانى أسفل الشرفة بحوالى متر واحد؛ وقد تم نشرهما على يد كل من حسن الهوارى وفيت. ينص السطر الأول على أن المئذنة شيدت بأمر من عبيد بن محمد بن أحمد بن سلمة طلبا لثواب الله ورحمته ورضوانه ؛ وينص السطر الثانى على أنها من عمل حاتم البنا وولده (٢٦٨).

قدم فان برشم منذ أكثر من خمسين عاما وصفا لكيفية شيوع استخدام خط النسخ في النقوش التاريخية بالشام في أواسط القرن السادس (١٢ م)، وبعد ذلك بقليل في مصر في أعقاب تأسيس صلاح الدين للأسرة الأيوبية (Notes d'Archéologie Arabe, "Journal Asiatique", XVIII, 74). وبعد زوال دولة الفاطميين لم يستخدم الخط الكوفى في النقوش التاريخية أبدا، رغم استمرار استخدامه في الأفاريز الزخرفية المكونة من آيات قرآنية. لذا فهذا النقش الذى بين أيدينا وبناء على محتواه التاريخى ينبغى أن يدرج ضمن الفترة السابقة على سقوط الأسرة الفاطمية، ولنا عودة الى هذه النقطة فنحاول أن نحدد تاريخه تحديدا أدق.

مئذنة «المشهد القبلى» أو «بلال» قرب الشلال

وصف المئذنة

تتكون هذه المئذنة من قاعدة مكعبة، الجزء السفلى منها من الحجر الرملى ونصفها العلوى من الآجر ومساحتها ٤,٤٣ م على كل ضلع بارتفاع ٥,٥٠ م (أخذت القياسات من أسكفة المدخل) ينهض بموازاتها بدن اسطوانى مائل بارتفاع ٦,٨٣ م تتوجه حلية ربع دائرية (الشكل ٧٣، لوحة ١٢٢ ج). والأركان الأربعة التى تركت خالية بين القاعدة المربع وقاعدة الاسطوانة تحتلها أربعة أعمدة صغيرة من الآجر بارتفاع ٦٩ سم. ويقل قطر الاسطوانة من ٤,٤٣ م الى ٣,٦٦ م. ووضع فوقها جوسق مئمن تستدق طوابقه الثلاثة جميعا بنفس القدر كما هو الحال فى الجزء الاسطوانى. ويبلغ ارتفاع طابقه الأول ٢,١٤ م وبه فتحة طويلة وضيقة على كل من واجهاته. وارتفاع الطابق الثانى الذى يرتد عن الأول لا يزيد عن ٦٩ سم؛ وجوانبه مقعرة وأركانه العليا بارزة الى الخارج كالقرون، مما يشبه الحال بمئذنة إسنا (لوحة ١٢٣ ب) والأضرحة بأسوان. ونجد هنا أيضا فتحة معقودة بكل واجهة، وارتفاع الطابق الثالث هو نفس ارتفاع الثانى، إلا أن جوانبه مسطحة وأركانه العليا لا تبرز كالقرون؛ وعلى خلاف الفتحات السفلية نجد الفتحات هنا مستطيلة بعرض ٢٦ سم وارتفاع ٦٥ سم، وتتوج هذا الطابق قبة.

المئذنة من الداخل

هناك مدخل دائرى العقد على مستوى الأرضية يؤدى الى بير السلم بعرض ٨٧ - ٨٨ سم يجرى حول درابزين مربع باتجاه عكس عقارب الساعة؛ وكل قبة من أربع الى خمس درجات (وترتيبها كالتالى

٥/٥/٤/٥/٤/٤/٥/٤/٥) وكلها من الآجر ولكن بحواف من الحجر. وبالسقف أطوال قصيرة للغاية لقبو اسطوانى مدرج، وتضيئه نافذة مفلطحة عند كل قبة. وبعد أربع قلبات نصل الى فتحة أخرى ذات عقد دائرى من الحجر المنحوت كانت على ما يبدو تؤدى غرض الدخول الى سطح الجامع المهدم المجاور. والفراغ بين بير السلم وإطار هذا المجاز ومساحته ١,٥ × ٦٧ م. تغطيه نصف قبة من الآجر. ثم يدور بير السلم قلبتين كاملتين حول الدرايزين المربع؛ وتضيئه عند كل ركن فتحة ضيقة تشبه المرغل. وبذلك نصل الى أرضية الجوسق المثلث الذى نراه الآن مفتوحا تماما على قمة القبة. وطابقه الأول مثلث من الداخل، ويستدق مثل الخارجى (من ٢,٢٤ الى ٢,٠٨ م)؛ ويبلغ سمكه إذا قيس من خلال الطاقات ٢٢ سم. ويتوجه صفان بارزان من الآجر يتحول الجزء فوقهما الى دائرى بقطر داخلى مقداره ١,٨٩ م. ويستدق هذا الجزء الدائرى الى أعلى دون أية حلية تميز نقطة التقاء الطابق الثانى بالثالث ويلتحم بالقبة. وعلى قمة هذه القبة ثقب صغير ربما كان تجويفا تخلف عن قمة برونزية مزخرفة.

تاريخ بناء المئذنة

تنتمى هذه المئذنة الى المجموعة التى نتناولها هنا بناء على السمات التالية:

أ. الجزء السفلى المربع

ب. الأعمدة الآجرية الصغيرة على الأركان العليا

ج. الطابق الثانى الأسطوانى المستدق

د. رقة الجوسق المثلث بأركانها العليا الناتئة كالقرون .

من ثم فإن لدينا ما يبرر اعتبارها فاطمية أيضا، وهو ما يؤكدُه نقشان بالجرافيت من تسعة وثمانية سطور على التوالى رآهما حسن الهوارى ضمن نقوش أخرى عديدة داخل الجوسق بالحبر الأسود والأحمر على يد حجاج أتقياء فى طريقهم الى الحجاز (٢٦٩). وتاريخ كل منهما صفر ٥٣٤ (أكتوبر ١١٣٩ م) وأتذكر أن هذه السطور كانت قد اختفت تحت طلاء أبيض حين زرت المكان فى سنة ١٩٤٤).

من المستحيل قراءة نقوش لوحة الهوارى، لأنها لا تتحمل التكبير نظرا لتشابك اللون النصفى فى التصوير. ولكن بفضل صورة ضوئية أصلية أعارنى إياها كامل باشا غالب، تمكن فیت من تحديد النقش الثانى (من ثمانية سطور) بأنه الكائن بين النوافذ العليا للجوسق فى الركن السفلى الأيمن من لوحة الهوارى. وهكذا نجد لدينا حدا أقصى ٣٢ عاما قبل نهاية العصر الفاطمى.

وكان المسجد الملحق محفوظا فى حالة جيدة قبل مئة سنة كما نرى فى الصورة الضوئية الخاصة بمكسيم دوكام وفرنسيس فريث (*Egypt and Palestine* ، ج١ ، لوحة ٢٤؛ ج٢ ، لوحة ٢٨) ، ولا يبدو أن حالته تدهورت فى أواخر القرن التاسع حين نشر بينيديت وصفه؛ إلا أنه تدهور بسرعة بعد تعلية سد أسوان. وتبين صورة مونيريه الضوئية التى التقطت قبل ١٩٣٠ أن البلاطة الخلفية للحرم كانت فى حالة سيئة. وفى عام ١٩٣٤ ، وقت زيارة حسن الهوارى ، لم يكن قد بقى سوى المحراب الأوسط وبقايا الأساس قرب النيل . ولا يزال هذا الأساس باقيا ، أما المحراب فقد اختفى .

وصف بينيديت

نشر هذا الوصف فى سنة ١٩٠٠ ، وهو وصف جيد يمكننا من فهم صور مكسيم دوكام وفرنسيس فريث ومن وضع تصور للمسجد بعون من بعض البقايا خطط له مونيريه وحسن الهوارى . وفيما يلى وصف بينيديت :
(يقف هذا البناء الذى يشترك مع البناء السابق فى طبيعته كقصر وجامع فى آن معا على منحدر صخرى ذى

شكل غير مألوف تماما بحيث يتركز الجزء الخلفى على أساس يشكل دهليزا مفتوحا على الجانبين، ولكن بدون أى اتصال ببقية البناء. يتم دخول الجامع من خلال بير سلم جانبي على الجانب الشمالى الشرقى، ويوصل الى دهليز آخر يخدم غرفتين كبيرتين بنيتا فوق الدهليز الأول من ناحية، ويخدم الإيوان من ناحية أخرى (قاعة المصلى). وهناك دهليز ثالث فى نهايته نجد المدخل الى المئذنة. وينقسم الإيوان الذى تغطيه ست قباب كروية الى رواقين [بلاطتين] من الشمال الى الجنوب وإلى ثلاثة جدران بين أبراج من الغرب الى الشرق؛ ويضم ثلاثة محاريب. (Guide du l'Égypte, 1900 ed., p. 579).

إعادة تصور التخطيط

نبدأ الآن فى إعادة تصور التخطيط. يبلغ عرض الجامع من الداخل طبقا لتخطيط مونيريه (الشكل ٧٤) ١١,٧٨ م؛ ومن الخارج ١٣,٥٢ م، وهو ما نستنتج منه أن سمك الجدران يبلغ ٩٠ سم. والجدران تعلوها قباب بين أبراج مساحتها ٣,٤٩ م^٢، ويبلغ عرض العقود المستعرضة التى تدعمها ٨٥ سم، ولا يزيد عرض العقود الجانبية عن ٦٠ سم. وكان عرض الدعامات مترين، والقباب التى يبدو أنها كانت نصف كروية كانت تتركز على حنايا ركنية كما نرى فى صورة مونيريه الضوئية. وكان هناك أربع نوافذ بالجزء السفلى من كل قبة. وقد تم تخطيطها للأساس القريب من النهر والذى لا يزال باقيا، فطوله ١٥,٠٣ م وطرفه الجنوبى الغربى كما نرى فى الصورة (لوحة ٤٥ أ) يحاذى جانب المئذنة، ومساحته ٤,٤٣ م. ولا نجد تخطيطا دقيقا له فى تخطيط مونيريه؛ إذ أن هناك صورة ضوئية التقطتها مصلحة الأشغال العامة منذ حوالى عشرين عاما مضت وتبين أن جانب الجامع كان يمس المئذنة الى اليسار من مدخل هذه المئذنة عند حوالى ٩٠ سم منه (شكل ٧٦)، وهو ما ينتج عنه العرض الإجمالى للجامع ويبلغ حوالى ١٦,٥٣ م. وإذا طرحنا هذا العرض من طول الأساس الذى لا يزال باقيا، نجد الفارق ١,٥٠ م. ونستنتج من ذلك ارتفاع الارتداد الجدارى الذى يبدو واضحا على الجانب الشمالى الشرقى من الجامع فى اللوحة (٤٥ ج). وقد تخيلت بير السلم الجانبى فى هذا المكان ويؤدى الى الدهليز الذى يفصل قاعة المصلين عن الغرفتين الواسعتين اللتين بنيتا فوق الأساس؛ وكان يضم أربع نوافذ تطل على النهر. وطبقا لتخطيط مونيريه، كانت رواقا الجامع الباقيان فى عصره مساحتهما ٩,٦٤ م. وإذا طرحناها من ٢٢,٦٠ م وهو عمق البناء بأكمله حسب تخطيط الهوارى (ج ٢) يعطينا ١٢,٩٦ م وهو العرض الإجمالى للدهليز والغرفتين المطلتين على النهر (شكل ٧٥). إلا أن هذا القياس يستحيل الحصول عليه بدقة بدون مزواة؛ حيث يبلغ تحدار الضفة حوالى ٤٥°. لذا فقد طلبت من يوسف سمكة بمصلحة الأشغال العامة مساعدتى فى هذا الأمر. فكتب الى مكتب مصلحة الري بأسوان لكى يرسل مهندسا ومعه مزواة لأخذ هذه القياسات حين يكون منسوب الماء منخفضا نسبيا. وتم الأمر وتبين أن القياس الحقيقى ٢٢ م فقط. وبذلك يتبقى ١٢,٣٦ م بدلا من ١٢,٩٦ م. أما وقد تبين الآن أن سمك الجدار الخارجى للأساس ١,٨٧ م، يمكن أن نفترض نفس الشئ بالنسبة للجزء العلوى وبه فتحات النوافذ. وطبقا للصورة الضوئية، كان الدهليز والغرفتان على نفس العرض تقريبا. وتكون النتيجة كما يلي:

الجدار المطل على النهر	١,٧٨ م	الجدار الفاصل	٨٥ سم
عرض الغرفة	٤,٨٦ م	الدهليز	٤,٨٦ م

المجموع ١٢,٣٥ م

وقد قمت برسم التخطيط على هذا الأساس (شكل ٧٦).

مادة البناء

بنى الأساس الذى لا يزال قائما من الحجر، وكذلك الجزء السفلى من المئذنة؛ أما كل ما يعلو عن مستوى أرضية الجامع فمن الآجر كما يتضح من الصور الضوئية. ونظرا لسرعة انهيار الجامع على أثر إقامة سد أسوان، فما من شك فى أنه كان مشيدا من الطوب اللبن كأضرحة جبانة أسوان. وربما كانت الحجارة المستخدمة (أحجار رملية) منهوبة من معابد فيلة؛ فقد اكتشف حسن الهوارى أن عددا من الأحجار المستخدمة كانت عليها نقوش بطلمية.

تاريخ بناء المسجد

من المؤكد أن المسجد لم يتم بناؤه قبل المئذنة؛ إذ أنه تم تخطيطه بحيث يضم دهليزا خاصا يفضى إليها. فهل بنى فى فترة لاحقة؟ هناك نقش على المحراب الأوسط قام بنشره فان برشم (Van Berchem, Égypte, I, 751-2) الذى يرى أنه ينتمى الى أواخر القرن الثانى عشر أو أوائل الثالث عشر؛ وبالتالي فالجامع ينبغى أن يكون قد بنى فى تاريخ سابق على ذلك. ومن ناحية أخرى، فإن تخطيطه المتميز الذى ذكرنا بتخطيط مشهد الشريف طباطبا يسر لنا إرجاع تاريخه الى فترات أسبق (٢٧٠). ويبدو أنه جزء من الأعمال التى قام بها بدر الجمالى على أثر حملة مظفرة فى الصعيد، أى فى نفس تاريخ المئذنة.

مئذنة أسوان [الطابية] (٢٧١)

وصف المئذنة

فى أسوان، فوق تل يبلغ ارتفاعه حوالى النصف ميل الى جنوب فندق كاتاركت، هناك طابية مكونة من سور غير منتظم يضم أحياء سكنية (انظر حسن الهوارى، ١٧، لوحة ١٥). وفى الركن الشمالى الشرقى، هناك برج من الآجر المحروق من الخارج ومن الطوب اللبن من الداخل. وهو يشبه مئذنة «الباب» التى سبق وصفها. تتكون هذه المئذنة من طابق سفلى مستطيل مستدق قليلا ارتفاعه ٢,٦٥ م تقريبا (إذا قيس من أسكفة المدخل) ويعلوه بدن مستدق، مما يضيف ٦,٣٠ م فيصبح الارتفاع الكلى حوالى ٩ م (الشكل ٧٧ واللوحة ١٢٢ أ). وهناك سلسلة من الأعمدة الصغيرة والكتل المستطيلة وضعت بشكل مشع أسفل القمة بقليل، والغرض منها على ما يبدو أن تكون بمثابة كوابيل لشرفة ناتئة قليلا، كما هو الحال فى الشلال (وبعضها من الخشب ضمن عمليات ترميم أجريت لاحقا). واختفى الجوسق الذى كان يتوجها تماما. وبنائها أبسط كثيرا من مثيلاتها التى سبق وصفها؛ إذ أن طابقها السفلى مستطيل بدلا من أن يكون مربعا، والضلعان الشرقى والغربى منه متوازيان على خلاف الضلعين الشمالى والجنوبى، إذ يبلغ طول الضلع الغربى ٥,٣٥ م، والشرقى ٥ م فقط (وبسبب المبانى المجاورة يستحيل قياس القاعدة على مستوى الأرضية، إلا أن قياسات قمة المكعب كما يلى: شمالا ٤,١٢ م، جنوبا ٤,١٣ م، شرقا ٤,٨٥ م، غربا ٥,٢٧ م). وبالتالي فإن البدن المستدق الطرف والذى يبدأ بمنحنى يوازى منتصف الأضلاع الأربعة للقاعدة ليس مستديرا، بل بيضاويا فى تخطيطه حتى فى قمته حيث يبلغ أقصى وأدنى قطر له ٣,٧٠ م و ٢,٩٣ م على التوالي. كما أن الجزء السفلى ليس بيضاويا تماما، بل مستطيل بأركان مستديرة يتحول تدريجيا الى بيضاوى مع ارتفاعه، فى حين تزداد الأركان استدارة. وحتى حين نصل الى القمة نجد أنها ليست بيضاوية تماما فى الحقيقة؛ إذ لا يزال ضلعها الشرقى والغربى مفلطحين قليلا. إضافة الى ذلك، فإن المنحدر الداخلى على الجانب الشمالى يعد أكثر انحدارا منه على الجانب الجنوبى.

وقرب القمة نرى ثلاثة أسطر بالخط الكوفي تم تنفيذها بالآجر الذى وضع داخل البناء الأجرى نفسه، والحروف فيه تشبه نظيرتها على المئذنة الشمالية بالشلال. ومما يؤسف له أن جاستون فيت فشل بعد عدة محاولات فى قراءتها (٢٧٢)، وهو مقتنع بأن البناء الأجرى تعرض للعبث به فى أثناء عمليات ترميم أجريت عليه.

المئذنة من الداخل

يقع المدخل المؤدى الى بير السلم على الطرف الشرقى من الضلع الجنوبي. ويضم عضادات حجرية ارتفاعها ٨٤ سم وتيجان مقلطحة الوجه تضيف ١٠ سم. ويرتكز عليها عقد شبه دائرى قائم على ركائز ومكون من حلقة من الصنجات الحجرية تغطيها حلقة خارجية ناتئة من مداميك صغيرة وضعت أفقياً، كما هو الحال فى مئذنة المشهد القبلى بالشلال (الشكل ٧٣) والمشهد الكائن بأسوان (اللوحة ٧٨). ولدى دخولنا نجد أنفسنا تحت قبو اسطوانى يسير حتى الركن الجنوبي الغربى، يليه قبو آخر يجرى شمالاً. وعلى الطرف الأقصى من القبو الأخير نجد فجوة صغيرة تحت البسطة الثانية من السلم، وتملأه الآن أحجار منقوشة بالحروف الهيروغليفية. وأمام المدخل نجد القلبة الأولى من السلم وهى من سبع درجات تليها سبع قلبات أخرى من ٢١/٥/٢/٩/٥ درجات على التوالي؛ وبعدها نجد أنفسنا على القمة. ويزيد عرض بير السلم عن المتر، وتضيئه ست نوافذ ضيقة مستطيلة، ويدور حول درابزين مستطيل (مساحته حوالى ٠,٧٥ × ١,٨٥ م) من الطوب اللبن. ويظل مستطيلاً حتى الجزء البيضاءوى من المئذنة (وهى سمة نجدها فى المئذنة الشمالية بجامع الحاكم). وبالدرازين فجوتان صغيرتان إحداهما (وعرضها ٤٨ × ٣٣ سم) فى القلبة الأولى والأخرى فى الثالثة، وربما كانتا مخصصتين للمصاييح ليلاً. والقلبة الأولى يغطيها قبو اسطوانى شديد الارتفاع. والقلبة الثانية يغطيها قبو آخر يرتكز على عقد على طرفه السفلى، ويرتكز عند طرفه الغربى على عقد يفتح على البسطة عند أسفل القلبة الثالثة. والركنان الشمالى الشرقى والشمالى الغربى من القلبة الثانية كلاهما مستدير، الأول فوق حنية صغيرة، والآخر عند أسفل البسطة. وهذه البسطة والقلبة الثانية يغطيها قبو اسطوانى مرتفع قليلاً على مستوى أعلى من القبو السابق بحيث يتم تخاشى الاختراق (وهو نسق يتناسب مع ماهو معروف عن تجنب التقاطع بين الأقبية الاسطوانية فى العمارة الإسلامية المبكرة، ومثال ذلك مئذنة مسجد القيروان الجامع). ونجد نفس هذا النسق متبعاً فى تسقيف القلبتين الرابعة والخامسة. وهناك نافذة فى القلبة الرابعة يمكننا من قياس سمك الجدار الخارجى - ٤٢ سم - من هذه النقطة. والقلبة السادسة غير مسقوفة لأنها على الأرجح كانت ناتئة تحت الجوسق المستدير أو المضمن الذى كان يتوج المئذنة على ما يبدو. وتقع المنصة أسفل حافة القمة الحالية للمئذنة بمسافة ٥٠ سم.

تاريخ بناء المئذنة

هذه المئذنة شديدة الشبه بنظيرتها التى وصفناها لتونا من حيث الشكل العام ومن حيث نقشها الكوفى المنفذ بالآجر. لذا فالأرجح أنها تنتمى الى نفس الفترة. وسنعود الى هذه المسألة فيما بعد.

مئذنة أبى الحجاج بالأقصر (٢٧٣)

لا بد لكل زائر لمعبد الأقصر أن يلاحظ جامع أبى الحجاج، ولى الأقصر. بنى هذا الجامع على قمة رابية من الركام خلف البرج الشرقى مباشرة. وتمثل قمة هذه الرابية المستوى الأسمى للأرض فى المنطقة كلها بما فى ذلك المعبد والمنطقة المحيطة قبل إجراء عمليات الإخلاء من قبل هيئة الآثار. ولم يكن من الممكن بالطبع أن تمتد عمليات الإخلاء الى الجزء الذى يحتله الجامع وهو ما أسف له علماء المصريات. وإحدى مئذنتى الجامع قديمة وتنتمى الى نفس النوعية التى وصفناها منذ قليل.

وصف المئذنة

ترتفع المئذنة فوق سطح الأرض بارتفاع ٣,٨٥ م (لوحة ١٢٣) على يسار الواجهة الشمالية للجامع؛ وتحت هذا السطح يبدو الجزء الأكبر منها وقد تمت إزالته، إلا أن هذا الانطباع خاطئ تماماً؛ إذ لم يحدث أن كانت المئذنة تمتد إلى أسفل لتصل إلى مستوى الأرض. وهي ترتكز على جدار بين برجين في المعبد القديم، ودعاماتها في هذا الموضع مطمورة حتى تيجانها. وتبلغ مساحة مداмик العقد حوالي ١,٥ م^٢ وارتفاعها ٩١ سم. والعتبات الجرانيتية الضخمة التي ترتكز عليها لها نفس العرض، وعمقها ١,٤٧ م، والمسافة بين كل منهما ٢,٦٢ - ٢,٧٥ م. وبنيت المئذنة التي تعتبر مربعة في تخطيطها بحيث يحاذي ضلعها الشمالي الحافة الشمالية لعتبة اتجاهها من الشرق إلى الغرب؛ ويتداخل ضلعها الشرقي والغربي مع عتبتين تتجهان من الشمال إلى الجنوب بحوالي ٢٥ سم، كما يتضح من الشكل (٧٨). ولتدعيم ضلعها الجنوبي تم وضع عارضة ضخمة مساحتها حوالي ٥٥ سم^٢ محورياً عبر العتبتين المذكورتين. وهناك عارضة أخرى عرضها حوالي ٣٠ سم وضعت بالقرب من العتبة الأولى وبينهما مسافة عرضها وطولها ٢,٧٠ م. وهناك عارض ثالث يقسم هذه المسافة.

بنيت المئذنة من الطوب اللبن - ٢٢ سم^٢ - وتبلغ مساحة عشرين صفاً منه ١,٢٤ م. وتبدأ كبداية تزيد مساحة كل ضلع به عن ٣,٢٠ م وترتفع إلى ٦,٨٥ م، وتدعمها عوارض خشبية وضعت في كل ضلع على ثلاثة مستويات ومنقورة على الأركان كما يتضح في الشكل (٧٨). ويضيق هذا الجزء تدريجياً من ٣,١٩ م عند القاعدة إلى ٢,٩٨ م عند مستوى أسكفة النافذة الأولى. والجزء العلوي بدع اسطوانى يضيق تدريجياً إلى حد ما بارتفاع حوالي ٧ م، تحيط به قبة صغيرة، مما يضيق إليه حوالي ٨٥ سم. وتحتل المسافات الأربع بين الدائرة والمربع أعمدة آجرية صغيرة تماماً كما هو الحال في الشلال وإسنا. وحين يبلغ هذا البدن الاسطوانى ارتفاع ٤,٢٠ م، تخترقه ٧ فتحات معقودة صغيرة بارتفاع ١,٠٥ م، وفوقها مباشرة نجد صفاً آخر من النوافذ لا تتطابق محاورها مع هذه الفتحات، إذ لا يزيد عددها عن ست.

المئذنة من الداخل

يتم دخول بئر السلم من باب صغير على الجانب الشرقي بارتفاع لا يزيد عن ١,٣٢ م؛ وقد شيد عقده بالطوب المحروق. ونلاحظ لدى دخولنا أن هناك فتحة على الجانب الأيسر من الدركاه الصغير تمكنا من النظر داخل الفراغ الكائن بين العوارض الخشبية الثلاثة المذكورة آنفاً. ويلاحظ أن الضلع الجنوبي من الدرايزين المربع يوازي الضلع الجنوبي من العارض الشمالي. ولا يزيد عرض بئر السلم عن ٧٥ سم، ويسير حول درايزين مربع، وبكل قبة من ثلاث إلى أربع درجات (وهي ٣/٤/٣/٤/٤/٣ - ثم يصبح القفص دائرياً - ١٣/٤ = ٣٨ درجة). والحافة الأمامية من كل درجة صنعت من خشب شديد الصلابة، فكانت درجة تحملها أكبر من الأجزاء الآجرية التي تقع خلفها. والقفص المربع كذلك؛ ويبلغ سمك الأسوار ٥٥ سم إذا قيست عبر النافذة، ولكن حين نصل إلى النقطة التي يبدأ عندها البدن الاسطوانى، نجد أن الأركان الأربعة مقنطرة بقطع صغيرة من الخشب ويصبح القفص دائرياً؛ ورغم ذلك يظل الدرايزين مربعاً. وبئر السلم ليس به قبو، إذ ترتكز درجاته على قطع مستعرضة من خشب جذوع النخيل. وحين نصل إلى نقطة على بعد ٢٥ سم أسفل أسكفات نوافذ الجوسق، يتوقف السلم ونجد أنفسنا في جناح مقبب طويل يخترقه صفان من النوافذ، مما يشبه بلال في الشلال، بيد أن نصف هذه النوافذ قد تم سده. ويبلغ ارتفاعه ٣,٤٥ م إذا قيس من مستوى أسكفات النوافذ، إلا أن قطره لا يزيد عن ١,٤٢ م. ويبلغ سمك الجدران إذا قيست من خلال النوافذ ٤٢ سم، مما يعطى البدن

قطرا يبلغ ٢,٢٦ م عند هذه النقطة. وبالتالي فإن الارتفاع الإجمالى للمئذنة يبلغ ١١,٦ + ٣,٤٥ = ١٤,٥١ م، بالإضافة الى سمك القبة، أى ١٤,٧٢ م فى مجمله.

التاريخ المرجح للمجموعة [المآذن الخمس]

من هذه المآذن الخمس رأينا أن تاريخ إحداها يرجع الى عام ٤٧٤ هـ (١٠٨١ م)، وأن مئذنة أخرى منها بنيت قبل عام ٥٣٤ هـ (١١٣٩ م)، وأن مئذنة ثالثة منها لا يمكن أن ترجع الى مابعد نهاية العصر الفاطمى بناء على نقشها الكوفى ذى المضمون التاريخي، وأن رابعة منها تشبهها الى حد كبير ولو أن نقشها الكوفى لم تتم قراءته بعد، وأن المئذنة الخامسة (بالأقصر) تنتمى الى نفس المجموعة. كما أن أشدها تطورا من الناحية المعمارية هى تلك المؤرخة بعام ٤٧٤ هـ (١٠٨١ م)، وهل يمكن تحديد تاريخ بنائها لأسباب تاريخية؟ هل يمكن أن تكون قد بنيت جميعا فى عصر بدر الجمالى كمئذنة إسنا؟ فنحن نعلم أنه قاد حملة مظفرة على النوبيين الذين قاموا بحركة تمرد خطيرة بأقاليم الصعيد (٢٧٤). فيذكر ابن الصيرفى (١١٠٠ م) (الإشارة الى من نال الوزارة، ص ٥٥) وابن ميسر (١٢٧٨) أسماء لواته (٢٧٥) وجهينة والشعالبة ويحدد العام ٤٦٩ هـ (١٠٧٧ م). طبعة ماسيه ص ٢٤، ٢٥). ويشير الأخير الى كنز الدولة باعتباره القائد ويقول إنه كان قد سيطر على أسوان والمناطق المحيطة بها قبل مقتله مع كثرة من أتباعه. وتم تأسيس جامع إسنا فى منتصف ذى الحجة ٤٦٩ هـ (١٠ يوليو ١٠٧٧ م). ويشير فان برشم الى أنه بعد الغزو المسلح كان من الضرورى إعادة إصلاح العقيدة الشيعية وهى الأساس الذى قامت عليه سلطة الفاطميين بعد أن أصيبت بهزة شديدة. وولى الخليفة بدرا قيادة الجيش وإدارة الشؤون المدنية والدينية. ولم يكن جامع إسنا سوى واحد من سلسلة من المنشآت الدينية. فما أن عاد الى القاهرة عام ٤٧٠ حتى قام بترميم جامع ابن طولون (٢٧٦)، وفى عام ٤٧٧ هـ، قام ببناء (أوترميم) جامع العطارين (٢٧٧) بالإسكندرية. وتشير النقوش التى تسجل هذين الحدثين الى إخماد حركة الهرطقة والى تكثيف نشر الدعوة (٢٧٨).

كانت أسوان فى ذلك الوقت حصنا حدوديا لمصر الإسلامية، ويبدو أن هذه المآذن والجوامع التى كانت تقوم عليها كانت قد شيدت تخليدا لذكرى حملة بدر الجمالى المظفرة. وإذا كان الحال كذلك، يمكن لنا أن نؤرخ لها بين عام ٤٦٩ هـ (١٠٧٧ م) وهو العام الذى بدأ فيه إنشاء جامع إسنا، وعام ٤٧٤ هـ (١٠٨١ م) وهو تاريخ إتمام مئذنته التى تعد أكثرها تطورا من الناحية المعمارية (٢٧٩). ونرى من جانبنا أن الترتيب الصحيح كما يلى: ١. أسوان، ٢. المشهد البحرى أو «الباب»، ٣. الأقصر، ٤. إسنا.

مسجد [مشهد] الجيوشى (١٠٨٥/٤٧٨ هـ)

وصف المسجد

تقع هذه «الزاوية» (٢٨٠) (كما سميت فى النقش الذى يعلو مدخلها) على حافة المقطم جنوب شرق القلعة وفوق جامع إخوة سيدنا يوسف تماما تقريبا، وتطل على منظر رائع لقرافة الإمام الشافعى حيث ترى على البعد القاهرة [مصر] القديمة والحقول الخضراء [بساتين الوزير أو البساتين] والنيل جنوبا.

وكما نرى فى التخطيط (الشكل ٧٩) فهو مبنى شيد بصورة متماثلة رغم عدم انتظام الشكل الخارجى مما يعزى الى وجود ضريح صغير لأحد الأولياء على الجانب الشمالى الشرقى وبنائه (مداميك من الآجر والدبش) يدل على أنه إضافة حديثة العهد (٢٨١). وإذا حذفنا هذا الضريح الصغير. نجد مستطيلا مساحته ١٨ × ١٥ م (لوحة ٤٦). والمدخل فى منتصف الواجهة الشمالية الغربية تحت المئذنة تماما؛ وهناك مجاز صغير ذو عقد

مدبب (اللوحتان ٤٦ ج و ٤٧ ج) يرتكز على كتلة من الجرانيت طولها ٣ م وارتفاعها ٣٠ سم ويؤدي الى دركاة ذى قبو اسطوانى. وهناك دركاة ثانية تكونت داخل هذه الدركاة بإضافة بناء أجرى يتضح فى التخطيط؛ وهذه الدركاة الثانية تغطيها قبة صغيرة تم توفيق وضعها مع المربع دون مثلثات كروية وتبدو منطقة الانتقال وقد تم بمائها دون اهتمام كبير. والى اليسار هناك غرفة مربعة ذات قبو متقاطع وبها نافذة مفلطحة بأعلى الجانب الشمالى الشرقى. وتحتوى على صهريج. والى اليمين هناك غرفة مربعة أخرى كشف سماوى ويشغلها سلم من أربع قلابات ويؤدي الى سطح مسطح. وترتكز كل قبة على كابولى مفلطح الوجه.

المسجد من الداخل

هناك عقد مدبب ارتفاعه ٣,٤٦ م يؤدي الى دركاة داخل الصحن عرضه ٦,٤٥ وعمقه ٥,٦٠ م. وعلى كلا الجانبين، هناك غرفة ذات قبو اسطوانى يتم دخولها أصلا من خلال فتحة ذات عقد مدبب بارتفاع ٢,٥٠ م فى وسط الواجهة. وتم خفض حجم هذه المداخل (التي تم تطهيرها عام ١٩٤٧). ويمكن الآن رؤية الصنجة المفتاحية الى اليسار بسبب سقوط الكسوة الجصية. وتم عمل الفتحات الأخرى التى تتضح فى التخطيط بصورة عشوائية بغرض إضاءة الحجرات. ويقل حجم الحجرة الكائنة الى اليسار بجدار فاصل لكى يشكل مجازا الى الضريح الصغير، كما يشمل مجازا فى الواجهة الشمالية الشرقية من الصحن والجدار الخارجى للجامع (وتشمل الحجرة قبوا اسطوانيا يجرى من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى، إلا أن قبو المجاز يجرى باتجاه من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى). ووضع الجدار الفاصل والضريح خطأ على أنهما عمل أصلى فى تخطيط لجنة حفظ الآثار العربية ونشره فان برشم (Une Mosquée du temps des Fatimites, in the (B.I.É, II, pl. v.

وعلى الجانب الشرقى من الصحن، هناك الواجهة الثلاثية العقود الخاصة بالحرم، وتتكون من عقد مدبب عريض وعقدين آخرين صغيرين (لوحة ٤٧ ب). وترتكز العقود على زوجين من الأعمدة الرخامية ذات الأقطار المختلفة وتيجان على شكل كأسى، وثلاثة منها لها قواعد تعد نسخا مطابقة معكوسة من تيجانها؛ أما الرابع - وهو الداخلى على الجانب الأيسر - فله قاعدة من الحجر الجيري العشوائى الشكل. ولم يكن كل من هذا العمود وهذه القاعدة فى مكانهما حين قام فان برشم بزيارته فى سنة ١٨٨٨ (المصدر نفسه، لوحة ٣)، ولكن رغم أن هذا العمود أكثر سمكا من الأعمدة الأخرى، إلا أن تاجه يماثل تيجان الأعمدة الأخرى. ونرى من جانبنا أنها قد تنتمى الى الجامع الأصلى؛ أما القاعدة فتعد حديثة تماما. وكل زوج من الأعمدة يحمل مداما مقوسا من الحجر تبت منه العقود.

وهذه الواجهة الثلاثية العقود تفتح على رواق طويل ذى قبو متقاطع؛ ويفتح هذا الرواق أيضا بعقوده الثلاثة على داخل مربع ذو قبة أمام المحراب والجناحين ذوا القبو المتقاطع الى اليمين واليسار. ويضم الجدار بين البرجين الى اليسار مقبرة لأحد الأولياء يطلق الناس عليه اسم سيدى الجيوشى الذى يلتبس اسمه مع مؤسس الجامع.

المحراب

ومساحته ٣ × ٥ م، ويعد نموذجا هاما للزخرفة الجصية بعد نموذج الأزهر (٣٦١ هـ / ٩٧٢ م)، أى تفصل بينهما فجوة زمنية تبلغ ١١٣ عاما. والزخرفة الوحيدة التى بقيت طوال هذه الحقبة هى النقش الحجرى الكائن على المدخل التذكارى لجامع الحاكم ومئذنتيه (٣٨٩ هـ / ١٠٠٣ م). ويتكون المحراب من حنية متوجة بنصف قبة [طاقية] مدببة العقد كان على جانبيها عمودان فيما مضى.

وبالحنية حشوة مزدوجة تتكون الحشوة الداخلية منها من شريط رفيع من الزخرفة الغربية. أما الحشوة الخارجية التي يصل عرضها الى ضعف عرض الحشوة الداخلية فتتكون من شريط رائع من الكوفي المزخرف. ويتكون الإطار الخارجى المستطيل من نفس الشريطين بفارق أن الترتيب معكوس. وينحني قليلا على القمة ليحمل حشوة مستعرضة تحتوى على نمط مجدول متداخل ومخترم اندثر تماما. وتتميز زخرفة كوشات العقد بالشراء الملحوظ. ويصفها فلورى بأنها «أرقى درجات تطور الزخرفة السطحية» (ص ٤٠-٤١). وبالمحراب بروز من الخارج بمقدار متر واحد، وقمته مشطوفة.

وهناك شريط رائع من النقش الكوفي المزخرف بعمق ٥٥ سم، ويحتوى على بداية سورة الفتح (فان برشم، ص ٦١٨) يجرى حول قمة المربع أسفل القبة. وعلى قمة هذه القبة نقش الآية ٣٩ من سورة فاطر دونت فى دائرة؛ وفى المنتصف نقشا أسماء محمد وعلى تبادليا ومتكررة ثلاث مرات. وبهذا الشكل نجمة ذات ستة ذيول (فان برشم، وهذه هى أقدم قبة فى مصر عليها زخارف جصية على قمته). وكانت جدران الحرم والمحراب مغطاة فى القرن الثامن عشر بطبقة سميكة من الجص رسمت عليها تصميمات جيدة تشبه التصميمات التى نراها على تزيينات الخزف المزخرف ويغلب عليها اللون الأخضر الزاهي. وتحمل هذه الكسوة بقايا نقش عليه تاريخ ١١٤٤ هـ / ١٧٣١ م، (٢٨٢) (المصدر نفسه، ص ٦١٨). وترتكز القبة (لوحة ١١٠ ب) على رقبة مثمنة بنافاذة على كل واجهة عدا النافذة الجنوبية الشرقية، فهى صماء. وتم تنفيذ منطقة الانتقال من المربع الى المثمن بأربع حنايا ركنية (لوحة ١١٠ أ)؛ والحنايا الركنية والرقبة والقبة كلها من الآجر. كما شيدت عدة حجرات على السطح، وخاصة فى مواجهة الجانب الجنوبى الغربى من القبة، لكن أكثر من نصفها اندثر ولم يبق منها سوى جدران مهدمة.

وفى عام ١٩٤٧، بدأت اللجنة بناء على توصية منى فى إزالة بقايا هذه الجدران؛ وتحقق اكتشاف شيق للغاية؛ ففى أثناء إزالة الجدار الذى يجرى على الجانب الجنوبى الغربى، تم العثور على مبنيين صغيرين مطمورين، جزء فى هذا الجدار وجزء آخر يعلو الكتفين الثانى والثالث بارتفاع ٢,٩٠ م بمدخل على الجانب الشمالى الشرقى، ومحراب على جانب القبلة، ونافاذة صغيرة فى مواجهة المدخل (لوحات ٤٧ ج، ٤٨ أ). ولايزيد ارتفاع هذا المدخل عن ١,٣٠ م وهناك نافذة على كل جانب. وربما كانت كل الأكتاف متوجة فيما مضى.

الشرفات

هناك ثلاث قطع من شرافة من نوع غير مألوف تماما يمكن رؤيتها مطمورة فى حاجز الشرافة المصنوع من الدبش على الجانب الشمالى الشرقى من الصحن. وتقرر إخراجها وإعادة بناء القطع المفقودة (لوحتان ٤٨ أ، ب).

المئذنة

(لوحتان ٤٦ و ١٢٣ ج) وهى بدن مربع طويل يرتفع فى منتصف الواجهة الشمالية الغربية بارتفاع ١٤,١٨ م. وعلى قمة هذا الجزء، هناك طنف من طبقتين من مقرنصات آجرية وجصية؛ ويتراجع بمسافة ٧٠ سم عن حافة هذا الطنف مكعب آجرى صغير مشطوف قليلا عند الزوايا، مع وجود فتحة معقودة على كل واجهة. وفوق هذا المكعب وضعت رقبة مثمنة وأيضاً بفتحة معقودة على كل واجهة. وهذه العقود تؤدى أربعة منها وظيفة المقرنصات من حيث أنها تدعم القبة الآجرية الصغيرة [القمة] عبر أركان المربع. والارتفاع الكلى للمئذنة الى قمة القبة ٢٠ م. وبالمئذنة طابقان من الداخل، أحدهما على نفس مستوى المقف، والآخر يرتكز

على قبو اسطوانى ومحوره شمال شرق/جنوب غرب بمسافة ٢٠ سم أسفل طنف المقرنصة. وهناك بير سلم من خمس قليات يصعد من الطابق الأول الى الطابق الثانى. ولم تعد هناك شرفة حول المئذنة. ولكن ربما كان الطنف المقرنص ينتوئه البالغ ٧٠ سم - يعود ما يقرب من نصف هذا التواء الى تراجع هذا الطابق الى الخلف فيما مضى يدعم شرفة خشبية.

هذا هو أقدم نموذج باقى للكورنيش المقرنص فى مصر. إلا أن هناك نموذجاً أقدم قليلاً فى إيران (مئذنة Sangbast المنسوبة الى أرسلان جاذب فى أوائل القرن ١١م فى رأى ديز وشرودر أما فان برشم فلم يوافق على هذا الرأى نظراً لأن النقش مهشم تماماً) - وهو كورنيش الضريح المثلث فى ابركوه المعروف بكنبد على ويرجع الى عام ٤٤٨هـ (١٠٥٦م). والنموذج التالى من حيث تاريخ الإنشاء هو مئذنة «آنى» بأرمينيا والتي شيدت عام ٤٦٥هـ (١٠٧٣م). ثم تأتى مئذنة الجيوشى، يليها نموذج موجود بسور القاهرة بجوار باب الفتوح، يليه مسجد الأقمر. ولما كان النموذجان الأولان الموجودان بمصر ينسبان للوزير الأرمنى بدر الجمالى، يليهما النموذج الموجود بأرمينيا، فيبدو أن الأرمن كانوا الوسطاء الذين انتقل من خلالهم هذا العنصر الفنى الفارسى الى مصر.

وتم قطع الجانب الشمالى الشرقى من المئذنة عند مستوى السقف بعرضها كله بارتفاع حوالى المترين لكى يتم عمل فتحة بحجرة بنيت فى المواجهة على السطح، وتم سد الفجوة الناجمة عن ذلك بجدار من مداميك صغيرة من الحجر والآجر بسمك يقل عن الأصل (٥٠ بدلا من ٨٠ سم). وبهذا الجزء الحديث الإنشاء باب يؤدى الى داخل الحجرة، مما يتسبب فى إفساد تماثل الواجهة تماماً. ومن المرجح أن المئذنة كانت فى الأصل تقوم بذاتها من الواجهة وتم تحديد قممتها بخط أفقى رسم على مستوى الحافة السفلية للنافذة بأعلى المدخل، أى على مستوى السقف.

مادة البناء

شيدت جدران هذا الجامع وحتى مستوى السقف من مداميك عشوائية الشكل من الحجر (تلاتات) بارتفاع من ١٧ الى ١٨ سم وبطول يتراوح بين ٢٥ و ٣٠ سم وضعت بحشوة سميكة من الملاط ورقعت الجدران بالآجر فى بعض مواضعها، وخاصة عند قاعدة الواجهة الشمالية الغربية. وكل الأقبية والقبة والرقبة والحنايا الركنية من الطوب الأحمر الداكن، وكذلك الجزء الذى يعلو مستوى السقف. وتم وصل الجزء الأخير عند الفواصل بعوارض من خشب جذوع النخيل، وهناك ثلاثة جذوع تجرى من جانب الى آخر بأعلى قبو طابقها العلوي. ولا نرى الخشب فى أى مكان آخر بالمبنى. ويبدو أن السقف تم تبليطه بألواح حجرية بنفس الصورة التى تم بها تبليط أرضية الجامع.

تاريخ بناء المسجد [المشهد]

هناك نقش كوفى من خمسة أسطر نقش على لوح من الرخام وضع فى الجدار أعلى المدخل (لوحة ٤٧) ويحتوى على تاريخ كان أول من قرأه هو فان برشم ونصه «محرم ٤٩٨» (أى أكتوبر ١١٠٤م، Une Mosque du temps des Fatimites, pp. 606-11). وينص متن النقش على أن «هذه الزاوية (٢٨٣) بناها عبد الله الإمام المستنصر بالله قائد الجيوش (٢٨٤)». إلا أن المستنصر بالله توفى فى ١٨ ذى الحجة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) ولم يأت من بعده خليفة له مثل هذه الألقاب المذكورة فى النقش؛ كما أن ألقاب من قبيل «قائد الجيوش» و «عبد الله» وما الى ذلك تخص بدرا الذى توفى فى ربيع الأول ٤٨٧هـ (مارس ١٠٩٤م) ولا تخص الأفضل؛ لذا فقد توصل الى نتيجة محددة فحواها أن التاريخ ينبغى أن يقرأ على أنه محرم ٤٧٨هـ (ابريل - مايو ١٠٨٥م).

الفصل العاشر

التحصينات الفاطمية لبدر الجمالي

الظروف التاريخية

تميزت أواسط فترة حكم الخليفة المستنصر بظهور مشكلات انتهت بكارثة كاملة ودمار شامل بدأ بالإجراءات الاقتصادية التي طبقها الوزير اليازوري (١٠٥٠-١٠٥٨ م) بحسن نية. فقد أعقبها انخفاض في منسوب مياه النيل ومجاعة ووباء. ولم تنجح المساعي التي بذلت في سنة ١٠٥٥ م لشراء أربعمئة ألف أردب من الغلال من القسطنطينية (٢٨٥). وبعد أن ساءت الظروف وتفاقت الأزمة وانتهى الصراع بين القوات السودانية والأتراك بانتصار الأتراك، انطلق الترك دون قيد أو رادع يعملون السلب والنهب في القصر، فاستولوا على الخزائن وعاملوا الخليفة بكل ازدراء. ثم عاد منسوب مياه النيل الى الانخفاض من جديد في سنة ١٠٦٥ م ووقعت المجاعة واستمرت حتى ١٠٧٢ م، وعانى سكان مصر بؤسا شديدا.

وفي عام ١٠٧٣ م جاء المحصول جيدا ليضع حدا للمجاعة. وفي الوقت نفسه أرسل الخليفة في طلب بدر الجمالي، وهو مملوك أرمني تدرج في المناصب في حروب الشام وأبلى بلاء حسنا في قتال الترك حتى صار أشهر قائد عسكري في الشام. وكان في ذلك الوقت واليا على عكا ولم يقبل دعوة المستنصر إلا بشرط السماح له بإحضار قواته الشامية معه. ودخل القاهرة في جمادى الأولى ٤٦٥ هـ (فبراير ١٠٧٣ م) وقتل عددا كبيرا من أمراء الترك في ليلة واحدة بنفس الطريقة التي اتبعها محمد علي فيما بعد. فتم تنصيبه أميرا للجيش؛ ثم أسند الخليفة اليه كل المناصب المدنية بالدولة (انظر المقرئزي، الخطط، ج١، ص ٣٨١-٣٨٢). وفي عام ٤٦٧ هـ (١٠٧٥ م) قام باخماد حركات التمرد التي نشبت في الدلتا (ابن ميسر، ط ماسيه، ص ٢٤). ثم اتجه الى الصعيد واستعاد سلطة الخليفة حتى أسوان. وفي عام ٤٧٧ هـ (١٠٨٤ م)، ثار عليه ابنه بالاسكندرية؛ فضرب حوله حصارا قرابة شهر. وفي النهاية ألقى القبض عليه (ابن ميسر، ص ٢٦). وبني جامع العطارين بتبرعات إجبارية للاحتفال بانتصاره، واكتمل بناء الجامع في ربيع الأول ٤٧٩ هـ (٢٨٦) (بوليسو ١٠٨٦ م، المقرئزي، ج١، ص ٣٨٢).

وكان أقل حظا في الشام حيث سقطت دمشق في أيدي الأتراك السلاجقة في أواخر عام ٤٦٨ هـ (١٠٧٦ م). وفي العام التالي ظهر أئسز على أبواب القاهرة. وعلى الرغم من طرده إلا أن الخطر السلجوقي ظل ماثلا، حيث جدد أئسز هجماته في الأعوام ٤٧١ و ٤٧٨ و ٤٨٢ هـ (٢٨٧). فكان هذا بالإضافة الى تجاوز المدينة الى خارج أسوار جوهر هما السببان الرئيسان اللذان دفعا ببدر الجمالي الى التعجيل ببناء حصون جديدة (٢٨٨) (اللوحتان ٤٩ و ٧٦).

رواية المقرئزي

يقول المقرئزي عن تقدم خطط بدر الجمالي شمالا وجنوبا مايلي:

«(السور الثاني) بناء أمير الجيوش بدر الجمالي في سنة ثمانين وأربعمئة وزاد فيه الزيادات فيما بين باي

زويلة وباب زويلة الكبير وفيما بين باب الفتوح الذي عند حارة بهاء الدين وباب الفتوح الآن وزاد عند باب

النصر أيضا جميع الرحبة التي تجاه جامع الحاكم الآن الى باب النصر وجعل السور من لبن وأقام الأبواب من حجارة» (جـ ١، ص ٣٧٩).

ثم يضيف قائلا:

«وقدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالي من عكا وتقلد وزارته وعمر سور القاهرة ونقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر الى حيث هو الآن فصار قريبا من مصلى العيد وجعل له باشورة أدركت بعضها الى أن احتفرت أخت الملك الظاهر بقوق الصهرج السبيل تجاه باب النصر فهدمته وأقامت السبيل مكانه» (جـ ١، ص ٣٨١).

ويشير المؤرخ الى بوابة جديدة تسمى باب الفتوح بنيت في ذلك الوقت، وأنه كانت هناك باشورة [المدخل المنكسر] أمامها ولم تكن ظاهرة في عصره بسبب المباني التي شيدت حول البوابة من الخارج (جـ ١، ص ٣٨١). وتعد رواية المقرئ عن باب زويلة الجديد أكثر كمالا في هذا الصدد. فيطلعنا على أن بدر الجمالي شيده عام ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م):

«ولم يعمل له باشورة كما هي عادة أبواب الحصون من أن يكون في كل باب عطف حتى لا تهجم عليه العساكر في وقت الحصار ويتعذر سرق الخيل ودخولها جملة لكنه عمل في بابه زلاقة كبيرة من حجارة صوان عظيمة بحيث إذا هجم عسكر على القاهرة لانتبت قوائم الخيل على الصوان فلم تنزل هذه الزلاقة باقية الى أيام السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب فاتفق مروره من هناك فاختل فرسه وزلق به وأحسبه سقط عنه فأمر بنقضها فنقضت وبقي منها شيء يسير ظاهر فلما ابتنى الأمير جمال الدين يوسف الاستادار المسجد المقابل لباب زويلة [زاوية الدهيشة] باسم الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر بقوق ظهر عند حفره الصهرج الذي بنى به بعض هذه الزلاقة وأخرج منها حجارة من صوان لاتعمل فيها العدة الماضية وأشكالها في غاية الكبر ... فأخذ الأمير جمال الدين منها شيئا والى الآن حجر منها ملقى تجاه قبو الخرنشف من القاهرة ويذكر أن ثلاثة أخوة قدموا من الرها بنائين بنوا باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح كل واحد بنى بابا وأن باب زويلة هذا بنى في سنة أربع وثمانين وأربعمائة وأن باب الفتوح بنى في سنة ثمانين وأربعمائة وقد ذكر ابن عبد الظاهر في كتابه خطط القاهرة أن باب زويلة هذا بناه العزيز بالله نزار بن المعز وتممه أمير الجيوش ... وسمعت غير واحد يذكر أن فردنيه يدوران في سكرجنتين من زجاج ... ومن تأمل الأسطر التي قد كتبت على أعلاه من خارجه فانه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه وقد كانت البدنتان أكبر مما هما الآن بكثير هدم أعلاههما الملك المؤيد شيخ لما أنشأ الجامع داخل باب زويلة وعمر على البدنتين منارتين» (الخطط، جـ ١، ص ٣٨١).

ويذكر أبو صالح الأرمني الذي دون كتابا بعنوان «الكنايس والأديرة في مصر» في أوائل القرن الثالث عشر في وصفه لكنيسة القديس يوحنا المعمدان قائلا:

«وبالقرب من هذه الكنيسة مقبرة يوحنا الراهب الذي هندس سور القاهرة وأبوابها في خلافة المستنصر وفي وزارة أمير الجيوش بدر» (The Churches and Monasteries of Egypt, p. 65)

ويعلق بتلر على ذلك بقوله:

«هذه معلومة مهمة للغاية، فهي دليل جديد على أن الأقباط هم المهندسون الذين شيدوا القاهرة لا المسلمين، كما كنت أرى دائما».

ونرى من جانبنا أن هذا استنتاج متعجل؛ حيث أن الكاتب يسلم جدلا بالجنسية المصرية للراهب المذكور.

ويتعجل لين يول ويقفز الى نفس الاستنتاج دون روية؛ ولكن نظرا لرغبته في التسليم برواية المقریزی نجده يفترض وجود أربعة معماريين (*History of Egypt*, pp. 152-3). ويتبعنا المقریزی أن البوابات بنيت على يد ثلاثة معماريين مسيحيين من الرها. ومن المحتمل أن يكون يوحنا أحدهم، لأن الرهينة لم تكن حكرًا على مصر؛ والحقيقة أنه ليس ثم تناقض بالضرورة بين الروايتين. على أية حال فإن رواية المقریزی تتفق والدليل المعماري؛ وسنرى أن البوابات تخالف أصلها الشامي الشمالي في كل سماتها تقريبًا. والأرجح أن يكون المعماريون المسيحيون الثلاثة قد غادروا الرها في ذلك الوقت متجهين الى القاهرة، إذ كانت الرها قد انتزعت من امبراطور الروم في العام السابق على ذلك (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) على يد ملكشاه السلجوقي (ابن الأثير، جـ ١٠، ص ٩٧)، وكانت الظروف قد ساءت بالنسبة للمسيحيين، بينما كان الفاطميون يبدون تسامحًا كبيرًا تجاه المسيحيين واليهود (٢٨٩).

ويبدو أن المعماريين في الشرق والغرب على السواء كانوا دائمى الترحال (*Voyage en Syrie*, I, 221) وقد سجلت حالات لذلك على اللوحات التأسيسية للمباني الوسيطة ومنها الأمثلة التالية:

١. تم إنشاء مقياس النيل بالقاهرة عام ٢٤٧هـ (٨٦١م) على يد معمار من فرغانة (٢٩٠).
٢. أعيد بناء قبة المسجد الأقصى بالقدس عام ٤٢٦هـ (١٠٣٥م) على يد مزوق من القاهرة بعد أن أصيبت بأضرار جسيمة على أثر زلزال عام ٤٢٥هـ (١٠٣٣م)، على الهروي (٢٩١)، كتاب الزيارات، ص ٢١).
٣. بنيت مئذنة المسجد الجامع في حلب في الفترة من ٤٨٣ الى ٤٨٨هـ (١٠٩٠-١٠٩٥م) على يد معمار من سمرين.
٤. تم إنشاء جزء من مسجد ديار بكر الجامع في سنة ٥٥٠هـ (١١٥٥-١١٥٦م) على يد معمار من جرجان (٢٩٢) (بالركن الجنوبي الشرقي من بحر قزوين).
٥. بنى في ديفرجى جامع أمير شاهنشاه (جامع القلعة) بالقلعة في سنة ٥٧٦هـ (١١٨٠-١١٨١م) على يد معمار من مراغة (٢٩٣).
٦. بنى جامع علاء الدين بقونية في سنة ٦١٦-٦١٧هـ (١٢١٩-١٢٢١م) على يد معمار دمشق (٢٩٤).
٧. بنيت المدرسة المنسوبة الى الأرتقى سوكمين الثانى بديار بكر في سنة ٦٢٥هـ (١٢٢٨م) على يد معمار من حلب (٢٩٥).
٨. بنى جامع أحمد شاه في ديفرجى في سنة ٦٢٦هـ (١٢٢٨-١٢٢٩م) على يد معمار من خلاط أو أخلاط.
٩. بنى أحد الأبراج الدائرية بالواجهة الشمالية للسور بديار بكر أيضا في سنة ٦٣٤هـ (١٢٣٦-١٢٣٧م) على يد معمار من حلب.
١٠. بنيت مدرسة صرجالى بقونية في سنة ٦٤٠هـ (١٢٤٢-١٢٤٣م) على يد معمار من طوس (٢٩٦).
١١. أرسل أحد النحائين من القاهرة من قبل السلطان قلاوون في سنة ٦٨٦هـ (١٢٨٧م) لنحت اسم السلطان على جامع كان يتم بناؤه على يد بركة خان بالقرم (٢٩٧).
١٢. بنى المسجد الجامع بطرابلس في سنة ٦٩٣هـ (١٢٩٤م) على يد معمار من صهيون (٢٩٨).

- ١٣ . بنيت القبة بصحن المسجد الجامع فى الباب (على بعد ٢٥ ميلا شرقى حلب) فى سنة ٧٠٤هـ (١٣٠٥م) على يد معمارين من صنف.
- ١٤ . بنيت معذنتا جامع الأمير قوصون بالقاهرة فى سنة ٧٣٠هـ (١٣٢٩-١٣٣٠م) على يد معمار من تبريز.
- ١٥ . بنى قصر الأمير يشبك بالقاهرة فى سنة ٧٣٨هـ (١٣٣٧م) على يد معمار من الشام.
- ١٦ . أعيد بناء الجسر فوق نهر كلب ببيروت فى سنة ٧٤٠هـ (١٣٤٠م) على يد معمار من بعلبك كان يعيش بطرابلس.
- ١٧ . بنى المسجد الجامع بأفسوس فى سنة ٧٧٦هـ (١٣٧٥م) على يد معمار دمشقى.
- ١٨ . بنى ضريح تيمور بسمرقند فى سنة ٨٠٧هـ (١٤٠٤-١٤٠٥م) على يد معمار اصفهانى.
- ١٩ . بنيت تربة سيدى محبى الدين باق شهر فى سنة ٨١٢هـ (١٤٠٩-١٤١٠م) على يد معمار من الموصل.
- ٢٠ . بنى ضريح أحمد شاه بهمانى (توفى ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م) ببیدار على يد معمار من قزوین.
- ٢١ . بنى مسجد شاه بمشهد فى سنة ٨٥٥هـ (١٤٥١م) على يد معمار من تبريز.

تاريخ البوابات

بالنسبة لتواريخ هذه البوابات نجد أن باب النصر يحمل نقشا كوفيا رائعاً أسفل الطنف الذى يجرى من الخارج على قمة الطابق الثانى بعد الزوايا البارزة المقلوبة، ويبدأ على البرج الغربى ويمر أعلى البوابة لينتهى عند البروز الشرقى؛ من ثم فهو يشكل شريطاً طويلاً مكسوراً الى خمسة أقسام بأربع زوايا يمى. وينص على أن هذه البوابة التى تسمى «باب العز» بدلاً من «باب النصر» كما تعرف اليوم بنيت على يد بدر؛ وينتهى بعبارة «تم البدء فى هذا العمل فى محرم ٤٨٠هـ» (١٠٨٧م).

يذكر المقرئ أن تشييد بدر الجمالى لباب الفتوح فى سنة ٤٨٠هـ يتأكد من نقش يبدأ فى الزاوية الكارة بين البرج الشرقى والجدار بين البرجين ويجرى على طول الجدار الأخير، ثم يستمر فوق واجهتين من واجهات البروز المربع الضخم الذى بنى حول المئذنة الشمالية لجامع الحاكم، ولكن بتاريخ ٤٣٠هـ (ج٢، ص ٢٧٨) وهو ما ينبغى قراءته على أنه ٤٨٠هـ كما يبين فان برشم (Notes, xvii)، وهو ما أكدته المفضل بن أبى الفضائل (١٣٥٨، ص ٥٠٢) والقلقشندي (ج٣، ص ٣٦٤).

وظل جزء كبير من هذا النقش مختفياً حتى وقت قريب وراء بيوت شيدت بمواجهة جدار البرج مباشرة، ثم تمت إزالة هذه العوائق فى شتاء ١٩٤١/١٩٤٢، فظهر النقش كاملاً. ويتكون من سطر واحد طوله ٥٣,٤٧م وهو تكرر لنفس النص الذى نجده على باب النصر بفروق طفيفة. إلا أن الجزء المتعلق بالتاريخ فقد تكرر دون تغيير، حيث يقول «وبدى بعمله فى محرم ٤٨٠هـ». ولكن هنا أيضاً نرى أن اسم البوابة كما ورد به يختلف عن الاسم الذى تعرف به اليوم، فتسمى «باب الإقبال». وكان ناصر خسرو فى زيارته للقاهرة من عام ٤٣٩هـ (١٠٤٧م) الى ذى الحجة ٤٤١هـ (ابريل ١٠٥٠م) قد رأى بوابات جوهر ويشير الى كل من باب النصر وباب الفتوح على أنهما بوابتا جوهر. لذا يبدو أن بدر الجمالى أو سيده الخليفة المستنصر أراد للبوابات فى سور أن يكون لها أسماء جديدة، إلا أن الناس أصروا على استخدام الأسماء القديمة فى الإشارة الى البوابات الجديدة.

ورأينا أن المقرئ يحدد فى موضع من كتابه تاريخ بناء باب زويلة بأنه عام ٤٨٥هـ (ج١، ص ٣٧٩)، وبعد أسطر قلائل يحدده بأنه عام ٤٨٤هـ. ويحدد كل من القلقشندي (ج٣، ص ٣٦٤) وحسن الطولونى

(مخطوط باريس، ١٨١٤) والإسحاقى (ص ١٢٠) هذا التاريخ بأنه عام ٤٨٥ هـ؛ فى حين يرى كل من فان برشم (Égypte, I, 62) ومرجوليوث (Cairo, Jerusalem and Damascus, p. 20) وريتشموند (Muslim Architecture, 95) وهوتكير (Les Mosquées du Caire, 232) أن تاريخ البناء هو عام ٤٨٤ هـ. ونرى من جانبنا أن هذه المسألة حسمت مؤخراً بنشر كتاب ابن ميسر (٢٩٩) (الذى يسبق كتاب المقرئى بقرن ونصف قرن) حيث أرجع تاريخ البناء الى عام ٤٨٥ هـ (أخبار مصر، ط ماسيه، ص ٢٩). ولا يسعنا علم النقوش فى هذا الصدد، مع أن هذه البوابة كانت فيما مضى تحمل نقشين أحدهما يجرى حول الطنف أعلى قنطرة العقد الضخمة، والآخر على الطبلية. والمستطيل الغائر الذى كان يحتوى فيما مضى على اللوح الذى يحمل النقش الأخير لا يزال باقيا ولو أن اللوح اختفى. وظهر النقش الأول فى عام ١٨٩٧ بعد إزالة طبقة سميكة من الجص. ويتفق وضع هذين النقشين مع وضع باب النصر، وبالتالي فربما كان «النقش الكائن بأعلى البوابة من الخارج» هو الذى يشير إليه المقرئى (ج ١، ص ٣٨١) لأنه يحتوى على أسماء أمير الجيوش (بدر الجمالى) والخليفة بالإضافة الى التاريخ. وهو فى حالة متردية ولم يبق منه إلا إيمان طائفة الشيعة به، مما يعد كافيا للدلالة على أصله الفاطمى (Comité du Conservation, Exercice 1897, p. x-xi).

انطباعات الرحالة

تعد بوابات القاهرة الثلاث -باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة- والجزء المعاصر لها من السور ضمن روائع العمارة العسكرية الإسلامية. فهى بوابات لا مثيل لها، والسور بأبراجه لا يفوقه فى العالم الإسلامى إلا نظيره بديار بكر (انظر Neibuhr, Voyage en Arabie, 1780, ii, 300). وقد بلغ بناء المجموعة كلها درجة من الكمال لم تتكرر فى مصر. فحظيت البوابات بأعجاب رحالة القرن الثامن عشر ممن نشأوا على تقاليد الكلاسيكية. فيقول ميليه (٣٠١) عن باب الفتوح: «لم أر بوابة على هذه الدرجة من الروعة المعمارية والقدم التاريخى والكمال الفنى». كما يشير الى باب النصر أيضا لكنه يقول إنه «لا يقارن بباب الفتوح» (Description de l'Égypte, 210). ويبدى الرحالة دهشته من بنائه بهذه القوة «بلا أعمدة ولا دعائم». كما يبدى موريسن إعجابه «بسماته الطبيعية وجمال أبراجه وزخارفه وبساطته ورقته» (Relation historique d'un voyage à Jerusalem, 134). أما جومار (٣٠٢) فيرجع باب النصر (٣٠٣) (Description de l'Égypte, État moderne, ii, 663). وكذلك كان رأى كل من كوست (٣٠٤) وبريس دافين (٣٠٥). ولم تكن شهرة هذه البوابات فى الشرق فى عصوره الوسطى تقل عن شهرتها فى العصور الحديثة؛ إذ يحدثنا المقرئى فيقول: «وقد أخبرنى من طاف البلاد ورأى مدن المشرق أنه لم يشاهد فى مدينة من المدائن عظم باب زويلة ولا يرى مثل بدنتيه اللتين على جنتيه». (الخطط، ج ١، ص ٣٨١).

ولهذه التحصينات أهمية بالغة باعتبارها من النماذج النادرة على العمارة العسكرية الإسلامية قبل الحروب الصليبية (والنماذج الأخرى هى قصر الحير ١١٠ هـ؛ والرقه ١٥٥ هـ؛ والأخضر ٣٠٦) ١٥٩ هـ؛ ورباط سوسة ٢٠٦ هـ؛ والقصبة بمدريد ٢٢٠ هـ؛ وأسوار سوسة ٢٤٥ هـ). لذا فلا ينبغي لهذه «المنشآت الرائعة التى تحتل المكانة الأولى فى عمارة القاهرة» (Van Berchem, Notes, xvii, p. 464) أن تظل غير منشورة وبلا تخطيط حتى الآن.

ومما يؤسف له أن الطابع العام لباب النصر وباب الفتوح وأبراجهما وبعض الأسوار فيما بينهما قد تشوه تماما بسبب كثافة المباني الرديئة التى بنيت حولها حتى أنه أضحى من العسير على المرء أن يلقى عليها نظرة وافية. ولاشك أن هذه العوائق ترجع فى تاريخها الى القرن الثالث عشر مع نشأة حى الحسينية (٣٠٧)؛ إلا أننا نعرف

من الجبerty أن هذه المنطقة برمتها تم تدميرها وتسويتها بالأرض بأمر من نابليون فى سنة ١٨٠٠ . فىذكر تحت تاريخ «جمادى الأولى ١٢١٥» أنهم بدأوا بتدمير شوارع الحسينية والشوارع خارج باب الفتوح وباب النصر بما فى ذلك من بيوت وحمامات ومشاجد وأضرحة تهاوت تحت ضربات المعاول (عجائب الآثار، ج٣، ص١٣٦ و١٥٩). وكانت هذه المنطقة فى عصر هبى (حوالى عام ١٨٢٩) لاتزال خالية نسبيا (Hay, Robert. Illustrations of Cairo, pl. xv)؛ وفى عصر روبرتس (حوالى ١٨٣٩) كانت قد ازدحمت قليلا (Roberts, David. Egypt and Nubia, iii. pl. 3)؛ أما بحلول عام ١٩٤٣ فكانت قد ازدحمت بالأحواش وورش الغزل والمخابز ومصنع للصابون والحوانيت والأكشاك. ولكن بمناقشة الأمر مع وزارة الأشغال العمومية نجحت فى إثارة اهتمام خيرى بك وكيل وزارة الخارجية وحصلت على تأييده فى هذا الصدد. ويعود اليه والى مصطفى بك فهمى مدير إدارة تنظيم القاهرة ومساعدته فخرى بك فى إزالة العديد من المنشآت المحيطة بباب الفتوح عن اليمين واليسار بتكاليف بلغت أربعين ألف جنيه وبطول ٤٢٠ م (اللوحات ٥٧-٥٩).

باب النصر

(رقم ٧ فى التخطيط)

وصفه

تقع هذه البوابة (اللوحات ٤٩-٥٦ والأشكال ٨١-٨٣) على الركن الشمالى الشرقى من سور القاهرة الفاطمية، وتتكون بعد توسيعها قليلا على يد بدر الجمالى من برجين مربعين كبيرين مصمتين حتى ثلثى ارتفاعيهما؛ ويحتويان فيما بينهما على بوابة معقودة جميلة (اللوحات ٤٩-٥١) تتراجع بمقدار ٤,٥٤ م عن واجهتيهما الأماميتين. ووراء هذه البوابة دركاة ضخمة طولها ١٠,٧٧ م وعرضها ٨,١٧ م يغطيها قبو، مما يشكل مجازا مغطى بين البرجين (اللوحتان ٥٢، ٥٣)؛ وينتهى هذا القبو بحذى الواجهة الخلفية للبرجين. ويبلغ عرض البناء بأكمله ٢٤,٢٢ م وعمقه ٢٠,٤٧ م وارتفاعه ٢٠,٨٩ م (من أسكفة البوابة الضخمة). وخلف البرج الشرقى وبالتوازى معه نجد برجا مستطيلا ضخما (اللوحتان ٥٣، ٥٤) ويحتوى على بير سلم حلزونى جميل عرضه ١,٦٥ م، وربما كان أجمل مابنى من سلالم لأغراض عسكرية (اللوحة ٥٤ ج)، ويؤدى الى منصة فوق المجاز المعقود.

وبفضل موقعه فإن هذا البرج لا يبدو كبير؛ وجانبه الغربى يحاذى الجانب المقابل لبرج البوابة الشرقى. ومن ناحية أخرى نجد أن جانبه الشرقى على الرغم من بروزه بمقدار ٨,٧٠ م خلف الواجهة المقابلة للبرج المذكور، يعطى انطباعا بأنه مجرد زاوية كارة فى السور، إذ يستمر السور باتجاهه الجنوبى الغربى بخط مواز له. ويقع المدخل الأصلى لبير السلم بالواجهة الجنوبية من هذا البرج (لوحة ٥٤ ب)، إلا أنه قد سد بجدار (ضمن عملية الإزالة فى ديسمبر ١٩٣٩)، ويتم الوصول الى بير السلم حاليا بباب على الجانب الغربى من المجاز المعقود (اللوحة ٥٣ ج). وحين نصل الى المنصة العليا التى ترتفع عن الأسكفة بمقدار ١٣,٥٤ م، نلاحظ أن السمات الأساسية عند هذا المستوى هى الأجزاء العليا من برجى البوابة على ارتفاع ٧,٦٥ م (لوحتان ٥٤، ٥٥ ب)، وخمس فتحات فى الأرضية بينهما تطل على الواجهة الخارجية من البوابة (شكل ٨٣). وهناك متراس لحماية القوات التى تعمل خلفه، ومنصة حجرية ضخمة تشكلها قمة البائكة المعقودة والجوانب الضخمة التى تمثل مرتكزا لها.

والمتراس الذى تتخلله خمسة مزاغل غير أصلي؛ إذ يتبين من الصورة التى وردت فى وصف مصر (Description de l'Égypte, État moderne, ii, 46) والتى نقلناها فى الشكل ٨٢ أنه كانت هناك فى الأصل خمس شرافات فى هذا الموضع تمت إزالتها مع المدماك الذى كان تحتها على يد الحملة الفرنسية (١٨٠٠-١٨٠١) وتم إحلال المتراس الحالى محلها.

الأبراج وبنائها

بنى برجا البوابة المربعان فى ثلاثة طوابق؛ والطابقان السفليان منها مصمتان. ويبلغ ارتفاع الطابق السفلى ٦,٦١ م إذا قيس من الحلية نصف الدائرية عند قاعدته (تسير هذه الحلية حول البرجين وتتوقف عند الزاوية الكارة التى تشكلها عضادات البوابة). ويزيد الارتفاع بمقدار ٣٧ سم إذا قيس من أسكفة المدخل. ويحفر جزء صغير يتضح أن البناء الحجرى ينخفض بمقدار ١,٢٠ م أسفل الحلية؛ ثم نجد طبقة من الأساس بسبك ٤٠ سم مكونة من مداميك عشوائية ضخمة، مما يشكل وزرة تمتد بما لا يقل عن ١,٥ م خلف البرجين؛ وتحتها رمال صفراء، كما هو الحال ببرج الظفر.

يتكون الطابق السفلى (أعلى الحلية) من ١٦ صفا من البناء المتقن المكسوط طبقة ناعمة؛ وتتفاوت طول الأحجار المجاورة من ١,١٥ م الى ١,٧٥ م، وتتراوح اللينات بين ٤٠ و ٦٠ سم. ويتميز الصف السابع بسلسلة من الدوائر الحجرية وضعت كل منها على بعد ١,٨٥ م تقريبا عن الأخرى، وتجري حول الواجهات الخارجية كلها (اللوحة ٤٩ ب) وحول جانبي المجاز المعقود وبرج بير السلم، بل حول سور المدينة أيضا. وتعد هذه الدوائر أطراف سلسلة من الأعمدة وضعت داخل الجدار كشرط بين القلب المملوء بالديش والواجهات الخارجية المبنية من الحجارة المكسوة. ويرى البعض أن هذا الأسلوب المتبع فى أسوار الاسكندرية كانت له وظيفة عملية تتمثل فى دعم الجزء العلوى من الجدران والحيلولة دون سقوطه إذا ضربت الأجزاء السفلية بالمدافع أو بأية أداة حربية أخرى (Description de l'Égypte, État moderne, xviii, 477) أو بالحجارة التى كان يجرها العمال كما نضيف من جانبنا. وما يؤكد صحة هذا رأى إشارة المقرئى الصريحة حيث يقول عن قيسارية بفلسطين (الشكل ١٠٦) أن «الفرجة» قاموا بنقل الأعمدة الجرانيتية الى هذا الموضع حيث وضعوها بصورة مستعرضة فى الجدران حتى لاتصاب إذا انهار المبنى (السلوك، ط زيادة، ج١، ص ٥٢٦).

والدوائر الحجرية تعد على جانبي البرجين أعلى بمدماك منها على واجهاتها الأمامية، وهذا ضرورى لأن الأعمدة المستعرضة توضع على قمة الأخرى. والنقش الموجود على الواجهة الداخلية للبرج الغربى عبارة عن قائمة تحدد الرسوم المفروضة على الإبل المارة من البوابة (على مبارك، الخطط الجديدة، ج٤، ص ٨١). ويبلغ ارتفاع الطابق الثانى ٦,٧٧ م حتى قمة السطح المائل، وقد بنى بحيث يتراجع عن الطابق الأول قليلا، ويتكون من عشرة مداميك كلها من أحجار مجاورة يتراوح طولها بين ٩٥ سم و ١,٢٥ م. وهناك سطح مائل قليلا عرضه حوالى ١ سم على حافة كل قالب؛ وفيما عدا ذلك فإن البناء ناعم الكسوة ويتحمل العوامل الجوية بصورة ملحوظة. ونجد هنا زخرفة متميزة على شكل ثلاثة دروع على واجهة كل برج، ودرع على كل من الجوانب المجاورة لقنطرة العقد. ونصف الدروع دائرية ونصفها الآخر مستدير فى أعلاه ومدبب فى أسفله على غرار الدروع النورمندية (The Bayeux Tapestry). وفى المنتصف نرى سرة تحيط بها ست أو سبع عقد مرتبة فى دائرة حولها. وهى تذكرنا بالدروع المستديرة فى الهند فى العصور الوسطى. ولا نجد تاريخ النقش إلا على قمة هذا

الطابق وعلى الواجهات الأمامية والداخلية، وهو عبارة عن شريط كوفي رائع، وفوقه طنف غريب الشكل مشطوف من أعلاه تدعمه من أسفله سلسلة من المساند [الموديلون] الكلاسيكية الشكل. وتم نحت كل كابولي صغير على جانبه السفلى بورقة كثيفة من نبات شوكة اليهود [الأكانتس]، إلا أن الأحقاق [القصع] فيما بينها مزينة بعدد من العناصر التعبيرية الصغيرة. وهكذا فإن الحافة السفلية من الطنف والمدعمة بهذه الصورة تزدان بشريط زخرفي بسيط مما يذكرنا بعنصر البيضة والقرص [السبحة والخززة أو العقد]. وفوق هذا الجزء نجد واجهة رأسية خالية من الزخرفة بارتفاع ٢٠ سم. ثم تشطف بمقدار ٥٠ إلى أن تلتقى بواجهة الطابق الثالث والتي تقع على نفس المستوى الرأسى للواجهة الثانية (اللوحة ١٥١ أ). وعلى خلاف نقش التاريخ نجد أن هذا الطنف يستمر حول الأجنحة الخارجية للأبراج فيما عدا أنه لا يستمر في حالة البرج الغربى إلا إلى منطقة انطلاق الجدار بين البرجين.

ويبلغ ارتفاع الطابق الثالث ٧,٦٥ م ويتكون من ١٨ مدمكا حتى الحافة السفلية من المزاغل والكوات. وكل ما يعلو ذلك هو من عمل نابليون الذى حصن القاهرة عام ١٨٠٠-١٨٠١ وترك أسماء معاونيه (كورين، جوليان، ملحود، ليسكال، بيرالت وجانو) على العديد من أبراج السور الشمالى. ويحتوى كل من باب الفتوح وباب زويلة والسور الشمالى على شرافات من نفس النوعية بقمم شبه دائرية، ولكن لا وجود لها فى باب النصر لنفس السبب المذكور سابقا بلا شك. ويتأكد هذا الرأى من صورة وردت فى كتاب وصف مصر (Description de l'Égypte, État moderne, pl. 46) ونقلناها فى هذا الكتاب فى شكل ٨٢) حيث يبدو البرج الغربى كاملا بشرافاته (وهو تطور عظيم)، فى حين أزيلت بعض شرافات البرج الشرقى حتى يمكن إنشاء مسكن على المنصة. وقد تعرضت ثلاثة من المزاغل للتشوه؛ فالأرجح أن يكون الفرنسيون قد حولوها إلى كوات للمدافع بعد فترة وجيزة من رسم الزخارف تحتها.

وفى هذا الطابق وضعت اللبانات والأحجار المجانية تبادليا بالطريقة المعتادة ويتراوح طول اللبانات بين ٥٥,٠ و ١٠٥,٠ م، ويتراوح طول الأحجار المجانية بين ٢٢ و ٣٩ سم، وحواف المداميك مشطوفة.

الملاط

تمكنت فى أثناء عملى بباب النصر فى صيف ١٩٤١ من الحصول على بعض بقايا من الملاط من قلب البناء. وبعد أن قام السيد لوكاس بفحصه بناء على طلب منى قال «إنه ملاط جبرى عادى يحتوى على نسبة ضئيلة من الرمل والحطب المحروق جزئيا، ربما كان قشا أو سيقان نبات ما؛ وهو بالمعايير الحديثة من نوعية رديئة».

ويرى هوتكير أن الطابق العلوى من كل برج من الأعمال التى تمت فيما بعد؛ ويضيف أن «هناك تفاصيل تؤكد هذا الرأى، إذ نجد فوق ثلاثة كوابيل فتحة صغيرة داخل التواء؛ والكوابيل التى تؤرخ النقوش تنتمى جميعا إلى القرن الثالث عشر. ونراها يقلاع دمشق والقدس وحلب. وإذا كانت كوابيل باب النصر معاصرة للبناء، إذن فهى سابقة على الكوابيل المذكورة بأكثر من مئة عام» (Hautecoer & Wiet, p. 236). إلا أن معطياته فى هذا الصدد تعتبر خاطئة تماما لأن هذا الأسلوب ظل يستخدم بالشام لأغراض عسكرية منذ ٥٥١ م فى دارقسيطا كما نجده فى التحصينات الإسلامية منذ عام ١١٠ هـ (٧٢٩ م) فى قصر الحير حيث نجد واحدا منها «بالساحة الصغرى» وأربعة «بالساحة الكبرى».

على أية حال هناك أسباب أخرى لاعتبار هذه السقاطات إضافات لاحقة. فإذا عدنا إلى التصاوير الأقدم لباب

النصر لدى بوكوك Pococke ولويجي ماير Luigi Mayer نجد أنها لا تحتوى على أية سقاطات، بل ما هي إلا صور زائفة رائعة لكنها لا تقوم دليلاً. إلا أن الثالثة من حيث التاريخ والتي نشرت في وصف مصر تعد عملاً جيداً بحق إذا قورنت في الشكل ٨٢ باللوحة ٤٩ ب. فترى الفتحتين الجانبيتين واضحتين ولكن بدون أية سقاطات. وفي الصورتين ٤ و٥ لدى كووست (Architecture Arabe, pl. L7) واللتين التقطتا بين عامي ١٨١٨ و١٨٢٦ ولدى هاى (Illustrations of Cairo, 15) واللتين التقطتا بين عامي ١٨٢٦ و١٨٣٨ نجد السقاطات تظهر لأول مرة.

وإذا تفحصنا السقاطات نفسها نجد ما يلي: (١) الكواويل وحدها من الحجر في حين أن الحشو بينها ومن خلفها من الآجر، مع أن الآجر لا يظهر في أى مكان آخر بحصون بدر عدا في المناطق التي تبدو الحشوات فيها حديثة بصورة واضحة؛ (٢) تضم هذه الأفاريز حليات وزخارف ضعيفة المستوى كما هو الحال في بيوت القرن الثامن عشر، وأحدها ليست به أية حلية؛ (٣) ما فوق الكواويل من الآجر أيضاً؛ (٤) ليس هناك ما يدل على وجود اتصال بينه وبين البناء على جانبي النوافذ. وهكذا فإننا نخرج من ذلك بأن هاتين السقاطتين جزء من عمل طويل الأجل قام به الفرنسيون في سنة ١٨٠٠-١٨٠١، وأن الجزء السفلى من كل فتحة لم يكن يغلق قبل ذلك إلا بلوح حجري يعمل كمتراس، كما هو الحال في الفتحتين المتقابلتين بباب الفتوح (لوحة ١٦٢).

البوابة

تتراجع البوابة بمقدار ٤,٥٤ م إلى الخلف (تبلغ مسافة التراجع على الجانب الغربي ٤,٥٧ م وعلى الجانب الشرقي ٤,٥٣ م) بين البرجين. ويرتكز العقد الخارجى الكبير المكون من نصف دائرة قائمة على ركائز على حلية ناتئة تجرى خلال المجاز المعقود ويترك أثارا على طول واجهته الخلفية الغربية، لكنه لا يستمر حول برج السلم. وتقع الحافة العليا أسفل النقطة التي تقطع بين الطابقين الأول والثاني من كل برج. ويحتوى العقد على حلية محدبة مزخرفة بحلية على شكل شارة تتراجع قليلاً عن حافتها الداخلية؛ وقد وضعت في إطار مستطيل بحاشية بسيطة لكنها مؤثرة؛ وكوشات العقد مزخرفة بدرع دائرى خلفه سيف روماني وضع بشكل مائل (لوحة ٥١ ب). والدرع مزخرف بتعبير هندسي مكون من ستة أشباه دوائر متداخلة وضعت حول شكل سداسي صغير وفي وسطه زهرة ذات ستة بتلات.

ويجرى الشريط الكوفي الذي يحمل التاريخ وكذلك الطنف الكائن على قمة الطابق الثاني من الأبراج فوق الإطار المستطيل الخاص بالعقد الكبير. وفوقه مباشرة نجد عقداً ناتئاً مسطوحاً من إحدى عشر صنجة، والصنجة المفتاحية أعرض من بقية الصنج وتتميز بوجود مركز ناتئ وحواف مستدقة الطرف. وفوقها نجد حاجز شرفة من ثلاثة مداмик نخرقها خمسة مزاعل وتتوجها كسوة مشطوفة محاذاة للواجهة. وكان هناك في الأصل مداك واحد فوق العقد الناتئ المسطح ترتكز عليه خمس شرافات كما نرى بالشكل (٨٢). ولاشك أن التغييرات قد تمت في سنة ١٨٠٠/١٨٠١.

وضعت البوابة الأصلية بداخل العقد نصف دائرى الضخم القائم على ركائز، وعرضها ٤,٧٦ م وارتفاعها ٦,٤٧ م إذا قيست من الأسكفة الجرانيتية الضخمة، وتمت تغطيتها تدريجياً في السنوات الأخيرة، وحولها عقد أفقى في أعلاه وكذلك في أدناه على ما يبدو، ويتكون من خمس عشرة صنجة معشقة. وفوقها وبعيداً عنها بعدة سنتيمترات نجد أول عقد عاتق أفقى في أعلاه وأدناه، ويتكون من سبع عشرة صنجة، التسع الوسطى منها

معشقة بصورة متقنة، في حين تركت الأخريات ملساء؛ وفوقها نجد عقدا عاتقا ثانيا يتكون من إحدى عشر صنجة أفقية في أعلاها، لكنها منحنية في أسفلها؛ والطلبة محشوة بكتلتين طويلتين من الحجارة. وأفضل موضع يمكن رؤية التفاصيل منه هو المفصل من الداخل. والطلبة في أعلاها محشوة بحشوة تضم خمسة نقوش كوفية رائعة من ثلاثة أسطر، وسطر رابع منحوت على العقد العاتق العلوى نفسه (ويضم عبارة شيعية) [لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولى الله صلوات الله عليهما]. وعلى الجزء الخلفى من العقد الخارجى الكبير هناك فتحة رأسية عرضها ١٧,٥ م وعمقها ٣٥ سم، وتصل إلى أعلى وتخرج خلف حاجز الشرفة مباشرة (لوحة ٥٢)، والمسافة الإجمالية من قمة العقد إلى المنصة ٢,٥٥ م. لكن هذه الفتحة لا تستمر إلى أعلى إلى أكثر من متر واحد، لأن الجزء المتبقى ينقسم إلى خمس فتحات بأربعة جذران مستعرضة كل مداميكها تتطابق مع مداميك البناء المجاور. وبالتالي لا يمكن أن يكون هناك باب منزلق في هذا المكان كما أشار هوتكير (ص ٢٣٥)، لأن الجزء الذى يسمح عرضه بأن يضم مثل هذا الباب يمتد إلى أعلى لمسافة متر واحد. والفرص من الفتحات الخمس التى تسيطر على مدخل البوابة إتاحة الفرصة للمحاصرين باطلاق القذائف على القوات التى تحاول أن تخترق البوابة.

وفى الزاوية الكارة إلى جوار الركن العلوى الأيمن من إطار الباب يمكن ملاحظة وجود كرة حديدية مثبتة على طرف قضيب حديدى طوله حوالى متر واحد. وهناك ما يشبه ذلك على البرج الغربى من باب زويلة (وفوق بوابة خربوط بديار بكر) تصحبه هراوة هندية ودمبل (كرتان حديديتان بينهما قضيب) طويل جدا وثقيل. وقد ورد ذكر عادة تعليق القضبان الشائكة والبلط وما إلى ذلك على بوابات المدن والقلاع لدى عدد من الكتاب (القلقشندي، ج ٣، ص ٣٧٨؛ شيفر *Le voyage d'outremer*, 183؛ الجبرتي، ج ٣، ص ٢٠)، إلا أن هذه الأدوات المذكورة ليست أسلحة، بل أدوات رياضية ضخمة كتلك التى يستخدمها الرياضيون. وفى هذا الصدد، فإن الفقرة التى وردت لدى تافرنيه ذات أهمية كبرى. ففى وصفه لحمامات سيراغليو (٣٠٨) باسطنبول، يتحدث عن الأعمال الفذة التى قام بها البعض، كرفع قضبان شديدة الثقل بذراع واحدة. ويقول:

«هناك ثلاثة منها معلقة بخطاطيف ضخمة على بوابة الحمامات. والقضيب الأوسط حسب رواية البعض يزن مئة أقة وهو ما يعادل ٣٥٠ رطلا فرنسا. وكان السنيور الأكبر قد تمنى فيما مضى أن يحظى بمتعة محاولة رفع أحد هذه القضبان الثقيلة وإدارتها بيد واحدة، وقد تمكن من ذلك، مما أثار دهشة الأمير» (*Nouvelle relation de l'intérieur du Surraïl du Grand Seigneur*, Paris, 1675, p. 117).

وتعادل الأقة ٢,٧١٣ رطلا، وبالتالي فإن مئة منها تعادل ما يزيد على ٢٧١ رطلا، وهو وزن يقل عما يستطيع كثير من رافعى الأثقال الحداثيين رفعه بيد واحدة.

وتتكون البوابة بمصراعيها من طبقتين من العوارض الخشبية سمك كل منهما ١٢,٥ سم، ووضعت الطبقة الخارجية رأسيا، والداخلية أفقيا؛ والجانب الخارجى مغطى بشرائط أفقية من الحديد يتراوح عرضها بين ٨ و ٩ سم مثبتة بالخشب عن طريق البراشيم وتسير من الواجهة إلى الخلف. وقد أصيبت الحافة السفلية من هذه البوابة بأضرار بالغة؛ أما الجزء العلوى فهو محفوظ وفى حالة جيدة. وركائزها العلوية مثبتة بعارض مركب ضخمة وملفوف بأشرطة من الحديد مبرشمة فيها. وتسير على مستوى واحد مع الحافة السفلية من عقد البوابة المسطحة. وترتكز أطراف هذا العارض فى تجاويف حجمها ضعف مقطعها العرضي. وليس من المؤكد ما إذا كان مصراعا هذه البوابة هما المصراعان الأصليان أم لا، لأن هناك بوابتين حديثتين نسبيا بالقلعة هما باب العزب الذى أعاد بناءه رضوان كتحدا (توفى ١١٦٨ هـ/ ١٧٥٤ - ١٧٥٥ م) والبوابة الوسطى التى بناها محمد على وركبت فيهما أبواب بنفس الطريقة.

المجاز

خلف البوابة مباشرة نجد قبوا اسطوانيا نصف دائريا خاليا من الزخارف طوله ٢,٩٤ م ويتكون من ١٨ صنجة وصنجة مفتاحية مزدوجة العمق. وخلفه نجد القبو المتقاطع الكبير وطوله ١٠,٧٧ م وعرضه ٨,١٧ م وينبت من الكورنيش [الطنف] الذى أشرنا اليه منذ قليل، ويسير حتى الواجهة الخلفية للبوابة (لوحة ٥٢). وعلى اليسار واليمين خلف القبو وبدءا من بعد مدامكين أعلى الكورنيش نرى حنية مستطيلة ضيقة وطويلة برأس على هيئة نصف قبة [طاقية]. والجزء الخلفى من نصف القبة والذى يتركز على مثلثين كرويين صغيرين مزخرف بمحارة. وفى منتصف القبو المتقاطع نجد زهرة ذات ١٢ بتلة أو قرص الشمس بقطر حوالى ٣٠ سم، وفيما عدا ذلك يخلو المجاز المعقود من الزخارف تماما. ويختلف البناء أعلى الكورنيش عنه فى أسفله؛ فيتكون فى الحالة الأخيرة من لبنات وأحجار مجانبية بدون حواف مشطوفة كالبناء الذى نجده فى الطابق السفلى من البرجين والذى يتطابق معه ولو على نطاق أضيق قليلا؛ أما فى أعلاه حيث يتطابق البناء مع الطابق الثانى من البرجين فيتكون مثله من أحجار مجانبية فى معظمه، وكل الصفوف لها حواف مشطوفة قليلا. وينتهى القبو المتقاطع بعقد نصف دائرى كبير مكون من ٢٧ صنجة معشقة عمقها متر واحد، إلا أنها تتفاوت من حيث العرض. وتبدأ بزاوية كما يتبين فى اللوحة (٥٣ ج) حيث تميل المداميك لتتلقاها. والواجهة السفلية اليمنى من العقد مغطاة جزئيا ببناء برج السلم. وعلى الواجهة الخلفية للبوابة وأعلى قمة العقد بمدماك واحد، نجد حلقة ربع دائرية ضخمة (تستمر حول الواجهة الغربية لمسافة ٧٠ سم تقريبا)؛ وتستمر على طول الواجهتين الغربية والجنوبية من برج السلم وعلى طول الواجهة الداخلية لل سور المتجه جنوبا. وعلى الركن الأيسر العلوى من الواجهة الخلفية للبوابة ووراء الحلية مباشرة نجد مدماك ضخما منقوشا بحروف هيرغليفية، مما يدل على أن بدر الجمالى قام بسرقة آثار تنتمى للدولة القديمة.

برج السلم

وكان يتم دخوله أصلا كما سبقت الإشارة من خلال باب بواجهته الجنوبية بالقرب من سور المدينة المتجه جنوبا. وكان يتم الوصول اليه بقلبة سلم بها ما بين ٩ و ١٠ درجات عرضها ٢,٧٧ م ولم يتبق منها سوى أطلال؛ وتم ترميمها مؤخرا (لوحة ٥٤ ب). والمجاز الذى يبلغ عرضه ١,٥٥ م وارتفاعه ٢,٤٦ م يغطيه عقدان أفقيان كبيران ارتفاع كل منهما ٧٥ سم، ويتكون العقد العلوى من خمس صنجات، والسفلى من ثلاث صنجات. وكان مسورا فيما مضى. وهناك فتحة حلقة ضيقة وطويلة باقية فى وسط السور مما قد يكون جزءا من أعمال الفرنسيين فى سنة ١٨٠٠ و ١٨٠١ (انظر الجبرتي، ج ٣، ص ١٣٦، ١٥٩، ١٨١، ١٨٧). ووراء هذا المدخل الذى تم إخلاؤه حديثا نجد دركاها ذا قبوا اسطوانى يؤدى الى سلم حلزونى رائع لا يقل عرضه عن ١,٦٥ م وهو مسقوف بقبو اسطوانى مرتفع نصف دائرى فى مقطعه، ويتكون من تسع صنجات تبرز الى الأمام قليلا عند المنبت؛ وارتفاعه حوالى ٣ م (لوحة ٥٤ ج). وبه قلبة سلم من سبع درجات تنتهى عند بسطة ترتفع عن أسكفة المجاز بحوالى ١,٣٠ م يستمر السلم الحلزونى بعدها لمسافة ٢٤ درجة الى أعلى. وعند الدرجة الرابعة عشر وكذلك التاسعة العشر نمر بناقذة ذات عتب مقوس (لوحة ٥٤ ب)؛ وكلا النافذتين غير مفلطحتين (تم حشو هاتين النافذتين ربما فى عام ١٨٠٠/١٨٠١ بحيث تشكلان كوتين، وتمت إزالة الحشور فى ديسمبر ١٩٣٩). وعلى البسطة نجد بابين يؤدى كل منهما الى أحد ذراعى شرفة على شكل

حرف L عرضها ١,٤٥ م وارتفاعها ٢,٤٤ م ومسقوفة بألواح مسطحة ترتكز على حلية ربع دائرية ضخمة تحتل الزاوية الشمالية الشرقية من البرج (لوحة ٥٦ أ). ويبلغ عرض الذراعين ٨,٥١ م وطولهما ٥,٠٦ م (تم فصل ذراعى هذه الشرفة بجدار بنى بناء عشوائياً للغاية ربما فى عامى ١٨٠٠/١٨٠١، وتمت إزالته فى ديسمبر ١٩٣٩). وبكل منهما فتحتان مفلطحتان للسهم تفتح على الواجهتين الشرقية والشمالية على التوالي؛ ويحجب هاتين الفتحتين المبنى الذى يحتل الكارة هنا. ويبلغ سمك السور الخارجى على الجانب الشرقى ١,٤٤ م. وعلى الجانب الجنوبى الغربى من الذراع الشرقية نجد فتحة مفلطحة أخرى تفتح على الداخل بالزاوية الكارة التى تكونت من برج السلم والسور المتجه جنوباً (الشكل ٨٣ واللوحات ٥٣، ٥٤، ب).

وبعد البسطة نجد خمس درجات أخرى لتكمل الجزء الحلزوني من السلم والذى ينتهى بعقد نصف دائرى مكون من خمس صنجات وقالبين مشطوفين هما نقطتا ارتكاز العقد. ونجد عند هذه النقطة بسطة نافذة على الجانب الجنوبى تغطيه عتبة مقوسة منقوشة بحروف هيروغليفية. وكانت هذه الفتحة محشوة جزئياً بحيث يستدق طرفها باتجاه الخارج؛ وتمت إزالة الحشو فى ديسمبر ١٩٣٩. وهناك قلبة سلم من خمس درجات أخرى بزاوية يمنى الى الجزء الحلزوني ويغطيها قبو اسطوانى نصف دائرى فى مقطعه ويتكون من سبع صنجات وتؤدي الى بسطة تغطيها جزئياً ثلاثة ألواح حجرية مسطحة. وهناك قلبة سلم من عشر درجات وبزاوية يمنى أيضاً ومفتوحة الى السماء تقودنا الى المنصة (الشكل ٨٣).

والى أن تمت تخلية المدخل الأصيلى لهذا السلم فى ديسمبر ١٩٣٩، كان على من يريد الصعود أن يدخل من باب على قمة قلبة سلم مكونة من ست درجات وتفتح فى منتصف الجانب الشرقى من الجحاز المقببى (لوحة ٥٣ ج). ويغطى الباب عقد مسطح من ثلاث صنجات أوسطها مكون من حجرين مرتبطين أفقياً. ولا يمكن أن يكون عملاً أصلياً، لأن مداмик إطاره تختلف على كلا الجانبين عن مداмик البناء الرئيسى. وفوق هذا المدخل نجد سقاية لا يمكن الوصول إليها من الداخل إلا بسلم. وعند الدخول نجد قلبة سلم تؤدي الى نافذة معقودة دائرياً تفتح على خارج المدينة المسورة بارتفاع لا يزيد عن ٣,٠٨ م من الأرضية. ونرى هنا أيضاً أن بناء إطار النافذة يختلف عن البناء الأصيلى. وير السلم مسقوف على مستوى يحاذى قمة الكوة بسقف مسطح من الدبش يدعمه عارض مستعرض من الخشب. وقد كسيت جميعاً بالأسمنت، إلا أن هناك ترقيمات سقطت منه وكشفت عن البناء. وينكشف البناء المبطن للمجاز عن كسوة تركية. وإذا استدرنا يمينا ولدى وصولنا الى البسطة أمام النافذة ندلف الى مدخل آخر بعقد نصف دائرى من سبع صنجات بمنحنيات خارجية متدرجة، ثم نرتقى درجتين لنجد أنفسنا فى دركاه صغير بسقف مسطح مغطى بالأسمنت. ثم نستدير يساراً ونرتقى درجتين فنمر خلال مجاز بعقد نصف دائرى ضخيم مكون من سبع صنجات مفلطحة من الخارج، ونجد أنفسنا على بسطة أخرى مفتوحة الى السماء، وعلى الجزء الخارجى من جناح البوابة (الشكل ٨١). وإذا صعدنا خمس درجات أخرى نصل الى داخل سبيل وكتاب يرجع للقرن التاسع عشر بنى فى الزاوية الكارة من البوابة. وإذا مررنا يمينا نجد أنفسنا فى مواجهة الواجهة الشمالية من برج السلم. وإذا نظرنا الى أعلى نرى مزغلاً بشرافة على شكل حرف L، ونجد أمامنا فتحة مستطيلة يمتد فوقها ضلع ضخيم من الخشب. ونرى على البناء الى يسار هذه الفتحة وكذلك المدايك الذى يعلوها مباشرة كسوة تركية وهى أصغر من تلك التى نراها على بقية الواجهة. ويسير خط الالتقاء بصورة غير منتظمة لمسافة ١,٥ م تقريباً الى يسار الفتحة. ومن

الواضح أن البرج قد تم تربيعة عند هذه النقطة. وإذا اجتزنا الجدار الذى يحتل الزاوية الكارة الذى يبلغ سمكه ١,٢٥ م نجد أنفسنا فى شرفة قصيرة لا يزيد طولها عن ٢,٥٩ م تجرى شرقاً وغرباً، وسقف من الألواح الحجرية المسطحة التى تتركز على كابولى ربع دائرى كما هو الحال فى الشرفة التى تتخذ شكل حرف L أعلاها. وإذا نظرنا الى الخلف نرى أن الجانب الغربى من المدخل على الجانب الداخلى يختلف بناؤه عنه فى الكتلة الرئيسية، وأن هناك فاصلاً رأسياً كاملاً بالمدماك على مسافة ٥٠ سم تقريباً من الحافة الغربية للمدخل. وعلى الجانب الجنوبى من هذه الشرفة الصغيرة نجد مدخلاً آخر مستطيلاً ومسقوفاً بالخشب المكثف يفتح على البسطة الأولى من السلم. ويتكون البناء حول هذا المدخل بأكمله من كتل مكثفة. ومن الواضح أن البناء هنا أصلى، وكذلك فى الشرفة الصغيرة التى ربما كانت تعمل كمنزغل فى المكان الذى يحتله المدخل حالياً. والفتحة العليا تحاذى الحافة الغربية من هذا المدخل، مما يوحي بأن هذا المكان كان موضع الفتحة السفلية.

ويبدو أن المدخل الأول والسلم كانا مفتوحين على الجانب الشرقى من المجاز بفرض السماح بالدخول الى مسجد جانبى الذى كان لا يزال باقياً (انظر خريطة القاهرة بكتاب وصف مصر (الدولة الحديثة، الأطلس، ج١، لوحة ٢٦) الى أن تمت إزالته على يد الفرنسيين عام ١٨٠٠ (الجبرتي، ج٣، ص ١٥٩). والجوانب محاذية للبناء فى حين تم ترك الدبش لتكوين سقف مسطح بمساعدة عارض لتدعيمه. وحتى لو لم يكن العمل كله يحتوى على أدلة على إجراء تعديلات متأخرة فإن تدنى وضع النافذة الأولى (٣م) يعد نقطة ضعف من الناحية العسكرية تجعلنا نؤكد أنها فتحت فى فترة لم يعد للبوابة الحصينة فيها جدوى. أما بقية العمل، أى إحداث فتحة بالواجهة الشمالية من برج السلم، فربما ترجع الى تاريخ لاحق للأسباب التالية. بنى باب النصر للدفاع عن أهالى المدينة من القوى المعادية من خارجها. لذا فالمدخل الأصلى الى برج السلم كان خطورة سليمة، إلا أن نابليون كان عليه أن يتحصن بالحصون فى مواجهة سكان المدينة من داخلها وفى مواجهة الجيشين الانجليزى والتركى اللذين كانا يتقدمان من الاسكندرية والعريش على التوالي. لذا فقد بنى سوراً عبر الواجهة الخلفية من هذه البوابة (نستند فى هذا رأى الى صورتين رسمتا لهذه البوابة فى أواخر عام ١٨٩٩، وتم الاحتفاظ بهما بوثائق لجنة حفظ الآثار، ويتضح بهما وجود سور سمكه ١,٨٠ م وارتفاعه ٧ م تم بناؤه عبر الطرف الداخلى من المجاز ويضم حصناً دفاعياً به فتحات على قمته. وبوسطه مدخل عرضه ١,٦٠ م) بحيث يتحول المجاز المعقود فى حالة إغلاق البوابات الخارجية الى غرفة حراسة ضخمة. ولكن كيف كان يتم الوصول الى المنصة دون أن ينكشف المتجه الى المدخل على الجانب الجنوبى من برج السلم؟ نرى من جانبنا أن الفتحة المؤدية الى السلم الحلزونى الكبير كانت مفتوحة فى ذلك الوقت، وكان المدخل القديم مسوراً وتحول كل ذلك الى حصن داخلى.

المنصة الرئيسة

عند الوصول الى قمة السلم نجد أمامنا منصة ضخمة يحدها من الشمال العلوى من برجين وبينهما المتراس (لوحات ٥٣، ٥٤، ٥٥، ب، شكل ٨٣) ومن الشرق سور من الدبش به فتحات حلقيه وينسب بناؤه الى الفرنسيين فى عام ١٨٠٠/١٨٠١ (فقد تم إحلال شرافات من الحجر المنحوت محله، لوحة ٥٢). وهو مفتوح تماماً على الضلع الجنوبى وكذلك على ضلعه الغربى فيما عدا امتداد خافٍ صغير للبرج الغربى يضم سلماً يهبط حتى المجاز الدفاعي. وفوق كتفنا الأيمن نرى قمة برج السلم، ويبدأ السور المتجه جنوباً من ركنه

الشرقي . وضلعاه الشمالى والشرقى يحدهما امتداد للسور الدبش ذى الفتحات الحلقية، وعلى جزء من ضلعه الجنوبى ملاحظ التاج البسيط للجزء الأخير من قبر السلم يرتفع لمسافة متر تقريبا فوق البلاط وتم صقله على ضلعه الجنوبى بأربعة مداميك من البناء. ومن المفترض أن الضلع الشمالى لهذا القبر كان مصقولا بنفس الطريقة فيما مضى. أما المنصة الرئيسية فينحدر سطحها المبلط باتجاه الجنوب، وينحدر الضلع الجنوبى باتجاه ميزاب حجرى. وعند هذه النقطة وتحت قمة الحلية ربع الدائرية الضخمة التى ترتفع ٤٠ سم والتى تتوج الجزء الخلفى من البوابة تجرى حول برج السلم وتمتد على طول الحافة العليا الداخلية من السور المتجه جنوبا.

التجاويف الثلاثة الغامضة

عندما تم إخلاء هذه المنصة تبين أن ذلك الجزء من التبليط الأصيل بالقوالب الضخمة كان لا يزال باقيا، وتم ترميمه بألواح صغيرة رفيعة على يد البعثة الفرنسية (ولم يقتصر الأمر على ترميم قمة السور المتجه جنوبا، بل أعيد تبليطه بألواح مشابهة تماما ولم يمتد التبليط الى الحافة الداخلية من السور، بل توقف أمام الجدار ذى الفتحات الحلقية الذى تمت إزالته). وقد أزيلت كل هذه الألواح ووضعت قوالب جديدة تلائم القوالب الأصلية. وفى أثناء هذه العملية تم اكتشاف ثلاثة تجاويف (أشكال ٨٣، أ، ب، ج). وسنرى أنها تشكل زوايا مثلث يتفق محوره مع محور البوابة تقريبا. كما تتفاوت هذه التجاويف من حيث الشكل والحجم والعمق فلا يزيد عمق (أ) عن ٢,٤٤ م، و (ب) ١,٦٥ م و (ج) ٦٧ سم. فهل كان الغرض من هذه التجاويف المساعدة على تثبيت منجنيق ضخمة أم صنعت للدائرة الاستوائية الخاصة بالأفضل؟ الاحتمال الأخير غير مرجح، لأن جوانبها وقاعها من البناء المكسو، لذا فمن المحتمل أن تكون أصلية، وفى هذه الحالة يصبح احتمال المنجنيق هو الأرجح. كما تم الكشف عن تجويفين آخرين على قمة برج السلم الكبير قرب باب الفتوح (شكل ٨٦).

الجزء العلوى من البرجين

كلا البرجين أجوف عند هذا المستوى ومربع تماما، ويحتوى كل منهما على حجرة مربعة بأضلاع مفرغة تغطيها قبة قطرها ٣,٨٠ م على مثلثات كروية (اللوحة ٥٦ ب). ونظرا لأن تقوس القبة يساوى تقوس المثلثات، لذا فإن القبة شديدة الضحالة. ويبلغ سمك الجدران هنا ١,٢٣ م عدا الضلع المجاور للبوابة حيث يبلغ سمكه ١,٥٨ م.

يتم دخول حجرة البرج الشرقى عبر مجاز مستطيل مساحته ١,٥ × ١,٠ م تغطيه أسكفتان [عتبان] إحداهما وراء الأخرى؛ وقد نقشت على الأسكفة الخارجية كلمتان (TOUR CORBIN)، وهى من حجر أقصر على شكل إسفين، وأجوف على واجهته السفلية بحيث يؤدى وظيفة عقد عائق. والأسكفة الأخرى تبرز لمسافة ٣٠ سم من الداخل، وهناك تجويف عند كل من الطرفين، مما يؤكد أنها كانت تحتوى على محور دوران الباب المزدوج فيما مضى. ويتم دخول حجرة البرج الغربى أيضا من خلال مجاز مستطيل تغطيه أسكفة مكونة من ثلاثة أحجار وضعت متجاورة. والطرف الغربى من الحجر الأوسط لا يتركز على شئ، إذ أنه يصل من فوق مدخل السلم تماما الى السقف؛ لذا فقد جعلت جوانبه على شكل إسفين؛ وهكذا فالأحجار الثلاثة تشكل عقدا مسطحا فى العرض. أما على الضلع الداخلى فلا نجد أسكفة ناتجة بتجاويف كما هو الحال فى البرج الآخر. ونظرا لأن البرج الشرقى يقع فى ركن من سور المدينة فى حين أن البرج الغربى من خط السور الشمالى يبرز بسقاية (اعتبرناها من عمل الفرنسيين) تطل على الفراغ المواجه للبوابة، إلا أن هذه الفتحات

ليست مفلطحة، إذ لا تزيد عن ٧,٨٧ م من البرج المقابل، وبالتالي فلا تتعرض لحريق مباشر. وبكل حجرة فتحتان تطلان شمالا؛ إلا أن الحجرة الشرقية بها فتحتان تطلان شرقا أيضا، في حين أن الحجرة الغربية ليست بها سوى فتحة واحدة تطل غربا وناحية السور. والفتحة الجنوبية بالضلع الشرقي من البرج الشرقي هي مزغل طويل مفلطح تماما من الداخل؛ إلا أن الفتحات الأخرى بهذه الحجرة عدا المطلة منها على البوابة تتميز بصغر الحجم ومفلطحة من أسفلها ومن أعلاها؛ فهي في الحقيقة كوات مدافع (كانت مدافع نابليون لا تزال منصوبة في مكانها حين دُون بريس دافين كتابه (Prisse d'Avvennes, L'Art Arabe, Texte. p. 163) عام ١٨٧٧). وإذا تفحصنا البناء يتضح أن الفتحات الأصلية كانت على الأرجح مطابقة للفتحة التي بدأنا بوصفها؛ وقد حشيت هذه الفتحات جزئيا من الداخل ونزعت من الخارج. ومن المرجح أن جزءا من هذا التشوه يرجع تاريخه الى عام ١٨٠٠/١٨٠١، إلا أننا سبق أن رأينا (الشكل ٨٢) أن المزاغل كانت مشوهة بالفعل من قبل.

وفي البرج الغربي ترك المزغل المطل على البوابة كما هو، إلا أن المزغل الشرقي من المزغلين المطلين شمالا تم تحويله الى كوة مدفع تشبه الكوات التي نراها في البرج الشرقي، في حين تم خفض حجم المزغل الغربي قليلا. أما المزغل الموجود على الضلع الغربي والذي ترمى السهام منه على سور المدينة فقد تم خفضها قليلا على الجوانب، إلا أنها حشيت في أسفلها بمقدار نصف المتر.

تمت تكسية المزغل الذي يخدم السقاطات الشرقية بنفس الطريقة التي كسيت بها الأبواب المؤدية الى الأبراج والتي سبق وصفها، أما بالنسبة للسقاطات الغربية والمزاغل فتجرى صفوف البناء فوقها بصورة متصلة. والكسوة الجصية للجزء الداخلي تحول دون رؤية الطريقة التي تمت بها تكسية هذه السقاطات المذكورة من الداخل حيث يفترض أن يكون الفراغ المكسو أكبر كثيرا منه من الخارج.

وعلى الركن الجنوبي الغربي من كل من حجرتي البرج نجد سلما عرضه ٨٧ سم ويؤدي الى السطح. والمدخل المؤدى الى السلم الخاص بالبرج الشرقي قريب عند واجهتها الغربية من الركن (شكل ٨٣). وهناك خمس قلبات سلم قصيرة مكونة من ٧، ٥، ٣، ٥، ٧ درجات على التوالي، وكل انحناء بزاوية يميني. وكسيت القلبتان الأوليان بقبو اسطوانى مرتفع من البناء الرائع بقطعة على شكل حرف L من قبو اسطوانى أفقى متقاطع فوق البسطين الأولى والثانية. وتم تسقيف القلبتين الثانية والثالثة بألواح مسطحة ترتفع في درجات وترتكز على الجدران دون كوابيل؛ أما القلبية الأخيرة فهي مفتوحة الى السماء. وعند البسطة الأولى نجد نافذة تطل جنوبا ويكسوها عقد شبه دائرى مقطوع عند نقطة التقاء المداكين الكبيرين. وبالبسطة الثالثة فتحة صغيرة تطل شمالا ومفلطحة من الداخل. ولا يزيد سمك الجدار هنا عن ٣٥ سم.

ويفتح سلم البرج الغربي في سمك الجدار على الضلع الغربي من المدخل المؤدى الى حجرة البرج. وهناك في البداية قلبة سلم مستقيمة مكونة من ثماني درجات يغطيها سقف من ألواح حجرية؛ والجزء الذى يعلو الدرجات الخمس الأولى أفقى يرتفع بعدها مع الدرجات. ويتحول السلم عند هذه النقطة الى سلم حلزوني ليتم دورة كاملة من ١٥ درجة يغطيها قبو اسطوانى شبه دائرى مرتفع من خمسة صفوف من الصنج. وعلى قمة هذا الجزء ينطلق السلم بزاوية يميني، وهناك ثلاث درجات تكسوها ألواح حجرية ترتفع قليلا مع الدرجات، إلا أنها تنحدر من جانب لآخر عند ٢٥° تقريبا. ونجد بعد ذلك بسطة مربعة مفتوحة الى السماء تليها درجتان بزاوية يميني تؤديان الى البسطة الأخيرة وبعدهما نجد مستوى السقف. وعند الدرجة الرابعة من الجزء الحلزوني

نجد فتحة صغيرة (تم سدها حاليا ولو أن الحشو تمت إزالته في يوليو ١٩٤٠) تغطيها أسكفة صغيرة بمدماك عاتق على شكل إسفين فوقها وتتحكم في المجاز الدفاعي المتجه غربا. وعند الدرجة التاسعة من الجزء الحلزوني نجد فتحة صغيرة أخرى تغطيها أسكفة مقوسة تبرز قليلا عند المنبت. فاذا عبرناها وهبطنا حوالى ٤٥ سم نجد أنفسنا في جوسق صغير بفتحة مستطيلة كبيرة الى الشرق والجنوب (اللوحة ٥٥ ب) تتحكم في منصة مجاز البوابة والشارع بمواجهة وكالة السلطان قايتباي. والفتحة الأولى تغطيها أسكفة فقط، أما الأخرى فتغطيها أسكفة بمدماك عاتق على شكل إسفين فوقها. وعلى الضلع الغربى من البسطة العليا هناك فتحة مفلطحة صغيرة تتحكم في استحكامات السور؛ وعلى الضلع الشمالى هناك فتحة أخرى بنفس الحجم تقريبا تتحكم في الجانب الغربى من برج مجاز البوابة. وأسفل الفتحة الأولى نرى نقبا يسمح بالهرب من ماء المطر؛ وتنتهى من الخارج بالفتح الصغيرة الموضحة في اللوحة (٥٦ ج).

وعلى الركن الجنوبي الغربى من المنصة هناك برج صغير يعد استمرارا لقفص السلم، وهو مشطوف على ضلعه الداخلى (الشمالى الشرقى). ويتم التوصل الى القمة بست درجات، ونطل منها على منظر لقمة البرجين اللذين تتحكم فيهما. ومن الواضح أن حاجز الشرفة أعيد بناؤه في عهد البعثة الفرنسية. ونعود الآن الى المنصة الرئيسية، فنجد الى يسار المدخل المؤدى الى حجرة البرج الغربية درجا آخر يتكون من ثلاث قليات تهبط الى المجاز الدفاعى الذى ينخفض عن مستوى منصة مجاز البوابة بمقدار ١١, ٣ م. وعلى العتبة التى تعلو المدخل المؤدى الى هذا الدرج نقشت كلمتان (TOUR JULIEN). والقلبة الأولى المكونة من ثمانى درجات يغطيها سقف هابط من الألواح الحجرية يرتكز على مدماك كابولى مشطوف وينتهى بعقد نصف دائرى فوق الدرجة الثامنة. والبسطة مغطاة بقبو اسطوانى متقاطع على شكل حرف L لمقطع نصف دائرى يبدأ تحت مستوى الطرف السفلى من سقف الألواح الحجرية. وعلى الجانب الغربى من هذه البسطة نجد نافذة دائرية قطرها ٦٠ سم (تم سدها مؤخرا). والقلبة الثانية المكونة من خمس درجات يغطيها قبو اسطوانى هابط من ثمانية صفوف من الصنج يلتقى بالقبو المتقاطع على شكل حرف L والأفقى عند البسطة الثانية. وهناك مجاز مستطيل فوقه أسكفة كبيرة بعقد عاتق من خمس صنجات مقطوع أفقيا من أعلى ومن أسفل ويفتح على المجازات الدفاعية التى يمكن الهبوط اليها بثلاث درجات مكشوفة (الوحة ٥٦ ج).

يتبين من التجايف الموجودة على الجانب الداخلى من هذا المجاز أنها كانت مفتوحة على الداخل، وبالتالى كان يمكن إغلاقها فى وجه المغيرين ممن كانوا يتسلقون الجدار بين البرجين، ومن ثم يمكن الحيلولة بينهم وبين الوصول الى المنصة الكبيرة. وتنطبق نفس هذه الملاحظة على البرج الأول المتجه غربا وعلى منصة باب الفتوح والبرج الكبير ذا الواجهة المستديرة التى كانت جميعا تحتوى على أبواب كان يمكن إغلاقها أمام المجاز الدفاعى بالسور.

باب الفتوح

وصفه

تكون هذه البوابة (رقم ٦ على الخريطة) كباب النصر من برجين كبيرين مصممين حتى ثلثى ارتفاعهما للدفاع عن قنطرة عقد ضخمة وضعت بينهما. إلا أن المجاز الكائن خلف هذا العقد بدلا من أن يكون مسقوفا بقبو متقاطع تمت تغطيته بقبة من صنجات حجرية ترتكز على مثلثات كروية بنفس التقوس. إضافة الى ذلك

فالبرجين مستطيلان بواجهتين مستديرتين ولا ينقسمان من الخارج الى طوابق (لوحات ٦٢-٦٩، الأشكال ٨٤-٨٨). ويبلغ إجمالى عرضه ٢٢,٨٥ م، وعمقه ٢٥,٢٢ م، وارتفاعه ٢٢,٢٣ م من الأرضية الأصلية حتى قمة العرائس. ويتم الوصول الى المنصة بأعلى القبة الضحلة بدرج يجرى الى أعلى بجوار الواجهة الداخلية من الجدار بين البرجين نحو شرق البوابة (لوحة ٦٨). صحيح أن هناك درجا عظيما فى البرج المربع الكبير الى الغرب، إلا أنه ينتمى الى سور المدينة وستتطرق الى وصفه فيما بعد.

يبلغ عرض البرجين ٧,٥٨ م؛ وتبرز الجوانب المستقيمة منه بمقدار ٧,٥١ م عن واجهة السور، ويبلغ أقصى بروز من حافة الواجهة المستديرة المكونة من جزء من دائرة بدلا من أن تكون نصف دائرية فى تخطيطها ٩,٢٦ م. وقد وجد منذ عدة سنوات أن كل برج يتركز عند المستوى الأصلي للأرضية على قاعدة مستطيلة بارتفاع ٧٠ سم تقريبا تعلوها حلية تضيف ٣٤ سم. والمساحة بين الواجهتين المستديرتين وأركان القاعدتين يغطيها منحدر ذو انحدار مضاعف كما يتضح فى الشكل (٨٤).

ومتوسط ارتفاع مداميك البناء ٥٢ سم (المداميك الأربعة الأولى فوق مستوى الأرضية الحالى مقاييسها ٦٨، ٥١، ٥١، ٤٠ سم على التوالي)؛ ويتراوح طول الأحجار المجاورة بين ٨٠ سم و ١,٣٠ م، واللبنات بين ٢٣ و ٧٠ سم. وفى المدماك السادس من مستوى الأرضية الحالى نلاحظ نفس الخاصية الغريبة التى نجدها بباب النصر، ألا وهى وجود صف من الدوائر الحجرية يجرى حول البرج، وفى هذه الحالة نجده على نفس المستوى على كل من الواجهة والجوانب. وهى كما رأينا بمثابة أطراف أعمدة وضعت فى شريط بين القلب المكون من الدبش والواجهة. وكل مدماك حجرى فى هذه البوابة به شطقة طفيفة لانتزيع عن ١ سم حول حافته كما هو الحال بباب النصر أيضا، إلا أن البناء أكثر تماثلا فى حجمه ولو أن بناء الثلث العلوى يعد أصغر قليلا من البقية.

والجزء السفلى (الأصم) من كل برج مزخرف بثلاث حشوات معقودة ضخمة، واحدة على كل من الجانبين، وواحدة فى الواجهة، وتنحنى الثالثة فى التخطيط وهى أعلى من الآخرين. والحشوات على الجوانب الخارجية وواجهة البرجين غفل تماما وتخلو من أية حلية. أما الحشوة على جانب كل برج بجوار البوابة فهى مزخرفة بحلقة داخلية من المخدات المتلاصقة. والجزء السفلى من هذه الفجوة (والذى يحاذى المستوى الحالى للأرضية) محشو بمدماك مشطوف (لوحات ٦٤، ٦٥، ٦٧). ولا ينطبق ذلك على الحشوات الكائنة على الجانبين الخارجيين، حيث تمتد حتى حلية القاعدة. وما يذكر أن صنع العقود الستة المحيطة بهذه الحشوات ليست معشقة. والجزء العلوى من كل برج غفل تماما على الأجنحة الخارجية، ويخترق السطح الأملس مزغل وحيد (لوحة ٦٩). إلا أن كلا من الواجهتين الأماميتين مثقوبة بثلاثة مزاغل وضع كل منها فى فجوة ضحلة برأس معقودة نصف دائرية، ويحيط بها جميعا إطار منحوت مستطيل كبير. وبالجوانب المجاورة للبوابة فتحتان مستطيلتان بمساحة ١,٩٤ × ٠,٧٠ م قطعنا بحذى الواجهة، ولكن تحيط بها أطر منحوتة تشبه الأطر التى ذكرناها منذ قليل. ويحيط بهذه الأطر نفسها وعلى ثلاثة جوانب منها شريط زخرفى يبدأ بجوار الجدار بين البرجين، ويجرى على جانب البرج عند القمة، ثم يغوص الى أسفل عند نقطة التقاء القمة بالواجهة المستديرة، ويدور عند الركن أفقيا، ثم يصعد مرة أخرى ليجرى حول الجوانب الثلاثة للإطار المنحوت الذى يضم المزاغل الثلاثة، ويهبط عند الزاوية ثم يصعد مرة ثالثة ليجرى على قمة الإطار المنحوت من الداخل، ثم يعبر قمة حاجز الشرفة أعلى البوابة ويمر بمراحل مماثلة حول البرج الآخر.

البوابة

هناك عقد نصف دائري مفلطح ضخم أقيم بين البرجين الى الخلف بمسافة ٧,٧٠ م. ويزين الجزء المفلطح جزء شبكى مستطيل يتكون من مربعات مشوهة قليلا تم حشو كل منها بعناصر زخرفية منحوتة جيدا (عباد الشمس ، زهرة الاقحوان ، الأشكال الخماسية والأشكال الشبيهة بالنجمة السداسية وأشكال النجوم والأشكال المتقاطعة والدوائر والأشكال المفرغة وغير ذلك - ودوائر وزخارف هندسية وما الى ذلك، ووضعت كل هذه الأشياء فى حاشية [إطار] بسيطة مكونة من دائرة ومعين بالتبادل (لوحة ٦٥ أ). ووضعت الى الراء بمسافة ١,٤٩ م داخل هذا العقد نصف الدائرى البوابة وعرضها ٤,٨٥ م وارتفاعها ٦,٤٩ م يمتد فوقها عقدان أفقيان. ويتكون العقد السفلى من هذين العقدين، والذي يتميز بعمق غير عادى وبأنه أفقى فى أعلاه وفى أسفله، من ١٢ صنجة كبيرة بكل منها تعشيقتان بارزتان وصنجة مفتاحية من ثلاثة مدايميك، أحدها بأسفله والآخران بأعلاه. وبكل المدايميك التى يتكون منها هذا العقد جزء مستدق الطرف غائر حول الحواف (لوحة ٦٤ ب). ويعلو هذا العقد عقد آخر أخف كثيرا ومقوس فى أسفله لكنه أفقى فى أعلاه، ويتكون من ١١ صنجة بكل منها حافة مشطوفة بدرجة ضئيلة جدا كبقية البناء. والمساحة بين تقوس هذا العقد وبين القمة الأفقية للعقد الكائن أسفله مفتوحة من الخلف ولو أنها محشوة من الأمام؛ ويبدو من الحشو أنه إضافة لاحقة. وهناك ثلاثة مدايميك من بناء صغير فوق العقد العلوى تكمل الطولية والتى يحيط بها عقد نصف دائرى قائم على ركائز وبحافة داخلية متقنة؛ ويتكون من ١٩ صنجة. والصنجة المفتاحية مزخرفة بشكل لولبي. وبين هذا العقد والعقد المفلطح الخارجى نجد فتحة مساحتها ٤,٢٨ × ٠,٣٣ م لتمكين الجنود المدافعين من رمى القذائف على من يهاجمون البوابة.

وهنا أيضا كما هو الحال بباب النصر يؤكد هو تكبير أنه كان هناك متراس، لكن ذلك مستحيل تماما، لأن عرض البوابة من أسفل ٤,٨٥ م كما سبق الذكر، فى حين أن الفتحة بأعلى تقل عن ذلك بمقدار ٥٧ سم. فلو كان هناك متراس فى هذا الموضع فلا بد من السماح بما لا يقل عن ٥ سم فسحة على كل جانب بحيث لا يتبقى لأقصى عرضها سوى ٤,١٨ م، أى ٦٧ سم أقل من الفتحة، أى لكان قد تم ترك ٣٣ سم مفتوحة على أى من الجانبين، وهو أمر غير وارد.

وفى الصفيين العلويين من الصفوف الثلاثة أعلى العقد المفلطح وضعت ستة كوابيل تقوم مع كابولى آخر طويل بكل زاوية كارة بدعم رف حجرى يجرى على طول المسافة بين البرجين (الشكل ٨٥). وحواف الكوابيل مزخرفة بزخرفة فاطمية جميلة متميزة، وعلى قمة الكابولين الخارجيين رأس ثور (لوحة ٦٦ ب، الكابولى الشرقى الأخير أعادت اللجنة بناءه فى سنة ١٩٣٦ تقريبا). وبين كل كابولين هناك زخرفة أحقاق [القصع] ومجموعها سبع. وتنقسم زخرفة الاثنان الخارجيان على كل من الجانبين الى أربع أحقاق صغيرة (لوحة ٦٥ ج). وكانت زخارف الأحقاق الثلاث الوسطى مزخرفة بمربعين وضعا بشكل مائل أحدهما داخل الآخر، إلا أن المربع الأوسط فقط لا يزال فى حالة جيدة.

وفوق الكابولى وبمحاذاة حافته الأمامية نجد عقدا ضحلا يتكون من ٢١ صنجة بكل منها تعشيق بارزة، وفوقه فى حاجز الشرفة نجد خمس فتحات بأعتاب مقوسة، وقد وضعت جميعا فى إطار غفل تماما إلا فى حافته العلوية. والشريط الزخرفى المتصل الذى يجرى حول البرجين يمر عبر حاجز الشرفة فوق هذا الإطار مباشرة. وفوق الشريط المتصل نرى إفريزا تدعمه ٢١ مقرنسة صغيرة، مما يذكرنا بإفريز باب النصر ولو على نطاق

أصغر كثيرا (لوحة ٦٥ ب). وقمة هذا الجدار وكذلك البرجين، وهى جميعا على مستوى واحد، متوجة بسلسلة من الشرافات ذات قمم نصف دائرية، ونحت الأسكفة بين كل اثنتين منها بأخدود على شكل حرف ٧ ينحدر الى الخارج بحيث يسمح بإطلاق النار؛ ولا شك أن هذا الأخدود ينسب للبعثة الفرنسية.

المجاز

خلف الطبلية الضخمة للبوابة هناك قبو اسطوانى طوله ٢,٩٦ م على شكل نصف دائرة قائمة على ركائز فى مقطعه، ووراء قبة قطرها ٧,٥٧ م ولها نفس تقوس المثلثات الكروية التى تركز عليها (لوحتان ٦٦ ج و ٦٧). والى اليمين واليسار هناك فجوة عمقها ٢,٧٤ م يغطيها قبو ثلاثى الأضلاع. وعلى الطرف الداخلى من المجاز هناك عقد كبير يتكون من ٢٧ صنجة، ٢٥ منها معشقة. ونظرا لأن عرضه ١,٨٤ م فإنه يمثل كتفا يدعم هذا الضلع من القبة. وقبو المدخل وكذلك أقبية الفجوات الكبيرة وعقد المخرج تنبت جميعا من حلية بارزة رائعة تستمر على طول الواجهة الخلفية للمشى وتنتهى عند مسافة ٢٠ سم حول الجناح الشرقى، و٦٠ سم حول الغرب. وعلى قمة الواجهة الخلفية وعلى مستوى محاذ للمنصة نجد حلية رائعة أخرى حول الجناحين (لوحة ٦٨ أ).

المنصة الرئيسة (لوحة ٦٨، شكل ٨٦)

لدى صعودنا الدرج الذى سبق وصفه نصل الى المجاز الدفاعى بمواجهة المدخل الشرقى المؤدى الى المنصة الكبيرة فوق المجاز المغطى بقبة. ثم نمر من مجاز الباب ومساحته ١,١٥ × ٢,١١ م ووضع فى جدار سمكه ٢,٠٥ م ويجرى الى الوراء بمالا يزيد عن ٤,١٠ م على طول ضلع المنصة، ثم يتوقف فى خط رأسى (لوحة ٦٨ أ). ويتم دخول المنصة على الضلع الغربى من المجاز الدفاعى بنفس الصورة تماما، ومساحة مجاز الباب ٢,٣٠ × ٠,٩٨ م وسمك الجدار ١,٨٧ م. ويمتد الى الوراء لمسافة ٤,١٠ م ليتوقف فى خط رأسى. وتنحدر قمته الى أسفل من برج البوابة بدرجة ٢٠° تقريبا. ويمكن ملاحظة أن الجدار الآخر على الضلع الشرقى كان فيما مضى يقوم بنفس مهمة تخطيطه الأصيل على الرغم من ضياع الجزء العلوى منه. وعن طريق هذين الجدارين الفاصلين اللذين يحولان دون الدخول الى المنصة تماما كان من الممكن الاحتفاظ بالمنصة حتى بعد أن يكون العدو قد استولى على الجدار بين البرجين. ومن كل من هذين الجدارين ينبت عمود مستطيل ويجرى الى أعلى على الحافة الخارجية الخلفية لكل من البرجين؛ وتدور الحلية الكائنة على هذا العمود حوله ثم تتوقف تماما (لوحة ٦٨ ب).

والمنصة عرضها ٢٣,٧٨ م وعمقها ١٢,٣٣ م تحدها على الضلع الشمالى الواجهة الخلفية للجزء العلوى من البوابة، وهى تمثل واجهة مكونة من ثلاث بوائكات تشل البائكتان الخارجيتان منها تنوعين من ٢,٠٦ م (الشكل ٨٦). ويخترق كلا من هذه البائكات عقد ضخمة ولا يضم أى منها صنجا معشقة. ويضم العقد الغربى من العقدين الخارجيين ١٤ صنجة، ويحتوى العقد الشرقى على ١٣ صنجة تتفاوت فى حجمها؛ ويفتحان بعرض حجرى البرج ويؤديان اليهما.

يختلف العقد الأوسط عن العقود الأخرى فى أن صنجاته الثلاث والعشرين تصل الى الإطار المستطيل الذى يتكون من إفريز الى أعلى وبرجين على الجانبين الى اليمين واليسار. وهذا العقد ليس إلا واجهة خارجية لقبو ضحل عرضه ٦ م إلا أن عمقه لا يزيد عن ٢,٤٥ م وكان يقوم بحماية الجنود الذين يؤدون عملهم من

الفتحات الخمس بهاجز الشرفة الذى يتحكم فى الواجهة الخارجية للبوابة؛ وفى الوقت نفسه، يمثل جسرا بين قمتى البرجين اللذين لا يحتوى على درج إلا أحدهما فقط لا كلاهما كما هو الحال بباب النصر. ولا يزيد عرض فتحة إطلاق النار الكبيرة التى تغطى البوابة عن ٣٣ سم وطولها ٤,٢٨ م؛ وتنقسم الفتحة العلوية الى خمس فتحات بأسكفات محملة عليها كما هو الحال بباب النصر، وهى على خط واحد مع الواجهة الجنوبية لهذا القبر الاسطوانى (لوحة ٦٧).

ولدى دخولنا حجرة البرج الشرقى نلاحظ أن كلا من المزاغل الأربعة مفلطحة تماما من الداخل وتغطيه أسكفة ترتفع نحو الداخل- وتنحدر فى حالة المزاغل الثلاثة فى مواجهة البرج ولكن بدرجة أقل فى حالة المزاغل الكائن على الجناح الخارجى (لوحة ٦٨ ج، شكل ٨٧). والفتحتان المجاورتان للبوابة فوقهما أسكفتان لكنهما غير مفلطحتين كما هو الحال بأسكفات باب النصر التى تحتل مكانا مماثلا. ومن المرجح أن الحشو الذى يشغل الجزء السفلى من معظم هذه الفتحات وكذلك فى فتحات البرج الغربى من الأعمال التى تمت لاحقا فى عامى ١٨٠٠/١٨٠١؛ وهو من الطوب والأسمنت. وحجرة البرج الغربى تشبه نظيرتها الشرقية عدا أن هناك مزغلا إضافيا بجناحه الغربى يتحكم فى واجهة السور (وقد تعرض هذا المزغل للتشوه الشديد وتم سد طرفه الخارجى بالآجر). ونتيجة لذلك فالمزغل الآخر قد رحل قليلا الى الشمال. وكل من حجرى البرج مسقوفة بقبر اسطوانى نصف دائرى ينتهى بقبر متقاطع يحتل ثلثه الأوسط. وعلى الطرف الشمالى من الحجرة الغربية هناك قطعة مثلثة من عقد تنحنى لتلتقى بطرف القبر الاسطوانى. والزخرفة الوحيدة فى هاتين الحجرتين المعقودتين نجدها بوسط القبر المتقاطع؛ والصنجة المفتاحية الدائرية الكبيرة بالقبر الشرقى مزخرفة بجامة وتضم نجمة ذات ستة إشعاعات تتكون من ستة معينات؛ والقبر الغربى نجد دائرة مغلقة بمربعين وضعا بميل وبصورة متداخلة، والكل داخل مثنى مثنى من اتصال نقاط المربعات.

المنصة العليا

يتم الوصول الى المنصة الكائنة على قمة البرجين بدرج عرضه ٨٨ سم ويفتح بالضلع الشرقى من حجرة البرج الشرقى بالقرب من واجهتها الخلفية. والباب وتبلغ مساحته ٠,٨٨ × ١,٩٥ م فوقه أسكفة بدون عقد عاتق. وهناك درج مكون من ١٧ درجة فوقه سقف مرفوع من ألواح حجرية بدون صف من الكوابيل. ومن خلاله نصل الى أول بسطة ولها سقف حجرى مسطح. وننزل الى اليمين ونصعد درجة واحدة لنجد أنفسنا فى الهواء الطلق؛ والى اليمين مرة أخرى نجد مدرجا حجريا رقيقا طوله ٣,٦٩ م وعلى طرفه درجتان أخريان تؤديان الى المنصة. ونلاحظ هنا أن ما كان يبدو وكأنه جدار الى شرق البوابة (لوحة ٦٢) هو قفص السلم الذى ارتقىنا منه من قبل. وعلى الواجهة الشرقية من هذا القفص نجد كلمتى TOUR LESCALE. ولا تزال الشرفات الأصلية محفوظة على الجوانب الخارجية من البرجين والجسر الواصل بينهما إلا على الركنين الخارجيين وواجهة كل برج، حيث تم إحلال كوات للمدافع محلها. والواجهة الخلفية للمنصة العليا مفتوحة تماما فيماعد أن الحلية البارزة الرائعة (M فى الشكل ٨٧) التى تجرى على طول الواجهة الخلفية ترتفع لعدة سنتيمترات فوق البلاط.

وعلى قمة البرج الغربى، وعلى الضلع الغربى وتحت مستوى الأرضية جزئيا، نجد قنطرة صغيرة ذات طاقيّة نصف دائرية تحت من كتلة واحدة من الحجر، وهى مخرج لتصريف مياه المطر؛ وعلى السطح الخارجى نجد

ميزابا مسطحا كبيرا بأخدود أسفل الوسط ويبرز بمقدار ٥٧ سم من الجدار. وعلى الضلع المقابل وعلى قمة البرج الشرقى هناك فتحة مائلة وضعت اللجنة فيها ميزابا جديدا.

لعل أبرز ما يميز هذه البوابة شرفتها، ويبلغ عرضها ١,٥٦ م وارتفاعها بين ٢,٤٢ و ٢,٥٠ م، وتجري داخل جزء من سور المدينة الشمالى وتمتد بين الضلعين. ويسير جزء من هذه الشرفة يقع الى الشرق من باب الفتوح على مستوى أدنى من مستوى القبو الاسطوانى وراء العقد المسطح للبوابة التى يتحتم أن تمر بها، وهكذا فعند اقتراب الشرفة من البوابة ترتفع عشر نصف (= ٢,١٢ م) وتمتد عبر البوابة وراء الفتحة الطويلة الضيقة الخاصة بإطلاق النار مباشرة، بين العقد نصف الدائرى الخالى من الزخارف والعقد الآخر المستدق الطرف القائم على ركائز والمحيط بالطبليبة (لوحة ٦٧، شكل ٨٨). وهناك ثلاث فتحات مستطيلة يبلغ عرضها ٧٠ سم وارتفاعها ٩٣ سم نحتت بالضلع الشمالى من المجاز وتطل على فتحة إطلاق النار بحيث يمكن إسقاط القذائف من هذه الشرفة أو من المنصة التى تعلوها. كما تؤدي هذه الفتحات دورا فى إضاءة الشرفة؛ فمع وجود واجهة عمودية من الحجر على مسافة ٣٣ سم منها، إلا أن الضوء يتشرب من أعلى ومن أسفل. وهناك ثقبان مساحة كل منهما ٣٢ سم^٢ نحتا فى الأرضية على الضلع المقابل لهذه التوافذ ويطلان على المجاز المعقود فوق العارض المركب الكبير الذى نحتت فيه تجاويف البوابة العليا. ويبدو أن هذين الثقبين كانا يؤديان نفس الغرض الذى يؤديه الترتيب الغريب لثلاثة من بوابات الأخيضر فى أوقات الحرب، ألا وهو تمكين الحراس من التحقق من شخصية من يشتبه فيه من الخارج من خلال إحدى الفتحات الثلاث التى ذكرناها منذ قليل، ثم نقل نتيجة التحقق الى الحارس فى الداخل. وهناك فجوتان ضحلتان طويلتان بجدار الشرفة يحذى هذين الثقبين، إلا أن الغرض منهما غير واضح.

تم نحت فتحتين مربعتين من المنصة الرئيسية فى سطح هذه الشرفة، إحداهما على الركن الجنوبي الغربى من القبو الأوسط، والأخرى على الركن الجنوبي الغربى من حجرة البرج الغربى. وتحتوى كل منهما على كل المظاهر التى تدل على حداثة عهده، وربما تم نحتهما بسبب عدم كفاية الضوء الذى تسمح به الفتحات المستطيلة الثلاث السابقة الذكر.

ويمكن الوصول الى المنصة الرئيسية من هذه الشرفة من خلال باب عرضه ٩٧ سم وارتفاعه ١,٧٠ م فوقه أسكفة ومدماك عاتق مجوف قليلا فى أسفله ويفتح على الدرج الذى يجرى على طول الواجهة الخلفية من السور شرق البوابة مباشرة. وبعد ٢٠ درجة نصل الى المجاز الدفاعى أمام المجاز المذكور.

أسوار بدير الجمالى

أى أجزاء سور القاهرة ينسب الى بدير الجمالى؟ قبل أن نبدأ فى وصف سور بدير الجمالى لابد من تحديد الجزء الذى ينسب اليه من السور الحالى. حسب رواية المقرئى (الخطط، ١، ص ٣٧٧) تمت إضافة أسوار الى القاهرة ثلاث مرات. فتم بناء السور الأول كما رأينا بأمر من جوهر الذى كان القائد العسكرى للخليفة المعز الفاطمى لدى بناء المدينة عام ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م)؛ وينسب السور الثانى الى بدير الجمالى قائد جيوش الخليفة المستنصر؛ والسور الثالث الى الأمير بهاء الدين قراقوش فى عهد صلاح الدين الأيوبي. وكان السور

الأول من الطوب اللبن ومن المرجح أنه كان فى حالة متدهورة إبان زيارة ناصر خسرو فى عام ٤٣٩هـ (١٠٤٧م) لأنه يذكر أن المدينة لم يكن لها سور حصين^(٣٠٩) (ط شيفر، ص ٤٤). ومع ذلك فإن المقرئ يزعم أنه رأى قطاعا طويلا منه على الضلع الشرقى من المدينة بين باب البرقية ودرب بطوط قبل تدميره فى سنة ٨٠٣هـ (١٤٠٠م). ويقول إن هذا القطاع الذى يقع على بعد ٥٠ ذراعا خلف سور صلاح الدين هو آخر ما تبقى منه.

وبنى السور الثانى على يد بدر الجمالى فى سنة ٤٨٠هـ (١٠٨٧م)، وشيد الجزء المواجه للشمال على تخطيط جديد يجرى على طول الواجهة الشمالية من جامع الحاكم الذى كان يقع خارج الأسوار حتى ذلك الوقت. أما بالنسبة للسور الثالث فيقول ابن أبى طي^(٣١٠): «فى ذلك العام (٥٦٦هـ/١١٧٠م) بدأ السلطان -أى صلاح الدين- فى بناء سور القاهرة لأن الجزء الأعظم منه تم تدميره وأصبح طريقا مفتوحا لا يمنع الداخلين والخارجين» (عن أبى شامة، كتاب الروضتين، ج ١، ص ١٩٢). ويحدد المقرئ نفس هذا التاريخ أيضا بدون توثيق المصدر الذى استقاه منه، إلا أنه فى موضع آخر يحدد له تاريخا مختلفا بقوله: «دخل صلاح الدين القاهرة فى ١٦ ربيع الأول ٥٧٢هـ (٢٢ سبتمبر ١١٧٦م) ... وأنه أمر ببناء سور يحيط بالقاهرة ومصر (أى الفسطاط) والقلعة وأنه عهد بالإشراف عليه إلى الأمير قراقوش الذى شرع فى تشييد القلعة والسور والخندق المحيطين بها. ولعله استقى معلوماته هذه من فقرة لعماد الدين، كاتب صلاح الدين، يذكر فيها «وكان السلطان لما تملك مصر رأى أن مصر والقاهرة لكل واحدة منهما سور لا يمنعها فقال: إن أفردت كل واحدة بسور احتاجت إلى جيش مفرد يحميها وإنى أرى أن أدير عليهما سوراً واحداً من الشاطئ إلى الشاطئ وأمر ببناء قلعة فى الوسط عند مسجد سعد الدولة على جبل المقطم ...». وكان ذلك فى عام ٥٧٢هـ (١١٧٦م) لدى عودته من حملته على الشام. وكان كازانوقا هو الذى جذب الاهتمام إلى هاتين المرحلتين من أعمال صلاح الدين، أى ترميم سور محيط كان قد تعرض للانهدام، وهو عمل يتفق ومنصب الوزير الذى شغله صلاح الدين عام ٥٦٦هـ؛ وعملية واسعة النطاق تستمر لمدة طويلة ولا يقوم بها إلا رجل ذو سلطات بلا حدود أو حاكم مطلق مثله فى عام ٥٧٢هـ (٣١١).

وإذا صدقت استنتاجات كازانوقا، وهذا ما أظنه، فلا بد من وجود أربع مراحل لبناء سور القاهرة: (١) سور جوهر (٢) سور بدر الجمالى (٣) المرحلة الأولى من أعمال صلاح الدين (٤) المرحلة الثانية. ولا شأن لنا بالمرحلة الأولى حيث أنها اختفت منذ مدة طويلة. وتبقى لدينا ثلاث مراحل. ويبرز أمامنا سؤال: هل يمكن تعقب آثار ثلاثة طرز أو أنماط من الأسوار الحصينة؟ يحدد فان برشم مرحلتين ينسب إحداهما لبدر والأخرى لصلاح الدين. ويرى كازانوقا أيضا أنهما مرحلتان ولكن نظرا لمراجعته الأدبية فقد اضطر إلى نسبتهما للمرحلتين الأولى والثانية من أعمال صلاح الدين. ومن خلال فحوصى الأثرية التى استعرضت فيها إجمالى طول سور القاهرة وصعدت كل برج فيه وكنت أحيانا أدخل بيوتا لهذا الغرض، تكشف لى ثلاث مراحل مستقلة من العمل. وأعتقد أن بعض الأجزاء من أعمال بدر الجمالى لا تزال قائمة، وكذلك بعض أعمال صلاح الدين. ويرفض كازانوقا احتمال أن تكون أعمال بدر الجمالى لا يزال لها وجود حاليا لأن المقرئ يصرح فى أحد مواضع كتابه (الخطط، ١، ص ٣٧٩) أنه كان من الآجر. إلا أن كازانوقا يشير فى كتابه مرارا وتكرارا إلى التناقضات الواردة برواية المقرئ^(٣١٢)، بل إنه يذكر أنه فى منتصف جمادى الثانية ٨١٨هـ

(أغسطس ١٤١٥م) تم الشروع فى إزالة السور الحجرى بين باب زويلة وباب الفرج حيث كان السلطان المؤيد يقوم باخلاء موقع لبناء مسجده الجامع.

لذا فالأرجح أن جزءا من أعمال بدر كانت من الحجر، إلا أن هناك دليلا أقوى من هذا. إذ يذكر المقرئى فى وصفه لجامع الحاكم (جـ ٢، ص ٢٧٨) أن هناك نقشا على «البدنة» وجزءا من برج بجوار باب الفتوح ينص على أن هذه الأعمال تمت عام ٤٣٠هـ (الأرجح أنها ٤٨٠) فى عهد المستنصر وفى وزارة أمير الجيوش. وقد سبق أن تحدثنا بالفعل عن هذا النقش. وهكذا فهذا النوع من الأسوار والأبراج لا ينسب لصالح الدين، بل لبدر. ويمكن إيجاز السمات الرئيسية لهذا العمل فيما يلي: الأبراج مربعة أو مستطيلة فى تخطيطها مع وجود بروز كبير على السور من الداخل؛ الفتحات فوقها أعتاب أو عقد أفقى أو نصف دائرى؛ يتكون البناء من قلب من الدبش وواجهة بصفوف ضخمة مكسوة بكسوة ناعمة والحواف مشطوفة بمقدار سنتيمتر أو نحو ذلك (والأجزاء التالية هى الاستثناء فى ذلك: (أ) الجدار بين البرجين بين باب النصر والبرج الأول حيث نجد أن الصفوف غير مشطوفة ولو أن أطراف الأعمدة ظاهرة؛ (ب) الجزء السفلى من البرج الأول حيث لا تبدأ الصفوف المشطوفة إلا فى الصف الذى يعلو الأعمدة)؛ واحتفظت الأحجار المستخدمة بسطحها الأملس تماما. وأخيرا هناك صف من الدوائر الحجرية بفواصل عادية بارتفاع ٣م تقريبا من الأرضية؛ وهذه هى أطراف الأعمدة المطمورة فى الجدار؛ وكان الهدف منها كما سبق أن ذكرنا هو أن تكون بمثابة رباط بين القلب الدبش والأحجار ذات السطح الأملس. وإذا أخذنا هذه السمات كمييار لنا، فإن الأجزاء التالية من سور القاهرة لا بد أن تنسب لبدر الجمالى: كل السور الكائن بين باب الفتوح وباب النصر وجزء رائع من السور يجرى جنوبا خلف باب النصر لمسافة تقرب من ٣٠م، وإلى الغرب من باب الفتوح لتشمل برج الدرج الرائع المجاور له- ولكن إلى أى مدى؟ هذا سؤال يحسن بنا أن نتركه إلى أن نفرغ من وصف الجزء المعنى نفسه.

وصف السور الشمالى

بعد أن حددنا الأجزاء الفاطمية من السور الشمالى، من الأفضل أن نقسم هذه الأجزاء إلى أقسام على النحو التالى:

الارتفاع	السمك	الطول	
١٢,٤٨ (١)	٣,٢٣-٣,٦٣	٣٠,٦٠	أ. طول الجزء جنوب باب النصر
		١١,٥٥ (٢)	٣,٩٨-٤,٠٩
١٠,٦٩	٣,٣٩	٢٨,٩١	ب. الجدار الساتر من باب النصر إلى البرج الأول
٨,٠٦			البرج الأول
١٠,٨٢	٣,٣٨	٤٩,٠٦	جـ. الجدار الساتر من البرج الأول إلى البرج الثانى
٥,٠٠			البرج الثانى
١٠,٩٦	٣,٣٨	٤٩,١٣	د. الجدار الساتر من البرج الثانى إلى البروز الكبير
٢٤,٨٠			البروز الكبير
١١,٢٠	٣,٧٩	٢٤,٩٥	هـ. الجدار الساتر من البروز الكبير إلى باب الفتوح
٢٢,٨٥			باب الفتوح
١١,٣٥	٤,٦٣-٤,٨٢	٢٤,٧٣	و. الجدار الساتر من باب الفتوح إلى برج السلم

١١,٣٥	٢٦,٣٥	برج السلم	
٣,٨٥	٩,٣٧	٥٢,٤٤	ز. الجدار السائر من برج السلم الى البرج ذو الواجهة المستديرة
	١١,٦٣		البرج ذو الواجهة المستديرة
٤,٠٥	٨,٦٢	٨٩,٠٤	ح. السور بعدها

إجمالي المسافة من باب النصر (الضلع الغربي)

الى البرج ذو الواجهة المستديرة (الضلع الغربي) ٣١٦,٢٩ م

طول الجزء (أ) الى جنوب باب النصر

هناك قلعة سلم مكونة من خمس درجات بالركن الجنوبي الشرقي من برج الدرج (شكل ٨٣) تؤدي الى المجازات الدفاعية المتجهة جنوبا من السور والذي ينتهي بواجهة رأسية على بعد ٣٠,٦٠ م جنوب هذه المجازات (لوحة ١٥٥). ويمكن فحص هذا الطرف عن طريق صعود حارة العطوف والدخول في أول منعطف الى اليسار. ومن هنا يلاحظ أن بقية هذا القطاع مع أنه يتميز بنفس أسلوب البناء الذي يتميز به القطاع الكائن بين باب النصر وباب الفتوح إلا أن الأمتار الأربعة الأخيرة تعد بناء عشوائيا يمتزج فيه الطوب والحجارة؛ وتم بناء الزاوية فقط من كتل الأحجار، وحتى هذه الكتل تتميز بشكلها غير المنتظم. وإذا عدنا الى البوابة وتفحصنا السور من الداخل نجد أن الأمتار الثلاثة الأخيرة بنيت بصورة عشوائية كمثيلتها الداخلية، إلا أن خط الانتقال عند هذا الموضع منح الى الأمام (لوحة ٥٥ ج).

أما الإفريز ربع الدائري الذي يتوج قمة البوابة من الداخل والجانبين الداخليين من برج الدرج فيسير حتى يصل الى نقطة تقابل الموضع الذي يهبط عنده المجاز الدفاعي أربع درجات، ثم يسقط لمسافة ١,٥ م تقريبا، ثم يجرى على خط مستقيم مرة أخرى الى أن يصل الى نقطة وسط تقريبا بين هذه السقطة وبين طرف السور، ثم يسقط مرة أخرى لثلاث درجات كل منها بارتفاع الحلية. ثم يستمر في حالة شديدة التدهور الى حوالي ٤ م من النهاية حيث يختفي تماما.

ولإطلاق النار على الجانبين بدون برج نجد أن سمك السور يبدأ بـ ٣,٦٣ م ويضيق تدريجيا حتى يصل الى ٣,٢٣ م، ثم يتسع فجأة بمقدار ٨٦ سم عند نقطة تبعد ١٦,٣٢ م من الدرجة العليا من قلعة السلم السابقة الذكر. وينتج عن هذه الزيادة بروز الواجهة الخارجية من السور فجأة وبمناسبتهم المقدار، وتم إيجاد فتحة حلقية في المكان الذي تم فيه فرض خط الشرافات في اتباع الحافة الخارجية من السور لاتخاذ انحنائين بزاويتين يمينيين. ولاتزال الشرافات الأصلية التي يبلغ سمكها ٤٢ سم محفوظة في برج الدرج وحتى هذه النقطة، وبعدها تم إحلال جدار من الطوب والدبش وبه فتحة حلقية. وينتهي المجاز الدفاعي بكوة ترتكز على خمسة كوابيل مزدوجة (لوحة ٥٥ ج). ورأينا أن جدار السور الفاطمي الأول كان يمر جنوب جامع الحاكم والذي كان في الأصل خارج الأسوار. وبما أن الطرف الحالي من القطاع المذكور من السور يقصر عن التخطيط الشمالي لجوهر، فالأرجح أنه كان يمتد فيما مضى لمسافة من ٦٥ الى ٧٠ متراً أخرى الى الجنوب ليتصل به ثم انهار وتمت إزالته تماما في فترة لاحقة وبالطريقة التي سبق وصفها. وينبغي أن نذكر أن هذه النقطة تقع الى جنوب النقطة التي نعتقد أن سور صلاح الدين كان ينطلق منها بعد توسعته (ولا يصل سور صلاح الدين الشمالي الى تماما، حيث أنه إما انهار أو تم تدميره عمداً).

وبملاحظة أن الدلاية الأولى من الحلية الربع دائرية تقابل قلبة السلم، فقد خطر على مخيلتي أن الدلاية الثانية ربما كانت تقابل قلبة سلم أخرى، ولو أن المجاز الدفاعي كان يستمر بعدها دون تغير في المستوى. وقامت اللجنة ببحث هذه المسألة بناء على اقتراح من جانبي، وتبين أنه كان هناك انخفاض قدره متر واحد تقريبا في مستوى المجاز الدفاعي، مع أن قلبة السلم كانت قد اختفت أو كادت (لوحة ١٥٥). وكل ذلك كان مختفيا وراء حشو من بقايا الحجارة بعمق متر واحد، وظل في موضعه هذا بسبب الجدار ذى الفتحات الحلقية الذى يبلغ ارتفاعه ٢,٥٠ م من الآجر والدبش، وكان قد بنى على طول الحافة الداخلية من السور على يد الفرنسيين بالطبع فى سنة ١٨٠١. ونظرا لتعرض أحجار الأرضية بالجزء الأول أو الجزء ذى المستوى الأعلى لأضرار بالغة، فقد أعيد تبليطه بالواح صغيرة جدا (ولا يمكن أن يعود هذا التبليط الجديد الى تاريخ أسبق من الجدار ذى الفتحة الحلقية على الحافة الداخلية لأنه يتوقف عنده ولا يمر من تحته)، وظل التبليط على نفس المستوى فوق حشو بقايا الأحجار، مما أدى الى رفع الجزء السفلى الى مستوى الجزء الأول. وتمت إزالة كل ذلك من قبل اللجنة منذ ذلك الحين، وكذلك الجدار ذى الفتحة الحلقية على الحافة الداخلية من الجزء الأدنى. واتضح وجود صفين من حواجز الشرفة الأصلية تحت هذا الجزء الأخير، ولو أنها لم تكن متوجة بشرفات. على أية حال تم العثور على ثلاثة من الأحجار التاجية المستديرة التى تنتمى الى هذين الصفين.

يتكون السور فيما بين باب النصر وباب الفتوح (لوحات ٥٧-٦١) من أربعة أطوال غير متساوية من الجدار بين البرجين يفصل بينها: (١) برج منفرج الساقين عبر الأسوار، وبه درج سلم يؤدي الى منصته العليا؛ (٢) برج ناتئ بمقدار ٤,٧٣ م الى الخارج، لكنه محاذ من الداخل بسبب جامع الحاكم، ولا يرتفع فوق قمة السور إلا بقدر ضئيل؛ (٣) برج مربع ضخيم تنهض من وسطه المثانة الشمالية للجامع المذكور. وهذا البرج الذى سبق ذكره باعتباره يحمل جزءا من نقش لبدر الجمالى على واجهتيه الغربية والشمالية (لوحة ٦١).

القطاع ب

يبلغ الطول الأول للجدار بين البرجين ٢٨,٩١ م من الواجهة الغربية لباب النصر وحتى الواجهة الشرقية للبرج الأول، ويعلو المجاز الدفاعي بمقدار ١٠,٦٩ م فوق أسكفة البوابة، أى مستوى الأرضية القديم الذى ارتفع كثيرا بين البوابتين الشمالييتين الكبيرتين.

ويبلغ عرض المجاز الدفاعي ٣,١٤ م، والجانب الخارجى منه مزود بحاجز شرفة يبلغ سمكه ٤٨ سم (شكل ٨٣). وهناك ثلاثة صفوف من البناء تحت مستوى الفتحات، اثنان الشرفات وصف آخر مفترض للقمة المقوسة التى اختفت بكل أسف (وتم ترميمها حديثا على يد اللجنة).

تم حشو الفتحات فيما بين الشرفات بطوب غير مصقول، وترك فتحة على شكل حرف v فى الوسط. وينحدر الجزء المستند الطرف من الأسكفة والذى ترك مكشوفاً بالفتحة الحلقية الى أسفل ٣٠° تقريبا بغرض السماح بإطلاق النار الى أسفل. ولما كان الجزء المستقطع يناظر الفتحات الحلقية الخاصة لسنة ١٨٠١/١٨٠٠ تماما، ونظرا للشك فيما إذا كان قد تم التعامل مع أية شرفة ذات فتحات أخرى من العصور الوسطى فى الشرق الأوسط بهذا الأسلوب، فقد اقترح هاملتون الذى تولى إدارة شؤون آثار فلسطين لمدة طويلة أن هذه الاستقطاعات المنحدرة تمت على يد الفرنسيين. وزاد اقتناعى بصحة رأيه حين قمت بمعاينة أخرى. فمتوسط عرض الشرفات عند الطرف الغربى للجدار الفاصل بين باب الفتوح و برج السلم الكبير يبلغ ٧٤ سم

والمسافة بينهما تبلغ ٥٤ سم . وهناك الشرافتان فى هذا المكان (أ، ج)، إلا أن الفجوة بينهما تبلغ ١,٨٦ م لأن هناك شرافة (ب) قد اختفت (شكل ٨٩) . وكانت هناك فتحتان حلقيتان بالجزء المبنى بالآجر بينهما مع وجود أسكفات منحدرية نحتت فى الحجر . فإذا أعدنا مداما كما بعرض ٧٤ سم (مع ترك مسافة ٥٤ سم على كل من الجانبين) فإنه يتداخل جزئيا مع هذه الاستقطاعات كما هو مبين؛ أى أنه لم يكن يمكن استقطاعها حين كانت الشرافة (ب) لا تزال فى مكانها، لذا فلا يمكن أن تكون من أعمال بدر الجمالي . ويمكن أن ننسبها بكل ثقة الى من قاموا بالحشو ذى الفتحة الحلقية، أى الفرنسيين فى ١٨٠٠/١/١٨٠٠ .

الى جانب ذلك تم بناء جدار ذى حلقية ارتفاعه حوالى ٢,٥٠ م من الآجر والدبش على الحافة الداخلية . وحين أزيلت كل هذه الأجزاء عام ١٩٤١ تم العثور على حجرين يشكلان القمة المنحوتة لإحدى الشرافات بينها . وفى منتصف الضلع الخارجى من الجدار بين البرجين هناك مرحاض (لا يمكن أن نعتبره سقاية لأنه لم يبن فوق البوابة) يرتكز على خمسة كوابيل مزخرفة (لوحة ٥٧ ج) . وهناك أربع فتحات فى الأرضية، وثلاث بالواجهة الأمامية وواحدة بكل ضلع للسماح بإطلاق النار على الجانبين على طول واجهة السور . والحافة الداخلية من السور متوجة بحلية مفلطحة الوجه كبيرة تجرى بحذى المجاز الدفاعى بداية من قمة الدرج عند نقطة ٢,٠٥ م من باب النصر وتجرى حول نتوء الدرج بالبرج الأول . ومن الحقائق الغريبة أن بناء البرج يرتفع بحذى الحافة الخارجية للواجهة المفلطحة، فى حين كان من المتوقع أن يتراجع الى الخلف فى نفس السطح المستوى كالجدار الذى يقع أسفل الحلية .

درج السلم المكتشف

تمت إزالة طاحونة القمح التى كانت تحتل المساحة بين طول الجدار بين البرجين وبين وكالة السلطان قايتباى فى سنة ١٩٤٤ . وكان سطحها يرتكز جهة الشمال على جدار من الآجر بنى بالتماس مع الجدار بين البرجين؛ وحين تمت إزالة هذا الجدار تكشف آثار واضحة لدرج سلم كان يجرى أعلى الجدار بين البرجين من الغرب الى الشرق وينتهى عند النقطة التى يتطلق منها الجدار المذكور من باب النصر . وبالتالى انكشفت المداميك السفلية الخمسة الخاصة بالدرج والدرجات الخمس الأولى عن طريق الحفر والتنقيب . وتقرر إعادة بناء هذا السلم حيث كان تجويف كل درجة لا يزال موجودا فى الجدار السائر، مما يدل على وجود ٢٣ درجة سلم تجرى على مستوى أعلى من مستوى الأرضية القديم الى بسطة طولها ١,٤٦ م تليها ١٩ درجة أخرى تؤدي الى المجاز الدفاعى، وتعود الحلية المفلطحة الوجه لتتوقف على مسافة ٢,٠٥ م من الضلع الغربى من باب النصر (شكل ٨٣، لوحتان ١٥٤، ١٥٥) . وكان عرض كل درجة ٤٥ سم وارتفاعها ٢٥ سم . وتبين أن ارتفاع المجاز الدفاعى كان يبلغ ١,٥٩ م كما تبين من شقفة من البلاط القديم تم العثور عليها بجوار القاع .

البرج الأول

ينتقل المجاز الدفاعى الى البرج الأول فوق مجاز مقبى نهبط اليه بست درجات . ويبلغ عرض هذا البرج ٨,٠٧ م وبه بروز يبلغ ٤,٧٣ م على جانبه الشرقى، لكنه لا يزيد عن ٢,٦٧ م على جانبه المقابل . وكان الجدار قد بنى على تخطيطه السابق بسبب ضلع جامع الحاكم الذى يبدأ عند هذه النقطة (لوحة ٥٧ ب، شكل ٨٣) . ويبدو أن هذا كان قد نجم عن سوء حساب طفيف، إذ لم يكن هناك ما يمنع بناء باب النصر والجدار السائر الأول بحذى الجدار السائر الثانى . ويتم دخول المجاز الذى يؤدي اليه من باب عرضه ١,٢١ م وارتفاعه ٢,٢٢ م فوقه أسكفة . وعلى الواجهة السفلية من هذه الأسكفة هناك تجاويف باب فوقه أسكفة عاتقة أقصر

ومجوفة قليلا على سطحها السفلى وأطرافها مشطوفة كالصنجة. والمجاز لا يغطيه قبو، بل تغطيه سلسلة حلقات بارزة رائعة يبلغ إجمالى ارتفاعها مترا واحدا (لوحة ١٥٨، شكل ٨٣).

وعلى الضلع الشمالى من المجاز هناك حجرة عمقها ٣,٠٣ م يتم دخولها من باب مساحته ١,٣٨ × ٢,٤٥ م ويمتد بنفس طريقة امتداد الباب الخارجى. وهناك ثلاثة مزاغل مقلطحة بالواجهة الأمامية لهذه الحجرة، ومزغل على كل من طرفيها حول السور (لوحة ٥٨ ب). وتم تعديل اثنين من هذه المزاغل بالواجهة الأمامية لتناسب المدافع، وربما تم هذا التعديل لاي زيد ١٨٠١، وكذلك على الجناح الغربى. ويتكون المزغل الذى ظل سليما من فتحة على شكل حرف ٧ ارتفاعها ١,١٩ م وعرضها ٨٥ سم (يضيق حتى يصل الى ١٠ سم) وأسكفتها ترتفع عن الأرضية بمقدار ٤٨ سم. وتمتد فوقه أسكفة مشطوفة على حافتها الداخلية كما هو موضح بالشكل (٩٠). وتم اقتطاع قدر منها بمدماك على شكل اسفين فى الصف الذى يعلوها. ولم يعد من العسير إدراك أن المزاغل الثلاثة المشوهة كانت تشبه هذا المزغل، لذا فقد تم ترميمها وإعادةتها الى شكلها الأصلى لاي زيد ١٩٤٥. ووضع المزغل الكائن عند الطرف الشرقى فى فجوة نصف دائرية وعلى هيئة نصف قبة مما يعطيه حرية أكبر فى الحركة، إلا أنه الوحيد الذى عومل بهذه الصورة، وبما أنه يتجه نحو الجنوب الشرقى فربما كان الهدف منه أن يكون محرابا أيضا. وهذه الحجرة مسقوفة بقبو اسطوانى نصف دائرى ذات أجزاء مثلثة تملأ أطرافه.

وعلى الضلع الأيسر من المجاز هناك فتحة عرضها ٨٧ سم للدرج المؤدى للسطح. وهناك ثلاث درجات وبسطة تليها ١٧ درجة من الطراز الحلزونى وبها نافذتان، الأولى على الضلع الجنوبى عند الدرجة الخامسة، وتم سدها ولم يتم إخلالها إلا فى صيف ١٩٤٠؛ والأخرى على الضلع الشرقى عند الدرجة التاسعة. وتغطى النافذة الأولى أسكفة مقوسة، والثانية تغطيها أسكفة خالية من الزخارف. ويتحول الدرج الحلزونى الى مدرج مستقيم طوله ١,٤٠ م وانحداره طفيف للغاية، وينتهى ببسطة تخرج من جانبها درجتان تؤديان الى السطح. ودرج السلم بأكمله مسقوف بألواح مسطحة ترتكز على الجدران الجانبية بلا صف من الكوايل. ويشكل الدرج برجا صغيرا ملحقا بداخل البرج الرئيسى؛ وهو الجزء الوحيد الذى يشكل بروزا من الداخل. وقد سبق تناول الأسلوب الذى يحتضن به ركنه الجنوبى الغربى ما يشكل القبة الشرقية لجامع الحاكم، وذلك فى الباب الخاص بذلك الجامع. وأعيد بناء حاجز شرفة المنصة -عدا الصفوف السفلية منها- بأمر من نابليون بحيث تمثل ست كوات للمدافع وتسع فتحات للبنادق. وتقع هذه الكوات الست أسفل هذه الفتحات التسع بصف واحد من البناء؛ وفوق كل منهما عقد أفقى بثلاث صنجات، فى حين أن المزاغل التى تتخذ شكل حرف ٧ فوقها أسكفات. ويستمر قفص السلم الى أعلى على شكل برج صغير؛ وقمته التى تتحكم فى المنصة الرئيسية يتم الوصول اليها بصعود تسع درجات أخرى. وهنا أيضا لا يساورنا أى شك فى أن حاجز شرفة المنصة من عمل نابليون أيضا، ويتكون من مدايميك عشوائية من الحجر المخلوط بالآجر. أما الواجهة الشمالية الخارجية فربما كانت أصلية، ولو أن ضلعها الداخلى تم تبطينه بالطوب. وإذا عدنا الى المجاز المعقود، نغادر البرج بباب يشبه نظيره الذى دخلنا منه ومرتقى خمس درجات (= ٧٢ سم) الى المجاز الدفاعى الذى يبرز الى الأمام بمقدار ٢,٠٤ م تقريبا عند هذه النقطة، وفى الوقت نفسه يغير اتجاهه قليلا نحو الغرب.

القطاع (ج) والبرج الثاني (لوحة ٥٩)

اختفت الشرافات في الـ ٩,٧٠ م الأولى ليحل محلها جدار غير مصقول من الدبش، إلا أنها أعيدت حديثاً الى مكانها على يد اللجنة؛ وبدءاً من هذه النقطة وما بعدها نجدها محفوظة في حالة جيدة ولو أنها تختلف في جوانب عديدة عن نظيراتها بالقرب من باب النصر. فالبناء صغير نسبياً، وهناك أربعة صفوف بسماك ٥٩ سم أسفل الأسكفات تم شطفها من أسفل من الخارج والداخل. وتم وضع الشرافات التي يبلغ سمكها ٤٩ سم بحذى الواجهة الخارجية للسور. وتتكون في كلتا الحالتين تقريباً من ثلاثة صفوف من البناء بالإضافة الى تاج حجرى نصف دائرى يتم صنعه عادة من صفيه بمفصل رأسى. ويستمر هذا النمط حتى باب الفتوح، ولا يزال معظمه في حالة ممتازة. مع ذلك هناك اختلاف واحد ينبغي إدراكه، ألا وهو أن أسكفات العرائس بالبرج الثاني وما وراءه مشطوفة من الخارج فقط.

ويبعد البرج الثاني عن الأول بمسافة ٤٩,٠٦ م؛ ويبلغ عرضه ٥ م ويبرز بمسافة ٤,٧٠ م. وهو أكثر انخفاضاً من الأول بدرجة ملحوظة، ولا تزيد منصته العليا عن ست درجات سلم فوق المجاز الدفاعى (لوحتان ٦٠ أ، ب). والعرائس فيه تشبه نظيراتها الأخيرة ولا تزال بحالة جيدة إلا حيثما استبدلت بها كوتان للمدافع تمت إضافتهما بجوار الركن الشمالى الشرقى. وليس به تنوء على الضلع الداخلى من السور، وهو أمر مرجعه أن هذا الضلع شيد قبالة الجدار الشمالى من جامع الحاكم. ولا نرى الواجهة الداخلية للسور من البرج الأول وحتى بروز المئذنة الضخمة، أى على طول الشريط الذى يجرى بحذى الجامع، إذ أنه لا يعلو عن سور الجامع، وبالتالي فهو مختلف خلفه تماماً. وفي ظل هذه الظروف لم يكن هناك شك فى تنويجه بحلية مفلطحة الوجه تتوقف بالتالى عند البرج الأول، ولا يبدأ من جديد إلا بعد البروز الكبير. أما البرج الثانى وهو أصغر كثيراً من الأول فبه حجرة داخلية يبلغ عرضها ٢,٣٠ م وعمقها ٣,٦٨ م، ومسقوفة بقبو اسطوانى بمقطع نصف دائرى يجرى من الشمال الى الجنوب (شكل ٩١). وفى كل واجهة هناك مزغل مفلطح ويبلغ سمك الجدران ١,٣٥ م. ويتم دخول هذه الحجرة من شرفة تجرى على طول الجزء الداخلى من السور من هذه النقطة وحتى الدرج الكبير خلف باب الفتوح. ونهبط اليه بدرج سلم يفتح على جانب من درجات السلم الست يرتفع حتى منصة هذا البرج. وهناك ٩ درجات تؤدى الى البسطة الأخيرة ندخل بعدها الى اليمين ونهبط درجة واحدة، ثم ننحنى يساراً؛ وبعد درجتين أخريين نصل الى الشرفة. أما الدرج نفسه فهو مسقوف بألواح حجرية مسطحة بدون صف من الكوابيل.

وفى أسفل قلبه السلم الأولى، يمكن أن نرى نقطة التقاء سور بدر مع السور الشمالى الشرقى لجامع الحاكم. وقد حدث انفصال بينهما حالياً، مما قد يعزى الى ميل طفيف طرأ على السور الشمالى الشرقى لجامع الحاكم. كما يمكن لنا أن ننظر فى داخل صدع منفرج يخترقه الضوء من أعلى. ويبلغ سمك الجدار ٢,٧٨ + ٦٠ سم (شرافات) = ٣,٣٨ م. ولما كان إجمالى المجموعة إذا قيست من خلال مجاز الباب الكائن فى وسط هذا الجانب من الجامع ٤,٩٦ م، إذن فمن المرجح أن يكون سمك جدار الأخير ٣,٣٨ - ٤,٩٦ = ١,٥٨ م مع افتراض أن كلاهما على اتصال وثيق من أسفل. وحاجز الشرفة العشوائى البناء والمكون من الآجر والحجر من داخل المجاز الدفاعى لا يتركز على سور بدر، بل على سور جامع الحاكم، ويحتل مكان شرفته. ومن هنا نتج الصدع الذى نراه على طول المجاز الدفاعى بين الأرضية وحاجز الشرفة الداخلى، وهو صدع يمكن للمرء أن يدفع فى داخله عصا طولها قدمان أو ثلاثة أقدام.

ويبلغ عرض الشرفة ١,٥٥ م وارتفاعها ٢,٤٥ م وحتى تاج سقفه ذى القبو الاسطوانى الحجرى (شكل ٩١). وهذا الأخير نصف دائرى فى مقطعه وليس به التواء.

وهناك مزغل على بعد ٨,٦٧ م من منتصف البرج يمكننا من رؤية الجدار الخارجى لهذه الشرفة ويبلغ سمكه ١,٠٨ م. وهناك ثلاثة آخرون قبل أن نصل الى البرج التالى، إضافة الى سبعة ثقب مستطيلة للضوء يبلغ ارتفاعها ٤٤ سم وعرضها ٣٠ سم على الضلع الخارجى عند منبت القبو (تم سد خمسة منها حتى أوائل ١٩٤٠)، وأسكفاتها على خط واحد مع قمم المزاغل (لوحة ٦٠ ج). وكانت الشرفة تتلقى الضوء فى الأصل من هذه الثقوب والمزاغل، حيث أن الثقوب التى نراها بالسقف تبدو حديثة العهد. وكانت هناك ثلاثة ثقب منها بتاج القبو، وجميعها تبدو وكأنها قرية العهد. وتم نحت هذه الفتحات المربعة الثلاث من المجاز الدفاعى، وكان هناك درابزين من الحديد يحيط بكل منها. وقد تم إلغاؤها مؤخرًا وأعيد ترميم القبو. وسبق أن رأينا أن الدعامات الثلاث الناتئة داخل هذه الشرفة تنتمى لجامع الحاكم.

القطاع (ء) والبروز الكبير (لوحة ٦١)

نعود الآن الى المجاز الدفاعى ونتجه نحو البرج المربع الكبير الذى يقع على بعد ٩,١٣ م من البرج الذى أشرنا اليه منذ قليل. ويتبين من التخطيط (شكل ٩١، ٣٢) أنه ليس برجاً بالمعنى المتعارف عليه، حيث أنه تكون لظروف عارضة وبالمصادفة. فتكون هيكله من البروز الشمالى لجامع الحاكم والذى تخرج منه مثذنة. وحين وصل سور بدر الذى شيد على اتصال بالسور الشمالى للجامع الى هذا البروز كان لابد من أن ينحرف بسببه الى اليمين مسافة ٦,٩١ م، ثم الى اليسار ليجرى على طول واجهته، ثم الى اليسار مرة أخرى، ثم الى اليمين ليستمر غرباً كما كان، ولكن على خط مستقيم يبعد جنوباً بمسافة ٣ م أخرى. لكن هذه ليست نهاية المطاف، حيث قام المعمار بإحاطة البروز القائم مسبقاً بقدر الإمكان بإضافة قطعة على شكل حرف L تتوقف فى مواجهة الجدار الشمالى للجامع. إلا أن هذا الجزء مصمت، فى حين أن الجزء الآخر أجوف لأن الشرفة فى الجدار الساتر تمر عبره. وبرز البرج المكون بهذه الطريقة لمسافة ٦,٩١ م على الجانب الشرقى، ومسافة ٩,٧٦ م على الجانب الغربى، ومساحته ٢٤,٨٠ م عبر الواجهة. والشرافات فى حالة سليمة نسبياً، إلا عند الركنين الشمالى الشرقى والشمالى الغربى حيث تمت إزالتها لإفساح المجال لكوات المدافع وهو ما تم فى سنة ١٨٠١ دون شك. ولكى نظوف حول المكان نترك المجاز الدفاعى ونعطف يمينا ونرتقى درجتى سلم، ثم نهبط درجتين أخريين لدى بلوغنا الطول التالى من الجدار الساتر، ونهبط درجتين أخريين لندور حول الجزء وهو على شكل حرف L. وكانت الأرضية على قمة هذا البرج منحدره الى الخارج للصرف، وبالتالى فهناك ثلاث حنايا تلتقى عندها الأسطح.

والحلية المفلطحة الوجه التى تتوج الحافة الداخلية للسور وحتى البرج الأول بعد باب النصر تبدأ من جديد عند الزاوية الكارة التى يشكلها الجزء الذى يتخذ شكل حرف L مع سور جامع الحاكم وتتوج واجهته الجنوبية والغربية وترتفع لمسافة ٤٨ سم بجوار درجتى السلم اللتين أشرنا اليهما منذ قليل ويقعان على خط واحد مع الحافة الداخلية للجدار الساتر، ثم تستمر على طول هذا الجدار (كان هناك سور ذو فتحة حلقيه من الآجر والدهش بارتفاع يناهز الثلاثة أمتار يرتفع فوق هذا الإفريز الى أن تمت إزالته بأوائل ١٩٤٢).

أما النقش الكبير الذى يحمل التاريخ والذى يبدأ عند الزاوية الكارة التى تكونت عند الجانب الشرقى من

باب الفتوح، فيجربى على طول الجدار الساتر ثم يستمر على طول الواجهتين الغربية والشمالية من هذا البرج الكبير، ويبلغ طوله الكلى ٥٩ م (اللوحتان ٦١، ٦٢ ب). وتبرز الحروف الكوفية الكبيرة المستديرة فى مقطعها بما لا يقل عن ٢ سم، والمساحة التى تم نقشه عليها وعرضها ٣٠ سم غائرة بمقدار ٣ سم كما يتبين من الشكل (٨٨). وقد نقشت هذه الحروف على صف من المداميك الرخامية البيضاء زال عنه لونه بفعل الزمن وارتفاعه ٣٦ سم. على أية حال فالجزء المكشوف منه لا يزيد عن ٣٠ سم إذ يحجبه بروز أو شفة مشطوفة بسمك ٤ سم وعمق ٣ سم تركت على مداميك الصف التالى من أسفل ومن أعلى. ولم يعتبر ذلك كافيا لسبب أو لآخر، فتمت إضافة تأمين آخر عبارة عن ٤٢ مسمارا برونزيا قطر كل منها ٢,٥ سم وطوله ٥١ سم وبرؤوس مستديرة كبيرة تغوص فى المداميك الرخامية وفى داخل البناء الذى يقع خلفها. وتم العثور على اثنين من هذه المسامير فى موضعهما الأصيل بعد إزالة البيوت التى كانت تحجب هذا النقش تماما فى سنة ١٩٤٢. وكانت الثقوب الأربعون بحوافها المستديرة والتى اختفت منها المسامير تبدو وكأن الهدف منها إبراز الفراغات الخالية من الزخارف فى خلفية النقش؛ إلا أن اكتشاف المسارين لا يزال يقدم التفسير الحقيقى. ولدينا ما يبرر افتراض أن رؤوسها المستديرة الكبيرة كانت مذهب. وحسب علمى فإن هذا هو النموذج الوحيد الذى احتفظ بالمداميك التى نقش عليها نقوش.

القطاع (هـ)

عندما نترك منصة باب الفتوح، نجد مسافة قصيرة من الجدار الساتر (يبدأ هذا الجدار بسمك ٤,٨٢ م لكنه يضيق الى أن يبلغ سمكه ٤,٦٣ م عند وصوله الى البرج التالى) تميل لعدة درجات أخرى تجاه الجنوب يؤدي بنا الى برج مربع ضخيم بدرج سلم متقن البناء بالركن الجنوبي الشرقي. وحافته الداخلية متوجة بحلية ربع دائرية تشكل فى الوقت نفسه حاجز شرفة ارتفاعه ٣٨ سم. والشرفات على الحافة الخارجية تختلف عن نظيراتها التى مررنا بها لتونا، حيث ليس هناك إلا مدامكين ونصف مدامك تحت الأسكفات، والشرفات نفسها بما لها من قمم نصف دائرية تتحاذى واجهتى الجزء السفلى وجميعها تقريبا تشكل وحدة واحدة. ويجربى هذا النوع حول الأضلاع الخارجية للبرج المربع الكبير إلا بعد أن تم صنع كوات المدافع. وكانت كلها مسدودة بالآجر العشوائى الى أن تم إخلالها قبل ١٥ عاما.

الشرفة الداخلية

ونعود الآن الى الشرفة الداخلية التى سبق وصفها وحتى بروز المثانة الكبير (شكل ٩١). ونظرا لأن هذا البروز لا يعد برجاً، بل مجرد حلقة بنى على حافتها الداخلية المكعب العلوى لبروز جامع الحاكم، فليس هناك حجرات مقببة داخله كما هو الحال فى البرج الذى يقع خلف باب الفتوح. وتنعطف الشرفة يمينا وتهبط ثلاث درجات ثم درجتين أخريين (لوحة ٦١ ب) تنعطف بعدهما يسارا لتجربى على طول الواجهة الشمالية للبرج؛ ثم تنعطف يسارا مرة أخرى وتجربى على طول واجهتها الغربية الى أن تلتقى بالطرف الشرقى من شرفة الجدار الساتر بين هذا البرج وبين باب الفتوح. وتحتوى أولى المسافات التى ذكرناها لتونا على مزغل يتحكم فى الجدار الساتر، وتحتوى الثانية على ثلاث فجوات عرضها ١,٦٥ م وعمق ١,٢١ م يغطيها قبو فصى (لوحة ٦١ ج)، ولا تحتوى الثالثة إلا على فجوة؛ وبكل فجوة مزغل (وهنا يبرز السؤال: لماذا يتغير نوع المزغل؟ فقد ظل حتى الآن عبارة عن فتحة عميقة على شكل حرف ٧ لا تسبقها إلا فجوة، لكنها تحتل سمك الجدار

كاملاً). وكل مسافة من مسافات التقبية تلتقى بالأخرى فى حنية مائلة بسيطة إلا حين ننعطف أولاً الى اليمين حيث نجد ظاهرة شديدة الغرابة، فالصنجات على الركن الخارجى تنتشر على شكل مروحي فى الأركان الأربعة الى أن يلتقى بها مثلث كروى يرتفع من الركن المقابل. ويتغير مستوى القبو عند الطرف الشمالى من المسافة الأولى فوق قلبة السلم الثانية مباشرة، ويستمر على مستوى جديد يقل بمقدار ١,٥ م، ويبدأ القبو السفلى فى عقد شبه دائرى مكثف من تسع صنجات بلا التواء (لوحة ٦١ ب). وهناك ثقب تم شقه بصورة عشوائية بسقف الثانية يمكننا من رؤية البناء الذى يعلوه ويبلغ سمكه حوالى ٢,٨٠ م، وهناك ثقب مماثل عند بداية المسافة التى تجرى الى باب الفتوح (وربما تم إحداث هذه الفتحات على يد هرتر لإضاءة الشرفة حيث لم يكن هناك ضوء يصل إليها من خلال المزاغل بسبب وجود البيوت المشيدة أمامها مباشرة. وحين أزيلت هذه البيوت تم سد هذه الفتحات لأن الضوء أصبح يدخلها حالياً من المزاغل كما نرى فى اللوحتين (٦١ ب، ج). وهنا نصبح خارج نطاق جامع الحاكم، ومن هذه النقطة وما بعدها تتحسن الإضاءة فى الشرفة من الداخل مما يمكننا من مشاهدة الحالة الجيدة التى لا يزال عليها هذا العمل المتقن. ومن الخارج هناك ثلاث فجوات واسعة يتراوح عرضها بين ١,٦٢ و ١,٦٤ م وعمقها ٨٥ سم تعمل كمزاغل، ومن الداخل نجد (١) نافذتين بعرض ٤٣ سم وارتفاع ١,٠٣ م برؤوس شبه دائرية منحوتة من مدماك واحد، (٢) باباً يؤدى الى الدرج الخارجى، (٣) نافذة كبيرة (G) مساحتها ١,٢٦ × ٢,١٧ م. وتفتح النافذة الأخيرة على فجوة ضحلة برأس مستطيل يحيط بحطتين من المقرنصات، وهوائى أقدم النماذج من هذا النوع فى مصر. ويبلغ سمك السور خارج الشرفة ١,٢٣ م ومن داخلها ١ م إلا عند النافذة الثالثة حيث يبلغ سمكه ٢,٩٢ م بسبب الدرج الخارجى الذى يمر فوقه. ونظراً لأن عرض الشرفة ١,٥٦ م، كان لابد للسمك الكلى للسور عند هذه النقطة أن يبلغ ٣,٧٩ م.

وبعد صعود عشر درجات (= ٢,١٢ م) تمر الشرفة فوق باب الفتوح بالطريقة التى سبق وصفها. وعندما يكتمل مجازها تنحرف الى اليسار (الجنوب) قليلاً، ثم تستمر فى خط مستقيم حتى برج الدرج الكبير (لوحات ٦٩-٧١). وعلى الضلع الآخر من هذه المسافة هناك ثلاثة مزاغل مفلطحة تماماً، المزغلان الأولان مقبيان والثالث مستوف بلوح كبير عليه حروف هيروغليفية. وعلى الضلع الداخلى هناك ثلاث نوافذ عرض كل منها بين ٨٠ و ٨٥ سم، وارتفاعها ١,٧٨ م ولها رؤوس شبه دائرية. ويبلغ سمك السور الخارجى ١,٢٣ م والداخلى ١,٨٥ م، وعرض الشرفة ١,٥٧ م؛ والإجمالى ٤,٦٥ م. وإذا انعطفتنا يمينا وهبطنا درجتين نصل الى البسطة السادسة ببرج الدرج الكبير. ويتوقف القبو الاسطوانى عند هذا المنعطف الأيمن ويشغل مكانه سقف حجرى مسطح على كوابيل ويهبط درجتين كالأرضية.

برج السلم الكبير (لوحات ٦٩-٧١، شكل ٨٥)

يبلغ عرض هذا البرج المربع الكبير الذى يوازي السور فى ارتفاعه ٢٦,٣٥ م وعمقه ٢٢,١٧ م. وبه بروز خارجى لمسافة ٨,٨٨ م (شرق) و ٨,٣٦ م (غرب) وبروز لمسافة ٨,٥٠ م (شرق) و ٩,٨٩ م (غرب). ويضم برج سلم مربعاً رائعاً بركنه الجنوبي الشرقى، ويحتل الجانب الشرقى من البروز الداخلى بأكمله، ويصله الضوء من نافذتين كبيرتين تطلان شرقاً وتواجهان جناح باب الفتوح. ووصفنا لهذا السلم يبدأ من أسفل الى أعلى. يقع المدخل فى الواجهة الشرقية من البروز الداخلى، بجوار الزاوية الكارة المكونة من الجدار الساتر والبرج. ويبلغ

عرض الباب ١,٨٧ م وارتفاعه ٢,٩٠ م، وتعر من فوقه أسكفة جرانيتية ضخمة عليها صورة آدمية وحروف هيروغليفية (لوحة ٧١، شكل ٩٤). وقد عانى البناء فوقه أضرارا بالغة وأعيد ترميمه جزئيا، ولكن من المرجح أن كانت هناك كوة هلالية الشكل فى هذا الموضع أصلا حيث لانزال نرى صنجة كبيرة الى اليمين منحوتة من أسفل وأفقية من أعلي. وتتكون العتبة من كتلة حجرية من الجرانيت عليها هي الأخرى صورة آدمية وحروف هيروغليفية؛ وهي تنخفض عن المستوى الحالى للشارع بثلاثة أمتار، وتحت خط الأعمدة بأحد عشر صفيا وضعت فى داخل السور الفاطمى كما سبقت الإشارة وبكامل طولها كأريطة [ميد]. والدركاء فى الداخل يقع أسفل هذه العتبة بمقدار ٧ سم. وإذا كشطنا الأرضية فى الخارج سرعان مانجد أرضية حجرية تنخفض عنها بمقدار ١٦ سم (وهذه الأرضية التى تقع حاليا أسفل المستوى الحالى للشارع بثلاثة أمتار هي الأرضية الأصلية بلاشك. وتبلغ المساحة من هذه الأرضية القديمة وحتى حاجز الشرفة على ظهر هذا البرج ١٥,٦٠ م، وارتفاع حاجز الشرفة ٣٧ سم، وبالتالى فإن مستوى السطح يبلغ ١٥,٢٣ م). أما الدرج الذى يبلغ عرضه ٢,٣٠ م وارتفاعه ٣,٦٢ م فهو محمول حول جزء مركزى مستطيل مساحته ٣,٩٠ م من الشرق الى الغرب و١,١٨ م من الشمال الى الجنوب، ويغطيه قبو اسطوانى من ١١ صفيا من الصنجات نصف الدائرية فى مقطعها تبدأ أفقيا ثم ترتفع بعد كل استدارات السلم بخط تقاطع مائل عند كل اعطافة. ويلتوى هذا القبو عند المنبت، والتواء الجزء الأفقى قرب المدخل أكبر منه فى أى موضع آخر. تتكون قلبة السلم الأولى من ١١ درجة تؤدى الى أول بسطة فوق الدركاء بمسافة ٢,٣٢ م. وحين نصل اليها نرى مجازى باب أحدهما الى اليمين والأخرى أمانا؛ وفوقهما عقود أفقية مكثفة مكونة من خمس صنجات بعمق ٨٧ سم، ويخدمان حجرتين مقببتين كبيرتين تبدأ فى وصفهما الآن. وبعد أربع درجات أخرى نجد فجوة عمقها ١,٤٠ م تعمل كنافذة تطل جنوبا. وهناك ١١ درجة تؤدى الى بسطة حيث نجد نافذة تطل شرقا وفوقها أسكفة من الداخل ولو أنها وضعت من الخارج فى بائكة عمقها ٣٩ سم وعرضها ١,٣٦ م وبرأس شبه دائرية. ثم هناك أربع درجات أخرى تؤدى الى بسطة أخرى حيث نافذة مماثلة تطل شرقا أيضا. وبعد صعود ١١ درجة أخرى نصل الى البسطة الخامسة التى تحتل عرض الضلع الغربى بأكمله. وهناك فجوة بنافذة صغيرة عند طرفها الجنوبى مما يمكننا من رؤية سمك السور عند هذه النقطة والذى يبلغ ٢,١٩ م. وهناك ١٠ درجات تؤدى الى البسطة السادسة التى تحتل كسابقتها عرض بئر السلم بأكمله؛ وبها نافذتان تطلان شرقا، ويتضح من أسكفاتها أن السور على هذا الضلع لا يزيد سمكه عن ٩٢ سم. وعند الطرف الشمالى من هذه البسطة، نجد بابا عرضه ١,٧٦ م وهو مخرج الشرفة الداخلية للسور التى تنتهى عند هذا الموضع. وإذا صعدنا عشر درجات أخرى نصل الى البسطة السابعة. وهذه الدرجات العشر مفتوحة الى السماء حيث ينتهى القبو الاسطوانى بعقد نصف دائرى ضخم مكون من ١١ صنجة. ومن هذه البسطة التى تحتل المسافة الكاملة لجانب من بئر السلم نصل الى منصة البرج بعد ٦ درجات أخرى.

نعود الآن الى الحجرتين اللتين يتم دخولهما من البسطة الأولى (كانت مداخل هاتين الحجرتين حتى عشرين عاما مضت مسدودة بمنحدر من النفايات التى يحتمل أن تكون بقايا بناء ألقيت فى الحجرتين. ومن المرجح أن الدخول كان من خلال فتحتين إحداهما فى تاج كل قبو، ومن الواضح أنهما نحتتا عمدا وتمت تنظيتهما فيما بعد بسقف خشبي. والأرجح أن النفايات جاءت من البيوت المتصقة بجانبى السور المتجه

غربا). والحجرة الخارجية عبارة عن قاعة بقبو اسطوانى ضخم طوله ١٨,٥٥ م وعرضه ٨,٢٣ م (لوحة ٧١ ج، شكل ٩٢، ٩٣)، والداخلية تشبهها لكنها أصغر ومساحتها ١٢,٦٣ × ٥,٩٣ م؛ ويتم التواصل بينهما بعقدين عرضهما ٢,٨٣ م وتم ثقبهما فى الجدار الفاصل بينهما. وهناك حلية مقلطحة الوجه يبلغ ارتفاعها ٣٨ سم تجرى حول جدرانها على ارتفاع ٥,٥٥ م بالحجرة الكبيرة، وعلى ارتفاع ٦,٥٠ م فى الحجرة الأصغر، ويرتفع فوقها قبو اسطوانى شبه دائرى يجرى شرقا وغربا. وتنبت هذه الأقبية من ظهر الحلية المقلطحة الوجه لا من حافتها الأمامية. وفى الحجرة الخارجية عند كل طرف تحت القبو نجد فتحة مستطيلة للضوء بأسكفة منحدره، وفى الحجرة الداخلية ليس هناك سوى فتحة واحدة على الطرف الغربى.

تضم الحجرة الخارجية خمس فجوات تخدم خمسة مزاغل، ثلاث بالواجهة الخارجية وواحدة بكل من الجناحين. ونظرا للسبك الكبير الذى تتميز به الجدران (حوالى ٤ م) فإن هذه الفجوات شديدة العمق (٢,٦٢ م)؛ وفوقها قبو اسطوانى مرتفع، المزغل فى الخلف (بعمق ١,٣٠ م) يتم الوصول اليه بعدة درجات (شكل ٩٢). وهناك صف يجرى من أطراف الأعمدة حول هذه الحجرة فى الصف الثانى أسفل الإفرز ويرى بعضها على الضلع الجنوبي من الحجرة الأصغر أيضا. وليس بالحجرة الداخلية مزاغل، إلا أن هناك ثلاث فجوات عميقة بأسكفات مرتفعة وأسقف عالية؛ وهى تخدم فتحات ضيقة تهدف الى السماح للضوء بالنفاذ. وتم سد اثنتين منها بالدبش، لكن إحداها مسدودة من الخارج ببيت (تمت إزالته حاليا). وهاتان القاعتان مظلمتان للغاية حاليا، ولكن يمكن إضاءتهما تماما لو تم إخلاء كل النوافذ والمزاغل مما يسدها (وقد تم فتحها جميعها حاليا).

ونعود الآن الى المنصة؛ فيضم الجزء الأمامى شرفات سبق وصفها، فى حين أن الجزء الخلفى به حاجز شرفة بحلية ربع دائرية مما يعد استمرارا للحلية التى نراها على المسافة الأخيرة من الجدار الساتر.

القطاع (و)

للاستمرار غربا مع السور يجب أن ندخل دركاة صغيرة مساحتها ٣,٤٠ × ١,٤٥ م من الداخل (شكل ٨٦)، وتتكون من جدران جانبية يزيد سمكها عن المتر، بينها قلبة سلم من ٦ درجات وبسطة طولها ١,٤٤ م يباب على آخر الأضلاع. وهذه البسطة وكذلك الدرجة السفلية فوقهما سقف مسطح يتكون من مدايميك حجرية (لو تفحصنا قمة هذا السقف نلاحظ أن جزءا منه لا يتكون إلا من دبش، وهو مايوحى بأن هناك صفا آخر من المدايميك الجيدة التغطية تمتد الى الشرق وتغطى درجات السلم الباقية). ولدى مرورنا من خلال الباب نجد بسطة أخرى طولها ٣,٠٨ م وقلبة سلم من ثلاث درجات تهبط بنا الى المجاز الدفاعى الذى يقع أسفل منصة البرج بمسافة ٢,١٦ م (تهبط قلبة السلم الأولى مسافة ١,٣٢ م وتنحدر البسطة الثانية بمقدار ٦ م). ويحمى هذا الجزء من الخارج جدار ساتر عال يخترقه مزغلان وتتوجه أحجار تاجية جمالونية الشكل. والحلية الربع دائرية التى تجرى حول الجانب الخلفى من الدرج تنعطف يمينا لدى تماسها مع ضلع الدركاه، ثم تهبط مسافة ١,١٣ م ثم تستمر أفقيا؛ ولعلها تهبط مرة أخرى بعد قليل الى مستوى المجاز الدفاعى، لكن هذا الجزء يختفى وراء منزل مشيد.

وبعد الجدار الساتر نصل الى شريط طويل من الشرفات فى حالة جيدة، إلا أنه مسدود بالطوب ليشكل فتحات حلقيه لإطلاق النار (تمت تخليتها مؤخرا). وتتوج الحافة الداخلية من السور حلية ربع دائرية محاذية

للأرضية وينبغي أن تكون مفتوحة تماما، إلا أن هناك جدارا ذا فتحات حلقية من الآجر والدبش بنته في هذا الموضع الحملة الفرنسية. وتنحدر الأرضية نحو حافتها الداخلية لأعراض الصرف.

البرج ذو الواجهة المستديرة

على مسافة ٥٢,٤٤ م من البرج الأخير نصل الى برج آخر يختلف تماما من حيث الشكل عن أى برج صادفناه (لوحتان ١٢٤، ١٢٥، شكل ٩٥)، لأن به جزءا خلفيا مستطيلا تقريبا يبلغ عرضه ١١,٦٢ م وجزءا على شكل ثلاثة أرباع دائرة يصل قطره في أقصاه الى ٩,٣٠ م، وتم تنفيذ المنطقة الانتقالية كما هو مبين. فمساحته ١٥,٨٤ م من الجزء الخلفى الى الأمامي، وتم وضعه بحيث يبرز بمقدار ٣ م تقريبا عن الواجهة الخلفية للسور. ويبلغ ارتفاعه من أسكفة المدخل المؤدى الى الدرج وحتى قمة حاجز الشرفة ١٧,٢٩ م، ويرتفع على المجاز الدفاعى بمسافة ٨,٤٨ م. وتجري الحلية الربع دائرية التى تتوج الواجهة الخلفية للجدار الساتر بين البرجين حول التواء الداخلى لهذا البرج وتستمر على طول الجدار الساتر التالي. وفيما عدا الدرج الذى وصفناه لتونا والذى يجرى الى أعلى من داخله من الخلف، فهو مصمت حتى مستوى المجاز الدفاعى، أو بالأحرى حتى نقطة تعلوه بمسافة ٢٢ سم لأن أرضيته شديدة الارتفاع.

وندخل المجاز الدفاعى من خلال مجاز به قبو اسطوانى نصف دائرى، وليس هناك ما يدل على وجود باب سوى إطار خشبى حديث نسبيا، ثم نجد أنفسنا فى قاعة مقبية بقبو اسطوانى يبلغ عرضها ٥,٦٩ م وطولها ١١,١٦ م وارتفاعها ٥,٤٥ م بطرف أمامى نصف دائرى (لوحة ١٢٤ ب، شكل ٩٥). وهناك خمس فجوات مقبية بقبو اسطوانى تعمل كمزاغل تم تحويلها جميعا لتشكيل كوات لمدافع ناهليون الميدانية، وكل هذه الفجوات تفتح من الجزء المستدير وكلها تعلو عن الأرض بمسافة ٢٧ سم، وفى حالات ثلاث نجد أن القبو الاسطوانى مدبب قليلا. وخلف هذه الحجرة نجد فجوة صغيرة فوقها قبو بالتواء ٥ سم عند المنبت، وتضيئه نافذة عرضها ٤٧ سم وارتفاعها ٨٢ سم تطل جنوبا. وهناك درج عرضه ١,٢٢ م يفتح على اليمين فى الخلف. ونهبط ١٤ درجة الى بسطة تضيئها نافذة مساحتها ٢٦ × ٦٩ سم بأسكفة مقوسة تطل جنوبا، ونافدتان مماثلتان (مسورتان) تطلان غربا، وبعدها يتضاعف الدرج ويجرى الى أسفل نحو الشارع (وهناك ٢٤ درجة فى هذه القلبة الثانية لم تتم تخلية الجزء السفلى منها من بقايا الحجارة إلا حديثا) حيث نجد بابا مغلقا أمام الجدار بين البرجين (وأسكفة هذا الباب على مستوى مواز للأرض ولكن بارتفاع مستوى الأرضية بما لا يقل عن ٣ م، فمن المرجح أن كانت هناك قلبة سلم على الجدار بين البرجين وتصل الى، كما هو الحال بباب النصر). ويبلغ ارتفاع البرج من أسكفة هذا الباب وحتى قمة حاجز الشرفة ١٧,٢٩ م.

ونعود الآن الى القاعة المقبية الكبيرة. وهناك مجاز مقبى بقبو اسطوانى يشبه نظيره الذى دخلنا منه ويؤدى الى المسافة التالية من المجاز. ويفتح الدرج المؤدى الى السطح من الضلع الأيسر من هذا المجاز، ويفسر وجوده السبب فى زيادة سمك هذا البرج عن الآخر. ويتميز هذا المجاز بقدر من الانحراف، مما يؤدى الى وجود شذوذ آخر.

للوصول الى المنصة العليا نصل خمس درجات الى بسطة تضيئها نافذة تطل جنوبا وتبلغ مساحتها ٣٦ × ٨٤ سم. وهناك قلبة سلم أخرى تتكون من ١٩ درجة بزاوية بمعنى بالنسبة للأولى تأخذنا الى قمة البرج. ولا تزال الأرضية الأصلية المكونة من مداميك ضخمة فى حالة ممتازة، إلا أن كل الشرافات الأصلية تمت إزالتها فى ١٨٠١/١٨٠٠ على الأرجح ليحل محلها حاجز شرفة ارتفاعه ١,٨٦ م بكوات مفلطحة للمدافع.

القطاع (ز)

إذا تركنا هذا البرج وواصلنا باتجاه الغرب نجد بسطة طولها ٢,٣٨ م تليها ثلاث درجات الى أسفل، وفوقها جميعا جدار فاصل يخترقه مزغلان وتتوجه أحجار تاجية جمالونية. ويبلغ سمك هذا الجدار ٤,٠٥ م ويسير مستقيما تماما، وتبلغ المسافة من برج الى آخر ٨٩,٠٤ م؛ وفي منتصف المسافة تماما نجد مرحاضا [سقاطة] بارزا عرضه ٤,٨٠ م ويرتكز على خمسة كوابيل كمنظيره بجوار باب النصر، عدا أن الكوابيل أشد خلوا من الزخارف (لوحة ١٢٥ ب).

وصفنا حتى الآن مسافتين بالجدار بين البرجين وبرجا دون أن نقدم ما يبرر اعتبارنا إياها ضمن أعمال بدر الجمالي. فقد قررنا أن نقدم وصفها أولا ثم نناقش تاريخ إنشائها بعد ذلك بناء على ما طرأ على تكسية بنائها من تغيرات.

تم تشييد السور الكائن الى الغرب من برج السلم ببناء أملس في البداية، لكنه سرعان ما تم تحويله الى مداميك مسنمة بحواف مستدقة الطرف وعريضة. ويبدأ خط نقطة الالتقاء على بعد متر واحد غرب الجدار الفاصل الخاص بالدرج المؤدى الى أسفل نحو المجاز الدفاعي، وينحدر من الشرق الى الغرب، ثم يبدو على السور مايلى: صفان علويان أملسان وخمسة صفوف مسنمة والثلاثة أخماس ارتفاع السور الباقية ملساء. ثم يختفى السور وراء المنازل (تمت إزالتها مؤخرا)، لكنه سرعان ما يعاود الظهور ويستمر بنفس تكوينه السابق الذكر وحتى البرج النصف دائري حيث يستمر التسليم على نفس المستوى وأعلاه وحتى أسكفات كوات المدافع التي صنعها نابليون على قمة البرج. وينطبق نفس هذا الوصف على ظهر البرج، عدا أن هناك حلية تفصل الجزء العلوي المسنم عن الجزء السفلي الأملس. ويمكن رؤية أطراف الأعمدة المستخدمة كأريطة [ميد] حول سفح هذا البرج. ويمر من فوق كل الفتحات (عدا ثلاثة من فجوات المزاغل) عقود نصف دائرية، والقبو الاسطوانى الكبير بالداخل يعد من هذا القطاع أيضا. وإلى الغرب من هذا البرج نجد أن الصفوف الثلاثة الأولى أسفل الشرفات ملساء؛ ويستمر الجزء المسنم على نفس المستوى لمسافة ٩ أو ١٠ م، ثم يسير بسرعة هابطا نحو الأرض، لكن أطراف الأعمدة لا تزال مرئية عند الفواصل الى أن يصبح على بعد ١٣-١٤ م غرب المرحاض [السقاطة] البارز الذى يقع فى منتصف هذا الجدار تقريبا. وعند هذه النقطة تتوقف ونرى تغيرا ملحوظا فى أسلوب البناء، فحتى الأحجار طرأ عليها تغيير واضح بسبب الجو. والصفوف أكثر ضخالة ولا تتفق من حيث المستوى مع نظيراتها بالقسم السابق. ونلاحظ نفس الفاصل المميز على الضلع الداخلى للسور عند نفس النقطة بفارق أن البناء يتوقف ويتسنى ويتكون من مداميك صغيرة مكسوة وملساء كالأوجه الداخلية لبرج الظفر (لوحة ١٢٤ ج). وأقبية البرج الخماسى المائل نحو الجنوب الغربى مديبة فى مقطعها، وبالتالى فإن هناك تغييرين متميزين فى أسلوب البناء، أحدهما بعد البرج المربع الكبير، والآخر على بعد حوالى ٢٨-٣٠ م الى الشرق من البرج الخماسى الكبير بالزاوية الشمالية الغربية. وفى التغير الأخير لانتلاحظ تغيرا وحسب، بل تبديلا تاما فى أسلوب البناء. فإلى أى حقبة ننسبها؟ أما السور بعد التغير الثانى فالأرجح أنه ينسب لصلاح الدين نظرا لوجود الأقبية المديبة بالبرج الخماسى وأسلوب البناء نفسه حيث أنه مسنم من الخارج ويتكون من مداميك ملساء صغيرة من الداخل كبرج الظفر. من ثم أجدنى أميل الى نسبته للمرحلة الثانية من أعمال صلاح الدين، حيث يذكر المقرئى أنه قام بعد سور بدر من الجزء الذى يسير من باب القنطرة الى باب الشعرية وماوراءه الى

باب البحر حيث كان ينتهى بيروز كبير يتركز على النيل، برج المقس (الخطط، جـ ١، ص ٣٧٩) الذى كان فى مكان جامع أولاد عنان قرب المكان الذى ينتهى عنده شارعاً نوبار باشا [شارع الجمهورية] وكلوت بك فى مواجهة محطة مصر [ميدان رمسيس]. فهل علينا أن ننسب الجزء الأول الى بدر بناء على العقود نصف الدائرية وقبو البرج نصف الدائرى الكبير والأعمدة المرصوفة كأربطة [ميدان]، أم الى المرحلة الأولى من أعمال صلاح الدين على الرغم من تسنيم السور على كلا جانبيه بما يخالف أى جزء آخر من أعماله؟

هذا تساؤل يمكن الرد عليه بسهولة. فالمداميك بها استدقاق فى الطرف بعرض ٨ سم حول الحواف ولا يزيد بروز الجزء المسنم عن نصف سنتيمتر تقريباً، وهو ما يختلف عن كل ماتم العثور عليه من أعمال صلاح الدين سواء بالجزء الخاص به فى السور أو القلعة. لكن هذا ليس كل شئ؛ فهو ليس مسألة تكسية عادية تم تنفيذها بصورة عامة، بل بمواد مستعارة، لأن الأحجار لاتعامل بهذه الطريقة؛ فهى مختلطة بمداميك ملساء التكسية. فنجد مثلاً مداميك مسنمة غريبة فى الممر الصغير الذى غادرنا عبره برج السلم، أحدها على الضلع الجنوبي وثلاثة آخر على الضلع الشمالي. ومرة أخرى إذا نظرنا الى جانب البرج ذو الواجهة المستديرة من المجاز الدفاعى نلاحظ نفس المزيج (الوحة ١٢٤ أ). وإذا دخلناه نلاحظ وجود نفس المزيج فى بناء الجدران حيث يمتزج عدد كبير من المداميك الملساء بغيرها وهو ما يمكن رؤيته فى المقطع (شكل ٩٥). ويمكن رؤية عدد قليل من المداميك غير المشذبة بالفجوات وتنعدم فى القبر الحجرى المنحوت. وإذا ارتقينا السلم الى السطح لانكاد نرى أى مدامك مسنم فى قلبة السلم الثانية الطويلة.

سبق أن رأينا فى الجزء السابق من السور عدداً من المداميك تظهر عليها حروف هيرغليفية منها: (أ) على الدرج الحلزونى المؤدى الى منصة باب النصر فوق النافذة الأخيرة؛ (ب) على قمة الحلية الربيع دائرية عند الركن الجنوبي من بروز الدرج؛ (ج) على اللوح المستخدم فى تغطية المزغل الأخير فى الشرفة بين باب الفتوح وبرج الدرج؛ (د-هـ) على الأسكفة الجرانيتية وعتبة المدخل المؤدى الى الدرج بنفس البرج؛ (و-ز) على ثلاثة مداميك أحدها على البسطة السادسة أسفل النافذة اليسرى، واثنان على قلبة السلم الأخيرة؛ (ح) على مدامك بالأرضية على قمة نفس البرج بالقرب من الركن الجنوبي الشرقى؛ (ط) على مدامك ضخمة يشكل جزءاً من الدرجة الثانية بعد مغادرة برج الدرج والتقدم غرباً.

وقام السيد إدواردز من المتحف البريطانى بفحص هذه المداميك بناء على طلب منى، وأخبرنى أن رقم ٩ يتضمن الجزء الأسفل من خرطوش الملك رمسيس الثانى من الأسرة التاسعة عشر ويحتوى على إهداء لبتاح إله الخليقة عند قدماء المصريين. ويضم رقم (٣) أيضاً أجزاء من أربعة خراطيش تحوى اسم نفس هذا الملك. ويمكن إرجاع (١) و (٢) الى نفس الحقبة ولو أنها لا تحتوى على أسماء ملكية. ورقما (٤) و (٥) أجزاء من دعامة جرانيتية وردية منشورة من نصفها أسفل المحور الأطول، وكانت كل قطعة منها تضم فى الأصل مشهداً منحوتاً نحتاً بارزاً لملك يقدم القرابين للآلهة. وعلى (٥) من الخارج صورة للإله آمون رع وخرطوش تحتشمس الرابع من الأسرة الثامنة عشر، ومن الداخل صورة فى حالة جيدة لهذا الملك. وعلى (٤) نجد الجزء الأسفل من صورة للإله بتاح يتلقى القرابين من أمنحتب الثالث ولو أن اسمه ممسوح تماماً فى الخرطوش بالنقش التذكاري. أما (٦) فهى عبارة عن مدامك صغير يضم صورة لفرس النهر منحوتة نحتاً بارزاً، وقد يرجع للأسرة الثامنة عشر. والرقمان (٧) و (٨) ينتميان لنفس الحقبة وبهما الجزء الأسفل من صورة لأحد

الملوك وضعت مقلوبة، ومشهدا مقسما الى ثلاث خانات لثيران سمينة ولحاملى القرايين وهم يقتربون من مقبرة صاحبهم (تم نشر المداماكين ٦ و ٨ و ١٠ ح على يد Drower فى المجلد التاسع من Antiquity (١٩٣٥) ص ٣٥٠-٣٥١، وهو ينسبهما الى الدولة القديمة).

أما أصل هذه المداميك فهو مسألة تخمين، إلا أن وجود الإله يتاح على أكثر من واحد منها يوحي بأن بعضها أتى من منف حيث كان لبتاح قدسية خاصة، ولكن من نافلة القول أنها جميعا ترجع الى مصدر واحد.

يتضح من ثم أن بدر الجمالى كان يستمد مواد البناء بحرية من موقع أثري عتيق يحتمل أن يكون منف وربما الجيزة أو هليوبوليس؛ كذلك فمن المرجح أنه استمد مادته فى تشييد المبنى غرب برج السلم من مصدر آخر أيضا، ومزج كل ما استمده ثم بدأ فى استخدامه حتى ما وراء البرج ذى الواجهة المستديرة ولم يستخدمه فى المداميك الثلاثة العلوية أسفل الشرافات.

إذن فالتغير فى البناء فى هذه الحالة لا يعنى تغييرا فى التاريخ، ولا يساورنى أدنى شك فى نسبة القطاع (ز) بأكمله والبرج ذو الواجهة المستديرة والخمسين أو الستين مترا الأولى من القطاع (ج) الى بدر الجمالى.

الفصل الحادى عشر

حصون بلد الجمالى الفاطمية (تابع)

باب زويلة

وصفه

يتكون باب زويلة (رقم ١٩٩ على الخريطة) كنظيره الوثيق الصلة به باب الفتوح، من مجاز معقود ضخيم يبلغ عرضه ٤,٨٤ م يدافع عنه برجان مستطيلان مستديرا الواجهة مصمتان لمسافة ثلثى ارتفاعهما (ويرتفع مستوى الأرضية فيهما عن المستوى القديم للشارع بـ ١٦ م، وكان إجمالى ارتفاعهما ٢٣,٧٠ م)، ويفصل بينهما ٩,١٧ م (لوحات ٧٢-٧٦، أشكال ٩٦-٩٩). وخلف قنطرة العقد هناك مجاز تغطيه قبة ضحلة على مثلثات كروية تدعم المنصة الكبيرة التى تمتد وراء الواجهة الخلفية العليا لكل من البرجين. وهذه المنصة مفتوحة على كل أضلاعها عدا الجنوبي، وتمر فوقها ثلاثة عقود؛ العقدان الخارجيان منها يؤديان الى حجرات فى الأجزاء العليا من البرجين، ويؤدى العقد الأوسط الى المنطرة المقبية فوق البوابة. وفى أعلى الحجرتين والمنطرة المقبية نجد منصة ثانية تتوجها الشرافات ويقوم عليها سلم فى الركن الشمالى الشرقى منها. ويبلغ عرض البناء كله ٢٥,٧٢ م من الخلف الى الأمام، وارتفاعه ٢٠,١٠ م من مستوى الطريق الحالى وحتى قمة الشرافات، أو ٢٣,٧٠ م من مستوى الطريق الأصلى (انظر اللوحتان ٧٢، ٧٣).

كيفية بناؤه

وطراز بنائه مميز حيث يبلغ ارتفاع مداميك البناء حوالى ٥٤ سم والأحجار المجانبية بين ٩٠ سم و ١,٢٠ م، واللبنات بين ٢٨ و ٣٥ سم. ونرى مرة أخرى سلسلة الدوائر وقد وضعت أطراف الأعمدة فى قلب الدبش كرباط - تجرى حول البرجين ومجاز البوابة عند الصف السابع من مستوى الأرضية. ولاشئ يمكن رؤيته على الواجهة الخلفية حيث يختفى النصف الشرقى وراء بعض البيوت، وأصيب النصف الغربى بأضرار وتعرض للتشوه بسبب الدكاكين التى أنشئت فيه. وهناك فارق غير متوقع بين بناء مجاز البوابة هذا وبين المجازين الآخرين، وهو أن حواف المداميك غير مشطوفة. وقد صمد البناء للعوامل الجوية لدرجة متميزة على الوجهتين البرجين الأماميتين وأجنحتهما الداخلية والمجاز والقبة والواجهة الخلفية. أما الجناح الخارجى للبرج الغربى فلم يصمد لعوامل الجو تماما، بينما عانى إفريز المنصة الخلفية الكبرى على الجانب الشرقى والواجهة الخلفية للبرج الشرقى أضرارا بالغة فى بعض أجزائهما.

الأبراج

ذات واجهات مستديرة ولكنها ليست نصف دائرية فى تخطيطها، بل تتكون من جزء من دائرة فقط. ولما اكتشفت أن برجى باب الفتوح المستديرى الواجهة يرتكزان على قاعدتين مستطيلتين بحليات جميلة زاد شغفى للتعرف على ما إذا كانت نفس السمة تنطبق على باب زويلة. ووافق خيرى بك الذى كان مديرا لإدارة التنظيمات بالقاهرة آنذاك على عمل التنقيب اللازم فى فبراير ١٩٣٨، ووقع الاختيار على الضلع الغربى من البرج الغربى. وتم اكتشاف ما يلى؛ كان مستوى الشارع القديم ٣,٩٦ م أسفل الصف الأول الظاهر فوق الأرضية (تم اتخاذه

معيّارا أوليا) أو ٣,١٠ م تقريبا تحت المستوى الحالّي للطريق (وهو ما يمثل ارتفاعا يبلغ ٣٦ سم تقريبا، ويبلغ مستوى الطريق الأصلي أمام جامع الصالح طلائع القريب ٣,٠٥ م تحت المستوى الحالّي). وبناء على هذا فإن الارتفاع الحقيقي لمجاز البوابة ٢٣,٧٠ م، وترتكز واجهة البرج المستديرة على قاعدة مستطيلة يبلغ ارتفاعها الكلي ١,١٩ م، وهي غفل من أية حلية. ويبدأ الجزء نصف الدائري فجأة وبلا أي منحدر على الأركان، إلا أن قاعدتها تحيط بها حلية رائعة عرضها ٤٦ سم (لوحة ٧٥). فهل لنا أن نستنتج من مستوى الشارع القديم أن فتحة مجاز البوابة كانت أعلى من نظيرتها الحالية بثلاثة أمتار؟ هذا أمر غير ممكن، لأن معناه تغيير النسب الراهنة بصورة جذرية بمعدل ٢:٣ تقريبا. كما أننا سبق أن رأينا من قبل أن المقرّبي يشير صراحة إلى منحدر جورائيتي كان يؤدي إلى مجاز البوابة، وبالتالي فمن المحتمل أن أسكفته الأصلية لم تكن أدنى من السطح الحالّي للشارع بكثير.

والجناحان الخارجيان لهذين البرجين يحجبهما من الغرب جامع المؤيد، ومن الشرق صف من البيوت تمثل واجهاتها صورة رائعة بما فيها من مشربيات. أما الجانب الغربي فعلى الرغم من احتجابه عن النظر من الشارع إلا أنه يمكن رؤيته بعبور حرم الجامع والدخول في بئر السلم المربع الكبير والحديث الذي يؤدي إلى قمة مجاز البوابة. وهنا نلاحظ خلوه التام من الزخارف فيما عدا حشوة ضخمة ضحلة بقمة معقودة ومديبة أو تكاد، وهو ما يذكرنا بنظيره بباب الفتوح، ولكن بمعدل أكبر وأكثر خلوا من الزخارف. ويمكن أن نلاحظ هنا الحافة المكسورة من سور المدينة الذي كان يبدأ من هذه النقطة (شكل ٩٧)؛ وهذه الحافة المكسورة ناجمة بالطبع عن إزالة مسافة كبيرة من السور على يد السلطان المؤيد في سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥ م) حين كان يقوم بتخلية موقع لجامعه الضخم. والأرجح أن الجناح الخارجى للبرج الشرقى كان شبيها بذلك، حيث يمكن رؤية قمة حشوة ترتفع فوق السطح المسطح للبيت المجاور له.

والأجنحة الداخلية للبرجين مزخرفة بحشوتين معقودتين ضحلتين مائلتين، إحداهما داخل الأخرى (لوحتان ٧٢ ج، د). وبداخلهما حشوة أصغر كثيرا تتكون من عقد مذهب ينبت على ضلعى عقد نصف دائرى يقف على طرفه على كابولى ربع دائرة يمتزج بالعقد. ويتكون العقد العلوى من تسع صنج، ويتكون العقدان الجانبيان من خمسة صنج. ويتميز العقد العلوى بحافته المروحية الشكل، في حين أن العقدين الجانبيين يفتقران إلى هذه السمة، لكن صنج العقود الثلاثة جميعا تتميز بحافتها ذات الطرف المستدق المزدوج. والصنجة المفتاحية بالعقد العلوى مزخرفة بجامة بسيطة لكنها مؤثرة - فتتكون نجمة من ثمانية صفوف على أثر تداخل الدوائر الثمانية الدائرية. وهي تشبه الجامات التي نراها على تروس باب النصر والتي تتكون من ستة فصوص فقط. وفي الحشوة تحت قمة هذا العقد مباشرة نجد جامة عظيمة لاتزال على نفس حدثها وجدتها التي كانت عليها يوم أن تم حفرها. وأساسها نجمة ثمانية متداخلة مع زهرة عباد شمس في الوسط، وتتصل الذيل الثمانية التبادلية فيما بينها بأشبه دوائر، وهكذا يلعب الفرجار دورا مهما هنا أيضا. وتم إدخال حد النجمة الثانية بين النجمة الرئيسية والفصوص. وهذه الحشوة الوسطى ونظيرتها الأكبر المحيطة بها تنتهى من أسفل، كما هو الحال بباب الفتوح، بشطفة بارزة، وترتفع حافتها السفلية عن الأرضية حاليا بحوالى ٨٠ سم.

وهناك شريط جصى ضيق عرضه ٢٣ سم يجرى إلى أعلى على كل من ضلعى الزاوية الكارة المكونة من البرجين ومجاز البوابة. ولا تزال هذه الأشرطة الأربعة تحتفظ في معظم الحالات بزخارف واضحة وبنوع من أنواع الجداول (لوحة ٧٢ ب)، إلا أن هذه الزخارف لاتستمر بأى منها إلى درجة أعلى من ٢,٢٥ م عن الأرضية؛ وفي ثلاثة أو أربعة مواضع نجد أنها تصل إلى هذه النقطة ثم تتوقف تماما. فهل هي زخارف لم تكتمل؟ وفي الجزء العلوى من كل برج وفوق الحشوة المعقودة الكبيرة، هناك فتحة نافذة عادية مما كان يعد فيما مضى

حجرة البرج، وفوقها عقد معشق ومسطح والجزء الأمامى منه نصف دائرى فى تخطيطه، ويساعد على تدعيم نصف قبة تشع صنجها على شكل مروحي من مدامك حامل صغير فى الخلف (لوحة ٧٥). وتحتوى الشرافات التى تجرى حول كلا البرجين وعبر قمة مجاز البوابة على قمم نصف دائرية تبدو أحدث من بقية البناء (فهى من عمل اللجنة، إذ أن لى صورة فوتوغرافية التقطت فى ثمانينيات القرن التاسع عشر تبدو فيها قمة البرجين والجسر الموصل بينهما خالية من الشرافات. ولا يبدو أى منها تحت القبر حيث كان يشغل مكانه منزل آنذاك).

ويحيط بالواجهة المنحنية لكل من البرجين إطار مستطيل بدون حلية يرتكز على زوج من الكوابيل وحوافه العليا على نفس مستوى قمة الحشوات الخارجية المعقودة على الجناحين. والجزء الأول من هذا العقد بدون حلية؛ ويرتفع خلال تسعة صفوف ثم ينطف بزاوية يمنى ويجرى طول الصف العاشر، هذا الجزء وسائر الأجزاء كلها مزخرفة. ثم ينطف مرتين أخريين بزوايا يمنى ليشكل إطارا معقودا مديبا كما يتضح فى اللوحتين (٧٢-٧٣). ولا يزال من الممكن تمييز ثلاثة مزاغل بالجزء العلوى من الواجهة المنحنية لكل برج.

البوابة

فيما بين البرجين اللذين يفصل بينهما ١٧، ٩ م، نجد العقد المدبب قليلا والضمخم الذى يعمل كإطار للعتب ذو الصنجات المعشقة الشبيه بعقد البوابة نفسها (لوحة ١٧٤). وتتجه الصنج الخمس الأولى على كل من الجانبين الى الإطار الذى يشكله البرجان، ويتكون كل منها من مدامكين؛ ونيت بقية العقد فى حلقتين متحدتى المركز بصنجات غير معشقة وبصنجة مفتاحية. وهناك مزغل لإطلاق النار عرضه ٣٠ سم منحوت فى الجزء الخلفى من هذا العقد، وينقسم الجزء العلوى منها الى خمس فتحات مستقلة بينها جدران متقاطعة ضخمة كما هو الحال فى باب الفتوح (وهنا يؤكد هوتكير على وجود متراس فيما مضى، لكن هذا ليس صحيحا، لأن المزغل شديد الضيق ولايسهل قياس عرضه من أعلى لأن الفتحتين الخارجيتين مسدودتان بحاجز الشرفة؛ ولكن إذا وقفنا تحته يمكن إدراك أنه أضيق من فتحة مجاز البوابة بحوالى ١٥ سم). وتمت إقامة مجاز البوابة نفسه داخل هذا الإطار المعقود على مسافة ١، ٢٥ م الى الراء. وعرض مجاز البوابة ٤، ٨٤ م (وهو متطابق مع باب الفتوح تماما)، وفوقه عقد من ١٥ صنجة، بكل منها تعشيق بارزة (عدا الصنجة الخارجية على كل من الجانبين) أفقية من أعلاها ومنحوتة لتتحول الى منحى بنصف قطر كبير من أسفلها، ووضعت فى داخل إطار ضحل تكون بعقد مدبب قليلا ومكون من ١٨ صنجة إحداها صنجة مفتاحية (وهى سمة لم تلاحظ إلا بعد إعادة رسم التخطيط وتظليله باللوحة ٧٣). وهذه مجرد حالة واحدة من عدة حالات نجدها بمجاز البوابة هذا، حيث نجد عددا مختلفا من الصنج فى نصفى عقد، مما يرجع الى تفاوت عرض كل منهما. وتتكون الطبلية الكائنة بين هذا الإطار وبين العقد الأفقى من ثلاثة صفوف من بناء صغير؛ والصفان السفليان يحتل الجزء الأكبر منهما إطار فارغ غائر.

وفوق العقد الخارجى الكبير نجد خمسة مداميك من البناء. وفى هذا الموضع كان هرتز قد عثر على بقايا سطرى النقش الكوفى مختفيا تحت طبقات من الجص فى أثناء تنظيف الواجهة عام ١٨٩٧. ولا يزال نصف السطر الأول وأجزاء من السطر الثانى باقية. وكان البناء فى حالة سيئة لدرجة تحتم معها نقله قطعة قطعة وإعادة تركيبه. ويحتوى النقش على عبارة الشهادة الشيعية تليها عدة كلمات من آية الكرسي (لجنة حفظ الآثار، ١٨٩٧ ملحق ص xii-xi مع لوحة تم وضعها قبل إعادة وضع الأحجار). وما يلاحظ أن هذا النقش مع افتقاره الى إطار يحيط به فقد حماه بروز الجزء العلوى من النصف العلوى، وهو بذلك يؤدى دور حجر الإفريز. ولا نجد فى هذين

السطرين أثرا لألقاب المستنصر ولا بدر الجمالى ولا تاريخ البناء الذى رآه المقرئى فوق البوابة من الخارج، وليس به مكان لها كما أشار فان يرشم . ولكن يبقى الإطار الذى ربما كان يحتوى على النقش المشار اليه.

وفى الوسط، فوق المدماك الخامس، هناك فتحة معقودة نصف دائرية يمكن أن ندرك أنها بنفس عرض الحجرة ذات القبو المتقاطع والتي تقع وراءها وعلى نفس ارتفاعها. وتتميز صنج هذا العقد بتباين أطوالها، والمنحنيات الخارجية أفقية فى أعلاها ومتدرجة على جوانبها (لوحة ١٧٤). وعلى واجهة هذه الفتحة هناك خمس شرافات بقمم مدببة قليلا.

المجاز (لوحة ٧٤-٧٥)

لدى مرورنا تحت مجاز البوابة نلاحظ أول قطعة من التقيية الاسطوانية بطول ٣,١٠ م وهو مايكفى لكى ينشئ بداخلها نصف البوابة، ثم نرى قبة جيدة البناء من صنج حجرية جيدة النحت يبلغ قطرها ٧,٥٥ م (وبالتالى فهي تطابق قبة باب الفتوح وقطرها ٧,٥٨ م) ترتكز على مثلثات كروية بنفس درجة انحناء القبة، وبالتالي فهي شديدة الضخامة. وفى وسطها نجد صنجة مفتاحية تحيط بها ١٣ صنجة نحتت حلزونية. وينتهى المجاز بعقد نصف دائرى كبير تبلغ المسافة بين دعامتيه ٧,٥٨ م، وعرضه ١,٨٢ م ويمد الضلع الشمالى للقبة بدعامة. ويتكون من ٢٧ صنجة بكل منها تعشيقية بارزة واحدة (لوحة ٧٤ ج). وهناك حلقة رائعة بها ميزابان (شكل ٩٨) تجرى عبره.

وعلى الجانب الشرقى، وتحت القبة، نجد فجوة مستطيلة عرضها ٤,٦٢ م وعمقها ٢,٥٠ م. وتمر من فوق أركانها حنايا ركنية تدعم نصف قبة من الصنج الحجرية (لوحة ١١٠ ج، شكل ٩٩). وهناك حلقة بارزة جميلة تشبه نظيرتها بمجاز باب النصر، وتجرى على طول كل من جانبي المجاز تبعا لأضلاع الفجوة وتستمر على طول الواجهة الخلفية لمجاز البوابة، ولو أنها لم يبق منها إلا أثر طفيف لمسافة طويلة. وتجرى هذه الحلقة على مستوى يوازى قمة المقرنصات التى تقطعها قليلا. ومن اليسير أن ندرك ضرورة وجود فجوة مماثلة على الضلع الغربى أيضا فيما مضى، إلا أن هناك تغييرات غير هينة تم إدخالها هنا عندما كان جامع المؤيد فى طور الإنشاء، ونتيجة لذلك أصبح الضلع الغربى للمجاز بأكمله محاذيا للدعامات الحاملة للعقود التى تدعم القبة. وتختفى الحلقة المشار إليها داخل جدار الحشو عند نقطة توازى أول انحناء له على الجانب المقابل من المجاز. وفى وسط هذا الحشو نجد نافذة تمر من فوقها أسكفتان معشقتان، وقد وضعت الى الخلف داخل فجوة مسطحة برأس مقرنصة. ووراء قبو اسطوانى مدبب طوله ٧,٥٩ م يجرى حتى جناح مجاز البوابة (شكل ٩٧)، اعتاد حكام مصر على الجلوس تحت هذا القبو لمشاهدة خروج المحمل وعودته من خلال النافذة (Margoliouth, Jerusalem and Damascus, Cairo, 21).

ويضيق عرضه من ٣,٤٤ م على الشارع الى ٣,٢٢ م، وتم رفع أرضيته بحوالى ٢,٥٠ م فوق البلاط، وبهذا توفر المكان لبائكتين تحته. وعلى كل من جانبي الحجرة المقبية اسطوانيا نجد فجوتين بعرض ١,١٢ م وارتفاع ١,٥٠ م وعمق ٦٠ سم تركتا فى جدار التبتطين على بعد ١,٣٥ م من المجاز. وخلف كل منهما يمكن ملاحظة البناء الأصلى لباب زويلة من خلال ارتفاع الصفوف (وثلاثة منها تساوى خمسة من البناء المضاف) وبدائرة حجرية -طرف عمود- ظاهرة فى كل من القطعتين المكشوفتين. ويفصل بين هذين السطحين ٤,٦١ م، وهو عرض البائكة على هيئة نصف القبة المقابلة تماما. وتبعد الحواف الغربية لهاتين الفجوتين عن المجاز بمسافة ٢,٤٦ م؛ لذا فإننا نفترض من جانبنا أن ظهر البائكة على هيئة نصف القبة التى كانت هنا فيما مضى كان فى الأصل على بعد ٢,٥٠ - ٢,٤٦ م = ٤ سم غرب هذه النقطة قبل أن يتم نحتها لتشكل الحجرة الحالية. ومع أن القبو الاسطوانى نفسه بنى من حجر داكن ويبدو قديما، إلا أنه من المرجح أن ٢,٤٦ م منه كانت منذ تاريخ هذا التغيير ترتكز على البناء المضاف الذى تبلغ واجهته ٦٠ سم أمام البناء الأصلى (وقد أخطأ مرجوليوث خطأ بينا فى

ذلك (ص ٢١) حيث يقول إنه كانت هناك «حجرتان» تحت القبو لاتزال الغربية منهما باقية وتتصل بجامع المؤيد. ومن الواضح أنه لم تكن هناك أية حجرات، بل مجرد فجوتين، كما هو الحال بباب الفتوح).
على أية حال فإن هذا الجانب من باب زويلة لا يزال موضع جدل واسع. وعلى الضلع الشمالى من نفس هذه الحجرة المقبية اسطوانيا وعلى بعد ٣م من المجاز هناك فجوة عميقة تمتد حتى الواجهة الخارجية. ومنذ ذلك الحين تم غلق طرفه الخارجى بجدار رفيع تركت فيه نافذة صغيرة (لوحة ٧٤ ج). وقد كسيت جوانب الفجوة بكسوة جصية، إلا أن الترقيعات المجردة توضح أن البناء تحته يعد بطانة ويشبه نظيره بالحجرة الطويلة التى يفتح منها. ويرتكز السقف الخشبي المسطح على حلقة ربع دائرية عليها نقش على طراز أواسط القرن التاسع عشر، وهو ما يجعله يبدو وكأنه ينتمى الى فترة أفضل كثيرا.

وإذا تفحصنا جناح مجاز البوابة من الصحن الصغير الذى يقع بينه وبين جامع المؤيد، نلاحظ أن مخرج الحجرة المقبية اسطوانيا والتي تحدثنا باستفاضة عنها تتميز بطوق من البناء أصغر من نظيره فى البناء باستثناء المداميك الأربعة السفلية على الضلع الأيسر. كما نرى من بقايا نقطة انطلاق الجدار أن الواجهة الشمالية للبناء الأصلية كانت لا تبعد عن الضلع الجنوبي من نفس هذا المخرج إلا ٩٠ سم فقط.

المنصة الرئيسية

يمثل مجاز البوابة الذى يمكن رؤيته من المنصة، كما هو الحال بباب الفتوح، واجهة من ثلاث فتحات معقودة (لوحة ٧٦، شكل ٩٦). تحتوى الوسطى منها التى تبرز بمسافة ٣٩ سم على عقد نصف دائرى ضخمة فوقه جمالون حجري (وهذا دليل آخر على أن المعمار كان أجنبيا من دولة مطيرة، فالمعمار المصرى لا يفكر فى سمة كهذه)؛ وتحتوى كل من الفتحتين الجانبيتين على فجوة نصف دائرية فوقها نصف قبة صنجاتها مكشوفة فى حلقات متحدة المركز فى الخلف وأفقيا فى المقدمة (لوحة ٢٦ هـ) لتفادى الاقتحام دون شك (انظر Choisy, 72-78). وبعد العقد الأوسط هو العرض الكامل (٤,٩٠ م) وارتفاع المنطرة المفتوحة التى يغطيها قبر متقاطع فوق المنصة، كما هو الحال فى العقد المناظر له أعلى مجاز البوابة. وفى هذه الأرضية، وخلف الشرافات، هناك ثلاث فتحات خاصة بمزغل إطلاق النار، وطولها ٢,٦٨ م وعرضها ٣٠ سم وسبقت الإشارة إليها.

وخلف كل من الفجوتين نجد عقدا نصف دائرى يتكون من سبع صنج تؤدى الى حجرات البرج. وفوق كل منها قبر اسطوانى نصف دائرى فى مقطعه، وتخترقها على الضلع المجاور للبوابة قطعة مقبية من نفس المقطع المتقاطع. ولم يعد من الممكن إجراء فحص كامل لحجرات البرج، لأن الجزء الأوسط من القبو تعرض للقطع بأمر من السلطان المؤيد حين قرر الاستعانة ببرجى باب زويلة كقاعدين لمئذنتى مسجده (المقريزى، الخطط، ج ١، ص ٣٨١). ولم يتمكن بالطبع من بنائهما على قمة كل من البرجين نظرا لوجود الحجرة المقبية أسفلها؛ لذا فقد تم قطع القبو وملئ ما يقرب من ثلثى حجرة البرج بمكعب ضخمة البناء يمثل قاعدة المئذنة. ولدى دخولها تراجعا هذه الكتلة التى تكاد تلامس الجدار الخارجى لكل حجرة؛ إلا أن هناك فراغا كافيا ترك على الضلع الداخلى يسمح بالدخول الى النافذة المطللة على الفراغ بين البرجين. ولكن كانت هناك ثلاثة مزاول بواجهة كل حجرة من حجرات البرج تراها من الخارج، ومزغل واحد على الجناح الخارجى.

وهناك امتداد صغير للمنصة الى يسار حجرة البرج الشرقية، وفى آخره نجد جدارا بباب عرضه ١,١٢ م فوقه أسكفة والجزء العاتق غير المناسب الذى يتضح فى اللوحة (٧٦ أ). ويفتح على دركاة صغيرة مساحته ١,٤٠ × ١,٤٥ م بسقف حجري مسطح، وعلى الضلع المقابل منه هناك باب مماثل وراءه قبة سلم طويلة تجرى الى أسفل

بين كتلة البيوت. وعلى الضلع الجنوبي من الدركاة هناك قلبة سلم من ثمانى درجات ترتفع الى بسطة مربعة صغيرة حيث نجد مزغلا صغيرا يطل على جناح البرج الشرقي. وإلى اليمين، نجد ١١ درجة أخرى تؤدي الى بسطة ثانية. وبالبسطة الأولى سقف مسطح، لكن قلبتي السلم فوقهما سقف منحدر من ألواح حجرية ضخمة ترتكز على الجدران الجانبية دون صف من الكوايل؛ أما البسطة الثانية فتفتح على السماء، وهناك ست درجات أخرى تؤدي الى السطح. ويشكل يير السلم ما يشبه برجا صغيرا ملحقا بالجزء الخلفى من جناح البرج الشرقي، مما يذكرنا بما نراه على الضلع الشرقي من باب الفتوح. وبانتهاء الدرج على الحافة الشرقية من هذا البرج الصغير يتضح أن السقف المنحدر بقلبة السلم الثانية كان يليه بالضرورة سقف مسطح فوق البسطة الثانية لكي يتكون جسر من قمة الدرج وحتى قمة منصة مجاز البوابة. وبالضلع الشرقي من هذا البرج الصغير واجهة مصقولة الى نقطة كانت تحاذى مستوى المنصة الرئيسية بالضرورة، ولكن أسفل هذه النقطة نجد حافتها مكسورة حتى الأرضية. ومن الواضح أنها النقطة التي كان السور ينطلق منها قديما (وهناك فجوة مساحتها حوالي ٢٠م تصل بعدها الى القطعة الوحيدة الباقية من السور الجنوبي الذي يجرى خلف بيوت الدرب الأحمر لمسافة ٧٥م، شكل ١٠٢)، وكان سمك السور ١٠، ٦م بما في ذلك الدرج - وهو عرض برج الدرج الصغير أو ما يقرب من ٤م بدون الدرج. وعلى هذا يمكن لنا أن نؤكد بكل ثقة أن الدرج الطويل الذي يهبط من الباب الشرقي للدركاه الصغير يتخذ على الرغم من حدائته الجزئية وضع سلم قديم يجرى الى أعلى الواجهة الخلفية لسور المدينة ويؤدي الى المنصة الرئيسية كما هو الحال بباب الفتوح الذي يشتمل على كثير من السمات المشتركة مع هذه البوابة. ونظرا لأن هذا الدرج لم يعد يمكن دخوله، فليس أمام من يرغب في فحص الجزء العلوى من باب زويلة إلا أن يمر عبر حرم جامع المؤيد الى بئر السلم، ثم يصعد السلم الحديث الذي يوصل الى قمة مجاز البوابة، ثم يهبط الى المنصة الكبيرة.

المنصة العليا

لدى بلوغنا المنصة العليا عبر الدرج المذكور نلاحظ أن الجزء الناتج وحده الذي يحتوى على شرافات. والبناء على الجزء الداخلى من حاجز الشرفة ولمسافة نصف المتر أسفل عتبات هذه شرافات مصقول؛ والمداميك أسفل غير محفورة. أما الأرضية أو ماتبقى منها فتترك ما بين ٢٥ و ٣٠سم من هذا الجزء العشوائى مكشوفاً. ومن ناحية أخرى فإن قمة الصف الذى يتوج الواجهة الداخلية (الشمالية) من هذا الجزء توازى فى مستواها الحافة العليا لهذا البناء العشوائى. من الواضح إذن أن هذا هو مستوى الأرضية الأصلي. ولعل الأرضية كانت تتكون من مداميك ضخمة كما هو الحال بالجزء الشمالى من هذه الحصون؛ والأرجح أن هذه المداميك أزيلت فى فترة أو أخرى، وربما تم استغلالها فى بناء البيت الذى كان يحتل المنصة الرئيسية، وتخلف عن إزالتها سطح عشوائى لا يزيد عن ٤٠سم تحت المستوى الأصلي؛ وانخفض هذا الفارق الى ما بين ٢٥ و ٣٠سم بسبب الأرضية الحالية المكونة من مداميك صغيرة نحيفة.

هل كان هذان البرجان أعلى مما هما عليه الآن؟

رأينا فيما سبق أن المقرئ يذكر أن هذين البرجين كانا فيما مضى أعلى منهما الآن وأن (السلطان) المؤيد قام بإزالة الجزء العلوى منهما حين بدأ فى تشييد مئذنة على كل منهما. ومع أن المقرئ عاصر الحدث المذكور إلا أن هذا الجزء من كتابه غير مؤكد. فالمنصة العليا فى باب النصر وباب الفتوح تعلو المنصة الرئيسية بستة أمتار؛ وتزيد بحوالى نصف المتر فى باب زويلة. ونظرا لتساوى هذه البوابات الثلاث جميعا من حيث الحجم فإن المقاييس العامة لباب زويلة لاتتناسب لو كان هذا الجزء أعلى بهذه الدرجة. ولكن لا يزال هناك رأى أشد حسما فى هذا

الصدد. فقد رأينا أن قمة القبر فوق المنطرة المفتوحة يؤدي دور جسر بين قمتي البرجين، فالبرج الشرقي وحده هو الذى يحتوى على درج من أسفل. ولو كان البرجان أكثر ارتفاعا لكان معنى ذلك رفع مستوى الجسر. أما القبر فيرجع تاريخه الى العصر الفاطمى بما تتميز به صنيحته المفتوحة من زخارف رائعة (لوحة ٧٦ء). من ثم فمستواه لم يطرأ عليه أى تغيير، ولا يمكن لنا أن نفترض أن سطحه العلوى كان أعلى مما هو عليه الآن، لأن ذلك معناه تحميل كتلة من البناء على القبر، وبالتالي فلامجال لقبول رواية المقرئى.

استخدام باب زويلة كبرج طبلية

يقول المقرئى فى وصفه لباب زويلة:

«... وذكر جامع سيرة الناصر محمد بن قلاوون (٣١٣) أن فى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة رتب ايدكين والى

القاهرة فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون على باب زويلة خيلية تضرب كل ليلة بعد العصر ...» (الخطط، ج١،

ص ٣٨١)

ويرى فان برشم أن لفظ «خيلية» يعد تحريفا للفظ «طبلية»، وهو تحريف يرى أنه يحدث كثيرا فى كل المخطوطات المدونة بالعربية (Notes, xix. pp. 403, 406-7)، إلا أن لفظ «خيلية» ورد فى كل مخطوطات المقرئى (Notes, 407). كما ورد اللفظ لدى ابن إياس الذى يذكر أنها آلة من نوع الطبول التى كانوا يقرعونها بالقلعة فى أوقات النوبة (Casanova, Citadelle, 604). ومع عدم إمكانية قبول الاقتراض القائل بأن لفظ «خيلية» تحريف للفظ «طبلية» بناء على السببين المذكورين، يمكن القول إن هناك فرقة من النقارية تم وضعها على باب زويلة بما يشبه نظيرتها على باب المدرج بالقلعة. ويختتم فان برشم ملحوظته بقوله بأن مآذن مسجد المؤيد لم تكن قد بنيت بعد فى ذلك الوقت على الشرفة التى تتوج باب زويلة؛ وبالتالي كانت تتسع لفرقة موسيقية كبيرة (Notes, 406-7). ونرى من جانبنا أن هذه الفرقة ربما كانت تحتل البائكة المقبية فوق الدركاة، حيث تمثل شرفة موسيقية ممتازة تناسب الغرض.

وسواء أكانت هناك صلة بين لفظى «خيلية» و«نوبة» الخليل (إبراهيم) التى يتحدث عنها مجير الدين العبدري (٣١٤) حسب قول جولدتسيهر (٣١٥) (Das Patriarchengrab in Hebron nach Al-'Abdari, in ZDPV) (pp. 119, ١١٩)، أو بينها وبين اللقب الرسمى لشجرة الدر (أم خليل) حسب رأى كازانوف (٣١٦) (Citadelle, 604)، فليست مستعدا لإبداء رأى قاطع فى هذا الصدد، لكنى سأحاول أن أتبع اللفظ فى مصدره وأن أتحرى عن وجود فرقة موسيقية أو فرقة نقارية فى الاحتفالات الرسمية للملكية الشرقية. قام كاترمير بجمع شواهد عديدة للاستعانة بهذه الفرق فى التاريخ الإسلامى، مما يستتبع أنها كانت حقا واجبا للخليفة يلى الخطبة وحق سك النقود، وكان السلاطين البويهيون (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٦-١٠٥٥ م) هم أول من حصلوا على هذا الحق من الخليفة (المقرئى، السلوك، ط زيادة، ج١، ص ٢٨)، ولكن فى حين كان له الحق فى أن تعزف له الفرقة خمس مرات فى اليوم (أى بعد كل صلاة)، كان عليهم أن يقنعوا بثلاث مرات فقط.

وفى مصر ظهر هذا التقليد فى العصر الفاطمى، وفى العصر المملوكى نرى أمراء يتميزون بلقب «أمير الطبلخانة» ويحظون بهذه الميزة. وفى عصر خليل الظاهري (بعد عام ١٤٣٨ م)، كان هناك ثمانية وأربعون أميرا يقود كل منهم مئة مملوك وألف جندي ويتمتع كل منهم بالحق فى ثمانى طبول وطبالين ومزمارين وأربعة دفوف. ثم ألغى هذا التقليد بأمر من السلطان سليم بعد فتح مصر، ولكن يبدو أنه أقر من جديد فى عهد السلطان سليمان الذى أمر بإقامة طبلخانة بأربعة وعشرين بك (Quatremere, Sultans Mamlouks, I, 173-4).

من المرجح أن هذا التقليد ككثير غيره فى التراث الإسلامى يجب تتبعه فى بلاد فارس حيث كان متبعاً حتى عهد قريب، حيث كانت هناك فرقة من النقارية تفرع الطبول مع شروق شمس كل يوم وعند الغروب من برج أو مجاز بوابة بكل مدينة فى وجود أحد الحكام أو الأمراء (وطبقا لقول فريد ريتشاردز فى كتابه A Perisan Journey

ص ٣٨، لا يزال هذا التقليد متبعاً في مشهد دون غيرها حتى الآن)، مما يذكرنا ببيت الشعر المعاصر له تقريباً (النصف الأول من القرن ١٣) والذي نظمهُ سعدى الشيرازي:

الى أن تسمع قرع الطبول في الصباح الباكر من المسجد الجامع أو من باب قصر الأتابك

(غزليات سعدى، ط تهران، ١٩٣٩، ص ١٧٣)

وهناك «نقاره خانه» أو أبراج للنقارية بكل من إصفهان وتهران ومشهد وكرمانشاه وغيرها (Curzon, Persia). وفي إصفهان نجد ظلة جميلة تفتح من الميدان على سوق المدينة وتعمل كجراج للنقارية تفرع به الطبول وتنفع الأبواق كل مساء. وفي عصر شاردان (١٦٦٥-١٦٧٧) كانت الطبول تفرع مع شروق الشمس وفي منتصف الليل، وفي عصر سانسون (١٦٨٣) في الظهيرة وعند الغروب وبعد منتصف الليل بساعتين.

يقول بروفيسور جاكسن في إشارة إلى النقاره خانه بأرومية حيث كان يتم نفخ بوق طوله ستة أقدام وتفرع الطبول أن الأهالي كانوا يعتقدون أن هذا التقليد كان من بقايا ديانة لعبادة الشمس في العصور القديمة (Persia, Past and Present, 104). وهو يرفض هذا الرأي ويرى أنه لا يزيد عن مجرد مدفع يطلق عند غروب الشمس أو ناقوس يضرب إيذاناً ببداية حظر التجول؛ ولكن لو كان الأمر كذلك إذن لماذا اقتصر على المدن التي كانت مقاراً للعروش؟ كما أنها كانت تفرع أيضاً عند شروق الشمس. على أية حال، نرى من جانبنا أن لدينا الدليل على أن هذا التقليد كان متبعاً قبل الفتح الإسلامي. فهو مصور على طبق ساساني من الفضة محفوظ في الهرميتاج بسان بطرسبرج (شكل ١٠١، مصور في Meisterwerke Muhammedanischer Kunst, ii. pl. 122). ونرى فيه قصراً مسوراً بواجهة مخددة مثل فيروزآباد، ومجازاً في الوسط وفوقه شرفة طويلة يقف فيها سبعة رجال ينفخون أبواقاً ضخمة. والمهم أن هذه الفرقة من نافخى الأبواق كانت حيث توقعنا أن تكون، أى أعلى مجاز البوابة، وبما أننا وجدنا هذا التقليد متبعاً في فارس، فمن الطبيعي أن نتوقع وجود مثله في الهند أيضاً حيث تلقت معظم تراثها الإسلامي عبر فارس. ففي حصن أجرا (٣١٧) الذي بدأ تشييده بأمر من أكبر في سنة ١٥٦٦، نجد «بوابة الفيل» وتضم «نوبه خانه» حيث كانت تفرع الطبول (Havel, Agra and the Taj, 2nd ed., pp. 40-2). وكذلك في حصن دلهي (٣١٨) الذي بدأ بناؤه بأمر من شاه جهان في سنة ١٦٣٨ واكتمل بعد ذلك بحوالى عشر سنوات، حيث نجد قاعة مدخل مقبى طويل يؤدي إلى صحن كبير كانت هناك على جانبه الأقصى «نقاره خانه» أو «نوبه خانه» ومجاز بوابة ثلاثية العقود كانت تمثل المدخل إلى مباني القصر، تعلوها شرفة موسيقية بطول مئة قدم وعرض سبعين قدماً. ويذكر برينيير (١٦٦٥-١٦٦٥) أن الفرقة الموسيقية كانت تتكون من مزامير وصناجات وكانت تسمع خمس مرات في اليوم بعد مواقيت الصلاة.

أصل تسمية «باب زويلة بباب المتولى»

يعرف باب زويلة باسم «بوابة المتولى» حتى أن قلة من سائقي سيارات الأجرة القاهريين من يعرفون له اسماً آخر غير هذا. وحسب التفسير الذي يقدمه المرحوم آرتين باشا ("Bab Zoueylah et la mosquée d'el-Moeyed", Bull. de l'Institut Égyptien, 1883, pp. 148-50) والذي يفتقر إلى الدقة في بعض تفاصيله التاريخية، فإن طومان باي الذي شق على هذه البوابة بعد الهزيمة التي خضعت مصر على أثرها للعثمانيين [٩٢٣هـ/١٥١٧م]، كان يعرف لدى العامة باسم المتولى (الحاكم)، وهو آخر منصب شغله قبل أن يعترف به كسلطان. وبعد شقه في هذا المكان يقال إن كل من كان يمر تحت هذه البوابة كان يقرأ الفاتحة ترحماً عليه، فأتخذت البوابة اسمها الشعبي الحالي. وفيما بعد حين طوى النسيان هذه الحادثة ارتبطت التسمية بشيخ يدعى «القطب المتولى» يقال إنه كان

قادرا على الاختفاء وإنه كان يتمتع بقوى خارقة. أما الفاتحة التي اعتاد الناس قراءتها لدى عبورهم تحت مجاز العقده، فيقال إنها أصبحت تقرأ حيث كان الشيخ المذكور يتخذ من المكان مقرا له، وكانت قطع من ثياب المرضى تعلق على مسامير البوابة المزدوجة الكبيرة أملا في شفائهم (انظر Lane-Poole, *Social Life in Egypt*, pp. 8-9).

وهناك ما هو أكثر من ذلك كما نرى من جانبنا؛ فربما كان هناك إيمان خفى بأن الدركاوات نفسها تعتبر بصورة من الصور موضعاً له قداسه؛ لأن كلا من باب النصر وباب الفتوح يضم أولياء مغمورين تحت قبوه الكبير (٣١٩)، وهو اعتقاد غير قاصر على مصر؛ فقد أدهشني أن أجد نفس المفهوم في حلب حيث تضم بوابتها الكبيرتان - باب أنطاكية وباب قنشرين - أولياء مغمورين أيضا.

السور الجنوبي

وصفه

لا تزال هناك حاليا مسافة واحدة أخرى من السور الفاطمي، وهي قطعة من السور الجنوبي تحتجب وراء بيوت الدرب الأحمر (شكل ١٠٢). وعلى الرغم من الإشارة إليه منذ عام ١٨٩١ لدى فان برشم إلا أنه لم يسبق وصفه أو تخطيطه، بل لم يتم وضعه على خريطة القاهرة التي وضعت عام ١٩١٢ بمقياس ١: ٥٠٠٠، كما أنه لم يظهر على خريطة نابليون، ولو أن السور الشمالي مبين بصورة أكمل مما يمكن بيانه اليوم. لذا فإنني استنتج أنه في خلال السنوات المئة والخمسين الماضية كان محتجبا تماما وراء البيوت كما هو الحال اليوم. وعلى الرغم من إمكانية رؤيته من سطح جامع الصالح طلائع، فإنه من المستحيل رؤية أى جزء من أجزائه من الشارع (حتى عام ١٩٤٧ حين بدأ تنكيس بعض هذه البيوت وتمت إزالتها بأمر من إدارة تنظيمات القاهرة)، وكان عليّ أن أدخل أربعة بيوت أو خمسة لكي أتمكن من عمل التخطيط والواجهة المرفقين. ومن داخل أحد البيوت الكبيرة على الجانب الشمالي من السور، بالقرب من باب زويلة، يمكن التأكد من أنه كان هناك فسحة كاملة يبلغ طولها ٢٠ م بين جناح باب زويلة وبدء إنشاء هذه القطعة من السور. وتهبط الحافة المكسورة من هذه الفسحة رأسيا إلى الأرض، من الواجهة الغربية السفلية للبرج الصغير الذي يضم الدرج المؤدى من المنصة الرئيسية لباب زويلة إلى قمة البرج الشرقي. ولمشاهدة منظر عام لجزء مما تبقى منها لا بد من دخول أحد بيوت الدرب الأحمر يحاذي السور الجنوبي الشرقي من جامع الصالح طلائع. ومن سطحه نلاحظ وجود برج صغير (B) لا يزال في حالة جيدة وشرافاته كاملة، وكذلك الجدار بين البرجين. أما البرج (A) فقد عانى أضرارا جسيمة، ولو أن واجهته الأمامية لا تزال سليمة عدا الشرافات التي اختفت تماما تقريبا، وكذلك منصته العليا. والمساحة من هذه المنصة العليا إلى مستوى الأرضية الحالية تبلغ ١٣,٦٢ م. من ثم فمن المرجح أن المجاز الدفاعي كان يمر منها كما هو الحال في البرج المجاور لباب النصر، ولا يزال الحد المديب قليلا لقبو حجرة البرج التي كان يتم دخولها من خلال الممر المقبى باقيا. ويمكن أن نرى أن حجرة البرج كان عرضها ٤,٤٨ م وأن جدرانها الجانبية كان سمكها ١,٨٧ م. واختفى كل شيء خلف الواجهة الأمامية لحجرة البرج المذكورة، وليس من الممكن أن نحدد كيف كان يتم الوصول إلى منصتها العليا، وما إذا كان هناك درج داخل بروز صغير في الداخل كما نرى في البرج المجاور لباب النصر. وهناك سطح جدار مستمر من الأجر يرتفع من شرافات الجدار بين البرجين والبرج (B) ويشكل الواجهة الخلفية للبيوت التي يتم دخولها من الجانب الشمالي للسور. ولا تزال بعض الشرافات على الواجهة الأمامية للبرج (B) مفتوحة، وتشكل نوافذ حجرة تحتل قمته. ولا يعلو هذا البرج عن المجاز الدفاعي إلا بـ ٧٥ سم. وعند النقطة

(C) يختفى السور وراء أحد البيوت ولا يزال كاملاً بشرفاته. ويدخل البيت الكبير الثانى على الجانب الشمالى من السور يمكن المرور عبر صحن والوصول الى النقطة (D) وهى نفق مظلم منحوت فى السور ويبلغ سمكه ٤م. والدوران الى اليسار يمكن رؤية جانب البرج على بعد ٨٩٠م من الفسحة. وبالقرب منها، وعلى بعد نصف المتر من الأرضية، نجد طرف عمود مطموور فى السور الذى يبدو فى حالة سيئة فى هذا الموضع. وبسبب الطلاء والجص والبيوت المبنية على السور لم أتمكن من العثور على أية أعمدة أخرى على واجهته الأمامية، إلا أن ثلاثة منها تظهر على واجهته الخلفية قرب النقطة (D) على مسافة ٢,١٥م من مستوى الأرضية الحالي، أى فوق الصف الرابع مباشرة. وينبغى إضافة ٣م تقريباً الى الارتفاعات المذكورة، حيث ارتفع مستوى الأرضية هذه المسافة كما نرى من عمليات الحفر حول جامع الصالح طلائع، وهو ما يفسر السبب فى انخفاض طرف العمود المذكور منذ قليل.

وبلاحظ أن معمارى بدر الجمالى من الواضح أنهم كانوا يشتركون فى مسألة وضع برج كبير بجوار معازات البوابات، إذ نجد هذا مطبقاً على السور الشمالى بنفس الصورة التى نجدها هنا تماماً؛ أى أن هناك برجاً كبيراً الى الغرب من باب النصر يتحكم فى المجاز الدفاعى الذى يجرى خلاله، ثم برج صغير يشبه نظيره (B)، ثم البرج الكبير وفى وسطه إحدى مآذن جامع الحاكم، ثم باب الفتوح، وفى النهاية برج مربع ضخم به درج رائع. ويستنتج من ذلك أن البرج الصغير فى السور الشمالى لم يبن بسبب الضلع الشمالى الشرقى لجامع الحاكم كما يعتقد البعض، بل كجزء من مجموعة محددة من القواعد كان المعمارىون يتبعونها.

وهناك برج صغير آخر شرق البرج (B) على بعد ١٩م ويبلغ عرضه ٤,١٩م ويبرز لمسافة ٣,٣٨م ولا يزيد ارتفاعه عن نصف المتر عن الجدار بين البرجين والذى يستمر شرقاً لمسافة ١٣,٣٢م ثم يختفى داخل أحد البيوت. ويمكن العودة الى الشارع عند هذه النقطة من خلال الدرج رقم ٢٧ بالدرب الأحمر والذى يجرى الى أسفل بزوايا اليمنى الى السور. والبيت التالى (رقم ٢٥) كبير وبه صحن واسع فى خط مواز للسور مباشرة؛ لذا فالسور ينتهى عند النقطة التى يختفى فيها عن العين مباشرة. ويبدو أن هذه المسافة التى يبلغ طولها ٧٥م كلها مستقيمة.

الأصول المعمارية

البرجان الجانبيان المربعان

ليس هناك جديد فى هذه البوابات الثلاث والسور الفاطمى باعتبارها من العمارة العسكرية. ولا نلاحظ تقدماً يذكر حتى القرن التالى فى أعمال صلاح الدين، أى مجاز المدخل ذو الدوران أو الدورانات اليمنى. وكانت الأبراج الجانبية، مربعة كانت أو مستديرة، معروفة لعدة آلاف من السنين، وكذلك معازات الأبواب فيما بينها. أما الأبراج المربعة فكانت تمثل المرحلة السابقة على الأبراج المتعددة الأضلاع ونصف الدائرية، وهو ما يمثل تقدماً من وجهة النظر الاستراتيجية، حيث تم الابتعاد عن الزوايا الميتة.

وهناك حصن يحيط به سور بأبراج مستطيلة وضعت على أبعاد قصيرة جداً يتضح على لوح فى الشكل (١٠٣) ويرجع الى الفترة من أواسط الألف الثالثة قبل الميلاد. والحقيقة أن أعمال التنقيب كشفت عن وجود مثل هذه الأبراج فى التحصينات القديمة بأشور (قبل ١٥٠٠ ق.م). وفى الجزء الأخير المؤرخ بالربع الأول من الألف الأولى قبل الميلاد (وهى أبراج يبلغ عرضها ٨م) وفى خرساباد؛ أما الأبراج المستديرة فلا وجود لها.

وكانت مصر متأخرة فى هذا المجال؛ إذ تفتقر أسوار مدن عين شمس وسائس وتيس والكاب الى التحصينات الجانبية، وحتى التحصينات التى نجدها بالكوم الأحمر وشونة الزبيب التى ترجع حسب رأى ماسبيرو الى

الأسرتين السادسة والثانية عشر (حوالي ٢٦٢٥-١٧٨٨ ق.م.). لذا فمن الصعب أن نصدق أن حصن سمنا الغرب الذى يضم برجين مربعين متقاربين يمكن أن يرجع الى الأسرة الثانية عشر كما يزعم البعض (Perrot & Chipiez, *History of Art in Ancient Egypt*, 42-50) ؛ ويبدو أن الاحتمال الأكبر أنه يرجع الى الأسرة الثامنة عشر (١٦٠٠-١٤٠٠ ق.م.).

ويبدو أن الانتقال من الأبراج المستطيلة الى المستديرة حدث فى امبراطورية الحيثيين فى سنجرلى (وكذلك أسوار بوغاز كوي) حيث نرى أسوار الحصن الخارجى الذى شيد عام ٩٠٠ ق.م. تقريبا وبها أبراج نصف دائرية ببروز ٣,٥ م. وبعد ثلاثة قرون ظهر نموذج مزعوم فى الحصون الأكمينية بسوسة؛ ولو صدق هذا الزعم، فقد يرجع الى تأثير الحيثيين المباشر، إذ يتضح أن القصر الأكمينى كان تطوراً للقصر اغميلانى بجنوب بلاد الحيثيين. وتم العثور على أحدها بالسور الخارجى من «هاترا» [الحضر] الهارثية، وتحت حكم الساسانيين (٢٢٤-٦٣٢ م) أصبح هو النمط المألوف.

يقول فتروفيوس عن الأبراج المستديرة:

«الأبراج نفسها يجب أن تكون إما مستديرة أو متعددة الأضلاع. أما الأبراج المربعة فسرعان ماتدمرها الآلات الحربية،

فالمجانيق تدمر زواياها تدميراً؛ والأبراج المستديرة لا تضرها مثل هذه الضربات، لأنها مدمجة» (BK, i. Transl. by

. (Morgan, p. 23

وقد بدأ المعمارىون الرومان فى الاستعانة بها بصورة منتظمة بعد عصر أغسطس (٢٧-١٤ ق.م.)، وتظهر تقنية الأبراج الجانبية فى العمارة العسكرية الرومانية بالأقاليم الشرقية من الامبراطورية قبل ظهوره فى الغرب. وفى الأقاليم الشرقية ومنذ عصر هادريان (٩٨-١١٧ م)، كانت المعسكرات الرومانية الثابتة الكبيرة التى كانت تشكل خطاً من الحصون الصغيرة يمتد من خليج العقبة وحتى دمشق، ومن دمشق الى بالميرا [تدمر]، كلها تضم أبراجاً جانبية ناتجة؛ وكانت هذه الأبراج مستديرة فى كل الحالات تقريباً، ومنها لجون وأذرح (حوالى ١٠٦ م)، والضمير (١٦٢ م)، وقسطل (حوالى القرن السادس) وغيرها. ويمكن أن نضيف الى هذه النماذج أسوار ساماريا [الضفة الغربية لنهر الأردن] التى قام رايزنر بالتنقيب عنها. أما التخطيط العام لباب زويلة وباب الفتوح، فلدينا مثال أقرب يتمثل فى البوابة الرومانية لقصر الشمع بمصر القديمة الذى قام هادريان بتشبيد جزء منه (Butler, *Ancient Coptic Churches*, I, 178) وكانت لاتزال مستخدمة بصفة يومية حين دون ابن دقماق كتابه بأواخر القرن الرابع عشر.

ويقال إن هذه البوابات الثلاث بناها ثلاثة معماريين من الرها (أورفا الحديثة)، لذا فمن المتوقع أن نجد العديد من التفاصيل المعمارية التى تميز العمارة بشمال الشام وشمال الرافدين (كديار بكر التى تبعد مئة ميل تقريباً عن الرها)، وهو ما كان بالفعل كما سنرى فيما بعد. ونظراً لندرة ما تبقى من العمارة العسكرية الإسلامية قبل الغزو الصليبي، فنرى من جانبنا ضرورة دراسة المسألة تفصيلاً بتحليل كل سمة على حدة.

المثلثات الكروية

ظلت المثلثات الكروية بآيا صوفيا (٥٣٧ م) أقدم نموذج معروف، وبالتالي كان المفترض أن هذا الأسلوب يعد ابتكاراً رومانياً، إلا أن هذا رأى لم يعد مقبولاً. فقد أشرنا الى وجود ثلاثة أمثلة على هذه السمة يرجع تاريخها الى القرنين الثانى والثالث، أى فى ضريح بعمان يعرف باسم «قصر التوبجس» (E. M. A. I, pp. 313-14)، وفى حمامات جرش (شكل ١٠٤)، وفى ضريح بساماريا [الضفة الغربية لنهر الأردن] قام رايزنر بالتنقيب عنه. ويجب أن نضيف اليها الآن نموذجاً أقدم منها فوق حجرة مربعة مساحتها ٤,٦٠ م بحمامات البتراء التى ترجع الى الجزء

الأول من القرن الثاني على أقصى تقدير. وفي كل هذه النماذج نجد سمة غريبة، فالصف العلوى من الدلاية ناقص بدرجة تجعل السطحين العلوى والسفلى غير متوازيين، بل يزداد عرض كل منهما عند الأطراف كما يتضح فى الشكل (١٠٤). ولنتذكر هذه السمة الخاصة.

ظهر المثلث الكروى فى العمارة الإسلامية فى تاريخ مبكر بالشام، أى فى «قصير عمرة» (٧١٢م تقريباً) و«حمام الصرح» (٧٢٥م تقريباً). أما بعد ذلك فلا نجد له أثراً لمدة ثلاثة قرون أو يزيد. إلا أنه ازداد شهرة فى أرمينيا حيث بدأ تنفيذه بالحجر المنحوت فى القرن السابع، ولا يزال هناك مثال جيد عليه بكاتدرائية تاليش التى شيدت فى سنة ٦٦٨م. وهناك سلسلة متصلة من الأمثلة لاتزال موجودة، ومنها كاتدرائية التلطين التى بنيت قبل ٧٨٣، وكنيسة سان جريجورى فى خشاونك التى بنيت عام ٩٨٥، وكاتدرائية آنى التى اكتمل بناؤها فى سنة ١٠١٠، وأطلال مبنى يمثل جزءاً من مجموعة قوامها ثلاثة أجزاء فى مرمشن يرى ستروجوفسكى أنها ترجع الى سنة ١٠٠٠م (Strzygowski, p. 343)، وكنيسة سان جريجورى بكتشاروش التى شيدت عام ١٠٣٣، وكنيسة شوغاكاث فى خشاونك التى يعتقد أنها ترجع الى عام ١٠٢٨، وغيرها كثير.

ونأتى الآن الى المثال الأول منها فى مصر الإسلامية، ألا وهو البوابات الفاطمية الثلاث بالقاهرة، حيث تمت الاستعانة به كما رأينا فى حمل القبة التى تغطى دركاة باب الفتوح، والقبة التى تغطى دركاة باب زويلة، والحجرة التى تحتل الجزء العلوى من كل من برجى باب النصر. وكلها قباب ضحلة ولها نفس درجة تقوس المثلثات، وكلها من أحجار منحوتة نحتاً متقناً كبقية عناصر البوابات. وكل قبة منها مغلقة فى الوسط بصنجة مفتاحية وحيدة؛ إلا أن ما يميز قبة باب الفتوح وباب زويلة هو أن المثلثات الكروية لها نفس الخاصية التى أشرنا إليها لتونا بالمثلثات الكروية الأولى بالشام، أى زيادة عرض الصف العلوى من الدلاية باتجاه الأطراف. ويمكن ملاحظة وصول هذه التقنية الغريبة إلى أرمينيا حيث تحتوى المثلثات الكروية فى كتشاروش على هذه الخاصية (شكل ١٠٥). وهذه السمة الدقيقة على درجة من التميز تجعلنى على يقين من استعانة بدر الجمالى الأرمنى الأصل ببعض البنائين الأرمن فى تشييد هذه التحصينات الضخمة. ولكن من المحتمل ألا يكونوا بالضرورة مجلوبين؛ فقد رأينا أن الرها كانت قد سقطت فى يد الأتراك السلاجقة فى سنة ١٠٨٦، أى فى العام السابق على البدء فى تشييد أسوار القاهرة وبواباتها وأن المعمارين المسيحيين الثلاثة الذين شيدها كانوا قد أتوا من هذه المدينة كلاجئين بالطبع. وربما لم يكونوا المسيحيين الوحيديين الذين فروا من اديسا بحثاً عن ملاذ لهم فى ظل تسامح الحكم الفاطمى. ولو كان الأمر كذلك فربما وجدوا بنائين أرمن موجودين بالفعل، وبالتالي يكونوا قد وفروا عليهم عناء جلبهم.

ولا نشر على مثلثات كروية أخرى بمصر وحتى العصر التركى إلا فى مواضع قليلة على النحو التالى؛ مسجد الأقمر (٥١٩هـ/١١٢٥م)، برج الظفر (٥٧٢-٥٨٩هـ/١١٧٦-١١٩٣م)، والبرج المجاور له الى الشمال، والقلعة (باب المدرج، ٥٧٩/١١٨٣م)، جامع بيبس الأول (بدركاة المدخل الشمالى الغربى ٦٦٨-٥هـ/٦٧-١٢٧٠م)، وبوابة قصر منجك السلحدار (٧-٧٤٨هـ/٦-١٣٤٧م)، وجامع/ضريح السلطان برقوق وفرج (٨٠٣-٨١٣هـ/١٤٠٠-١٤١٠م)، ومدرسة ضريح قانى باى أمير آخور (٩٠٨هـ/١٥٠٣م)، وجامع الغورى بالمنشية (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م) (٣٢٠). وفى كل من هذه الحالات نجد القبة لها نفس درجة التقوس التى نجدها بالمثلثات الكروية التى تحملها، وكلها من الحجر المنحوت عدا فى حالتى جامعى الأقمر وبرقوق. ولعل القباب الصغيرة بجامع الأقمر ترجع تاريخياً الى ترميم برقوق. وبعد الغزو التركى تصادف كثيراً من

المثلثات الكروية؛ أما القباب المقامة عليها فعادة ما ترتفع بتقوس أكبر.

استخدام الأعمدة كأربطة [ميد]

إن أقدم الأمثلة على هذه التقنية على حد علمي نجده لدى المقدسي الذي يذكر أن جده أبا بكر المعمار استخدمه في بناء بعض المنشآت لابن طولون بعكا، وتعود تاريخيا إلى عام ٤-٢٦٥هـ/٨-٨٧٩م أو ٢٦٩-٢٧٠هـ/٢-٨٨٣م (E. M. A. II, pp. 359-60). وأقدم مثال على هذه التقنية نجده في جزء من أسوار الميناء بالمهدية (لوحة ٢) التي بناها أول الخلفاء الفاطميين وهو المهدي، واكتمل بناؤها في سنة ٣٠٥هـ (٩١٧م).

ولا وجود لهذه التقنية في العمارة الإسلامية بالشام، أو على الأقل ليس هناك نموذج له في أعمال فوكيه أو بتلر، ولم أر مثله في أسفار الطويلة إلى الشام. لكنه كان شائعا بأرجاء الشام في حقبة الغزو الصليبي وما تلاها؛ فنجد بهسقلان وسلمية وشيزر وجبيل والبصرة ودمشق وطرابلس (برج الأسود) وصيدا وبيروت. كما نجده مستخدما بحلب بجامع قيقان وفي مئذنة الجامع الأبيض بالرملة والذي يعود تاريخيا إلى ٧١٨هـ/١٣١٨م) وفي أسوار القدس (ق ١٦). ويذكر سلاطين أنه كان مستخدما في تحصينات هرقله دون أن يذكر تاريخا لذلك. وقد وجدت مثالا غير مسجل على ما يبدو، وهو البوابة الوحيدة الباقية بحمص، الباب المسدود ويرجع تاريخه إلى عام ٦٤١هـ (١٢٤٤م). كما نراه مستخدما بديار بكر في برج يعود إلى عام ٦٣٤هـ (١٢٣٦م).

وفي جبيل يرى رينان (Missions en Phénicie, pp. 159-61) أن هذا الأسلوب ينتمي للصليبيين؛ أما فان برشم فيشكك في أن يكون الصليبيون قد عرفوه مشيرا إلى عدم وجوده في الحصون التي ليس هناك أدنى شك في أصلها (Voyage en Syrie, 106-7). ويبدو هذا الاستنتاج في نظري قابلا للشك، لأن الحروب الصليبية استمرت قرابة مئتي عام كان لكل من الطرفين خلالها تأثير على الآخر في شتى النواحي، وليس من المحتمل أن يظل أي طراز معماري لأي من الطرفين بمنأى عن تأثير الآخر تماما، خاصة في هذا الطراز الذي أدى إلى دعم الأسوار والأبراج ضد المهاجمين. وتأيدا للرأي المضاد، يمكن الاستشهاد بحصن في قيسرية يعتبر أشد الحالات غلوا في استخدام الأعمدة كأربطة (شكل ١٠٦). ولا يمكن أن يكون هذا من عمل هيرود، لأننا نعلم من جوزيف أن حصنه بنى من أحجار بطول ٥٠ قدما وعرض ١٨ قدما وعمق ٩ أقدام (Survey of Western Palestine, 13)، كما ينسبه المقرئزي (السلوك، ط زيادة، ج١، ص ٥٢٦) إلى الصليبيين في قوله أن يبيرس اتجه إلى قيسرية، فلاذ الأهالي بالقلعة التي كانت تسمى «الخضراء»، وكانت من أروع حصون الشام وأشدّها استحكاما. ويضيف أن الفرجة نقلوا أعمدة جرانيتية إلى هذا المكان ووضعوها مستعرضة في الأسوار بحيث لا يخشوا عليها من الانهيار. وهنا نجد إشارة محددة للصليبيين في الاستعانة بهذا الأسلوب.

ولا نجده بعد ذلك في مصر إلا بجامع الصالح طلائع (٥٥٥هـ/١١٦٠م) وجامع يبيرس (٥-٦٦٨هـ/٦٧-١٢٧٠م)، ولكن كما رأينا، يمكن ملاحظة استخدامه بصورة أكبر في أسوار الاسكندرية قبل تدميرها.

العقد نصف الدائري

بعد هذا الشكل من العقود بالإضافة إلى العقد الأفقي الذي يستخدم بغرض استبعاد العقد المدبب تماما، أشد حالات الخروج على القاعدة في القاهرة الفاطمية، حيث لم يكن معروفا قبلها باستثناء جامع الأزهر والحاكم. وعلى الرغم من شيوعه في الشام قبل الإسلام كما نرى لدى كل من فوكيه وبتلر اللذين سبقتا الإشارة إليهما، إلا أنه لم يستخدم بعده، لأن الشكل المدبب كان قد ظهر لتوه قبل ذلك في قصر ابن وردان (١-٥٦٤هـ). وفي

العصر الإسلامي تم استخدام العقد المدبب في مسجد دمشق الجامع (٨٨-٩٦ هـ / ٧٠٥-٧١٥ م) وفي قصير عمرة (٩٣-٩٦ هـ / ٧١٢-٧١٥ م) وفي حمام الصرخ (٢٥-٧٣٠ م) وفي قصر الحير (١١٠ هـ / ٧٢٨ م) وفي المشتى وقصر الطوبة (٥-١٢٦ هـ / ٣-٧٤٤ م) وفي صهرج الرملة (١٧٢ هـ / ٧٨٩ م). ثم مضت فترة زمنية بلغت ٢٥٠ عاما قبل ظهور العقود المدببة قليلا والحاملة للقباب بالمسجد الأقصى، والعقد الشمالى منها يحمل نقشا تذكاريا بتاريخ ٤٢٦ (١٠٣٥ م). إلا أن العقد نصف الدائرى كان هو القاعدة فى أرمينيا الى أن جاء عصر هذه الحصون؛ ونراه حاليا حتى فى الآثار الإسلامية المعاصرة كجامع أنى الذى يؤرخ بذى القعدة ٤٦٥ (يوليو ١٠٧٣). لذا فاستخدامه فى هذه الحصون يعد دليلا آخر على التأثير الأرميني.

الأعتاب المقوسة

أو العقود المنحوتة من مدماك واحد، وقد شاع استخدامها فى هذه الحصون وتعد من أبرز سمات العمارة المسيحية بشمال الشام. ويقدم بتلر فى *Architecture and Other Arts* أمثلة على منشآت تنتمى الى القرن الرابع فى ربيعة، وفى منشآت تعود الى القرن الخامس فى مشبك وسرجبله وكفير وسرير وبانقفور وبنقوسة ودير سايتا، وفى أعمال القرن السادس بخربة حسن وبحيو وديحس وبامقة وباقرحا ودارقيطا وكوكتايا واغريبات وخربة تيزين وبابسقا وحاس. ولدينا من القرن السابع مثال فى كنيسة سان سيرجيوس فى بابسقا وترجع الى عام ٦١٠/٦٠٩ م (Butler, Ancient Architecture in Syria, Part 1: Northern Syria).

العقود المنحوتة فى نقطة التقاء مدماكين

يبدو أن هذا النمط من العقود نادر نسبيا، فلم أتمكن من العثور على نماذج له سوى ما أورده بتلر فى خربة الخطيب بيت للتعديد يرجع الى عام ٥٣٢ م (ص ٢٠١-٢٠٢). عقود بمنحنيات خارجية بعضها أفقى وبعضها مدرج ونجد نموذجا لها فى القرن الخامس بالكنيسة الشرقية ببابسقا وترجع الى عام ٤٠١ م؛ أما القرن السادس فنرى مثالا لها بالكنيسة الغربية فى باقرحا وترجع الى عام ٥٠١ م، وكنيسة سان سيرجيوس بدارقيطا وترجع الى عام ٥٣٧ م.

حنايا على هيئة أنصاف قباب بصنجات مروحية

كان الغرض من هذه التقنية كما يشير تشيوسى هو الحيلولة دون التعدى على العقد الأمامى للحنية. ويقدم تشيوسى أمثلة فى الشام وهى القصر الملكى فى مسميا بليجا، والقصر الملكى فى سنمين بحوران، وهناك مزيج من النسقين -الأفقى والمروحي- فى سبالاتو (٧٤-٥) (L'Art de bâtir chez les Byzantins).

حنايا على هيئة أنصاف قباب صغيرة للغرض الزخرفى

وهى سمة ثابتة فى العمارة الرومانية سواء فى الأقاليم الشرقية أو الغربية ولا حاجة بنا لإيراد نماذج عليها. ونجدها فى العمارة الإسلامية فى وقت مبكر فى عام ١١٠ (٧٢٩ م) بقصر الحير.

أعتاب ذات كتل عاتقة على شكل إسفين

هناك مثال عليها ربما يرجع الى القرن الرابع فى بانقفور (Butler, 78-79)، ومثال آخر فى بابسقا بكنيسة سان

سيرجيوس ويرجع الى عام ٦٠٩/٦١٠ م (ص ٢٦١-٢١٨).

حليات متصلة

تعتبر الحليات التي تنعطف بصورة متكررة بزوايا يمنى سمة من سمات العمارة في شمال الشام قبل الإسلام.

الصنج المعشقة

على الرغم من ندرة استخدامها إلا أنها عرفت في أرجاء الامبراطورية الرومانية من قرطبة وحتى حدودها على الفرات.

تقاطع الأقبية الاسطوانية المرتفعة

نجد هذه السمة في برج الدرج الكبير المؤدى الى منصة باب النصر وفي برج الدرج الصغير المؤدى الى أسفل من نفس المنصة الى المجاز الدفاعي. كما نجده في الشرفة التي تعبر باب الفتوح (شكل ٨٨). ويبدو أن هذا الأسلوب تم اقتباسه عن الشام في يزنطة بالقرن السادس حيث ظهر في قصر ابن وردان باعتباره سمة جديدة تماما ولم تكن معروفة قبل ذلك في تلك البقاع. يقول يتلر عن برج درج الكنيسة (٥٦١-٥٦٤م):

«برج الدرج نسق من الأقبية شديد التعقيد. فقد تمت تغطية كل قبة سلم باسطوانة بسيطة تحمل قبة السلم فوقها.

وعند كل بسطين كان هناك قبر متقاطع يستقبل أطراف الاسطوانات المتحدرة؛ أما البسطات التبادلية فلم تكن بها أقبية

متقاطعة، وفيها تم الجمع بين قبوين اسطوانيين متحدين متقاطعين لا عن طريق إسقاط أحدهما تحت الآخر، بل

الائنين معا بشكل شديد التعقيد» (Butler, Ancient Architecture, p. 33)

أما عدم قدرتي على الاستشهاد بمثال بسيط في الشام على هذا الأسلوب المعماري بين هذا النموذج وبين بوابات القاهرة فلا أهمية له نظرا لندرة الآثار بين ٧٥٠م ومطلع القرن الحادي عشر.

المخدات المتلاصقة (٣٢١) في باب الفتوح

وهي تمثل مشكلة؛ فمع أنها أقدم النماذج المعروفة إلا أنها موجودة بمصر؛ في حين أن النماذج الخمسة التالية تاريخيا نجدها بالشام. ولا نجد هذه السمة مرة أخرى بمصر لمدة مئتي عام تقريبا، ثم نجد النماذج الأربعة التالية حين زاد التأثير الشامي كما سنرى فيما بعد.

في ظل هذه الظروف، أجدني أميل الى الاعتقاد بأن المخدات المتلاصقة بباب الفتوح ونظيراتها في كنيسة الضريح المقدس (وهي أقدم النماذج الموجودة بالشام) مقتبسة عن أصل شامي. ولا تصبح هناك أهمية لعدم وجود نماذج في الشام أقدم زمنا من باب الفتوح كما رأينا من حيث الفجوة الكبيرة التي تناهز ثلاثة قرون في مجموعة الآثار الشامية، وهي فجوة تبدأ بأواخر القرن الثامن وتستمر حتى النصف الأول من القرن الحادي عشر. والنماذج الشامية الخمسة المشار اليها هي:

١. كنيسة سانت آن بالقدس (شكل ١٠٧) والتي شيدت في حوالي عام ١١٣٠ تقريبا (بعد أن انخرطت جوديث ابنة بالدوين الثاني في ملك الرهينة بالدير الملحق بها عام ١١٣٠)؛

٢. كنيسة الضريح المقدس-المدخل الرئيسي والمدخل الغربي (مصوران بكتاب فوكيه، ص ٢٤٤)- والتي اكتمل بناؤها عام ١١٤٩؛

٣. معمدانية الكنيسة بجيبيل، النصف الأول من القرن الثاني عشر (Vogué, 374-5)؛

٤. مدخل سقاية الملك العادل أبي بكر [وهي المعروفة بالكأس] بالقدس، ٥٨٩هـ/١١٩٣م (Van Berchem,)

٥. المدخل المؤدى الى مسجد ضريح علاء الدين بقونية، ويرجع تاريخه الى عام ٦١٦ هـ (١٢١٩ م)، والنقش موجود على الضريح لكنه ينطبق أيضا على المسجد).
- والتماذج الشامية التالية من حيث الترتيب الزمني هي:
٦. سقيفة مشهد أبى هريرة فى يينا (٦٧٣ هـ/١٢٧٤ م Survey of Western Palestine , Memoirs, II, 442-3)
٧. مئذنة الجامع الأبيض بالرملة (٧١٨ هـ/١٣١٨ م، Van Berchem, Inscriptions Arabe, III. pp. 479-80)
٨. الممر الثلاثى الشرقى (موازين باب الحطة) على الضلع الشمالى من منصة الصخرة بالقدس وعليه نقش باسم السلطان الناصر محمد بتاريخ ٧٢٦ هـ (١٣٢٦ م، Van Berchem, Jerusalem , 120-3)
٩. المكتبة الخالدية بالقدس.
- والتماذج غير المؤرخة هي:
١٠. ممر يؤدى الى برج بصفورية؛
١١. مئذنة جامع الخضرة بنابلس، ونوافذ الطابق العلوي؛
١٢. ممر أضافه المسلمون بالطرف الشرقى من كنيسة الصليبيين بغزة؛
١٣. ممر مسجد صغير بخربة دير ألكسيس واثان من القرن السادس عشر؛
١٤. بوابة صهيون؛
١٥. بوابة سان ستيفن بالقدس.
- والتماذج الأربعة الأولى فى مصر بعد باب الفتوح هي:
١. المدخل الرئيسى لجامع يبيرس؛
٢. مئذنة ضريح السلطان قلاوون (٦٨٣ هـ/١٢٨٤ م)، حنايا نوافذ الطابق العلوى عدا واحدة؛
٣. مئذنة مدرسة سلار وسنجر الجاولي، حنايا النوافذ؛
٤. خانقاه السلطان يبيرس الجاشنكير (٧٠٩-٦ هـ/١٣٠٩-٦ م)، مدخل.
- وقد بنيت كل هذه الأبنية فى وقت كان فيه النفوذ الشامى قويا. ويمكن أن تستمر السلسلة على النحو التالى:
٥. ضريح على بدر القرافى (٧٠٠-٧١٠ هـ/١٣٠٠-١٣٠١ م)، مدخل؛
٦. مسجد منجك اليوسفى (٧٥٠ هـ/١٣٤٩ م)؛
٧. ضريح الأمير أنس [يونس الدوادار] (٧٨٣ هـ/١٣٨٢ م)، عقد الإيوان المهشم؛
٨. مارستان السلطان المؤيد (٨٢١-٨٢٣ هـ/١٤١٨-١٤٢٠ م)، عقد كبير على الطرف الشمالى من النفق.

الدروع الواقية على باب النصر

هذه الدروع كما رأينا فى نمطين مستدير وعلى شكل طائرة ورقية. وكلا النمطين كانا مستخدمين فى العصور الوسطى. وكان الدرع الأفرنكى مستديرا وشديد التحذب عادة، ولم يصبح على شكل طائرة ورقية إلا حين عم استخدام الخيل فى الحرب. وكانت قبائل الفايكنج تستعين بالدرع المستدير، وكذلك فعلت معظم الأجناس التيونونية الأخرى. ولم يبدأ استخدام شكل الطائرة الورقية إلا فى القرن العاشر، واستعان به الانجليز فيما بعد. وفى أوروبا الغربية، فى حوالى عام ١٠٥٠، كان الدرع ذو شكل الطائرة الورقية قد طفى على الدرع المستدير فى الفروسية، وظل الأخير قاصرا على المشاة. وكان آخر من استعان بالدرع المستدير هم الدنماركيون الذين يروى

أنهم كانوا لا يزالون يستخدمونه حتى عام ١١٧١ في دبلن. وكان الدرع ذو شكل الطائرة الورقية مازال حديثا لدى النورمان بالقرن الحادى عشر. واستعان البيزنطيون بكلا النمطين. ويتضح من صورة لثيودور بقيسرية ترجع لعام ١٠٦٦ ومحفوطة بالمتحف البريطانى وجود فارس مسلح برمح ودرع مستدير. وفى مخطوط لسكاليترز محفوظ فى مدريد نجد لوحة من المنمنمات تصور حصار القسطنطينية، جنود الحامية على الأسوار وفى أيديهم دروع على شكل طائرة ورقية. لذا فإن لدينا ما يبرر القول بأن الدروع التى نراها على باب النصر تمثل النمطين اللذين شاع استخدامهما لدى جيش الرومان.

العنصر الزخرفى المستخدم فى الدروع المستديرة

كان هذا العنصر التعبيرى موجودا فى عصر ما قبل الإسلام بالشام. وهناك نموذج مؤرخ فى فسيفساء أرضية بكنيسة سان كوزماس وسان دميان بجرش، وكانت قد صنعت فى فبراير ٥٣٣ (انظر Crowfoot, Church at Jerash)، وهناك نموذجان آخران غير مؤرخين هما: (١) على الباب الغربى من كنيسة حماة التى تعرف باسم الكنيسة العظمى وتحولت الى مسجد فى سنة ١٥هـ (٦٣٦م)؛ (٢) فى سلمية على تاج عمود عثرت عليه البعثة البلجيكية عام ١٩٣٧، وهو حاليا بالمتاحف الملكية للفنون والتاريخ ببروكسل. وتم اكتشاف نموذج رابع قرب القدس فى فسيفساء الأرضية التى بقيت من الكنيسة البيزنطية (شكل ١٠٩)، ويرى هاملتون أنها ترجع الى القرن السادس (Hamilton, Byzantine Church at Mukhmâs, Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine , 1, 103-4).

وهناك نموذج خامس فيما يسمى «بيت النحات» فى بطرسة بشمال الشام، والاختلاف الوحيد به هو أن الجامة تضم سبعة فصوص (شكل ١١٠) بدلا من ستة، وأن هذه الفصوص تكونت بشرط متصل كما هو الحال بمدينة البندقية. وينسب دى فوكيه هذا البيت الى الفترة بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين (La Syrie Centrale , p. 89 and pl. 43).

كما نجد هذا العنصر الزخرفى فى آسيا الصغرى على لوح إغلاق بكنيسة كويميسيس فى نيكايا. وينسب وولف هذا اللوح الى الفترة بين القرنين الخامس والسادس؛ وعلى تاج عمود من المغنيسيوم على الهيرموس؛ كما وجد طريقه الى تونس فى العصر الرومانى حيث نراه فى فسيفساء أرضية محفوظ حاليا بمتحف باردو (شكل ١١١) وفى أرضية من الفسيفساء وجدت فى بليين.

وفى النصف الأول من القرن التاسع، ظهر هذا العنصر فى كنيسة سان مارك بالبندقية على ألواح إغلاق الشرفة (شكل ١١٢) وعلى تيجان أعمدة ركن التريل (شكل ١١٣)، وهى تشبه نظيراتها بباب النصر من حيث أنها نحتت على سطح منحنى. وبنيت البازيليكا الحالية بسان مارك على يد دوج دومينيكو كونتارينى (١٠٤٣-١٠٧١م) الذى بدأ بناءها -حسب قول كاتانيو- عام ١٠٦٣، إلا أن كاتانيو أوضح أن هذه القطع من البازيليكا الأصلية التى شيدها دوج جوستينيان پارتيسيپاتسيو عام ٨٢٩ بعد وصول جثمان سان مارك.

ثم يظهر هذا العنصر بعد ذلك على ألواح الإغلاق بالفواصل الأيقونى بكنيسة سان لوك الأكبر حجما بفوسيس (شكل ١١٤)، وعلى الفاصل الأيقونى بالكنيسة الأصغر بنفس الدير (شكل ١١٤ ب). وقد شيد هذا الدير حسبما ورد بمخطوطين يرجعان الى القرن الثامن عشر على يد الامبراطور رومانوس الثانى وأتمه فى عام ٦٤٧٤ «بتاريخ خلق العالم»؛ أو ٩٧٤ ميلادية (الأرجح ٩٦٦)، أى بعد ثلاث سنوات من وفاة رومانوس. وهناك أخطاء أخرى تتعلق بالتقويم الزمنى بالمخطوطين. ويحدد ديل (Deihl) تاريخ هذا الدير بأوائل القرن الحادى عشر،

وهو ما استقر عليه رأى كل من شولتز وبارنسلى (The Monastery of Saint Luke of Stiris in Phocis, pp. 15-16). كما يظهر هذا العنصر كحلية لكوشة عقد على قطعة رخام بكنيسة سان ساقيور بالقسطنطينية والتي شيدها الامبراطورة ايرين (١١١٨-١١٤٣م). ونجده ببارمو على شكل جامة بين عقدي منور الكنيسة بالكاتدرائية التي بنيت بين عامي ١٣٠٧ و ١٣٨٠.

كما وجد هذا العنصر طريقه الى الفن الإسلامي بفضل معماري الرها الثلاثة الذين استعانوا به في زخرفة الدروع على باب النصر. وبعد سبعين عاما، نجده يعاود الظهور على واجهة جامع الصالح طلائع (٥٥٥هـ/١١٦٠م) على نافذة الغرفة التي تشغل الركن المجاور لباب زويلة. وقد تم استيعابه ودمجه تماما في الفنون الإسلامية ويظهر على شكل ثمانى الفصوص على وعاء برونزي كان ضمن مجموعة مارتن، لكنه حاليا ضمن مجموعة سار، وقد وضع على خلفية غنية (شكل ١١٥). وتتكون هذه الفصوص من شريط متصل كما هو الحال في النموذج الموجود في بطورسة والذي سبق الحديث عنه. وبما أننا نقصينا هذا العنصر التعبيري عبر تسعة قرون، يمكننا الآن أن نقول إنه كان في الأصل شاميا وأنه وجد طريقه الى الفن البيزنطي ثم الى الفن الإسلامي من بعده.

زخرفة العقد الأمامي بباب الفتوح

والنموذج المماثل الأقرب الى هذه الزخرفة والذي تمكنت من العثور عليه موجود على تاج عمود بكنيسة العذراء بميفارقين (شكل ١١٦)، وترى جيرترود بيل أنه يرجع الى أواخر القرن السادس الميلادي.

الحشوات ذات العقود المروحية الشكل بباب زويلة

وهي مجرد نموذج من سلسلة طويلة تبدأ منذ ما قبل الإسلام.

١. طيسفون: [المدائن] تبدأ السلسلة بالطرف الخارجي من القبو الكبير لطاق كسرى الذي انهار لكنه كان مزخرفا بها إبان زيارة ديولافواي في سنة ١٨٨١ (L'art antique de la Perse, v. pl. vi). وبعد إتمام القبو تم نحت الحافة الخارجية الآجرية لكي تشكل نوعا من الأوراق النباتية والقرنة.

٢. أخيزر (٧٧٨م؟): عولجت مجازات أبواب جامع القصر بهذا الأسلوب من الداخل، وكذلك الحشوات المعقودة التي تكون الطابق الثاني على الجانب الشمالي من بهو الشرف.

٣. سامراء: عولجت نوافذ المسجد الجامع الذي تم بناؤه في سنة ٢٣٧هـ (٨٥٢م) بهذا الأسلوب من الداخل.

٤. سامراء: قصر العاشق (٢٦٤-٢٦٩هـ/٨٧٨-٨٨٢م)، الحشوات المعقودة تزخرف الأسوار الخارجية.

٥. حلب: بعد النماذج المذكورة لأعلم شيئا عن وجود نماذج أخرى الى أن نصل الى المئذنة الحجرية الرائعة بمسجد حلب الجامع، وتشغل الحشوات (شكل ١١٧) الطابق الثالث منها. وكانت بداية بناء المئذنة حسب قول ابن الشحنة في عام ٤٨٢هـ (١٠٨٩م) وتمت في عام ٤٨٣هـ (١٠٩٠م). ويؤكد على التاريخ الأخير نقش على قمة الطابق الرابع. لذا فهي معاصرة تقريبا لباب زويلة حيث كانت قد تم بناؤها قبل عامين من إنشائه.

ملخص

رأينا الآن أن هذه البوابات وذلك الجزء من السور الذي ينتمي اليها مرتبطة بدرجة وثيقة من حيث البناء

والزخرفة بعمارة شمال الشام وأرمينيا وبين الرافدين الشمالية. ويمكن تلخيص التشابه فيما يلي:

البناء

- الأبراج المربعة
- مثلث كروي
- استخدام الأعمدة كأريطة [ميد]
- العقود : نصف دائرية
- منحوتة من مدماك واحد (أعتاب مقوسة)
- منحوتة عند نقطة التقاء مدماكين
- بمنحنيات خارجية مدرجة
- بصنح معشقة
- أعتاب ذات كتل عاتقة على شكل إسفين
- أقبية اسطوانية مرتفعة متقاطعة (وهو أمر صعب بالنسبة للمعمار)

الزخرفة

- مخدات متلاصقة
- دروع على باب النصر
- صنح محارية مروحية
- عنصر تعبيري يزين الدروع المستديرة
- رؤوس ثيران على كوابيل باب الفتوح
- وكل هذه السمات تمثل تأكيداً أثرياً لرواية المقرئ بأن المعمارين الثلاثة كانوا من الرها (اورفا) وتنفي النظرية القبطية للدكتور بتلر والتي لم تجد من يؤيدها.

المصادر والمراجع

- | | |
|--|------|
| مفضل بن أبي الفضائل، النهج السديد | ١٣٥٨ |
| القلقشندي، ج٣، ص ٣٥٣-٣٥٥ و ٣٦٤ | ١٤١٢ |
| المقرئ، الخطط، ج١، ص ٣٧٧ | ١٤٢٤ |
| أبو المحاسن، ط جوينبولز، ج٢، ص ٤١٣ | ١٤٥٨ |
| الإسحاقى، تاريخ، ص ١٢٠ | ١٦٢٢ |
| c. 1208 ABU SALIH, <i>Churches and Monasteries of Egypt</i> , Evetts' text, p. 65; transl., pp. 151-2. | |
| ١٢٧٨ ابن ميسر، ط ماسيه، ص ٢٩ | |
| 1657 THÉVENOT, <i>Relation historiqued'un Voyage</i> (Paris, 1665), p. 238. | |
| 1697 MORISON, <i>Relation historiqued'un Voyage a Jérusalem</i> (Toul, 1704, pp. 134-5 | |
| 1692-c 1708 MAILLET, <i>Description de l'Égypte</i> , pp. 209-10. | |
| 1737 POCOCKE (Richard), <i>A Description of the East</i> , I, pp. 29-30 and plate XIII A. | |
| 1747-51 FOURMONT (E.), <i>Description des plaines d'l léioplis et de Memphis</i> , pp. 181-3 | |

- 1761 NEIBUHR (C.), *Voyage en Arabie*. (1776 ed), I, pp. 87-8 and Tab XIII.
- 1799 CASSAS, *Voyage Pittoresque de la Syrie*, III, pl. 76.
- 1801 MAYER (Luigi), *Views in Egypt*, p. 47 with plate.
- [1801] GROBERT (J.), *Description des Pyramides de Ghizé*, p. 138.
- 1881 JOMARD, in the *Description de l'Égypte, État moderne*, II, pp. 668 and 771-3, and Planches, I, pls. 46-7; Panckoucke's ed., XVIII, pp. 299-301 and 523-8.
- 1814 ALI BEY EL AL ABBASI, *Voyage*, pl. LXIX.
- BERTON DE LA MARTINIERE (J. B. J.), *L'Égypte et la Syrie*, III, pp. 78-9.
 الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١، ص ١٩٢، ١٣٦، ١٥٩، ١٨١، ١٨٧، ١٩٦. ١٨٢١
- 1834 ST. JOHN (J. A.), *Egypt and Mohammed Ali*, II, p. 316.
- 1839 COSTE (Pascal), *Architecture arabe ou Monuments du Kaire*, p. 43 and pls. LV-LVII.
- 1839 MAYER (H. de), *Tableau de Genre*, pl. VII.
- TAYLOR (Baron), and L. REYBAUD, *La Syrie, Égypte, & c.*, pp. 253-5 with 2 plates.
- 1840 HAY (Robert), *Illustrations of Cairo*, Plates XII and XV and relative text.
- 1841 BROCCCHI (G. E.), *Viaggi in Egitto*, II, pp. 424-5.
- 1848 MARCEL (J. J.), *Égypte*, p. 206 and plate 18.
- 1849 ROBERTS (David), *Egypt and Nubia*, III, 1st, 3rd and 4th plates.
- 1851 POOLE (Mrs. S.), *The Englishwoman in Egypt*, I, pp. 137-8.
- 1852 BIDA (Alex), and E. BARBOT, *Souvenirs d'Égypte*, 15th plate (Bab an-Nasr).
- 1853 LAORTY, I, *Égypte*, pp. 255-6.
- 1857 LIBAY (Louis), *Aegypten, Reisebilder aus dem Orient*, Taf. 11.
- 1871 CASTELLAZZI, *Ricordi di architettura orientale*, tav. 31, and relative text.
- LACOUR (Raoul), *L'Égypte, d'Alexandrie a la seconde Cataracte*, p. 136.
- 1872 LENOIR (Paul), *Le Fayoum*, pp. 26-7.
- 1877 PRISSE D'AVENNES, *A'Art arabe*, Texte, pp. 75-9, 161-4 and figs. 6-10, pl. III.
- 1882 KAY (H. C.), "Al-Kahirah and its Gates," *J.R.A.S.*, 1882, pp. 243-4.
- RHONE (A.), in the *G.B.A.*, 2me pér., t. XXV, p. 148.
- 1883 GIRARD (B.), *Souvenirs s'une campagne dans le Levant*, pp. 243-4.
- HUGONNET (Léon), *En Égypte*, pp. 227-9.
- VAUJANY (H. de), *Le Caire*, pp. 222-5.
- [1883] WILSON (Sir Chas.), *Picturesque Palestine*, IV, p. 140 and woodcut on p. 132.
- 1884 ARTIN (Yacoub), "Bab Zoueyleh et la mosquée d'el-Moéyed". *Bl.E.*, 1883, pp. 128-32, 139-40, and 147-52.
- LANE-POOLE (Stanley), *Social Life in Egypt*, pp. 8-9 and frontispiece.
- 1886 KAY (H. C.), "Inscriptions at Cairo and the Burju-z Zafar," *J.R.A.S.*, 1886, pp. 82-4.
- 1887 BÉchard (E) and PALMIERE (A.), *L'Égypte et la Nubie*, pl. XVI (reversed).
 ١٨٨٩/٨ على مبارك، المخطط الجديدة، ١، ص ١٥.
- 1891 BERCHEM (M. van), "Notes d'archéologie arabe," *Journal Asiatique*, 8me sér., t. XVII, pp. 446-78.
- 1892 LANE-POOLE (Stanley), *Cairo: Sketches of its History, Monuments and Social Life*, p. 7 with 1 illus.
- 1893 KELLY (R. Talbot), *Egypt*, pp. 37-8 and pl. 13.
- 1894 BERCHEM (M. van), *Corpus Inscriptionum Arabicarum--Égypte*, I, pp. 56-62 and 707-8, and pls. XVII-XIX.
- 1894-7 CASANOVA (Paul), "Histoire et description de la Citadelle du Caire," *M.M.A.F.C.*, VI, pp. 524-53 and pl. 11.
- 1895 GROFF (Florence), *Guide du Caire et ses environs*, pp. 9-11.
- 1896 FRANZ (Julius), *Die Baukunst des Islam*, 2te Aufl., Fig. 93.

- LANE (E. W.), *Cairo Fifty Years Ago* , pp. 29-30 and 38-43.
- 1898 HERZ (Max), in the *Comité de Conservation, Exercice, 1897* , pp. x-xii and pl. XII.
- 1899 WORDSFOLD (W. B.), *The Redemption of Egypt* , pp. 93-5, with 3 plates.
- 1901 LANE-POOLE (Stanley), *A History of Egypt in the Middle Ages* , pp. 152-3 and figs. 32-3.
- 1903 FRANZ (Julius), *Kairo* , pp. 19-21, with 3 illus.
- 1906 HERZ (Max), *Catalogue* , 2me éd., pp. xxxix-xl, 7, and 42.
- 1907 MARGOLIOUTH (D. S.), *Cairo, Jerusalem & Damascus* , pp. 20-21 and 22.
- SALADIN (H.), *Manuel d'Art Musulman, I, L'Architecture* , pp. 104-7 and figs. 60-62
- TYNDALE (Walter), *Below the Cataracts* , pp. 39-42 and 92.
- 1909 LAMPLOUGH (A. O.), and R. FRANCIS, *Cairo and its environs* , pp. 10 and 14-20.
- 1910 BERCHEM (M. van) and J. STRZYGOWSKI, *Amida*, pp. 21-2, 306-8, and Abb. 257.
- RHONÉ (Arthur), *L'Égypte a petites journées* , 2me éd., pp. 42-5 and 354-61, with 3 illus. and illus. on p. 46.
- 1913 TODD (J. A.), in E. du Cane, *Banks of the Nile* , pp. 58-9.
- 1914 RIVIORA (G. T.), *Architettura musulmana* , pp. 183-4 and figs. 153-5.
- [1915] BALIAN (Garò), *L'Égypte et l'architecture arabe* , pp. 77-9, with 3 illus. [in Armenian].
- 1917 DEVONSHIRE (Mrs. R. L.), *Rambles in Cairo* , pp. 20-24 and 67, with 1 plate and 6 illus.; 2nd ed., pp. 17-18 and pls. X-XI.
- 1919 CRESWELL (K. A. C.), "Brief Chronology," *B.I.F.A.O.*, XVI, pp. 53-7 and fig. 1.
- 1922 PATRICOLO (A.) and U. MONNERET DE VILLARD, *The Church of Sitt Barbara* , p. 42 and figs. 23-5.
- 1923 HERZFELD (F.), *Die Ausgrabungen von Samarra: Der Wandschmuck* , p. 17, Abb. 9, and Taf. XXII.
- TARCHI (Ugo), *L'Architettura e l'arte musulmana* , pp. 9-10, tav. 29 and 31-2, and 3 figs.
- 1924 BRIGGS (M. S.), *MUhammadian Architecture in Egypt and Palestine* , pp. 72-3, 187, and figs. 31-4.
- 1925 DEVONSHIRE (Mrs. R. L.), *Quatre-vingts Mosquées* , p. 12 and pls. VII-IX.
- QUIBELL (A. A.), *A Wayfarer in Egypt*, pp. 86-7.
- 1926 RICHMOND (E. T.), *Moslem Architecture* , pp. 93-7 and figs. 28.
- 1931 CRESWELL (K. A. C.), in Ross (E. D.), *The Art of Egypt through the Ages* , p. 64, and pls. 268-71.
- HAUTECOEUR (L.), "De la trompe au 'mukarnas," *G.B.A.*, 6me pér., t. VI, pp. 38-9 and fig. 8.
- 1932 HAUTECOEUR (L.) and G. WIET, *Les Mosquées du Caire* , pp. 232-9 and pls. 27-34.
- 1936 WIET (G.), *Répertoire chronologique d'Épigraphie arabe* , VII, pp. 237-9, and XI, pp. 264-5.
- 1939 MAHMUD AHMAD, *Concise Guide to the principal Arabic Monuments in Cairo* , pp. 71-2 and figs. 9-11.
- 1942 WIET (G.), "Nouvelles inscriptions fatimides," *B.I.É.*, XXIV, pp. 149-55 and pls. III-VII.
- 1943 HERZFELD (Ernst), "Damascus: Studies in Architecture," *Ars Islamica*, X, pp. 32-4 and figs. 47, 49 and 50.
- [1947] MARÇAIS (Georges), *L'Art de l'Islam* , p. 74, and pl. XIX.

جامع بدر الجمالي بجزيرة الروضة

(٤٨٥هـ / ١٠٩٢م)

لم يعد هذا الجامع قائما، لكنه كان لا يزال موجودا وفي حالة جيدة إبان الحملة الفرنسية، وترك لنا مارسيل (٣٢٢) الوصف الواضح والدقيق التالي ومعه تخطيط له (شكل ١١٨) :

... لدى مغادرة المقياس، وصحنه تتجه يسارا مرة أخرى في الصحن الكبير وتجد إلى الغرب من هذا البناء جامعا يحتل ركن الجزيرة بأكمله في مواجهة الجزيرة. وقد بنى هذا الجامع بأمر من الخليفة المستنصر بالله ووزيره أبي نجم بدر الجمالي.

يقع مدخل الجامع المستقل عن المقياس والذي عرف باسمه في أقصى الطرف الجنوبي من الصحن الكبير لهذا الأثر، وهو الصحن المشترك بينه وبين المنشآت الأخرى المحيطة به، وبه سلم مزدوج من ١٥ درجة عرض كل منها ٢٥ سم وطولها متران، ويؤدي إلى المدخل الرئيسي.

وفوق هذا الباب نجد لوحا حجرياً عرضه ٦٧ سم وارتفاعه ٩٠ سم منقوشا عليه نقش قرمطي ثان. وعند دخولنا الجامع (شكل ١١٨) نجد أنفسنا في شرفة مربعة الزوايا تدعمها أعمدة وتحيط بالجامع على جوانب الأربعة؛ وهذه الشرفة الداخلية مفردة على الجانبين الشمالي والجنوبي، ومزدوجة على الجانب الغربي، وثلاثية على الجانب الشرقي. ويبلغ عدد الأعمدة أو الدعامات التي تدعم سقف هذا الجامع ٣٨ عمودا، أربعة منها دعامات زاوية. والأعمدة المستطيلة الموازية للدعامات ناتئة من الجدران، وعددها ٢٢. ويبلغ سمك الدعامات ٨٠ سم؛ وتبرز أنصاف الدعامات مسافة ٤٠ سم عن واجهة الجدار. والمسافات بين الأعمدة وكذلك عرض الشرفة الشمالية ٢٠٥٠ م. ومن بين الشرفات القائمة على الجانب الغربي يبلغ عرض الشرفة المجاورة للسور ٢٠٦٠ م؛ أما الشرفات الداخلية على نفس الضلع وكذلك الشرفات على الضلع الشرقي فيبلغ عرضها ٥ م، وعرض الشرفة الجنوبية ٢٠٤٠ م. والجدار الشرقي للجامع مشترك بينه وبين المقياس ويفصل بينهما. والصحن الكبير المشترك بين المقياس وملحقاته الأخرى يحده الجدار الشمالي. والجدار الجنوبي وجزء من الجدار الغربي يقعان على النهر، وتفصل المياه منحدر الجدار الذي تقوم أساساته عليه.

وعلى الضلع الجنوبي تقع الحنية التي تسمى قبة [المحراب] والتي تحدد الاتجاه إلى مكة حيث يتجه المسلمون حين يؤدون الصلاة. وقد وضعت هذه الحنية في فجوة كبيرة يقصد بها أيضا أن تضم المنبر الذي تلقى منه الخطبة؛ وإلى يمين الحنية وعلى نفس الواجهة هناك أربع فجوات أقل عمقا، ثلاث منها إلى اليسار وواحدة فقط إلى اليمين. وعلى نفس ضلع هذه الحنية هناك سبع نوافذ تنير الجامع؛ وضعت اثنتان منها إلى اليمين وخمس إلى اليسار؛ وهذه النوافذ مفتوحة على النهر. وهناك نوافذ أخرى بالجدار الغربي. وعلى الواجهة الخارجية من هذا الجدار -بمواجهة الجزيرة- وضع نقش قرمطي ثالث. ويبلغ ارتفاع الجامع ٦ م حتى السقف. وملحق به على الضلع الجنوبي مثذنة متوسطة يبلغ ارتفاعها ٢٤ م.

وقطعة الأرض المثلثة بين جزء من الجدار الغربي من الجامع والنهر تشغله منشآت مختلفة يتصرف فيها خدام هذا الجامع. ويبلغ عرض المنشأة الرئيسية منها ٦ م وطولها ١٠٤٠ م، وارتفاعها ٣٠٥٠ م. وعند مغادرة هذه القطعة من الأرض نجد إلى اليسار بالصحن الكبير مدخلا معقودا يؤدي إلى سلم به حوالي ١٨ درجة نهبط منها إلى حافة الفرع الأسفل من النهر. ومن سلالم هذا الدرج والتي تغطيها المياه في موسم الفيضان، كان الناس فيما مضى يقيسون مناسيب النيل على اختلافها؛ ولا يزالون يراقبون تقدم مراحل الفيضان منها لأن دخول المقياس محظور على الجمهور.

تم العثور على النبي موسى عند هذه السلالم طبقا لما ورد بالتراث الشعبي لأهل الشرق ... (Description de l'Égypte, État moderne, II, 156-8)

ويمكن أن نضيف إلى الوصف السابق أن السقف -طبقا لقول فسكاونت فالنسيا- كانت تدعمه أعمدة كورنثية من الرخام الإيطالي (ج-٣، ص ٣٧٥). وانهار الجامع حوالي عام ١٨٣٠ على أثر انفجار بمصنع البارود الذي كان قد أقامه باسكال كوست بمحاذاته في سنة ١٨٢٠. وعندما شيد قصر المانسترلي (٣٢٣) في سنة ١٨٥١، كان الجزء الشرقي منه هو موقع الجامع. وحين تمت إزالة هذا الجزء منذ ما يقرب من ١٥ سنة وجدت المداميك السفلية للجامع سليمة، وبالتالي أمكن تدقيق تخطيط مارسيل.

ومما يؤسف له أن رواية المقرئ التي تنص على أن السلطان المؤيد قام بهدم هذا الجامع في رجب ٨٢٣ (يوليو ١٤٢٠) وقام بتوسعته بعد أن ضم إليه موقع بعض البيوت المجاورة إلا أنه توفي قبل إكماله (الخطط، ج-٢،

ص ٢٩٧) تلقى بظلال من الشك على الجزء الفاطمي من الجامع الذي كان مارسيل قد رآه، ولو أن هناك ثلاثة نقوش لبدر الجمالي مسجلا عليها أنه بنى في سنة ٤٨٥ (١٠٩٢م) وكانت لانتزال على جدرانه.

ملحوظة

رؤوس الثيران على كواويل باب الفتوح

هناك رؤوس ثيران صغيرة تزين ستة مداميك ارتكازية، اثنان منها في الغرب وأربعة بالرواق الشرقي بمسجد ديار بكر الجامع. والرأسان الأولان مؤرخان بتاريخ ٥ (٩١٠) و ٥١٨ هـ (١١٢٤م) والأربعة الآخرون بتاريخ ٥٥٩ هـ (١١٦٣م). صحيح أن هذه التواريخ لاحقة على باب الفتوح ولكن بما أن الواجهتين المعنيتين تضمنان مواد أعيد استخدامها ذات تاريخ أسبق، فقد رأيت أن أصور واحدة من رؤوس الثيران هنا (شكل ١٠٠).

وأنتهز هذه الفرصة لكي أؤكد على الجزء الوحيد الفاطمي في هذه البوابات الثلاث هو الأرابسك الذي نجده على هذه الكواويل وألواح السقوف بينها (لوحات ٦٥ ج، ٦٦ أ، ب) والجامات الأرابسك على قمم الحشوات على برجى باب زويلة (لوحة ٧٢ ب)، والجامة على الصنجة المفتاحية بقبو المنطرة (لوحة ٧٦ ب) أعلى الممر الكبير.

الفصل الثاني عشر

وزارة الأفضل شاهنشاه

وفاة بدر الجمالى وتولى ابنه الأفضل خلفاً له

توفى بدر الجمالى الوزير القوى للخليفة المستنصر فى ربيع ١٠٩٤م وخلفه ابنه الذى اتخذ الأفضل لقباً له. وتوفى المستنصر فى أواخر العام نفسه (١٨ ذى الحجة ٤٨٧هـ / ٢٩ ديسمبر ١٠٩٤م)، ولما كان خليفته صبياً فى الثامنة عشر، فقد حظى الأفضل بنفس النفوذ الذى كان لأبيه.

محراب الأفضل بجامع ابن طولون (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م)

وصفه

فى حرم جامع ابن طولون [أى مقدم الجامع]، نلاحظ أن الواجهة الخارجية للدعامة الكائنة الى يمين العقد الأوسط فى البائكة الثانية من الصحن مزينة بمحراب جصى شديد الإتقان ارتفاعه ٣,١٥م وعرضه ٢,١٨م (لوحتان ٧٧، ١١٦ ب).

فى منتصف الجزء السفلى، نجد إطاراً مكوناً من عقد مدبب ويرتكز على زوج من الأعمدة الصغيرة بتيجان ناقوسية [كأسية] الشكل. ويتكون العقد من شريطين كوفيين متوازيين بينهما حلقة محدبة، ويدور هذا التكوين الثلاثى بزوايا يمنى ثم يجرى من جانب الى آخر أفقياً لمسافة قصيرة الى أن يلتقى بحاشية مكونة من شريطين متداخلين يشكلان سلسلة على شكل الرقم (٨). وبين كل من العمودين وبين هذه الحاشية هناك حشوة بتصميم محورى مكون من أنصاف مراوح نخيلية. والمسافة بين الأعمدة الصغيرة تكاد تملأ حالياً من أية زخارف، لكن هناك شرفة صنعت فى أغسطس ١٩٠٣ وهى محفوظة حالياً بالمتحف العربى [الفن الإسلامى بالقاهرة] تنم عن أن هذه المساحة كان يشغلها ثلاثة أسطر من الحروف الكوفية الكبيرة وضعت فى إطار معقود يمكن رؤية آثار منه (لوحة ٣٦ ب). وسنرى أن هذه نقطة فى غاية الأهمية.

ويحيط بطبلة العقد الرئيسى صف من اللآلىء ومحشو بتصميم متركز على قمته هلال مقلوب وفوقه عنصر تعبيري ذو ثلاث وريقات نباتية بمروحة نخيلية مسننة وطويلة تثبت من تحته يميناً ويساراً. وكوشات العقد محشوة بنمط بسيط من السهام العريضة المتشابكة فى وسطه رقعتان مستديرتان خاليتان من الزخارف وما تبقى من عقدتين مخروطيتين وهو ما نجده فى المحراب الرئيسى بجامع ابن طولون (٢٦٥هـ / ٨٧٩م)، وفى ضريح السيدة عائكة (اللوحة ٨٠ ج)، وفى المحارب الجانبية بإخوة يوسف (لوحة ١١٨ أ)، وفى مشهد السيدة رقية (لوحتان ١١٩، ١٢٠ أ)، وفى ضريح محمد الحصواتى (لوحة ٨٨ ب).

وعلى قمة العقد هلال، وفوقه نقش كوفى رائع على أرضية مكونة من تداخل مثلثات متساوية الأضلاع تتجمع بحيث تشكل مسدسات ويحيط بها من أعلاها ومن أسفلها جزء من الحاشية على شكل سلسلة من الرقم (٨) والتى ذكرناها منذ قليل. يلى ذلك شريط عريض من الزخارف المتقنة، ثم الحافة العليا من الحاشية على شكل سلسلة من الرقم (٨). ويتوج هذا التكوين الذى وصفناه نقش كوفى منفذ على ضلع مسطح يبرز بمقدار ٥ سم من السطح. ويحيط بالتكوين كله على جوانبه الثلاثة نقش كوفى رائع خلفيته محشوة تماماً بمحاليق وزهور تثبت من الحروف. ويفتقر النقش الكوفى الذى سبق ذكره من هذه السمة. وفى النهاية، هناك حاشية زخرفية ضيقة تجرى على طول الحافة الخارجية. أما النسب فيلاحظ: (أ) أن نسبة الارتفاع الى العرض

تبلغ ٢:٣ تماماً، وهى نسبة شائعة فى العمارة العباسية، (ب) أن القمة الداخلية للعقد الرئيسى تكاد تكون فى منتصف التكوين كله تقريباً، (ج) أن نسب الجزء الذى تحيط به الحاشية الخطية الكبيرة تبلغ ١:٢، وكذلك النسبة بين العمودين الصغيرين.

تاريخ المحراب

يحمل النقش الكبير الذى يشكل الحاشية الخارجية اسم الخليفة المستنصر؛ ولا يحمل تاريخاً، الا أنه نظراً لذكر اسم الوزير الأفضل شاهنشاه، فمن المرجح أنه تم تنفيذه فى سنة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) لأنه خلف أباه بدر الجمالى فى النصف الأول من نفس السنة، كما توفى المستنصر بذى الحجة من نفس السنة. اذن علينا أن نعتبر تنفيذه قد تم فى أواسط ٤٨٧هـ (Van Berchem, Notes, 487). ويعد هذا المحراب الوحيد فى القاهرة الذى يحمل نقشا تاريخياً باستثناء محراب السلطان لاجين على الدعامة التالية الى اليسار.

الأصول المعمارية

يختلف تكوين هذا المحراب المكون من اطار معقود داخل عقد كبير (الشكل ١١٩) عن أى محراب آخر فى العصر الفاطمى، وهو مايسهل الاستدلال عليه بالرجوع الى اللوحات من ١١٤ الى ١٢١ التى تبين تتابع المحاريب. ونبدأ الآن فى دراسة المحاريب الفارسية.

يرجع الفضل الى الزيادات العديدة التى أضيفت فى السنوات الخمس عشرة الأخيرة فى معرفتنا بالعمارة الفارسية، ويمكن الآن التعرف على تتابع تطور المحاريب الفارسية على النحو التالى:

١. نايبين. المسجد الجامع (الشكل ١٢٠)، النصف الثانى من قرن العاشر.
٢. يزد. دوازده امام (الشكل ١٢١)، ٤٢٩هـ (١٠٣٧م).
٣. بوزان. امام زاده شاهزاده كزار (الشكل ١٢٢)، ٥٢٨هـ (١١٣٤م).
٤. قزوين. مسجد الحيدرية (الشكل ١٢٣)، النصف الأول من القرن الثانى عشر.
٥. زواره. المسجد الجامع، ٥٥١هـ (١١٥٦م).
٦. اردستان. المسجد الجامع، المحراب الرئيسى (الشكل ١٢٤)، ٥٥٥هـ (١١٦٠م).
٧. ابركوه. ضريح پير حمزه سبزویش (الشكل ١٢٥)، القرن الثانى عشر.
٨. كاشان. جامع ميدان، ٦٢٣هـ (١٢٢٦م).
٩. فرامین. إمام زاده يحيى، ٦٦٣هـ (١٢٦٤م).
١٠. اصفهان. المسجد الجامع، ٧١٠هـ (١٣١٠م).
١١. مرند. الضريح، ٧٣١هـ (١٣٣٠م).
١٢. همدان. علویان، القرن الثانى عشر أو أوائل الرابع عشر.

من إجمالى المحاريب الاثنى عشر المذكورة هناك ما لا يقل عن تسعة محاريب مسطحة وتتكون من اطار معقود وضع داخل اطار معقود أكبر، من ثم، فهى جميعاً تعد نماذج أصيلة على هذا النمط. والاستثناءان الوحيدان، وهما يزد وبوزان، يتكونان فى الأولى من فجوة معقودة مستطيلة وضعت فى فجوة معقودة خارجية أكثر ضخامة، وفى الأخرى من حشوة معقودة خلف فجوة معقودة ممائلة فوقها حشوة تضم ثلاثة أسطر من نقش، ووضعت جميعاً فى إطار خطى خارجي.

من الواضح إذن أن تكوين محراب الأفضل متأثر جزئياً بالأسلوب الفارسي. وهو المحراب الوحيد بمصر

الذى يمكن وصفه بذلك، وهو ما يعد بمثابة ضربة أخرى تقوض دعائم النظرية الشائعة عن وقوع العمارة الفاطمية تحت سيطرة التأثير الفارسي.

المشهد فى أسوان

وصفه

يعتبر هذا المشهد الذى يتوج قمة تل فى مواجهة فندق كترأكت أهم أثر بجبانة أسوان نظرا لتمييزه على غيره لا بسبب حجمه وبنائه المتقن، بل أيضا بسبب دلاياته ورقبته بأضلاعها المسطحة بدلا من أن تكون مقعرة، ولا تنحني الى الخارج عند الأركان (شكل ١٢٦، لوحات ٧٨، ١١٠، هـ). وهو ينتمى كما يؤكد مونييريه (ص ٣٦) الى العمارة المعاصرة للعاصمة [القاهرة] ولا صلة له بالمدرسة التقليدية المحلية. وتسبقه سقيفة ثلاثية العقود (A) من الآجر المحروق تواجه الغرب ومساحتها 8.57×2.21 م ويغطيها قبر اسطوانى. ويمكن الدخول الى هذه السقيفة من الشمال أيضا، إلا أن الطرف الآخر مغلق بحجرتين إحداها ذات قبر اسطوانى صغير (B) يكاد يكون مفتوحا تماما من ناحية الغرب، والأخرى (C) تقع خلفها ومدخلها من الخارج (ويقل ارتفاعه أقل من متر)، لكنه لا يتصل ببقية المبنى.

وهناك باب فى الوسط تحت السقيفة ويفتح على حجرة (D) مساحتها 2.50 م مربع تقريبا ومغطاة بقبة. وهناك باب الى اليسار يؤدى الى حجرة ذات قبر اسطوانى (E) مساحتها 2.26×2.44 م، ويؤدى الباب المواجه الى ما كان سيصبح حجرة بنفس المساحة لولا أن احتل مكانها درج السلم المؤدى الى السقف (وقد اختفت القبة الأولى من هذا السلم). وهناك باب على البسطة الثانية. يؤدى الى حجرة صغيرة بنيت فوق الغرفة المستطيلة (C).

وإذا عدنا الى الحجرة المربعة (D) نلاحظ وجود باب ذى عقد منكسر ومسدود فى وسط الضلع الشرقى، وهو يؤدى الى صحن (F) مساحته 7.64×8.76 م وبه شواهد على منصات مرتفعة قليلا، ولكن للوصول الى هذا الصحن حاليا لابد من المرور عبر الملحق (G) الذى يضم بابا يفتح عليه على الركن الشمالى الشرقى. ثم نجد أن جانبيه الشمالى والجنوبى تحدهما جدران بسيطة يبدو أنها بنيت من الآجر الطينى بشرفات بسيطة مستديرة، وأن جانبه الجنوبى مكون من واجهة المصلى الثلاثية العقود، وعقداه الجانبيان أصغر كثيرا من العقد الأوسط (لوحة ٧٨). والعقد الأوسط نصف دائرى وبصنع مفتاحية من الحجر المنحوت ويرتكز على عضادات من الحجر المنحوت، أما العقدان الجانبيان فهما مديان ومن الآجر. ويتكون هذا الحرم الذى يرتفع عن الصحن بـ ٢٥ سم من بائكة مركزية على جانبيها بائكتان مستطيلتان تفتحان عليه بعقود منكسرة. وهذه البائكات مسقوفة بأقبية اسطوانية مستديرة تقريبا من الآجر الطينى تجرى من الغرب الى الشرق ويصلها الضوء عبر نافذة ذات عقد مدبب على كل طرف تحت القبو مباشرة.

ترتكز القبة على منطقة انتقال مكونة من أربع مقرنصات (لوحة ١١٢ هـ) تشبه المقرنصات التى نجدها بالجعفرى وعاتكة والشيخ يونس والسيدة رقية، وبينها نافذة على شكل وريقة ثلاثية. وترتكز عليها رقبة مثمنة أضلاعها على خلاف كل ماعداها بالجبانة ليست مقعرة؛ وفى وسط كل ضلع هناك نافذة على شكل وريقة ثلاثية. وفوقها قبة مديبة من الآجر المحروق. والمحراب جهة القبلة تحت القبة شديد البساطة؛ فيه نتوء خارجى مستطيل مما يمكن التأكد منه بدخول البيت المبنى على الواجهة الخلفية. وأمام المحراب نجد بقايا شاهد مهم (لوحة ٧٨ هـ) كان فى حالة سيئة حين رأيته آخر مرة (فبراير ١٩٤٨).

المبنى الملحق به

يتكون الملحق من دهليز أو مجاز طوله ٤,٧٠ م وعرضه ٢,٤٢ م يغطيه قبوان اسطوانيان قصيران جانبيان يتوسطهما قبة محمولة على حنايا ركنية. وجانبه الشرقي مكون من واجهة المصلى الثلاثية العقود أرضيته ترتفع حوالى ٦٠ سم. ومساحة المصلى ٤,٧٣ × ٣,٠٤ م، والفرض منه يتبين من المحراب فى وسط الضلع الشرقي. وعلى خلاف المجاز، فانه يغطيه قبو اسطوانى يجرى من الشمال الى الجنوب بنافذة على الطرف الشمالي.

التحليل

نظرا للتكسية الجصية والملاط، يستحيل فحص البناء، ولكن يمكن رؤية أن بعض أطر الأبواب قد صنعت من الحجر المنحوت بعناية، وصنع بعضها الآخر من الآجر المحروق، وأن الآجر المحروق قد تم استخدامه فى بناء القبة ورقبتها والمنطقة الانتقالية، وكذلك للأقبية الاسطوانية وأطر النوافذ أسفلها، لكن من المستحيل رؤية ما اذا كان هناك فاصل فى المدماك الواصل بين الملحق والمبنى الرئيسى، أو بين المبنى الرئيسى والسقيفة ذات القبو الاسطوانى والحجرتين الناتئتين، ولو أنى مقتنع بأن هذا هو الحال.

تاريخ البناء

يستنتج مونيريه (ص ٥٠-٥١) أنه يحتل مكانة وسطا بين الجيوشى والسيدة رقية، ثم يتحدث عن نقش من أسوان (متحف برلين، القسم الإسلامى) يشير الى جامع بنى هناك عام ٤٩١ هـ (١٠٩٨ م). وهذا النقش الذى نشره فيت (Répertoire, VIII, 38-9) باسم الأمير سيف الدولة أبى منصور خطلة. وظنا منى بأنه قد يتوافق مع الحشوة الغائرة التى تبلغ مساحتها ٢٩×٦٢ سم فوق المدخل الشمالى الغربى، فقد كتبت الى الدكتور كونل فى سنة ١٩٤٨ استأذنه فى الحصول على مساحتها بدقة. فأبلغنى أن مساحتها ٣٠×٥٢ سم، وبذلك فانها لا يمكن أن تكون قد احتلت حشوتنا الفارغة.

على أى الأحوال، هناك عدة سمات تمثل أساما للجدل:

أ. تشبه المقرنصات نظيراتها بالأضرحة الست التى سيرد وصفها فى الباب التالى (عدا اخوة يوسف) ونظيراتها بالسيدة رقية والشبيه؛

ب. نوافذه لا تنقسم الى ثلاث، وهو ما يميزها عن النافذتين الأخريين. وهو أيضا ما يرر لنا أن نعود به الى الفترة من ١١٠٠ الى ١١٢٥ م؛

ج. يشبه تخطيطه تخطيط خضرة الشريفة بدرجة تجعلنا نرجعه الى حوالى عام ١١٠٧ م؛

د. لكن القسمان الجانبيان مقبيان كما هو الحال بالجيوشى بدلا من أن تكون مغطاة بأسقف مسطحة كما هو الحال بالسيدة رقية، وهو ما يرر لنا أيضا أن نعود به الى تاريخ قريب من تاريخ المقرنصات والنوافذ. من ثم فانى اقترح الفترة من ١١٠٠ الى ١١١٠ م تاريخا له.

وبهذا نكون لدينا سلسلة من المشاهد المتشابهة بصورة وثيقة من حيث الأسلوب ومن حيث أنها جميعا قد بنيت فى فترة خمسين عاما: الجيوشى، ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م)؛ فى أسوان، ١١٠٠ - ١١١٠ م [٤٩٤ - ٥٠٤]؛ خضرة الشريفة، ٥٠١ هـ (١١٠٧ م)؛ السيدة رقية، ٥٢٧ هـ (١١٣٣ م) (٣٢٤).

خضرة الشريفة (= مسجد الشريفة؟)

الوصف

يمثل هذا الأثر (لوحات ٧٩، ١١٦ ج، د، هـ، شكل ١٢٧) بناء فريداً من نوعه يقع على بعد ثلث ميل جنوب شرق السبع بنات. ولا وجود له على أية خريطة ولم ترد إشارة إليه في تقارير اللجنة. وهو مستطيل تبلغ مساحته تقريباً ٣٠ × ٢٠ م بكتف بالركن الجنوبي (لوحات ٧٩، ب) بعرض ١,٤٠ و ١,٣٠ م ينتوء يبلغ ٣٦ سم على كل واجهة. لذا فإن أسلوب معالجة الركن تذكرنا بنظيره بجامعة ابن طولون والجيوشي. واختفت الأركان الأخرى للمبنى (لوحات ٧٩ ب، د، هـ). والجدران محفوظة حتى ارتفاع يزيد قليلاً عن ستة أمتار. كان المدخل في نتوء عرضه ٥,٥٠ م على الطرف الشمالي الغربي من الواجهة الجنوبية الغربية؛ وهنا نجد بقايا عقد كبير (لوحة ٧٩ هـ) بنفس الارتفاع عند المنبت، وبنفس المقاييس على ما يبدو، كما هو الحال بالنسبة للمدخل الكبير المؤدى إلى الصحن والعقد الذى يقع بينهما. ويبدو مما تبقى من عقد هذا المدخل أنه كان يتكون من حلقة رفيعة من الصنج التى وضعت مسطحة خارج الحلقة الداخلية من الصنج التى وضعت على الحافة، وهو ما ينطبق أيضاً على كل العقود الأخرى بالمبنى. وكانت تضيء الدركاه (B) نافذة (C) وضعت مرتفعة وتطل على الصحن. وهناك دركاة أخرى (D) لم يكن بحاجة إلى نافذة، وكان يفتح على الصحن بعقد ارتفاعه ٤ م (لوحة ٧٩ ج، د) إذا قيس من مستوى الأرضية الحالية، وعلى حجرة درج سلم (G) بعقد صغير. والأرجح أن درجات السلم كانت تبدأ عند النقطة (H)، لأن هناك كابولى عرضه ٩٧ سم - من المرجح أنه كان يدعم قمة البسطة الأولى - لا يزال من الممكن رؤية الجزء السفلى منه من النقطة (I). وهناك كابولى ثانى وثالث على مستوى أعلى عند النقطتين (K) و (L). وهناك مجاز باب تحت البسطة الثانية من السلم يؤدى إلى (E) التى كان بها قبو اسطوانى يجرى بالطول ولم يتبق منه شئ سوى الالتواء وتخطيط القبو على الجدار الجنوبي الشرقي. والالتواء يفسح المدخل من الحجرة (G) (لوحة ٧٩ د). وكان يتم دخول الحجرة التى تعلو هذا القبو من قمة البسطة الثانية لدرجات السلم عبر الباب (M). ولعل درج السلم كان مفتوحاً إلى السماء، وربما كان للحجرتين الأولىين أسقف مسطحة من الخشب، فليس هناك ما ينم عن وجود منبت قبو على جدرانها. وهناك باب ثان بحجرة درج السلم؛ وكان يؤدى إلى ما يبدو وكأنه حجرة صغيرة يغطيها قبو (لوحة ٧٩ د) يجرى محوره من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، فهناك منبت قبو عال على الضلع الجنوبي الشرقي. ولعل هذه الحجرة كانت مرحاضاً.

يبلغ ارتفاع جدران الصحن ما بين ٥,٥٠ و ٦ م، لكن الزاوية الشرقية وجزءاً من جدار على كل ضلع قد اختفيا تماماً كما يتبين من اللوحة (٧٩ ب)، أعيد بناؤهما مؤخراً. ويبلغ عرضه ١٧,٣٥ م وعمقه ٢٢,٨٠ م حالياً، إلا أن هناك فجوة عند النقطة (Z) تدل على أنه كان هناك جدار يجرى عند هذه النقطة، مما يخفض عمقه إلى ١٥,٤٥ م. وهناك فجوة مماثلة عند (O) تدل على أن الحرم كان يتكون من ثلاث بوائكات أو حجرات (P, Q, R) (لوحة ٧٩ و)، تعتبر الوسطى منها مربعاً مساحته ٦,٤٠ م أضيف إليها محراب مركزي كبير ومحراب آخر مسطح أصغر منه على كلا الجانبين، فى حين أن البائكتين الجانبيتين (أو الحجرتين) أضيف إليهما محراب واحد فقط. وبالمحراب المركزى نتوء خارجى بمقدار متر واحد، أما المحارب الأخرى فليس بها أى نتوء. وإلى أن تمت إزالة بقايا الحجارة منذ خمس سنوات، لم يكن من الممكن تحديد ما إذا كانت البائكات الجانبية منفصلة تماماً عن البائكة المركزية، أم أنها كانت متصلة بها بعقد. ولا مجال لتحديد حجم الفتحات المؤدية من الحرم إلى الصحن، ولا لتحديد وجود تخطيط ثلاثى العقود. ولكن حين تمت إزالة بقايا

الأحجار، وُجد أن الـ ٥٠-٨٠ سم الأولى من هذه الجدران لاتزال باقية، وأمكن قياس عرض الفتحات. وكانت الغرفة ذات القبة تتصل بالصحن والحجرات الجانبية بفتحات عرضها ٢,٦٤ م، وتتصل الحجرات الجانبية بالصحن بفتحات عرضها ٢,٣٠ م. وبالإضافة الى ذلك، تم العثور على قبرين أحدهما عند النقطة (P) والآخر عند (Q)، وكانت بقايا الجزء السفلى من المحراب الأيسر للحجرة (Q) قد تركت مكشوفة ومحتفظة بجزء من زخرفتها الجصية (اللوحة ٧٩ ز).

وكانت حجرات الحرم الجانبية على ما يبدو أسقف خشبية مسطحة كما هو الحال بمشهد السيدة رقية، فليس هناك أى دليل على وجود قبو أو تخطيط لطرف قبو. وبما أن البائكة الجانبية بالحرم مربعة، فربما كانت عليها قبة، وذلك لتشابه تخطيطه مع تخطيط جامع الجيوشى ومشهد أسوان ومشهد السيدة رقية (الأشكال ٧٩، ١٢٦، ١٤٢).

مادة البناء

بنى هذا الجامع بثلاثات جيدة جدا من أحجار المقطم المحلية ذات اللون البنى المائل للاصفرار المبهج، لكن به خطا أبيض. وتتراوح الأحجار المجانية بين ٢٢ و ٣٢ سم من الداخل، وتصل الى ٤٠ سم من الخارج، وتتراوح اللبانات بين ١٥ و ١٨ سم. ومتوسط الصفوف ثمانية بكل متر، وضعت فى حشوة سميكة من الأسمنت. ويضفى صغر حجم المداميك المستخدمة على البناء مظهر البناء الآجري. ويتميز البناء الخارجى بالتكسية الجيدة ورقة طبقات الأسمنت، الا أن الواجهة الخارجية أكثر خشونة، عدا صنج العقود حيث يتميز سطحها بالنعومة والصقل. ولاشك أن البناء من الداخل كان مكسوا أصلا بالجص، وهناك آثار من تكسية غير محددة التاريخ عليه، ولكن ليس هناك أى منها على البناء من الخارج.

وليست هناك عقود منكسرة بهذا البناء، لأن العقود من نوع رباعى المركز قائم على ركائز (اللوحة ٧٩ ج)، وجميعها عدا المدخل الرئيسى الذى سبقت الإشارة اليه مكونة من حلقة من الصنج المرتبة فى لبنات وأحجار مجانية تبادليا وتغطيها حلقة خارجية وضعت مسطحة. وفى المدخل المؤدى الى الصحن، نجد أن الحلقة الداخلية عمقها ٤٢ سم والخارجية ٨ سم؛ وفى المدخل المؤدى الى حجرة درج السلم نجد أن عمقها ١٨ سم؛ وفى المدخل المؤدى الى الحجرة الخلفية ٣٠ سم على التوالي. أى أن البناء يشبه بناء جامع الجيوشى تماما.

هوية البناء وتاريخه

يرجع السبب الرئيسى لاعتقادى بأن هذا المبنى يعد أثرا فاطميا الى أن معالجة العقود تكشف عن طبقة من الآجر مع أنه بنى من الحجر. أى أن الصنج تم ترتيبها فى لبنات وأحجار مجانية تبادليا بدلا من تنفيذها بصورة مباشرة، وتمت تغطيتها بحلقة خارجية وضعت مسطحة. ويعد هذا الأسلوب الغريب دليلا على وجود مرحلة انتقالية من البناء بالآجر الى البناء بالحجر، وهو ما لا وجود له الا فى الآثار الفاطمية المبكرة كالسبع بنات وجامعى لؤلؤة والجيوشى. وتذكرنا الزاوية الوحيدة الباقية فى حالة سليمة بأسلوب زوايا جامع ابن طولون فى حين أنها تختلف عن دعائم الجيوشى. وإذا تناولنا المسألة من زاوية أخرى نشير الى ملحوظة كل من جيست وريتشموند ("Misr in the Fifteenth Century," J.R.A.S., 1903, 811) بأن "كل المباني التى ذكر المقرئى أنها كانت بالقرافة كانت تنتمى الى العصر الفاطمى مع وجود ما لا يزيد عن مبنين أو ثلاثة بنيت بعد عام ١٣٠٠ م وما لا يزيد عن سبعة أو ثمانية شيدت قبل عام ٩٠٠ م. كما يلاحظ أن القرافة الكبرى لا يبدو أنها

كانت تضم مباني مهمة بنيت بها منذ ١١٦٨ م، وهو تاريخ إحراق «مصر» على يد شاور لمنع وقوعها في أيدي الصليبيين بقيادة عموري. وكل هذا يؤيد الاستنتاج الذي تم التوصل إليه منذ قليل.

في كتابنا *Brief Chronology* أطلقت على هذا المبنى اسم «حوش أبو علي» بناء على تسمية فان برشم (*Mémoires de l'Institut Égyptien*, II, 615). وفي أثناء زيارتي بعد ذلك بثلاثين عاماً، كان المبنى المعنى هو المنشأة الوحيدة الأخرى في الحي ويتطابق تماماً مع وصف فان برشم بأنه «أربعة جدران محطمة». ورغم ذلك فلا يمكن أن يكون هو المبنى المسمى «جامع الأولياء» عند علي مبارك (الخطط الجديدة، جـ ٤، ص ٦٢)، لكنه قد يكون هو المشار إليه عنده باسم «الشريفة» والذي يذكر أنه كان يحتوي على محراب كبير تحيط به أربعة محاريب أصغر حجماً، بينما لا يشير إلى المحاريب في معرض حديثه عن جامع الأولياء. كما نرى الآن أن هذا المبنى لا يزال يعرف لدى أهالي البساتين باسم «الخضرة الشريفة»، وهذه التسمية هي الأرجح عندنا لأنها تعيننا على تحديد التواريخ، فقد أدرجت هذا الأثر في النصف الأول من القرن الحادي عشر لأسباب معمارية، في حين أن جامع القرافة كان قد بنى حسب رواية المقرئزي (الخطط، جـ ٢، ص ٣١٨) عام ٣٦٦ هـ (٣٢٥) (٩٧٦ م).

ويتحدث المقرئزي (جـ ٢، ص ٤٥٢) عن مسجد يسمى مسجد الشريفة بهذه المنطقة (٣٢٦)، ويحدد تاريخ بنائه بعام ٥٠١ هـ (١١٠٧ م). ويذكر ابن الزيات «الشريفة الخضراء» بعد السبع قباب مباشرة (الكواكب السيارة، ص ١٧٨)، أي السبع بنات، وهو ما يناسب موقع أثرنا هذا الذي أجدني أميل إلى مطابقته على ما ورد لدى المقرئزي باسم «مسجد الشريفة»، وهو رأى يزيد من تأكيد صحته تشطيب بناء الجدران والعقود والذي يفوق تشطيب السبع بنات وجامعى لؤلؤة والجوشى.

وأغرب سمات هذا الأثر محرابه الثلاثي، وله نموذجان مؤكدان وآخران محتملان في مصر. والمحراب الثلاثي لا يكاد يعرف إلا في مصر. فالمسجد الجامع في فرامين والذي شيد في سنة ٧٢٢ هـ (١٣٢٢ م) لا يحتوي إلا على النموذج الفارسي الذي تم نشره (Sarre, *Denkmäler persischer Baukunst*, 59-64)، ولكن ربما عرف هذا النمط من المحاريب هناك في فترة سابقة، فهناك نموذج له بالهند (التي استقت معظم ثقافتها الإسلامية من الفرس)، وهو ضريح شمس الدين التمش الذي بنى قبل وفاته في سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م (٣٢٧) (Carr Stephen, *The Archeology and Monumental Remains of Delhi*, 103-4).

الفصل الثالث عشر

سنة أضرحة فاطمية متأخرة

الضريح القديم المواجه لخانقاة بيبرس الجاشنكير

وصفه

خلف إحدى ورش النجارة بشارع الجمالية وفي مواجهة خانقاه بيبرس الجاشنكير (٣٢٨)، نجد جزءا من قبة ومنطقة انتقال مثمثة خاصة بضريح صغير ناتئ في الركن الجنوبي. وترتفع أعتاب نوافذ منطقة الانتقال عن أرضية الدكان بحوالى متر واحد. ويمكن دخول الدكان من خلال ثقب تكون نتيجة لإزالة البناء الأجرى لمسافة تقرب متر أسفل النافذة الشمالية الشرقية؛ وإذا أضيف هذا إلى النافذة نفسها، تكون النتيجة فتحة ارتفاعها متران تقريبا وعرضها متر. وليس من الممكن تحديد مستوى الأرضية الأصلية نظرا لتراكم بقايا الأحجار التي يبلغ عمقها مترا على الأقل.

يتكون هذا الضريح الصغير من ثلاثة أجزاء هي: القاعدة ومساحتها حوالى ٣م² من الداخل، لكن ارتفاعها لا يمكن تحديده؛ ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقال ١,٤٩م؛ والقبة أكثر من ١,٥م بقليل. وقد بنى بالطوب الأحمر القائم، مقاس كل طوبة منها ١٩-٢١×١٠×٥,٥ سم؛ ستة صفوف = ٣٨ سم. وأعيد بناء معظم البناء الأجرى بالجزء السفلى من قبل اللجنة. وبنى عارض خشبي مساحته ١٠ سم² على قمة الجدارين الجنوبي الشرقي والشمالي الغربي أسفل النوافذ والمقرنصات مباشرة. وحين رأيت هذا الضريح لأول مرة حوالى عام ١٩١٧، كان العارض الخشبي على قمة الجدار الجنوبي الغربي قد بدأ يميل في ركن من الأركان؛ وأعيد إلى مكانه منذ ذلك الحين.

وكان المدخل الأصلي الذى يبلغ عرضه مترا في وسط الضلع الشمالى الغربى. وفي مواجهته كتلة متأكلة من البناء الأجرى وجزء من عقد مدمج فيها، وهو ما يعد دون شك قطعة من المحراب الأصلي. ويتكون العقد من حلقة داخلية وضعت على حافتها وحلقة غطائية من الآجر وضعت مسطحة، ويبلغ عمق إجمالى الحلقة ٢٦ سم. ونظرا لعدم وجود حلقة داخلية من الآجر توضع مسطحة، فإنه يشبه عقود خضرة الشريفة (لوحه ٧٩). وتأتى قمته أسفل العارض الخشبي المذكور مباشرة.

المقرنصات (لوحه ١١١، شكل ١٢٨)

ثلاث من المقرنصات تشبه نظيراتها في الجعفرى والسيدة عائكة (عدا أن الحنية الوسطى السفلية بها حلقتان من الصنج بدلا من واحدة)، وكذلك النوافذ بينها عدا أن الحواف العليا من أنصاف العقود بالجزء السفلى قد ترد إلى الورا قليلا بدلا من أن تكون رأسية كما هو مبين فى اللوحه (١١١)، وهى خاصية سبق أن لاحظناها فى السبع بنات (لوحه ٣٤هـ). ويبلغ سمك الجدار اذا قيس من النافذة الشمالية ٥٤ سم. والمقرنصة الرابعة التى تقع فى الركن الجنوبى عبارة عن مقرنصة بسيطة تساوى فى ارتفاعها بقية المقرنصات ولو أنها تتكون من صفى حنية؛ وربما كانت ناتجة عن عملية ترميم. ويجب ملاحظة أن الحنية الوسطى السفلية فى كل مقرنصة ليست سوى حنية صغيرة تقل عن نصف المقاس المطلوب لتنفيذ الانتقال بها

وحدها. وعلى كل ضلع من أضلاعها حنية بنفس العرض والارتفاع بنيت بحيث تشكل قمتها كابولي صغيرا.

وهناك مقرنصة ثانية على الدعامات المتقدمة المكونة بهذه الصورة، وبامتداد الواجهة الأمامية لهذه المجموعة يتكون ضلع من مثنى الى أن يلتقى بالجدران الجانبية.

ونظرا لعدم وجود جص، يمكن رؤية الطريقة التي وضع بها الآجر. وتم اختيار النقطتين (A) و (B) (شكل ١٢٨) بحيث أن الخط الواصل بينهما يقطع الأركان عند النقطة المطلوبة لتحويل المربع الى مثنى. وتحتوى صفوف الجزء السفلى من أربع طويات أحد أطرافها مشطوف؛ وهو أمر ضرورى للحنيات على الجانبين. وتتكون الحنية الوسطى من عقدين أحدهما داخل الآخر، وبما أن الطوب قد وضع على ٤٥°، فإن أركانها تبرز أيضا. هناك إذن ثمانى نقاط تبرز عندها أركان الآجر.

ووظيفة الطابق الثانى تغطية المثلث المفتوح عند قمة الصف الأول. وتم استخدام طوبتين بطرف مشطوف للحواف الخارجية للحنية العليا. وتبرز هذه الحواف المشطوفة كما هو موضح، ويرتفع فى الخلف ضلع ناتئ بنفس المسافة عند منبته، ويظل يعتمد الى أن يلتقى بقمة العقد مما يشكل ربع قبو متقاطع.

وفى حالة الضريح الذى ندرسه، فإن B-A تبلغ ١,٢٠ م، C-D = ٥٥ سم، ولا يزيد مقياس الحنية العليا ٤١ سم. ويبلغ ارتفاع كل صف ٦٠ سم؛ بمجموع ١,٢٠ م أى نفس عرض B-A. لذا فإن المزيج الكلى يشكل مربعا مساحته ١,٢٠ م.

وكما هو الحال فى القباب السابقة، نجد أن الواجهات الثمانى لمثنى الانتقال تتكون من أربع مقرنصات تتناوب مع أربع نوافذ بأحجام وأشكال متقاربة، وفى هذا النمط الجديد من المقرنصات نلتقى بالمساحة الوسطى التى تحتلها نافذة على شكل وريقة نباتية ثلاثية بغرض التماثل والتوازن، وقد ورد تخطيطه من قبل. على أى، فهذه الفتحات تفتقر الى أى إطار أوسط يحولها الى نوافذ ثلاثية. وسرعان ماتم تلافى هذا القصور فى مشهد السيدة رقية (٥٢٧هـ / ١١٣٣م) حيث تم دعم النوافذ بإطار أوسط (لوحة ١١٣ أ) وهو أسلوب تم تطبيقه بتنوع منذ ذلك الحين.

أما القبة المصقولة من الداخل والخارج، فبدلا من أن تكون مضلعة كنظيرتها بالسيدة عائكة نجد أنها محمولة على أركان مثنى مكون من دلايات. وتحتفظ بجزء من تكسيته الجصية التى اسودت حاليا من الدخان، وحول قاعدتها يجرى شريط كوفى يحيط به من أعلاه ومن أسفله صف من الحبيبات بين شريطين متوازيين (لوحة ١١١ أ). وبدلا من أن تكون أرضية النقش محشوة بمحاليق تنبت من الحروف كما هو متوقع، نجد أنها مغطاة بصفوف من المثلثات الصغيرة.

ضريح محمد الجعفرى والسيدة عائكة

(١١٠٠ و ١١٢٠م)

يقع هذان الضريحان الصغيران (رقم ٣٣٣ على الخريطة المرفقة) داخل أسوار نفس التكية كمشهد السيدة رقية. ويحتوى الضريحان على قبرى كل من محمد ابن الامام جعفر الصادق وعائكة عمه النبى (لوحة ٨٠). وهما على درجة كبيرة من الأهمية لأنهما يشتملان على الخطوة الأولى من التطور من الحنية الركنية البسيطة الى الدلاية المقرنصة.

ضريح محمد الجعفرى

وهو مكعب صغير من الآجر تزيد مساحته قليلا عن ٣,٨٠م من الداخل وارتفاعه ٣,٠٦م حتى منطقة الانتقال . ويبلغ سمك الجدران ٧٠سم وهى تدعم منطقة انتقال مشمئة من الداخل ومدرجة من الخارج، ونافذة ثلاثية الفصوص فى كل من واجهتيه. ويبلغ ارتفاع هذه المنطقة الانتقالية ١,٧٦م وتراجع الى الخلف بمسافة ٣١سم عن المكعب السفلى. وبين النوافذ نجد المقرنصات المكونة من ثلاث حنيات تعلوها حنية (لوحة ١١١ب). ولهذه المقرنصات أهمية قصوى، لأنها تمثل النموذج الأصلي للمقرنصات المصرية. ونظرا لتكسيثها الجصية، فلا يمكن دراسة الوضع الحقيقى للآجر، سواء فى هذا الضريح أو فى ضريح السيدة عاتكة، كما هو الحال فى الضريح الصغير المواجه لخانقاه بيبرس الثانى حيث نجد مقرنصات مطابقة لهذه المقرنصات ونرى الآجر مكشوفاً. وهذه المجموعات الأربع من الحنيات تدعم أضلاع المثلث وتقطع أركان المربع الذى نقشته فيه. وعلى المثلث وضعت قبة تقطع زواياه. والجزء الأعظم من هذه القبة معاد بناؤه، حيث انهار الجزء الأصلي فى فترة غير معلومة، ولم يتبق منه سوى جزء صغير على الضلع الشمالى الغربى لا يتعدى نصف ارتفاعه. إلا أن باتريكولو (Comité de Conservation, Exercices 1915-19, p. 24) استطاع أن يظل على اقتناعه بأنها كانت تخلو من الضلوع سواء من الداخل أو من الخارج، على خلاف الحال بالسيدة عاتكة.

لم يتبق من الزخارف الأصلية الداخلية سوى بقايا من شريط من الكوفى المزخرف كان يجرى حول قمة الجدران تحت المقرنصات مباشرة. وبقي جزءان من هذا الشريط، أحدهما فى الركن الجنوبى، والآخر فى وسط الضلع الشمالى الغربى.

كان المدخل الأصلي فى مواجهة المحراب كما هو متوقع، إلا أن مجاز الباب لا بد أنه كان مسدوداً حين بنى الضريح المجاور، ولا بد أنه كان مجاز الباب الآخر الذى لا يزال مستخدماً ومفتوحاً بالضلع الشمالى الشرقى (شكل ١٢٩)، وسنصادف حالة مشابهة حين نصل الى دراسة ضريح الصوابى). ولا يزال من الممكن رؤية أسكفة جذع النخلة بمجاز الباب الأول وهى مدمجة فى الجدار. وعلى جانبيه المجاز الأخير هناك عدة قطع من الخشب تبدو حديثة العهد.

ضريح السيدة عاتكة (لوحات ١٨٠، ١٨١، ج)

وعلى الضلع الشمالى الغربى هناك ضريح آخر هو ضريح السيدة عاتكة (رقم ٣٣٣ على الخريطة المرفقة)، وهو يشبه الأول من كل النواحي عدا أنه ليس مربعاً عادياً، حيث يتفاوت طول الأضلاع من ٣,٤٣ الى ٣,٩٠م، وبالتالي فالقبة بيضاوية، إلا أن المقرنصات متطابقة وكذلك الفتحات فيما بينها (لوحة ١١١ء)، لكن القبة من الداخل تختلف، إذ تحتوى على ١٦ ضلعاً (أى ضلعان فى كل جانب من المثلث) تتجمع فى دائرة مركزية مسطحة. كما تختلف من الخارج عن نظيرتها بضريح الجعفرى، فهى مضلعة وتعد أقدم نموذج من نوعه فى مصر (لوحة ١١١هـ) باستثناء قباب أسوان. ويجب أن تعتبر هذه القبة ابتكاراً فاطمياً مجلوباً من شمال أفريقيا، لأن القبة التى تتقدم محراب جامع القيروان الذى ينسب الى أبى ابراهيم أحمد فى سنة ٢٤٨هـ (٨٦٢م) بنيت بنفس الصورة (٣٢٩)، وكذلك القبة التى تتقدم محراب مسجد تونس الجامع الذى يرجع الى عام ٢٥٠هـ (٨٦٤م).

احتفظ هذا الضريح بالجزء الأعظم من زخارفه الجصية التى تدرج تحت ثلاثة أنواع هي: ١. شريط من الكوفى المزخرف يجرى سليماً على قمة الجدران الأربعة تحت المقرنصات مباشرة؛ ٢. الزخارف التى تشكل

إطارات النوافذ الثلاثية الفصوص؛ ٣. المحراب الجميل.

المحراب (لوحتان ٨٠ و ١١٧ ب)

وارتفاعه ٣,٠٤ م وعرضه ١,٧٦ م. ويحيط بعقده نقش كوفى رائع بحاشية من الحبيبات ويجرى على طول حافته الخارجية. ويحدد كل كوشة من كوشات العقد إطاراً مماثل، وتحتل وسط كل منها سرة بأخاديد ملتوية تحيط بها دائرة من الحبيبات، وقد حشيت الأرضية بساق متموج ينبت منه عدد من أنصاف المراوح النخيلية وزوج من المراوح النخيلية الرائعة وضع كل منها فى حلقة مستديرة الى اليمين واليسار بجوار السرة. وتتوج الجميع شريط أفقى من الزخارف المتشابكة تكاد تلامس الحافة السفلية من الشريط الكتابي الكوفى الذى يجرى حول قمة الجدران. وفى الجزء العلوى من المحراب وفى إفريز النقش لاتزال تجاويف الزخارف تحتفظ بآثار الدهان الأزرق مما يجعل التصميم متميزاً.

تاريخ الضريحين

نظراً لأن الزخارف السطحية الداخلية بضريح الجعفرى قد اختفت أو كادت، فانه من الصعب تحديد تاريخه لولا وجود بقايا من الشريط الكتابي الكوفى المزخرف ومقرنصاته غير المألوفة التى تدل على أنه ينتمى الى العصر الفاطمى المتأخر وهو ما يستدل عليه من النموذج الآخر المؤرخ بدقة بمشهد السيدة رقية (٥٢٧هـ / ١١٣٣م) على بعد ١٧ متراً فقط من هذا الضريح. فيمكن الآن تحديد تاريخه بصورة أدق حيث تمت إزالة أجزاء من الملاط والجص من كلا الضريحين فى أثناء أعمال الترميم التى بدأتها اللجنة فى يوليو ١٩١٨. واتضح فى ذلك الوقت أن الجدران الأربعة لقاعدة ضريح الجعفرى كانت كاملة، الا أن ضريح السيدة عاتكة كان قد بنى ملاصقاً له بحيث يشتركان معا فى جدار واحد، والرقبتان المثلثتان اللتان تكادا تتلامسان تشتركان فى سلك هذا الجدار الفاصل (٤٤ و ٣١ سم على التوالي). ولابد أن الباب الكائن فى الضلع الشمالى الغربى من ضريح الجعفرى كان مسدوداً فى ذلك الوقت، وكان محراب عاتكة يحتل مكانه. كما تم اكتشاف نمط غريب من الشرفات على قمة الجدارين الجنوبي الغربى والشمالى الغربى لضريح السيدة عاتكة (لوحة ٨١ ج) ولانصادفه مرة أخرى إلا مرتين فقط. ولابد أن هذين الجدارين كانا يكونان ضلعى حوش صغير كان يشغل ركنه ضريح الجعفرى، وتمت الاستعانة بهما لتكوين ضلعى ضريح آخر بحيث لم يتبق إلا بناء جدار واحد آخر - هو الجدار الشمالى الشرقى - لتكوين قاعدة للقبة. وبهذا كان هناك داع لعدم انتظام شكل المربع. وحين رأيت هذين الضريحين لأول مرة فى سنة ١٩١٧، كان يمكن تمرير عصا من خلال نقطة الالتقاء عند النقطة A حيث لم يكن هناك مدماك من أى نوع وكان يمكن ملاحظة امتداد الجدار المصقول والمكسو بالجص. وبالتالي فالأرجح أنه بنى قبل ضريح السيدة عاتكة.

ومع أن الاحتمال الأكبر أن يكون بناء الضريح الأخير لاحقاً على بناء ضريح الجعفرى للسبب المذكور، إلا أنى أعتقد أنه أقدم من مشهد السيدة رقية نظراً للأسلوب الفريد لقراغات النوافذ بين المقرنصات. ففى المباني التى ترجع الى فترة أسبق، نجد أن الواجهات الثمانية لمثلث الانتقال تتكون من أربع مقرنصات تتناوب مع أربع نوافذ متشابهة فى الحجم والتخطيط (والأمثلة على ذلك جامعا الحاكم - لوحة ١٠٩ - والجيوشى - لوحة ١١٠ أ - وضريح إخوة سيدنا يوسف - لوحة ١١٢ ج). وفى تاريخ لاحق نجد قبائلاً ترتكز على مكونة من ثلاث حنيات متوجة بحنية رابعة، والفراغ بينها تشغله نافذة ثلاثية تم وضع تخطيطها على غرار هيكل المقرنصات

لدواعى التماثل والتوازن (والأمثلة على ذلك ضريحها السيدة رقية ويحيى الشبيه). وفى ضريحى الجعفرى والسيدة عاتكة، نجد أسلوباً أقل تطوراً، حيث نلاحظ أن الأضلاع الأربعة للمثمن والتي تتناوب مع المقرنصات تخترقها فتحات يتطابق تخطيطها مع تخطيط المقرنصات، لكنه يفتقر إلى أى إطار على شكل حرف Y يحولها إلى نوافذ ثلاثية (لوحتان ١١١ ب، ع).

بقيت الحاشية المزخرفة التى تجرى حول إطار النافذة فى حالة جيدة على الضلعين الشمالى الغربى (لوحة ٨١ أ) والجنوبى الغربى لتبين أن النافذة كاملة وأنه لا يمكن أن يكون هناك أى إطار مركزى لها. وتبين اللوحة (١١١ ع) الترتيب الذى يعد الأسلوب المتبع بمشهد السيدة رقية (لوحة ١١٣ أ) تطوراً له لعلاج الخلل الواضح بالنمط الأقدم. وهناك صورة فوتوغرافية تم نشرها والتقطت من خارج ضريح عاتكة حيث وضعت آلة التصوير على أسكفة النافذة المطلّة على الداخل إلى النافذة المقابلة التى تقع فوق المحراب مباشرة والتي تتطابق مع نظيرتها بضريح الجعفرى. كما يمكن رؤية قمة المحراب العارى من الزخارف بالضريح الأخير، وإلى يمينه شريط كوفى ونافذة تشبه فى تخطيطها نظيرتها فى مقدمة الصورة. ونظراً لأن مشهد السيدة رقية مؤرخ بعام ٥٢٧ هـ (١١٣٣ م). فإننا نرى أن هذا الضريح يعود للفترة من ١١٠٠ إلى ١١٢٠ م وهو ما يتفق وزخارف المحراب. أما ضريح الجعفرى الذى بنى ملاصقاً له فلا بد أن يؤرخ بتاريخ أسبق بقليل، وليكن بداية تلك الفترة. ونجد هنا سمة أخرى مساعدة فى هذا الصدد. فحين دونا كتابنا *Brief Chronology* فى سنة ١٩١٩، لم نكن قد لاحظنا أن هناك شرافتين لاتزالان محفوظتين على الضلع الجنوبى الشرقى من صحن جامع الجيوشى (شكل ٧٩، لوحة ٤٨ ب). وهاتان الشرافتان صورة طبق الأصل من الشرافتين اللتين تتوجان الصحن الصغير أمام الجعفرى الذى تم دمجهما حالياً فى ضريح عاتكة. من ثم فإن عام ١١٠٠ م. لا يصبح بعيداً بالنسبة للجعفرى، ولعله أقدم الأضرحة الستة التى ورد ذكرها بهذا الباب.

تطور المقرنصات، الحلقة المفقودة فى القاهرة القديمة [حي مصر القديمة جنوب

القاهرة]

لكن هذه ليست هى المرحلة الانتقالية الوحيدة بين الحنية الركنية البسيطة وبين ما يسمى «الدلاية المقرنصة». والمرحلة الأسبق يبدو أنها قد حفظت فى كنيسة أبى سيفين بمصر القديمة حيث تتركز القبة التى تقع فوق المذبح على النمط الموضح فى الشكل (١٣٠)، كان بوتى هو أول من لفت الانتباه إلى هذه الحلقة المفقودة فى سنة ١٩٣٠ فى *Bois sculptés d'Églises coptes* (ص ٣٠-٣١). ونرى المقرنصة هنا وقد انكمشت فى ركن وعلى جانبيها حنيتان متساويتا الأضلاع، ولكن بدون الطابق العلوى لإحدى الحنيتين. وتشكل كل مجموعة ضلعاً من مثمن متساوى الأضلاع يتكون من أربع مجموعات بكل منها ثلاث حنايا وأربعة أطوال من الجدار الجانبى، ويشكل الجميع منطقة انتقالية. وفى الجدار الذى يقع بين المقرنصات هناك نافذة تتساوى فى الحجم والشكل مع الحنية الوسطى.

أما بالنسبة للتاريخ فيقول صالح (طبعة إيثيت، ص ٤٥) إن كنيسة أبى سيفين تم ترميمها على يد الأب افرام الشامى فى عهد خلافة الإمام العزيز بالله. ويذكر فى موضع آخر أنها تعرضت لأضرار جسيمة فى أعقاب حريق القسطنطين فى سنة ١١٦٨ م، حيث أضرمت الغوغاء النار فيها فلم يبق منها سوى الجدران وكنيسة صغيرة بداخلها نجت من الحريق، وهذه الزاوية كانت مهداة ليوحنا المعمدان، فتم ترميمها وإكمال الحرم وإحلال سقف القباب الخشبية والعقود الآجرية (ص ٤٧). ويضيف قائلاً إن كنيسة مارى جرجس كانت فى

الطابق العلوى من هذه الكنيسة وفوقها قبة عالية (شكل ١٣٠) «عمرها» الشيخ أبو الفضل يوحنا، وإن قبة هذه الكنيسة الصغيرة وهيكلها وجدرانها بقيت سليمة ولم تصب في الحريق (ص ٤٨).

نحن الآن فى حاجة الى تحديد تاريخ كل من الأب أفرايم والشيخ أبى الفضل يوحنا. احتل الأول بحر الاسكندرية حتى عام ٩٧٤م طبقا لقول أبى البركات، أو عام ٩٨٠م حسب رواية كل من المكين (طبعة اربنيوس، ص ٢٤٦) والقلقشندي (ج ٥، ص ٣١٨) والمقرئى (الخطط، ج ٢، ص ٤٩٥). ويستنتج فيت الذى جمع كل هذه المراجع أنه طالما أن كل المصادر أجمعت على احتلال أفرايم للبحر لمدة ثلاث سنوات وذكرت بعض المصادر حدوث معجزة على يديه فى زمن المعز وفى مصادر أخرى فى زمن المعز، فمن المحتمل أنه قد توج قبل وفاة الأخير (١٧ نوفمبر ٩٧٥) وأن بطريركيته استمرت حتى ٩٧٨ (Wiet in Pauty, p. 7).

أما الشيخ أبو الفضل يوحنا فكان كاتباً للأفضل شاهنشاه الذى تولى الوزارة من ١٠٩٤ الى ١١٢١م. وهكذا يمكن إرجاع مقرنصات زاوية مارى جرجس (شكل ١٣١) الى الفترة من ١٠٩٤ الى ١١٢١م حيث وضعت القبة على مقرنصات قريبة من مقرنصات كل من ضريحى الجعفرى وعاتكة، إلا أن الحنية العليا تعد أكثر عشوائية وربما سبقت النمط الإسلامى.

أما مقرنصات القبة التى تقع فوق المذبح، فاتفق مع بوتى على أن حريق ١١٦٨ قد أتى على السقف الجمالونى، لكنه لم يصب كنيسة مارى جرجس ولا القبة التى تعلو المذبح أو مقرنصاتها على الأقل (شكل ١٣٠) وهو ما قد يعزى الى أعمال الأعوام ٩٧٥-٩٧٨م. وهى على أية حال تمثل حلقة مفقودة بين المقرنصة وبين مقرنصات الأضرحة الصغيرة الستة التى ندرسها. وإذا أخذنا كل هذه الحقائق فى الاعتبار، يصبح من المحتمل أن الأقباط خطوا الخطوة الأولى فى تطور الدلاية المقرنصة المصرية (٣٣٠).

ضريح الشيخ يونس

وصفه

على الجانب الشرقى من الطريق الذى يمتد شمال باب النصر عبر جبانة ممتدة هناك ضريح (رقم ٥١١ على الخريطة المرفقة) يعرف بضريح الشيخ يونس (لوحة ٨٢ أ، شكل ١٣٢) ويتميز بقبته التى تعلو على جدران الأحواش المحيطة بها. ونظرا لأسلوب مقرنصاته والنوافذ التى تتخلل المسافات فيما بينها، فمن المرجح أنه ينتمى الى نفس عصر الأضرحة التى تناولناها منذ قليل. إلا أنه أكبر من أى منها، وتركز قبته على رقبة مثمنة وليس على مقرنصات مباشرة. وتتكون بالتالى من أربعة أجزاء بدلا من ثلاثة، أى من مستطيل يبلغ طول كل جانب من الجزء السفلى منه ٤,٤٢-٤,٤٨م وارتفاعه ٤,٠٥م، ومنطقة انتقال ارتفاعها ١,٦١م، ورقبة مثمنة ارتفاعها ١,٦١م، وقبة تضيف ٣,٥٦م الى الارتفاع الكلى للبناء ليصل الى ١٠,٨٣م. ومادة البناء فيه هى الآجر المكسو بطبقة من الجص. ويبلغ سمك جدران الجزء السفلى ١,٢٠م، وسمك جدران منطقة الانتقال اذا قيست من النافذة ٦٨سم، وسمك جدران الرقبة المثمنة ٥٦سم.

منطقة الانتقال

تعد المقرنصات والنوافذ نسخة طبق الأصل من نظيراتها بضريحى الجعفرى وعاتكة. وإلى جانب الرقبة، هناك سمتان جديدتان أخريان هما ١. زوايا الجزء السفلى مشطوفة، والشطف بمساحة متر واحد تقريبا، ٢. زوايا المنطقة الانتقالية مشطوفة أيضا وعلى قمة الشطف نقطة ناتئة مكونة من نصفى عقدين صغيرين يلتقيان

عند الزاوية وهو ما سنلاحظه فيما بعد بضريح محمد الحصري. وبعد الابتكار الثالث - أى النوافذ البيضاوية بالرقبة - سمة تميز العمل الاسطنبولي للنصف الأول من القرن التاسع عشر، ولكن تبين أنه حشو جزئى للنوافذ الأصلية.

وبالداخل محراب بسيط، والزخرفة الوحيدة به عبارة عن نقش كوفى فى الجص يحيط بالعقد ويستمر الى اليمين واليسار حتى يصل الى أركان الحجرة. وهناك زوج من الفجوات الفارغة يوحى بأن هذا المحراب كان على جانبيه زوج من الأعمدة الرخامية الصغيرة. ويبرز هذا المحراب لمسافة ١,٠٨ م من الخارج، وللجزء الناتئ قمة مدرجة منحدره. وأغرب سمات هذا الضريح أسلوب معاملة الدخلات الثلاث التى لا يزيد عمق كل منها عن نصف متر وتحتل وسط الجوانب الثلاثة الأخرى. وتغطيها عقود مدببة، إلا أن الحافة الداخلية للعقد مدورة حين تلامس ظهر الدخلة، وهى محمولة عبر الأركان أسفلها بطريقة تذكرنا بالعديد من دخلات الأخيضر. ويمكن رؤية نماذج طبق الأصل من هذا الأسلوب فى قاعة الدردير وضريح يحيى الشبيه (لوحة ٩٥). وفتحت نافذة خلف الدخلة الشمالية الغربية وباب ثانوى فى الدخلة الشمالية الشرقية.

والدخلة الشمالية الغربية التى كان المدخل الرئيسى فيها على ما يبدو تعرضت للتشوه. ومن الخارج هناك بائكة حديثة عمقها ٤١ سم وعلى جانبيها مسطبتان ويغطيها عقد على شكل ورقة نباتية ثلاثية. ويفتح مجاز الباب الحقيقى الذى يبلغ عرضه ١,١٢ م على الدخلة التى قطع ظهرها بصورة عشوائية بعمق نصف متر وارتفاع ٢,٧٠ م. ولا يقع مجاز الباب على محور الفجوة تماما. كما أن الجدار الخارجى على هذا الضلع يبلغ سمكه ١,٦٥ م، أى أنه أسمك من أى موضع آخر بمقدار ٤٥ سم. ويستحيل فحص بنائه نظرا لوجود التكبسية الجصية، ولكن يبدو أن هناك جدارا للدعم سمكه ٤٥ سم بنى ملاصقا للضلع الشمالى الغربى الأصلى فى فترة ما فى القرن التاسع عشر بالنظر الى أسلوب بائكة المدخل، وربما حدث فى ذلك الوقت ما نشهده من ضرر لحق بظهر الدخلة لإيجاد مجاز باب أكثر اتساعا. ولعل النوافذ البيضاوية الثماني المشار اليها منذ قليل قد تكونت فى نفس تلك الفترة.

تاريخ البناء

من الواضح أن هذا الضريح ينتمى الى نفس الفترة التى تنتمى اليها الأضرحة الثلاثة السابقة الذكر، أى فترة الربع الأول من القرن الثانى عشر، إلا أن هناك عدة ابتكارات منها الأركان المشطوفة بمنطقة الانتقال، كنظيراتها بضريح محمد الحصري، والرقبة المثمنة، مما يبرر لنا أن نضعه الأخير فى الترتيب.

يؤكد حسن أفندى عبدالوهاب (٢٣١) بإدارة المتاحف العربية أنه ضريح بدر الجمالى (٣٣٢) (توفى ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م) بناء على فقرة وردت لدى المقرئى (ج١، ص ٣٦٤) تنص على أنه أول من دفن بالجبانة الشمالية (٣٣٣). وبعد أن دفن فى هذه الجبانة الجديدة لاشك أن ضريحه تلاه العديد من الأضرحة. وينتمى ضريحنا هذا الى تلك الفترة بدون شك، ولكن لا يمكن القول بأن ضريح بدر هو الوحيد الذى بقى من بين كل الأضرحة التى بنيت فى هذا المكان بين ١٠٩٤ و ١١٢٥ م مثلا. كل ما يمكن قوله هو أنه ينتمى الى تلك الفترة، وفى هذه الحالة يستحيل أن يكون أسبق من عام ١٠٩٤ م، ولكن يبدو أنه ينتمى الى أواخر الفترة المعنية وليس الى أوائلها حسب النظرية المذكورة.

ضريح إخوة يوسف

وصفه

فى الجبانة الجنوبية وعلى بعد ١٠٠ م الى الشمال من بقايا جامع لؤلؤة، هناك منشأة غربية تنتمى الى حقب عديدة تعرف باسم جامع إخوة يوسف (رقم ٣٠١ على الخريطة المرفقة). تتجه واجهة هذا الجامع نحو الجنوب الغربى، لكنه لا يقف وحده، فهناك حوش على الجانب الشمالى الغربى بمقابر تعود الى العصر العثمانى وبقايا بيت أزيل نصفه على الجانب الجنوبى الشرقى.

لدى دخولنا من الباب A (شكل ١٣٣)، نجد أنفسنا فى الحجرة B ومساحتها ٣,٧٤ × ٣,١٢ م ويغطيها قبو متقاطع. وإلى يميننا نجد حجرة أوسع قليلا C ومقبية بنفس الطريقة وبها محراب ذو عقد منكسر بوسط جدار القبلة؛ وكل هذا الجزء من الآجر. ومن B يمكن لنا أن نعبّر من خلال D الى جزء من المبنى بنى بصورة شاذة تماما، حيث نجد البائكتين F و G تغطيهما قبتان ضحلتان على مثلثات كروية، والبائكتين I و K يغطيهما قبوان اسطوانيان، والبائكة H يغطيها قبو متقاطع، والبائكة E يغطيها سقف خشبي. وجدران البائكتين I و K بنيت من الآجر وكذلك الدعامة M والعقود a و b و c والقبو الاسطوانى، أما القبتان ومقرنصاتهما والعقدان d و e فبنيت من الحجر وكذلك الدعامة P والقبو الاسطوانى H. كما أن الجدار الذى يحتوى على محرابين صغيرين والبائكة b-c متوازيان تماما، مما يوحي بأنهما جزء من نفس البناء، وكذلك القبو الاسطوانى الذى يرتكز عليهما، لكنه لا يرجع الى نفس التاريخ الذى يرجع اليه الضريح، لأن الجدار الخلفى يمتد مائلا وراءه. وهناك سمة غربية أخرى وهى أن الجدار الفاصل ما بين I و F من C و B متوازٍ تماما مع الضريح.

نستنتج من ذلك أن الجزئين I و K أقدم زمنا من غيرهما، لأن العقود a و b و c هى عقود منكسرة، فى حين أن d و e و f نصف دائرية وتشكل جزءا واحدا من القبتين الضحلتين اللتين وضعتا على مستوى أعلى من العقود المنكسرة بحيث تصنع الدلايات خطا شبه دائرى يتصل بسطح الجدار فوقها. ويدور أن القبو الاسطوانى H يشكل جزءا من نفس البناء مثل F و G، مما يعطى انطبعا بأنه ينتمى الى العصر العثمانى، لأن المقرنصات تنبت من كوابيل مقرنصة، بينما قد تكون I و K فاطميتان. ومن I يمكن لنا أن نمر الى إضافتين لاحقتين هما Q و R وكلاهما بلا سقف حاليا.

وعلى الضلع الشمالى الشرقى من G هناك باب ذو عقد منكسر عرضه حوالى ١,٥ م يفتح على الأثر الذى يهمننا فى هذا الموضع، ألا وهو ضريح إخوة يوسف الذى نمت بجواره تلك المباني المخيرة التى وصفناها لتونا. وهو مربع ذوقبة يبلغ متوسط طول أضلاعه ٥,٧٣ م. وارتفاع ٤,٦٤ م من الأرضية تبرز الجدران بمسافة ٧ سم، ويتم الانتقال على ٤٥ سم. وتنبت عند هذه النقطة المقرنصات نصف الاسطوانية ووعلى هيئة نصف قبة؛ وبين كل زوج من المقرنصات نجد نافذة ذات عقد منكسر ارتفاعها ١,٦٤ م وعرضها ١,٤٤ م (اللوحة ١١٢ ج). وهذه المنطقة الانتقالية التى يبلغ ارتفاعها ١,٩٧ م مربعة من الخارج عدا أن الأركان العلوية مشطوفة حتى ارتفاع ١,٠٩ م، وتظل الـ ٨٨ سم الأولى مربعة.

والرقبة المثلثة التى تتراجع عن الواجهة الخارجية للمنطقة الانتقالية بمسافة ٣٠ سم، يبلغ ارتفاعها ١,٣٥ م وطول الأضلاع ٢,٦٠ م. وبكل واجهة نافذة عرضها ٦٩ سم وارتفاعها ١,١٥ م وليست ثلاثية الفصوص تماما، بل الجزء الأوسط من العقد مدرج كما هو الحال فى السبع بنات (لوحة ٣٤ هـ)؛ وبعض

هذه النوافذ عقود من ثلاثة فصوص. ويبلغ سمك الأضلاع ٥٠ سم إذا قيست من النوافذ، وتقوم القبة على هذه الرقبة المثلثة مباشرة.

وإذا صعدنا إلى الخارج لفحص الرقبة والمنطقة الانتقالية، نجد أن الأخيرة ترجع إلى الخلف مسافة ٣٠ سم عن الواجهة الخارجية على ضلع القبلة، ومسافة ٥٦ سم على الضلع الشمالي الشرقي. وعلى الجانب الشمالي الغربي يتقلص سمك الجدار من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، وهو ما يؤكد على ظاهرة غريبة ظهرت في أثناء رسم التخطيط، وهي أن الضلع الجنوبي الغربي يبلغ سمكه ١٥، ١ م إذا قيس من مجاز الباب، بينما لا يزيد سمك ضلع القبلة عن ٩٠ سم، وهي حقيقة تتأكد بقياسها من خلال النافذة التي تعلو المحراب. ويترب على ذلك أيضا أن الضلع الشمالي الشرقي لا بد أن يكون بنفس سمك نظيره الجنوبي الغربي.

وأغرب شذوذ عن القاعدة يتمثل في المدخل، فهو على خلاف القاعدة المتعارف عليها لا يواجه المحراب، بل يقع على الضلع الجنوبي الغربي. ولا بد أن ذلك يرجع إلى بنائه في مكان كان فيما مضى جبانة مزدحمة حيث لم يكن من الممكن الحصول على موقع يمكن الدخول إليه بحرية من كل الجوانب، أي أن الموقع المتاح لم يكن يسمح بالدخول إليه إلا من جانبه الجنوبي الغربي، كما هو الحال في ضريح السيدة عائكة. وهناك حقيقة أخرى غير متوقعة تكشف بعد إزالة بقايا الأحجار عن جانبه الشمالي الشرقي. فقد وجد أن هذا الجانب الذي يبدأ عند نقطة تبعد بـ ٦٠، ٢ م من الركن الشرقي كان قد بنى ملاصقا تماما لواجهة قديمة من الجرف، ولو أن واجهة الجرف تبعد عنه حاليا بمسافة ٩٠ م بسبب عدة قرون من قطع الحجارة.

المحراب الثلاثي (لوحة ١١٨)

هناك محراب ثلاثي رائع من الجص يشغل جدار القبلة بكامله، يبلغ ارتفاع الأوسط منها ٤،٥ م وعرضه ٢،١٥ م، والمحراب الجانبي ٢،٨٥ × ١،٤٥ م. وللمحراب الأوسط إطار خارجي عرضه ٣٠ سم ويتكون من نقش كوفي جميل به حرفي (لا) مجدولة بإتقان وإطار داخلي عرضه ٢٠ سم من الكوفي الأقل زخرفة، أي ليست به أوراق نباتية أو مراوح نخيلية تنبت من الحروف المفروضة على نمط من الأرضيات يشبه النمط الذي يملأ كوشات العقد بمحراب الأفضل (لوحة ٧٧). وكوشات العقد مملوءة بأوراق نباتية ثلاثية ومراوح نخيلية طويلة وما إلى ذلك مما يشبه زخرفة كوشات عقد المحراب تحت قبة أمام مجاز الأزهر (لوحة ٩٠ ب)، إلا أنها أقل إتقاناً. وتفصل الإطار الخارجي عن زخرفة كوشات العقد حاشية ضيقة تشبه الحاشية المحيطة بأحد محارب خضرة الشريفة (لوحة ١١٦ ج). ويتوج الجميع إفريز مجدول بإتقان ينحني إلى الأمام قليلا. وتبين الفجوات الفارغة على كلا الجانبين أن العقد المنكسر كان ينبت فيما مضى من زوج من الأعمدة الرفيعة.

وبالمحاربين الجانبيين إطاران خارجيان من خلال امتداد شريط نقشي يحيط بالمحراب الأوسط. وبعد أن يؤطر هذا الشريط المحراب الأيمن يلتف مرتين بزوايا يمينى ثم يجرى حول المحراب الأوسط وفي النهاية حول المحراب الأيسر. ويفتقر المحرابان الجانبيان إلى إطار خطي داخلي، وكوشات العقد بهما، وهي صغيرة جدا، عولجت بأسلوب مختلف، فتحتل كلا منها سرة بأخاديد ملتوية. وهناك عمود صغير بتاج على شكل ساعة وبدن مزخرف بحليات على شكل دالات صنع من الجص على كل من جانبي المحاربين الجانبيين.

تعد المحارب الثلاثية شديدة الندرة (ونحن نفرق بين المحارب الثلاثية والمحارب المنفصلة الثلاثة التي نجد مثلها في أضرحة أم كلثوم ورقية والشبيه ومدرسة السلطان الصالح)، إذ ليس هناك سوى نموذج واحد لها بمصر فيما يسمى بضريح مصطفى باشا [رباط أزدمر الصالح] الذي بنى في الفترة من ٦٦٦ إلى ٦٧٢ هـ.

(١٢٦٧-١٢٧٣م) باستثناء خضرة الشريفة و ضريح الإمام الشافعي ويضم كل منهما ثلاثة محاريب متقاربة لدرجة أنها ربما كانت متصلة بعضها البعض بإطار كوفي لتشكل محرابا ثلاثيا قبل اختفاء زخرفتها الجصية. تاريخ البناء

في الجدار المقابل للمحراب تم دمج شاهد قبر بثمانية أسطر من الكوفي تنتهي بعبارة: «هذا قبر ابراهيم بن اليسع بن العيس من ذرية ابراهيم». ويعود فيت بهذا النقش الى عام ٤٠٠هـ (١٠٠٩م، *Répertoire d'Épigraphie arabe*, VI, p. 73). وربما لم تكن له صلة بالضريح الحالي الذي ينتمي بكل تأكيد الى فترة لاحقة بقرن من الزمان. وهناك سمتان تمثلان أساسا لتحديد تاريخ القبة القائمة على رقبة ومقرنصات وزخارف المحراب. ونجد مقرنصات شبيهة بهذه في جامع الحاكم (٣٩٣هـ/١٠٠٣م) والسبع بنات (٤٠٠هـ/١٠١٠م) والجيوشي (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) وتظهر بعدها المقرنصة المكونة من حنية على ثلاث. وبعد ذلك هناك نموذجان آخران على استخدام المقرنصات في العصر الفاطمي - القبة الكائنة عند المدخل المؤدى الى مجاز الأزهر (لوحة ١١٣ ج) وضريح محمد الحصواتي (لوحة ١١٣ هـ). لكن المقرنصات في هذين الأثرين أطول كثيرا وليست بها رقبة، مما يحدو بنا الى ضم ضريحنا هذا الى مجموعة النماذج الثلاثة الأولى المذكورة لولا أن الأركان العليا للمنطقة الانتقالية مشطوفة. وتظهر هذه الخاصية لأول مرة باستخدام مقرنصات حنية واحدة على ثلاث (الجعفرى وعائكة وغيرهما)، وهو ما يبرر لنا أن نرجع بتاريخ ضريحنا هذا الى ما بعد ١١٠٠م.

إن دراسة المحراب الجصى تقودنا فى نفس الاتجاه، فقد رأينا أن به خصائص تشبه العناصر الموجودة بمحراب الأفضل (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) وبمحراب فيلخضرة الشريفة (٥٠١هـ/١١٠٧م) وكوشات عقد المحراب تحت القبة بمقدمة مجاز الأزهر الذى يحتمل أن ينتمى الى عهد الحافظ لدين الله (٥٢٤هـ/١١٣٠م). وإفريزه المجدول أكثر إتقاناً من نظيره بمحراب السيدة عائكة، لكنه يشبه أفاريز المحاريب الخارجية بالسيدة رقية (٥٢٧هـ/١١٣٣م). ومن ناحية أخرى، فهو يفتقر الى الحواف المحارية التى نراها بضريح أم كلثوم (٥١٦هـ/١١٢٢م) والمحاريب الخمسة التالية فى الترتيب الزمني، أى بأضرحه كل من السيدة رقية، الحصواتي، الشبيه، أبى منصور إسماعيل [نربة الثعالبة] والخلفاء العباسيين (انظر، *Brief Chronology*, XVI, 75-76). نستنتج من ذلك أن التاريخ المحتمل لضريحنا هذا هو أواخر الربع الأول من القرن الثانى عشر.

الضريح الفاطمى بقوص

بنى أحد أجمل أضرحة العصر الفاطمى ملاصقا للضلع الشمالى الشرقى من مسجد قوص الجامع وقريبا من ركنه الشرقى، ويكمن جماله فى قبته ومنطقة انتقالها، ولأن الأساس له مظهر مشوه وغير مستقر (لوحة ٨٥، شكل ١٣٤).

أساس القبة

إن البناء من الداخل بعيد كل البعد عن الشكل المربع، اذ يتراوح طول الأضلع بين ٢,٨٠ و ٣,٠١م (شكل ١٣٤). ويبلغ الارتفاع اذا قيس من الحافة السفلية من منطقة الانتقال ٤,٩٠م؛ وبالتالى فهو أقرب الى مكعب ونصف. والضلع الشمالى الشرقى مفتوح تماما تقريبا، ومنطقة الانتقال تدعمها ثلاثة عوارض خشبية

مستعرضة ومتوازية ترتكز على دعائم آجرية حديثة بمساحة تقرب من نصف متر مربع. والضلوع الجنوبي الغربي لا يقل عشوائية، حيث ترتكز المنطقة الانتقالية هنا أيضا على عارض خشبي يشكل قمة دخلة عمقها ٢٤ سم وعرضها ٣٧ م. ويتكون ظهر هذه الدخلة من جدار الجامع الذي يحتوى على نافذتين مستديرتي القمة فى الجزء العلوى منه. ويعتبر الضلع الشمالى الشرقى الجزء المصمت الوحيد فى الأساس، حيث يتكون من جدار سمكه ٧٠ سم به ثلاث نوافذ مستديرة القمة وعالية على نفس مستوى النافذتين المقابلتين. وبالضلع الجنوبي الشرقى الذى يبلغ سمكه ٩٢ سم باب A فى الوسط عرضه ١,٣٥ م، وقد وضع من الداخل فى دخلة مستطيلة تتكون قمته من عارض خشبي وضع تحت الدخلة الزخرفية الوسطى مباشرة (اللوحة ٨٥ء). ويبلغ ارتفاع الجدار فوقه حوالى ١,٥ م وهو مزدان بثلاث ضحلة تتميز الدخلتان الجانبيتان منها بقمتهما ذات العقد الدائري المحارى الشكل، فى حين أن الدخلة الوسطى أطول قليلا ويتوجها عقد على شكل ورقة نباتية ثلاثية، وتتبع فى تخطيطها نموذج النافذة الكائنة بالمنطقة الانتقالية أعلاها. ويزدان وسط كل من الدخلتين الجانبيتين بنجمة سداسية غائرة، أما وسط الدخلة الوسطى فيزينه اطار مفرغ يشبه فى شكله الأطر الكائنة على الجوانب الداخلية من برجى باب زويلة (لوحتان ٧٢ ج، د). ويفتح الباب المذكور على الخارج عن طريق عقد مدبب (لوحة ٨٥ ب) مكون من آجر حديث تماما على ما يبدو، ويمتد يمينا ويسارا لمسافة ٧٠ سم تقريبا. وخلفه الى اليمين نجد ٦٥ سم من بناء آجرى أقدم وضع الخشب فيه فى فواصل، وعدد صفوف البناء بين كل خشبتين على النحو التالى: ٧ و ١ و ٩ و ٧ و ١ و ٧ و ١٢ من الأرضية فصاعدا. ويؤدى بنا هذا الى التكسية الجصية التى تحجب الـ ٨٠ سم الأخيرة.

يصعب تفسير الحالة الراهنة للأساس؛ والضريح بحالته هذه يمثل طريقا عاما. ويتلخص الموقف فيما يلي: يقع المدخل الرئيسى للجامع فى وسط الضلع الجنوبي الغربي، لكن هناك بابا من شارع على الضلع الجنوبي الشرقى يفتح على ساحة بها مراحيض وأماكن للوضوء. ويمكن للمصلين بعد أن يفرغوا من الوضوء أن يدخلوا الجامع من الجانب الشمالى الشرقى بهبوط أربع درجات سلم تؤدى الى المجاز C المغطى جزئيا والذي يجرى على طول هذا الجانب من الجامع خلف الضريح. وللخروج من الجامع، يمكن المرور من الضريح عبر الضلع الشمالى الغربى المفتوح تماما والعبور من مجاز الباب المعقود A، ثم من خلال الباب المذكور سابقا الى الشارع. ولا بد أنه كان هناك فى الأصل محراب فى الضلع الجنوبي الشرقى من الضريح، وتمت إزالته حين أضيف مجاز الباب المعقود، وطبقا للقاعدة العامة، لا بد أنه كان هناك مدخل فى وسط الضلع المقابل.

ونفترض من جانبنا وجود عارض خشبي أدمج فى البناء على قمة الضلع الشمالى الغربى (كمشيله على الضلع الجنوبي الغربى)، وهو ما سهل إزالة كل البناء الآجرى تحته فى العصر الحديث، حيث تمت إضافة دعامتين جداريتين آجريتين لحفظ العارض الخشبي المركب. وقد تحول الضريح منذ تلك اللحظة الى الطريق العام الذى نراه اليوم.

منطقة الانتقال

يبلغ ارتفاعها ١.٤٥ م (لوحتان ١١٢ هـ، و)؛ وهى تشبه النظام المتبع فى أضرحة الجعفرى وعاتكة والشيخ يونس وغيرها، عدا أنها زينت بحلية تؤطر الجزء العلوى من النوافذ وتجري أفقيا من جانب لآخر، ثم تصعد مرة أخرى لتؤطر الحنيات العليا للمقرنصات. وإلى جانب هذا، هناك فتحة صغيرة جعلت الى اليمين عبر كوشات

العقد فى الأركان الثمانية. والمنطقة الانتقالية ليست مدرجة من الخارج كالمعتاد، بل تشكل مئمتنا بارتفاعها كاملا، مع نتوء على هيئة أنصاف قباب من الواجهات المتناوبة؛ وماهذه بالطبع إلا المظهر الخارجى للحنايا الوسطى فى الخانة السفلية للمقرنصات، وهو أسلوب نراه فى أسوان، ولكن لا نراه فى القاهرة.

الرقبة والقبّة [الخوذة]

على هذه المنطقة الانتقالية وضعت رقبة ارتفاعها ٨١ سم وتتكون من الداخل من ثماني نوافذ ذات عقود مديبة مساحتها ٣٠ × ٦٠ سم وتفصل بينها حنيات بحجم المقرنصات الصغيرة التى يتحول بها الشكل المثلث الى شكل ذى ١٦ ضلعا. ومن الخارج هناك ستة عشر ضلعا كذلك، كلها مقعرة وكلها مبنية بحيث تميل أركانها العليا الى الأمام وتبرز كالقرون كما هو الحال بجبانة أسوان التى ينتمى الضريح الى مجال نفوذها وتأثيرها.

ونظرا لأن الرقبة بها ١٦ ضلعا من الخارج والداخل، فمن الغريب أن تتكون القبّة من ثمانية أحاديث فقط تنبت نقاط التقائها من أعلى الحنيات الكائنة بين النوافذ وتتدلى (ليست هناك ضلوع كذلك التى نجدها بأضرحة عائكة ورقية ويحى الشبيه). وكل فص به ثقب فى أسفله ونجمة ثمانية وثلاث فتحات صغيرة كمثرية الشكل. ولا يزيد سمكها عن ١٩ سم اذا قيست من خلال هذه النجيمات.

تاريخ البناء

يتضح مما ورد بهذا الباب أن هذا الضريح ينتمى الى هذه المجموعة، ولكن نظرا لروعة زخارف منطقة انتقالية ورقبته (الثلاثة الأولى ليست بها رقاب) فاننا نجد ما يبرر لنا أن نضعه الأخير فى الترتيب، أى فى الفترة من ١١٢٠ الى ١١٣٠ م (٣٣٤).

الفصل الرابع عشر

أعمال المأمون البطائحي (٣٣٥)

مشهد أم كلثوم (٥١٦ هـ / ١١٢٢ م)

على بعد مئة ياردة تقريبا الى الجنوب من ضريح أبي منصور اسماعيل [تربة الثعالبية] (رقم ٢٨٢ على الخريطة المرفقة) نجد عطفة الى اليمين تسمى «شارع سيدى شبیه». وعلى الجانب الجنوبي بعد دخوله نجد زاوية صغيرة (رقم ٥١٦ على الخريطة المرفقة) ذات مظهر متواضع وحديث العهد (واسمه الشعبي «ست كلسون») ولها سقف مسطح تدعمه أربعة أعمدة. لكنها تحتوى على محراب رائع وقديم للغاية صنع من الجص على أرضية من الآجر (لوحتان ٨٢ ب، ١١٨ ب، شكل ١٣٥). وينفس الجدار هناك محرابان آخران خاليان من الزخارف وضعا الى يمين المحراب المذكور ويساره وعلى بعد أمتار قليلة منه (شكل ١٦٥).

وصفه

يتكون المشهد من حنية نصف دائرية عادية عرضها ٦٩ سم وعمقها ٥٠ سم وارتفاعها ٢,٣٢ م، ومن الواضح أنه كان على جانبيها زوج من الأعمدة الصغيرة. وتتوجها طاقية محارية محززة ذات شكل متميز، فالحزوز التي تشع من عقدة محززة لولبيا مستديرة بالتناوب وعلى شكل حرف v فى مقطعها. والطاقية المحارية التي تعتبر الأقدم فى مصر يحيط بها عقد مدبب كإطار تحيط به هو نفسه سلسلة من الفصوص المدببة الكبيرة تفصل بينها فصوص صغيرة جدا. ويتوقف نمو هذه العناصر المحيطة عند جوانب الفجوة الضيقة التي يبلغ عمقها ٢٠ سم والتي وضعت فيها كل هذه العناصر. ولا تزال بعض الزخارف باقية خلف هذه العناصر فى الجزء العلوى والى اليسار.

أما الحنية السفلية فخمساها العلويان يزخرهما شريط من الزخرفة الجصية عرضه ٦٧ سم. ويتكون هذا النمط من أشربة متداخلة تم تركيبها بحبيبات، وتجرى رأسيا وأفقيا وتدور ٤٥° عند الفواصل العادية بحيث تتقاطع مع بعضها البعض بزوايا يميني. ويتكون بذلك تشابك من صلبان رباعية ونجومات ثمانية. وكل نجمة ثمانية محشوة بدائرة تحوى طغراء كوفية. وتتوج هذا الشريط حلقة على شكل حرف v وضعت فى أ الحدود عميق ومزخرف بحلقة على شكل دالات تفصل زخرفة الحنية عن الطاقية المحارية.

تاريخه

من الصعب تحديد تاريخ هذا المشهد، إذ أنه يختلف عن غيره من نواح عديدة، ويعد فريدا فى مصر فى السمتين التاليتين: ١. الأخاديد مستديرة بالتناوب ومثلثة فى مقطعها، وهو ما يشكل نصف قبة ٢. الحافة المحارية الشكل الخارجية فى نتوء صغير، وتتكون من فصوص كبيرة تفصل بينها فصوص صغيرة. إلا أن به سمتين تساعدان على تحديد تاريخه. فأقدم المحاريب ذات الحواف المحارية هى تلك التي نجدها بـضريح السيدة رقية، وآخر ثلاثة نماذج نجدها فى أضرحة الأمير أبى منصور إسماعيل [تربة الثعالبية] والخلفاء العباسيين وشجرة الدر (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م). إلا أن هذه السمة تبلغ ذروة الإتقان فى ضريح الأمير أبى منصور إسماعيل

حيث يبلغ عمقها خمسة صفوف؛ أما محراب أم كلثوم فنظرا لتخطيط عقده الشبيه بتخطيط العقود المحارية الشكل بمسجد الأقمر (٥١٩هـ) فيصعب إدراجه في هذه الفترة مع استخدام شكل يقارب العقد المنكسر. ويعد نمط الشريط الزخرفي العريض أسفل الطاقية المحارية فريدا في مصر، والنموذج الوحيد الآخر نجده في البرج الركني الكبير ببرج الظفر (٥٧٢هـ / ١١٧٦م) كزخرفة للقبو المنحدر لدرج السلم المؤدى الى باب السر على الجانب الأيمن من البرج. وبهذا ينحصر تاريخ هذه الزخرفة بين ٥١٩ و ٥٧٢هـ. وبما أن الحافة المحارية لمحرابنا الصغير هذا ليست مزدوجة أو ثلاثية ونظرا لسيادة شكل العقد المنكسر من ٥٥٠هـ حتى نهاية العصر الأيوبي، فإن لدينا ما يبرر تحديد تاريخه بالفترة بين ٥٢٠هـ (١١٢٦م) و ٥٥٠هـ (١١٥٥م).

دونت ذلك في عام ١٩١٩ (Brief Chronology, B.I.F.A.O., XVI, PP. 63-4). ومنذ ذلك الحين جذبت السيدة ديفونشير انتباهي الى أن كلا من ابن ميسر وابن دقماق ذكرا أن مشهد أم كلثوم تم ترميمه (أو أعيد بناؤه) على يد المأمون البطائحي منشئ جامع الأقمر، في ربيع الأول من عام ٥١٦هـ (١٠ مايو ١١٢٢م)، وهو ما يتفق مع ما سبق ذكره من أن هذا التاريخ لابد أن يكون هو التاريخ الحقيقي للمحراب (٣٣٦).

الأصول المعمارية

يعد هذا المحراب مثالا آخر على التأثير الشمال أفريقي في العصر الفاطمي. فهناك حيتان بطاقتين محاريتين تتكونان من أخاديد، وكلاهما مستدير ومثلث في مقطعه وتقعان على الواجهة الجنوبية الشرقية من مئذنة قلعة بني حماد (الشكل ١٣٦). وربما تعود هذه المئذنة الى ما بعد عام ٣٩٨هـ (١٠٠٧م) بقليل.

أما الشريط الزخرفي العريض أسفل نصف القبة [الطاقية]، فقد قام دي بيليه (De Beylié, La Kalaa, figs. 51-3) بنشر قطعة من الجص تم العثور عليها بالقاعة الشمالية من المبنى الأوسط من قصر بني حماد، وهي تتطابق معه من كل النواحي (شكل ١٣٧). وفي كلتا الحالتين نجد أزواجا من الأشرطة المتداخلة المزخرفة بحبيبات صغيرة تجرى بزوايا يميني كل نحو الآخر بحيث تشكل حشوات لها تخطيط يتوافق مع نظيره الناتج عن وضع مربع في شكل معين فوق مربع آخر بنفس الحجم، وهو نمط شاع فيما بعد في وزرات التريعات الفارسية.

وقد ترك هذا المحراب بدوره تأثيرا؛ فلاشك أن الشريط الزخرفي العريض كان مصدر إلهام لزخرفة قبو برج الظفر الذي سبقت الإشارة اليه. ونجد الأخاديد المستديرة والمثلثة بالتناوب كقبتة وقد تكررت فيما يلي: ١. الزخارف المنحوتة على إطار باب مارستان نور الدين (٥٤١-٥٦٩هـ / ١١٤٦-١١٧٣م) بحلب (شكل ١٣٨)؛ ٢. على العقد العاتق فوق عتب المدخل الأوسط لما يسمى بجامع صالح الدين في ميفارقين الذي بناه ألبى الأرتقي الذي تولى الحكم من ٥٤٧ الى ٥٧٥هـ (١١٥٢-١١٧٩م)؛ ٣. حول أطر مداخل واجهة حرم جامع دنيصر ومحاريبه (الشكل ١٣٩)، والاسم الحديث لهذا الجامع هو كوش حصار) والذي بدأ ببناءه حسام الدين يولاق أرسلان الأرتقي وأتمه أبو الفتح ارتق بن يلغازي في سنة ٦٠١هـ (١٢٠٤م)؛ ٤. حول نافذة مئذنة جامع الدبأغة العتيقة بحلب أيضا، والذي بنى في رأى هرتزفلد بعد ٦٠٠هـ (١٢٠٣م) بقليل؛ ٥. على قطعة حجر منحوتة (شكل ١٤٠) بمتحف القسطنطينية. وسنعود الى هذه الرواية بعد دراسة ضريحي يحيى الشبيه والقاسم أبي الطيب.

جامع الأقمر (٥١٩ هـ / ١١٢٥ م)

وصفه

لهذا الجامع الصغير أهمية كبيرة (رقم ٣٣ على الخريطة المرفقة) فهو أقدم مبنى يحدد تخطيطه خط الشارع [خط تنظيم الطريق] في مصر. إلا أن أهميته الكبرى تكمن في واجهته التي تعتبر أول واجهة في مصر تظهر فيها خطة معمارية طموحة. ولكنه ليس أول مبنى تظهر فيه المقرنصات كما ذكر كل من فرانز هرتز وورسفولد وسلادين وتارخي وبريجز؛ فقد لاحظنا وجود هذه السمة على قمة البدن المربع لمئذنة الجيوشى وفوق نافذة بالسور المجاور لباب الفتوح.

يتكون الجامع من صحن صغير مساحته $9,77 \times 10,17$ م تحده على كل من جانبيه واجهة بثلاثة عقود. وهناك ثلاث بلكات عميقة جهة القبلة، وبائكة عميقة واحدة على الجوانب الأخرى. والواجهة بدلا من أن توازي الضلع الشمالى الغربى من الصحن، تشكل زاوية قدرها 21° معه تاركة فراغا لحجرتين ودرج سلم. ومجاز المدخل الذى وضع منحرفا يجرى من وسط الضلع الشمالى الغربى من الداخل الى وسط الواجهة (شكل ١٤١).

الواجهة

والنقطة الأخيرة لها أهميتها ومعرضة لأن تمر دون ملاحظة، فهناك جزء من الواجهة وضع عاريا بحيث يعطى انطبعا بأنه غير متناسب. وتتكون الواجهة من مجاز باب على كل من جانبيه حنية، وعرض هذه القطعة بأكملها $7,10$ م وتبرز الى الأمام لمسافة 68 سم. والجناح الى اليسار عرضه $6,42$ م وهو مزخرف بحشوة مفرغة واحدة (لوحة 82 ج). وبالقرب من الضلع الأيمن من بروز المدخل نجد جانب بيت بعد فاصل من الفراغ عرضه 30 سم، وخلفه بداية جناح شبيه بنظيره الكائن الى اليسار، ويقوم هذا الحكم بناء على أن الشريط الكوفى الذى يجرى عبر منتصف الواجهة يمتد عبر هذه القطعة المكشوفة وعلى نفس مستواها. والجزء الذى يعلو الشريط مباشرة تحجبه كتلة من الآجر والأسمنت بلاشكل محدد. وبالنظر الى التخطيط يتبين أن الصورة الداخلية للجامع تتطلب امتدادا للواجهة يساوى الجناح الأيسر. وبالتالي فالواجهة وعلى خلاف مظهرها الحالى كانت متماثلة ببروز عرضه $7,10$ م فى المنتصف يحيط بمجاز الباب كإطار له.

زخرفة الواجهة

تم وضع المدخل الذى أضيفت اليه عتب من الجرانيت فى دخلة عرضها $2,04$ م وعمقها 63 سم، وتغطيه طاقية محارية جميلة (لوحتان 83 ج، د)، وهو ثانى أقدم نموذج من نوعه فى مصر. ويتطابق تخطيط المقطع العرضى من الحزوز مع الحافة الزخرفية للعقد نصف الدائرى الداخلى الذى يؤطر مجاز بوابة باب الفتوح. وتجرى الحزوز الأربعة الأولى أفقيا من جانب الى آخر، أما البقية فتشع من الوسط بحيث تتطابق مع وسط الحلية التى تشغل ظهر الطاقية. وتتكون هذه الحلية الجميلة من أربع دوائر متحدة المركز، ومجال الدوائر الثلاث الداخلية مزخرف بثلاثة أسطر من الكوفى تنفذ حتى الجزء العلوى من مجاز المدخل. ثم يلي ذلك دائرة من الأرابسك، ثم حلقة من الكوفى تنفذ كسابقتها، ثم يليها فى النهاية شريط يساوى فى عرضه الشريط الأخير ومزخرف بحليات مدرجة متداخلة تؤطر الوريقات النباتية الخماسية الفاطمية الأصلية. ويحيط بالتخطيط

ذى العقد المدبب شريط مجدول ضيق.

والباب نفسه يحيط به عقد مسطح كإطار، ويتكون من صنج تتصل كل منها بجارتها بتعشيقات مكونة من ثلاث من أنصاف الدوائر. وهناك شريط كوفي فوق العتب يجرى عبر الواجهة ويتبع بروزها وزواياها الكارة كلها. ويبلغ عرض الدخلات ٧٨ سم وعمقها ٣٨ سم على كل من جانبي المدخل، وتتوج كلا منها نصف قبة محارية صغيرة فى وسطها حلية على شكل قرص شمس ذى ثمانى بتلات، وهو عنصر زخرفى شامى، وحافة محارية شبيهة بحافة الحنية الكبيرة الى حد ما ولكن بحافة أكثر تعرجا. وضعت كل من هاتين الدخلتين فى دخلة أكبر عرضها ١,٢٧ م وعمقها ٢٥ سم يتوجها صدر مربع تقريبا محشو بأربعة صفوف من المقرنصات. وتمثل مقرنصات الصدر هذه فى اتقانها تطورا كبيرا للصفين المبسطين بمثدنة الجيوشي، وكذلك فى رقتها، حيث تم تنفيذها بالحجر بدلا من الآجر. ويحيط بهذه الحنية المقرنصة المستطيلة شريط مجدول أكثر إتقانا من الشريط الرئيسى بقليل.

وبما أن هذه الدخلات الجانبية لا ترتفع الى مستوى قمة الدخلة الوسطى، فالحلية المحدبة التى تشكل إطارا مستطيلا حولها تهبط الى مستواها ثم تجرى من جانب لآخر أفقيا، ثم تهبط على الجانب الخارجى من الأطر المقرنصة، وتمتد أفقيا مرة أخرى (لوحة ٨٢ ج). وترتفع عند التقائها بالحشوة المعقودة للجنح وتجرى حولها وتمتد أفقيا حتى طرف الواجهة. وبعد هذا النمط ثانى نموذج على التأثير الشامى فى هذه الواجهة. وكوشات عقد دخلة المدخل مزخرفة بأقراص شمس ذات خمس عشرة بتلة، والمستطيلات الناجمة عن هبوط الحلقات المحدبة فى الأركان العليا من البروز محشوة بحنيات صغيرة مكونة من محارة مضلعة وترتكز على عمودين مدمجين بتيجان فارسية تشبه زهرة اللوتس. وأعمدة الطاقة اليسرى محززة بحزوز لولبية فى أجزائها العليا. وعلى ظهر هذه الدخلات الصغيرة هناك حنية أخرى شديدة الضحالة تتوجها هى الأخرى محارة محززة.

وعبر قمة الواجهة كلها يجرى نقش كوفي جميل بحروف أكبر كثيرا، وفوقه مباشرة نجد طنف حلية ربع دائرية حافته الأمامية مزخرفة بشريط من الأرابسك البسيط. ويستمر النقش حول الركن ويجرى لمسافة ١١ م تقريبا على طول الواجهة الشمالية الشرقية، إلا أن النقش السفلى لا يمر إلا تحت كابولى الزاوية المقرنص ثم يتوقف. ويتضح من قطعة من الأعمال الجصية الخاصة بضلع المثدنة الحديثة أن الواجهة كانت متوجة فيما مضى بشرافة من الزخارف المفرغة.

ولا يبرز الجناح الكائن الى يسار بروز المدخل إلا بحشوة مفرغة (لوحة ٨٢ ج). وهذه الحشوة التى تؤطر دخلة ضحلة مستطيلة الرأس تغطيها طاقة محززة شديدة الضحالة فى وسطها حلية. والحزان الأولان أفقيان، وتشع بقية الحزوز من مركز يقع أسفل مركز الحلية بقليل. ولا يتكون الأخير إلا من حلقة داخلية وخارجية، يحتل كلا منهما نقش كوفي. والفارق الرئيسى بين هذه الطاقة وبين الطاقة الأكبر يكمن فى حاشيتها وازدواجية الحلقات المحززة. وعلى كل من جانبي الجزء العلوى من المحارة المحززة هناك حشوة وضعت على شكل معين. والحشوة اليمنى مزخرفة بنمط متداخل جميل، وتحتوى اليسرى على تصميم بارز تحيط به حاشية مجدولة (لوحتان ٨٣ أ، ب). وفوق قمة الطاقة المحززة هناك فتحة دائرية تم حشوها حاليا بالآجر، لكنها ربما كانت تحتوى فيما مضى على حلية تشبه الحلية فوق المدخل. وفى هذه الحالة كانت ستفتح على قمة درج السلم الذى يصعد خلفها مباشرة.

وعلى كل من جانبي هذه الدائرة هناك حشوة زخرفية مستطيلة، وتتميز الحشوة اليسرى بجمال تكوينها المؤلف من عمودين مستطيلين صغيرين ناتئين من جدار ومحززين لولبيا تدعمان عقدا مديبا ويحيطان بنجمة متداخلة بسيطة ذات ستة ذيول. ويتدلى من قمة العقد مشكاة، وهو أقدم نموذج رأته لهذا العنصر التعبيري. ويجرى عبر القمة سطر من الكوفي، وتحيط بالجميع حاشية بسيطة لا تجرى إلا حول القمة والجوانب. والحشوة الصغيرة اليمنى متأكلة للغاية، ولكن بقي منها ما يكفي ليبين أنها كانت تختلف تمام الاختلاف عن جارتها. وتنقسم إلى مستطيلين ضيقين يؤطرهما شريط من الأرابسك المبسط، والحشوتان مزدانتان بزخرفة شبيهة بزخرفة الحشوات التي لا تزال باقية على بابي حجرتي الخزين على الجانب الأيسر من الصحن (لوحات ٨٤ و، ز، ح).

ويجري شارع ضيق على طول الجانب الشمالي الشرقي من الجامع، وهذا هو السبب في أن الركن مشطوف في أسفله. أما الجزء العلوى الذى لا يزال مستطيلا فيدعمه كابولى جميل ولعله الأجمل من نوعه فى القاهرة رغم أنه الأقدم (اللوحة ٨٤د)، وتلاحظ حلية جميلة أعلى هذا الجانب نفسه (٣٣٧) (اللوحة ٨٤ ج).

الجامع من الداخل

إذا مررنا عبر المدخل ذى القبو الاسطوانى، نلاحظ وجود حجرة صغيرة إلى اليمين ودرج سلم إلى اليسار، ونجد أنفسنا فى الرواق الشمالى الغربى. وبكل من أركان الصحن دعامة مستطيلة مساحتها $1,35 \times 1,35$ م، وفيما عدا ذلك، فكل الدعائم عبارة عن أعمدة متوجة بتيجان كورنثية بعضها لا ينتمى إلى أبدانها. وطولها ٥,٠٢ م حتى قمة الطبلية الخشبية الأولى، ويبلغ ارتفاع الواجهة ٦,١٥ م. وبكل عمود طبلية مكونة من قطعتين مسطحتين من الخشب وضعتا بزوايا يعنى على واجهة الصحن؛ وفوقهما اثنتان أخريان وضعتا مستعرضتين، وفوق هاتين الطبليتين الأخيرتين مباشرة نجد أريطة خشبية مكونة فى هذه الحالة من قطع مفردة من الخشب بدلا من جذوع النخيل العادية المدمجة بالأواح خشبية. وتعتبر هذه الأريطة أو العوارض حديثة العهد تماما فى عدة حالات.

وتعد العقود أول خطوة حقيقية نحو نمط العقد المنكسر (لوحة ٨٤ أ) والذى نصادفه فى العمارة الفاطمية، ولو أن عقود دخلات الواجهة تتكون من خطوط منحنية بطولها كله. وكان هذا الشكل من العقود يعزى بطبيعة الحال إلى وفر العمالة عن طريق وضع سلاسل من الآجر جنباً إلى جنب بدون سحنها حتى تصل إلى الشكل المستدق الطرف (كما هو الحال فى قرطبة)، أو عن طريق جعل الفواصل نفسها مستدقة الطرف. ونظراً لامكانية ملاحظة تطور العقد المنكسر من خلال التقويم التدريجى للجزء العلوى مرحلة بمرحلة فى القاهرة فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر، فلا داعى للبحث عن أصله فى مكان آخر. ومع ذلك فإننا نصادف عبارات غير جادة فى عمل صدر فى سنة ١٩٣٢ من قبيل: «لا شك أن العقد الفارسي أصله هندي» (٣٣٨) (Hauteceur, in Hauteceur and Wiet, *Les Mosquées du Caire*, p. 218).

تتكون الزخرفة الوحيدة بواجهة الصحن من شريط جميل من الكوفي يجرى حول كل عقد، ويتحول إلى أفقى حين يعبر الطبلية، ثم يصعد ويستمر حول العقد التالى (لوحة ٨٤ ب). وهذا الشريط المنفذ بالجص لم يبق إلا على الضلع الشمالى الشرقى من الصحن، وحتى فى موضعه هذا لا نجده كاملاً؛ ولكن من حسن

الحظ أنه بقي سليما حول العقد الأول، مما يعد ضمانا لمصداقية تخطيط الشريط الأخير. وكوشات العقد تملأ من الزخارف إلا من سرر ضحلة تتكون من أضلاع محززة تشع من عقدة وسطى. وكل من العقدة والحزوز والحافة مزخرفة بأرابسك مبسط. وقد بقيت أجزاء من هذه الزخارف محفوظة على الواجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية.

تعد الجدران الداخلية كلها، عدا جدار القبلة، مقطعة الى سلسلة من الحنايا المحشوة التي يتراوح عمقها بين ١٣ و ٥٠ سم. وتنتهي في أعلاها بإطار ذى عقد مدبب (يكاد يكون ذى عقد منكسر) منحني في تخطيطه، وهو النموذج الأصلي للحنيا الخالية من الزخارف بواجهة جامع الصالح طلائع الذى بنى بعد ذلك بخمسة ثلاثين عاما. وعلى قمة كل حنية تقريبا هناك نافذة ذات زخارف شبكية جصية محشوة بزجاج ملون؛ إلا أنها جميعا تبدو في مظهرها حديثة العهد نسبيا. ويدل وجود هذه النوافذ الشبكية على الجوانب التي أقيمت مباني حديثة ملاصقة لها على أن الجامع كان يقف مستقلا تماما فيما مضى، وهو ما يبرر لنا أن نفترض تماثلة الطرف الغربي من الواجهة والمحتجب حاليا كان مشطوفا أيضا ومزخرفا بكابولي مقرنص، مما يجعلها تبدو سيمترية، وهي نقطة مهمة.

من الواضح أن المحراب بصورته الراهنة وأعمدته المدمجة وفسيفسائه الرخامية ليس المحراب الأصلي، إلا أن التخطيط الفاطمي لعقده يؤدي بنا الى افتراض أن الزخرفة الجصية الأصلية استبدلت بها الزخرفة الحالية من الأعمدة والفسيفساء في عهد برقوق الذى يجرى نقشه فوقها مباشرة ويمتد بنفس عرض الإطار الفسيفسائي ويسد نافذة في نفس الوقت.

الى يسار الرواق الخلفى للحرم الخلفية، هناك عقد مفتوح عريض يؤدي الى ضريح صغير يشكل نتوءا على هذا الركن. وحين رأيته لأول مرة، كان يحتله تابوت خشبي مساحته حوالي ٢م^٢ وعليه غطاء من القماش، إلا أن هذه الحجرة خالية حاليا. وبجواره حجرتا خزين ضحلتان عرضهما ٢.٦٠م لا أهمية لهما إلا من حيث وجود بضع حشوات من باييهما الأصليين اللذين حفظتهما لجنة حفظ الآثار بوضعهما داخل البابين الحاليين (لوحة ٨٤ هـ).

تسقيف الأروقة الجانبية

لعل أغرب سمات هذا الجامع من الداخل سقف العديد من القباب، حيث غطيت كل بائكة بقبة ضحلة صغيرة على مثلثات كروية (لوحة ٨٥ أ)، فيما عدا الرواق الخلفى للحرم [المقدم] والحجرات الصغيرة التي غطيت بأسقف خشبية مسطحة، والبائكة الوسطى بالرواق الثانى بالحرم والتي غطيت بمنور فى السقف. وهناك عقود مستعرضة لها نفس شكل العقود الأخرى تجرى من واجهات الصحن الأربع حتى الجدران، عدا فى حالة الحرم حيث لا تمتد إلا الى الرواقين الأوليين فقط، ولا تصل الى جدار القبلة ولا وجود لأى أثر يدل على أنها كانت تصل اليه.

من الصعب أن نصدق أن هذه القباب تنتمى الى المبنى الأصلي رغم تأكيد فرانتز على ذلك (Kairo, p. 30). صحيح أن القباب القائمة على مثلثات كروية وجدت فى الحصون الفاطمية، إلا أنها لا تظهر فى مصر مرة أخرى إلا بعد ذلك بثلاثة قرون، والمثال الأول منها نصادفه فى ضريح السلطانين برقوق وفرج الذى بنى فى

أعوام ٨٠٣-٨١٣هـ (١٤٠٠-١٤١١م). وتأكيذا لذلك يطلعنا النقش الموجود على المحراب أن هذا الجامع الصغير تم ترميمه في عهد برقوق. ولكن إذا عزونا القباب إليه، فلا بد أن تعزى العقود المستعرضة إليه أيضا، إذ يصعب القول أنها بنيت لدعم سقف مسطح مساحته ٣م. وهي تشبه في تخطيطها عقود الصحن. فهل قام برقوق بنسخ هذه العقود الأخيرة؟ هذا أمر لا يمكن تقريره إلا بفحص المثلثات الكروية والدلايات عند منبتها، وهذا مستحيل حاليا بسبب التكسية الجصية. لكن وجود هذا النوع من الأسقف يعد شذوذا عن القاعدة في تلك الفترة حتى أنني لا أتردد في نسبته إلى السلطان المملوكي الشهير.

تاريخ الجامع ومراحل بنائه

يستشهد المقرئى بابن عبدالظاهر فيقول:

«قال ابن عبدالظاهر كان مكانه علافون والحوض مكان المنطرة فتحدث الخليفة الأمر مع الوزير المأمون بن البطايحي في انشائه جامعا فلم يترك قدام القصر دكانا وبني تحت الجامع المذكور في أيامه دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح لامن صوب القصر وكمل الجامع المذكور في أيامه وذلك في سنة تسع عشرة وخمسمائة» (٣٣٩). (الخط، ج٢، ص ٢٩٠)

ويؤكد على هذه العبارة نقشان شبيهان بجريان على طول الواجهة، أحدهما على القمة والآخر في منتصف المسافة إلى أعلى. وفيما يتعلق بترميمه في عهد برقوق والذي ينسب إليه في رأيي سقف القباب الصغيرة يقول المقرئى:

«في رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة جدد الأمير الوزير المشير الأستاذار يلبغا بن عبدالله السالمى أحد المماليك الظاهرة وأنشأ بظاهر باب البحرى حوانيت يعلوها طباق وجدد في صحن الجامع بركة لطيفة يصل إليها الماء من ساقية وجعلها مرتفعة ينزل منها الماء إلى من يتوضأ من بزايز نحاس ونصب فيه منبرا فكانت أول جمعة جمعت فيه رابع شهر رمضان من السنة المذكورة ... وبني على يمنة المحراب البحرى مثذنة وبيض الجامع كله ودهن صدره بلازورد وذهب ... وجعل فوق المحراب لوحا مكتوبا فيه ما كان أولا وذكر فيه تجديد لهذا الجامع ورسم فيه نعوته وألقابه

ولم تزل مثذنته التي جدها السالمى والبركة إلى سنة خمس عشرة وثمانمائة فولى نظر الجامع بعض الفقهاء فرأى هدم المثذنة من أجل ميل حدث بها فهدمها وأبطل الماء من البركة لإفساد الماء بمروره جدار الجامع القبلى والخطبة قائمة به إلى الآن» (٣٤٠). (الخط، ج٢، ص ٢٩٠)

ويترتب على ما سبق أن تكسية الواجهة ما هي إلا عملية تخريبية ترجع إلى القرن الرابع عشر. وتؤكد عملية الترميم المذكورة وتاريخها بنقش موجود على اللوح الذي يسد النافذة فوق المحراب. وكما يشير فان برشم (Notes, p. 50)، فإن طبقات العقود على الواجهات الأربع للصحن تحمل آثار عملية ترميم ترجع إلى العهد العثماني، وربما تنسب إلى سليمان آغا السلحدار الذي قام -حسب قول الجبرتي (ج٤، ص ٣١٨)- بترميم الجامع وألقى خطبة فيه بهذه المناسبة في يوم الجمعة الثامن من شعبان عام ١٢٣٦هـ (١١ مايو ١٨٢١م).

المصادر والمراجع

- 1256 IBN KHALLIKAN, Wefayat al Ayan, Būlaq ed., II, P. 169, I. 16; de Slane's transl., III, p. 457 .
- 1278 IBN MUYASSAR, Massé's ed., p. 62, I. 5 .
- Before 1399 QALQASHANDI, III, p. 365; Wüstenfeld's transl, p. 78 .
- 1424 MAQRIZI, Khitat, II, p. 290 .
- 1497 AS-SUYŪṬI, Husn, II, p. 118, I. 15 .
- 1522 IBN IYAS, Tarikh, I, p. 63, II. 20-21 .
- 1811 Description de l'Égypte, moderne, II, p. 668; Panckoucke's ed, XVIII, p. 310 .
- 1821 AL-GARARTI, Aga'ib al-Athar, IV, p. 318; Būlaq transl., IX, p. 331 .
- 1842 HESSEMER (F. M.), Arabische Bau - Verzierungen, I, p. 40 . and Taf, 22 .
- 1863 PATON (A.A.), A History of the Egyptian Revolution, II, pp. 340-41 .
- 1877 PRISSE D'AVENNES, L'Art arabe, Texte, p. 99 .
- 1887/8 ALI PASHA MUBARAK, al-Khitat al-Gadida, II, p. 12, and IV, p. 60 .
- 1887/90 RAVAISSE (P.), Essai. M.M. A. F. C., I, pp. 475, n. 3, and 477, and III, pp. 38-9 .
- 1889 Comité Conseruation, Exercice 1889, pp. 112-13 and pl. 2.
- 1891 BERCHEM (M. van), Notes d'archéologie arabe. Journal Asiatique, 8^{me} sér., t. XVIII, pp. 460-58; XIX, pp. 397-8, and pl. in t. XVII.
- 1894 BERCHEM (M. van), C. I. A. -- Égypte, I, pp. 67-71 and 757, and pls. XX-XXI .
- 1895 HERZ (Max), Catalogue ... Musée National de l'Art pp. 146-7 .
- 4 Op. cit., II, p. 290; 290; transl . by van Berchem, Notes, loc. cit., pp. 47-9 .
- 5 The Sndr is that part of an interior farthest from the entrance ; here, therefore, the qibla wall; see my E. M. A., II, p. 34 .
- 6 Published by vanBerchem, Notes, loc. cit., XVIII, pp. 51-2, and XIX, pp. 397-8, and in the C. I. A. -- Égypte, I, pp. 69-71 .
- 7 Notes, p. 50 .
- 8 IV, P. 318 ; Būlaq transl., IX, p. 331 .
- arabe, pp. xxx-xxxi and 9-10; 2^{me} éd. (1906), pp. xxxvi-xxxix 7-8, and 120 .
- 1899 WORSFOLD (B.), The Redemption of Egypt, pp. 118-22, with I illus .
- 1903 FRANZ (Juius), Kairo, pp. 29-31, with I illus .
- 1904 BORRNANN (Richard), Geschichte der Baukunst, I, p. 333 and Fig. 261 .
- HERZ (Max), in the B. I. É., 4^{me} sér., No. 5, pp. 27-8 with plate .
- 1906 LANE-POOLE (Stanley), The Story of Cairo, pp. 160-61 .
- 1907 DE BEYLIÉ (I.), Promenades et Samara, p. 137 and fig. 98 .
- MARGOLIOUTH (D. S.), Cairo, Jerusalem & Damascus, p. 48 .
- SALADIN (H.), Manuel d'Art Musulman, L--l'Architecture, pp. 101-3 and fig. 59 .
- 1909 FAGO (V.), Arte araba, p. 95 and tav. XI.
- 1910 BERCHEM (M. van), and J. DTRZYCOWSKI, Amida, pp. 318 19 and Abb. 265 .
- 1913 RICHMOND (E. T.), The Significance of Cairo., J. R. A. S., 1913, p. 33 .
- 1914 RIVOIRA (G. T.), Architettura islamica, pp. 180-87 and fig. 152 ; English transl , pp. 177-84 .
- 1915 DIEZ(E.), Die Kunst der Islamischen Völker, pp. 57 and 63, and Abb. 77 .
- 1971 FLURY (S.), Islamische Ornamente in einem griechischen Psalter von ca. 1090. Der Islam, VII, pp. 160-61 and Abb.3.
- 1919 CRESWELL (K. A. C.), Brief Chronology. B. I. F. A. O., XVI, p. 61 .
- 1920 WOERMANN (K.), Geschichte der Kunst (2^{te} Aufl), p. 392.

- 1923 TARCHI (Ugo), *L'Architettura e l'arte musulmana*, pp. 4 and 9, tav. 33, and I fig .
- 1924 BEIGGS (M. S.), *Muhammadan . Arcitecture in Egypt and Palestine*, pp. 73-5, 187, and 190, and figs. 39 and 41 .
- 1925 GLÜVK (H.), and E. DIEZ, *Die Kunst des Islam*, pp. 29 and 535, and illus. on p. 158 .
- 1926 MIGEON (G.), *Les Arts musulmans*, pp. 13-14 .
- RICHMOND (E. T.), *Moslem Architecture*, pp. 98-100 and fig. 29 .
- 1929 PAUTY (E.), *Contribution à l'Étude des stalactites* B. I. F. A. O., XXIX, pp. 136, 142, and 153, and pl. II .
- 1930 DIEZ (E.), art. *Masdjid*, in the *Encyclopaedia of Islam*, III, p. 382 .
- 1931 DIEZ (E.), art. *Mibrab*, *ibid.*, p. 487 .
- PAUTY (E.), *Les Bois sculptés jusqu à l'époque ayyoubide*, pp. 62-7 and pl. LXXI .
- 1932 HAUTECŒUR (L.) and G. WIET, *Les Mosquées du Caire*, pp. 247-8 and pl. 43 .
- PAUTY (E.), *L'Évolution du dispositif. en T dans les mosquées à portiques* . *Bullein d;Études orientales*, II, pp. 112-13 and fig. 13 .
- WIET (G.), *C. I. A. -- Égypte*, II, pp. 170-71 and 186-9.
- 1936 LAMM (C. J.), *Fatimid Woodwork, its style and chomology*. B. I. E., XVIII, p. 80 and pl. XC.
- 1937 WIET (G.), *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe*, VIII, pp. 146-8 .
- 1938 MARÇAIS (G.), *Remarques syr l'esthétique musulman*. *Annales se l'Institut d'Études orientales*, IV, pp. 56-8 and fig. 2 .
- 1942 MUHAMMAD ABD AL-AZIZ, *Masagid al-Qahira qabl asr al-Mamalik*, pp. 83 - 95, with 2 figs. and I plate .
- 1947 MARÇAIS (Georges), *L'Art de l'Islam*, pp. 71 and 76-7 .

الفصل الخامس عشر

مشهد السيدة رقية

(٥٢٧هـ / ١١٣٣م)

وصفه

يقع هذا الضريح الصغير (رقم ٢٧٣ على الخريطة المرفقة) فى حوش نفس التكية التى تضم ضريحى الجعفرى والسيدة عاتكة (وترجع التكية الى عام ١١٧٠ هـ طبقا لما ورد فى نقش على مدخلها). وبقيت السقيفة مسدودة بجدار ومنقسمة الى ثلاث حجرات ممتلئة بالنفايات حتى منتصفها الى أن تم إنقاذها من قبل لجنة حفظ الآثار فى سنة ١٩١٦. وعلى الجانب الآخر، ظل المبنى مدفونا بارتفاع ٤م تحت أكوام من النفايات. ويمكن دخوله حاليا من سقيفة ذات ثلاثة عقود (لوحة ٨٦ أ). وهذه العقود أعيد بناؤها على يد اللجنة على أساس منبت عقد الى يمين الفتحة ويسارها وأمكن تمييزه عن الأعمال الآجرية الجديدة. ولاشك أن عملية إعادة البناء قد تأثرت جزئيا بالترتيب الذى وجد بجامع الجيوشى. والأعمدة المستخدمة هنا وفى داخل الضريح تم تقطيعها فى وقت واحد، فعلى الرغم من وجود أماكن فى الداخل كانت تشغلها أعمدة على ما يبدو، إلا أن كل الأعمدة اختفت مرة واحدة. ويبلغ عرض الفتحة التى تحتلها حاليا ثلاثة أعمدة ٨,٢٠م، ويبلغ طول السقيفة نفسها ١٢,٦٠م وعمقها ٢,٤٨م. ويشغل الوسط المدخل المؤدى الى الحرم، وسطح الجدار على كلا الجانبين يضم محرابا جصيا جميلا بطاقيّة محارية محززة تشع حروزها من حلية فى حالة جيدة (اللوحتان ١١٩ أ، ب). ويبلغ عرض مجاز الباب المستطيل ١,٤٣م وارتفاعه ٢,٦٣م وتمر من فوقه عدة قطع من الخشب.

المشهد من الداخل

ينقسم المشهد من الداخل الى ثلاثة أقسام ، يغطى القسم الأوسط منها قبة بينما يغطى كل من القسمين الجانبيين (الشكل ١٤٢)، سقف خشبى كالسقيفة (اللوحة ٨٦ ب). لذا يجب علينا أن نعتبر هذا المبنى نموذجا على العمارة المصرية المتحررة من التأثير الشامى المهيمن على جامع الجيوشى، حيث تعد الأسقف الخشبية المسطحة من سمات العمارة المصرية لو لم تخضع لأى تأثير، فى حين أن الأقبية الآجرية أو الحجرية بأى حجم تقتصر على العهود التى اشتد فيها التأثير الشامى، كالعصر الأيوبي وما تلاه. وبذلك فلا بد من إرجاع الأسقف المقبية لجامع الجيوشى والتى ينتمى اليها هذا المبنى الى التأثير الشامى الذى أدخله بدر الجمالى الذى بنى سور القاهرة الشمالى وبواباتها التى تحمل بصمات شامية واضحة.

تبلغ مساحة القسم الأوسط ٢٥م أو تزيد قليلا، وكذلك يزيد عمق الأجنحة [الجانبان] عن ٥م بقليل، أما عرضها فلا يزيد عن ٢,٨٢م، ويفتح القسم الأوسط على الأجنحة بفتحات مستطيلة من نوع غريب. ويبلغ عرض هذه الفتحات على مستوى الأرضية ٣,٦٢م، إلا أن هذه المسافة تنخفض على ارتفاع ٣,١٢م لتصبح ٢,٢٠م، ويرز الجدار الى الأمام ويدعمه زوج من الأعمدة على كل من جانبيه. ويبلغ الارتفاع الكلى للفتحة ٥,٥٢م، والتخطيط الناجع عن ذلك يتكرر على جدار القبلة ليشكل إطارا للمحراب وعلى الضلع المقابل ليؤطر مجاز الباب الأصغر كثيرا. ولكن فى هاتين الحالتين، هناك عمود واحد على كل ضلع بدلا من زوج من

الأعمدة، فليس هناك ما يحتاج الى دعم سوى إطار ضحل بدلا من السمك الكلى للجدار (٩٠ سم). ويطن هذه الأطر الأربعة فى الجزء العلوى الضيق منها ألواح خشبية غليظة. ويصدر كل من القسمين الجانبين [الجناحان] محراب (لوحتان ١١٩ ج، د، هـ).

منطقة الانتقال

تركز الرقبة على مقرنصات شبيهة بمقرنصات الجعفرى والسيدة عاتكة، إلا أن هناك فارقا مهما يمكن رؤيته فى أسلوب التعامل مع الفراغ بينها، فالنافذة الثلاثية التى تشغل هذا الفراغ يقسمها إطار أوسط على شكل حرف Y الى نافذة بثلاثة فتحات (لوحة ١١٣ أ) بغرض علاج نقاط الضعف التى كانت تشوب النمط الأقدم. وهذه النوافذ مسدودة حاليا؛ ويعبر باتريكولو (Comité de Conservation, Exercices 1915-1919, p. 37) عن اقتناعه بأنها سدت فى وقت الترميم، فالعقد النحيف بالنافذة العليا لا يكفى فى رأيه لدعم ثقل العمود الناتج الذى يعلوه مباشرة والذى يقسم زوج النوافذ بالرقبة. ومن الصعب الاتفاق مع هذا الرأى لأن نوافذ ضريحى الجعفرى والسيدة عاتكة مفتوحة رغم افتقارها الى إطار على شكل حرف Y يدعم نوافذ هذا المشهد (لوحتان ١١١ ج، د، هـ)؛ أما النوافذ العليا بضريح يحيى الشبيه فتمثل نموذجا موازيا تماما (لوحة ١١٤ أ). وهناك بقايا كثيرة من الزخارف الجصية الأصلية على أرابسك شديد الفعالية لاتزال محفوظة حول الجزء السفلى من النافذة الشمالية الشرقية (لوحتان ٨٦ ب، ١١٣ أ) وهناك بقايا ضعيلة تحت الحافة السفلية من النافذة المقابلة وعلى الضلع الشمالى الغربى بين النافذتين السفليتين، يستتج من ذلك أن منطقة الانتقال بأكملها لم تكن عارية تماما كما هو الحال الآن.

الرقبة ونوافذها

بين المنطقة الانتقالية والقبه هناك رقبة مثمثة يخترق كل واجهة منها زوج من النوافذ ذات تخطيط متقن، ووضع كل زوج منها فى إطار مفرغ ثلاثيا (لوحتان ٨٦ ج، ١١٣ ب). والتخطيط الغريب المشار اليه والذى يشبه إحدى النوافذ الموجودة بالمثدنة الغربية بجامع الحاكم (لوحة ٢٩ ج)، لم يستخدم فى النوافذ مرة أخرى فى مصر. وهو يشبه تخطيط الحشوات التى تزين الواجهة الداخلية لنتوءات باب زويلة (لوحتان ٧٢ ج، د، هـ)؛ ويمكن رؤيته أيضا فى الزخارف الجصية بداخل القبه الكائنة عند المدخل المؤدى الى مجاز الأزهر (لوحة ٩١ أ)؛ وفى طيلة العقد تحت مثدنة سيدنا الحسين (لوحة ٩٦ أ)؛ وفى جامع الصالح طلائع (شكل ١٦٧)؛ وفى البرج الركنى الكبير ببرج الظفر. ويمكن ملاحظته بعد إدخال تعديلات طفيفة عليه فى قمم المباخر المزخرفة بمآذن القرن الثالث عشر.

تعد هذه الرقبة قطعة فنية متميزة، اذ تنم عن تطور ملحوظ اذا ما قورنت برقبة قباب جامعى الحاكم (لوحة ١٠٩) والجيوشى (لوحة ١١٠ ب) وضريح إخوة سيدنا يوسف (لوحة ١١٢ د) وقبة مدخل مجاز الأزهر (لوحة ١١٣ د). ولكن كان لابد من توقف هذا التطور مؤقتا، حيث اقتضت النوافذ عامة على الفراغ بين المقرنصات، كما هو الحال بضريحى يحيى الشبيه (لوحتان ١١٤ أ، ب) والخلفاء العباسيين، وحين نجدها على مستوى أعلى من ذلك، فإنها لا تكون على الرقبة، بل تخترق أدنى أجزاء القبه، كما هو الحال بضريح السلطان الصالح وضريح الملكة شجرة الدر.

القبة [الخوذة]

بالقبة ٢٤ ضلعاً، إلا أنها أقل وضوحاً من أمثالها بالسيدة عاتكة، وتلتقي في دائرة أصغر حجماً (لوحة ١٨٧). وتتميز الأطراف السفلية من هذه الأضلاع بأشرطة من الطلاء الأزرق والأخضر والأصفر والأحمر بالتناوب، وتتمثل ألوان البنفسجي والنيلي والأزرق والأخضر والأصفر والبرتقالي والأحمر الطيفي بصورة مصغرة. ويتكرر هذا التناوب بانتظام ست مرات. وعليها من الخارج أربعة وعشرون ضلعاً لا تقل وضوحاً عن أمثالها بالسيدة عاتكة، وتتوج القمة حلقة برونزية مزخرفة بثلاث كرات يتناقص حجمها وتعلوها حلقة.

المحراب الرئيس

أعظم ما في هذا المشهد محرابه الرئيس الذي يعد واحداً من أبدع الزخارف الجصية في مصر، وتبلغ مساحته $5,53 \times 2,95$ م، وبالتالي فهو الأكبر حتى الآن. ويتكون من حنية عرضها ١,٢٠ م وعمقها ١,١٠ م تغطيها محارة تشع أضلاعها الستة عشر من حلقة كما هو الحال ببائكة مدخل جامع الأقمر (لوحتان ٨٧ ب، ١٢٠ أ). طاقة محارية الحلقة الداخلية بحجمين وتم ترتيبها بحيث تأتى الحزوز الأكبر والتي تتناوب مع الحزوز الأصغر في مواجهة الحزوز الخارجية الكبيرة تماماً. وفي وسط هذه الحلقة نجد اسم «علي» يحيط به إطار مكون من الاسم «محمد» مكرراً سبع مرات (Comité de Conservation, Exercices 1915-1919, p. 32). وتزدان الأضلاع بصف من الحبيبات الصغيرة وسلسلة منحوتة بالتناوب. والحافة المحززة تتضاعف بتسعة أزواج من الحنيات المسطحة تحيط بها هي نفسها تسعة أزواج أخرى أكبر حجماً بكثير. ويحيط بالجميع إطار عبارة عن شريط زخرفي على شكل عقد رباعي المركز وليس عقداً منكسراً، وتزدان كل كوشة عقد بالأرابسك يحيط بدائرة عارية من المرجح أنها كانت تشغلها سرّة نائمة، كما هو الحال بمحراب السيدة عاتكة. وفي الركن السفلي من كل كوشة عقد هناك قطعة صغيرة من الزخرفة تشبه أحد العناصر التعبيرية الموجودة بمحراب السيدة عاتكة. وعبر قمة الإطار المستطيل يجرى شريط رائع من الكوفي المجدول على حلقة ربع دائرية أشد ضحالة من المعتاد، وبالتالي فالسطح ينحني بحيث يتفادى تقصير الخطوط ويسمح بقراءة النقش بسهولة من أسفل، وهو أسلوب رأيناه من قبل بجامع الحاكم ومحراب جامع الجيوشي ومن قبلهما في مسجد سوسة الجامع.

ثم يستمر السطح رأسياً من جديد، وهناك شريط بنفس عرض سابقه ويزدان بتصميم معقد يمكن فكّه إلى ثلاثة عناصر متداخلة متكررة تسع مرات (شكل ١٤٣). ويحيط بهذا الشريط والنقش الكائن تحته وبكوشات العقد جميعاً شريط شبكي هندسي لا يزيد عن مجرد امتداد للشريط الذي يتكون منه إطار الحنية المعقود. وهناك شريط من الكوفي البسيط نسبياً يجرى عبر الحافة السفلية من المحارة، وتحته مباشرة شريط من الفسيفساء الرخامي يتكون من مربعات بيضاء وضعت على شكل معين بحشو مثلث بالألوان الأحمر المنقط والأبيض والأزرق الأردوازي. وتحته نجد الحنية مكسوة بالأسمنت الخشن وعليها علامات واضحة لنمط من الحلبة ربع الدائرية يعزى إلى الحشو الرخامي الذي اختفى تماماً إلا من شريط ضيق على القمة سبق وصفه. ويمكن إرجاعه إلى فترة لاحقة، فليس هناك محراب آخر أقدم من محراب ضريح الصالح نجم الدين أيوب (٦٤٨-٧ هـ/١٢٥٠-٤٩١ م) يحمل أى أثر من الرخام، فالجص هو المادة الوحيدة المستخدمة. إلا أن المحارب الرخامية موجودة بالشام منذ ٥٨٠ هـ (١١٩٣ م). بمدرسة الأمير شادبخت بحلب).

المحاريب الأصغر

بكل من القسمين الجانبيين [الجناحان] محراب جصى صغير (لوحتان ١١٩ ج، ء) يتكون من حنية (بلافجوات للأعمدة الصغيرة) تتوجها طاقيّة محارية تشع أضلاعها من حلية وسطى. وقد وضعت فى إطار مستطيل يتكون من نقش كوفى يجرى فوقه شريط زخرفى بداخله عناصر تعبيرية على شكل مزهريات تشبه زخارف سامراء الجصية. وكوشات العقد محشوة بالأرابسك وتحيط بزواج من السرات الناتئة ذات الحزوز الملتوية.

كيف كان الشكل الأصلي للمشهد؟

يتضح من ملحقات الجدران الجانبية التى تبرز خلف الواجهة الشمالية الغربية أن المبنى بشكله الحالى ليس مكتملا. بل هناك دليل آخر يتمثل فى العمودين الناتئين الضيقين اللذين يبلغ عرضهما ٤٠ سم ويمكن رؤيتهما الى يمين الفتحة ذات العقد الثلاثى ويسارها. يقول باتريكولو عن هذه السقيفة ظلة:

«طبقا للآثار الموجودة، فإن الجزء المعنى بشكل فى الأصل دركاه رواق. ولا يستبعد أن تكون هذه الدركاة أحد

جوانب صحن مربع تحيط به ظلات بثلاث بوائكات وكان يسبق المشهد وكانت البوابة تفتح على الشارع. وهذه

ليست حالة فريدة؛ اذ نجده فى فترة لاحقة بضريح أحمد بن سليمان الرفاعي» (Comité de Conservation,

. Exercices 1915-19, p. 31).

ونشك من جانبنا فى صحة هذا التصور الافتراضى، ونقترح تخطيطا يقترب من التخطيط المتبع فى جامع الجيوشى للأسباب التالية :

١. الجدران الجانبية المبينة لم يكن سمكها يزيد عن ٤٠ سم وليس ٦٠ سم كجدران السقيفة.

٢. وجود الجدارين b و c، ويحمل الأول بقايا محراب مسطح.

٣. لو كان الصحن محاطا فيما مضى على كل جانب ببائكة ذات عقد ثلاثى كما هو الحال بجامع الأقرع المعاصر له تقريبا، فإن علينا أن نتوقع أن تكون الجدران المحمولة على عقود ودعامات بنفس السمك على كل من جانبي الصحن كما هو الحال فى الجامع المذكور، لكن الحالة ليست كذلك. ولا نظن أن هذين الجدارين اللذين كان يمكن أن يقطعا أطراف البلاطتين الجانبيتين كان يمكن بناؤهما. وقد يعترض البعض بدعوى أنهما ضروريان ليشكلا دعامة لواجهة السقيفة ذات العقد ثلاثى، إلا أن هذه الحالة نراها بجامع الأقرع بعوارض خشبية، وهو أسلوب كان كافيا للبائكات الجانبية فى إعادة البناء التى افترضها باتريكولو. ومن ناحية أخرى، اذا اتبعنا التخطيط الموجود بالجيوشى وأعدنا بناء الغرف الجانبية الطويلة ذات الأسقف الخشبية المسطحة، فإن الجدران الواقعة على الطرف تكتسب على الفور مبررا لوجودها. ونقترح من جانبنا أن يكون المدخل الرئيسى على الضلع الشمالى الغربى بدركاه فى الوسط، ودرج سلم يؤدي الى السطح على أحد الجانبين، وإلى حجرة أو حجرتين على الجانب الآخر.

تاريخ البناء

تمت أول محاولة لتحديد تاريخ هذا البناء على يد رافيس فى سنة ١٨٨٩ (Sur trois milrâbs, II, 645-9) فى تناوله للمحراب الخشبى الجميل بالسيدة رقية الذى يعد الآن أحد كنوز متحف الفن العربى (٣٤١). فقد استشهد بفقرة وردت لدى المقرئزى (الخطط، ج٢، ص ٤٤٨) تنص على أن رجلا يدعى أبى تراب (٣٤٢) كان وكيلا للأمير الذى بنى مسجد رقية. ويستنتج أن مسجد رقية بنى قبل وفاة هذا الرجل فى سنة

(٥٢٨هـ / ١١٣٤م) (٣٤٣). ولكن كما يشير فان برشم (Égypte, I, 636)، طبقا لما يذكره المقرئى هو أن الوكيل هو الذى بنى هذا المسجد، وبالتالي فتاريخ وفاته لا يعنينا فى شىء. ويواصل حديثه لإثبات أن المحراب الخشبى صنع بين ٥٥٠ و ٥٥٥هـ (١١٥٥-١١٦٠م) بينما ظل تاريخ بناء الضريح مجهولا.

على أية حال، ففى أثناء تنظيف القبة من الداخل، تمت إزالة تكسية مميكة من الجص الحديث، وتم العثور على بقايا الزخارف الملونة القديمة للقبة سليمة تقريبا، ومعها نقشان قرآنيان بالكوفى المزخرف طليت بالأزرق الفاتح على أرضية بيضاء، يجرى أحدهما حول الحافة السفلية من الرقبة والتي تنبت منها الأضلاع، ويجرى الآخر حول قمة المربع الذى يقع أسفل الدلايات. وينتهى النقش الأول (لوحة ٨٦ ج) بالتاريخ ونصه «فى شهر ذى القعدة من سنة سبع وعشرين وخمسمئة الحمد لله» (٣٤٤) (Comité de Conservation, Exercices 1915-19, p. 29).

التابوت

هناك تحت القبة تابوت [ضريح] رائع من الخشب مقياسه ٢,٨٥ × ١,٧٥ × ٠,٤٧ م ويرتكز على أساس من الآجر؛ وقد تم إخراجه وتصويره فوتوغرافيا فى أثناء الأعمال الممتدة التى تمت فى سنة ١٩١٧ وما بعدها (لوحة ١٨٨). وينقسم كل من جانبيه الى خمسة أشرطة أفقية وشريط رأسى من الأرابسك على كل طرف. والأشرطة الأول والثانى والثالث والخامس من أعلى تتكون من نقش كوفى مزخرف ومتقن، ووضع الثانى فى حشوة طويلة. ويتكون الشريط الرابع من ست حشوات مستطيلة من الأرابسك تتناوب مع سبع حشوات ضيقة، فى حين أن طرفى التابوت بها ثلاث وخمس حشوات على التوالي. وتركت ثلاثة أماكن بجوار كل ركن لتشغلها أقمطة من النحاس الأصفر. والجميع فى حالة جيدة جدا. وينص النقش على أنه بنى بأمر من أرملة الخليفة الأمر فى سنة ٥٣٣هـ (١١٣٩م، Comité de Conservation, Exercices 1915-19, p. 29)، أى بعد ثلاث سنوات من بناء المشهد.

تطور ما يعرف بالدلاية المقرنصة

بدأ تطور ما يعرف بالدلاية المقرنصة فى مصر فى أواخر القرن الحادى عشر أو أوائل القرن الثانى عشر، ووصل الى المرحلة التى درسناها؛ وعلىنا الآن أن نسعى الى تحديد ما إذا كان ما رأيناه يعد تطورا محليا أم أنه كان يعزى لتأثير خارجي. وربما كان من الأفضل أن نؤجل هذه الدراسة حتى نصل الى أواخر القرن الثالث عشر، ولكن نظرا للآراء الشائعة عن التأثير الفارسى على الفن الفاطمى، فقد قررت أن أقسمها الى قسمين، يتناول أولهما الموضوع حتى عام ١١٧١م، وهو الذى سيضمه هذا المجلد، ويؤجل الآخر للمجلد الثانى.

ونظرا لتقدم البحث فى إيران خلال السنوات الخمس والعشرين سنة الماضية، فقد أصبحنا الآن فى وضع يسمح لنا بالقيام بما كنا لا نستطيع القيام به قبل ثلاثين عاما مضت، أى أن ندون قائمة بمختلف الأساليب المتبعة لإقامة قبة على قاعدة مربعة فى بلاد فارس قبل عام ١١٧١م، وهو نهاية الحقبة التى يتناولها هذا المجلد. فعلىنا أن ندرس الأساليب المتبعة بكل من العراق والشام أيضا، إلا أننا سنبدأ بفارس حيث لم يتحقق التقدم فى البحث إلا فى الآونة الأخيرة حين بدأ السماح للأوروبيين بدخول الأبنية الدينية.

(أ) بلاد فارس

نقدم فيما يلى قائمة بالنماذج الفارسية مرتبة ترتيبا زمنيا.

٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م). يزد: دوازده امام (شكل ١٤٤)

هو نموذج فى غاية الأهمية، فهو يسبق فى تاريخه مقرنصات ملكشاه بمسجد اصفهان الجامع بحوالى خمسين عاما. وفى الجزء السفلى، نجد أن الكابولى الذى ينحنى الى الأمام يمينا ويسارا له سطح مسطح وليس سطحاً ذا مركز أجوف كما هو الحال فى النماذج الفاطمية، وتحتل مكان الحنية الوسطى حشوتان مسطحتان تحيط كل منهما بفجوة معقودة كإطار. وتفتقر الحنية العليا الى ضلع أوسط. ولكن الأهم من كل شئ أن التركيبة كلها وضعت فى إطار خارجى معقود لا وجود له فى مصر ولا يمكن إرجاعه إلا الى التاريخ الساسانى الطويل مع المقرنصات.

٤٨١ هـ (١٠٨٨ م). إصفهان: المسجد الجامع

حجرة القبة الصغيرة، حجرة القبة الكبيرة (شكل ١٤٥). ويؤرخهما نقشان يجريان حول قاعدة القبة يحتوى أولها على العام الفعلى وهو ٤٨١ هـ (١٠٨٨ م) ويحتوى الآخر على اسمى ملكشاه وحسن بن على بن اسحق المعروف بنظام الملك (٣٤٥). ونجد هنا أربع حنايا معقودة تشغل الخانة السفلية بأكملها، ورفع فوقها الكابولى الذى ينحنى الى الأمام جهة اليمين واليسار، بينما قل ارتفاع الحنية الوسطى بينهما. ووضع الجميع داخل عقد خارجى كما كان الحال قبل ذلك. وتحول المشمن الناتج عن ذلك الى شكل ذى ١٦ ضلعا بثمانى مقرنست ضحلة. والمنطقة الانتقالية تحت كل قبة هى نفسها تماما، عدا شكل العقود ذات الحشوات الفاترة.

٤٩٨-٥١٢ هـ (١١٠٤-١١١٨ م)

گليايگان [جربادقان]: المسجد الجامع (٣٤٦) (شكل ١٤٦)

بنى فى عهد محمد بن ملكشاه حسب ماورد فى نقش يجرى حول قاعدة القبة. ونرى هنا أن هناك تغيرا كبيرا قد طرأ، حيث اختفت الحشوات المعقودة وهناك أربعة صفوف من الحنيات تضم من أسفل الى أعلى خمس حنيات وأربعا وثلاثا وحنية واحدة على التوالي، ووضع الجميع داخل عقد خارجى كما كان الحال من قبل.

٥٠٧ أو ٥٠٩ هـ (١١١٣ أو ١١١٦ م)

قزوين: المسجد الجامع (٣٤٧) (شكل ١٤٧)

بنى فى عام ٥٠٧ أو ٥٠٩ هـ. وبه أربع مقرنصات بسيطة وثمانى آخر بأعلاه.

٥٤٢ هـ (١١٤٨ م) مراغه: گمبد سرخ (٣٤٨) (الشكل ١٤٨)

وهو مؤرخ بالثانى من شوال ٥٤٢ هـ (٤ مارس ١١٤٨ م) حسب ما ورد بنقش فوق المدخل.

٥٥٣ هـ (١١٥٨ م) أردستان: المسجد الجامع (٣٤٩) (شكل ١٤٩)

وهو مؤرخ بعام ٥٥٣ هـ فى نقش يجرى حول قاعدة القبة. ومقرنصاته تطابق نظيراتها الموجودة بمسجد إصفهان الجامع.

ب. العراق

المادة اللازمة لهذه الدراسة هزيلة للغاية [أى وقت اعداد هذه الدراسة]. وقد رأينا المقرنصة البسيطة المستخدمة بسمراء فى قبة الصليبية ولاشئ بعدها حسب علمى حتى الإمام دور (الشكلان ١٥٠-١٥١) الذى تم تحديد

تاريخه أخيرا من جانب هيرتزفالد بعد أن حل رموز نقشه وهو قبل عام ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) وربما قبل ٤٨٢ هـ (١٠٨٩ م. *Ars Islamica*, IX, 18-20). وملتقى هنا وللمرة الأولى بنمط جديد من البناء يسميه هيرتزفالد «القبّة المقرنصة» (٣٥٠) والذي قام بدراسة جيدة عنه مؤخرا (IX, pp. 7-30).

ج. سوريا وفلسطين

وفيما يلي قائمة بالنماذج الوحيدة التي أعرفها مرتبة ترتيبا زمنيا. وعلينا أن نضع في اعتبارنا أن هناك فراغا معماريا تاما مدته ٢٥٠ عاما في الشام حيث ليس هناك شيء بعد صهرج الرملة (١٧٢ هـ / ٧٨٩ م) الى أن نصل الى ترميمات المسجد الأقصى في عهد الخليفة الفاطمي الظاهر.

٤٢٦ هـ (١٠٣٥ م) القدس: المسجد الأقصى (شكل ١٥٢)

ولدينا هنا أسلوب غير عادي تماما، بل فريد من المثلثات الكروية التي يتركز الجزء الأدنى منها في كل حالة على مقرنصة. والعقود الكبيرة التي تركز عليها قبة الأقصى مزخرفة بنسفساء زجاجية وعلى الواجهة الشمالية من العقد الشمالي نقش طوله ١١,٥٠ م. ومنفذ بالنسفساء باسم الخليفة الفاطمي الظاهر الذي تولى الحكم من ٤١١ الى ٤٢٧ هـ (٢٠-١١٣٥ م) والذي يعرف بأنه أعاد بناء جزء من المسجد في سنة ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ م) كان قد تقوض نتيجة لزلزال وقع في ١٥ محرم ٤٢٥ هـ (١٠ ديسمبر ١٠٣٣ م).

٥٣٠ هـ (١١٣٦ م) بصرى: مدرسة المبرك (شكل ١٥٣)

نظرا لأن سوريا تشتهر بجودة أحجار البناء، فهناك دائما ما يغرى بوضع مداميك من الحجارة كالعوارض عبر الأركان في صفوف طائفة. وهذا ما حدث في بصرى حيث نجد أربعة صفوف طائفة. ونحتت فيما بعد حنيات على المداميك بكل من حلب ودمشق.

٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) دمشق: مارستان نور الدين

فوق دركاه المدخل نجد قبة مقرنصة (الشكل ١٥٤) تظهر لأول مرة في سوريا (٣٥١).

٥٦٣ هـ (١١٦٨ م) حلب: مقام إبراهيم بالقلعة

دلالة مزدوجة الانحدار ربما كانت تطورا للدلالة الوحيدة الانحدار. وهو شكل شاع استخدامه في سوريا.

٥٦٧ هـ (١١٧٢ م) دمشق: مدرسة ضريح [تربة] نور الدين (٣٥٢)

ولدينا هنا ثاني أقدم قبة مقرنصة في سوريا، وما يؤسف له أنها تعرضت للتشوه والفساد بتكسيثها بالطلاء.

٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) حلب: مدرسة شاذبخت (٣٥٣)

وتعد نموذجا جيدا للدلالة المزدوجة الانحدار (شكل ١٥٥).

وليس هناك أثر يدل على التأثير الشامي والعراقي أو الفارسي. يتضح الآن من بحثنا أنه ليس هناك مثال معاصر يشبه الدلالة المصرية المقرنصة من قريب أو من بعيد سواء في الشام أو العراق، والنموذج الموجود بفارس حيث نجد الدلايات «المقرنصة» الآجرية نلاحظ أن تركيبه يختلف تمام الاختلاف عما نجده في مصر (٣٥٤). وبالتالي فإن النظرية القديمة عن التأثير الفارسي تتلقى هنا أيضا ضربة جديدة، ويمكن القول دون تردد إن التطور الملحوظ في مصر كان ابتكارا محليا صرفا (٣٥٥).

الفصل السادس عشر

أعمال الخليفة الحافظ لدين الله

في الجامع الأزهر

أروقة الصحن

يحيط بالصحن حاليا بوائكات ذات عقود منكسرة من الآجر المكسو بالجص وهو ما يشكل أروقة عمقها ٤,٥ م تقريبا؛ وهناك ١١ عقدا إلى الشمال الغربي والجنوب الشرقي، و٩ إلى اليمين واليسار. وكل هذه الأروقة حديثة حيث أعيد بناؤها عام ١٨٩٢ عدا القبة في وسط الضلع الجنوبي حيث بقيت دون مساس. وكانت لجنة حفظ الآثار قد قررت أن الأروقة القديمة يجب نسخها، لكننا رأينا أن هذا القرار لم يتم تنفيذه. لذا فالبائكات الحالية تخرج عن نطاق اهتمامنا. ومن حسن الطالع أن هناك صورتين فوتوغرافيتين تم التقاطهما قبل إزالة الأروقة القديمة (لوحتان ٨٩ أ، ب)، كما أن هناك رسما للواجهة الجنوبية الشرقية (شكل ١٥٦) تم وضعه في تلك الآونة. من ثم فلدينا المادة اللازمة لوصف الأروقة السابقة.

وصفها

كانت البائكات ترتكز على أعمدة رخامية يبلغ ارتفاعها ٢,٧٣ م بتيجانها؛ وكانت هناك طبلبات (٣٥٦) سمكها ٢٠ سم ترتكز على هذه التيجان. وكان يثبت من هذه الطبلبات العقود المنكسرة القائمة على ركائز والتي كانت تحزمها أربطة خشبية خالية من الزخارف مساحتها ١٠ سم^٢ وضعت على قمة الطبلبات. ونلاحظ أن العقد الأوسط تم بناؤه بعارضة خشبية (لوحة ٨٩ ب) كمعقود النوافذ القديمة بجامع عمرو لعام ٢١٢ هـ (٨٢٧ م).

زخرفة الواجهة

كانت هناك فوق كل عمود دخلة ضحلة ذات عقد منكسر بطاقيّة محارية ترتكز على أعمدة صغيرة (وفي بعض الحالات كانت الأخاديد تشع من حلية مدورة، وفي حالات أخرى تشع من حشوة ذات عقد منكسر؛ انظر لوحة ٨٩)، وبين كل دخلتين، فوق قمة العقد مباشرة، كانت هناك حلية مدورة غائرة بثمانية فصوص معينة الشكل وكمثرية الشكل بالتناوب. كما كانت هناك حليتان مدورتان مائلتان تفران فوق العقد الأوسط. وكانت الحشوتان والحليات المدورة أبسط كثيرا من نظيراتها الحالية، وكانت تفتقر إلى الأفاريز الخطية. وفوق العقد الأوسط، كانت هناك فجوة ربما تخص حشوة من خشب، كما هو الحال في جامع الصالح طلائع (لوحة ١٠٤ أ) ونذكرنا «اللوح الأخضر» بجامع عمرو (ابن دقماق، ج٤، ص ٦٦؛ المقرئ، ج٢، ص ٢٤٩، آخر سطر).

كانت مساحة الواجهة ٩,٣٥ م حتى الشرفة التي كانت تضيف ٢,٠٨ م؛ بإجمالي ١١,٤٣ م، أو أكثر من خمس طولها (٥٠,٨٨ م) بقليل. وكانت الشرفة شديدة الإتقان؛ وكانت تتكون من شريط سفلي عرضه متر

واحد تقريبا، وكانت تعمل كقاعدة للشرافات المدرجة. وكانت الأولى مزخرفة بتصميم نجمي ذي ثمانية ذيول متداخلة، وكان للشرافات تصميم مخرم في الوسط (ونرى من جانبنا أن أربعة من للشرافات الموضحة باللوحة ٨٩ ب تعتبر ترميمات متأخرة بناء على ما تتسم به من فجاجة. أما الخامسة الى يمين البشتاق فتتفق ونظيراتها على الضلع الشمالي الغربى كما هو موضح باللوحة ٨٩ أ).

ونمت معالجة منتصف الواجهة الجنوبية الشرقية الذى يحتله الجوسق ذو القبة صغير كبشتاق، وترتفع الشرفة لتشكّل إطارا مستطيلا عاليا ترتفع وراءه القبة. وتحتل قمة الإطار المكون بهذا الشكل ثلاث فتحات معقودة صغيرة تذكرنا الفتحة الوسطى منها بالحشوات الداخلية لبرجى باب زويلة (لوحتان ٧٢ جـ/ء). الى جانب ذلك، هناك فتحتان مستطيلتان صغيرتان الى يمين ويسار الحشوتين الوسطيتين ذاتى العقد المنكسر، وواضح أنهما تم عملهما فيما بعد، لأن إحداهما تقاطع الإطار المعقود. وتختلف شرافة البشتاق عن الباقي كما هو موضح؛ كما يمر من فوقها عند كل من طرفيها قائم مربع، وهو أول نموذج لدينا لأسلوب «الحشوة والقائم»، وهى سمة مميزة بشرافات ضريح الإمام الشافعى (٦٠٨ هـ/١٢١١ م). وكانت الشرافة تنتهى بقوائم مماثلة على الركنين الشرقى والجنوبى من الصحن (طبقا للرسم).

القبة بمقدمة المجاز القاطع [قبة البهو]

يعمل الجزء العلوى من هذه الواجهة كقناع لإخفاء انخفاض سقف الحرم، حيث لا يزيد ارتفاعه عن ٧ م تقريبا. ولا يزيد ارتفاع سقف الرواق عن ذلك، وبدلا من التوافق مع قاعدة الشرافة، نجد أنه لا يزيد انخفاضه عنها إلا بمسافة ٢,٠٨ م (انظر شكل ١٥ ب بأقصى اليسار).

القبة بمقدمة المجاز القاطع

فى منتصف الواجهة الجنوبية الشرقية، أمام المدخل المؤدى الى المجاز، هناك قبة جميلة ترتكز على أعمدة ومزخرفة من الداخل بزخارف جصية متقنة. ومن الواضح أنها إضافة لاحقة الى الجامع لسببين. أولا، لأن واجهة الحرم تميل الى الأمام، فى حين أن الجوسق ذو القبة رأسى ويتوافق مع الواجهة المنحدرة للحرم. ثانيا، ينتمى العقد الأوسط من البائكة القائمة على دعائم، والذي يعمل كمدخل يؤدى الى المجاز، الى النوع المدبب المألوف، بينما تنتمى العقود الأربعة التى تدعم القبة الى أشهر أنواع النمط المنكسر. ويمكن ملاحظة التناقض فى أجلى صورته حيث يكون أحدها (الجنوبى الشرقى) متصلا بالعقد المفتوح على داخل المجاز (لوحة ٦ ب).

وصفها

هناك عمودان ومجموعتان تتكون كل منهما من ثلاثة أعمدة تدعم العقود القائمة بذاتها والخاصة بالقبة؛ وبني العقد الرابع -الجنوبى الشرقى- متصلا بالعقد الأوسط للبائكة القائمة على دعائم وبنيت من نفس زوج الدعائم. وعرض هذه الدعائم ١,١٣ م منها ٣٥ سم يشغلها العقد الذى يكون الطرف الشمالى من المجاز، و٧٢ سم يحتلها عقد الجوسق ذو القبة - بإجمالى ١,٠٧ م.

تنتمى العقود الأربعة جميعا الى النوع «المنكسر» الشهير، حيث تتكون أجزاؤها العليا بالتقاء خطين مستقيمين عند نقطة، ويحزمهما عارض خشبى (لوحة ٩٠). وفوقهما منطقة انتقال ارتفاعها ١,٠٧ م ومكونة

من أربع مقرنصات طويلة جدا تتناوب مع نوافذ لها نفس الحجم والشكل (لوحتان ١١٣ ج، د، هـ). وليست هناك رقبة، وترتكز القبة الآجرية المدية قليلا على هذه المنطقة الانتقالية.

زخارفها

تدل الأزواج الأربعة من كوشات العقود على تصميمين زخرفيين مختلفين، والزوجان المتقابلان متماثلان، إلا أن النقوش الكوفية المتقنة التي تجرى حول العقود وعلى طول قمة المربع أسفل المنطقة الانتقالية مباشرة لها سمة متميزة (وهذا حكم أصدره فلورى الذى قام بدراسة دقيقة عن فن الخط الفاطمي، *Die Ornamente*، ص ٣٩). ولنبداً بالضلعين الشمالى الشرقى والجنوبى الغربى. فنجد نمطا ملتويا بسيطا يجرى حول جميع الأضلاع الثلاثة لكوشة العقد. ومن الداخل، نجد أن التصميم بكامله مكون بصورة تماثلية على خط مرسوم من الركن الخارجى العلوى لكوشة العقد (لوحة ١٩٠). ومن الورقة النباتية التى تخذ شكل قلب، وعلى حاشية العقد، تثبت السيقان التى تلتف يمينا ويسارا وتنتهى بنصف مروحة نخيلية طويلة، وتنقسم هذه بدورها الى نصفين، يتحول نصفهما الى الخارج، ويتبع الآخر الدائرة وينتهى بنصف مروحة نخيلية من أربعة فصوص، وهو ما يملأ نصف الفص المكون من السيقان الملتفة. وعلى طول حافتها نجد صفًا مزدوجًا من الكرات المترابطة. وهناك عناصر تعبيرية تشبه أوراق السرخس تملأ أركان الكوشة المجاورة للعقد. ويملاأ الركن الخارجى العلوى من كل كوشة نصفًا مروحة نخيلية مع صف من الكرات على طول حافتيهما، ويرتفع بينهما تعبير نباتى على شكل قلب. يقول فلورى (ص ٤٠): «وكلها تشكل تركيبا متماثلاً قويا ينم عن كل السمات المميزة للفن الإسلامى الناضج».

والزوجان الآخران من الكوشات يزينهما تصميم تكون متماثلاً على خط رُسم من قمة الركن الخارجى (لوحة ٩٠ ب). ويبدأ ساقان من الركنين المقابلين ويلتفان الى اليسار والى اليمين بالتناوب بحيث يشكل كل منهما ثلاثة فصوص، ثم ينتهيان بنصف مروحة نخيلية بكرات على طول حافتها. ويقع أربعة من هذه الفصوص على طول حافة العقد، واثنان على قمة الركن الخارجى. وكل منهما تملؤه ورقة نباتية بثلاثة فصوص أو خمسة، وأضيف الى الأسطح لون أدكن بشبكة محززة (وتعد هذه الشبكة تداخلا مستطيلا عاديا فى أربع حالات؛ وفى الحالتين الأخريين، تتكون من نسيج سداسي)، عدا سطحًا واحدًا تم تزيينه بنمط يذكّرنا بنمط السهام العريضة المعشقة بكوشات محراب الأفضل (لوحة ٧٧). ويحيط بكل كوشة حاشية ضيقة تختلف عن نظيرتها التى تحيط بزوجى الكوشات اللذين ورد وصفهما فى البداية.

الزخارف الشبكية المفرغة للنوافذ

هناك نافذة واحدة ذات زخرفة شبكية حديثة والأخريان تم إحلال نافذتين شبكيتين خشبيتين محلهما، إلا أن النافذة التى تقع جهة القبلة تستحق مزيدا من الملاحظة (وهى فى حالة ممتازة عدا فى الجزء السفلى منها حيث تم ترميمه بصورة عشوائية. لوحة ٩٠ ب، وانظر ٦ ب أيضا). وتتكون من شبكة مفرغة من المربعات يحيط كل منها بوريقة رباعية تم نقش مربع فى كل منها؛ وداخل هذا المربع مربع آخر وضع على شكل معين يحيط بدوره بوريقة رباعية أخرى وضعت على خلاف الكبرى على قطر المربع المائل (شكل ١٥٧). من ثم فهى مثال لنمط من ٤٥ يعد نادرا حتى تلك الفترة، حيث كان النمط ذوال ٦٠ هو السائد فى الفن

الإسلامى حتى ذلك الوقت. وكانت الوريقة الرباعية عنصرا شائعا للغاية فى الزخرفة القوطية المبكرة. وتعد الوريقة الرباعية التى تحيط بمربع عنصرا تعبيرا تم استخدامه فى زخرفة إحدى حشوات منبر القيروان الشهير (الضلع الشرقى، الصف الرابع، الحشوة الثانية من الأرض) انظر كتابنا العمارة الإسلامية المبكرة، جـ ٢، لوحة ١٨٩). ولا علم لى بوجود أية نافذة جصية أخرى بزخارف شبكية مفرغة تشبه هذه بمصر، ويبدو أنه من المؤكد أنها تنتمى الى نفس تاريخ الزخرفة المحيطة بها.

أقدم نموذج باقى للنوافذ ذات الزجاج الملون بمصر

كل فتحة من النوافذ ذات الزخارف الشبكية المفرغة تغطيها قطعة من الزجاج الأخضر أو الأصفر لاتنطبق على الفتحة، بل تتداخل معها، وقد تم تثبيتها بالجص على سطح النافذة؛ وهذا هو أول نموذج نقابله من نوعه. ويختلف اللون الأخضر أو الأصفر فيها عن مثيله فى أى مكان آخر بالقاهرة سوى ضريح قلاوون (٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، لذا فمن المحتمل أن زجاج نافذتنا هذه ينتمى الى نفس تاريخ الزخارف الشبكية؛ وإذا كان الأمر كذلك، فهى أقدم نموذج موجود للنوافذ ذات الزجاج الملون (قمرية) فى مصر.

زخرفة القبة من الداخل (لوحة ١٩١)

تعد زخرفة القبة من الداخل فريدة من نوعها. وهى مكونة كلها من شريط كتابى كوفى بحاشية من الحبيبات على طول حافتها العلوية، ويلتوى ويمود ليشكل ستة عقود، ويذكرنا شكله بالحشوات الغريبة الكائنة على برجى باب زويلة (لوحتان ٧٢ ج، د، هـ). وبعد أن يشكل هذا الشريط النقشى عقدا، يهبط ويصبح مزدوجا، ثم يرتفع من جديد ليشكل أعمدة ناتئة من جدار ترتكز عليها العقود. وترتكز الأعمدة الناتئة ذاتها على شريط من الوريقات الثلاثية التى تحتوى كل منها على ثلاث وريقات تشكل حاشية حول قاعدة القبة. وتشكل العقود الستة بائكة تجرى حول القبة، والمساحة فوقها محشوة بنجمة سداسية. وهناك وريقة يحيط بها إطار على شكل قلب تحشو الفراغات بين ذيول النجمة، ويحيط بالكل شريط دائرى من النمط المفتاحى المثلث الذى يرتكز على ست نقاط من العقد.

تاريخ بناء القبة وأروقة الصحن

ونبدأ بالقبة. كان كل من فرانز (Kairo, 1903, p. 25; Saladin, Manuel d'art musulman, 1907, i) وسلاطين يعتقد أن هذه القبة ترجع تاريخيا الى تاريخ إنشاء الجامع، إلا أن فلورى (ص ٤١) يشير الى أننا لو قارنا بين نقوشها وبين النقوش التى نراها على الآثار الفاطمية التى ترجع الى القرنين الخامس والسادس الهجريين (١١ و١٢م)، فمن الممكن تحديد تاريخ بنائها بدقة. فيتضح من أشرطة النقوش الكائنة فوق قمم العقود الأربعة ومن شكل الوريقات ونمطها أن لها علاقة وثيقة بالنقوش الجصية الموجودة فى صحن جامع الأقمر (٥١٩هـ/١١٢٥م)؛ وتذكرنا النقوش التى تجرى حول العقود بنقوش جامع الصالح طلائع (٥٥٥هـ/١١٦٠م). من ثم، فالأرجح أن يكون تاريخ الانتهاء بين الأعوام ٥١٩-٥٥٥هـ (١١٢٥-١١٦٠م)؛ أما تاريخ البدء فهو زخرفة محراب جامع الجيوشى (٤٧٨هـ/١٠٨٥م). وهكذا فلا بد أن نرجع بناء هذه القبة زمنيا الى النصف الأول من القرن السادس الهجرى (١٢م). كما أن المقرنصات الطويلة تقودنا الى نفس الاستنتاج، فهى تشبه مقرنصات ضريح محمد الحصواتى (لوحة ١١٣هـ) والذى بنى على الأرجح بين ١١٢٥ و١١٥٠م. وبعد

غياب الرقبة دليلاً آخر على التشابه (كل القباب الفاطمية الأخرى التى تنتمى الى تاريخ أقدم وترتكز على مقرنصات تضم رقاب، انظر اللوحات ١٠٩-١١٣).

واذا أشرنا الى تاريخ الجامع، نجد أن الأعمال الوحيدة التى تنتمى الى هذه الفترة وسجلها المؤرخون هى أعمال الحافظ لدين الله الذى تولى الحكم من ٥٢٤ الى ٥٤٤ هـ (١١٣٠-١١٤٩ م). لذا فنستنتج من جانبنا أن هذه القبة من أعمال الخليفة المذكور.

ونتجه الآن الى الأروقة. فنجد أن الحلقات المدورة تشبه نظيراتها بصحن جامع الأقمر (لوحة ٨٤)، إلا أن الأخيرة ليست بها حشوات بعقد متكسر، ولا نجد أياً منها الى أن نأتى الى جامع الصالح طلائع. ففي هذا الجامع أيضاً نجد أن العقود تشبه عقود أروقة الأزهر، بينما لاتزال الأجزاء العلوية من أروقة الأقمر منحنية قليلاً بدلاً من أن تكون من خطين مستقيمين يلتقيان فى نقطة. وهكذا فإننا هنا أيضاً نعود الى الفترة التى اخترناها للقبة، أى فترة الحافظ لدين الله - ٥٢٤-٥٤٤ هـ (١١٣٠-١١٤٩ م).

الأصول المعمارية

القبة الكائنة فى النهاية الشمالية للمجاز القاطع [قبة البهو] :

تعود عملية إضافة جوسق مفتوح ذو قبة فى النهاية الشمالية للمجاز القاطع الى عصر الأغالبة بشمال أفريقيا. فهناك على سبيل المثال قبة تسمى «قبة باب البهو» تمت إضافتها الى الطرف الشمالى من مجاز جامع القيروان الكبير على يد إبراهيم الثانى ابن أحمد بن الأغلب الذى تولى الحكم من ٢٦١ هـ (٨٧٥ م) الى ٢٨٩ هـ (٩٠٢ م)؛ وهناك أيضاً قبة شيدت بنفس الموضع فى جامع تونس الكبير (٣٥٧) فيما بين السنوات ٣٠١ هـ (٩١٣ م) و ٣٩١ هـ (١٠٠١ م)، انظر كتابنا *E.M.A., II, p. 326* واللوحة ٩١، أ، ب). وهناك نموذج آخر نذكره. يقول الجزائى إنه قد تمت إضافة قبة على الطرف الشمالى من البلاطة الوسطى لجامع القرويين بفاس فى عام ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م). وهى سمة لا وجود لها فى أى من مساجد الشام أو العراق أو بلاد فارس أو الهند، لذا فالأرجح أنها ابتكار جلبه الفاطميون من شمال أفريقيا (٣٥٨).

البشتاق

ظهرت هذه السمة التى تسمى بشتاق فى فارس لأول مرة فى العمارة الإسلامية فى «بهو الشرف» بالأخضر (الربع الأخير من القرن الثامن الميلادى) حيث تم وضع عقد الايوان فى «صالة الاستقبال» فى إطار مستطيل يرتفع فوق بقية الواجهة (انظر كتابنا *E.M.A., II, p. 66* والشكل ٤٥). وقد أصبحت سمة عامة فى العمارة التذكارية ببلاد فارس والهند حيث بدأ ظهورها فى عام ٥٩٤ هـ (١١٩٩ م) بواجهة حرم مسجد قوة الإسلام [قطب منار] بدلهى.

الأعمال الخشبية المحفورة من ضريح السيدة نفيسة

بنى ضريح السيدة نفيسة (المتوفاة فى رمضان ٢٠٨ هـ / ٨٢٤ م) حسب رواية المقرئى، فى عام ٤٨٢ هـ (١٠٨٩ م، الخطط، جـ ٢، ص ١٦-٢١). وتم ترميمه بأمر من الخليفة الحافظ لدين الله عام ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م)؛ فتم إصلاح القبة وإضافة كسوة رخامية على المحراب (الخطط، جـ ٢، ص ٤٤٢). وربما تم تنفيذ

أعمال أخرى على يد هذا الخليفة في سنة ٥٤١ هـ (١١٤٧ م) لو كانت ثلاث قطع من النقوش على الخشب باسم الحافظ وعليها تاريخ رجب ٥٤١ هـ (يناير ١١٤٧ م) ومحفوظة حاليا بمتحف الفن العربي ومسجلة على أنها وردت من ضريح الخلفاء العباسيين (الذي يعد على صلة بمسجد السيدة نفيسة الذي لم يكن قد بنى بعد في عام ٥٤١ هـ) قد أخذت من المسجد المجاور (Wiet, Égypte, II, 41, 226-7). ويرى فيت أن هذا احتمال ولكنه ليس مؤكدا.

بعد مسجد وضريح السيدة نفيسة الحالي منشأة تمت إعادة بنائها في فترة لاحقة، إلا أن هناك العديد من القطع الخشبية المحفورة التي تنتمي إلى أواخر العصر الفاطمي ظلت باقية ويمكن رؤيتها بمتحف الفن العربي، وهي باب وسطح سفلى لمعبرة أحد الأبواب ومحراب فخم. وكلها مسجلة في الدفاتر على أنها قادمة من ضريح السيدة نفيسة، وفي ضوء ماتقسم، فلا بد أن تعزى إلى الخليفة الحافظ حوالي عام ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م) (٣٥٩).

الباب

ومساحته ٢,٢٤ × ١,٢٠ م، ويتكون من مصراعين بكل منهما أربع حشوات جيدة النحت (لوحة ٩٢ أ، ب) وتتصل بنظيراتها بجامع الأقمر (لوحات ٨٤ و، ز، ح) ولو أنها أشد إتقانا وبها كلمتان كوفيتان في الوسط. وهذا الشبه الشديد بباب ينتمي إلى عام ٥١٩ هـ (١١٢٥ م). يعد تأكيداً آخر للتاريخ المقترح.

السطح السفلى لمعبرة الباب (لوحة ٩٢ ج)

ومساحته ١,٣٨ × ٠,٥٧ م ويتكون من إطار بحشوتين محفورتين تزخرفهما أشرطة متداخلة تزينها اللآلي، وسيقان أوراق عنب وأوراق عنب بثلاثة وخمسة فصوص.

المحراب (لوحة ١٢٠ ج)

صنع بظهر غير مشذب ليوضع على جدار أو في حنية ضحلة. لذا فمن الممكن اعتباره قطعة من الأشغال الخشبية المعمارية وبالتالي فهو يندرج هنا على خلاف المحراب الخشبي لضريح السيدة رقية الذي كان يفترض أن يتم نقله إلى الخارج ليوضع بالصحن في أي وقت، وظهره وواجهته وجوانبه مزخرفة بإتقان. وصنع في رأي بوتى (ص ٦٦) من خشب الأرز والساج، لكننا نرى من جانبنا أن الخشب الذي اعتبره خشب أرز ربما كان خشب دلب. ويتكون من حنية مدببة معقودة نصف دائرية وضعت في إطار مستطيل مساحته ١,٩٢ × ٠,٨٨ م. ويبلغ عرض الحنية من أسفلها ٤٤ سم، إلا أنه قد تم خفضه إلى ٣٣ سم بارتفاع ١,٠٤ م من الأرض. ومن الواضح أنه كان يمر من فوقه عمودان مدمجان من الخشب، وما يؤكد ذلك، التراجع إلى الورا في محراب الأمر (لوحة ١١٨ ج) الذي ظل محتفظاً بعمودين مدمجين صغيرين من الخشب. والإطار المستطيل مزخرف بتصميم هندسي يمكن تصنيفه على أنه من نمط ٦٠ درجة (انظر E.M.A., I, pp. 139-41 واللوحتين ٨٩ و ٩٠)، ولكن لم يتم العثور على مكان يتسع لعنصر سداسي بنجمة سداسية في وسطه إلا فوق العقد. والشقوق التي نراها إلى يمين الحنية ويسارها مزخرفة بعناصر نصف سداسية، أو بالأحرى كانت تصبح سداسية لولا أن المساحة التي تركت للعمودين الصغيرين كانت تحتتم حذف جزء منها إلا عند مستوى قمة العقد حيث نجد عنصراً سداسياً كاملاً إلى اليسار واليمين. وتتكون الأشرطة العريضة المستخدمة في التصميم من شقوق خشبية محززة بينها حشوات مزخرفة بتصميمات أرابسك صغيرة؛ وما يؤسف له أن سبعة من الحشوات الكبيرة وعدداً من الحشوات الصغيرة قد فقدت. ويمكن ملاحظة مستويين من الأعمال، أحدهما

منفذ بدقة تامة ويتكون من سيقان أوراق عنب وأوراق عنب أضيفت اليها الثمار أحيانا؛ والآخر بسيط وردى الصنع بحيث يمكن إرجاعه الى ترميمات لاحقة. ومعظم الأعمال التى تدرج تحت المستوى الأخير موجودة الى اليسار.

وعلى امتداد الحواف الداخلية والخارجية من هذا الإطار يجرى نقش كوفى قرأنى كله ولا يحتوى على أسماء أو تواريخ. أما الحنية التى لا يزيد عمقها عن ١٥ سم فهى فى حالة ممتازة ويمكن اعتبارها مثالا رائعا لأعمال الحفر الخشبية الفاطمية. ويتشكل إطارها الهندسى من أشربة نحيفة مزخرفة باللالى، وتتكون من مشمات بسيطة مرتبطة تبادليا ورأسيا وأفقيا بعناصر تنبت من مربعين متقاطعتين. إلا أن أشد السمات تميزا هو الشكل الذى ينتمى الى القرن الثالث من أوراق العنب وعناقيدته والذى تمت إضافته اليه وربما تم أخذه مباشرة من منبر القيروان (انظر E.M.A., II, pp. 317-19 واللوحتين ٨٩ و ٩٠). وتنبت الأوراق من سيقان نحيفة تتدفق بحرية على السطح بأكمله تحت الإطار الهندسى ومن فوقه .

كما نلاحظ شيئا آخر باقيا، وهو عنصر زهرة الخزامى أو الرمان الذى عُثر عليه لأول مرة فى قلعه كهنه ثم فى فسيفساء قبة الصخرة وعلى أعتاب قصر الطوبة (انظر E.M.A., II, pp. 317-19). ومن ناحية أخرى، نلاحظ البرعمة ذات اللسان الممتد والطرف المتموج والذى كان شائعا للغاية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر.

ضريح محمد الحصواتي (١١٢٥-١١٥٠)

وصفه

يقع هذا الضريح الصغير المجهول لدى الكثيرين (رقم ٣٥ على خريطة الجيب) على بعد ٦٠ ياردة تقريبا من ضريح الإمام الشافعي. ولا يزال جانباه الشمالي الشرقي والشمالي الغربي خاليين من أى شئ حولهما، وكذلك ثلث جانبه الجنوبي الشرقي، إلا أن هناك جدارا بنى على الثلثين الآخرين لدعم شرفة أحد المنازل؛ ويشكل الجانب الجنوبي الغربي أحد طرفي صحن المنزل المذكور.

ويتكون كمعظم الأضرحة من قاعدة مكعبة طول كل من أضلاعها ٣,٤١ م من الداخل (شكل ١٥٨)، ومنطقة إنتقال وقبة - بلا رتبة في هذا النموذج (لوحتان ١١٣ هـ، و). والبناء بأكمله من الحجر المكسو بالجص، وسماك الجدران ٦٦ سم. وهناك فتحة معقودة كبيرة تحتل منتصف كل واجهة، عدا جهة المحراب. وتبلغ مساحة العقود الثلاثة التي تنتمي الى النمط ذي الأربعة مراكز ١,٦٤، ١,٧٠، ٢,٠٥ م على التوالي - أى أن ضريحنا هذا يعد جوسقا مفتوحا تغطيه قبة (٣٦٠).

ونظرا لزيادة ارتفاع الأرضية لدرجة ملحوظة، فإن الجزء العلوي من الطابق السفلي فقط هو الذى يمكن رؤيته من الشارع (لوحة ١١٣ و). والطابق السفلي منبسطة وغير مكسور فيما عدا الفتحة المعقودة فى وسط كل واجهة؛ إلا أنها تتوجها حلية مستطيلة خالية من الزخارف. وتراجع المنطقة الانتقالية فوقها الى الورا لمسافة ٢٠ سم تقريبا، أو ٢٥ سم من حافة الحلية. ويبلغ ارتفاعها حوالى ١,٧٠ م وبها نافذة ذات عقد منكسر بوسط كل واجهة تمر من فوقه على كلا الجانبين حشوة ذات عقد منكسر أكبر قليلا بطاقيّة ضحلة تشع أضلاعها من جامة صغيرة بطرة مستديرة بمنتصف وطرف إطار محرز (وأكثر الحشوات صيانة هي التي نجدها على الضلع الجنوبي الشرقي). والأركان الأربعة لهذه المنطقة الانتقالية مشطوفة فى معظم ارتفاعها، ولكن بقيت القمة مربعة، والأركان الناتئة مدعمة بكوابيل مقرنصة كما هو الحال فى الشيخ يونس. وليست هناك رتبة، وترتفع القبة الطويلة القائمة على ركائز من هذه المنصة المربعة مباشرة؛ ولا بد أن ارتفاعها يبلغ ٣,٥ م تقريبا.

ونظرا لأن العقدتين الكائنتين فى الجانبين الشمالي الشرقي والشمالي الغربي مسدودان، يتحتم علينا الآن أن ندخل صحن المنزل المذكور والمغطى جزئيا، فنجد الى اليسار الجانب الجنوبي الغربي من الضريح والمكسو بطبقة سميكة من الجص ومطلّى بالملاط.

الضريح من الداخل

لدى دخولنا الضريح والقاء نظرة على المحراب (لوحة ٨٨ ب)، يتضح أن الأرضية الحالية تعلو عن المستوى الأصلي بكثير. وإذا أخذنا تناسب ارتفاع المحاريب بالنسبة لعرضها على أنه ١: ٢، يصبح الارتفاع الأصلي $2,48 \times 2 = 4,96$ م، فى مقابل ارتفاعها الراهن الذى يبلغ ٢,٧٨ م، وبالتالي فإننا نستنتج أن الأرضية الأصلية كانت منخفضة عن ذلك مسافة مترين تقريبا.

قامت لجنة حفظ الآثار بعمل تنقيبات هنا على أمل العثور على آثار مهمة من الزخارف أسفل الأرضية الحالية، ولكن دون جدوى؛ فالجدار الذى انكشف كان خاليا تماما من أية زخارف، وتوضح عليها علامات تدل على وجود ترميمات عشوائية فى العديد من المواضع (Comptes Rendus des Exercices 1915-19, p. 38). بل لم يتم العثور حتى على بقايا الأرضية الأصلية.

والنوافذ كلها مسدودة، عدا النافذتين الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية حيث ظل ثلث كل منهما مفتوحا ولا تزالان تحتفظان ببقايا نافذة شعرية حول حافتيهما الداخليتين. والقبة محمولة على أربع مقرنصات طويلة وضيقة كالنوافذ وتساويها من حيث الحجم. وحواها السفلية تعلو عن مستوى الأرضية الحالي بمقدار ٢,٨٧ م، ويبلغ ارتفاع المثلث الانتقالي المكون منها ١,٧٦ م. والقبة محمولة عبر زوايا المثلث (لوحتان ١١٣ هـ، و). وهي تشبه في شكلها قبة جامع الجيوشي والقبة التي تغطي مقدمة مجاز الأزهر (لوحة ١١٤ ب) ولكنها تقوم على ركائز بدرجة أكبر قليلا.

المحراب (اللوحتان ٨٨ ب، ١٢٠ ب)

يعد المحراب على صلة وثيقة بمحراب السيدة رقية ولو أنه يفوقه من حيث الحجم والثراء في الزخارف. ونجد هنا نفس الطاقة المحارية بجمامة كبيرة في وسطها، وحافة مروحية ثلاثية ونفس التخطيط ذي العقد المنكسر تقريبا ونفس بقايا الطرر في الكوشات وشريط من نفس النوعية ذات الكتابة الكوفية المجدولة على الحلية الربع دائرية، بفارق أن الشريط يجرى أسفل الجوانب أيضا، ثم نجد شريطا من النمط المفتاحي الإغريقي المنحدر، يليه حز طويل خالٍ من الزخارف كان بلا شك يحمل شريطا رائعاً من الأشغال المتشابكة. ولكن لم يبق من هذه الأشغال سوى حز صغير من الزخارف على كل من الطرفين يذكرنا بأسلوب محرابي الجيوشي وإخوة يوسف. ويرتكز الإطار المروحي الخارجى على كسوة من الجص بتيجان على شكل كأسى. وأضلاع المحارة مزخرفة بجديلة بسيطة وتوريق منساب بالتناوب، فيما عدا الضلع السفلى الذى يشكل هو الآخر الحافة العليا من الحنية (وعرضها ١,٠٦ م وعمقها ٦٠ سم)؛ وهو مزخرف بشريط من مثلثات معدولة ومقلوبة، وفي وسط المثلثات الرأسية هناك وريقة نباتية ثلاثية. ورغم الجدار المذكور الذى بنى على جزء من الواجهة الجنوبية الشرقية، لا يزال من الممكن رؤية أن المحراب به نتوء مستطيل بقمة منحدر.

وليست هناك زخارف أخرى بالداخل عدا الحواشي البسيطة للنوافذ؛ فائتان منها مزخرفان بنمط مفتاحي إغريقي مائل يشبه نظيره الذى يجرى على امتداد الحافة العليا للمحراب، والحاشيتان التبادليتان بهما ما يشبه السلسلة (انظر الركن الأيسر العلوى باللوحة ١١٣ هـ).

تاريخ البناء

تعد السمات التالية التى يتميز بها المحراب قاعدة لتحديد التاريخ الزمني:

١. نمط مفتاحي إغريقي نجده كذلك فى قبة مقدمة مجاز الأزهر (النصف الأول من القرن الثانى عشر).
 ٢. طرر بكوشات عقد المحراب، وهو مانراه أيضا فى محراب الأفضل بجامع ابن طولون، ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) وفى محراب السيدة عائكة وفى المحراب الرئيسى بالسيدة رقية، ٥٢٧ هـ (١١٣٣ م).
 ٣. حافة مروحية ثلاثية للمحراب وهو ما نجده أيضا فى السيدة رقية.
 ٤. جمامة فى وسط المحارة التى تشع منها الأخاديد، وهى سمة نجدها كذلك فى بائكة مدخل جامع الأقمر، ٥١٩ هـ (١١٢٥ م)، وفى المحراب الرئيسى بالسيدة رقية، وفى ضريح يحيى الشبيه.
 ٥. قطعتان من الزخارف أعلى أركان المحراب، وهى سمة نجدها أيضا فى محاريب الجيوشي، ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م)، وإخوة يوسف والمحاريب الخارجية بالسيدة رقية.
- هذه السمات بالإضافة الى النقوش الكوفية المجدولة وشكل عقد المحراب، تشير جميعا الى النصف الأول من

القرن الثاني عشر الميلادي. كما أنى أرى أن السمتين (٣) و(٤) تبرران لنا أن نزيد فى تحديد الفترة الزمنية لتصبح الربع الثانى من القرن الثانى عشر الميلادي. أما بالنسبة للسمة (٤)، فأشير الى عدم العثور على أية جامعة فى وسط الحنيات المروحية العديدة التى نجدها فى جامع الصالح طلائع (٥٥٥هـ/١١٦٠م)، وفى المنشآت اللاحقة عليه، حيث شغلت الحيز بدلا منها حشوة معقودة مستقيمة الأضلاع، عدا فى حالتين هما ضريح الخلفاء العباسيين، المحراب، وجامع الظاهر بيبرس، المدخل الرئيسى (٥-٦٦٧هـ/٦-١٢٦٩م).

الأصول المعمارية

نظرا لأن هذا الضريح يعد جوسقا مفتوحا تغطيه قبة، فهو ينتمى الى الأضرحة المصرية المبكرة -السبع بنات (لوحة ٣٤) لا من حيث وضع القبة وحسب، بل فى أشد سماته نميزا، ألا وهى الفتحة المعقودة الكبيرة التى تحتل وسط كل واجهة عدا على جانب المحراب. وليس لهذا النوع من المنشآت الا ثلاث سوابق (٣٦١) فى مصر، وهى:

١. مبيضة صحن جامع ابن طولون (٦٩٦هـ/١٢٩٦م)؛
٢. ضريح الأمير تنكزبغا [منشية ناصر] (٧٦٤هـ/١٣٦٢م)؛
٣. الضريح الغفل من الأسماء (٣٦٢) خلف ضريح السلطان برمسباى (٨٣٥هـ/١٤٣٢م). لمزيد من المعلومات عن هذه التواريخ، انظر (Brief Chronology, B.I.F.A.O., xvi, pp. 84, 110-11 and 125-6).

الفصل السابع عشر

القاعة الفاطمية

قاعة الدردير (٣٦٣)

وصفها

اتجه اهتمام اللجنة الى هذه القاعة المتميزة التي تعرف بقاعة الدردير (٣٦٤) (رقم ٤٨٨ على خريطة الجيب) في سنة ١٩٣٢. وتقع على الجانب الشمالي من شارع بنفس الاسم يجرى شرقا من الغورية، الى الجنوب قليلا من ضريح السلطان الغوري.

بعد المرور بعدد من الحجرات الحديثة نسبيا، نجد أنفسنا في مجاز (A) يؤدي مباشرة الى داخل درقاعة أو الجزء الأوسط الغائر من القاعة (B) ومساحته أكبر من ٦م^٢ بقليل. وإلى الشمال والجنوب نجد الايوانين الكبيرين (C, D) اللذين يفتحان على عرض الدرقاعة كاملا؛ ويبلغ عرض الايوانين ٥,٤١ وعمقهما ٥,١٠ م، والدرقاعة ٥,٥١ × ٦,٤٥ م. وبكل منهما قبو اسطوانى من الآجر ينتهى بنصف قبة (لوحنان ٩٣، ٩٤، شكل ١٥٩). ويرجع تميزهما الى علوهما الشديد -حوالى ١١,٥٠م- وإلى الأسلوب الذى رفعت به نصف القبة على امتداد الأركان. ولا يحتل كل ركن مثلث كروي، بل مثلث متساوى الساقين ومسطح (أو منحدر مثلث) ركناء العلويان فى الايوان الجنوبي متوافقان مع نصف القبة بمقرنصات صغيرة ذات عقود منكسرة (لوحة ٩٤). والركن السفلى من كل مثلث تركز على مقرنصة أخرى أصغر قليلا من نظيراتها العلوية. وفى الايوان الشمالى تم حذف المقرنصتين العلويتين. وفى الايوان الجنوبي، هناك نافذة بين الدلايات محشوة بمقصورة مشرّبة. وبالصعود الى السطح بدرج سلم قريب، يمكن ملاحظة أن هذه النافذة وبالتالى الطرف الجنوبي من هذا الايوان تعلو عن الشارع بأربعة أمتار تقريبا.

والجدران من الحجر وحتى منبت الأقبية، إلا أن هذه الأقبية ودلاياتها بالشكل الذى نراه فى الايوان الشمالى حيث سقط بعض الجص الذى يكسوها قد صنعت من الآجر، وكذلك العقود الأمامية. وكل هذه المكونات تصنع قاعة تختلف عن أية قاعة أخرى فى القاهرة حيث أن لكل القاعات الأخرى أسقفا خشبية وإطارا مقرنصا خشبيا يعرف باسم كردى بدلا من العقد الأمامي.

تمت معالجة الضلعين الشرقي والغربي من الدرقاعة على النحو التالي. داخل إطار معقود ضحل له نفس ارتفاع الليوانات وعرضها وعمقه لا يزيد عن ١٠سم، هناك دخلة طويلة وضيقة عرضها ٢,٤٥سم وعمقها ٥٤سم تجرى الى أعلى نحو قمة الإطار المعقود. وعلى جانبيه من أسفل هناك مجازان مستطيلان بعرض متر تقريبا وبارتفاع ٢,٨٥م تغطيهما أسكفات خشبية وعقود ناتئة مقطعية من الحجر تعلوها حنايا ضحلة لا يزيد عرضها عن ٩٠سم إلا أن ارتفاعها يزيد عن خمسة أمتار وتنتهى فى أعلاها بعقود منكسرة لا تزيد مساحتها عن ٥٠سم، وواجهاتها العريضة ينحني الى الخارج بحيث تحاذى منحنياتها الخارجية سطح الجدار الذى وضعت فيه (لوحة ٩٤ ب). وإذا نظرنا إليها من أسفل، نجدها محمولة عبر أركان الدخلة بطريقة أفقية حادة.

والأهم من ذلك أنه لا يزال هناك إفريز خشبي عرضه حوالي ٣٥ سم ومزخرف بنقش كوفي بين حافتين مزخرفتين زخرفة بسيطة وحلية خارجية مفلطحة الوجه، وهذا الإفريز مثبت في جدار الحنية الوسطى على الضلع الشرقي من الدرقاعة على ارتفاع ٣,٥ م من الأرضية (لوحتان ٩٣، ٩٤ ج). ويجرى هذا الإفريز الكوفي بعرض الدخلة بأكمله (٢,٤٨ م) ويستمر بزوايا يمينى عند كل طرف لمسافة حوالي ٣٥ سم ثم يفصل عنها بصورة مفاجئة.

ولابد أن الأضلع الأربعة للدرقاعة كانت تستمر الى أعلى فيما مضى، وكانت هناك ثلاث نوافذ في كل واجهة، ولا يزال الجزء السفلى للنوافذ الثلاث باقيا على الضلع الشرقي (شكل ١٥٩). ولا شك أن هذا الجزء كان يغطيه سقف خشبي مسطح، نظرا لنحافة الجدران.

وعلى أحد جانبي الايوان، هناك حجرة مظلمة تعد مخزنا (E)، وعمقها ١,٦١ م وطولها ٤,٢٥ م وبها صوانان عند كل طرف؛ وعلى الجانب الآخر هناك فتحة (F) تدور بزوايا يمينى وتؤدي الى جزء G مفتوح الآن الى السماء.

وعلى الجانب الغربى من الايوان الشمالى هناك حجرة بلا نوافذ وبها دخلات عميقة للصوانات؛ وعلى الجانب المقابل، هناك فتحة تؤدي الى مساحة محطمة تماما.

تاريخ البناء

تمثل السمتان التاليتان موضوعا للجدل:

(أ) الدلايات.

(ب) أسلوب معالجة الحنايا ذات العقود المنكسرة على الجدران الجانبية.

(أ) الساذج الوحيدة التي تشبه هذه الدلايات هي المثلثات الكروية بالمسجد الأقصى، وينتهى كل منها بحنية ركنية فى أسفله (شكل ١٥٢). والعقود الكبيرة التي تتركز عليها قبة الأقصى مزخرفة بالفسيفساء، وهناك نقش أعلى العقد الشمالى على واجهته الشمالية طوله ١١,٥٠ م وتم تصميمه من الفسيفساء وعليه اسم الخليفة الفاطمى الظاهر وهو الذى قام بترميم الجامع عام ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ م) كما رأينا من قبل.

(ب) لا يظهر العقد المنكسر بمصر حتى أواخر العصر الفاطمى، ومن أمثله العقود التي تدعم القبة عند المدخل المؤدى الى مجاز الجامع الأزهر (٢٤-٥٤٤ هـ/٣٠-١١٤٩ م) وضريح يحيى الشيبى (١١٥٠ م) وجامع الصالح طلائع (٥٥٥ هـ/١١٦٠ م). أن معالجة الأسلوب المقوس الخاص بواجهات العقود المنكسرة تذكرنا بأسلوب مماثل له نجده فى الشيبى، وخاصة فى حشوات جدران الصحن الأمامى (لوحتان ٩٥، ٩٦). ومن ثم يمكن إرجاعه الى النصف الأول من القرن الثانى عشر.

الأهمية المعمارية للقاعة

إن هذه القاعة تثبت أن نمط البيوت الذى تم التعرف عليه من حفائر الفسطاط قد أخلى مكانه لنمط مختلف تماما فى القرن الثانى عشر. كما أنها تنم عن أصل المدرسة ذات الايوانين. وقد توصلت فى سنة

١٩٢٢ الى استنتاج بأن هذا النوع من المدارس كان مشتقا من قاعات بيوت القرن الثاني عشر (The origin of the Cruciform Plan of Cairene Madrasas, B.I.F.A.O., XXI, p. 45). وفى ذلك الوقت، لم يكن هناك بيت معروف فى القاهرة يرجع الى ما قبل القرن الرابع عشر، لكنى أضفت قائلا: فإذا افترضنا أن بيوت القرن الثاني عشر كانت كما يبدو تشبه بيوت القرن الرابع عشر، فالحل يصبح واضحا. فالقاعة بهو داخلى يتكون من ايوانين على جانبيين متقابلين من مساحة مربعة يغطيها منور [ملقف أو باذاهنج] فى السقف. وتحت المنور، وبين الايوانين نجد نافورة. وهو نمط يناسب نمط المدرسة ذات الايوانين تماما، وإذا عدنا الى النصوص نجد أن العديد من المدارس الأقدم كانت بيوتا ثم تحولت الى مدارس لدى وفاة أصحابها. وستحدث بتفصيل أكبر عن هذا الموضوع فى المجلد الثانى حين نتناول التطور المعماري للمدرسة (٣٦٥).

الفصل الثامن عشر

ضريحاً [مشهداً] يحيى الشبيه والقاسم أبي الطيب (٣٦٦)

ضريح [مشهد] يحيى الشبيه

وصفه

فى الجبانة الجنوبية، وعلى بعد ٢٥٠ م تقريباً الى الجنوب من ضريح الإمام الشافعى، نجد بناء غربياً (رقم ٢٨٥ فى الخريطة المرفقة) يتكون من حجرة ذات قبة مساحتها تزيد عن ٧,٥ م بقليل، ويحيط بها من ثلاثة جوانب مجاز مسقوف تتصل به عبر فتحة ذات عقد منكسر فى منتصف كل من الجانبين. والجانب الأيسر من المجاز المسقوف الشمالى الشرقى يفتح على ملحق سيرد وصفه فيما بعد. ويبلغ عرض البناء بأكمله ٢٦ م وعمقه ١٣ م - أى أنه مربع مزدوج (لوحتان ٩٥، ٩٦، وشكل ١٦٠).

والمدخل المستخدم حالياً (A) يقع فى الركن الغربى خلف دخلة ضحلة يغطيها على شكل ورقة نباتية ثلاثية لا يبدو عليه أنه يرجع الى فترة أقدم من القرن التاسع عشر. وبشكل بناؤه كتلة واحدة مع واجهة حجرة² (B) تمت إضافتها الى الضلع الجنوبى الغربى من ضريحنا هذا. وبالقرب منها عند النقطة (N) نجد المحراب القديم الذى سبق وصفه. وبما أن الأرضية ارتفعت، فلا بد لنا من أن نهبط ثلاث درجات للوصول الى المدخل، ودرجتان أخريان بعد المرور فى داخله؛ فنجد أنفسنا فى المجاز المسقوف الجنوبى الغربى، وأرضيته تنخفض عن الأرضية فى الخارج بمقدار متر واحد. وإلى اليمين، نجد باباً فى داخل الحجرة التى ذكرناها لتونا؛ وإلى اليسار، نجد فتحة واسعة ذات عقد منكسر داخل الحجرة ذات القبة، وفى المقدمة نجد عقداً منكسراً عرضه ١,٥ م ويفتح على البائكة الركنية بالمجاز المسقوف.

الحجرة ذات القبة

ينقسم الضلع الشمالى الغربى الى ثلاث دخلات ذات عقود منكسرة الوسطى منها أعرض من الآخرين؛ وبالأضلاع الأخرى فتحة ذات عقد منكسر فى الوسط بحنية ضحلة ذات عقد منكسر بعمق ٢٢ سم الى اليمين واليسار. وتنبت العقود من أزواج من الأعمدة المدمجة كما يتضح فى الشكل (١٦٠) واللوح (٩٥)، عدا العقد الجنوبى الغربى حيث هناك عمود واحد على كل من جانبيه. والجدار بارز فوق الأعمدة، وهو طبلية من لوحين غليظين يتوسطان بطريقة مستعرضة. وفوق هذه الطبلية مباشرة، نلاحظ وجود إفريز خشبى بسيط عرضه ٣١ سم دائر تبعاً لكل الزوايا البارزة والكارة، وحافته السفلية تعلو عن الأرضية مسافة ١٠,٤ م. وكل من العقدين مشبك برباط خشبى غليظ يلامس الحافة العليا من هذا الإفريز بالكاد. وهناك إفريز خشبى أضيق قليلاً يتوج قمة الجدران الأربعة.

وفوقه مباشرة، وعلى ارتفاع ٥,٧٢ م من الأرضية، تبدأ المنطقة الانتقالية وارتفاعها ٣,٢٦ م، والمقرنصات والنوافذ ذات الثلاث فتحات للضوء فيما بينها تطابق نظيراتها بمشهد السيدة رقية. أما من الخارج فالمعالجة تختلف، إذ نجد أن المنطقة الانتقالية مدرجة (لوحة ١١٤ ب) كما هو الحال بضريح جعفرى وعاتكة والشيخ يونس (لوحات ١١١ ج، هـ، ب) وليست هناك رقية. والقبة أيضاً تشبه نظيرتها فى السيدة رقية عدا أن أضلاعها الأربعة والعشرين تعد أكثر سمكاً وليست بها حواف مستديرة؛ وكلها تضيق تدريجياً نحو الوسط حيث نجد حلية خطية صغيرة.

المجاز المسقوف

يضيق المجاز المسقوف عند أربع نقاط حيث تستمر الجدران الجانبية من المكعب فى داخله وتحمله عبره أربعة عقود منكسرة (شكل ١٦٠)، وبالتالي فهى تناظر الدعائم الطائرة، لأنها تؤمن أركان المربع الأوسط ضد اندفاع العقود الرئيسية الثلاثة والقبة. من ثم فالمجاز المسقوف ينقسم الى خمسة أقسام مساحة القسمين الجانبيين منها $١,٩٠ \times ٧,٣٠$ م (وقد انخفض طول القسم الجنوبي الغربى بسبب المدخل الذى فتح حديثا) ويغطيهما سقف خشبى مسطح. ومساحة البائكتين الركنيتين $٢,٧٠ \times ٢,٤٠$ م وتغطيهما قباب ضحلة. ومساحة القسم الجنوبي الشرقى $٦,٨٥ \times ٢,٤٠$ م؛ وبالتالي فهو أعرض من الأقسام الجانبية بمقدار متر واحد؛ وتغطى الجزء الأوسط منه قبة قطرها $٢,٤٠$ م وبطول قبا اسطوانى نصف دائرى الى اليمين واليسار. وتشبه هذه القبة القبة الرئيسية فى تخطيطها، لكنها مصقولة من الداخل والخارج (لوحة ١١٤ ب)؛ وترتكز على مقرنصات مماثلة مدرجة من الخارج، إلا أن النوافذ فيما بينها (وهى سدودة حاليا) لا تنقسم الى ثلاث فتحات للضوء (ويمكن الاستدلال على أنها كانت مفتوحة فيما مضى من السقف حيث يمكن رؤية تخطيط الجزء الأدنى من النافذة الشمالية الشرقية بوضوح).

المحراب

هناك ثلاثة محاريب، محراب فى كل من طرفى المجاز الجنوبي الشرقى. والمحراب الأوسط (لوحة ١٢١ ج) مساحته $٤,٨٠ \times ٢,٧٥$ م، وبالتالي فهو بنفس مساحة المحراب الرئيسى بالسيدة رقية، إلا أنه أقل إتقانا منه بكثير سواء من حيث التصميم أو التنفيذ. فليس به إطار خارجي، وليست هناك زخرفة على الأضلاع التى تشع من حلية وسطى، ولكن هناك أربعة صفوف متحدة المركز من الأخاديد حول الحواف بدلا من ثلاثة. ويبرز الى الخارج مما يكون نتوءا مساحته $٣,٣٨ \times ٠,٨٩$ م بقمة مستديرة.

ومساحة المحاريب الجانبية $٣,٠٩ \times ١,٢٨$ م (لوحة ١٢١ ب). ومع أن بها صفين متحدى المركز من الأخاديد بدلا من صف واحد فقط كما هو الحال فى المحاريب الجانبية بالسيدة رقية، إلا أنها أقل منها بكثير من حيث القيمة وتفتقر الى إطار خارجي. ويشكل تخطيطها عقدا منكسرا كنظيره الخاص بالمحراب الرئيسى.

وهناك بأرضية القبة خمسة توابيت مجوفة وتابوتان صغيران وجميعها متراصة جنبا الى جنب؛ وتتكون هذه التوابيت من مستطيلات من الحجر المكسو بالجص، وبالتوابيت الثلاثة الأولى أعمدة خشبية على الأركان تربط بينها أربعة ألواح خشبية منحوتة منقورة فيها وتجرى على طول الحواف العليا. ويبلغ طول التوابيت الكبيرة (مرقمة من I الى V فى الشكل ١٦٠) حوالى $٢,٨٠$ م وعرضها $١,٥٠$ م وارتفاعها متر واحد. وفى طرفى التابوت الثانى هناك شواهد قبور باسم «عبدالله بن قاسم... بن على بن أبى طالب» وتاريخ «١٨ رمضان ٢٦١» (٢٦ يونيو ٨٧٥ م، فان برشم، *Egypte*, I, pp. 23-25)؛ وهناك شاهدان آخران باسم «يحيى بن قاسم» (أخى عبدالله) بتاريخ «٢٨ رجب ٢٦٣» (١٦ إبريل ٨٧٧ م) مدمجان فى التابوت الثالث (فان برشم، ص ٢٥-٢٦). كان يحيى بن قاسم يلقب بالشبيه نظرا لشبهه المفترض بالنبي [صلى الله عليه وسلم]؛ ومن هنا أطلقت التسمية الشهيرة «ضريح سيدى الشبيه» على هذه المنشأة. وهناك شاهد آخر باسم... الجارية أم ولد عبدالله بن قاسم مدمج فى أحد طرفى التابوت الخامس لكنه غير مؤرخ. وكان عبدالله ويحيى من نسل

على بن أبى طالب. وقد خُطت كل النقوش بالكوفى البسيط الذى ينتمى الى القرن الثالث الهجرى وتشبه الخط الكوفى المستخدم فى اللوحة التأسيسية لجامع ابن طولون المؤرخ ٢٦٥هـ. أما التابوتان الآخران -ربما يخصان الأولاد- فليست عليهما نقوش شاهدة .

المبنى الملحق

الجانب الخارجى من المجاز الشمالى الشرقى يشكله بائكة من ثلاثة عقود منكسرة ترتكز على عمودين كما يتضح فى الشكل (١٦٠) واللوحة (١٩٦). وتفتح على مساحة مستطيلة تبلغ مساحتها $٧,٣٠ \times ١٠$ م وتنقسم الى ثلاث مساحات بيائكتين أخريتين مساحتهما (ويبلغ عرض هذه الأروقة [البلاطات] من الغرب الى الشرق ٢,٤٦، ٢,٩٠، ٣,٧٧ م على التوالي). وأرضية هذا الجزء أعلى بمقدار ٣٨ سم وتصعد اليها بدرجتي سلم؛ ويغطيها سقف خشبى مسطح بملقف فوق الجزء الأوسط الذى يؤدى وظيفة منور سقف أيضا.

ينقسم سطح الجدار على الجوانب الثلاثة جميعا الى ثلاث حنايا ضحلة ذات عقود منكسرة، عدا على الجانب الجنوبى الشرقى حيث نجد حنيتين فقط (والحنايا كلها عدا تلك التى تقع على الجانب الشمالى الشرقى على جانبيها فجوات بعرض ٣٠ سم وبعمق ٢٠ سم وكان المقصود منها أن تضم أعمدة ركنية اختفت حاليا)، وقد احتل مكان الحنية الوسطى عقد منكسر يؤدى الى بائكة (C) مغطاة بقبة ضحلة. وتعلو أرضية هذه البائكة عن الجزء بين البائكات مسافة ٣٦ سم. والى اليمين من هذه البائكة نجد بائكة أخرى (D) مغطاة أيضا بقبة ضحلة ويفصلها عن سابقتها عقد مستعرض بعرض البهو كله؛ وبه تابوت اسماعيل عاصم باشا، أحد كبار موظفى محمد علي. والى اليسار، هناك بائكة ثالثة مقبية (E) بنفس حجم سابقتها، إلا أنه يفصل بينها وبين البائكة (C) جدار بباب صغير عند الطرف الأقصى. وهناك ظهر محراب يبرز داخل هذه الحجرة. وتبرز القباب الضحلة الثلاثة قليلا فوق السطح المسطح للسقف.

وعلى الضلع الشمالى من الملحق نجد بابين (F و G) عند الطرف الشمالى من الرواقين الأول والثالث. يفتح الأول على الخارج، بينما يؤدى الآخر الى حجرة مستطيلة ذات قبة متقاطع (H) لها مدخل آخر على الضلع الشمالى الغربى.

التحليل وإعادة تصور الشكل الأصلي للضريح [للمشهد]

هناك سؤال يبرز الآن وهو أين كان المدخل الأصلي المؤدى الى الضريح؟ وهل تمت إضافة الملحق فى فترة لاحقة؟ وهل مر الملحق بعمليات تغيير؟ من الواضح أن الحجرة ذات القبة والمجازات المسقوفة كلها تشكل جزءا من بناء واحد، لأن المحراب الرئيسى ينتمى الى نفس الحقبة التى تنتمى اليها المقرنصات. فى البداية يجد المرء فى نفسه ميلا الى نسيان مدخل القرن التاسع عشر الحالى ويمد الضلعين الشمالى الغربى والجنوبى الغربى حتى يلتقيان. وإذا تجاهلنا الملحق يصبح لدينا ضريح تحيط به على جوانبه الثلاثة مجازات مسقوفة، ويشكل الكل مستطيلا مساحته حوالى $١٣ \times ١٤,٥٠$ م كما يتبين من الشكل (١٦١). ويؤدى هذا الى افتراض أن البائكة على الضلع الشمالى الشرقى لم يتم فتحها إلا حين تمت إضافة الملحق. ومما يؤيد هذا الحل حقيقة أن الواجهة الشمالية الغربية ترجع الى الورا بمسافة ٤٥ سم عند النقطة (M) مما يتطابق تقريبا مع ما كان سيصبح الركن الشمالى لمثل هذا البناء. ولكن فى مقابل هذا نجد حقيقة أخرى وهى أنه نظرا لإزالة جزء من التكبسية

الجصية، أمكن رؤية عدم وجود أى فاصل من أى نوع عند النقطة المقابلة فى الأعمال الآجرية فى الجدار الجنوبى الشرقى.

ولكن فى هذه الحالة، أين يقع المدخل ؟ من غير المحتمل أن يكون عند أحد طرفى المجاز الجنوبى الغربى كما هو الحال حالياً، بل فى منتصف الضلع المقابل للمحراب. وعند هذه النقطة وبإزالة قدر ضئيل من الأعمال الآجرية عند النقطة (K)، تبين أن الواجهة النظيفة المكسوة بالجص تمتد الى الداخل على خط مواز لضلع الدخلة الوسطى. بعبارة أخرى، فإن ما يعد حالياً حشوة صماء كان هو المدخل فيما مضى، تماماً كما هو متوقع. ولكن لا بد أن كانت هناك فتحة مستطيلة بطبلة فوقها، لأن الإفريز الخشبي يجرى عبر الحشوة، وتبين من استكشاف قامت به اللجنة بناء على طلب منى أن وراء هذا الإفريز أعتاب خشبية بواجهة سفلية مكسوة بالجص على ارتفاع ٣,١٣ م من الأرضية. لذا فالأرجح أن مساحة الفجوة كانت ٢,٢٠ × ٣,١٣ م نخضم منها حوالى ٧ سم دائرياً للعضادات لنحصل على الأبعاد الحقيقية لمجاز الباب - أى حوالى ٢,٠٦ × ٣ م. ويبلغ سمك الجدار ١,٠٥ م، ويمتد السطح المكسو بالجص لمسافة ٨٥ سم فقط وخلفه أعيد بناء الجزء الخارجى من الجدار بالآجر والدهش بعمق ٢٠ سم، وهو ما يبدو واضحاً أنه تم فى عهود حديثة تماماً. واختفت العضادات فى غمار هذه العملية.

وتبين من استكشاف آخر أن السطح المكسو بالجص يجرى من جانبى الفجوة بموازاة سطح الجدار، كما يتضح فى الشكل (١٦٠). فإلى أى مدى كان يصل ؟ انه يجرى مسافة ٥٢ سم، إذ أن هناك سطحاً آخر مكسواً بالجص يجرى نحو الداخل لمسافة ٣٢ سم عند نقطة تبعد عن جانب الحشوة بمسافة ٥٢ سم. معنى هذا أنه كانت هناك أصلاً فجوة هنا، فجوة كان المقصود منها أن تحتوى عموداً. بعبارة أخرى، فمن المرجح أن الدخلة الوسطى كانت فيما مضى تضم على جانبيها أعمدة مدمجة تمت إزالتها فيما بعد وتم ملء مكانها لتحاذى الأعمال الآجرية. وكانت هذه الأعمدة تدعم عقد الدخلة الحالى الذى يبلغ عرضه ٢,٢٠ م، وأدت فجواتها الى خفض عرض سطح الجدار على جانبي الحشوة الجانبية ليصبح ٤٢ سم كما هو الحال فى غيره، وبالتالي اكتملت السيمترية المطلقة لحجرة القبة.

نعود الآن الى الملحق، فنلاحظ على الفور أن الحنيتين الأوليين (وخاصة الثانية) تقطعهما على الجانب الشمالى الغربى دعامات جدارية من القوسين الثانى والثالث. وإذا استدرنا نلاحظ أن نفس الشئ قد حدث على الجانب المقابل. من ثم، فالبائكتان الثانية والثالثة نعتبرهما إضافة لاحقة. ثم نلاحظ أن الأعمدة العشر بالحجرة ذات القبة والعمودين اللذين ينتميان الى البائكة الأولى جميعها متماثلة فى الارتفاع والقطر (عدا اثنين) وفى الأسلوب الكلاسيكى الجميل لتيجانها، فى حين أن الأعمدة الأربعة المستخدمة للبائكتين الثانية والثالثة بها تيجان بسيطة ناقوسية أو كأسية الشكل وتعطى مظهرها حديثاً نسبياً (لوحة ١٩٦). كما أن الحشوات الثمانية ذات العقود المنكسرة بالملحق تشبه نظيراتها بحجرة القبة. لذا فإن الاستنتاج الحتمى هو أن الملحق كان فى الأصل صحناً مفتوحاً بجدران محشوة يفصلها عن المجاز المسقوف الشمالى الشرقى بائكة ثلاثية العقود.

وهناك نقطة تفصيلية أخرى؛ فقد رأينا أن أرضية المجاز الشمالى الشرقى والملحق تعلو عن أرضية حجرة القبة بمقدار ٣٨ سم. ترتكز الأعمدة الأربعة ذات التيجان والقواعد على شكل ناقوسى (كاسى) على هذه الأرضية، إلا أن العمودين الكلاسيكيين بالبائكة الأولى، وكذلك الأربعة التى تدعم العقد الشمالى الشرقى لحجرة القبة،

ليست لها قواعد، في حين أن الأعمدة التي تدعم العقدتين الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي لها قواعد. وأعتقد من جانبى أن أرضية الجزء الشمالى الشرقى تم رفعها فى فترة لاحقة نسبيا، وأن قواعد الأعمدة الستة اختفت فى هذه العملية، وأن بائكتى الملحق بنيتا بقواعد أعمدتهما المرتكزة على الأرضية الجديدة.

ونتجه الآن الى الحجرات الكائنة جهة القبلة بهذا الصحن. اذا وقفنا تحت البائكة الوسطى (C) أو فى البلاطة التى تقع أمامها، يمكن لنا أن نرى أن نصفى العقد المنكسر ليسا متماثلين، فالنصف الشرقى قد ملئ لمسافة ٢٠ سم بالدعامة التى تتخذ التواء البائكة الأخيرة. ولولا هذا لكان هناك عقد منكسر عرضه حوالى ٢ م يفتح على بهو مستعرض للصلاة عمقه حوالى ٣ م وعرضه ١٠ م (لولا وجود الجدار الفاصل) ويتكون من بائكة وسطى تحيط بها بائكة أعرض قليلا الى اليمين واليسار، وثلاثتها مغطاة بقباب ضحلة.

يؤدى بنا هذا الى سؤال: هل هذا الجدار الفاصل أصلي؟ يتبين من فحصه أن سمكه (٧٧ سم) يساوى عرض العقد المستعرض بين النقطتين (C) و (D). ومن غير المحتمل أن تكون هذه محض مصادفة؛ بل تعنى بكل تأكيد أن هناك عقدا مستعرضا آخر مثله بين النقطتين (C) و (D) هاهنا، وأنه تم سده فى وقت لاحق، ربما حين أصبحت هذه البائكة ضريح عاصم باشا.

تاريخ البناء

يرى فان برشم (ص ٢٧) أن هذا الضريح يرجع الى القرن الثانى عشر. وبما أن مقرنصاته ونوافذه ذات الفتحات الثلاث فيما بينها تتطابق مع نظيراتها بمشهد السيدة رقية (٥٢٧هـ/١١٣٣م)، فإننا نرى من جانبنا أنه يعود الى الربع الثانى من القرن الثانى عشر. لكن المحراب المتقن الصنع بحافته ذات المحارة المروحية الشكل الرباعية تدفعنا لإرجاعه الى نهاية تلك الحقبة، أى الى عام ١١٥٠م، وليس الى تاريخ لاحق على ذلك نظرا لبحية الدائرية فى الوسط، وهى سمة غالبة فى كل الحنيات المؤرخة المحارة الشكل منذ جامع الصالح طلائع (٥٥٥هـ/١١٦٠م) فصاعدا باستثناءين فقط (انظر أعمال الخليفة الحافظ لدين الله فى نفس هذا الكتاب).

وحتى ذلك الحين، هناك قليل من الشك فى أن هذه التوابيت كانت فى حوش مفتوح، فقد رأينا من قبل أنه من المستبعد تماما أن تكون هناك أضرحة شيدت بمصر عام ٢٦١ أو ٢٦٣هـ؛ كما أن دراسة جبانة أسوان تؤكد هذا الرأي. فالأطر الخشبية التى تضمها بعض التوابيت ربما كانت قد أضيفت لدى إتمام البناء، لأن الزخرفة المحفورة عليها تدل على أنها تنتمى الى الجزء الأخير من العصر الفاطمى.

أما بالنسبة للتاريخ الذى تم فيه إدخال البائكتين [الثانية والثالثة] فيما كان فى الأصل صحنًا مفتوحًا، فالمظهر الحديث نسبيا لأعمدته الأربعة وقيجاناتها على شكل الساعة وقواعدها، وتركز القواعد على أرضية تمت تعليتها، مما يدفعنا الى الظن بأنها ترجع الى الفترة التى دفن فيها إسماعيل عاصم باشا فى النقطة E ولو أنى لا أذكر مثالا على عقد منكسر يرجع الى عصر محمد علي.

الأصول المعمارية

لفت هرتزفيلد الانتباه عام ١٩٢٦ الى نوع جديد من معابد النار تم اكتشافه على يديه فى جيرة (شكل ١٦٢) بين فيروزآباد وكازرون، ويعتقد أنه شيد على يدى مهنارسه كبير وزراء يزدجرد وبهرام گور (أى بين ٣٩٩ و ٤٢٨م). ولا أستطيع أن أصفه بما هو أفضل من وصف مونيريه:

«يتكون الجزء الأوسط فيه من حجرة مربعة فوقها قبة قائمة على حنايا ركنية ومحمولة على أربع دعائم متصالية بينها أربعة عقود متسعة. وحول هذه الحجرة الوسطى يجرى دهليز، والقطاع الأوسط من كل منهما - وهو يتعامد مع جانب واحد من الحجرة- يغطيه قبر اسطواني، في حين أن الأطراف عند الأركان الأربعة من مربع البناء تغطيها أربعة قباب صغيرة. وتفصل بين مختلف أجزاء الدهليز عقود تنبت من الدعائم المتصالية بالحجرة الوسطى الى الجدران الخارجية» (ص ١٧٦)

والشبه بين جزء الضريح من مشهدهنا هذا وبين هذا البناء لا يحتاج الى تأكيد؛ إلا أنه ليس هناك دهليز على الجانب الشمالي الغربي، وفيما عدا ذلك فإن الفروق طفيفة، أى أن الدهليز الجنوبي أعرض من البقية وبه قبة فى منتصف قبوه الاسطواني، والأروقة الجانبية بها أسقف خشبية مسطحة بدلا من أقبية اسطوانية. وقد يدفعنا هذا الى الاعتقاد بأنه كان هناك فى الأصل دهليز على هذا الجانب من مربع القبة، ولكن يجب رفض هذه الفكرة، لأننا رأينا أنه ليس هناك عقد مفتوح على هذا الجانب من مربع القبة. وكانت الحشوة المعقودة تحيط فقط بفتحة باب الدخول المستطيلة التى يعلوها عتب خشبي ومبللة آجرية. ولو كان هناك عقد مفتوح هنا فيما مضى، لكانت الأعمدة قد وضعت بحيث تدعم منبت العقد وليس فى فجوات على الحافة الداخلية. ومن الناحية المعمارية فإن مشهدهنا هذا يعد نسخة مطورة من معبد النار بجيرة ولر أن أصل التشابه بينهما فى التصميم يظل بمثابة لغز، اذ يفصل بين الأثرين زمنيا سبعة قرون ومكانيا ١٤٠٠ ميل (٣٦٧). كما أنه ليس المثال الوحيد من نوعه فى مصر، فعلى بعد ٢٠ م الى الجنوب منه نجد أطلال بناء من المرجح أنه كان شبيها بهذا وهو ضريح القاسم أبو الطيب.

ضريح [مشهد] القاسم أبو الطيب

وصفه

يتكون هذا الضريح (رقم ٢٨٤ بالخريطة المرفقة) من حجرة قبة مربعة متوسط طول كل ضلع من أضلاعها ٣,٧١ م من الداخل، وأكثر من ٥ م بقليل من الخارج، وبعقد مفتوح فى وسط ضلعها الشمالى الغربى والجنوبى الشرقى، يمتد الأول مسافة ١,٦٤ م والآخر ١,٣١ م فقط. وربما نكون قد توقعنا أن نعر على عقود مفتوحة فى وسط الضلعين الآخرين، إلا أن هناك حنايا مستطيلة لا يزيد عمقها عن ٢٥ سم وعرضها لا يقل عن متر واحد، وبها أعتاب خشبية غير مصقولة؛ وربما كان القصد منها أن تعمل كصوانات (شكل ١٦٣).

تحول المربع الى مثنى عن طريق أربع حنايا ركنية ذات عقود منكسرة وضعت بحوافها السفلية على ارتفاع ٢,٧٠ م من الأرضية الحالية. ويبلغ ارتفاع هذه المنطقة الانتقالية ١,٤٨ م. وبين الحنايا الركنية هناك حشوات ذات عقود منكسرة عدا على الضلع الشمالى الغربى حيث نجد العقد مفتوحا ليشكل نافذة. وعلى المثنى المكون بهذا الشكل، ترتكز رقبة مثمثة ارتفاعها ١,٣٥ م وهى التى تحولت الى دائرة عن طريق ثمانى دلايات صغيرة؛ وأضلاعها التبادلية تخرقها نوافذ من ثلاث فتحات، وتتكون كل منها من فتحتين ضيقتين للغاية بهما عقود منكسرة تعلوها فتحة مستديرة. وتتوج هذا المثنى رقبة مستديرة ارتفاعها ١,١٣ م بثمانى نوافذ صغيرة ذات عقود دائرية؛ وبين كل نافذتين، نجد حلقة جصية نصف ممحوة. والحافة العليا من هذه الرقبة مزينة

بشريط مفرغ من النقش الكوفي موضوع في حشوات مستديرة الأطراف وبينها حلقات مستديرة ولكن بدون الخلفية المعتادة من الأوراق النباتية. وترتكز القبة على هذه الرقبة. ولا شك أن كل ما يملأ منطقة المقرنصات، أى الرقبة المثلثة والرقبة المستديرة والقبة، لا ترجع الى ما قبل القرن الرابع عشر.

مادة البناء

بنى الضريح من الآجر بمساحة 37×10 م ويبدو أنه بنى من مزيج من الطين والرمل.

إعادة تصور الشكل الأصلي للضريح [للمشهد]

لم نعثر حتى الآن على ما يشير الى وجود تشابه بين هذا الضريح وبين ضريح الشبيه، ولكن اذا درنا حول الضلع القبلى [الجنوبى الشرقى]، يلاحظ وجود جدار به ثلاثة محاريب ويجرى بموازاته على بعد 2.60 م. والمحراب الأوسط أكبر من الآخرين، وتم وضعه على المحور الشمالى الغربى-الجنوبى الغربى من الضريح؛ ووضع المحرابان الى اليمين واليسار بمحوريهما على بعد 3.42 م و 3.35 م منه على التوالي. ويدل ذلك على أن هذين المحرابين الجانبيين ربما كانا ينتميان الى الأروقة [البلاطات] المحيطة بحجرة القبة، كما هو الحال فى الشبيه. واذا تفحصنا الجدار مرة أخرى، نجد أن هناك حرة عرضها 65 سم فى السطح المكسور بالجص عند النقطة (A) حيث يبدو أنه كانت هناك دعامة جدارية لدعم عقد مستعرض مواز للضلع الشمالى الشرقى من الضريح، وهناك دعامة أخرى عند النقطة (E) (ولكن ليس هناك أثر لانعكاس هذين العقدتين على الضريح، فقد تم إضفاء كسوة سميكة من الأسمنت عليه)؛ وعند النقطة (B) يمكن رؤية انحناء بقايا قبو اسطوانى الى الأمام. وعند النقطة (C)، نجد ما يبدو بوضوح أنه نقطة انطلاق الجدار الخارجى الجنوبى الغربى بسمك 62 سم، وعند النقطة (D)، نجد جزءا من نقطة انطلاق الجدار الشمالى الشرقى الذى يتداخل نصفه أو أكثر مع جدار حديث. والمسافة التى تفصل بين النقطتين (C) و (D) - 8.49 م - تعطينا طول الضلع الجنوبى الشرقى من البناء كله. واذا اقتطعنا الطول الخارجى من الضلع الجنوبى الشرقى من الضريح من هذا الرقم، تكون النتيجة $8.49 - 5.11 = 3.38$ م وهو إجمالى عرض الرواقين الجانبيين. وبفضل النقطتين (A) و (D)، يمكن لنا قياس عرض الضلع الشمالى الشرقى - ويبلغ 1.65 م؛ ويتبقى لدينا 1.73 م للآخر. وفى ضوء ضريح الشبيه، يمكن لنا أن نكمل الضريح كما هو موضح فى الشكل (١٦٤)، وهو مستطيل مساحته 8.49×7.65 ($5.2 + 2.63$ م) من الداخل.

إعادة تصور الشكل الأصلي لضريح [المشهد] أم كلثوم

نعود الآن الى ضريح أم كلثوم. وهنا أيضا نجد ثلاثة محاريب فى جدار القبلة (شكل ١٦٥)، مما يدل على أن تخطيطه مشابه، اذ كلما صادفتنا ثلاثة محاريب عريضة (وهى تختلف عن المحراب الثلاثى بإخوة يوسف، لوحة ١١٨ أ) فى مصرفهى نعزى الى ضرورتها للبائكات الثلاث المنفصلة، مثل خضرة الشريفة (شكل ١٢٧)، والمحاريب الثلاثة للسيدة رقية (شكل ١٤٢) والشبيه (شكل ١٦٠) والقاسم أبى الطيب (شكل ١٦٣). ولا نصادف ثلاثة محاريب عريضة فى جزء داخلى غير منقسم. إذن، فلنبداً فى إعادة بناء ضريح أم كلثوم على هذه الأسس (شكل ١٦٦).

الفصل التاسع عشر

بقايا مشهد سيدنا الحسين

(٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م)

تاريخ المشهد الحسيني

يقول المقرئ :

« وكان حمل الرأس (رأس الحسين) الى القاهرة من عسقلان ووصله اليها في يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وكان الذي وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف الملكة تميم واليها كان والقاضي المؤمن بن مسكين مشارفها وحصل في القصر يوم الثلاثاء الماشر من جمادى الآخرة المذكور ... فقدم به الأستاذ مكنون في عشارى من عشاريات الخدمة وأنزل به الى الكافورى ثم حمل فى السرداب الى قصر الزمرد ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة ... وقال ابن عبدالظاهر مشهد الامام الحسين صلوات الله عليه قد ذكرنا أن طلائع بن زريك المنعوت بالصالح كان قد قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من الفرنج وبنى جامع خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لا يكون ذلك إلا عندنا فعمدوا الى هذا المكان وبنوه له ونقلوا الرخام اليه وذلك فى خلافة الفاتر على يد طلائع فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة (٣٦٨) . (الخط، ج١، ص ٤٢٧) »

أما ابن جبير الذى زار القاهرة بعد ذلك بثلاثين عاما (١١٨٤ م) فيقول (طبعة دى غويه، ص ٤٥) ان الرأس كانت فى تابوت من فضة وفوقه بناء رائع « كل جدرانته من الرخام (٣٦٩) (محشوة بالرخام؟) . وقد تعرض المشهد حسب رواية المقرئ (ج٢، ص ٤٢٨) للحريق فى زمن السلطان الصالح نجم الدين فى أربعينيات القرن السابع. وفى كتابه السلوك (ط زيادة، ج١، ص ٣٣٢) ، يحدد المقرئ تاريخ هذا الحريق فى عام ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) . ويذكر ابن أبى السرور أنه قد أعيد ترميمه على يد السيد محمد باشا (٣٧٠) (حكم مصر من ١٥٩٥ الى ١٦٠٣ م) .

وحسب رواية الجبرتي، تمت توسعة المشهد على يد حسن كتنخدا الجلفى (٣٧١) المتوفى فى سنة ١١٢٤ هـ (١٧١٢ م) . وفى تراجمه للوفيات، يقدم نفس المؤلف ضمن وفيات عام ١١٨٦ هـ ترجمة السيد على (٣٧٢) . فيذكر أنه فى عام ١١٧٧ هـ (١٧٦٣ م) كان مدينا بدين كبير وزادت أحواله سوءا على أثر رغبة عبدالرحمن كتنخدا فى هدم مشهد الحسين الذى كان الشيخ على يلقي فيه دروسه . ولما رأى نفسه معرضا لفقدان مصدر رزقه طوال مدة البناء ولضغط دائنيه، رحل الى القسطنطينية ولم يعد إلا عام ١١٨٣ هـ (١٧٦٩ م) . أما أعمال عبدالرحمن كتنخدا، فيقدم الجبرتي رواية مفصلة عنها ضمن ترجمته لوفاة كتنخدا فى سنة ١١٩٠ هـ (١٧٧٦ م) . فيذكر أنه « وبنى المشهد الحسينى على هذه الصفة وعمل به صهريجا وحنفية بفسحة ولواوين فى غاية الحسن ... » (ج٢، ص ٧-٨) .

وكل هذا يبدو واضحا تماما، عدا أنه يبدو أن الجبرتي فيما كتبه عن عام ١١٨٦ هـ ضمن تسجيله لوفاة السيد على وأحداث حياته قد أغفل عاما أو عامين فى تاريخ رحيله الى القسطنطينية عام ١١٧٧ هـ بسبب عزم عبدالرحمن كتنخدا على إعادة بناء المسجد لأن سير جاردنر ويلكنسن يذكر فيما دونه عام ١٨٣١ أنه كان

يحمل اسم عبدالرحمن كتخدا وتاريخ ١٧٦٢ (= ٥ جمادى الآخرة ١١٧٥-١٥ جمادى الآخرة ١١٧٦ هـ Topography of Thebes , p. 299) وقد أكد على ذلك الصبان (٣٧٣) فى كتاب انتهى من تدوينه بعد عشر سنوات فقط من هذا التاريخ، ويذكر فيه أن أعمال عبدالرحمن كتخدا تم تنفيذها فى سنة ١١٧٥ هـ (١٧٦١ م، إسعاف الراغبين، ص ١٦٥). ويذكر على باشا مبارك الذى لا بد أنه رأى هذا المسجد أنه كانت له مئذنتان (الخطط الجديدة، ج ٤، ص ٨٨). كما يذكر مبارك أن الخديوى عباس الأول كان قد بدأ إعادة بنائه حين وافته المنية (فى يوليو ١٨٥٤)؛ فتوقف العمل فيه وظل الموقع أرضاً فضاء (ج ٤، ص ٨٨). وحين تولى اسماعيل الخديوية عام ١٢٧٩ هـ (١٨٦٣)، أمر باستئناف العمل فيه (ج ٢، ص ٧٧). وقد أعد على مبارك تصميمًا وبدأ العمل فى ٢٥ محرم ١٢٨٢ (٢٠ يونيو ١٨٦٥) تاركًا الضريح دون مساس (ج ٢، ص ٧٧). وأدخل راتب باشا تعديلات كبيرة على تخطيط على باشا مبارك وجعله يتطابق مع التخطيط القديم، إلا أنه لم يمس الضريح (ج ٤، ص ٨٩). وفى ٢٨ شعبان ١٢٩٠ (٢١ أكتوبر ١٨٧٣)، كان العمل قد انتهى فيما عدا المئذنة (ج ٢، ص ٧٨) التى لم يتم بناؤها حتى عام ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨). وبلغت التكاليف ٧٨ ألف جنيه إضافة الى ما أسهم به الخديوى (٣٧٤) (ج ٢، ص ٧٨).

وصفه

مع أن الأوربيين غير مسموح لهم بالدخول فقد سُمح لى بدخول المسجد والضريح فى ١٧ إبريل ١٩٤٢. ولم أجد أى جزء يحمل أية إشارة الى تاريخ أقدم من أواسط القرن التاسع عشر عدا الضريح الذى تركه راتب باشا دون مساس. ويتكون من قبة وضعت على مربع عن طريق مقرنصات على هيئة أنصاف قباب ذات عقود مستديرة وكل المكونات مزخرفة بتصميمات مرسومة تشبه تصميمات ضريح الإمام الشافعى مما يعزى الى على بك الكبير. وفوق المحراب، هناك بعض الآيات باسم الخطاط بلخى المتوفى فى سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣) أى بعد اثني عشر عاما من أعمال عبدالرحمن كتخدا، وقبل ثلاثة أعوام من وفاته. ونجد نفس هذا التاريخ على إفريز يحيط بقاعدة القبة.

هل بقى هناك أى جزء من المسجد والمشهد أقدم من ذلك؟ نعم؛ فقد رأينا أن الضريح الذى أعيد بناؤه على يد عبدالرحمن كتخدا قد ظل دون مساس من جانب اسماعيل باشا.

الباب الأخضر

بالقرب من الركن الجنوبي من الضريح ويحذى ضلعه الجنوبي الغربى تقريبا نجد قطعة من جدار طولها ٤,٩٢ م وارتفاعها ٥,٨٥ م تخترقها بوابة (لوحة ٩٦ء) تعرف حاليا باسم «الباب الأخضر» وكانت فيما مضى تسمى «باب الحسين» (خريطة الحملة الفرنسية، ٧، رقم ٨٢).

والبوابة فتحة مستطيلة عرضها ١,٨٩ م وارتفاعها ٢,٣٣ م (وقد ارتفعت الأرضية بعض الشيء بالطبع) وتمتد فوقها عوارض ثقيلة تعلوها حنية مفرغة يحيط بها عقد (الصنج عمقها ٤٦ سم)، يشبه فى تصميمه عقود جامع الأقمر. وفى داخله حنية ضحلة ذات شكل خاص سيرد وصفه فيما بعد.

إذا تفحصنا الواجهة من أعلى، نجد أن الشرفة التى تضيف ٦١ سم الى ارتفاع الواجهة تمتد حوالى المتر خلف المنزل الذى يرى الى يمين الواجهة بحيث يصبح من المحتم على الجدار أسفلها أن يمتد بنفس المسافة أيضا. ولا بد أن الارتفاع الاجمالى للواجهة كان ٥,٨٢ م + ٦١ سم للشرفة + نصف متر على الأقل لارتفاع

مستوى الأرضية = ٦,٩٣ م، أى حوالى ٧ م، أى نفس ارتفاع واجهة جامع الأقمر.
 وهناك حلقة متقنة يبلغ قطرها مترا يخترقها جزء أوسط (لوحة ٩٦ ج) تحتل كوشة العقد الأيسر، وكانت كوشة العقد الأخرى مزينة بحلقة أخرى بالتأكيد. ويتكون تصميم الجزء المفتوح الذى يبلغ قطره ٣٠ سم من نجمة ذات ستة ذيول مكونة من مثلثين متقاطعين متساوي الأضلاع (أى ما يسمى بنجمة داود) ، واتخذت نقاط التقاطع كمراكز لست دوائر صغيرة ينسحب أحد الجانبين فى كل منها الى الخارج بحيث ترتبط بالحلقات الصغيرة المتصلة بالدائرة المحيطة. والمسافة بين هذا الجزء وبين حلقة الطرة الخارجية تملؤه ست مراوح نخيلية تفصل بين كل منها والأخرى فتحات نصف دائرية مثقوبة طولها ١٤ سم.

الشرفة

تتوج الواجهة حلقة صغيرة مفلطحة الوجه تعلوها شرفة مثقوبة فى وسطها النقش الذى سبقت الإشارة اليه. وهذه الشرفة المزخرفة على واجهتيها الداخلية والخارجية ليست سوى حاشية سفلية لا بد أن كانت فوقها سلسلة من العناصر ربما كانت مدرجة ومقطوعة القاعدة كنظيراتها بجامع الحاكم (لوحة ١١٥ أ) وبأروقة الأزهر القديمة (لوحة ٨٩) وجامع الصالح طلائع (لوحة ١٠٠ ج). والتصميم الكائن الى يمينها يختلف عن نظيره الى يسارها. فهل ينتمى نصفها الى الأعمال الأصلية التى نفذها الفائز وينتمى النصف الآخر الى أعمال عام ٦٣٤ هـ ؟ ربما، لكنى لست متأكدا من ذلك.

هوية مبنى الباب الأخضر وتاريخ بنائه

ان الشكل المتميز للحنية المعقودة فوق العتب لتقدم أساسا طيبا للجدل، فهى تشبه فى شكلها الحنايا الكائنة على الواجهتين الداخليتين ببرجى باب زويلة (لوحتان ٧٢ ج، د) ونوافذ رقبة مشهد السيدة رقية (لوحتان ٨٦ ج، ١١٣ ب)، وحشوات الزخرفة الجصية داخل القبة عند الطرف الخارجى من مجاز الأزهر (لوحة ٩١ أ)، وفى البرج الكبير فى برج الظفر، مما يدل بالإضافة الى شكل العقد الرئيسى على تاريخ يناهز أواخر العصر الفاطمى ولكن قبل تاريخ جامع الصالح طلائع (٥٥٥ هـ) نظرا للعقود المنكسرة بهذا الجامع. لذا فهناك ما يبرر القول بأنه بعد قطعة ظلت باقية من البناء الأصلى الذى نفذه الفائز عام ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م). وفوق البوابة مباشرة، نجد معذنة (انظر المجلد الثانى) جزؤها السفلى ينتمى الى العصر الأيوبي، فهناك لوح مدمج فى الشرفة أمام قاعدته عليه نقش مدون عليه ما يلى: «بنيت هذه المعذنة المباركة فوق باب مشهد السيد الحسين ... تم بناء المعذنة فى شوال ٦٣٤» (٣٧٥) (يونيو ١٢٣٧، فان برشم، - Egypte, I, pp. 100- 101). من ثم فهذه البوابة كانت تمثل ذلك الجزء من مشهد الحسين الذى كان اسمه باب الحسينين والذى ظل شائعا حتى عصر الحملة الفرنسية. كما أنه يستحيل أن يعود الى تاريخ أقدم من ٦٣٤ هـ (١٢٣٧) لأن هناك معذنة بهذا التاريخ تركز عليه، أى أنه لا بد أن يكون جزءا من بناء الخليفة الفائز لعام ٥٤٩ هـ (١١٥٤) وهو جزء لم يتعرض للانهدام فى حريق ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م).

مئذنة أبو الغضنفر (٣٧٦) (٥٥٢/١١٥٧ م)

فى شارع الدراسة، وفى منطقة مسورة أحاطت بها أسوار جامع حديث بنيت بارتفاع ٤ م ثم تركت دون اكتمال، نجد ضريحاً صغيراً بمئذنة ملحقة به (رقم ٣ على الخريطة المرفقة).

تاريخ الجامع والضريح

يذكر على بابا مبارك أن جامع سيدى معاذ كان فى الأصل مدرسة شيدت بالقرب من قبر سيد معاذ الذى توفى فى ربيع الأول عام ٢٩٥ هـ (ديسمبر ٩٠٧ م) حسب قول السخاوي (٣٧٧). وعلى باب الضريح نجد نقشا كوفيا ينص على أن الجامع بناه الأمير أبو الغضنفر أسد الفائزى الصالحى عام ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م).

وصف الضريح

الضريح ليس مربعا، بل مستطيلا الى حد ما، وهو ما أدى الى مصاعب فى بناء القبة. وتم التغلب على هذه المصاعب جزئيا بوضع نافذة من ثلاث فتحات بين المقرنصات على الجوانب القصيرة، ونافذة من ست فتحات على الجوانب الطويلة. وتخرق النافذة الأخيرة الرقبة التى تحتوى على ١٤ نافذة ذات عقد منكسر فقط بدلا من ١٦، إضافة الى نافذتين علويتين من النوعية ذات الفتحات الست، فيكون العدد الإجمالى ست عشرة نافذة.

والنوافذ ذات الزخارف الهندسية الجصية بخرقها ما بين أربعة وثمانية سطور من النقوش النسخية وتتكون من آيات قرآنية وأحاديث نبوية عدا واحدا نتعرف منه على أن «هذه القبة بنيت فى سنة ٨٦٦» (١٤٦٢ م، على مبارك، ج ٢، ص ٨٣)، وإلا لكان من المستحيل أن نحدد التاريخ. من ثم فهو لا يدخل فى نطاق هذا المجلد، وسنقتصر هنا على ذكر المئذنة.

المئذنة

بنيت المئذنة بأكملها من الآجر، وتتكون من بدن مربع عرض كل ضلع من أضلاعه ٢,٥٠ م وارتفاعه ١٢,٧٦ م، وتنتهى لشرفة مثمثة للمؤذن وترتكز على أربعة عوارض وضعت بطريقة مستعرضة كما يتبين فى الشكل (١٢٣). وفوقها جوسق مثنى قطره ٢,٠٥ م وارتفاعه ٢,٥٠ م بفتحة ضيقة وطويلة فى وسط كل من واجهتيها. وترتكز عليه رقبة مثمثة ارتفاعها ٨٠ سم بفتحة على شكل ورقة نباتية ثلاثية فى كل ضلع من أضلاعها، وترتكز عليها قبة مضلعة ذات عقود منكسرة فى تصميمها، مما يضيف حوالى ١,٥٠ م، ليصبح الارتفاع الكلى ١٧,٥٠ م.

والمدخل يقع على الضلع الجنوبى الغربى، ويجرى السلم المدرج والضيق حول الجوانب الداخلية، وليس به درابزين. وهناك نافذة واحدة صغيرة على الضلع الشمالى الشرقى ونافذة أخرى على الضلع الجنوبى الغربى. والزخرفة الوحيدة نراها على الضلع الشمالى الشرقى من البدن المربع حيث نجد دخلتين محاربتين ذات عقد منكسر منفذتين فى الجص (الوحة ٩٦ ب). وتشع الأخاديد من حشوة صغيرة ذات عقد منكسر.

تاريخ المئذنة

من الواضح أن مئذنتنا هذه قد تأسست على غرار مئذنة الجيوشى (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) مباشرة، عدا أن الطابق المربع أسفل الرقبة هنا قد أصبح مثمنا وأكثر طولاً. كما أن القبة مضلعة وتتخذ تصميمًا ذا عقد منكسر. أى أنها تعد تطوراً في اتجاه مئذنة مدرسة السلطان الصالح التي تم بناؤها في سنة ٦٤١ هـ (١٢٤٢م)، وتنطبق نفس الملحوظة على بدنها المربع والمزخرف لأول مرة بحشوات زخرفية، ولكن بحشوتين اثنتين فقط بدلا من ثلاث كما هو الحال في مئذنة السلطان الصالح. والعام ١١٦٣ وسط بين عامي ١٢٤٢ و١٠٨٥، لذا يمكن القول إن هذه المئذنة تنتمي إلى المبنى المشار إليه في النقش الكوفي لعام ٥٥٢ هـ (٣٧٨م) (١١٥٧م).

الفصل العسرون

جامع الصالح طلائع

(٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م)

مقدمة تاريخية

توفي الخليفة الحافظ في سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) وخلفه أصغر أبنائه الظاهر (٣٧٩) الذي كان لا يزيد عمره عن ١٦ عاماً. وكان وزيره ابن السلار (٣٨٠) الذي كان يكرهه وأمر بقتله رجلاً يدعى نصر، وتولى الوزارة بدلاً منه عباس (٣٨١) والد القاتل. ثم اقترح الخليفة على نصر أن يقتل أباه ويتولى الوزارة بدلاً منه (٣٨٢)، إلا أن نصراً قرر أن يقتل الخليفة نفسه مما أدى إلى ثورة فر على أثرها كل من نصر ووالده عباس إلى الشام حيث قتل عباس على يد الفرنجة، أما نصر فقد تم القبض عليه وأعيد إلى القاهرة حيث عذب وصلب في عام ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م).

ثم تولى الفائز (٣٨٣) الخلافة في الأول من صفر ٥٤٩ هـ (١٧ أبريل ١١٥٤ م) وهو في الرابعة من عمره، فقطع نساء القصر شعورهن وأرسلنها إلى الأمير طلائع بن زريك وإلى الأشمونين، فجاء الأخير إلى القاهرة وأعاد الأمن بها. وبرزت الحاجة إلى رجل قوي، وأثبت الأمير أنه هو ذلك الرجل. وسقطت عسقلان (٣٨٤) في السنة السابقة، وبذلك سقط آخر معاقل الفاطميين في فلسطين، وفشلت كل المحاولات الرامية إلى كسب تعاون نور الدين ضد الصليبيين بسبب مبادئ السلطان الأصولية ضد أي تحالف مع الفاطميين الشيعة (٣٨٥) (Lane-Poole, History of Egypt, p. 171).

وسيفل اسم الصالح طلائع (٣٨٦) مرتبطاً بالجامع الجميل الذي بناه خارج باب زويلة مباشرة.

تاريخ الجامع

يقول المقرئ:

«هذا الجامع من المواضع التي عمرت في زمن الخلفاء الفاطميين وهو خارج باب زويلة قال ابن عبد الظاهر (٣٨٧) كان الصالح طلائع بن زريك لما خيف على مشهد الإمام الحسين رضي الله عنه إذ كان بعسقلان من هجمة الفرنج وعزم على نقله قد بنى هذا الجامع ليدفنه به فلما فرغ منه لم يمكنه الخليفة من ذلك وقال لا يكون إلا داخل القصور الزاهرة وبنى المشهد الموجود الآن ودفن به وتم الجامع المذكور واستمر جلوس زين الدين الواعظ به وحضور الصالح إليه فيقال إن الصالح لما حضرته الوفاة جمع أهله وأولاده وقال لهم في جملة وصيته ما ندمت قط في شيء عملته إلا في ثلاثة الأول بناءى هذا الجامع على باب القاهرة فانه صار عوناً لها والثاني توليتى لشاور الصعيد الأعلى والثالث خروجى إلى بلبيس بالعساكر وبنى في الجامع المذكور صهريجاً عظيماً وجعل ساقية على الخليج قريب باب الخرق [باب الخلق] تملأ الصهريج المذكور أيام النيل وجعل المجارى إليه وأقيمت الجمعة فيه في الأيام المعزية في سنة بضع وخمسين وستمائة بحضور رسول بغداد الشيخ نجم الدين عبدالله البادرانى ... وهى إلى الآن ولما حدثت الزلزلة سنة اثنتين وسبعمائة تهدم فعمر على يد الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار». (الخط، ج ٢، ص ٢٩٣)

تاريخه اللاحق

يذكر أبو المحاسن (طبعة بوبر، جـ ٧، ص ١١٨) أن الجامع تم ترميمه في سنة ٨٤٤ (١٤٤٠م) على يد تاجر يدعى العيني. ويتحدث السخاوي (الضوء اللامع، القاهرة، ١٣٥٥، جـ ١٠، ص ٢٧٤) عن ترميم آخر قام به الأمير يشبك في سنة ٨٨٢هـ (١٤٧٧). أما ابن إياس (جـ ٢، ص ١٧٧) فيتحدث بمزيد من التفصيل حيث يذكر أن يشبك قام بفك بوابات جامع الصالح وأخرج بعض الأعمدة الرخامية من تحت الأرض بعد أن أمر بتنظيفها. كما أمر بتكسية الدكاكين بطبقة من الجص. ويقدم البدر حسن الطولوني (نشر في التحفة البهية، القسطنطينية، ١٣١٠، جـ ١٠، ص ٢٧٤) في إشارة إلى هذا الحدث تفاصيل أخرى حيث يذكر أن يشبك قام بإزالة المبانى التى كانت تحجب الواجهة وأخرج عشر درجات من السلم كانت مدفونة تحت الأرض. وتم هذا الترميم عام ٨٠٢هـ (خطأ مطبعي وصحته ٨٨٢). أى أن هذا الجامع كانت تحجبه مبان بلا قيمة فى أوائل القرن الخامس عشر تماماً كما كان الحال فى أوائل القرن الحالى، وأنه على الرغم من العمل التطوعى العام الذى قام به يشبك، إلا أنه قدّر له أن يلقي نفس المصير مرة أخرى. ولا يمكن تحديد تاريخ بدء هذه العملية، إلا أن بريس دافين وجد الجامع فى سبعينيات القرن التاسع عشر مختفياً بنفس الصورة التى وجد عليها فى سنة ١٩١٧ حين التقطت الصورة التى نراها فى لوحة (٩٧). ويتضح فيها الجامع مختفياً تماماً وراء مبان بلا قيمة بنيت على واجهته فوق أرض مسروقة من الشارع دون أى تدخل من جانب الحكومة، ولم يترك سوى ممران ضيقان بين البيوت يؤديان إلى المدخلين الشمالى الشرقى والشمالى الغربى. بل تم بناء الدكاكين فى الصحن نفسه فارتفع مستوى أرضيته لمسافة تزيد عن المتر.

إعادة بناء الجامع بأكمله باستثناء الحرم [مقدم الجامع]

تم تفكيك الجامع برمته (رقم ١١٦ فى الخطة المرفقة)، باستثناء الحرم، ثم أعيد بناؤه. فتم ترقيم المداميك التى كانت فى حالة جيدة حتى يتسنى إعادتها إلى وضعها الأصلي. ولكن بعد إزالة البيوت التى كانت تحجبه، وجد أن بناء الستة أمتار الأولى كان فى حالة متأخرة من التحلل وكان لابد من الاستعانة بمواد بناء جديدة تماماً فى إعادة بناء هذا الجزء المذكور. أما الستة الأمتار التالية فقد تمت إعادة بعض المواد الأصلية إلى وضعها الأصلي، وهى البائكات الست الأولى على الجانب الشمالى الشرقى (لوحة ٩٩ ب)، والحجرة الركنية الشمالية، والحشوة اليسرى خلف السقيفة، والضلعان الشمالى الغربى والجنوبى الغربى من الحجرة الركنية الأخرى، والبائكة التالية لها على الجانب الجنوبى الغربى.

بما أنه لم يبق هناك شئ مدون عما تم بالفعل فى السنوات العشر التالية لنشر آخر تقارير باتريكولو فى أوائل ١٩٢٢، فقد رأيت من الضرورى لغرض الوصف أن أفرق بين الجزء المعاد بناؤه وهو ماتؤكد صحته الصور الفوتوغرافية القديمة (والتي التقط كثير منها فى أثناء العمل) والأوصاف المنشورة عنه، وبين الجزء الذى لا يؤكد شئ. وبالنسبة للجزء الأخير، فقد استطعت لحسن الحظ أن استشير محمد نافع أفندى الذى كان مسئولاً عن الأعمال فى عهد باتريكولو وبعده؛ فقضيت صباح يوم كامل برفقته فى الجامع فى ٣٠ يناير ١٩٤٤ ولمدة ثلاثة أسابيع من فبراير. وسأستشهد بما قاله من حين لآخر.

تقدم البحث

بعد الإزالة التدريجية لهذه المنشآت والتي بدأت في حوالى عام ١٩١٩ وانتهت مؤخرا، كشفت إحدى عمليات التنقيب التجريبية فى الركن الشمالى عن أن الجامع كان يرتكز على طابق سفلى مكون من خلايا ذات عقود اسطوانية تفتح على الشارع، وكانت فى الحقيقة سلسلة من الدكاكين [الحوانيت] (لوحة ٩٧ ب)، كانت هناك سبع خلايا تحت الواجهة الشمالية الغربية، أربعة منها كانت وراء كل منها حجرة). من ثم فهى تعد أقدم نماذج ما يعرف باسم «الجوامع المعلقة» (٣٨٨)، فكانت تضم طابقا تحتها. ويتوج هذا الجزء الذى يبلغ ارتفاعه ٣.٨٠ م طوق حجرى من الحلقات ذات القضبان القصيرة (٣٨٩) (لوحة ٩٧ ج) التى تتطابق حافتها العليا مع مستوى أرضية الجامع، وهو ما يفسر السبب فى كون أرضية الجامع لا تزال أعلى من مستوى الشارع بحوالى نصف متر. ويبلغ ارتفاع الواجهة بأكملها وبدون الشرافات ١٤.٧٥ م.

وفى نفس هذه العملية التنقيبية، تم اكتشاف درج سلم فى وسط الواجهة الشمالية الغربية ومتعامد عليها، وهو على ما يبدو هو الذى أقيم مستقلا على يد الأمير يشبك. وكان سليما تقريبا وكان ينتهى بجسر صغير الى جوار الجامع بحيث يستطيع الناس أن يسيروا عليه أمام الدكاكين بدلا من أن يضطروا الى الدوران حوله (لوحة ٩٧ ب). كان هذا الجسر يتكون من عقدتين أفقيين معشقين لا يظل العقد الشمالى منهما سليما بينما أعادت اللجنة بناء العقد الجنوبى.

الواجهة الشمالية الغربية

مع تقدم عملية إزالة البيوت، أصبح واضحا أن طريقة التعامل مع الواجهة الشمالية الغربية كانت تختلف تماما عنها فى أى أثر آخر عرف حتى الآن فى مصر، فقد تبين أنها تنتهى عند كل طرف بحجرة ورغم أنهما تحاذيان واجهة الدكاكين أسفلهما، فإن واجهة الجامع بينهما ترجع الى الخلف بحوالى ٤.٢٠ م، مما أدى الى تكوين منصة مساحتها ١٨.٣٥ x ٤.٢٠ م (لوحتان ٩٧ ب، ٩٩ أ). ويجرى السلم الى أعلى حتى منتصف هذه المنصة.

وكل من الركنين الشمالى والغربى مشطوف ومسحوب الى الأمام بكوابيل، والركن الغربى الذى كان فى حالة جيدة يحتل أربعة صفوف تم الإبقاء عليها جميعا فى عملية إعادة البناء عدا الثانى من أسفل حيث بنى من جديد. وكان الكابولى على الركن الشمالى نسخة منه.

الحجرات الركنية والسقيفة الخارجية

تمت معالجة الحجرة الركنية اليسرى (الشمالية) من الخارج على النحو التالى: زخرفة كل من واجهتيها الشمالية الغربية والجنوبية الغربية بحشوة ضحلة ذات عقد منكسر عرضه ٢.٣٠ م وتحتل ارتفاع الواجهة بأكمله. وتتوج الواجهة الشمالية الغربية طاوية محارية تجرى الأشرطة الأربعة الأولى منها من جانب الى آخر، فى حين تشع بقية الضلوع (وهى عشرون) من حلقة مستديرة مزخرفة بنجمة متداخلة ذات اثني عشر ذبلا وبها سرة فى وسطها (لوحتان ٩٨ أ، ٩٩ أ). وهناك شريط من الزخارف المجدولة يجرى حول الطاوية المحارية ويستمر أفقيا يمينا ويسارا. وكوشات العقد مزخرفة بحلقتين، وهناك نسختين متقنيتين منهما على تروس باب النصر (لوحة ٥١ ب)، ولكل منهما حاشية خارجية.

أما الطاقية المحارية بالحشوة الأخرى، فقد تمت معالجتها بطريقة أخرى، فتشع الأخاديد من حشوة صماء ذات عقد منكسر، وهذا هو أول نموذج على هذا النظام ونصادفه مرة أخرى في محراب أبي منصور إسماعيل (٦١٣هـ/١٢١٦م) كما يشير باتريكولو (ص ٤٢). والشريط الزخرفي المحيط بالطاقية الأخيرة يرتفع ويجرى حول هذه الطاقية أيضا، وبحاشية الحشوة ذات العقد المنكسر في الوسط، هناك شريط بنفس التصميم. وهناك نقش كوفي يتكون من آيات قرآنية يجرى من جانب إلى آخر أسفل كل من هاتين الطاقيتين. وتحت نقش آخر يجرى من جانب إلى آخر على طول الحشوتين؛ ويحتوى على التاريخ.

والجزء أسفل الطاقية في كلتا الطاقيتين تحتله نافذة عرضها ١,٤٥ م وارتفاعها ٢,٧٤ م يغطيه عقد أفقي بصنح معشقة وعقد عاتق فصى بصنح معشقة أقل إتقاناً وحاشية خارجية مزخرفة. وهناك حلقة ذات ستة فصوص على الصنجة المفتاحية بالعقد الأخير، تشبه نظيرتها على تروس باب النصر. وتخرق الطلبة بين العقدتين فتحة صغيرة (شكل ١٦٧) تشبه في تصميمها رؤوس نوافذ المئذنة الغربية بجامع الحاكم (لوحة ٢٩ ج).

أما بالنسبة للواجه الكائنة وراء المنصة فقد وجد أنها تنقسم إلى خمس حشوات ضحلة كانت الأولى منها، وهي المجاورة للحجرة الركنية الأولى، في حالة سليمة تماما، ولو بالنسبة للطاقية المحارية على الأقل (لوحة ٩٨ ب). وهي تشبه نظيرتها على الضلع الجنوبي الغربي من الحجرة الركنية وتقطعها نفس أسطرة النقوش، والفارق الوحيد هو عدم وجود نافذة في الجزء السفلى.

وكان النصف السفلى من الحشوة التالية سليما وكذلك الأعمدة المستطيلة الناتئة من الجدار بالبائكة التالية (الوسطى) التي كان بينها العقد الأفقي المعشق للمدخل الشمالي الغربي (لوحة ٩٧ ب)، ومساحة فتحته ٢,١٤ × ٤,١٠ م (بنسبة ١: ٢) كما هو الحال في المداخل الأقل شأنا بجامع الحاكم). وبالعقد العاتق الفصى فوقها حاشية مرتفعة مزخرفة بنقش كوفي. ويجرى فوقها مباشرة نقش كوفي أكبر قليلا من المرجح أنه كان يشكل جزءا من الشريط العلوى على واجهتي الحجرة الركنية، فهو يقع على نفس مستواها تماما. وبدلا من وجود طاقية محارية بهذه الحشوة نجد عقدا مديبا عاديا (أى أنها ليست ذات مركزين أو ذات عقد منكسر رباعى المراكز) ربما كان يرجع زمنيا إلى الفترة التي بنيت فيها المئذنة الجديدة التي كانت ترتفع فوق مجاز المدخل المقبى، فلو أننا تفحصنا الواجهة الخلفية لهذا المدخل (لوحة ١٠١ ب) نلاحظ أنه يبدو كما لو كان قد بنى من مواد معاد استخدامها. والجزء السفلى من الحشوة الرابعة كان سليما، أما الحشوة الخامسة فقد اختفت تماما.

يعتقد باتريكولو (ص ٤١) أنه كان هناك محراب صغير في العمود المستطيل الناتئ من جدار إلى يمين المدخل ويساره، كما هو الحال بجامع الأقمر (لوحة ٨٢)، فقد استطاع أن يعيد بناء جزء من محراب ببعض قطع الحجارة منحوتة بزخارف ونقوش قرآنية، وكان قد تم العثور عليها في عملية الهدم.

أما بالنسبة للحجرة الركنية اليمنى (الغربية)، فمن الصعب نحدد كمية ما تبقى منها، فقد كان باتريكولو قد ترك الخدمة في هذا الوقت تقريبا (١٩٢٣)، ولم يتم نشر أشياء خاصة بالعمل الذى تم تنفيذه بعد رحيله حيث تعطل العمل لفترة طويلة قبل أن يستأنف من جديد، كما تبعثرت المداميك المرقمة التي كانت قد رتبت في صفوف على أرضية الجامع ثم ضاعت (ولم يتم إعادة استخدام بعض من المداميك التي لم تفقد، ولا يزال هناك العديد من الصنح ملقاة على الأرضية في الحجرات الركنية والتي يرجع انتمائها إلى الحشوات

الكائنة خلف السقيفة وبعض المداميك التى تحمل جزءا من شريط كوفى لم تتم إعادتها الى مكانها الأصلي). على أى الأحوال، فالضلع الشمالى الشرقى من هذه الحجرة المعاد بناؤها قد بنيت من الحجارة الجديدة من أعلاها الى أدناها، فى حين أن الثلث الأوسط من واجهتيها الشمالية الغربية والجنوبية الغربية بنى فى معظمه من المداميك القديمة، وبقيت أجزاء من الشريطين العلوى والسفلى من النقش (انظر, Comité de conservation, Exercices 1920-1924, pl. IX).

وتم العثور على رباطين خشبيين مكسورين مدمجين فى العمودين المستطيلين الناتئين من جدار على جانبى بائكة المدخل (لوحتان ٩٧ ب، ١٠١ ج). وليس معنى هذا إلا أن الواجهة اكتملت بخمسة عقود تتطابق مع الحشوات الخمس، وأن العمودين الأوسطين كانا مثبتين بهذين الرباطين؛ كما أن مستواها يدل على ارتفاع هذه الأعمدة (يرى محمود أحمد - Comité de conservation, Exercices 1930-1932, pp. 113-14 - أن الأعمدة التى استخرجها الأمير يشبك من تحت الأرضية هى الأعمدة الأربعة الخاصة بالبائكة الأصلية، ونرى من جانبنا أن هذا صحيح). والإفريز الخشبي المحفور باتقان والمبين فى اللوحة (١٠١ ج)، والذى اختفى منذ ذلك الوقت فى أثناء عملية إعادة البناء) والمدمج فى قمة العمود المستطيل الناتئ من جدار الى اليمين تحت شريط النقش مباشرة لم يكن إلا امتدادا للزخارف التى كانت تزين أضلاع هذه الأربعة، فهو يتطابق فى مستواه تماما مع الطرفين المكسورين المذكورين. أى أنه كان هناك نوع من السقائف يشبه النوع الذى نراه فى جامع بوفتاته بسوسة (٣٩٠) والذى بنى بين عامى ٢٢٣ و ٢٢٦ (٨٣٨-٨٤١ م).

الواجهة الشمالية الشرقية

يمكن الوصول الى المدخل الشمالى الشرقى - كنظيره الرئيسى - بجسر، ولا بد أن كان هناك درج سلم مشابها ومتعامدا على الواجهة يؤدى اليه، ولو أنه لم تتم أية عمليا تنقيب لاستخراج بقايا منه. وقد وضع فى بروز عرضه ٤,٦٣ م ويبرز لمسافة ٩٠ سم من الواجهة. وحين تمت إزالة البيوت، تبين أن الفراغ الذى تبلغ مساحته ٢١,٧٣ م بين هذا البروز وبين الركن الشمالى كانت هناك خمسة دكاكين مقببة تحتل الجزء السفلى منه، كما هو الحال فى واجهته الشمالية الغربية، على مستوى الأرضية القديم (لوحة ٩٩ ب). وفى الدعامات الكائنة بين الدكاكين يمكن ملاحظة سمة مميزة للحصون الفاطمية، وهى وجود أطراف عمودين صغيرين يعملان كرباط [ميد]، وقد وضعت فى الصف الخامس أسفل الحلية المعمارية المكونة من سلسلة قضبان قصيرة. ثم يتلوها طوق حجرى من الحلقات المعمارية المكونة من سلسلة قضبان قصيرة المزخرفة بعناصر تعبيرية من الأرابسك فى حالة سليمة فى موضعين (لوحة ٩٧ ج)، وقد سبق أن صادفنا طوقا حجريا مماثلا على الحلية السابعة من المئذنة الغربية من جامع الحاكم)، وفوقه خمس حشوات معقودة ضحلة تنقسم الى أجزاء غير متساوية بسبب شريطى النقوش السابقى الذكر، وتقع الحشوة السفلية منها فوق العقود العاتقة للنوافذ السفلية مباشرة، والحشوة العليا تحت أعتاب النوافذ المعقودة مباشرة. والحنانة السفلية من الحشوتين الأوليين من الركن تشغلها فى كل منهما نافذة بعقد أفقى معشق وعقد عاتق مجزء، وبالعقد الأخير حاشية زخرفية تختلف فى كل منهما. والحشوتان الثالثة والخامسة فارغتان، أما الرابعة فيها نافذة تشبه الأولى عدا أنها صماء. والحنانة الثانية فارغة إلا فى حالة البائكة الثانية حيث نجد نافذة مستطيلة بحاشية زخرفية (لوحة ٩٧ د). وفى الحانة العليا، أى الجزء داخل الطواقي المعقودة، نجد إطار نافذة بحاشية زخرفية فى كل حالة،

وشريطاً آخر بزخارف مماثلة تماماً يجرى أفقياً من جانب لآخر عند منبت عقد الحشوة، ثم يرتفع ليجرى حولها، ثم يجرى مرة أخرى أفقياً ليستمر حول العقد التالي وهكذا إلى أن يصل إلى بروز المدخل حيث يجرى حول فجوة المدخل بنفس الطريقة. والنافذتان الأوليان اللتان تنتميان إلى الحجرات الركنية مصمتتان وحشيت بقية النوافذ مؤقتاً بالآجر. أما النافذة الجصية الجميلة ذات الزخارف الهندسية (لوحة ١٠٠ أ) والمحفوطة حالياً بمتحف الفن العربي، فلا بد أنها كانت آتية من إحدى هاتين النافذتين، لأن مقاييسها (١,١٤ × ١,٥٢ م) تتطابق معهما تماماً. وكوشات العقد مزخرفة بخمس حليات رائعة يعلوها متران من جدار خال من الزخارف كان متوجاً على ما يبدو بشريط من النقش تعلوه حلية معمارية مستطيلة مزخرفة بالأرابسك.

يتكون المدخل الشمالى الشرقى الذى وضع فى فجوة معقودة عمقها ٤٢ سم من فتحة مستطيلة مساحتها ٤,٢٢ × ٢,١٩ م على جانبيها عقد أفقى معشق باتقان مع عقد عاتق ضحل تحيط به حاشية كوفية خارجية (لوحة ١١٠ ب). وخلف الطاقية المعقودة، هناك نافذة بنفس الحجم والشكل وضعت على نفس مستوى النوافذ الكائنة فى الجزء العلوى من الواجهة.

الواجهة الجنوبية الغربية

نرى فى اللوحة (١٠٠ هـ) صورة فوتوغرافية التقطت بعد إزالة عدد من المباني الملتصقة بالجامع. ويمكن أن نرى إلى اليسار قمة حشوة معقودة تشبه الحشوات الكائنة على الواجهة المقابلة. وإلى اليمين قليلاً منها يرجع الجدار إلى الخلف ثم يستمر على نفس المستوى لمسافة غير قصيرة، ومداميك الجزء البارز إلى الأمام والآخر الذى يرجع إلى الخلف تجرى بصورة متصلة دون فاصل. فهل معنى هذا أنه لم تكن هناك سوى حشوة واحدة فقط فى هذه الواجهة؟ يرى نافع أفندى أن هذه الواجهة انهارت فى زلزال عام ١٣٠٣ ويقول إنه يذكر أن الأسمنت فيها كان مختلفاً عن الأسمنت المستخدم فى غيره. وكشفت عمليات التنقيب عن خلاو بين الركن والمدخل، إلا أنها كانت فى حالة تستدعى إعادة بنائها بالكامل، كما كشفت عن الضلع الشمالى الغربى لنفس بروز المدخل القديم على مستوى الأرضية، لذا فيبدو أنه يمكن أن نستنتج من ذلك أن هذا الجزء بأكمله، عدا الحشوة الأولى، قد أعيد بناؤه فى سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٤ م) وأن هذا الضلع كان فى الأصل يتطابق مع الضلع المقابل له. وتم بناء كل الخلاوى التى تقع إلى يمين هذا المدخل من جانب اللجنة بصورة مخالفة تماماً.

النصف الأيسر من الواجهة الشمالية الشرقية

نعود الآن إلى الجانب الآخر من الجامع. نظراً لأن البيوت الملاصقة لهذا الجانب من الجامع لم تكن قد أزيلت كلها، فقد قام محمود أحمد بترميم بالكتين فقط إلى يسار بروز المدخل. وحين تمت إزالة بقية البيوت فى سنة ١٩٤٥، رأيت الفرصة سانحة لتأكيد شكوكى أو نفيها فيما يتعلق بوجود دكاكين وحشوات مفرغة فى النصف الأيسر من الواجهة. وتبين من عمليات التنقيب أنه لم تكن هناك دكاكين مقبية غير الدكاكين اللذين أعاد محمود أحمد بناءهما بصورة خطأ فى اعتقاده (وأكد نافع أفندى - ١٩٤٤/٢/٢٠ - أنه لم تكن هناك دكاكين مقبية فى هذا الموضع، ولم تكن هناك دلائل على وجود جدار ذى حشوات). وكان النصف الداخلى الذى جرى من الجدار والمطابق للبياتكات الأربع الأولى إلى يسار المدخل قد أعيد بناؤه من جديد، إلا أن شيئاً لم يبق من الجزء الحجرى الخارجى غير القطعة المبينة فى اللوحة (١٠١ أ) إلى يمين فجوة النافذة، لذا فمن المستحيل أن تثبت أو وجود حشوات أو نفيه.

ومع ذلك فالجزء المطابق للرواقين الأول والثاني من الحرم كان فى حالة جيدة تماما. والجزء المطابق للرواق الثالث كان مسطحا، بل كانت هناك حشوة غائرة ضيقة قمته مفقودة (اختفت فى عملية الترميم) تفتح عليها النافذة الوحيدة (لوحتان ١٠١، ١٠٥) فى هذا الجانب من الحرم؛ ورغم أن هذه النافذة قد وضعت على محور الرواق الثانى، إلا أنها لا تأتى فى وسط الحشوة التى وضعت خطأ باتجاه اليمين. وهناك قطعة بناء الى يمين هذه الحشوة، ولم يكن هناك شئ بعدها (فوق مستوى الأرضية الحالي) غير الأعمال الآجرية الجديدة الخاصة بالنصف الداخلى من الجدار والممتدة حتى البائكتين الجديدتين الى يسار المدخل الجانبى.

الواجهة الخلفية

وتتكون من جدارين مصقولين بلا حشوات مساحتهما ١١,٦٨ و ١١,٧٠ م على التوالي، يفصل بينهما بروز المحراب الذى يبلغ عرضه ٤,٢٧ م بنتوء قدره ٧١ سم. وبهذا البروز أركان مشطوفة بكابولين لطيفين يعد الأيسر منهما أصلى والأيمن نسخة منه. ولم يتم العثور على أى أثر لخلوات [دكاكين] فى هذه الواجهة (Comité de conservation, Exercices 1930-1932, p. 109). ويعد النصف العلوى من الجناح الجنوبى الغربى أصليا، وكذلك عقود النوافذ وأطر النوافذ المستطيلة التى تعلوها. وفجوات النوافذ الثلاث بالنصف الشمالى مائلة وتصنع مع النافذة ذات الزخارف الهندسية زاوية مقدارها حوالى ٣٠° بدلا من أن تتعامد على سطح الجدار، مما قد يعزى الى الرغبة فى استقبال رياح الشمال. وهناك ميزابان للماء؛ أحدهما (ويشبه نظيره على باب زويلة ولو أنه أصغر منه حجما) يعد أصليا، والآخر نسخة منه.

مادة البناء

تبين فى أثناء عملية إعادة البناء أن النصف الداخلى من الجدران كان من الآجر مع أن النصف الخارجى منها كان من حجارة (باتريكولو، ص ٤٠). أما البائكات فهى جميعا من الآجر فيما عدا الأعمدة التى تدعمها.

الشرافات

تم الحفاظ على بعض قطع من الشرافات القديمة التى تم العثور عليها فى أثناء العمل فى الحجرة الركنية الجنوبية. ومن الواضح أن كلا من الوجدتين مدرجة ومقطوعة القاعدة كما يتضح فى الشكل (١٦٨) واللوحتين (١٠٠ ج، د)، وأن الحافتين تؤكد عليهما بحاشية خالية من الزخارف عرضها ٢,٥ سم، والجزء الغائر قليلا فى داخلهما مزخرف بمراوح نخيلية بارزة. وفى وسط كل منهما كان هناك مزغل عرضه ١٠,٥ سم. وكان الارتفاع الإجمالى يبلغ ١,٠٤ م وقد وضع بحاجز شرفة خال من الزخارف ارتفاعه حوالى متر واحد، مما يعطى ارتفاعا إجماليا فوق السقف يبلغ ٢,٠٥ م.

الجامع من الداخل

نمبر الآن الجسر (A) وتدخل السقيفة (B) التى تم ترميمها حاليا (لوحة ٩٩). وإذا نظرنا الى أعلى، نلاحظ وجود قطع من السقف الحالى وقد وضعت فى أجزاء خشبية جديدة (شكل ١٧٣). ونجد أمامنا المدخل الرئيسى (لوحة ١٠١ ج) وعرضه ٢,١٤ م وارتفاعه ٤,١٠ م، وهو مفلق بباب حديث مطلى بالبرونز تم

صنعه عام ١٩٣٥ (Comité de conservation, Exercices 1933-1935, p. 270) محاكاة للباب الأصلي (لوحة ١٠٢) الذي تم نقله الى متحف الفن العربى (٣٩١) بين عامى ١٨٨٧ و ١٨٩٩ بناء على توصية من اللجنة (Exercice 1887-1888, pp. 5-6). ويتكون الباب الأخير من مصراعين كبيرين بسلك ١٧ سم، ويتكون كل منهما من قوائم وقطع مستعرضة يربط بينها لسان عاشق ومعشوق، وهو ما يعمل كإطار لثلاث حشوات أفقية وأربع حشوات رأسية مرتبة على النحو المبين فى اللوحة (١٠٢). وكل حشوة رأسية مزخرفة بأشرطة تتداخل بحيث تشكل ثلاثة مستطيلات محشوة بأرابيسك دقيق الحجم، والحشوات الأفقية مزخرفة بشبكة مستقاة من نجمة ذات ستة ذيول. والواجهة الخارجية مزخرفة بطلاء برونزى هندسى تكمن أهميتها فى أنها تعد الأقدم من نوعها فى مصر الإسلامية (Prisse d'Avennes, L'Arte arabe, Atlas, II, pl. XCV). ولكن لا ينبغي أن نظن أنها كانت ابتكارا جديدا، لأن الأبواب المطلية بالبرونز كانت معروفة تماما فى الشرق القديم، ومثالها بوابات الشهيرة التى ترجع الى عصر شلمنصر الثانى (٨٥٩-٨٢٥ ق.م.) وكان يغطيها الطلاء البرونزى ذو الزخارف البارزة التى تصور المدن المحصنة ومشاهد من الحياة اليومية.

وإذا عبرنا خلال الباب، نجد أنفسنا فى مجاز ذى قبو اسطوانى (C) عرضه ٣,٢٨ م وطوله ٤,٢٥ م يخرج تحت الرواق الشمالى الغربى، وهو بناء حديث منرى أنه لم يكن موجودا بالجامع الأصلي. وكانت المثانة التى انهارت فى أكتوبر ١٩٢٣ (Comité de conservation, Exercices 1920-1924, pp. 285-6) ، لوحات ٩٧، ب، ١٠١) ترتفع فوق هذا المجاز. ولم تكن هذه المثانة هى الأصلية بالطبع، فقد رأينا من قبل أنها انهارت فى زلزال ١٣٠٣ المدمر.

ويبلغ عمق الصحن حاليا ٢٣,٤٣ م ويستدق طرفاه قليلا من الشمال والجنوب (من ١٨,٧٠ الى ١٨,٤ م)، وتحت صهريج ضخيم يفترض أنه الصهريج الذى يذكر المقرئى أنه كان يتم ملؤه بالمياه من الخليج. وعلى جانبيه رواقان ستة عقود الى اليمين واليسار، وتوجد جهة خمسة عقود (لوحة ١٠٤) الأوسط منها أعرض من الباقيين (٤,٦٢ م من الوسط الى وسط الأعمدة، فى مقابل ٣,٥٣-٣,٦٣ م). ومن الواضح أن عقود واجهة القبلة التى يبلغ ارتفاعها ١٠,٥٣ م فاطمية؛ وفوق قمة كل منها حلية وردية بأربعة عشر حزا، وبينها، وفوق الأعمدة مباشرة، هناك حنيات بطواقي محارية ذات عقود منكسرة على صفوف من الأعمدة الصغيرة. وفوق العقد الأوسط، نجد حشوة خشبية بسيطة تشبه اللوح الأخضر الغامض بجامع عمرو (انظر ابن دقماق، ج٤، ص ٦٦). وكانت العقود الكائنة على كل طرف والتى تفتح على الأروقة الجانبية عقودا مقطعية قبيحة وضحلة مما يرجع الى عمليات ترميم؛ وتم إيدالها بعقود لها نفس شكل العقود الباقية. وكانت عقود الواجهة الجنوبية الغربية قبل إزالتها وإعادة بنائها على يد اللجنة بهدف التنسيق بينها وبين واجهة الحرم تضم صنجا حجرية بحلية خارجية، وكانت بلاشك تنتمى الى عملية إعادة البناء التى تمت فى أعقاب زلزال ٧٠٢ هـ، وكذلك الجدار الذى يقع خلفها.

أما الرواق الشمالى الشرقى فيقول محمود أحمد (ص ١١٠) انه قد تمت إزالته فى سنة ١٩١٨، إلا أن ذلك ليس صحيحا تماما، فهناك صورة فوتوغرافية لواجهة الحرم التقطتها فى النصف الأول من عام ١٩١٧، وتبين أن عقد الرواق المجاور له كان لم يعد موجودا فى ذلك الوقت (لوحة ٩٧). ويؤكد ذلك رسم تخطيطى [اسكتش] قام ورسفولد بنشره فى عام ١٨٩٩ (The Redemption of Egypt, p. 122). أما بالنسبة لبقية العقود،

فلا أذكر شيئا عنها إلا ما نجده في الصور الفوتوغرافية المنشورة في هذا الكتاب (الوحة ١٠٣)، ومن المحتمل أن العمودين الأخيرين باتجاه الشمال الغربي هما الوحيدان اللذين ظلّا قائمين، ولا يزال الشمالي منهما محتفظا بطليته المنحوتة ورباطين خشبيين يشبكانه بالجدار الشمالي الشرقي والشمالي الغربي. وسنعود للإشارة إليهما مرة أخرى فيما بعد.

هل كان هناك رواق شمالي غربي أصلا؟

رأينا أن الرواق الشمالي الغربي - لو كان له وجود أصلا - قد اختفى منذ مدة طويلة تقرب من سبعينيات القرن التاسع عشر حين زار بريس دافين الجامع ووضع تخطيطه له (شكل ١٦٩) بالقدر الذي سمحت به المباني التي كانت تتعدى عليه.

كان عدم وجود رواق شمالي غربي سينتج عنه صحن بسبعة عقود على كل جانب، والمداخل الجانبية تأتي في مواجهة العقد الأوسط في كل حالة. ولو كان هناك رواق شمالي غربي لنتج عنه صحن به ستة عقود على كل جانب، وتأتي المداخل في مواجهة العقد الثالث من الشمال.

في عام ١٩٣٠، وبعد أن أزيلت المباني التي كانت تحتل الجزء الشمالي من الجامع، تم حفر خندق في الموقع الذي كان سيصبح امتدادا للبائكة الشمالية الغربية لو كانت قد وجدت. وتم إخراج جدار أساس بإضافات على أربع نقاط في مواجهة الأعمدة الأربعة الوسطى بواجهة الحرم. وبهذا لا يبقى هناك شك في أن هناك رواقا شماليا غربيا كان موجودا فيما مضى. ولكن من المؤكد أن هذه البائكة كانت إضافة لاحقة، لأن جدران الأساس بالجامع القديم وكذلك جدران الأروقة الجانبية، كما يشير بوتى (ص ٢٨٦-٢٨٧)، بنيت بحرص شديد من مداميك صغيرة بواجهة مكسوة، في حين أن الأساسات التي ذكرناها لتونا قد بنيت من ديش غير مصقول بدون واجهة مكسوة. إضافة إلى ذلك، وجد أنها تكسر الوصلة عند كل طرف كانت تلتقي عنده بجدران الأساسات العظيمة بالبائكات الجانبية. ويستنتج بوتى من ذلك أن الرواق الشمالي الغربي الذي «كان سيسى للتوافق الرائع للبناء» لم يكن من الممكن أن يشكل جزءا من الجامع الأصلي.

وسرعان ما تعرض هذا الاستنتاج الأثرى السليم للتفنيد من جانب كل من محمود أحمد وسيد متولي. فيقول الأول: «اكتشفنا في إحدى الصور الفوتوغرافية التي التقطت قبل إنشاء الواجهة الشمالية (أى الشمالية الشرقية) بقايا عقد هذا الإيوان متصلا بالواجهة المذكورة (أى الشمالية الشرقية) وعليها نقش كوفى أصلى يشبه النقوش التي تعلو العقود الأخرى. هذه البقايا الباقية من العقد بالإضافة إلى النقش الذي يحمله لا تؤكد على وجود الإيوان الغربي وحسب، بل يؤكد أيضا على أن هذا الإيوان يرجع إلى عهد الصالح طلائع نفسه» (ص ١١٧).

والصورة التي يشير إليها هي تلك التي نشرها بوتى (الوحة ٧)، وقد أوردناها في هذا الكتاب في اللوحة (١٠١). وتبين النصف الشمالي من الضلع الشمالي الشرقي، والمداخل الشمالي الشرقي إلى اليمين ومثذنة المؤيد على الحافة اليسرى. وإلى اليسار، نجد آخر أعمدة الرواق الشمالي الشرقي بطبعية مزخرفة من الخشب، ويشبكها بالجدار الشمالي الغربي رباط خشبي، ولا يزال جزء من زخرفته الفاطمية المنحوتة باقيا، يتركز على الأول ويشبكها بالجدار الشمالي الشرقي حيث يجرى في شريط كوفى من الجص ويرتكز على حامل خشبي مفلطح الوجه. ويستنتج محمود أحمد أن هذا الرباط الخشبي والأشرطة الكوفية الجصية تعد دليلا على وجود

بائكة شمالية غربية منذ البداية. ولو كان هذا الرباط الخشبي هو الوحيد الذى كان يعبر بالرواق الشمالى الشرقى لكان ذلك دليلا كافيا على أنه كان جزءا من البائكة الشمالية الغربية التى تجرى عبره، إلا أنه ليس الرباط الوحيد. وهناك صورة فوتوغرافية التقطتها اللجنة (لوحة ١٠٣ أ) تبين الطرف المكسور من رباط خشبي بارز من نفس الجدار على العمودين الأول والثانى النائمين من جدار الى يسار المدخل الشمالى الشرقى، وتحت العمود الثانى حامل خشبي مفلطح الوجه. ويدل ذلك على أن كل أعمدة الرواق الجانبى كانت مشبوكة تقاطعيا بالجدار الشمالى الشرقى. وبالتالي فوجود رباط خشبي يجرى من العمود الأخير الى الجدار الشمالى الشرقى لا يدل على أنه كانت هناك بائكة شمالية غربية. وحتى لو وجد منبت عقد على الجدار الشمالى الشرقى عند النقطة المطلوبة (التي لا أستطيع تمييزها فى الصورة الأصلية)، فإن وجود طبلية فاطمية على العمود المعنى لا يدل على أن العقد المستعرض كان يرجع الى عام ٥٥٥ (١١٦٠م)، لأن هذا العمود وطبليته هما جزء من البائكة الشمالية الشرقية والأرجح أنهما كانا موجودين من البداية. ولو أراد أى شخص أن يبنى رواقا شماليا غربيا لكان عليه أن ينبت بائكته الجديدة من الحامل الكائن على الجدار الشمالى الشرقى ويحمله فوق نفس العمود والطبلية. أما الشريط الكوفى الهابط، فيجرى من جانب الى آخر أفقيا، ثم يجرى الى أعلى بموازاة الطول الأول، وعلى مسافة قريبة منه نجد نفس هذه السمة تعود من جديد فوق كل من الأربطة الخشبية التى تشبك أعمدة الرواق بالجدار الشمالى الشرقى.

ويذهب سيد متولى مذهبا آخر، حيث يذكر أن الرواق الشمالى الغربى كان ضروريا لأن غياب مثل هذا الرواق كان سيناقض تخطيط (أى جامع فى مصر أو فى بلد اسلامى آخر)، وأنه كان ضروريا «من وجهتى النظر الدينية والصحية لراحة المصلين» (Comité de conservation, Exercices 1930-1932, pp. 97-98). وهذا هراء بالطبع؛ لأن القرآن لا يحدد شكل المساجد، ولا الحديث النبوي؛ ويمكن الرجوع الى الكتاب الذى وضعه فنسك تحت عنوان *Handbook of Early Muhammadan Tradition* والذى قام فيه بفهرسة كل موضوع تمت مناقشته فى الأحاديث النبوية الأولى. وقد رأينا أن المسلمين الأوائل كانوا يتخذون من أى مكان مسجدا كالمصلى الذى اتخذ فى قباء مثلا، وهو قطعة أرض يحيط بها جدار منخفض؛ وفى إيوان المدائن العظيم؛ وفى الدهليز على قمة درجات السلم المؤدية الى كنيسة الضريح المقدس بالقدس؛ وفى الحنية القبلىة بكنيسة الميلاد بيت لحم (القرن العاشر)؛ وفى الكنائس التى تحولت الى مساجد كنيسة العظمى بحماة؛ وفى العديد من أنواع المساجد، بعضها ببائكات توازى جدار القبلة، وبعضها الآخر ببائكات متعامدة عليه، وبعضها الثالث بلا أروقة حول الصحن إلا على جانب القبلة كما هو الحال فى المسجد الكائن داخل أسوار قصر الخليفة هشام بخربة المفجر (٤ أميال شمال أريحا) والذى تم التنقيب عنه فى السنوات الأخيرة من قبل ادارة فلسطين للآثار، وفى مسجد قرطبة الجامع كما كان فى سنة ١٧٠ هـ (٧٨٦م)، ومسجد تونس الجامع كما كان فى سنة ٢٥٠ هـ (٨٦٤م) وفى مسجد القيروان الجامع كما كان فى سنة ٢٢١ هـ (٨٣٦م). وبعد ظهور المدرسة ذات الايوانات، كان ما يميزها من وجهة نظر الواعظ أنها قد تم اتباع نمطها دون تردد فى المساجد فى مصر فى أوائل القرن الرابع عشر، ولو أنها لم تحمل أدنى درجات الشبه بأى مسجد بنى حتى ذلك الوقت.

أما بالنسبة لعدم وجود جامع بلا رواق رابع فى تاريخ الإسلام، فهذا غير صحيح أيضا. فلا يحتوى مسجد الأخيضر إلا على ثلاثة أروقة فقط، وسبق أن رأينا أنه لم يكن هناك رواق شمالى غربى بالجامع الأزهر الى أن

قام الخليفة الحافظ لدين الله (٥٢٤-٥٤٤هـ / ١١٣٠-١١٤٩م) ببناء الأروقة حول الصحن. وأخيرا فبالنسبة للمحفوظة بوثنى بأن اتساق التصميم يتطلب مداخل جانبية على المحور المستعرض للصحن، فهذا هو التخطيط المتبع بجامع الحاكم (شكل ٣١) وجامع يببرس بالعباسية [بالظاهر]. كما نجد أيضا في الجامع الأزهر لو أن المدخل الحالي إلى الميضأة والمدخل المقابل له (شكل ٢٠) يحتلان موقع المداخل التي ترجع إلى عهد بناء الجامع، وهو احتمال كبير. ولم يتم التخلي عن هذا النهج حتى القرن الرابع عشر حين بنى السلطان الناصر محمد مسجده بالقلعة في سنة ٧٣٥هـ (١٣٣٥م). وما يؤسف له أن صرخات بوثنى راحت أدراج الرياح، إذ قررت اللجنة في اجتماع لها في ٢٦ يناير ١٩٣٢ بناء رواق شمالي غربي (٣٩٢) (Comité de conservation, Exercices 1930-1932, pp. 96-98).

الحرم [مقدم الجامع] (لوحتان ١٠٤-١٠٥)

ويتكون من ثلاث باثكات من سبعة عقود تجرى كل منها موازية لجدار القبلة، ويتشكل الرواقان الأوليان بحيث يبلغ عرض كل منها ٣,٤٥م في مقابل ٥,٤٠م بالنسبة لعرض الرواق المجاور لجدار القبلة. والسقف الحالي حديث تماما. وتتكون الباثكات بعقود منكسرة شديدة التكلف تتركز على أعمدة رخامية بتيجان مختلفة الأشكال معظمها كورنثي (لوحة ١٠٤ ب) عن طريق طبليات منحوتة بطريقة لطيفة مكونة من ثلاث طبقات من الخشب، الأولى مربعة وشديدة الضحالة، والثانية ضعفها في السمك وأطول منها قليلا، والثالثة تشكل نهاية مفلطحة الوجه؛ وكلها مزخرفة بخمس وريقات خماسية (لوحة ١٠٥ ج).

والباثكات مشبوكة طوليا بأربطة خشبية وضعت في القسم الأوسط من الطبلية وبأربطة خشبية وضعت فوق قمة الطبلية. وحين نتفحص هذه الأربطة الخشبية من سلم، نجد أنها تتكون من جذع نخلة وضع في مجرى مكون من ثلاثة ألواح، اثنان منها مثبتان بمسامير على جانبيه، والثالث تحته. والاثنان الأولان مزخرفان بصف من وريقات خماسية تشكل امتدادا للزخرفة التي نجدها على الجزء الأوسط من الطبلية. وعند النقطة التي تدخل الأربطة الخشبية الطولية فيها إلى الجدار، يكتمل التخطيط بما يمكن وصفه بأنه جانب طبلية، حيث يبرز من الجدار بعدة سنتيمترات.

وجدنا تخطيطا مشابها للأربطة الخشبية والطبليات بجامع الأقمر، إلا أن هذا النموذج يعد أجمل النماذج وأفضلها حالا. وكل عقد مزخرف بشريط كوفي من الجص يجرى حول الحافة ثم يهبط ويدور بزوايا يميني عند وصوله إلى الطبلية، ثم يصعد ليجرى حول العقد التالي كما هو الحال في جامع الأقمر. وفوق قمة كل عقد، هناك فتحة مربعة صغيرة تبدو كنافذة محشوة بزخرفتين هندسيتين جصيتين وضعتا بحذو واجهتي الجدار. إلا أن أشد أجزاء الزخرفة إتقاناً هي السرر الزخرفية الجصية التي تحتل كوشات العقد (لوحتان ١٠٦-١٠٧). ونظرا لارتفاع مواضعها فإن علينا أن ننظر إليها بزاوية تبلغ ٦٠°؛ ولتصحيح تأثير تقصير الخطوط فقد تم تصميمها بطريقة غريبة، أي أن الحلية الوسطى التي تشع منها الأخاديد وضعت تحت المركز الحقيقي مما يؤدي إلى نتيجة ناجحة تماما، فهي تبدو عادية تماما حين ننظر إليها من أسفل، في حين أنها لا تبدو كذلك في الواقع حين ننظر إلى السرر من الجنب. وهذا التصحيح يشبه «المصافي الإغريقية» في البارثينون.

تمت معالجة الأطراف الحديثة للرواقين الأول والثاني على النحو التالي. يجرى الشريط الكوفي حول عقود الباثكات، ويجرى بصورة مشابهة حول المحشوات المعقودة بين الأعمدة المستطيلة بالجدار الشمالي الشرقي،

وهناك شريط مماثل حول كل نافذة (لوحتان ١٠٤ ب، ١٠٥ أ). ولابد أن الحشوات المعقودة الضحلة الست بالرواق الشمالى الشرقى قد عولجت بنفس الأسلوب كما هو موضح فى اللوحة (١٠٣). ونظرا لأن الجدران الكائنة خلف الرواقين الشمالى الغربى والشمالى الشرقى جديدان تماما، فقد خلت تماما من أية زخارف، إلا أن الرواقين الأخيرين كانا دون شك يطابقان الرواق المقابل.

المحراب

يبلغ عرض الجزء المجوف ١,٨٧ سم وعمقه ١,٣٧ سم، وقد فقد كل زخرفته إلا أعمدته المستطيلة على جانبيه والكسوة الخشبية المطلية لنصف القبة، وحتى هذه الأخيرة عانت أضرارا فادحة لدرجة يصعب معها إكمال التصميم. ويتحدث بريس دافين فى سنة ١٨٧٧ عن «فسيفساء رائع لم يبق منه الآن إلا قطعة رائعة من الجزء العلوى بزاوية يسرى من المحراب» (L'Art Arabe, Texte, pp. 100-101). وهذه القطعة من الفسيفساء الرخامى المتعدد الألوان التى تبلغ مساحتها ٤٠ سم^٢ لا تزال باقية.

المنبر

يعتبر هذا المنبر أكثر المنابر إتقاناً فى مصر بعد منبر قوص (انظر بريس دافين، ص ٩٩). وطبقا لنقشين أحدهما فوق الباب والآخر خلف جلسة الخطيب، فقد صنعه سيف الدين بكتمر جوكندار قلاوون، وأمير جندار الناصر محمد (٣٩٣) فى جمادى الأخرى ٦٩٩ هـ (فبراير ١٣٠٠ م). ويشير فان برشم الى إمكانية قراءة النقش بطريقتين: أما ٦٧٩ أو ٦٩٩ هـ، ولكن التاريخ الأخير هو الأقرب الى الصحة، لأن الناصر محمد لم يكن قد ولد بعد فى عام ٦٧٩ هـ، فى حين أنه كان قد ارتقى العرش لتوه وللمرة الثانية فى عام ٦٩٩ هـ. وقد رأينا أن نفس هذا الأمير هو الذى قام بترميم هذا الجامع بعد ذلك بثلاث سنوات فى أعقاب زلزال ٧٠٢ هـ.

الملقف [البأذاهنج]

على الجدار الخلفى وراء المكان الذى يقف فيه الامام على المنبر مباشرة، نجد فتحة مستطيلة عرضها ٧١ سم وارتفاعها ١,٨٢ م يحيط بها إطار من الزخارف الجصية ومسدودة بزخارف هندسية برونزية (لوحة ١٠٥)، وتفتح على جذع رأسى مستطيل يقع قاعه بحذى قاع حافة الفتحة؛ وترتفع قاع حافة الفتحة عن الأرضية بمسافة ٤,٢٥ م. والجذع الذى تبلغ مساحته حوالى نصف متر مربع يستمر الى أعلى بسمك الجدار الى أن يصل الى مستوى السقف. وعند هذه النقطة، من المرجح أن كان هناك غطاء منحدر يشبه الباب المسحور، وهو مسدود على جانبيه لكنه مفتوح باتجاه الشمال وهو اتجاه الرياح، اذ يبدو واضحا من المنشآت المماثلة التى لا تزال مستخدمة - ومنها قصر المسافر خانة (أواخر القرن الثامن عشر) - أن هذا الجذع كان يعمل كملقف تدخل منه نسيمات الشمال الى داخل الحرم. وهو ما يعد أقدم نموذج من نوعه فى القاهرة؛ وهناك جذوع مماثلة فى الايوانات الشمالية الغربية بالمدرسة الكاملية (٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) وبمدرسة الناصر محمد التى اكتمل بناؤها فى سنة ٧٠٣ (١٣٠٣ م)، وخانقاة بيبس الجاشنكير (٦-٧٠٩ هـ / ١٣١٠-١٣١١ م). وفى الصور الفوتوغرافية القديمة والتى تم التقاطها للقاهرة من القلعة، يمكن رؤية المقامات من هذه الملاقف. وفى العراق، يسمى هذا الأسلوب «باجير».

النوافذ

هناك بجدار القبلة سبع نوافذ معقودة. وتختلف النافذة الوسطى التى تأتى فوق المحراب مباشرة عن بقية النوافذ، إذ وضعت على ثلاثة جوانب فى إطار مستطيل من الزخارف الجصية المكونة من أشرطة كوفية، والكوشات محشوة بالأرابيسك (لوحة ١٠٨ أ). وتضم النوافذ الأخرى حواشى كوفية أيضا، إلا أنها تتبع الشكل المعقود للنافذة. وترتفع الحواف السفلية لهذه الحواشى عن الأرضية بمسافة ٥.٣٦ م. والنافذة التى تقع فى أقصى اليمين صماء وتحتل مكان الزخارف الهندسية فيها سبعة أسطر من النقش الذى يتميز بأن بعض الحروف فيه دونت بالنسخ (لوحة ١٠٨ ج)، وهى خاصة بنجدها من حين لآخر فى المنسوجات الفاطمية المتأخرة.

أما بالنسبة للزخارف الهندسية للنافذة (لوحة ١٠٠ أ) والتى سبق ذكرها والمحافظة بالمتحف العربى، فيشير مارسيه (Marçais, *Art musulman d'Algérie*, pls. VI-X) الى أن مراوحها النخيلية وكذلك مراوحها المجدولة مع الحواشى الكوفية فى أماكن أخرى من الجامع (شكل ١٧١) تحمل شيئا وثيقا بمراوح الحشوات الجصية بمحراب جامع تلمسان الكبير الذى اكتمل بناؤه فى جمادى الأخرى ٥٣٠ هـ (مارس ١١٣٦ م). وسلاحظ أن زخارف النوافذ الهندسية الأصلية رغم استبدال زخارف أحدث منها بها (لوحات ١٠٥، ١٠٨ أ، ب) إلا أنها جميعا احتفظت بحواشيتها من المراوح النخيلية بجوار إطارها الكوفى الخارجى، وأن هذه المراوح النخيلية تشبه نظيرتها بالنافذة التى ذكرناها لتونا. لدينا هنا إذن مثال آخر من التأثير الشمال أفريقى فى ظل الحكم الفاطمى.

كان الحرم فيما مضى معزولا عن الصحن بمقصورة رائعة من خشب الخرط ارتفاعه ٢,٧٠ م (شكل ١٧٠) يقول عنه بريس دافين (١٨٧٧): «... من الخشب المحفور والملفوف بأسلوب غاية فى الإتقان، وتم إلحاقه بأعمدة الواجهة بحيث يتمم المقصورة» (أى الحرم). ولا نجد لهذا الفاصل أى ذكر لدى أى كاتب لاحق، ولا يمكن تحديد ماجرى له. ومن الواضح أن المقصورة التى تغلق السقيفة ذات البائكات الخمس خارج المدخل الشمالى الغربى منسوخة عن الرسم التخطيطى الجميل لبريس دافين، أما السبب فى وضعها فى مكانها الحالى فيعرفه المرحوم محمود أحمد الذى وضعها فى هذا الموضع.

تاريخ بناء الجامع

لا نجد لدى المقرئى ذكرا عن تاريخ بناء هذا الأثر. ونجده على الشريط الأسفل من النقش والذى كان الجزء الأعظم منه محتجبا فى عصر فان برشم، لكنه تم الكشف عنه تماما بعد إزالة المباني الطفيلية التى كانت تحجب الواجهة كلها (أما الشريط العلوى فكله من الآيات القرآنية). وهو باسم طلائع الفائزى وينص على انه «أمر بإنشاء هذا المسجد ... فى شهر سنة ٥٥٥ هـ (٣٩٤) (١١٦٠ م)، والتاريخ على الطرف الأيمن من الواجهة الشمالية الشرقية.

تأثيره على الجوامع اللاحقة

ان أهم ابتكار فى هذا الجامع هو واجهته ذات الحشوات التى تضم كل حشوة منها نافذة. وقد طبق هذا النموذج فيما بعد فى واجهة مدرسة السلطان الصالح (٦٣٩-٦٤١ هـ / ١٢٤٢-١٢٤٤ م)، وفى ضريحه (٤٩-١٢٥٠ م) وفى مدرسة السلطان بيبرس التى بنيت ملاصقة للضريح الأخير فى الأعوام ٦٠-٦٦٢ هـ (٦٢-١٢٦٣)، ثم عم استخدامه بعد ذلك.

ملحوظة

بإزالة مزيد من البيوت على الضلع الشمالى الشرقى، وجد أن جدار الجامع كان يمتد الى مسافة غير معلومة. وعلى مستوى الأرضية القديمة، كان هناك مجاز باب مستطيل عرضه حوالى ٢ م وبه عتب ذو صنجات معشقة؛ وكانت عضادته اليمنى قريبة من ركن الجامع (شكل ١٧٢). والى يساره ولكن على مستوى أعلى نجد ما يبدو أنه كان نافذة يغطيها عارض وعقد عائق بحاشية كوفية وبقايا أرابسك فى طبلته. وعلى مستوى أعلى كان هناك شريط من النقش الكوفى يبدأ الجزء المتبقى منه بحذى ركن الجامع ويمتد الى النقطة التى ينتهى عندها الجدار بحافة مكسورة. والحافة السفلية من هذا النقش تقع فى صف فوق عتب النافذة بالرواق الثانى فى الحرم. نستنتج من ذلك أن هناك مبنى (مجهول الغرض) كان ملحقا بالجامع (٣٩٥).

المصادر والمراجع

- 1256-74 IBN KHALLIKAN, Wafayat al-Ayan, I, p. 339, i. 5; de Slane's transl., I, p. 660 .
- 1412 QAI QASHANDI, III, p. 366; Eüstenfeld's transl., p. 79 .
- 1824 MAQRIZI, Khitat, II, p. 293 .
- 1441 MAQRIZI, Sulūk, Ziada's ed., I, p. 944; Quatremère's transl., Sultans Mamlouks, II₂, p. 216 .
- 1458 ABU' L-MAHASIN , Popper's ed., VII, p. 115, II. 6-7 .
- d.1497 As-SAKHAWI, ad-Dau al-Lami, (Cairo, 1355 H.), X, p. 274 .
- 1520 HASAN AT-TÜIÜNI, in at-Tuhiya (Constantinople, 1310 H.), P. 135, II. 9-11 .
- 1522 IBN IYAS, Ta'rikh, I, p. 146, II. 5-10; II, p. 177, II. 10-21 .
- 1811 Description de l'Égypte, État moderne, II₂, p. 668; Panckoucke's ed., XVIII., p. 310 .
- 1869 MEHREN (A. F.), Tablau général des monuments religieux du Caire. Mélanges Asiatiques, VI, p. 309 .
- MEHREN (A. E.), Câhirah og Kerâtat, II, p. 21.
- 1877 PRISSE D'AVENNES, L'Art arabe, Texte, pp. 99-101, 269 , 271 and fig. 12; Atlas, pls. V. XC-XCII, and XCV.
- 1883 VAUJANY (H. de), Le Caire, pp. 202-3 .
- 1887 ADAMY (R.), Architektonik des muhammedanuschen und romanischen Srils, pp. 21-2 and 42, and Fig. 1 .
- 1888 ALI PASHA MUBARAK, al-KHitat al-Gadida, V, p. 38 .
- 1891 BERCHEM (M. van), Notes d'archéologie arabe. Journal Asiatique, 8^{me} sér., t. XVIII, pp. 60=86; XIX, p. 398 .
- 1893 RIECL (A.), Stilfragenm p. 331 and Fig. 186 .
- 1894 BENCIEN (M. van), Corppus Inscriptionum Arabicarum, I -- Égypte, (pp. 73-9 and pl. XXIII.
- 1895 HERZ (Max), Catalogue ... Musée nat. de l'art arabe, pp. xxix-xxx 42, and 181 and pl. IX; 2^{me} éd., pp. xxxix, xlvii, 59, 83, 120, 177-3, and 179-80 .
- 1899 WORSFOLD (W. B.), The Redemption of Egypt, pp. 122-3 , with I plate and I illus .
- 1903 FRANZ (Julius), Kairo, pp. 31-5, with 2 illus .
- 1904 BORRMANN (Richard), Geschichte der Baukunst, I, pp. 333-4 .
- 1907 MARGOUCUTH (D. S.), Cairo, Jerusalem & Damascus, p. 47 .
- 1907 SALADIN (H.), Manuel d'Art musulman, I--L'Architecture, pp. 99-100 and figs, 57-8 .
- 1909 FAGO (V.), Arte araba, p. 95 .
- KUHN (P. A.), Geschichte der Baukunst, Fig. 605 .
- 1910 RHONÉ (Arthur), L'Égypte àpetites journées (2^{me} éd.), pp. 430-32, with 2 illus .
- 1912 TYNDALE (W.), An Artist in Egypt, pp. 105-7 , with I Coloured plate .
- 1915 DIEZ (E.), Die Hunst der islamischen Völker, p. 57 .
- 1919 CRESWELL (K. A. C.), Brief Chronology. B. I. E. A. O., XVI, p. 66 .
- 1920 WOERMANN (K.), Geschichte der Kunst (2^{te} Aufl.), II, p. 392 .
- 1921 DEVONSHIRE (Mrs. .), Some Cairo Mosques, pp. 6-10, with 3 plates .
- 1922 PATRICOLO (A.), in the Comité de Conseruation, C. R. des Exercices, 1915-1919, pp. 40-42 and pls. XXIII-XXVIII.

- 1923 TARCHI (Ugo), *L'Architettura e l'arte musulmana*, tav. 35 .
- 1924 BRIGGS (M. S.), *Muhammadan Architecture in Egypt and Palestine*, pp.75 and 122 and Fig. 40 .
- 1926 DEVONSHIRE (Mrs. R. L.), *L'Égypte musulmane*, pp. 45-6 and pl. x .
- RICHMOND (E. T.), *Moslem Architecture*, pp. 102-3 and fig. 15 .
- 1930 DIEZ (E.) art. *Masdjid*, in the *Encyclopaedia of Islam*, III, p. 382 .
- 1931 PAUTY (E.), *Le plan de la Mosquée d'as-Sâlih Talâyi* . *Bull. de la soc. Royale de Géographie d'Égypte*, XVII, pp. 277-92, with 1 plan and 10 plates .
- PAUTY (E.), *La défense de l'ancienne ville du Caire* . *B. I. F. A. O.*, CCCI, p. 159 and pl. IVa .
- 1932 PAUTY (E.), *L'Évolution du dispositif en T dans les mosquées à portiques* *Bailetin d'Études orientales*, II, pp. 112-13 and fig. 14 .
- PAUTY (E.), *Les bois sculptés jusqu' à l'époque ayyoubide*, pp. 69-70, and 74-5, and pls. LXXXIX - XCII and XCV - XCVI .
- HAUTECEUR (L.), and G. WIET, *Les Mosquées du Caire*, p. 241 and pls. III, 42, and 45-6 .
- 1935 MARÇAIS (G.), *Les Échanges artistiques entre l'Égypte et les pays musulmans occidentaux*. *Hespéris*, XIX, p. 101 and fig. 4 .
- 1936 LAMM (C. J.), *Fatimid Woodwork, its style and chronology* *B. I. É.*, XVIII, pp. 86-7 .
- MAHNÜD AHMAD , *Projet pour le complément de la Mosquée d'As-Salis Talayi*. *Comité de Consruation, Exercices 1930-1932*, pp. 107-19. See also pp. 96-8 .
- 1937 WIET (G.), *Répertoire chronologique d'Épigraphie arabe*, IX, pp. 20-21, and XIII, pp. 190-91 .
- 1939 MAHNÜD AHMAD, *Concise Guide to the Principal Arabic Monuments in Cairo*, pp. 75-7 and Figs. 12-13 .
- 1942 MUNAMMAD ABD AL-AZIZ, *Masagid al-Qabira qabl asr al-Mamalik*, pp. 96-104, with 1 fig and 2 plates.
- 1947 MARÇALS (G.), *L'Art de l'Islam*, p. 71 .

الختمة

كان العصر الفاطمي زاخراً بالفنون والعمارة، إلا أنه تميز بدرجة خاصة في مجال الزخرفة، فلا نجد قباباً عظيمة أو أقبية رائعة بنيت فيه. فيكمن ازدهاره في زخارفه المبهرة بوضوحها وتنوع تصميماتها. وتتكون هذه الزخارف من كتابات زخرفية وأرابسك من نوعيات رفيعة المستوي، مشغولة أحياناً داخل إطار زخرفي وأحياناً بدون إطار. وكانت الزخرفة الهندسية في ذلك العصر تلعب دوراً ثانوياً، فنمط النجمة المتداخلة الشائع الذي كان يحوى فيما بعد عشرة ذيول أو اثني عشر أو ستة عشر أحياناً، لا نجده إلا في أبسط أشكاله، وهو النجمة الثمانية. وعلى خلاف العصر الطولوني الذي سادت فيه تأثيرات ما بين النهرين، يتميز العصر الفاطمي بشيوع التأثيرات الواردة من شمال أفريقيا ثم من الشام؛ أما الفكرة القديمة التي تعزى إلى سوء فهم تاريخي وترى أن العمارة الفاطمية كانت واقعة تحت تأثير العمارة الفارسية لدرجة بعيدة فتناقض الحقائق المشهودة ويجب دحضها.

عمارة المساجد

استمرت عمارة المساجد في التطور، فاتخذت مداخل ذات ثلاثة محاور ولأول مرة في مصر، واتخذت كذلك قبة أمام المحراب ومجازاً يمتد من الصحن إلى المحراب مباشرة. كما تظهر القباب في ركني الحرم الخلفيين (الأزهر والحاكم)، وهي سمة لا نراها في مصر بعد ذلك. وهناك سمة أشد ندرة اقتبست عن مسجد المهديّة الجامع، وهي المآذن التي توضع بحيث تشكل نتوءات على ركني الجامع الأماميين. وهي سمة لم تستخدم بعد ذلك أيضاً. وفي أواخر العصر تظهر قبة أمام المجاز [قبة البهو]. ومن السمات الأخرى لهذا العصر زيادة استخدام الحجر وهي سمة سادت في العصر الأيوبي.

عمارة الضريح

كما شهد هذا العصر تطور عمارة الضريح من المقبرة الكانوية [ذات السقيفة] ذات الجوانب المفتوحة إلى الضريح ذي الثلاثة جوانب المفتوحة وبمحراب في جدار القبلة، وأخيراً إلى المكعب ذو القبة على الأضلاع الأربعة جميعاً وبياب أمام المحراب.

- ويبدو أن عمارة هذا العصر في أسوان ومصر العليا تطورت مستقلة عن عمارة العاصمة في عدة نواح:
١. فيما يتعلق بالمآذن، لا تزال هناك خمس منها باقية بين إسنا والشلال، وتنتمي إلى نمط متميز وترجع كلها إلى أواخر القرن الحادي عشر؛
 ٢. من الواضح أن هذه المنطقة استخدمت القبة المضلعة قبل القاهرة؛
 ٣. كانت القباب تقام على رقاب مثمّنة بأضلاع مقعرة و«قرون»؛
 ٤. تطوّر نمط غريب من مناطق الانتقال لا وجود له في أي مكان آخر.
- كما ظهر عدد من الأنماط الجديدة من المباني:

١. الزاوية أو المشهد وبه ثلاثة أقسام الأوسط منها تعلوه قبة وهناك ثلاثة نماذج منها بنيت جميعاً في فترة خمسين سنة، ومنها الجيوشي و المشهد بأسوان و خضرة الشريفة. ومن المحتمل أن مشهد السيدة رقية ينتمي إلى هذه المجموعة، إلا أن جزءاً منه يعد مفقوداً للأسف.

- ٢ . كانت الدواخل تبني منحرفة بحيث تواجه القبلة بينما تتوافق الواجهة مع خط الشارع [خط تنظم الطريق]. ويظهر هذا التخطيط الغريب الذي تتميز به مصر لأول مرة في جامع الأقمر (٥١٩هـ/١١٢٥م) ولو أنه يقتصر في القرون التالية على عمارة المدرسة.
- ٣ . المشاهد التي تضم مربعا ذو قبة مركزية ومجازا مسقوفا من ثلاثة جوانب ، كالشبيه والقاسم أبو الطيب وأم كلثوم. ولا يظهر هذا النمط بعد العصر الفاطمي.
- ٤ . المباني المسقوفة بتسع قباب (٣ × ٣) ولدينا مثالان لها -مشهد الشريف طباطبالا- ينتمي للعصر الفاطمي [وضريح السبعة وسبعين وليا بأسوان- وبست قباب (٣ × ٢) -المشهد القبلي بالشلال.
- ٥ . القاعة ذات الايوانين المتقابلين وبينهما مساحة مربعة يغطيها منور. ويعد هذا النمط الذي يختلف تمام الاختلاف عما نجده في بيوت القسطنطينية الذي تولد عنه نمط المدرسة ذات الايوانين.

غياب التأثير الفارسي

من النتائج المهمة التي توصلت اليها هذه الدراسة عن العصر الفاطمي إثبات غياب التأثير الفارسي الذي أكد الكثير من الكتاب على سيطرته على العصر الفاطمي. ورأينا أن الدلائل المقتضية المصرية تطورت بطريقة تختلف تماما عن نظيرتها الفارسية، وأن تكوين المحارب الفاطمية يختلف تماما أيضا باستثناء محراب الأفضل بجامع ابن طولون والذي يمكن وصفه بأنه المحراب الوحيد الذي يظهر تأثيرا فارسيا في مصر.

التأثير الشمال أفريقي

وهو تأثير أكثر وضوحا وهو المتوقع تحت حكم أسرة جاءت من المهدية وأيضا بسبب أن قوافل حجاج شمال أفريقيا كانت تعبر مصر في طريقها الى الحجاز (في حين أن القوافل الشامية والفارسية لا تمر بها). وفي القرن الثاني عشر، رآهم ابن جبير وقد عسكروا بجامع ابن طولون المهجور. والنماذج الرئيسة للتأثير الشمال أفريقي هي:

- أ. المدخل التذكاري.
- ب. المآذن التي أقيمت بحيث تشكل نتوءات على أطراف الواجهة الرئيسية.
- ج. القباب المضلعة من الخارج والداخل.
- د. الرقاب المثمنة بأضلاع مقعرة.
- هـ. جوسق مقبب وضع أمام مدخل الحرم [مقدم الجامع].
- و. سقيفة خارجية أمام الحرم مفتوحة تماما على الصحن.
- ز. افاريز نقشية منحنية الى الأمام (كحلية ربع دائرية) وذلك بغية إبراز الصورة للعين [أي عين الرائي].
- ح. طواقى محارية بحزوز مستديرة بالتعاقب وعلى شكل حرف ٧ في مقطعها (أم كلثوم).

التأثير الشامي

يعد المثال البارز على التأثير الشامي هو العمارة العسكرية لبدر الجمالي الذي استعان بثلاثة من المعماريين الأرمن الفارين من السلاجقة الأتراك بعد أن استولوا على مدينتهم الرها في سنة ١٠٨٦ ، في بناء البوابات

الثلاث الرائعة التي سبق وصفها، والسور المتصل بها. وتعتبر كل سمات هذه الحصون شامية شمالية فيما عدا الزخارف الموجودة على كوابيل باب الفتوح وألواح السقف فيما بينها، والجامات الأرابسك على قمة الحشوات الموجودة على برجى باب زويلة، والجامعة الموجودة على الصنجة المفتاحية الخاصة بقبو المنطرة فوق قنطرة العقد الكبير.

ويمكن الاستشهاد بمثالين آخرين على التأثير الشامي:

(أ) المداخل المحورية الثلاثة لجامعى الحاكم والصالح طلائع (كما رأينا أن الجامع الأزهر ربما لم تكن له ثلاثة مداخل محورية الا عند تأسيسه) ؛

(ب) الحلقات المستمرة على واجهة جامع الأقمر.

الدلاية المقرنصة

يمكن أن نلاحظ خلال هذه الفترة أولى خطوات تطور ما يعرف باسم «الدلاية المقرنصة» والتي اتخذت على نسق يختلف تماما عن النمط المستخدم بفارس والعراق والشام.

قائمة بالآثار التي ورد وصفها بهذا المجلد

(تشير الأرقام بين الأقواس الى الترقيم على الخرائط المرفقة بهذا المجلد)

المهدية

الجدران والميناء، ٣٠٥هـ/٩١٧م.

المسجد الجامع، ٣٠٨هـ/٩٢١م.

القاهرة

مشهد الشريف طباطبا، ٣٣٤هـ/٩٤٣م. (٥٦٣)

المحراب العتيق المجاور لضريح يحيى الشبيه، ٩٥٠م.

القصر الفاطمي الكبير أو الشرقي، ٣٥٨-٣٦١هـ/٩٦٩-٩٧٢م.

الجامع الأزهر، ٣٥٩-٣٦١هـ/٩٧٠-٩٧٢م. (٩٧)

جامع الحاكم، ٣٨٠-٤٠٣هـ/٩٩٠-١٠١٣م. (١٥)

الفسطاط

السبع بنات ٤٠٠هـ/١٠١٠م.

القاهرة

جامع لؤلؤة ٤٠٦هـ/١٠١٥م. (515)

المدخل المؤدى الى زيادة جامع الحاكم، ١١-٤٢٧هـ/٢١-١٠٣٦م. (٤٧٧)

الفسطاط

بيوت القرن الحادى عشر

القاهرة :

الأبواب المحفورة من القصر الفاطمي الصغير أو الغربي، ٤٥٠هـ/١٠٥٨م.

اسوان

أضرحة القرن الحادى عشر

إسنا

مئذنة ٤٧٤هـ/٨١-١٠٨٢م.

الشلال

مئذنة المشهد البحرى ٤٦٩ - ٤٧٤هـ/ ١٠٧٧ - ١٠٨١م

مئذنة المشهد القبلى ٤٦٩ - ٤٧٤هـ/ ١٠٧٧ - ١٠٨١م

أسوان

مئذنة ٤٦٩ - ٤٧٤ هـ / ١٠٧٧ - ١٠٨١ م

الأقصر

مئذنة أبي الحجاج ٤٦٩ - ٤٧٤ هـ / ١٠٧٧ - ١٠٨١ م

القاهرة

مئذنة الجيوشي (٣٠٤)، ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م.

باب النصر (٧) ٤٨٠-٤٨٥ هـ / ١٠٨٧ - ١٠٩٢ م

باب الفتوح (٦) ٤٨٠-٤٨٥ هـ / ١٠٨٧ - ١٠٩٢ م

سور بدر (٣٥٢) ٤٨٠-٤٨٥ هـ / ١٠٨٧ - ١٠٩٢ م

باب زويلة (١٩٩) ٤٨٠-٤٨٥ هـ / ١٠٨٧ - ١٠٩٢ م

جامع المقياس، ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م.

محراب الأفضل بجامع ابن طولون ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م.

أسوان

المشهد ١١٠٠-١٠١٠ م.

القاهرة

خضرة الشريفة (مسجد الشريفة)، ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م - ١١٠٨ م.

الضريح العتيق أمام خانقاه بيبرس الجاشنكير (٤٧٩)، ١١٠٠ م.

ضريحاً محمد الجعفرى والسيدة عائكة (٣٣٣)، ١١٠٠-١١٢٠ م.

ضريح الشيخ يونس (٥١١) بعد ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م.

ضريح اخوة يوسف (٣٠١) ١١٠٠-١١٢٥ م.

قوص

الضريح الفاطمى ١١٢٠ - ١١٣٠ م.

القاهرة

مشهد أم كلثوم (٥١٦) ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م.

جامع الأقمر (٣٣) ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م.

مشهد السيدة رقية (٢٧٣) ٥٢٧ هـ / ١١٣٣ م.

الجامع الأزهر، قبة فى النهاية الشمالية للمجاز القاطع، ٢٤-٥٤٤ هـ / ٣٠-١١٤٩ م.

الأعمال الخشبية المحفورة من ضريح السيدة نفيسة، ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م.

ضريح محمد الحصري (٣١٥) ١١٢٥-١١٥٠ م.

قاعة الدردير (٤٦٦) النصف الأول من القرن الثانى عشر

ضريح [مشهد] يحيى الشبيه (٢٨٥) ١١٥٠ م.
ضريح [مشهد] القاسم أبو الطيب (٢٨٤)
الباب الأخضر (بقايا مشهد سيدنا الحسين) (٢٨)، ١١٥٤/١١٥٥ - ١١٥٥ م.
مئذنة أبي الغضنفر (٣) ١١٥٧/١١٥٢ م.
جامع الصالح طلائع (١١٦) ١١٦٠/١١٥٥ م.

التعليقات

(أ. د. محمد حمزة الحداد)

(١) صدر هذا الكتاب فى مجلدين : الأول فى عام ١٩٣٢م والثانى فى عام ١٩٤٠م عن مطبعة كلارندن بأكسفورد ، وهو أهم مرجع لدراسة العمارة الإسلامية فى القرون الثلاثة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة ، حيث يتناول العمائر الباقية من العصر الأموى والعصر العباسى المبكر والعهد الطولونى ، ومن تلك العمائر الباقية فى مصر كل من جامع عمرو بن العاص (الجامع العتيق) بمصر القديمة ، ومقياس النيل بجزيرة الروضة وجامع أحمد بن طولون ، ومما له دلالة فى هذا الصدد أن كريزول كان قد قام بنشر دراسته الأولى عن جامع عمرو بن العاص فى مجلة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة (المجلد ٣٢ - ١٩٣١م - ص ١٢١ - ١٦٦) وضمنها مشروعه الأول لتخطيط الجامع ، ثم عدل عنه وضمنه المجلد الثانى من كتابه المشار إليه مشروعه الثانى لتخطيط الجامع .

(٢) حكمت الدولة الاخشيدية مصر نحو ٣٤ عامًا من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى أو على وجه التحديد بين عامى ٣٢٣ - ٣٥٨هـ / ٩٣٥ - ٩٦٩م ، وأهم مرجع لدراسة هذه الفترة هو كتاب الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف الموسوم بـ « مصر فى عصر الاخشيديين » الذى طبع لأول مرة فى عام ١٩٥٠م ثم أعيد طبعه ثانية فى عام ١٩٧٠م ، ثم طبع ثالثة فى سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٢٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٩م .

(٣) إن التاريخ الصحيح المضبوط للعصر الفاطمى فى مصر يبدأ يوم الثلاثاء ١٧ شعبان ٣٥٨هـ / يوليو ٩٦٩م واستمر منذ ذلك الحين حتى قطعت الخطبة للخليفة العاضد فى ٧ محرم ٥٦٧هـ / ١٠ سبتمبر ١١٧١م ، ثم لم يلبث أن توفى العاضد فى ليلة عاشوراء ٥٦٧هـ / ١٢ سبتمبر ١١٧١م ، وبذلك يكون العصر الفاطمى قد بلغ فى مصر نحو ٢٠٩ عاما هجرىا ويقابلها ٢٠٢ عاما ميلاديا .

(٤) مملوك أرمنى من أصل مسيحى فى أغلب الظن ، كان مملوكا لجمال الدولة بن عمار فعرف لذلك ببدر الجمالى ، ولى دمشق وعكا ثم استقدمه الخليفة المستنصر (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) لاصلاح حال البلاد فدخلها فى عام ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م وكان بحق منقذاً للدولة الفاطمية وانفرد بالسلطة ؛ وبذلك بدأ عصر جديد فى تاريخ الدولة الفاطمية فى مصر ؛ وهو عصر نفوذ الوزراء ، وكانت وفاته فى جمادى الأولى ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م .

ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، مج ٢ ، ص ٤٤٨ - ٤٥٠ ؛ أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية فى مصر ، تفسير جديد ، ط ٢ ، (القاهرة ٢٠٠٠م) ص ص ٢٠٩ - ٢١٩ .

(٥) ينحصر تاريخ الحملة الصليبية الأولى بين عامى ١٠٩٥ - ١٠٩٩م (٤٨٨ - ٤٩٣هـ) . انظر : ستيفن رنسيحان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ١ ، الحرب الأولى وقيام مملكة بيت المقدس - ترجمة السيد الباز العرينى ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٧م ؛ فوشيه الشارترى ، الوجود الصليبي فى الشرق العربى ، ترجمة ودراسة وتعليق قاسم عبده قاسم ، الكويت ١٩٩٣م ؛ علية الجنزورى ، الحروب الصليبية (المقدمات السياسية) ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٥٣ ، القاهرة ١٩٩٩م ، ص ص ٢٥٥ - ٢٦٤ .

(٦) حكمت الدولة الطولونية مصر فيما بين عامي ٢٥٤ - ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ - ٩٠٥ م ، وأهم مرجع لدراسة هذه الفترة كتاب الدكتور زكى محمد حسن الموسوم بـ « الطولونيون » (بالفرنسية) الذى صدر فى باريس فى عام ١٩٣٣ (ولم يترجم بعد) وانظر أيضاً ، حسن أحمد محمود ، حضارة مصر الإسلامية : العصر الطولونى ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ط ٢ . د . ت ، محمود رزق محمود ، المجتمع المصرى فى العصر الطولونى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة عين شمس ، القاهرة (١٩٨٥ م) . أما العمائر الباقية من هذا العصر وأهمها الجامع الطولونى وقناطر بن طولون بالبساتين فقد تناولتها العديد من الدراسات لكل من كوريت وكريزول ومحمود عكوش وزكى محمد حسن وحسن عبد الوهاب ومحمد عبد العزيز مرزوق وفريد شافعى وأحمد فكرى وحسن الباشا وسعاد ماهر محمد ومصطفى عبد الله شيحة وأحمد عبد الرازق أحمد وعبد القادر الرياحوى ومحمد حمزة الحداد وغيرهم .

(٧) من المعروف أن سقوط الدولة الطولونية كان على يدى القائد العباسى محمد بن سليمان الكاتب الذى بعثه الخليفة المكتفى بالله (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ / ٩٠٢ - ٩٠٨ م) لأداء هذه المهمة التى نجح فيها وكتب إلى الخليفة يشره بفتح مصر ؛ وقد اختلف المؤرخون حول ولايته على مصر بعد أن أعادها إلى حظيرة الدولة العباسية من جديد فمنهم من لا يعده من الولاة بل يذكره بوصفه القائد العسكرى الذى أسقط الدولة الطولونية وأن الخليفة المكتفى بالله لم يوله عليها عندما بشره بفتحها وولى عليها عيسى النوشرى ولكن هناك من المؤرخين كالمقرئى وابن تغرى بردى ، من عده واليا عليها بحكم الفترة القصيرة التى صرف فيها أمورها حتى خرج منها فى مستهل رجب ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م ؛ ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فقد تولى حكم مصر منذ هذه الفترة - أى عقب خروج محمد بن سليمان فى التاريخ المذكور - وحتى أواخر رمضان ٣٢٣ هـ / أغسطس ٩٣٥ م عدة ولاة ومنهم عيسى النوشرى ثم تكين ثم ذكا الرومى أو الأعور ثم تكين للمرة الثانية ثم أبو قابوس محمود بن حمل فى قول أو محمد بن حمك فى قول آخر ثم هلال بن بدر ثم أحمد بن كيغلق ثم تكين للمرة الثالثة ثم محمد بن طغج بن جف للمرة الأولى لمدة شهر عام ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م ثم أحمد بن كيغلق للمرة الثانية لتسع خلون من شوال ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م ، ثم محمد بن طغج للمرة الثانية ودخل الفسطاط لست بقين من رمضان ٣٢٣ هـ / أغسطس ٩٣٥ م ومنذ ذلك الحين بدأ العصر الأخشىدى فى مصر .

الكندى ، الولاة ، ص ، المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٢٧ - ٣٢٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ، سيدة إسماعيل كاشف ، مصر فى عصر الاخشىديين ، ص ص ١٧ - ٣٦ ، ٦٩ - ٧٥ ؛ محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ط ٢ ، القاهرة (١٩٩٥ م) ، ص ٤٩ - ٥٢ .

(٨) حكمت دولة الأغالبة أفريقية (تونس) فيما بين عامي ١٨٤ - ٢٩٦ هـ / ٨٠٠ - ٩٠٩ م ؛ وكان لهذه الدولة أثر كبير فى التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ولا تزال آثارها الباقية فى تونس خير شاهد على ذلك .

السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية ، ط ٢ ، د . ت ، ص ص ٢٨٦ - ٣٧٥ ؛ محمود إسماعيل ، الأغالبة ، القاهرة ، ط ٣ (٢٠٠٠ م) .

Talbi, M., L'Emirat Aghlabide 184 - 296/ 800 - 909, Histoire Politique , Paris, 1966.

(هذا وقد ترجم هذا الكتاب : المنجى الصيادى ، بيروت ١٩٨٥ ؛

Lezine, A., Architecture De L'ifriqiya, Recherches sur les Monuments Aghlabides, Librairie C. Klincksieck. (1966) .

(٩) اعتمد كريزويل فى دراسته حول نسب الفاطميين حتى قيام دولتهم فى افريقية (تونس) بخلافة عبد الله المهدي ٢٩٧هـ / ٩١٠م على بعض المصادر التاريخية وبعض دراسات المستشرقين الأوائل مثل وستنفلد ودى خويه ويكر ورايتماير وكاترمير ؛ وإذا كانت هذه الدراسات من الدراسات المعروفة والمتداولة وقت إعداد كريزول لهذا المجلد من كتابه ؛ إلا أنه أهمل أو أغفل بعض الدراسات الأخرى المعروفة والمنشورة فى نفس هذه الفترة ، وحسبنا أن نشير إلى كل من : دراسات برنارد لويس حول أصول الإسماعيلية (كمبريدج - ١٩٤٠م) وفلاديمير ايفانوف عن ظهور الفاطميين لندن - كلكتا (١٩٤٢م) ؛ والمؤسس المزعوم (يقصد ميمون القداح) للإسماعيلية « بومبي ١٩٤٦م فضلا عن أنه قام بنشر رسالة النيسابورى المسماه « استتار الإمام عليه السلام وتفرق الدعاة فى الجزائر لطلبه » فى مقاله « مذكرات فى حركة المهدي الفاطمى » مجلة كلية الآداب - الجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن) ، المجلد ٤ (١٩٣٦م) ، ص ص ٩٣ - ١٠٧ ، وفى نفس هذا المجلد قام بنشر وتحقيق « سيرة الحاجب جعفر بن على وخروج المهدي صلوات الله عليه وآله الطاهرين من سلمية إلى سجن ماسة وخروجه منها إلى رقاده » لمحمد بن محمد اليماني ، ص ص ١٠٧ - ١٣٣ ؛ وكذلك دراسة الدكتور حسن إبراهيم حسن الموسومة بـ « الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص » ، القاهرة (١٩٣٢م) ، وكتابه هو (أى حسن إبراهيم حسن) وطه أحمد شرف عن « عبيد الله المهدي » القاهرة ١٩٤٧م .

وكان هذا الأخير - أى طه شرف - قد حصل على الدكتوراه فى موضوع « تاريخ الإسماعيلية السياسى حتى سقوط بغداد » ، ودراسات الدكتور محمد كامل حسين ومنها « المجالس المستنصرية للداعى ثقة الإمام » القاهرة (١٩٤٧م) ، ورسالة الرشد والهداية لابن حوشب منصور اليمن فى مجلة Collectanea ، المجلد الأول (١٩٤٧م) ، و « سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة » القاهرة (١٩٤٩م) وغير ذلك .

أما الدراسات التى أعقبت صدور المجلد الأول من كتاب كريزول - وهو المجلد الذى بين أيدينا - عام ١٩٥٢م فقد بلغت من الكثرة الحد الذى يصعب معه ذكرها فى هذه العجالة ، وحسبنا أن نحيل القارئ إلى تلك الدراسة القيمة للدكتور أيمن فؤاد سيد حول « مصادر التاريخ الفاطمى والوضع الراهن للدراسات الفاطمية » التى مهد بها لدراسته عن الدولة الفاطمية (ص ص ٢٩ - ٩٢) ، وكان أيمن فؤاد قد بدأ منذ أواخر السبعينات من القرن ٢٠م المنصرم فى نشر مصادر جديدة للتاريخ الفاطمى وإعادة نشر مصادر أخرى اعتماداً على مخطوطات كشفت حديثاً أو مقابلتها على معلومات جديدة وصلت إلينا (مثل المسبحى وابن الصيرفى وابن المأمون وابن الطوير وابن ميسر وابن عبد الظاهر والمقرئى) ، ومنها

«أضواء جديدة على بعض مصادر التاريخ الفاطمي في مصر (بالفرنسية)، مجلة حوليات إسلامية - المجلد ٣٣ - القاهرة (١٩٧٧م)، ص ص ١ - ٤١ ؛ و «دراسات نقدية لمصادر تاريخ الفاطميين في مصر» ضمن كتاب دراسات عربية وإسلامية مهداه إلى محمود محمد شاكر، القاهرة (١٩٨٢م)، ص ص ١٢٩ - ١٧٩ ؛ ولعله من الأهمية بمكان أن نضيف على ما أورده أيمن فؤاد سيد من مصادر ودراسات دراسات الدكتور عادل سالم العبد الجادر التي أطلق عليها اسم «سلسلة البحوث والدراسات الإسماعيلية» وصدر منها (حتى كتابة هذه الحاشية) مجلدان، الأول عن : الإسماعيليون : الدعوة والدولة في اليمن ، الكويت (٢٠٠٠م) ؛ والثاني عن : الإسماعيليون : كشف الأسرار ونقد الأفكار ، الكويت (٢٠٠٢م)، وفي هذا الكتاب عرض قيم لمصادر الدراسات الإسماعيلية قديمها وحديثها (ص ص ٢٣ - ١١٠)، فضلا عن دراسة وتحليل لكتاب أبي القاسم البستى الموسوم بـ «من كشف أسرار الباطنية وعوار مذهبهم» ص ص ١١٣ - ٣٦٩ .

(١٠) إن أصل النسب الفاطمي كان ولا يزال من القضايا التاريخية المعقدة والشائكة التي لم يحسم القول فيها بعد بين المؤرخين القدامى والمحدثين على السواء ، فهناك فريق يؤيد صحة نسبهم ويؤكد على أنهم ينتمون حقا إلى آل البيت من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء (رضي الله عنهم) ، وعلى النقيض من ذلك ينفي فريق آخر ذلك النسب بل ويؤكد على أنهم كانوا مجرد أدعياء مهرة إستتروا بالتشيع والإمامة ليكسبوا عطف المسلمين ويجذبوا المزيد من الأنصار والأتباع في كل مكان من العالم الإسلامي .

ولما كان المقام لا يتسع لمناقشة الأدلة والقرائن والبراهين التي ساقها كل فريق لتأييد وجهة نظره ، ولذلك حسبنا أن نشير فقط إلى بعض الدراسات الحديثة التي تعرضت لمناقشة هذه القضية على ضوء ما ورد في المصادر الشيعية والإسماعيلية المعروفة حتى الآن ؛ فضلا عن المصادر الأخرى مثل ابن النديم وابن تفرى بردى والصفدى وابن خلدون وابن عذارى والمقرئى وغيرهم .

ومن هذه الدراسات : أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ٩٣ - ١٠٧ ؛ عادل سالم العبد الجادر ، الإسماعيليون : الدعوة والدولة في اليمن ، ص ١٥ - ٣٣ ؛ الإسماعيليون : كشف الأسرار ونقد الأفكار ، ص ٢٣ - ٦٥ ؛ التهامي نقره ، عبد الحليم عويس ، مقدمة تحقيق كتاب أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم لابن حماد ، القاهرة ، دار الصحوة ، (١٤٠١هـ / ١٩٨٠م) ، ص ٧ - ٣٠ ؛ إبراهيم شعوط ، أباطيل يجب أن تحمى من التاريخ ، القاهرة (١٩٧٦م) ، ص ٣٤٨ - ٣٦٣ ؛ محمد عبد الله عنان ، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، القاهرة ، ط ٣ ، (١٩٨٣م) ، ص ٤٧ - ٧٥ ؛ سهيل زكار ، أخبار القرامطة في الإحساء والشام والعراق واليمن ، الرياض (١٩٨٩م) ، ص ٥٣ - ٨١ ؛ محمد سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين في شمال افريقية ومصر وبلاد الشام ، بيروت ، (٢٠٠١م) ص ٥٣ - ٦٢ ؛ سيمينوفا ، ل . أ ، تاريخ مصر الفاطمية ، ترجمة وتحقيق حسن بيومي ، المشروع القومي للترجمة ، العدد ٢٥٣ ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، (٢٠٠١م) ، ص ٢٩ - ٣١ .

ومن بين الدراسات الأجنبية حسينا أن نشير إلى كل من :

Lewis, B., The Origins of Ismailism : A study of the Historical Background of the Fatimid Caliphate, Cambridge , (1940); Ivanow, W., Ismaili Tradition Concerning the rise of the Fatimids , London, (1942); The Alleged Founder of Ismailism . Bombay (1946); Hamdani, H. F., On the Genealogy of the Fatimid Caliphs, Cairo, (1958); Daffary, F., the Ismailis : Their History and Doctrines , Cambridge (1990) ; The Earliest Ismailis, Arabica , XXXVIII , (1991) , PP. 214 - 245 ., A short History of the Ismailis, Edinburgh (1998) .

(١١) نقش اسم ولقب أول الخلفاء الفاطميين بافريقية (تونس) على السكة بصيغة « الإمام عبد الله المهدي بالله أمير المؤمنين » وليس عبيد الله المهدي كما هو شائع ومعروف .

(١٢) هو محمد المنتظر بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم الذي ذهب في غيبة حيث دخل سردابا في سامراء عام ٢٦٠هـ / ٨٧٣م وأنه سوف يرجع ويظهر عندما يحين الوقت لأنه المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر ولذلك تعرف هذه الفرقة الشيعية بالإمامية أو الاثنى عشرية .

الاربلي ، علي بن عيسى بن أبي الفتح ، كشف الغمة في معرفة الأئمة ، ج-٣ ، تحقيق جعفر السبحاني ، ط ٢ ، بيروت ، (١٩٨٥م) ، ص ١٩٦ - ١٩٧ ، ٢٢٦ ؛ زكار ، أخبار ، ص ٥٧ ؛ سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٠ ؛ أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ٩٤ ؛ وما له دلالة أن بعض المصادر الإسماعيلية والسنية على السواء تكاد تجزم أن الإمام الحسن العسكري - وهو الإمام الحادي عشر للإمامية أو الاثنى عشرية - توفي ٢٦٠هـ / ٨٧٣م دون أن ينبج ولداً يخلفه في الإمامة .

عادل سالم العبد الجادر ، الإسماعيليون : الدعوة والدولة في اليمن ، ص ٢٧ ؛ ولزبد من التفاصيل عن هذه الفرقة انظر : أحمد محمود صبحي ، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية ، بيروت (١٩٩١م) ، هنري كوربان ، الشيعة الاثنا عشرية ، ترجمة ذوقان قرقوط ، القاهرة ، ط ٢ (١٩٩٣م) .

(١٣) الإمام السابع عند الإسماعيلية هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ؛ وقد اختلف في تاريخ وفاته ففي قول أنه حوالي ١٧٩هـ / ٧٩٦م وفي قول آخر أنه ١٩٣هـ / ٨٠٨م ، ومن الملاحظ في هذا المقام أن أتباع فرقة المباركية - وهي الفرقة التي اعترفت بإمامة محمد بن إسماعيل واعتبرته صاحب الحق الشرعي في خلافة إسماعيل وترى أن جعفر الصادق قد عينه بنفسه في مكان أبيه بعد وفاته - قد انقسمت إلى قسمين :

الأول : اعتقد بعدم وفاة محمد بن إسماعيل وأنه غاب واستتر عن عيون الأضداد وأن القيامة ستكون عند انتهاء تلك الغيبة وعلى ذلك فإن محمد بن إسماعيل في نظرهم هو الإمام السابع والأخير ومن أتباع هذا الفريق القرامطة .

أما الفريق الثاني فقد اعترفوا بوفاة محمد بن إسماعيل وأن الإمامة في ذريته ؛ وقد التزم الأئمة قبل ظهور عبد الله المهدي مبدأ التقيّة في دور الستر لحماية أنفسهم ؛ وهو الأمر الذي سبب ارباكا في المصادر المختلفة ، بما فيها المصادر الإسماعيلية نفسها ، ولا سيما فيما يتعلق بأسماء الأئمة المستورين في تلك الفترة حتى عن كبار دعاة الإسماعيلية .

أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ٩٤ - ٩٨ ، ١٠٠ ؛ عادل سالم العبد الجادر ، الإسماعيليون ، الدعوة والدولة في اليمن ، ص ص ١٩ - ٢٦ ؛

Daftary , A Major Schism in the Early Ismaili Movement , Studia Islamica , 77 , Paris , (1993), PP. 123 - 139 .

(١٤) تعد رواية أبو عبد الله محمد بن علي بن رزام الطائي الكوفي - كان حيا قبل عام ٣٤٦هـ / ٩٥٦م - هي أقدم رواية عن قصة إنتماء الفاطميين إلى ميمون القداح ووصل بينه وبين القرامطة ، ورغم ضياع النص الأصلي لابن رزام إلا أنه لحسن الحظ حفظ في النقولات المتأخرة وعلى الأخص عند ابن النديم والمقرئزي ، كما أن رواية ابن رزام كانت مصدرا لأخي محسن المتوفى ٣٧٥هـ / ٩٨٥م كما صرح بذلك المقرئزي ، ورغم ضياع النص الأصلي للشريف أخى محسن إلا أنه لحسن الحظ حفظ في النقولات المتأخرة مثل النويري وابن أبيك الدواداري والمقرئزي .

ابن النديم ، محمد بن إسحاق ، ت نحو ٤١٢هـ / ١٠٢١م ، الفهرست ، نشره رضا تجدد ، طهران (١٩٧١م) ، ص ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ؛ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٥ ، تحقيق محمد الحيني وآخرون ، القاهرة (١٩٨٤م) ، ص ص ١٨٩ - ٢٣٣ ، ٢٣٥ - ٢٤١ ، ٢٤٦ - ٣١١ ؛ ابن أبيك الدواداري ، أبو بكر عبد الله ، ت بعد ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م ، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية (وهو الجزء السادس من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر) ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة (١٩٦١م) ، ص ٦ - ٢١ ؛ المقرئزي ، عفى الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ج ١ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة (١٩٦٧م) ، ص ٢٢ - ٢٩ .

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية ، ج ١ ، القاهرة ، ط ٢ (١٩٨٧م) ، ص ص ٣٤٨ - ٣٤٩ ؛ المقفّي الكبير ، ج ٤ ، تحقيق محمد البعلاوي ، بيروت (١٩٩١م) ، ص ٥٤٤ - ٥٥١ ؛ كذلك قام سهيل زكار بدراسة وتحقيق كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة لمحمد بن مالك اليماني ضمن كتابه الجامع لأخبار القرامطة السابق الإشارة إليه (ص ص ٣٤٩ - ٣٨٤) وفي هذا الكتاب مقاله في أصل الدعوة وربطها بميمون القداح وعقبه من الفاطميين ص ص ٣٥٥ - ٣٥٧ ؛ (ومما له دلالة أن هذا الكتاب الف في زمن الخليفة المستنصر الفاطمي ٤٢٧ - ٤٨٧هـ / ١٠٣٦ - ١٠٩٤م) ، وهناك تحقيق آخر لهذا الكتاب لمحمد عثمان الخشت ، القاهرة (١٩٨٦م) ، وتحقيق ثالث للأكوع .

(١٥) اختلفت الآراء اختلافاً كبيراً حول حقيقة شخصية ميمون القداح ففى قول أنه كان فارسياً مجوسياً من الأهواز ثم لم يلبث أن تظاهر بالإسلام والتشيع والدعوة لآل البيت فقبض عليه وأودع سجن الكوفة فى أواخر عهد أبى جعفر المنصور وبعد خروجه من السجن إدعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق إلى أن نجحت دعوته فى عهد أولاده الخلفاء الفاطميين ، زكار ، أخبار القرامطة ، ص ٣٥٥ - ٣٥٧ ؛ المقرئى ، اتعاظ الحنفا ، ج١ ، ص ٢٣ - ٢٤ ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ . برنارد لويس ، أصول الإسماعيلية ، ص ١٣٣ - ١٦٤ ؛

وفى قول آخر أن ميمونا وابنه عبد الله من بعده كانا حاجبين ومستودعين لأسرار أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق . القرشى ، عماد الدين إدريس ، زهر المعاني ، تحقيق ، مصطفى غالب ، بيروت (١٩٩١م) ، ص ؛ وفى قول ثالث أن أولاد جعفر الصادق الأربعة : عبد الله وإسماعيل وموسى ومحمد قد تسموا بغير أسمائهم وأطلقوا على أنفسهم ، خوفاً من اضطهاد العباسيين وبطشهم ، أسماء أخرى مثل مبارك وميمون وسعيد للفأل الحسن فى هذه الأسماء وهو الأمر الذى يشير إلى أن لقب ميمون الذى أطلق على أحد أولاد جعفر الصادق هو الذى قاد إلى هذا الخلط كما يتضح من رسالة المهدي التى أرسلها إلى جهة اليمن .

أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

هذا وقد قام ايفانوف بمناقشة جميع الآراء والأقوال المتصلة بحقيقة شخصية ميمون القداح وابنه عبد الله ، وخلص منها إلى أنها ليست سوى أكذوبة باطلة وخرافة من نسج الخيال لا يؤيدها المنطق أو الأحداث التاريخية فضلاً عن المصادر الإسماعيلية .

Ivanow , Ismaili Tradition, PP. 133, 153, 233, 236., The Alleged Founder of Ismailism , PP. 78 - 81 , 99 - 103 , 110 - 113 , 152 - 157, 170 - 174 .,

ومما له دلالة أن الأستاذ محمد عبد الله عنان قد أورد خلاصة لرأى ايفانوف ثم قام بالرد عليه . انظر : الحاكم بأمر الله ، ص ٦٥ - ٧٥ .

(١٦) لا يعرف على وجه الدقة تاريخ وفاة ميمون القداح وابنه عبد الله ولكن الثابت فى ضوء ما ورد فى المصادر التاريخية المتوافرة أنهما من رجال القرن ٢هـ / ٨م وليس القرن ٣هـ / ٩م وبالتالى فإنه لا صحة مطلقاً للتاريخ الذى أورده كرىزول . لأن عبد الله بن ميمون توفى خلال النصف الثانى من القرن ٢هـ / ٨م ، فكيف يكون والده قد توفى فى عام ٢٦٢هـ / ٨٧٥م .

(١٧) يقصد من ذلك الإشارة إلى مراتب الدعوة ، وكانت تسع دعوات أو مراتب وليس سبعاً كما ورد عند المقرئى ومن نقل عنه (اتعاظ ، ج١ ، ص ٢٤ ؛ الخطط ، ج١ ، ص ٣٤٨ ؛ (مع أن المقرئى تحدث عن هذه الدعوات التسع والعهد الذى يؤخذ على المدعو ، ج٢ ، ص ٣٩١ - ٣٩٧) والراجع أن ذلك كان نتيجة لتحريف من قبل الناسخ بين رقمى ٧ و ٩ كما هو معروف فى العديد من المصادر التاريخية والنقوش الآثارية ، انظر دراستنا : النقوش الكتابية الإسلامية وقيمتها التاريخية ، المبحث الأول ، دراسات آثارية (٢) ، الرياض ، محرم ١٤٢١هـ / أبريل ٢٠٠٠م ، ص ٦٨ - ٦٩) ؛

وعن هذه المراتب أو الدعوات التسع والعهد الذى كان يلحق بها انظر : زكار ، أخبار القرامطة ، ص ٤٣٥ - ٤٥١ ، عنان ، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ص ٢٦٥ - ٢٧٤ .

(١٨) تعرف أيضاً بعربستان وخوزستان فى جنوب إيران (وكانت كما يذكر ياقوت الحموى فى معجمه سبع

كور بين البصرة وفارس) ويطلق اسم الأهواز الآن على مدينة الأهواز عاصمة خوزستان بجنوب إيران .

(١٩) سلمية : بفتح أول وثانيه وسكون الميم وياء مثناه من تحت خفيفة : بلدة فى ناحية البرية من أعمال

حماء بينهما مسيرة يومين وكانت تعد من أعمال حمص ولا يعرفها أهل الشام إلا بسلمية . ياقوت

الحموى ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ . وهى إلى الشرق من حماه وبينهما ٣٣ كم ،

وكانت لهذه المدينة أهميتها فى تاريخ الإسماعيلية .

انظر : Hakm, H., Les Fatamides à Salama, Revue des Études Islamiques , Liv, Paris (1986), PP.

133 - 144 .

وأيضاً مادة سلمية فى الطبعة الثانية من دائرة المعارف الإسلامية وقد كتبها فرهاد دفتري .

(٢٠) اعتمد كرىزول هنا رأى الفريق المنكر لصحة النسب الفاطمى ، وهو الفريق الذى اعتمد بدوره على

رواية ابن رزام والشريف أخى محسن المبسوطة فى النقولات المتأخرة كابن النديم والنويرى وابن أيبك

والمقرىزى كما سبق القول (حاشية رقم ١٤ من التعليقات) .

(٢١) هذا الداعية هو الحسين الأهوازى .

المقرىزى ، اتعاظ ، ج ١ ، ص ٢٥ ، سهيل زكار ، أخبار القرامطة ، ص ٤٣٠ .

(٢٢) يثبت النص الذى نقله ابن النديم بلفظه عن ابن رزام اعتناق حمدان بن الأشعث للمذهب فى عهد

عبد الله بن ميمون وليس ابنه أحمد كما لاحظ الشيال فى تحقيقه للجزء الأول من اتعاظ الحنفا

للمقرىزى (ج ١ ، ص ٢٦ حاشية ١) ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٣٩ .

ومما له دلالة أن هناك اختلافاً فى صيغة رواية ابن رزام بين المؤرخين المتأخرين الذين نقلوها فى

مؤلفاتهم ، مع أن أصل الرواية واحد ، ومن ذلك على سبيل المثال ، ما ذكر عن عبد الله بن ميمون

عندما فرّ إلى البصرة فعند ابن النديم أنه نزل على قوم من أولاد عقيل بن أبى طالب ، وعند النويرى

نقلاً عن أخى محسن أنه نزل عند قبيلة باهلة من أتباع عقيل بن أبى طالب ، وعند المقرىزى أنه ادعى

أنه من ولد عقيل بن أبى طالب .

(٢٣) اختلفت الآراء حول تفسير هذا اللقب ففى قول أن حمدان بن الأشعث كان يقرمط فى سيره أى

يقارب بين خطواته وقيل لأنه كان يقرمط فى خطه والقرمطة فى الخط هى دقة الكتابة وتدانى

الحروف ، وقيل لأنه كان أحمر البشرة تشبيهاً له بالقرميد وهو الآجر (الطوب الأحمر) .

ومن الآراء الأخرى أنهم سموهم بالقرامطة لأن أول من أشير لهم بتلك الجهة - أى الكوفة - محمد

الوراق المرمط ، وقيل أن لهم رئيساً من السواد من الأتباط يلقب بقرمطوية فنسبت إليه وقيل أن قرمط

كان غلاماً لإسماعيل بن جعفر فتسبوا إليه لأنه أحدث لهم مقالاتهم ، وقيل إن بعض دعائهم نزل

برجل يقال له كرميته فلما رحل تسمى قرمط ابن الأشعث ثم أدخله فى مذهبه ، وقيل إن بعض

دعائهم رجل يقال له كرميته فلما رحل تسمى باسم ذلك الرجل ثم خفف الاسم ف قيل قرمط ، وقيل إنها نسبة إلى مذهب يقال له القرمطة خارج عن مذاهب الإسلام ولو صح هذا الرأي تعود التسمية إلى ذلك المذهب الباطل وليس إلى رجل . وهناك من ربط بين هذه اللفظة وبين اللغة النبطية أو الأرامية على اعتبار أن الوسط الذى ظهر فيه القرامطة هو سواد الكوفة أى وسطا فلاحيا لغة أهله النبطية ذات الأصول الأرامية ، وعلى ذلك قيل إن أصل هذه اللفظة هي (قرمطونا) النبطية أو الأرامية أى المدلس أو الخبيث أو المكار أو المحتال أو من (قرمطا) وهي التدليس أو الخبث أو المكر أو الاحتيال لما اشتهر عنهم من هذه الأمور ، أو من (قرم) الأرامية أو السريانية وهي تعنى أخفى وغطى وستر وبذلك تقابل كلمة باطنية وما تزال هذه الكلمة تعنى فى السوربة الدارجة (جذر) ويقابلها فى سريانية معلولا (كرموتية) .

المقرئى ، اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ، ص ٢٦ حاشية ١ ؛ سهيل زكار ، أخبار القرامطة ، ص ١١٩ - ١٢١ ، ٣٨٨ - ٣٩٠ ؛ حسن الباشا ، دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، القاهرة ، (١٩٧٥م) ، ص ٧١ ، ٨٥ .

Lewis, The Origins, P. 82 - 83 .

(٢٤) شغلت العلاقة بين الإسماعيليين والقرامطة حيزاً كبيراً من اهتمام المستشرقين والعلماء والباحثين ومنهم دى جويه وايفانوف وما دلونج وشيرين ودفترى وسهيل زكار والعبد الجادر وأيمن فؤاد سيد وغيرهم . ونستطيع من خلال هذه الدراسات القول بأنه يصعب دراسة تاريخ الدعوة الإسماعيلية خلال القرن ٣هـ / ٩م من غير التطرق لدراسة حركة القرامطة كدعوة إسماعيلية مبكرة فى العراق والبحرين ، وعلى ذلك فإن القرامطة لم يمثلوا فى هذه الفترة تنظيمًا قائمًا بذاته مستقلاً تمام الاستقلال عن الإسماعيلية كما ذهب ايفانوف وإنما كانت جزءاً من الدعوة الإسماعيلية المبكرة حتى عام ٢٨٦هـ / ٨٩٩م عندما حدث أول إنشقاق خطير فى تاريخ الدعوة وانقسامها إلى حزبين متنافسين هما اللذان أصبحا يعرفان فيما بعد بالإسماعيلية الفاطمية والقرامطة .

سهيل زكار ، أخبار القرامطة ، ص ١٠٩ - ١١٠ ؛ أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ٩٧ - ٩٩ ، عادل سالم العبد الجادر ، الإسماعيليون : الدعوة والدولة فى اليمن ، ص ٢٧ - ٣٣ ؛ سيمينوفا ، تاريخ مصر الفاطمية ، ص ٤٠ - ٤١ .

De Goeje, M. J., Mémoire sur les Carmates du Bahrain et les Fatimides , Mémoires d'histoire et de géographie Orientales n°i, Leiden - Brill (1886) ; Ivanow , Ismailis and Qarmatians Journal of the Bengal Branch of the Royal Asiatic Society, N. S. 16 , (1940), PP. 43 - 85., Madelung, W., Fatimiden und Bahrein - Qarmaten , Der Islam 34 (1959), PP. 34 - 88., Daftary, A Major Schism, PP. 123 - 139.,

(٢٥) رسم هذا اللفظ إما بالغين المعجمة ، كما هو الحال فى النص الذى بين أيدينا ، وإما بالعين المجردة كما هو الحال فى بعض صيغ المصادر التى نقلت نص ابن رزام ومنهم المقرئى (اتعاظ ، جـ ١ ، ص ٢٦) .

(٢٦) الصواب إلى المغرب كما ورد فى النص الأصلى .

(٢٧) هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الصنعاني المعروف بأبي عبد الله الشيعي داعي المغرب ، وكان له دور كبير متعدد المراحل متدرج الخطوات حتى نجحت الدعوة في المغرب وتم القضاء على دولة الأغالبة وقامت الدولة الفاطمية ، ومع ذلك قتله الخليفة عبد الله المهدي في عام ٢٩٨هـ / ٩١١ م . ابن محمد ، القاضي النعمان ، ت ٣٦٣هـ / ٩٧٣ م . رسالة افتتاح الدعوة (رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية) ، تحقيق وداد القاضي ، بيروت (١٩٧٠م) ، ص ص ٥٤ - ٢٤٨ ، ابن خلكان ، وفيات ، مج ١ ، ص ١٧٨ ، المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٦٧ - ٦٨ .

(٢٨) هو أبو العباس المخطوم محمد بن أحمد بن محمد بن زكريا ، وهو الأخ الأكبر لأبي عبد الله الشيعي ، وقد قتل مع أخيه في عام ٢٩٨هـ / ٩١١ م . المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٦٧ - ٦٨ .

(٢٩) هو زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب المعروف بزيادة الله الثالث وامتدت فترة حكمه من عام ٢٩٠هـ / ٩٠٣ م إلى عام ٢٩٦هـ / ٩٠٩ م وبذلك كان آخر أمراء الأغالبة . السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٣١٧ - ٣٢٠ .

(٣٠) انظر حاشية رقم (١١) من التعليقات حول صحة الاسم .

(٣١) الصواب إلى المغرب . وعن رحلة المهدي من سلمية إلى سجلماسة انظر : اليماني ، محمد بن محمد ، سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي صلوات الله عليه وآله الطاهرين من سلمية إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقاده ، تحقيق ايفانوف ، مجلة كلية الآداب - الجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن) ، مج ٤ ، (١٩٣٦م) ، ص ١٠٧ - ١٣٣ ، ابن محمد ، القاضي النعمان ، رسالة افتتاح الدعوة ، ص ١٤٩ - ١٥٣ ، ٢٣١ - ٢٤٤ .

(٣٢) كان والي العباسي في مصر آنذاك هو عيسى بن محمد النوشري وقد ولى لمدة خمس سنوات وشهرين ونصفاً فيما بين ٢٩٢ - ٢٩٧هـ / ٩٠٥ - ٩١٠ م .

المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٢٧ ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٢٧ ، ٦٠ - ٦١ .

(٣٣) ينسب بناء هذه المدينة إلى الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب عام ٢٦٣هـ / ٨٧٦م ، وانتقل إليها من مدينة القصر القديم وبنى بها العمارات المختلفة فظلت داراً للملك بن الأغلب حتى زال ملكهم وسكنها المهدي الفاطمي إلى أن انتقل منها إلى المهدي في عام ٣٠٨هـ / ٩٢٠م ، وكانت هذه المدينة تقع ظاهر مدينة القيروان وبينهما مسيرة أربعة أيام ، ولم يكن بأفريقية (تونس) أطيب هواء ولا أعدل نسima وأرق تربة منها ، ويقال إن من دخلها لا يزال مستبشراً من غير سبب . البكري ، أبي عبيد ، ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م ؛ المسالك والممالك ، مج ٢ ، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري ، تونس (١٩٩٢م) ، ص ٦٧٩ - ٦٨٠ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٥ - ٥٦ ، عبد الجبار ناجي ، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ، بيروت (٢٠٠١م) ، ص ٢٦٨ - ٢٧٠ .

(٣٤) المهدي بالفتح ثم السكون اسم لموضعين احدهما بأفريقية (تونس) والأخرى اختطها عبد المؤمن بن علي قرب سلا . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٢٩ ، ومدينة المهدي الموحدية هي

المعروفة برباط الفتح والرباط ؛ وهذا الاسم الأخير هو الذى تعرف به الآن وهى عاصمة المملكة المغربية منذ مستهل القرن العشرين المنصرم عند تتويج السلطان مولاي يوسف ابن السلطان الحسن الأول . انظر: عبد الله السويسى ، تاريخ رباط الفتح ، الرباط (١٩٧٩م) ؛ شحر السيد عبد العزيز سالم ، مدينة الرباط فى التاريخ الإسلامى (منذ إنشائها حتى نهاية عصر بنى مرين)، الاسكندرية ، (١٩٩٦م) ؛ عثمان عثمان إسماعيل ، ضريح محمد الخامس ، المجلد الأول ، الرباط ، (١٩٩٧م) ، ص ١١٧ - ١٣٦ (تاريخ تأسيس مدينة رباط الفتح) ؛

Caillé, J., La ville de Rabat ju squ'au Protectorat Francais : Histoire et Archéologie, 3 vols, Vanoest, Paris, (1949).

أما مدينة المهديّة الفاطمية (موضوع الدراسة) فقد نشرت عنها وعن عمائرهما وفتونها الفاطمية عدة دراسات جديدة (عقب صدور المجلد الأول من كتاب كريزول (وهو المجلد الذى بين أيدينا) فى عام ١٩٥٢) ومن أهمها دراسة كل من سليمان مصطفى زبيس والكسندر ليزين كما ظهرت دراسة مهمة عن تاريخ الخلافة الفاطمية فى المغرب (٢٩٦ - ٣٦٢هـ / ٩٠٩ - ٩٧٣م) لفرحات الدشراوى (بالفرنسية) تونس (١٩٨١م) ثم ترجمها حمادى الساحلى ، بيروت (١٩٩٤م) .

Zbiss, S. M., Mahdiya et Sabra Mansouria, Nouveaux documents d'art Fatimide d'occident, dans Journal Asiatique , Ccxliv (1956), PP. 79 - 93 , Lézine , Mahdiya , Recherches D'Archéologie Islamique, Librairie C. Klincksieck, Paris, (1965); Golvin , L., Mahdiya, ~a la Période Fatimide, Romm, XXVII, (1979), PP. 75 - 98 .

أما دراسة عبد الله كامل موسى عبده عن هذه المدينة وجامعها وربضها ضمن كتابه الموسوم بـ «الفاطميون وآثارهم المعمارية فى افريقية ومصر واليمن» ، القاهرة (٢٠٠١م) ، ص ٣٨ - ٤٣ ؛ فهى لم تضاف جديداً حيث أنه اعتمد فقط على ما أورده كريزول وبعض المصادر كالتيجانى ولم يشر أو يعتمد - على الدراسات الأجنبية التى صدرت عقب كريزول ، والسابق الإشارة إليها ، أو غيرها مما لم نشر إليه (خشية الاطالة) ؛ وهو مما يؤسف له بالنسبة للعديد من الدراسات والكتب حديثة النشر - أى خلال العقد الأخير - التى يغلب عليها مقولة جامع متفرق مع كثرة الأخطاء وعدم الإلمام بكافة أدوات ومراجع البحث العلمى كما سبق أن نوهنا فى تقديمنا لترجمة هذا الكتاب .

وعن البواعث التى كانت وراء إنشاء عبد الله المهدي لهذه المدينة انظر ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٥١٨ - ٥١٩ ؛ عبد الجبار ناجى ، دراسات فى تاريخ المدن العربية الإسلامية ، ص ٢٧٤ - ٢٧٦ ؛ محمد سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين ، ص ٩١ - ٩٢ ؛ فرحات الدشراوى ، الخلافة الفاطمية فى المغرب ، ص .

(٣٥) هو أبو عبد الله محمد بن على بن حماد بن عيسى بن أبى بكر الصنهاجى العلامة المحدث الأديب المؤرخ صاحب كتاب أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم وقام بتحقيقه ودراسته التهامى نكرة وعبد الحليم عويس ، دار الصحوة - القاهرة (١٤٠١هـ / ١٩٨٠م) وكانت وفاته ٦٢٨هـ / ١٢٣١م .

(٣٦) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني قام برحلته الشهيرة إلى تونس وطرابلس فيما بين عامي ٧٠٦-٧٠٨هـ / ١٣٠٦-١٣٠٨م وهي الرحلة المعروفة برحلة التيجاني ، وقد نشرها وقدم لها العلامة التونسي حسن حسني عبد الوهاب ، ليبيا - تونس (١٩٨١م) .

(٣٧) هو المؤرخ أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بابن الرقيق القيرواني ت بعد ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م ، وقد قام عبد الله الزيدان وعز الدين عمر موسى بتحقيق قطعة من كتابه الموسوم بـ « تاريخ إفريقية والمغرب » ، بيروت (١٩٩٠م) ؛ ومما له دلالة أنه تم نشر هذه القطعة اعتماداً على نسخة فريدة لها في الخزانة العامة بالرباط وبها ثقب وبياض وسقط واضطراب الأسلوب كما أن المخطوط مبتور الأول والآخر ، وهو يبدأ بخاتمة خير إزالة مسلمة بن مخلد عن إفريقية وإقراره على مصر وينتهي بخبر قدوم أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب وتولية الأمر بعد وفاة أبيه في عام ١٩٦هـ / ٨١١م ، ولذلك لم يرد في هذه القطعة المحققة والمعروفة من الكتاب ، حتى الآن ، ذلك النص الذي نقله التيجاني عن ابن الرقيق .

(٣٨) ومن هذه المنشآت التي أشار إليها البكري دار البحر وغير ذلك من المنازل . البكري ، المسالك والممالك ، مج ٢ ، ص ٦٨٣ .

(٣٩) النص الأصلي كما ورد عند البكري على النحو التالي « وفي المهديّة من المواجهل العظام ثلاثمائة وستون غير ما يجرى إليها من القناة التي فيها ، والماء الجاري بالمهديّة جلبه عبيد الله من قرية مناش وهي على مقربة من المهديّة (وتقع على بعد ٦ كم غرب المهديّة) في أقداس ويصب في صهريج داخل المهديّة عند جامعها ويرفع من الصهريج إلى القصر بالدواليب ، وكذلك يستقي أيضاً بقرية مناش من الآبار بالدواليب ويصب في مجلس يجرى منه في تلك القناة . البكري ، المسالك . ص ٦٨٢ ؛ ولزيد من التفاصيل انظر ، مراد الرماح ، ملاحظات حول تاريخ المنشآت المائية بإفريقية في العهد الإسلامي المبكر ، ص ٣٤٦ - ٣٤٨ ؛

Lezine , Mahdiya , PP. 95 - 96 .

(٤٠) البكري ، المسالك ، ص ٦٨٣ .

(٤١) صبرة ، بالفتح ثم السكون ثم راء بلد قريب من مدينة القيروان وتسمى المنصورية وقد بناها الخليفة الفاطمي الثالث المنصور إسماعيل بعد قضاؤه على ثورة صاحب الحمار عام ٣٣٧هـ / ٩٤٨م وليس عام ٣٣٤هـ / ٩٤٥ كما ذكر كرزول . ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٧٣ - ٧٤ ؛ البكري ، المسالك ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ ، محمد حمزة الحداد ، النقوش الأثرية مصدراً للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، المجلد الأول ، القاهرة (٢٠٠٢م) ، ص ١٧٤ ، أما ياقوت الحموي فقد ذكر أنها من بناء مناد بن بلكين وأنها سميت بالمنصور ابن يوسف بن زيري بن مناد المتوفى في عام ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج ٣ ، ص ٣٩١ - ٣٩٢ ؛ ولزيد من التفاصيل انظر ، عبد الجبار ناجي ، دراسات ، ص ٢٧٠ - ٢٧٣ .

(٤٢) البكري ، المسالك ، ص ٦٨٣ ، ويضيف البكري فيذكر أسماء بعض هذه الأبراج ومنها برج أبي الوزان النحوي وبرج عثمان وبرج عيسى وبرج الدهان ونسبت إليهم لقرب مساكنهم منها . (ص ٦٨٣) .

(٤٣) كانت زيارة ابن حوقل للمدينة ووصفها في عام ٣٣٦هـ / ٩٤٧م ، حيث يقول « أدركتها سنة ست

وثلاثين [وثلاثماية] وملوكها كُماة وجيوشها حُماة وتجارها طراة وقد اختلت أحوالها ... وانتقل عنها رجالها بانتقال ملوكها عنها وبعدهم منها ، وكان أول نحس أظلمها أبو يزيد مخلد بن كيداد [صاحب الحمار] وخروجه بالمغرب على أهلها وانتالت المناحس عليها إلى الآن وقد بقى بها بعض رمق
ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٧٣ .
(٤٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٧٣ .

(٤٥) باب القلعة : عرف بذلك من أجل أنه كانت هناك قلعة بناها الظاهر يبرس وهدمها المنصور قلاوون في رجب ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م وبنى مكانها قبة فرغت عمارتها في شوال من نفس العام ثم هدمها الناصر محمد وجدد باب القلعة على ما هو عليه الآن (أى زمن المقرئى) . الخطط ، ج ٢ ، ص ٢١٢ ؛ هذا ولا يزال هذا الباب موجوداً في موضعه للآن تجاه جامع الناصر محمد بالقلعة من الجهة الشمالية الشرقية وقد جدده محمد على باشا ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م . محمد حمزة الحداد ، السلطان المنصور قلاوون ، القاهرة (١٩٩٣م) ، ص ٨٢ ؛ عبد الرحمن زكى ، قلعة مصر ، القاهرة (١٩٥٠م) ، ص ٣٢ ، قلعة صلاح الدين وما حولها من آثار ، القاهرة (١٩٧١م) ، ص ٥٨ ؛ بول كازانوف ، تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، ترجمة أحمد دراج ، مراجعة جمال محرز ، القاهرة (١٩٧٤م) ص ١٣٥ - ١٣٦ ؛ كريزول ، وصف قلعة الجبل ، ترجمة جمال محرز ، مراجعة عبد الرحمن زكى ، القاهرة (١٩٧٤م) ، ص ٩٧ .

(٤٦) هو مارمول كرفجَال ولد في غرناطة في أوائل القرن ١٦م وخرج من مسقط رأسه وهو حديث السن فسار في جيش الامبراطور شارل الخامس الذى غزا تونس ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م وشاهد احتلال هذه المدينة وما جرى فيها من أعمال السلب والنهب ، وبعد مغادرة الأسطول الامبراطورى لتونس بقى مارمول في شمال افريقيا يقوم بمهمة كلفه بها الامبراطور و طال مقامه في هذه البلاد نحو ٢٢ سنة أسر خلالها من قبل الاشراف السعديين نحو سبعة أعوام وثمانية أشهر وذلك فيما بين عامى ٩٥٩ - ٩٦٦هـ / ١٥٥٢ - ١٥٥٩م تقديراً ويرى البعض أن المهمة التى كلفه بها الامبراطور كانت تتعلق بالتجسس والوقوف على أحوال شمال أفريقيا فى ذلك الوقت ، ومن أشهر كتبه كتاب افريقيا الذى ألفه وأتمه على الأصح بعد عام ٩٧٩هـ / ١٥٧١م بعد أن اطلع على كتاب وصف افريقيا للحسن الوزان الفاسى المعروف بليون الافريقى ونسج على منواله ونقل منه فصولاً كثيرة حرفاً بحرف ، ومع ذلك فلكتابه أهميته للباحثين فى جغرافية افريقيا وتاريخها فى القرن ١٠هـ / ١٦م كذيل مكمل لكتاب الحسن الوزان متفرد بما سجل من أحداث ووصف من مواقع لم يقف عليها غيره ؛ ولحسن الحظ فقد ترجم هذا الكتاب عن الفرنسية كل من محمد حجي ومحمد زينير ومحمد الأخضر وأحمد التوفيق وصدر فى ثلاثة أجزاء - الرباط (١٩٨٤م) ، انظر : تقديم المترجمين فى الجزء الأول ، ص ٣ - ٧ ؛ ويشغل كل ما كتبه مارمول كرفجال عن مدينة المهدية التى كانت تعرف فى وقته بمدينة افريقية الفصل الثامن والعشرون من الكتاب السادس المتعلق بمملكة تونس ، (ج ٣ ، ص ٧٠ - ٩٣) .

(٤٧) كيف يكون البكرى قد نقل ذلك عن ابن الأثير وهو سابق عليه ، فالبكرى كانت وفاته على ما ذهب إليه أغلب الباحثين في ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م في حين رجّح الغنيم اعتماداً على ما ذكره الضبى في بغية الملتبس أنه توفي ٤٩٦هـ / ١١٠٢م . عبد الله يوسف الغنيم ، مصادر البكرى ومنهجه الجغرافى ، الكويت (١٩٩٦م) ، ص ١٦ ، أما عز الدين أبو الحسن على بن محمد ابن الأثير صاحب كتاب «الكامل فى التاريخ» وغيره فمن الثابت أنه توفي ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م فكيف يكون البكرى إذن قد نقل عنه ؟ هذا وقد ورد فى بعض المصادر أن زنة كل مصراع مائة قنطار . التيجانى ، رحلة التيجانى ، ص ٣٣٢ ؛ المقرئى ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٧٠ .

(٤٨) النص الأصلي المترجم لمارمول كرفجال على النحو التالى « وعلى تلك الصفائح صورت بالبرونز الناتئ (البارز) أسود رابطة متقابلة اثنتين اثنتين » . مارمول كرفجال ، إفريقيا ، ج ٣ ، ص ٧٠ .

(٤٩) مما له دلالة أنه يسبق هذا الجزء الذى أورده كرىزول وصف مهم لم يضمه كرىزول كتابه وهو «...وكانت تحيط بها أسوار من الجهة المتصلة بالبر ، وكان فى هذه الجهة حصن مبنى فى جدارها وهو سميك إلى حد الشريط الناتئ (البارز) الذى فى أعلاه سمكه أربعون قدماً تحيط به ستة أبراج متباعدة بعضها عن بعض ، سمكة هى أيضاً ، بارزة خارج السور بأربعين قدماً إلى حد مرمى السهام من الجزء المقوس وكان فى أعلى الحصن جداران ينظر أحدهما إلى المدينة وينظر الآخر إلى خارجها ، وبين هذين الجدارين وبين خواء الأبراج كانت غرف الحاكم وغرف الجنود ... » . مارمول كرفجال ، إفريقيا ، ج ٣ ، ص ٧٠ (ثم يبدأ بعد ذلك النص الذى أورده كرىزول) .

(٥٠) يبلغ عدد الألفام الواردة فى النص الأصلي المترجم ٢٤ ألفاً وليس ٢٢ كما ذكر كرىزول . مارمول كرفجال ، إفريقيا ، ج ٣ ، ص ٩١ .

(٥١) أطلقت على هذا الجزء من المساجد الإسلامية عدة مصطلحات قديماً وحديثاً ومنها المغطى ، المسقف ، المسقف القبلى ، القبلى ، ظلة القبلة ، رواق القبلة ، الحرم ، بيت الصلاة ، وقد سبق أن ناقشنا هذه المصطلحات ، وخلصنا إلى أنه يجب استبعاد هذه المصطلحات والاقتصار على مصطلح واحد وهو (مقدم المسجد أو المقدم) وهو مصطلح عربى إسلامى ظهر منذ فترة مبكرة للدلالة على هذا الجزء من المسجد؛ والذى يعد أكبر أجزاء المسجد وأكثرها أهمية حيث يشمل المحراب والمنبر ودكة المبلغ . محمد حمزة الحداد ، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية ، القاهرة ، ط ٢ ، (٢٠٠١م) ، ص ٣٥ - ٣٨ .

(٥٢) يقع مسجد حسان شمال شرقى مدينة الرباط ، ويعد من أروع المساجد الموحدية ، وقد اختلفت الآراء حول تاريخ بنائه من جهة أو اكتمال البناء من عدمه من جهة ثانية أو سبب تسميته من جهة ثالثة . عبد الله السويسى ، تاريخ رباط الفتح ، ص ١٢٥ - ١٣٢ ؛ سحر السيد عبد العزيز سالم ، مدينة الرباط فى التاريخ الإسلامى ، ص ١٣٩ - ١٤٥ ؛ عثمان عثمان إسماعيل ، ضريح محمد الخامس ، المجلد الأول ، ص ١٠٣ - ١١٦ ، ١٣٧ - ١٩٨ ؛ محمد محمد الكحلوى ، عمائر الموحدين الدينية

بالمغرب ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة ، (١٩٨٦م) ، ص ٣٩٠ - ٤٠١ ، عبد القادر الريحاوي ، العمارة في الحضارة الإسلامية ، جدة (١٩٩٠م) ص ٣٧٥ ، شكل ٢٧٥ .

Caillé , La Mosquée de Hassan à Rabat, Art et Métiers, Graphiques, Paris, (1954) PP. 172, With 48 Plates and 43 Figs.

Terrasse, H., L'art Hispano - Mouresque, Paris, (1932), P. 319, Fig 54.,

Hillenbrand , R., Islamic Architecture, Edinburgh, 1994, P. 90.

ومهما يكن من أمر فإن مسجد حسان بالرباط مع أن مقدمه يشتمل على صحنين جانبيين ، فضلاً عن الصحن الأوسط ، إلا أن تخطيطه يختلف تماماً عن تخطيط مسجد المهدية وغيره من المساجد الإسلامية الأخرى ، ولذلك وصف طراز تخطيطه بأنه غريب ولم يتكرر .

(٥٣) تعد الدراسة التي أنجزها الكسندر ليزين عن مدينة المهدية ومسجدها الجامع من أهم الدراسات الأثرية التي ظهرت عقب صدور المجلد الأول من كتاب كريزول (وهو المجلد الذي بين أيدينا) في عام ١٩٥٢م ؛ وبالنسبة للمسجد الجامع فقد قام بدراسته من حيث وحداته وعناصره ومفرداته المختلفة وخلص إلى نتائج جديدة بالنسبة لتخطيطه في عهد الخليفة المهدي وما جرى عليه بعد ذلك .

Lézine , Mahdiya, PP. 65 - 136, Figs, 30, 36, 39, 42, 47, 52 - 57 .

هذا ولم يعتمد على هذه الدراسة المهمة بل لم يشر إليها لا من قريب ولا من بعيد عبد الله كامل موسى عبده في كتابه الفاطميون ، واعتمد فقط على دراسة كريزول ومسقطه. كما سبق القول (الحاشية رقم ٣٤ من التعليقات) الفاطميون ، ص ٣٩ - ٤١ . وانظر أيضاً ، Hillenbrand, Islamic, P. 80 .

(٥٤) من المعروف أنه تسلطت على العديد من المستشرقين والعلماء الأجانب نظرية الفراغ العربي وإنكار الابتكار للكثير من العناصر والمفردات المعمارية والفنية والتي تعد من وجهة نظرهم عناصر ومفردات مقتبسة من فترة ما قبل الإسلام مما دفع بعضهم إلى الانحراف كثيراً عن الأسلوب والمنهج العلمي الصحيح بالمغالاة أحياناً أو باتخاذ الاستثناء قاعدة عامة أحياناً أخرى ، ومن ذلك ما يتعلق بالمداخل التذكارية البارزة التي يرون أنها مقتبسة من أقواس النصر الرومانية ، فلو كان صحيحاً فلماذا لم تظهر نماذج لهذا النوع من المداخل قبل مسجد المهدية - أي قبل القرن ٤هـ - ١٠م - هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن وظيفة أقواس النصر تختلف تماماً عن وظيفة هذه المداخل التذكارية البارزة فهل مجرد التشابه في الأشكال دليلاً مؤكداً على الاقتباس ؟؟

ولمزيد من التفاصيل عن المآخذ التي وجهت لدراسات المستشرقين والعلماء الأجانب وبصفة خاصة الأوائل والرواد منهم ، انظر : أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، القاهرة (١٩٦١م) ، ص ٥ - ٢١ ؛ فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، المجلد الأول ، عصر الولاة ، القاهرة ، ط ٢ ، (١٩٩٤م) ، ص ٣٦ - ٧٨ ، ١٨٣ - ٢٢٧ ؛ عبد العزيز الدولاتلي ، مناهج المستشرقين في دراسة الفنون الإسلامية ، ضمن كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٦٧ - ١٩٣ ؛ محمد حمزة الحداد ، المستشرقون ودراسة الآثار الإسلامية (قيد النشر) .

(٥٥) عن المحاولات المتكررة للفاطميين فى عهدى المهدي والقائم لفتح مصر ، انظر ، أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ١٢٥ - ١٢٧ ؛ محمد سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين ، ص ص ١٠٤ - ١١٠ ، ١٢٧ - ١٣٠ ؛ فرحات الدشراوى ، الخلافة الفاطمية بالمغرب ، ص ؛ سيمينوفا ، تاريخ مصر الفاطمية ، ص ٣٧ - ٣٩ ؛ عمر السعيدى ، انتقال الفاطميين إلى مصر ، ملتقى القاضى النعمان للدراسات الفاطمية ، الدورة الثانية ، تونس (١٩٨١م) ، ص ١٣٩ - ١٤٩ ؛ محمد بركات البيللى ، استيلاء الفاطميين على مصر ، ضمن كتاب بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق ، اتحاد المؤرخين العرب - القاهرة (١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) ، ص ١٠٠ - ١٠٧ .

Lev, Y., The Fatimid and Egypt 301 - 358/ 914 - 969, Arabica, XXX V, (1988), PP. 186 - 196 .

(٥٦) هو جف بن بلتكين ابن فورى بن خاقان وفى قول آخر بن بلتكين بن فوران بن فورى بن خاقان ، قدم مع نفر من فرسان فرغانة إلى الخليفة العباسى المعتصم بالله فاتخذهم عوناً له وأقطعهم قطائع بسامراء وظلت قطائع جف تنسب إليه حتى زمن ابن خلكان المتوفى ٦٨١هـ / ١٢٨٢م ، وظل جف يخدم خلفاء المعتصم (الوائق والمتوكل) حتى توفى فى الليلة التى قتل فيها المتوكل فى عام ٢٤٧هـ / ٨٦١م. ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، مج ٢ ، ص ٥٣ ؛ ابن سعيد الأندلسى ، المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق زكى محمد حسن وآخرون ، القاهرة ط ٢ (٢٠٠٣) ، ص ١٤٩ .

(٥٧) فرغانة : بالفتح ثم السكون وغين معجمة وبعد الألف نون ، مدينة وكورة واسعة ببلاد وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان فى زاوية من ناحية هبطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك كثيرة الخير واسعة الرستاق بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً ومن ولايتها خجنده . ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٥٣ .

(٥٨) تولى الخليفة المعتصم بالله عرش الخلافة العباسية فيما بين عامى ٢١٨ - ٢٢٧هـ / ٨٣٣ - ٨٤٢م ويرجع إليه الفضل فى إنشاء مدينة سامرا ٢٢١هـ / ٨٣٦م التى ظلت عاصمة للخلافة لمدة ٥٥ عاماً حتى غادرها الخليفة المعتمد على الله العباسى (٢٥٦ - ٢٧٩هـ / ٨٧٠ - ٨٩٢م) عام ٢٧٦هـ / ٨٨٩م ورجع مرة ثانية إلى بغداد .

(٥٩) ورد فى بعض المصادر أن طفج معناها عبد الرحمن وكانت وفاته فى عام ٢٩٤هـ / ٩٠٦م وهو فى سجنه مع ولديه محمد وعبيد الله ولم يكن معه فى السجن ولده محمد فقط كما ورد فى النص الذى اعتمد عليه كريسول .

(٦٠) كانت وفاة أحمد بن طولون فى عام ٢٧٠هـ / ٨٨٣م .

(٦١) خلف خمارويه والده فى الحكم فيما بين ٢٧٠ - ٢٨٢هـ / ٨٨٣ - ٨٩٥م .

(٦٢) أى سقوط الدولة الطولونية فى عام ٢٩٢هـ / ٩٠٥م .

(٦٣) هو القائد العباسى محمد بن سليمان الكاتب الذى بعثه الخليفة العباسى المكتفى بالله للقضاء على الطولونيين (نظر حاشية ٧ من التعليقات) .

(٦٤) تولى الخليفة المكتفى بالله عرش الخلافة العباسية فيما بين عامى ٢٨٩ - ٢٩٥هـ / ٩٠٢ - ٩٠٨م .

(٦٥) لمزيد من التفاصيل عن سيرة محمد بن طنج منذ أن أطلق سراحه من السجن عقب وفاة والده في عام ٢٩٤هـ / ٩٠٦م وحتى تعيينه واليا على الرملة في عام ٣١٦هـ / ٩٢٨م . انظر : سيدة إسماعيل كاشف ، مصر في عصر الاخشيديين ، ص ٦٠ - ٦٣ .

(٦٦) كانت ولاية محمد بن طنج على دمشق عام ٣١٩هـ / ٩٣١م في رواية أخرى .

(٦٧) منح الخليفة العباسي الراضي محمد بن طنج لقب الاخشيد في رواية أخرى في عام ٣٢٦هـ / ٩٣٧م .

(٦٨) يذكر المستشرق الفرنسي هوار (Huart) أن لقب الاخشيد فارسي الأصل من (Khchaêta) بمعنى الذكي أو النابه Le Brillant . عن : سيدة إسماعيل كاشف ، مصر في عصر الاخشيديين ، ص ٥٦ .

(٦٩) كافور الإخشيدى : اختلف المؤرخون ، القدامى منهم والمحدثون ، حول وضع كافور الأخشيدى بين الأمير والوصى على العرش ، وهل سجل اسمه على السكة أم لا ، والحق أن النقوش الآتارية وبخاصة نقوش السكة تثبت أن هذه الآراء بعيدة عن الصواب إلى حد كبير ولا سيما خلال فترة حكم الأمير على بن الاخشيد فيما بين ذى القعدة ٣٤٩هـ / ٩٦٠م ومحرم ٣٥٥هـ / ٩٦٥م حيث عثر على فلس نحاسي محفوظ بمتحف الفن الإسلامى (قطعة رقم ٦٧٢٤/١) يتضمن على أحد وجهيه الأستاذ / كافور الأمير / أبو محمد ، وعلى الوجه الآخر الأمير أبو / الحسن على بن / الاخشيد ، مما يدل على أن كافور لم يكن وسطا بين الأمير والوصى على العرش وإنما كان أميراً من غير شك وشريكا رسميا فى الحكم ومع ذلك فقد احتفظ بلقب الأستاذ ، وبعد وفاة على بن الإخشيد استبد كافور بالأمر ولم يكن لأحمد بن على رسم ولا اسم ، وتؤكد نقوش السكة ورود كتاب الخليفة المطيع لله إليه بتقليده مصر والدعاء له بعد الخليفة على المنابر فى مصر والحجاز ومنها دينار ضرب بمكة المكرمة مؤرخ بعام ٣٥٧هـ / ٩٦٧م يتضمن « أمر به الأستاذ كافور/ الاخشيدى / الأمير » مما يعنى أنه أمسى الحاكم الشرعى دون شريك أو منازع .

محمد حمزة الحداد ، النقوش الآتارية مصدراً للتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، المجلد الأول . ص ٧٩ - ٨٢ .

(٧٠) عن العمائر التى أنشئت إبان العهد الاخشيدى الواردة والمبسوطة فى المصادر التاريخية والتى أصبحت أثراً بعد عين انظر : سيدة إسماعيل كاشف ، مصر فى عصر الإخشيديين ، ص ٢٨٨ - ٢٩٣ ؛ أحمد عبد الرازق ، العمارة الإسلامية فى العصرين العباسى والفاطمى ، القاهرة (١٩٩٩م) ، ص ١٢٨ - ١٣٠ ؛ كذلك هناك بعض شواهد القبور وقطع النسيج والخشب ترجع إلى هذه الفترة . سيدة إسماعيل كاشف ، مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ٢٩٣ - ٢٩٩ ؛ محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية فى مصر قبل الفاطميين ، القاهرة (١٩٧٤م) ، ص ١٦٣ - ١٦٤ ، ١٩٢ - ١٩٨ ، ٢١٠ - ٢١١ ؛ كذلك بقيت بضعة أسطر من نقش إنشاء ووقف بشر الوطاويط (الذى حفظ لنا نصه المقرئى فى خطه) المؤرخ بعام ٣٥٥هـ / ٩٦٥م ، ويتفق مضمون الأسطر الثلاثة الباقية مع مثيلتها فى الخطط : المقرئى ، الخطط ، ج-٢ ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ؛ سيدة إسماعيل

كاشف ، مصر في عصر الإخشيديين، ص ٢٩٢ - ٢٩٣؛ محمد حمزة الحداد ، النقوش الكتابية الإسلامية وقيمتها التاريخية ، (المبحث الأول) ، ص ١٣٣ حاشية ٩ ؛

Combe, Repertoire , Tome 5, le Caire (1934), PP. 9 - 10, No. 1620., Wiet, Matériaux Pour un Corpus , Egypte, II, le Caire, (1930), PP. 91 - 94 .

(٧١) مما له دلالة في هذا الصدد أن ما كتبه كريزول عن هذين الأثرين ، كان قد أطلع عليه الدكتور سيدة إسماعيل كاشف فضمنته كتابها (مصر في عصر الإخشيديين) في عام ١٩٥٠م وقت طباعة المجلد الأول من كتابه (وهو المجلد الذي بين أيدينا) والذي صدر في عام ١٩٥٢م ، وعلى ذلك فإن ما ورد في كتاب سيدة إسماعيل كاشف يعد أول ترجمة لخلاصة ما أورده كريزول عن هذين الأثرين .
سيدة إسماعيل كاشف ، مصر في عصر الإخشيديين ، ص ٢٨٥ - ٢٨٨ .

(٧٢) يشير بذلك إلى كل من مشهد السبعة وسبعين وليا بأسوان ويؤرخ بالنصف الثاني من القرن ١٥هـ / ١١م والمشهد القبلي بجوار مئذنة بلال بالقرب من الشلال (مدرس) وقد قام بدراستهما كل من مونيريه دي فيلارد (الإيطالي) وكريزول (في نفس المجلد الذي بين أيدينا) وسعاد ماهر محمد .
De villard, U. M, La necropoli Musulmana di Aswan, le Caire, (1930), PP. 4 - 44 .

سعاد ماهر محمد ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ج ١ ، القاهرة (١٩٧١م) ، ص ١٦٣ ، ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٧٣) قمنا بدراسة هذا النمط من التخطيط وتأصيله وتتبع تطوره في العمارة الإسلامية ؛ وهو التخطيط ذو الأروقة المتقاطعة دون الصحن أو الفناء الأوسط والذي عرف منذ أواخر العصر الأموي وغطيت أروقه بالأقبية واستمر كذلك خلال العصر العباسي بل ساد وانتشر في العالم الإسلامي في المشرق والمغرب على السواء ، وحسبنا أن نشير إلى النماذج التي تشبه مشهد آل طباطبا من حيث التغطية بالقباب التسع المتساوية ومنها مسجد بلخ بأفغانستان ويؤرخ بحوالي ٢٢٥ - ٢٥٠هـ / ٨٣٩ - ٨٦٤م اعتماداً على زخارفه الجصية التي تجمع بين أسلوب الطرازين الأول والثاني من طراز سامرا ثم مشهد آل طباطبا حوالي ٣٣٤هـ / ٩٤٥م ثم مسجد الباب المردوم بطليطلة ٣٩٠هـ / ٩٩٩م (يعرف بكنيسة الكريستودي لالوث) ، ومنذ القرن ٥هـ / ١١م فصاعداً ساد هذا النمط المتعدد القباب وانتشر في العالم الإسلامي كما سبق القول . محمد حمزة الحداد ، بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية (الكتاب الأول) ، القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠٠٠م ، ص ١٦٧ - ١٨٦ .

(٧٤) هو القاضي بكار بن قتيبة ولاء الخليفة العباسي المتوكل على الله القضاء في مصر في عام ٢٤٦هـ / ٨٦٠م وكانت وفاته في عام ٢٧٠هـ / ٨٨٣م ، وكان قبره موجوداً حتى وقت قريب تجاه مشهد آل طباطبا على يسار الذهاب إلى الإمامين الليث والشافعي ، حيث أزيل عند فتح الشارع الجديد من عند سبيل الوسية وبذل على موضعه كوم فوقه نخلتان يعرف بقبر القاضي بكار .
محمد حمزة الحداد ، قرافة القاهرة ، ص ٤٧ .

(٧٥) باب القرافة (أثر رقم ٦١٨) : هو أحد أبواب مدينة القاهرة ، وقد عرف بذلك لخروج الناس منه لزيارة القرافة الصغرى ، ولا يجب أن نخلط بينه وبين باب القرافة بالقلعة ، وهو يقع قرب ميدان السيدة عائشة فى نهاية سور صلاح الدين جنوب القلعة على بعد ٣٠م من باب قايتباى ، وكان مختفيا بين المنازل إلى أن اكتشفه المهندس عباس بدر فى أكتوبر ١٩٤٣م . محمد حمزة الحداد ، قرافة القاهرة ، ص ٢٢٢ ؛ أسامة طلعت عبد المنعم ، أسوار صلاح الدين وأثرها فى امتداد القاهرة حتى عصر المماليك ، ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٩٢م) ، ص ٩٤ - ٩٧ ؛ إيناس حسن محمود زكى ، ميدان صلاح الدين أسفل قلعة الجبل ، ماجستير (قيد النشر) ، جامعة حلوان (١٩٩٤م) ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٧٦) لم يقتصر الدفن فى مشهد آل طباطبا على أفراد أسرة آل طباطبا من الرجال والنساء فحسب بل دفن فى هذا المشهد أيضاً أفراد آخريين من خارج هذه الأسرة ومن بينهم المؤرخ الشهير ابن زولاق المتوفى عام ٣٨٧هـ / ٩٩٧م . بن عثمان ، موفق الدين ، ت ٦١٥هـ / ١٢١٨م مرشد الزوار إلى قبور الأبرار المسمى الدر المنظم فى زيارة الجبل المقطم ، تحقيق محمد فتحى أبو بكر ، القاهرة (١٩٩٥م) ، ص ٢٣٥ - ٢٥٦ .

(٧٧) هو متحف الفن الإسلامى بميدان باب الخلق تجاه مديرية أمن القاهرة .

(٧٨) استبعد فريد شافعى نسبة هذا المحراب إلى العصر الاخشيدى ، ورجح نسبته إلى أوائل العصر الفاطمى أى إلى أواخر ق ٤هـ / ١٠م فيما بين تاريخ البدء فى بناء الجامع الأزهر وتاريخ البدء فى بناء جامع الحاكم بأمر الله (٣٥٩-٣٩٣هـ / ٩٧٠-١٠٠٣م) وقد اعتمد فى ذلك على ظاهرتين ، تنبئ إليهما فلورى ولكنه لم يستغلها الاستغلال الكافى ، وهما ظاهرة العروق المزدوجة أو المقسومة والتى ظهرت فى زخارف جامعى الأزهر والحاكم فى التاريخ المشار إليه وظاهرة العروق الممتدة التى لم تظهر إلا فى زخارف الجامع الأزهر . فريد شافعى ، زخارف وطرز سامرا ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن) ، المجلد ١٣ ، الجزء الثانى (ديسمبر ١٩٥١م) ، ص ٣٠ - ٣٢ ، لوحة ١٠ .

(٧٩) خرَجَرْد : بفتح أوله وتسكين ثانيه ثم جيم مكسورة وراء ساكنه ودال : بلد قرب بوسنج هراة (بأفغانستان) نسب إليها بعض العلماء ومنهم الإمام أحمد بن إسماعيل بن محمد البوسنجى الخرجردى وغيره . ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٨٠) انظر حاشية ٤١ ، و ٨٧ من التعليقات .

(٨١) لم يكن جوهر وزيراً أو رئيساً للوزراء كما فهم كرىزول وإنما كان كاتباً وقائداً للجيش وصار فى رتبة الوزارة على حد قول المقرئى ، ولمزيد من التفاصيل عن جوهر الصقلى أو الصقلبى كما يرجح بعض العلماء وعلى رأسهم ايفان هريك ، ودوره البارز المهم فى التاريخ الفاطمى حتى وفاته فى عام ٣٨١هـ / ٩٩١م ، انظر : ابن خلكان ، وفيات ، مجلد ١ ، ص ٣٧٥ - ٣٨٠ ، المقرئى ، الخطط ، المجلد الثانى ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، ص ٢٥٥ - ٢٦٠ ؛ المقفى الكبير ، مج ٣ ، ص ٨٣ - ١١١ ، على إبراهيم حسن ، تاريخ جوهر الصقلى ، القاهرة (١٩٣٣م) .

(٨٢) لمزيد من التفاصيل عن يعقوب بن كلس ودوره في التاريخ الفاطمي حتى وفاته في عام ٣٨٠هـ / ٩٩٠م. انظر : ابن خلكان ، وفيات ، مجلد ٧ ، ص ٢٧ - ٣٥ ؛ المقرئى ، الخطط ، المجلد ٣ ، ص ١٣ - ٢١ ؛ ابن الصيرفى ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، ص ٤٧ - ٥٢ ؛ أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٣٢٠ - ٣٢١ ، ٥٨٤ ، ٥٩٦ ؛ فاروق عمر فوزى ، يعقوب بن كلس أول وزير للفاطميين في مصر ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، بغداد (١٩٧٢م) ؛

عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، دور يعقوب بن كلس في تاريخ مصر الإسلامية (٣٥٥ - ٣٨٠هـ / ٩٦٦ - ٩٩١م) - مجلة كلية الآداب بسوهاج ، العدد ١٤ ، يناير (١٩٩٤م) ، ص ٨٩ - ١١٣ ؛

Lev, Y., The Fatimid Vizier Yaqûb ibn Killis and the Begining of the Fatimid Administration in Egypt, Der islam, 58, (1981), PP. 237 - 249 .

(٨٣) يستفاد من خلال ما ورد في المصادر التاريخية أن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله قد وضع مشروع الانتقال إلى الشرق وفتح مصر موضع التنفيذ منذ اعتلائه عرش الخلافة الفاطمية في عام ٣٤١هـ / ٩٥٢م ، وهو الأمر الذى تعضده وتؤكد الأدلة الآثارية المستمدة من النقوش وبخاصة نقوش السكة ونقوش الطراز . ولمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر ، محمد حمزة الحداد ، النقوش الآثارية ، المجلد الأول ، ص ١٦٥ - ١٦٨ .

(٨٤) النص الأصلي عند المقرئى كما يلى « ... وامتعا أن يأخذا إلا دينارا معزيا ، فاتضع الدينار الراضى وانحط إلى نحو ثلثي دينار ونقص من صرفه أكثر من ربع دينار فخسر الناس كثيرا من أموالهم فى الدينار الأبيض والدينار الراضى وكان صرف المعزى خمسة عشر درهما ونصفا ... » . المقرئى ، الخطط ، المجلد ٣ ، ص ١٥ .

(٨٥) لمزيد من التفاصيل عن حملة جوهر واستيلائه على مصر ، انظر ، أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ١٣٧ - ١٥٢ ؛

Bianquis, th., La Prise de Pouvoir Parles Fatimides en Egypte, An. Isl, Xi, (1972), PP. 49 - 108., Lev, Y., The Fatimid Comquest of Egypt. Military, Political and Social Aspects, isr. or. st. ix (1979), PP. 315 - 328 .

(٨٦) النص الأصلي عند المقرئى كما يلى « ... فنزل - أى جوهر - حيث القاهرة الآن ، وأناخ هناك . وكانت حينئذ رملة - فيما بين مصر وعين شمس - يمر بها الناس عند مسيرهم من الفسطاط إلى عين شمس ، وكانت فيما بين الخليج المعروف فى أول الإسلام بـخليج أمير المؤمنين ثم قيل له خليج القاهرة ، ثم هو الآن - أى زمن المقرئى - يعرف بالخليج الكبير وبالخليج الحاكى ، وبين الخليج والجبل المعروف بالبحاميم وهو الجبل الأحمر ... ولم يكن عند نزول جوهر بهذه الرملة فيها بنيان سوى أماكن هى بستان الأخشيد محمد بن طنج - المعروف اليوم بالكافورى - من القاهرة ودير

لنصارى يعرف بدير العظام ... وبقي الآن بحر هذا الدير ويعرف ببحر العظام - والعامة تقول بحر العظمة -
وهى بجوار الجامع الأقمر من القاهرة ومنها ينقل الماء إليه ، وكان بهذه الرملة أيضاً مكان ثالث يعرف
بقصر الشوك - بصيغة التصغير - تنزله بنوعذره فى الجاهلية وصار موضعه عند بناء القاهرة يعرف بقصر
الشوك من جملة القصور الزاهرة المقرئى ، الخطط ، المجلد الثانى ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٨٧) جانب الصواب كرىزول فالمنصورة ليست هى مدينة القصر التى بنيت خارج القيروان وإنما هى مدينة
صبرة (انظر حاشية ٤١ من التعليقات) ؛ أما مدينة القصر فهى العباسية التى ابتناها إبراهيم بن الأغلب
١٨٤هـ / ٨٠٠م خارج القيروان على بعد ثلاثة أميال من ناحيتها القبلىة ، وعرفت بمدينة القصر
القديم ثم حلت محلها مدينة رقادة ، وقد أجريت فيها الحفائر الأثرية التى أسفرت عن اكتشافات
مهمة ؛ البكرى ، المسالك ، ص ٦٨٠ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٣٦٨ - ٣٧٠ ؛
عبد الجبار ناجى ، دراسات فى تاريخ المدن ، ص ٢٦٥ - ٢٦٨ .

(٨٨) هو إسماعيل بن القائم الملقب بالمنصور بعد أن قضى على ثورة صاحب الحمار ، وكانت فترة خلافته
فيما بين ٣٣٤ - ٣٤١هـ / ٩٤٦ - ٩٥٣م وهو يعد الخليفة الفاطمى الثالث .

(٨٩) ولمزيد من التفاصيل حول تسمية القاهرة انظر ، المقرئى ، الخطط ، المجلد ٢ ، ص ١٧١ ، ٢٥٦ ،
اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١١٢ ؛ ابن دقماق ، الانتصار ، ق ٥ ، ص ٣٥ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ،
ج ٤ ، ص ٤١ - ٤٢ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٥ - ٢٦ ؛

Sayyid, La Capital, PP. 163 - 164 ., Kunitzsch, P., Zur Namenge bung Kairos (Al - Qâhir
- Mars), Der islam, (1975), PP. 205 - 225 .

(٩٠) يعرف أيضاً بمنظرة اللؤلؤة وكان موضعه على الخليج بالقرب من باب القنطرة ، وكان أول من بناها
الخليفة العزيز بالله وسكن بها برجوان فيما بين ٣٨٨ - ٤٠٢هـ / ٩٩٨ - ١٠١١م ، ثم تنقلت بها
الأحوال بعد ذلك ، ومهما يكن من أمر فقد كان قصراً من أحسن القصور وأعظمها زخرفة أو كما
قيل كان أحد متزهات الدنيا المذكورة . المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٤٦٧ - ٤٦٩ ؛ ابن عبد
الظاهر ، محبى الدين أبو الفضل عبد الله ، ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م ، الروضة البهية الزاهرة فى خطط
المعزية القاهرة ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، بيروت (١٩٩٦م) ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٩١) دار الذهب : كانت مطلة على الخليج على يسرة الخارج من باب الخوخة فيما بينه وبين باب سعادة
وقد بناها الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى ، وكان ينزل بها إذا نزل الخليفة بقصر أو منظرة اللؤلؤة
وكذلك فعل المأمون البطائحي ، وكان فى موضعها زمن المقرئى (دار بهادر الأعسر) وقد بقى منها
عقد بجوار دار الأعسر يعرف (زمن المقرئى) بقبو الذهب من خطة بين السورين . ابن عبد الظاهر ،
الروضة ، ص ١١٢ - ١١٣ ؛ المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ج ٢ ، ص ٢٤ ،
٦٣ - ٦٤ .

ومما له دلالة فى هذا الصدد أن إحدى قاعات القصر الشرقى الكبير كانت تعرف بقاعة الذهب وقصر
الذهب وبها كان سرير الملك . المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٨٥ ؛ أيمن فؤاد سيد ، الدولة
الفاطمية ، ص ٣٧٦ - ٣٨١ .

(٩٢) تم ردم الخليج نهائيا فى عام ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م ، ومنذ عام ١٩٥٦م أصبح شارع الخليج المصرى يعرف - ولا يزال - بشارع بور سعيد .

(٩٣) قراة المجاورين : هى جزء من قراة صحراء الممالك شمال القلعة ، وتتصل بقراة قايتباى ، وقد عرفت بذلك لأنها قرية من الجامع الأزهر ويدفن بها غالب أهله المجاورين من العلماء والغرباء والفقراء ولذلك اشتهرت فى المصادر باسم بستان المجاورين أو بستان العلماء أو قراة البستان .
محمد حمزة الحداد ، قراة القاهرة ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٩٤) الدرب الأحمر : يمثل الدرب الأحمر القسم الثالث من ظاهر القاهرة القبلى ، وهو القسم الذى يقع على يسار الخارج من باب زويلة (بوابة المتولى) ، ويبدأ شارع الدرب الأحمر من باب زويلة حتى نصل إلى التبانة ونهايته يتفرع إلى اتجاهين الأيمن يؤدي إلى سوق السلاح وينتهى عند ميدان صلاح الدين أسفل القلعة (ميدان الرميلة) ، والأيسر يؤدي إلى شارع باب الوزير فسكة الحجر فميدان صلاح الدين (الرميطة) . محمد حسام الدين إسماعيل ، منطقة الدرب الأحمر ، دراسة للقسم الثالث من ظاهر القاهرة القبلى ، ماجستير (قيد النشر) ، جامعة أسيوط ، آداب سوهاج (١٩٨٦م) ، ص ١٢ .

(٩٥) جامع قجماس الإسحاقى (أثر رقم ١١٤) : يعرف أيضاً بجامع أبو حرية وقد أمر بإنشائه الأمير قجماس الإسحاقى ٨٨٥ - ٨٨٦هـ / ١٤٨٠ - ١٤٨١م . حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ص ٢٦٥ - ٢٦٩ ؛ حسن قاسم ، المزارات الإسلامية ، ج ٤ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٦ ؛ سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الإسحاقى ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٨٤م) .

(٩٦) جامع أصلم البهائى (أثر رقم ١١٢) : هذا الجامع داخل الباب المحروق أنشأه الأمير بهاء الدين أصلم السلحدار ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م وبه درس وأنشأ بجواره داراً سنية وحوض ماء للسبيل وكانت له أوقاف وهو من أحسن الجوامع . المقرئى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ ؛

Karim, ch., The Mosque of Aslam Al-Bahi Al-Silahadar, Annales Islamologiques, T. XXIV, le Caire, (1988), PP. 233 - 251 .

(٩٧) كانت سوقة أمير الجيوش تقع فيما بين حارة برجوان وحارة بهاء الدين ، وكان يوجد فيما بين سوقة أمير الجيوش وباب القنطرة زقاق يعرف بدرب الفرحية (المقرئى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٤١) فكيف تكون الفرحية هى نفسها سوقة أمير الجيوش كما استنتج كرزول ؟

(٩٨) زويلة : بفتح أوله وكسر ثانيه وبعد الياء المثناة من تحت الساكنة لام : بلدان أحدهما زويلة السودان مقابل أجدابية فى البر بين بلاد السودان وأفريقية وهى أول حدود بلاد السودان كما ذكر البكرى . وزويلة المهديّة وهى مدينة بأفريقية بناها المهديّ الفاطمى إلى جانب المهديّة بينهما رمية سهم فقط فسكن هو وعسكره بالمهديّة وأسكن العامة فى زويلة وكانت دكاكينهم وأموالهم فى المهديّة وزويلة مساكنهم حتى يحول بينهم وبين أموالهم ليلاً وبينهم وبين حريمهم نهاراً وبالتالى يأمن غائلتهم ، وذكرها البكرى ضمن أرباض (أحياء) المهديّة القرية منها وبه الأسواق والحمامات . البكرى ،

المسالك، ص ٦٥٧ ، ٦٨٣ - ٦٨٤ ؛ ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج-٣ ، ص ١٥٩ - ١٦٠ ؛
المشترك وضعا والمفترق صقعا ، بيروت ، ط ٢ ، (١٩٨٦م) ، ص ٢٣٦ ؛ أما زويلة القاهرة فهي محلة
وباب ، والمحلة هي حارة زويلة وهي « محلة كبيرة بالقاهرة بينها وبين باب زويلة عدة محال سميت
بذلك لأن جوهر غلام المعز لما إختط محله بالقاهرة أنزل أهل زويلة بهذا المكان فتسمى بهم » أما الباب
فهو باب زويلة ويذكر ابن عبد الظاهر « لما نزل القائد جوهر بالقاهرة اختطت كل قبيلة خطة عرفت بها
فزويلة بنت الحارة المعروفة بها والبئر التي تعرف ببئر زويلة ... والبابان المعروفان ببابى زويلة ... » وقد
عرفت حارة زويلة فى القرن ١١هـ / ١٧م بحارة اليهود لأنها سكن اليهود وهي كثيرة الدروب
والخوخ تغيرت أسمائها الأولى فى هذه الفترة . ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج-٣ ، ص ١٦٠ ؛
المشترك ، ص ٢٣٦ ؛ ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص ١٦ ، ٥٨ ؛ المقرئى ، الخطط ، ج-٢ ، ص ٤ ،
محمد حمزة الحداد ، موسوعة العمارة الإسلامية فى مصر ، المجلد ٢ ، القاهرة (٢٠٠٠م) ، ص
١١ - ١٢ .

- (٩٩) انظر أيضاً ، ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص ١٦ - ١٧ .
- (١٠٠) الجامع المؤيدى (أثر رقم ١٩٠) : هذا الجامع بجوار باب زويلة (بوابة المتولى) من داخله كان موضعه
خزانة شمائل وقيسارية سنقر الأشقر وغير ذلك ، وقد أمر بإنشائه وعمارته السلطان الملك المؤيد شيخ
فيما بين ٨١٨ - ٨٢٣هـ / ١٤١٥ - ١٤٢٠م. المقرئى ، الخطط ، ج-٢ ، ص ٣٢٨ - ٣٣٠ ؛
حسنى نوبصر ، العمارة الإسلامية فى مصر ، عصر الأيوبيين والمماليك ، القاهرة (١٩٩٦م) ، ص
٣٨٢ - ٣٩٦ ؛ فهمى عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ، مشروع المائة كتاب ، العدد ٢٢ ، مطبعة هيئة
الآثار المصرية ، القاهرة (١٩٩٤م) .
- (١٠١) السبيل المسمى مدرسة العقادين (أثر رقم ٤٠١) : وهو سبيل محمد على باشا وقد أنشأه فى عام
١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م صدقة على روح ابنه طوسون باشا المتوفى بالطاعون فى عام ١٢٣١هـ /
١٨١٦م وعمر فوقه مكتبا للسبيل (كتبا) تحول بعد ذلك إلى مدرسة . حسن عبد الوهاب ، الأسبلة ،
مجلة العمارة ، المجلد ٣ ، العدد ٣ - ٤ ، القاهرة (١٩٤١م) ، ص ٥٢ ؛ محمود الألفى ، العمارة
الإسلامية فى مصر خلال القرن التاسع عشر ، رسالة دكتوراه - غير منشورة ، جامعة القاهرة
(١٩٨٥م) ، ص ١٩٨ - ٢٠٣ .
- (١٠٢) انظر أيضاً ، ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص ١٦ - ١٧ .
- (١٠٣) انظر حاشية رقم ٩٨ من التعليقات .
- (١٠٤) يضيف المقرئى فى موضع ثان ما يؤكد نصه السابق حيث يقول « والباب الآخر من الجهة البحرية
باب الفتوح وعقده باق إلى يومنا هذا مع عضادته اليسرى وعليه أسطر مكتوبة بالقلم الكوفى ، وموضع
هذا الباب الآن آخر سوق المرحلين وأول رأس حارة بهاء الدين مما يلى باب الجامع الحاكمى » .
(ج-٢ ، ص ٣٦٢) .

(١٠٥) ضريح الشيخ قاصد (أثر رقم ١٠) : هو القبة المعروفة بقبة القاصد التي تؤرخ بحوالى ٧٣٥هـ / ١٣٣٥م، وهى الجزء الوحيد المتبقى من المدرسة القاصدية ، وكان منشعها أحد الرسل إلى السلطان الناصر محمد من ميفارقين .

(١٠٦) ورد هذا النص الثانى عند حديث المقرئى عن « مسالك القاهرة وشوارعها على ما هى عليه الآن - أى فى زمنه - ... » (ج-٢ ، ص ٣٧٣ - ٣٧٧) ولم يكن فى الشارع الذى يعرف بشارع الجمالية الآن أى متزهات كما استنتج كرىزول وإنما عمائر متنوعة الأغراض من المساجد والخوانق والمدارس والخانات والوكالات والحمامات وغير ذلك مما ذكره المقرئى قبل أن يتحدث عن موضع باب النصر الأول (ج-٢ ، ص ٣٧٦ - ٣٧٧) .

(١٠٧) وكالة قوصون (أثر رقم ١١) : هذه الوكالة فى معنى الفنادق والخانات ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام وكان موضعها فيما بين الجامع الحاكمى ودار سعيد السعداء ، وكانت تعلوها رباع تشتمل على ٣٦٠ بيتاً أدركها المقرئى عامرة . الخطط ، ج-٢ ، ص ٩٣ ؛ وقد أنشئت هذه الوكالة قبل عام ٧٤٢هـ / ١٣٤١م ولم يتبق منها سوى مدخلها وما يتضمنه من نقش كتابى لا يحوى تاريخ الإنشاء . وقد قامت بدراساتها آمال العمرى ضمن رسالتها للدكتوراه عن المنشآت التجارية .

(١٠٨) جامع سودون القصرى (أثر رقم ١٠٥) : أمر بإنشائه الأمير سودون القصرى ويؤرخ قبل عام ٨٧٢هـ / ١٤٦٩م .

(١٠٩) وردت هذه الإشارة عند حديث المقرئى عن بناء القاهرة وما كانت عليه فى الدولة الفاطمية (ج-٢ ، ص ٣٦٢) .

(١١٠) ويضيف المقرئى فى موضع آخر فيقول « فأما الجهة الشرقية فإنها من سور القاهرة الذى فيه الآن باب البرقية والباب الجديد والباب المحروق وتنتهى هذه الجهة إلى الجبل المقطم » . ج-٢ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(١١١) عبد الرحمن كتحدا : يعد من أعظم الأمراء فى النصف الثانى من ق ١٢هـ / ١٨م فقد كان يتمتع بمكانة كبيرة ونفوذ عظيم وشهرة واسعة وثروة هائلة ، وقد أمر بإنشاء وتجديد العديد من العمائر والأبنية الدينية والمدنية ومشاهد آل البيت ووقف الأوقاف الكثيرة المغلة عليها ، ولذلك استحق لقب صاحب الخيرات والعمائر فى مصر والشام والروم ، وكانت وفاته فى عام ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م ودفن فى قبته الملحقه بزيادته بالجامع الأزهر .

محمد حمزة الحداد ، الطراز المصرى لعمائر القاهرة الدينية فى العصر العثمانى ، رسالة دكتوراه (قيد النشر) ، جامعة القاهرة (١٩٩٠م) ، ص ٤٧٩ - ٤٨٥ ؛ ولزبد من التفاصيل انظر كتابنا : عبد الرحمن كتحدا أمير البناة فى العصر العثمانى ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق (قيد النشر) .

(١١٢) مقابر الخلفاء : يقصد بها قرافة صحراء المماليك شمال القلعة ، والتي تعرف أيضاً بقرافة المماليك الشمالية أو القرافة الشرقية أو الشمالية الشرقية ، أما هذا المصطلح الذى ذاع خلال القرن ١٩م فلا

أساس له من الصحة وكان يقصد به حيناً الجزء الجنوبي من هذه القرافة وحيناً آخر الجزء الشمالى منها ، ومن المسميات الفرعية لهذه القرافة قرافة الغفير فى الجزء الشمالى منها ، وقرافة قايتباى فى الجزء الأوسط ، وقرافة العفيفى ، وقرافة المجاورين ، وقرافة باب الوزير : محمد حمزة الحداد ، قرافة ، ص ١٧٠ - ١٧٨ .

(١١٣) جامع البنات (أثر رقم ١٨٤) : هو المدرسة الفخرية التى أمر بإنشائها الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الأستاذ فى عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م وكان بها عدة دروس وتصوف ، وكانت فى الأصل بجوار دار الذهب الفاطمية ثم اشتهرت فى العصر العثمانى بجامع البنات على نحو ما ذكر عبد الغنى النابلسى فى رحلته المسماه « الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز » . المقرئى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ ؛ حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ص ٢١٥ - ٢١٧ ؛ حسنى نوبصر ، العمارة الإسلامية ، ص ٣٦٨ - ٣٧٥ ؛ محمد محمد الكحلوى ، مدرسة الأمير عبد الغنى الفخرى ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٨١م) .

(١١٤) جامع القاضى يحيى (أثر رقم ١٨٢) : أمر بإنشائه القاضى يحيى زين الدين فى عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م ، وهو يقع عند تقاطع شارع الخليج المصرى (شارع بور سعيد) مع شارع الأزهر . حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص ٢٣٥ - ٢٣٧ ؛ حسن قاسم ، المزارات ، ج ٤ ، ص ١٢٩ - ١٣٢ ؛ سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ٤ ، ص ١٥٠ - ١٥٢ ؛ ليلى الشافعى ، منشآت القاضى يحيى زين الدين بالقاهرة ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٨٢م) .

(١١٥) يشغل موضعها ميدان باب الخلق تجاه شارع أحمد ماهر باشا (تحت الربع سابقاً) .

(١١٦) سراى منصور باشا : تدرج منصور باشا فى عدة مناصب فيما بين ١٢٨٠ - ١٢٩٦هـ / ١٨٦٤ - ١٨٧٩م ومنها رئاسة مجلس المنصورة ، وعضو بمجلس الأحكام ورئيساً له وناظراً على نظارتى المعارف العمومية والأوقاف ووكيلاً للمجلس الخصوصى وناظراً للداخلية . وكانت هذه السراى بشارع الخليج المصرى (شارع بور سعيد) حيث تمتد من شارع جامع البنات (المدرسة الفخرية) إلى درب سعادة أمام جامع الحبشلى وكان يشغل موضعها عدة بيوت وعطف وحارات وأبنية وعمائر مختلفة هدمت جميعها وحلت محلها سراى عظيمة الاتساع ، وبعد موته آلت إلى ابنته ، وانتهى الأمر بشراء الخديوى إسماعيل لهذه السراى وقام بشراء الدور المجاورة لها من الجهة القبلى والبحرية وهدم الجميع وأنشأ داراً واحدة برسم كريمته حرم منصور باشا وعمل بداخلها بستاناً عظيماً وقيل أن التكلفة الاجمالية بلغت ما يزيد على مائتى ألف جنيه مصرى ، وقد تقلبت بها الأحوال وانتهى الأمر بتحويلها فى أواخر القرن ١٩م إلى محكمة ومقرراً لمديرية أمن القاهرة وسجناً للاستئناف . على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٣ ، ص ٨ - ٩ ، ٤٩ ، ج ٤ ، ص ٥٦ - ٥٧ ؛ أمين سامى ، تقويم النيل ، ج ٣ ، ص ٢ ، القاهرة (١٩٣٦م) ، ص ٥٤١ ، ٦٣٤ ، ٨٠٥ ، ٨١٠ ، ص ٣ ، ١١٢٤ ، ١٢٠٢ ، ١٣٤٧ ،

١٥٤٧ : محمد حسام الدين إسماعيل ، مدينة القاهرة من ولاية محمد على إلى إسماعيل ، القاهرة (١٩٩٧م) ، ص ٣٨٤ - ٣٨٦ .

(١١٧) اسكندر باشا : يعد من ولاه مصر العثمانية فى القرن ١٠هـ / ١٦م وكانت فترة حكمه فيما بين ٩٥٦ - ٩٦١هـ / ١٥٤٩ - ١٥٥٣م ومن مآثره جامع وتكية وسبيل وبعض المنازل والدكاكين الموقوفة على ذلك بمنطقة باب الخلق وقد هدمت كلها وحل محلها الميدان تجاه سراى الأمير منصور باشا المشار إليها فى الحاشية السابقة (رقم ١١٦) وذلك عندما اشتراها الخديوى إسماعيل من ابنة منصور باشا واشترى الدور المجاورة لها من الجهة القبلىة والبحرية وهدم الجميع وأنشأ داراً واحدة برسم كريمته حرم الأمير منصور باشا وأحدث من أجلها هذا الميدان الذى حل محل جامع اسكندر باشا وملحقاته . ابن الوكيل ، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، القاهرة ١٩٩٨م ، ص ١٥ ؛

ابن عبد الغنى ، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشوات الملقب بالتاريخ العيى ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، القاهرة (١٩٧٨م) ، ص ١١٢ - ١١٣ ، حجة وقف اسكندر باشا (أوقاف رقم ٩١٩) ،

على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٣ ، ص ٨ - ٩ ، ٤٩ ، ج ٤ ، ص ٥٦ - ٥٧ ، محمد حسام الدين إسماعيل ، مدينة القاهرة ، ص ٣٨٥ .

(١١٨) پول كازانوف ، تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، ترجمة وتقديم أحمد دراج ، مراجعة جمال محرز ، القاهرة (١٩٧٤م) ، ص ٣٦ - ٣٧ .

(١١٩) سكة النبوة : هى السيدة الشريفة فاطمة النبوية بنت سيدنا الحسين بن الإمام على رضى الله عنهم المدفونة فى جامعها بالدرب الأحمر ، وقد اشتهر أنها مدفونة فى درب سعادة ومن ثم نسبت هذه السكة أو العطفة إليها وقد كانت هذه النقطة موضع خلاف ومناقشة بين المؤرخين وليس هنا مجال للحديث عن هذا أو ذاك . مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة ، ج ٥ ، ص ١٥٥ - ١٥٦ : الشبلنجى (الشيخ سيد) ، نور الأبصار فى مناقب آل البيت النبى المختار ، القاهرة ، د. ت ، ص ١٨٧ . وعن جامع النبوة بالدرب الأحمر ، انظر : محمد حمزة الحداد ، موسوعة ، مج ٢ ، ص ٣٣٧ ، محمد حسام الدين إسماعيل ، منطقة درب الأحمر ، ص : على الطائش ، مسجد وضريح السيدة فاطمة النبوية بالدرب الأحمر بالقاهرة ، مجلة التاريخ والمستقبل ، قسم التاريخ بآداب المنيا ، المجلد ٣ ، العدد ١ ، يناير (١٩٩٣م) ، ص ٢٦٥ - ٣١١ .

(١٢٠) تحت الربع : ينسب هذا الشارع إلى الربع الظاهرى الذى كان قد أمر بإنشائه السلطان المملوكى البحرى الظاهر بيبرس البندقدارى خارج باب زويلة فيما بينه وبين باب الفرج وأوقفه على المدرسة الظاهرية بخط بين القصرين ، وكان ربعا كبيرا توجد تحته عدة حوانيت من أجل الأسواق وللناس فى سكنها رغبة عظيمة ويتنافسون فيها تنافسا يرتفعون فيه إلى الحكام . المقرئى ، الخطط ، ج ٢ ،

ص ٣٧٩ ؛ مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة ، جـ ٣ ، ص ٢٠٤ ، عبد اللطيف إبراهيم ، الوثائق فى خدمة الآثار ، ضمن كتاب دراسات فى الآثار الإسلامية ، القاهرة (١٩٧٩م) ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن هذا الشارع وأهميته انظر ، عاطف عبد الدايم ، شارع تحت الربيع ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٧م .

(١٢١) يعرف هذا الشارع حالياً بشارع أحمد ماهر باشا .

(١٢٢) يؤكد هذا النص الذى بين أيدينا ما سبق أن ذكرناه عن نظرية الفراغ العربى وانحراف بعض المستشرقين والعلماء عن الأسلوب والمنهج العلمى (حاشية ٥٤ من التعليقات)، حيث قام كريزول بإضافة كلمة لم ترد فى النص الأصلي للمقريزى وهو « يذكر أن ثلاثة أخوة قدموا من الرها بنائين بنوا باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح كل واحد بنى باباً » وعندما قام كريزول بترجمة هذا النص إلى اللغة الإنجليزية أضاف إلى النص ما ليس فيه وهو كلمة «المسيحيين» وبالتالي أصبح النص بصيغته الانجليزية هو « المعمارين المسيحيين الثلاثة » أو ثلاثة معماريين مسيحيين by three Christian Architects فهل هناك تحيز وافتراء بل خطأ فى المنهج العلمى أكثر من ذلك ؟ ومن الواضح أن الهدف من إضافة هذه الكلمة لا يخفى على أولى الألباب .

(١٢٣) كان يتوصل إلى هذه الخوخة من الرقاق الضيق الذى كان يقع على يمين الداخل من باب زويلة الحالى (بوابة المتولى) وكان يسلك فيه كذلك إلى حارة الباطلية ، ومن المعروف أن أمثلة هذه الخوخ كانت كثيرة ومنتشرة فى القاهرة كما يتضح من خطط المقريزى وغيرها من المصادر ، وكانت فى حكم الأبواب الرئيسية الكبرى ولا سيما عندما تغلق فى الليل أو عند حدوث الفتن والأزمات وفى مثل هذه الحالة كان يكثر استخدام مثل هذه الخوخ . المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٧٣ ، جـ ٢ ، ص ٤٥ - ٤٧ .

(١٢٤) يحدد المقريزى على وجه الدقة أن الباب الذى نقله الظاهر بيبرس إلى الخان (وهو خان السبيل) بالقدس ، هو باب العيد وأنه عمله باباً لذلك الخان . جـ ٢ ، ص ٤٣٥ .

(١٢٥) منية الأصبغ : نسبة إلى الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان المتوفى فى عام ٨٦هـ / ٧٠٥م ، ويذكر ياقوت أنه لا يعرف بمصر اليوم موضع يعرف بهذا الاسم (أى فى زمنه)، وزعموا أنها القرية المعروفة بالخندق قريباً من شرق القاهرة ، معجم البلدان ، مج ٤ ، ص ٦٧٤ - ٦٧٥ ؛ ويذكر المقريزى أن موضع الخندق قرية خارج باب الفتوح وأنها كانت تعرف أولاً بمنية الأصبغ ثم احتفر هذا الخندق جوهر الصقلى ليقابل القرامطة من وراءه وذلك فى عام ٣٦٠هـ / ٩٧٠م ، وبعد ذلك صار هذا الموضع من أماكن النزهة حتى خرب فى عام ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م؛ المقريزى ، الخطط ، المجلد الثالث ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، لندن (٢٠٠٢م) ، ص ٤٥٤ - ٤٦١ . هذا ويشغل هذا الموضع الآن المنطقة المعروفة باسم الدمرداش وتقع تجاهها منطقة الزاوية الحمراء (كوم الريش سابقاً) وهو ما يتفق مع ما ورد فى المصادر المختلفة .

(١٢٦) القصر الشرقي أو القصر الفاطمي الكبير : وضع أساس هذا القصر القائد جوهر الصقلي ، في نفس الليلة التي اختط فيها القاهرة ، وكان يشغل نحو خمس مساحة القاهرة (سبعين فدانا) بعد أن توالى عليه أعمال التوسعة والإضافة ، ولم يتبق من عمارة هذا القصر أى أثر حيث حل محله فى العصرين الأيوبي والمملوكي العديد من الأبنية بخط بين القصرين (على يمين الذهاب فى شارع المعز لدين الله (النحاسين) وخان الخليلي والجمالية ، ومهما يكن من أمر فقد كان هذا القصر عبارة عن مجموعة من الأبنية والقصور الصغيرة التي تشتمل على العديد من المفردات والعناصر كالقاعات والأرواق والخزائن والمناظر والأبواب والدهاليز ، وقد أطلق على مجموعها القصر أو القصور الزاهرة ولا غرو فى ذلك فقد تركزت فى هذا القصر حياة البلاط ومجالس الخليفة ومنه كانت تخرج المواكب الاحتفالية ؛ كذلك كان هذا القصر يضم بين جنباته روائع وإبداعات فنية حيث تبارى الفنانون فى زخرفته وتصويره حتى حار من شاهده فى وصفه لدرجة أن منهم من خاف أن يتهم بالكذب إذا وصف ما شاهده أو تحدث عنه . هذا ويمكن فى ضوء ما ورد فى المصادر التاريخية مثل المسبحي وابن الطوير وابن المأمون وابن الزبير وناصر خسرو وجليوم اسقف صور وابن عبد الظاهر والمقرئى أن نتعرف على ما كان عليه هذا القصر من عظمة وأبهة وإبهار من جهة وما كان يجرى فيه من مظاهر احتفالية متنوعة من جهة ثانية وإعادة بناء الشكل الخارجى له وتحديد موضع أبوابه الرئيسية من جهة ثالثة وإعادة تصور لتخطيط بعض وحداته ومفرداته وعناصره مثل قاعة الذهب والإيوان الكبير ودهليز العمود وغير ذلك من جهة رابعة . ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص ١٥ - ١٦ ، ٢٤ - ٤١ ، ٤٣ - ٤٩ ، ٥٨ - ٥٩ ؛ المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٨٣ - ٤٣٨ ؛ ناصر خسرو ، سفرنامه (ترجمة الخشاب) ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٢٢ - ١٢٤ ؛ (ترجمة البدلي) ، ص ٩٤ - ٩٥ ، ١١٢ - ١١٤ ؛ أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ٣٧٦ - ٣٨٧ ، شكل ١ . الرشيد بن الزبير ، رشيد الدين أبو الحسن ، ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م ، الزخائر والتحف ، تحقيق محمد حميد الله ، قدم له وراجعه صلاح الدين المنجد ، ط ٢ ، الكويت (١٩٨٤م) ؛ ابن الطوير ، أبو محمد المرتضى عبد السلام ، ٦١٧هـ / ١٢٢٠م ، نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين ، أعاد بناءه وحققه أيمن فؤاد سيد ، شتوتجارت (١٩٩٢م) ، ابن المأمون ، الأمير جمال الدين ، ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م ، أخبار مصر - نصوص من ، حققها وكتب مقدمتها أيمن فؤاد سيد ، القاهرة (١٩٨٣م) ؛ المسبحي ، الأمير المختار عز الملك ، ت ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م ، أخبار مصر ، الجزء الأربعون ، تحقيق أيمن فؤاد سيد وتيارى بيانكى ، القاهرة (١٩٧٨م) ؛ نصوص ضائعة من أخبار مصر ، اعتنى بجمعها أيمن فؤاد سيد ، حوليات إسلامية ، مج ١٧ ، القاهرة (١٩٨١م) ، ص ١ - ٥٤ ؛ وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، ج ٤ ، ترجمة وتعليق حسن حبشي ، القاهرة (١٩٩٥م) ، ص ٤٦ - ٥٠ .

Sayyid, A. F., La Capitale de L'Egypte Jusqu'a L'époque Fatimide, Beirut, Beiruter Texte und Studien, 48, (1998) ., Schlumberger, G., Campagne du Roi Amaury 1^{er} de Jérusalem en Egypte au XII^e Siècle , Paris (1906) Ravaisse, P., Essai sur L'histoire et sur la Topographie du Caire d'après Makrizi, be MMAFC, I, (1889), PP. 409 - 480; III (1891), PP. 33 - 114 .

Cyran, M., Recent Discoveries Concerning the Fatimid Palaces Uncovered during the Conservation works on Parts of al - Salihyya complex, in Barrucan, M. (ed.), L' Egypte Fatimide son art et son histoire, Paris , PP. 649 - 657 .

(١٢٧) ناصر خسرو : هو الرحالة الفارسي ناصر خسرو بن حارث القبادياني نسبة إلى قباديان من نواحي بلخ ولد في عام ٣٩٤هـ / ١٠٠٣م وكانت وفاته في عام ٤٨١هـ / ١٠٨٨م ؛ وهو يعد من أشهر الرحالة المسلمين في القرن ٥هـ / ١١م ، وقد استمرت رحلته المعروفة بـ « سفرنامه » سبع سنوات فيما بين ٤٣٧ - ٤٤٤هـ / ١٠٤٥ - ١٠٥٢م ، مكث منها في مصر من ١٧ صفر ٤٣٩هـ / إلى أواخر جمادى الآخرة ٤٤٢هـ أي في خلافة المستنصر بالله الفاطمي ٤٢٧ - ٤٨٧هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤م. هذا وقد طبعت هذه الرحلة عدة طبعات في برلين وباريس وطهران وقد اعتمد كريزول على الطبعة الفرنسية على يد شارل شيفر في عام ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م ، وترجمت هذه الرحلة إلى اللغة العربية على يد الدكتور يحيى الخشاب للمرة الأولى وصدرت عام ١٩٤٣م (ثم أعيد نشر الكتاب للمرة الثانية في سلسلة الألف كتاب الثاني - العدد ١٢٢ ، القاهرة ١٩٩٣م) ثم لم يلبث أن ترجمت الرحلة من الفارسية على يد الدكتور أحمد خالد البدلي ، الرياض ، جامعة الملك سعود ١٩٨٣م . ومن الملاحظ للوهلة الأولى وجود اختلاف بين الثلاثة (شيفر - الخشاب - البدلي) وهو ما سوف يتضح للقارئ من مقارنة الترجمات بعضها ببعض ولا سيما فيما يتعلق بالمصطلحات والأسماء والتقديم والتأخير والحذف والإضافة ، وهو الأمر الذي يؤكد ما سبق أن ذكرناه من ضرورة أن يقوم بهذه الأعمال المتخصصون أولاً أو على الأقل أن يشاركوا (في حالة عدم إلمامهم بلغة الكتاب الأصلية) مع المترجمين في فهم وشرح المصطلحات والأسماء والأحداث المختلفة بحكم تخصصهم . محمد حمزة الحداد ، دراسة تحليلية لبعض المصطلحات الأجنبية المترجمة في العمارة الإسلامية (قيد النشر) .

(١٢٨) ورد هذا النص في ترجمة الخشاب كما يلي « ويبدو هذا القصر من خارج المدينة كأنه جبل لكثرة ما فيه من الأبنية المرتفعة وهو لا يرى من داخل المدينة لارتفاع أسواره » . ص ١٠٤ ، وورد في ترجمة البدلي كما يلي « ويبدو القصر السلطاني من خارج القاهرة كجبل عظيم شديد الارتفاع شامخ الشرفات أما من داخل القاهرة ، فلا يكاد المرء يرى شيئاً منه لأن حوائطه عالية جداً » . ص ٩٥ .

(١٢٩) ورد هذا النص في ترجمة الخشاب كما يلي « وهذا القصر يتكون من اثني عشر بناء ، وله عشرة أبواب فوق الأرض فضلاً عن أبواب أخرى تحتها ، وأسماء أبوابه الظاهرة هي : باب الذهب ، باب البحر ، باب السريج ، باب الزهومة ، باب السلام ، باب الزبرجد ، باب العيد ، باب الفتوح ، باب الزلاقة ، باب السرية ، وتحت الأرض باب يخرج منه السلطان راكباً .. وجدران القصر من الحجر المنحوت بدقة تقول أنها قدت من صخر واحد » . ص ١٠٥ . وورد في ترجمة البدلي كما يلي « وللقصر (لم يرد في

هذه الترجمة عدد الأبنية التي يشتمل عليها القصر) عشرة أبواب ولكل باب اسم على النحو التالي : باب الذهاب - باب البحر - باب السريح - باب الزهومة - باب السلام - باب الزبرجد - باب العيد - باب الفتوح - باب الزلاقة - باب السرية ، ويوجد تحت أرض القصر باب سرى يخرج منه السلطان عندما ينادر القصر (ولم يرد أيضاً وصف لمادة البناء)... ص ٩٥ .

(١٣٠) ورد هذا النص في ترجمة الخشاب كما يلي « وتحت الأرض باب يخرج منه السلطان راكباً ، وهذا الباب على سرداب يؤدي إلى قصر آخر خارج المدينة ، ولهذا السرداب الذي يصل بين القصرين سقف محكم ، ويتألف القصر من المناظر والإوانات العالية وقد داخله دهليز به دكك . ١٠٥ .

وورد في ترجمة البدلي كما يلي « وللسلطان قصر آخر خارج مدينة القاهرة يتصل بهذا القصر الرئيسى بممرات سرية تحت الأرض ، وبين القصرين نفق يربط بينهما . ص ٩٥ .

(١٣١) ورد هذا النص عند الخشاب كما يلي « كان هناك اثنا عشر جناحاً ، أبنيتها مربعة وكلها متصلة بعضها ببعض ، وكلما دخلت جناحاً منها وجدته أحسن من سابقه ، ومساحة كل واحد منها مائة ذراع في مائة ، عدا واحداً منها كانت مساحته ستين ذراعاً في ستين ، كان بهذا الأخير تخت يشغل عرضه بتمامه وعلوه أربع أذرع ، وهو منطى بالذهب من جهاته الثلاث ... ومطبخ السلطان خارج القصر ، ويعمل فيه دواما خمسون غلاماً ، ويصل القصر بالمطبخ طريق تحت الأرض . ص ١٢٣ .

وورد في ترجمة البدلي كما يلي « رأيت في طريقي اثني عشر قصراً يؤدي كل منها إلى الآخر ، وكل قصر يفوق الآخر بمحتويات لا تصدق ، وسعة صوالين تلك القصور نحو من مائة أرش في مائة أرش وكلها مربع المساحة ، وأخيراً وصلت إلى صالون قدسى جليل مربع الشكل ستين ذراعاً في ستين ذراعاً وفي صدره عرش مرمد يحتل صدر المكان بارتفاع أربعة أذرع عن سطح الأرض وكرسی العرش من الذهب الخالص ... ويقع المطبخ السلطاني خارج القصر ، ويقوم على خدمته خمسون خادماً بصفة دائمة ، ويربط المطبخ بالقصر نفق تحت الأرض . ص ١١٣ - ١١٤ .

(١٣٢) ومن الأهمية بمكان أن نزود القارئ ببعض الأوصاف التي وصف بها هذا القصر ومفرداته ومن ذلك أنه « فريداً في نوعه ويسير على تقاليد غير مألوفة في الغرب في ذلك الوقت » وقد سار أعضاء السفارة في «دهاليز ضيقة ليس فيها بصيص من النور ... إلى أن وصلوا إلى « مساحة كبيرة فسيحة غير مسقوفة تأذن للشمس بالدخول وتؤدي إلى ردهات ذات أعمدة رخامية منقوشة برسوم بارزة تحمل سقفها ذهبية وحولها أرضيات من الأحجار المختلفة الألوان وتبدو في هذا المكان كل مظاهر الأبهة الملوكية التي أبدعتها يد الصانع الماهر مما يشير إلى روعة الصنعة ... وعندما وصلوا إلى القسم الداخلي من القصر (بعد اجتيازهم الكثير من الممرات المتعرجة وسلوكهم الكثير من الطرق التي يفضل فيها المرء) «إنزاحت في سرعة عجيبة الستائر المرصعة بالجواهر والذهب وظهر العرش خلفها والخليفة سافر الوجه على تخته الذهبي وحوله طائفة من مستشاريه وعبده ...» .

Schlumberger, Compagnes, PP. 118 - 119, 126.,

وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، جـ ٤ ، ص ٤٦ - ٥٠ ؛ أيمن قواد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

(١٣٣) إذا كان هذا العرش لم يرد ذكره في طبعة شيفر لرحلة ناصر خسرو (وهي الطبعة التي عول عليها كريزول) إلا أنه ورد في ترجمة الخشاب بصيغة « تخت يشغل عرضه بتمامه وعلوه أربع أذرع وهو مغطى بالذهب من جهاته الثلاث » ، وفي ترجمة البدلي بصيغة « عرش ممرد يحتل صدر المكان بارتفاع أربعة أذرع عن سطح الأرض وكرسى العرش من الذهب الخالص » . انظر : حاشية ١٣١ من التعليقات .

(١٣٤) يذكر ناصر خسرو أن عدد أبواب القصر عشرة أبواب (باب العيد - باب البحر - باب الذهب - باب الزهومة - باب السرية - باب الزبرجد - باب الفتوح - باب السلام - باب السريج - باب الزلافة) ؛ أما عند المؤرخين فيبلغ عددها تسعة أبواب (باب العيد - باب البحر - باب الذهب - باب الزهومة - باب التربة - باب الديلم - باب قصر الشوك - باب الزمرد - باب الريح) . ويلاحظ مما تقدم إتفاق في أسماء الأبواب الأربعة الأولى فحسب (باب العيد - باب البحر - باب الذهب - باب الزهومة) ، والراجع أن باب السرية تحريف لباب التربة ، وباب السريج تحريف لباب الريح ، وباب الزبرجد اسم آخر لباب الزمرد ، أما الأبواب الثلاثة الباقية (باب الفتوح - باب الزلافة - باب السلام) فلا يوجد من الأدلة المتوافرة ما يدل على ارتباطها بأى من البابين الآخرين (باب الديلم - باب قصر الشوك) حتى الآن ، وربما تزودنا المصادر المختلفة بما يساعد في حسم هذه القضية بمشيئة الله تعالى .

(١٣٥) باب الذهب : يذكر ابن عبد الظاهر أن هذا الباب تجاه الدار القطبية وهي المارستان الآن (مجمع قلاوون الشهير) ، أما المقرئ فيحدد موضعه محراب المدرسة الظاهرية تجاه مجمع قلاوون الشهير . ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص ١٥ ؛ المقرئ ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٦٢ ، ٤٣٣ .

(١٣٦) باب الريح : عرف في العصر الأيوبي بباب قصر ابن الشيخ ثم عرف في العصر المملوكي بباب القصر وهدم في عام ٨١١هـ / ١٤٠٨م ونى في موضعه وموضع الدهليز المظلم قيسارية للأمير جمال الدين يوسف الأستاذار بجوار مدرسته من رحبة باب العيد (ولا تزال هذه المدرسة باقية في موضعها حتى الآن وهي التي تعرف بالمدرسة الجمالية) . المقرئ ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٦٢ ، ٤٣٤ . أما القيسارية فهي التي يشغل موضعها الآن الوكالة المعروفة بوكالة بازرة تجاه بقايا خانقاه سعيد السعداء وهو ما يتفق مع ما ذكره المقرئ من أنه كان قد أدرك هذا الباب « تجاه سور سعيد السعداء على يمنة السالك من الركن المخلق إلى رحبة باب العيد » . المقرئ ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٤٣٤ .

(١٣٧) باب العيد : كان موضعه زمن المقرئ داخل درب السلامي بخط رحبة باب العيد ، واشتهرت قبته لدى العامة بقبة القاهرة ، وكان الخليفة يخرج منه في يومى العيد إلى المصلى بظاهر باب النصر ومن هنا جاءت تسميته بذلك الاسم وإليه نسبت رحبة باب العيد . ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص ١٥ ؛ المقرئ ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٦٢ ، ٤٣٥ .

(١٣٨) باب البحر : كان يقع تجاه المدرسة الكاملية (دار الحديث الكاملية) التي لا تزال بقاياها قائمة في

موضعها تجاه قصر الأمير بشتاك (الذى لا يزال فى موضعه أيضاً) وهو القصر الذى كان من جملة القصر الشرقى الكبير وكان يسلك إليه من باب البحر الذى عرف بعد إنشاء القصر بباب قصر بشتاك . ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص ١٥ ، المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٦١ ، ٤٣٤ ، ج ٢ ، ص ٧٠ . (١٣٩) دهليز العمود : كان دهليز العمود يقود إلى مقطع الوزارة حيث توجد المرتبة المختصة بالوزارة ، وعندها الباب المعروف بـ « باب السرداب » وكان حمام القصر يقع خلف هذا الباب ، وكان هذا الدهليز يسبق قاعة الذهب . المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٨٦ ، أيمن فواد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

(١٤٠) استخدمت فى العصر الفاطمى صيغة أفضل التفضيل فى تسمية العمائر الدينية التى أنشأها الخلفاء مثل الجامع الأزهر والجامع الأنور والمسجد الأحمر والمسجد الأفخر ، وإن كان ذلك لم يحل دون إطلاق أسماء أخرى على تلك الجوامع والمساجد كما يستدل من المصادر التاريخية فالأزهر عرف أيضاً بجامع القاهرة ، والحاكم عرف أيضاً بالجامع الجديد وجامع الحاكم وجامع الخطبة ، والمسجد الأفخر عرف أيضاً بجامع الظافر ثم اشتهر بجامع الفكهاني أو الفاكهيين .

(١٤١) مما له دلالة أنه عندما جدد الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله الجامع الأزهر « أنشأ فيه مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربى الذى فى مقدم الجامع بداخل الرواقات عرفت بمقصورة فاطمة من أجل أن فاطمة الزهراء وضى الله تعالى عنها رويت بها فى المنام » . المقرئى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(١٤٢) يصعب فى هذه العجالة حصر الدراسات المتعلقة بتاريخ الجامع الأزهر ومراحل بنائه وتوسعته وما جرى عليه من أعمال الزيادة والتجديد والإضافة والترميم (منذ العصر الفاطمى حتى القرن العشرين المنصرم) فضلاً عن دوره المهم كمؤسسة تعليمية وقفت عليها الأوقاف المغلة ، ولذلك حسبنا أن نشير إلى بعض الدراسات الحديثة التى عولت على المصادر التاريخية والوثائق المختلفة ، والتى سوف تزود القارئ بمعلومات أكثر تفصيلاً من تلك التى أوردها كريتزل فى هذا المجلد الذى بين أيدينا من جهة أو معلومات جديدة لم يذكرها كريتزل أو يعرض لها من قريب ولا من بعيد ، ومن هذه وتلك : حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ج ١ ، (ط ١ ، ١٩٤٦ م ، ط ٢ ، ١٩٩٤ م) ص ٤٧ - ٦٣ ، محمد عبد الله عنان ، تاريخ الجامع الأزهر ، ط ٢ ، القاهرة (١٩٥٨ م) ؛ محب الدين الخطيب ، الأزهر ، القاهرة (١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م) ، سعاد ماهر محمد ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ج ١ ، القاهرة (١٩٧١ م) ، ص ١٦٥ - ٢٢٦ ؛ عبد العزيز الشناوى ، الأزهر جامعاً وجامعة ، جزءان ، القاهرة (١٩٨٣) ، الأزهر تاريخه وتطوره ، القاهرة (١٩٦٤ م) . محمد زينهم ، الأزهر الشريف ، متحف للفنون الإسلامية من عصر الفاطميين إلى عصر حسنى مبارك ، الترميم الدقيق ، القاهرة (١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) ، ص ١٥ - ١٣٥ .

Rabbat, N., Al-Azhar Mosque An architectural Chronicle of Cairo's History , Muqarnas, vol, 13, (1996), PP. 45 - 67 .

هاينز هالم ، الفاطميون وتقاليدهم فى التعليم ، ترجمة سيف الدين القصير ، مراجعة مجيد الراضى ، دمشق (١٩٩٩ م) ، ص ٧٣ - ٩٨ .

(١٤٣) يعد مفضل بن أبي الفضائل من المؤرخين المسيحيين وكانت وفاته بعد عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م ، ويعرف كتابه باسم « النهج السديد والدر القريد فيما بعد تاريخ ابن العميد » وهو يعد ذيلًا لتاريخ ابن العميد الملقب بالمكين ، وتاريخ ابن العميد يحمل اسمه كما يحمل عنوان « المجموع المبارك » و« التاريخ الجامع » لأخبار العالم من أول الخليقة إلى عهد السلطان الظاهر بيبرس ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م ، والقسم الثاني من الكتاب اسمه « تاريخ المسلمين » لأنه يتناول التاريخ من ظهور الإسلام إلى سنة ٦٥٨هـ وكانت وفاة ابن العميد بدمشق ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م ، وقد قام بنشر القسم الإسلامي من تاريخ ابن العميد مع ترجمة لاتينية في سنة ١٦٢٥م المستشرق أرينوس حتى أحداث عام ٥١٢هـ / ١١١٨م ، ثم نشر كلود كاهن أخبار الأيوبيين من الكتاب من عام ٦٠٢هـ إلى عام ٦٥٨هـ (آخر الكتاب) ١٢٠٥ - ١٢٦٠م في مجلة الدراسات الشرقية (BEO) - المجلد ١٥ ، باريس (١٩٥٥ - ١٩٥٧م) ، ص ١٠٩ - ١٨٤ ؛ أما النهج السديد لمفضل بن أبي الفضائل (ذيل الكتاب السابق) فقد نشره بلوشيه فيما بين ١٩١٩ و ١٩٢٩م . شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ج ٣ ، بيروت (١٩٩٠م) ، ص ١٩ ، ١٠٩ - ١١١ .

(١٤٤) ظلت هذه المنطقة القضية بالمحارب حتى قلعتها السلطان صلاح الدين الأيوبي في ١١ ربيع الأول ٥٦٩هـ / ١١٧٣م لأنه كان فيها انتهاء خلفاء الفاطميين (ومن ثم عرف وزنها المشار إليه في النص) كما قلع أيضاً المناطق من بقية الجوامع . المقریزی ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(١٤٥) يعد جامع عمرو بن العاص أو الجامع العتيق بمصر القديمة من أقدم الجوامع الإسلامية في مصر وأفريقيا التي عقدت فيها الحلقات العلمية وكانت تعرف بالزوايا ومنها زاوية الإمام الشافعي والزاوية المجدية والزاوية الصاحبية وغيرها وقد أوقفت على هذه الزوايا الأوقاف مما كان له أثره الكبير في استمرارها في أداء رسالتها العلمية ، وكان بجامع عمرو قبل ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م (عام الوباء الأسود) بضع وأربعون حلقة لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه . المقریزی ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(١٤٦) انظر أيضاً : المقریزی ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ ؛ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض (١٩٧٦م) ، ص ٢٧٩ .

(١٤٧) جانب الصواب كيرزول في استنتاجه هذا لأن خطبة الجمعة لم تبطل في الجامع الأزهر خلال العصر الفاطمي عامة وعهد الحاكم خاصة وكل ما هنالك أنه - أي الخليفة - كان يخطب في كل جامع من الجوامع الأربعة الرئيسية في مصر والقاهرة (وهي الأزهر والحاكم وابن طولون وجامع عمرو) مرة . أما إبطال الخطبة بالأزهر فلم تحدث إلا مع العصر الأيوبي بعد فتوى قاضى القضاة الشافعي صدر الدين بن عبد الملك بن درباس بأنه لا يجوز إقامة خطبتين للجمعة في بلد واحد ، ولذلك أمر السلطان صلاح الدين الأيوبي بإبطال الخطبة بالأزهر وأقرها بجامع الحاكم بحجة أنه أوسع رحاباً ، ولبثت إقامة الخطبة بالأزهر معطلة ما يقرب من قرن من الزمان إلى أن قبض الله لهذا الجامع كل من السلطان الظاهر بيبرس والأمير عز الدين أيدير الحلبي نائب السلطنة فإنه على الرغم من أن قاضى القضاة الشافعي ابن بنت الأعز قد أفتى بالمنع ، إلا أنه أخذت بفتوى العلماء الذين أجازوا إقامة الخطبة وبالفعل أقيمت في ١٨

- ربيع الأول ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م . ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٧٧ ؛ المقرئى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ، ص ٣٤٠ - ٣٤١ ؛ العينى ، عقد الجمان ، جـ ٢ ، ص ٦ ، ابن دقماق ، الجواهر الثمين ، جـ ٢ ، ص ٨٤ ؛ يبيرس المنصورى ، ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م ، التحفة الملوكية فى الدولة التركية ، تحقيق عبد الحميد حمدان ، (١٩٩٧م) ، ص ٦٠ ؛ الزركشى ، محمد بن عبد الله ، ت ٧٩٤هـ / ١٣٩١م ، إعلام الساجد بأحكام المساجد ، تحقيق الشيخ أبو الوفا المراغى ، ط ٢ ، القاهرة (١٩٨٢م) ، ص ٣٤ - ٣٥ .
- (١٤٨) ومن الواضح أن هذا النص منقول عن تاريخ ابن العميد المنقول بدوره عن أحد كتب السيرة الفاطمية المفقودة حتى الآن مثل سيرة الحاكم وسيرة الوزير يعقوب بن كلس وقد نقل عنهما ابن عبد الظاهر والمقرئى بقولهما « ورأيت فى سيرة الحاكم ... » ، « ورأيت فى سيرة الوزير المذكور ... » . ابن عبد الظاهر ، الروضة البهية ، ص ٦٨ ، الروض الزاهر ، ص ٢٧٩ ؛ المقرئى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ؛ المسبحى ، نصوص ضائعة ، ص ١٣ .
- (١٤٩) لا يزال الباب محفوظا بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة . وعن أهميته الفنية والتاريخية انظر ، زكى محمد حسن ، كنوز الفاطميين ط ٢ ، بيروت ، (١٩٨١م) ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ ؛ فريد شافعى ، مميزات الأخشاب المزخرفة فى الطرازين العباسى والفاطمى فى مصر ، مجلة كلية الآداب - المجلد ١٦ ، الجزء الأول ، مايو ١٩٥٤م ، مطبعة جامعة القاهرة (١٩٥٤م) ، ص ٦٧ - ٦٨ ، ٧٠ ، حسن الباشا ، باب الحاكم بأمر الله ، ضمن كتاب القاهرة المشار إليه سابقا ، ص ٥١٤ - ٥٢٠ ، (وقد أعيد نشر هذا البحث ضمن المجلد الثانى لموسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية للمؤلف نفسه ، بيروت ١٩٩٩م ، ص ٢٧٧ - ٢٨١ ؛ أحمد عبد الرازق أحمد ، الفنون الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمى ، كلية الآداب - جامعة عين شمس ، القاهرة (٢٠٠١م) ، ص ٩٠ - ٩١ .
- (١٥٠) لا يزال هذا المحراب الخشبى المنقل محفوظا بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة . وعن أهميته الفنية انظر : زكى محمد حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢١٩ ؛ فريد شافعى ، مميزات الأخشاب ، ص ٧٩ ؛ أحمد عبد الرازق أحمد ، الفنون ، ص ٩٥ - ٩٦ .
- (١٥١) كان قلع المنطقة الفضية فى ١١ ربيع الأول وليس ٢ ربيع الأول كما سبق القول . (انظر حاشية رقم ١٤٤ من التعليقات) .
- (١٥٢) سبق تفنيد هذا القول ونفيه فى الحاشية رقم ١٤٧ من التعليقات .
- (١٥٣) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، ص ٢٧٧ . (هذا ولم تكن هذه السيرة منشورة ومحققة أثناء اعداد كرىزول لهذا المجلد من كتابه الذى صدر فى عام ١٩٥٢م) .
- ومما له دلالة أنه لم ترد فى النسخة المحققة كلمة (وكساه) التى أوردها المقرئى نقلا عن نفس الكتاب (ولكن من نسخة أخرى كما يبدو) .
- (١٥٤) لم يبق من هذا المنبر سوى لوحته التأسيسية المحفوظة بمتحف الجزائر . وعن النقش ومضمونه انظر : حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ ١ ، ص ٥٣ - ٥٤ ، نعمت محمد أبو بكر ، المنابر فى مصر فى العصرين المملوكى والعثمانى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٨٥م) ، ص ٢٣١ - ٢٣٥ .

(١٥٥) لمزيد من التفاصيل عن هذه المدرسة . انظر ، سوسن سعد الشامي ، دراسة أثرية معمارية لظاهرة إلحاق المدارس بالجامع الأزهر فى العصر المملوكى ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٩٤م) ، ص ٥١ - ٧٨ .

(١٥٦) لمزيد من التفاصيل عن هذه المدرسة . انظر ، سوسن سعد الشامي ، دراسة أثرية معمارية لظاهرة إلحاق المدارس بالجامع الأزهر ، ص ٨٠ - ١١٥ .

(١٥٧) لمزيد من التفاصيل عن هذه المدرسة ، انظر ، سوسن سعد الشامي ، دراسة أثرية معمارية لظاهرة إلحاق المدارس بالجامع الأزهر ، ص ١١٧ - ١٥١ ؛ حسنى نوبصر ، العمارة الإسلامية فى مصر عصر الايوبيين والمماليك ، القاهرة (١٩٩٦م) ، ص ٥٧٢ - ٥٧٩ .

(١٥٨) تجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الرنوك قد استعمل للسلطين وحدهم وهو يعرف فى المصطلح باسم الخراطيش أو الدروع ويتألف غالبا من درع مستدير أو كمثرى أو مفصص الشكل ، وينقسم غالبا إلى ثلاثة مناطق تشغلها كتابات نسخية فى المنطقة العليا (اسم السلطان) وفى الوسطى (الشطب أو الشطف) التعظيم له وفى السفلى الدعاء له بعدة صيغ .

(اسم السلطان)

(عز لمولانا السلطان الملك)

(عز نصره)

أحمد عبد الرازق أحمد ، الرنوك على عصر سلاطين المماليك ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢١ ، القاهرة (١٩٧٤م) ، ص ٨٩ .

(١٥٩) هو متحف الفن الإسلامى بميدان باب الخلق تجاه مديرية أمن القاهرة .

(١٦٠) ترجع قبة الليث بن سعد الحالية إلى أعمال الأمير موسى جوريجى مرزا مستحفظان تابع المرحوم مصطفى جوريجى مرزا مستحفظان كما يستدل من النقش الإنشائى المؤرخ فى ٢٥ ذى القعدة ١١٣٨هـ / ١٧٢٦م . حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ج١ ، ص ٢٠٠ ؛ محمد حمزة الحداد ، العمائر الجنائزية فى مصر خلال العصر العثمانى ، مجلة جامعة الملك سعود ، مج ١٢ ، الآداب (١) ، الرياض ، (١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م) ، ص ٢٤٤ . وعلى ذلك فإن هذه القبة لا ترجع إلى عهد السلطان الغورى لمجرد تشابه مقرنصاتها مع مقرنصات قبة المحراب بالجامع الأزهر ، والتي لا تزال حتى الآن غير مؤكدة النسبة للسلطان الغورى .

(١٦١) هو محمد باشا الشريف الوالى العثمانى فيما بين ١٠٠٤ - ١٠٠٦هـ / ١٥٩٥ - ١٥٩٧م وكانت له مآثر حسنة ، منها عمارة مقام الحسين ، كما عمر الجامع الأزهر ورمه وأوقف عليه شورية عدس تطبخ للمجاورين به . ابن أبى السرور البكرى ، الروضة المأنوسة ، ص ١٦١ ؛ ابن الوكيل ، تحفة الأحياب ، ص ١٦٣ ؛ ابن عبد الغنى ، أوضح الإشارات ، ص ١٢٦ ؛ القلعاوى ، مصطفى الصفوى ، ت ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م ، مشاهد الصفا فى المدفونين بمصر من آل المصطفى ، تحقيق على عمر ، القاهرة (٢٠٠٢م) ، ص ٢٩ .

(١٦٢) هو الأمير عثمان كتنخدا القازدغلى المتوفى فى عام ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م (وليس فى عام ١١٤٨هـ كما ورد فى نص كرىزول) فى واقعة بيت محمد بك الدفتردار والتي قتل فيها أحد عشر أميراً من

كبار الأمراء والعسكريين ، وكانت له مآثر حسنة ومن أشهرها جامعته المعروف بجامع الكيخيا على رأس شارع قصر النيل عند تقاطعه مع شارع الجمهورية (شارع إبراهيم باشا سابقا) . محمد حمزة الحداد ، موسوعة العمارة ، مج ٢ ، ص ٣٧٩ - ٤٠٧ .

(١٦٣) يمكن أن نضيف إلى هذه الأعمال أيضاً رواق الشوام ورواق الجاوية ، وقد خصص لها كلها جزءاً من ريع وقفه للصرف على مهمات تلك الأروقة فضلاً عن الطلبة المجاورين المقيمين فيها ، وكذلك على مهمات زاوية أو تكية العميان فضلاً عن طائفة العميان المقيمين بها لقراءة القرآن الكريم قلوا أو كثروا ، وكانت هذه الزاوية أو التكية بجوار المدرسة الجوهريّة بالأزهر إلا أنها هدمت وزالت في عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م . حجة وقف الأمير عثمان كتنخدا (أوقاف رقم ٢٢١٥) ، ص ١١٦ - ١٢٩ ، ٢٧٢ - ٢٧٩ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٤ ، ص ٤٩ ، ٥٢ - ٥٣ ، الدمرداش كتنخدا عزبان ، الدرة المصانة ، ص ٢٠٢ ، سعاد ماهر محمد ، مساجد مصر ، ج ١ ، ص ٢١٦ - ٢١٩ ، عبد العزيز الشناوى ، الأزهر ، ج ١ ، ص ٢٦٠ - ٢٦٦ ، ٢٧٧ - ٢٧٩ .

(١٦٤) انظر أيضاً أحدث نسخة محققة للجبرتي للدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ج ٢ ، القاهرة (١٩٩٨م) ، ص ٦ - ٧ .

(١٦٥) ورد هذا التاريخ في عجز البيت الرابع والأخير من تلك الأبيات التى أرخت بها هذه الأعمال وقد وصفها الجبرتي بأنها أبيات ركيكة . ج ٢ ، ص ٧ . وتطبيق قاعدة حساب الجمل يتضح أن تاريخ هذه الأعمال هو ١١٦٥هـ / ١٧٥١م ، وهو ما لا يتفق مع التاريخ المنقوش أعلى باب المزينين وهو ١١٦٧هـ / ١٧٥٦م . محمد حمزة الحداد ، موسوعة ، المدخل (الكتاب الأول) ، ص ٥٣ - ٥٤ .

(١٦٦) صدر بعد ظهور المجلد الأول (وهو الذى بين أيدينا) فى عام ١٩٥٢م العديد من الدراسات حول عمارة الجامع الأزهر وتطورها خلال العصور التاريخية المتعاقبة ، سواء ضمن الدراسات التى تناولت العمارة الإسلامية عامة أو العمارة والآثار الإسلامية فى مصر من جهة أو العمارة الفاطمية خاصة من جهة ثانية ؛ وفيما يتعلق بعمارة الجامع الأزهر فى العصر الفاطمى فإن النتائج التى أسفرت عنها دراسة كرينزول كانت هى الأساس لغالبية تلك الدراسات وحسبنا أن نشير إلى بعضها ومنها : سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ١ ، ص ١٦٥ - ٢٢٦ ؛ كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية فى مصر ، القاهرة ١٩٧٠م ، ص ٢٤ - ٢٦ ؛ عبد الرحمن فهمى ، الجامع الأزهر ، (ضمن كتاب القاهرة المشار إليه سابقاً) ، ص ٤٥٣ - ٤٦١ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، جدة (١٩٩٠م) ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ؛ قمم عالمية فى تراث الحضارة العربية الإسلامية المعمارية والفنية ، ج ١ ، دمشق (٢٠٠٠م) ، ص ٢٦٣ ، ٢٦٦ ؛ مصطفى عبد الله شبيحة ، الآثار الإسلامية فى مصر من الفتح العربى حتى نهاية العصر الأيوبي ، القاهرة (١٩٩٢م) ، ص ١٠١ - ١١٦ ؛ أحمد عبد الرازق أحمد ، تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، القاهرة (١٩٩٣م) ، ص ٢١٩ - ٢٣٧ ؛ العمارة الإسلامية فى العصرين العباسى والفاطمى ، القاهرة (١٩٩٩م) ، ص ١٤٦ - ١٤٩ ؛ آمال العمرى وعلى الطائش ، العمارة فى مصر الإسلامية ، العصرين الفاطمى والأيوبي (ديرب نجم ،

الشرقية ، مكتبة الصفا والمرورة ١٩٩٦م) ، ص ٧٢ - ٧٤ ،

Brandenburg , D., Islamische Baukunst in Agypten , Berlin, (1966), P. ., Abouseif ,
D. B., Islamic Architecture in Cairo, An Introduction , Cairo , (1989), PP. ., Hoag, J., Islam-
ic Architecture, New York, (1977)., PP; Hillenbrand, R, Islamic Architecture, New York .

(١٦٧) سبق القول أن التاريخ الصحيح لعمارة عبد الرحمن كتنخدا بالأزهر - بما في ذلك المدرسة الطبرسية
- ١١٦٧هـ / ١٧٥٦م .

(١٦٨) أثبتنا في دراسة سابقة أنه لا فرق بين مدلول كل من الرواق والبلاطة وأن كليهما مرادف للآخر وأن
الأول قد اقتصرت به مصر وأقاليم المشرق الإسلامي ، والثاني اقتصرت به أقاليم الغرب الإسلامي ،
وبالتالي أمكن وضع تعريف جديد ثابت لكلا المصطلحين وهو أنه يقصد بهما - أى بالرواق والبلاطة
- الدلالة على صفوف البائكات والمساحات المسقوفة المحصورة بينها سواء كانت عمودية على جدار
القبلة أو موازية لذلك الجدار ، أو متقاطعة (أى موازية لجدار القبلة وعمودية على ذلك الجدار فى ذات
الوقت) ولا سيما فى المساجد المغطاة بالأقبية أو القباب أو كليهما معاً . محمد حمزة الحداد ،
المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية ، القاهرة ، ط ١ ، (١٩٩٦م) ، ط ٢
(٢٠٠١) ، ص ٤٠ - ٦٦ ، ٨٥ ؛ وفى ضوء ذلك يجب الحرص على التمسك بالمصطلحات السائدة
فى الأقطار المختلفة على أن تكتب المصطلحات المرادفة لها بين قوسين ؛ فإذا كان الحديث عن العمارة
الإسلامية فى المغرب والأندلس يستخدم مصطلح البلاطة على أن يوضع مصطلح الرواق بين قوسين ،
أما بالنسبة للعمارة الإسلامية فى مصر والمشرق فيستخدم مصطلح الرواق على أن يوضع مصطلح
البلاطة بين قوسين وهكذا بقية المصطلحات الأخرى حتى يزول الخلط والتضارب والتعارض الذى
نشاهد فى الدراسات المنشورة عربية كانت أو أجنبية أو معربة . وهو الأمر الذى طبقناه فى دراستنا
المنشورة ، فضلاً عن تعليقاتنا على هذا الكتاب فقد استخدمنا مصطلح البلاطة عند الحديث عن جامع
المهدية الفاطمية بتونس ووضعنا مصطلح الرواق بين قوسين أما عند الحديث عن العمارة الفاطمية فى
مصر فقد استخدمنا مصطلح الرواق ووضعنا مصطلح البلاطة بين قوسين .

(١٦٩) من الملاحظ أن كريزول قد جمع بين كل من مصطلحي الرواق والبلاطة فى آن واحد ولا سيما عند
وصفه للرواقين الجانبيين الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي فكل رواق منهما يشتمل على إحدى
عشرة بلاطة مما يشير إلى أن البلاطة جزء من الرواق ؛ على أنه عند وصفه للحرم (مقدم الجامع) قد
استخدم مصطلح البلاطة بنفس دلالة مصطلح الرواق . وهذا الجمع بين مصطلحي البلاطة والرواق
بنفس الدلالة الأولى الواردة عند كريزول فى وصفه للرواقين الجانبيين كانت هى الأساس فى
الدراسات التى تناولت العمارة الإسلامية فى مصر فالجامع فى هذه الدراسات عبارة عن صحن أوسط
مكتشف تحيط به أربعة أروقة يشتمل كل رواق منها على عدد من البلاطات يختلف من جامع لآخر

وبطبيعة الحال فإن رواق القبلة (مقدم الجامع) يشمل أكبر عدد من البلاطات في الجامع ، مما يعنى كما هو عند كريزول أن البلاطة جزء من الرواق وهذا لا يصح بأى حال من الأحوال .

ومن بين هذه الدراسات : كمال الدين سامح ، العمارة في صدر الإسلام ، القاهرة (١٩٧١م) ، ص ٢٧ ، ١٠٨ ، العمارة الإسلامية في مصر ، ص ١٩ ، ٣٧ ، ٤١ ؛ محمد مصطفى نجيب ، العمارة في عصر المماليك (ضمن كتاب القاهرة المشار إليه) ، ص ٢٤٣ ، عبد الرحمن فهمى ، العمارة قبل عصر المماليك (ضمن نفس الكتاب) ، ص ٢٢٣ ، مسجد الصالح طلائع (ضمن نفس الكتاب) ، ص ٤٦٤ ؛ محمد عبد الستار عثمان ، أحميم في العصرين القبطى والإسلامى (١٩٨٢م) ، ص ٧٦ ، ٧٩ - ٨٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ؛ جرجا وآثارها الإسلامية في العصر العثمانى ، مجلة دراسات آثارية إسلامية ، المجلد ٣ ، القاهرة (١٩٨٨م) ، ص ٢٣٠ - ٢٣٣ ؛ سامح عبد الرحمن فهمى ، جامع الظاهر بيبرس ، نفس المجلة المشار إليها ، ص ١١٠ - ١١١ ؛ عبد الله كامل موسى عبده ، الفاطميون ، ص ١٧٠ - ١٧٢ وغير ذلك من الدراسات .

(١٧٠) انظر حاشية رقم ١٥٧ من التعليقات .

(١٧١) لمزيد من التفاصيل عن أعمال عبد الرحمن كتحدا بالأزهر انظر كتابنا :

عبد الرحمن كتحدا أمير البناء في العصر العثمانى ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق (قيد النشر) .

(١٧٢) سبق القول أن التاريخ الصحيح هو ١١٦٧هـ / ١٧٥٦م .

(١٧٣) ابتكر التصوير الفوتوغرافى فى عام ١٨٣٩م بفرنسا على أيدى كل من نيسيفور نيبسى وجاك مانديه داجير ، وقد التقطت أول صورة فوتوغرافية بمصر بعد شهرين فقط من إبتكار آلة التصوير وذلك فى الأسبوع الأول من شهر نوفمبر ١٨٣٩م وهى الصورة التى التقطها المصور هوارس فرنيه وتعرف بمشهد الحرم وكانت أمام محمد على باشا بقصره بالإسكندرية ، وقد نالت مصر السبق الأول فى مجال التصوير الأثرى خلال العشرين سنة الأولى من عمر التصوير الفوتوغرافى ومن أوائل المصورين الذين قدموا إليها هوارس فرنيه ١٨٣٩م وجيرار نرفال ١٨٤٣م ومكسيم دوكان ١٨٤٩م ، وبلغ هذا الفن مرحلة الكمال فى النصف الثانى من القرن ١٩م فضلا عن كونه اكتسب صبغة علمية ، وقد أقام متحف المتروبوليتان بنيويورك معرضاً فى عام ١٩٧٣م لأوائل الصور الفوتوغرافية التى التقطت فى مصر خلال القرن ١٩م ، كما أقامت شركة كوداك معرضاً مماثلاً فى باريس فى عام ١٩٧٦م . ثروت عكاشة ، مصر فى عيون الغرباء ، ج ٢ ، القاهرة (١٩٨٤م) ، ص ٥٣٤ - ٥٣٨ ؛ محمد حمزة الحداد ، موسوعة ، المدخل (الكتاب الأول) ، ص ٢٢ - ٢٣ (وما له دلالة أن لدينا بحثنا مطولاً عن أهمية لوحات الرحالة والمصورين الأجانب فى دراسة العمارة الإسلامية عامة وفى مصر خاصة ، وسوف ينشر فى القريب بمشيئة الله تعالى) .

(١٧٤) العقد الفارسى : اختلفت الآراء حول هذا النوع من العقود سواء من حيث أصله أو من حيث تسميته الذى يجب أن يعرف به فقد عرف أولاً بالعقد الفارسى على اعتبار أنه كان معروفاً فى بلاد فارس قبل ظهوره فى العمارة الفاطمية بمصر ، ومن ثم فسر انتقاله إلى مصر على أنه من بين التأثيرات الفارسية التى وفدت إلى مصر خلال العصر الفاطمى وهو ما يتجلى فى دراسات كل من فان برشم وسلادين وهوتكير ومارسيه التى أشار إليها كريزول ، أما كريزول فلم يوافق على هذا الرأى وفنده

بأدلة مادية لا يرقى إليها الشك وانتهى إلى أنه لا يجب البحث عن أصل هذا العقد في فارس أو الهند (على اعتبار ما ذكره هوتكير من أن أصل هذا العقد الفارسي هندي) لأنه ظهر في الجامع الأزهر قبل ظهوره في بلاد فارس بنحو قرن من الزمان ، وعلى الرغم من هذه الحقيقة التي أثبتتها كريزول إلا أن هذا العقد ظل يعرف باسمه المعروف وهو العقد الفارسي ، كما عرف بالإنجليزية Keel Arch لأنه يشبه قاع المركب المدبب ، وقد ترجم هذا اللفظ إلى العربية فعرف تارة بالعقد المنكسر وتارة أخرى بالعقد المدبب الذي ينتهي بخط مستقيم وتارة ثالثة بالعقد الزورقي المدبب .

وقد استبدل أحمد فكري بمصطلح (العقد الفارسي) مصطلحاً آخر هو (العقد المنفرج) وذكر أن هذا النوع من العقود لم يظهر في العمارة الفاطمية قبل عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م (مشهد الجيوشي) أما العقود المنفرجة التي تشاهد حالياً في الأزهر فهي إما تنتمي إلى عهد الحافظ لدين الله أي بعد ٥٢٤هـ / ١١٣٠م وإما أنها جددت وأعيد بناؤها حديثاً على هذا الشكل . ويضيف قائلاً : والعقد المنفرج هو تطور مباشر للعقد المدبب المطول معاً ، وإن متابعة أشكال العقود في بعض المساجد الفاطمية كالجيوشي والأقمر والسيدة رقية والصالح طلائع وعقود الأزهر ذاته وبصفة خاصة عقود بلاطة المحراب وعقود مقرنصات قبة البهو وعقود الصحن إنما تؤكد حلقة الانتقال من العقد المدبب المطول إلى العقد المنفرج ويبين بوضوح الصلة الوثيقة بينهما حتى أن التفرقة بين مظهريهما قد خفيت عن بعض المشتغلين بالآثار . أما فريد شافعي فقد استبدل مصطلح العقد الفارسي بمصطلح العقد الفاطمي لأنه ظهر في أقدم أجزاء فاطمية باقية من الجامع الأزهر وهي بذلك تسبق أقدم أمثله في بلاد فارس بنحو قرن من الزمان .

وأخيراً يرى عبد القادر الرياحي أن العقد الفارسي هو العقد (القوس) العباسي وذكر أنه « من النوع المدبب أو المكسور، ويتألف من أربعة أقواس ترسم من أربعة مراكز ، قوسان متمثلان في الأعلى قريبان من المستقيم ، لهما نصف قطر كبير وقوسان في الأسفل متمثلان أيضاً لهما نصف قطر أصغر وهما أكثر تحديداً ومن نماذجه باب بغداد بالرقعة وفي الأخيضر وفي قصور سامرا وجوامعها وفي عمائر كثيرة شيدت فيما بعد بإيران وغيرها » ، ويضيف الرياحي فيقول « ... ولم يكن معروفاً قبل الإسلام ، وأنه تطور في أواخر العهد الفاطمي بدءاً من ق ٥ هـ / ١١م وأصبح قوساً العلويان مستقيمين تماماً وظهر لأول مرة في العمائر الفاطمية مما جعلنا نسميه العقد الفاطمي ... وتطور العقد الفاطمي ليصبح قوساً العلويان المستقيمان مقعرين قليلاً يرسمان من مركزين في خارج العقد وقد ظهر ذلك في العناصر الزخرفية الفاطمية وانتشر استعماله في فارس والهند والأناضول ونسميه العقد الفارسي » . هذا ويفرق فريد شافعي بين هذين العقدين : العقد العراقي (الذي أسماه الرياحي القوس العباسي) والعقد الفاطمي قائلاً إنه « يصعب في بعض الأحيان أن نتبين الفرق بينهما إذا لم تراع الدقة الكافية في بنائهما ، فقد لا يتضح تقوس المنحنيين العلويين في النموذج العراقي فيبدوان أقرب إلى مستقيمين ، وبالتالي يقرب العقد من النموذج الفاطمي والعكس بالعكس » . أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، الجزء الأول ، العصر الفاطمي ، القاهرة (١٩٦٥م) ، ص ١٥٤ - ١٥٨ ، شكلا ٢٧ -

٢٨ ، فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، ص ٢٠٧ ، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، الرياض ، (١٩٨٢م) ، ص ٢٠٠ - ٢٠٢ شكلا ٢٢١ - ٢٢٢ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة ، ص ٩٤ - ٩٥ ، شكل ٦٤ ص ٢٣٣ ؛ قمم عالمية ، ج ١ ، ص ١٥٧ ؛ مظاهر التجديد المعماري فى مصر الفاطمية ، ص ٣٣٢ ؛ صالح لمى مصطفى ، التراث المعماري الإسلامى فى مصر ، بيروت (١٩٧٥م) ص ٩٩ .

(١٧٥) جانب الصواب كريتزل فى هذه المسألة فإن التأثيرات الفارسية قد وجدت طريقها إلى مصر فى العصر الفاطمى سواء على الفنون التطبيقية المختلفة أو على بعض العناصر الدينية والمدنية ، وربما كان للعلاقات الطيبة بين الفاطميين والبويهيين فى إيران والعراق (وهم أسرة شيعية سيطرت على مقاليد الأمور فى الدولة العباسية نفسها وهو العصر المعروف بالعصر العباسى الثالث أو العصر البويهى فى الدولة العباسية ٣٣٤ - ٤٤٧ هـ / ٩٤٥ - ١٠٥٥ م) أثرها فى وجود هذه التأثيرات الفنية ، كما أن ظهور السلاجقة بعد البويهيين لم يقف حجر عثرة فى استمرار مثل هذه التأثيرات المعمارية والفنية المتبادلة . محمد عبد العزيز مرزوق ، التأثيرات المتبادلة فى الفنون بين مصر وإيران عبر العصور (ضمن كتاب جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وإيران - القاهرة ١٩٧٤م) ، ص ٢٥ - ٣١ ؛ حسين مجيب المصرى ؛ إيران ومصر عبر التاريخ ، القاهرة (١٩٧٤م) ، ص ٢٩ - ٣٠ ؛ محمد حمزة إسماعيل الحداد ، القباب فى العمارة المصرية الإسلامية ، الجزء الأول ، القاهرة (١٩٩٣م) ، ص ٩٥ - ٩٩ ؛ محمود إبراهيم حسين ، الفنون الإسلامية فى العصر الفاطمى ، الجزء الأول ، القاهرة (١٩٩٩م) ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ؛ منى محمد بدر ، أثر الحضارة السلجوقية فى دول شرق العالم الإسلامى على الحضارتين الأيوبية والمملوكية فى مصر ، ج ٢ ، القاهرة (٢٠٠٢م) ، ص ٤١ - ٤٤ . عبد الناصر ياسين ، الفنون الزخرفية الإسلامية فى مصر منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى ، ج ١ ، القاهرة (٢٠٠٢م) ، ص ١٢٥ - ١٣٥ .

(١٧٦) سبق القول فى الحاشية السابقة انه عاصر الفاطميين أسرة شيعية وهى الأسرة البويهية التى تمثل العصر العباسى الثالث ٣٣٤ - ٤٤٧ هـ) قبل ظهور السلاجقة إلى الوجود ، فكيف يمكن القول إن فارس ظلت تحت حكم سنى لمدة ١٣٣ عاماً ميلادياً [يقابلها ١٣٨ عاماً هجرية] طوال فترة المثنى عام التى حكم الفاطميون فيها مصر ؟

(١٧٧) عن هذا الضريح وأهميته انظر آصلان آبا ، أوقطاي ، فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، استانبول (١٩٨٧م) ، ص ٤١ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة ، ص ١٧٣ - ١٧٤ .

(١٧٨) يعتبر مسجد تاريخانة من أهم المساجد المبكرة التى لا تزال تحتفظ بتخطيطها ومعالمها الأولى إلى حد كبير ، وهو يؤرخ ترجيحاً فيما بين ١٣٠ - ١٧٠ هـ / ٧٤٧ - ٧٨٦ م . فريد شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص ٩٦ ؛ أحمد فكرى ، المدخل ، ص ٢٨٤ ؛ سيد كمال جوادى ، مساجد إيران ، ج ١ ، طهران ، (١٣٧٥ هـ . ش / ١٤١٧ هـ . ق / ١٩٩٦م) ، ص ٧٦ - ٨٤ ؛

Pope, A. U., A survey of Persian Art, vol 3, oxford, 1939, P. 933 - 934, Fig 314 .

(١٧٩) عن ضريح إسماعيل الساماني في بخارى : انظر ، عبد القادر الريحاوي ، العمارة ، ص ١٥٠ - ١٥٢ ؛
Pope, Asurvey , vol 3, P. 945 - 949 , Fig. 324 .

(١٨٠) عن جامع تايين انظر ، عبد القادر الريحاوي ، العمارة ، ص ١٥٠ ؛ سيد كمال جوادى ، مساجد
إيران ، ج ١ ، ص ٨٦ - ٩٤ . Pope, Asurvey , P. 934 - 939 , Fig 315 .

(١٨١) عن جامع أصفهان : انظر ، أصلان آبا ، فنون الترك ، ص ٣٢ - ٣٤ ؛ عبد القادر الريحاوي ،
العمارة ، ص ١٦٦ - ١٦٨ ؛ سيد كمال جوادى ، مساجد إيران ، ج ١ ، ص ١١٢ - ٢١٩ ،
Pope, Asurvey , PP. 949 - 964 , Figs. 328 - 334 .

(١٨٢) هو العقد الذى أطلق عليه الريحاوي اسم القوس العباسي وشافعي النموذج العراقي وفرق بينه وبين
العقد الفاطمي المعروف خطأ بالعقد الفارسي كما سبق القول . (حاشية ١٧٤ من التعليقات) .

(١٨٣) المجاز القاطع : هذا المصطلح ترجمة حرفية للمصطلح الأجنبي Transpet حيث اعتقد العلماء
الأجانب أن هذا الرواق العمودي (البلاطة العمودية) إنما يحى ذكرى فناء البازيليكيات المسيحية أو
قاعات الاستقبال فى القصور الرومانية وهو الرأى الذى فنده أحمد فكرى بأدلة قاطعة فى أبحاثه
المتعددة . (مسجد القيروان ، ص ٣٠ - ٣٤ ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ١ ، العصر الفاطمي ،
ص ١٢٧ - ١٤٠ ؛ مسجد الزيتونة الجامع فى تونس ، المجلة التاريخية المصرية - مج ٤ ، العدد ٢ ،
القاهرة (١٩٥٢م) ، ص ٧٥ - ٧٧) . ومن جانبنا قمنا بدراسة تحليلية لهذا المصطلح فى ضوء ما ورد
فى المصادر التاريخية وبخاصة كتب الرحالة المسلمين ومشاهداتهم فضلا عن الوثائق ، وانتهى بنا
القول إلى ضرورة استبدال هذا المصطلح بمصطلح آخر أنسب منه وهو الرواق الأوسط العمودي أو
البلاط الأوسط أو البلاطة الوسطى العمودية للدلالة على هذا الجزء الأوسط فى المسجد (وبخاصة
المقدم) والذى يكون عموديا على جدار القبلة ويخترق الأروقة (البلاطات) الموازية لجدار القبلة فيما
بين المهراب والصحن ، وهذا المصطلح عربى ورد ذكره فى كتب الرحالة والمؤرخين المسلمين . محمد
حمزة الحداد ، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية ، ص ٦٦ - ٦٩ ، ٨٥ .

(١٨٤) المورو (Moro) يعنى هذا اللفظ المسلم بوجه عام ، وعقب سقوط غرناطة ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م
أطلق على المسلمين الذين بقوا فى اسبانيا اسم الموريسكيين وهو تصغير قصد به التحقير ، للفظ مورو ،
ويترجمها البعض الآخر بـ « العرب الأصاغر » ومهما يكن من أمر فقد أصبحت الدراسات الموريسكية
أو الموريسكولوجيا علما قائما بذاته جذب إليه العديد من المتخصصين فى الكليات والمعاهد والمؤسسات
والمراكز البحثية المختلفة . ولزيد من التفاصيل انظر : سلمى الخضراء الجيوسى (تحرير) ، الحضارة
العربية الإسلامية فى الأندلس ، ج ١ ، بيروت (١٩٩٩م) ، ص ١٣٦ ، ٣١٨ ، ومن أحدث الندوات
ندوة « الموريسكيون فى المغرب » ، (الندوة الثانية ، مدينة شفشاون ٢٢ - ٢٤ جمادى الثانية
١٤٢١هـ / ٢١ - ٢٣ شتنبر ٢٠٠٠م) ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية (٢٠٠١م) ، ص ٥٩ .
(١٨٥) يذكر حسن عبد الوهاب أنه كان له شرف هذا الاكتشاف فى ١٠ أكتوبر ١٩٣٣م . (تاريخ المساجد ،

ص ٥١ - ٥٢) ؛ Pope, Asurvey , P. 949 - 964 , Figs 328 - 334 .

(١٨٦) عن هذه العلبة وأهميتها الفنية ونقشها انظر ، محمد عبد العزيز مرزوق ، صفحات من الفن الإسلامى فى الأندلس ، التحف المصنوعة من العاج ، مجلة كلية الآداب ، المجلد ١٧ ، جـ ٢ ، ديسمبر ١٩٥٥ م ، مطبعة جامعة القاهرة (١٩٥٧م) ، ص ٩ - ١٠ ، شكل ٩ - ١٠ ؛

Levi-Provencal, E., Inscriptions Arabes d'Espagne, T. I, Paris, Leyde, (1931), No. 200 .

ولمزيد من التفاصيل عن التحف العاجية الأندلسية وأهميتها الفنية ، انظر ؛ محمد عبد العزيز مرزوق ؛ التحف المصنوعة من العاج ، ص ١ - ١٦ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تحف العاج الأندلسى فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية ، (١٩٩٥م) .

(١٨٧) لعل مما يؤكد وجود ثلاث قباب بالجامع الأزهر عند إنشائه ما أورده المقرئى بقوله « وكتب بدائر القبة التى فى الرواق الأول وهى على يمنة المحراب والمنبر ما نصه ... » وعزز ذلك ما ورد فى وقفية الخليفة الحاكم بأمر الله عن أوجه الصرف المتعلقة بعمارة الجامع الأزهر ودوام منفعتة ومن ذلك « ما قدر لمؤنة النحاس والسلاسل والتنانير والقباب التى فوق سطح الجامع أربعة وعشرون ديناراً ... » .

ابن عبد الظاهر ، الروضة البهية ، ص ١٤٧ ؛ المقرئى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(١٨٨) يشير بذلك إلى أن هذه المساجد لم تكن تشتمل فى بادئ الأمر على كل من المؤخر والمجنبتين ، واقتصر التخطيط على الصحن ومقدم الجامع فحسب .

(١٨٩) مما له دلالة فى هذا الصدد أنه لم يشر أحد من المؤرخين القدامى إلى مثل هذه الزيادة ، كما أنه لم يستدل على أى أثر لها بالمسجد ، وهو الأمر الذى دفع أحمد فكرى إلى القول بأن ما ذهب إليه كريتزل هو نوع من التخيل . فكرى ، مساجد القاهرة ، جـ ١ ، العصر الفاطمى ، ص ٥٠ .

(١٩٠) كان ذلك بالنسبة للعمائر الدينية فى النصف الأول من القرن العشرين المنصرم ، ولا سيما للمستشرقين والعلماء الأجانب ، أما العلماء العرب فقد سمح لهم بإجراء بحوثهم ودراساتهم وخير شاهد على ذلك المرحوم (ياذن الله) أحمد فكرى ودراساته عن القيروان والزيتونة أنجزت فى تلك الفترة ، أما فى النصف الثانى من القرن ٢٠م فقد تغيرت الأوضاع وتبدلت الصورة تماماً وكفى مراجعة الدراسات الأجنبية القيمة التى أنجزت فى تلك الفترة ، ومن بينها دراسات الكسندر ليزين السابق الإشارة إليها .

(١٩١) مما له دلالة فى هذا الصدد أن كريتزل لم يقم بدراسة المساجد الموحدية ، لأن ما كان يعنيه فقط هو استعراض النماذج التى ظهرت فيها القباب الثلاث - مثل الأزهر والحاكم - حتى يستطيع أن يضع يده على المصدر الأول لتلك الظاهرة ، وفيما إذا كانت قاهرة أم مغربية ؟ ولمزيد من التفاصيل عن هذه المساجد من حيث تاريخها وأهميتها المعمارية والفنية فى العمارة الإسلامية عامة وفى الغرب الإسلامى خاصة انظر ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، ص ٧٥٢ - ٧٧٢ ؛ عبد القادر الرياحى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص ٣٦٧ - ٣٦٨ ، ٣٧٠ - ٣٧٦ . محمد محمد الكحلوى ، عمائر الموحدين الدينية فى المغرب ، ص ١٣٤ - ٣٢٨ ؛ بلباس ، ليوبولد توريس ،

الفن المرباطى والموحدى ، ترجمة سيد غازى ، الإسكندرية (١٩٧٦م) ، ص ١٦ - ٢٣ ؛ لومبير ، ايلى ، تطور العمارة الإسلامية فى إسبانيا والبرتغال وشمال افريقيا ، ترجمة عطا الله جليان ، بيروت (١٩٨٥م) ، ص ١٩٩ - ٢٢٥ (الأشكال ص ١٩٣ - ١٩٦) ؛ عثمان عثمان إسماعيل ، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ، ج ٣ (عصر دولة الموحدين) ١٩٩٣م . أما الدراسات الأجنبية فكثيرة ومنها دراسات تيراس وباسيه ومارسيه وهوج ومونيه وماسلو وهيلنبراند وكاييه وغيرهم .

(١٩٢) انظر المسقط المنشور فى تيراس ، شكل ٥٠ ص ٣٠٥ ؛ أحمد فكرى ، مساجد ، ج ١ ، شكل ٢٢ ، ص ١٤٠ .

(١٩٣) مما تجدر الإشارة إليه أنه ثبت أن كتاب « الاستبصار فى عجائب الأمصار » قد اشترك فيه مؤلفان مجهولان يعتبر أولهما الواضع الأول للكتاب ، ثم قام باخراجه - مع إضافات جديدة - مؤلف ثان يعنون زيادته باسم الناظر وكان يعيش فى عام ٥٨٨هـ / ١١٩٢م . المنونى ، الجزيرة العربية فى الجغرافيا والرحلات المغربية ، ص ٣٠٨ . هذا وقد قام بنشر وتحقيق الكتاب سعد زغلول عبد الحميد ، الاسكندرية (١٩٥٨م) تحت عنوان « كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار » لكاتب مراكشى من كتاب القرن السادس الهجرى (ثم نشر ثانية فى بغداد عن دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، د . ت) ، وقد ورد هذا النص فى ص ٢٠٩ .

(١٩٤) يمكن تحديد التاريخ الصحيح لبناء الجامع الثانى اعتماداً على نص نقله المقرئ عن ابن رشيد وفيه « فبدى بينائه وتأسيس قبلته فى العشر الأول من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسة مائة وكمل منتصف شعبان من العام المذكور على أكمل الوجوه وأغرب الصنائع وأفسح المساحة وأبعد البناء والنجارة » ، كذلك يذكر السلاوى نفس التاريخ . المقرئ ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة (١٩٤٩م) ، ج ٢ ، ص ١٤٥ ؛ السلاوى ، أحمد بن خالد الناصرى ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، ج ٢ ، الدار البيضاء (١٩٥٥م) ، ص ١٢٨ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٥٧٩ . وعن المسقط الأفقى انظر المنشور فى تيراس ، شكل ٥١ ص ٣٠٨ ؛ أحمد فكرى ، مساجد ، ج ١ ، شكل ٢٠ ص ١٣٨ ؛ وهوج ، شكل والريحاوى ، شكل ٢٧٣ ص ٣٧٣ .

(١٩٥) هو جامع القصبة الكبير باشبيلية ، وصومعته (مئذنته) الشهيرة المعروفة بالخيرالدا (دوارة الرياح) . السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٧٦٧ - ٧٧٢ ؛ بحوث إسلامية فى التاريخ والحضارة والآثار ، القسم الثانى ، بيروت ، (١٩٩٢م) ، ص ٢٦١ - ٢٦٨ .

(١٩٦) ضمن تيراس المسقط الأفقى الذى نشره لهذا الجامع خمس قباب ، مثل جامع الكتبية فى مراكش ، بواقع قبة المحراب وقبة فى كل ركن عن يمين ويسار المحراب وقبتان تتوسط كل منهما المسافة بين قبة المحراب والقبة الركنية (شكل ٥٢ ص ٣١١) ، أما الدراسات التالية فلم تأخذ بهذا رأى الذى سبق أن علق عليه كريسول بقوله « وهذا بالطبع محتمل ولكنه ليس مؤكداً من الناحية العملية ... » ولذلك

فإن المساقط الأخرى المنشورة تضم فقط القباب الثلاث (وهي قبة المحراب وقبة في كل ركن عن يمين ويسار المحراب) ، انظر على سبيل المثال المسقط المنشور في كل من : هوج : شكل ١٣٨ ، مصطفى عش ، الفن المعماري شكل ١١ ؛ محمد الكحلاوي ، مقاصير الصلاة (مجلة كلية الآثار) شكل ٢٩ ، ص ٢٥٧ .

(١٩٧) انظر المسقط الأفقي للجامع المنشور في تيراس (شكل ٥٣ ، ص ٣١٤) .
(١٩٨) انظر المسقط الأفقي المنشور في أحمد فكرى ، مساجد ، ج ١ ، ص ١٣٨ شكل ١١ ؛ محمد الكحلاوي ، مقاصير الصلاة ، شكل ٢٤ ص ٢٥٢ ، وهناك من الدراسات ما يؤكد على وجود ثلاث قباب . السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٧٥٣ .
(١٩٩) لم يحسم كريسول القول مع أنه استعرض كافة النماذج المعروفة لهذه الظاهرة ، ولذلك ذكر أن نتيجة دراسته تعد سلبية ؛ بل من المحتمل ألا تكون هناك صلة بين مصر وشمال إفريقيا في هذا الجانب خاصة .

ومهما يكن من أمر فإن أقدم النماذج المعروفة لتلك الظاهرة حتى الآن جامع الأزهر وجامع الحاكم بالقاهرة الفاطمية حيث كان الشائع قبل ذلك الاقتصار على قبة المحراب فحسب (كما هو الحال في الجامع الأموي بدمشق) واستمر ذلك فيما بعد ثم ظهرت بعد ذلك قبة ثانية هي المعروفة بقبة البهو (كما هو الحال في جامع القيروان وجامع الزيتونة والأزهر نفسه عقب عمارة الخليفة الحافظ لدين الله) ، وظهرت في جامع قرطبة عقب زيادة الحكم المستنصر ٣٥٤هـ / ٩٦٥م أربع قباب ، القبة المحرمة الكبرى القائمة على مدخل البلاط الأوسط وتعرف بقبة الضوء ، وقبة المحراب والقبستان اللتان تكتنفانها شرقا وغربا - أى عن يمين ويسار المحراب مباشرة - وقد عرفت هذه القباب الثلاث المتجاورة بقباب المقصورة الحكمية . ويدل ذلك على أن فكرة وجود القباب الثلاث (وهي قبة المحراب وقبتان جانبيتان متجاورتان بواقع قبة عن يمينه ومثلها عن يساره) كانت معروفة قبل الجامع الأزهر بفترة قصيرة ؛ وهو الأمر الذي قد يوحى بأن جامع قرطبة هو مصدر الفكرة ، إلا أنها قد طبقت في الجامع الأزهر بطريقة أخرى وهي أن تبنى القبستان الجانبيتان متباعدتين قليلا عن قبة المحراب وذلك في كل من ركني الرواق الأول ، بواقع قبة بكل ركن ، وربما كان وراء ذلك اختلاف التكوين المعماري للأروقة (البلاطات) بين الأزهر وقرطبة فالأول تسير فيه الأروقة موازية لجدار القبلة ، وبالتالي فإنه يصعب إقامة ثلاث قباب متجاورة تماما كما هو الحال في جامع قرطبة ومن ثم اقتصر الأمر على إقامة قبة المحراب بالرواق الأوسط العمودي المعروف خطأ بالمجاز القاطع وإقامة قبتين في كل من ركني الرواق الأول ، بواقع قبة بكل ركن كما سبق القول ، أما الثاني (قرطبة) فتسير فيه البلاطات (الأروقة) عمودية على جدار القبلة (وهو النظام المتبع في الغرب الإسلامي مع استثناءات قليلة) وهو ما يسر إقامة هذه القباب الثلاث المتجاورة لا سيما وإنها سوف تساعد على إدخال المزيد من الضوء نتيجة لزيادة عمق مقدم

المسجد فى هذه المرحلة ، وبالتالى بعده عن الصحن أكثر من ذى قبل (وهو مصدر الضوء الرئيسى والمباشر للمساجد عامة) ولذلك أقيمت هذه القباب على أعمدة مرتفعة للغاية لتحمل طابقيين من العقود حتى تتيح للضوء أن يتسلل من متكآت الرخام بنوافذ القباب وينفذ من تشبيكاتها إلى المقصورة الحكيمة (وسوف نعود إلى مزيد من التفصيل لهذا الموضوع فى دراسة لاحقة بمشيئة الله تعالى) .

وعن هذه القباب بجامع قرطبة انظر ، السيد عبد العزيز سالم ، بحوث إسلامية ، القسم الثانى ، ص ١٧١ - ٢٠٩ ؛ بلباس ، ليوبولد توريس ، تاريخ أسبانيا الإسلامية ، المجلد الثانى ، الجزء الثانى ، الفن والعمارة حتى سقوط الخلافة القرطبية ، ترجمة على إبراهيم منوفى وآخرون ، القاهرة (٢٠٠٢م) ص ١٩٢ - ١٩٩ . وعلى ضوء ذلك يمكن القول إن جامع قرطبة عقب الزيادة الحكيمة مع أنه كان مصدر الاستلهام الأول ، إلا أن ما توصل إليه المعمار الفاطمى وتنفيذه لهذه الفكرة بطريقة جديدة فى الجامع الأزهر يعد عملاً أصيلاً غير مسبوق (فى ضوء الأدلة المعروفة والمتوافرة حتى الآن) فى العمارة الإسلامية فى المشرق والمغرب على السواء . ونضيف على ما تقدم فنذكر أن مساجد المرابطين قد اقتصرت فقط على قبة المحراب غالباً وقباب تتوزع على البلاطة الوسطى (الرواق الأوسط) أحياناً كما هو الحال فى جامع القرويين وتلمسان . وعلى ذلك فإن ظهور هذه الظاهرة فى مساجد الموحدين إنما يعد من بين التأثيرات المصرية الفاطمية على تلك المساجد وخاصة تلك التى تشتمل على القباب الثلاث (قبة المحراب وقبة فى كل من الركنين الجانبيين) مثل تحمل والقصبية فى مراكش على نحو ما ذكر جورج مارسيه (العمارة الإسلامية فى الغرب ، (بالفرنسية)، باريس (١٩٥٤م) ، ص ٣٠٢) . أما النماذج التى ظهرت فيها القباب الخمس مثل الكتبية فتعد تطوراً محلياً لتلك الظاهرة . وما له دلالة فى هذا الصدد أنه يوجد نموذج يقتصر فقط على قبة البهو وهو جامع السيدة بنت أحمد فى مدينة ذى جيلة اليمنية ٤٦٠ - ٤٦١هـ / ١٠٦٧ - ١٠٦٨م (وهذه القبة إضافة لاحقة فى تاريخ غير معلوم حتى الآن) .

عبد الله كامل ، الفاطميون ، ص ١٨١ - ١٨٣ ، شكل ٨ ، لوحة ٢٦ ؛ بربارة فنستير ، تقارير أثرية من اليمن ، ج١ ، ترجمة عبد الفتاح البركاوى ، المعهد الألمانى للآثار - صنعاء ، (١٩٨٢م) ، ص ٣٥ .

(٢٠٠) أثبتنا فى دراسة سابقة أن المسجد النبوى الشريف كان يشتمل عقب عمارة الوليد بن عبد الملك له على يد عامله على المدينة عمر بن العزيز فيما بين ٨٨ - ٩١هـ / ٧٠٦ - ٧٠٩م على الأنموذج الأول للرواق الأوسط العمودى على جدار القبلة والذى يقطع صفوف بائكات الأروقة (البلاطات) الموازية لذلك الجدار ، وهو المعروف خطأً بالمجاز القاطع ، ويليه الرواق الأوسط فى الجامع الأموى بدمشق الذى تم الفراغ منه عام ٩٦هـ / ٧١٤م (وهو أقدم أنموذج باق فى العمارة الإسلامية على الإطلاق بعد اندثار أنموذج المسجد النبوى الشريف فى أعمال التوسعة والزيادة التالية للعصر الأموى . محمد حمزة الحداد ، عمارة المسجد النبوى الشريف ، دراسة جديدة فى ضوء مشاهدات ابن عبد ربه الأندلسى ،

- بحوث تاريخية ، الإصدار الأول ، الجمعية التاريخية السعودية - الرياض ، (رمضان ١٤١٩هـ / يناير ١٩٩٩م) ، ص ٢٦ - ٣٨ .
- (٢٠١) عن هذا الجامع انظر على سبيل المثال ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٦٦٦ - ٦٧٢ ، عبد القادر الريحاوي ، العمارة ، ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .
- (٢٠٢) ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص ٦٨ .
- (٢٠٣) يتفق ما أورده ابن عبد الظاهر مع لوح رخامى عليه نقش إنشاء من ستة أسطر بالخط الكوفى المزهر نصه « مما أمر بعمله عبد الله ووليه أبو على المتصور الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين فى شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة » .
- Wiet, Répertoire, vi, P. 44, No. 2089; Sayyid, la Capital, PP. 335 - 336 .
- Purgstall, H., Inscription Cofique , Journal Asiatique, April, (1838), PP. 389 - 390 .
- محمد شاكر ، اللوحة التاريخية للجامع الأنور ، بومباي ، الهند ، (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) ، ص ١٠ - ١١ .
- (٢٠٤) أطلق عليها أحمد فكرى معاطف حيث قال « ولكل من المثنتين معطف مكعب يحيط بها على هيئة برج ضخمة فى ركن الواجهة يقوم على القاعدة الخارجية للمثنة وطول كل ضلع من أضلاعها سبعة عشر متراً تقريباً » . أحمد فكرى ، مساجد ، ج ١ ، ص ٦٨ ، وعن الدراسة الوصفية لكل من مثنتى جامع الحاكم انظر : عبد الله كامل موسى عبده ، تطور المثنة المصرية بمدينة القاهرة وحتى نهاية العصر المملوكى ، رسالة دكتوراه (قيد النشر) ، جامعة القاهرة (١٩٩٤م) ، ص ٩٨ - ١١٧ .
- (٢٠٥) ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص ٧٠ .
- (٢٠٦) ان التاريخ الصحيح هو ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م كما يتضح من النص الأصيل لابن عبد الظاهر لأن ذلك كان فى وزارة أمير الجيوش بدر الجمالى المتوفى ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م وهو ما صرح به ابن عبد الظاهر والمقريزى ، ويتفق فى ذات الوقت مع أن الفرق بينهما هو ٨٧ عاماً .
- (٢٠٧) ورد فى النص الأصيل لابن عبد الظاهر أن ما بنى فى الأيام المعزية كان سوراً حيث يقول « وبنى عليها هذا السور ... ولم يسقف » . ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص ٦٩ .
- (٢٠٨) يرجع التفكير فى إنشاء متحف للآثار العربية الإسلامية إلى المهندس سالزمان الذى اقترح على الخديوى إسماعيل ١٨٦٩م تحقيق هذه الأمنية ، فكلف فرانز باشا بأن يخصص بناءً حكومياً للمتحف التى يتم جمعها من المساجد والبيوت الأثرية ، ولكن هذا المشروع لم ينفذ إلا فى عهد الخديوى توفيق ١٨٨٠م ، إذ عهد إلى فرانز باشا أيضاً بأن يجمع فى مكان معين التحف الأثرية الإسلامية فجمعت فى الإيوان الشرقى من جامع الحاكم وعقب إنشاء لجنة حفظ الآثار العربية ١٨٨١م زادت أعداد التحف فضايق بها الإيوان الشرقى لجامع الحاكم مما اضطر وزارة الأوقاف إلى أن تبنى لها مكاناً خاصاً فى صحن الجامع ، وظلت دار الآثار العربية تابعة لوزارة الأوقاف حتى عام ١٩٣٠م حين ألحقت بوزارة المعارف . زكى محمد حسن ، دليل متحف الفن الإسلامى ، القاهرة ، (١٩٥٢م) ، ص ٥ - ٦ .

(٢٠٩) عندما تولى هرتز بك الإشراف على دار الآثار العربية وضع دليلاً صغيراً لمحتوياتها فى عام ١٨٩٥م وقد ذكر فيه أن المكان المعد فى الجامع الحاكمى غير صالح ومن الصعب تهيئته وإصلاحه فتقرر بناء مبنى جديد بباب الخلق ووضع حجر الأساس لها فى عام ١٨٩٩م وكمل البناء ١٩٠٢م وتم نقل التحف إليه فى نهاية عام ١٩٠٣م ، وبعد ذلك تغير اسم دار الآثار العربية إلى متحف الفن الإسلامى ، وهو يعد من أشهر متاحف الفن الإسلامى فى العالم كما هو معروف . زكى محمد حسن ، دليل متحف الفن الإسلامى ، ص ٦ - ١٢ ؛ وانظر أيضاً الدليل الذى وضعه محمد مصطفى المدير الأسبق للمتحف ولزید من التفاصيل انظر كتابنا : علم الآثار : ماضيه وحاضره ومستقبله (الفصل الخاص بعلم الآثار الإسلامية) ، (قيد النشر) .

(٢١٠) تعد دراسة كريسول عن جامع الحاكم وثيقة أثرية على جانب كبير من الأهمية ، نظراً لما تضمنته من دراسة وصفية وتحليلية مطولة ومتعمقة له من حيث تخطيطه العام ووحداته ومفرداته وعناصره المعمارية ونقوشه الكتابية والزخرفية ؛ فضلاً عن دراسة الأصول المعمارية والفنية لهذه وتلك وتتبع جذورها مع تلمس مظاهر التطور ؛ وهى المظاهر التى كان لها أثرها الكبير فى تبلور شخصية الطراز المصرى فى العمارة والفنون الإسلامية فى العصور اللاحقة ، وقد بلغت هذه الشخصية قمة نضجها وذروة غايتها خلال العصر المملوكى . ونضيف على ذلك فنقول إن هذه الوثيقة الأثرية المهمة سوف تظل محتفظة بقيمتها العلمية - على الرغم من الاختلاف حول بعض النتائج التى انتهى إليها كريسول من قبل العلماء والباحثين الآخرين - ولا سيما بعد ما شهده هذا الجامع من تغيير كبير فى غالبية عناصره الأثرية والفنية عقب عملية الصيانة والترميم التى جرت له - مع أنها تعد أكبر عملية صيانة وترميم له منذ إنشائه فى العصر الفاطمى - من قبل طائفة البهرة التى رصدت مبلغاً كبيراً من المال فى أواخر القرن العشرين المنصرم ؛ وهو الأمر الذى يحتاج أن تفرد له دراسة لاحقة مع غيره من العمارات الفاطمية التى تم ترميمها فى الآونة الأخيرة . وحسبنا أن نشير إلى بعض المراجع والدراسات الحديثة التى صدرت عقب دراسة كريسول ومن بينها : أحمد فكرى ، مساجد ، ج١ ، ص ٦٣ - ٨٥ ؛ كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية ، ص ٢٦ - ٢٧ ؛ سعد ماهر ، مساجد مصر ، ج١ ، ص ٢٣٥ - ٢٣٩ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة ، ص ٢٤٠ - ٢٤٣ ؛ أحمد عبد الرازق ، العمارة الإسلامية ، ص ١٦٨ - ١٧٧ ؛ أمال العمرى ، العمارة فى مصر الإسلامية ، ص ٧٥ - ٨٥ ؛ عبد الله كامل ، الفاطميون ، ص ١٧٦ - ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٣ .

Abouseif , Islamic Architecture, P. Sayyid, La Capital, PP. 334 - 346., Bloom, J. M., The Mosque of Al-Hakim in Cairo, Muqarnas , vol, I, (1983), PP. 15 - 36 .

(٢١١) اختلفت الآراء حول هذه القبة (أثر رقم ١٧٠) وإلى من تنسب ومتى بنيت ؟ ومن ذلك أنها نسبت تارة إلى الخليفة الحاكم بأمر الله وأنه بناها لنفسه ولم يدفن بها ثم عرفت فيما بعد بقبة الساعى ، وفى قول آخر أنها قبة بدر الجمالى المستنصرى وفى قول ثالث أنها قبة أحد أمراء السلطان الفورى وهو الأمير قرقماس ، وأرخها كريسول بالقرن ١٠هـ / ١٦م ، على حين أرجعها محمد مصطفى نجيب اعتماداً على براهين وأدلة معمارية مقارنة إلى القرن ٩هـ / ١٥م . ولزید من التفاصيل عن هذه الآراء المختلفة ومناقشتها انظر ، محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير كبير قرقماس وملحقاتها ، رسالة

دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٧٥م) ، ص ٤٧٤ - ٤٨٤ . ومهما يكن من أمر فقد تم فك هذه القبة من موضعها أمام مدخل جامع الحاكم وأعيد بنائها بجوار قبة جاني بك الأشرفى بقرافة صحراء المماليك .

(٢١٢) استخدم كمدرسة ابتدائية عرفت بمدرسة السلحدار الابتدائية ، ومن ثم أقيمت فيه تلك المباني الحديثة غير الملائمة لطرازه والتي أثرت بدورها على سوء حالته .

(٢١٣) لا شك أن الانتهاء من بناء المئذنتين كان قد تم قبل عام ٤٠١هـ / ١٠١٠م بفترة وجيزة ؛ وليس أدل على ذلك من أن الحاكم بأمر الله قد أمر بإضافة أركان إلى المئذنتين فى هذه السنة ، وإلا فلم يكن هناك داعٍ لذلك إذا لم تكن هذه الأعمال قد انتهت بالفعل ؟ ونضيف على ذلك فنقول إن أعمال النقش والزخرفة كانت هى الأخرى قد أوشكت على الانتهاء ويؤكد ذلك ، بما لا يدع مجالاً للشك ، بقاء نقوش المئذنة الشمالية بكاملها مختبئة ومحتجبة وراء هذا الركن المضاف ، فى حين أن نقوش المئذنة الغربية لم تنته كلها بعد ؛ ولذلك صرف النظر عن إتمام بقيتها ما دامت مستخفى وتحتجب وراء هذا الركن المضاف . أما عن الحكمة من إضافة هذه الأركان فهى ضرورة دعم المئذنتين بعد إتمام بنائهما وربما كان وراء ذلك حدوث خلل فى تلك السنة نتيجة لارتفاع المئذنتين وضخامتهما أو نتيجة لحدوث زلزال (لم يرد له ذكر فى المصادر المعروفة والمتوافرة حتى الآن) ولذلك تمت إضافة هذه الأركان وامتدت منها العقود والدعامات لتسند وتدعم وتقوى كلا من المئذنتين فى مواضع من ارتفاعهما ولا تزال هذه العقود وتلك الدعامات باقية . أحمد فكرى ، مساجد ، ج ١ ، ص ٦٨ حاشية ١ ونضيف على ذلك فنقول إنه قد غلبت الضرورة المعمارية على اللمسة الفنية والجمالية بدليل اختفاء واحتجاب نقوش المئذنة الشمالية الرائعة البديعة رغم اكتمالها واتمامها من جهة وصرف النظر عن إتمام بقية نقوش المئذنة الغربية ذات الخطة الزخرفية المغايرة من جهة أخرى .

(٢١٤) مما له دلالة أن فكرى لم يوافق على هذا رأى ، ونحن نؤيده فى ذلك ، لأنه لو صح ذلك لانتفت الحكمة من بناء هذين المطفين (الركنين) وهى ضرورة دعم المئذنتين بعد إتمام بنائهما ولو كان ذلك على حساب اللمسة الفنية والجمالية كما سبق القول . أحمد فكرى ، مساجد ، ج ١ ، ص ٧٦ حاشية ١ . وعلى ذلك فإن هذين الركنين (المطفين) بيروهما داخل حدود المسجد فى طرفى مؤخره كانا على هيئة مكعبين كاملين منذ عام ٤٠١هـ ، وهو تاريخ بنائهما وإضافتهما بأمر الحاكم بأمر الله كما سبق القول .

(٢١٥) أشار البكرى إلى أن هذا المنار يعرف بمنار خلف الفتى وهو منار عالٍ يوجد فى ركن مدينة سوسة الذى بين المغرب والقبلة . البكرى ، المسالك ، ج ٢ ، ص ٦٨٨ .

(٢١٦) يحتل موضع هذا الجامع الآن الجامع المعروف بجامع الفتح بميدان رمسيس (على رأس شارع رمسيس عند تقاطعه مع شارع الجمهورية) ، ومن الأدلة التاريخية المتوافرة عنه حتى الآن نعرف أنه كان يشتمل على قبة مدفن تقع خلف المحراب ، وقد دفن فيها الشيخ محمد بن حسن الشهير بابن عنان عقب وفاته فى ربيع الأول ٩٢٢هـ / ١٥١٦م وكان الذى بنى عليه هذه القبة هو والده الشيخ أبو الصفا . محمد حمزة الحداد ، العمائر الجنائزية فى مصر ، ص ٢٣٦ .

(٢١٧) لا تتفق هذه التسمية مع ما جاء فى المصادر التاريخية لأن الحاكم قتل فقط ستة من بنى المغربى وهم والده وأخوه وثلاثة من أهل بيته وبنى عليهم ست قباب إلا أنها عرفت بالسبع قباب ، والظاهر أنه كان إلى جانبها قبة أخرى فسميت بالسبع قباب بهذا الاعتبار وقيل إن القبة السابعة هى قبة الاطفيحي صاحب القناطر والسبيل . السخاوى ، تحفة الأحباب ، ص ١٧٠ - ١٧١ ؛ ونضيف فنقول حتى ولو كانت هناك سبع قباب على بنى المغربى كما ذكر ابن سعيد والمقرئى ، فإن هؤلاء القتلى السبعة لم يكونوا كلهم من النساء ، ولذلك فإن التسمية الصحيحة هى القباب السبع أو السبع قبب كما ذكر ابن الناسخ . ابن الناسخ ، مصباح الدياجى (مخطوطة) ، ورقة ٩٣ . ومهما يكن من أمر هذه التسمية فإنه لم يتبق سوى أربع قباب فقط فضلا عن وجود قاعدتين مربعتين لقبتين أخريتين اكتشفتها لجنة حفظ الآثار العربية فى عام ١٩٤٤م ، كما أشار كرىزول وهو ما يتفق مع قول السخاوى المشار إليه . وهذه القباب تقع اليوم فى المنطقة المعروفة بعزبة خير الله الجديدة على مقربة من مبنى خيالة الشرطة بعين الصيرة .

(٢١٨) مما له دلالة فى هذا الصدد أنه يوجد بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة شاهد قبر من الرخام (رقم السجل ٢٩٠٨) على شكل افريز مستطيل له أربعة أوجه على ثلاثة منها نقش بالخط الكوفى البارز يقرأ على الوجه العلوى « علم الله أنه لا اله إلا هو / وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الاسلام / وعلى أحد الجانبين منقوش فى رخامة دفنت معهم تاريخ المكتوب فيها شوال سنة خمس و ... » وعلى الجانب المواجه : « ... الخليفة الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ولربيبه الأمين / . وكان هذا الافريز الذى كشفت عنه حفائر المتحف الإسلامى بالقرافة الكبرى يمثل شاهداً لأربعة قبور عليها قباب تجاور مقبرة خضرة الشريفة وهى قبور بنى المغربى المعروفة بالسبع بنات . عبد الرؤوف على يوسف ، إعادة قراءة بعض النصوص على الآثار والتحف الإسلامية ، القاهرة (١٩٩٥م) ، ص ٢١٣ - ٢١٥ ، لوحة ٣ أ - ب . وعلى ذلك فمن المرجح أن تاريخ بناء هذه القباب كان فى شوال ٤٠٥هـ / ١٠١٤م لأن قتلهم كان فى عام ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م .

(٢١٩) هذا القول ليس صحيح لأن الحفائر الأثرية قد أسفرت عن اكتشاف العديد من القبور العربية فى الجزيرة العربية قبل الإسلام فضلا عن النقوش الشاهدية التى كانت تثبت عليها ، وكانت هذه القبور متنوعة الأشكال ومنها ما كان منحوتا فى الصخر وذات هيئة معمارية متميزة . كذلك كان من عادات العرب قبل الإسلام أيضاً ضرب القباب على قبور موتاهم أياما أو أشهراً قد تبلغ عاماً يقيم فيها نساء الميت أو ذوو قرابتهم ليجاوروا الميت وليستقبلوا فيه من يفد لزيارة المقبرة ، ولا شك أن اعتقادهم باحساس روح الميت بوجودهم هناك وبمجيئهم إلى القبر لمؤانستهم له هو الذى حملهم على ضرب هذه القباب وعلى مجاورتهم لتلك القبور ، ومن هذه القباب المؤقتة ظهرت الأضرحة الثابتة ذات القباب السامقة الشامخة فى العمارة الجنائزية فى العصر الإسلامى . جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٥ ، بيروت (١٩٧٠م) ، ص ٥ - ٧ ، الحداد ، سلسلة العمارة الإسلامية فى

الجزيرة العربية ، ج-٢ ، ص ١٠ - ١١ . ومن أشهر الأمثلة المكتشفة نقش مدائن صالح المؤرخ بعام ٢٦٧م وفيه أن هذا القبر صنعه - أى بناء - كعب بن جذيمة لرقوش ابنة عبد مناه فى الحجر (مدائن صالح) . سليمان الذيب ، نقوش الحجر النبطية ، الرياض (١٩٩٤م) ، ص ٢٤٩ - ٢٥٢ ، لوحة ١٧ ؛ مشلح المريخي ، نقش رقوش بالحجر (مدائن صالح) المؤرخ فى سنة ٢٦٧م « رؤية جديدة » ، ضمن مداولات اللقاء العلمى الأول لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون ، (دى ، ١٤١٩هـ / أبريل ١٩٩٩م) ، ص ٣١ - ٧١ ؛ ونضيف على ذلك فنقول أن عادة ضرب القباب فوق القبور لم تنته بظهور الإسلام بل استمرت طيلة القرن الهجرى الأول (وربما بعد ذلك) ، ويدل على ذلك ما ذكره البخارى من أنه لما مات الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب (رضى الله عنهما) (ت ٩٧هـ / ٧١٥م) ضربت امرأته القبة - وفى لفظ آخر الفسطاط - على قبره سنة ثم رفعت فسمعوا صائحاً يقول ألا هل وجدوا ما فقدوا فأجابه الآخر بل يئسوا فانقلبوا . البخارى ، صحيح البخارى ، المجلد الأول ، ج-٢ ، ص ١١١ ، الكرمانى ، شرح صحيح البخارى ، ج-٧ ، ص ١١٢ - ١١٣ ، العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ج-٣ ، ص ٢٣٨ . ومن أشهر القبور فى صدر الإسلام قبر غالب بن صعصعة - أبو الفرزدق - بكازمة (تقع حالياً فى الجزء الشمالى الغربى من جون الكويت) وهو مشهور فى كتب الأدب كما كان له صيت ذائع عند الناس آنذاك إذ أنه كان ملجأ الخائفين ومستجار المستجيرين وكان يقال فيه « ما أجار قبر فى جاهلية ولا إسلام كقبر غالب » ، فقد كان من شدة محبة الفرزدق لآبيه وإخلاصه له أنه كان يقضى حاجة كل محتاج يلجأ إلى قبر أبيه . يعقوب يوسف الغنيم ، كازمة فى الأدب والتاريخ ، الكويت (١٩٩٥م) ، ص ٢٧ ، ١١٣ - ١١٧ . ولعل ما ذكرناه من استمرار ظاهرة ضرب القباب التى كانت معروفة عند العرب قبل الإسلام حتى أواخر القرن الأول الهجرى ما يؤكد أنها كانت هى الأصل الذى مهد لظهور الأضرحة الثابتة ذات القباب السامقة عند العرب بعد ظهور الإسلام (وإن كان ذلك لا يعنى عدم معرفة القباب المدافن لدى الشعوب المجاورة للعرب وفى الحضارات السابقة على ظهور الإسلام بقرون عديدة كما هو معروف وثابت) .

(٢٢٠) عن آراء الفقهاء فيما يخص البناء على المدافن أو القبور وهل هو جائز أو محرم أو مكروه ؟ اعتماداً على ما ورد فى كتب السنة النبوية الشريفة . انظر ، محمد حمزة الحداد ، القباب ، ص ٤١ - ٣٦ . (٢٢١) والواقع أن ذلك كان لا يرجع إلى كراهية الإسلام للبناء فوق القبر وإنما بسبب خشية العباسيين من أن يفعل بقبورهم مثل ما فعلوه فى قبور الأمويين من هدم ونش بل ودفن عظامهم فى مواضع غير معروفة ، وهذا هو السبب المباشر الذى دفع العباسيين إلى محاولة إخفاء قبورهم وتضليل الناس عن مواضعها الحقيقية على نحو ما فعل أبو جعفر المنصور . محمد حمزة الحداد ، القباب ، ص ٣٦ - ٣٧ .

(٢٢٢) لا يمكن قبول هذا رأى فالأدلة المستمدة من المصادر التاريخية فضلاً عن الأدلة الأثرية تنفى ذلك من أساسه إذ عرفت إقامة القباب المدافن فى الثلث الأخير من القرن ٢هـ / ٨م وربما قبل ذلك ، ومن ذلك أنه لما توفيت أم الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك بنيت على قبرها قبة بأمر الرشيد

عرفت بالقبة البرمكية وقد شاهد بقايا هذه القبة موسيل فى عام ١٩١٢م ، كذلك أقام المأمون قبة على قبر كل من الرشيد وعلى بن موسى الرضا فى قرية سنا باز من قرى طوس على ميل منها . القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٣٩٢ ؛ الشابشتى ، الديارات ، ص ٢٢٩ ، عادل نجم عبو ، التربة فى العمارة الأيوبية فى سوريا ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ ؛ ولدنا فى مصر قبة مدفن الليث بن سعد (ت ١٧٥هـ / ٧٩١م) الذى دفن فى مقابر الصدفين وكان عددها أربعمئة قبة والليث أوسطها (وقد جرت على هذه القبة الكثير من مراحل التغيير والتجديد ، وعموما القبة الحالية تؤرخ بعام ١١٣٨هـ / المقرئى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٧٣ ؛ السخاوى ، تحفة الأحياب ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٢٢٣) المقابر الكانونية Canopy Tombs أطلق على هذا الطراز المعماري للمقابر عدة مصطلحات منها المقبرة ذات السقيفة المفتوحة Open Canopy Tomb أو المقبرة ذات السرادق أو المظلة Baldaquin أو التربة المفتوحة Open Turbe وغير ذلك . وعن نشأة هذا الطراز وتطوره فى العمارة الإسلامية وبخاصة فى العصر العثماني . انظر ، محمد حمزة الحداد ، العناصر الجنائزية ، ص ٢٤٦ - ٢٥٣ . وكل ما يمكن قوله هنا أن هذا الطراز لا علاقة له بطراز القباب المدافن الإسلامية المبكرة المشار إليها (وهى الصليبية وإسماعيل الساماني والقباب السبع) وبين أنماط هذا الطراز من المقابر المعروفة سواء من عصر ما قبل الإسلام (فى دانا وسرمدة وروحا والبارة وحاس والجليل الأعلى وجبل سمعان وميلاس) أو من العصر الإسلامى (فى سوريا ومصر وتركيا) لأن هذه النماذج الإسلامية المبكرة الباقية إنما صممت وفق طراز آخر هو المعروف بطراز المقبرة ذات الجوانب الأربعة المفتوحة وهو طراز يختلف جملة وتفصيلا عن طراز المقابر ذات السقيفة أو المقابر الكانونية . ويكفى مجرد النظر إلى اللوحات المنشورة لنماذج كل من هذين الطرازين للتأكد من ذلك (لوحة ٣٤ أ ، ب ، ج ، هـ ، و ، شكل ٤٩ - ٥٠ من هذا المجلد الذى بين أيدينا) والحداد ، لوحات ٣٥ - ٤٤ ، أشكال ١٩ - ٣١ ؛ ونضيف على ذلك فنقول إنه قد سبق للعالم هوتكير أن ربط بين هذا الطراز الكانوني وبين القباب ذات الجوانب الأربعة المفتوحة مثل القباب السبع وقبة تنكز بغا (بمنشئة ناصر شرق القاهرة) ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م فذكر أن هذا الطراز ما هو إلا تبسيط لهذه القباب ذات الجوانب الأربعة ثم لم يلبث أن تطور بعد ذلك فاستبدلت دعائم الأركان بأعمدة والسقف الهرمى بقبة صغيرة .

Hauteocour et wiet, les Mosquées du Caire, I, le Caire, (1932) PP. 345 - 346 .

(٢٢٤) تقع قبة الأمير تنكزيغا فى إيوان قبله تربته (تجاه المحراب) وهى من النماذج الفريدة التى لم تتكرر بعد؛ حيث أن الشائع أن القبة تقع على جانب واحد من الإيوان أو مقدم المسجد أو تشغل جانبي الإيوان أو مقدم المسجد أو تقع خلف المحراب وتبرز عنه أو غير ذلك ؛ أما الموضع الذى نشاهده فى قبة تنكزيغا فغير مسبوق فى ضوء ما هو معروف فى العمارة الإسلامية فى مصر حتى الآن .

(٢٢٥) هو قبة الأمير يشبك أخو السلطان الأشرف برسباى (بحوش تربة السلطان برسباى بقرافة صحراء الماليك شرف القاهرة) ويرجع تاريخها إلى ما قبل عام ٨٣٣هـ / ١٤٣٠م ؛ وما له دلالة أن ضريح

السلطان برسباي ليس ضريحاً فحسب وإنما هو عبارة عن مجمع معماري ضخم يشمل تربة (خانقاه) ومدرسة وحوش وقباب للدفن فضلاً عن قبة السلطان . انظر : محمد حمزة الحداد ، قراقة القاهرة في عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير (قيد النشر) ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة (٢٠٠٤م) .

(٢٢٦) يمكن القول بأن محاولة الربط بين طراز المقابر الكانوية أو ذات السقيفة وبين الأحاديث النبوية الشريفة من جهة والرغبة في إقامة أضرحة تذكارية من جهة ثانية إذا كانت تصدق على نماذج هذا الطراز فإنها لا تصدق على نماذج القباب ذات الجوانب الأربعة المفتوحة - كالصليبية وإسماعيل الساماني والسبع بنات - لأنه قد ثبت عدم وجود علاقة بين كلا الطرازين لاختلافهما جملة وتفصيلاً عن بعضهما سواء في التخطيط العام أو في المفردات ، ومن جهة أخرى فإن نماذج المقابر الكانوية أو ذات السقيفة الباقية في العمارة الإسلامية عامة يرجع أقدمها إلى القرن ٥هـ / ١١م أى أنها تالية لأقدم النماذج الباقية من القباب ذات الجوانب الأربعة المفتوحة والمتمثلة في قبة الصليبية ٢٤٨هـ / ٨٦٢م . ونضيف على ذلك فنقول إنه إذا كانت قبة الصليبية تمثل حلقة الوصل بين الأضرحة الهيلنستية والعالم الإسلامي كما يذكر كريزول ، إلا أنها مع ذلك لا تنتمي إلى طراز المقابر الكانوية أو ذات السقيفة لا من قريب ولا من بعيد ، وهو الطراز الذي يعتبره كريزول أصلاً لها ولغيرها من نماذج القباب ذات الجوانب الأربعة المفتوحة كما سبق القول .

(٢٢٧) يرى أحمد فكرى أن هذا المسجد هو أقدم الأضرحة الفاطمية الباقية تاريخياً ولكن دون أن يحدد دليلاً واحداً يؤكد ذلك . مساجد القاهرة ، جـ ١ ، ص ٣٠ .

(٢٢٨) من الملفت للنظر والمثير للانتباه في نفس الوقت وجود ثلاث حجرات (أو قاعات) متطابقة - أى يلي بعضها بعضاً - ومتشابهة وبكل حجرة منها محراب ، ويعلق فكرى على هذه الظاهرة فيقول إنها « لم تتبع في بناء المساجد من قبل أو من بعد » ، جـ ١ ، ص ٣٠ - ٣١ ؛

(٢٢٩) أثر رقم ٤٧٧ ، أما عن أبي الخير الكليباتي فقد كان شيخاً ذا خوارق ومعارف ، وكان فريداً في سمته وحيداً على الحقيقة في وقته وكانت الكلاب لا تفارقه تتبعه حيث سار ومن هنا جاءت تسميته وشهرته بالكليباتي ، وكانت وفاته في عام ٩١٢هـ / ١٥٠٦م ، ودفن بزاويته المعروفة بقرب جامع الحاكم . على باشا مبارك ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٨٣ ؛ عبد الرؤوف المناوي ، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية أو طبقات المناوي الكبرى ، جـ ٤ ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، القاهرة (١٩٩٤م) ، ص ٢٧ - ٢٩ ، ترجمة رقم ٧٨٣ .

(٢٣٠) وصف فكرى هذه العقود بأنها مديبة شبه منفرجة على هيئة العقود الفاطمية . جـ ١ ، ص ٣١ .

(٢٣١) يتضح من خلال ما أورده ابن عبد الظاهر والمقرئى أنه كان يشغل موضع هذه الزيادة في أوائل العصر الأيوبي اسطبلات - وقيل إنها قد جعلت في فترة سابقة أهراء للغلال - ثم ثبت في عهد الصالح نجم الدين أيوب ووزيره معين الدين حسن بن شيخ الشيخ أنها من « الجامع وأن بها محراباً فانتزعت وأخرج الخيل منها وبنى عليها هذا السور في الأيام المعزية على يد الركن الصيرفي ولم يسقف » . ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص ٦٩ ؛ المقرئى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٧٨ . (ويلاحظ هنا أن المقرئى مع أنه نقل نص ابن عبد الظاهر إلا أنه لم يشير إلى السور واكتفى بقوله إنه بنى فيها ما هو الآن ... ولم يسقف » .

- (٢٣٢) استفرقت رحلة ناصر خسرو في مصر الفترة الواقعة فيما بين ١٧ صفر ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م الى أواخر جمادى الآخرة ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م كما سبق القول . (انظر حاشية رقم ١٢٧ من التعليقات) .
- (٢٣٣) ورد الوصف في ترجمة الخشاب كما يلي « وقدرت أن في القاهرة ما لا يقل عن عشرين ألف دكان كلها ملك السلطان ، وكثير منها يؤجر بعشرة دنانير مغربية في الشهر ، وليس بينها ما ثقل أجرته عن دينارين ، والأربطة والحمامات والأبنية الأخرى كثيرة لا يحدها الحصر وكلها ملك السلطان ... ويقع قصر السلطان في وسط القاهرة وهو طلق من جميع الجهات ولا يتصل به أى بناء ... ويحرسه كل ليلة ألف رجل ... ويبدو هذا القصر من خارج المدينة كأنه جبل لكثرة ما فيه من الأبنية المرتفعة وهو لا يرى من داخل المدينة لارتفاع أسواره ... وجدران القصر من الحجر المنحوت بدقة تقول أنها قدت من صخر واحد » . ناصر خسرو علوى ، سفر نامه ، ترجمة الخشاب ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .
- (٢٣٤) ورد هذا النص في ترجمة الخشاب كما يلي « وللقاهرة خمسة أبواب : باب النصر وباب الفتوح وباب القنطرة وباب زويلة وباب الخليج ، وليس للمدينة قلعة ولكن أبنيتها أقوى وأكثر ارتفاعا من القلعة وكل قصر حصن ومعظم العمارات تتألف من خمس أو ست طبقات » ص ١٠٦ .
- (٢٣٥) ورد هذا النص في ترجمة الخشاب كما يلي « وكانت البيوت من النظافة والبهاء بحيث تقول إنها بنيت من الجواهر الثمينة لا من الجص والآجر والحجارة » ص ١٠٦ .
- (٢٣٦) ورد هذا النص في ترجمة الخشاب كما يلي « وبين مدينتي مصر والقاهرة أقل من ميل ... ويمر النيل بهما وبساتينهما وبيوتهما متصلة وتغمر المياه الرادى بأجمعة في الصيف كأنه بحر عدا حديقة السلطان لأنها على مرتفع » ص ١٠٨ .
- (٢٣٧) ورد هذا النص في ترجمة الخشاب كما يلي « ومدينة مصر مشيدة على ربوة خشية فيضان الماء عليها ... وتبدو مصر كأنها جبل حين ينظر إليها من بعيد ... وبمصر بيوت مكونة من أربع عشرة طبقة وبيوت من سبع طبقات ... وسمعت من تاجر ثقة أن بمصر دوراً كثيرة فيها حجرات الاستغلال أى للإيجار ، ومساحتها ثلاثون ذراعاً في ثلاثين وتسع ثلاثمائة وخمسين شخصاً ، وهناك أسواق وشوارع تضاء فيها القناديل دائماً لأن الضوء لا يصل إلى أرضها ويسير فيها الناس » ص ١١٦ - ١١٧ .
- (٢٣٨) ورد هذا النص في ترجمة الخشاب كما يلي « ومدينة مصر ممتدة على شاطئ النيل الذى عليه القصور والمناظر الكثيرة بحيث إذا إحتاجوا إلى الماء رفعوه بالحبال من النيل ... وثبت بين الجزيرة (الروضة) والمدينة (الفسطاط) جسر من ست وثلاثين سفينة ... ويركب أهل السوق وأصحاب الدكاكين الحمر المسرجة في ذهابهم وإيابهم من البيوت إلى السوق ، وفي كل حى على رأس الشوارع ، حمر كثيرة عليها برادع مزينة يركبها من يريد نظير أجر زهيد ، وقيل إنه يوجد خمسون ألف بهيمة مسرجة تزين كل يوم وتكرى ولا يركب الخيل إلا الجند والعسكر » ص ١١٩ - ١٢١ .
- (٢٣٩) ورد هذا النص في ترجمة الخشاب كما يلي « وكان أهل مدينة مصر (الفسطاط) فى غنى عظيم حين كنت هناك ، وفى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة (١٠٤٧م) ولد للسلطان ولد فأمر الناس بإقامة الأفراح فزينت المدينة والأسواق زينة لو وصفتها لما اعتقد بعض الناس صحة ما أقول ، ولما صدقنى ، فقد كانت دكاكين البزازين والصرافين وغيرهم مملوءة بالذهب والجواهر والنقد والأمتعة المختلفة

والملايس المذهبة والمقصبة بحيث لا يوجد فيها متسع لمن يريد أن يجلس . ص ١٢١ .
(٢٤٠) ورد هذا النص في ترجمة الخشاب كما يلي « وقد رأيت هناك نصرانيا من سراة مصر قيل إن مراكبه وأمواله وأملاكه لا يمكن أن تعد ، وحدث في سنة ما أن كان النيل ناقصا وكانت الغلة عزيزة ، فأرسل الوزير إلى هذا النصراني وقال « ليست السنة رخاء والسلطان مشفق على الرعية فاعط ما استطعت من الغلة اما نقداً واما قرضاً ، قال النصراني : أسعد الله السلطان والوزير أن لدى من الغلة ما يمكنني من اطعام أهل مصر الخبز ست سنوات . ص ١٢١ .

(٢٤١) ورد وصف موكب الخليفة يوم فتح الخليج في ترجمة الخشاب كما يلي « ... كان حليق شعر الرأس يركب على بغل ليس في سرجه أو لجامه حلية فليس عليه ذهب أو فضة ، وقد ارتدى قميصاً أبيض عليه فوطة فضفاضة ... وكان على رأسه عمامة من لونه ... وأمامه ثلثمائة راجل ديلمى عليهم ثياب رومية مذهب وقد حزموا خصورهم وأكمامهم واسعة كما يلبس رجال مصر ... ويسير مع السلطان حامل المظلة راكباً حصانه وعلى رأسه عمامة مذهب مرصعة وعليه حلة ... والمظلة التي بيده ثمينة جداً وهي مرصعة مكللة ... وعلى يمينه ويساره جماعة من الخدم يحملون المجامر ويحرقون العنبر والعود ... والعادة في مصر أن يسجد الرجال للسلطان وأن يدعوا له كلما قرب منهم ، وجاء بعد السلطان الوزير مع قاضى القضاة وفوج كبير من أهل العلم وأركان الدولة ... وكذلك وجد في يوم فتح الخليج ، طبقات أخرى من الرجال من ذوى الفضل والأدباء والشعراء والفقهاء ... وهناك فرقة من أبناء الملوك والأمراء الذين جاءوا لمصر من أطراف العالم ... ص ١٠٨ - ١١٢ . وانظر أيضاً للمقارنة بين مضمون الترجمة بين الخشاب والبدلى مع نص كريتزل من طبعة شيفر . ناصر خسرو ، سفرنامه ، ترجمة وتقديم أحمد خالد البدلى ، ص ٩٤ - ١١١ .

(٢٤٢) لمزيد من التفاصيل عن عواصم مصر الإسلامية قبل القاهرة (وهي الفسطاط والعسكر والقطائع) والمحاولات التي قام بها العلماء والباحثون لحياء معالمها اعتماداً على ما ورد في المصادر التاريخية من جهة وعلى البقايا الأثرية من جهة أخرى ، وكان للغرب فضل السبق في مثل هذا النوع من الدراسات الرائدة ومنها :

Salmon, G., Etudes sur la Topographie du Caire, La kalat - Kabch et Birkat al-Fil, Mifao, VII, le Caire, (1902); Casanova, P., Essai de reconstitution Topographique de la ville d'al - Faus-tat ou Misc, Mi Fao, XXXV, Le Caire , (1913 - 1919)..

وقد شارك في هذه الدراسات فيما بعد العرب عامة والمصريين خاصة وحسبنا أن نشير أولاً إلى تلك التحقيقات الرائدة التي قام بها المرحوم (ياذن الله) محمد رمزي لكتاب النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى والتي تستحق أن يفرد لها مجلداً قائماً بذاته نظراً لقيمتها التاريخية والطوبوغرافية والأثرية والتي قل أن نجد ما يماثلها في كل ما صدر من المصادر المحققة حتى الآن . أما الدراسات التالية فحسبنا أن نشير إلى بعضها ومنها : عبد الرحمن زكى ، الفسطاط وضاحتها العسكر والقطائع ، المكتبة الثقافية ، العدد ، القاهرة ١٩٩٠ ؛ عبد الله خورشيد البرى ، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، القاهرة (١٩٦٤م) ط ٢ (١٩٩٢م) ؛ فريد شافعى ، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، المجلد الأول (عصر الولاة) ، القاهرة (١٩٧٠م) ، ص ٣٣٧ - ٣٦٠ ؛ محمود حامد الحسينى ، التطور

العمرائى لعواصم مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٨٧م) ؛ صالح أحمد العلى ، أهل القسطنطين ، دراسة فى تركيبهم القبلى ومراكز إداراتهم ، سلسلة تاريخ العرب والإسلام ، بيروت ٢٠٠٠م ، عبد الجبار ناجى ، دراسات فى تاريخ المدن العربية الإسلامية ، بيروت (٢٠٠١م) ، ص ٢٠٧ - ٢٣٦ ؛ ولا تفوتنا الإشارة إلى الجهود المتميز للدكتور أيمن فؤاد سيد تأليفاً وتحقيقاً وترجمة وما يصاحب هذا وذاك من تحقيقات وتعليقات تاريخية وطوبوغرافية وأثرية مهمة ، وحسبنا أن نشير هنا إلى رسالته للدكتورة عن تطور العاصمة المصرية (القاهرة والقسطنطين) حتى العصر الفاطمى (وهى بالفرنسية) وقد نشرت فى بيروت فى عام (١٩٩٨م) وله كتاب عن « التطور العمرانى لمدينة القاهرة منذ إنشائها وحتى الآن » ، القاهرة (١٩٩٨م) ، وكذلك تعليقاته عن كتاب وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل لجومار والمقدمة التى مهد بها لموضوع الكتاب ، القاهرة (١٩٨٨م) .

(٢٤٣) لمزيد من التفاصيل عن الشدة العظمى أو الشدة المستنصرية ونتائجها انظر ، أحمد الصاوى ، مجاعات مصر الفاطمية (أسباب ونتائج) ، بيروت (١٩٨٨م) ؛ أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ٢٠٤ - ٢٠٧ ؛ راشد البراوى ، حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، القاهرة (١٩٤٨م) ، ص ٨٨ - ٩٩ ؛ محمد عبد الله عنان ، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، القاهرة ، ط ٢ (١٩٩٨م) ، ص ١٥٠ - ١٥٧ .

(٢٤٤) قوارير النفط : تعرف أيضاً بـ « نيم النفط » وكانت تحتوى على مادة حارقة أساسها النفط فإذا أُلقيت على هدف من الأهداف أشعلت النار فيه ، وهذا النوع من الأسلحة وجد عند البيزنطيين من قبل وأطلقوا عليه اسم النار الأغريقية . سعيد عاشور ، وآخرون ، دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، الكويت ط ٢ (١٩٨٦م) ، ص ١٨١ ، ٣٥٠ ؛ هذا ولا تزال توجد نماذج من هذه القوارير محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة وغيره . انظر ، عبد الرؤوف على يوسف ، دراسة فى الفخار المصرى (١) قوارير النفط ، دراسات أثرية إسلامية ، المجلد الأول ١٩٧٨م ، هيئة الآثار المصرية ، القاهرة (١٩٨٢م) ، ص ١ - ١٧ ، أشكال ١ - ٥٥ .

(٢٤٥) عن هذا الحريق والمحاولات التى تمت لاقناع أهل القسطنطين بالعودة إلى ديارهم وإعادة بناء مدينتهم . انظر ،

Kubiak, w., the Burning of Misr al-Fustat in 1168, Reconsideration of Historical Evidence, A Frican Bulletin, XXv, (1976), PP. 51 - 64., Sayyid, La Capital, PP. 666 - 676 .

(٢٤٦) لمزيد من التفاصيل عن سور صلاح الدين حول القاهرة ومصر انظر ، أسامة طلعت عبد النعيم ، أسوار صلاح الدين وأثرها فى امتداد القاهرة حتى عصر المماليك ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة ، (١٩٩٢م) .

(٢٤٧) ترجم هذا الكتاب المهم إلى العربية كل من على بهجت ومحمود عكوش ، دار الآثار العربية ، القاهرة (١٩٢٨م) ، وهو من تأليف على بهجت والبير جابريل وصدر أولاً باللغة الفرنسية فى باريس (١٩٢١م) ، وهو المصدر الوحيد عن « حفريات القسطنطين » وهى باكورة الحفائر الأثرية الإسلامية فى

مصر عامة ، ومدينة الفسطاط خاصة وجرت فيما بين عامى ١٩١٢ - ١٩٢٠ م ؛ ثم توالى بعدها الحفائر على يدى الهوارى ومحرز وعبد التواب وغيرهم من المصريين ثم حفائر البعثة الأمريكية والبعثة الفرنسية .

(٢٤٨) تجدر الإشارة إلى أنه أطلق على الدور المكتشفة فى أجزاء متفرقة من منطقة الحفائر أرقاماً مسلسلّة من الدار الأولى إلى الدار الثامنة ، مع أن بعضها منها يحتوى على بيت واحد أو أكثر وهو إما قائم بذاته أو متصل بغيره بواسطة ممرات داخلية ودهاليز ، والبعض الآخر يشتمل على بيتين فأكثر متصلين ببعضهما من داخل الدار وبعضها له مدخل مشترك واحد أو مدخل خاص بها بالإضافة إلى المدخل المشترك .

فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، ص ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، شكل ٢٠٤ .
(٢٤٩) لمزيد من التفاصيل عن هذه القباب الجنائزية السلجوقية انظر ، أصلان آبا ، فنون الترك وعمائرهم ، ص ٣٨ - ٤٥ ؛ الحداد ، القباب ، ص ١٢٩ .

(٢٥٠) لمزيد من التفاصيل عن تاريخ دور الفسطاط وتخطيطها وتوزيع الوحدات الرئيسية والثانوية ومنافعها وملحقاتها المختلفة وتعدد طوابقها من عدمه وزخارفها فضلاً عن أصولها المعمارية والفنية وأهميتها فى تطور عمارة المنشآت السكنية فى مصر الإسلامية فيما بعد . انظر ، فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، ص ٤٢٧ - ٤٦١ ؛ عباس حلمى ، تطور المسكن المصرى الإسلامى من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة ، (١٩٦٨) ؛ أحمد عبد الرازق ، بيوت الفسطاط الأثرية ، المتحف العربى ، السنة الرابعة ، العدد الأول ، الكويت (١٩٨٨) ؛

El-Hawwary, H. M., Une Maison de L'epoque toulonide, B. I. E., XV, Fasc. I., le Caire, (1932-1933), PP. 79-87., Kubiak, W, Al-Fustat, its foundation and Early Urban Development, Cairo, A. U. C., (1987)., Sayyid., La Capital, PP. Lézine, Persistance de Traditions Pré-islamiques dans L'Architecture Domestique de L'Egypte Musulmane, Annales islamologiques, T. xi, le Caire, (1972), PP. 1 - 22 .

(٢٥١) لمزيد من التفاصيل عن هذه الألواح الخشبية وأهميتها الفنية انظر ، زكى محمد حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٠٩ - ٢١٤ ؛ فريد شافعى ، مميزات الأخشاب المزخرفة ، ص ٧١ - ٧٥ ؛ أحمد عبد الرازق ، الفنون الإسلامية ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٢٥٢) عن ثورة البساسيرى ونجاحه فى دخول بغداد وإقامة الخطبة للخليفة الفاطمى المستنصر وضرب السكة باسمه فى شهر رمضان ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م . انظر ، محمد حمزة الحداد ، العلاقة بين الآثار والتاريخ ، دراسة حول تكامل المنهج العلمى وأهميته فى تحقيق الأحداث التاريخية الإسلامية [٢] ، مجلة الدرعية ، السنة ٣ ، العدد ١٠ ، ربيع الاخر ١٤٢١هـ / يوليو ٢٠٠٠م ، ص ٢٦٧ - ٢٧١ ؛ النقوش الأثرية ، المجلد الأول ، القاهرة (٢٠٠٢م) ، ص ١٩٩ - ٢٠٢ .

(٢٥٣) لمزيد من التفاصيل عن موضع مجموعة قلاوون منذ العصر الفاطمى (قاعة ست الملك) وما تلاه انظر كتابنا ، السلطان المنصور قلاوون ، القاهرة (١٩٩٣م) ، ص ١٠٩ - ١١٧ ، ١٢٢ .

(٢٥٤) هذه المجموعة محفوظة بمتحف قصر بارجلو بمدينة فلورنسا الإيطالية وهى عبارة عن سبع حشوات ينسبها البعض إلى مصر فى حين ينسبها البعض الآخر إلى صقلية ومن هذا الفريق الأخير زكى محمد

- حسن ويرجعها إلى القرن ٧هـ / ١٣م ؛ زكى محمد حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٢٦ .
- (٢٥٥) كان يشغل هذا الموضع القرافة الكبرى ، ولدينا عدد من المؤرخين يحق أن نطلق عليهم اسم مؤرخو القرافة ومن بينهم ابن عثمان وابن الناسخ وابن الزيات والسخاوى وغيرهم . وعن نشأة القرافة الكبرى وتطورها العمرانى وإردها وما كانت تحتوى عليه من أبنية متنوعة الوظائف دينية كانت أم مدنية انظر رسالتنا للماجستير الموسومة بـ « قرافة القاهرة من الفتح العربى إلى عصر سلاطين المماليك » ، قيد النشر ، المجلد الأول ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية (٢٠٠٤م) .
- (٢٥٦) اندثرت مقبرة القاضى بكار وأصبحت أثراً بعد عين ، ولكن موضعها لا يزال معروفاً بعين الصيرة تجاه مشهد آل طباطبا . انظر ، الحاشية رقم ٧٤ من التعليقات .
- (٢٥٧) مما له دلالة أن الحفائر الفرنسية التى أجريت خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين المنصرم فى جزء من القرافة الكبرى (منطقة اصطبل عنتر حالياً) قد أسفرت عن اكتشاف العديد من البقايا المعمارية والتحف الفنية . انظر ، مجلة حوليات إسلامية ، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، الأعداد : ٢٢ (١٩٨٦م) ص ١ - ٢٦ ، ٢٣ (١٩٨٧م) ، ص ٥٥ - ٧١ ، ٢٧ (١٩٩٣م) ، ص ٢٥٥ - ٢٣٢ ، ٢٨ (١٩٩٤م) ، ص ١ - ١٣ ، وعن قطع الاوستراكا المكتشفة ، المجلد ٢٢ (١٩٨٦م) ، ص ٢٧ - ٣٣ ، لوحات ١٣ - ١٥ أ .
- (٢٥٨) لم يتبق من مقابر أسوان الآن سوى المقابر من ١ إلى ٣٢ بالجبانة الجنوبية ومن ٤٦ إلى ٥٥ بالجبانة الجنوبية الشمالية ، وقد أزيلت المقابر من ٣٣ إلى ٤٥ . انظر ، محمد ناصر عفيفى ، القباب الجنائزية الباقية بصعيد مصر فى العصر الإسلامى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) .
- (٢٥٩) والحق انها كارثة أثرية ولا ينطبق عليها سوى هذا الوصف لأنه كان من نتيجة ذلك انعدام الصلة بين النقوش الشاهدية من جهة والمقابر والقباب التى نزعَتْ منها من جهة ثانية ؛ وبالتالى انعدام الدليل المادى القوى الوحيد لتأريخ هذه المقابر وتلك القباب تأريخاً صحيحاً مضبوطاً بدلاً من ذلك الأسلوب الذى اتبع فى تأريخها من قبل مونيريه وكريزول وشافعى والذى يعتمد على الدراسة التحليلية والمقارنة للتخطيط المعماري وعناصره ومفرداته المختلفة .
- (٢٦٠) قام بدراسة مقابر وقباب أسوان ثلاثة من العلماء على التوالى وهم مونيريه دى فيليار (١٩٣٠م) وكريزول (١٩٥٢م) ، وفريد شافعى (١٩٧٠م) ، وقد اعتمدت دراسات هؤلاء العلماء الثلاثة على التحليل المعماري والدراسات المقارنة من حيث تخطيط النماذج المختلفة لهذه المقابر وتلك القباب وتكوين الكتل الرئيسية فيها وعناصرها وتفصيلها . وقد أرخ مونيريه ٥٥ مقبرة وقبة بالفترة فيما بين القرنين ٥ - ٧هـ / ١١ - ١٣م ، وقام بتقسيم هذه المقابر والقباب إلى ثلاثة أنواع ورتبها حسب تسلسلها التاريخى فى مراحل التطور كما ارتأه وأول نوع منها وأقدمها فى رأيه هو المستطيل المكشوف أو المغطى بقبو ، وثانيها المستطيل الذى يتوسطه مربع مغطى بقبة وثالثها المربع المغطى بقبة ؛ ولم يقف الأمر عند ذلك الحد بل قام بتقسيم كل نوع منها إلى ثلاثة نماذج ، وذلك النحو التالى :

النوع الأول : وهو المستطيل المكشوف أو المغطى بقبو ، وهو ينقسم إلى ثلاثة نماذج كما يلي :

١ أ - نموذج غير مسقوف وهو على هيئة مستطيل صغير من أربعة جدران ، بغير باب وتحيط بقبور أو أكثر بداخلها ، ويحتوى هذا النموذج فى بعض المقابر على المحاريب وأكتاف الأركان والطاقت الصغيرة النافذة والحشوات الغائرة المخصصة لتثبيت النقوش الشاهدية .

١ ب - نموذج مغطى بقبو طولى سد طرفه الجنوبي بجدار تركت فيه حشوة غائرة لتثبيت النقش الشاهدى وترك فى طرفه الشمالى فتحة لإدخال الجثة ثم تقفل بعدها وغير ذلك .

١ ج - نموذج مستطيل مكشوف أو مغطى بقبو ولكن زخرفت جدرانه بحشوات غائرة عريضة وضيقة بالتبادل .

النوع الثانى : وهو المستطيل الذى يتوسطه مربع مغطى بقبة ثم غطى كل من الجزئين الباقيين على جانبيه المربع بقبو برمبلى (اسطوانى) وهو ينقسم إلى ثلاثة نماذج كما يلي :

- ٢ أ - مفتوح من جوانبه الأربعة .
- ٢ ب - سد جانب واحد من جوانبه الأربعة ، ووضع فى بعض أمثلته محراب .
- ٢ ج - باب واحد تجاه المحراب مع إضافة فناء أمامى مكشوف يتقدم المدخل .
- النوع الثالث : وهو المربع المغطى بقبة ، وينقسم هو الآخر إلى ثلاثة نماذج كما يلي :
- ٣ أ - مفتوح من جوانبه الأربعة .
- ٣ ب - سد جانب واحد من جوانبه الأربعة ، ووضع فى بعض أمثلته محراب .
- ٣ ج - سد فيه جانبان ، ووضع فى الجانب القبلى المحراب وتجاهاه الباب فى الجانب المقابل .

Divilliard, M., La Necropoli Musulmana di Aswon, (1930) .

أما كريزول فقد اعتمد على دراسة مونييريه بصفة رئيسية ، إلا أنه خالفه فى تأريخها من جهة وفى ترتيبه التاريخى لتطوير الأنواع الثلاثة من جهة أخرى ، فمن حيث التاريخ فإن كريزول ضيق فترة التاريخ إلى قرن واحد وهو القرن ٥هـ / ١١م أما من حيث الترتيب التاريخى فقد خالف كريزول مونييريه فى ترتيب النوعين الثانى والثالث فقط فأحل كل منهما محل الآخر .

Creswell, The Muslim Architecture of Egypt, vol, I, PP. 131 - 145 .

وقام فريد شافعى بدراسة هذه المقابر على اعتبار أن المجال لا يزال مفتوحا لإضافة وجهات نظر أخرى ، وانتهى من دراسته إلى أن هناك نقاط ضعف فى محاولات تأريخ هذه الأنواع ثم فى ترتيبها فى خطوات التطور حسب التسلسل التاريخى الذى ارتأه كل من مونييريه وكريزول ، وبناءً على ذلك خلص إلى أن العدد الأكبر من المقابر والقباب يرجع بالذات إلى القرن ٣هـ / ٩م (وهو القرن الذى يرجع إليه نحو ٥٤١ نقشا شاهديا أى ثلاثة أرباع النقوش الباقية وهى ٧٤٠ [٦٠٠ من قائمة مونييريه + ١٤٠ من قائمة مصلحة الآثار]...) ، وأن عدداً آخر يمكن نسبته إلى القرن ٤هـ / ١٠م (وهو القرن الذى يرجع إليه نحو ١١٤ نقشا شاهدياً أى ما يقرب من ضعف عدد النقوش المؤرخة فى القرن ٥هـ / ١١م وهى ٦٧ [٣٨ من قائمة مونييريه + ٢٩ من قائمة مصلحة الآثار]...) الذى لا يكاد

يصل إلى عشر واحد من مجموع النقوش الشاهدية كلها . ويضيف شافعى قائلا « وكل ذلك يضعف من الآراء التى تتعلق بتاريخ هذه المقابر والقباب وترتيبها فى سلسلة من حلقات التطور تتوالى الواحدة منها بعد الأخرى واعتمد أصحابها كل الاعتماد (أى مؤنثيه وكريزول) على أنواع ونماذج تلك المقابر من حيث مسقطها فحسب ونجد أنه من الأصوب أن يكون الأساس فى التاريخ والتسلسل فى التطور معتمداً على العناصر المعمارية والتفاصيل من أنواع ونماذج منطقة الانتقال وما يقوم عليها من رقاب وقباب وأشكال العقود والمحاريب إلى غير ذلك فهى عناصر يجب أن يكون لها المقام الأول فى الموضوع من حيث أن تطوراتها كانت أكثر تأثيراً بالعامل الزمنى منها بالعوامل الاجتماعية والمادية التى كان يخضع لها تطور المساقط إلى حد كبير ». وعلى ضوء هذا الاتجاه التحليلى الجديد ركز شافعى على المقابر ذات القباب وقام بتقسيمها إلى مجموعتين على أساس أنواع ونماذج مناطق انتقالها ، فالمجموعة الأولى منها تشمل النماذج البسيطة مثل الأركان المكونة من بلاطة مسطحة مثلثة أو من مثلث هرمى مقلوب أو من مثلث كروى أو من حنية نصف مخروطية أو من مقرنصة إسلامية ، وتمتاز هذه المجموعة بوجود نافذة بين كل ركنين وتبدو واضحة من الداخل والخارج على السواء ، أما المجموعة الثانية فتشمل مناطق الانتقال المركبة والمتطورة وهى لا ترجع إلى ما قبل العصر الفاطمى . وبعد دراسة نماذج المجموعة الأولى انتهى إلى القول بأنه قد اجتمع فى مقابر أسوان عدة عناصر وتقاليد معمارية منها ما هو محلى ومنها ما يمت بصلة الشبه أو القرابة لبعض ما يوجد فى أقطار إسلامية أخرى فى الشرق والغرب على السواء ومنها عناصر يحتمل تطورها من سوابق فى عصور ما قبل الإسلام ثم نضج فى العصر الإسلامى ومنها ما ظهر وتم نضجه فى العصر الإسلامى المبكر . وعلى ضوء ما تقدم انتهى شافعى إلى أنه توجد مجموعة كبيرة من المقابر يقرب عددها من ثلاثين مقبرة على الأقل يمكن أن يقع تاريخها فى فترة عصر الولاة وتسبق القرن ٥هـ / ١١م وهو القرن الذى كانت المقابر كلها تنسب إليه أو إلى ما بعده ، وهذه المجموعة هى التى يوجد بها نموذج أو آخر من نماذج مناطق الانتقال البسيطة من بلاطات مسطحة ومثلثات هرمية أو كروية وحنيات نصف مخروطية أو مقرنصات . فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، المجلد الأول (عصر الولاة) ، القاهرة (١٩٧١م) ، ط ٢ (١٩٩٤م) ، ص ٥٣٩ - ٥٦٩ ؛

كذلك قام محمد ناصر عفيفى بدراسة مقابر أسوان ضمن رسالته للدكتوراه ، وأرجع بعض القباب - وهى التى تحمل أرقام ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ - إلى فترة حكم بنى الكنز فى أواخر عصر المماليك البحرية وأوائل عصر المماليك الجراكسة اعتماداً على أنه استخدمت فيها العقود ذات الوسائد أو المخدات المتلاصقة هذا عن جهة ومن جهة ثانية هناك شواهد قبور تحمل أسماء أفراد بنى الكنز (لم تنشر بعد) ومما يدل على استمرار استخدام الجبانة حتى العصر المملوكى وجود شاهد قبر مؤرخ بـ ٦ ربيع الأول ٧١١هـ / ١٣١١م وهو لا يزال مثبتاً على الواجهة الجنوبية للقبة رقم ٥١ - مع أنه لا ينتمى إلى هذه القبة أصلاً - وقام عفيفى أيضاً بدراسة عشر قباب جديدة لم تدرس من قبل ومن ثم اتخذ لها

أرقامًا مستمدة من حروف أبجد هوز (وهي القباب من أ إلى ي). محمد ناصر عفيفي ، القباب الجنائزية الباقية بصعيد مصر، ص ١٦ - ١٨ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٨٣ - ٩٣ . وعن استخدام العقود ذات الوسائد أو المخدات المتلاصقة كقرينة لإرجاع بعض قباب أسوان إلى العصر المملوكي من عدمه انظر دراستنا الموسومة بـ « العقد ذو الوسائد أو المخدات المتلاصقة » نشأته وتطوره في العمارة الإسلامية دراسة جديدة ، (قيد النشر) .

(٢٦١) Domical Vault : لا نعرف ما الذي يقصده كريزول من إطلاقه هذا المصطلح على منطقة انتقال المقبرة رقم ٤٢ لأن الترجمة الحرفية لهذا المصطلح هي « قبو قبابي أو مقبب » كما ترجمها أخى وزميلي عبد الوهاب علوب مترجم الكتاب ، إلا أنه يبدو لنا أن منطقة انتقال هذه المقبرة هي المثلثات الكروية ولعل بعض الغرابة في أسلوب بنائها بقوالب الطوب هي التي جعلته مترددًا في اعتبارها مثلثات كروية فأطلق عليها هذا الوصف ، وهو الأمر الذي أثار استغراب شافعي من قبل . (ص ٥٦٣) . ونضيف على ذلك فنقول إنني وجدت في كتاب العمارة البيزنطية ما يؤكد الاستنتاج السابق حيث ورد شرح لهذا المصطلح وطريقة بنائه ومن حيث ترجمة المصطلح فقد ترجم إلى العقد المقبب ومن حيث طريقة بنائه فهو يبنى فوق فراغات محددة بأربعة أقواس ، ويتم وضع قطع الحجر في اتجاه يزداد ميلانا عن الوضع الأفقي وذلك أولا لتشكيل مثلثات كروية وبالتالي توفير قاعدة دائرية للمقبة ويتم الاستمرار في تثبيت قطع الحجر حتى القمة ، والقبة تبنى على نفس المبدأ العام لبناء العقد المقبب فهي تتركز على مثلثات كروية ، أما الاختلاف الرئيسى بين الاثنين فيتمثل في أن المثلثات والقلنسوة تشكلان في العقد المقبب سطحًا كرويًا متصلًا وهذا لا نجده في حالة بناء القبة والتي تبنى على نصف قطر أصغر من المثلثات الكروية تحتها وهذا الاختلاف يؤثر على طبيعة المثلثات الكروية فهي واحدة في الحاليتين . سيريل مانجو ، العمارة البيزنطية ، ترجمة رندة فؤاد قاقيش ، دمشق (١٩٩٩م) ، ص ١١ ، ٢٣١ .

(٢٦٢) أضاف شافعي إلى قائمة موزيريه ١٤٠ نقشا شاهديا (من مصلحة الآثار) منها ٤٥ نقشا من القرن ٣هـ / ٩م و ٦٣ من القرن ٤هـ / ١٠م و ٢٩ من القرن ٥هـ / ١١م و ٣ نقوش من القرن ٦هـ / ١٢م ، وبذلك يصل العدد الاجمالي للنقوش إلى ٧٤٠ نقشا منها ١٢ (ق ٢هـ) ، ٥٤١ (ق ٣هـ) ، ١١٤ (ق ٤هـ) ، و ٦٧ (ق ٥هـ / ١١م) و ٦ (ق ٦هـ) . شافعي ، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، ص ٥٤١ . وبما له دلالة ما قام به الاستاذ عبد الرحمن عبد التواب من نشر مجموعة من النقوش الشاهدية من جبانة أسوان تحت عنوان :

Stèles Islamiques de la Necropole D'Assauan. Tome, 2, le Caire, (1982), PP. 2 - 151..

Tome, 3, (1986), PP. 2 - 151 .

كذلك قامت سعاد ماهر محمد بنشر عدد منها في كتابها الموسوم بـ « مدينة أسوان وآثارها في العصر الإسلامي ، القاهرة (١٩٧٧م) ؛ واعتمد عليها محمود محمد الحويرى (بمساعدة الأستاذ عبد

الرحمن عبد التواب) فى رسالته المنشورة وعنوانها « أسوان فى العصور الوسطى » القاهرة (١٩٨٠م).
(٢٦٣) أثبتنا من قبل أنه لا توجد علاقة بين القباب ذات الجوانب الأربعة المفتوحة (كالصليبية والساماني والسبع بنات و ٤ مقابر بجبانة أسوان أرقام ١٧ ، ٣٣ واثنان غير مرقمين) وبين نمط المقابر الكانوبية أو ذات السقيفة ، وبالتالي فإنه من الخطأ القول بأن هذا النمط الأخير كان أول نوع فى العمارة الجنائزية حتى القرن ١١هـ / ١١م مع أنه لا توجد نماذج لها قبل القرن ١١هـ / ١١م كما سبق أن أوضحنا. (انظر حاشية رقم ٢٢٣ من التعليقات) .

(٢٦٤) القبور القبائى أو المقبب : سبق التعليق على هذا المصطلح انظر الحاشية رقم ٢٦١ من التعليقات .
(٢٦٥) سبق أن قمنا بدراسة هذا الطراز وتبعنا نشأته وتطوره فى العمارة الإسلامية عامة وفى مصر خاصة ؛ وبالتالي فإنه لا علاقة بين هذا الطراز وبين طراز المقابر الكانوبية أو ذات السقيفة التى ترجع أقدم النماذج المعروفة منها فى العمارة الإسلامية حتى الآن إلى القرن ١١هـ / ١١م . انظر حاشية رقم ٢٢٣ من التعليقات .

(٢٦٦) لمزيد من التفاصيل عن الجامع العمرى أو الجامع العتيق باسنا ٤٦٩-٤٧٤هـ / ١٠٧٦ - ١٠٨١م ، انظر ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ج١ ، ص ٦٤ - ٦٦ ، جمال عبد الرؤوف عبد العزيز ، مساجد مصر العليا ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص ٥٤ - ٥٨ ، سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج١ ، ص ٣٧١ - ٣٧٦ .

(٢٦٧) هو الأمير الأجل المنتخب فخر الملك سعد الدولة أبى منصور سارتمكين الجيوشى ، وعن صيغة هذا النقش انظر ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ ، ج١ ، ص ٦٦ ؛

Comb, Repertoire, vol, v II, P. 203.,

(٢٦٨) عن صيغة هذا النقش انظر ، فريد شافعى ، العمارة ، ص ٥٧٨ ؛

Comb, Repertoire, vol, VI, P. 217, No. 2755 ;

El-Hawwary , Trois Minarets Fatimides à la Frontière Nubienne , B. I. E, XVII, (1934 - 1935),
P. 143 .

(٢٦٩) عن صيغة النقش انظر ، El - Hawwary, Trois, P. 149 .

(٢٧٠) قمنا بدراسة هذا الطراز من التخطيط وتبع نشأته وتأصيله وتطوره فى العمارة الإسلامية عامة وفى مصر خاصة (انظر حاشية رقم ٧٣ من التعليقات) .

(٢٧١) لمزيد من التفاصيل عن مئذنة الطابية (وتقع إلى الجنوب من فندق كتاراكت بما يقرب من ٧٠٠م تقريبا على ربوة صخرية) انظر ، جمال عبد الرؤوف ، مساجد مصر العليا ، ص ١٧ - ٢١ .

(٢٧٢) تمكن الزميل جمال عبد الرؤوف من قراءة هذا النقش وهو يتضمن فى السطرين الأول والثانى سورة الإخلاص (الآيات ١ - ٤) وآية الكرسي (رقم ٢٥٥ من سورة البقرة) وفى السطر الثالث والأخير التوقيع بصيغة « عمل ابن بكر » . جمال عبد الرؤوف ، مساجد مصر العليا ، ص ١٨ - ١٩ .

(٢٧٣) لمزيد من التفاصيل عن مثذنة أبي الحجاج بالأقصر (وتقع فى الميدان المواجه لمحطة قطار مدينة الأقصر على مسافة ٣٠٠م تقريبا منها وذلك أعلى الجهة الشمالية الشرقية لمعبد الأقصر وهى تعتبر معلقة لأنها مقامة على أربعة أعمدة جرانيتية من أعمدة المعبد) ، انظر : جمال عبد الرؤوف ، مساجد مصر العليا ، ص ٣٣ - ٣٦ .

(٢٧٤) لمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث التاريخية فى عصر الخليفة الفاطمى المستنصر بالله انظر ، الحويرى ، أسوان فى العصور الوسطى ، ص ؛ عطية القوصى ، تاريخ دولة الكنتوز الإسلامية ، القاهرة ، ط ٢ ، (١٩٨١م) ، ص ؛ عوض خليفات ، مملكة ربيعة العربية فى وادى النيل ، عمان (١٩٨٣م) ، ص ؛ ضرار صالح ضرار ، هجرة القبائل العربية إلى وادى النيل : مصر والسودان ، الرياض (١٩٩٧م) ، ص .

(٢٧٥) كان القضاء على لواته فى الوجه البحرى وليس الصعيد كما فهم كريزول .

(٢٧٦) عن صيغة نقش بدر الجمالى (بالجامع الطولونى) المؤرخ بشهر ربيع الأول ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م ، انظر حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص ٤٤ ؛

Comb, Répertoire, vol. VII, P. 199 .

(٢٧٧) لمزيد من التفاصيل عن جامع العطارين بالأسكندرية ، ونقش بدر الجمالى المؤرخ بـ ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م . انظر ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص ٦٧ - ٦٨ . جمال الدين الشيال ، الاسكندرية ، طبوغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد ٢ ، أكتوبر (١٩٤٩م) ، ص ٢١٦ - ٢١٧ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، دار المعارف بمصر (١٩٦١م) ، ص ٦١ - ٦٢ . وهذا النقش مثبت فى قاعدة المثذنة على يسار الداخل من الباب الشمالى الشرقى ؛ ويضيف سالم فيقول إن بدر الجمالى قد أنفق على هذا الجامع من أموال المصادرات أى الأموال التى أغرم بها الثائرين من أهل الإسكندرية .

(٢٧٨) مما له دلالة فى هذا الصدد بالنسبة لمضمون كل من نقش بدر الجمالى بالجامع الطولونى وجامع العطارين ، فبالنسبة للنقش الأول المثبت فى لوح رخامى فوق باب بسور الزيادة البحرية نجد أنه قد ورد فيه «... أمر بتجديد هذا الباب وما يليه عند عدوان النار على ما أبدعه المارقون فيه ... ابتغاء ثواب الله وطلب مرضاته ...» . أما نقش جامع العطارين فقد ورد فيه «... مما أمر بإنشائه ... عند حلول ركابه بشفر الاسكندرية ومشاهدته هذا الجامع خرابا فرأى بحسن ولائه ودينه تجديده زلفا إلى الله تعالى ...» . ومن ذلك يتضح أن فان برشم قد حمل هذه النقوش فوق طاقتها أو أكثر مما تحتل ، وهذا ما أحبيت أن الفت الانتباه إليه ،

(٢٧٩) يتضح من خلال هذه الخلاصة التى انتهى إليها كريزول أن هذه المجموعة من المآذن الخمس والمساجد التى كانت تتبعها قد نسبت كلها إلى فترة وجود القائد بدر الجمالى فى تلك المنطقة لاختماد الفتن التى نشبت هناك ، وعلى ذلك تم ارجاع تاريخها إلى الفترة ما بين ٤٦٩ - ٤٧٤هـ / ١٠٧٦ - ١٠٨١م ؛ كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية فى مصر ، ص ٨٧ - ٨٨ ؛

وهناك رأى آخر فحواء أن هذه المآذن الخمس وما بقى من المساجد التى تتبعها لا يجب نسبتها كلها إلى الفترة التى وجد فيها بدر الجمالى ؛ بل إنها تنقسم إلى مجموعتين : إحداهما ، وتشمل المشهد البحرى ومئذنته ومئذنة الطابية يرجع تأريخها فى عصر المتوكل العباسى وهو العصر الذى حدثت فيه أكثر الاحتكاكات بين المسلمين وبين البجة بالنوبة ، أما المجموعة الثانية ، والتى تشمل مسجد ومئذنة المشهد القبلى ومسجد ومئذنة اسنا ومئذنة أبى الحجاج بالأقصر ، فهى التى يمكن نسبتها إلى فترة بدر الجمالى ، ومن جهة ثانية فإن هذه المجموعة كلها سواء العباسية أو الفاطمية لم تشيد لغرض دينى فحسب وإنما قامت إلى جانب ذلك بوظيفة عسكرية حربية وهى مهمة المراقبة والتحذير بالإشارات تماما مثل منارات الأريطة ، مما يعنى أنه كانت هناك سلسلة منتشرة منها تصل ما بين حدود مصر الجنوبية ومدينة قوص التى كانت قاعدة والى الصعيد ولعلها كانت تصل إلى أبعد من ذلك فى الشمال . أما عن الأدلة التى اعتمد عليها صاحب هذا رأى الثانى ، ومن أخذ برأيه ، فمن أهمها شريط الكتابة الآجرى بكل من مئذنتى المشهد البحرى أو الباب ومئذنة الطابية ، والنماذج السابقة لاستخدام هذه الطريقة من الكتابة نجدها على الجزء الأيمن من مدخل القصر بالرقه وينسب بناؤه إلى المعتصم العباسى (ت ٢٢٧هـ / ٨٤١م) ومنها الجامع المعلق بالقىروان قبل عام ٢٩٦هـ / ٩٠٩م ومنها مسجد الباب المردوم بطليطلة ٣٩٠هـ / ٩٩٩م . إبراهيم شيوخ ، قصر هرثمة بن أعين بالمنستير ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٦٥م) ، ص ١٢٣ - ١٣٨ ؛ حول منارة قصر الرباط بالمنستير واصولها المعمارية ، مجلة افريقية ، العدد ٣ - ٤ (١٩٧١م) ، ص ٥ - ١٥ ؛ فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، ص ٥٧٥ - ٥٧٨ ؛ جمال عبد الرؤوف ، مساجد مصر العليا ، ص ٣٨٣ - ٣٨٨ ؛ وانظر أيضا : عبد الله كامل موسى عبده ، تطور المئذنة المصرية ، ص ٦٨٨ - ٦٩٢ ؛ عبد الناصر ياسين ، الفنون الزخرفية ، ص ٧٧٦ - ٧٨١ ؛ وعن العناصر المعمارية المشتركة بين هذه المآذن وبين مقابر جبانة أسوان . انظر ، فريد شافعى ، العمارة ، ص ٥٧٨ - ٥٧٩ .

(٢٨٠) جانب الصواب كرىزول فى هذه القراءة ، فإن نقش الإنشاء يستدل منه أن هذا المبنى كان مشهداً وليس زاوية كما ذكر كرىزول ومن نقل عنه . وعن أصل مصطلح المشهد واشتقاقه ودلالته انظر ، محمد حمزة الحداد ، القباب ، ص ٤٣ - ٤٩ ؛ هذا وقد اختلفت الآراء حول ماهية هذا المبنى فمن قائل إنه مسجد (أو جامع) وزاوية ، أو مشهد لا علاقة له بطراز المساجد أو مسجد يفصح تخطيطه عن الغاية من إنشائه مشهداً بل هو أول مسجد معروف فى القاهرة كان يضم ضريحاً أو أنه مجرد مصلى أقامة بدر الجمالى لتخليد انتصاره على الخارجيين وقضائه على الفوضى والفتن أو هو مشهد فاطمى ومرقب حربى .

أحمد فكرى ، مساجد ، ج ١ ، ص ٩٠ ؛ سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ١ ، ص ٢٧٧ ، ٢٨٢ ؛ كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية فى مصر ، ص ٢٨ ؛ أحمد عبد الرازق ، العمارة الإسلامية ، ص ١٧٨ ؛ عبد الرحمن فهمى محمد ، مشهد فاطمى ومرقب حربى ، مجلة منبر الإسلام ، العدد

٦، السنة ٣١، (جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ / يوليو ١٩٧٣م)، ص ١٣٢ - ١٣٧؛ آمال العمرى،
العمارة، ص ١٤٥ - ١٥٠؛ عبد الله كامل، الفاطميون، ص ١٧١، ١٩٤، ١٩٩، ٢٠٢،
٢٠٥؛ حسنى نوبصر، الآثار الإسلامية، القاهرة (١٩٩٨م)، ص ١٩٤ - ٢٠٠.

Shafi'i, f., The Mashhad al-Juyushi, Archaeological Notes and Studies, in studies in Islamic Art and Architecture in honor of Professor K. A. C. Creswell, Cairo, A. U. C. (1965), P.237 - 252., Ragib, Y., Un Oratoire Fatimide ou Sommet du Muquattam, Studia Islamica, Lxv, Paris, (1987), PP. 51 - 67.

أما عثمان فيرى أن وظيفة هذا المبنى (الذى لم تثبت أية صلة بينه وقبور آل البيت الذين أنشئت على قبورهم مشاهد من جهة ولم يدفن به منشئه بدر الجمالى من جهة ثانية) توسع بذلك دلالات مصطلح مشهد فلا يقتصر الأمر على المبنى ذاته بل تمتد إلى الوظيفة لترابط بين هذا المشهد وما يشهده أو يطل عليه؛ ومن ثم أنشئ بتصميم معمارى يجعله فى هيئة مبنى محصن فى موقع عال مشرف فوق جبل المقطم ليستخدمه شخصية أو جماعة ذوى أهمية خاصة يهمهم مشاهدة ما فى المدينة، وربما كان استخدام مصطلح مشهد فى نص الإنشاء للتمويه فى إطار المعنى الشائع فى هذا العصر، وفى إطار تحديد الدخول إليه حيث أن دلالة هذا المصطلح تمكن من منع دخوله لمن يراد منهم، عكس المسجد الذى لا يمكن منع أحد من دخوله ولما كان هذا المشهد يتضمن مسجداً ومثدنة فإن نص الإنشاء الذى يشير صراحة إلى أن هذا المبنى مشهداً يكون مقصوداً لهذا الغرض. محمد عبد الستار عثمان، التربة الإيوان من أنماط المباني فوق القبور فى مصر فى العصرين الأيوبي والمملوكي، العصور، المجلد ٧، الجزء ٢، الرياض، لندن، (محرم ١٤١٣هـ / يوليو ١٩٩٢م)، ص ٢٧٨ - ٢٧٩. وحسبنا للرد على هذا الرأى الأخير أن نشير إلى عدة اعتبارات منها أن المشاهد لم تكن قاصرة على قبور آل البيت بل كانت عامة للشيعة والسنة على السواء كما أثبتنا فى دراستنا المشار إليها هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن بدر الجمالى مع أنه لم يدفن فى هذا المشهد عقب وفاته فى عام ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م؛ إلا أن ذلك لا ينفى أنه ألحق بمشهده قبة للدفن منذ تاريخ الإنشاء الأول ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م سواء دفن فيها أم لا (ولدينا أمثلة كثيرة فى العمارة الإسلامية فى مصر وخارجها لقباب دفن أعدها أصحابها كى يدفنوا بها ولم يتحقق ذلك؛ بل ان بعضهم الآخر أنشأ أكثر من قبة فى المدينة الواحدة، بل فى مدن أخرى خارج القطر نفسه ولم يدفنوا إلا فى إحداها ومنهم من لم يعرف له قبر مع ذلك). أما عن غرض التمويه فهو لم يحدد مصدره أو دليله فى ذلك، وإذا كان الغرض منه منع دخوله لمن يراد منهم.. ولا ندرى من هم؛ - على اعتبار أنه مشهد وليس مسجد - فكيف يتفق ذلك مع ما ذكره هو نفسه من أن هذا المشهد يتضمن مسجداً ومثدنة وبالتالي لا يمكن منع أحد من دخوله على حد قوله حتى ولو كان نص الإنشاء مقصوداً لهذا الغرض كما يزعم. أما عن الغرض الأصلى لهذا المشهد فقد أفردنا له دراسة لاحقة منتشرة فى القريب بمشيئة الله تعالى.

(٢٨١) أثبت فريد شافعى بأدلة معمارية قاطعة أن هذه القبة المدفن قد ألحقت بالجهة الشمالية الشرقية من المشهد فى نفس العام الذى بنى فيه وهو ٤٧٨هـ / ١٠٨٥ م .

Shafei , The Mashhad, P. 237 .

(٢٨٢) تمت إزالة هذه الكسوة الخزفية العثمانية فى الترميمات الأخيرة التى قامت بها طائفة البهرة . أحمد عبد الرازق ، العمارة الإسلامية ، ص ١٨٢ .

(٢٨٣) سبق القول إن المصطلح الوارد فى النقش هو المشهد وليس الزاوية .

(٢٨٤) يتضمن نقش الإنشاء الصيغة التالية « ... مما أمر بعمارة هذا المشهد المبارك فتى مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ... السيد الآجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاء المسلمين وهادى دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وأمتع بطول بقاءه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وكيد عدوه وحسدته ابتغاء مرضاة الله فى المحرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة » . ويتضح من النقش أن المبنى مؤرخ بعام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥ م وليس ٤٩٨هـ / ١١٠٤ م كما قرأها خطأً فان يرشم ، ومن جهة ثانية فإن الأمر بعمارة هذا المشهد هو أمير الجيوش بدر الجمالى فتى المستنصر بالله وليس المستنصر نفسه ومن جهة ثالثة فإن النقش لم يرد فيه لفظة عبد الله (والتي إما أن تكون اللقب الأول للخلفاء عامة ؛ أو تكون اسماً للخليفة نفسه وفى هذه الحالة الأخيرة كانت تكتب مرتين عبد الله عبد الله - إشارة إلى اللقب والاسم ...) وعلى ذلك فإن عبد الله حتى ولو كانت قد وردت فى النقش - لا علاقة لها ببدر الجمالى .

(٢٨٥) أبدى الأمبراطور البيزنطى قسطنطين التاسع استعداده لإجابة طلب الخليفة المستنصر بأن يمدّه بأربعمائة ألف اردب من القمح ، غير أن وفاته المفاجئة حالت دون تحقيق ذلك ، وعندما خلفته الامبراطورة ثيودورا (٤٤٧ - ٤٤٨هـ / ١٠٥٥-١٠٥٦م) اشترطت لإجابة الطلب أن يوافق المستنصر على عقد معاهدة دفاع مشترك وأن ينجدها بعساكر مصر إذا هوجمت وتعرضت بلادها للاعتداء ، ولما رفض المستنصر طلبها رفضت طلبه ؛ المقرئى ، الخطط ، مج ٢ ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ؛ عبد المنعم ماجد ، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها فى مصر ، القاهرة ، ط ٤ (١٩٩٤م) ، ص ١٣٦ ؛ محمد سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين ، ص ٣٧٧ ؛ سليمان الرحيلي ، السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية ، الرياض ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ص ١٩٧ - ١٩٨ ؛ خضر أحمد عطالله ، علاقات الدولة الفاطمية بالدول الإسلامية والأجنبية ، بيروت ، د. ت ، ص ٣٨ - ٣٩ ؛ محمد عبد الله عنان ، سفارة مصرية إلى بلاط بيزنطة فى عهد المستنصر بالله الفاطمى ، فى كتابه الموسوم بـ « مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، القاهرة ، ط ٢ (١٩٩٨م) ، ص ١١٤ - ١٢٠ ؛

Hamdani , CA, Byzantine - Fatimid Relations Before the Battle of Manzikert, Byzantine Studies, 12, (1974), PP. 169 - 179 .

(٢٨٦) كان الفراغ من بناء هذا الجامع فى ربيع الأول سنة ٤٧٧هـ / ١٠٧٧م كما يستدل من نقش الإنشاء وليس ٤٧٩هـ / ١٠٨١م كما ذكر المقرئى ومن نقل عنه . انظر حاشية رقم ٢٧٧ من التعليقات .

(٢٨٧) لمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث انظر ، طقوش ، تاريخ الفاطميين ، ص ٣٦٢ - ٣٧١ ؛ محمد جمال الدين سرور ، النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق فى القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة ، القاهرة ، ط ٢ (١٩٩٥م) ، ص ١٥٢ - ١٥٧ .

(٢٨٨) أثرت هنا عدم التعليق على موضوع أسوار القاهرة وأبوابها الفاطمية حيث أننا قد أفردنا لها دراسة تحليلية مطولة سواء ما كان معروفا منها زمن كرىزول أو ما تم اكتشافه فيما بعد وسوف تنشر هذه الدراسة فى القريب بمشيئة الله تعالى ؛ وحسبنا هنا أن نشير إلى بعض الدراسات التى صدرت عقب صدور هذا المجلد الأول من كتاب كرىزول فى عام ١٩٥٢م ومن بينها : عبد الرحمن فهمى ، أسوار القاهرة وأبوابها ، ضمن كتاب القاهرة (مؤسسة الأهرام ١٩٧٠م) ، ص ٤٦٦ - ٤٧٥ ؛ آمال العمرى ، العمارة ، ص ١٤ - ٢٦ ؛ أسامة طلعت ، أسوار صلاح الدين ، ص ١٣٦ - ١٣٩ ؛ سامى محمد نوار ، دراسة تحليلية لسور القاهرة بالجزء الممتد من باب النصر إلى باب البرقية ، ضمن الكتاب التقديرى للآثارى عبد الرحمن عبد التواب ، ج ١ ، المجلس الأعلى للآثار المصرية ، القاهرة (٢٠٠٠م) ، ص ١٨٥ - ١٩٨ ؛ عبد الناصر ياسين ، الفنون الزخرفية الإسلامية فى مصر منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى ، القاهرة (٢٠٠٢م) ص ٧٢٤ - ٧٣٦ ؛ تعليقات أيمن فؤاد سيد فى تحقيقه لخطط المقرئى ، المجلد الثانى ، لندن (٢٠٠٢م) ؛

Warner, N., The Fatimid and Ayyubid eastern Walls of Cairo : Missing Fragments, An.

isl. T. 33, le Caire (1999), PP. 283 - 305 .

(٢٨٩) عن وضع أهل الذمة فى مصر الفاطمية انظر ؛ سلام شافعى محمود ، أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول ، القاهرة (١٩٩٥م) ؛ أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الثانى والعصر الأيوبي ، القاهرة (١٩٨٢م) ، وهناك بعض الدراسات التى تتناول أهل الذمة فى مصر الإسلامية عامة أو طائفة منهم خاصة ومن بينها ؛ قاسم عبده قاسم ، اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، القاهرة (١٩٨٧م) ؛ سيدة إسماعيل كاشف ، مصر الإسلامية وأهل الذمة ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٥٧ ، القاهرة ؛ مارك كوهين ، المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى ، تل أبيب (١٩٨٧م) ؛ يعقوب لاندوا ، تاريخ يهود مصر فى الفتر العثمانية ١٥١٧ - ١٩١٤م ، ترجمة جمال الرفاعى وأحمد حماد ، تقديم ومراجعة محمد خليفة حسن ، المشروع القومى للترجمة ، العدد ١٩٩ ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة (٢٠٠٠م) وغير ذلك ؛ ومن الطبيعى أن مثل هذه الدراسات العامة تتناول فى بعض فصولها أحوال وأوضاع أهل الذمة أو طائفة منهم خلال العصر الفاطمى .

(٢٩٠) اختلفت الآراء حول اسم مهندس المقياس وجنسيته ومنها : أنه أحمد بن محمد الحاسب أو أحمد بن كثير الفرغانى أو محمد بن كثير الفرغانى أو ابن كاتب الفرغانى المدفون فى كنيسة القديس

كوليوتس مما يعنى أنه كان قبطيا ولكن كيف ينتسب هذا الأخير إلى فرغانة ويكون قبطيا فى نفس الوقت كما ذهب كريزول الذى انتهى إلى أن أحمد بن محمد الحاسب وأحمد بن كثير الفرغانى هما شخص واحد وهو بذلك فتح مجالا للظن بأن الرجل كان حقيقة من أهالى فرغانة من أعمال بلاد فارس وقتئذ ؛ أى أنه لم يكن عربيا بل كان فارسيا ؛ وقيل فى رواية أخرى أنه محمد بن موسى الفلكى . كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية فى مصر ، ص ١٧ - ١٨ ، فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، ص ٣٨٨ - ٣٨٩ ، أحمد عبد الرازق ، العمارة الإسلامية ، ص ٨٤ - ٨٥ ، عبد الناصر ياسين ، الفنون ص ٦٩٩ - ٧٠٠ ، وما له دلالة فى هذا الصدد أن لدينا قرينة تاريخية مهمة تؤكد أن أحمد بن محمد الحاسب هو مهندس المقياس وسوف نشير إليها فى دراسة لاحقة بمشيئة الله تعالى .

(٢٩١) هو أبو الحسن على بن أبى بكر الهروى المتوفى عام ٦١١هـ / ١٢١٤م ورحلته هى « الإشارات إلى معرفة الزيارات » ، وقامت بنشرها وتحقيقها جانين سورديل ، دمشق (١٩٥٣م) ؛

ونشرت هذه الرحلة مرة ثانية بتحقيق على عمر ، القاهرة (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) (٨٥ صفحة) .

(٢٩٢) ترجع هذه العمارة إلى عهد إيل الذى ٥٥٠هـ / ١١٥٥م واسم المهندس هو « هبة الله جرجانى » كما ورد فى النقش الكتابى . أصلان آبا ، فنون الترك ، ص ٦٤ .

(٢٩٣) هو مسجد قلعة ديوريكى الذى يرجع إلى عهد أسرة المنكوجكيين واسم المهندس هو « حسن بن فيروز المراغى » كما ورد فى النقش الكتابى . أصلان آبا ، فنون الترك ، ص ٧٤ .

(٢٩٤) يعد من أشهر الجوامع السلجوقية فى الأناضول ، وتتضمن نقوشه الكتابية اسم اثنين من المهندسين هما « محمود خولان الدمشقى » ، وكريم الدين اردشاه ، واسم المهندس « يوسف بن عبد الغفار الخوجنى » على مدفن السلطان قلع أرسلان الملحق بالجامع . أصلان آبا ، فنون الترك ، ص ٧٩ .

(٢٩٥) هى المدرسة المعروفة بالمسعودية وتنسب إلى السلطان الأرتقى سوكمن الثانى ، والمهندس هو « جعفر بن محمود الحلبي » كما ورد فى النقش الكتابى . أصلان آبا ، فنون الترك ، ص ١٠١ .

(٢٩٦) تعتبر من المدارس السلجوقية الأولى بالأناضول ولها أهميتها فى تتبع التطور المعماري والفنى للمدارس الإسلامية عامة والسلجوقية خاصة ، وقد استمدت اسمها من البلاطات الخزفية ذات الطلاء البراق التى تكسو الإيوان والمحراب ، واسم المهندس هو « محمد بن محمود البناء الطوسى » . أصلان آبا ، فنون الترك ، ص ١٠٤ .

(٢٩٧) انظر ، محمد حمزة إسماعيل الحداد ، السلطان المنصور قلاوون ، ص ٩٢ .

(٢٩٨) مهندس الجامع المنصورى الكبير بطرابلس الشام هو سالم الصهيونى ابن ناصر الدين العجمى . عمر عبد السلام تدمرى ، آثار طرابلس الإسلامية ، طرابلس (١٩٩٤م) ، ص ٢٨ .

ونضيف فنقول إن الأروقة التى ترجع إلى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون قد قام بعمارتهما « أحمد بن حسن البعلبكى المهندس » . عمر عبد السلام تدمرى ، آثار طرابلس ، ص ٣٦ .

(٢٩٩) هو تاج الدين أبو عبد الله محمد بن على بن يوسف بن جلب راغب المتوفى ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م ، وبعد كتابه « أخبار مصر مصدرا أصيلا لدراسة تاريخ الفاطميين المتأخر ، وكان ابن ميسر قد أراد أن يجعل كتابه هذا ذيلا لكتاب أخبار مصر للمسيحي ، ولم يصل إلينا من هذا الكتاب لابن ميسر إلا

- جزء وحيد غير تام وفي صورة مختصرة هي إنتقاء للمقريزي أتمه عام ٨١٤هـ / ١٤١١م ، وقد قام بتحقيقها أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، (١٩٨١م) .
- (٣٠٠) هو الرحالة الدانمركي كارسن نيبور (ت ١٨١٥م) ، وتسمى رحلته بـ «رحلة إلى بلاد العرب وما حولها» ١٧٦١ - ١٧٦٧م ، وقد ترجم الجزء الأول وعنوانه «رحلة إلى مصر» ١٧٦١ - ١٧٦٢م ، من قبل مصطفى ماهر ، القاهرة (١٩٧٤م) ؛ وهي من الرحلات المهمة في أواخر القرن ١٨م . محمد حمزة إسماعيل الحداد ، موسوعة ، المدخل (الكتاب الأول) ، ص ٤٩ .
- (٣٠١) كان بينودي ميليه القنصل الفرنسي المقيم في مصر لمدة ١٦ عاماً من ١٦٩٢ إلى ١٧٠٨م ، وقام الراهب لي ماسكريه بنشر مذكرات وملاحظات ميليه عن مصر في عام ١٩٣٥م باسم «وصف مصر» وهو الاسم الذي اقتبسه علماء الحملة الفرنسية بعد ذلك ؛ وتعد مذكراته وملاحظاته التي كتبها على هيئة رسائل مهمة جداً لدراسة العمارة الإسلامية وأوضاعها في تلك الفترة ، محمد حمزة إسماعيل الحداد ، موسوعة ، المدخل (الكتاب الأول) ، ص ٤٨ - ٤٩ ؛ ولزيد من التفاصيل انظر ؛ إلهام محمد ذهني ، مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٥٢ ، القاهرة (١٩٩٢م) .
- (٣٠٢) هو آدم فرنسوا جومار ، مهندس وجغرافي وأثرى فرنسي ولد في فرساي ١٧٧٧م ، وكان أحد أعضاء البعثة العلمية التي صاحبت الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ - ١٨٠١م ، وعضو بالمعهد العلمي المصري ١٧٩٩ - ١٨٠١م وأشهر ما كتبه هو وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل ؛ ضمن كتاب وصف مصر ؛ وقد قام بنقل هذا الكتاب عن الفرنسية وقدم له وعلق عليه أيمن فؤاد سيد (مع مقدمة عن التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ إنشائها وحتى سنة ١٨٠٠م) ، القاهرة ، (١٩٨٨م) ؛ ثم ظهرت ترجمة ثانية لهذا الكتاب ضمن سلسلة وصف مصر التي تصدر لترجمتها الأستاذ زهير الشايب (المرحوم بإذن الله) الذي أخرج منها تسعة أجزاء ثم قامت ابنته منى زهير الشايب باستكمال مشوار أبيها وظهر الجزء العاشر من وصف مصر وهو الذي يتضمن وصف القاهرة وقلعة الجبل لجومار، القاهرة (١٩٩٢م) ، ط ٢ ، ضمن مهرجان القراءة للجميع ، (٢٠٠٢م) .
- (٣٠٣) يذكر جومار أن باب النصر هو أعظم آثار القاهرة من ناحية الذوق والطرز ... ومن الخطأ أن نقدم باب الفتوح على هذا البناء جومار ، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل ، ترجمة أيمن فؤاد سيد ، ص ١٦٤ ؛ والترجمة الثانية ، ص ١٨٠ .
- (٣٠٤) هو المهندس الفرنسي باسكال كوست وكان قد قدم إلى مصر في عهد محمد علي ومكث فيها عشرة أعوام فيما بين ١٨١٧ - ١٨٢٧م وألف كتاباً يسمى «العمارة العربية أو آثار القاهرة» (١٨٣٧ - ١٨٣٩م) ، (وهو بالفرنسية) وقد سجل فيه أروع اللوحات المحفورة والرسوم الملونة بأمانة شديدة ودقة متناهية . محمد حمزة الحداد ، موسوعة ، المدخل (الكتاب الأول) ، ص ٥٠ ؛ ثروت عكاشة ، مصر في عيون الغرباء ، ج ١ ، القاهرة (١٩٨٤م) ص ٢٠٤ - ٢٠٦ .

(٣٠٥) بريس دافين : مهندس فرنسى جاء إلى مصر عام ١٨٢٩م وعمل فى عدة وظائف وتكلم اللغة العربية ولهجاتها وتجويدا ثم اعتنق الإسلام وتسمى باسم «إدريس أفندى» ومكث فى مصر ١٧ عاما ومن أهم كتبه وأشهرها كتابه الموسوم بـ « الفن العربى من واقع آثار القاهرة من القرن السابع إلى نهاية القرن الثامن عشر » (وهو بالفرنسية) . محمد حمزة الحداد ، موسوعة ، المدخل (الكتاب الأول) ، ص ٥٠ ؛ ثروت عكاشة ، مصر فى عيون الغرباء ، ج ١ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٩ ؛ بريس دافين ، إدريس أفندى فى مصر ، مذكرات بريس دافين (١٨٠٧ - ١٨٧٩م) ، ترجمة أنور لوقا ، أخبار اليوم ، القاهرة ، (١٩٩١م) .

(٣٠٦) التاريخ المرجح لقصر الأخيضر والمعول عليه حتى الآن هو ١٦١هـ / ٧٧٨م ، وهو ينسب ترجيحاً إلى عيسى بن موسى ابن أخى المنصور وواليه على الكوفة بعد عزله من ولاية العهد ، وهو من أهم القصور الإسلامية المبكرة . كريزول ، الآثار الإسلامية الأولى ، ترجمة عبد الهادى عبلة ، تعليق أحمد غسان ، دمشق (١٩٨٤م) ، كمال الدين سامح ، العمارة فى صدر الإسلام ، ص ٦٨ - ٧٦ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص ١١١ - ١١٧ ؛ أحمد عبد الرازق ، العمارة الإسلامية ، ص ٣١ - ٤٠ ؛ عبد الله كامل ، العباسيون وآثارهم المعمارية فى العراق ومصر وإفريقيا ، القاهرة (٢٠٠٢م) ، ص ١٣٧ - ١٤٢ .

(٣٠٧) حى الحسينية : اختلف المؤرخون فيما بينهم بشأن هذه التسمية ، فمن قائل إنها نسبة إلى طائفة من عبيد الشراء يقال لها الحسينية سكنت فى هذه المنطقة فتسمت باسمهم ، ومن قائل إنها نسبة لجماعة من الأشراف الحسينيين قدموا من الحجاز فى أيام السلطان الكامل محمد الأيوبي ، ونزلوا خارج باب النصر واستوطنوا هذه المنطقة وبنوا بها مداخل صنعوا بها الأديم المشبه بالطائفى ومن ثم سميت بالحسينية ، وقد رجّح المقرئى التفسير الأول وأرجع هذه التسمية إلى العصر الفاطمى وبالتحديد إلى عصر الخليفة الحاكم بأمر الله . ومهما يكن من أمر هذه التسمية فقد غلبت على هذه المنطقة ، وقد كثر العمران بها خلال العصر المملوكى منذ عهد الظاهر بيبرس البندقدارى وما تلاه من عصر المماليك ثم خلال العصر العثمانى .

محمد حمزة الحداد ، موسوعة ، المجلد الثانى ، الجزء الأول (القسم الأول) ، ص ٤٧٧ .

(٣٠٨) يقصد بها حمامات طوب قابى سراى باستانبول ، وقد تحول عقب قيام الجمهورية التركية الحديثة ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م إلى متحف يعد من أهم وأشهر متاحف الفن الإسلامى فى العالم . محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى ، القاهرة ط ٢ ، (١٩٨٦م) ، ص ٣٥ - ٣٦ ؛ وعن هذا القصر ومراحل بنائه وعماره انظر ؛ محمد حمزة إسماعيل الحداد ، العمارة الإسلامية فى أوروبا العثمانية ، لجنة التأليف والتعريب والنشر ، مجلس النشر العلمى ، جامعة الكويت (٢٠٠٢م) ، ص ٢٧٣ - ٢٨٠ .

(٣٠٩) ورد هذا النص فى ترجمة الخشاب كما يلى « وليس للمدينة قلعة ولكن أبنيتهما أقوى وأكثر ارتفاعاً من القلعة ، وكل قصر حصن ... » . ص ١٠٦ ؛ وورد فى ترجمة البدلى كما يلى « وليس للقاهرة

سور لأن منازلها شديدة الارتفاع وهي بمثابة سور للمدينة بل أقوى وأرفع من الأسوار ، فإن كل قصر بمثابة سور ... ص ٩٦ .

(٣١٠) هو المؤرخ الشيعي الحلبي يحيى بن حميد بن ظافر بن النجار بن علي بن عبد الله المعروف بابن أبي طي (ت نحو ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) ، وكانت مؤلفاته مصدراً مهماً لكل من أبي شامة وابن الفرات والمقريزي وغيرهم . أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ٥٨ .

(٣١١) انظر الترجمة العربية : بول كازانوف ، تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، ترجمة وتقديم أحمد دراج ، مراجعة جمال محرز ، القاهرة (١٩٧٤م) ، ص ٤٤ - ٤٥ .

(٣١٢) بول كازانوف ، تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، ص ٤٣ ، ٤٥ .

(٣١٣) جامع سيرة الناصر محمد : وتعرف أيضاً بالسيرة الناصرية ، وهو موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي أحد مقدمي الحلقة المتوفى ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م ، والعنوان الكامل لهذا الكتاب هو « نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر ومن ولى من أولاده » وهو كتاب ضخيم في تاريخ مصر في عصر دولة المماليك البحرية وقيل إنه يقع في نحو خمسة عشر جزءاً ابتداء بعصر المنصور قلاوون وانتهى فيه إلى سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م ، وللأسف فإن أصل الكتاب لا يزال مفقوداً باستثناء جزء منه يشتمل فقط على حوادث السنوات من ٧٣٣ إلى ٧٣٨هـ وقد اكتشفه المستشرق الكندي دونالد ليتل وأثبت أن الجزء الثاني والعشرين من نسخة مكتبة آبا صوفيا باستانبول من كتاب مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ليس إلا جزءاً من كتاب اليوسفي المفقود ، وقام بنشر هذا الجزء من الكتاب أحمد حطيط ، بيروت (١٩٨٦م) .

Little, D., The Recovery of a lost Source for Bahri Mamluk , jaos (1974), PP. 42 - 56 .

وانظر أيضاً مقدمة أيمن فؤاد سيد في خطط المقريزي ، المجلد الثالث ، لندن (٢٠٠٢م) ، ص ٧٢ - ٧٣ .

(٣١٤) هو مؤرخ القدس القاضي مجير الدين أبو اليمن الحنبلي المتوفى عام ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م وكتابه الأشهر هو « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » وهو يعد من أهم كتب التاريخ المحلي لمدينة القدس والخليل ، وقد طبع عدة طبعات ومنها طبعة عمان (جزءان) ، مكتبة المحتسب (١٩٧٣م) .

(٣١٥) مما له دلالة في هذا الصدد أنه سبق جولدتسيهر إلى هذا الرأي كليرموجانو في كتابه « أبحاث أثرية في فلسطين خلال الأعوام ١٨٧٣ - ١٨٧٤م (بالفرنسية) وقد صدر في لندن (١٨٨٦م) فقد ذكر نقلاً عن مجير الدين الحنبلي في كتابه الأنس الجليل المشار إليه سابقاً أن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام هو أول من مد السماط وأن هذا السماط كان يعلن عنه كل مساء على دقات الطبول إلا أنه سرعان ما يعود فيتحفظ ويرى أن هذه اللفظة لا بد أنها كانت معروفة لدى الكتاب الذين تكلموا عن الآلات الموسيقية . أما كتاب جولدتسيهر فقد صدر في ليزنغ عام ١٨٩٤م .

(٣١٦) بول كازانوف ، تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٣١٧) يعرف هذا الحصن باسم القلعة الحمراء (لال قلعة) ، وقد بدأ إنشاؤه عام ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م ، وهو يعتبر مدينة ملكية محصنة تضم مجموعة من القصور ومن أهمها جهانگیری محل وخص محل

وموتى مسجد (مسجد اللؤلؤة) والديوان العام والديوان الخاص وغير ذلك . الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص ٥٩٨ - ٥٩٩ .

(٣١٨) يعرف هذا الحصن أيضاً باسم القلعة الحمراء (لال قلعة) فى دلهى وقد بدأ إنشاؤه عام ١٠٤٨هـ / ١٦٣٨م حين نقل شاه جهان العاصمة من اجرا إلى دلهى ، وكالعادة تضم القصور والقاعات والدواوين وغير ذلك من العناصر والمفردات . الريحاوى ، العمارة ، ص ٦٠٤ .

(٣١٩) مما له دلالة فى هذا الصدد أن تشير إلى أنه كان يوجد بالمشهد الحسينى باب يعرف أيضاً بباب المتولى يقولون إن القطب يدخل منه كل يوم لزيارة الضريح الشريف ويدعو الزائرين عنده كثيراً .

على مبارك ، الخطط ، ج ٤ ، ص ١٨٦ ؛ وقيل فى هذه التسمية إن متولى الحسبة كان يجلس عند باب زويلة لتحصيل الضرائب ومن هذا المكان كان يشرف على السقائين ورجال المطافئ المزودين بقرب المياه لإطفاء الحرائق ، ومهما يكن من أمر فهذه التسمية لم تعرف قبل العصر العثمانى ، آمال العمرى ، العمارة ، ص ٢١ - ٢٢ .

(٣٢٠) لمزيد من التفاصيل عن أمثلة المثلثات الكروية فى العمارة المصرية الإسلامية انظر : محمد حمزة الحداد ، موسوعة ، المدخل (الكتاب الأول) ص ١٩٠ - ١٩٤ . مصليات الجناز فى العمارة المصرية الإسلامية ، مجلة كلية الآثار ، العدد الثامن (١٩٩٧م) ، مطبعة جامعة القاهرة (٢٠٠٠م) ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٣٢١) لمزيد من التفاصيل عن المخذات المتلاصقة انظر : محمد حمزة الحداد ، موسوعة ، المدخل (الكتاب الأول) ص ١٧٦ - ١٨٠ ، العقد ذو الوسائد أو المخذات المتلاصقة ، نشأته وتطوره فى العمارة الإسلامية ، دراسة جديدة (قيد النشر) .

(٣٢٢) انظر الترجمة العربية لهذه الدراسة الموسومة بـ « دراسة حول مقياس جزيرة الروضة والنقوش التى يحويها » لمارسيل ، ضمن موسوعة وصف مصر ، الجزء ١٢ ، ترجمة منى زهير الشايب ، القاهرة ، (٢٠٠٢م) ، ص ١٣٨ - ١٤١ ، ج ١٣ ، لوحة ٢٣ ، وانظر أيضاً ، أيمن فؤاد سيد ، جامع المقياس بجزيرة الروضة ، ضمن الكتاب التقديرى للآثارى عبد الرحمن عبد التواب ، ج ٢ ، القاهرة ، (٢٠٠١م) ، ص ١١ - ١٧ .

(٣٢٣) قصر المانسترلى : تدرج حسن باشا المانسترلى فى عدة مناصب فيما بين ١٢٦٦ - ١٢٧٤هـ / ١٨٥٠ - ١٨٥٨م منها كتحدا بيك ورئيسة مجلس الأحكام ، ومحافظاً لمصر (القاهرة وضواحيها) وناظرًا لديوان الداخلية وكانت وفاته عام ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م . أما عن هذا القصر فقد كان عبارة عن سراية كبيرة تقع فى أقصى الجنوب من جزيرة الروضة محيطة بمقياس النيل وقد بدأ فى إنشائها عام ١٢٦٧هـ / ١٨٥١م وكانت تشتمل على جنينة كبيرة وسراى للحريم وسلاملك تابع لها وكشك صغير وسلاملك آخر منفصل بجوار المقياس وهذا الأخير هو الجزء الوحيد الباقى من السراى حتى الآن ، وزخارف الجدران والأسقف وفق طراز الباروك والروكوكو . محمود الألفى ، العمارة الإسلامية فى مصر ، ص ٢٧٥ - ٢٨١ ، محمد حسام الدين إسماعيل ، مدينة القاهرة ، ص ٢١٨ -

٢٢١ ؛ عبد المنصف سالم نجم ، قصور الأمراء والباشوات فى مدينة القاهرة فى القرن التاسع عشر ، الجزء الأول ، القاهرة (٢٠٠٢م) ، ص ٢٦٠ - ٢٦٩ .

(٣٢٤) أثبتنا فى دراسة سابقة أن هذا النمط من تخطيط المشاهد الفاطمية يعد تطوراً للتخطيط الذى شاهدناه فى تصميم بعض قباب جبانة أسوان التى يرجح أنها ترجع إلى عصر الولاة - أى قبل منتصف القرن ٣هـ / ٩م - ومنها تلك المقابر التى تمثل الطراز الثالث بأنماطه الثلاثة وبعد النمط الثالث منها هو الأساس الذى تطور عنه تخطيط المشهد فى أسوان ثم مشهد الجيوشى وخضرة الشريفة والسيدة رقية ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل صار هذا النمط من التخطيط نموذجا لتخطيط المساجد والمدارس والخوانق فى بعض الأقطار العربية والإسلامية ؛ مع الاختلاف والفروق فى بعض العناصر والمفردات والتفاصيل بطبيعة الحال . محمد حمزة الحداد ، طراز المسجد القبة وأنماطه الباقية فى المدينة المنورة والهفوف ، دراسة تحليلية مقارنة للتخطيط وأصوله وتطوره فى العمارة الإسلامية ، ضمن سلسلة مدلولات اللقاء العلمى السنوى لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجى - اللقاء الثانى - الرياض ، دار الملك عبد العزيز (محرم ١٤٢١هـ / أبريل ٢٠٠٠م) ، ص ١٨٠ - ١٨٣ ؛ انظر أيضاً ، محمد حمزة الحداد ، القباب ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٣٢٥) جامع القرافة : عن هذا الجامع انظر رسالتنا للماجستير : قرافة القاهرة ، ص ٦٧ - ٧٠ ؛

Ragib, Sur Deux Monuments Funéraires Du Cimetiere d'al - Qarafa Al-Kubra Au Caire,

PP. 67 - 70., Bloom, The Mosque of the Qarafa in Cairo, Muqarnas, vol 4, (1987), PP. 7 - 20 .

(٣٢٦) مما له دلالة أن المقرئ لم يحدد موضع مسجد الشريفة بالقرافة وكل ما ذكره هو « ومسجد الشريفة بنى فى سنة إحدى وخمسمائة » (ج٢ ، ص ٤٥٢) وذلك ضمن حديثه عن بعض المساجد التى كانت توجد بالقرافة ومنها مسجد الزيات ومسجد الأنطاكي وغيرها . ومن جهة أخرى فإن المقرئ فى موضع آخر ذكر مصلى الشريفة وحدد موضعه وتاريخ بنائه بقوله « ... منها مصلى الشريفة كان بدرب القرافة بحدرة الجباسين وخطة الصدف بناه أبو محمد عبدالله بن الارسوفى الشامى التاجر سنة سبع وسبعين وخمسمائة » ج٢ ، ص ٤٥٤ .

Ragib, Sur Deux Monuments, PP. 72 - 83 .

هذا ولا تميل سعاد ماهر (المرحومة بإذن الله) إلى تسمية هذا المبنى الأخير الذى ذكره المقرئ بالمصلى لأنه يحتوى على مقومات المسجد ومن ثم أطلقت عليه اسم مسجد خضرة الشريفة ، وقد أرجعت المبنى القائم الآن إلى العصر المملوكى اعتماداً على تشابه أسلوبه المعماري مع كل من جامع الظاهر بيبرس ، ومدفن العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م) من جهة واعتماداً على ما ذكره ابن الزيات من أن الشيخ على التكرورى (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م) كان إماماً للجامع من جهة ثانية . سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج١ ، ص ٢٩٩ - ٣٠٣ . هذا ويرجح عبد الرؤوف على يوسف أن قبة عبد الرحيم بن إلياس ولى عهد الخليفة الحاكم الفاطمى التى كانت مجاورة لقبور بنى المغربى المعروفة خطأ بالقباب السبع قد هدمت فى أواخر العصر الفاطمى ثم جدد بناؤها وأطلق عليها مصلى الشريفة ثم حرف إلى قبة خضرة الشريفة وذلك لاحتواء القبر على رفات أحد أفراد البيت الفاطمى وهو

عبد الرحيم بن الياس ولى العهد الفاطمى والذى يعتقد أن ست الملك أخت الخليفة الحاكم هى التى حرضت على دس السم له لتتخلص منه ويتولى الخلافة بدلا منه الظاهر بن الحاكم الذى نشأ فى حجرها وتولت تربيته . عبد الرؤوف على يوسف ، إعادة قراءة بعض النصوص على الآثار والتحف الإسلامية، ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(٣٢٧) هو السلطان شمس الدين التمش ثانى سلاطين المماليك فى الهند وكانت فترة حكمه فيما بين عامى ٦٠٧ - ٦٣٣هـ / ١٢١١ - ١٢٣٥م وكان الفراغ من بناء ضريحه قبيل وفاته بعام واحد - أى عام ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م - وهو يقع فى الجهة الجنوبية الشرقية من مسجد قطب منار فى دلهى على مسافة ١٥٠ م . عبد الحى الندوى ، تاريخ المسلمين فى الهند ، حيدرآباد ، (١٩٧١م) ، ص ١٧٩ ؛ عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام فى الهند ، القاهرة (١٩٩٠م) ، ص ١١٠ ؛ الريحانى ، العمارة ، ص ٥٨٢ ؛

Nath, R., Monuments of Delhi, Historical Study, New Delhi, (1978),

(٣٢٨) أمر بإنشاء هذه الخانقاة ببيرس الجاشنكير فى عام ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م، وكملت فى عام ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م، وكان موضعها من جملة دار الوزارة الكبرى وكانت أجل خانقاة بالقاهرة بنيانا وأوسعها مقدارا وأقننها صنعة على حد قول المقرئى . الخطط ، ج ٢ ، ص ٤١٦ - ٤١٨ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، حسنى نوبصر ، العمارة الإسلامية فى مصر ، ص ١٨٩ - ١٩٦ .

(٣٢٩) مما له دلالة أن هناك من العلماء من يؤيد رأى كريزول فى تاريخ قبة محراب جامع القيروان بعام ٢٤٨هـ / ٨٦٢م . ومن بينهم ، فريد شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ماضيها وحاضرها ، ص ١٧٩ ؛ أما أحمد فكرى فلا يؤيد هذا رأى ، ويرى أنها ترجع إلى عام ٢٢١هـ / ٨٣٦م . أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ، ج ١ ، ص ١٦٣ ؛ المسجد الجامع بالقيروان ، القاهرة (١٩٣٦م) ، ص ١٠٢ ؛ ويؤيد هذا رأى السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الإسلامى ، ص ٣٣٨ ، ٣٤٤ - ٣٤٦ .

(٣٣٠) لا يخفى على القارئ الغرض الحقيقى الذى يرمى إليه كريزول ، ومن نهج نهجه ، من هذا القول ، ولكن حسبنا لكى ننفي هذا القول وتلك النتيجة أن هذا النوع المتطور لمنطقة الانتقال قد ظهر لأول مرة فى قبة بدر الجمالى المعروفة بقبة الشيخ يونس ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م أى قبل ظهورها فى كنيسة أبى سيفين . محمد حمزة الحداد ، القباب ، ص ٩٤ - ٩٥ .

(٣٣١) يعد حسن عبد الوهاب (المرحوم بإذن الله) من العلماء المصريين الرواد الذين كانت لهم بصمات واضحة فى الدراسات الآثارية الإسلامية بصفة عامة وفى تمصيرها بصفة خاصة وكانت وفاته عام ١٩٦٧م ودفن فى قراة المماليك القبلىة المعروفة بقراة سيدى جلال (جنوب القلعة) بجوار القبة الأثرية المعروفة خطأ بقبة تنكزيما .

(٣٣٢) انظر ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ج ١ ، ص ٦٥ .

(٣٣٣) مما له دلالة فى هذا الصدد أنه قد عثر على قرينة أثرية مهمة تؤكد بل وتعضد وتعزز ما أشار إليه حسن عبد الوهاب من أن القبة المعروفة بقبة الشيخ يونس هى قبة بدر الجمالى وقد أفردنا لها ولغيرها من القرائن والأدلة الأخرى دراسة مستقلة سوف تنشر فى القريب بمشيئة الله تعالى .

(٣٣٤) توجد لوحة رخامية تحوى سبعة أسطر بالخط الكوفى ملصقة بالركن الشرقى مجاورة للقبة تتضمن النقش التالى « بسم الله الرحمن الرحيم ... أمر بتجديد هذا الجامع المبارك مبارك بن كامل بن مقلد بن على بن نصر بن منقذ الناصرى الفخرى فى شهور ثمان وستين وخمسمائة ». وعلى ضوء هذا النقش المؤرخ نسبت القبة إلى عام ٥٦٨هـ / ١١٧٢م . سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج١ ، ص ٣٩٦ . ولما كان الركن الشرقى للجامع ملتصقا بالقبة ولذلك قام جارسان بارجاع تاريخ بناء هذا الركن إلى العصر الأيوبي ، ووصف هذه القبة بأنها بناء متنافر لا يستند إلى حائط المسجد ولكنه مأخوذ من هذا الحائط مما يعنى أن الحائط لاحق تاريخيا وهو الأمر الذى يغرى بأن تنسب الزاوية الشرقية للجامع الحالى إلى العصر الأيوبي ، وقد رجح أن القبة قد التصقت بالجامع فيما بعد سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م ، وأن الزاوية الشرقية للجامع لاحقة على هذا التاريخ ويحتمل أن تكون من العصر المملوكى الجركسى .

Garcin, J. C., Remarques sur un Plan Topographique de la grand Mosque de Qus, Annales Islamologiques, T. ix, le Caire, (1970), PP. 99 - 101 .

جمال عبد الرؤوف ، مساجد مصر العليا ، ص ٩٢ - ٩٣ ، ٩٦ ؛ محمد ناصر عفيفى ، القباب الجائزية الباقية بصعيد مصر ، ص ٩٤ - ٩٨ .

(٣٣٥) يعد المأمون البطائحي من أشهر وزراء الفاطميين ، بعد بدر الجمالى وابنه الأفضل شاهنشاه ، وكانت وزارته فيما بين ٥١٥-٥١٩هـ / ١١٢٢-١١٢٥م ، فى خلافة الأمر بأحكام الله وانتهى الأمر بقتله مع أخيه عام ٥٢٢هـ / ١١٢٨م ؛ ومن مآثره دار الضرب ودار الوكالة وتعمير مصر وإنشاء مسجد الأقرم وغير ذلك . أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٣ - ٢٣٩ ؛

Sayyid , La Capital, PP. 509 - 529 .

(٣٣٦) ابن ميسر ، أخبار مصر ، ج٢ ، ص ٦٢ ؛ المنتقى من أخبار مصر ، ص ٩١ ؛ ابن دقماق ، الانتصار بواسطة عقد الأمصار ، ج٤ ، ص ١٢١ ؛ المقرئى ، اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ص ٨١ ؛ عاصم محمد رزق ، المحارب الفاطمية فى أضرحة القاهرة ومشاهدها ، مجلة كلية الآداب - جامعة الملك سعود ، المجلد ١١ ، العدد ٢ ، الرياض (١٩٨٤م) ، ص ٤٧٨ ؛

Râgib., Les Sanctuaires, PP. 56 - 61 .

ونضيف على ما تقدم ما ذكره ابن عبد الظاهر عند حديثه عن مسجد كلثوم بقوله : « ويعرف بمشهد كلثوم بناء حسام الملك افتكين » (الروضة البهية ، ص ٩٨) ؛ ويذكر فى موضع آخر المساجد المعروفة بالمشاهد التى بين الجبل والقرافة وقد بناها المأمون البطائحي (ص ٩٨) مما يدل على أنه لا علاقة للمأمون (على ضوء ما أورده ابن عبد الظاهر) ببناء مشهد أو مسجد كلثوم . وفى دراسة سابقة أثبتنا أن مشهد أم كلثوم أو كلثوم كان معروفا قبل وجود الفاطميين فى مصر ، وقد قام الخليفة المعز لدين الله بزيارة المشاهد فى ركوب أول العام ومنها مشهد أم كلثوم وكان ذلك فى يوم عاشوراء ٣٦٣هـ / ٩٧٣م . محمد حمزة الحداد ، القباب ، ص ٤٦ - ٤٧ ؛ أما عن تفاصيل ما حدث فى

ربيع الأول ٥١٦هـ / ١١٢٢م فهو أن المأمون البطائحي قد أمر وكيله الشيخ أبا البركات محمد ابن عثمان بأن يتوجه إلى المشاهد السبعة ، وقيل التسعة ، بين الجبل والقرافة وأولها مشهد السيدة زينب وآخرها مشهد السيدة أم كلثوم وأن « يجدد عمارتها ويصلح ما تهدم منها ويجعل على كل مشهد لوحاً من رخام عليه اسمه وتاريخ تجديده فمدحه الشعراء بعدة قصائد عند فراغ العمارة ». ابن ميسر ، أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٦٢ ؛ المنتقى من أخبار مصر ، ص ٩١ ، ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ١٢١ ؛ المقرئ ، اتعاض ، ج ٣ ، ص ٨١ ؛ ويدل ذلك على أن ما حدث لمشهد أم كلثوم أو كلثوم ليس إلا عملية تجديد وإصلاح أو إعادة ترميم لهذا المشهد ولغيره من المشاهد . أما ما ورد لدى ابن عبد الظاهر فهو نص غير كامل ؛ وربما كان ذلك نتيجة لما تزخر به هذه النسخة المحققة (وهي النسخة الوحيدة الفريدة المعروفة حتى الآن) من عيوب (مثل السقط والنقص والتحريف والتصحيف) ترجع كلها إلى الناسخ كما صرح بذلك محقق الكتاب اعتماداً على نسخته الوحيدة هذه . ص ١٩ من مقدمة التحقيق .

(٣٣٧) انتهت بعض الدراسات الحديثة التي صدرت منذ الثمانينات من القرن العشرين المنصرم إلى أهمية واجهة مسجد الأقمر . ليس فقط من حيث تماثل الواجهة وتوافقها مع خط تنظيم الطريق أو من حيث أنها أقدم واجهة حجرية باقية في القاهرة عنى بينائها وزخرفتها بسخاء وظهور المقرنصات الزخرفية لأول مرة في واجهات المساجد القاهرية وإنما أيضاً من حيث مضمون زخرفة هذه الواجهة المثير للانتباه ولا يوجد له نظير . وقد أملى هذا التوافق مع خط تنظيم الطريق الوضع الخاص للمنطقة التي تحيط بموقع المسجد والتي فرضت كذلك هذه الزخرفة الشاملة الرائعة للواجهة نفسها ؛ فالمسجد كان ملاصقاً تماماً للقصر الشرقي الكبير لا يفصله عنه سوى ممر ضيق وأصبح بذلك في قلب الطقوس الاحتفالية للمدينة ، ولما كان المأمون البطائحي يرجع إليه الفضل في إعادة إحياء الاحتفالات الفاطمية واستجد ثلاثة مناظر في واجهة القصر الكبير وهي الزاهرة على قوس باب الذهب والفاخرة على قوس باب البحر ، والناصرة (لم تحدد المصادر موضعها) وكان يجلس فيها الخليفة الأمر لعرض العساكر ؛ ولذلك كانت زخارف واجهة الأقمر على هذا النحو لكي تعكس هذه التطورات التي أدخلها المأمون البطائحي لتتماثل مع زخارف واجهة القصر الفاطمي فجعل مهندس المسجد مدخله الرئيسي بارزاً عن سمت جدار المؤخر ، وجعل في كل من الجناحين المتماثلين باباً منحوتاً وشباكاً يماثلان المناظر التي إستجدها المأمون فوق بابي الذهب والبحر والسابقين لواجهة الأقمر . ويبدو اتفاق زخرفة الواجهة مرة أخرى مع الإصلاحات التي أدخلها الوزير المأمون على الاحتفالات الفاطمية في الحلية الدائرية (الجامدة) التي تتوسط عقد المدخل الرئيسي والتي تشبه نمط الدينار الفاطمي الذي بدئ في ضربه في أول دار ضرب بالقاهرة عام ٥١٦هـ / ١١٢٢م وهي دار الضرب الأمرية - وبصفة خاصة النقوش الموجودة في مركزه ؛ ولكن ليس بنفس الصيغ المنقوشة على الدينار وقد نقش في هذه الحلية الدائرية اسم الإمام على (رضى الله عنه) إلى جانب اسم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بصيغة (محمد وعلى) وذلك تعبيراً عن الاعتقاد الشيعي للخلافة الفاطمية .

أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ٦١٨ - ٦٢٠ ؛

Williams, C., The Cult of Alid Saints in the Fatimid Monuments of Cairo, Part I : The Mosque of al - Aqmar, Muqarnas, vol, I, New Haven and London (1983), PP. 37 - 52 ; Abouscif,

D. B., The Façade of the Aqmar Mosque in the Context of Fatimid Ceremonial, Muqarnas, vol. IX, (1992), PP. 29 - 38 .

وعن أحداث الأراء المتعلقة بأثر فكر العقيدة الشيعية الإسماعيلية على العمائر والفنون الفاطمية انظر ، محمود مرسى ، العمائر الإسلامية الدينية والمدنية الباقية في مدينة دمشق خلال العهدين الزنكي والأيوبي ، رسالة دكتوراه - غير منشورة - جامعة القاهرة (٢٠٠٣م) ص ٢١٩ - ٢٣١ ، ٣٣٠ ؛ (ومما يجب التنويه إليه في هذا الصدد أن ما انتهى إليه الباحث من أراء لا يزال بحاجة إلى مناقشة وهو ما سوف نعود إليه في دراسة لاحقة بمشيئة الله تعالى) .

(٣٣٨) انظر عن هذا الموضوع الحاشية رقم ١٧٤ من التعليقات .

(٣٣٩) انظر أيضاً ، ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص ٧٣ - ٧٤ ؛ ويضيف فيذكر أن اسم الأمر والمأمون عليه - أى المسجد - إلى الآن - أى حتى عصره - ولا تزال النقوش الإنشائية بواجهة المسجد تؤكد هذا القول وتعضده .

(٣٤٠) انظر أيضاً على مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة ، ج-٤ ، ط٢ ، (١٩٨٠م) ، ص ١٢٤ .

(٣٤١) لا يزال هذا المحراب الخشبي المتنقل محفوظاً بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة . وعن أهمية هذا المحراب الفنية انظر ، زكى محمد حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ ؛ فريد شافعى ، مميزات الأخشاب المزخرفة ، ص ٧٩ - ٨٥ .

(٣٤٢) كان الشيخ أبو تراب الصواف وكيل الجهة التى بنت مسجد الأندلس ورباطه ومسجد رقية وهى جهة مكنون واسمها علم الأمرية أم ابنة الأمر التى يقال لها ست القصور وقيل أن اسمها علمية ، وقد ورد اسمه على الضريح الخشبي المؤرخ بعام ٥٣٣هـ / ١١٣٨م بصيغة «على يد السنى أبو تراب حيدرة ابن أبى الفتح» . ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص ٩٣ - ٩٤ ؛ المقرئى ، الخطط ، ج-٢ ، ص ٤٤٦ - ٤٤٨ .

(٣٤٣) يستدل من نص المقرئى أن المتوفى فى هذه السنة هو أبو عبد الله الحسين بن أبى الفضل عبد الله بن الحسين الجوهرى الذى تم على ولد الأمر المسمى قفيفة بعدما مات الشيخ أبو تراب . (ج-٢ ، ص ٤٤٨) ؛ إلا أن تسجيل اسم أبى تراب على ضريح السيدة رقية المؤرخ بعام ٥٣٣هـ / ١١٣٨م يدل على أنه كان لا يزال حياً حتى هذا التاريخ .

(٣٤٤) يؤكد هذا النقش ما ورد فى المصادر التاريخية وبخاصة كتب المزارات ومن نقل عنها من أن هذا المشهد من مشاهد الرؤيا وقد أمر بينائه الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله . ابن الناسخ ، مصباح الدياجى ، (مخطوطة بمكتبتى الخاصة وسوف تنشر محققة فى القريب إن شاء الله) ؛ ابن الزيات ، الكواكب السيارة ، ص ١٨٤ ؛ السخاوى ، تحفة الأجيال ، ص ١٢٠ - ١٢٣ ؛ على مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة ، ج-٢ ، ط٢ ، (١٩٨٢م) ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ؛ وعلى ذلك فإن هذا المشهد من أعمال الخليفة الحافظ لدين الله (٥٢٦-٥٤٤هـ / ١١٣٢-١١٤٩م) ، أما أعمال علم الأمرية فتتصدر فقط فى تزويد هذا المشهد بالضريح الخشبي أولاً فى عام ٥٣٣هـ / ١١٣٨م ، كما يستدل من النقش الكتابى وصيغته : «... أمر بعمل هذا الضريح المبارك الجهة الكريمة الأمرية التى يقوم بخدمتها القاضى مكنون الحافظى على يد السنى أبى تراب حيدرة بن أبى الفتح ... فى سنة ثلاث

وثلاثين وخمسمائة؛ ثم المحراب الخشبي المتقل ثانيًا وكان ذلك في خلافة الفائز (٥٤٩-٥٥٥هـ/ ١١٥٥-١١٦٠م) كما يستدل من النقش وصيغته « مما أمر بعمله الجهة الجبلية المحروسة الكبرى الأمرية التي كان يقوم بخدمتها القاضي أبو الحسين مكنون (مما يدل على وفاته بعد عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٩م) ويقوم بأمر خدمتها الآن الأمير السديد نصيف الدولة أبو الحسن يمن الفائز الصالحى برسم مشهد السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين على » .

(٣٤٥) القبة الأولى وتعرف بقبة المحراب أو المقصورة وقد أمر ببنائها الوزير نظام الملك للسلطان جلال الدين ملكشاه عام ٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م ، أما القبة الثانية المعروفة باسم كنبدي خاكي فقد أمر ببنائها الوزير تاج الملك عام ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م ولذلك فهي تعرف أيضًا بقبة تاج الملك . ولمزيد من التفاصيل عن الجامع وتطور عمارته وعناصره المعمارية والفنية انظر ، أصلان آبا ، فنون الترك ، ص ٣٢ - ٣٤ ؛ عبد القادر الريحاوي ، العمارة في الحضارة الإسلامية ، ص ١٦٦ - ١٦٩ ؛ سيد كمال جوادى ، مساجد إيران ، ج ١ ، ص ١١٢ - ٢١٩ .

(٣٤٦) عن هذا الجامع انظر ، أصلان آبا ، فنون الترك ، ص ٣٤ ؛ عبد القادر الريحاوي ، العمارة ، ص ١٦٩ ؛ سيد كمال جوادى ، مساجد إيران ، ص ٣٤٣ - ٣٤٦ .

(٣٤٧) تتضمن عمارة هذا الجامع عدة مراحل من البناء والتوسعة والزيادة والإضافة خلال العصور : السلجوقى والمغولى والصفوى ، وبالجامع نقوش عديدة يمكن من خلالها تتبع تطور عمارة الجامع ، ومن بينها النقوش السلجوقية ومنها نقوش مؤرخة بـ ٥٠٧هـ و ٥٠٩هـ و ٥١٤هـ و ٥٤٨هـ . انظر ، سيد كمال جوادى ، مساجد إيران ، ص ٣١٩ - ٣٣٥ .

(٣٤٨) أخذت هذه القبة اسمها (كنبد سرخ) من لون طوبها القرمزى (كنبد قرمز) . أصلان آبا ، فنون الترك ، ص ٤٣ .

(٣٤٩) عن هذا الجامع انظر ، أصلان آبا ، فنون الترك ، ص ٣٥ - ٣٦ ؛ عبد القادر الريحاوي ، العمارة ، ص ١٦٩ - ١٧١ ؛ سيد كمال جوادى ، مساجد إيران ، ص ٢٧١ - ٢٧٣ .

(٣٥٠) عن نشأة هذا النوع من القباب وتطورها في العمارة الإسلامية ولا سيما في العراق والشام والمشرق الإسلامى انظر : عطا الحدينى ، هناء عبد الخالق ، القباب المخروطية في العراق ، بغداد (١٩٧٤م) ؛ عيسى سلمان وآخرون ، العمارات العربية الإسلامية في العراق ، ج ٢ ، بغداد (١٩٨٢م) ؛ علاء الدين العائى ، المشاهد ذات القباب المخروطة في العراق ، بغداد (١٩٨٢م) ؛ كامل حيدر ، المقرنصات في العمارة الإسلامية ، بيروت (١٩٩٤م) .

Tabbaa Y., The Muqarnas Dome : its Origin and Meaning Muqarnas, vol, 3, (1985), PP.

61 - 73 .

وعن هذه القباب المقرنصة أو المقرنصة كما تعرف في الغرب الإسلامى انظر ، محمد محمد الكحلاوى ، القباب المقرنصة في المغرب الأقصى في عصر المرابطين ، مجلة التاريخ والمستقبل ، قسم التاريخ بآداب المنيا ، المجلد ٣ ، العدد الأول ، يناير (١٩٩٣م) ، ص ١٥٥ - ١٩٢ . (ولنا على هذا البحث ملاحظات ومآخذ سوف تنشر في دراسة مفردة لاحقة بمشيئة الله تعالى) .

(٣٥١) لمزيد من التفاصيل عن البيمارستان النورى بدمشق والقبة المقرنصة التي تملو دركاة مدخله انظر ، فريد

شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ، ص ١٩٢ - ١٩٣ ؛ عبد القادر الريحاوى ،
العمارة ، ص ١٨٨ - ١٩١ ؛ محمود مرسى ، العمائر ، ص ١٧٥ - ١٨٣ ، ٢٥٣ .
(٣٥٢) عن المدرسة النورية بدمشق والتربة النورية التى تعد الانموذج الثانى للقبة المقرنصة فى سوريا انظر ؛
عبد القادر الريحاوى ، العمارة ، ص ١٩١ - ١٩٢ ؛ محمود مرسى ، العمائر الإسلامية ، ص ٦٢ -
٦٧ ، ٢٥٣ .

(٣٥٣) عن هذه المدرسة انظر ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة العربية الإسلامية، خصائصها وآثارها فى
سورية ، دمشق ١٩٧٩ ، ص ١٤٢ .

(٣٥٤) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر ، محمد حمزة الحداد ، القباب ، ص ٩٥ - ٩٨ .
(٣٥٥) وعلى النقيض من ذلك يرى أحمد فكرى أن مناطق الانتقال الفاطمية مقتبسة من مثلتها المغربية
واستدل على ذلك بتضليلات القباب الفاطمية التى تشبه قبتى المحراب فى القيروان والزيتونة وبأن المظهر
الخارجى للقبة واحد فى كليهما فقد تم التحول من المربع إلى المثلث عن طريق التدرج . مساجد
القاهرة ، ج ١ ، ص ١٦٤ - ١٦٦ ؛ والواقع ان هذا القول إذا كان يصدق على مناطق الانتقال
الفاطمية الأولى البسيطة وعلى التضليلات وتدرج منطقة الانتقال الخارجى إلا أنه لا يصدق على
مناطق الانتقال الفاطمية المتطورة التى بعدت الصلة بينها وبين مناطق الانتقال التونسية التى تشبه
مثلتها فى مناطق الانتقال الفاطمية الأولى البسيطة من حيث وجود أربع حنايا بواقع حنية فى كل
ركن من الأركان هذا من ناحية ؛ ومن ناحية أخرى فإن مناطق انتقال القباب التونسية لم تتطور
وظلت على شكل الحنية الركنية الواحدة فى جميع مراحل العمارة الإسلامية هناك . سليمان
مصطفى زبيس ، القبة التونسية (ضمن كتاب دراسات فى الآثار الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٩م) ،
ص ٩٣ - ١١٠ ؛ حسن عبد الوهاب ، الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة (بحث منشور ضمن
الكتاب المشار إليه) ، ص ١٣٤ - ١٣٥ . وعلى ذلك يمكن القول إن التطور الذى حدث لمناطق
الانتقال الفاطمية فى الثلث الأخير من القرن ١١هـ / ١١م كان بداية لظهور المقرنصات فى مصر
وتطورها فى حطات متتابعة حلت محل الحنية الركنية الواحدة الكبيرة . محمد حمزة الحداد ،
القباب ، ص ٩٩ .

(٣٥٦) تعرف هذه الطبالي (مفردها طبلية) أيضاً بمصطلح قرمة ، وقد أقيمت عقود واجهة مقدم الجامع
الأزهر على هذه الطبالي أو القرم أما عقود بائكات المقدم والمجنبتين فقد بنيت وفق نظام آخر حيث يعلو
تيجان الأعمدة الطبالي أو القرم ثم يعلو ذلك حدارات كل منها على هيئة مكعب من البناء يصل
ارتفاعه إلى نصف متر تقريباً ثم يعلو ذلك طنف ، وبهذه الطريقة تم رفع سقف المسجد إلى علو يزيد
عن ضعف ارتفاع الأعمدة مع تيجانها وقواعدها ، كذلك فإنه من الملاحظ أن الأوتار أو الأربطة
الخشبية التى تصل بين أطراف العقود وتربطها تبدأ عند مستوى هذه الحدارات . أحمد فكرى ،
مساجد القاهرة ، ج ١ ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(٣٥٧) يحدد أحمد فكرى أن قبة البهو أضيفت إلى مسجد الزيتونة بتونس فى عام ٣٨١هـ / ٩٩١م أى فى
نفس السنة التى أضيفت فيها مجنبات الصحن وذلك اعتماداً على النقش الكتابى الذى يدور حول
قاعدة القبة المربعة فوق العقود التى تتركز عليها . أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ، ج ١ ، ص ١٤٢ ؛
مسجد الزيتونة الجامع فى تونس ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٤ ، العدد ٢ ، القاهرة (١٩٥٢م) ،

ص ٦٧ . وانظر أيضاً ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، ص ٣٥٢ - ٣٥٤ ؛

LÉZINE, Architecture De L'ifriqiya , PP. 81 - 83 .

(٣٥٨) أثبتنا في دراسة سابقة أن مصطلح البهو كان مرادفاً لمصطلح البلاطة في الغرب الإسلامي وعلى ذلك فإنه كان يقصد بقبة البهو القبة التي تعلو مقدمة البهو الأوسط (البلاط الأوسط في الغرب الإسلامي والرواق الأوسط العمودي على جدار القبلة في مصر) من عند الصحن ؛ ومن ثم فإن ما ذهب إليه (سوفاجيه) من أن لفظ البهو كان يطلق في بادئ الأمر على البلاطة الوسطى ثم أخذ ينكمش حتى أطلق على نهاية البلاطة فحسب لا أساس له من الصحة لأن الأبهاء مرادفة للبلاطات (أو الأروقة) كلها وليس للبلاط الأوسط فحسب هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن نص البكري المتعلق بقبة باب البهو يدلنا على أن قبة البهو إنما عرفت بهذه التسمية ليس لأنها مطلة على الصحن كما هو معروف وإنما لأنها أضيفت في نهاية البهو الأوسط (أي البلاطة الوسطى أو الرواق الأوسط العمودي) من عند الصحن وظلت علماً عليه حتى بعد اختفاء مصطلح البهو كمرادف لمصطلح البلاطة ، ولذلك نخلص إلى القول إن بقاء واستمرار هذه التسمية (قبة البهو) حتى الآن إنما هو في حد ذاته قرينة تاريخية تؤكد هذا التفسير . محمد حمزة الحداد ، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية ، ص ٦٩ - ٧٠ . ونضيف على ذلك فنقول إن كريزول قد أغفل الإشارة إلى عنصر مهم من عناصر هذه القبة الحافظية؛ ويتمثل ذلك العنصر في وجود محرابين على جانبي العقد الأوسط الذي يفضي إلى داخل الرواق الأوسط المعروف خطأً بالمجاز القاطع بواقع محراب عن اليمين ومثله عن اليسار - ولكنهما خاليان من الزخرفة - وإضافة هذا العنصر إنما يؤكد التأثير المغربي ؛ فقد دعت الحاجة أمام اكتظاظ المساجد في أيام الجمعة أن يقف عند هذا الصحن وفي موضع يقابل المحراب الرئيسي للمسجد إمام ثان أو مؤذن يردد ابتهالات خطيب المسجد وتكبيره ؛ ويطلق على هذه المحاريب في بلاد المغرب اسم العنزة ، وهي اصطلاح يقصد به المحراب الرمزي الذي يقام في الصحن عند نهاية بلاطة المحراب ، ولا تزال هذه العادة متبعة في بلاد المغرب إلى اليوم . أحمد فكري ، مساجد القاهرة ، ج ١ ، ص ١٤١ - ١٤١ ؛ وعلى ذلك فإن هذه المحاريب الرمزية تعد من بين تأثيرات الغرب الإسلامي على العمارة المصرية في عهد الخليفة الحافظ لدين الله ولمزيد من التفاصيل عن المحراب والعنزة انظر ،

Miles, G., Mihrab and Anazah, Astudy in Early Islamic Iconography , in Archaeologica

Orientalia in Memorian Ernst Herzfeld, New York, (1952), PP. 156 - 171 .

ولما كانت العنزة تتخذ عند الحاجة بديلاً عن المحراب ، ولذلك يمكن القول إن المحاريب الخشبية المتنقلة التي ترجع إلى العصر الفاطمي (مثل الأزهر والسيدة نفيسة والسيدة رقية) والمحفوطة حالياً بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة كانت تؤدي نفس الغرض وتقوم بوظيفتها خير قيام فكانت توضع في صحنون المساجد أو تنصب ، ومعها المنابر المتنقلة ، في الصحراء ؛ ولا سيما عند إقامة صلاة الاستسقاء ، وتزخر المصادر التاريخية المتأخرة بإشارات كثيرة حول هذا الموضوع ؛ وهو الأمر الذي يؤكد استمرار صناعة مثل هذه المحاريب بعد العصر الفاطمي .

(٣٥٩) عن هذه الأعمال الخشبية وأهميتها الفنية انظر ، زكى محمد حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٢٠ ؛ فريد شافعى ، مميزات الأخشاب المزخرفة ، ص ٧٩ - ٨٣ ؛ عاصم محمد رزق ، المحارب ، ص ٥٠٠ - ٥٠٤ ؛ أحمد عبد الرازق أحمد ، الفنون ، ص ٩٥ - ٩٦ .

(٣٦٠) انظر حاشية رقم ٢٢٣ من التعليقات .

(٣٦١) كيف تكون هذه الأبنية الثلاثة سوابق على قبة الحصواتى الفاطمية - مع أنها ترجع إلى العصر المملوكى بدولتيه البحرية والبرجية (الجراسية) - والأصوب أنها لاحقة لها وليست سابقة عليها .

(٣٦٢) يقصد بذلك الإشارة إلى قبة الأمير يشبك أخى السلطان الأشرف برسباى والمدفون بحوش تربة أخيه بقرافة صحراء الممالك شرق القاهرة .

(٣٦٣) يصف على مبارك موضع هذه القاعة عند وصفه لشارع الكعكيين فيقول : « ... وهناك أيضاً دار كبيرة على يمنة من سلك من هذا الشارع إلى الباطلية لها بابان ؛ أحدهما وهو الكبير من الكعكيين والثانى من درب الأتراك وهى موقوفة ثلاثة أرباعها على زاوية الشيخ الدردير والربع الرابع على الخطيب الشربيني صاحب التفسير وتنسب للخطيب الشربيني إلى الآن - أى حتى زمن على مبارك - وبها قاعة ذات إيوانين مرتفعة البناء جداً يقال لها قاعة قلاوون مبنية بالحجر الدستور يظنها الناظر جامعاً لعظمها واتساعها ... » . على مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة ، ج-٢ ، ص ٢٦٩ .

(٣٦٤) هو الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن أبى حامد العدوى المالكى الأزهرى الخلوتى الشهير بالدردير ولد ببنى عدى ١١٢٧هـ / ١٧١٥م وعين عقب وفاة الشيخ على الصعيدى شيخا على المالكية ومفتياً وناظراً على وقف الصعايدة وشيخا على طائفة الرواق بل شيخا على أهل مصر بأسرها فى وقته حسا ومعنى ، وكانت وفاته فى ٦ ربيع الأول ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م ، ودفن بزاويته التى أنشأها بخط الكعكيين ١١٩٩هـ / ١٧٨٤م بجوار ضريح سيدى يحيى بن عقب ، وقد حرر له قبلتها عبد الرحمن الجبرتى . الجبرتى ، عجائب الآثار - ج-٢ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٥ ؛ على مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج-٢ ، ص ٢٦٧ ؛ وما له دلالة أن هذه القاعة قد عرفت بقاعة الدردير ليس لأنها بالقرب من زاوية الدردير كما هو معروف وإنما لأن الدار الكبيرة التى تضم هذه القاعة كانت ثلاثة أرباعها موقوفة على زاوية الشيخ الدردير ، كما يستدل مما أورده على مبارك (وهو ما أشرنا إليه فى الحاشية السابقة من تعليقاتنا) .

(٣٦٥) سوف نقوم بمناقشة هذا الموضوع تفصيلاً فى تعليقنا على المجلد الثانى من هذا الكتاب عند الحديث عن التطور المعمارى للمدرسة (إن شاء الله تعالى) .

(٣٦٦) هو القاسم الطيب - وليس أبى الطيب - بن محمد المأمون بن جعفر الصادق هو والد سيدى يحيى (الشبيه) ودفن بالقرب من مشهد ولده يحيى هناك وقد كتب على قبره من نظم ابن سناء الملك الوزير (ت ٦٠٨هـ / ١٢١١م) . ابن عثمان ، مرشد الزوار ، ص ١٩٤ - ١٩٦ ؛ عبد الرؤوف المناوى ، الكواكب الدرية ، ج-١ ، ص ٧٩ ؛ مصطفى القلعاوى ، مشاهد الصفا فى المدفونين بمصر من آل المصطفى ، تحقيق على عمر ، القاهرة (٢٠٠٢م) ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٣٦٧) أثبتنا في دراسة سابقة أن مشهد يحيى الشبيه ، ومثله القاسم الطيب وأم كلثوم ، يمثل مرحلة من مراحل تطور العمائر الجنائزية في العمارة الإسلامية عامة وفي مصر خاصة ، وترجع جذورهما الأولى إلى فترة عصر الولاة وبصفة خاصة في نموذج المقبرة رقم ٤٢ من مقابر جبانة أسوان جنوب مصر والتي تشتمل على زيادة لا تزال معالمها باقية وواضحة ، وهذه الزيادة عبارة عن ثلاثة أروقة تحيط بمربع القبة من ثلاث جهات عدا جهة القبلة ، ومن الملاحظ أنه يتوسط صدر كل من الرواقين الجانبيين محراب صغير إلا أنه لم يعد باقيا سوى محراب الرواق الأيسر - بالنسبة للواقف تجاه محراب القبة - ويفتح مربع القبة على هذه الأروقة من خلال ثلاثة أبواب معقودة . وعلى ذلك فإن نموذج هذه المقبرة يمثل الارهاصات الأولى لذلك التطور الذي يمثلته مشهد يحيى الشبيه ولكن مع بعض الفروق والاختلافات الطفيفة ومنها أن الزيادة بمشهد يحيى الشبيه والمتمثلة في الأروقة الثلاثة تحيط بمربع القبة من ثلاث جهات عدا الجهة البحرية - الشمالية الغربية - وليس جهة القبلة كما هو الحال في نموذج المقبرة رقم ٤٢ ، ومن جهة ثانية قسم الرواق القبلي (الجنوبي الشرقي) الذي يتوسطه المحراب إلى ثلاثة أقسام غطى القسم الأوسط منها - تجاه المحراب - بقبة صغيرة مقامة على حطتين من المقرنصات بينما غطى القسمين الجانبيين بقباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية بواقع قبة بكل قسم منهما . هذا ولم يقتصر هذا التخطيط على المشاهد فحسب ؛ بل صممت على أساسه بعض العمائر الدينية ومن أشهرها المساجد ، وبصفة خاصة ما يرجع منها إلى العصر العثماني في مصر والسعودية وتركيا والتي تعد أقدم النماذج الباقية المعروفة حتى الآن لذلك التخطيط بعد المشاهد الفاطمية المشار إليها (ومنها جامع لارى چلبى فى أدرنه والجامع الخزفى فى اسكدار وجامع على باشا فى الهفوف وجامع سنان باشا وجامع أبى الذهب فى القاهرة) وربما يعثر فى المستقبل إن شاء الله على نماذج أخرى تسد هذه الفجوة الزمنية فيما بين أواخر العصر الفاطمى والعصر العثمانى - أى فيما بين القرن ٦ - ٩ هـ / ١٢ - ١٥ م - محمد حمزة الحداد ، طراز المسجد القبة وانماطه الباقية ، ص ١٨٧ - ١٩٠ ؛ القباب ، ص ٦٧ - ٦٨ . وعلى ضوء ما تقدم تساهم هذه النتيجة التى انتهينا إليها فى حل هذا اللغز الذى يشير إليه كرىزول ؛ وبالتالى فإنه لا علاقة بين تخطيط هذا المشهد وبين تخطيط معبد النار فى جيره لأن الأساس الذى تطور عنه تخطيط هذا المشهد وغيره كان معروفا فى مصر خلال فترة عصر الولاة كما سبق أن أوضحنا .

(٣٦٨) عن صيغة النص الأصيل لابن عبد الظاهر انظر ، الروضة البهية ، ص ٧٤ - ٧٥ .
 (٣٦٩) ورد وصف ابن جبير على النحو التالى « فمن ذلك المشهد العظيم الشأن الذى بمدينة القاهرة ، حيث رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وهو فى تابوت فضة مدفون تحت الأرض قد بنى عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه ولا يحيط الإدراك به مجلل بأنواع الديباج ... فيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مما لا يتخيله المتخيلون ... » . رحلة ابن جبير ، ص ٤١ . وعن أهمية هذا التابوت (وهو محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة) الفنية انظر ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص ٨٧ - ٩١ ؛ عبد العزيز صلاح سالم ، الفنون الإسلامية فى العصر الأيوبي ، ج ٢ ، القاهرة (٢٠٠٠م) ، ص ٥٥ - ٥٦ .

(٣٧٠) انظر حاشية رقم ١٦١ من التعليقات .

(٣٧١) عن تفاصيل هذه العمارة يذكر الجبرتي « ومن مآثره أنه وسع المشهد الحسيني واشترى عدة أماكن بماله وأضافها إليه ووسعه وصنع له تابوتا من أبنوس مطعما بالصدف مضييا بالفضة وجعل عليه سترا من الحرير المزركش بالخيخيش ... » الجبرتي ، عجائب ، ج١ ، ص ١٩٣ .

(٣٧٢) هو السيد علي بن موسى بن مصطفى بن محمد بن شمس الدين الحسيني المقدسي الأزهرى المصرى ويعرف بابن النقيب وكانت وفاته فى عام ١١٨٦هـ / ١٧٧٢م . وقد ورد نص الجبرتي على النحو التالى « وفى سبع وسبعين ومائة وألف إستخار الله تعالى فى التوجه إلى دار السلطنة لأمر أوجبت رحلته إليها منها : أنه ركبت عليه الديون وكثر مطالبوها وضاق صدره من عدم مساعدة الوقت له ، وكان إذ ذاك محل تدريسه بالمشهد الحسيني ، وعزم عبد الرحمن كتحدا على هدمه وإنشائه على هذه الصورة ، ورأى أن هذه البطالة تستمر أشهرا فوجد فرصة وتوجه إليها وقرأ درسا فى الحديث فى عدة جوامع واشتهر هناك بالمحدث ... فعاد إلى مصر ... وعاد إلى دروسه فى المشهد وذلك سنة ثلاثة وثمانين ومائة وألف » الجبرتي ، عجائب ، ج١ ، ص ٥٨٢ - ٥٨٥ ؛ على مبارك ، الخطط ، ج٤ ، ص ١٣٥ .

(٣٧٣) هو الشيخ محمد الصبان وكتابه الموسوم بـ « اسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين » وهو مطبوع بهامش كتاب نور الأبصار للشبلنجي ، القاهرة ، د. ت .

(٣٧٤) لمزيد من التفاصيل عن هذه العمارة انظر ، على مبارك الخطط التوفيقية ، ج٤ ، ط ٢ (١٩٨٠م) ، ص ١٨٤ - ١٨٧ ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص ٨٦ - ٨٧ .

(٣٧٥) يتضمن هذا النقش الصيغة التالية « بسم الله الرحمن الرحيم الذى أوصى بإنشاء هذه المئذنة المباركة على باب مشهد السيد الحسين تقربا إلى الله ورفعاً لمنازل الإسلام الحاج إلى بيت الله أبو القاسم ابن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور تقبل الله منه ، وكان المباشر بعمارتها ولده لصلبه الأصغر الذى أنفق عليها من ماله بقية عمارتها خارجا عما أوصى به والده المذكور وكان فراغها فى شهر شوال سنة أربع وثلاثين وستمائة » ، ويستدل من هذا النقش ومن النقش الآخر أنه بدأ بناء هذه المئذنة الشيخ الزرزور ثم أنمها من بعده ابنه محمداً .

(٣٧٦) من الملاحظ هنا أن كريتزل قد قام بدراسة المئذنة فقط على اعتبار أنها فاطمية ؛ أما القبة فقد اعتبرها مملوكية اعتماداً على النقش المؤرخ بعام ٨٦٦هـ / ١٤٦٢م ولذلك أخرجها من نطاق دراسته ، (ومثله فى ذلك حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص ١٢٧) ؛ وانظر أيضاً ، عبد الله كامل ، تطور المئذنة ، ص ١٢٠ - ١٢٣ ؛ والواقع أن القبة هى الأخرى ترجع إلى أواخر العصر الفاطمى وقد شيدت هى والمئذنة فى تاريخ واحد وهو ٥٥٢هـ / ١١٥٧م وتمثل المرحلة الأخيرة لتطور القباب فى العصر الفاطمى . أحمد فكرى ، مساجد ، ج١ ، ص ٣٧ . محمد حمزة الحداد ، القباب ، ص ١٦١ - ١٦٢ . ولمزيد من التفاصيل انظر ، عبد الرحمن فهمى محمد ، مشهد سيدي معاذ ، منبر الإسلام ، السنة ٣١ ، العدد ٥ ، يونيو (١٩٧٣م) ، ص ٢٠٠ ؛ سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج٢ ، ص ٧٢ - ٧٣ .

(٣٧٧) انظر على مبارك ، الخطط ، ج٥ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ ؛ السخاوى ، تحفة الأحباب ، ص .

(٣٧٨) يذكر حسن عبد الوهاب أن هذه المئذنة أيوبية وليست فاطمية على اعتبار أن الخوذة المضلعة من مميزات قمم المآذن الأيوبية . تاريخ المساجد ، ج١ ، ص ١٢٧ . والحق أن هذه المئذنة تعد هي الأخرى المرحلة الأخيرة لتطوير المئذنة المصرية في العصر الفاطمي ، وهي المرحلة التي استمرت ونضجت في المآذن الأيوبية الباقية كما هو الحال في مئذنة المدارس الصالحية النجمية ٦٤١هـ / ١٢٤٢م .

(٣٧٩) كان يلقب بـ « الظافر بالله » أو « الظافر بأعداء الله » ، وقد قتل في آخر محرم ٥٤٩هـ / ١١٥٤م .

(٣٨٠) هو علي بن السلار والى الاسكندرية والبحيرة ، ثم ولى الوزارة للظافر وقام نصر بن عباس الصنهاجى بقتله في ٦ محرم ٥٤٨هـ / ١١٥٣م .

(٣٨١) هو الأمير عباس الصنهاجى والى الغربية وكان ابن زوجة علي بن السلار ، وتولى الوزارة بعد مقتل بن السلار ٥٤٨هـ / ١١٥٣م .

(٣٨٢) قيل إن أسامة بن منقذ أمير شيزر كان له دور فى قتل ابن السلار ولما علم الأمراء بذلك هموا بقتله ، وبلغه ذلك فأخذ فى إثارة عباس على ولده نصر متهمًا إياه بأن الخليفة يفعل به مثل ما يفعل مع النساء ففاح عباس ابنه فى ذلك ، فما كان من نصر إلا أن قتل الخليفة بتحريض من والده ومن أسامة بن منقذ .

(٣٨٣) كان يلقب بـ « الفائز بنصر الله » وكانت وفاته فى ١٧ رجب ٥٥٥هـ / ١١٦٠م .

(٣٨٤) سقطت عسقلان على يد الفرغ فى ٢٧ جمادى الأولى ٥٤٨هـ / ١١٥٣م وبذلك فقد الفاطميون آخر ممتلكاتهم فى الشام .

(٣٨٥) يعتبر الوزير على بن السلار أول من حاول عقد اتفاق مع السلطان نور الدين محمود أمير حلب لعمل جبهة موحدة فى مواجهة الفرغ الصليبيين إلا أن الظروف لم تكن مهيأة وقتئذ ، وليس بسبب أنه كان سنيا والفاطميون شيعة علما بأن ابن السلار كان سنيا على مذهب الشافعى .

(٣٨٦) قتل الملك الصالح طلائع فى ١٩ رمضان ٥٥٦هـ / ١١٦١م .

(٣٨٧) انظر أيضاً ، ابن عبد الظاهر ، الروضة البهية ، ص ٧٤ - ٧٥ .

(٣٨٨) الجامع المعلق : هو المرتفع مدخله عن مستوى أرضية الطريق ويصعد إليه بسلاسل ، وتوجد أسفله عدة حوانيت موقوفة عليه ، وأحيانا توجد حواصل بدلاً من الحوانيت . عبد اللطيف إبراهيم ، وثيقة الأمير أخور كبير قراقجا الحسنى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ١٨ ، ج٢ ، ديسمبر ١٩٥٦م ، القاهرة (١٩٥٩م) ، ص ٢٢٢ تحقيق ٤ .

(٣٨٩) تتضمن نقوش هذا الأفرز الرائع الذى يعلو الحوانيت ترايع مزخرفة متنوعة الأشكال وتعتبر الثانية من نوعها ، إذ الأولى فى مئذنة الجامع الحاكمى ثم استمرت نماذجها فى كل من برج الظفر وتربة السادات الثعالبة والمدارس الصالحية النجمية وكلها نماذج دقيقة تشهد على تقدم النقش فى الحجر . حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص ٩٩ .

(٣٩٠) يذكر أحمد فكرى أن هذه السقيفة تعد صورة مكبرة للرواق الذى يتقدم بيت الصلاة فى مسجد بوفتاته بسوسة . مساجد القاهرة ، ج١ ، ص ١٤٤ . ونضيف على ذلك فنذكر أن مثل هذه السقائف (أو الأروقة الخارجية) قد صارت سمة رئيسية للعديد من العمائر الدينية والخيرية بل والجنائزية ، فى العصرين السلجوقى والعثمانى .

(٣٩١) لا يزال هذا الباب محفوظا بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة . انظر ، زكى حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ؛ فريد شافعى ، مميزات الأخشاب المزخرفة، ص ٨٢ .

(٣٩٢) عن هذه المناقشات بين محمود أحمد وبوتى انظر أيضاً ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٣٩٣) يتضمن نقش باب المنبر الصيغة التالية « أمر بعمارة هذا المنبر المبارك من ماله ابتغاء لوجه الله الكريم المقر العالى الأميرى الكبير السيفى سيف الدين مقدم الجيوش بكتمر الجوكندار المنصورى السيفى أمير جندار الناصرى وذلك بتاريخ شهر جمادى الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة رحم الله من كان السبب » . أما نقش جلسة الخطيب فيتضمن الصيغة التالية : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » ، أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك الجنب العالى الأميرى الكبيرى سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير جندار وذلك بتاريخ سنة تسع وتسعين وستمائة . وعن منبر جامع قوص المؤرخ بعام ٥٥٠هـ / ١١٥٥م .

انظر ، زكى حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٢٢ ؛ فريد شافعى ، مميزات الأخشاب المزخرفة ، ص ٧٩ - ٨٥ .

(٣٩٤) يتضمن هذا النقش الصيغة التالية : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المسجد بالقاهرة المعزية المحروسة فتى مولانا وسيدنا الإمام عيسى أبى القاسم الفائز بنصر الله أمير المؤمنين ... السيد الأجل الملك الصالح ... أبو الفارات طلائع الفائزى ... فى شهر سنة خمس وخمسين وخمسمائة » .

(٣٩٥) يرى حسن عبد الوهاب أن هذا المبنى إنما كان يمثل المشهد الذى بدأ الصالح طلائع بإنشائه بجوار المسجد خاصة وأن الآية الشريفة المكتوبة على بابه (ادخلوها بسلام آمنين) جرت العادة بأن تكتب على مداخل المدافن ، ومن المرجح أن البابين اللذين بطرفى جدار القبلة كانا يوصلان إلى المشهد المذكور كما يستدل من المسقط الذى رسمه بريس دافين للجامع حوالى عام ١٨٥٠م إلا أن معالم هذه الصلة بين المسجد والمشهد قد ضاعت بسبب عمل الخندق الشرقى وتجدد أكثر الجدار الشرقى الذى كان يوصل إلى المشهد . حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص ١٠٤ - ١٠٥ . وانظر أيضاً ، أحمد عبد الرازق ، العمارة الإسلامية ، ص ٢٠٣ ؛

مختار الكسباني ، جامع الأمير تمرار الأحمدي ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٨٦م) ، ص ١٤٤ . أما أحمد فكرى فيذكر « وأغلب الظن أن إحدى القاعات المجاورة للصحن المسقوف (ويقصد السقيفة) فى مسجد الصالح طلائع كانت معدة لإيواء الضريح » مع أن نظام هذا

المسجد لا يشبه مشهدى الجيوشى والسيدة رقية ، بل إنه يخلو من القبة وهى العنصر الرئيسى فى بناء المشهد . ويضيف فكرى قائلا إن هذا الصحن المسقوف (السقيفة) قد أعد خصيصا لاستخدامه صحنا للجناز، وصحن الجناز تقليد مغربى ولعله اقتبس فى مسجد الصالح طلائع من أحد المساجد المغربية . أحمد فكرى ، مساجد ، جـ ١ ، ص ١٤٤ - ١٤٥ . والحق أنه لا يوجد دليل واحد على استخدام سقيفة مسجد الصالح طلائع كصحن للجناز ، وإنما هى مجرد سقيفة (أو رواق خارجى) يتقدم واجهة المسجد الرئيسية ، وهو تقليد ذاع وانتشر بعد ذلك فى المساجد والجوامع السلجوقية والعثمانية وغيرها بل إن هناك نماذج للتراب والمداخن تتقدمها مثل هذه السقائف (أو الأروقة الخارجية) . انظر ، محمد حمزة الحداد ، بحوث ودراسات فى العمارة الإسلامية (الكتاب الأول) ، القاهرة ط ٢ (٢٠٠٠م) ، أشكال ٢٧ - ٣٦ ، ٣٨ - ٤٢ ، ٦٦ - ٧٣ ، ٨٣ - ٨٧ ، ٨٩ - ٩٠ ، ٩٧ - ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ٢٣٥ - ٢٤٥ ، ٢٤٩ .

ثبت
الأشكال واللوحات

أولاً الأشكال

أولاً : الأشكال

- (شكل ١) المهدية : الجامع الكبير (مسقط أفقى لم يشيك عليه ثاماً) .
- (شكل ٢) المهدية : محراب الجامع .
- (شكل ٣) مشهد الشريف طباطبا : مسقط أفقى .
- (شكل ٤) مشهد الشريف طباطبا : حلية دعامة .
- (شكل ٥) مشهد الشريف طباطبا تصور لما كان عليه المسقط .
- (شكل ٦) مشهد الشريف طباطبا : إعادة بناء (رسم فريد شافعى) .
- (شكل ٧) محراب جصى عتيق : تفصيل للزخرفة (عن : فلورى) .
- (شكل ٨) باب القنطرة الثانى . (عن لجنة حفظ الآثار العربية) .
- (شكل ٩) شارع تحت الربع والمنطقة المحيطة به : (A) فى عام ١٨٠١ م ،
(B) فى الوقت الحالى (أى وقت إعداد الكتاب وقبل صدوره فى عام ١٩٥٢م) ويظهر موضع (D) مسجد اسكندر باشا .
- (شكل ١٠) القاهرة الفاطمية : ويشاهد موضع الأسوار : جوهر (اللون الأخضر)، بدر الجمالى (اللون الأحمر) وصلاح الدين (اللون الأزرق) ..
- (شكل ١١) حلب : القلعة ، باب حديدى فى النهاية الداخلية لممر البوابة الرئيسية .
- (شكل ١٢) جامع الأزهر : الحوانيت ، خارج الجانب الشمالى الغربى قبل عام ١٨٩٦ م . (عن لجنة حفظ الآثار العربية) .
- (شكل ١٣) جامع الأزهر : الحوانيت ، خارج الواجهة الجنوبية الغربية قبل عام ١٩٠١ م .
(عن لجنة حفظ الآثار العربية) .
- (شكل ١٤) جامع الأزهر : (عن فلورى) .
- (شكل ١٥) جامع الأزهر : (عن فلورى) .
- (شكل ١٦) آياصوفيا : زخرفة كوشة العقد : (عن ملزنبيرج ، لوحة ٢١٥) .
- (شكل ١٧) جامع الأزهر : زخرفة المجاز القاطع [الرواق الأوسط العمودى أو البلاطة الوسطى العمودية] قمة العقد الثانى إلى اليمين . (عن فلورى) .
- (شكل ١٨) جامع الأزهر : زخرفة فى النهاية الشمالية للرواق [البلاطة] الرابع من جدار القبلة .
(عن فلورى) .
- (شكل ١٩) جامع الأزهر : زخرفة فى النهاية الشمالية للرواق [البلاطة] الثالث من جدار القبلة .
(عن فلورى) .
- (شكل ٢٠) الجامع الأزهر : مسقط يبين المراحل التاريخية المتعاقبة .
- (شكل ٢١) جامع الأزهر : مسقط أفقى للمسجد الفاطمى الأصيل (مشروع رسم تخطيطى مقترح) .

- (شكل ٢٢) فاس : جامع القرويين ، منظر عام (عن مارسيه) .
- (شكل ٢٣) القاهرة القديمة (حتى مصر القديمة) : قصر الشمع ، طريقة البناء .
- (شكل ٢٤) جامع الحاكم : الجانب الشمالى للمدخل التذكارى (a) زخرفة هندسية فى الحشوة اليسرى (رسم يوسف محمد خليل) (b) حلية القاعدة .
- (شكل ٢٥) جامع الحاكم : زخرفة فى حشوة على جانب المدخل التذكارى .
- (شكل ٢٦) جامع الحاكم : المدخل الأصغر [الثانوى] فى الواجهة الشمالية الغربية .
- (شكل ٢٧) جامع الحاكم : قطاع فى المجاز القاطع [الرواق الأوسط العمودى أو البلاطة الوسطى العمودية] (رسم فريد شافعى) .
- (شكل ٢٨) جامع الحاكم : منظر داخلى (جهة الشمال) . (عن وصف مصر ، الدولة الحديثة) .
- (شكل ٢٩) جامع الحاكم : إعادة تصميم الزخارف المفرغة للنافذة الثانية على يسار المحراب .
- (شكل ٣٠) جامع الحاكم : حشوة من الزخرفة الجصية فى أساس القبة فى نهاية المجاز القاطع [الرواق العمودى] (عن فلورى) .
- (شكل ٣١) جامع الحاكم : شرافات الواجهة الشمالية الغربية .
- (شكل ٣٢) جامع الحاكم : مسقط أفقى .
- (شكل ٣٣) جامع الحاكم : مدخل سلم المئذنة الشمالية .
- (شكل ٣٤) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية : چامه فى الجانب الشمالى الشرقى من القاعدة . (عن: فلورى) .
- (شكل ٣٥) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية : جامة فى الجانب الجنوبى الغربى .
- (شكل ٣٦) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية : (المقاسات والرسم : كرىزول؛ الزخرفة : ميلنيكوف) .
- (شكل ٣٧) جامع الحاكم : المئذنة الغربية : تفصيل للحليات الزخرفية (رسم ميلنيكوف) .
- (شكل ٣٨) جامع الحاكم : المئذنة الغربية : تفصيل للحليات الزخرفية . (رسم ميلنيكوف) .
- (شكل ٣٩) جامع الحاكم : الزخرفة بين الحليتين الخامسة والسادسة (رسم ميلنيكوف) .
- (شكل ٤٠) جامع الحاكم : المئذنة الغربية (المقاسات والرسم : كرىزول ، الزخرفة : ميلنيكوف) .
- (شكل ٤١) جامع الحاكم : المئذنة الغربية : (a) المدخل إلى المصلى (b) قطاع و (c) مسقط (رسم ميلنيكوف) .
- (شكل ٤٢) جامع الحاكم : المئذنة الغربية : تفصيل لزخرفة فى المصلى (رسم ميلنيكوف) .
- (شكل ٤٣) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ، مدخل السلم (رسم ميلنيكوف) .
- (شكل ٤٤) جامع الحاكم : منظور عين الطائر (رسم فريد شافعى) .
- (شكل ٤٥) صفاقص : مئذنة الجامع (عن مارسيه) .
- (شكل ٤٦) تبغة (Capernaum) : عتب من بقايا السينا جوج : نقش النجمة الخماسية (نجمة داود) .
- (شكل ٤٧) السبع بنات فى عام ١٩٢١ م : مسقط (على أن لا يؤخذ فى الاعتبار الفراغات المحددة بالنقاط) .

- (شكل ٤٨) السبع بنات بعد حفائر لجنة حفظ الآثار العربية (وترميم ذوات الأرقام 1 , 2 , 4) التي أظهرت بقايا كل من رقم 5 , 6 وكذلك الأحواش التي تحيط بكل منها (رسم عباس بدر) .
- (شكل ٤٩) Assar : ضريح . (عن جوهر) .
- (شكل ٥٠) حسن أوغلو : ضريح . (عن : جوهر) .
- (شكل ٥١) براد : مقبرة كانونية [ذات السقيفة] . (عن : بتلر) .
- (شكل ٥٢) كوكاتيا : مقبرة كانونية [ذات السقيفة] . (عن : بتلر) .
- (شكل ٥٣) مسجد اللؤلؤة : مسقط أفقى .
- (شكل ٥٤) المدخل إلى الزيادة بجامع الحاكم : مسقط أفقى .
- (شكل ٥٥) الفسطاط : سور صلاح الدين . (عن : على بهجت وجابريل) .
- (شكل ٥٦) الفسطاط ، منزل رقم ١ . (عن : على بهجت وجابريل) .
- (شكل ٥٧) الفسطاط : منزل رقم ٢ . (عن : على بهجت وجابريل) .
- (شكل ٥٨) الفسطاط : منزل رقم ٣ . (عن : على بهجت وجابريل) .
- (شكل ٥٩) بالرمو : قصر العزيزة ، السلسبيل [الشادروان] .
- (شكل ٦٠) الفسطاط : منزل رقم ٥ . (عن : على بهجت وجابريل) .
- (شكل ٦١) الفسطاط : منزل رقم ٦ . (عن : على بهجت وجابريل) .
- (شكل ٦٢) الفسطاط : منزل رقم ٨ . (عن : على بهجت وجابريل) .
- (شكل ٦٣) الفسطاط : أنماط المنازل المكتشفة . (عن : على بهجت وجابريل) .
- (شكل ٦٤) أسوان : مقبرة ذات حشوات فى جوانبها الأربعة (عن : مونيريه) .
- (شكل ٦٥) أسوان : أنماط الأضرحة (عن : مونيريه) .
- (شكل ٦٦) أسوان : الأضرحة ذات الأرقام ٣٣ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٠ و ٤٧ . (مسقط) .
- (شكل ٦٧) أسوان : الأضرحة ذات الأرقام ١٣ ، ١٤ ، ١٢ ، ٢٠ . (مسقط) .
- (شكل ٦٨) أسوان : الأضرحة ذات الأرقام ٢٣ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٥٤ . (مسقط) .
- (شكل ٦٩) أسوان : الضريح رقم ٢٤ . (مسقط وقطاع) .
- (شكل ٧٠) أسوان : الضريحان رقم ٢٣ ورقم ٥ . (مسقط) .
- (شكل ٧١) أسوان : مشهد السبعة وسبعين ولى . (عن : سومرز كلارك) .
- (شكل ٧٢) اسنا : مئذنة الجامع العمرى أو العتيق .
- (شكل ٧٣) مئذنة المشهد القبلى أو بلال قرب الشلال .
- (شكل ٧٤) الشلال : المشهد القبلى . (عن : مونيريه) .
- (شكل ٧٥) الشلال : المشهد القبلى . (عن : حسن الهوارى) .
- (شكل ٧٦) المشهد القبلى : إعادة بناء لحالته الأصلية (كريزول) .

- (شكل ٧٧) أسوان : مئذنة الطابية ، واجهة (الجانب الجنوبي) (رسم فريد شافعى) ومسقط .
- (شكل ٧٨) الأقصر : مئذنة أبى الحجاج ، واجهة الجانب الشرقى (رسم فريد شافعى) ، وتشاهد فى أسفل أعمدة المعبد الفرعونى .
- (شكل ٧٩) مسجد [مشهد] الجيوشى : مسقط وقطاع .
- (شكل ٨٠) مسجد الجيوشى : زخرفة المحراب [الكوشة] .
- (شكل ٨١) باب النصر : مسقط المستوى الأرضى .
- (شكل ٨٢) باب النصر حوالى عام ١٧٩٩م (مسجد جانبلاط إلى اليسار) . (عن : وصف مصر - الدولة الحديثة ، لوحة T. I) .
- (شكل ٨٣) باب النصر : مسقط فى مستوى المنصة (الطابق العلوى) ، السور المتجه غربا والبرج الأول .
- (شكل ٨٤) باب الفتوح : مسقط المستوى الأرضى .
- (شكل ٨٥) باب الفتوح : تفصيل للكواويل (رسم ليون) .
- (شكل ٨٦) باب الفتوح : مسقط فى مستوى المنصة الرئيسية (الطابق العلوى) : السور و برج السلم .
- (شكل ٨٧) باب الفتوح : قطاع لحجرة فى البرج الشرقى .
- (شكل ٨٨) باب الفتوح : ويشاهد ممر السور وهو يخترقه .
- (شكل ٨٩) السور الشمالى : الشرافات ، ويشاهد موضع الاعتاب المنحدرة .
- (شكل ٩٠) السور الشمالى : مزغل فى البرج الأول .
- (شكل ٩١) مسقط البرج الثانى ، السور والبروز الكبير .
- (شكل ٩٢) برج السلم إلى الغرب من باب الفتوح ، قطاع A-B .
- (شكل ٩٣) برج السلم إلى الغرب من باب الفتوح : مسقط .
- (شكل ٩٤) برج السلم : المدخل ، بعد الترميم .
- (شكل ٩٥) البرج ذو الواجهة المستديرة : قطاع ومسقط .
- (شكل ٩٦) باب زويلة : مسقط الطابق العلوى (رسم مورياك ليون) .
- (شكل ٩٧) باب زويلة : مسقط (رسم مورياك ليون) .
- (شكل ٩٨) باب زويلة : مزارب (عن فرانز ، فن الإسلام) .
- (شكل ٩٩) باب زويلة : حنية ركنية (رسم مورياك ليون) .
- (شكل ١٠٠) دياربكر : الجامع ، رأس الثور .
- (شكل ١٠١) طبق قضى ماسانى . (عن : جرتروود بل : قصر ومسجد الأخيضر .
- (شكل ١٠٢) السور : الجزء الذى لا يزال باقيا إلى الشرق من باب زويلة .
- (شكل ١٠٣) لجش : مسقط الاكروبول (عن : ديولافوى ، اكروبول سوسه) .
- (شكل ١٠٤) جرش : مثلث كروى فى حمام .
- (شكل ١٠٥) كينشواروس : مثلثات كروية (عن : ستروجوفسكى) .

- (شكل ١٠٦) قيسارية : مرفأ ذو أعمدة وضعت كأربطة [ميد] .
- (شكل ١٠٧) القدس : كنيسة القديسة آن ، عقد ذو وسائل أو مخدات متلاصقة .
- (شكل ١٠٨) سلمية : تاج عمود . (عن : Belgian Expedition) .
- (شكل ١٠٩) Mukhmas : فسيفساء أرضية .
- (شكل ١١٠) جامعة (نقش زخرفي) على منزل في Btoursa (عن : دى فوكيه ، سوريا الوسطى) .
- (شكل ١١١) تونس : فسيفساء أرضية في متحف باردو .
- (شكل ١١٢) البندقية : كنيسة سان مارك ، تيجان أعمدة . (عن : فينى سبيرز) .
- (شكل ١١٣) البندقية : كنيسة سان مارك ، اللوحات الختامية للممر . (عن : فينى سبيرز) .
- (شكل ١١٤) Phocis : دير سان لوك فى ستيريز (عن شولتز وبارنسللى ، دير سان لوك فى ستيريز)
- (a) الفاصل (الحاجز) الأيقونى فى الكنيسة الكبرى
- (b) الفاصل (الحاجز) الايقونى فى الكنيسة الصغرى .
- (شكل ١١٥) سلطانية فى مجموعة زرة . (عن : مارتين) .
- (شكل ١١٦) ميفارقين : تاج . (عن : جرتروود بل) .
- (شكل ١١٧) حلب : منارة الجامع الكبير . (عن : جمال باشا) .
- (شكل ١١٨) جزيرة الروضة : مسجد بدر الجمالى ، مسقط (عن : وصف مصر) .
- (شكل ١١٩) رسم تخطيطى يوضح تكوين محراب الأفضل [بالجامع الطولونى] .
- (شكل ١٢٠) نابين : محراب الجامع الكبير . (عن : بوب) .
- (شكل ١٢١) يزد : محراب دوازده امام . (عن : بوب) .
- (شكل ١٢٢) بوزان : محراب امام زاده شاهزاده كارار . (عن : بوب) .
- (شكل ١٢٣) قزوین : محراب مسجد الحيدرية . (عن : بوب) .
- (شكل ١٢٤) أردستان : الجامع الكبير ، المحراب الرئيسى . (عن : بوب) .
- (شكل ١٢٥) ابرقوه : ضريح بير حمزة ، المحراب . (عن : بوب)
- (شكل ١٢٦) أسوان : المشهد ، قطاع ومسقط .
- (شكل ١٢٧) خضرة الشريفة : مسقط .
- (شكل ١٢٨) ضريح قديم [القبة الفاطمية بالجمالية]: المقرنصات (رسم فريد شافعى) .
- (شكل ١٢٩) ضريح محمد الجعفرى والسيدة عائكة : مسقط .
- (شكل ١٣٠) القاهرة القديمة [حتى مصر القديمة] : كنيسة أبو سيفين ، المقرنصات [منطقة الانتقال] .
- (شكل ١٣١) القاهرة القديمة : كنيسة أبو سيفين مقرنصات (منطقة انتقال) مصلى القديس جورج .
- (شكل ١٣٢) الشيخ يونس : مسقط وقطاع .
- (شكل ١٣٣) ضريح أخوة يوسف : مسقط .
- (شكل ١٣٤) قرص : الضريح الفاطمى . مسقط .

- (شكل ١٣٥) مشهد أم كلثوم : المحراب الرئيسى (رسم F. R. H. Darke) .
- (شكل ١٣٦) قلعة بنى حماد : حنية تزخرف المئذنة . (عن دى يلى) .
- (شكل ١٣٧) قلعة بنى حماد : بقايا زخرفة جصية . (عن : دى يلى) .
- (شكل ١٣٨) حلب : مارستان [بيمارستان] نور الدين ، المدخل . .
- (شكل ١٣٩) دنيصر : الجامع الكبير . (عن : جابريل) .
- (شكل ١٤٠) القسطنطينية [استانبول] : منحوتات حجرية فى المتحف . (عن : فان برشم وستروجوفسكى) .
- (شكل ١٤١) مسجد الأقمر : مسقط .
- (شكل ١٤٢) مشهد السيدة رقية : مسقط .
- (شكل ١٤٣) مشهد السيدة رقية : كورنيش المحراب (رسم خليل كامل) .
- (شكل ١٤٤) يزد : دوازده امام ، المقرنصات . (عن : بوب) .
- (شكل ١٤٥) أصفهان : الجامع الكبير ، المقرنصات .
- (شكل ١٤٦) گلبايگان : الجامع الكبير ، المقرنصات . (عن : بوب) .
- (شكل ١٤٧) قزوین : الجامع الكبير ، المقرنصات . (عن : بوب) .
- (شكل ١٤٨) مراغة : گنبدي سرخ ، المقرنصات (عن : بوب) .
- (شكل ١٤٩) أردستان : الجامع الكبير ، المقرنصات . (عن : بوب) .
- (شكل ١٥٠) امام دور : الضريح من الخارج .
- (شكل ١٥١) امام دور : القبة المقرنصة (انظر لأعلى) .
- (شكل ١٥٢) القدس : المسجد الأقصى ، البندنتيف .
- (شكل ١٥٣) بصرى : مدرسة المبرك (٥٣٠هـ / ١١٣٦م) .
- (شكل ١٥٤) دمشق : مارستان نور الدين ، قبة الدركاه من الداخل .
- (شكل ١٥٥) حلب : مدرسة شاد بخت .
- (شكل ١٥٦) جامع الأزهر : الجانب الجنوبي الشرقى للصحن قبل أعمال ١٨٩١ - ١٨٩٢ م . (عن رسم للجنة حفظ الآثار العربية) .
- (شكل ١٥٧) جامع الأزهر : نموذج (Scheme) للزخارف المفرغة نافذة فى مدخل بيت الصلاة [مقدم الجامع] .
- (شكل ١٥٨) ضريح محمد الحسواتى : مسقط .
- (شكل ١٥٩) قاعة الدردير : قطاع (عن لجنة حفظ الآثار العربية) ومسقط .
- (شكل ١٦٠) ضريح [مشهد] يحيى الشيبه : مسقط .
- (شكل ١٦١) ضريح [مشهد] يحيى الشيبه : المسقط الأصلي المقترح .
- (شكل ١٦٢) معبد النار قرب جيرا (عن هرتزفيلد) .

- (شكل ١٦٣) ضريح [مشهد] قاسم أبو الطيب : مسقط .
- (شكل ١٦٤) ضريح [مشهد] قاسم أبو الطيب : المسقط الأصلي المقترح .
- (شكل ١٦٥) ضريح [مشهد] أم كلثوم : مسقط .
- (شكل ١٦٦) ضريح [مشهد] أم كلثوم : المسقط الأصلي المقترح .
- (شكل ١٦٧) مسجد الصالح طلائع : زخرفة فوق النافذة .
- (شكل ١٦٨) مسجد الصالح طلائع : شرافة .
- (شكل ١٦٩) مسجد الصالح طلائع : مسقط (عن : بريس دافين) .
- (شكل ١٧٠) مسجد الصالح طلائع : مقصورة . (عن : بريس دافين) .
- (شكل ١٧١) مسجد الصالح طلائع : تفاصيل من الزخارف (عن : مارسيه) .
- (شكل ١٧٢) مسجد الصالح طلائع : مسقط أفقى ، (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .
- (شكل ١٧٣) مسجد الصالح طلائع : تفاصيل من السقف (عن لجنة حفظ الآثار العربية) .

ثانيًا: اللوحات

- (لوحة ١) جامع المهدية (تونس)
 أ - منظر عام من الغرب .
 ب - المدخل التذكاري في منتصف الجانب الشمالي .
 ج - الجزء البارز في الركن الغربي .
 د - الداخل (جهة الشمال) .
- (لوحة ٢) جامع المهدية
 أ - الجامع : رواق في الجانب الشمالي من الصحن
 ب - الجامع : الداخل (جهة الجنوب) .
 ج - الجدران : بقايا برج في الجانب الجنوبي .
 د - المدخل إلى الميمنة (جهة الغرب) .
- (لوحة ٣) مشهد الشريف طباطبا بالقاهرة
 أ - بقايا مشهد الشريف طباطبا .
 ب - مشهد الشريف طباطبا ، بقايا دعامة .
 ج - محراب مبكر يتقدم مشهد الشبيه .
- (لوحة ٤) جامع الأزهر ٣٥٩ - ٣٦١ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٢ م .
 أ - المجاز القاطع [الرواق (البلاطة) الأوسط العمودي] ، المحراب .
 ب - زخرفة المجاز القاطع ، العقد الأول إلى اليسار .
- (لوحة ٥) جامع الأزهر ٣٥٩ - ٣٦١ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٢ م
 أ - زخرفة المجاز القاطع : الجانب الجنوبي الغربي ، العقد الأول .
 ب - زخرفة المجاز القاطع : الجانب الجنوبي الغربي ، العقد الثاني .
- (لوحة ٦) جامع الأزهر : ٣٥٩ - ٣٦١ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٢ م
 أ - زخرفة المجاز القاطع ، الجانب الجنوبي الغربي ، العقد الثالث .
 ب - زخرفة المجاز القاطع ، الجدار الذي يتقدم الصحن .
 ج - جامع الأزهر : ٣٥٩ - ٣٦١ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٢ م
 أ - حشوات ونافذة بجدار القبلة (انظر أيضاً لوحة ٨) .
 ب - المحراب : زخرفة باطن العقد .
 ج - المحراب : زخرفة العقد ونصف القبة [الطاقية] أصلية والبقية تعود إلى فترة متأخرة (انظر أيضاً لوحة ١١٤ د) .
- (لوحة ٨) جامع الأزهر : ٣٥٩ - ٣٦١ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٢ م
 أ - حشوة بجدار القبلة تجاه العمود الثالث من اليمين .
 ب - حشوة بجدار القبلة تجاه العمود الثاني من اليمين .
- (لوحة ٩) جامع الأزهر : ٣٥٩ - ٣٦١ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٢ م
 أ - النهاية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة [مقدم الجامع] : الفسحة الأولى من جدار القبلة القديم .

ب - النهاية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة [مقدم الجامع] : الفسحة الثانية من جدار القبلة القديم .

(لوحة ١٠) جامع الأزهر : ٣٥٩ - ٣٦١ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٢ م

أ - النهاية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة [مقدم الجامع] ، الفسحة الثالثة من جدار القبلة القديم

ب - النهاية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة [مقدم الجامع] ، الفسحة الرابعة من جدار القبلة القديم

(لوحة ١١) جامع الأزهر : ٣٥٩ - ٣٦١ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٢ م

أ - زخرفة الجدار الشمالى الشرقى الفسحة الخامسة من جدار القبلة القديم (انظر ب فى نهاية الرواق) .

ب - بيت الصلاة [مقدم الجامع] : الرواق [البلاطة] الخامس من جدار القبلة القديم ، النصف الشمالى الشرقى منه .

(لوحة ١٢) جامع الأزهر : ٣٥٩ - ٣٦١ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٢ م

أ - الزخرفة الحالية للمعد الأول إلى اليمين من المجاز القاطع .

ب - زخرفة المعد الأول إلى اليمين من المجاز القاطع قبل عام ١٨٩١ م .

ج - الزخرفة الحالية للدعامة الأولى إلى اليمين من المجاز القاطع (قارن مع ب) .

(لوحة ١٣) جامع الأزهر : ٣٥٩ - ٣٦١ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٢ م .

أ - الزخرفة الحالية للدعامة الثانية إلى اليمين من المجاز القاطع .

ب - الزخرفة الحالية للدعامة الثالثة إلى اليمين من المجاز القاطع .

ج - الزخرفة الحالية للدعامة الرابعة إلى اليمين من المجاز القاطع .

د - الزخرفة الحالية للدعامة الخامسة إلى اليمين من المجاز القاطع .

هـ - الزخرفة الحالية للدعامة السادسة إلى اليمين من المجاز القاطع .

(لوحة ١٤) جامع الأزهر : ٣٥٩ - ٣٦١ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٢ م .

أ - الزخرفة الحالية للدعامة السادسة والسابعة إلى اليمين من المجاز القاطع .

ب - الزخرفة الحالية للدعامة الثامنة إلى اليمين من المجاز القاطع ودعامة الجدار .

(لوحة ١٥) جامع الحاكم ٣٨٠ - ٤٠٣ هـ / ٩٩٠ - ١٠١٣ م .

أ - الواجهة الشمالية الغربية (بعد تنظيفها - حديثا - [أى قبل ١٩٥٢م] .

ب - منظر الجدار الشمالى الغربى من أعلى ، ويظهر فيه جانب من المدخل التذكارى (انظر لوحة ١٧) والبروز الغربى .

ج - المدخل إلى يسار المدخل التذكارى (انظر أ) .

(لوحة ١٦) جامع الحاكم : ٣٨٠ - ٤٠٣ هـ / ٩٩٠ - ١٠١٣ م .

- أ - الواجهة الشمالية الغربية (بعد تنظيفها حديثاً) .
- ب - قبو المدخل التذكاري (من الداخل) .
- ج - بقايا الزخرفة الأصلية في ممر البوابة في المكان الذي يشير إليه الرجل في ب .
- (لوحة ١٧) جامع الحاكم : المدخل التذكاري ، زخرفة الجانب الشمالي الشرقي .
- (لوحة ١٨) جامع الحاكم : ٣٨٠ - ٤٠٣ هـ / ٩٩٠ - ١٠١٣ م
- أ - الزاوية الشرقية للصحن وبقايا بيت الصلاة أو الحرم [مقدم الجامع] .
- ب - بقايا الشرافات أعلى الدعامة الرابعة إلى يمين المجاز القاطع .
- ج - واجهة مقدم الجامع .
- (لوحة ١٩) جامع الحاكم : ٣٨٠ - ٤٠٣ هـ / ٩٩٠ - ١٠١٣ م
- أ - الزاوية الشرقية للصحن ويظهر فيها البائكة الثانية والثالثة للرواق الشمالي الشرقي .
- ب - واجهة مقدم الجامع : العقود الأربعة التي لا تزال باقية إلى يمين عقد المجاز القاطع .
- ج - مدخل المجاز القاطع بعد الترميم .
- د - بقايا مدخل تذكاري في الجانب الجنوبي الغربي من الخارج .
- هـ - المدخل التذكاري في الجانب الشمالي الشرقي من الداخل .
- (لوحة ٢٠) جامع الحاكم : ٣٨٠ - ٤٠٣ هـ / ٩٩٠ - ١٠١٣ م
- أ - المجاز القاطع بعد ترميم نوافذه العلوية والسقف .
- ب - رباط خشبي للقبة الشمالية الشرقية يحمل عقداً .
- ج - رباط خشبي لقبة يحمل عقداً ، تفصيل للزخرفة .
- (لوحة ٢١) جامع الحاكم : ٣٨٠ - ٤٠٣ هـ / ٩٩٠ - ١٠١٣ م
- أ - النهاية الداخلية للمجاز (عند المحراب) .
- ب - النافذة الثانية على يسار المحراب .
- ج - النافذة الأولى على يسار المحراب .
- (لوحة ٢٢) جامع الحاكم : ٣٨٠ - ٤٠٣ هـ / ٩٩٠ - ١٠١٣ م
- أ - أساس القبة في نهاية المجاز ، قبل إزالة السقف غير الملائم .
- ب - القبة ، الرقبة ومنطقة الانتقال .
- ج - أساس القبة : الحشوة اليسرى .
- (لوحة ٢٣) جامع الحاكم : ٣٨٠ - ٤٠٣ هـ / ٩٩٠ - ١٠١٣ م
- أ - نقش كتابي فوق مدخل سلم المئذنة الشمالية (انظر د) .
- ب - البروز الشمالي والمئذنة من الغرب .
- ج - البروز الشمالي والمئذنة من الجنوب .
- د - مدخل سلم المئذنة الشمالية .
- (لوحة ٢٤) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م

- أ - الشريط الثالث ، نافذة تواجه الشمال .
- ب - الشريط الثالث ، نافذة تواجه الغرب .
- ج - البروز السفلى : الجانب الجنوبي الشرقى ، ويشاهد على اليسار الموضع الذى ينتهى عنده الحائط الشمالى الشرقى .
- د - الشريط الثانى ، جامة فى الجانب الشمالى الشرقى .
- (لوحة ٢٥) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م .
- أ - الشريط السابع نافذة تواجه الشرق .
- ب - الشريط السادس (فلورى) .
- ج - الشريط الرابع : يظهر جزء من تاريخ (فلورى) .
- د - الشريط الرابع .
- (لوحة ٢٦) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م .
- أ ، ب ، ج - جامات فى الشريط الثامن .
- د - الشريط السابع ، نافذة تواجه الشمال .
- هـ - الشريط السابع ، نافذة تواجه الغرب .
- (لوحة ٢٧) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م .
- أ - البروز الغربى والمئذنة من الشرق .
- ب - البروز الشمالى ، بقايا شرافة أسفل قمة غلاف بدر الجمالى .
- ج - البروز الغربى ، بقايا شرافات .
- د - البروز الغربى ، نقش كتابى كوفى .
- (لوحة ٢٨) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م .
- أ - الشريط السادس ، زخرفة إلى اليسار .
- ب - الشريط السادس ، زخرفة إلى اليمين .
- ج - زخرفة الشريط الثانى والثالث .
- (لوحة ٢٩) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م .
- أ - الحلية الثامنة والشريط الأول من النقش الكتابى .
- ب - زخرفة فى الجانب الجنوبي الشرقى استمرار لـ أ .
- ج - نافذة فى الجانب الشمالى الغربى بين الحليتين السادسة والسابعة .
- د - زخرفة فى الجانب الشمالى الغربى بين الحليتين الخامسة والسادسة .
- (لوحة ٣٠) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م .
- أ - الجانب الشمالى الغربى بين الحليتين التاسعة والحادية عشرة .
- ب - نقش كتابى بين الحليتين العاشرة والحادية عشرة .
- ج - الحلية العاشرة والشريط أسفلها .

- (لوحة ٣١) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ٣٩٣هـ / ١٠٠٣ م .
 أ - العقود الحاملة للمئذنة فوق الحلية العاشرة .
 ب - مدخل المصلى ، يوجد باب السلم فى الخلف .
 ج - مقف المصلى الصغير .
 د - الجانب الشمالى الشرقى للمصلى الصغير .
- (لوحة ٣٢) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ٣٩٣هـ / ١٠٠٣ م .
 أ - نافذة فى الجانب الشمالى الشرقى من الطابق المئمن الثانى .
 ب - زخرفة فى الطابق المئمن الرابع .
 ج - بقايا شرافة فى قمة الجزء المربع .
 د - الطابق المئمن الأول ، ذو الدعامات نصف الدائرية ، والطابق المئمن الثانى .
- (لوحة ٣٣) جامع الأزهر : باب الحاكم ٤٠٠هـ / ١٠١٠ م (متحف الفن الإسلامى)
 أ - الارتفاع ٣٢٩ م ، عرض كل فردة باب ١٠١ ر .
 ب - تفصيل للجزء الأسفل ، مقاس الحشوات الرأسية ٢٦×٦٨ سم والحشوات الأفقية ٣٦×٧٠ سم .
- (لوحة ٣٤) السبع بنات : ٤٠٠هـ / ١٠١٠ م
 أ - منظر عام من الجنوب الشرقى .
 ب - الضريح الأول من الشرق .
 ج - الضريح الثانى من الشرق .
 د - الضريح الثالث من الشرق .
 هـ - الضريح الثانى من الشرق ، نافذة فى الرقبة .
- (لوحة ٣٥) مسجد اللؤلؤة ٤٠٦هـ / ١٠١٥ - ١٠١٦ م .
 أ - واجهة قاعة الصلاة فى عام ١٩١٧ م .
 ب - من الغرب .
 ج - بعد العاصفة الممطرة الشديدة فى ربيع ١٩١٩ م ، الحجرة المقبية العلوية المعرضة للخطر .
 د - من الجنوب ، ويشاهد بروز المحراب .
- (لوحة ٣٦) المدخل إلى زيادة جامع الحاكم (٤١١ - ٤٢٧هـ / ١٠٢١ - ١٠٣٦ م)
 أ - الداخل ، جهة الجنوب الشرقى .
 ب - الداخل ، جهة الشمال الشرقى .
 ج - قبو .
 د - محراب الأفضل فى الجامع الطولونى (انظر لوحة ٧٧) وبخاصة الحشوة الوسطى التى محيت زخارفها .
- (لوحة ٣٧) بيوت الفسطاط (عن : على بهجت وجابريل)
 أ - البيت الثانى من الجنوب الشرقى .

- ب - البيت الثانى ، تفصيل من الحجرة ج .
 ج - بقايا زخرفة وجدت فى البيت السادس .
 د - بقايا من الزخرفة الجصية القالبية من البيت السادس .
 هـ - بقايا زخرفية وجدت فى البيت الخامس .
 و - بقايا زخرفية أخرى .
- (لوحة ٣٨)
 ز - نقش تشكل بواسطة قطع من الآجر المتداخلة فى الجص .
 بقايا ألواح خشبية محفورة من القصر الفاطمى الغربى أو الأصغر ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م .
- أ - فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة .
 ب - متحف الفن الإسلامى بالقاهرة .
 أشغال الخشب من القصر الفاطمى الغربى .
- (لوحة ٣٩)
 أ - فردة باب وجدت فى يمارستان قلاوون (٣٧٩ ر × ٣١ ر م) .
 ب - حشوة فى نفس الباب (٦٢ × ٢٩ سم) .
 ج - الحشوة السفلية لباب (٦١ × ٢٩ سم) .
 د - تفصيل لحشوة فى هـ (الأعلى إلى اليسار) (٥٦ × ٢٩ سم) .
 هـ - بقايا باب وجدت فى يمارستان قلاوون .
 و - تفصيل لحشوة فى هـ : الحشوة الوسطى إلى اليمين (٦٦ × ٣١ سم) .
- (لوحة ٤٠)
 أسوان : أضرحة فى الجبانة ق ١١ م / ٥ هـ .
 أ - الضريح رقم ٢٣ (من الخارج) .
 ب - الضريح رقم ١٧ (من الداخل) .
 ج - الضريح رقم ١٠ (من الخارج) .
 د - الضريح رقم ٤٧ (من الخارج) .
 هـ - الضريح رقم ١٣ (من الداخل) .
 و - الضريح رقم ١٣ (من الخارج) .
- (لوحة ٤١)
 أسوان : أضرحة فى الجبانة ق ١١ م / ٥ هـ .
 أ - الضريح رقم ١٤ (من الخارج) .
 ب - الضريح رقم ١٤ (من الخارج) .
 ج - الضريح رقم ٢٠ (من الخارج) .
 د - الضريح رقم ١٢ (من الخارج) .
 هـ - الضريح رقم ٢٣ (من الخارج) .
 و - الضريح رقم ٢٣ (من الداخل) .
- (لوحة ٤٢)
 أسوان : أضرحة فى الجبانة ق ١١ م / ٥ هـ .
 أ - الضريح رقم ٣١ (من الخارج) .
 ب - الضريح رقم ٤٢ (من الداخل) .

جـ - الأضرحة من ٤٦ إلى ٥١ (من الخارج) .

د - الضريح رقم ٤٦ (من الداخل) .

هـ - الضريحان رقم ٥٣ - ٥٤ (من الخارج) .

و - الضريح رقم ٥٤ (من الداخل) .

أسوان : أضرحة فى الجبانة ق ١١ م / ٥٥ هـ .

(لوحة ٤٣)

أ - الأضرحة رقم ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٣ (من الخارج) .

ب - الضريح رقم ٢٥ (من الخارج) .

جـ - الضريح رقم ٢٤ (من الخارج) .

د - الضريح رقم ٢٤ (من الداخل) .

هـ - الضريح رقم ٢٨ (من الخارج) .

و - الضريح رقم ٨ (من الخارج) .

أسوان : أضرحة فى الجبانة ق ١١ م / ٥٥ هـ .

(لوحة ٤٤)

أ - الضريح رقم ٥ (من الخارج) .

ب - الضريح رقم ٥ (من الداخل) .

جـ - الضريح رقم ٧ (من الخارج) .

د - الضريح رقم ٧ (من الداخل) .

هـ - الأضرحة رقم ١٩ ، ١٨ ، ١٧ (من الخارج) .

و - الضريح رقم ١٩ (من الداخل) .

المشهد القبلى قرب الشلال :

(لوحة ٤٥)

أ - المئذنة ، المسجد والأساس من الجنوب فى عام ١٨٥٨ - ١٨٥٩ م . (عن : فرانسيس فريث : مصر وفلسطين) .

ب - قاعة الصلاة حوالى عام ١٩٣٠ م . (عن : مونيريه) .

جـ - المئذنة ، المسجد والاساس من الشمال الغربى فى عام ١٨٥٨ - ١٨٥٩ م . (عن : فرانسيس فريث) .

مسجد [مشهد] الجيوشى ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م .

(لوحة ٤٦)

أ - من الشمال الشرقى .

ب - من الشمال .

جـ - الواجهة الشمالية الغربية وبها المدخل .

مسجد الجيوشى ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م .

(لوحة ٤٧)

أ - المدخل .

ب - الداخل .

جـ - الجانب الجنوبى الغربى ، وتشاهد الدعائم المتوجة بمصليات [خلوات أو جواسق] ذات قباب صغيرة .

د - مصلى مقبب يظهر فى جـ (إلى اليسار) .

- (لوحة ٤٨) مسجد الجيوشى ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م .
 أ - القبة الرئيسية ، المصليات ذات القباب الصغيرة وشرفات الصحن .
 ب - شرفات الجانب الشمالى الشرقى للصحن .
 ج - تفصيل من المحراب .
- (لوحة ٤٩) باب النصر : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م .
 أ - السور الشمالى ، ويشاهد باب النصر ، البرج الأول ، البرج الثانى ، البروز الكبير ، باب الفتوح وبرج السلم .
 ب - واجهة أمامية .
- (لوحة ٥٠) باب النصر : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م ، واجهة أمامية .
- (لوحة ٥١) باب النصر : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م .
 أ - كورنيش فى أعلى الطابق الثانى .
 ب - تفصيل فى كوشة العقد .
 ج - تفصيل فى بوابة الدخول .
- (لوحة ٥٢) باب النصر : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م ، قطاع فى ممر البوابة .
- (لوحة ٥٣) باب النصر : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م .
 أ - الجانب (الجنوبى) الداخلى للبوابة ، سلم البرج إلى اليمين .
 ب - ممر البوابة المقيبى انظر شمالاً .
 ج - مدخل فى ممر البوابة المقيبى .
- (لوحة ٥٤) باب النصر : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م .
 أ - من الداخل ، سلم الجزء البارز إلى اليمين .
 ب - المدخل إلى السلم .
 ج - السلم الحلزونى .
- (لوحة ٥٥) باب النصر : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م .
 أ - من الداخل ، ويشاهد السور المتجه غربا وجنوبا .
 ب - المنصة والوجه الخلفى للجزء العلوى للأبراج .
 ج - النهاية المتقطعة للسور المتجه جنوبا (انظر أ)
- (لوحة ٥٦) باب النصر : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م .
 أ - ممر على شكل حرف L فى أعلى سلم الجزء البارز .
 ب - مثلث كروى فى حجرة البرج الشرقى .
 ج - الجانب الغربى من قمة (أعلى) البرج الأول وتشاهد المنصة ، سلم الجزء البارز والسور المتجه جنوبا .
- (لوحة ٥٧) السور الشمالى : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م

أ - باب النصر ، مرحاض [سقاطة] بارز ، البرج الأول ، البرج الثانى ، البروز الكبير وباب الفتوح .

ب - الوجه الداخلى ، انظر غربا من منصة باب النصر .

ج - كواويل المرحاض [السقاطة] البارز .

الصور الشمالى : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م

(لوحة ٥٨)

أ - سقف الممر عبر البرج الأول .

ب - البرج الأول ، الداخلى .

ج - باب النصر ، المرحاض [السقاطة] البارز والبرج الأول .

الصور الشمالى : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م

(لوحة ٥٩)

أ - المرحاض [السقاطة] البارز ، البرج الأول ، البرج الثانى ، البروز الكبير وباب الفتوح .

ب - البرج الثانى ، البروز الكبير وباب الفتوح .

الصور الشمالى : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م :

(لوحة ٦٠)

أ - المسافة الممتدة إلى الشرق من أعلى البروز الكبير .

ب - المسافة الممتدة غربا من أعلى البرج الأول .

ج - ممر السور فيما بين البرج الثانى والبروز الكبير ، انظر شرقا .

الصور الشمالى : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م :

(لوحة ٦١)

أ - البروز الكبير وباب الفتوح .

ب - ممر فى الجانب الشرقى للبروز الكبير .

ج - ممر فى الجانب الشمالى للبروز الكبير .

باب الفتوح : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م

(لوحة ٦٢)

أ - واجهة أمامية .

ب - نقش كتابى مؤرخ (يستمر على واجهة البروز الكبير) .

باب الفتوح : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م واجهة أمامية .

(لوحة ٦٣)

باب الفتوح : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م

(لوحة ٦٤)

أ - المدخل من الخارج .

ب - المدخل من الخارج .

باب الفتوح : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م

(لوحة ٦٥)

أ - زخرفة العقد المفلطح .

ب - الأجزاء التى تعلو العقد المفلطح .

ج - سقف حشوة بين الكواويل .

د - الكواويل .

باب الفتوح : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م

(لوحة ٦٦)

- أ - الكابولى الثالث من اليمين .
- ب - الكابولى الثانى من اليمين .
- ج - ممر البوابة المقبب من الداخل .
- (لوحة ٦٧) باب الفتوح : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م ، قطاع من خلال ممر البوابة .
- (لوحة ٦٨) باب الفتوح : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م
- أ - الوجه الخلفى من جدار جامع الحاكم .
- ب - الوجه الخلفى من المنصة .
- ج - داخل البرج الشرقى .
- (لوحة ٦٩) أ - باب الفتوح وسلم البرج من أعلى البروز الكبير .
- ب - الوجه الداخلى لل سور الشمالى من اليمين إلى اليسار :
- البروز الكبير ، باب الفتوح ، سلم البرج .
- (لوحة ٧٠) أ - باب الفتوح ، الوجه الخلفى ، البروز الكبير .
- ب - باب الفتوح ، برج السلم والبرج ذو الواجهة المستديرة .
- (لوحة ٧١) السور الشمالى : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م
- أ - ممر فى السور المغيب بين برج السلم وباب الفتوح ، انظر شرقا .
- ب - مدخل برج السلم ، على العتب شكل للإله آمون رع وخرطوش الملك تحتمس الرابع .
- ج - الحجرة الرئيسية (١٨,٥٥ × ٨,٢٣م) فى برج السلم ، انظر غربا .
- د - الحجرة الأصغر فى برج السلم : مخرج إلى أول مهبط على السلم .
- (لوحة ٧٢) باب زويلة : ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م
- أ - منظر عام من الجنوب .
- ب - زخرفة فى الزاوية الداخلة الثانية .
- ج - حشوة زخرفية على الجانب الداخلى للبرج .
- د - حشوات على الجانب الداخلى للبرج الشرقى .
- (لوحة ٧٣) باب زويلة : ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م ، واجهة أمامية (رسم موريك ليون) :
- (لوحة ٧٤) باب زويلة : ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م
- أ - الجزء أعلى البوابة .
- ب - قبة على مثلثات كروية تعلو ممر البوابة .
- ج - الوجه (الشمالى) الخلفى .
- (لوحة ٧٥) باب زويلة : ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م ، قطاع من خلال ممر البوابة (رسم موريك ليون) .
- (لوحة ٧٦) باب زويلة : ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م
- أ - ممر بوابة من المنصة إلى السلم الذى ينزل منه خلف السور المغيب المتجه شرقا (انظر

- جـ - إلى اليسار) .
- ب - المنصة فى قمة البوابة .
- جـ - المنصة والجزء العلوى للبوابة .
- د - زخرفة الصنجة المفتاحية [المفتاح] للدعامة المقبية الوسطى فى ب ، جـ .
- هـ - مدخل إلى حجرة فى الطابق الثالث للبرج الغربى (انظر ب ، جـ إلى اليمين) .
- (لوحة ٧٧) جامع ابن طولون : محراب الأفضل ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م :
- (لوحة ٧٨) أسوان : المشهد .
- أ - من الشمال .
- ب - واجهة الحرم أو بيت الصلاة (المصلى) .
- جـ - مدخل الملحق (انظر أ إلى اليسار) .
- د - مدخل الممر .
- هـ - واجهة الحرم من سقف الممر .
- و - الحرم ، جهة الشمال الشرقى .
- (لوحة ٧٩) خضرة الشريفة
- أ - من الجنوب الغربى .
- ب - من الشرق .
- جـ - مدخل الصحن من الداخل .
- د - من الشمال .
- هـ - الركن الغربى .
- و - جدار القبلة .
- ز - زخرفة المحراب على يسار المحراب الرئيسى ، المكتشف عن طريق الحفائر .
- (لوحة ٨٠) أ - ضريح الجعفرى (إلى اليسار) والسيدة عاتكة (إلى اليمين) .
- ب - ضريح السيدة عاتكة : الداخل .
- جـ - ضريح السيدة عاتكة : زخرفة المحراب .
- (لوحة ٨١) أ - ضريح السيدة عاتكة : نافذة وشرافات الحائط السابق ترى أسفل الجص .
- ب - أخوة يوسف : تفصيل للمحراب الثلاثى .
- جـ - إلى اليسار ضريح السيدة عاتكة ، المبنى جزء منه على شرافة الفناء الأمامى لضريح الجعفرى .
- (لوحة ٨٢) أ - الضريح المعروف بالشيخ يونس .
- ب - محراب أم كلثوم .
- جـ - مسجد الأقمر : الواجهة الشمالية الغربية ٥١٩هـ / ١١٢٥م .

- (لوحة ٨٣) مسجد الأقمر : ٥١٩هـ / ١١٢٥م
 أ - تفصيل (انظر ٨٢ج - إلى اليسار) .
 ب - تفصيل (انظر ٨٢ج - إلى اليسار) .
 ج - تفصيل لزخرفة بروز المدخل .
 د - جامة مفرغة أعلى المدخل .
- (لوحة ٨٤) مسجد الأقمر : ٥١٩هـ / ١١٢٥م
 أ - واجهة الرواق الشمالى الشرقى .
 ب - تفصيل للزخرفة الجصية فى أ .
 ج - جامة فى الواجهة الشمالية الشرقية .
 د - معالجة الركن الشمالى .
 هـ ، و ، ز ، ح - باب خزانة حائطية .
- (لوحة ٨٥) مسجد الأقمر : الرواق الجنوبي الغربى .
 ب - قوس : الضريح الملحق بالجامع .
 ج - قوس : الضريح الملحق بالجامع من الشمال .
 د - قوس : الضريح ، زخرفة الجانب القبلى .
- (لوحة ٨٦) مشهد السيدة رقية ٥٢٧هـ / ١١٣٣م :
 أ - الواجهة الشمالية الغربية .
 ب - الداخل .
 ج - رقة القبة وبها نقش كتابى ملون مؤرخ .
- (لوحة ٨٧) مشهد السيدة رقية : ٥٢٧هـ / ١١٣٣م :
 أ - منظر رأسى للقبة المفصصة (باطن القبة) .
 ب - تفصيل من المحراب .
- (لوحة ٨٨) مشهد السيدة رقية : التابوت الخشبى ٥٣٣هـ / ١١٣٩م .
 ب - ضريح محمد الحصواتى : المحراب .
- (لوحة ٨٩) جامع الأزهر :
 أ - الصحن : الواجهة الشمالية الغربية قبل أعمال عام ١٨٩١م . (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .
- ب - الصحن : الجزء الأوسط للواجهة الجنوبية الشرقية قبل أعمال عام ١٨٩١م . (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .
- (لوحة ٩٠) جامع الأزهر :
 أ - زخرفة العقد الأيسر الذى يحمل القبة عند مدخل المجاز القاطع .
 ب - زخرفة العقد الذى يحمل القبة ويفتح على المجاز القاطع .

- (لوحة ٩١) جامع الأزهر :
- أ - زخرفة قبة الجوسق [قبة البهو] فى النهاية الشمالية للمجازر القاطع .
- ب - الجوسق ذى القبة [قبة البهو] فى النهاية الشمالية للمجازر : منطقة الانتقال .
- (لوحة ٩٢) أ - باب من ضريح السيدة نفيسة ٥٣٢هـ / ١١٣٨م .
- ب - تفصيل من أ .
- ج - الجزء السفلى لباب من ضريح السيدة نفيسة (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .
- د - مسجد الفكهاى : فردة باب ٥٤٣هـ / ١١٤٨م .
- هـ - تفصيل من د .
- (لوحة ٩٣) قاعة الدردير :
- أ - الإيوان الجنوبي .
- ب - الإيوان الجنوبي .
- (لوحة ٩٤) قاعة الدردير : أ - موضع نصف القبة فى الإيوان الجنوبي .
- ب - معالجة الحوائط الجانبية (انظر لوحة ٩٣ ب) .
- ج - نقش كتابى كوفى على إفريز خشبى فى الدخلة الشرقية .
- (لوحة ٩٥) ضريح [مشهد] يحيى الشبيه :
- أ - داخل الضريح ، تجاه الشرق .
- ب - داخل الضريح ، تجاه الجنوب الشرقى .
- ج - داخل الضريح تجاه الملحق .
- (لوحة ٩٦) أ - ضريح [مشهد] يحيى الشبيه : الملحق ، (تجاه الشمال) .
- ب - مئذنة أبو الغضنفر ، حشوات فى الجانب الشمالى الشرقى .
- ج - تفصيل للجامة فى د .
- د - الباب الأخضر (جزء من مشهد ميدنا الحسين) ٥٤٨هـ / ١١٥٣م .
- (لوحة ٩٧) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ / ١١٦٠م .
- أ - حالة المسجد فى عام ١٩١٧م كما يشاهد من فوق باب زويلة .
- ب - الواجهة الشمالية الغربية بعد إزالة المنازل وحفائر الطابق السفلى .
- ج - الجانب الشمالى الشرقى : الطوق الحجرى المزخرف فوق الحوائط فى المستوى الأرضى للمسجد .
- د - الواجهة الشمالية الشرقية ، نافذة الدعامة الثانية من الركن الشمالى .
- (لوحة ٩٨) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٠هـ / ١١٦٠م .
- أ - الواجهة الشمالية الغربية ، دعامة إلى يسار السقيفة (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .
- ب - الواجهة الشمالية الغربية ، دعامات فى نهاية السقيفة قبل إزالة أرضية المنزل (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .

- (لوحة ٩٩) مسجد الصالح طلائع : ١١٦٠ هـ / ١١٦٠ م .
 أ - الواجهة الشمالية الغربية بعد الترميم .
 ب - الواجهة الشمالية الشرقية إلى اليمين من المدخل الجانبي بعد الترميم .
- (لوحة ١٠٠) مسجد الصالح طلائع : ١١٦٠ هـ / ١١٦٠ م .
 أ - نافذة ذات زخارف مفرغة (محفوظة حاليا بمتحف الفن الإسلامى) .
 ب - المدخل الشمالى الشرقى .
 ج - بقايا الشرافات الأصلية .
 د - بقايا الشرافات الأصلية .
 هـ - الواجهة الجنوبية الغربية بعد إزالة الأبنية الملاصقة .
- (لوحة ١٠١) مسجد الصالح طلائع : ١١٦٠ هـ / ١١٦٠ م .
 أ - الواجهة الشمالية الشرقية ، أقصى الشمال ، بعد الهدم .
 ب - المدخل الرئيسى من الداخل قبل إعادة البناء .
 ج - المدخل الشمالى الغربى [الرئيسى] من الخارج .
 د - المدخل الشمالى الشرقى من الداخل .
- (لوحة ١٠٢) مسجد الصالح طلائع : ١١٦٠ هـ / ١١٦٠ م ، باب مصفح بالبرونز .
- (لوحة ١٠٣) مسجد الصالح طلائع : ١١٦٠ هـ / ١١٦٠ م .
 أ - الداخل : الركن الشمالى أثناء الترميم .
 ب - الداخل : الجانب الشمالى الشرقى أثناء الترميم ، المدخل الشمالى الشرقى فى أقصى اليمين .
- (لوحة ١٠٤) مسجد الصالح طلائع : ١١٦٠ هـ / ١١٦٠ م .
 أ - واجهة الحرم (مقدم الجامع) .
 ب - داخل الحرم .
- (لوحة ١٠٥) مسجد الصالح طلائع : ١١٦٠ هـ / ١١٦٠ م .
 أ - نافذة فى الرواق الثانى للحرم .
 ب - زخرفة البائكة الثالثة فى الحرم .
 ج - وضع العقود ، وشاهد طبلية خشبية وأربطة خشبية .
 د - فتحة الملقف [الباذهنج] خلف المنبر .
- (لوحة ١٠٦) مسجد الصالح طلائع : ١١٦٠ هـ / ١١٦٠ م ، زخرفة كوشات العقود فى الحرم :
 أ - ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .
 ب - ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .
- (لوحة ١٠٧) مسجد الصالح طلائع : ١١٦٠ هـ / ١١٦٠ م ، زخرفة كوشات العقود فى الحرم :
 ج - ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .
 د - ٢ ، ٣ ، ٥ .
 هـ - ١ ، ٢ .

- (لوحة ١٠٨) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م .
 أ - نافذة فوق المحراب .
 ب - النافذة الخامسة من اليسار .
 ج - النافذة (الصماء) السابعة من اليسار .
 د - زخرفة فتحة الملقف [البازاھنج] خلف الجزء العلوى للمنبر .
- (لوحة ١٠٩) تتبع القباب والدلايات [الحنايا والمقرنصات] :
 أ - مسجد الحاكم : القبة الوسطى (٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م) .
 ب - مسجد الحاكم : القبة الوسطى .
 ج - مسجد الحاكم : الحنية فى الركن الخلفى الأيمن للحرم .
 د - السبع بنات : الحنية والرقبة ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م .
 هـ - مسجد الحاكم : الحنية وبقايا رقبة القبة فى الركن الخلفى الأيسر للحرم .
- (لوحة ١١٠) تتبع القباب والدلايات :
 أ - مسجد [مشهد] الجيوشى : ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م .
 ب - مسجد الجيوشى .
 ج - باب زويلة : حنية فى دخلة على هيئة نصف قبة فى جانب ممر البوابة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م .
 د - أسوان : المشهد حوالى ١١٠٠ - ١١١٠ م .
 هـ - أسوان : المشهد .
- (لوحة ١١١) تتبع القباب والدلايات :
 أ - ضريح قديم [القبة الفاطمية بالجمالية] تجاه خانقاة يببرس الجاشنكير .
 ب - ضريح محمد الجعفرى .
 ج - قبة الجعفرى وعاتكة .
 د - ضريح السيدة عاتكة .
 هـ - قبة عاتكة .
- (لوحة ١١٢) تتبع القباب والدلايات :
 أ - ضريح الشيخ يونس بعد ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م .
 ب - ضريح الشيخ يونس .
 ج - ضريح أخوة يوسف حوالى ١١٠٠ - ١١٢٥ م .
 د - ضريح أخوة يوسف .
 هـ - قوص : ضريح فى الجانب الشرقى للجامع حوالى ١١٢٠ - ١١٣٠ م .
 و - قوص : ضريح فى الجانب الشرقى للجامع .
- (لوحة ١١٣) تتبع القباب والدلايات :
 أ - ضريح [مشهد] السيدة رقية ٥٢٧ هـ / ١١٣٣ م .

- ب - ضريح [مشهد] السيدة رقية .
- ج - جامع الأزهر : القبة فى مقدمة المجاز ٥٢٤-٥٤٤هـ / ١١٣٠-١١٤٩م .
- د - جامع الأزهر .
- هـ - ضريح محمد الحصواتى حوالى ١١٢٥ - ١١٥٠م .
- و - ضريح محمد الحصواتى .
- (لوحة ١١٤) تتبع القباب والدلايات .
- أ - ضريح [مشهد] يحيى الشبيه حوالى ١١٥٠م .
- ب - ضريح يحيى الشبيه حوالى ١١٥٠م .
- (لوحة ١١٤) تتبع المحاريب .
- ج - محراب قديم يتقدم مشهد الشبيه من الشرق فى متحف الفن الإسلامى حوالى ٩٥٠م .
- د - جامع الأزهر : (زخرفة العقد ونصف القبة [الطاقية] فقط ، والباقى متأخر) ٣٦١هـ / ٩٧٢م .
- (لوحة ١١٥) تتبع المحاريب :
- أ - مسجد الحاكم : محراب فى السطح ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م
- ب - مسجد الحاكم : المحراب الرئيسى .
- ج - مسجد لؤلؤة : محراب فى الحجرة السفلية ٤٠٦هـ / ١٠١٥-١٠١٦م .
- د - مسجد لؤلؤة : محراب فى الحجرة العلوية ٤٠٦هـ / ١٠١٥-١٠١٦م .
- (لوحة ١١٦) تتبع المحاريب :
- أ - مسجد : [مشهد] الجيوشى ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م
- ب - محراب الأفضل فى جامع ابن طولون ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م .
- ج - خضرة الشريفة : المحراب الجانبى المكتشف عن طريق الحفائر ٥٠١هـ / ١١٠٧ - ١١٠٨م .
- د - خضرة الشريفة : المحراب الرئيسى .
- (لوحة ١١٧) تتبع المحاريب :
- أ - ضريح محمد الجعفرى حوالى ١١١٠م .
- ب - ضريح السيدة عائكة حوالى ١١٢٠م .
- ج - ضريح الشيخ يونس بعد ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م .
- د - مسجد موسى فى مسجد الشيخ موسى قبل ٥١٣هـ / ١١١٩م .
- (لوحة ١١٨) تتبع المحاريب :
- أ - أخوة يوسف : المحراب الثلاثى حوالى ١١٢٥م .
- ب - ضريح [مشهد] أم كلثوم : ٥١٦هـ / ١١٢٢م .
- ج - محراب الأمر بالجامع الأزهر ٥١٩هـ / ١١٢٥-١١٢٦م .

(لوحة ١١٩) تتبع المحاريب :
 أ ، ب - مشهد السيدة رقية ٥٢٧هـ / ١١٣٣م : المحرابان بالسقيفة على يمين ويسار المدخل (٣٦٨×٧٢رام و ٣٦٨ × ٧٠رام) .
 ج ، د - مشهد السيدة رقية ٥٢٧هـ / ١١٣٣م : المحرابان الداخليان على يمين ويسار المحراب الرئيسى .

(لوحة ١٢٠) تتبع المحاريب :
 أ - مشهد السيدة رقية ٥٢٧هـ / ١١٣٣م : المحراب الرئيسى (٥٢ × ٢٩٥رام) .
 ب - ضريح محمد الحسواتى حوالى ١١٢٥ - ١١٥٠م : (٢٧٧ × ٢٤٩رام) .
 ج - محراب السيدة نفيسة حوالى ٥٣٢هـ / ١١٣٨م .

(لوحة ١٢١) تتبع المحاريب :
 أ - محراب السيدة نفيسة : حوالى ٥٣٢هـ / ١١٣٨م تفصيل .
 ب - ضريح [مشهد] يحيى الشيبه حوالى ١١٥٠م : المحراب الجانبى الأيسر .
 ج - ضريح [مشهد] يحيى الشيبه حوالى ١١٥٠م : المحراب الرئيسى .

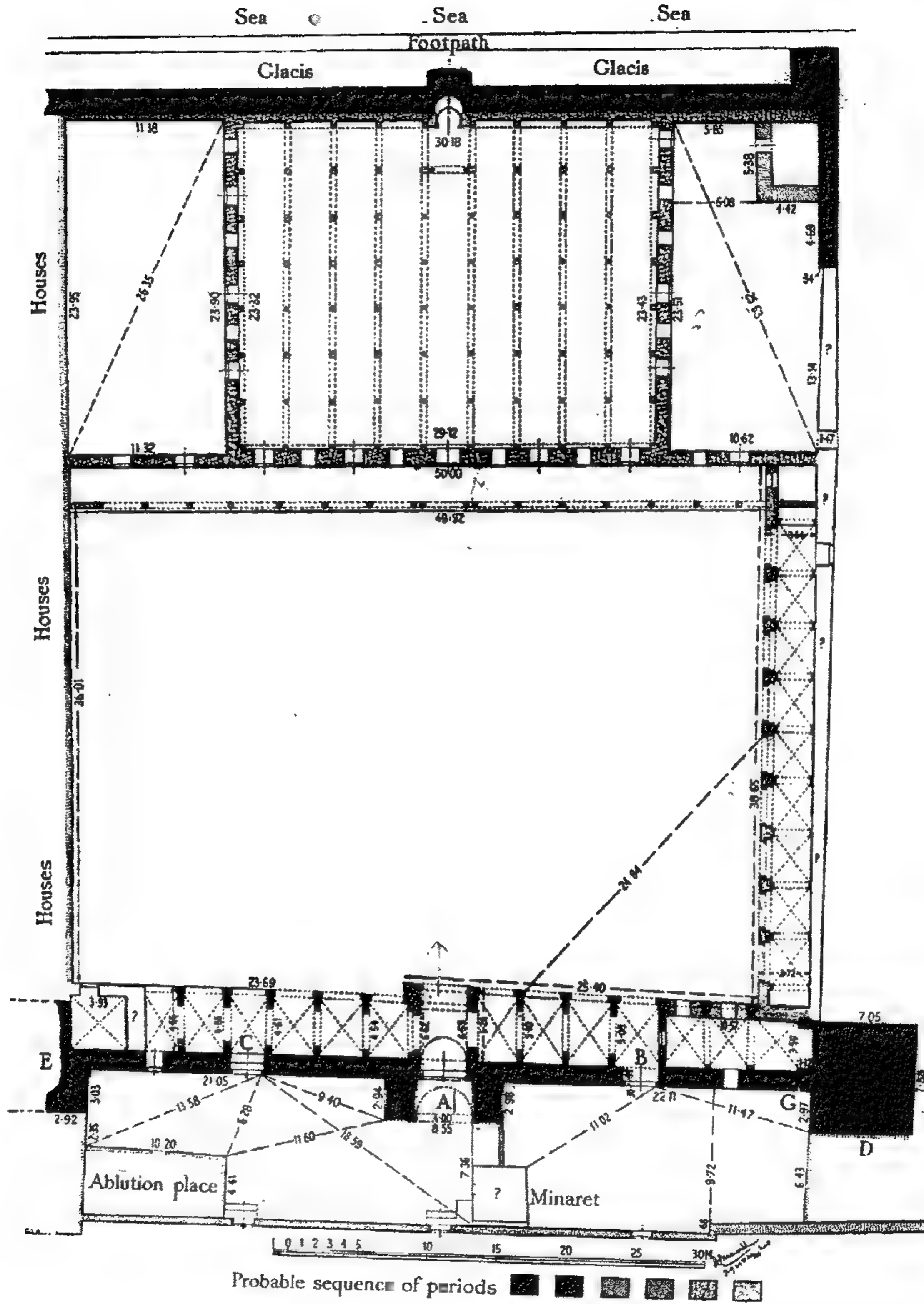
(لوحة ١٢٢) تتبع المآذن
 أ - أسوان : برج الطابية ٤٦٩ - ٤٧٤هـ / ١٠٧٧ - ١٠٨١م .
 ب - المشهد البحرى قرب الشلال ٤٦٩ - ٤٧٤هـ / ١٠٧٧ - ١٠٨١م .
 ج - المشهد القبلى قرب الشلال ٤٦٩ - ٤٧٤هـ / ١٠٧٧ - ١٠٨١م .

(لوحة ١٢٣) تتبع المآذن
 أ - الأقصر : مئذنة مسجد أبو الحجاج .
 ب - اسنا : مئذنة الجامع الكبير ٤٧٤هـ / ١٠٨١ - ١٠٨٢م .
 ج - القاهرة : مئذنة الجيوشى ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م .
 د - القاهرة : مئذنة أبو الغضنفر : ٥٥٢هـ / ١١٥٧م .

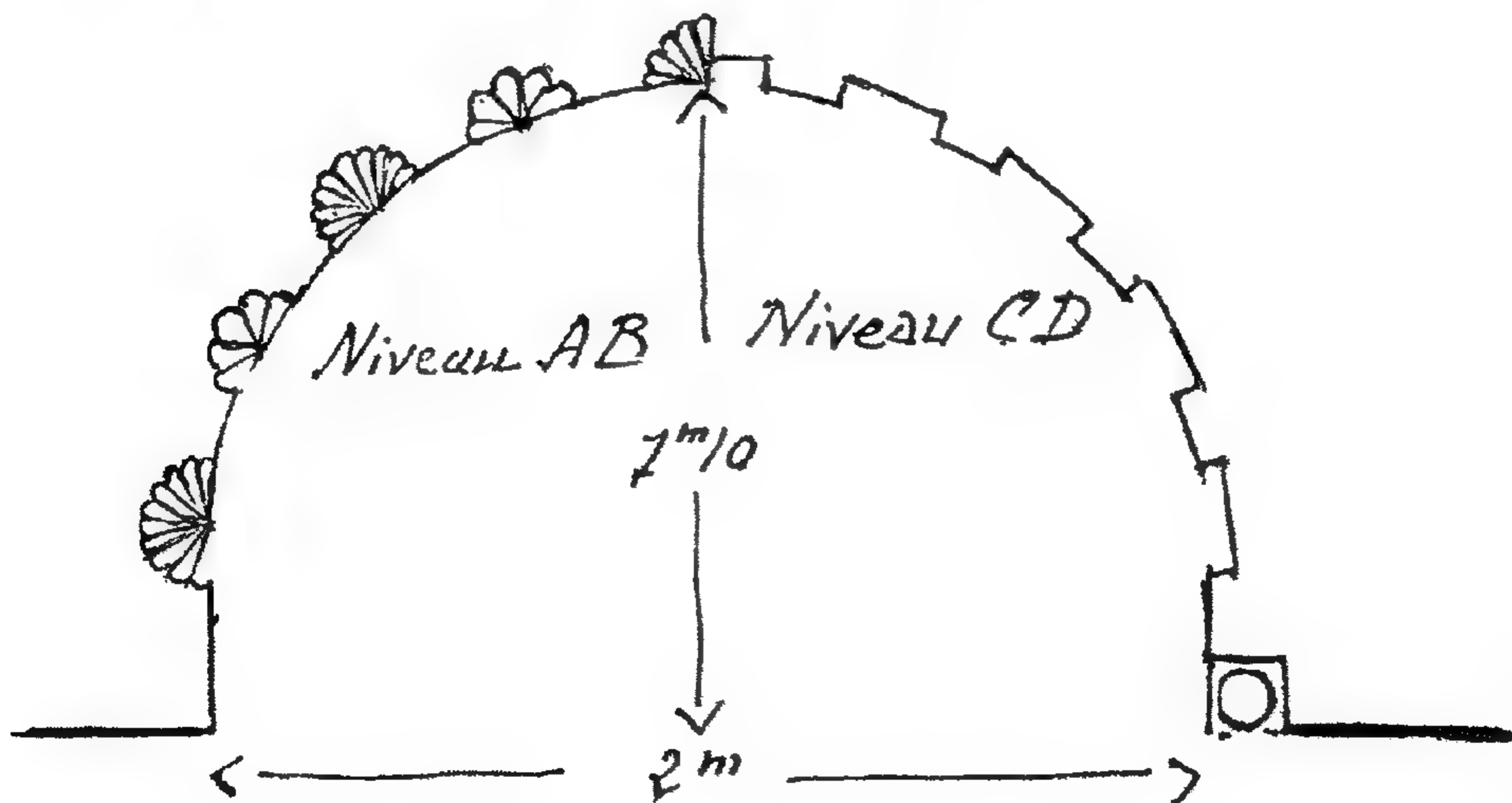
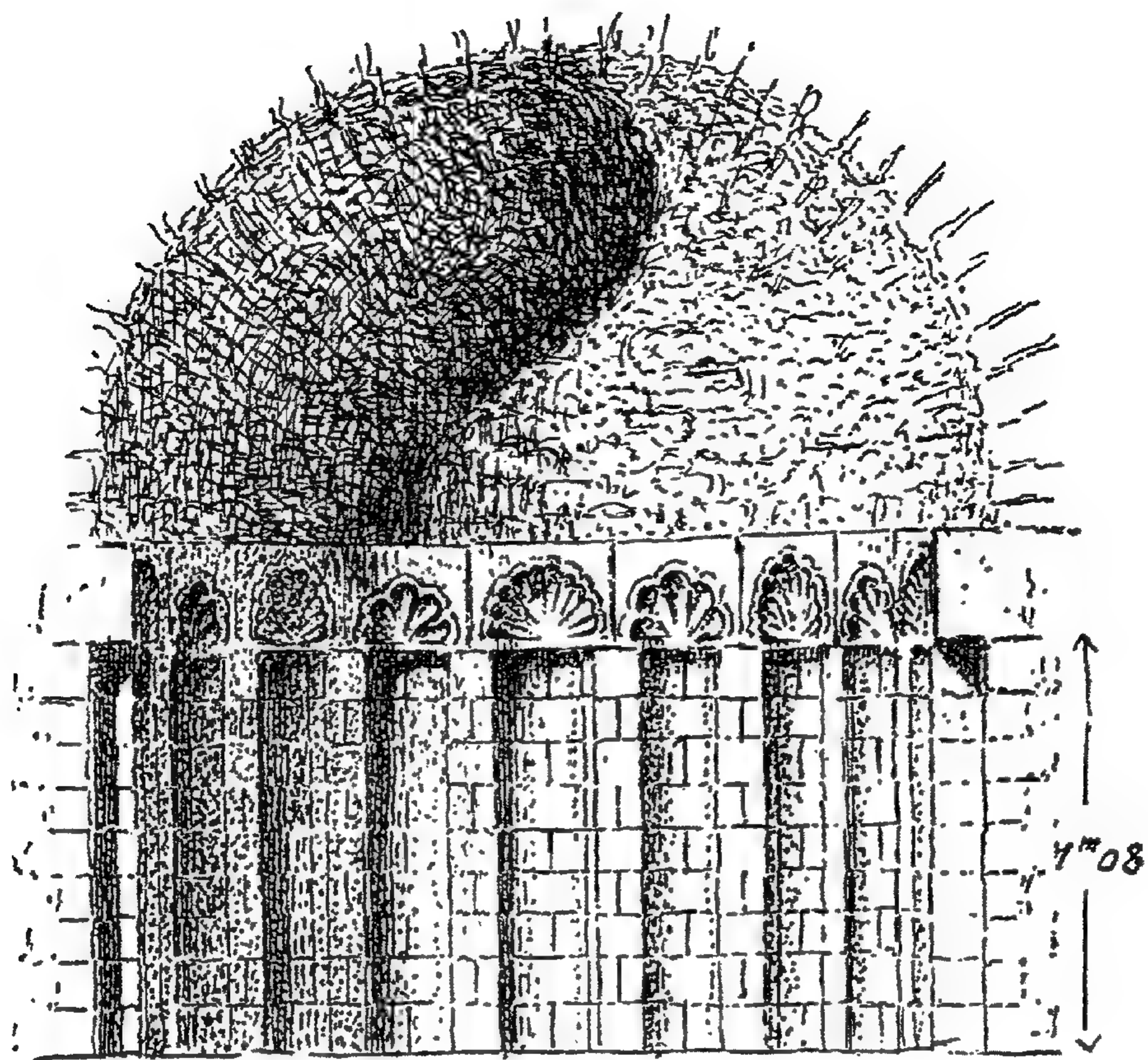
(لوحة ١٢٤) السور الشمالى
 أ - مدخل البرج ذو الواجهة المستديرة من ممشى السور الواقعى .
 ب - داخل البرج ذو الواجهة المستديرة .
 ج - اتصال مادة بدر الجمالى (إلى اليمين) وصلاح الدين (إلى اليسار) .
 د - البرج ذو الواجهة المستديرة والسور المغيب إلى الغرب .

(لوحة ١٢٥) السور الشمالى
 أ - برج السلم والبرج ذو الواجهة المستديرة .
 ب - البرج ذو الواجهة المستديرة والسور المغيب ذو السقطة .

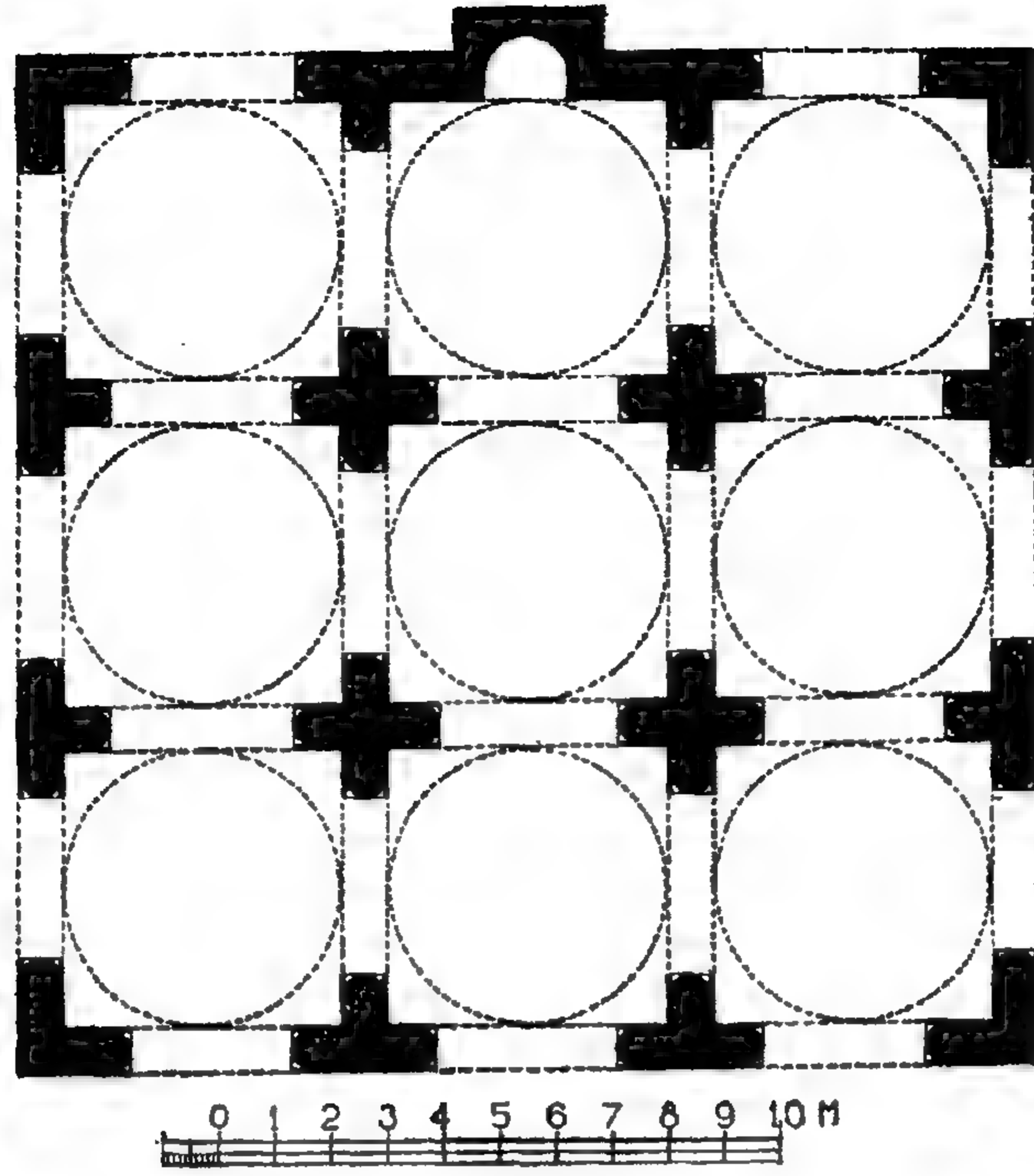
أولاً الأشكال



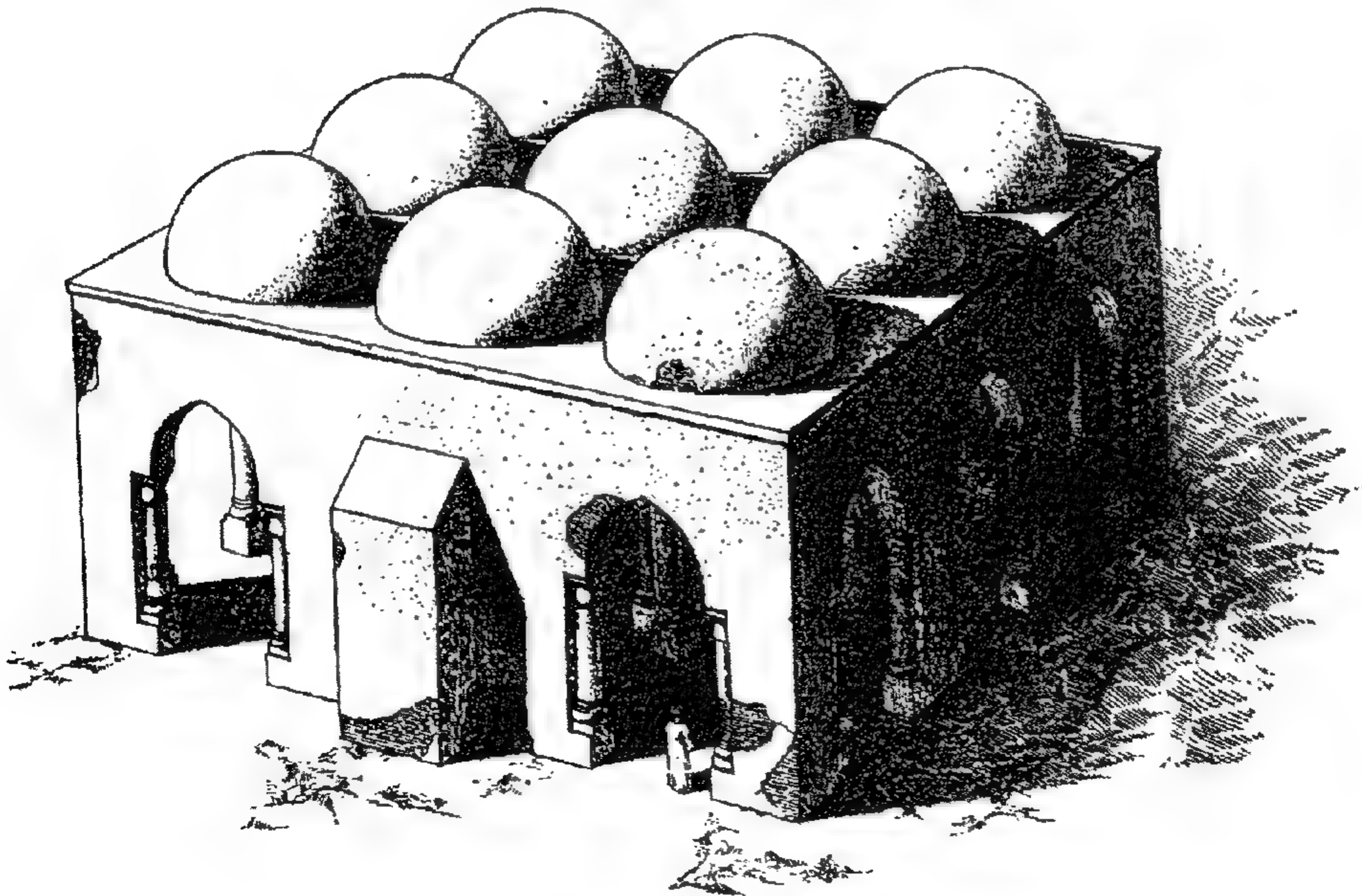
(شكل رقم ١) المهدية تونس : الجامع الكبير
(مسقط أفقي لم يشيك عليه تماماً) .



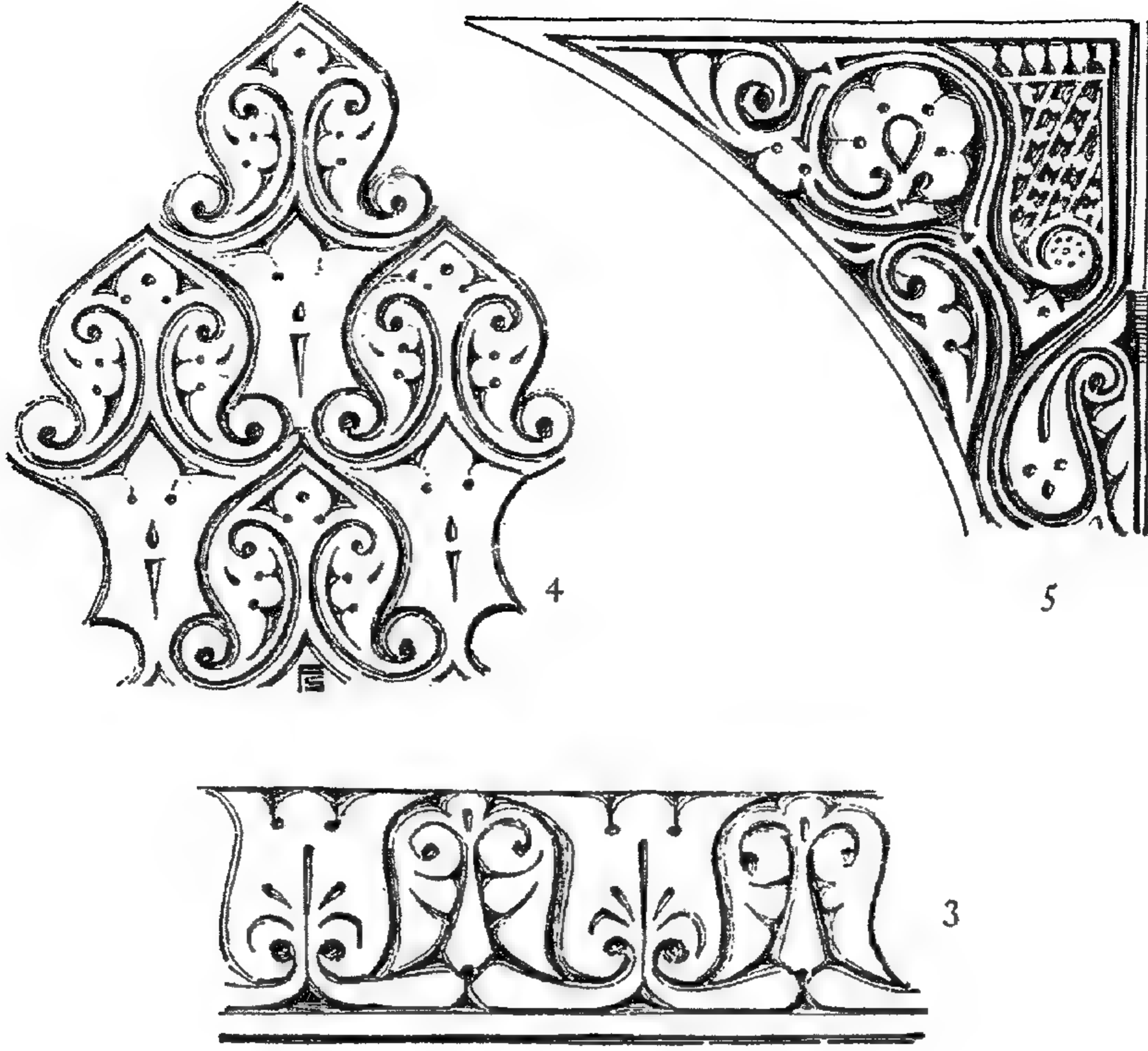
(شكل رقم ٢) المهدية : محراب الجامع .



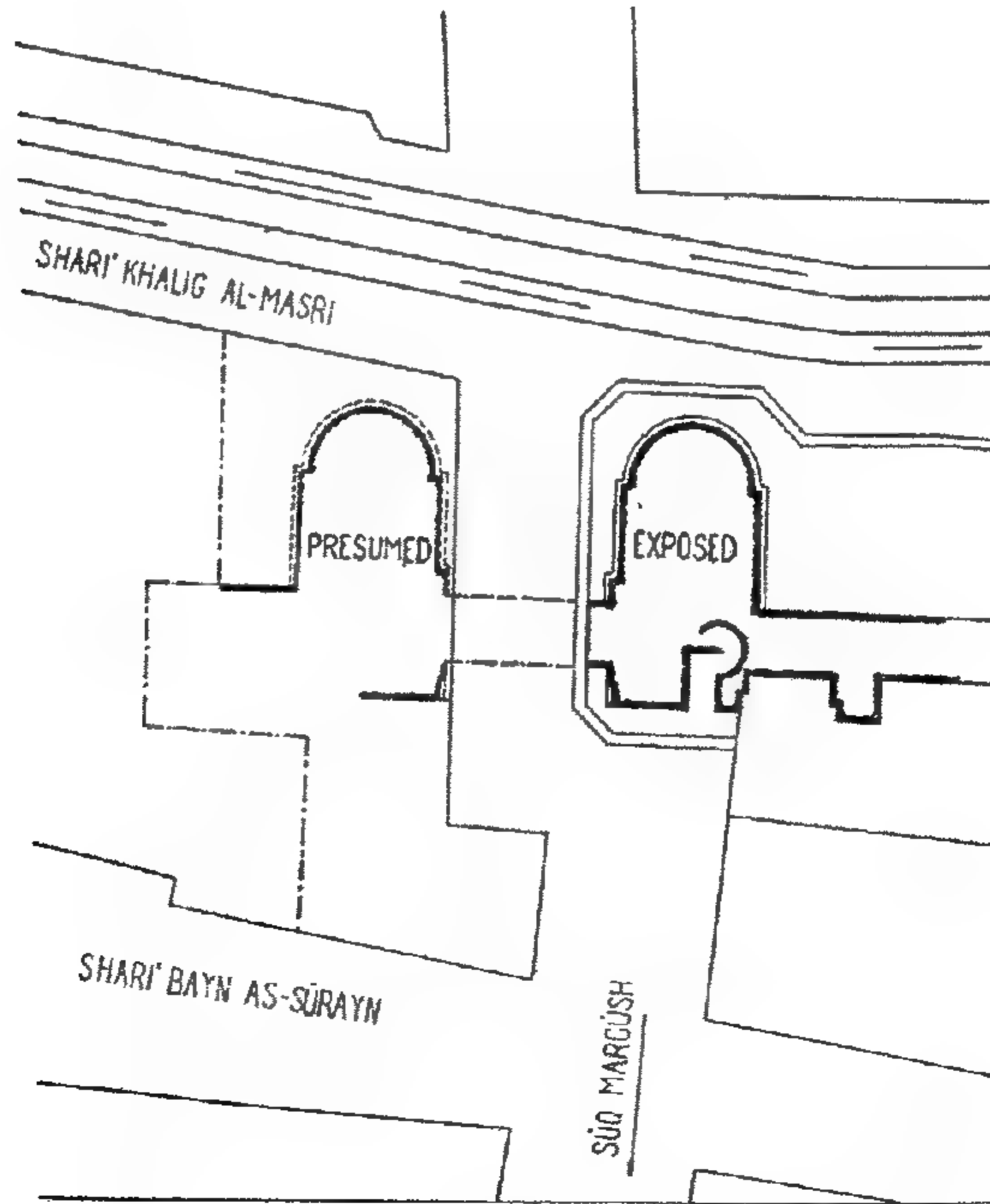
(شكل رقم ٥) مشهد الشريف طباطبا : تصور لما كان عليه المسقط .



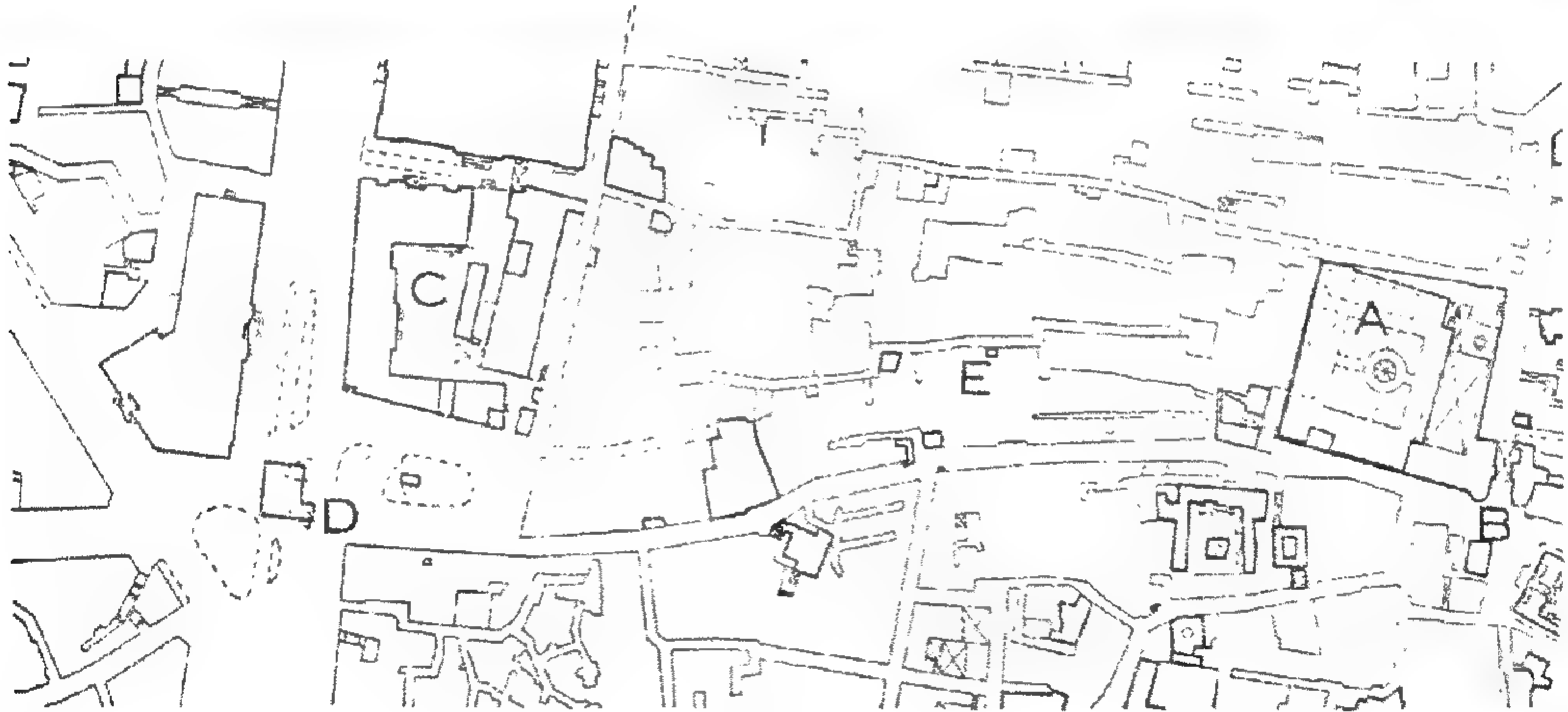
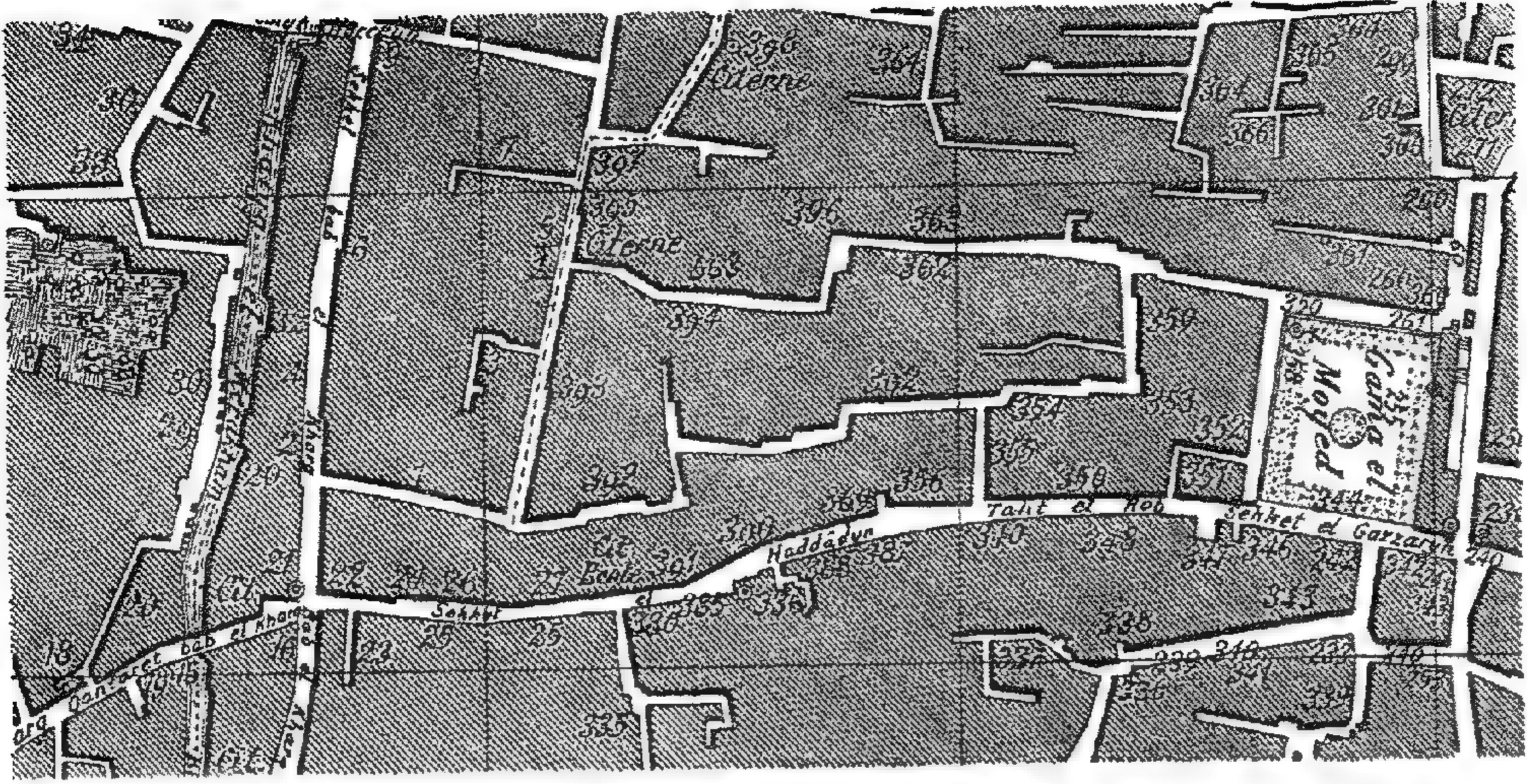
(شكل رقم ٦) مشهد الشريف طباطبا : إعادة بناء (رسم فريد شافعي) .



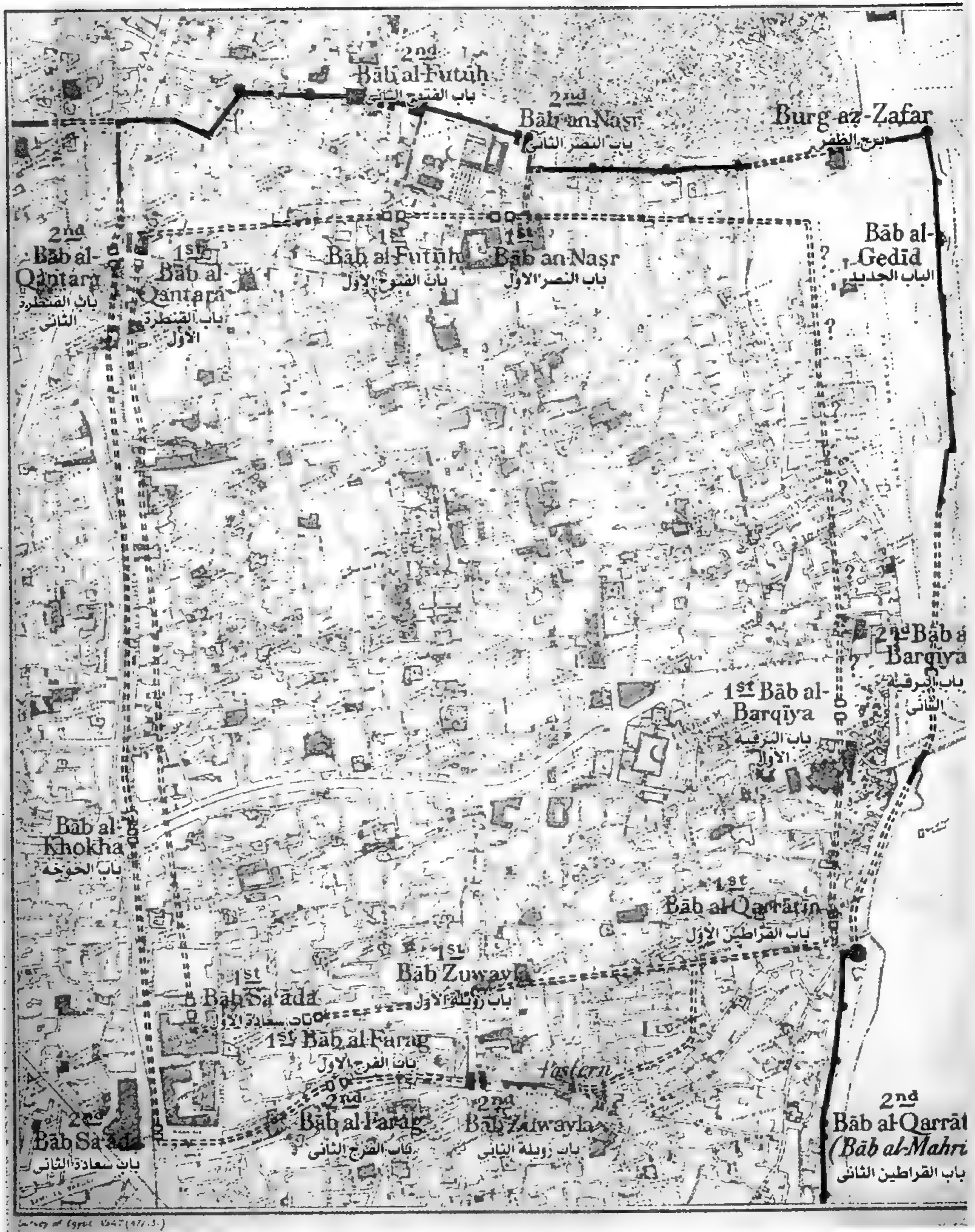
(شكل رقم ٧) محراب جصي عتيق ، تفصيل للزخرفة (عن : فلورى) .



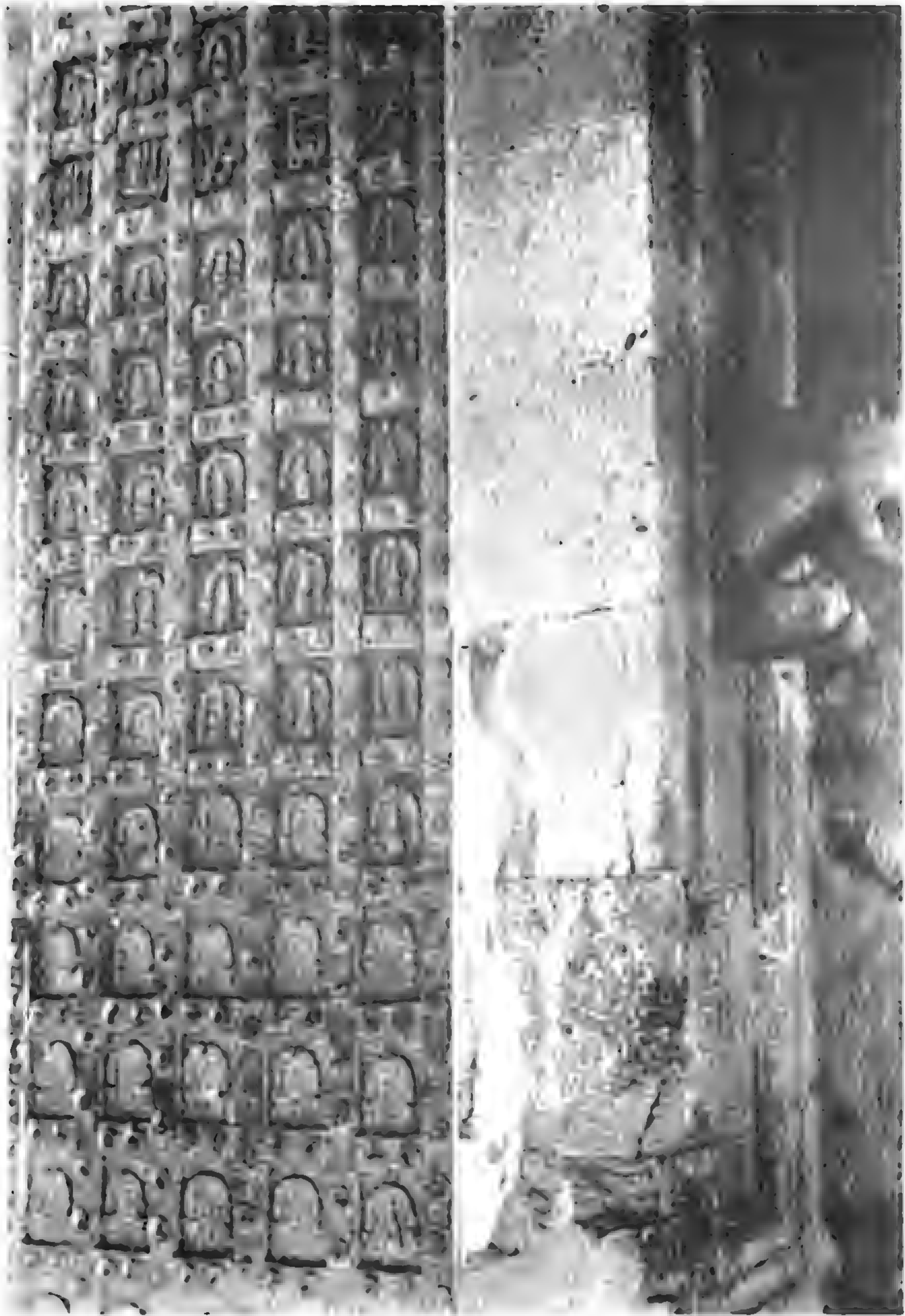
(شكل رقم ٨) باب القنطرة الثاني . (عن لجنة حفظ الآثار العربية) .



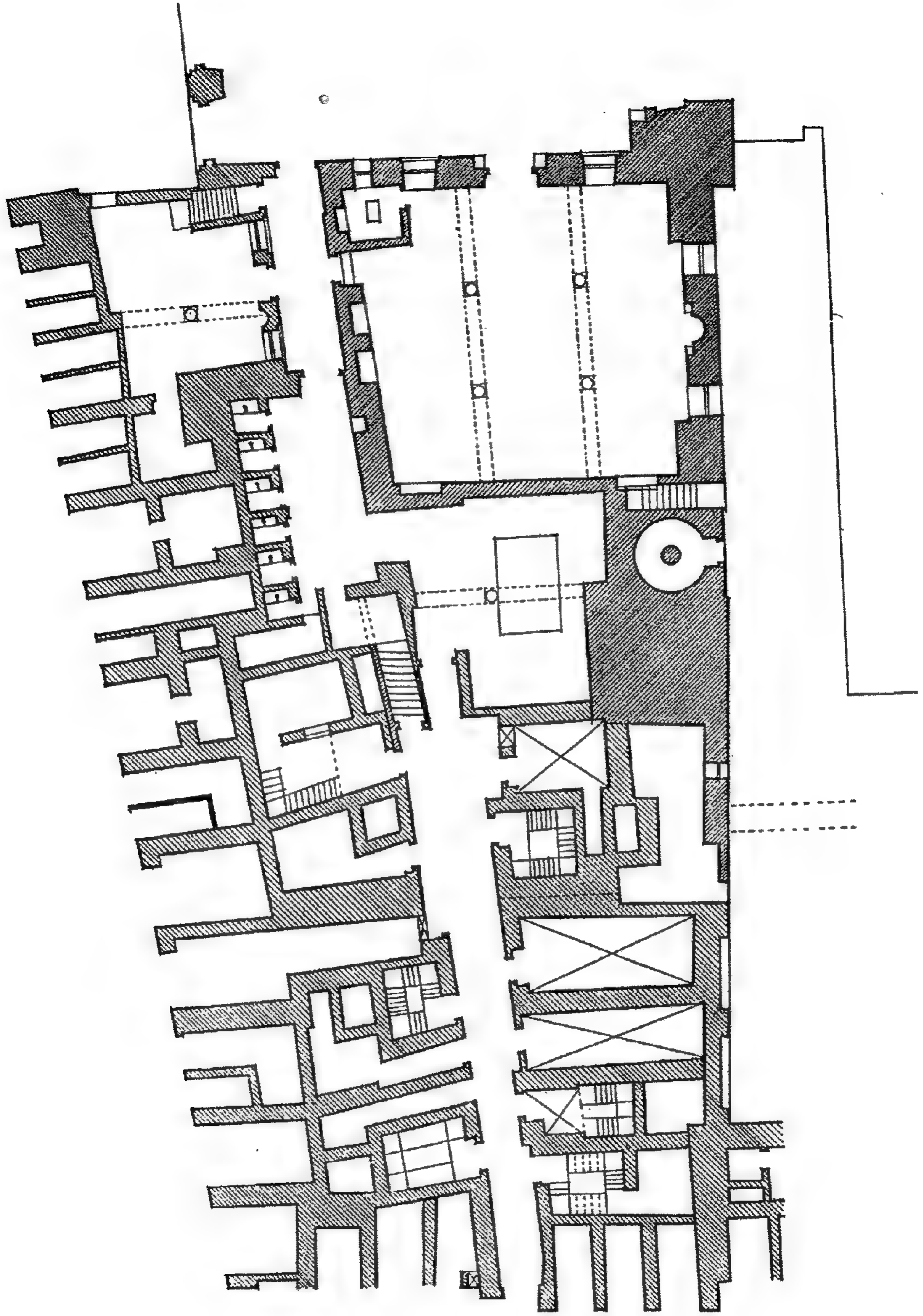
(شكل رقم ٩) شارع تحت الربع والمنطقة المحيطة به ، (A) في عام ١٨٠١ ،
 (B) في الوقت الحالي (أي وقت إعداد الكتاب وقبل صدوره في عام ١٩٥٢ م)
 ويظهر موضع (D) مسجد اسكندر باشا .



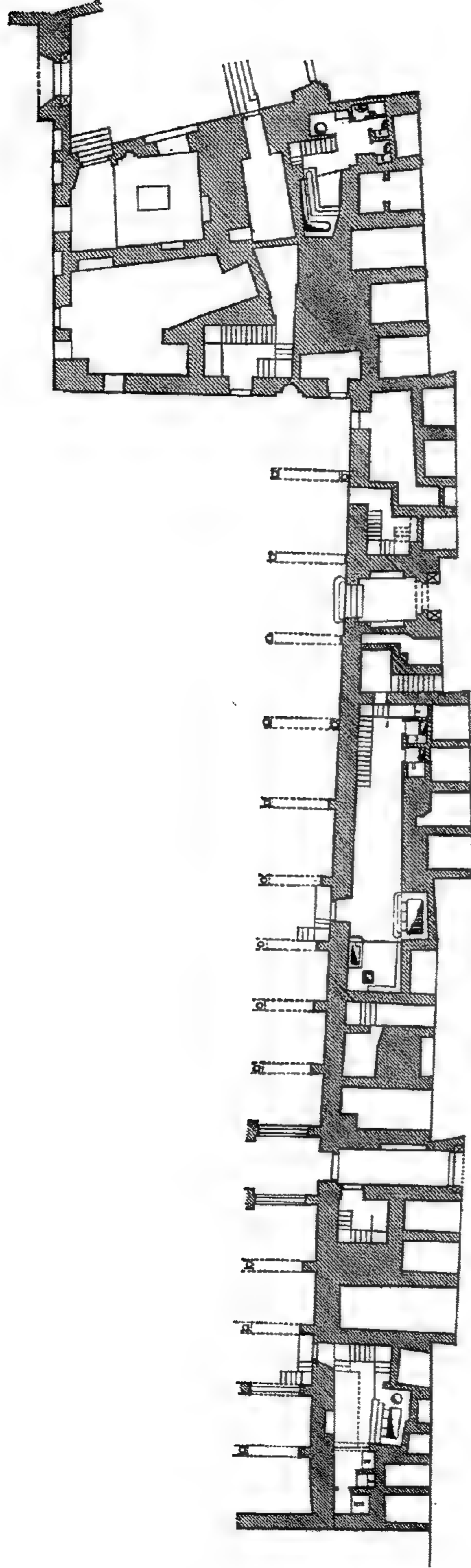
(شكل رقم ١٠) القاهرة الفاطمية، ويشاهد موضع الأسوار، جوهر (اللون الأخضر)، بدر الجمالي (اللون الأحمر) وصلاح الدين (اللون الأزرق).



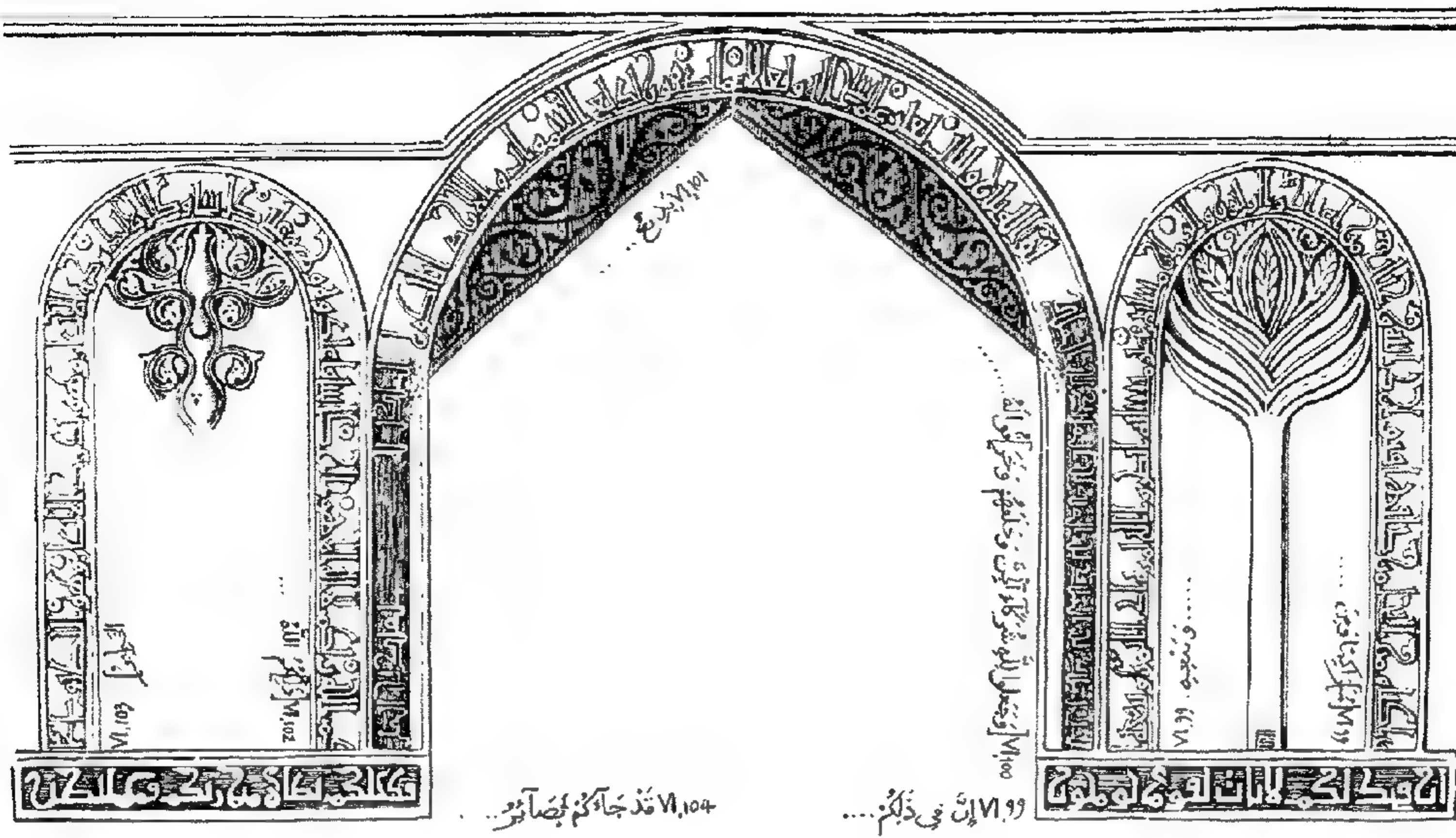
(شكل رقم ١١) حلب ، القلعة . باب حديدي في النهاية الداخلية لممر البوابة الرئيسية .



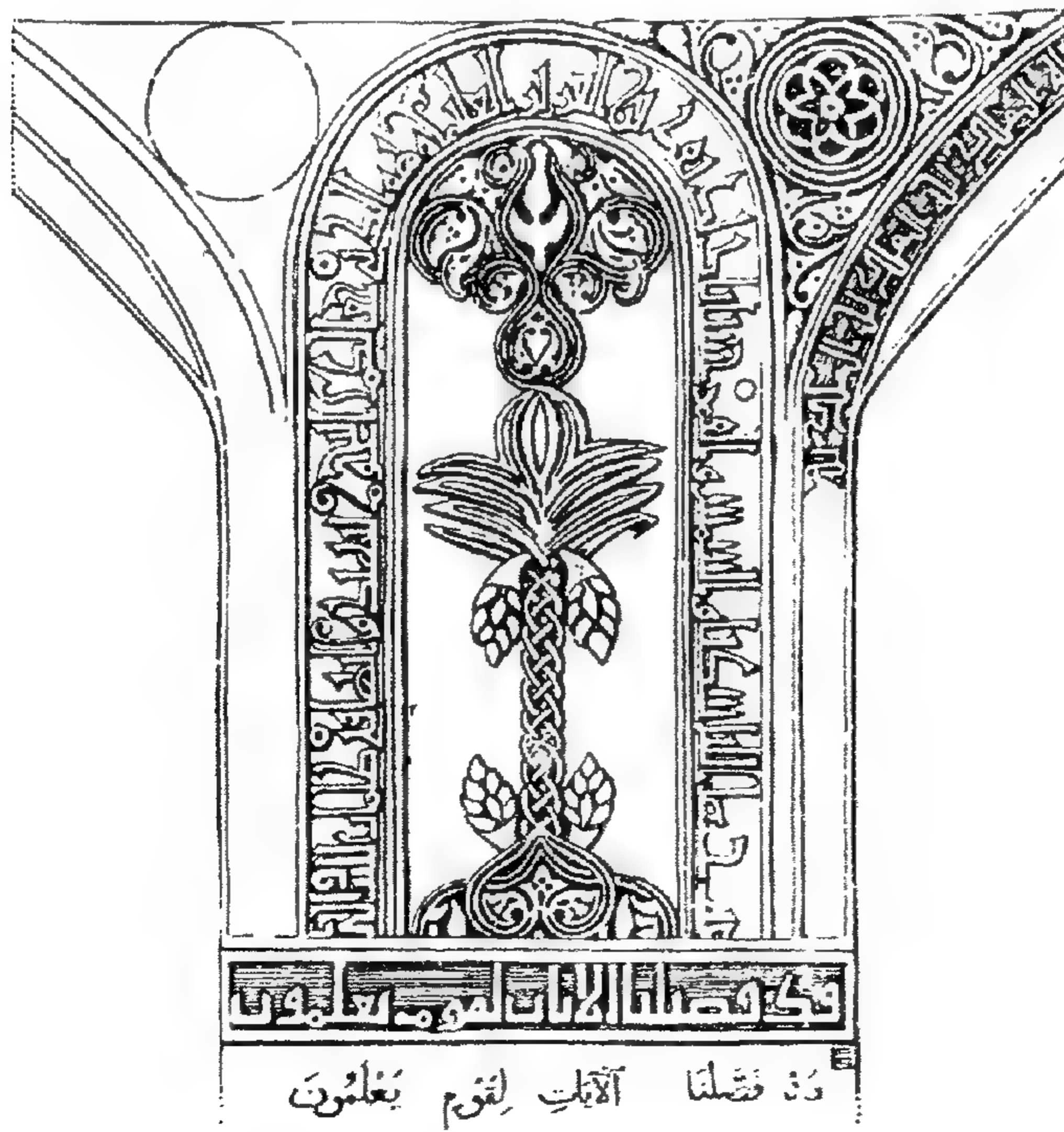
(شكل رقم ١٢) جامع الأزهر ، الحوانيت ، الجانب الشمالي الغربي من الخارج قبل عام ١٨٩٦ م
(عن لجنة حفظ الآثار العربية) .



(شكل رقم ١٣) جامع الأزهر ، الحوانيت ، الواجهة الجنوبية الغربية من الخارج قبل عام ١٩٠١
(عن لجنة حفظ الآثار العربية) .



(شكل رقم ١٤) جامع الأزهر : (عن فلوري) .



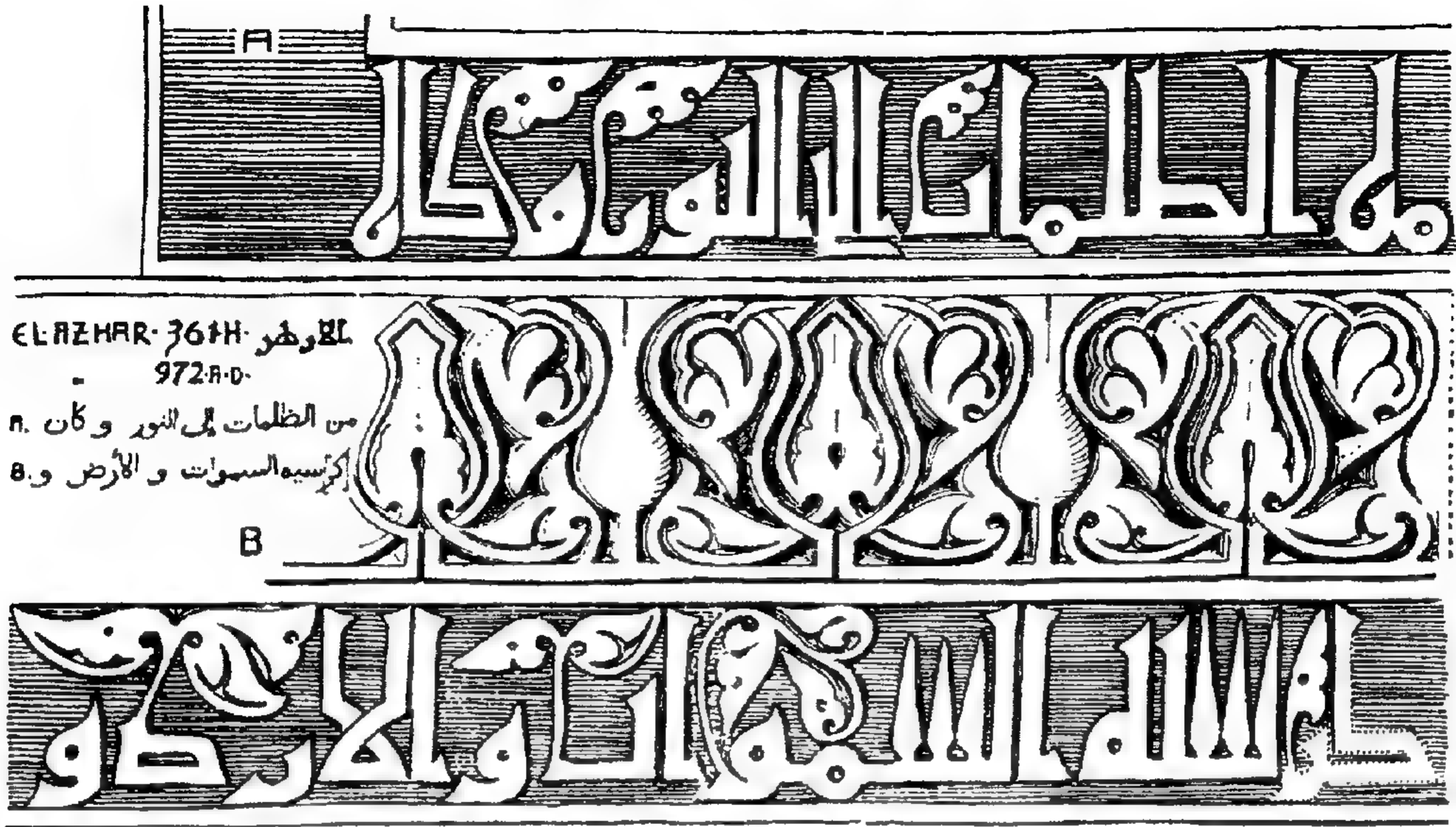
(شكل رقم ١٥) جامع الأزهر : (عن فلوري) .



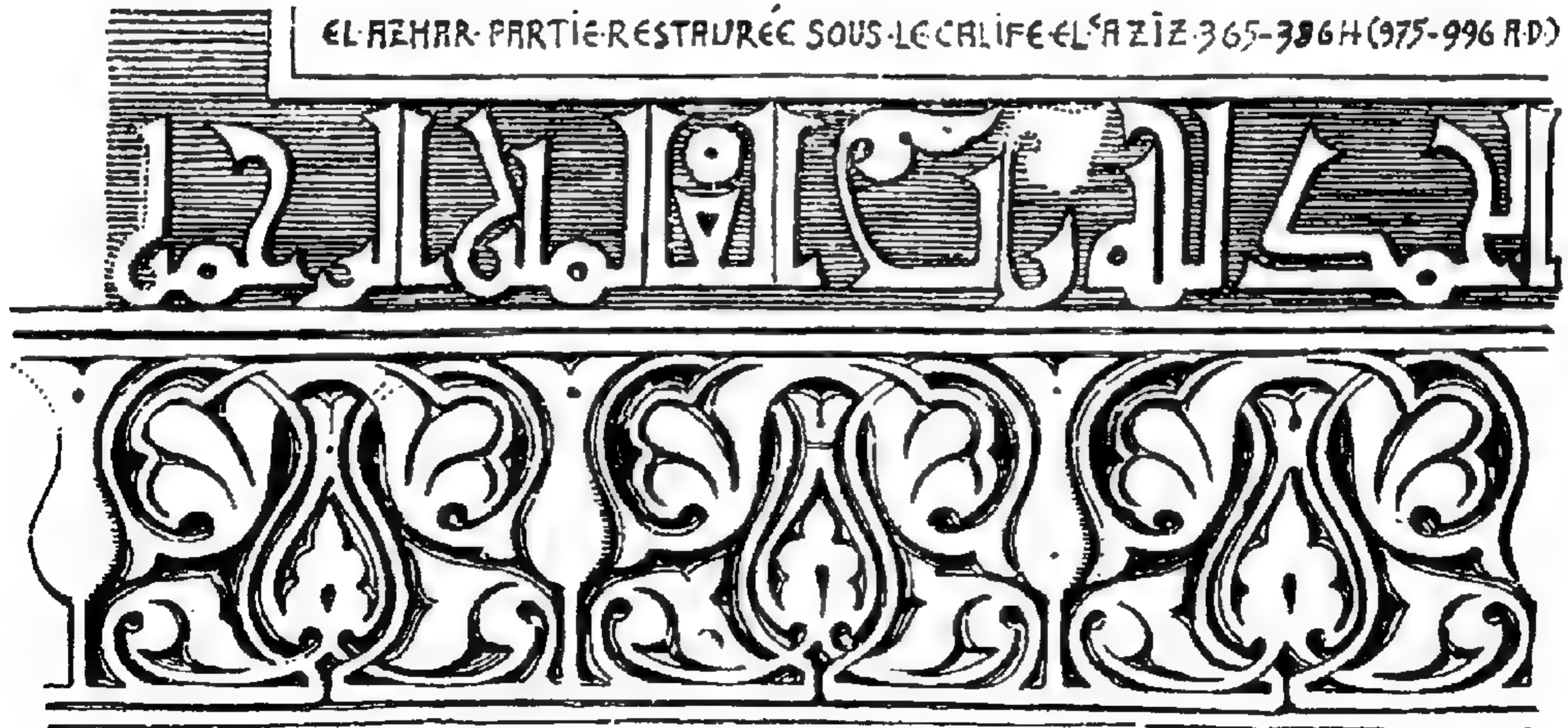
(شكل رقم ١٦) أياصوفيا : زخرفة كوشة العقد : (عن سلزينبرج ، لوحة ٢١٥) .



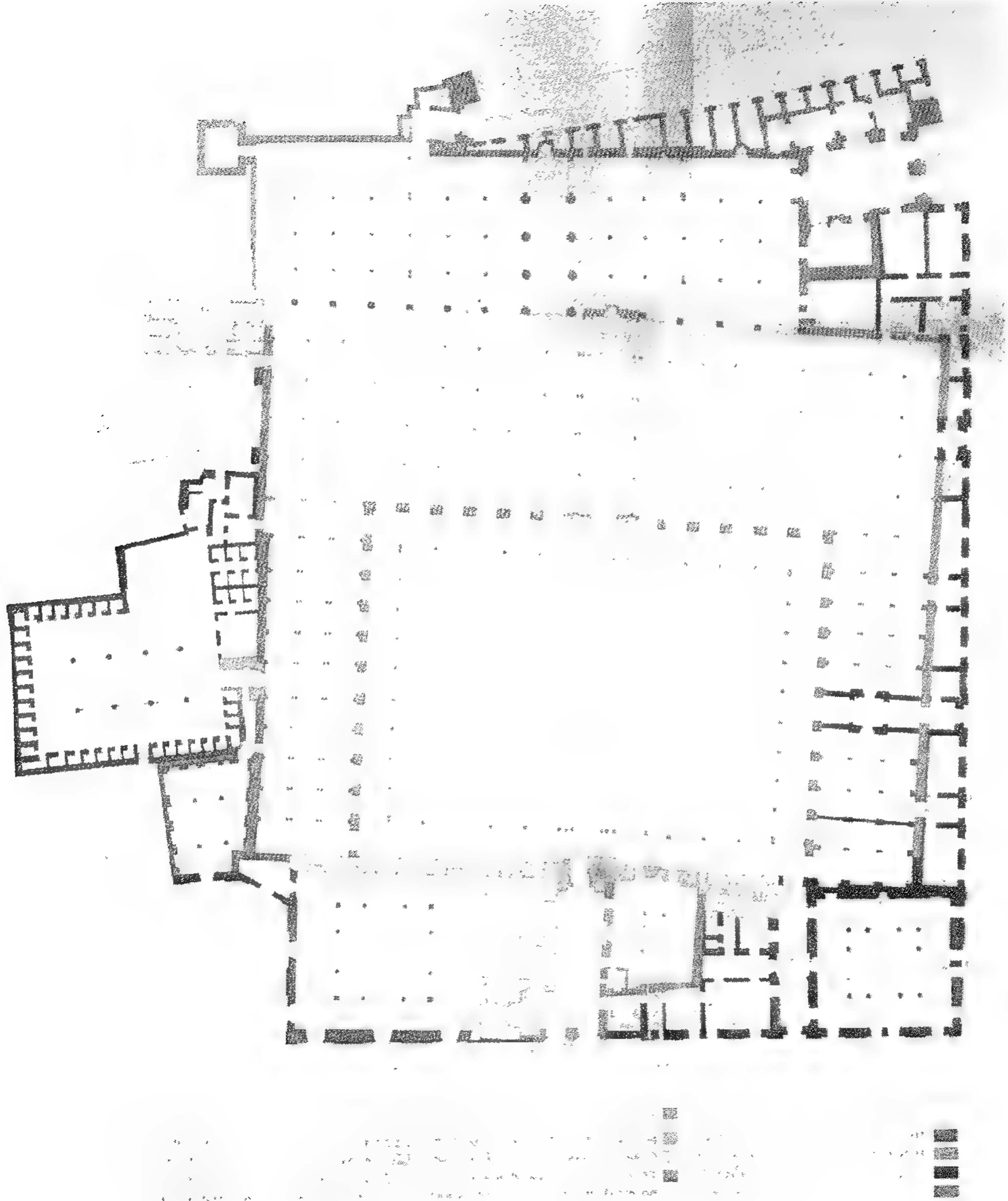
(شكل رقم ١٧) جامع الأزهر : زخرفة المجاز القاطع
(الرواق الأوسط العمودي أو البلاطة الوسطى العمودية)
قمة العقد الثاني إلى اليمين . (عن فلورى) .



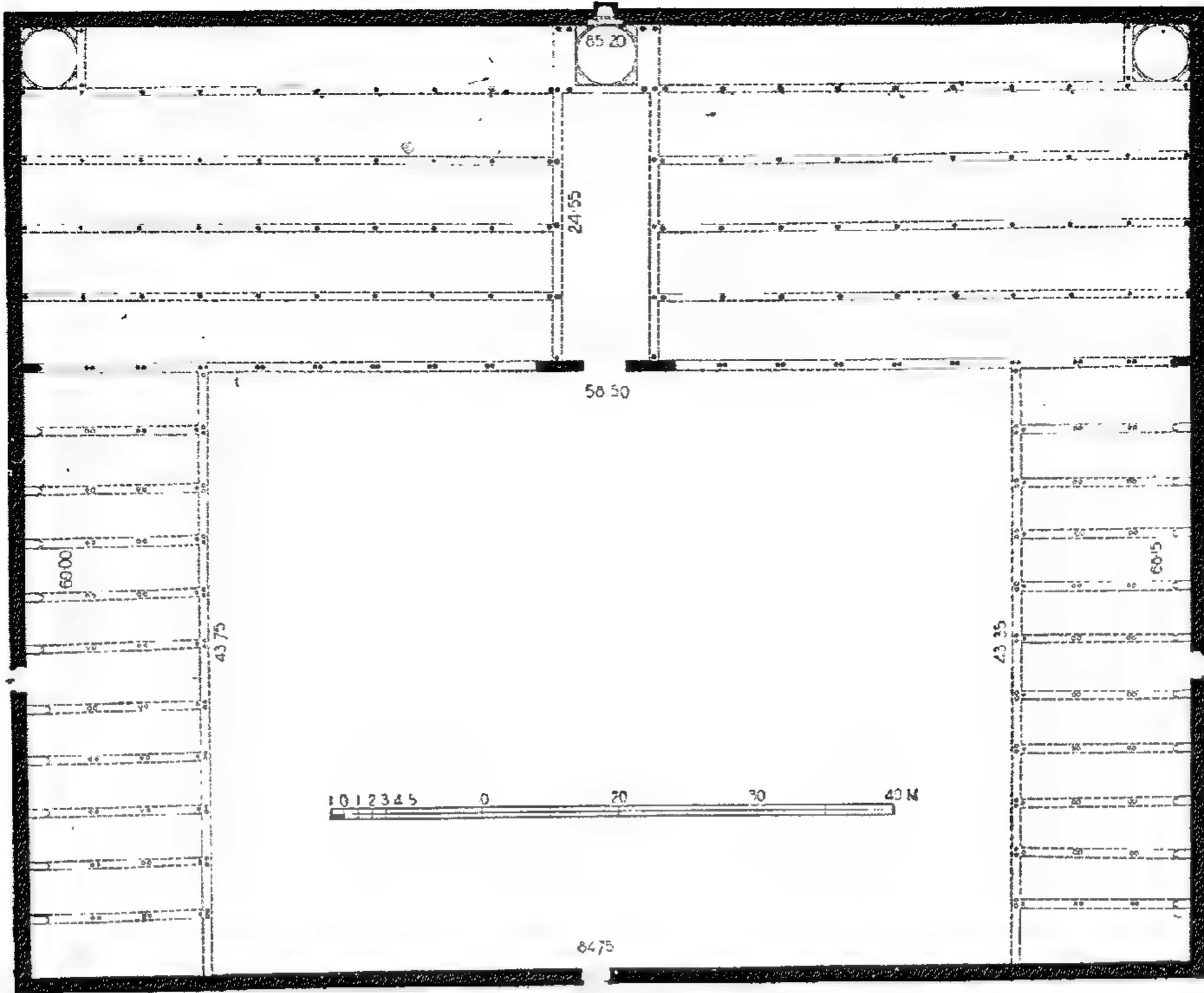
(شكل رقم ١٨) جامع الأزهر : زخرفة في النهاية الشمالية للرواق
(البلاطة) الرابع من جدار القبلة (عن فلورى) .



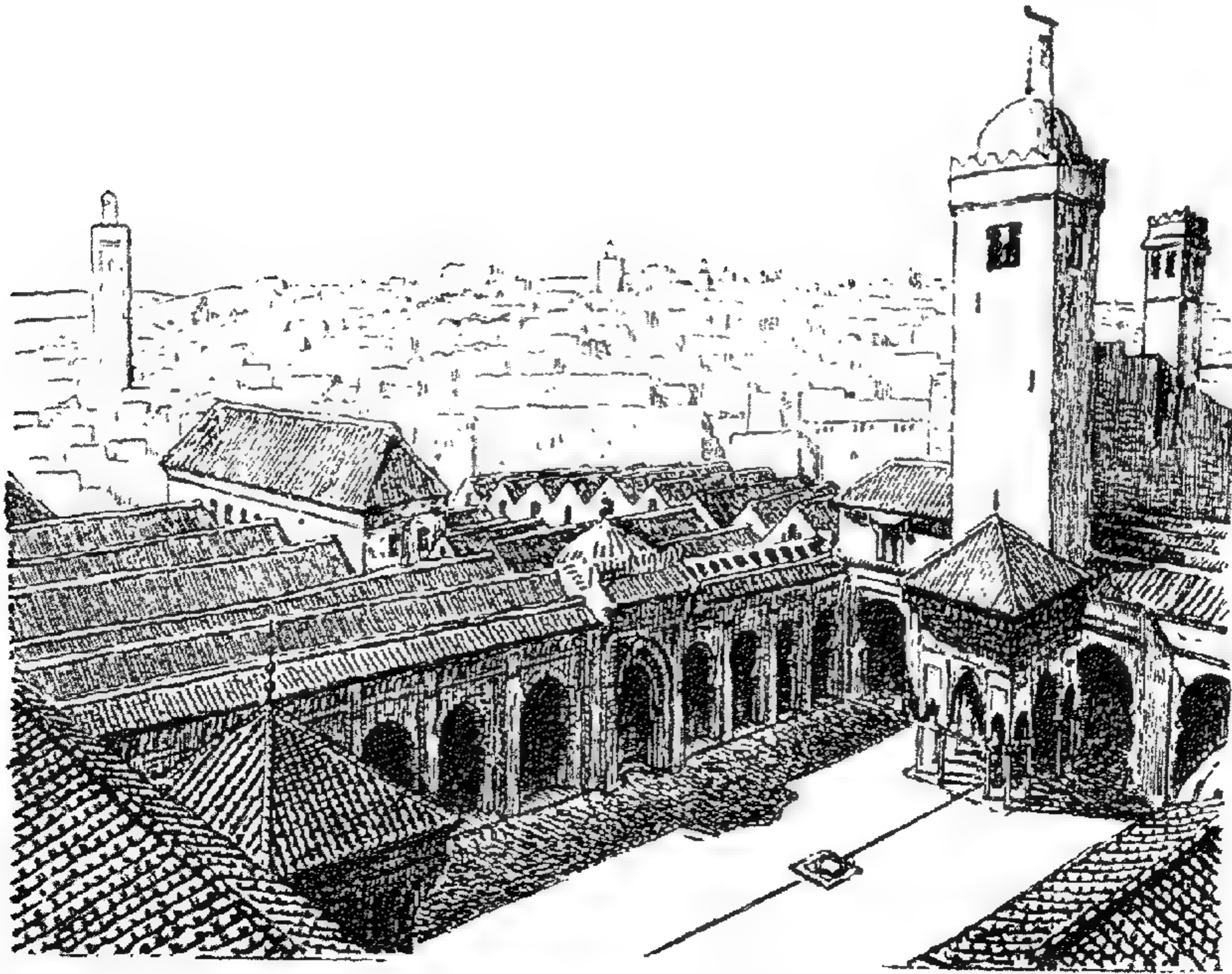
(شكل رقم ١٩) جامع الأزهر : زخرفة في النهاية الشمالية للرواق
(البلاطة) الثالث من جدار القبلة (عن فلورى) .



(شكل رقم ٢٠) الجامع الأزهر : مسقط يبين المراحل التاريخية المتعاقبة .



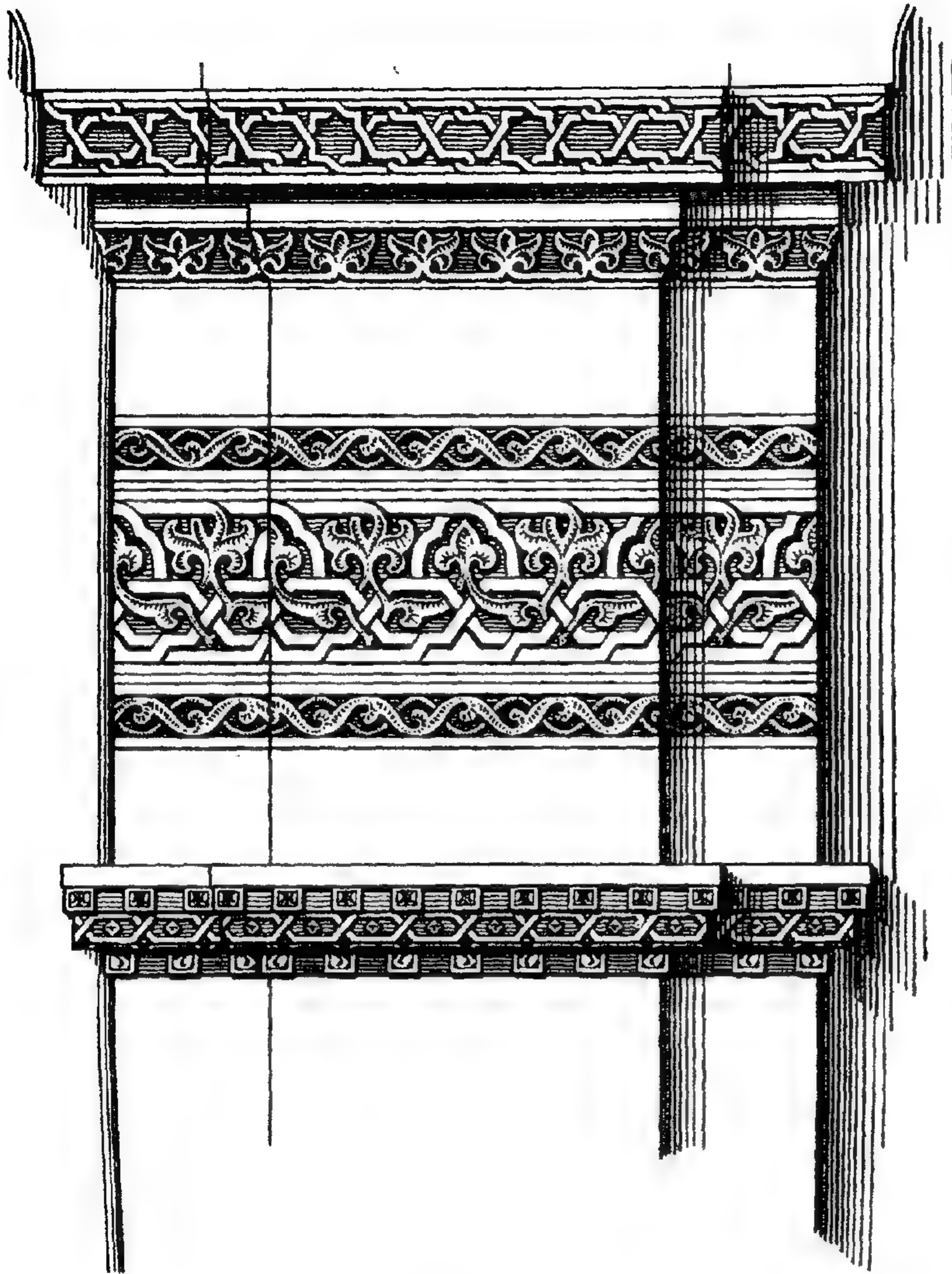
(شكل رقم ٢١) جامع الأزهر : مسقط أفقي للمسجد الفاطمي الأصلي
(مشروع رسم تخطيطي مقترح) .



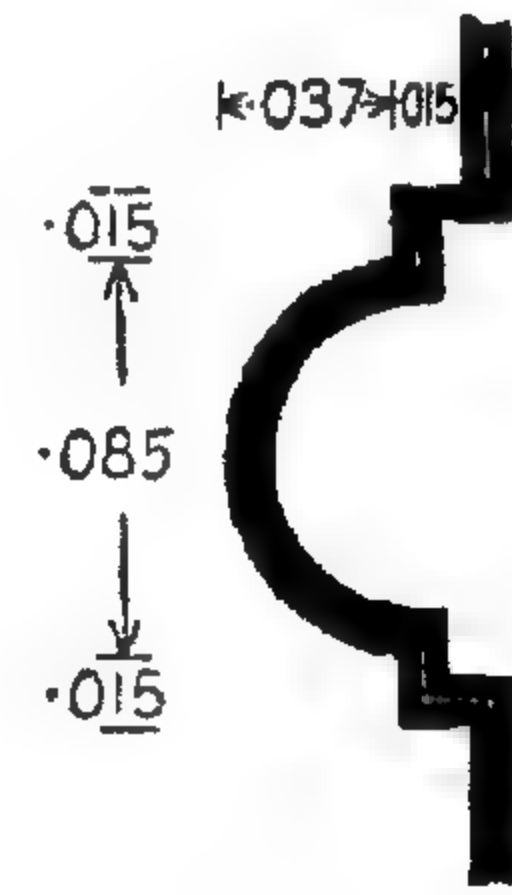
(شكل رقم ٢٢) فاس : جامع القرويين ، منظر عام (عن مارسية) .



(شكل رقم ٢٣) القاهرة القديمة (حي مصر القديمة) : قصر الشمع ، طريقة البناء .

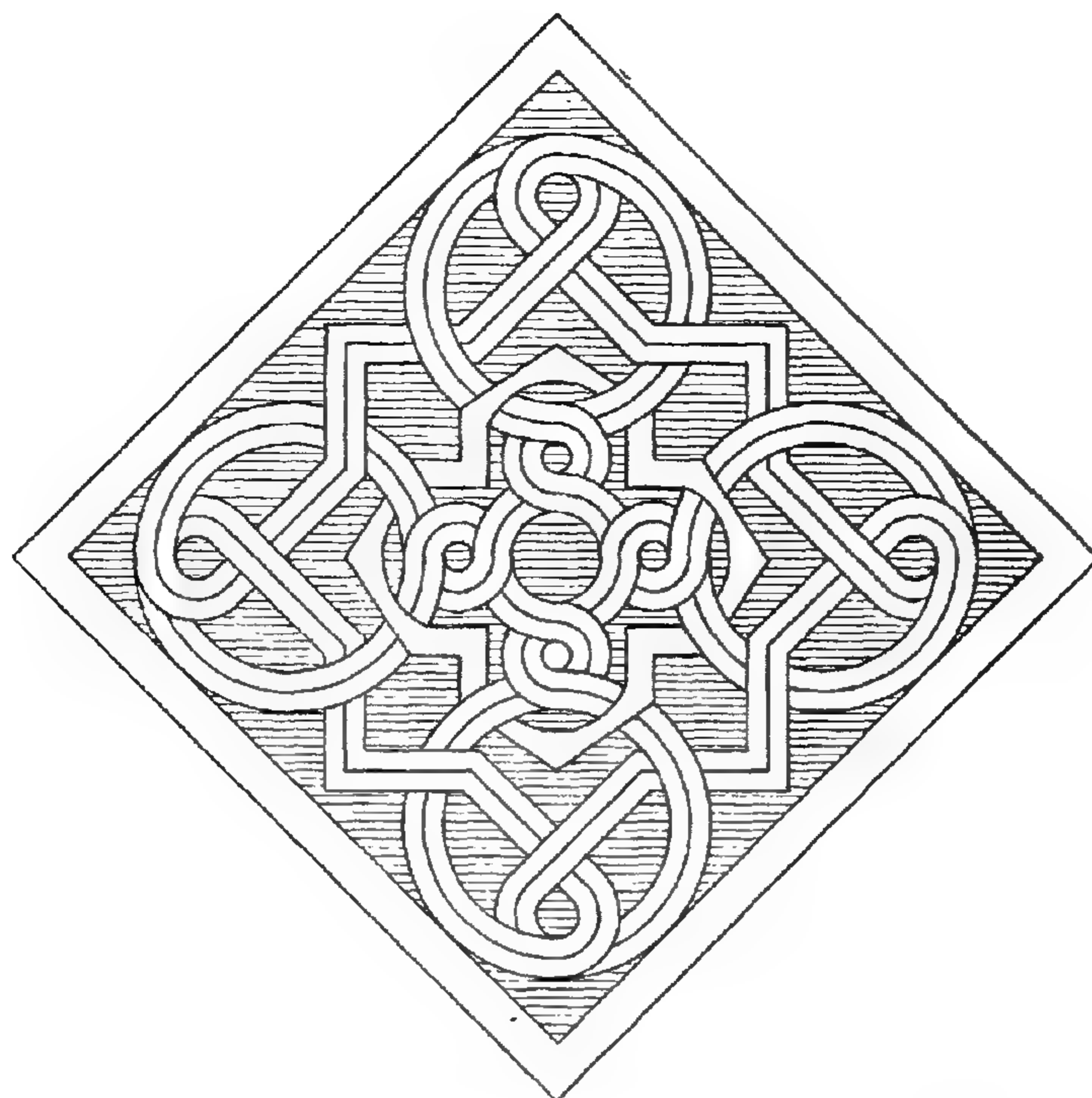


(a)

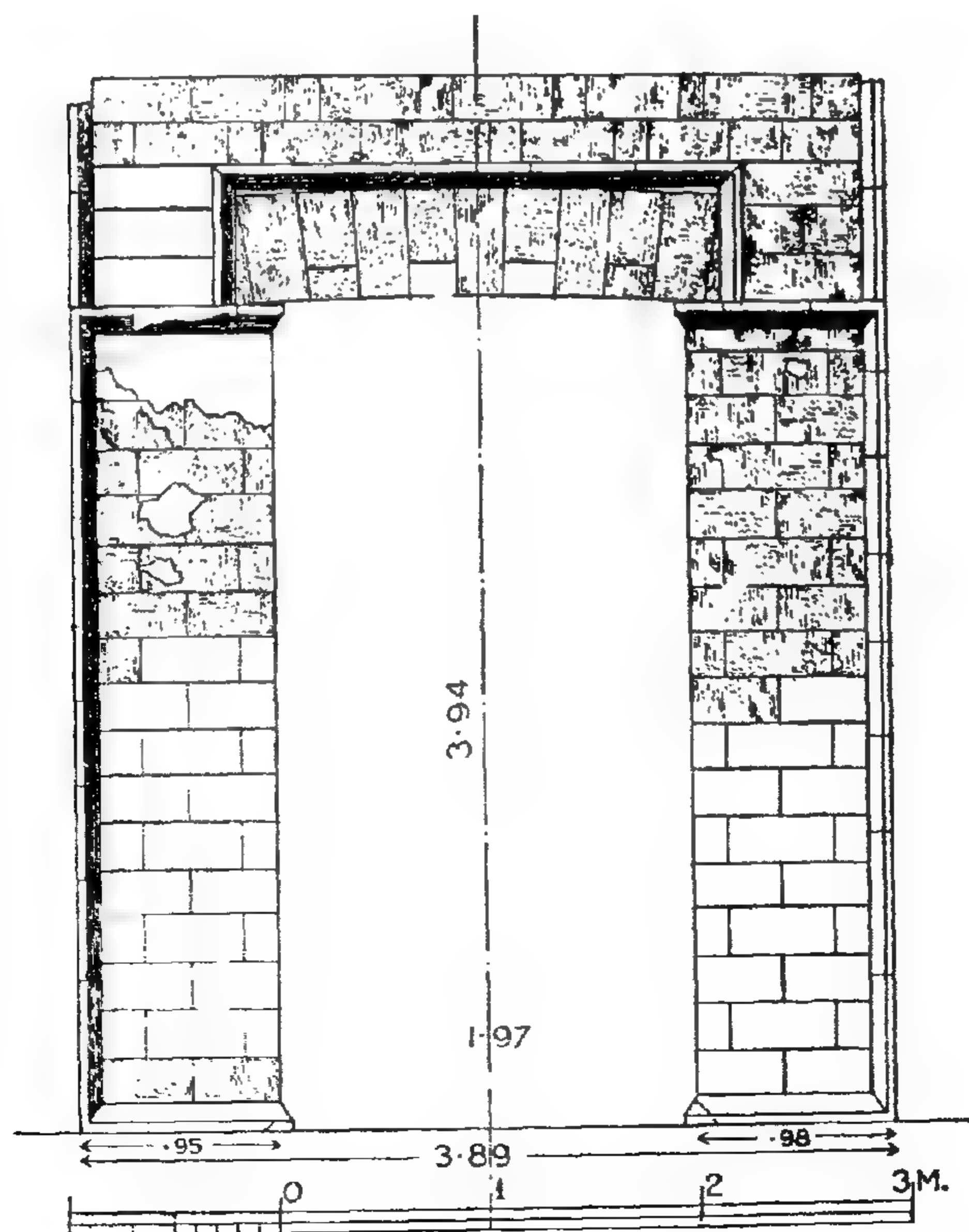


(b)

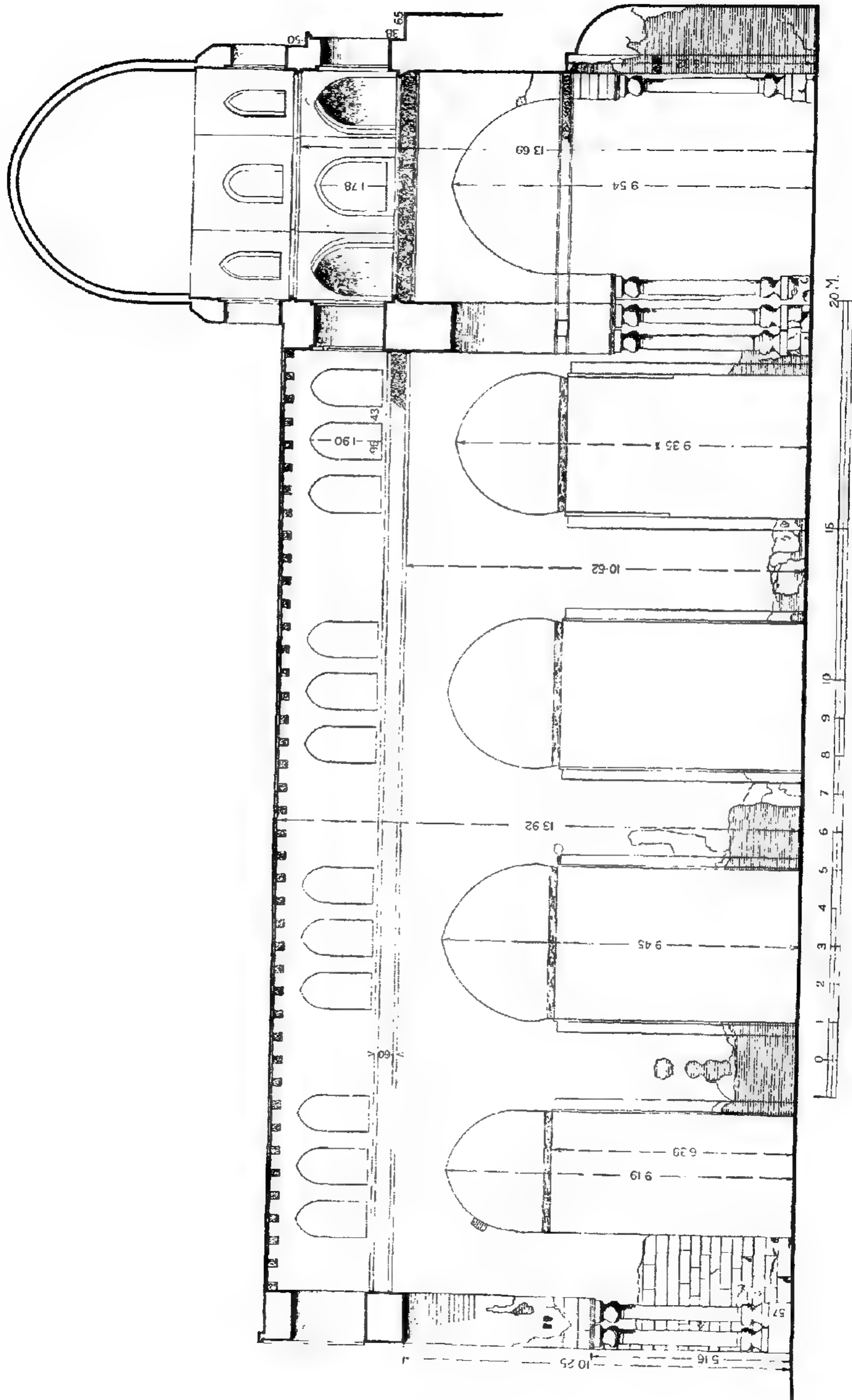
(شكل رقم ٢٤) جامع الحاكيم : الجانب الشمالي للمدخل التذكاري (A)
 زخرفة هندسية في الحشوة اليسرى
 (رسم يوسف محمد خليل) (B) حلية القاعدة .



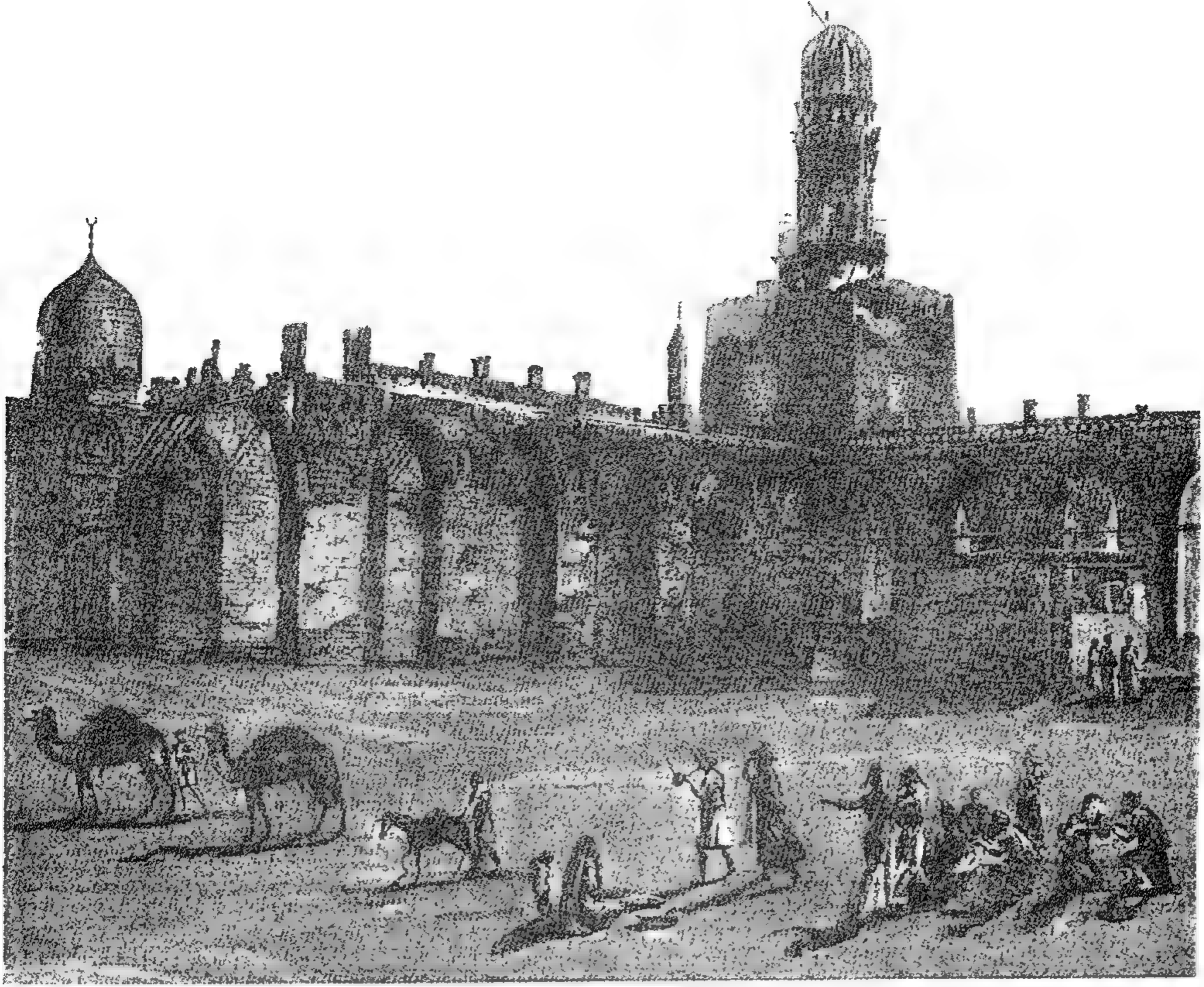
(شكل رقم ٢٥) جامع الحاكم ، زخرفة في حشوة على جانب المدخل التذكاري .



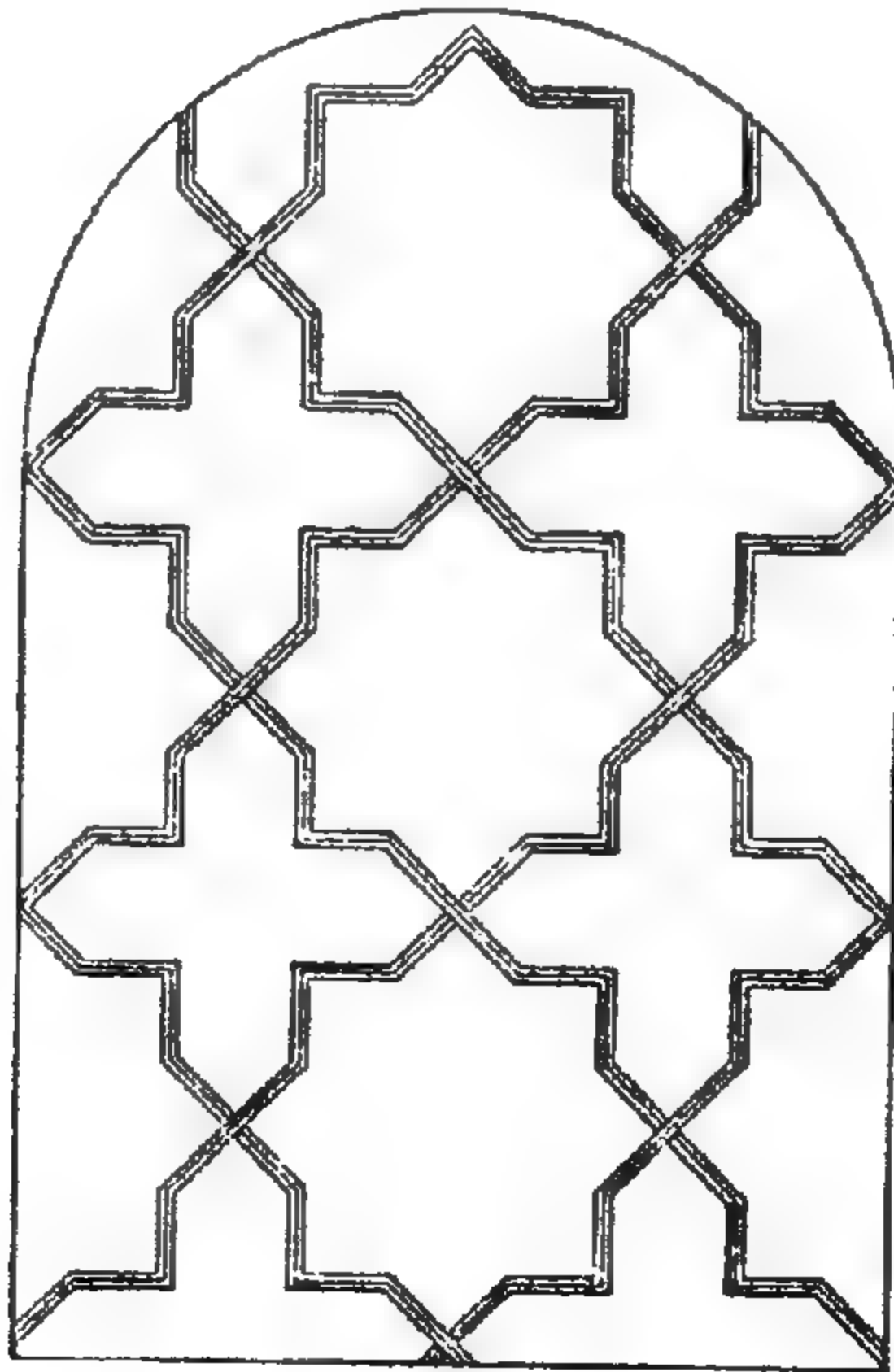
(شكل رقم ٢٦) جامع الحاكم ، المدخل الأصغر (الثانوى) في الواجهة الشمالية الغربية .



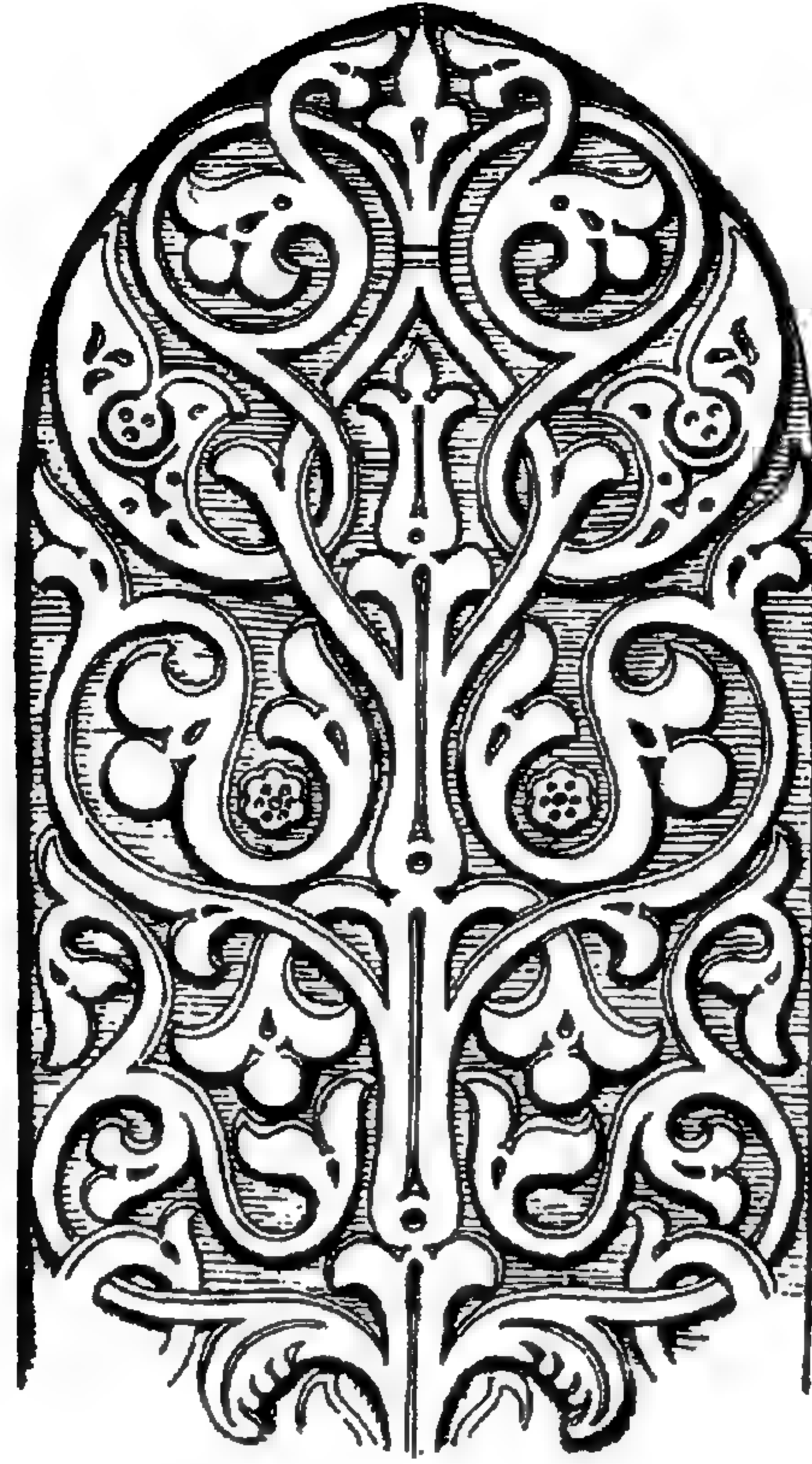
(شكل رقم ٢٧) جامع الحاكم : قطاع في المجاز القاطع
(الرواق الأوسط العمودي أو البلاطة الوسطى العمودية) (رسم فريد شافعي) .



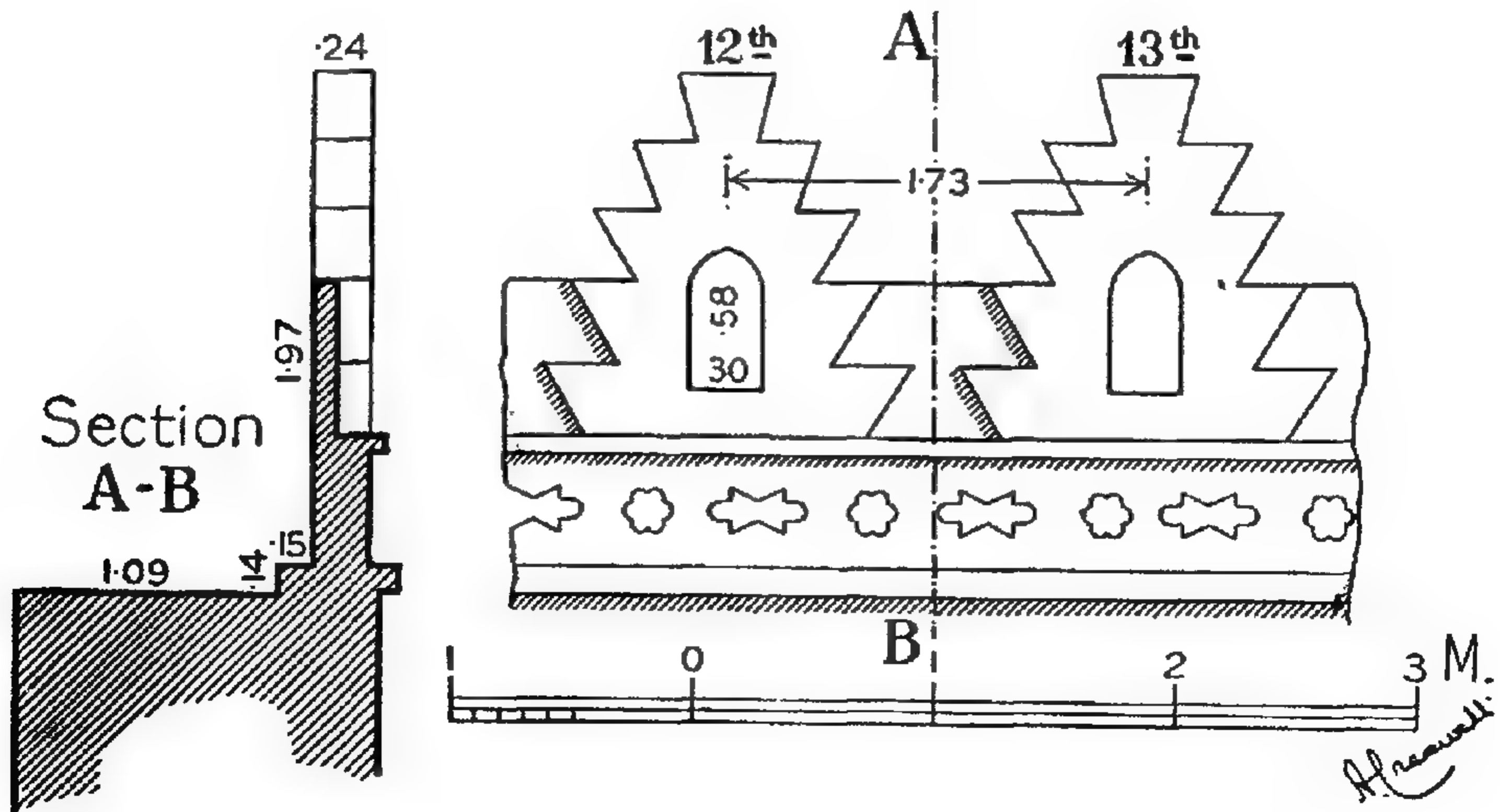
(شكل رقم ٢٨) جامع الحاكم : منظر داخلي (جهة الشمال) .
(عن وصف مصر ، الدولة الحديثة) .



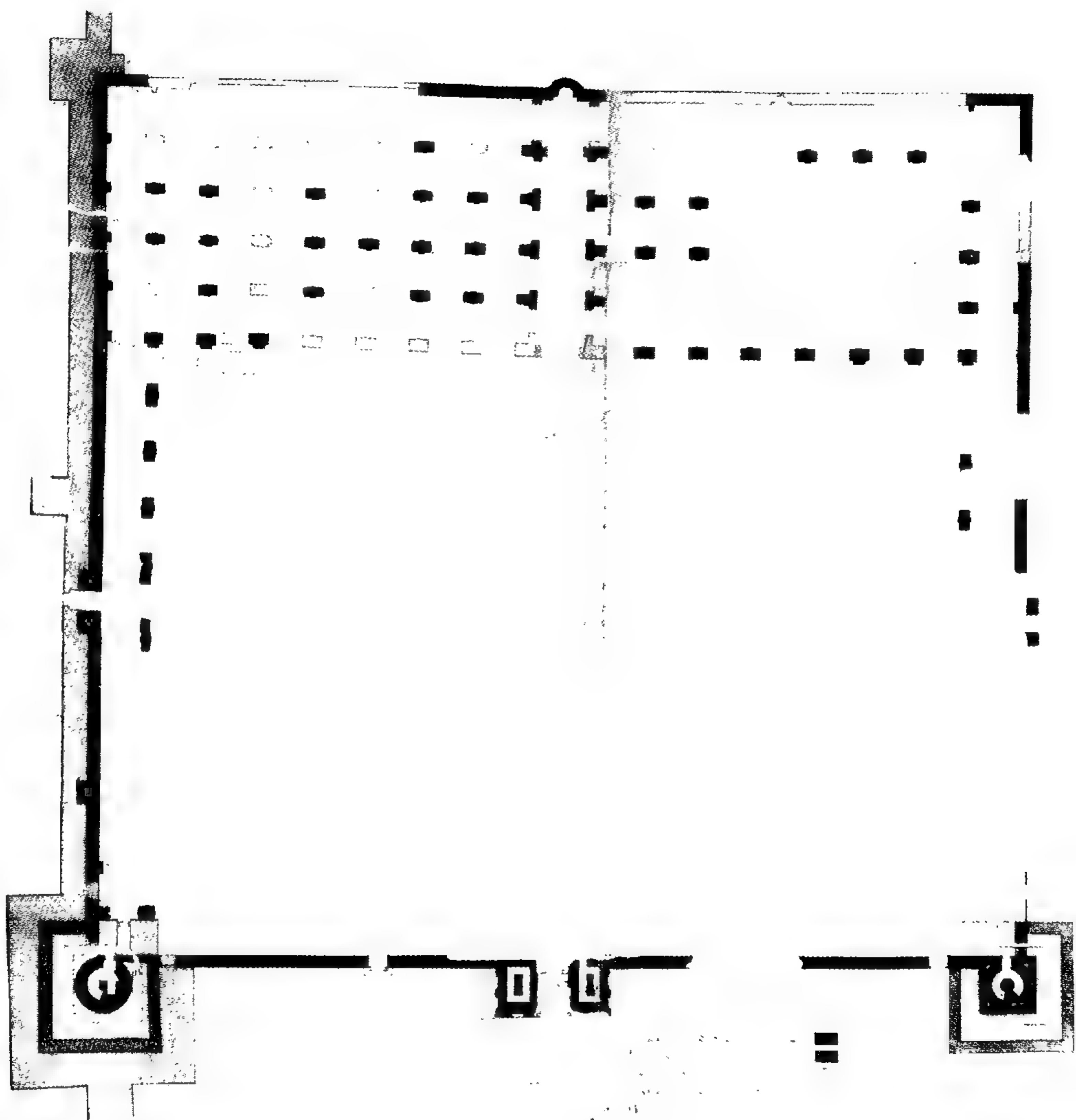
(شكل رقم ٢٩) جامع الحاكم : إعادة تصميم الزخارف المفرغة
للتأفذة الثانية على يسار المحراب .



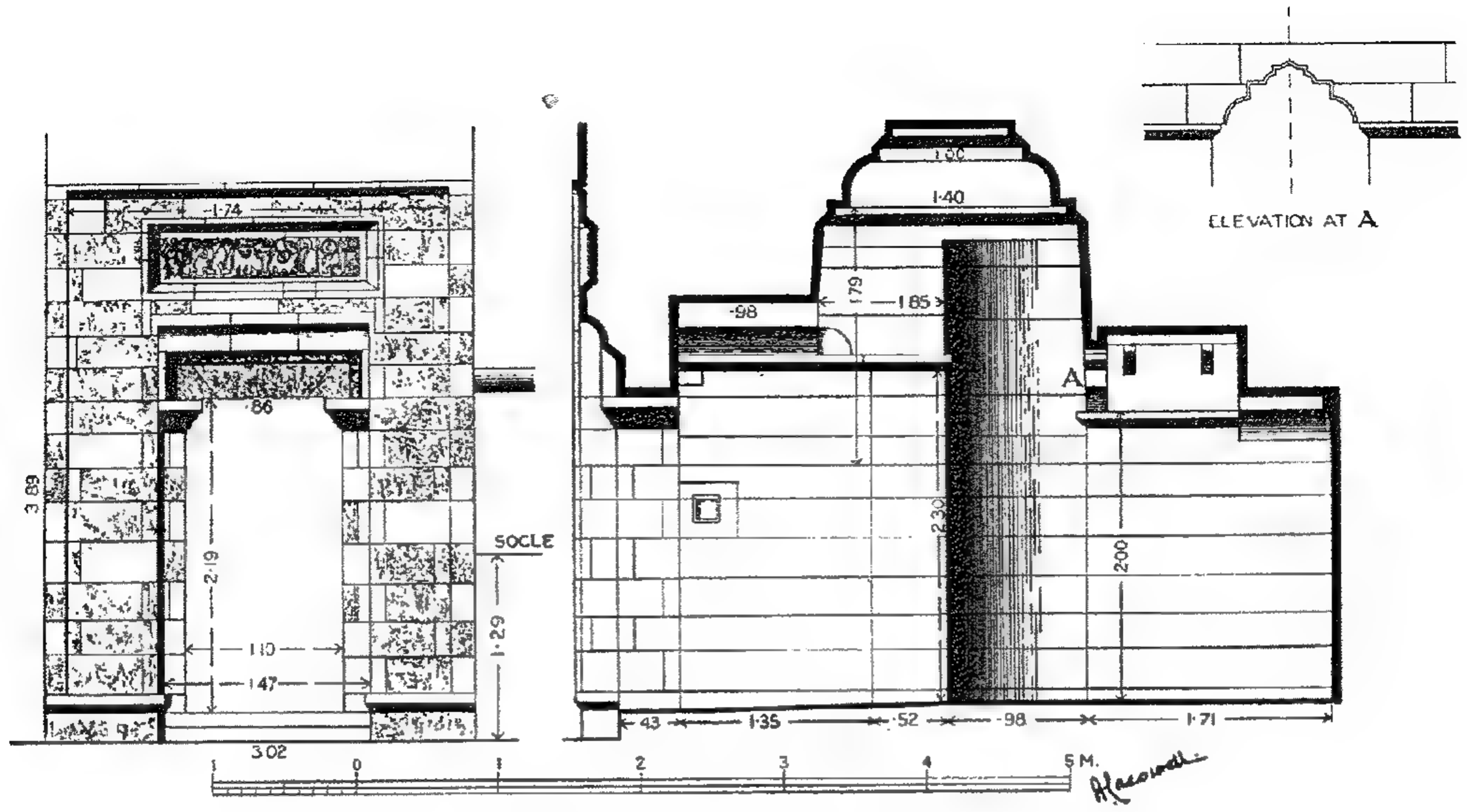
(شكل رقم ٣٠) جامع الحاكيم : حشوة من الزخرفة الجصية في أساس القبة في نهاية
المجاز القاطع (الرواق الأوسط العمودي) (عن فلوري) .



(شكل رقم ٣١) جامع الحاكيم : شرافات الواجهة الشمالية الغربية .



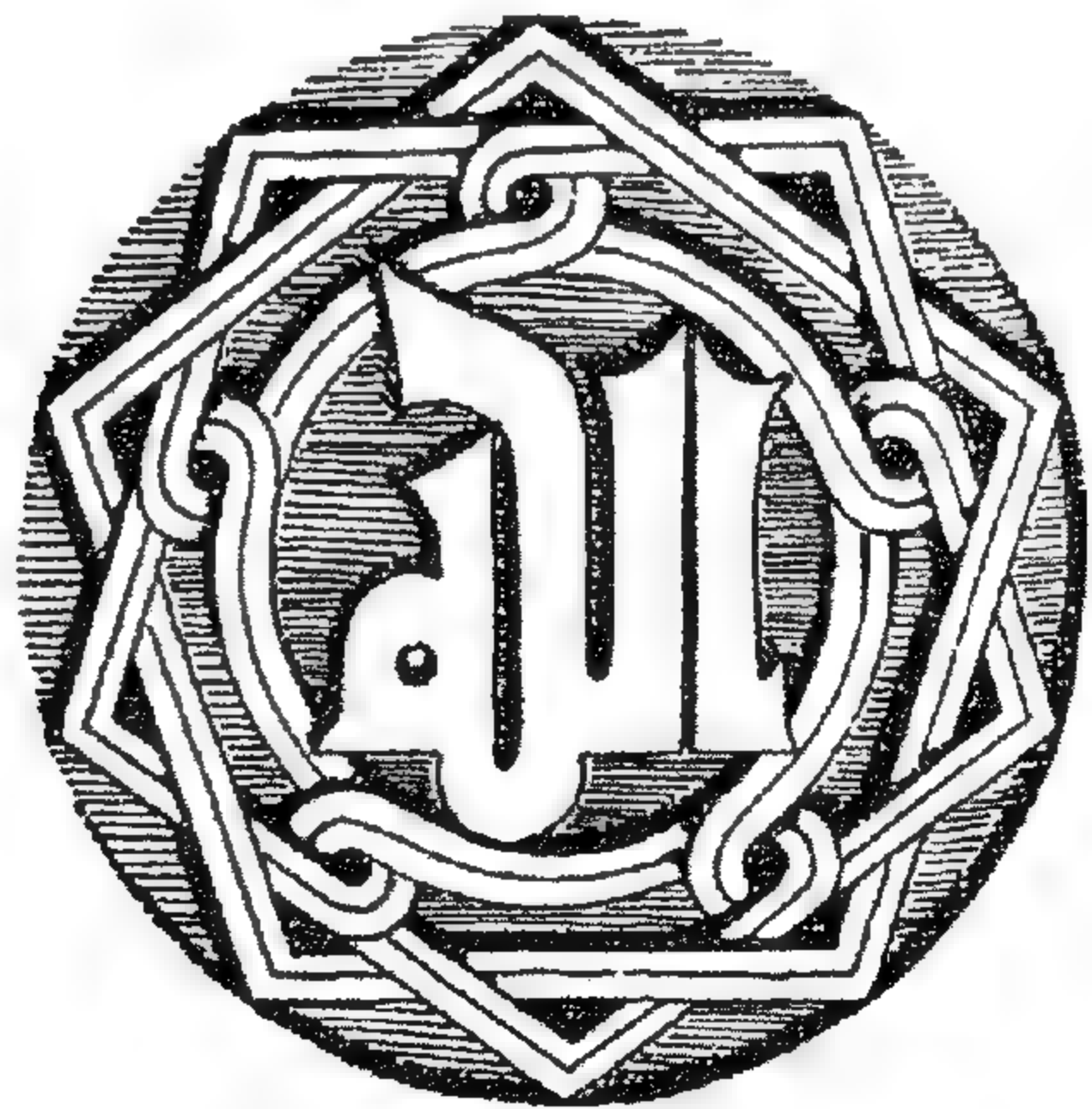
(شكل ٣٢) جامع الحاكيم : مسقط أفقي .



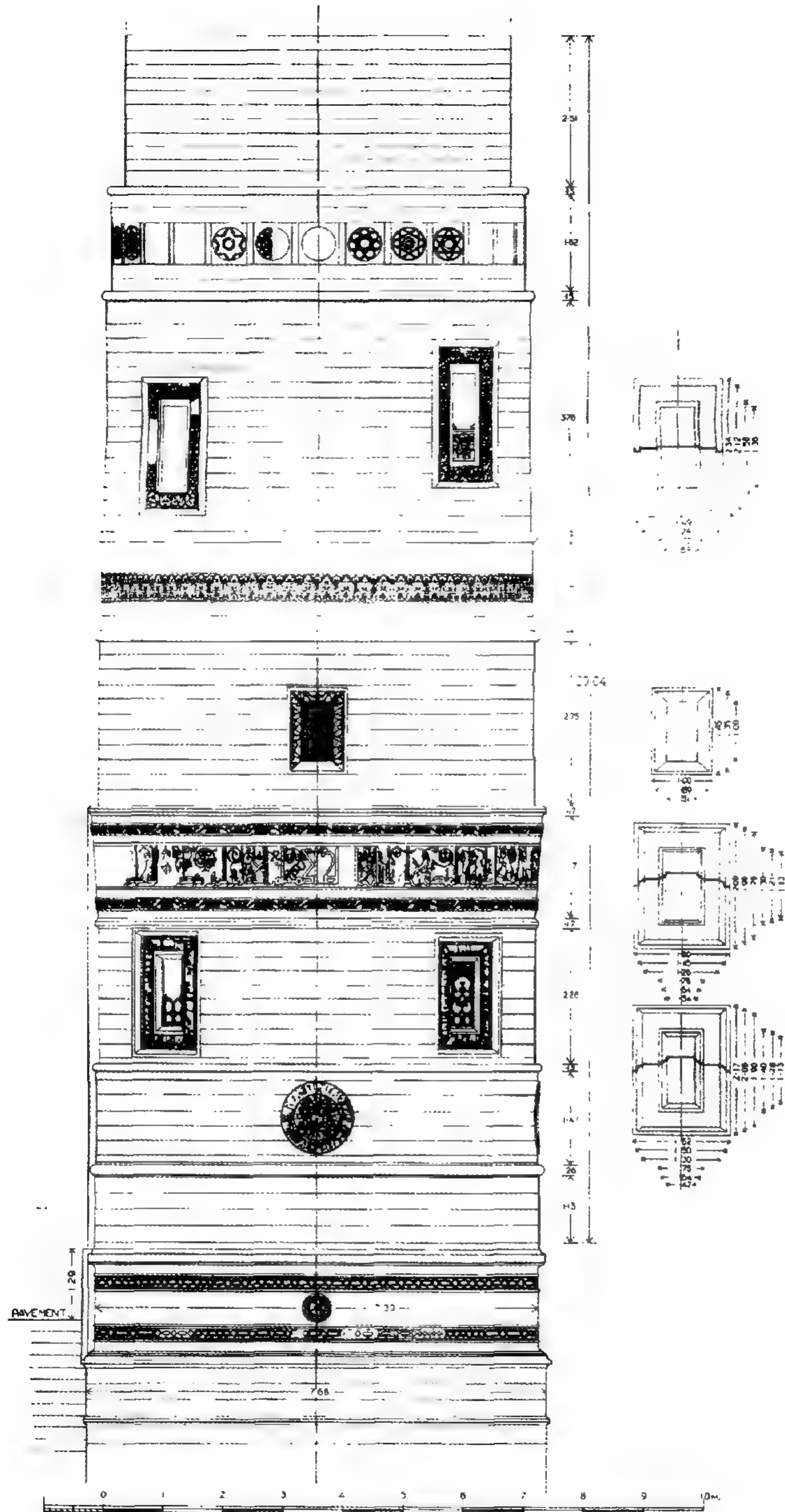
(شكل ٣٣) جامع الحاكم : مدخل سلم المئذنة الشمالية .



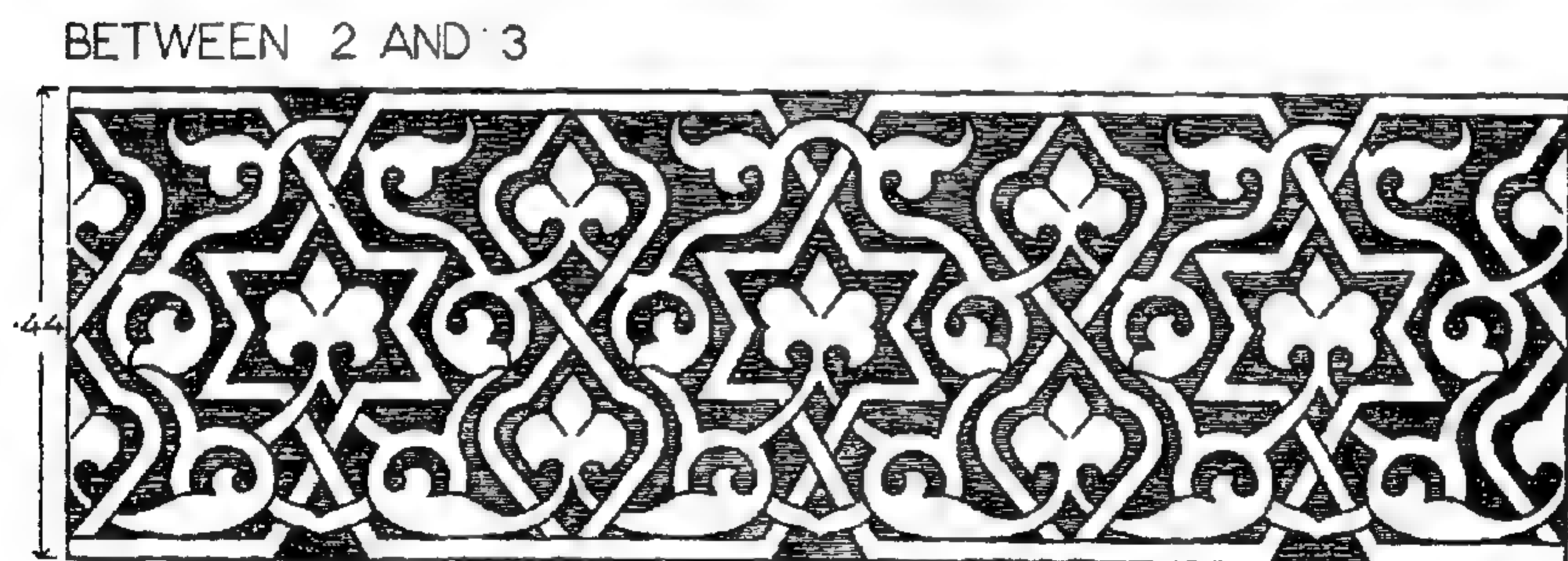
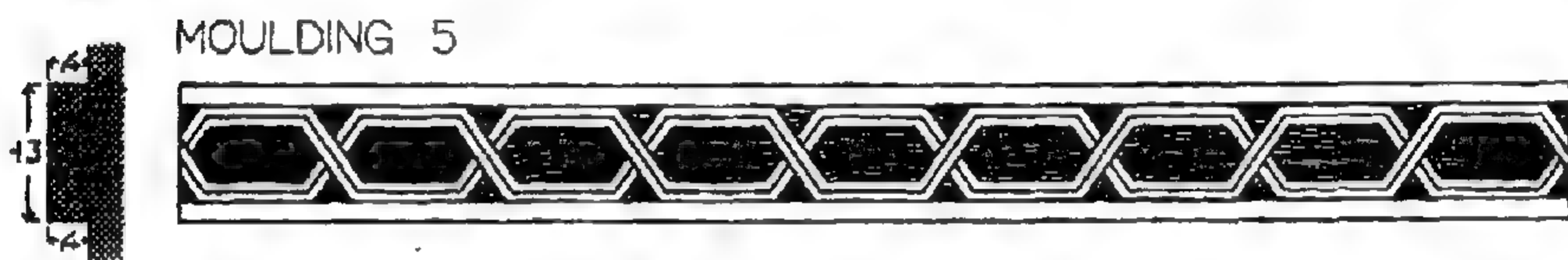
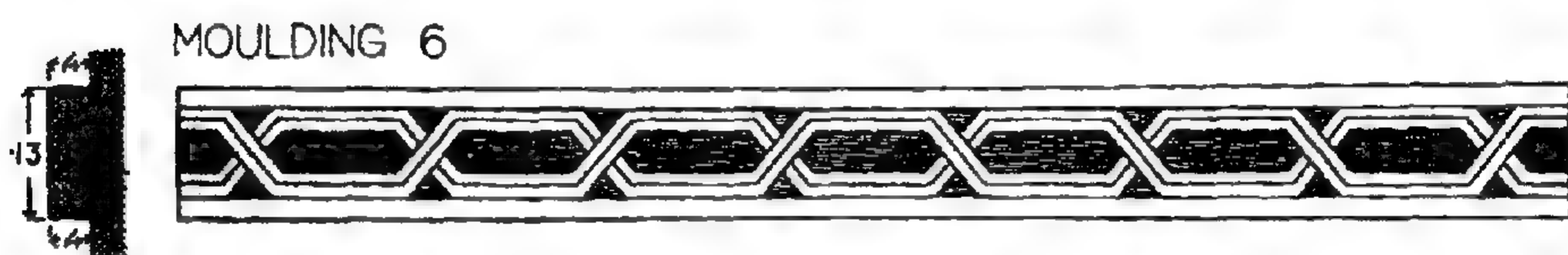
(شكل ٣٥) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية :
چامة في الجنوبي الغربي .



(شكل ٣٤) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية :
چامة في الجانب الشمالي الشرقي من القاعدة
(عن فلورى) .

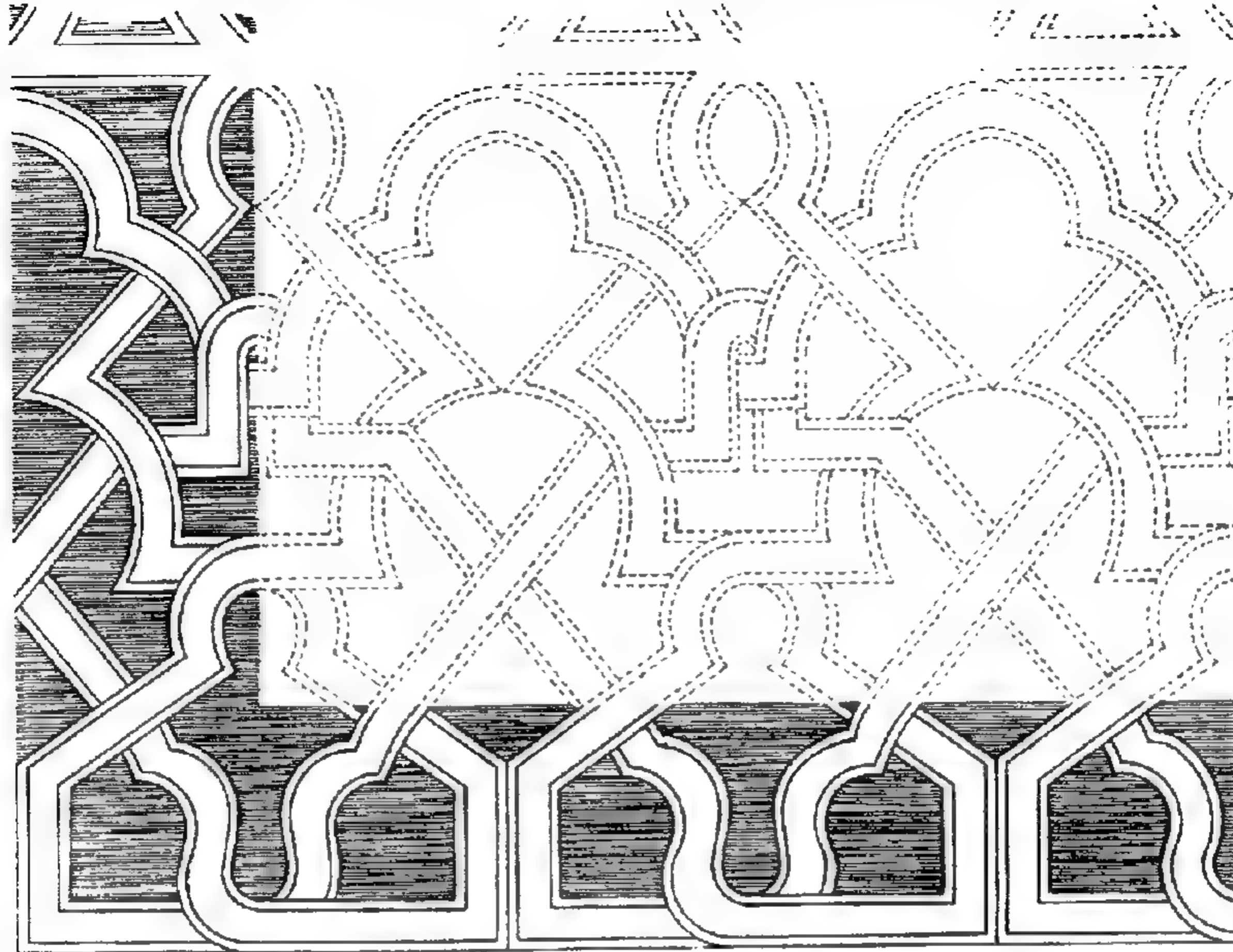


(شكل ٣٦) جامع الحاكيم ، المنذنة الشمالية ،
(المقاسات والرسم : كريسول ، الزخرفة : ميلنيكوف) .



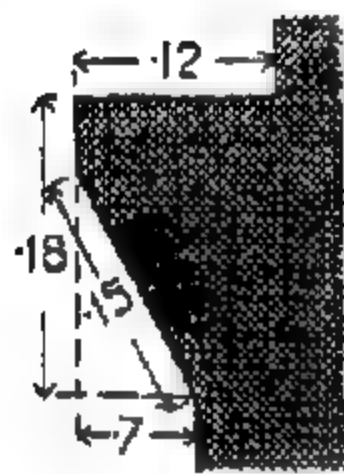
(شكل ٣٧) جامع الحاكم ، المئذنة الغربية : تفصيل للحليات الزخرفية (رسم ميلنيكوف) .

MOULDING 13



FRAGMENT OF CRESTING

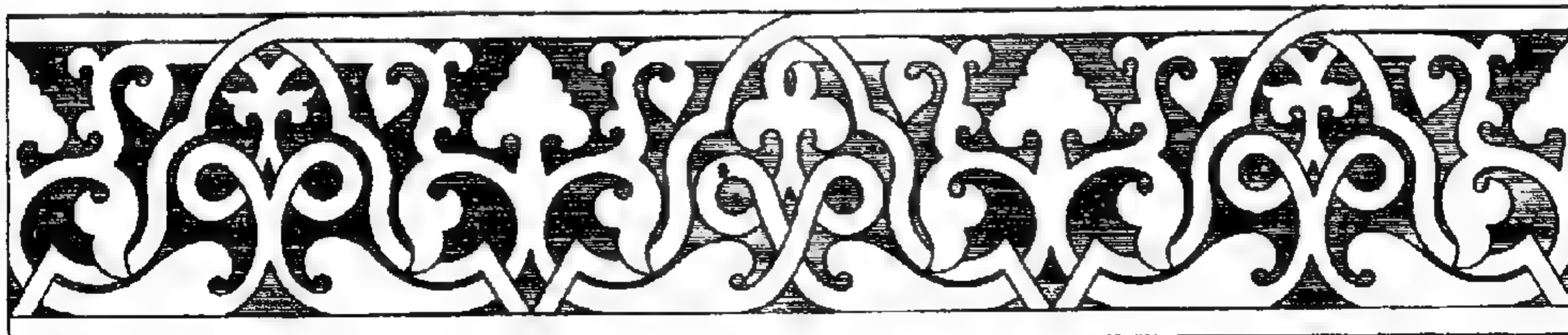
MOULDING 11



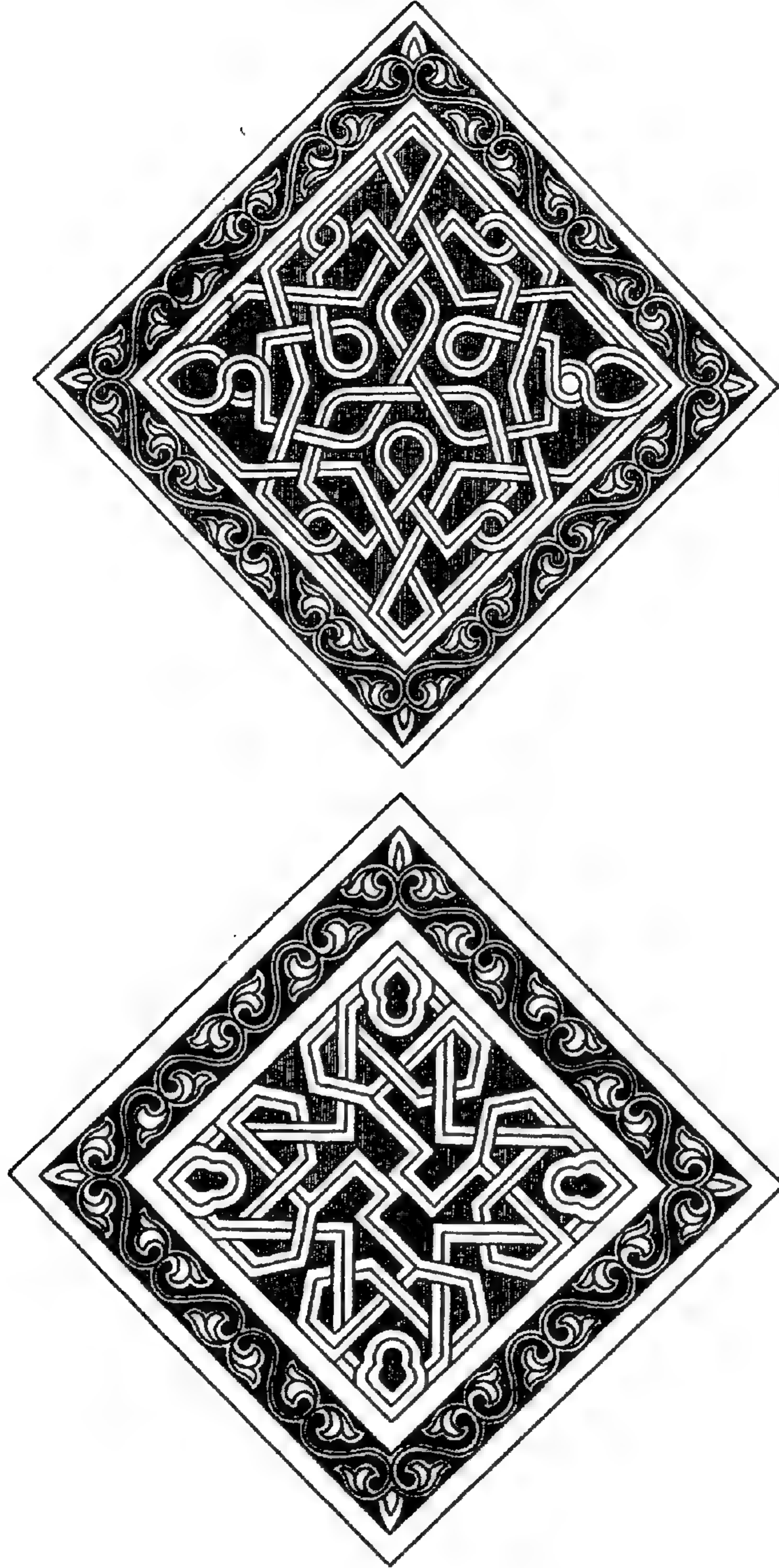
MOULDING 10



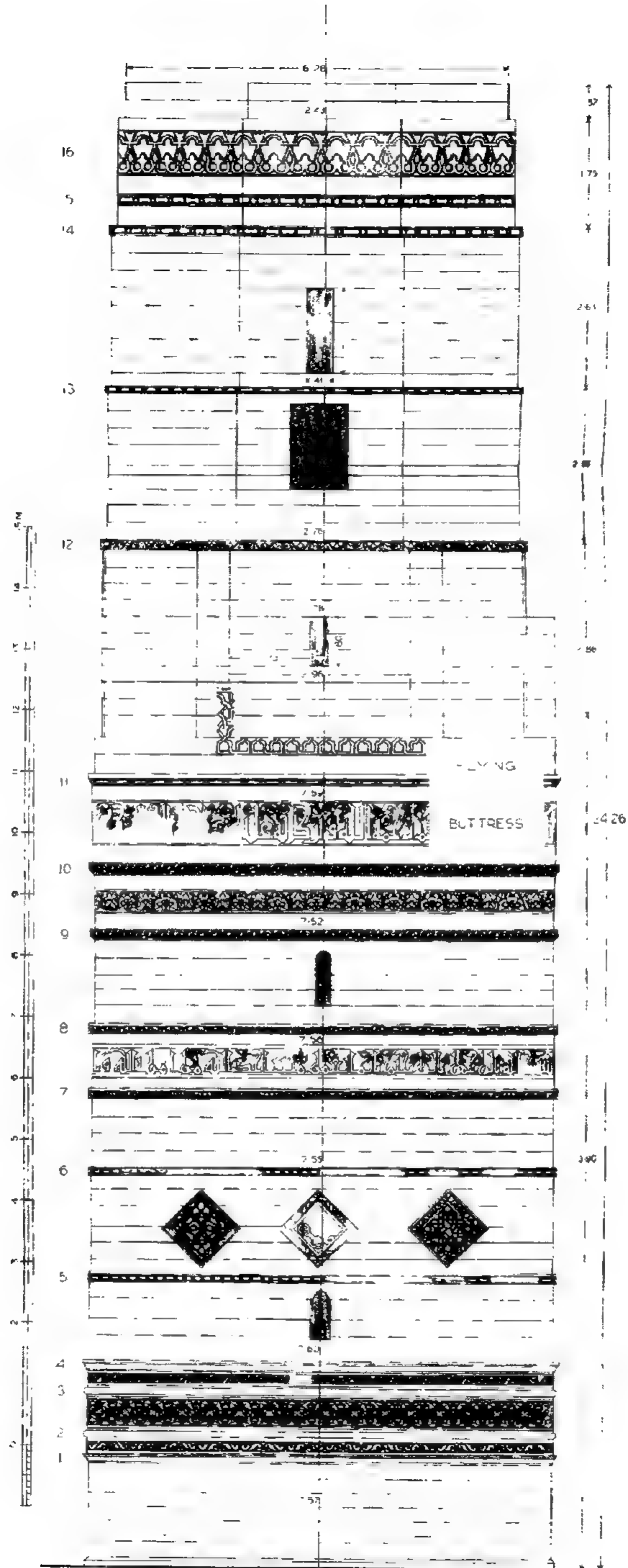
BETWEEN 9 AND 10



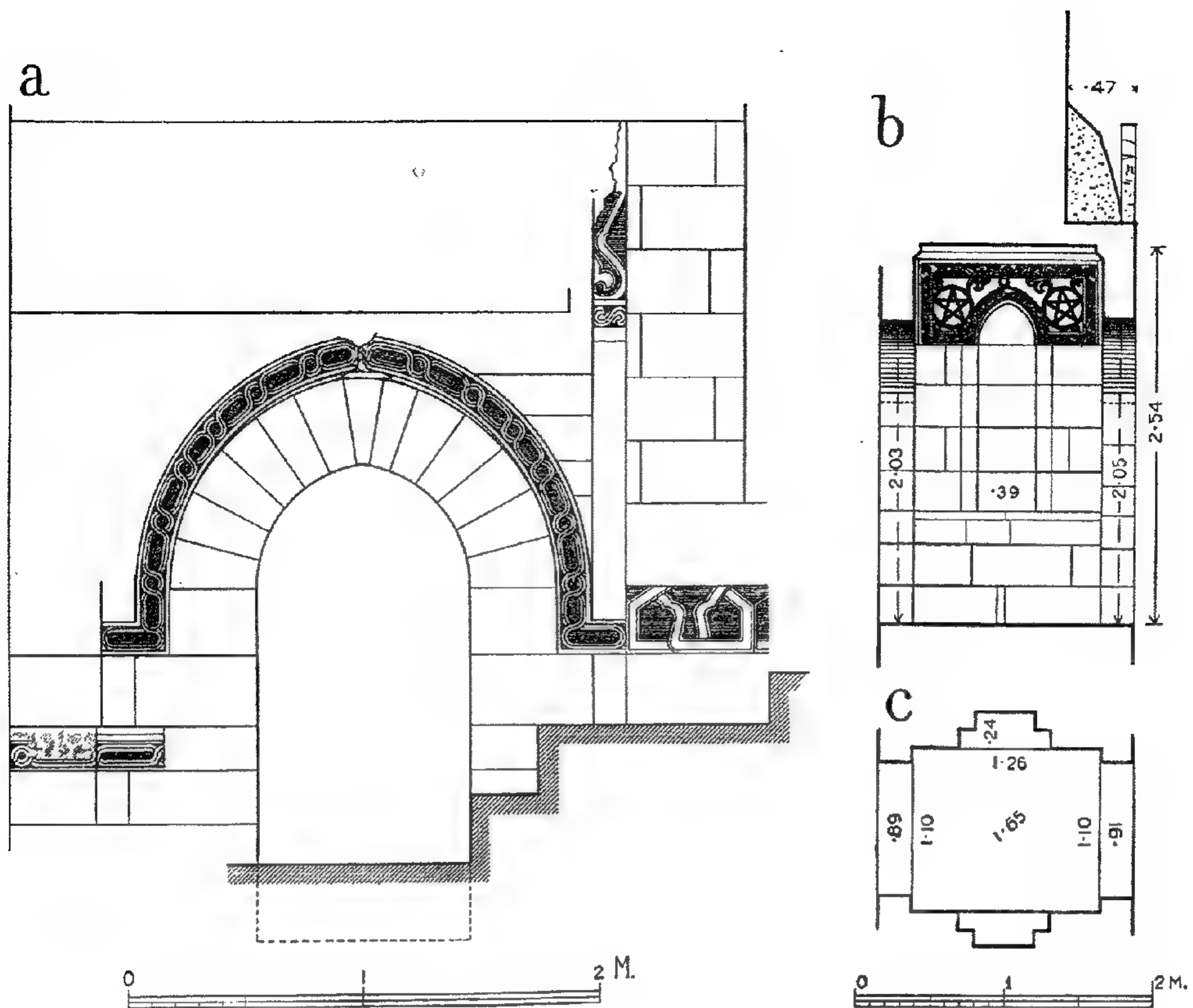
(شكل ٢٨) جامع الحاكم : المتذنة الغربية : تفصيل للحليات الزخرفية
(رسم ميلنيكوف) .



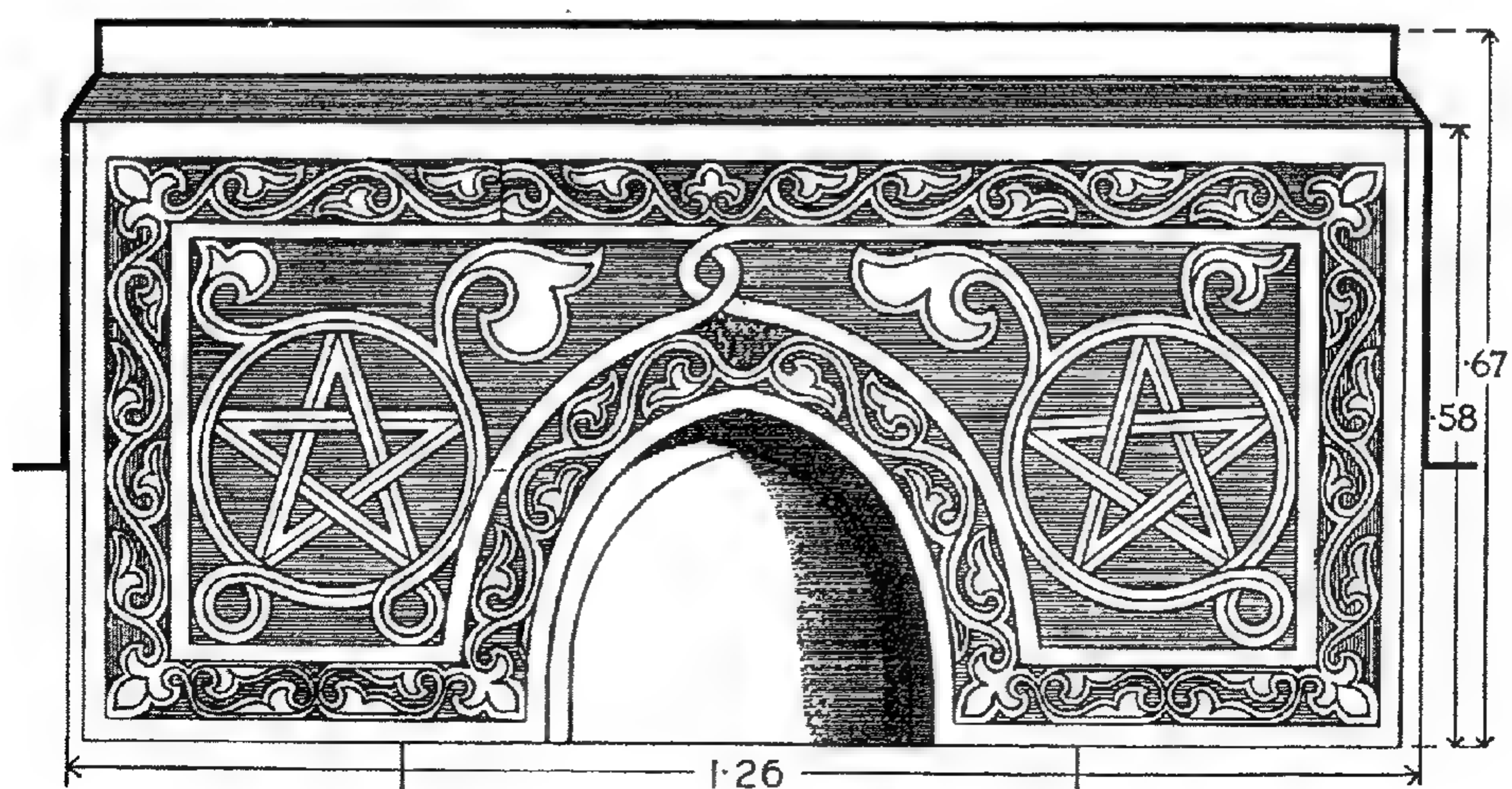
(شكل ٣٩) جامع الحاكيم : الزخرفة بين الحليتين الخامسة والسادسة
(رسم ميلنيكوف) .



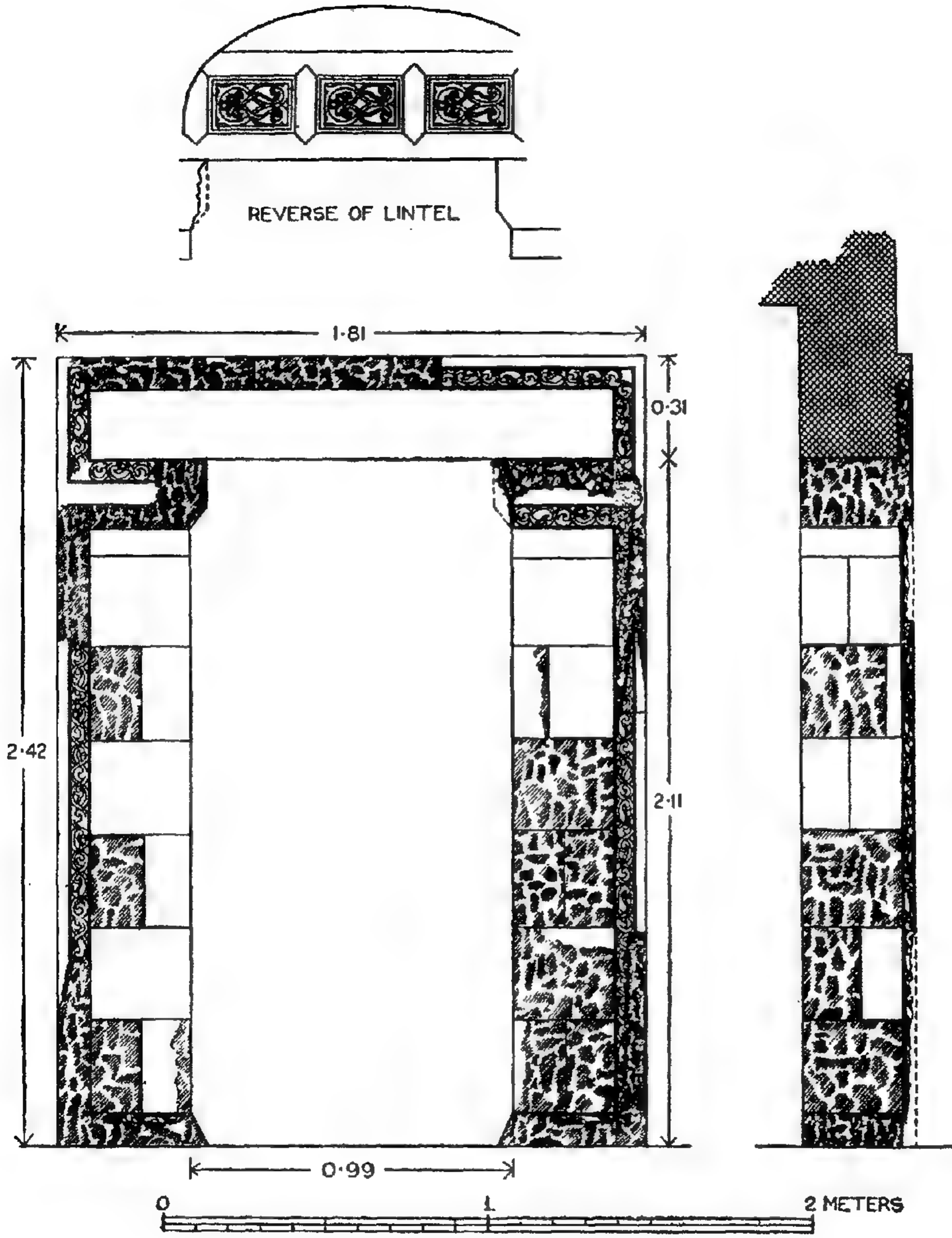
(شكل رقم ٤٠) جامع الحاكم : المئذنة الغربية
(المقاسات والرسم : كريسول . الزخرفة : ميلنيكوف) .



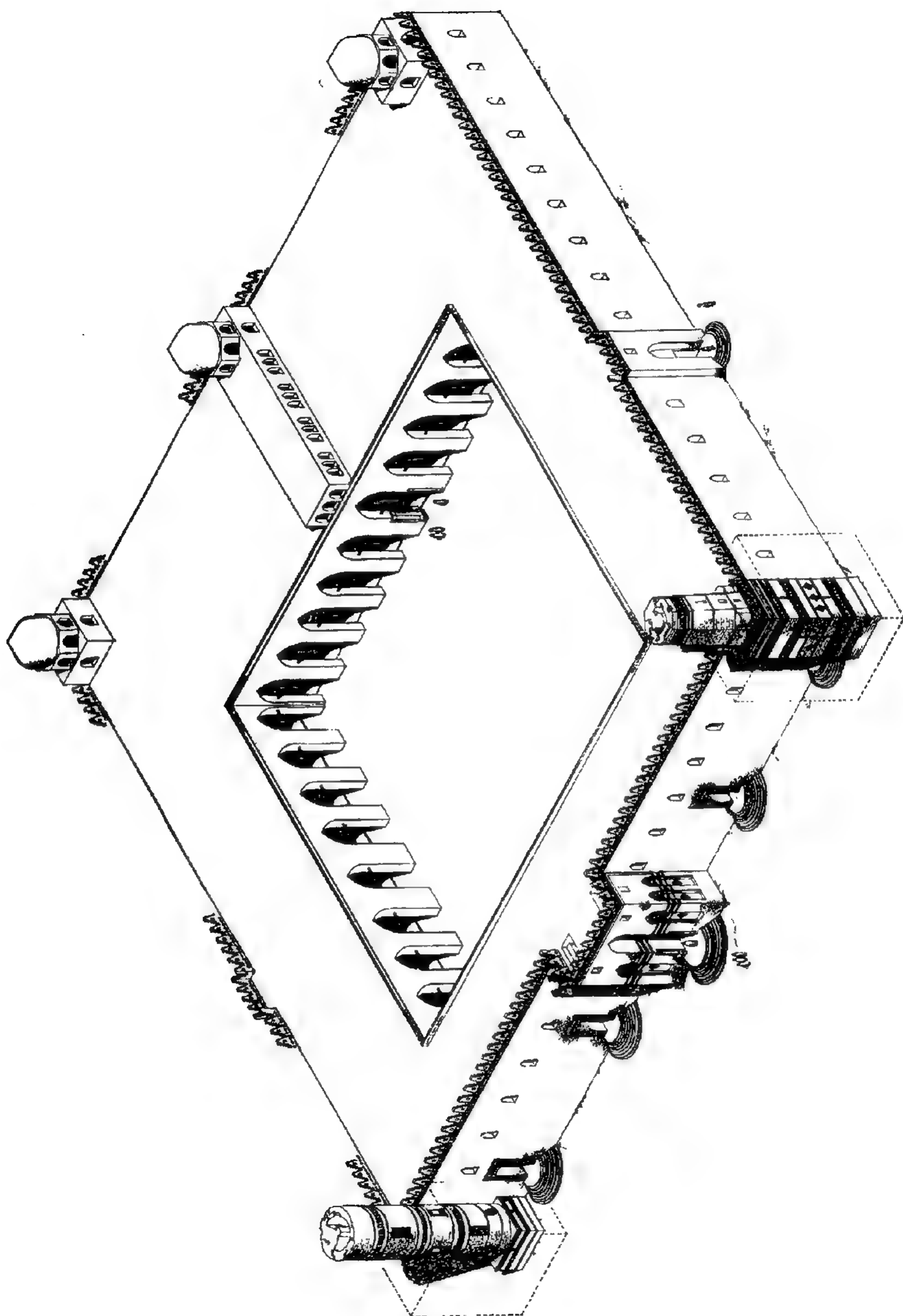
(شكل رقم ٤١) المئذنة الغربية : (a) المدخل إلى المصلى (b) قطاع و (c) مسقط (رسم ميلنيكوف) .



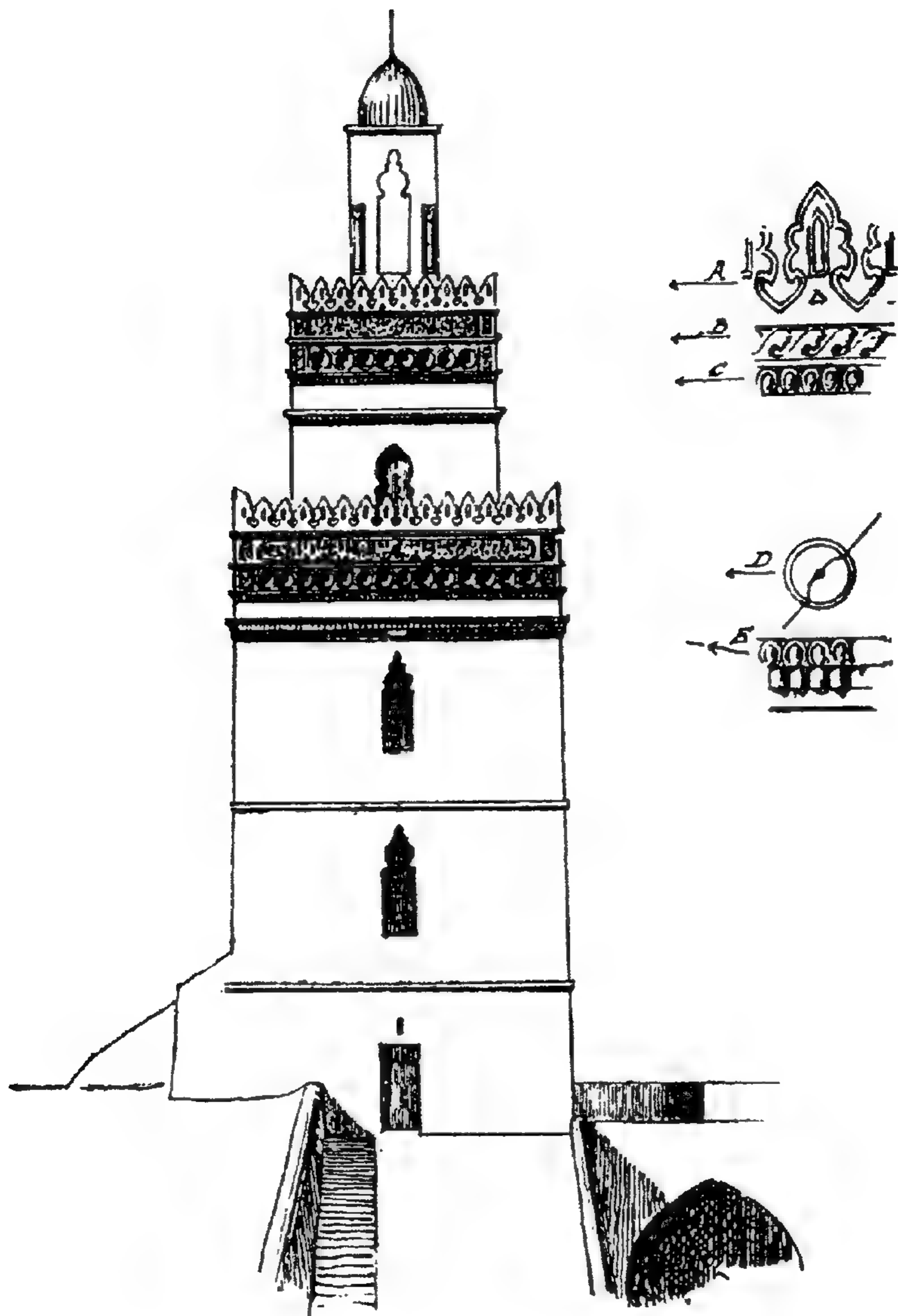
(شكل رقم ٤٢) جامع الحاكم : المئذنة الغربية : تفصيل لزخرفة في المصلى (رسم ميلنيكوف) .



(شكل رقم ٤٣) جامع الحاكم ، المئذنة الغربية ، مدخل السلم
(رسم ميلتيكوف) .



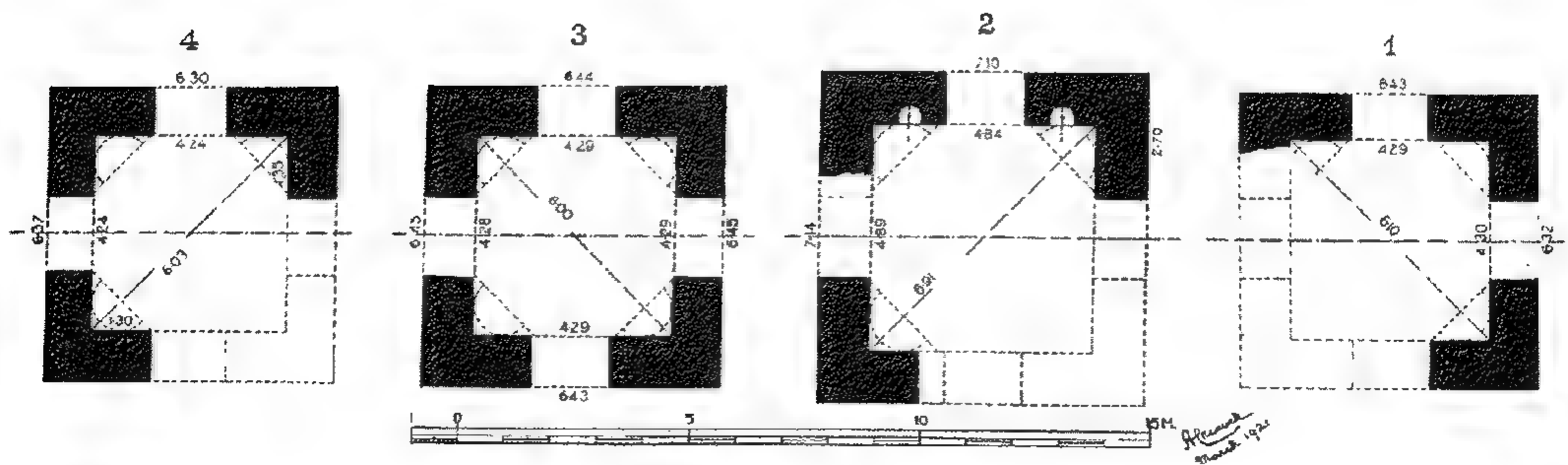
(شكل رقم ٤٤) جامع الحاكم : منظور عين الطائر (رسم فريد شافعي) .



(شكل رقم ٤٥) صفاقص (تونس) : مئذنة الجامع (عن مارسية) .



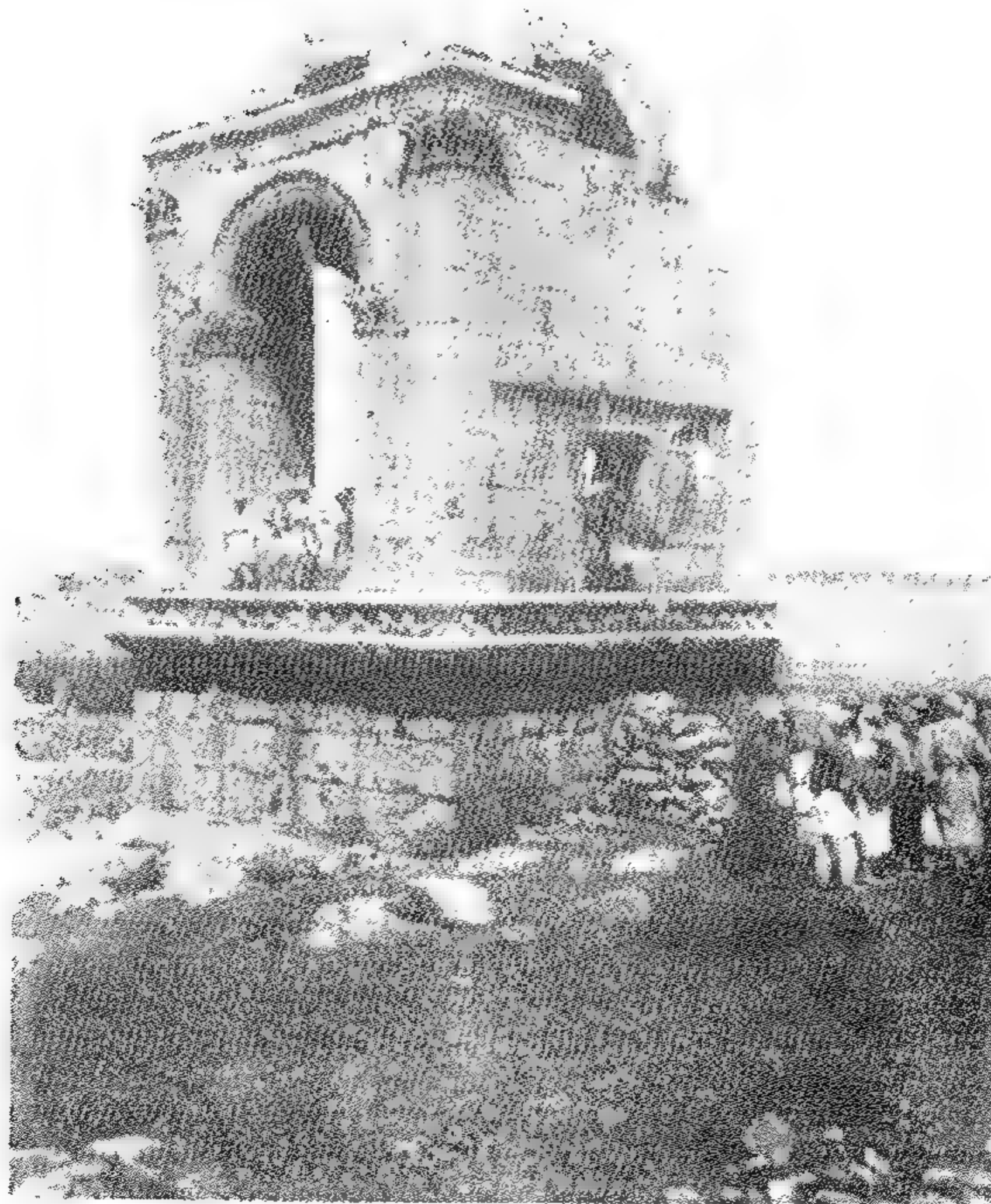
(شكل رقم ٤٦) تبغة (Capernaum) : عتب من بقايا السينا جوج :
نقش النجمة الخماسية (نجمة داود) .



(شكل رقم ٤٧) السبع بنات في عام ١٩٢١م : مسقط
(على أن لا يؤخذ في الاعتبار الفراغات المحددة بالنقاط) .



(شكل رقم ٤٩) Assar : ضريح (عن جوير) .



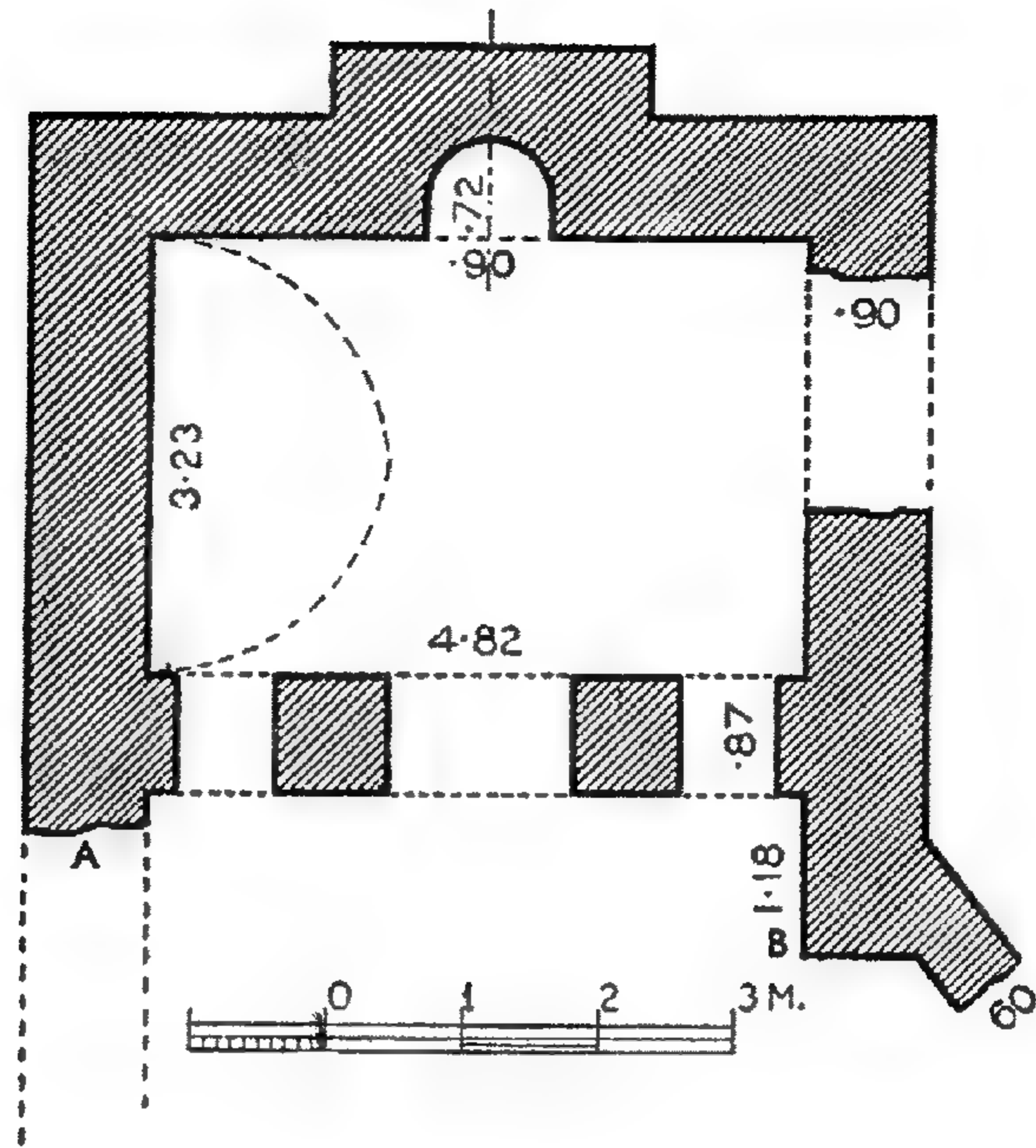
(شكل رقم ٥٠) حسن أوغلو : ضريح . (عن : جوير) .



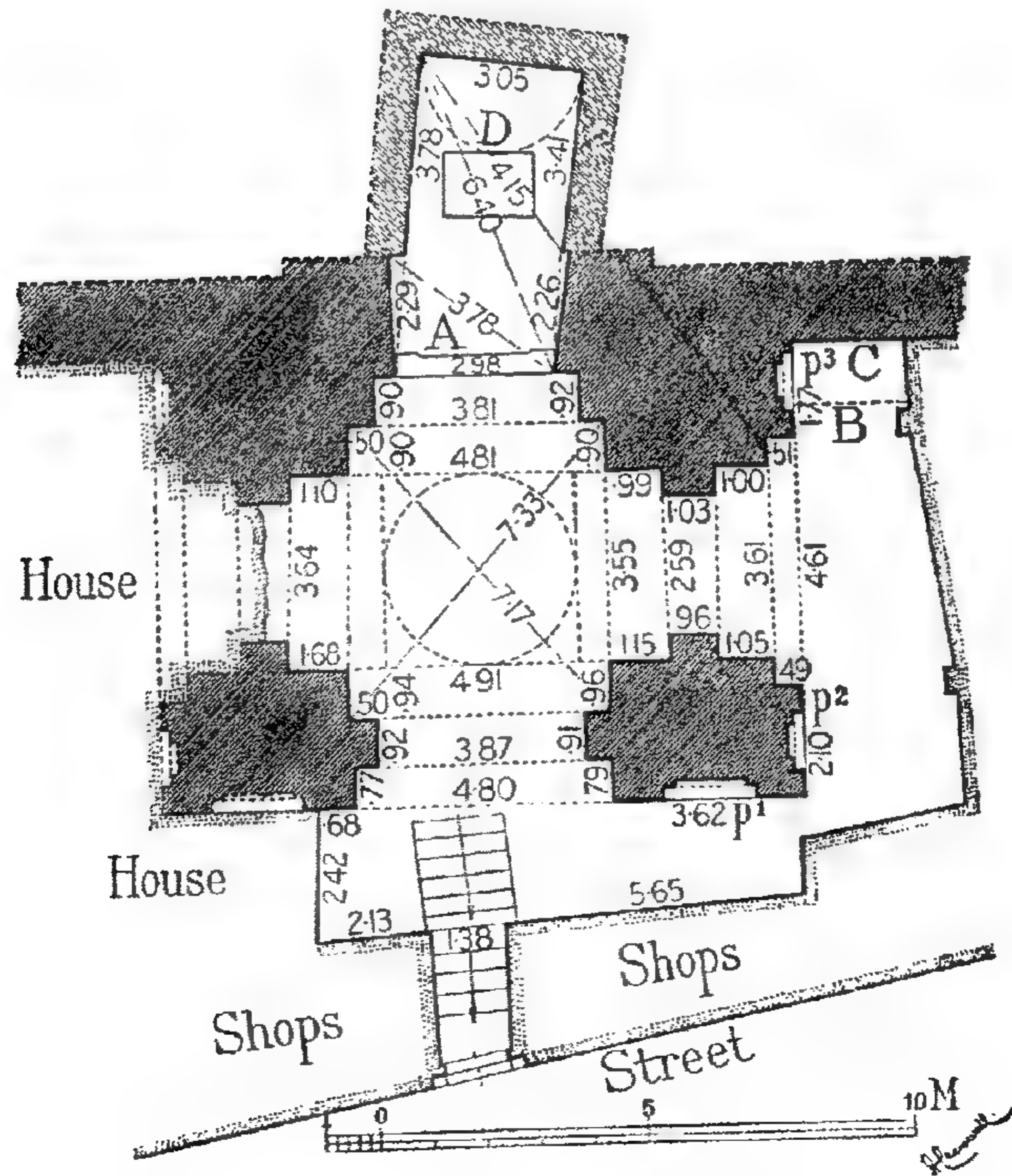
(شكل رقم ٥١) براد : مقبرة كانوبية (ذات السقيفة) .
(عن : بتلر) .



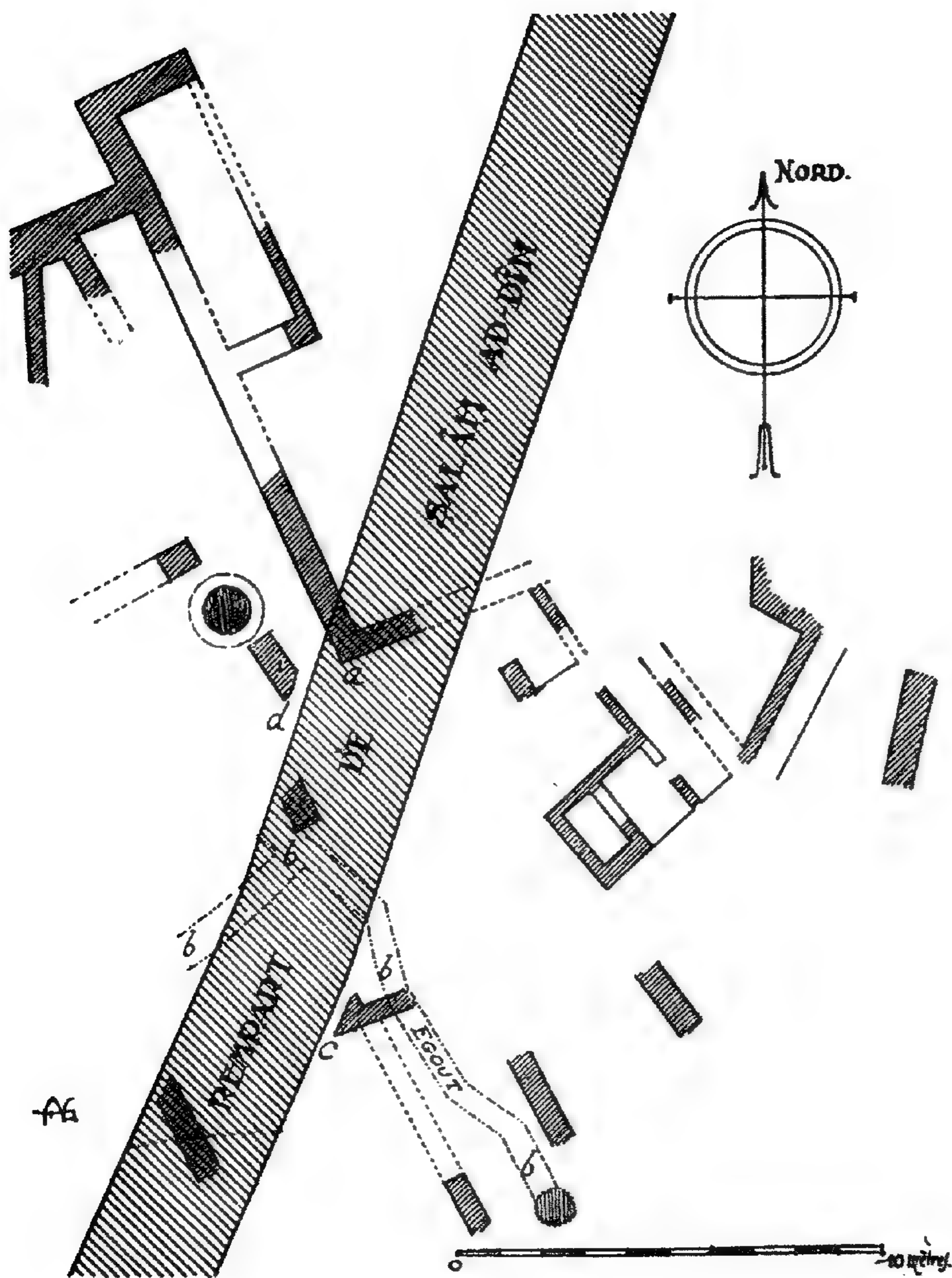
(شكل رقم ٥٢) كوكانيا : مقبرة كانوبية (ذات السقيفة) .
(عن : بتلر) .



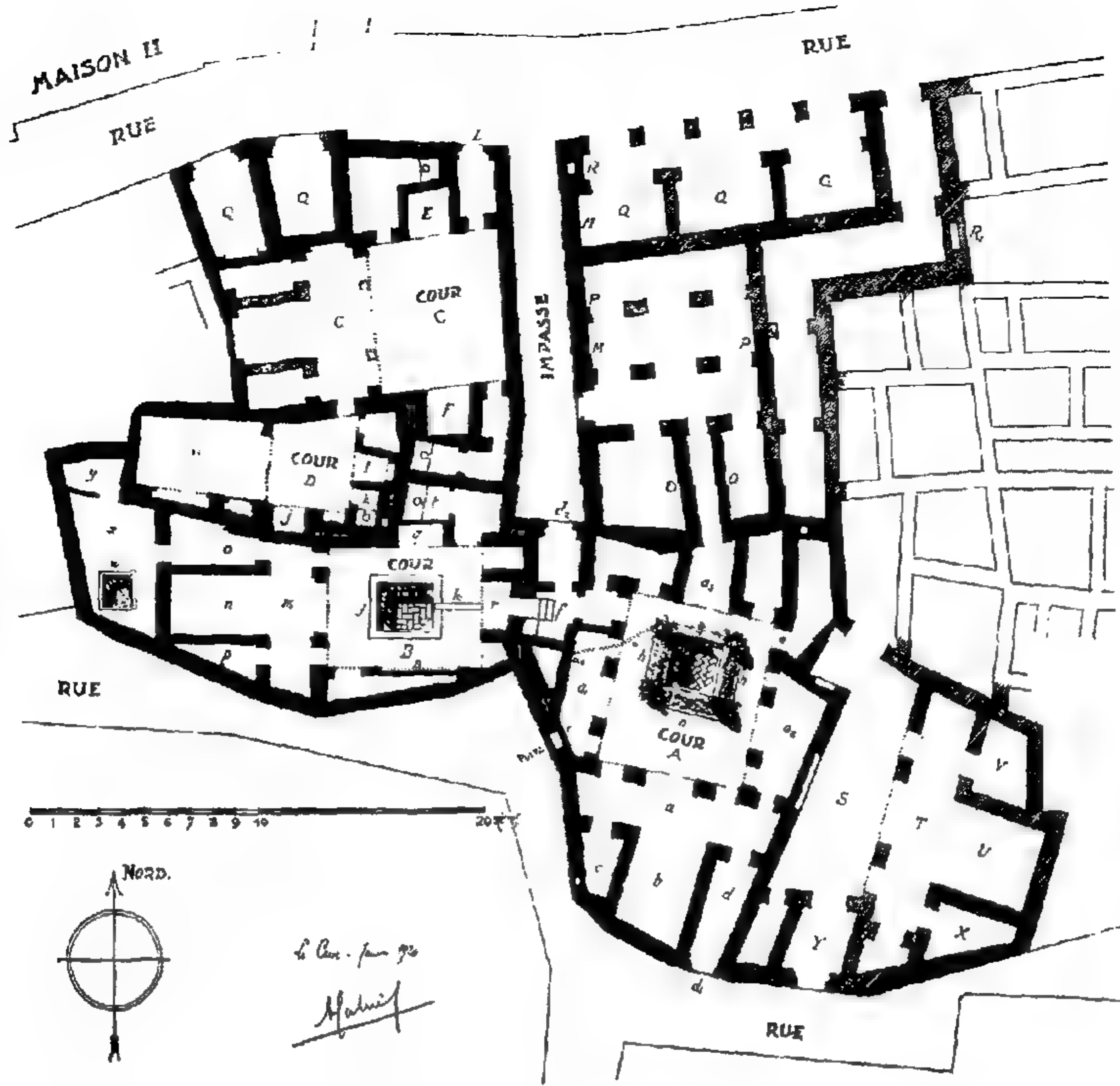
(شكل رقم ٥٣) مسجد اللؤلؤة : مسقط أفقي .



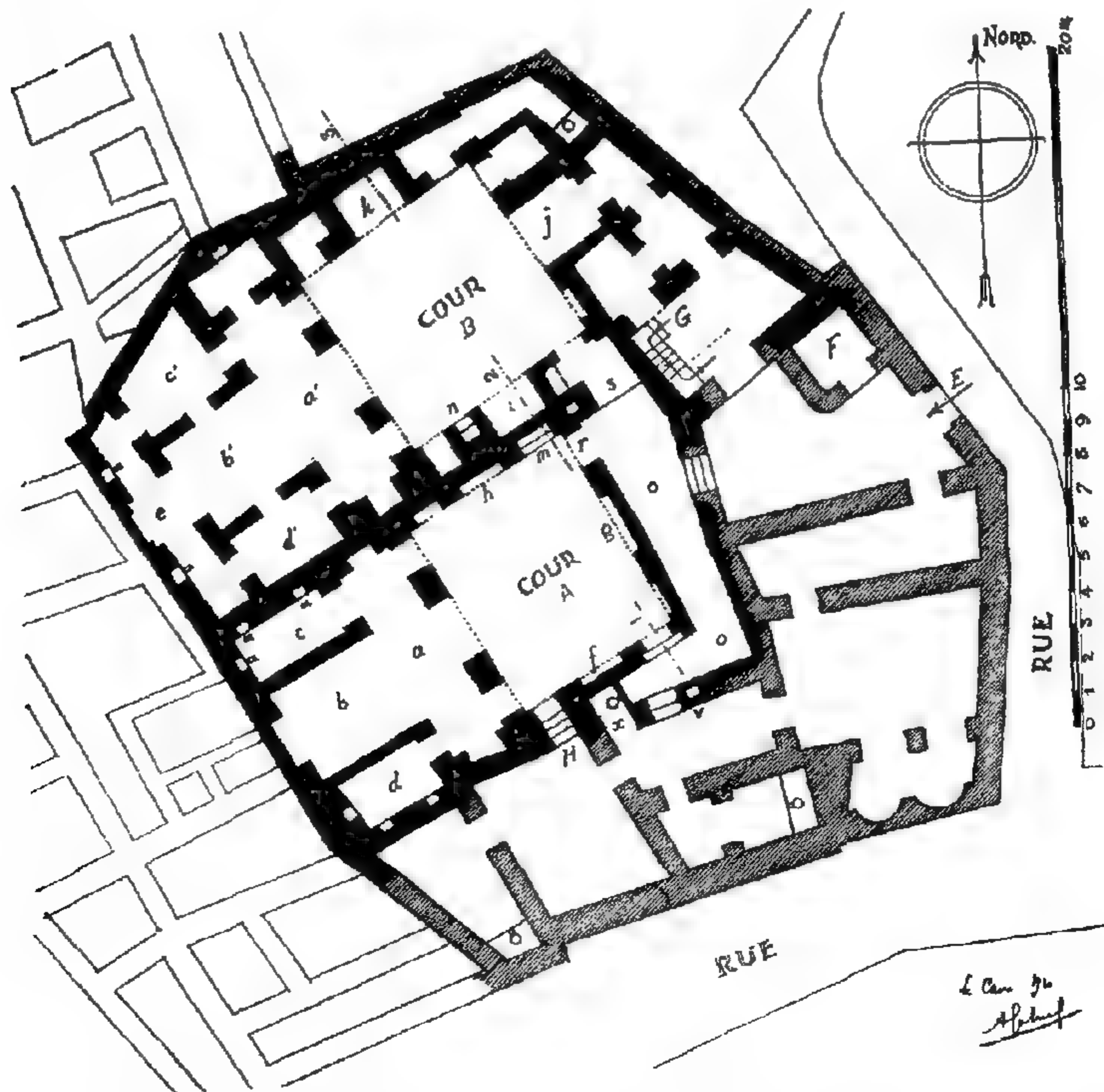
(شكل رقم ٥٤) المدخل إلى الزيادة بجامع الحاكم : مسقط أفقي .



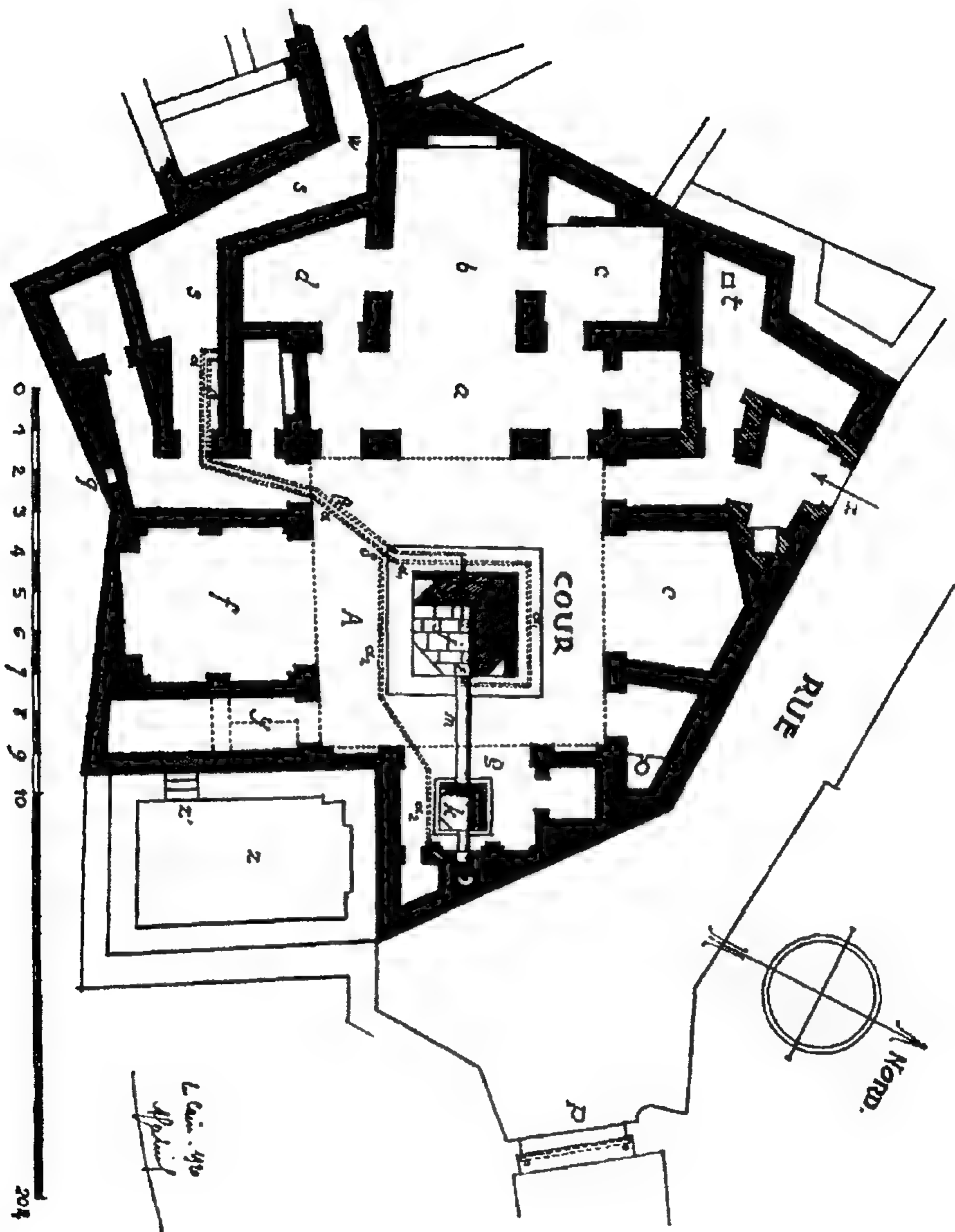
(عن : علی بهجت وجابرییل) .



(شكل رقم ٥٦) الفسطاط ، منزل رقم ١ . (عن : على بهجت وجابرييل) .



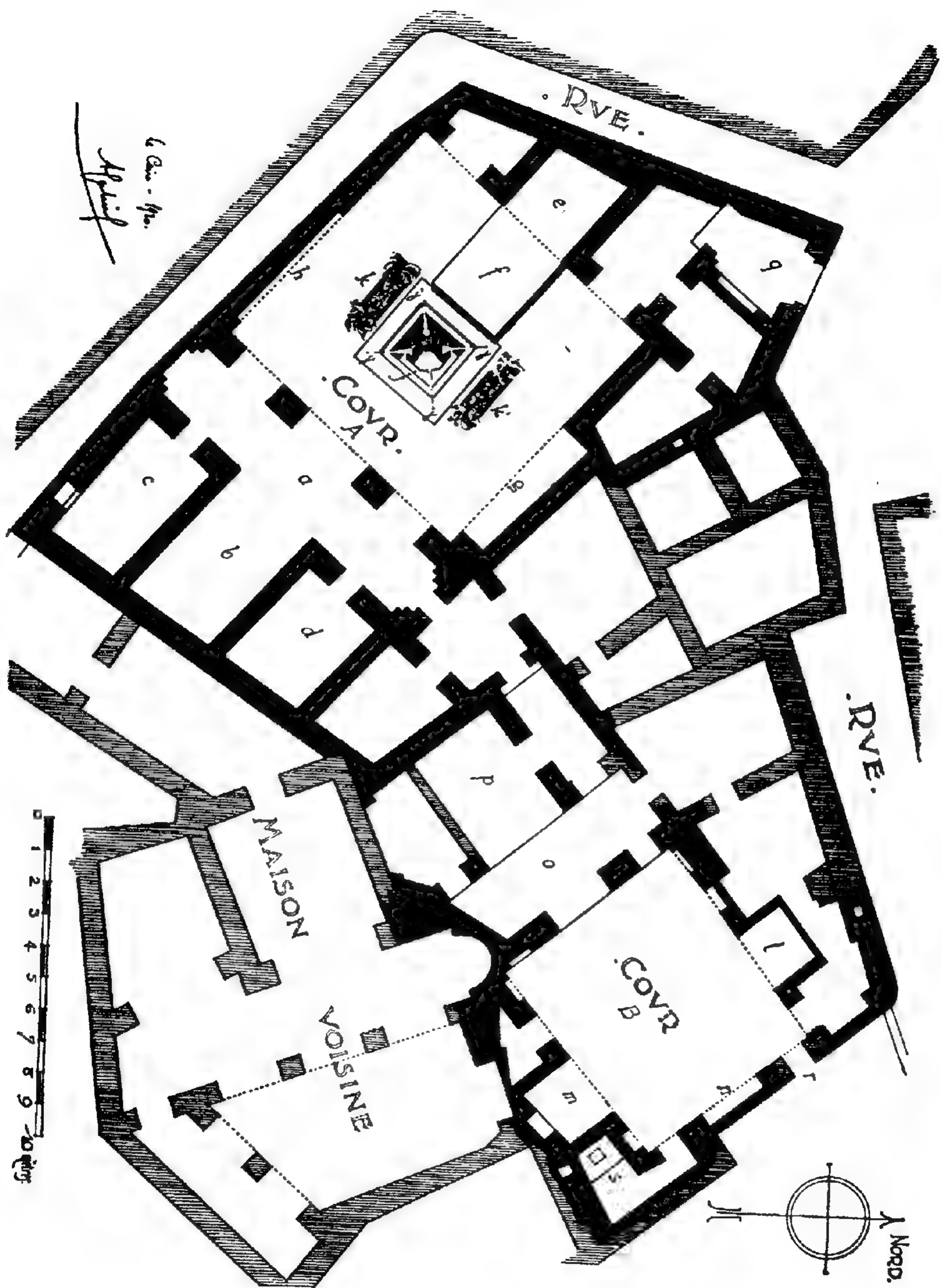
(شكل رقم ٥٧) الفسطاط منزل رقم ٢ . (عن : على بهجت وجابرييل) .



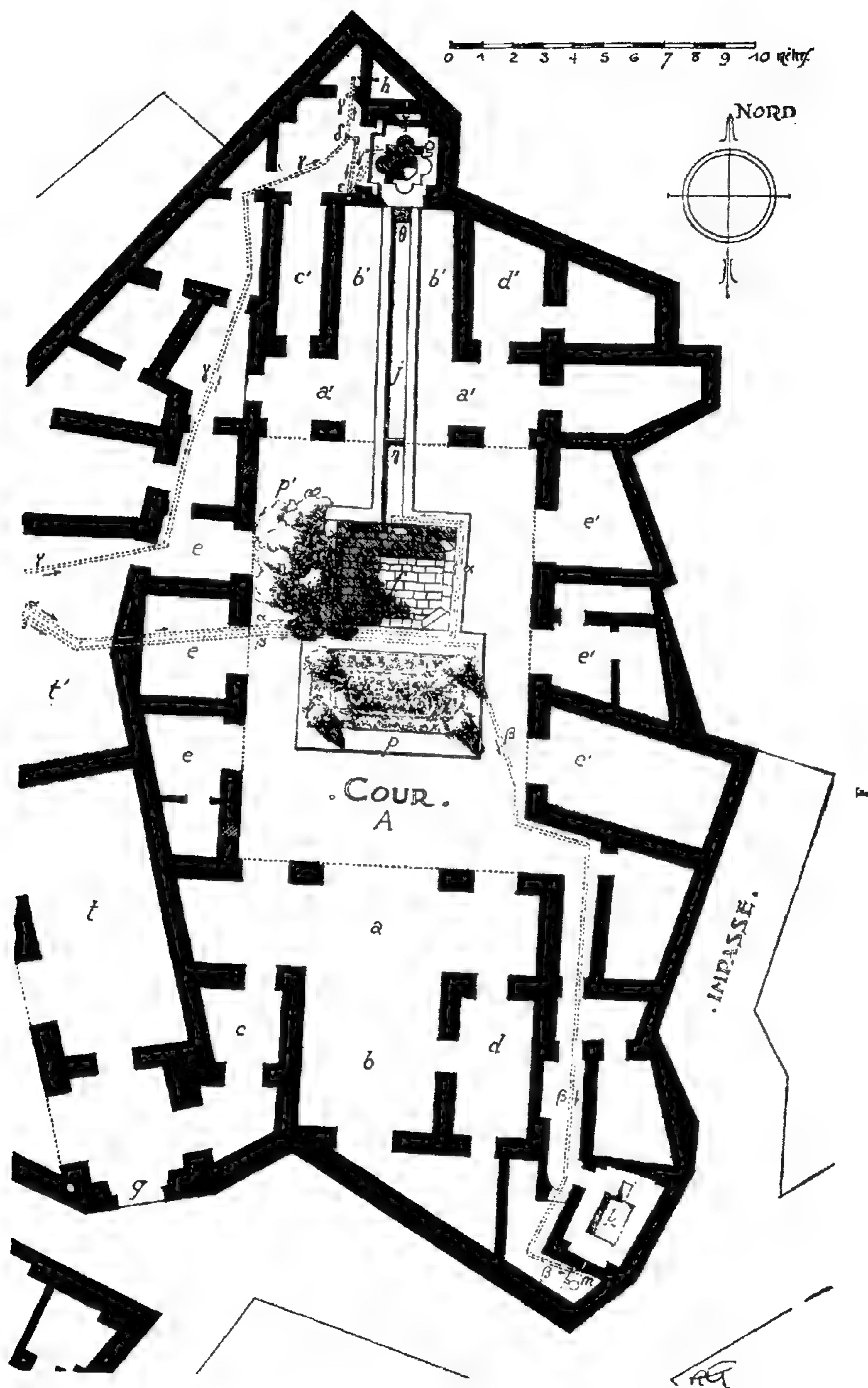
(شكل رقم ٥٨) القسطنطين
منزل رقم ٣ . (عن : علي بهجت وجابرييل) .



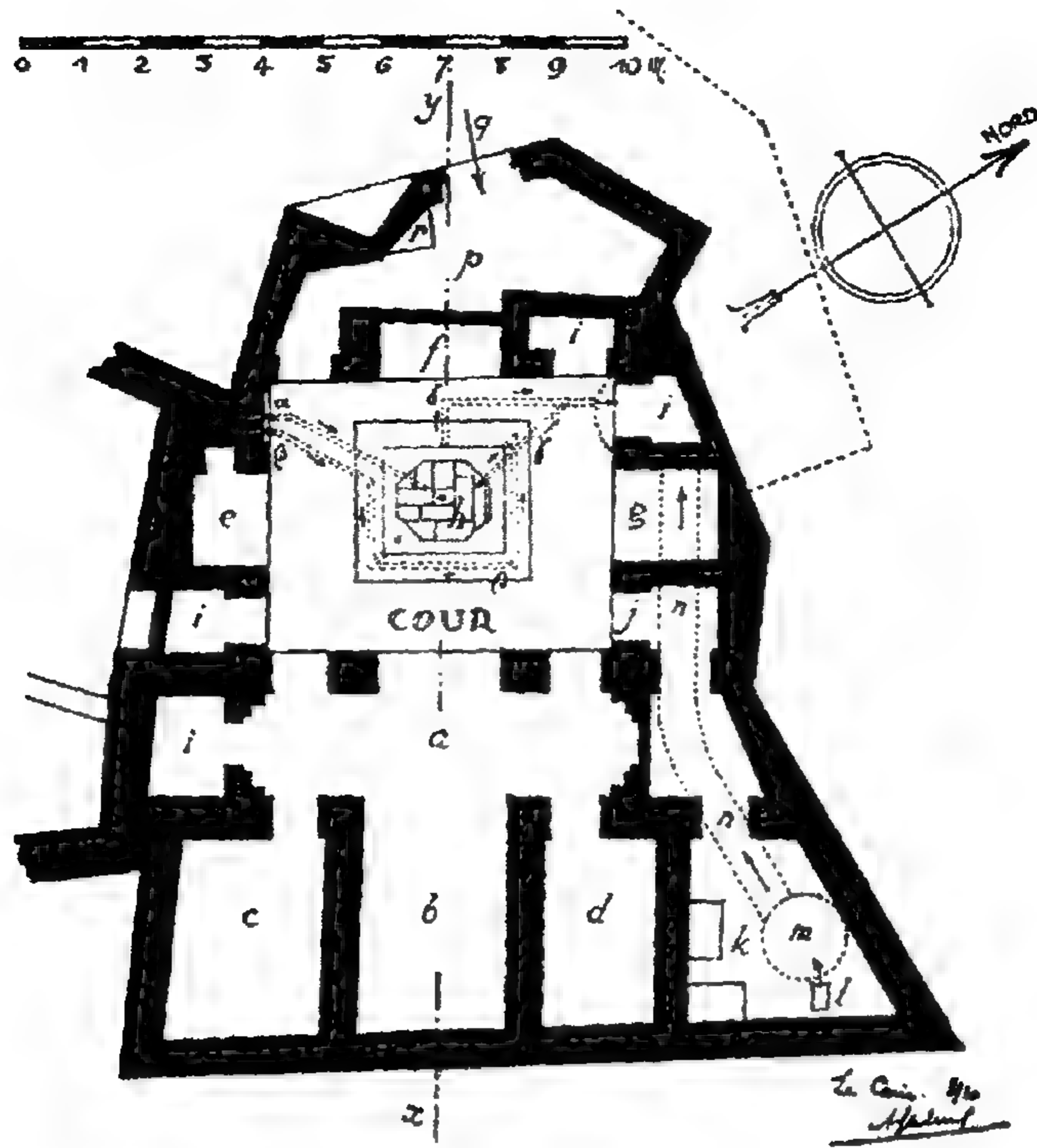
(شكل رقم ٥٩) بالرمو ، قصر العزيزة ، السلسبيل (الشادروان) .



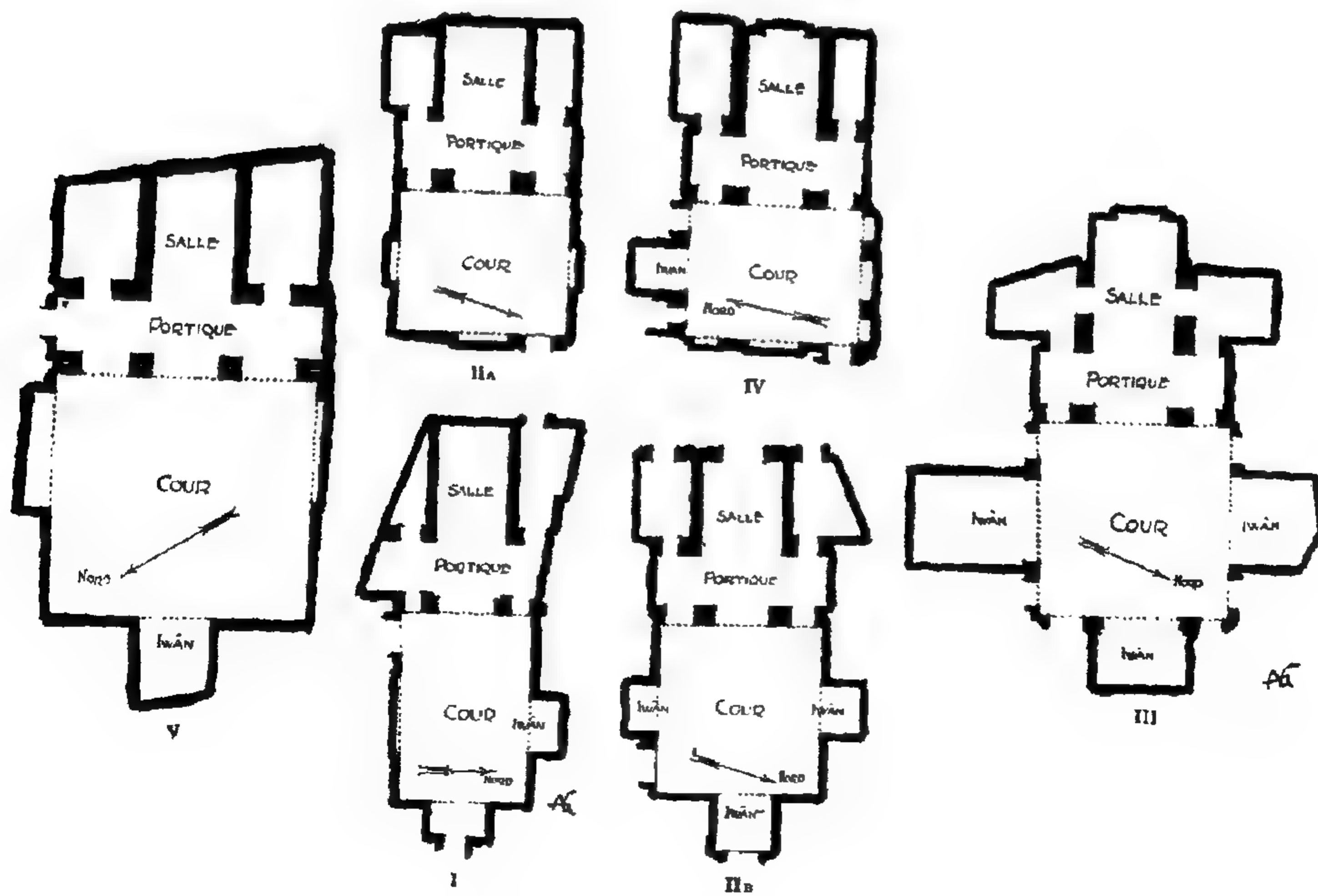
(شکل رقم ٦٠) الفسطاط
 منزل رقم ٥ . (عن : علی بهجت وجابرییل) .



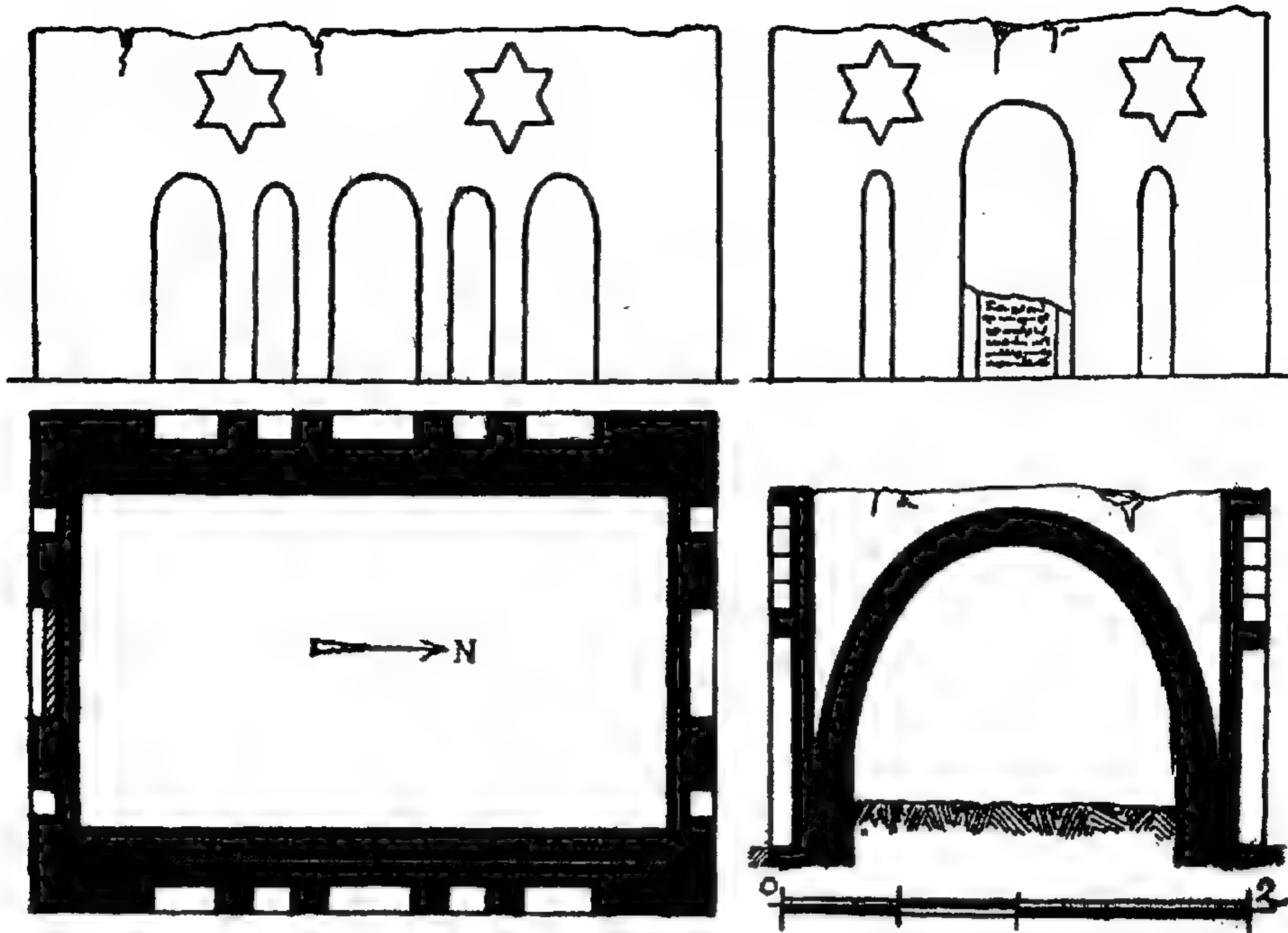
(شكل رقم ٦١) القسطاط
 منزل رقم ٦ . (عن : على بهجت وجابريل) .



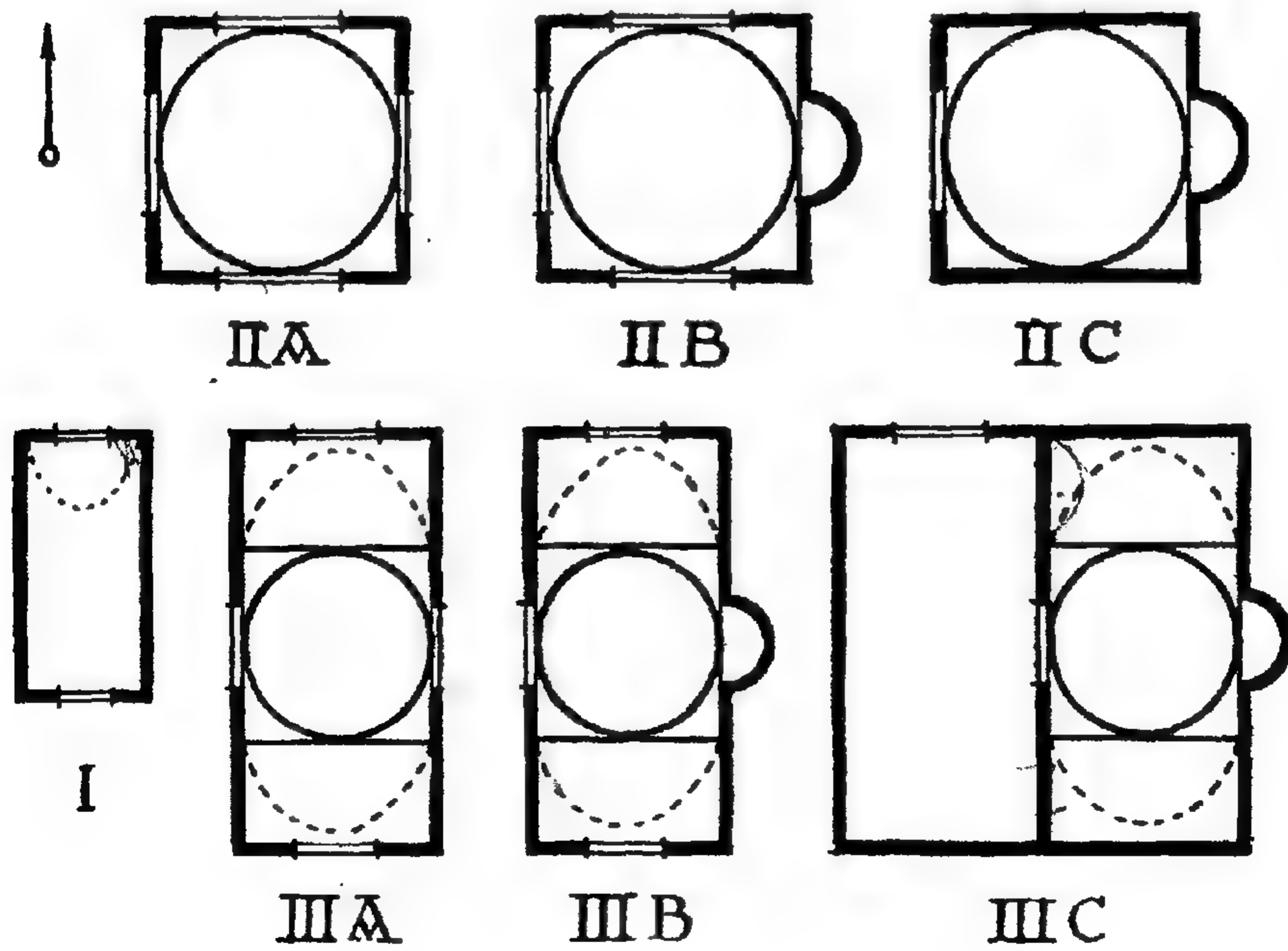
(شكل رقم ٦٢) الفسطاط : منزل رقم ٨ . (عن : علي بهجت وجابرييل) .



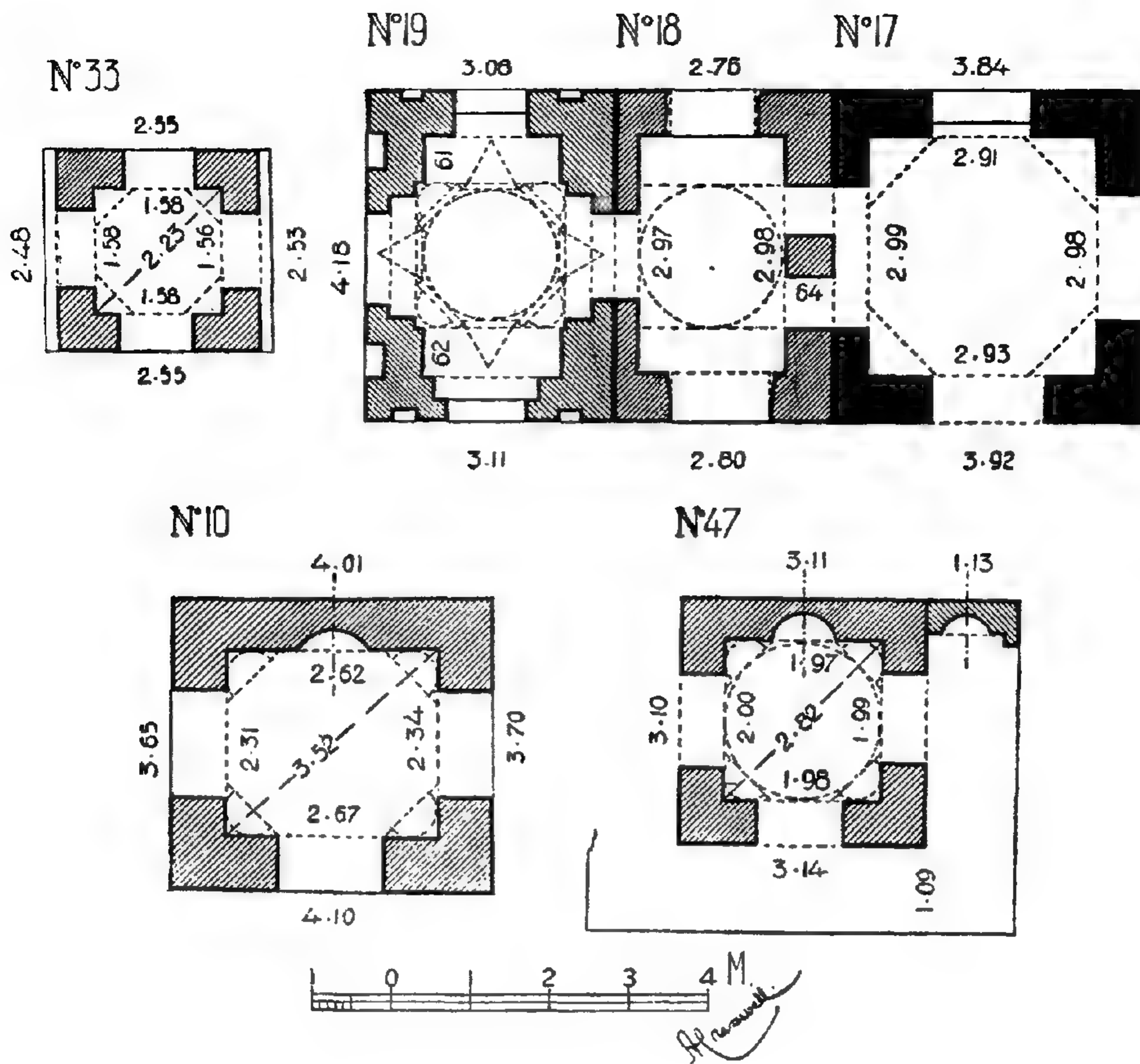
(شكل رقم ٦٣) الفسطاط : أنماط المنازل المكتشفة . (عن : علي بهجت وجابرييل) .



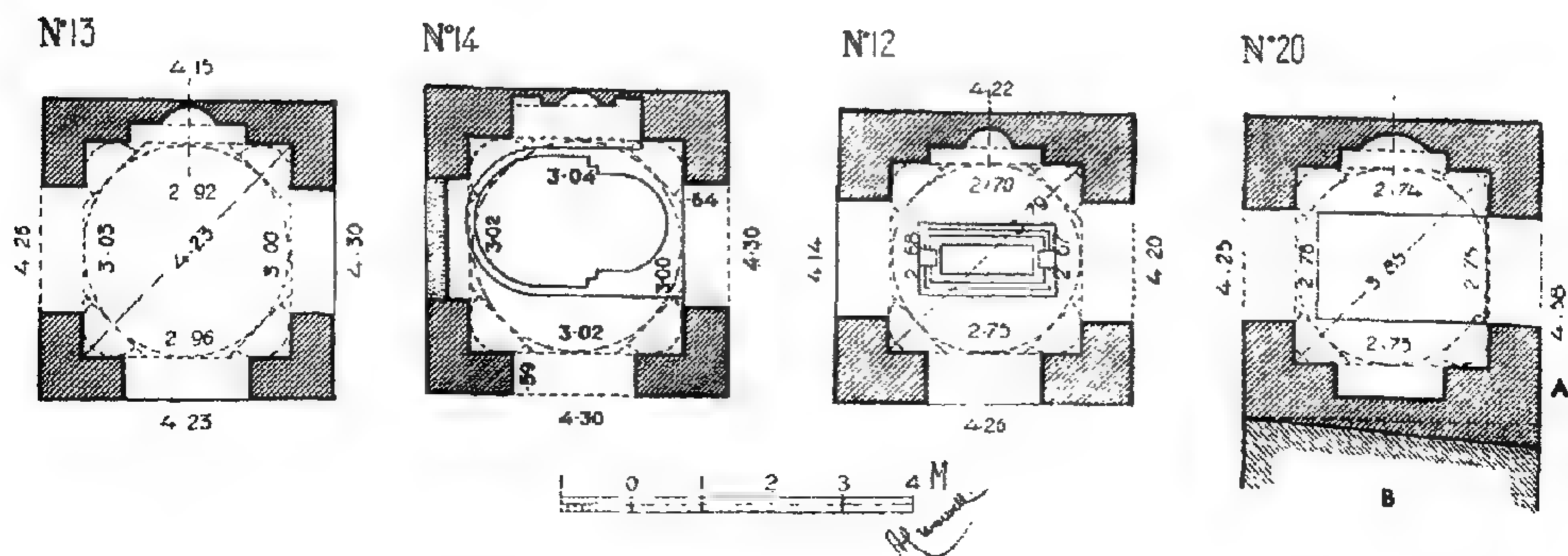
(شكل رقم ٦٤) أسوان ، مقبرة ذات حشوات في جوانبها الأربعة (عن : مونيريه) .



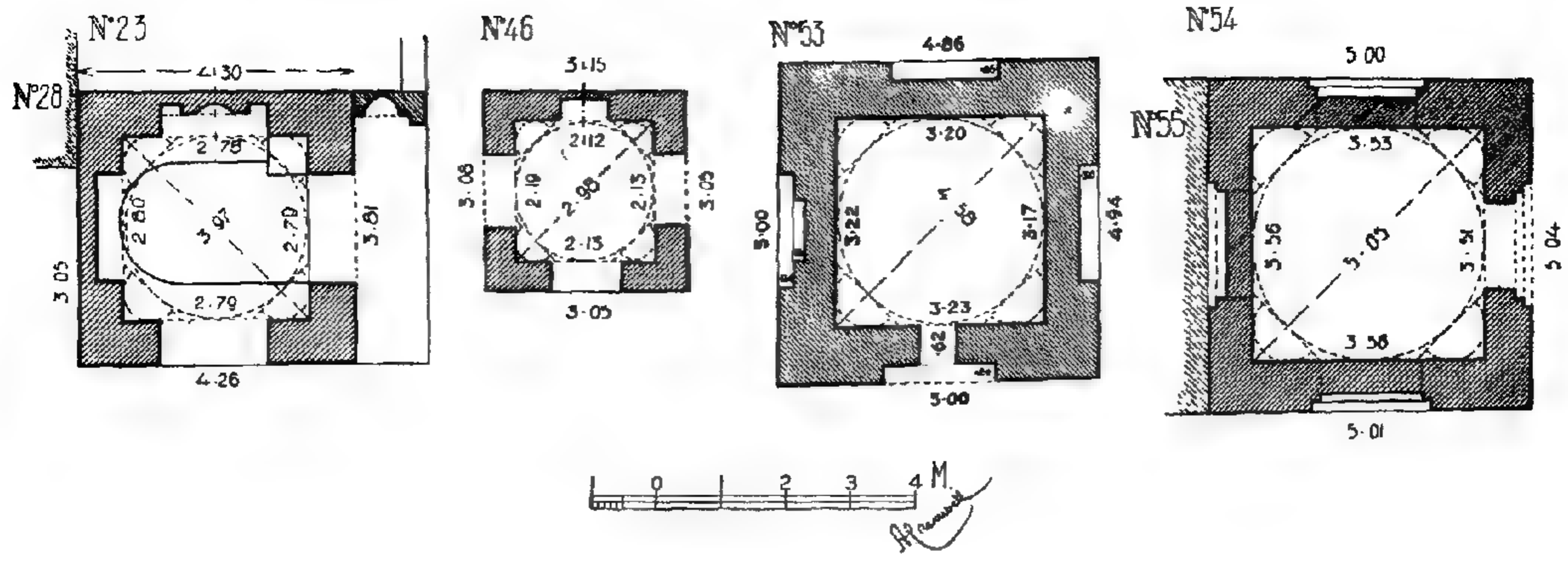
(شكل رقم ٦٥) أسوان ، أنماط الأضرحة (عن : مونيريه) .



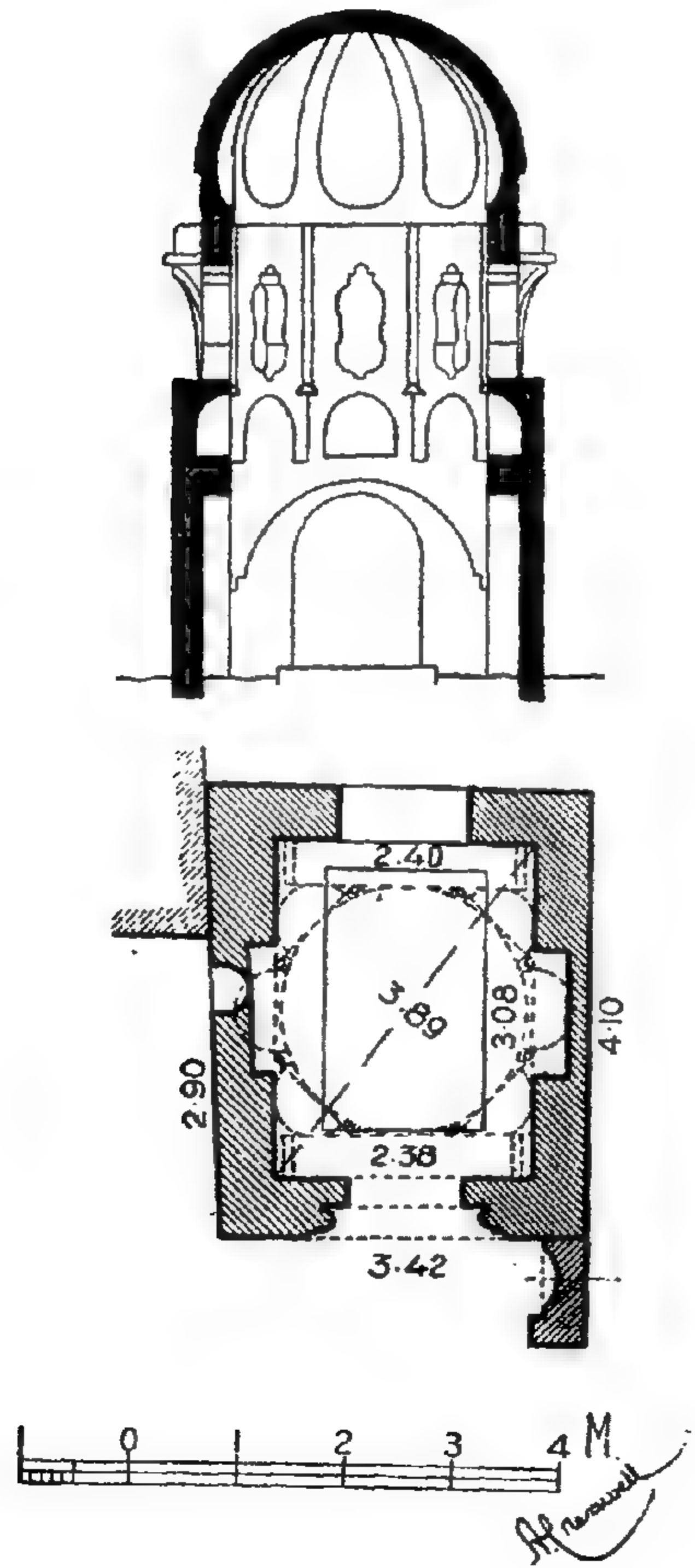
(شكل رقم ٦٦) أسوان : الأضرحة ذات الأرقام ٣٣، ١٩، ١٨، ١٧، ١٠، ٤٧. (مسقط) .



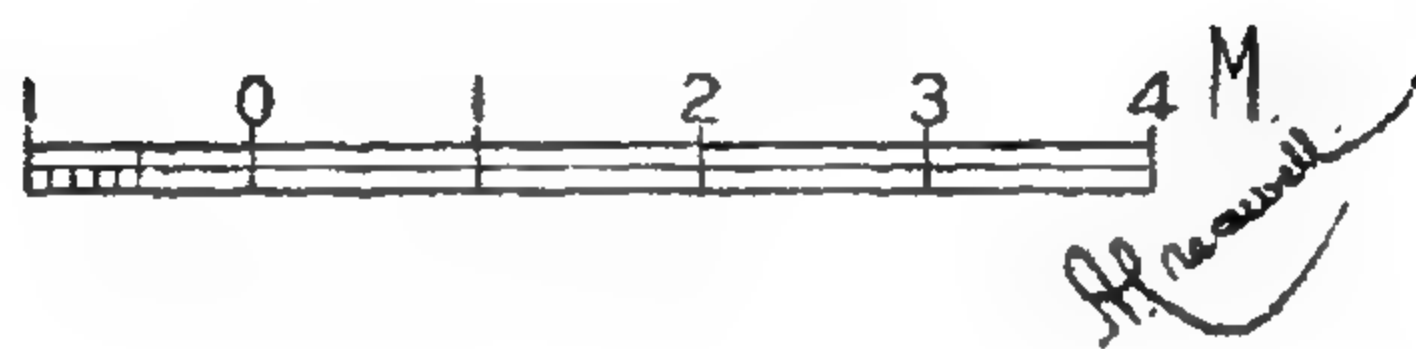
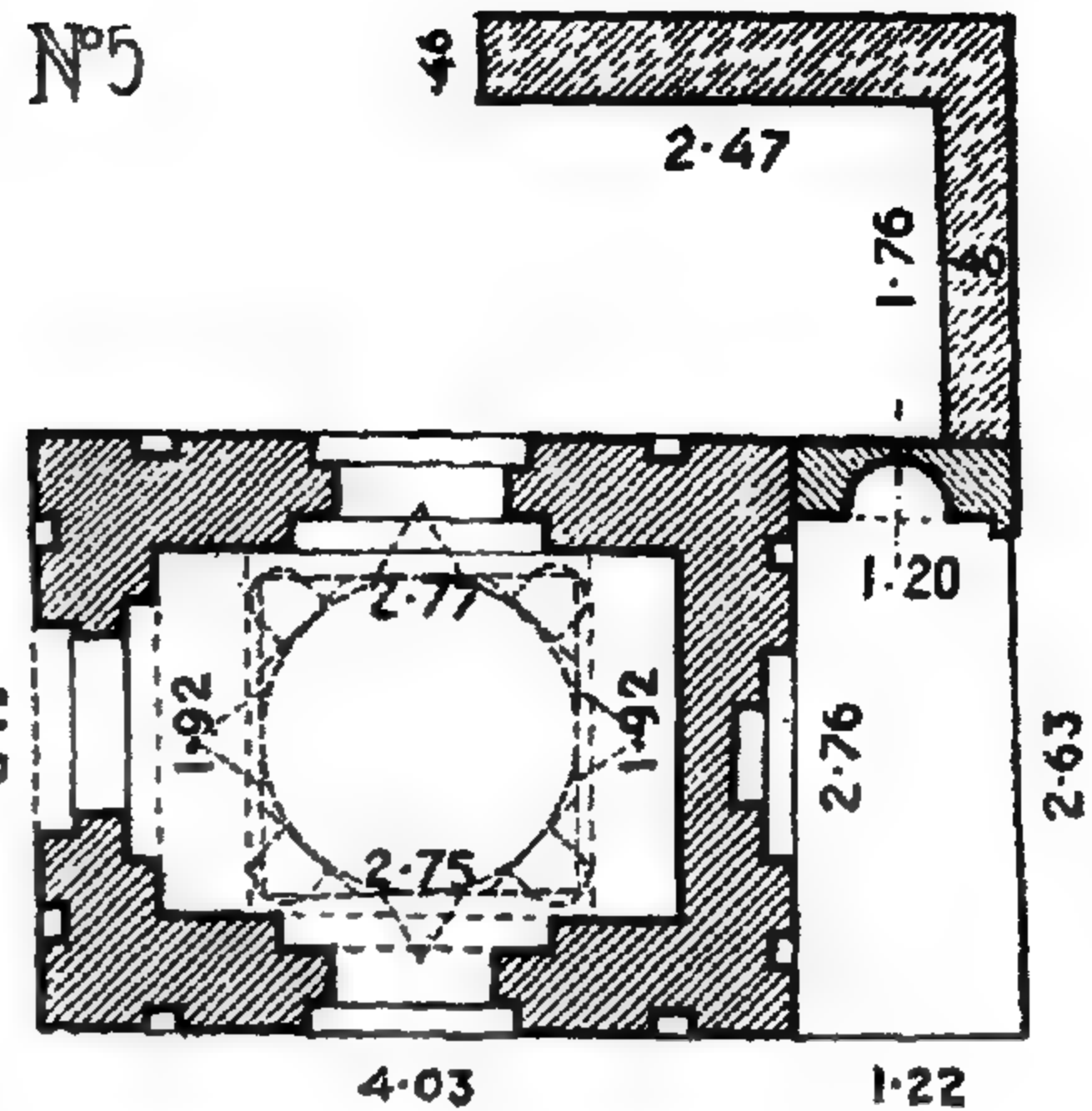
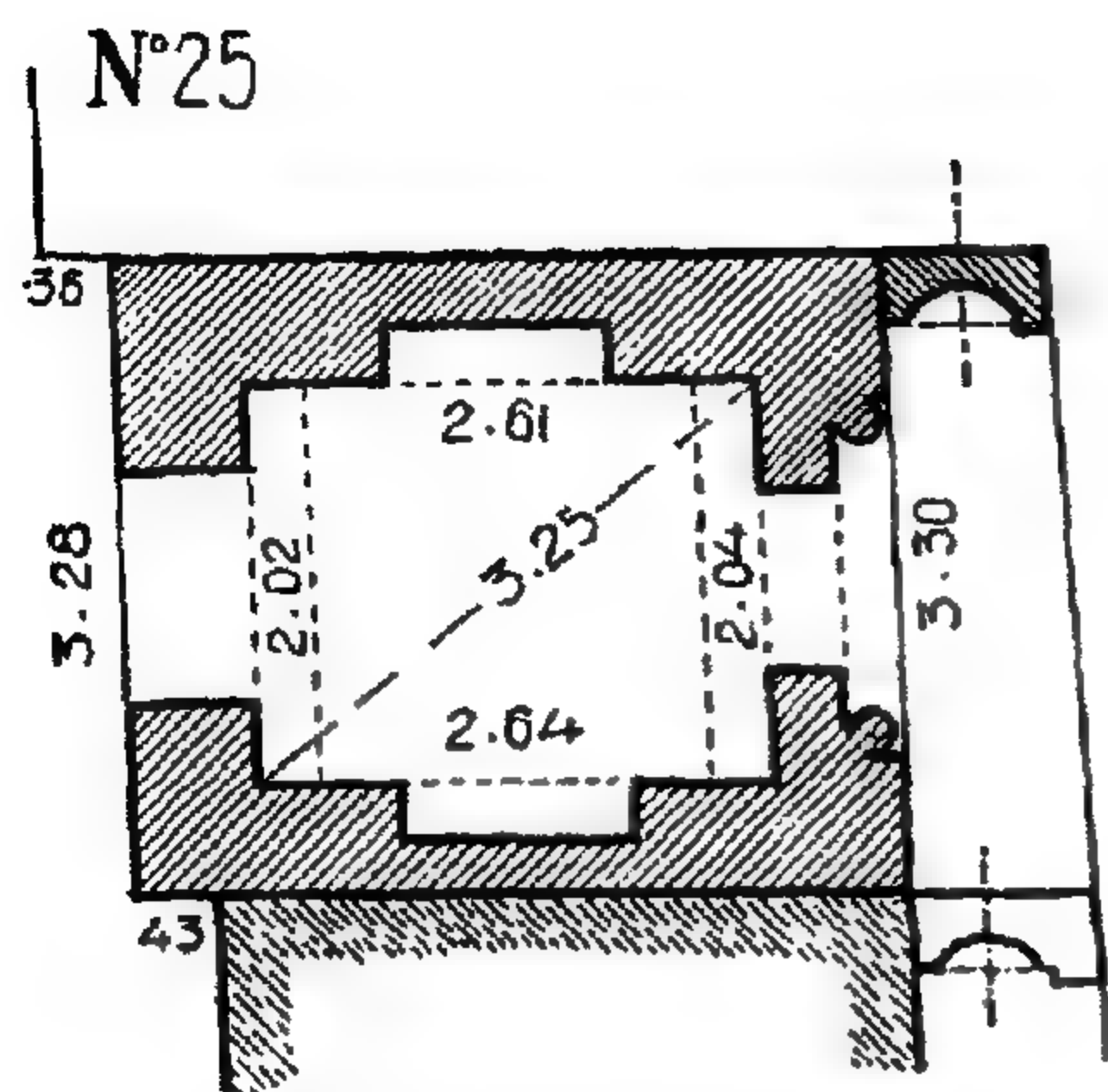
(شكل رقم ٦٧) أسوان : الأضرحة ذات الأرقام ١٣، ١٤، ١٢، ٢٠. (مسقط) .



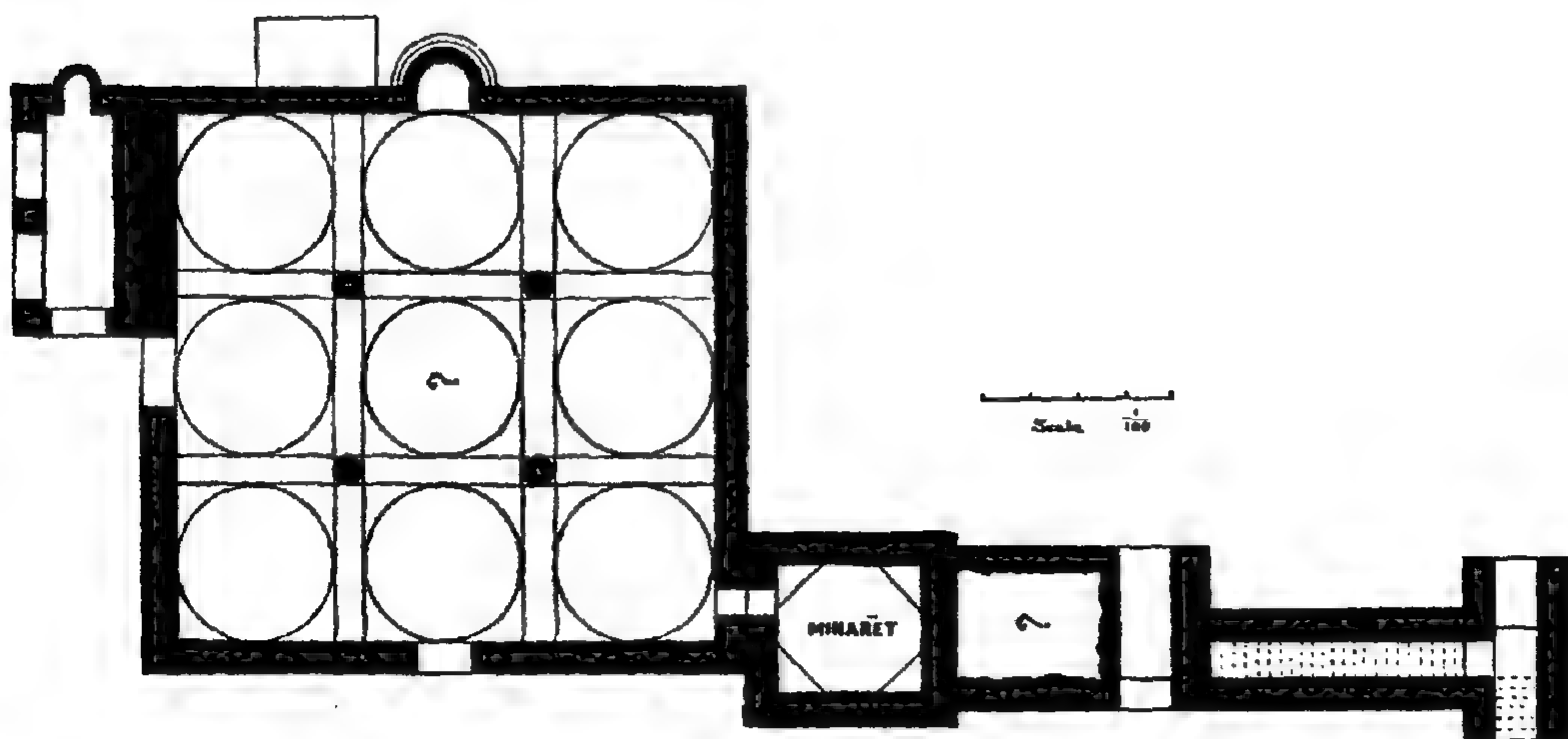
(شكل رقم ٦٨) أسوان : الأضرحة ذات الأرقام ٢٣ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٥٤ . (مسقط) .



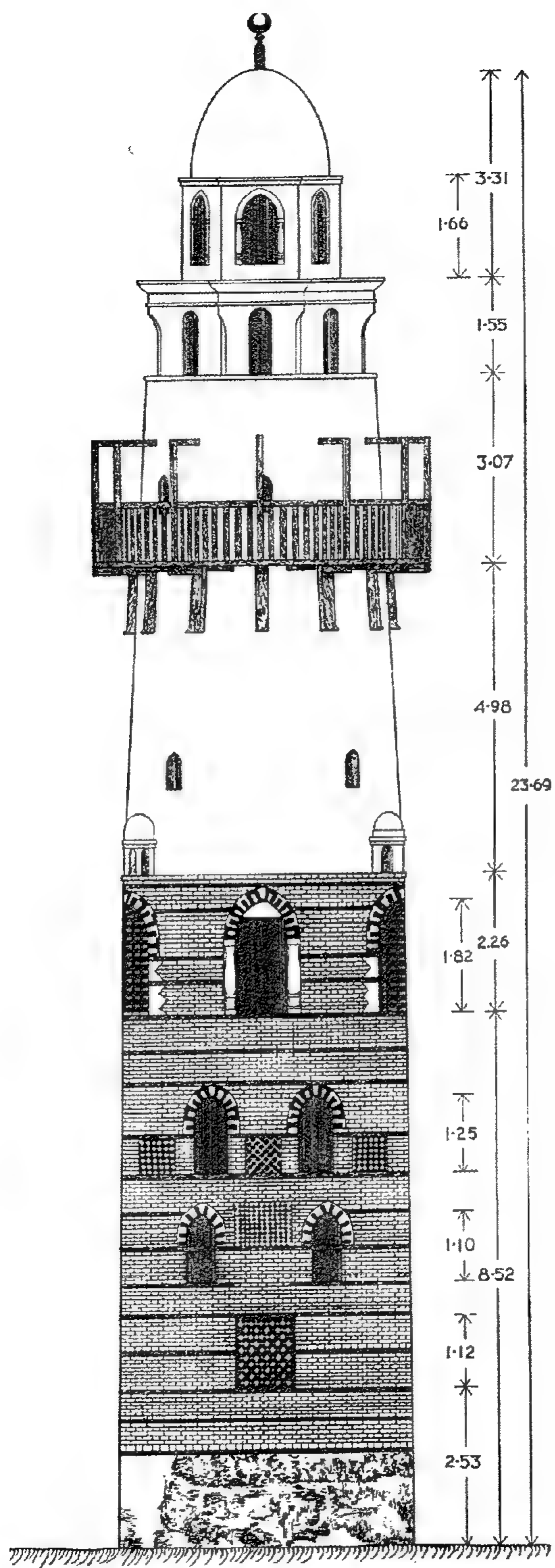
(شكل رقم ٦٩) أسوان : الضريح رقم ٢٤ . (مسقط وقطاع) .



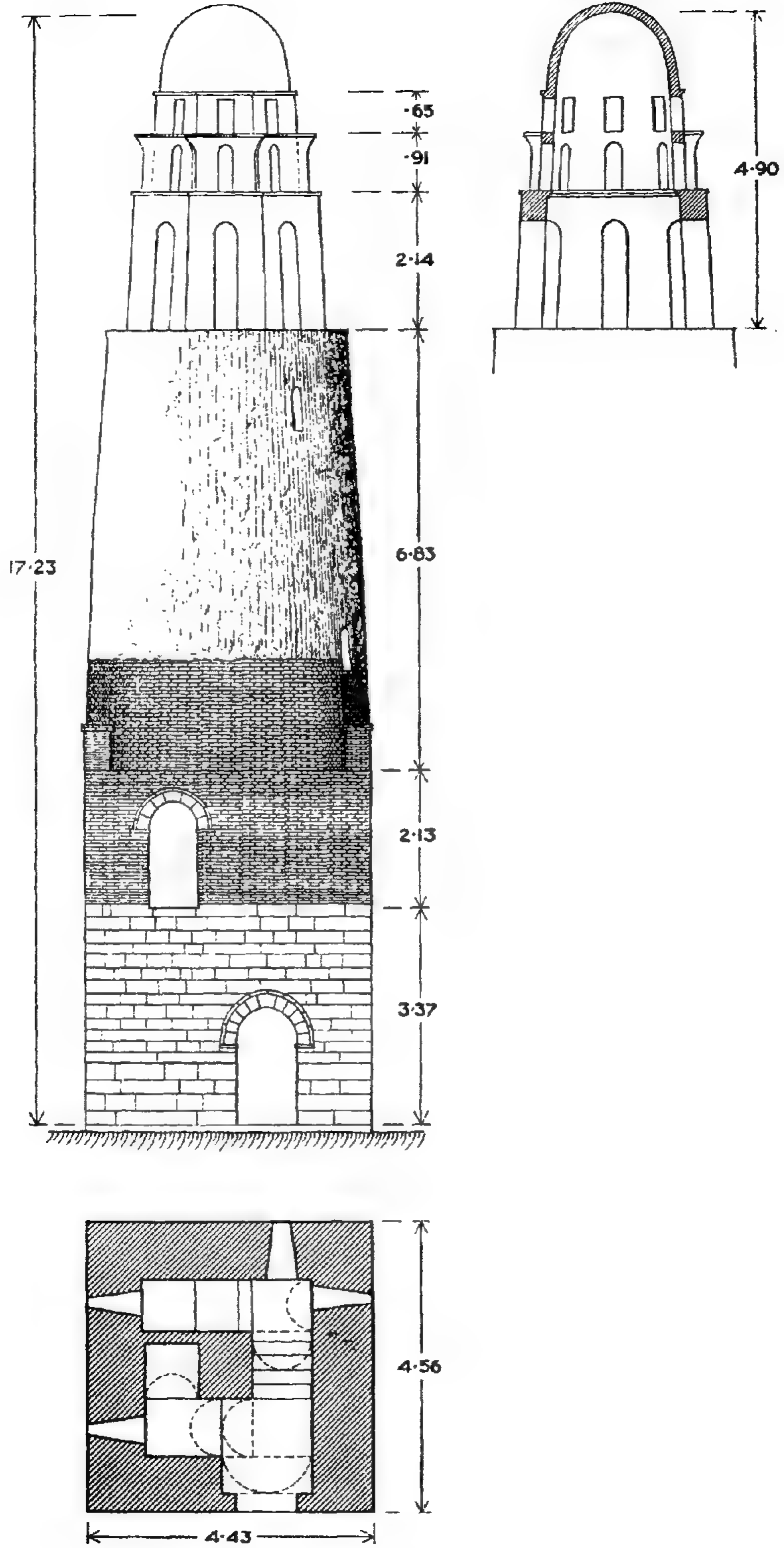
(شكل رقم ٧٠) أسوان : الضريحان رقم ٢٣ ورقم ٥ . (مسقط) .



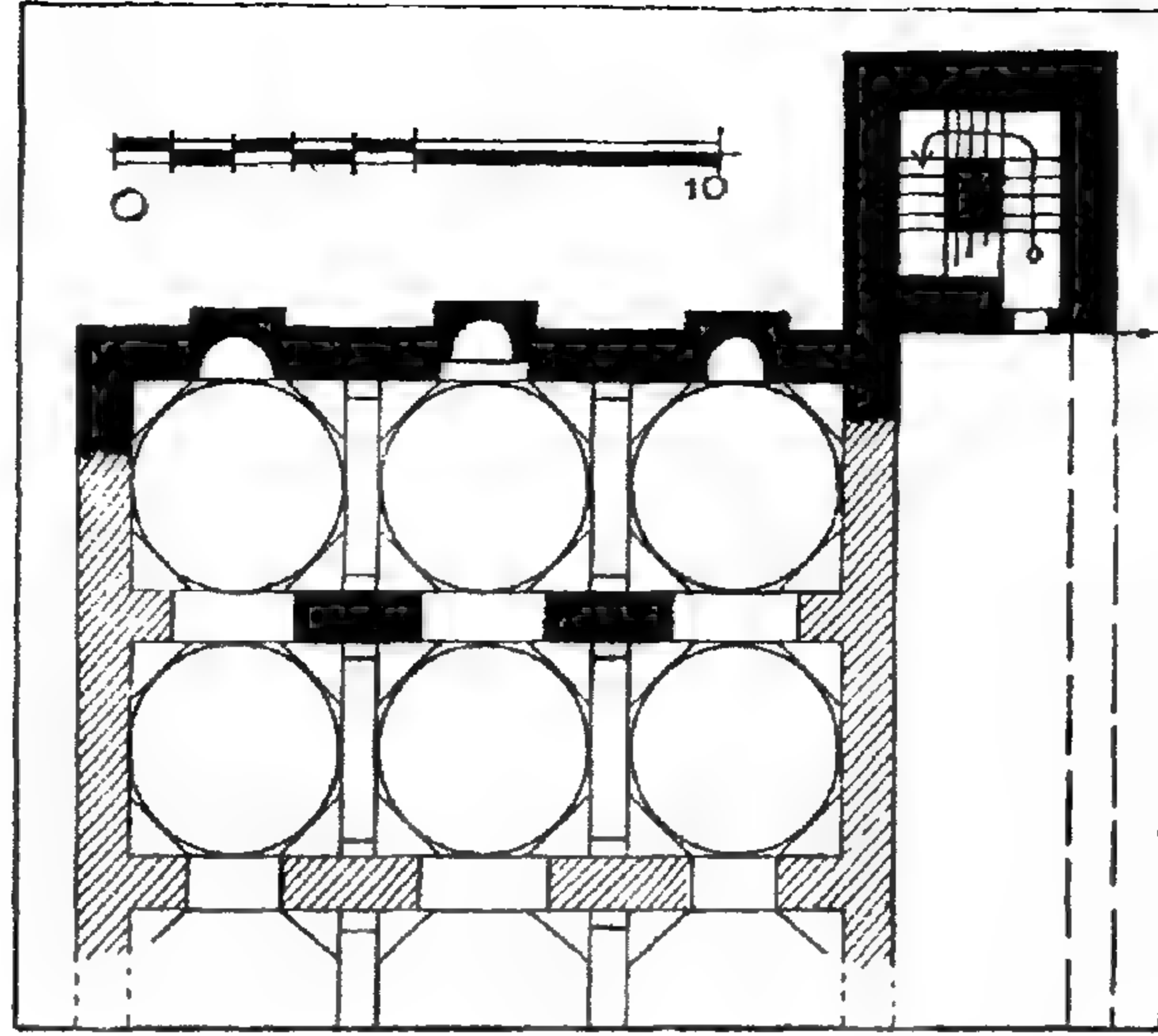
(شكل رقم ٧١) أسوان : مشهد السبعة وسبعين ولي . (عن : سومرزكلارك) .



(شكل رقم ٧٢) اسنا : مئذنة الجامع العمري أو العتيق .



(شكل رقم ٧٣) منئذنة المشهد القبلي أو بلال قرب الشلال .



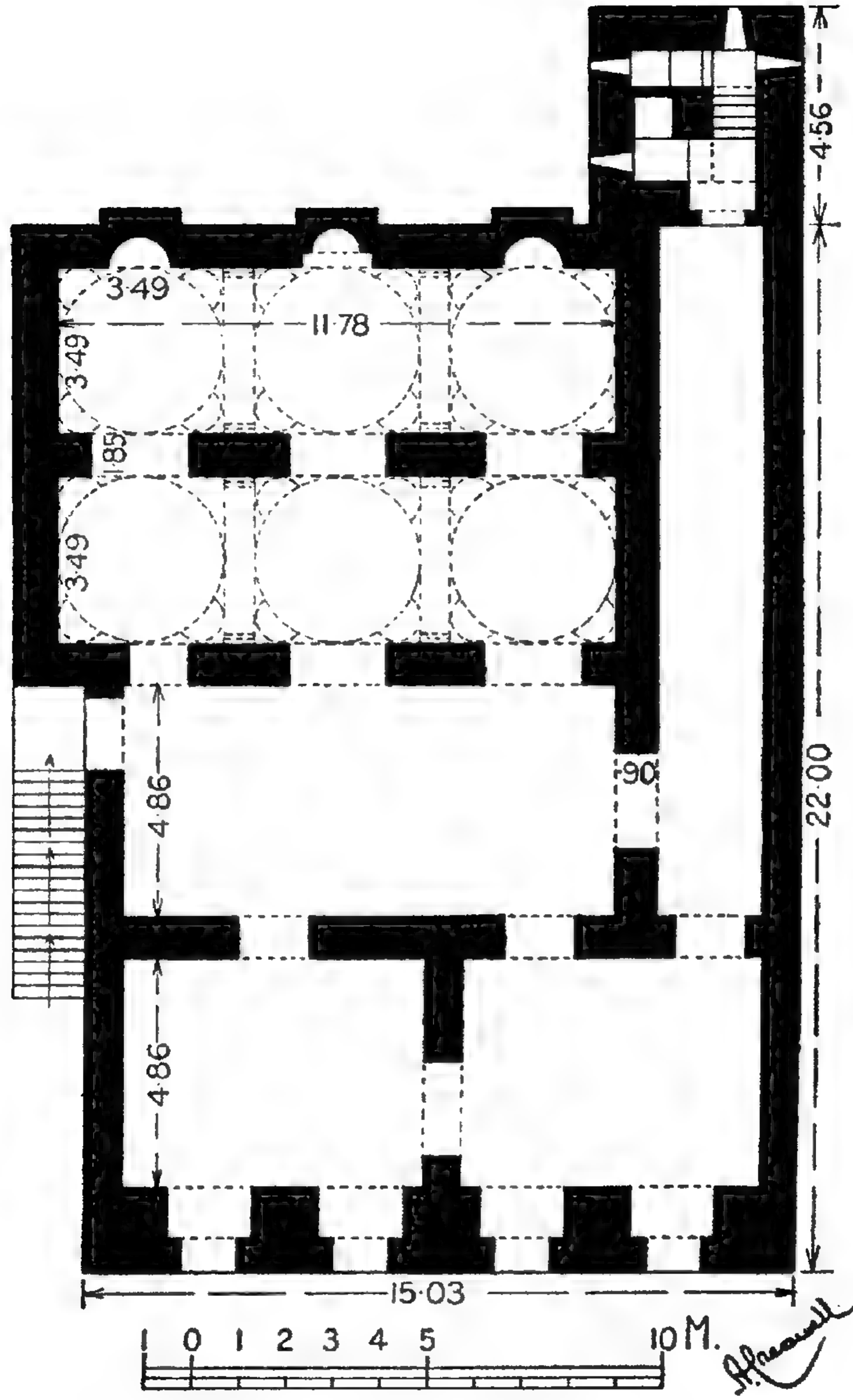
(شكل رقم ٧٤) الشلال : المشهد القبلي . (عن : مونيريه) .



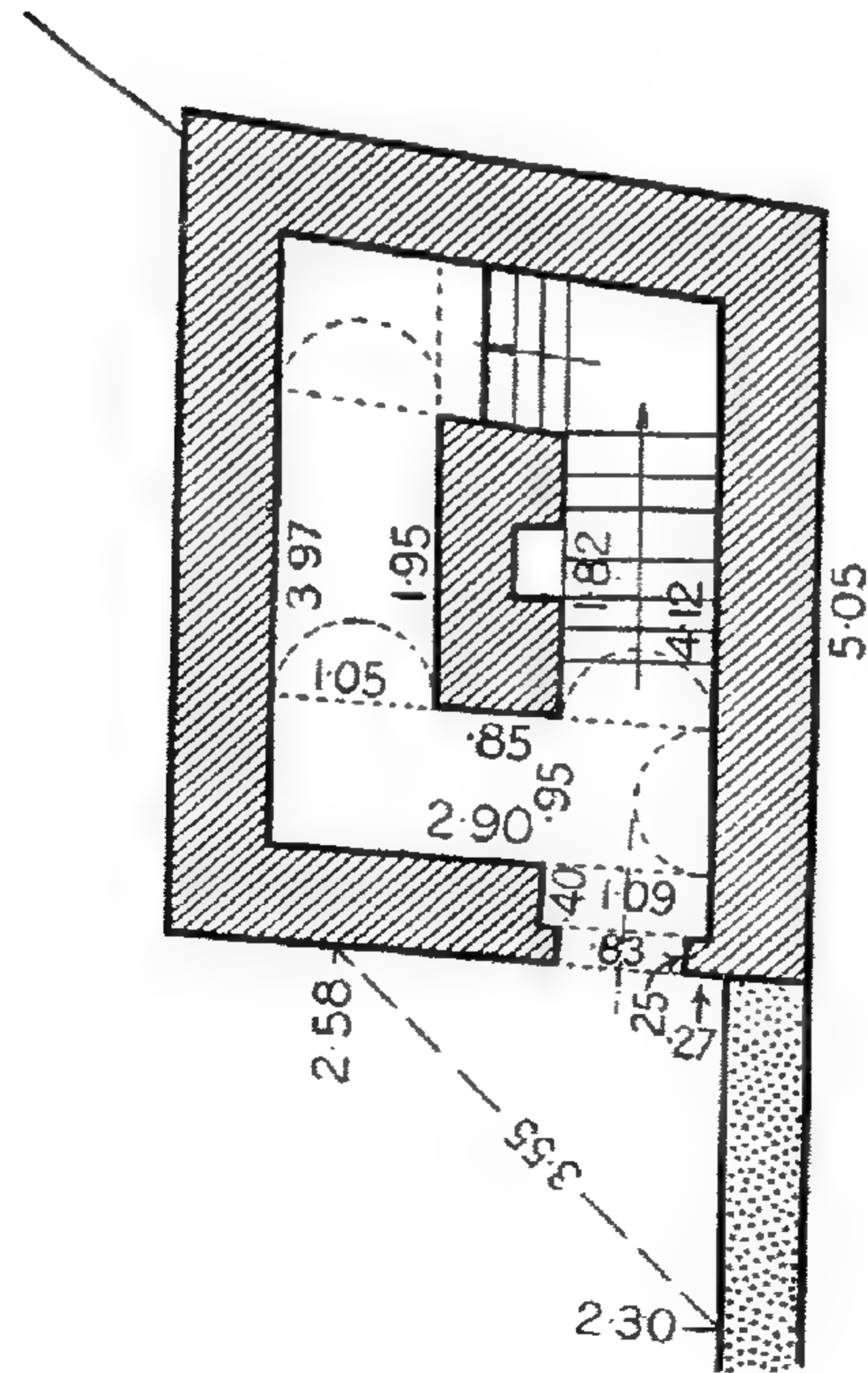
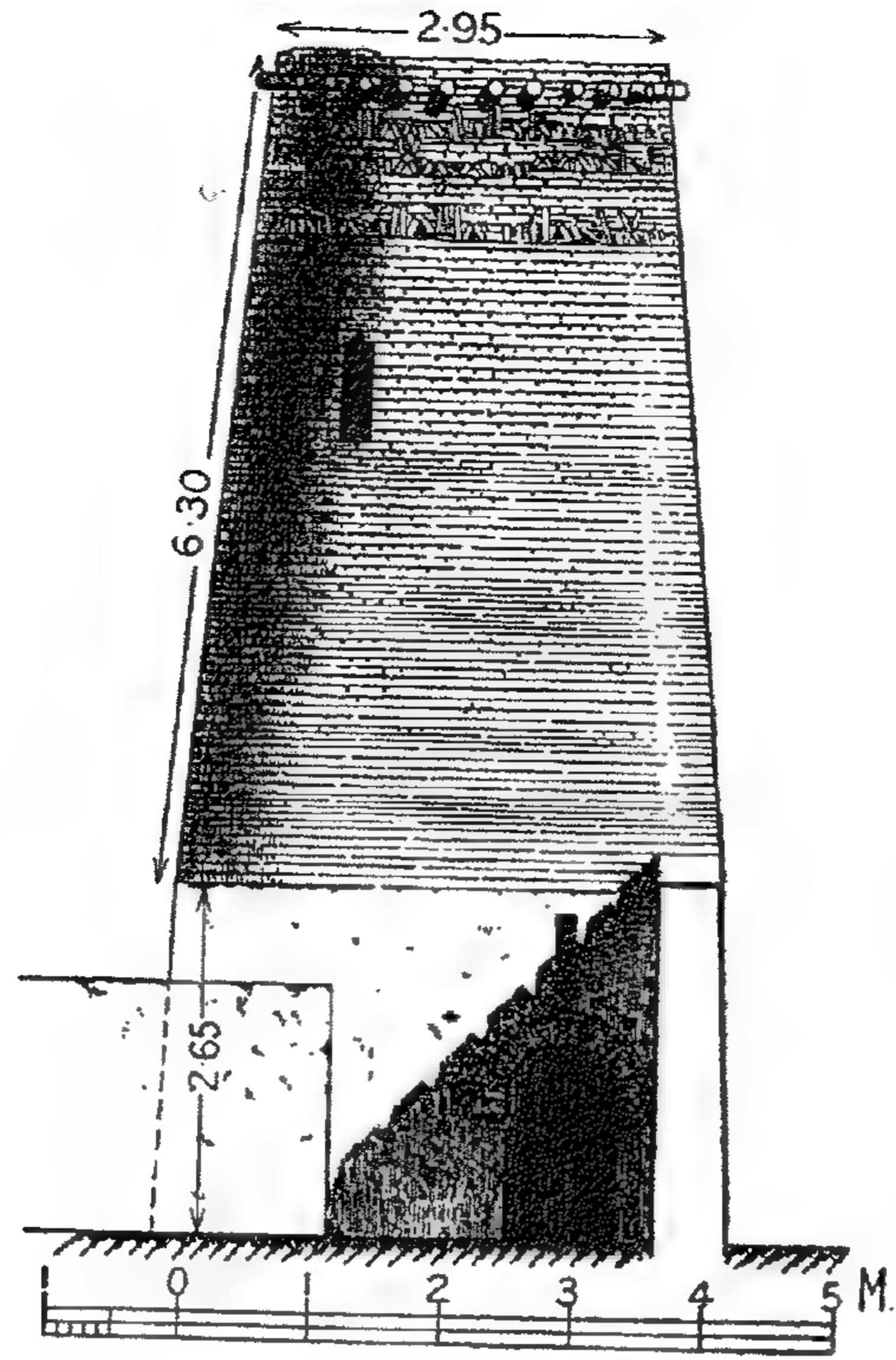
0 2 4 6 8 10 M.

El. Hawary

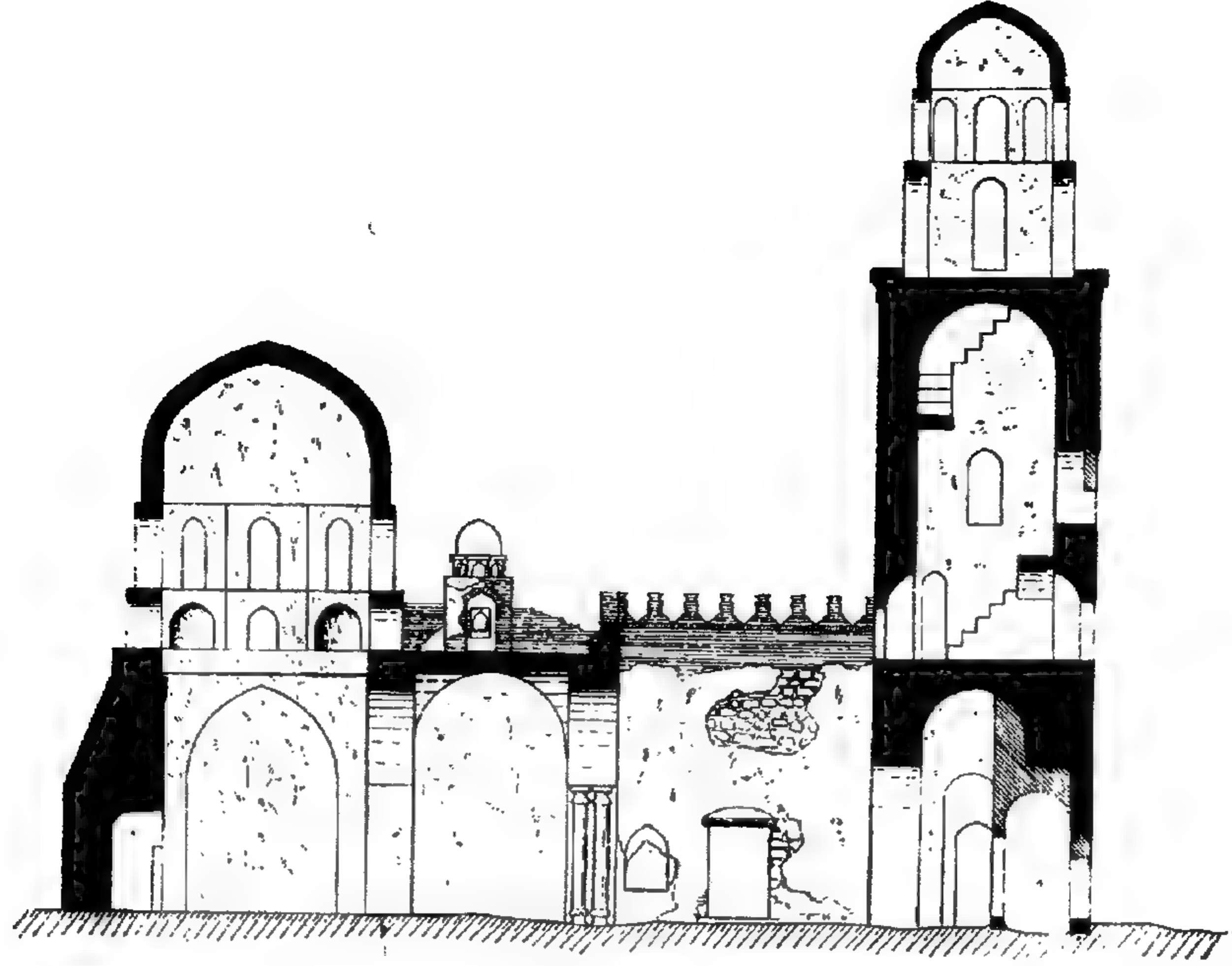
(شكل رقم ٧٥) الشلال : المشهد القبلي . (عن : حسن الهواري) .



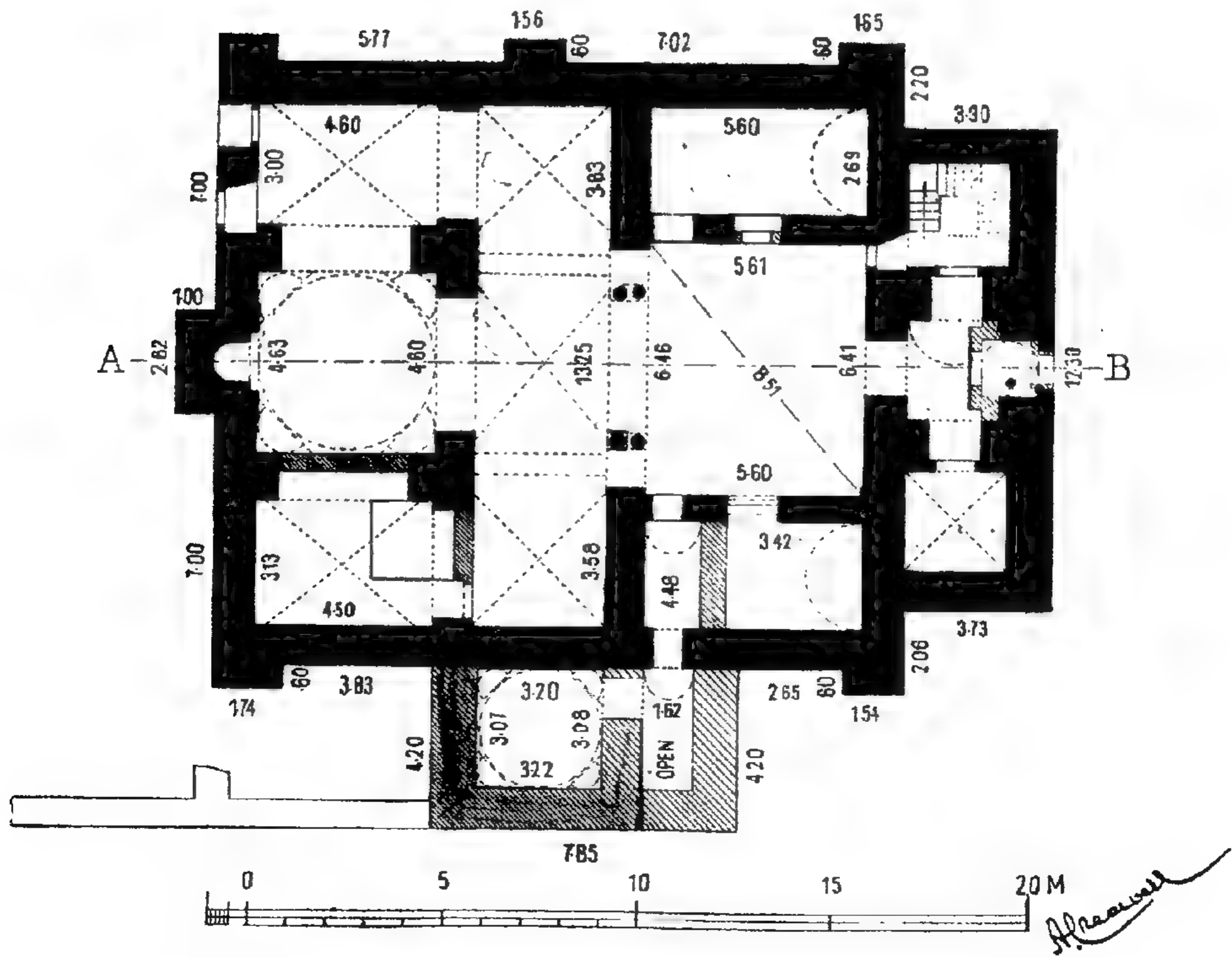
(شكل رقم ٧٦) المشهد القبلي : إعادة بناء لحالته الأصلية
(كرينول) .



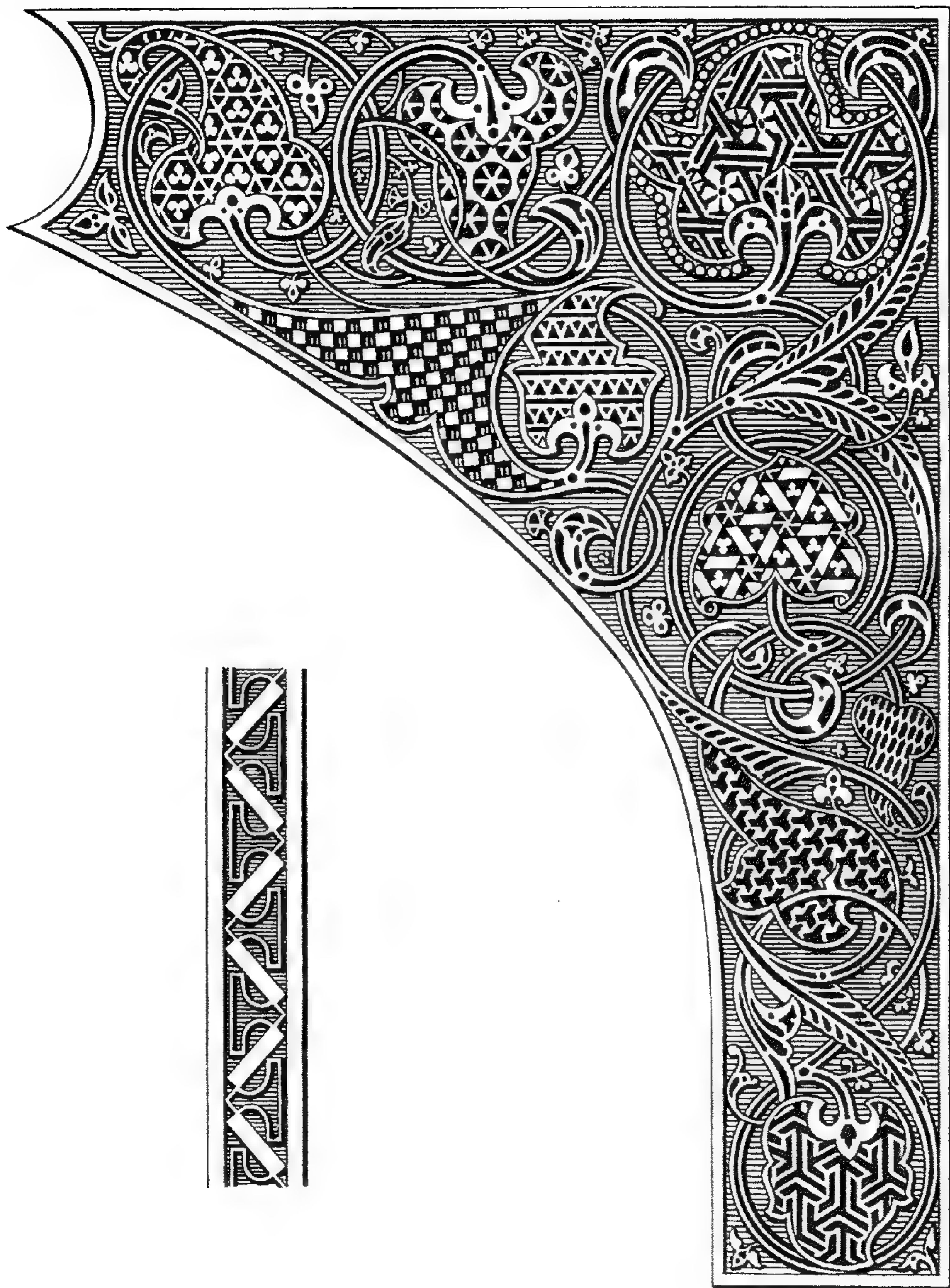
(شكل رقم ٧٧) أسوان : منذنة الطابية واجهة (الجانب الجنوبي)
(رسم فريد شافعي) ومسقط .



Section A-B



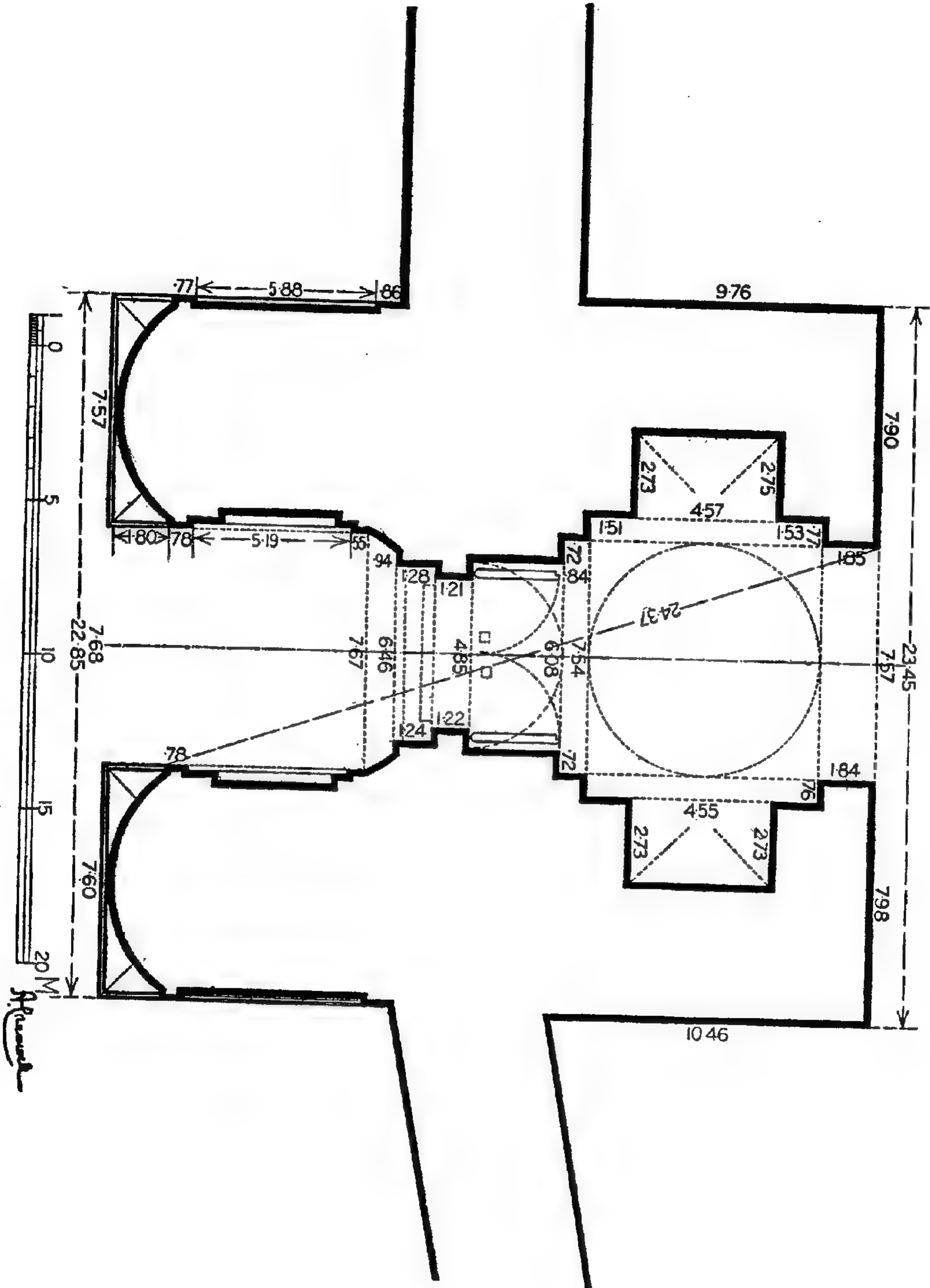
(شكل رقم ٧٩) مسجد (مشهد) الجيوشي : مسقط وقطاع .



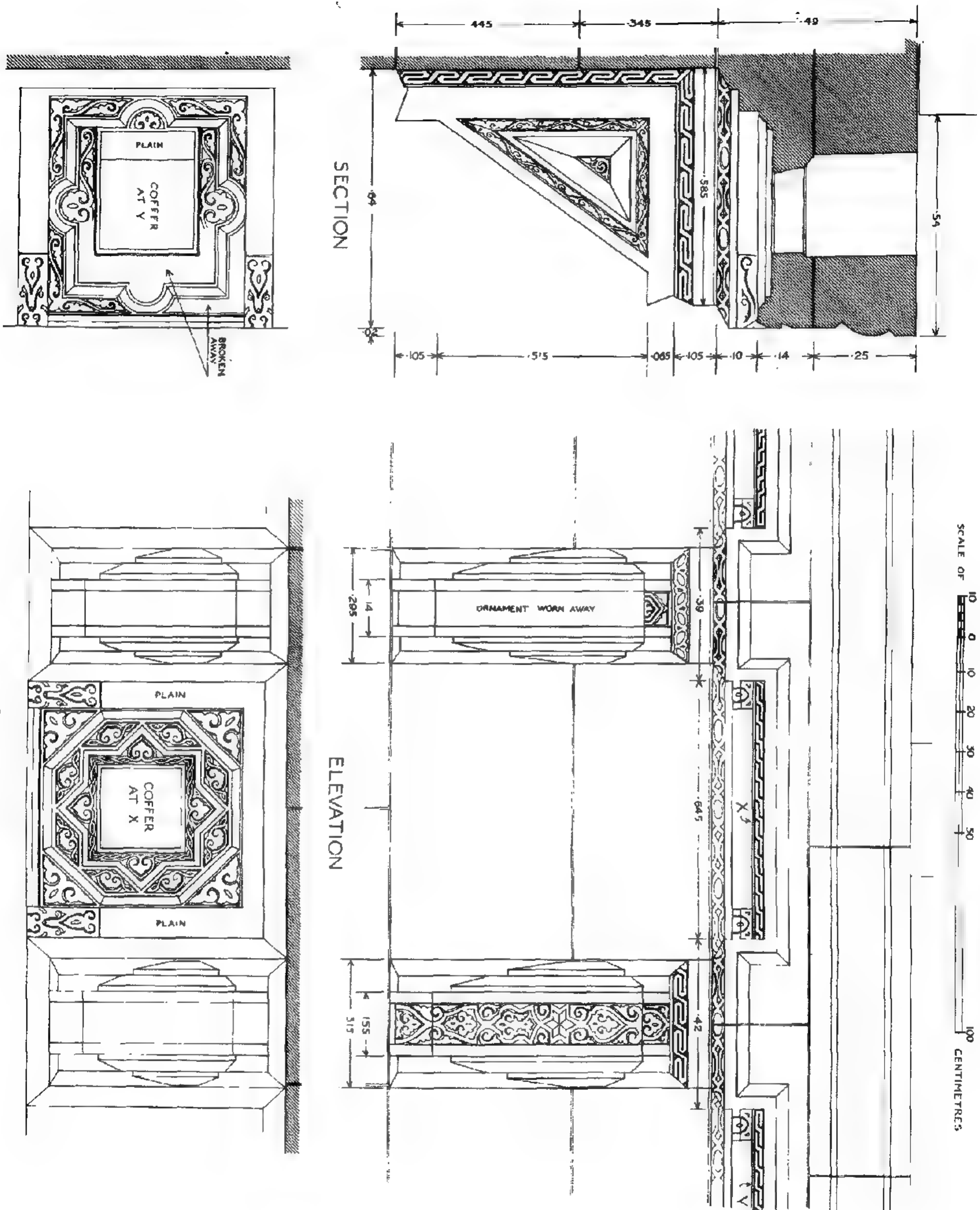
(شكل رقم ٨٠) مسجد الجيوشي ، زخرفة المحراب (الكوشة) .



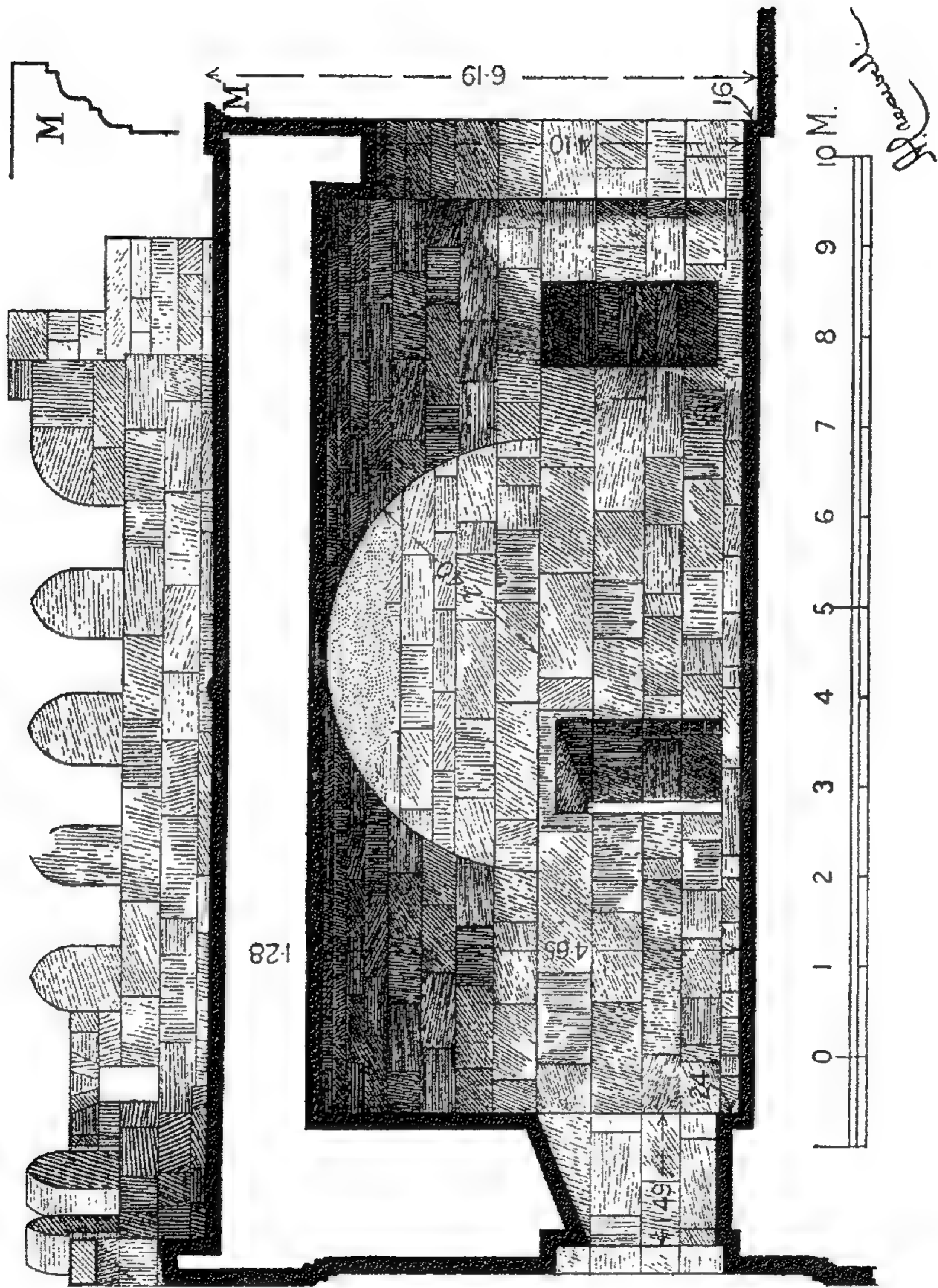
(شكل رقم ٨٢) باب النصر حوالي عام ١٧٩٩م (مسجد جانبلاط إلى اليسار) .
(عن : وصف مصر الدولة الحديثة ، لوحة أ.ت.) .



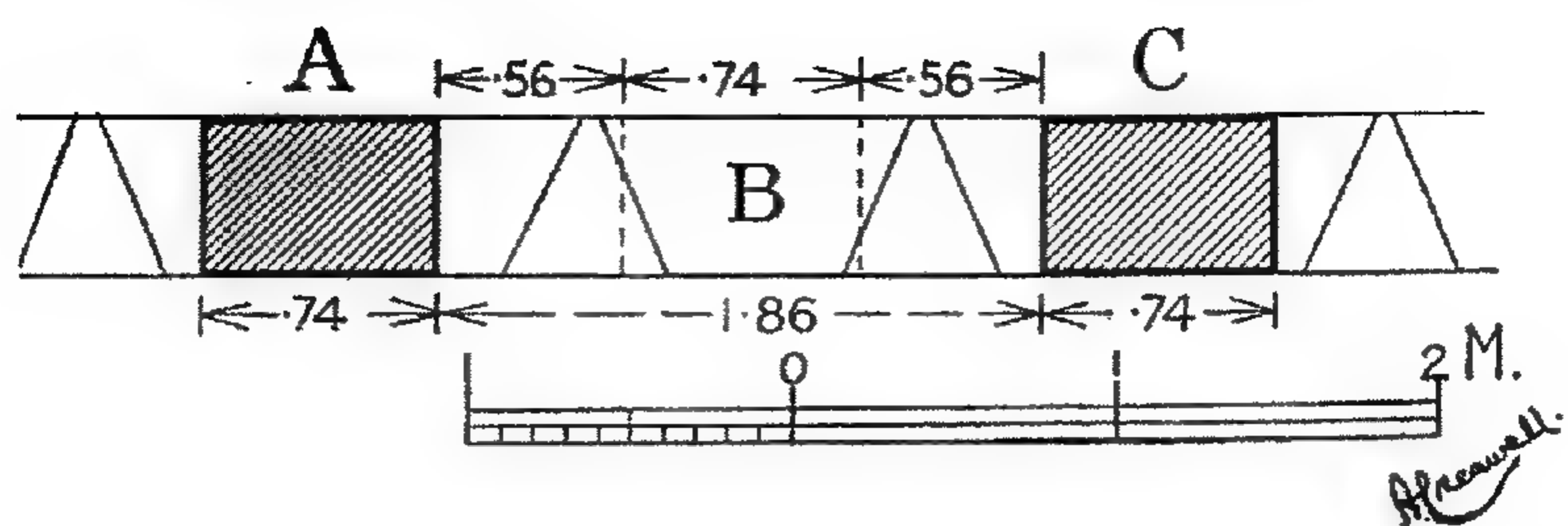
(شكل رقم ٨٤) باب الفتوح : مسقط المستوى الأرضي .



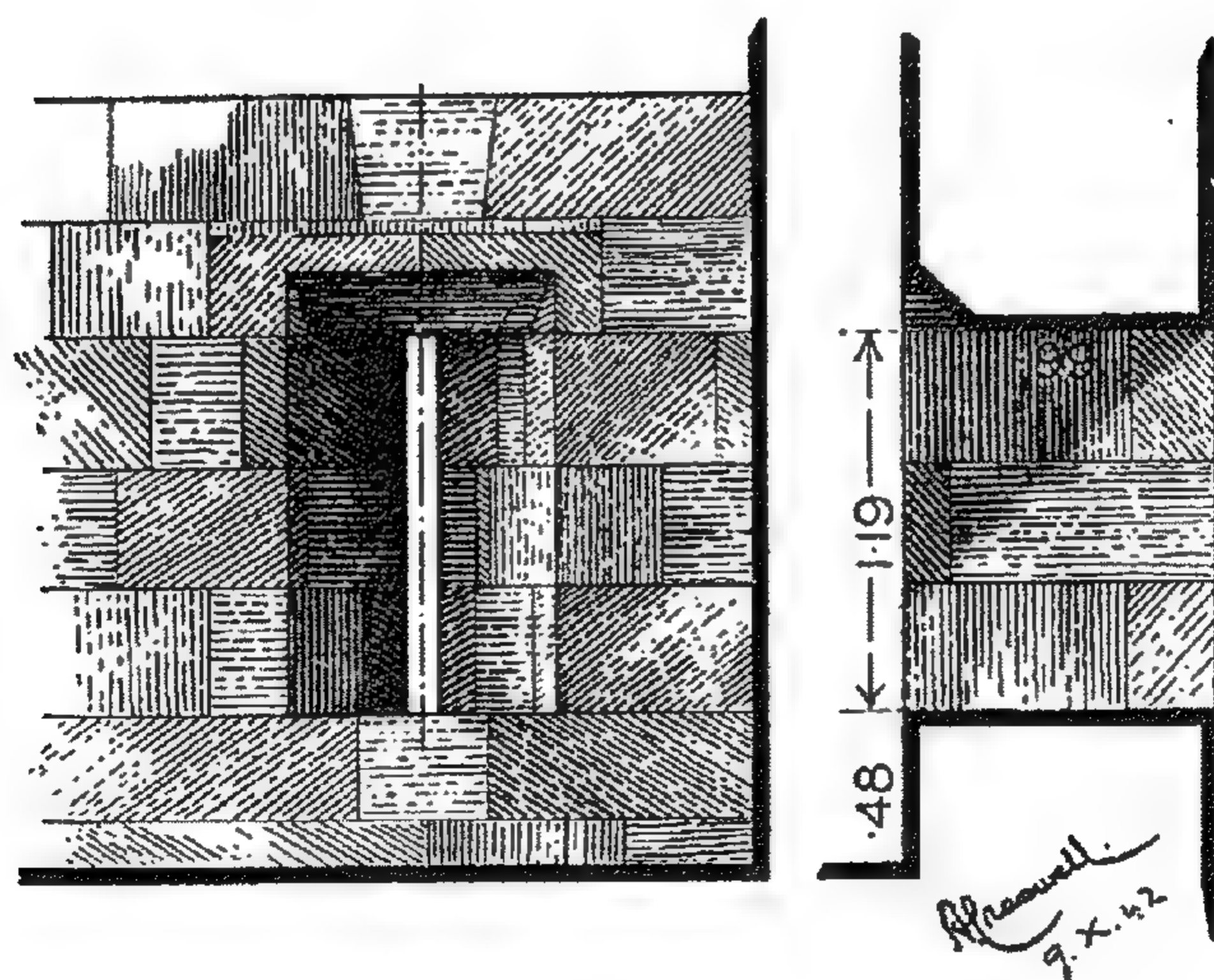
(شكل رقم ٨٥) باب الفتوح : تفصيل للكوابيل (رسم ليون) .



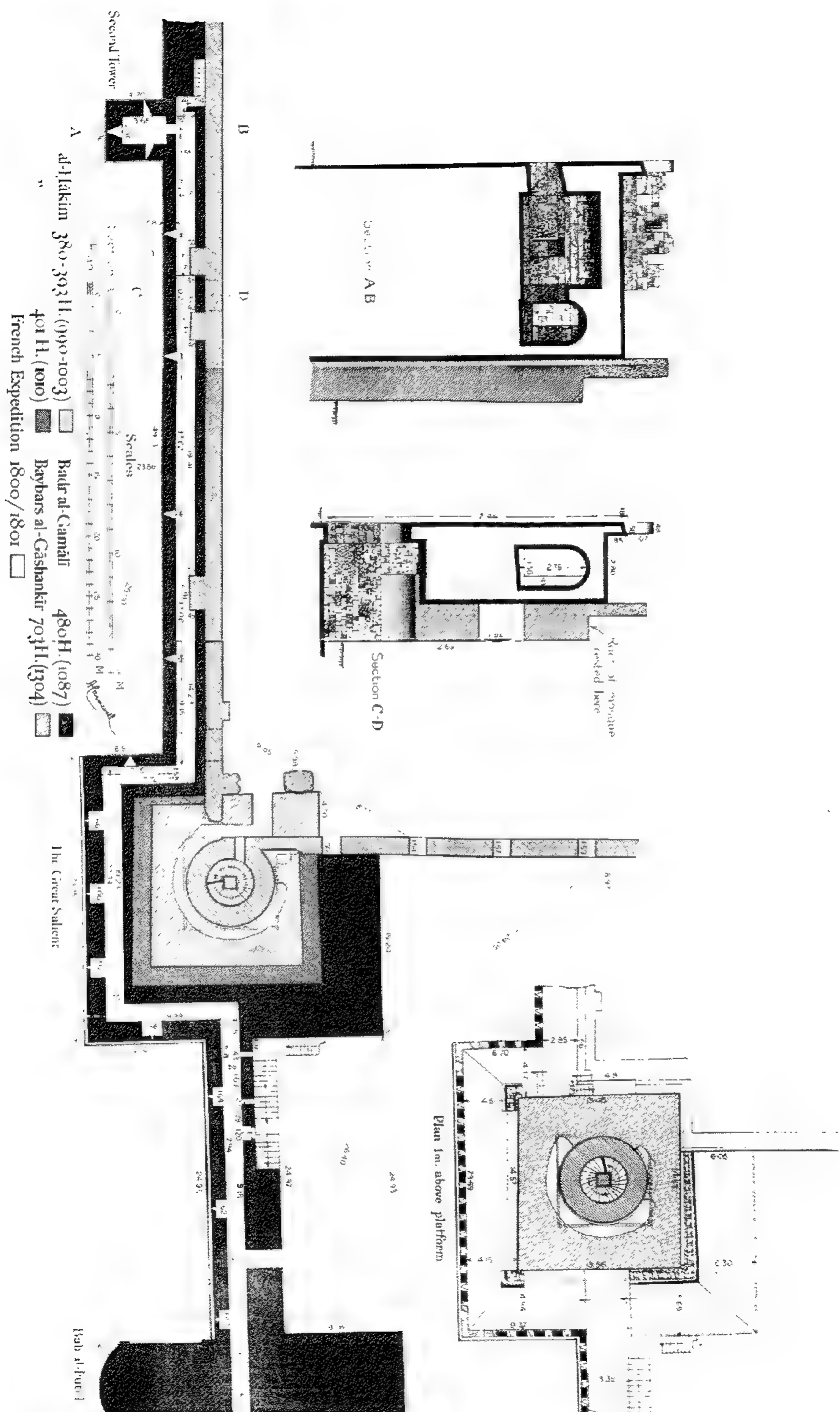
(شكل رقم ٨٧) باب الفتوح : قطاع لحجرة في البرج الشرقي .



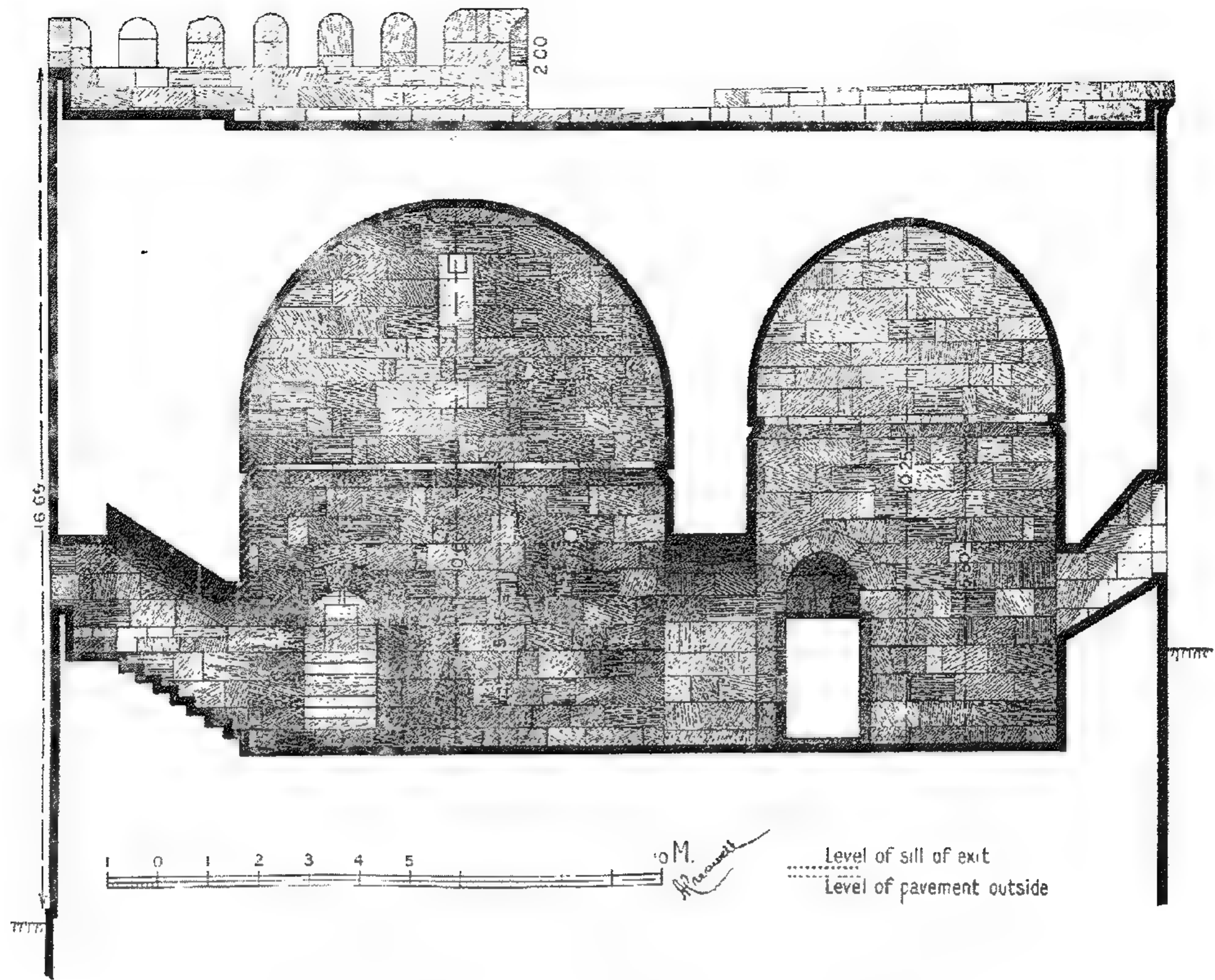
(شكل رقم ٨٩) السور الشمالي : الشرافات ،
ويشاهد موضع الأعتاب المنحدرة .



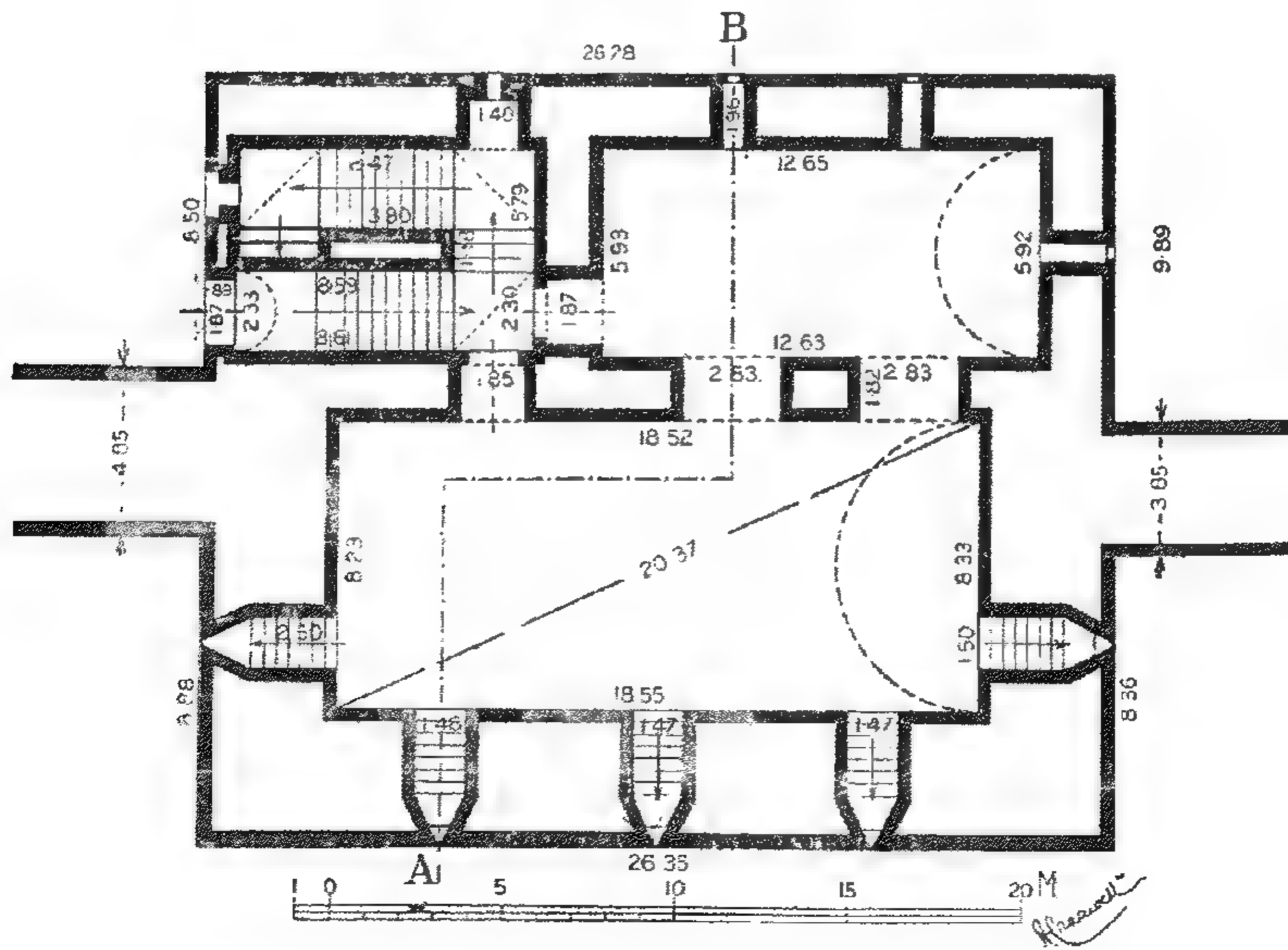
(شكل رقم ٩٠) السور الشمالي مزغل في البرج الأول .



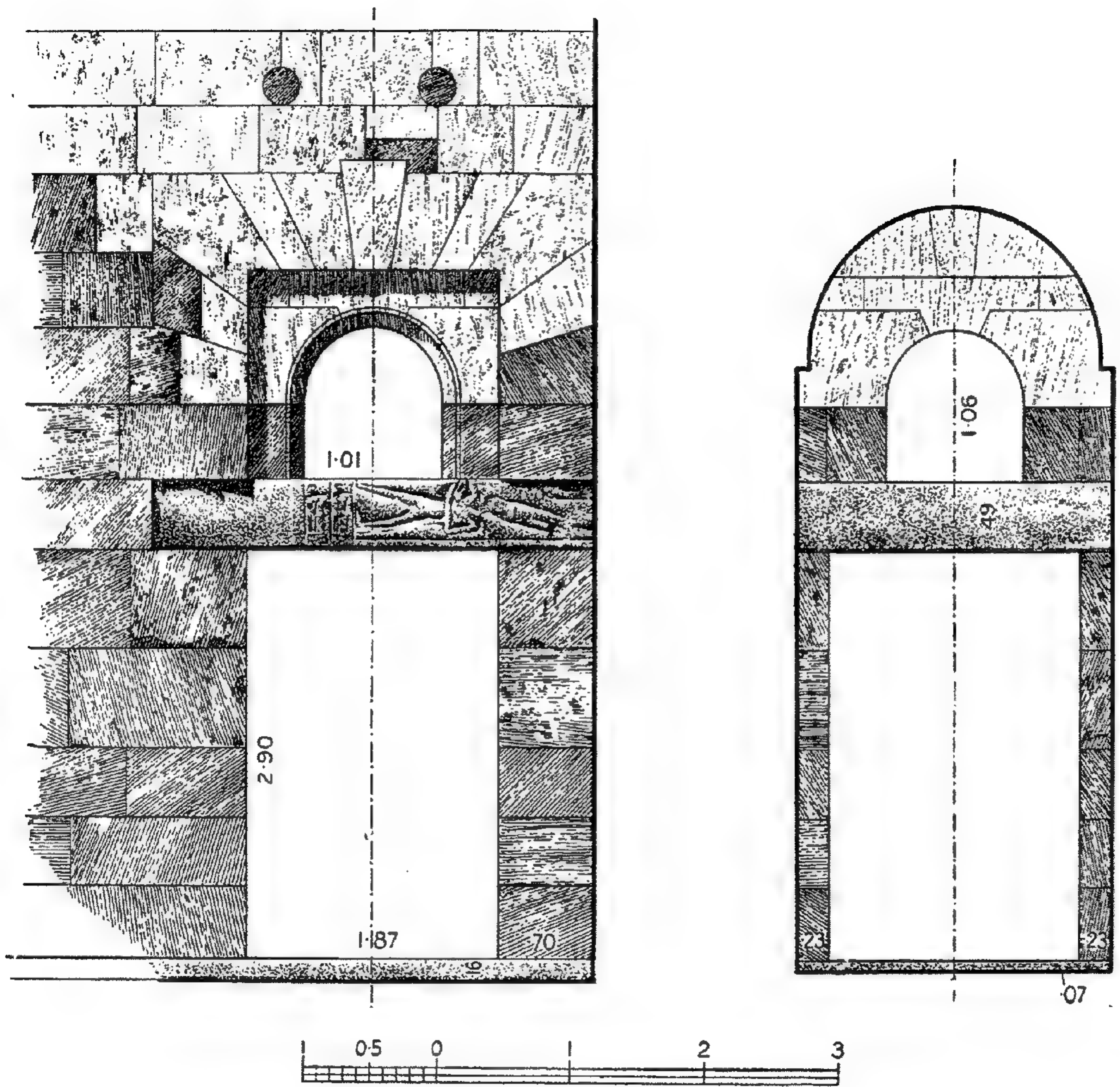
(شكل رقم ٩١) مسقط البرج الثاني، السور والبروز الكبير .



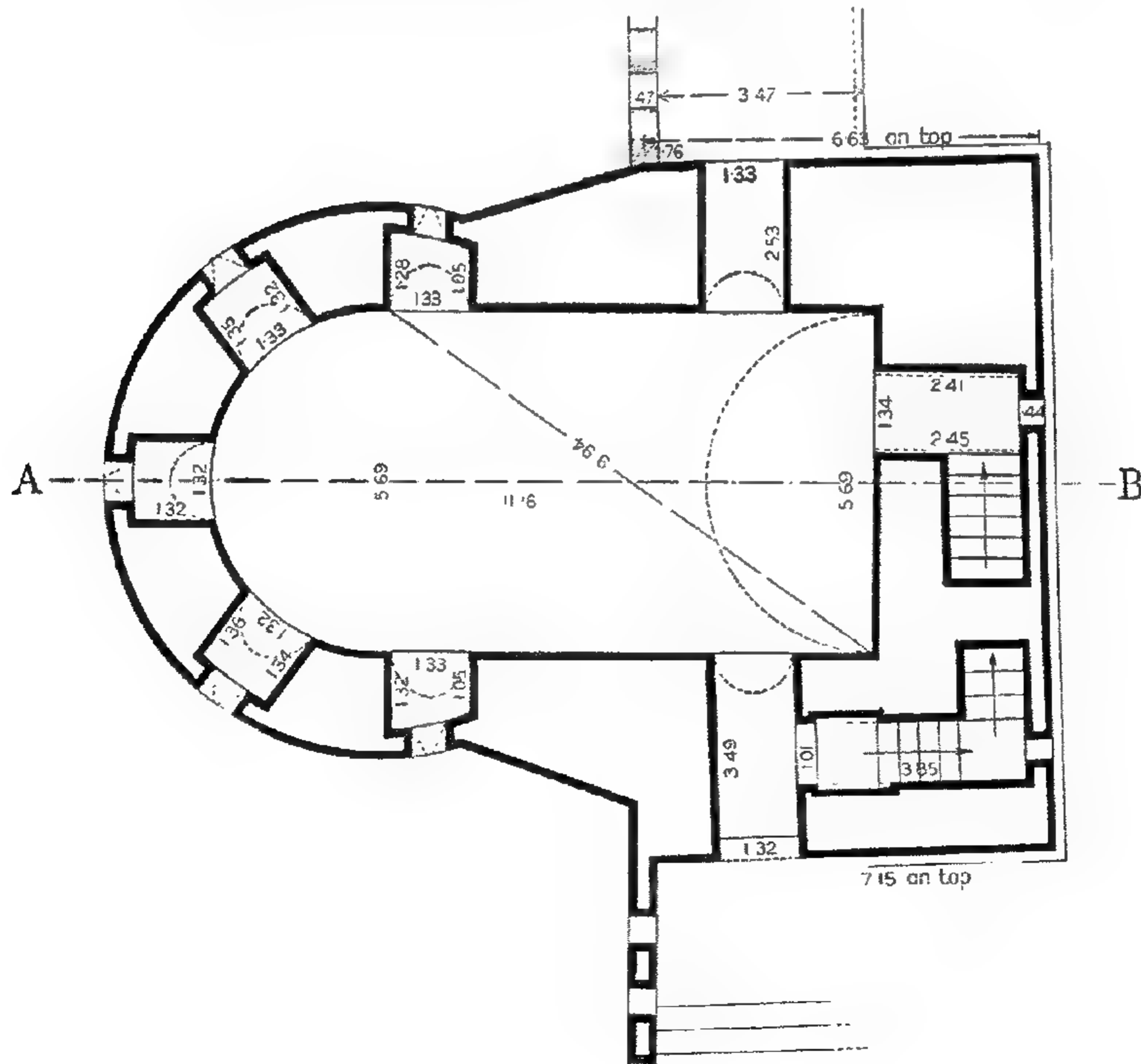
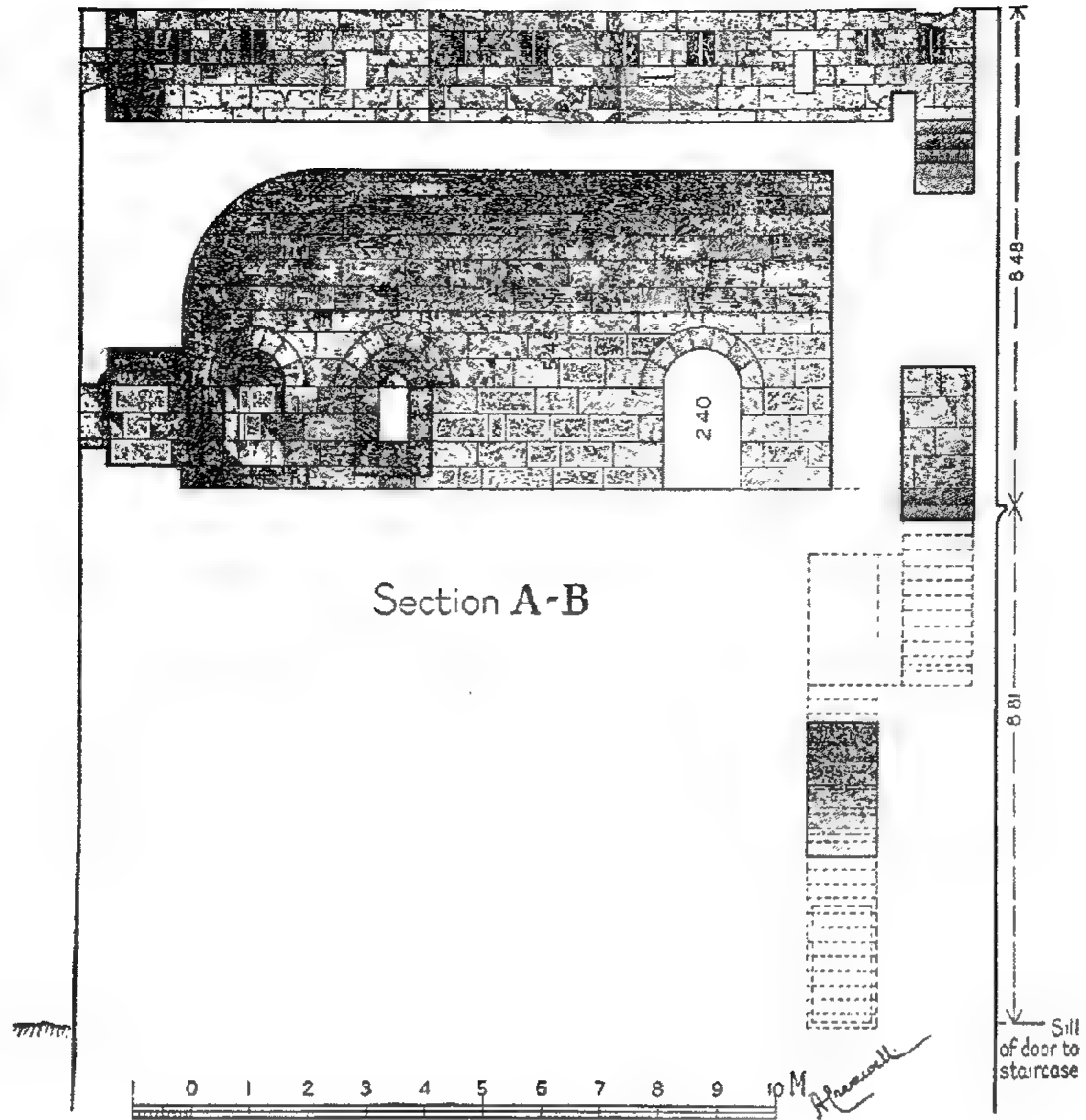
(شكل رقم ٩٢) برج السلم إلى الغرب من باب الفتوح ، قطاع A-B .



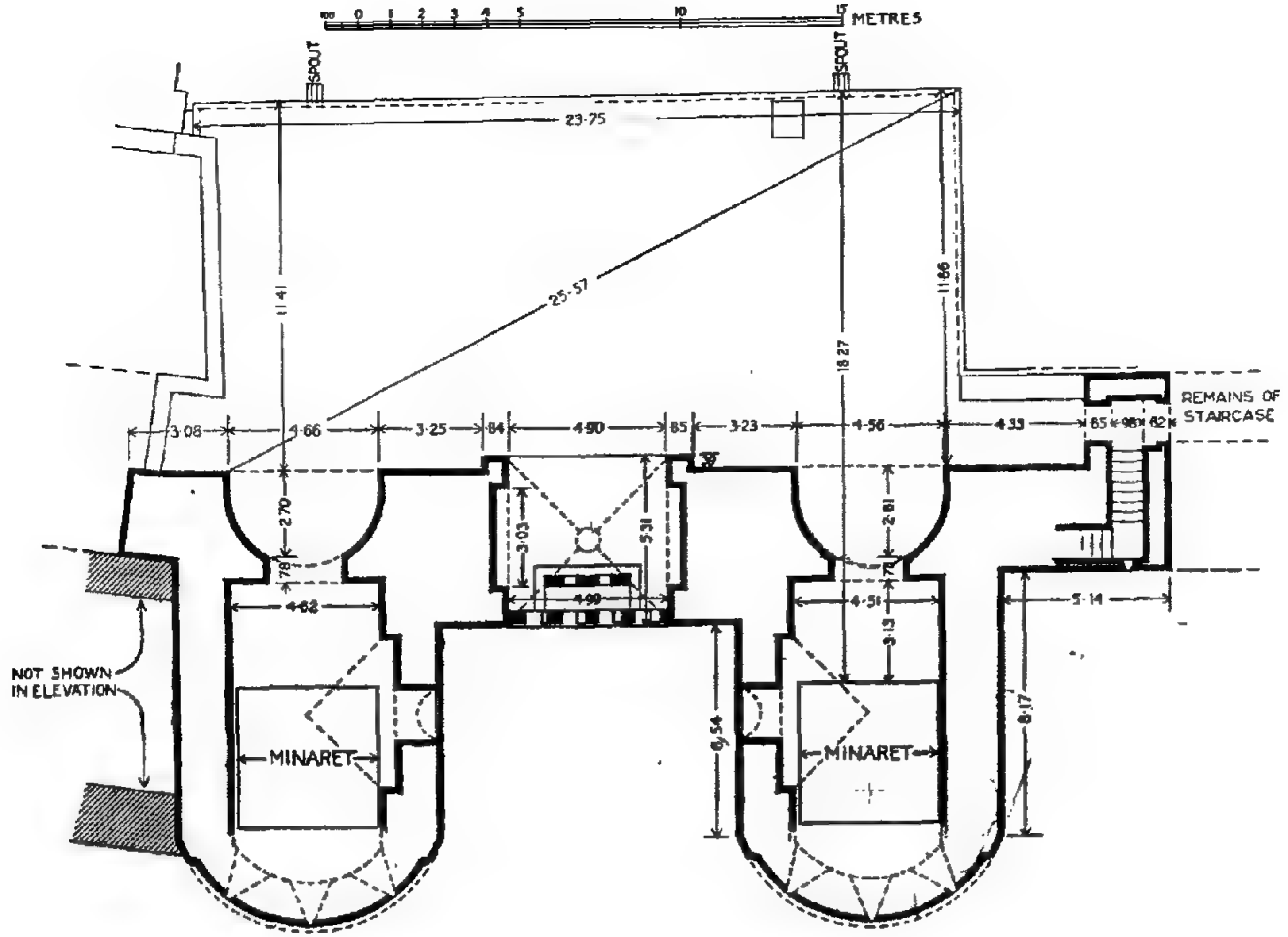
(شكل رقم ٩٣) برج السلم إلى الغرب من باب الفتوح : مسقط .



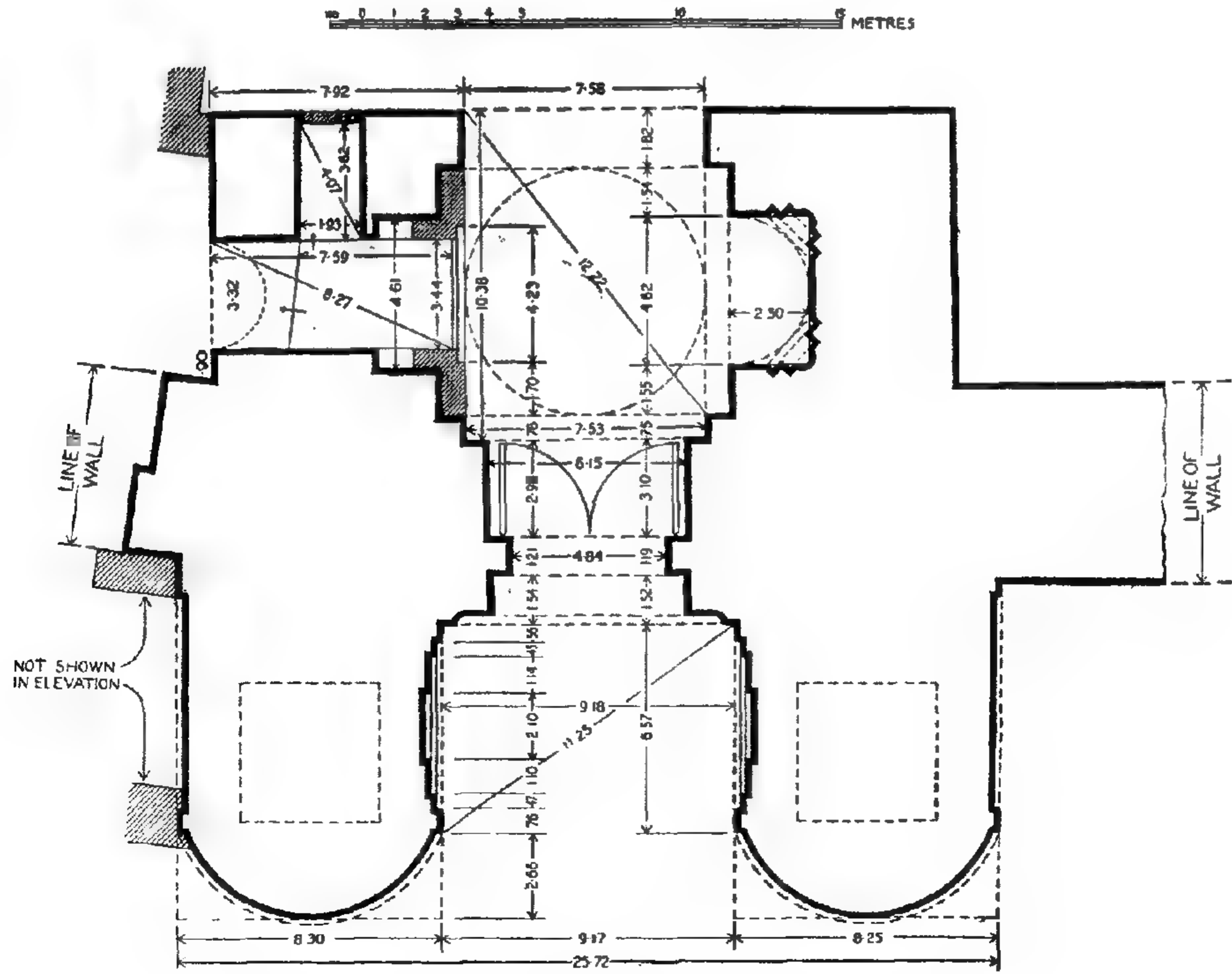
(شكل رقم ٩٤) برج السلم : المدخل . بعد الترميم .



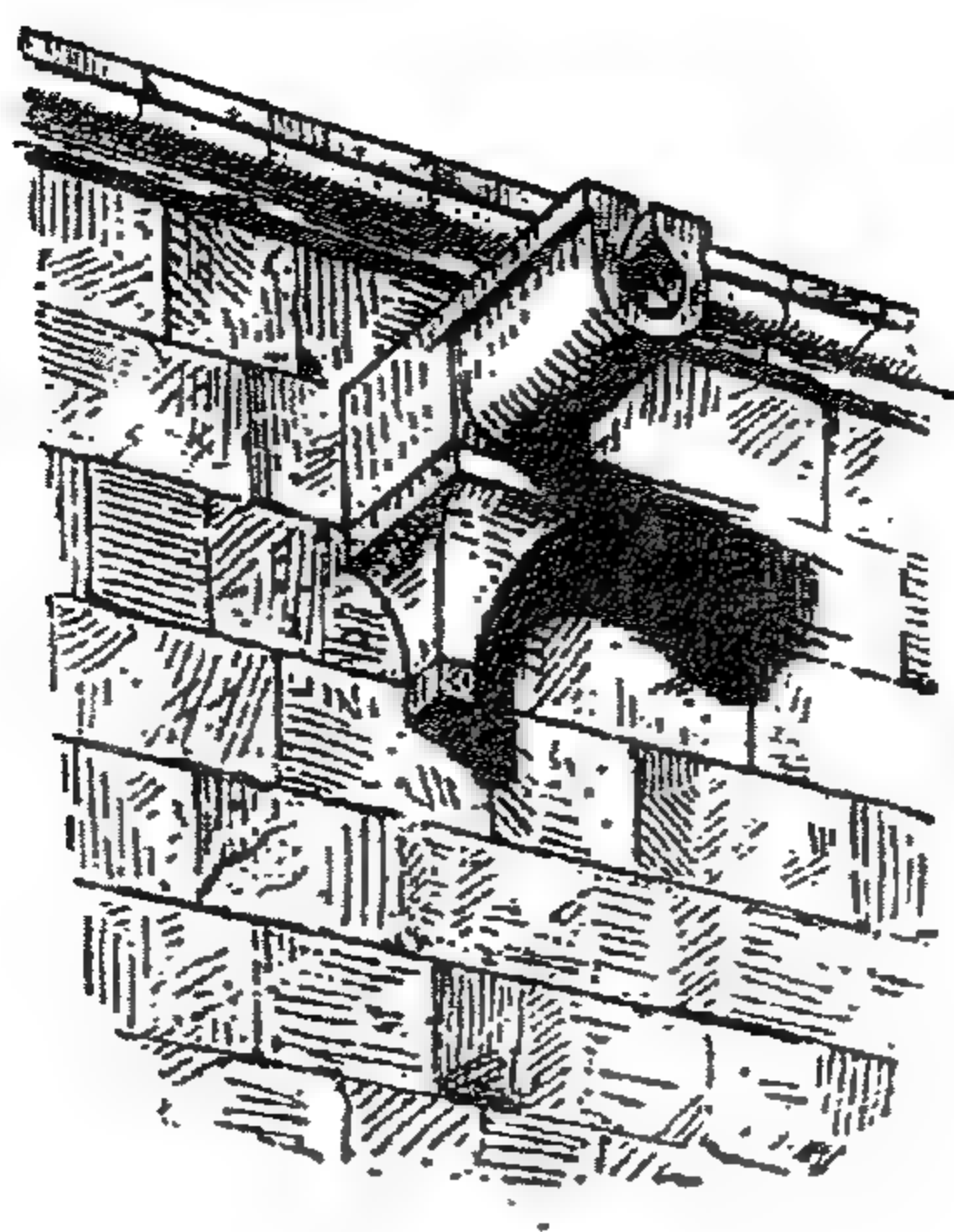
(شكل رقم ٩٥) البرج ذو الواجهة المستديرة : قطاع ومسقط .



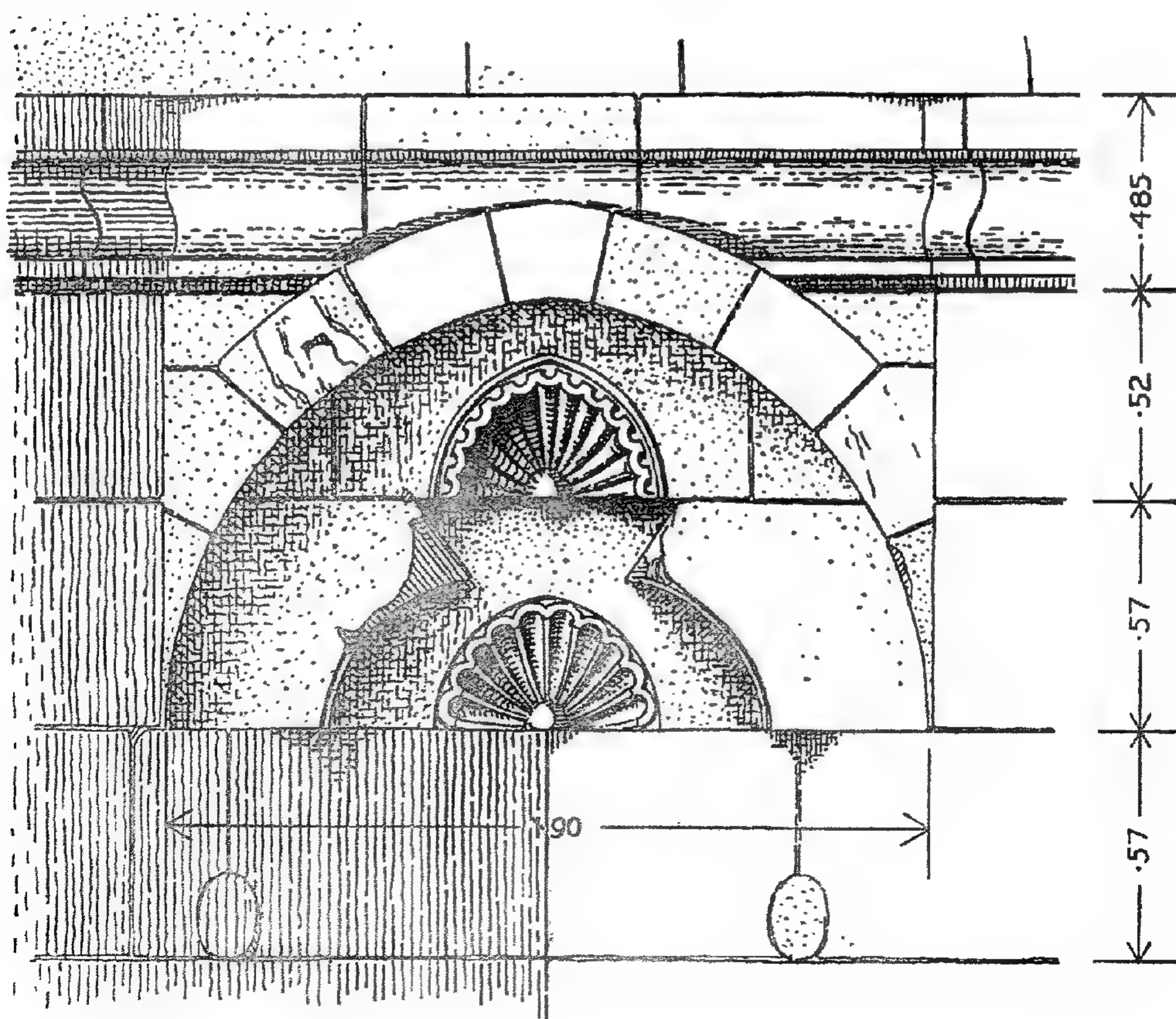
(شكل رقم ٩٦) باب زويلة : مسقط الطابق العلوي (رسم مورياك ليون) .



(شكل رقم ٩٧) باب زويلة : مسقط (رسم مورياك ليون) .



(شكل رقم ٩٨) باب زويلة : مزارب (عن فرانتز : فن الإسلام) .



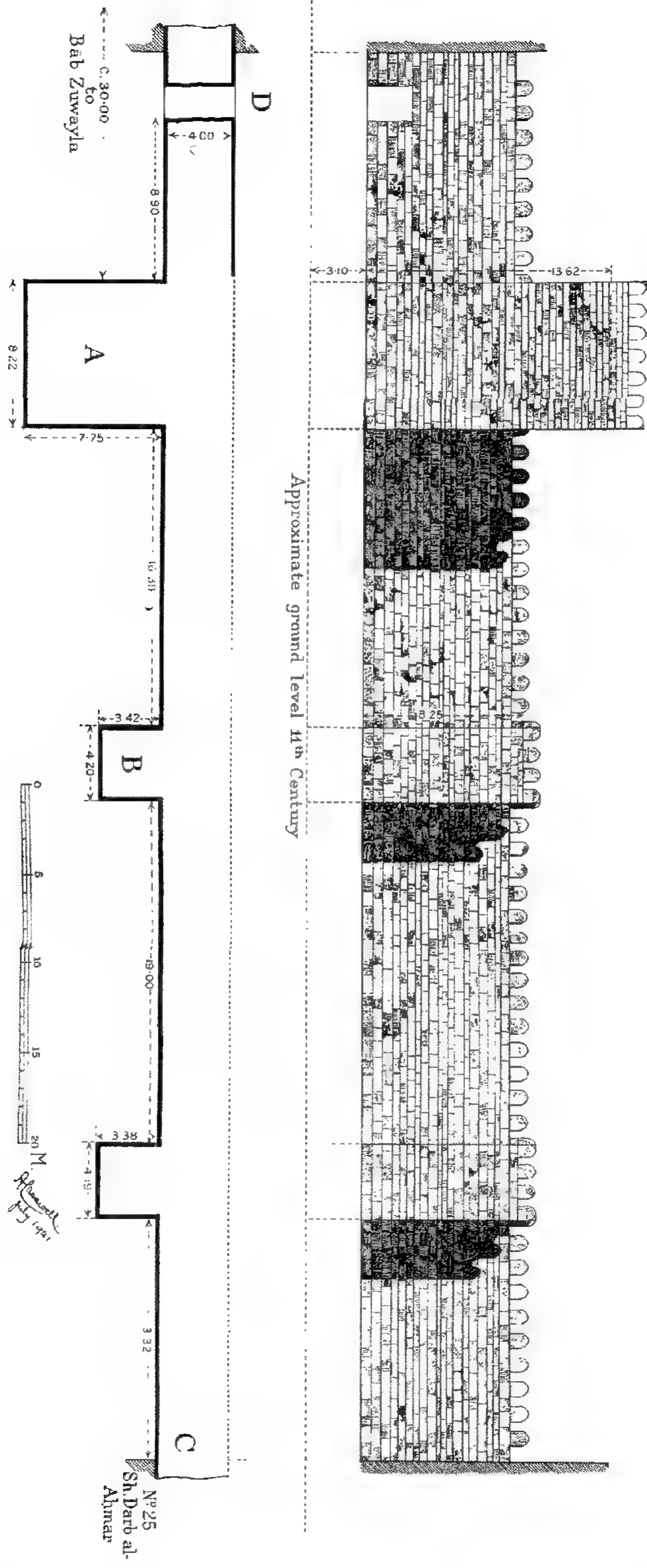
(شكل رقم ٩٩) باب زويلة : حنية ركنية (رسم مورياك ليون) .



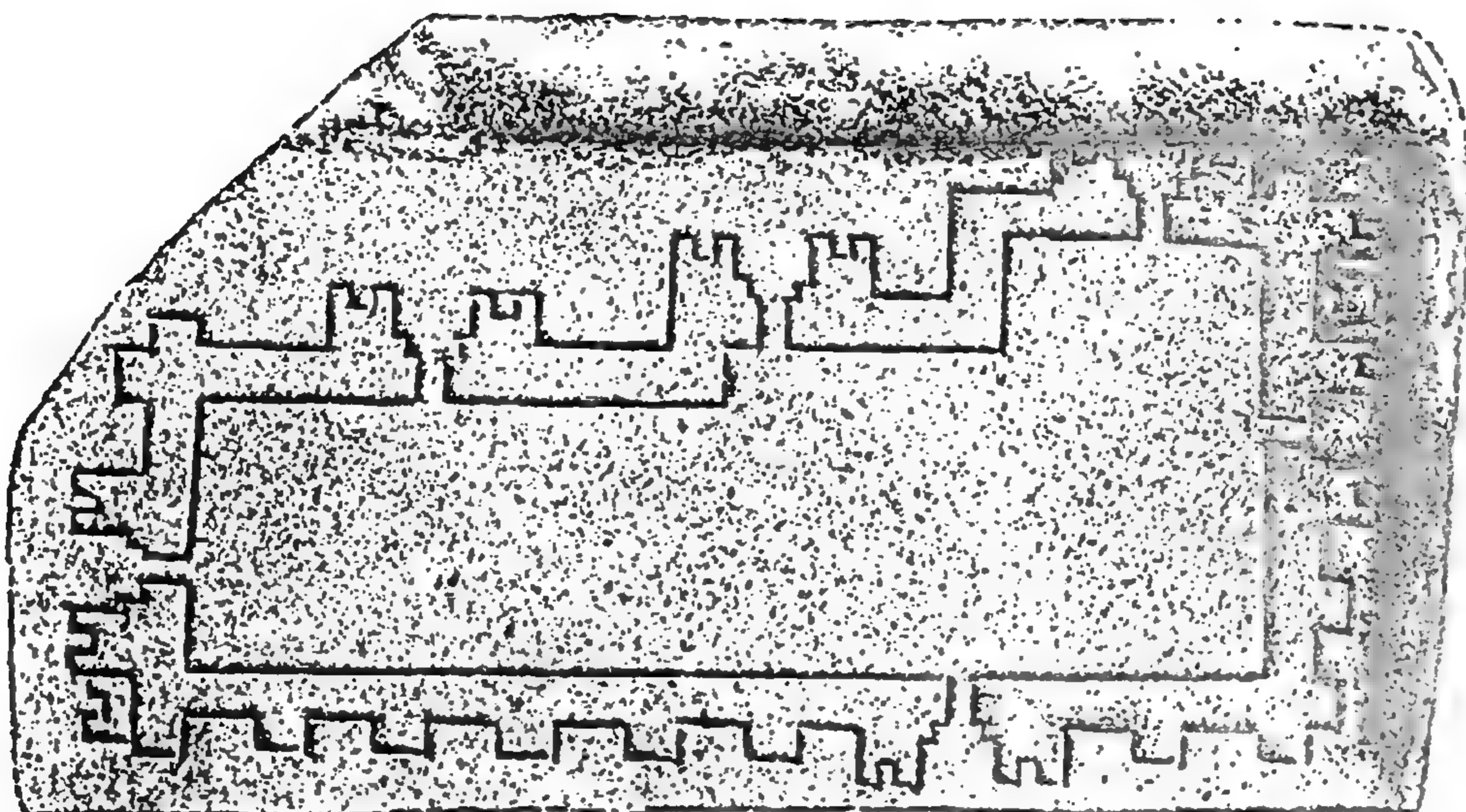
(شكل رقم ١٠٠) ديار بكر : الجامع . رأس الثور .



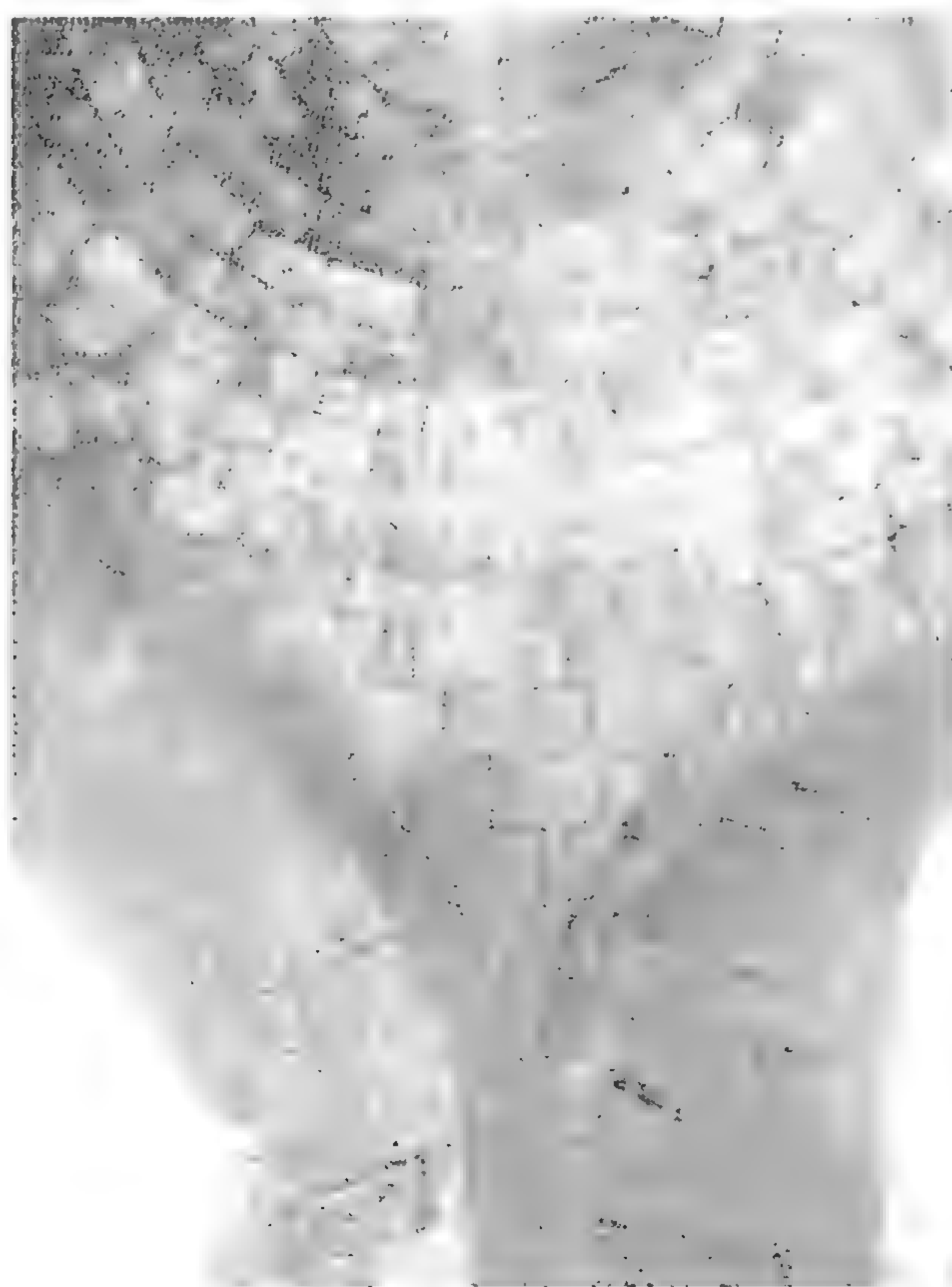
(شكل رقم ١٠١) طبق فضي ساساني . (عن : جرتروود بل : قصر ومسجد الأخيضر) .



(شكل رقم ١٠٢) السور، الجزء الذي لا يزال باقيا إلى الشرق من باب زويلة .



(شكل رقم ١٠٣) لجش : مسقط الأكروبول (عن : ديولافوى ، اكروبول سوسه) .



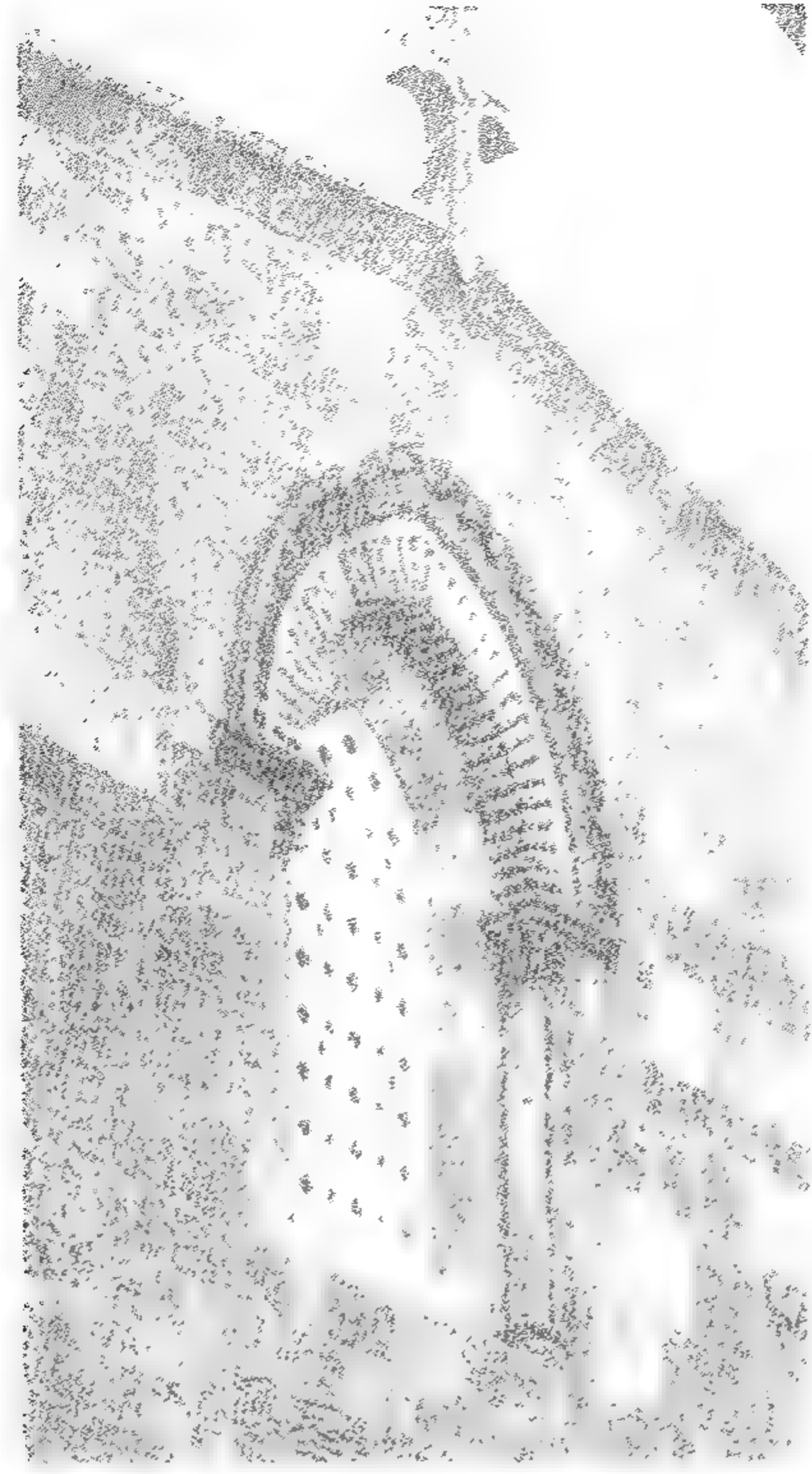
(شكل رقم ١٠٤) جرش : مثلث كروي في حمام



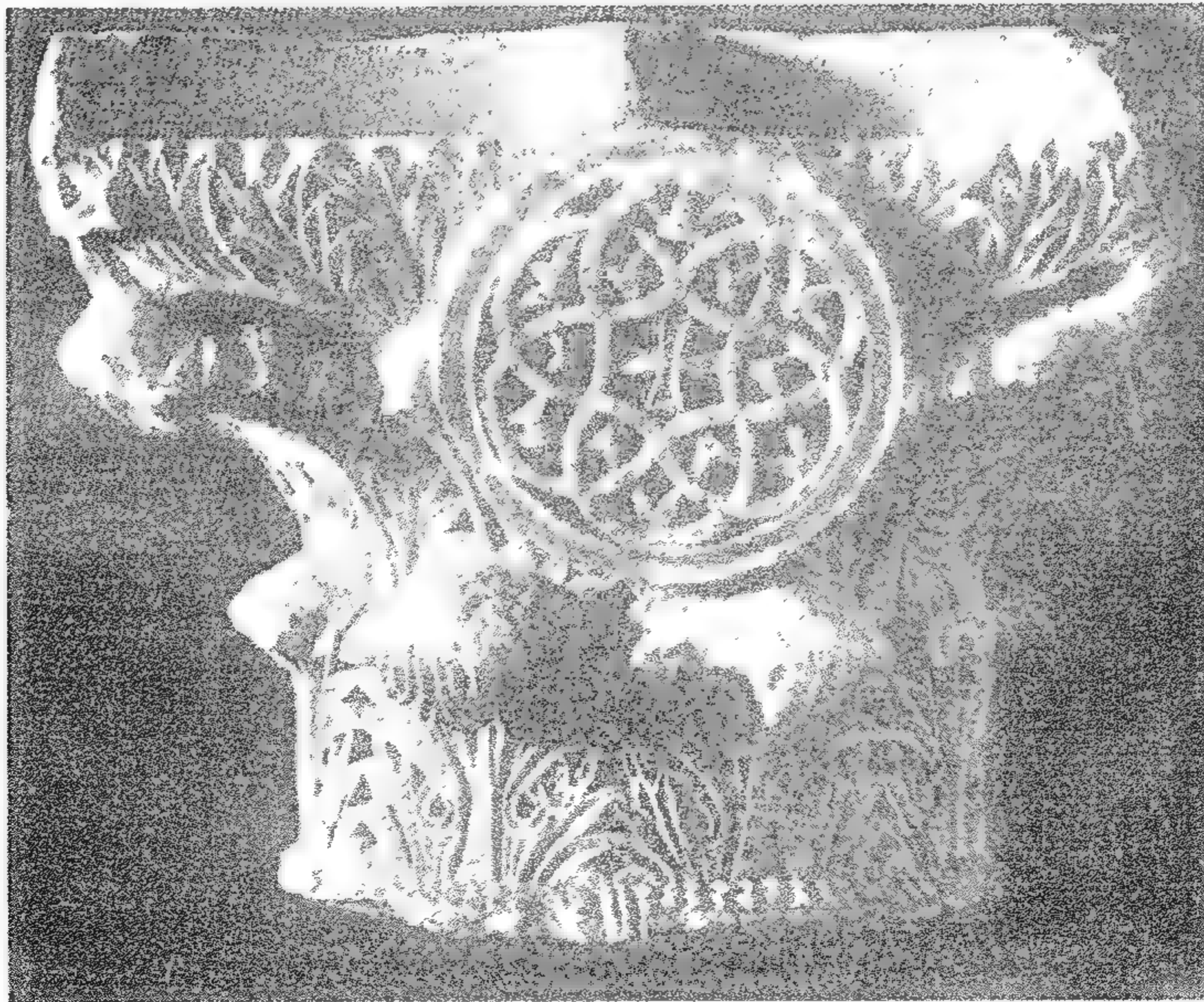
(شكل رقم ١٠٥) كينشواروس ، مثلثات كروية (عن : ستروجوفسكى) .



(شكل رقم ١٠٦) قيسارية : مرفأ ذو اعمدة وضعت كإريطة (ميد) .



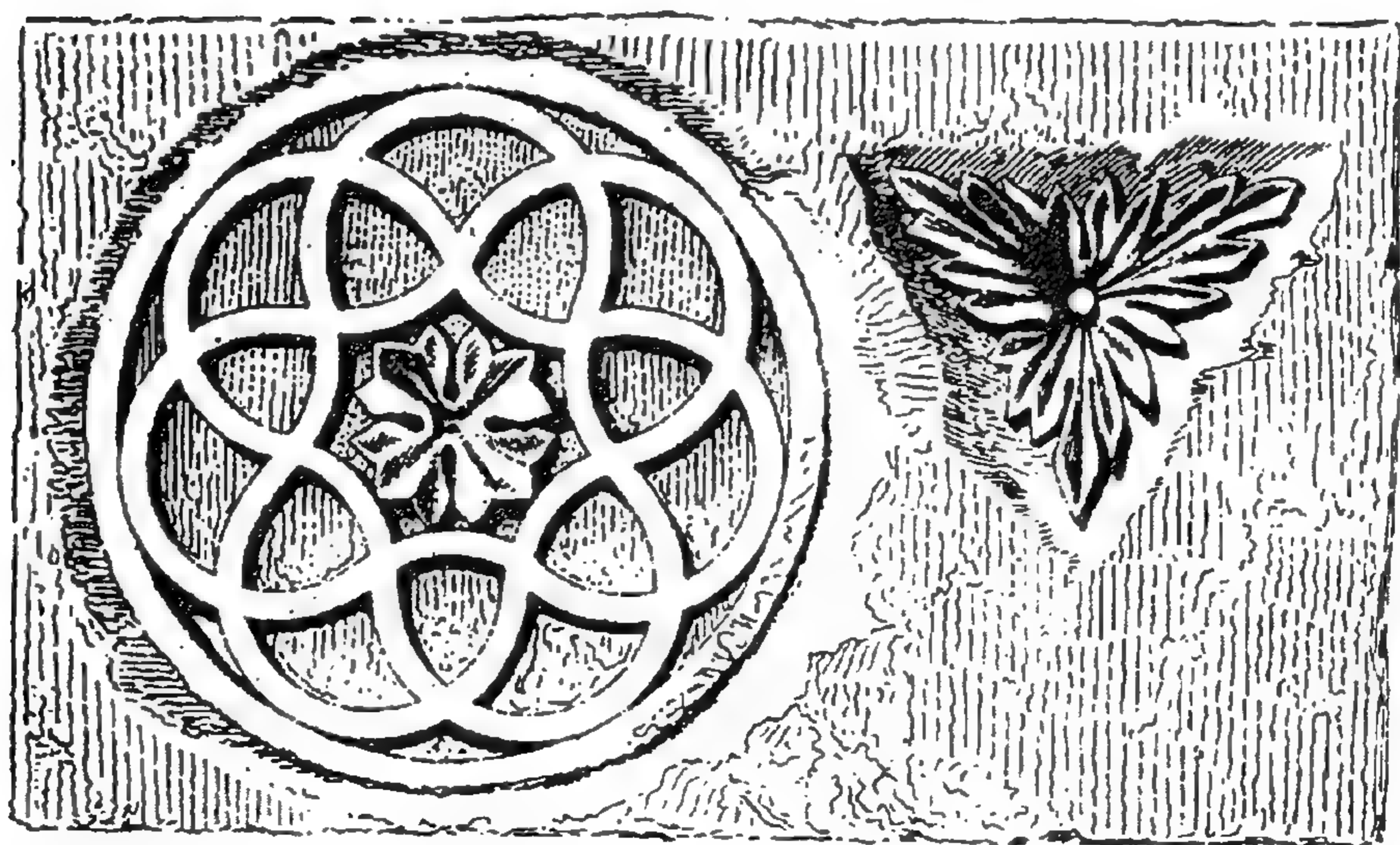
(شكل رقم ١٠٧) القدس : كنيسة القديسة آن . عقد ذو وسائد أو مخدات متلاصقة



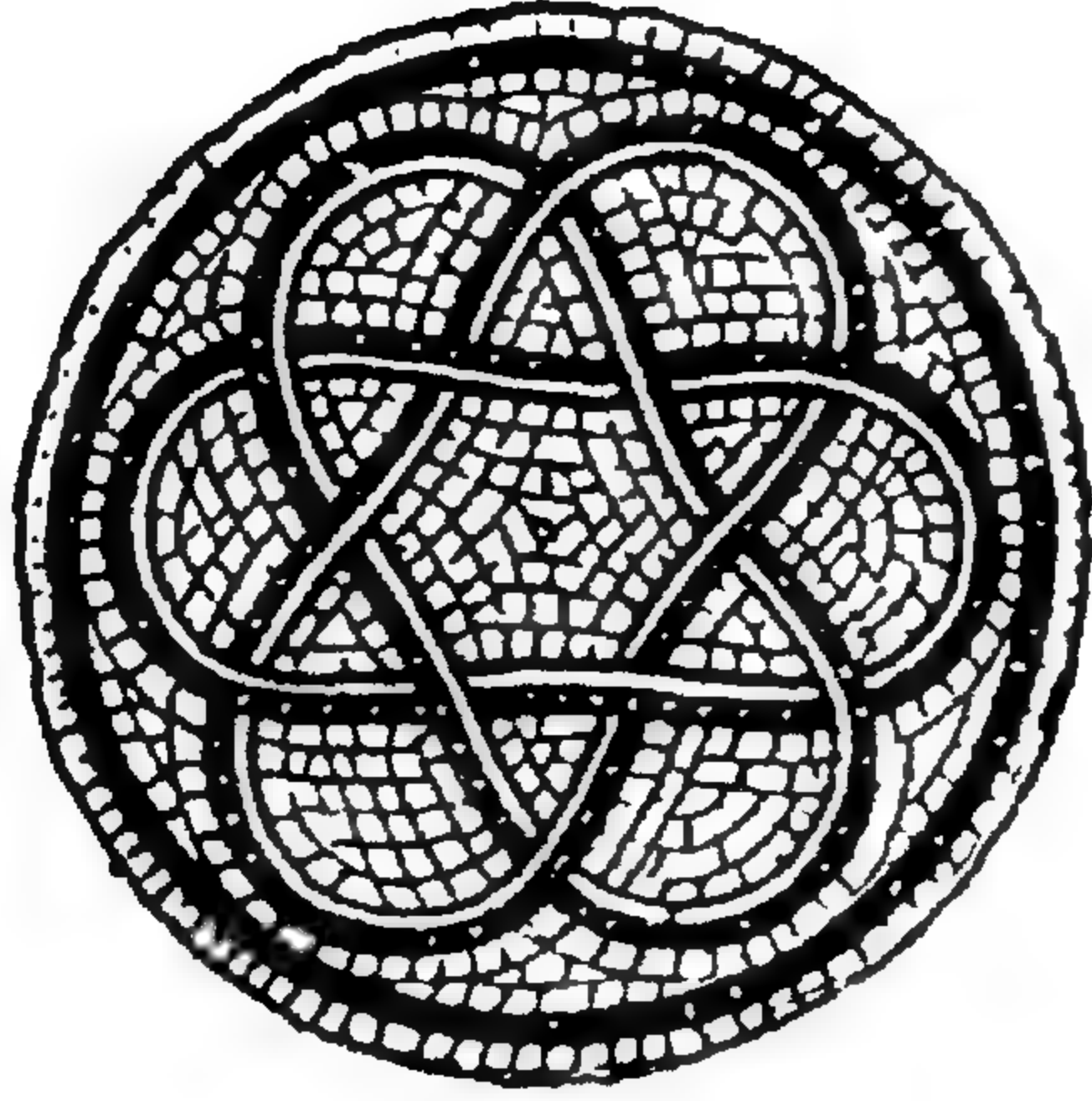
(شكل رقم ١٠٨) سلمية : تاج عمود . (عن : Belgian Expedition) .



(شكل رقم ١٠٩) Mukhmas ، فسيفساء أرضية .



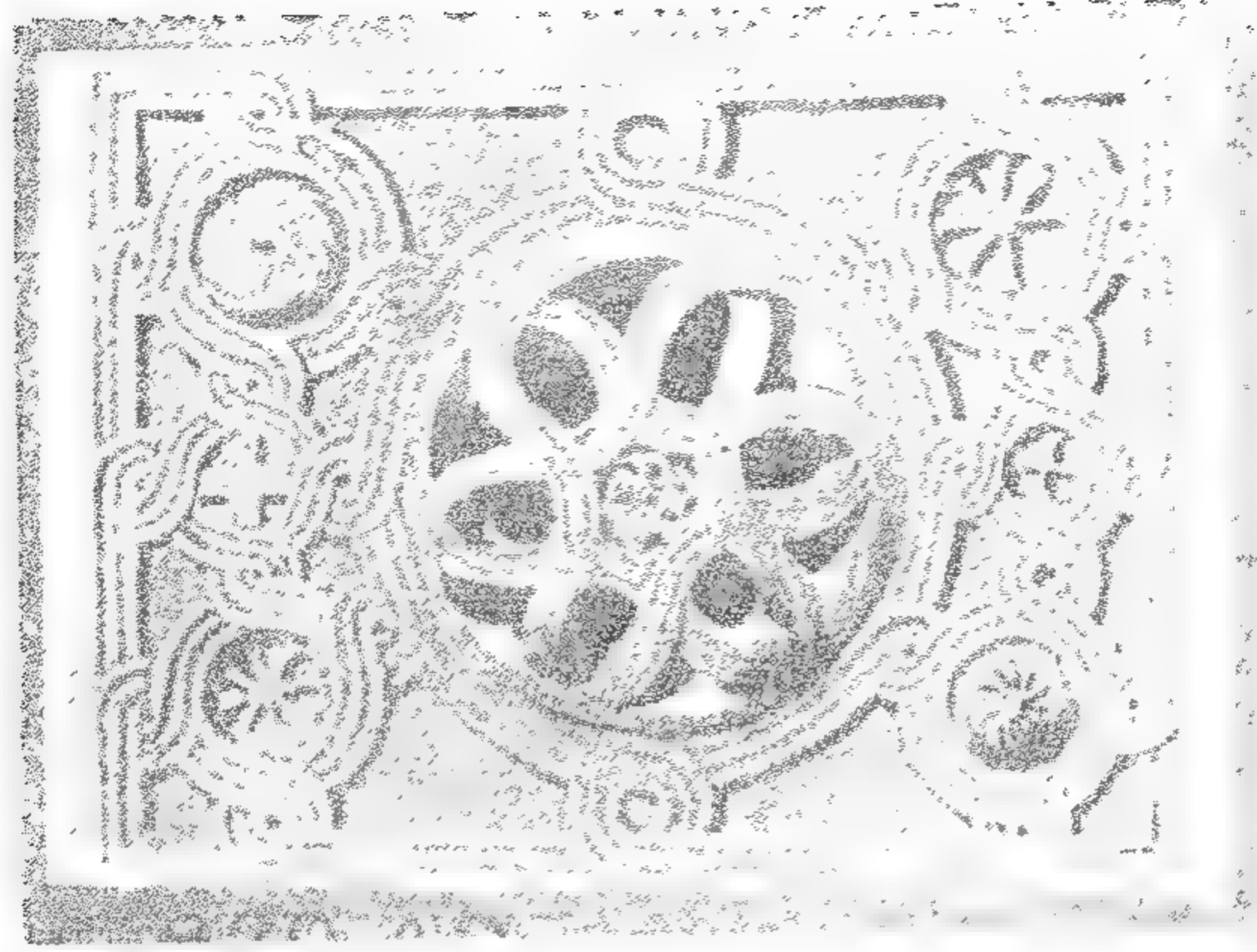
(شكل رقم ١١٠) جامعة (نقش زخرفي) على منزل في BTOURSA (عن ، دى فوكيه ، سوريا الوسطى) .



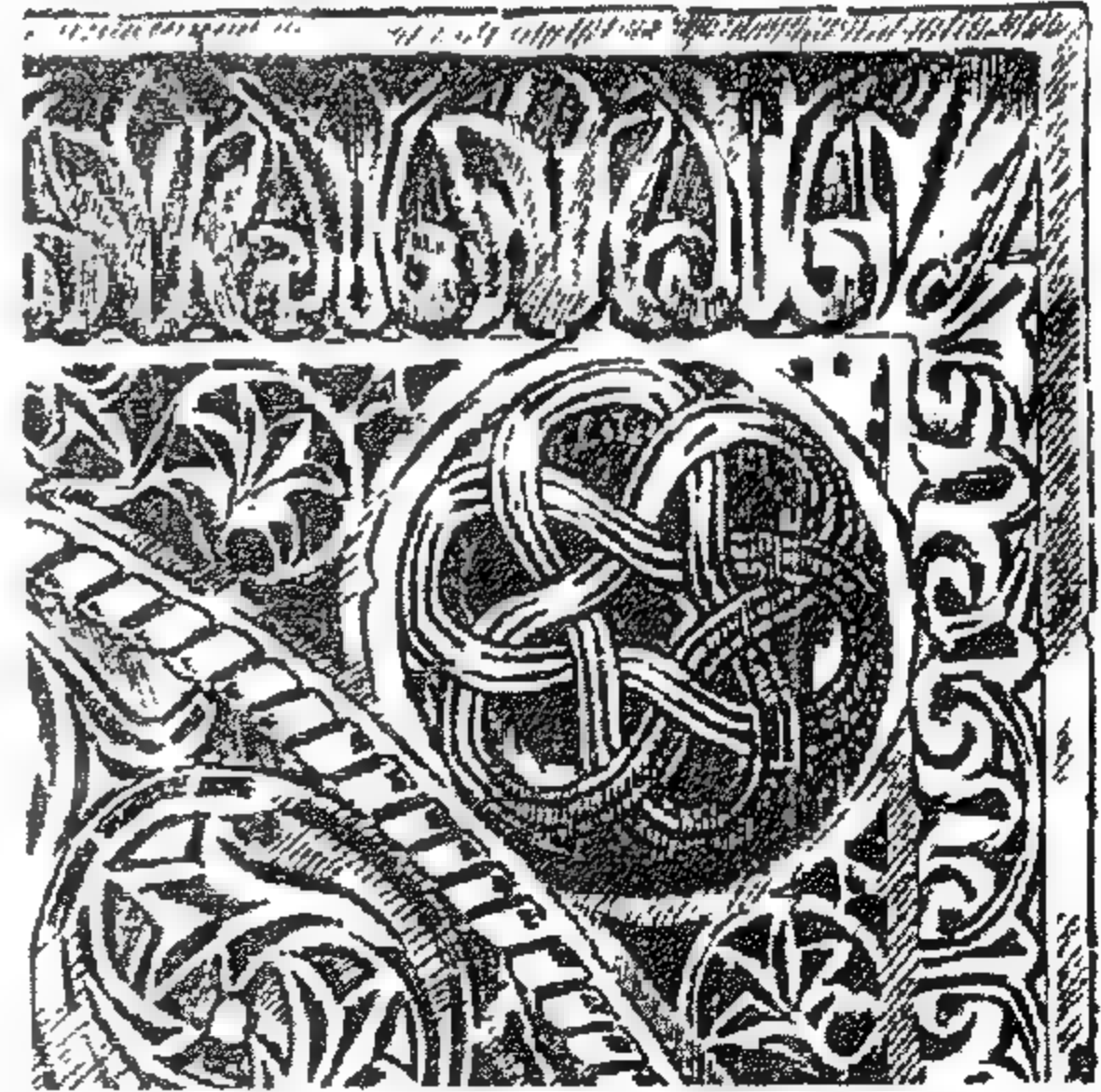
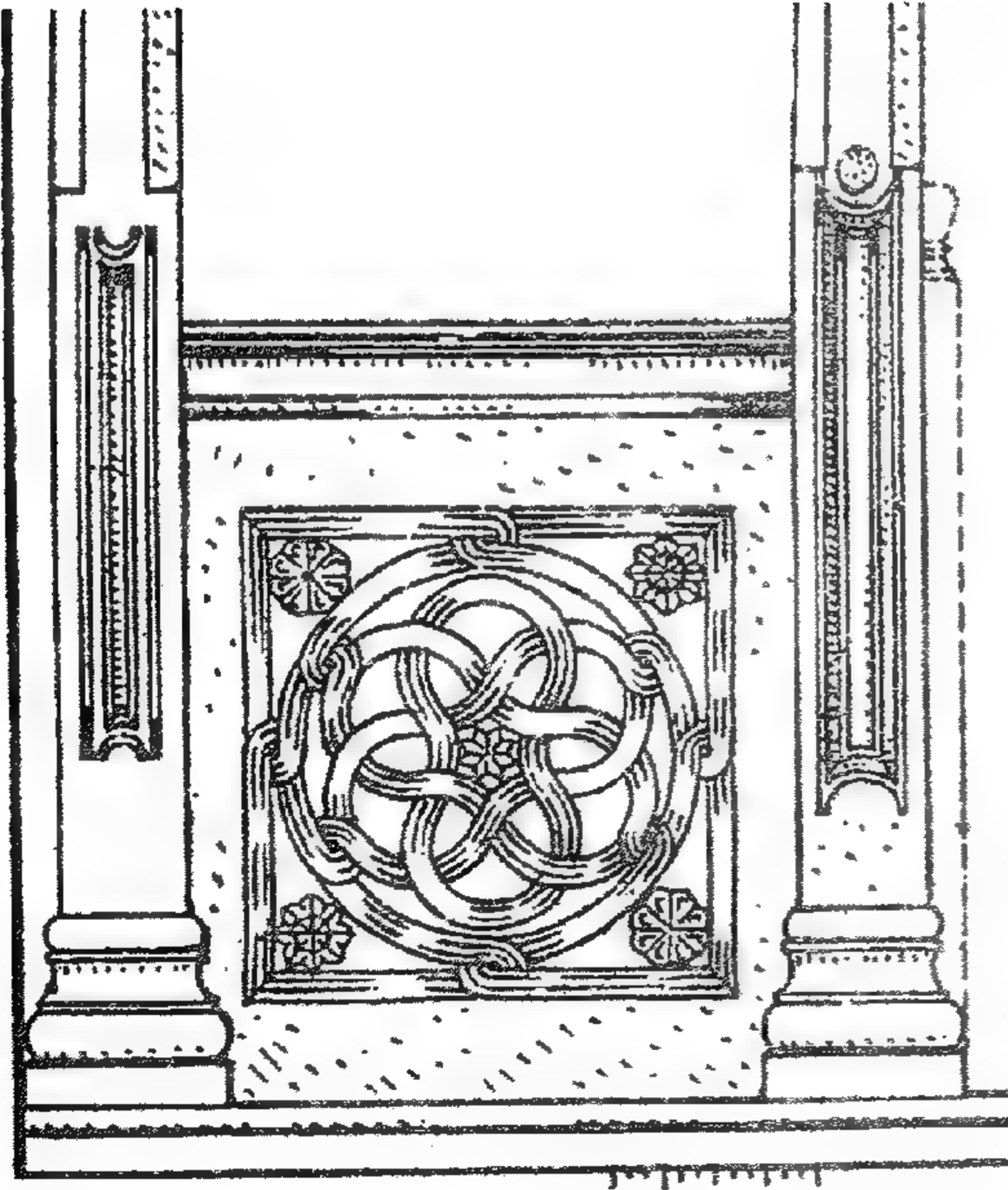
(شكل رقم ١١١) تونس : فسيفساء أرضية . في متحف باردو .



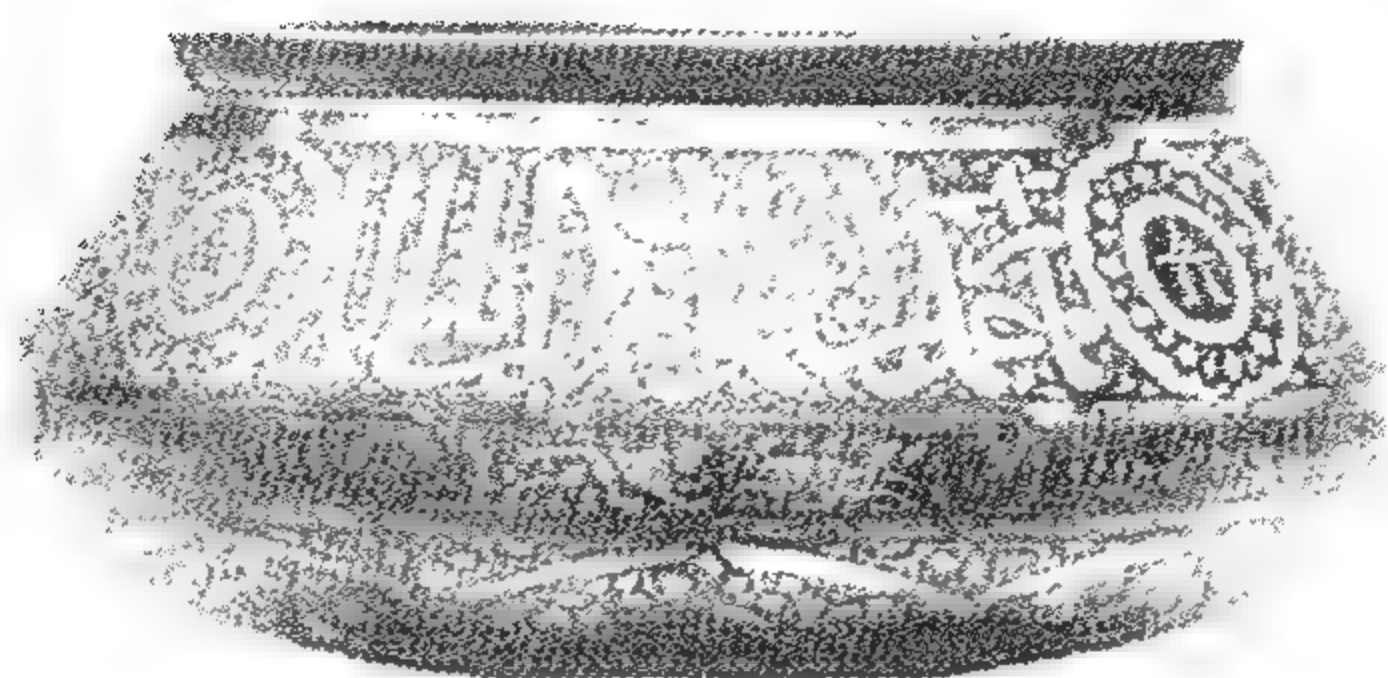
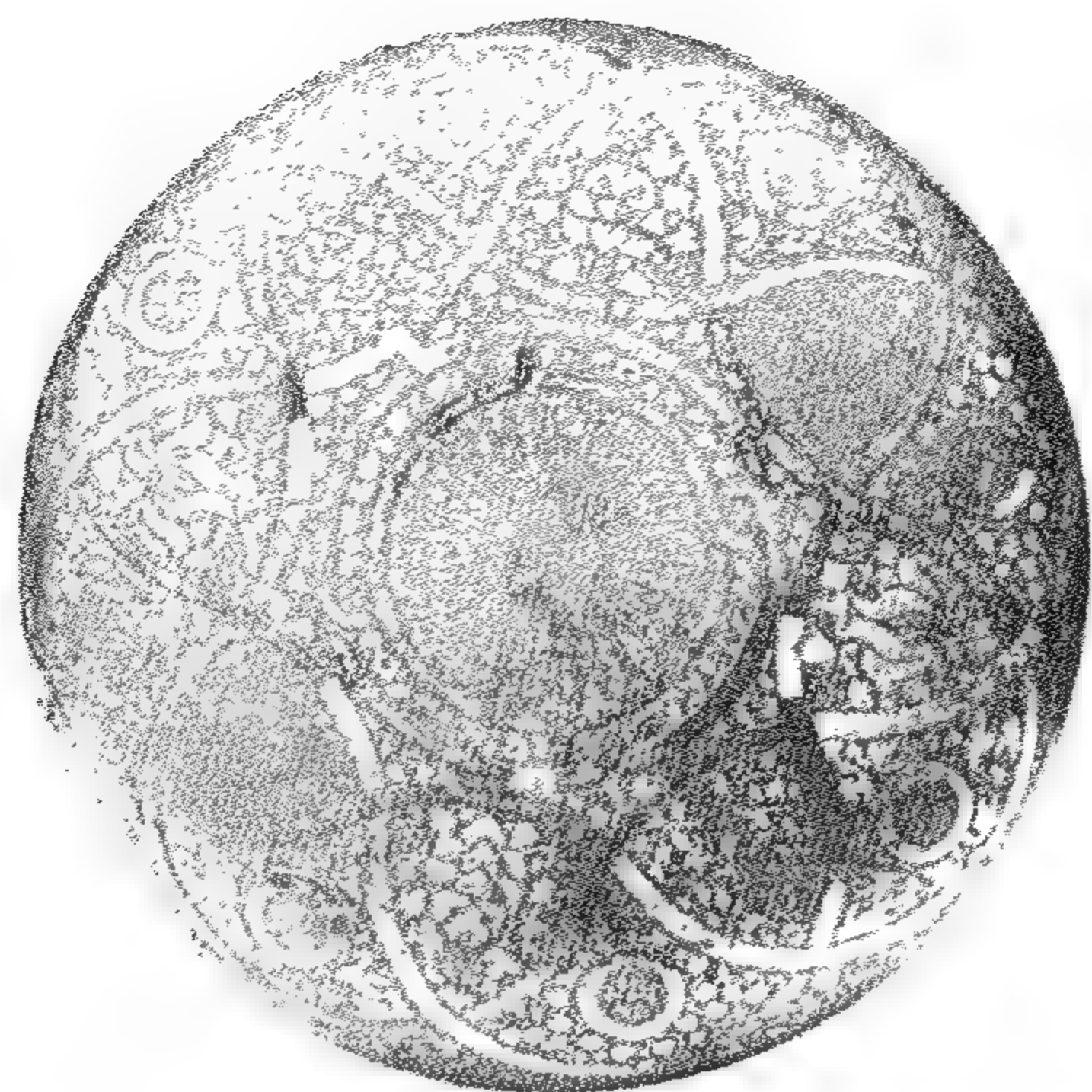
(شكل رقم ١١٢) البندقية : كنيسة سان مارك ، تيجان أعمدة .
(عن : فيني سبيرز) .



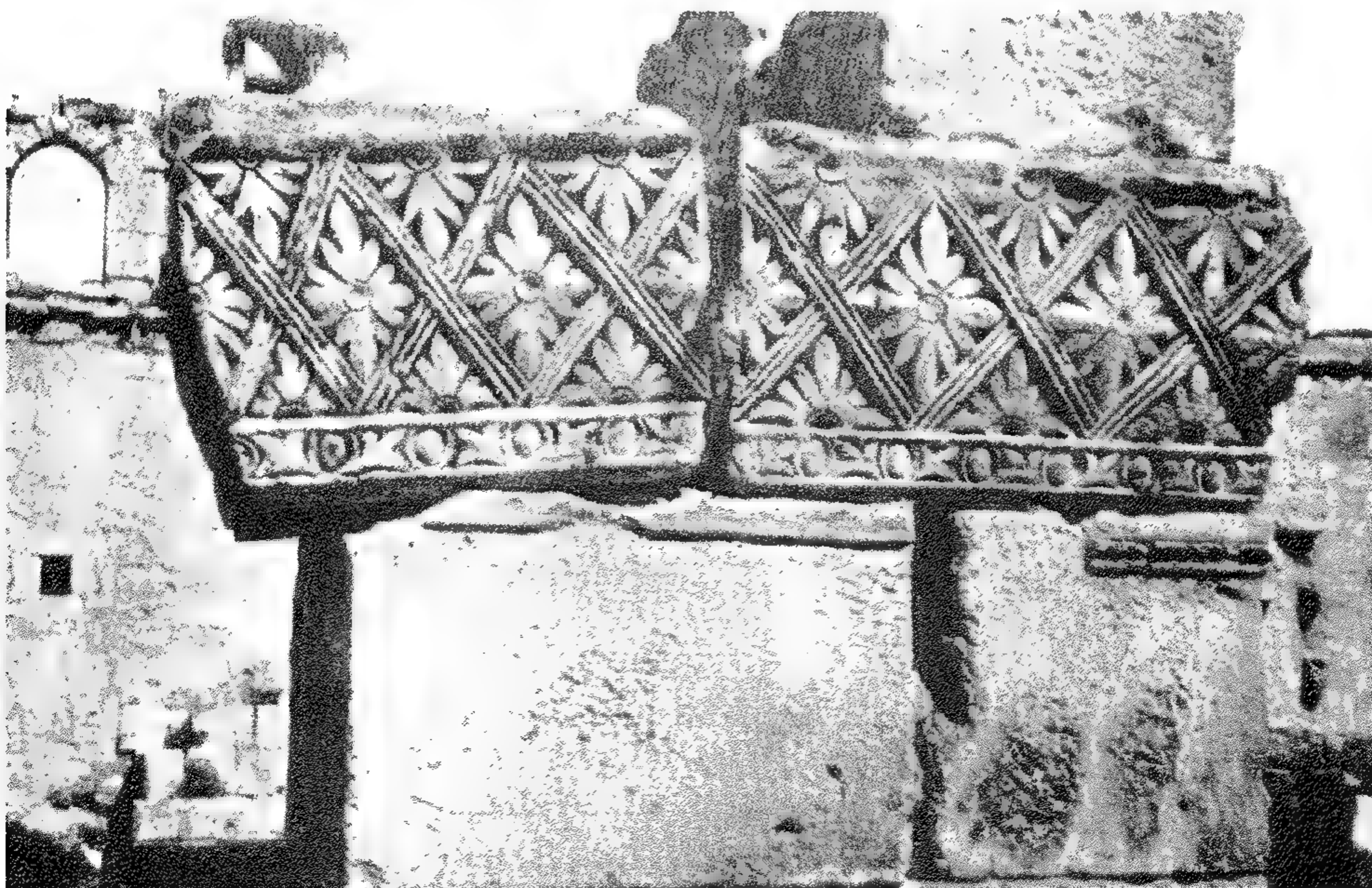
(شكل رقم ١١٣) البندقية : كنيسة سان مارك . اللوحات الختامية للممر .
(عن : فيني سبيرز) .



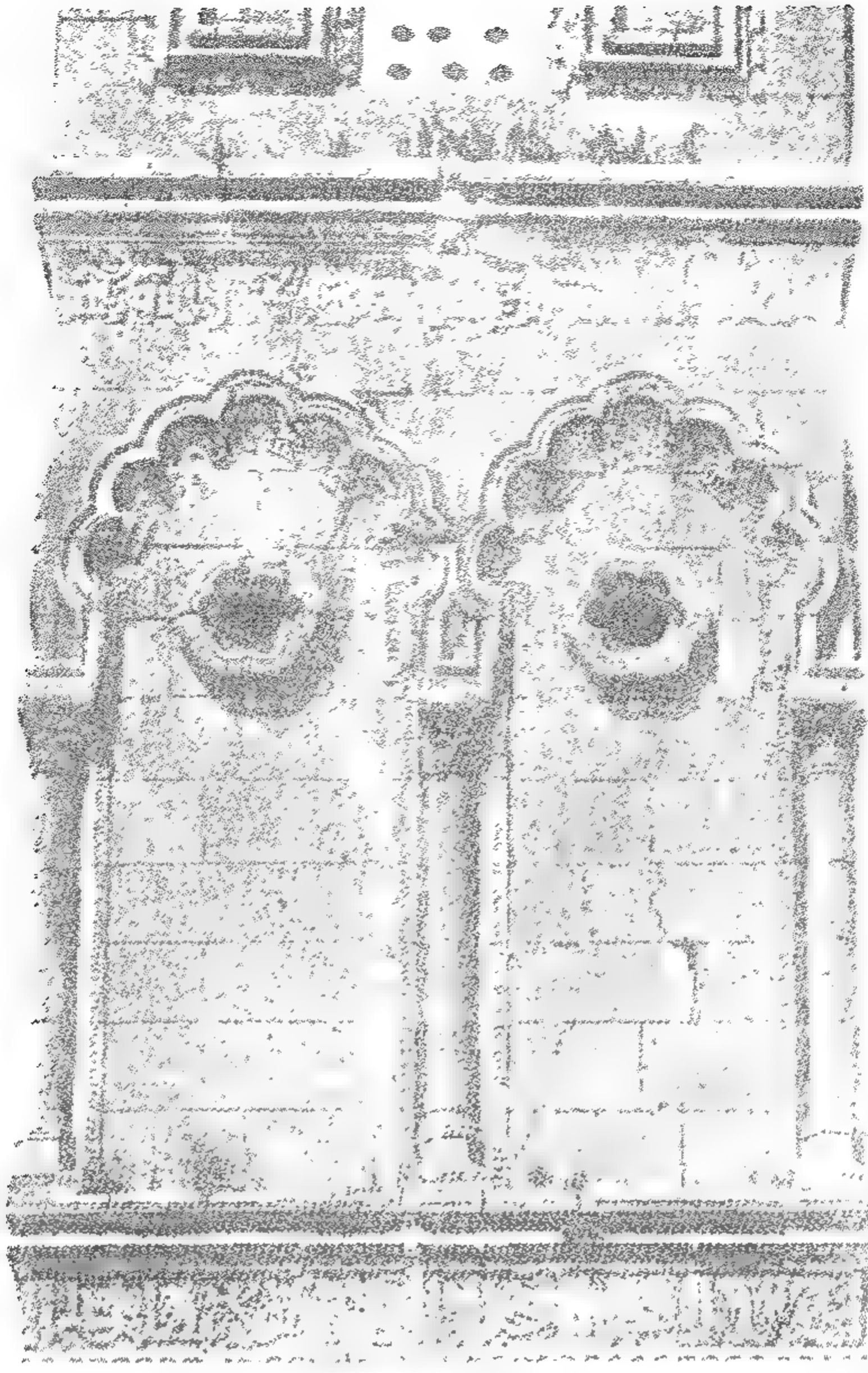
(شكل رقم ١١٤) Phocis دير سان لوك في ستيريز
(عن شولتز وبارنسل ، دير سان لوك في ستيريز)
(a) الفاصل (الحاجز) الأيقوني في الكنيسة الكبرى .
(b) الفاصل (الحاجز) الأيقوني في الكنيسة الصغرى .



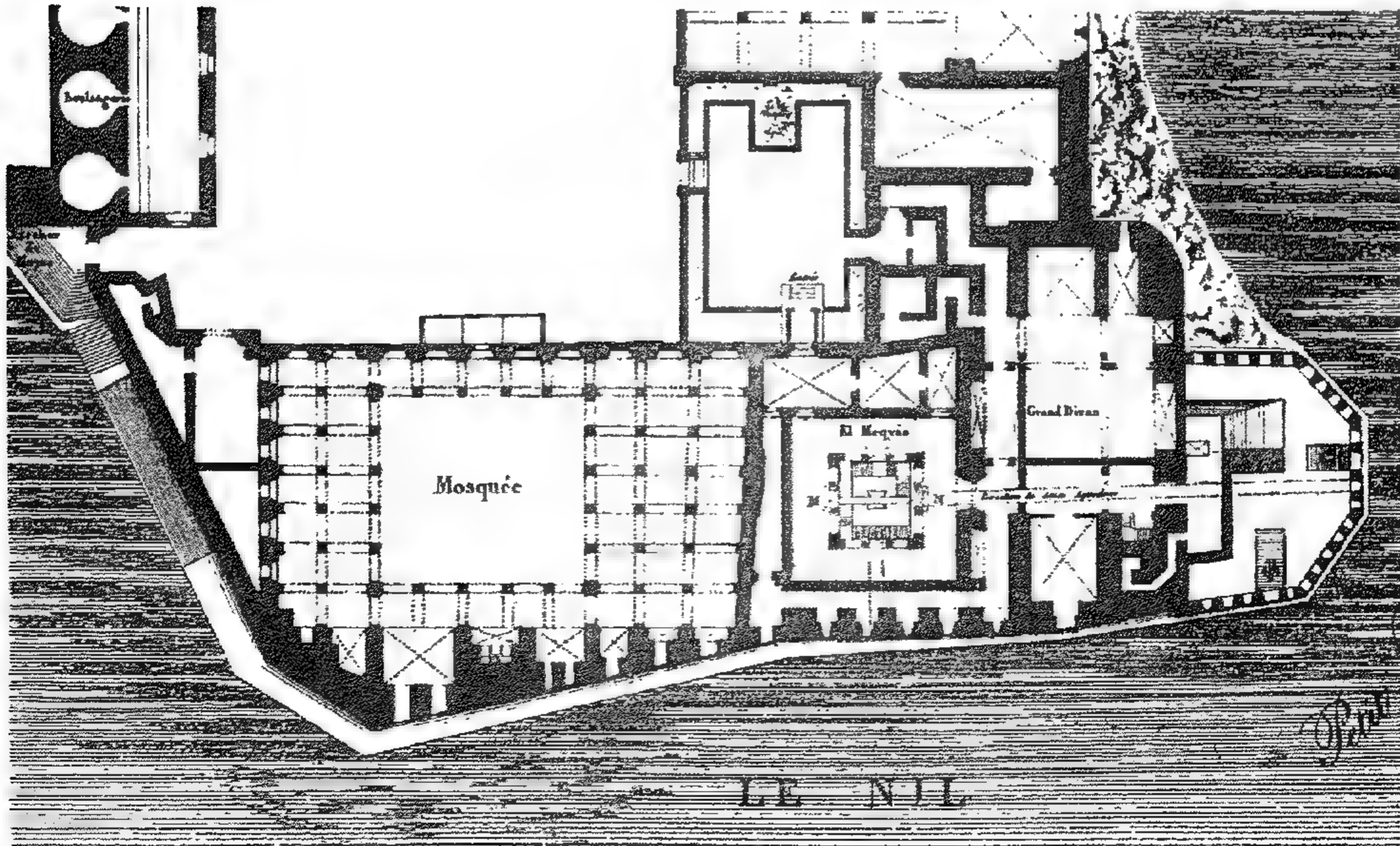
(شكل رقم ١١٥) سلطانية في مجموعة زرة . (عن : مارتين) .



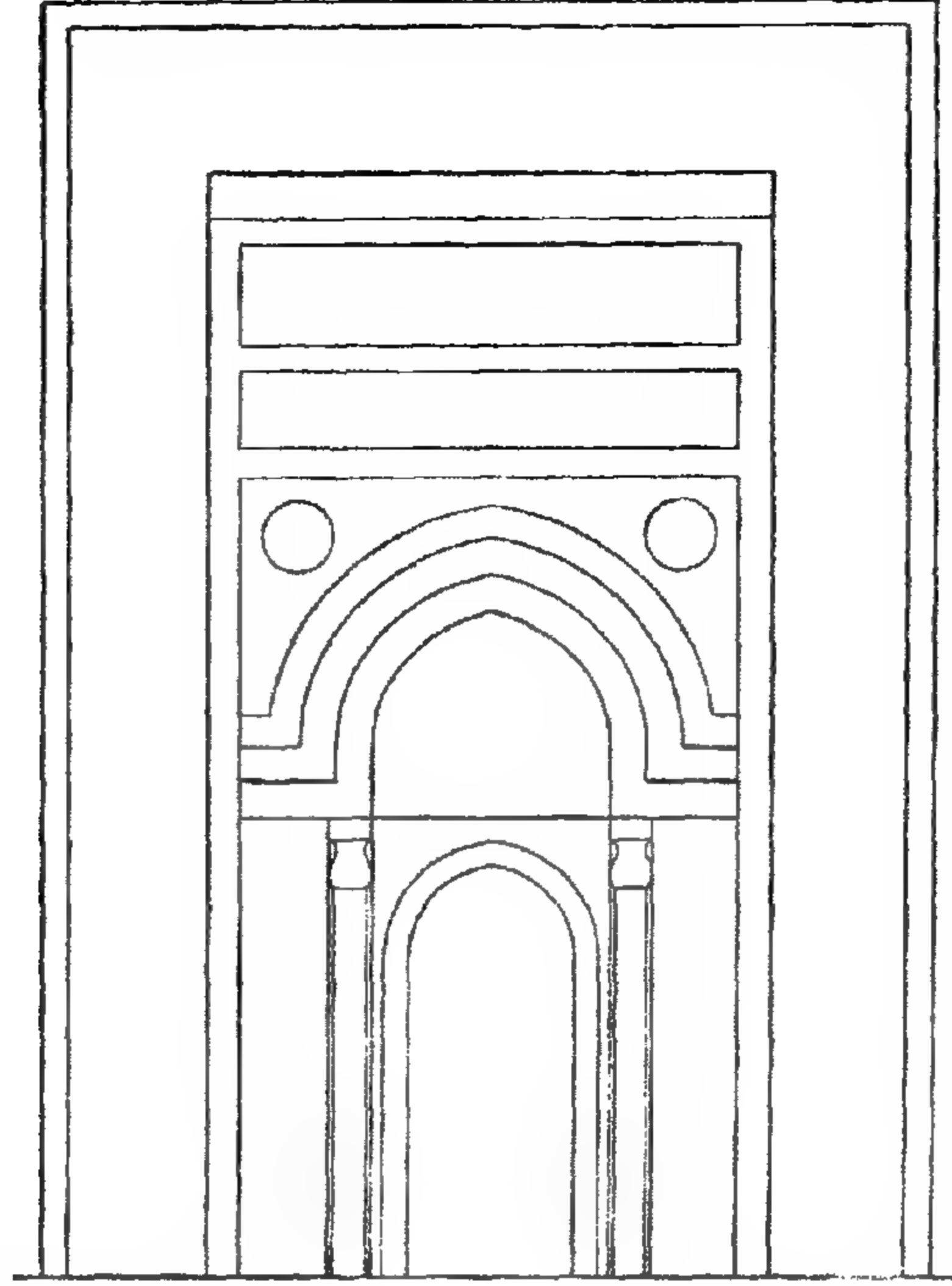
(شكل رقم ١١٦) ميا فارقين : تاج . (عن : جرتروود بل) .



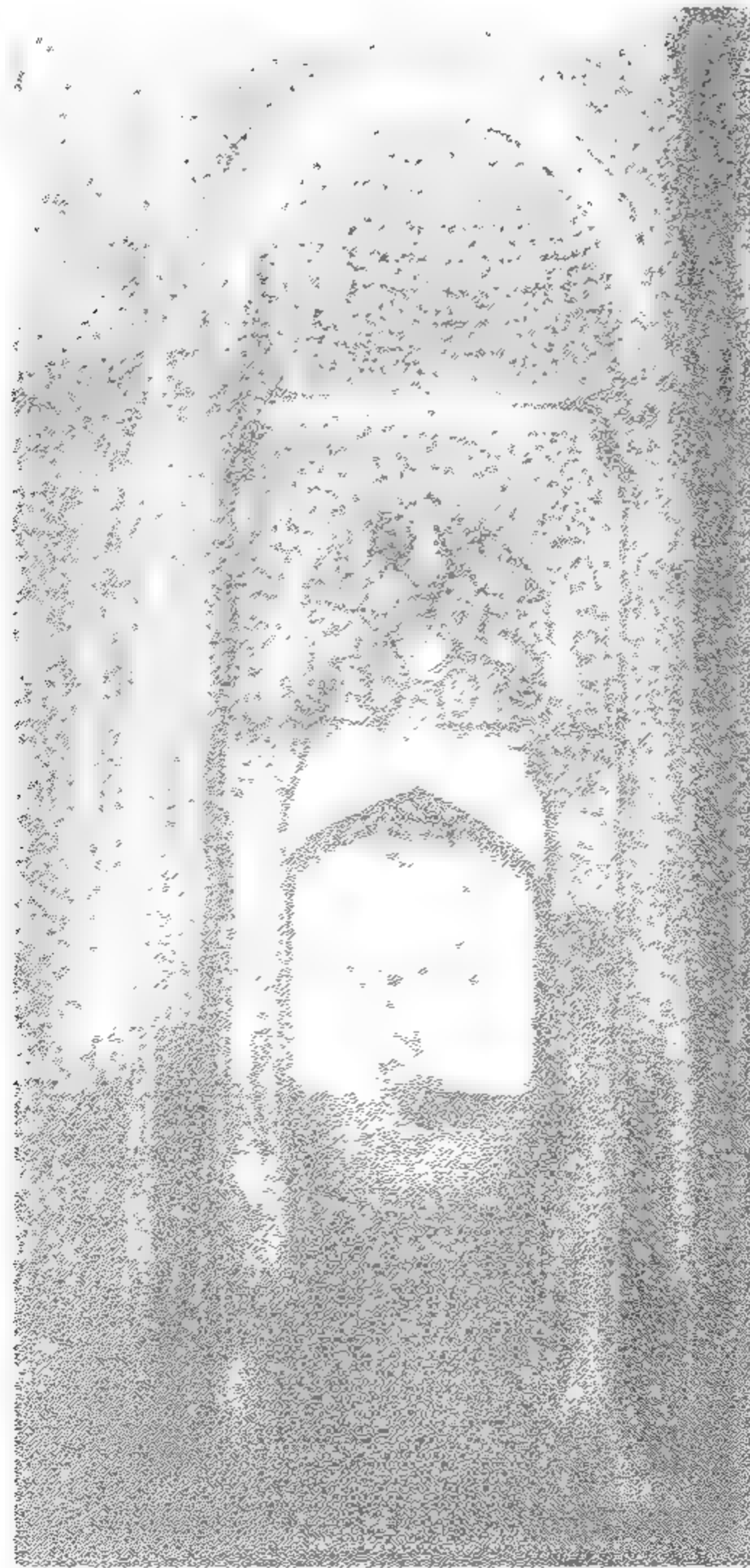
(شكل رقم ١١٧) حلب : منارة الجامع الكبير . (عن : جمال باشا) .



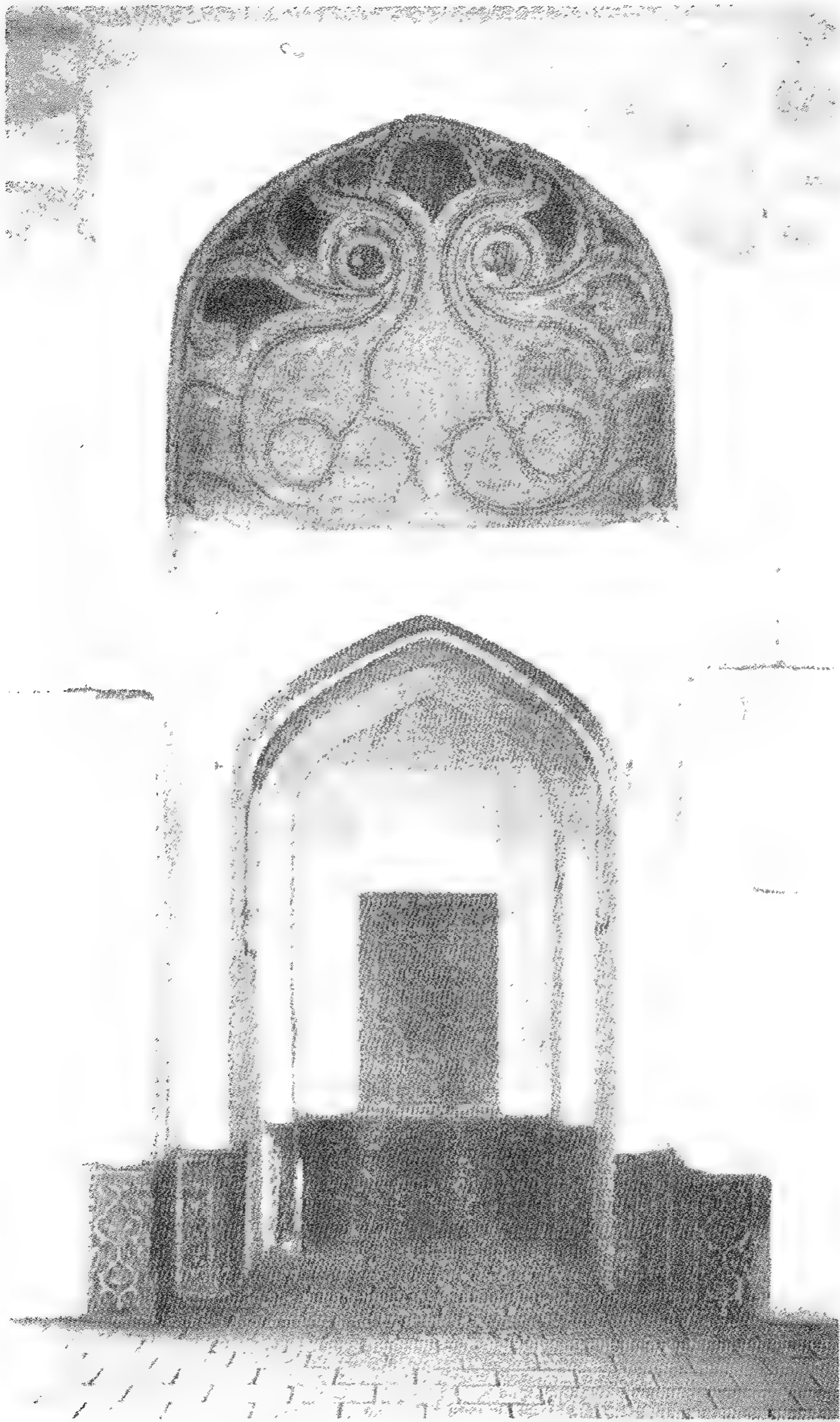
(شكل رقم ١١٨) جزيرة الروضة : مسجد (مدرس) الجمالي ، مسقط (عن : وصف مصر) .



(شكل رقم ١١٩) رسم تخطيطي يوضح تكوين محراب الأفضل
(بالجامع الطولوني) .



(شكل رقم ١٢٠) نايين : محراب الجامع الكبير - (عن : بوب) .



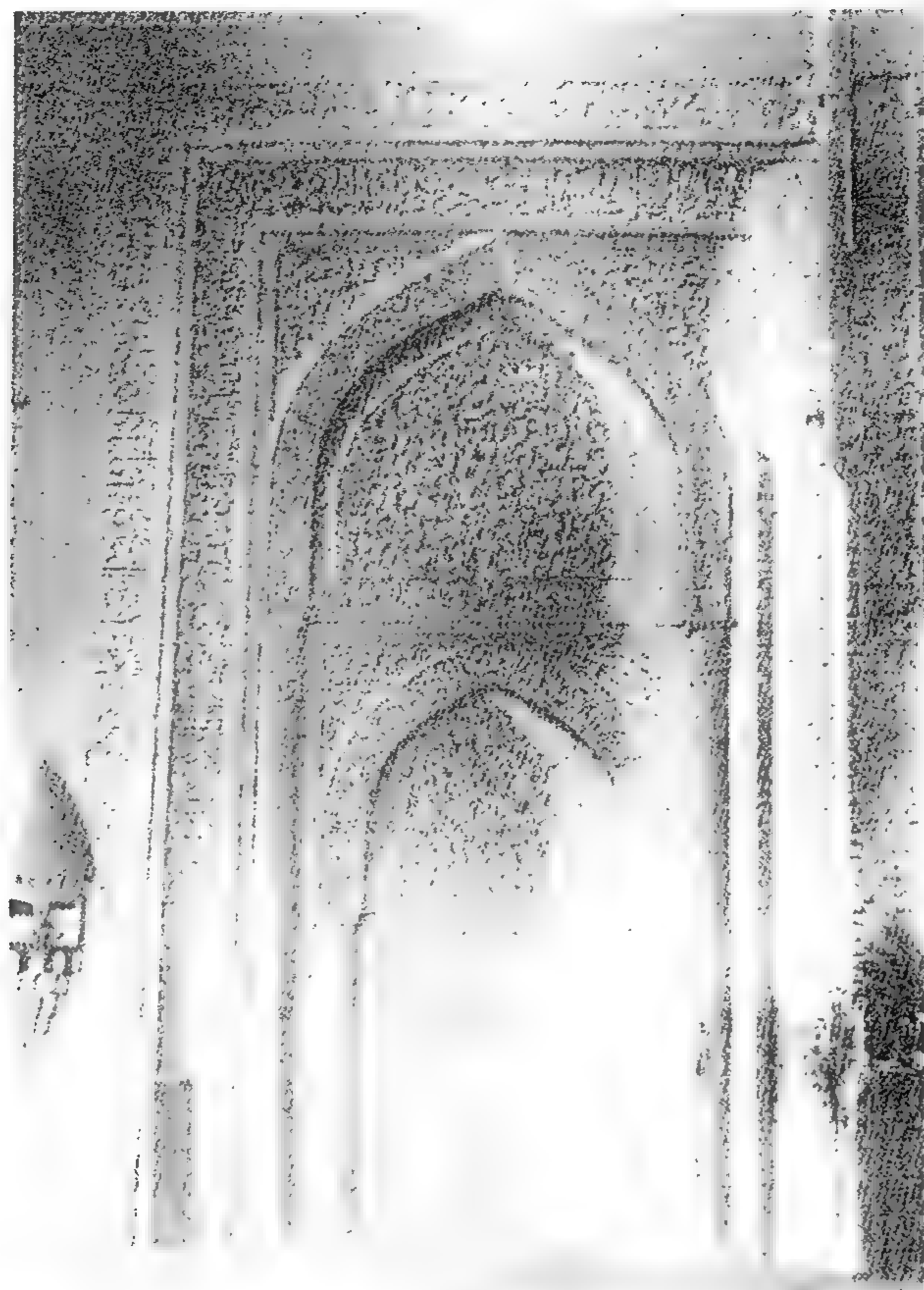
(شکل رقم ۱۲۱) یزد : محراب داوازده امام . (عن : بوب) .



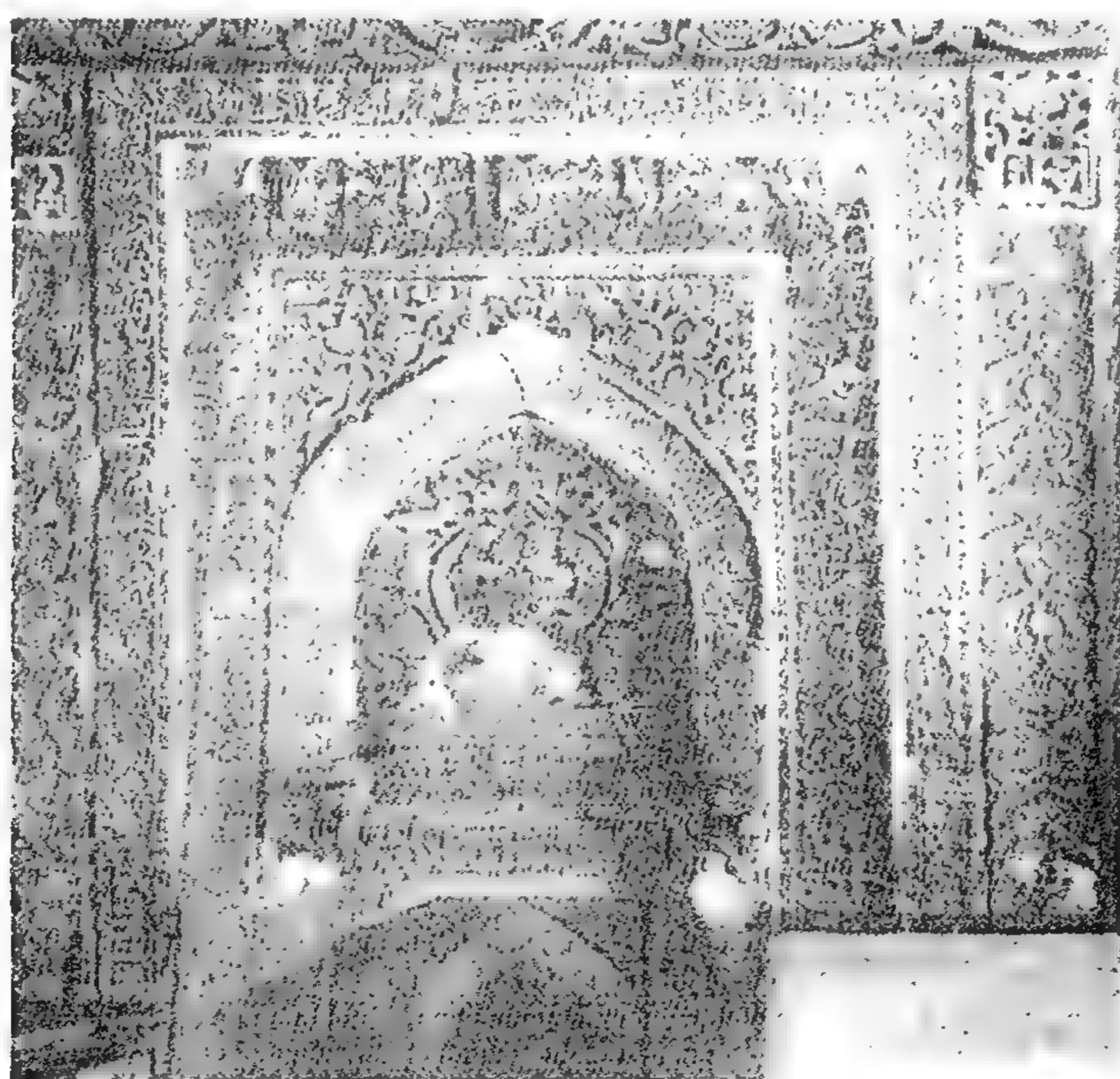
(شكل رقم ١٢٢) بوزان : محراب امام زاده شاهزاده كارار . (عن : بوب) .



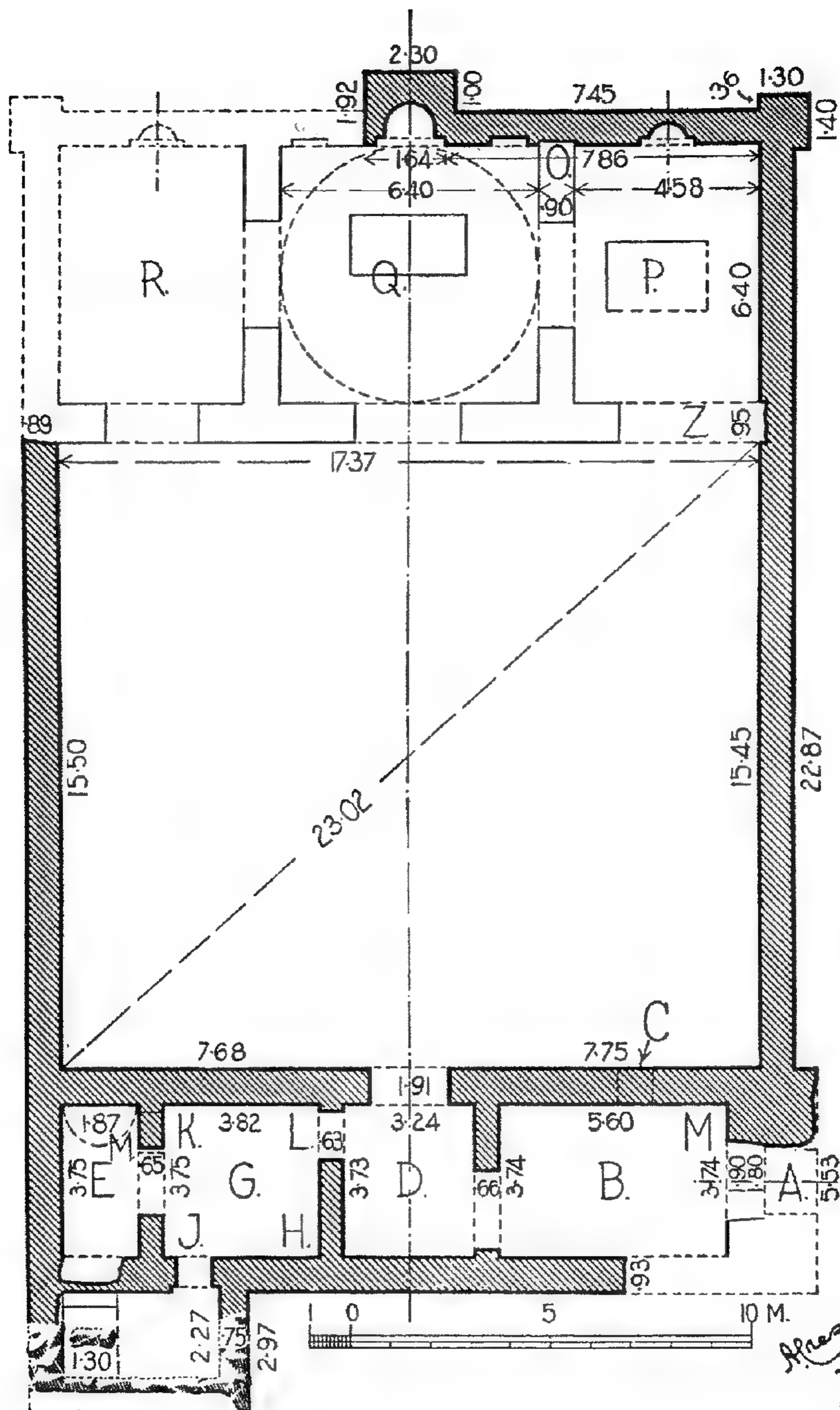
(شكل رقم ١٢٣) قزوین : محراب مسجد الحیدریة . (عن : بوب) .



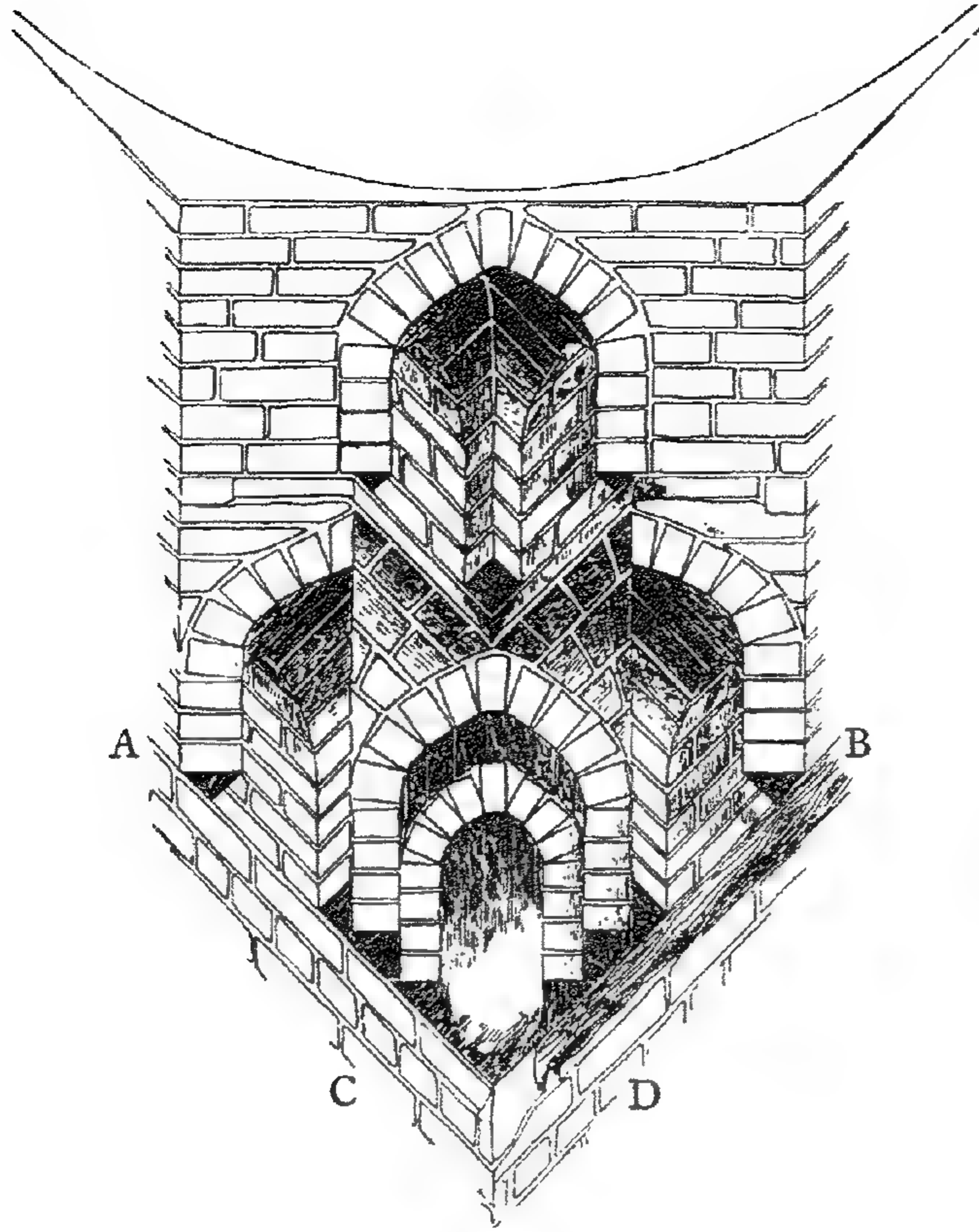
(شكل رقم ١٢٤) أردستان ، الجامع الكبير ، المحراب الرئيسي . (عن : بوب) .



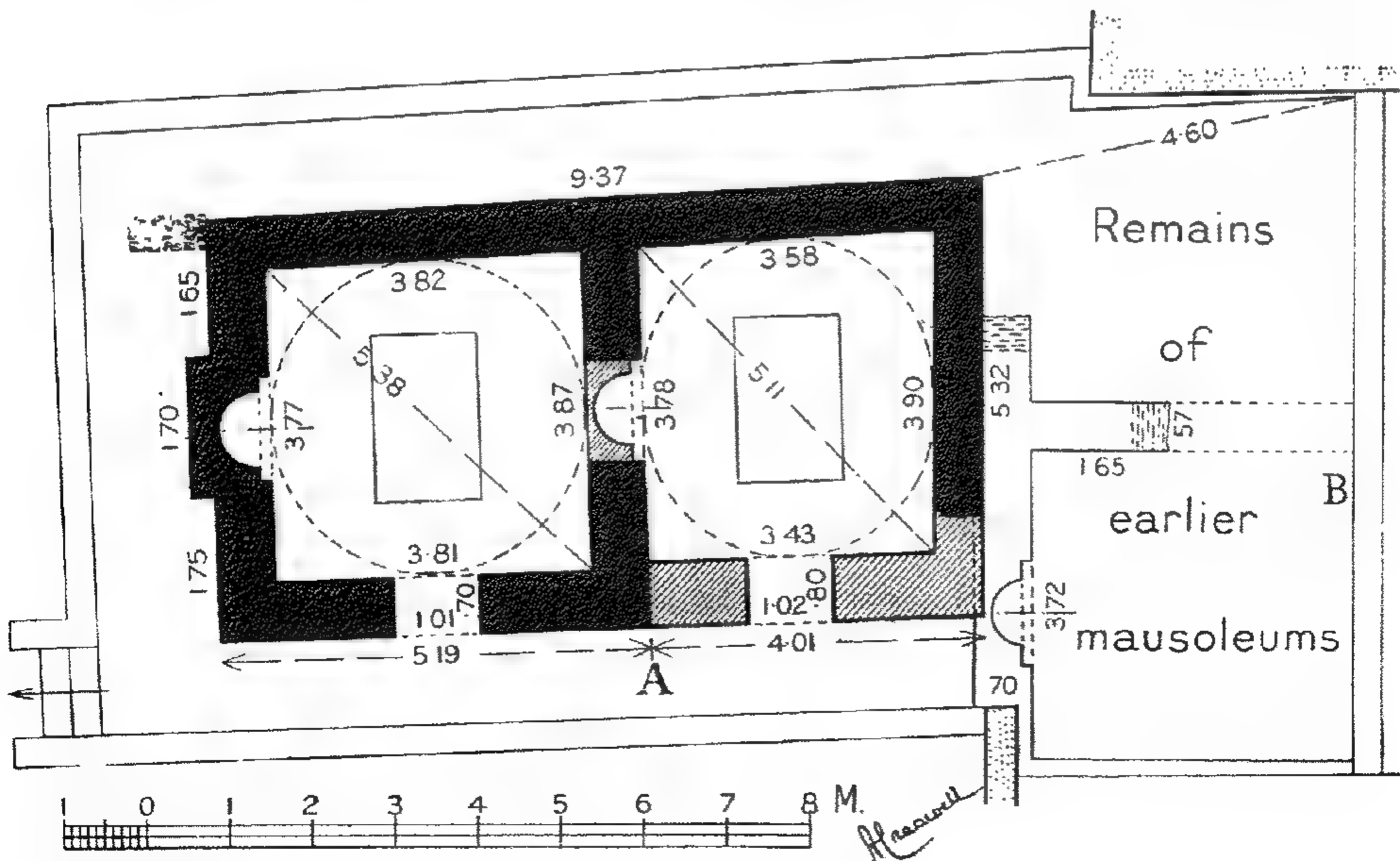
(شكل رقم ١٢٥) ابرقوه ، ضريح بير حمزة ، المحراب . (عن : بوب) .



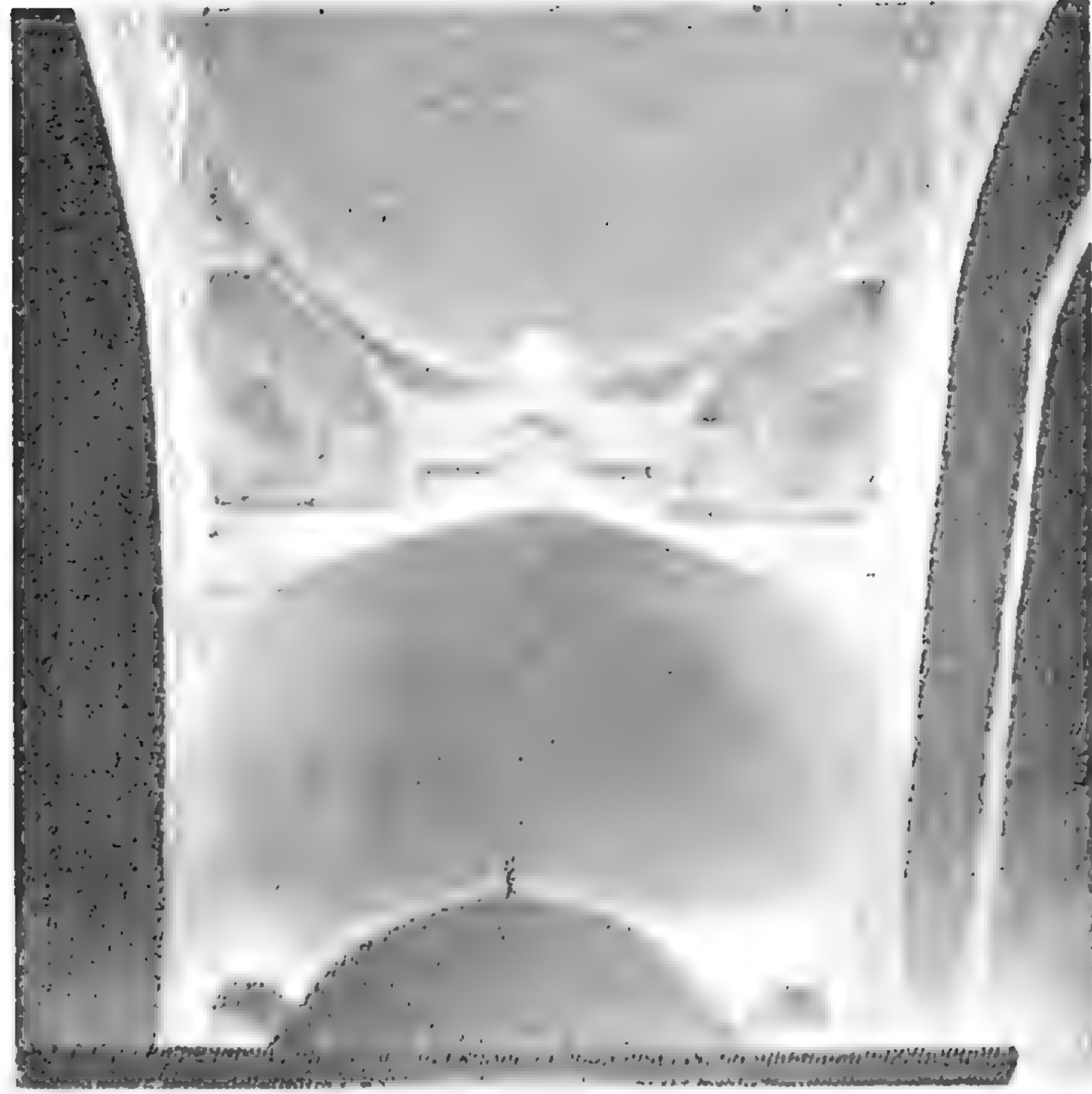
(شكل رقم ١٢٧) خضرة الشريفة : مسقط .



(شكل رقم ١٢٨) ضريح قديم (القبة الفاطمية بالجمالية) : المقرنصات (رسم فريد شافعي .



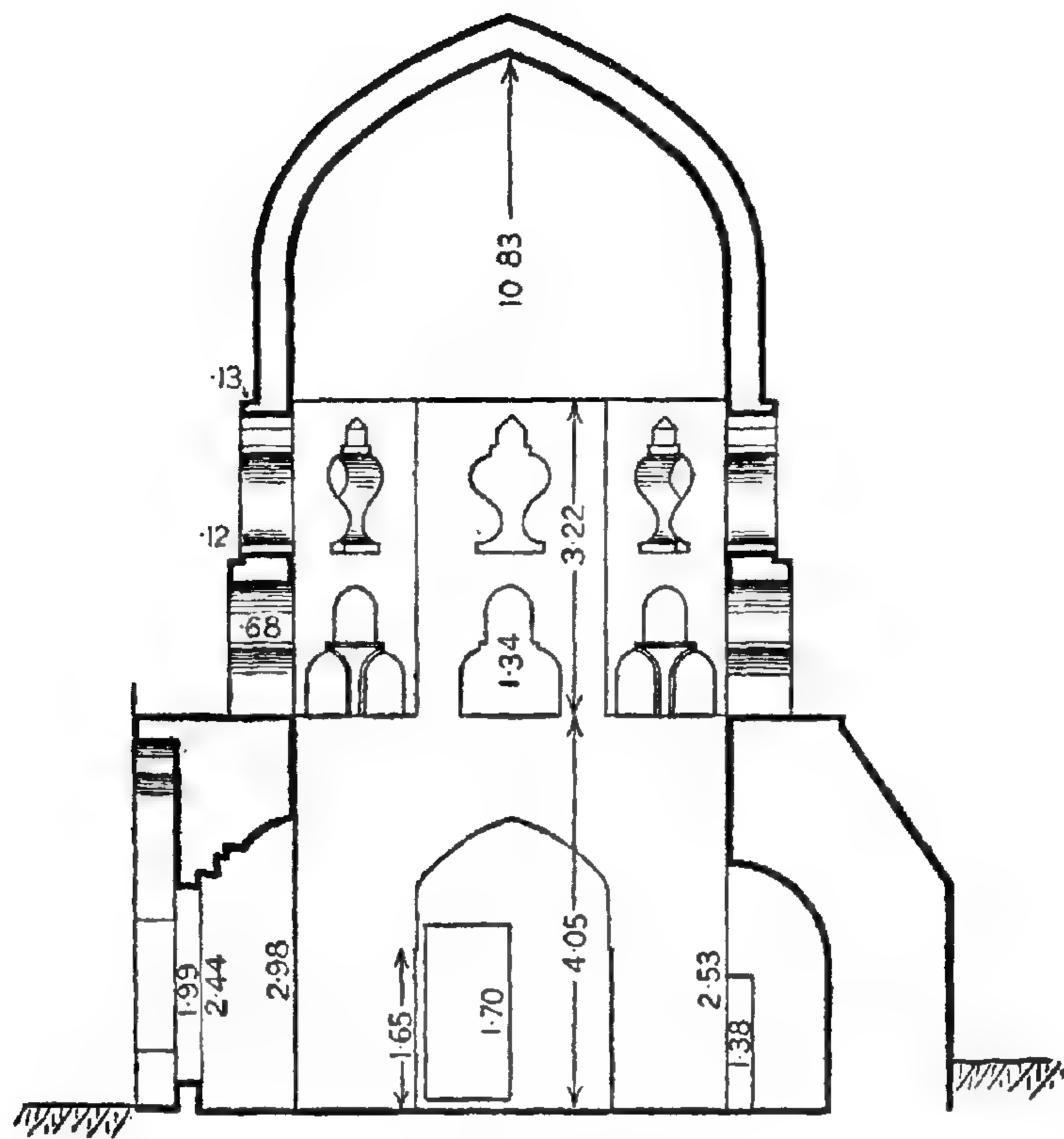
(شكل رقم ١٢٩) ضريحا محمد الجعفري والسيدة عائكة : مسقط .



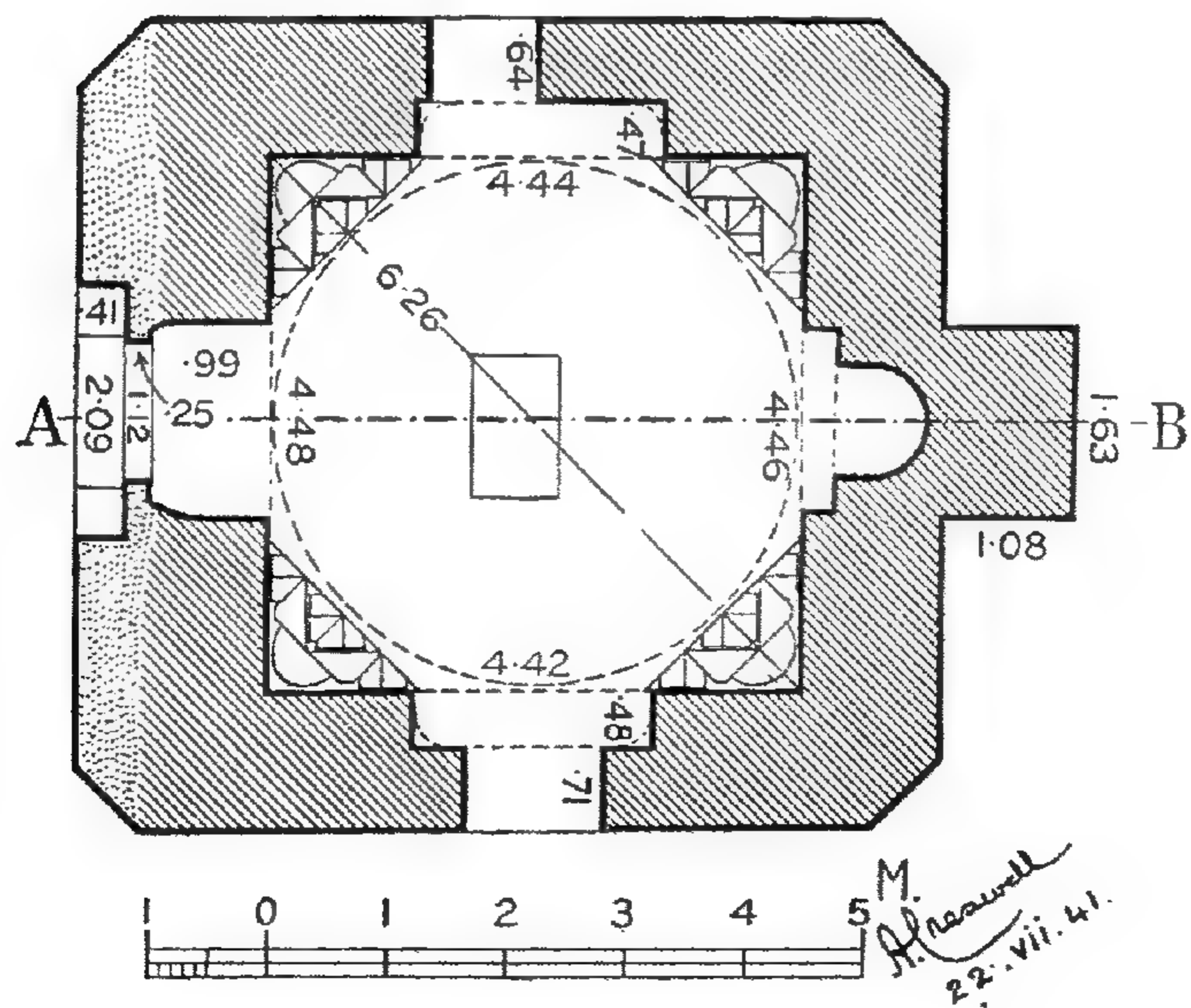
(شكل رقم ١٣٠) القاهرة القديمة
(حي مصر القديمة) ، كنيسة أبو سيفين ، المقرنصات (منطقة الانتقال) .



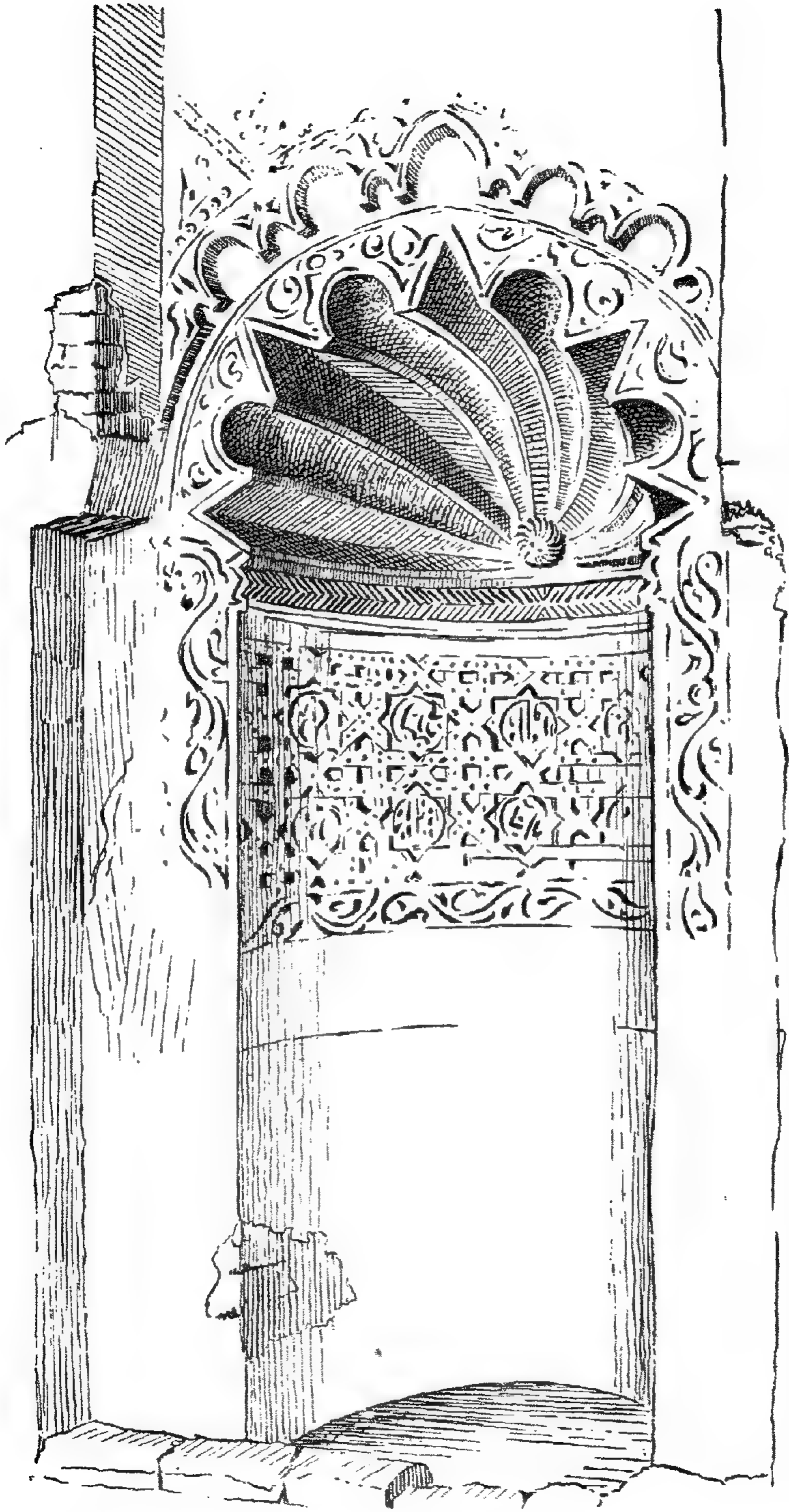
(شكل رقم ١٣١) القاهرة القديمة : كنيسة أبو سيفين، مقرنصات
(منطقة انتقال) مصلى القديس جورج .



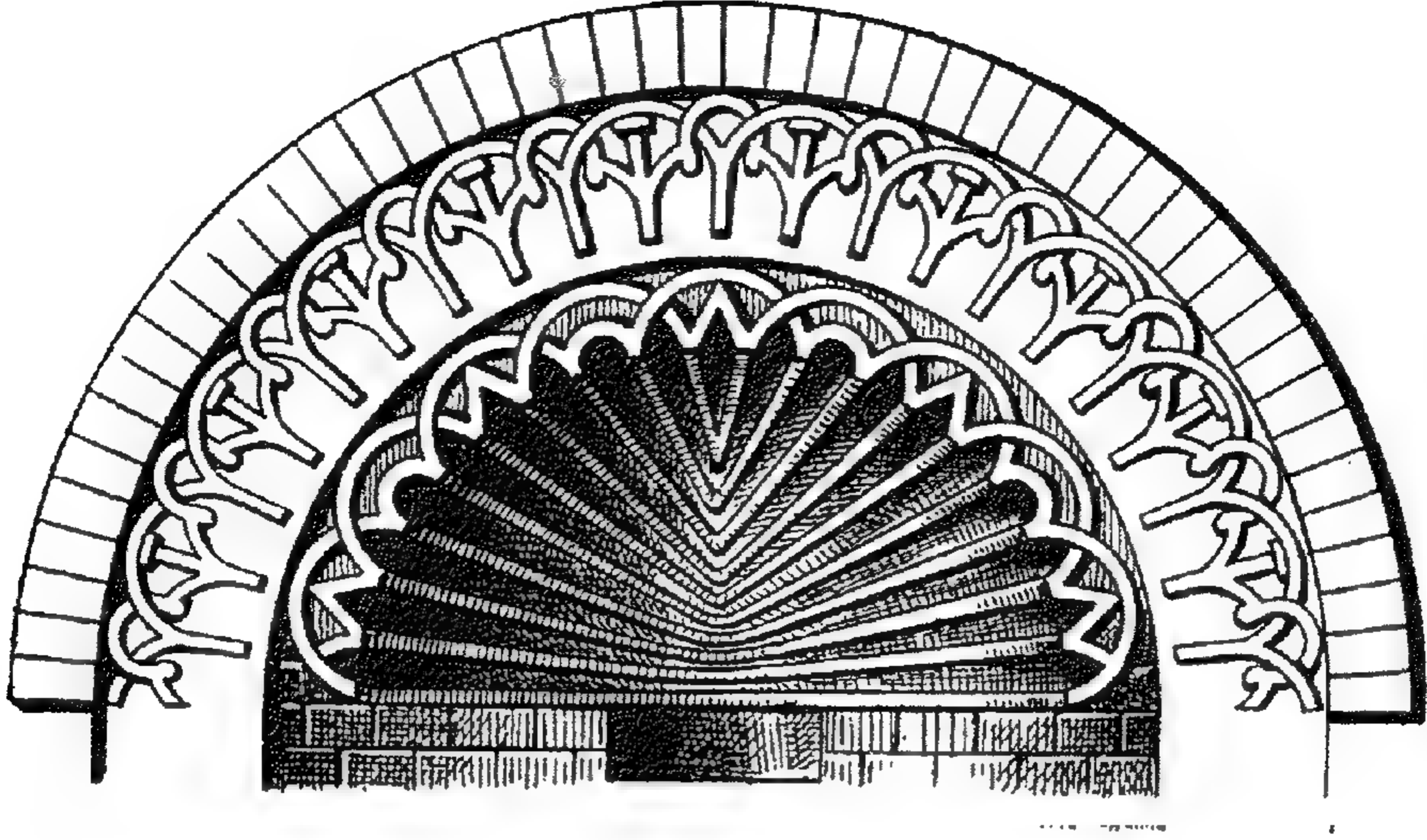
Section A-B



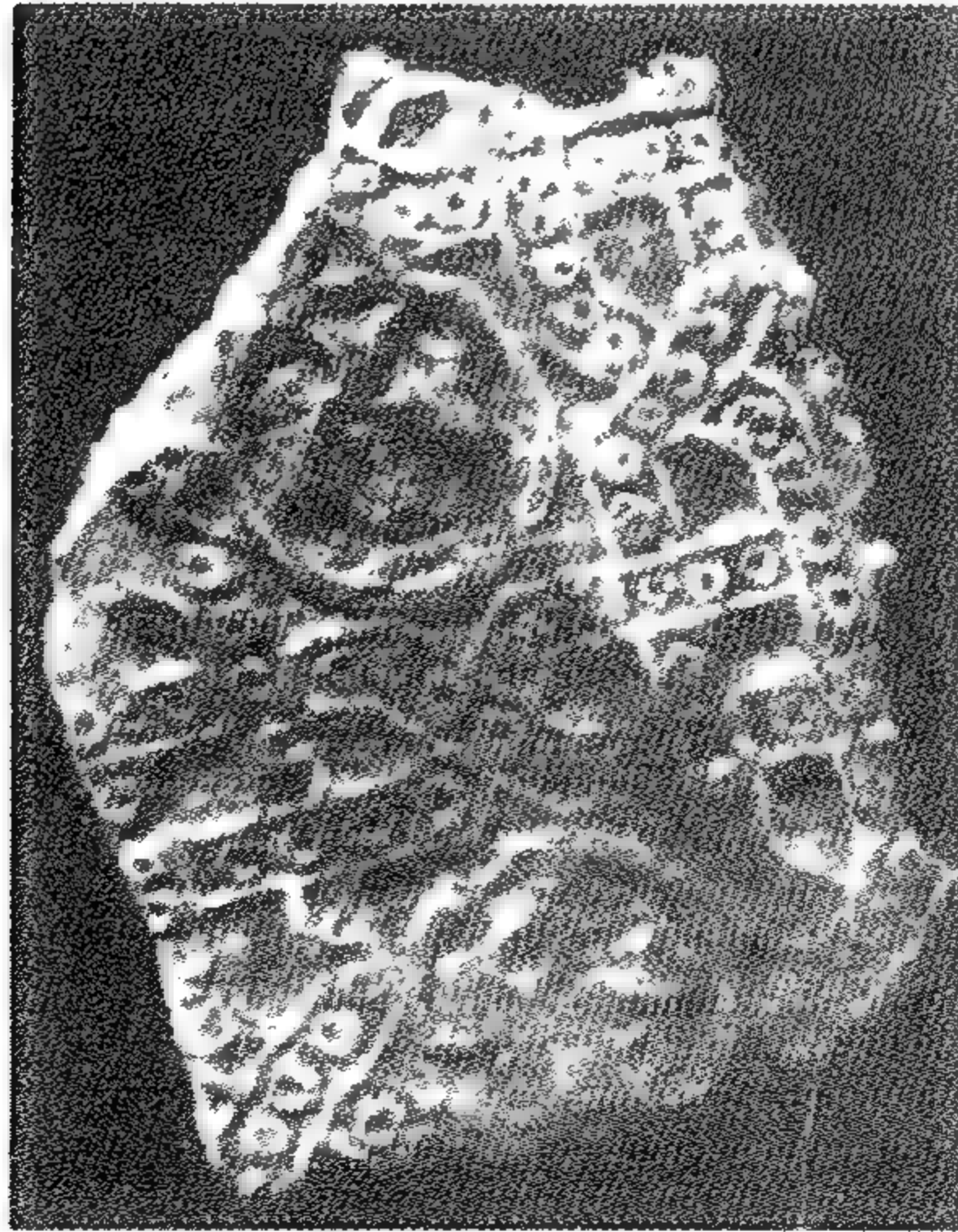
(شكل رقم ١٣٢) الشيخ يونس : مسقط وقطاع .



(شكل رقم ١٣٥) مشهد أم كلثوم ، المحراب الرئيسي (رسم F.R.H. DARKE) .



(شكل رقم ١٣٦) قلعة بني حماد : حنية تزخرف المثدنة .
(عن دي بيلي) .



(شكل رقم ١٣٧) قلعة بني حماد : بقايا زخرفة جصية .
(عن دي بيلي) .



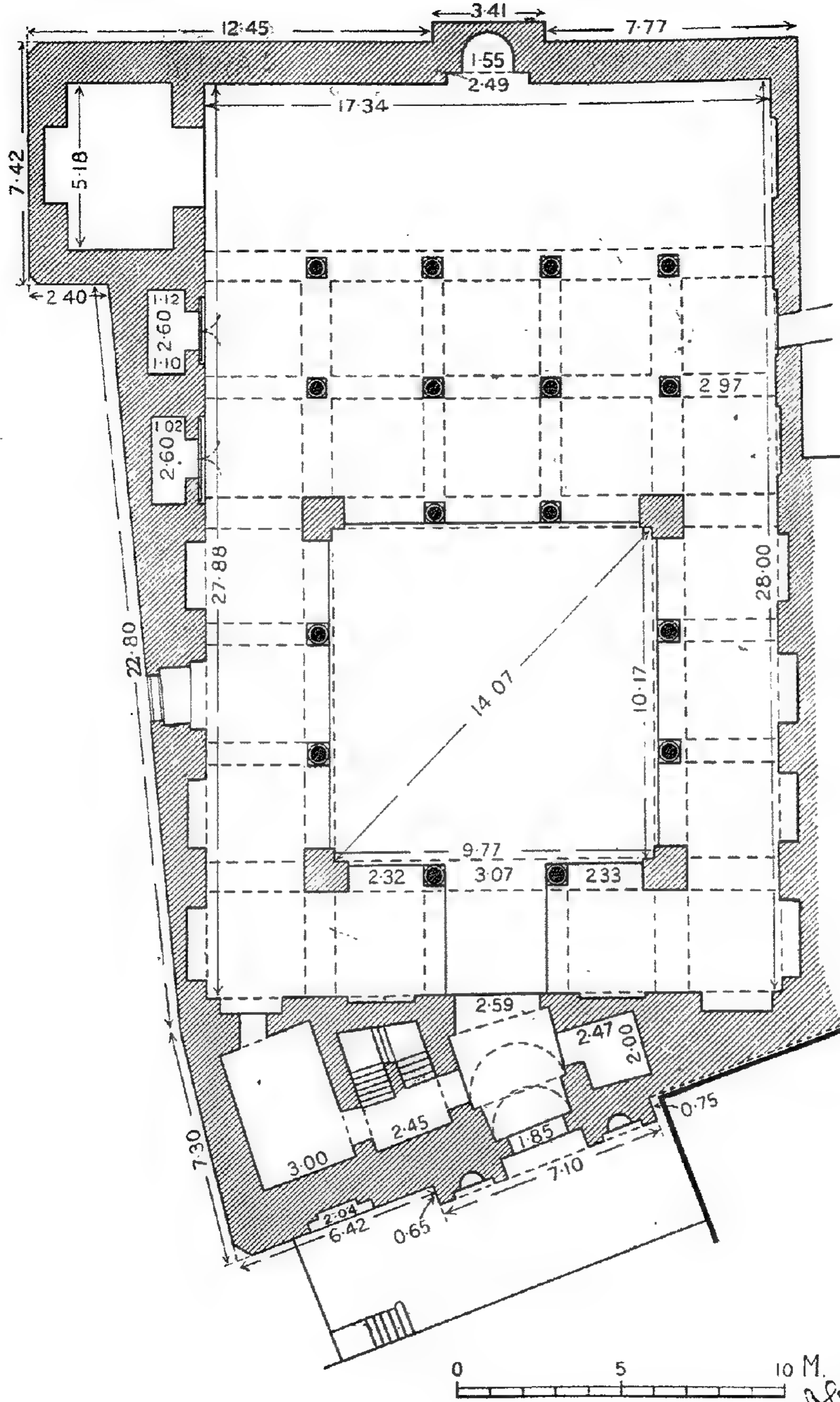
(شكل رقم ١٣٩) دنيصر : الجامع الكبير .
(عن : جابريل) .



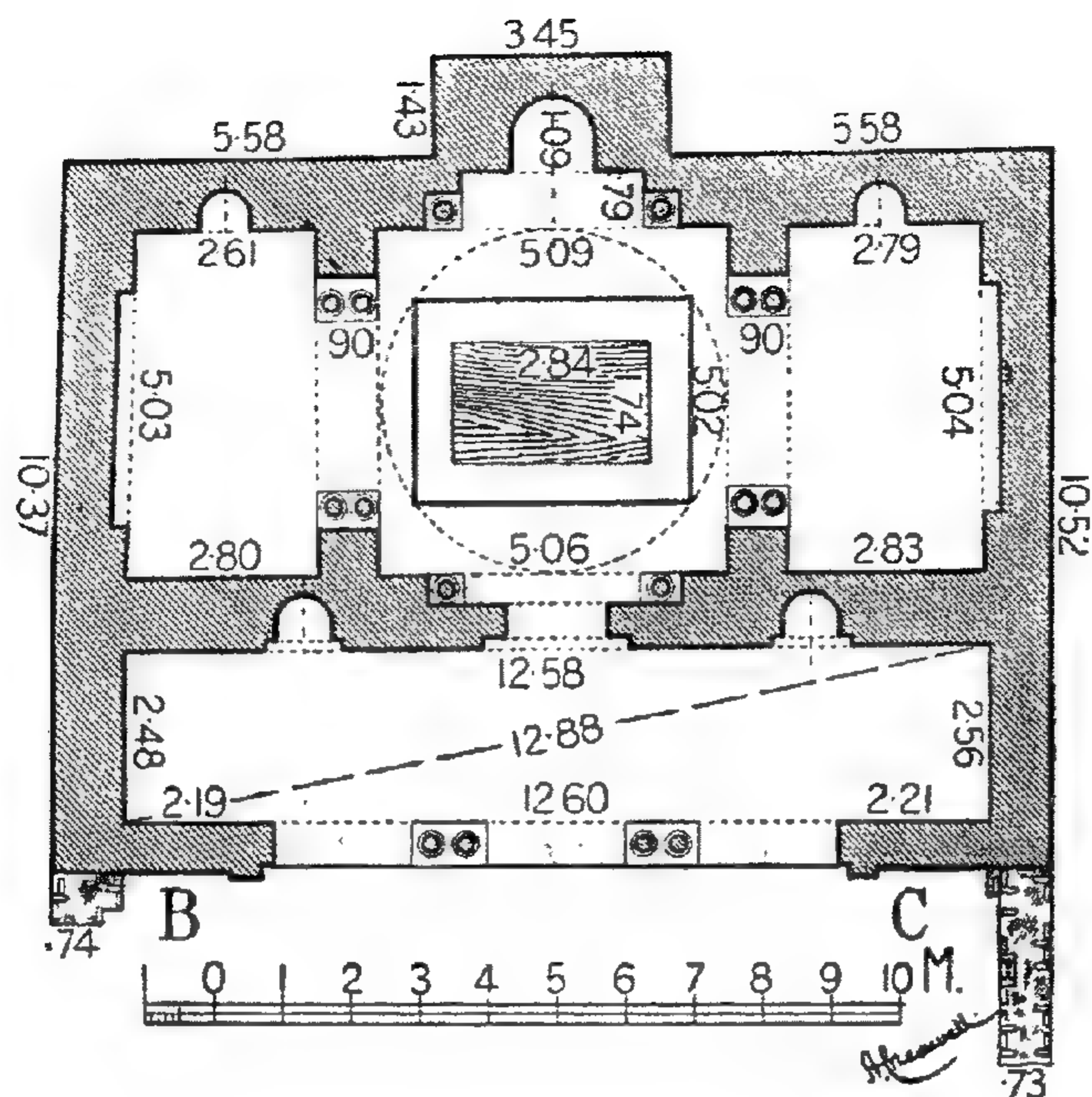
(شكل رقم ١٣٨) حلب : مارستان
(بيمارستان) نور الدين ، المدخل .



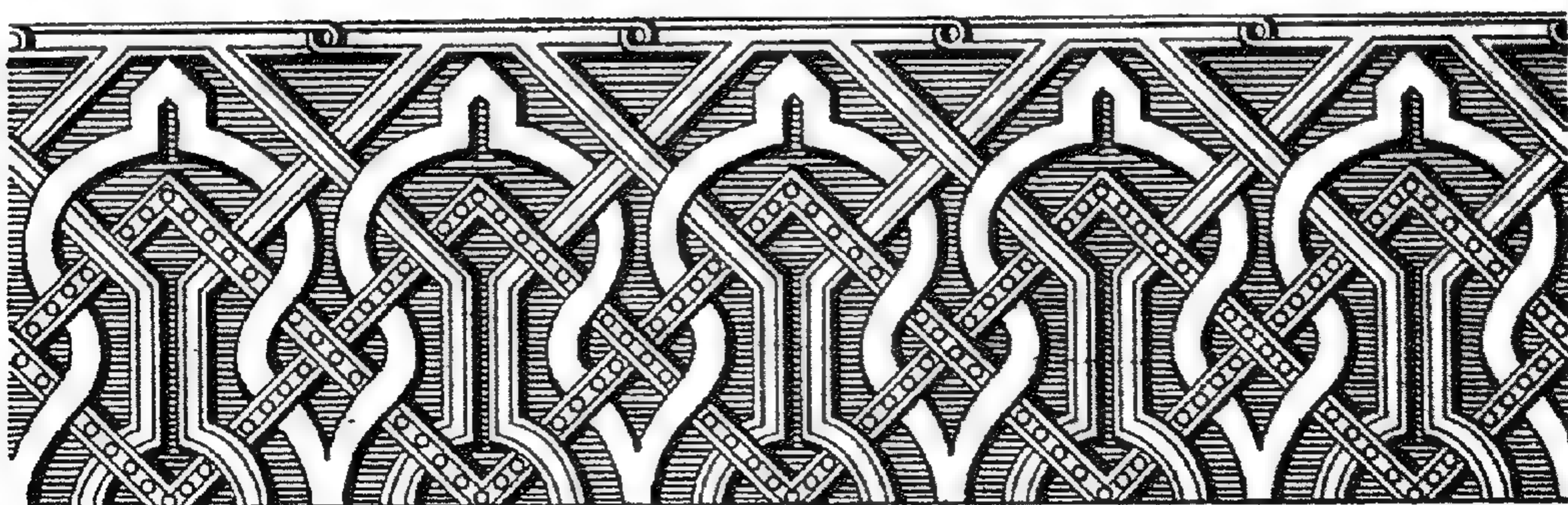
(شكل رقم ١٤٠) القسطنطينية (استانبول) : منحوتات حجرية في المتحف .
(عن : فان برشم وستروجوفسكي) .



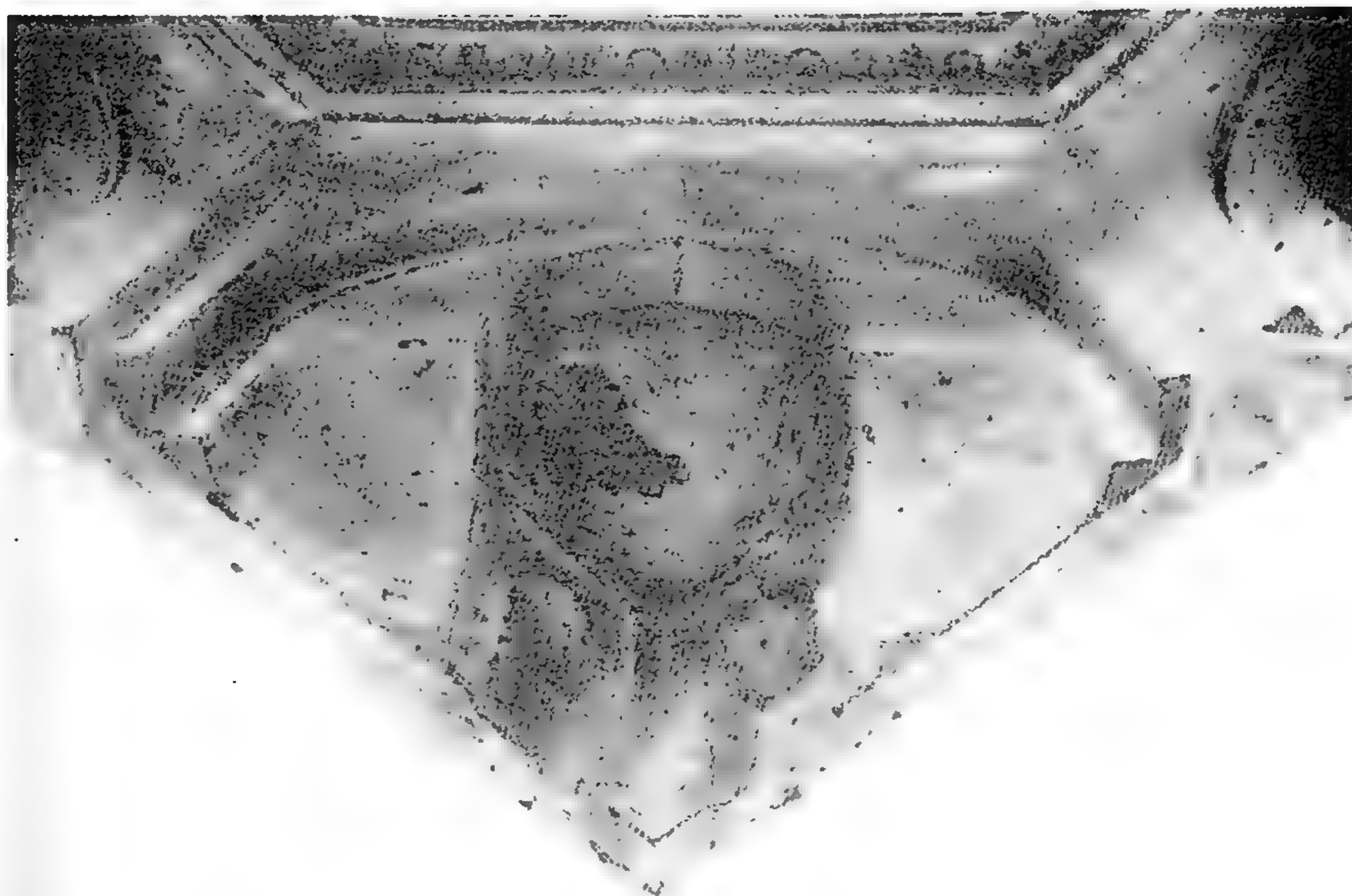
(شكل رقم ١٤١) مسجد الأقمر : مسقط .



(شكل رقم ١٤٢) مشهد السيدة رقية : مسقط .



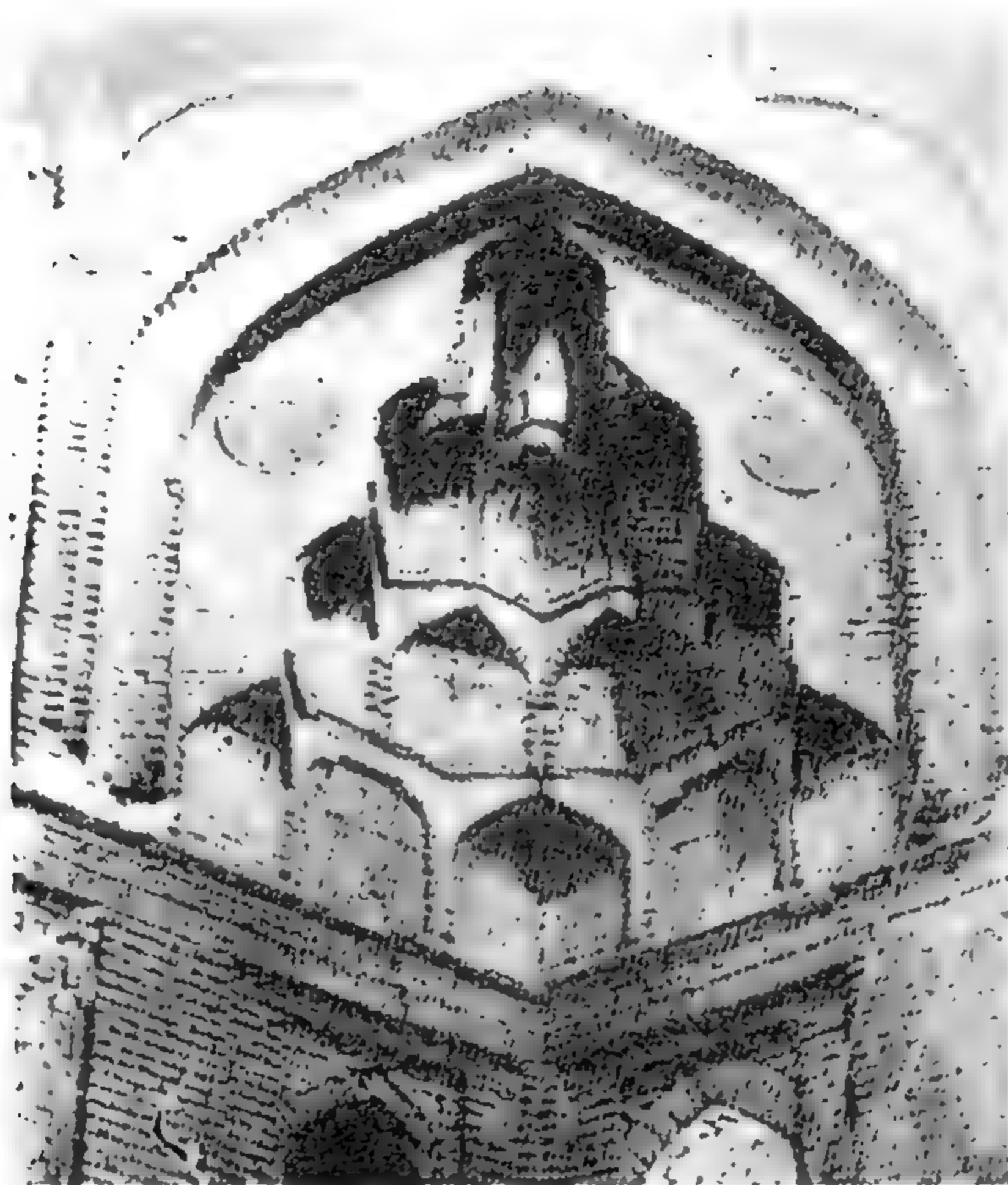
(شكل رقم ١٤٣) مشهد السيدة رقية : كورنيش المحراب (رسم خليل كامل) .



(شکل رقم ۱۴۴) یزد : دوازده امام . المقرنصات . (عن : بوب) .



(شکل رقم ۱۴۵) اصفهان : الجامع الكبير . المقرنصات .



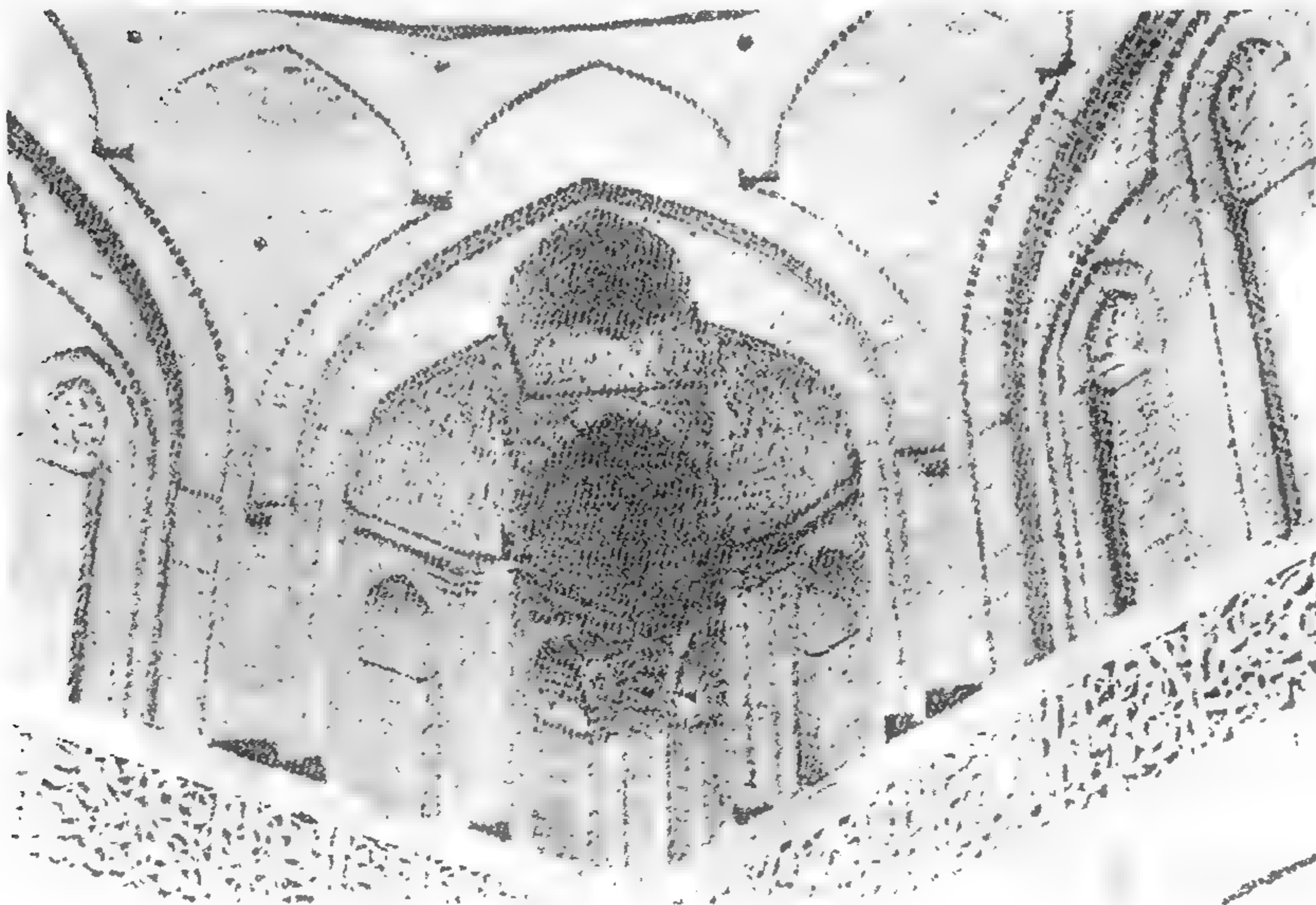
(شكل رقم ١٤٦) كلبايمان ، الجامع الكبير ، المقرنصات . (عن : بوب) .



(شكل رقم ١٤٧) قزوين ، الجامع الكبير . المقرنصات . (عن : بوب) .



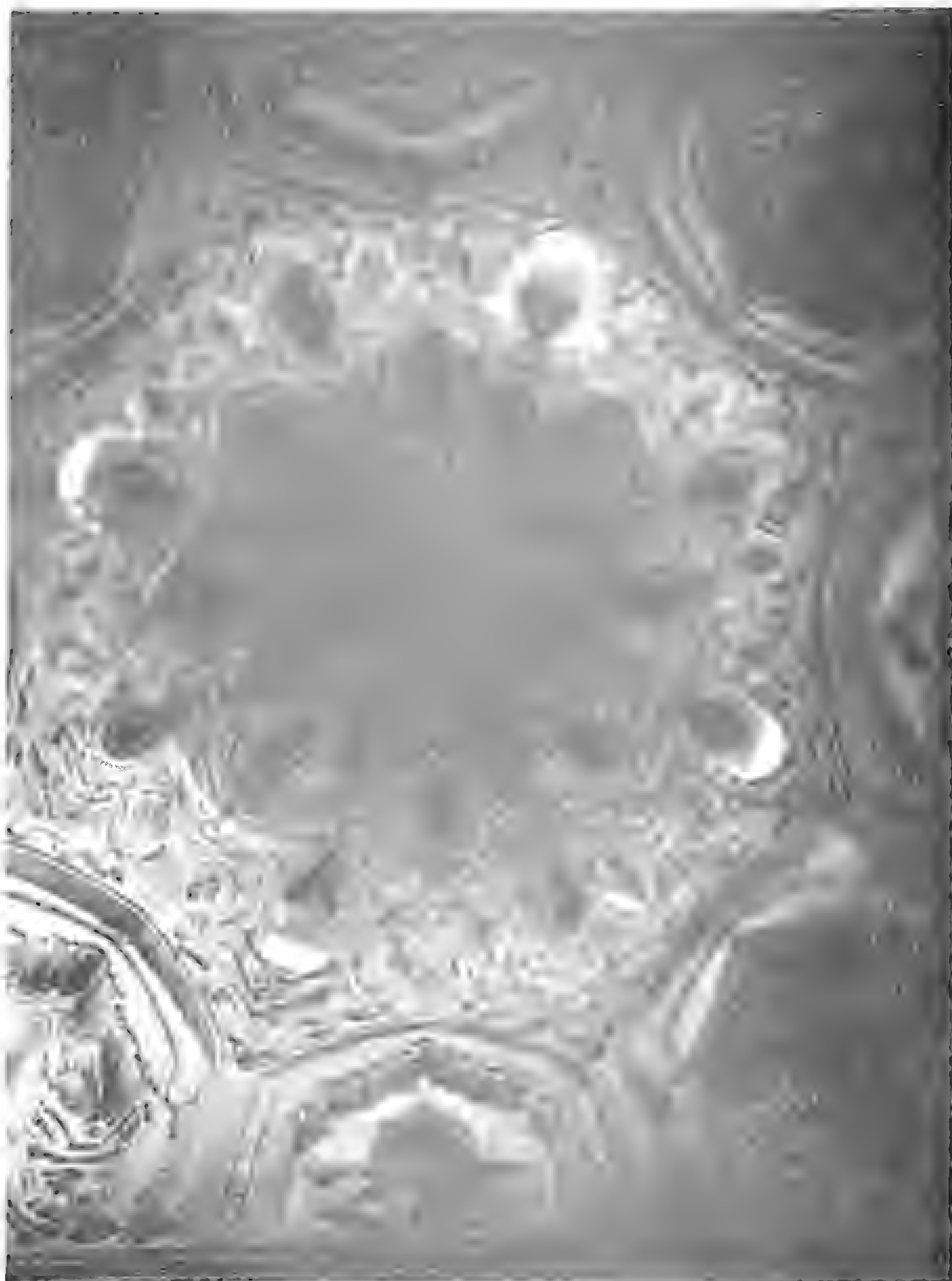
(شكل رقم ١٤٨) مراغة : كنبدى سرخ ، المقرنصات (عن : بوب) .



(شكل رقم ١٤٩) أردستان : الجامع الكبير ، المقرنصات . (عن : بوب) .



(شكل رقم ١٥٠) امام دور : الضريح من الخارج .



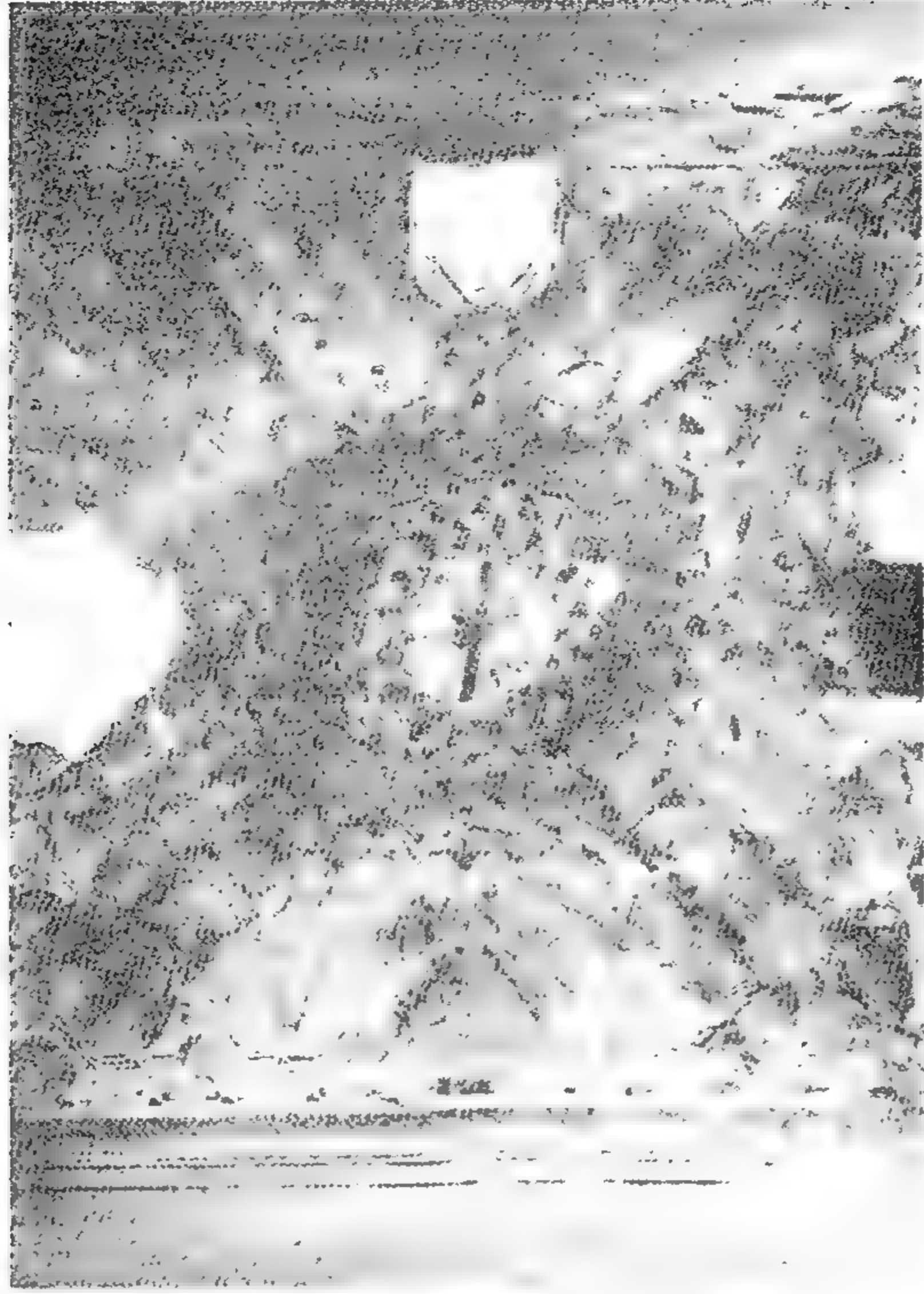
(شكل رقم ١٥١) امام دور : القبة المقرنصة (انظر لاعلى) -



(شكل رقم ١٥٢) القدس : المسجد الأقصى . البندتيف .



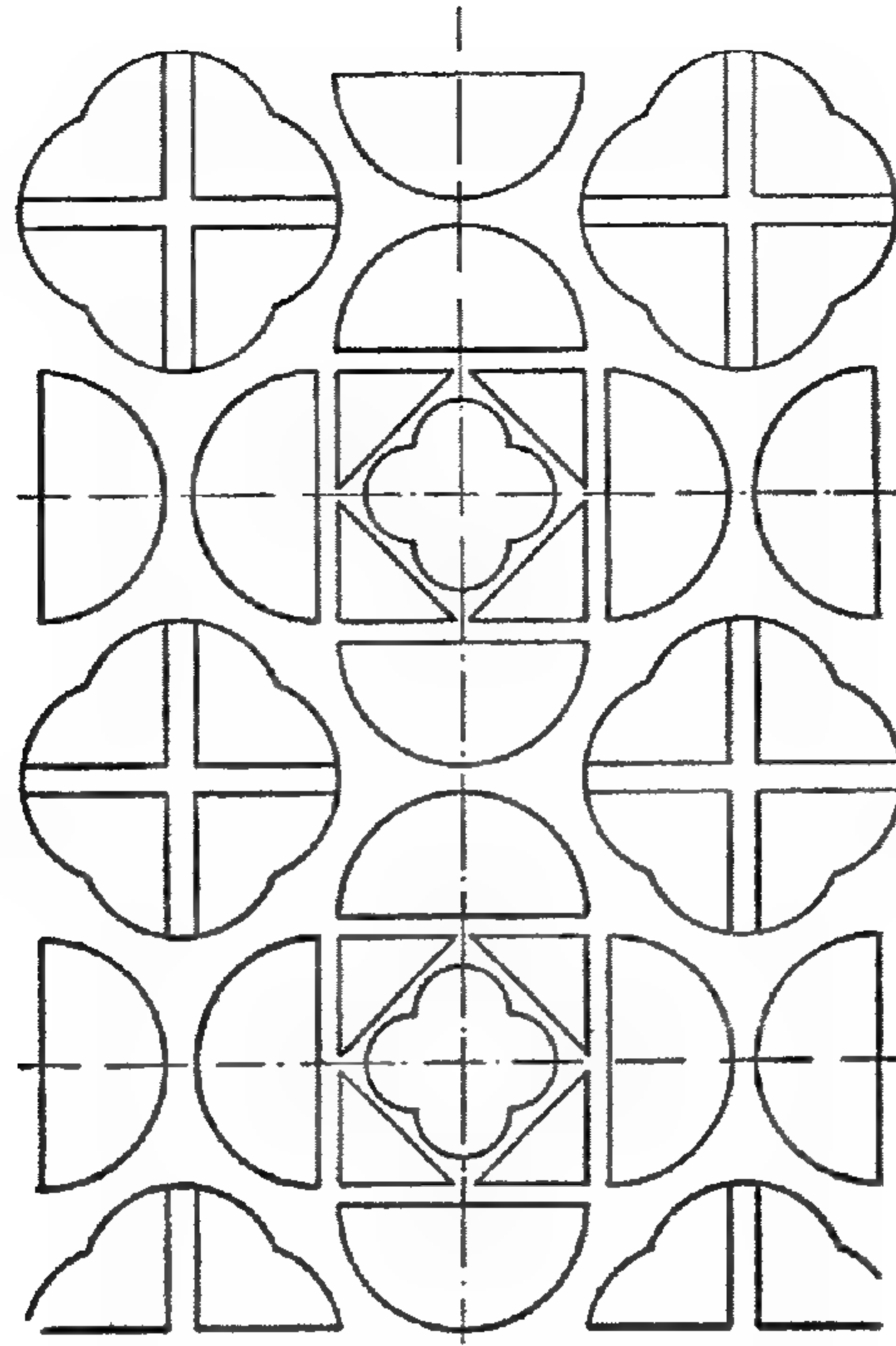
(شكل رقم ١٥٣) بصرى ، مدرسة المبرك (٥٣٠ هـ / ١١٣٦ م) .



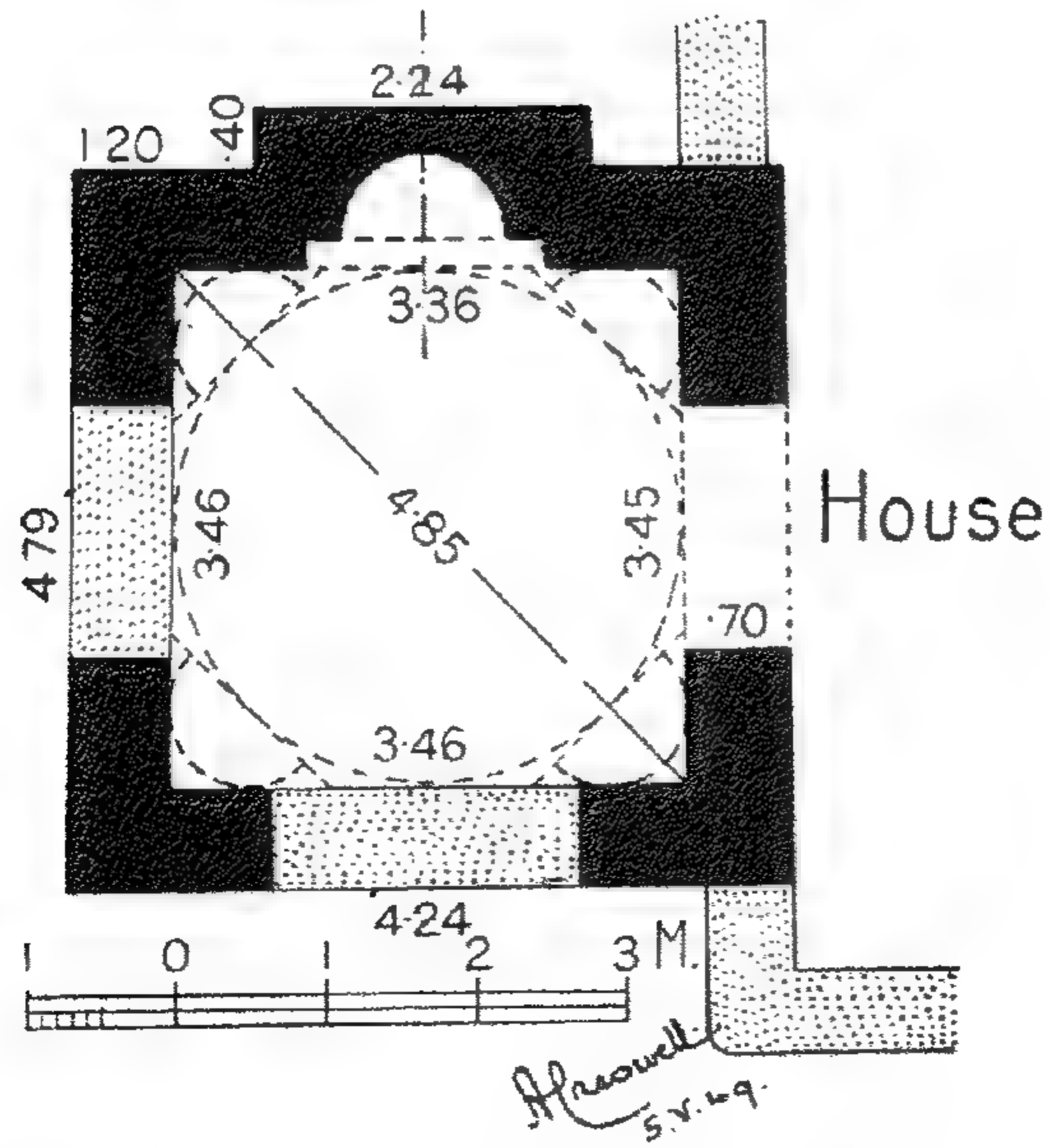
(شكل رقم ١٥٤) دمشق : مارستان نور الدين . قبة الدركاه من الداخل .



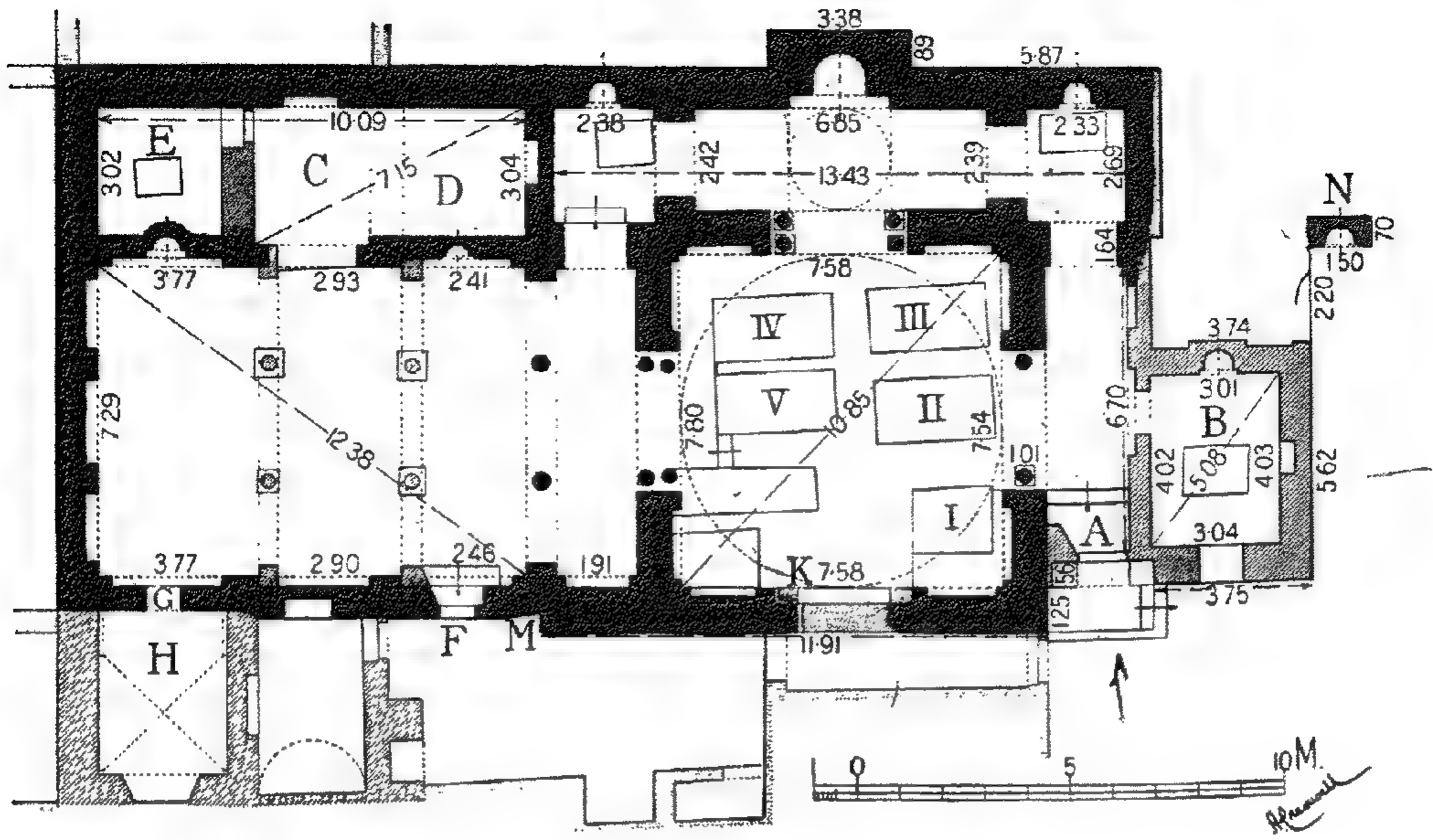
(شكل رقم ١٥٥) حلب : مدرسة شاد بخت .



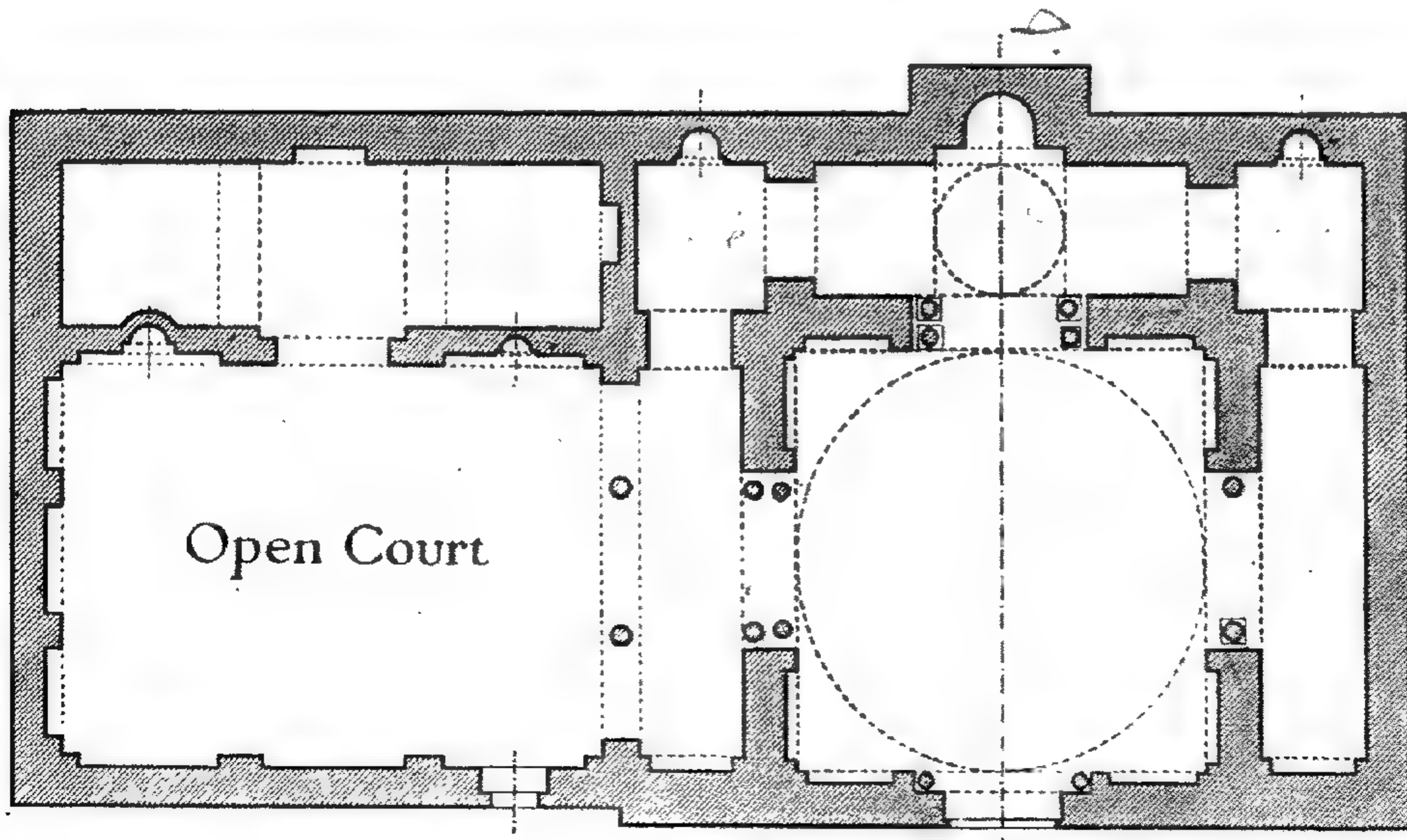
(شكل رقم ١٥٧) جامع الأزهر : نموذج (Scheme)
للزخارف المضروبة لنافذة في مدخل بيت الصلاة (مقدم الجامع) .



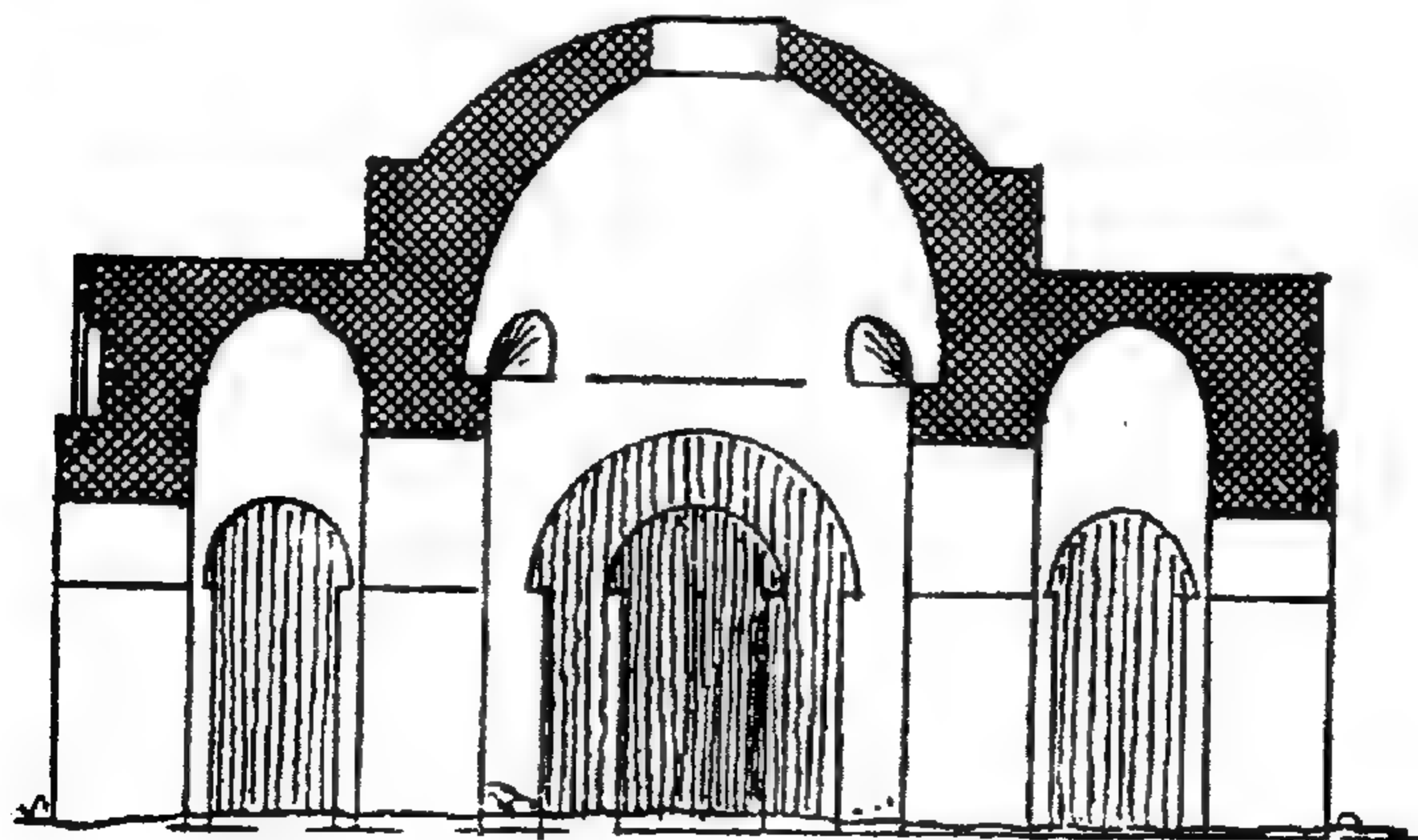
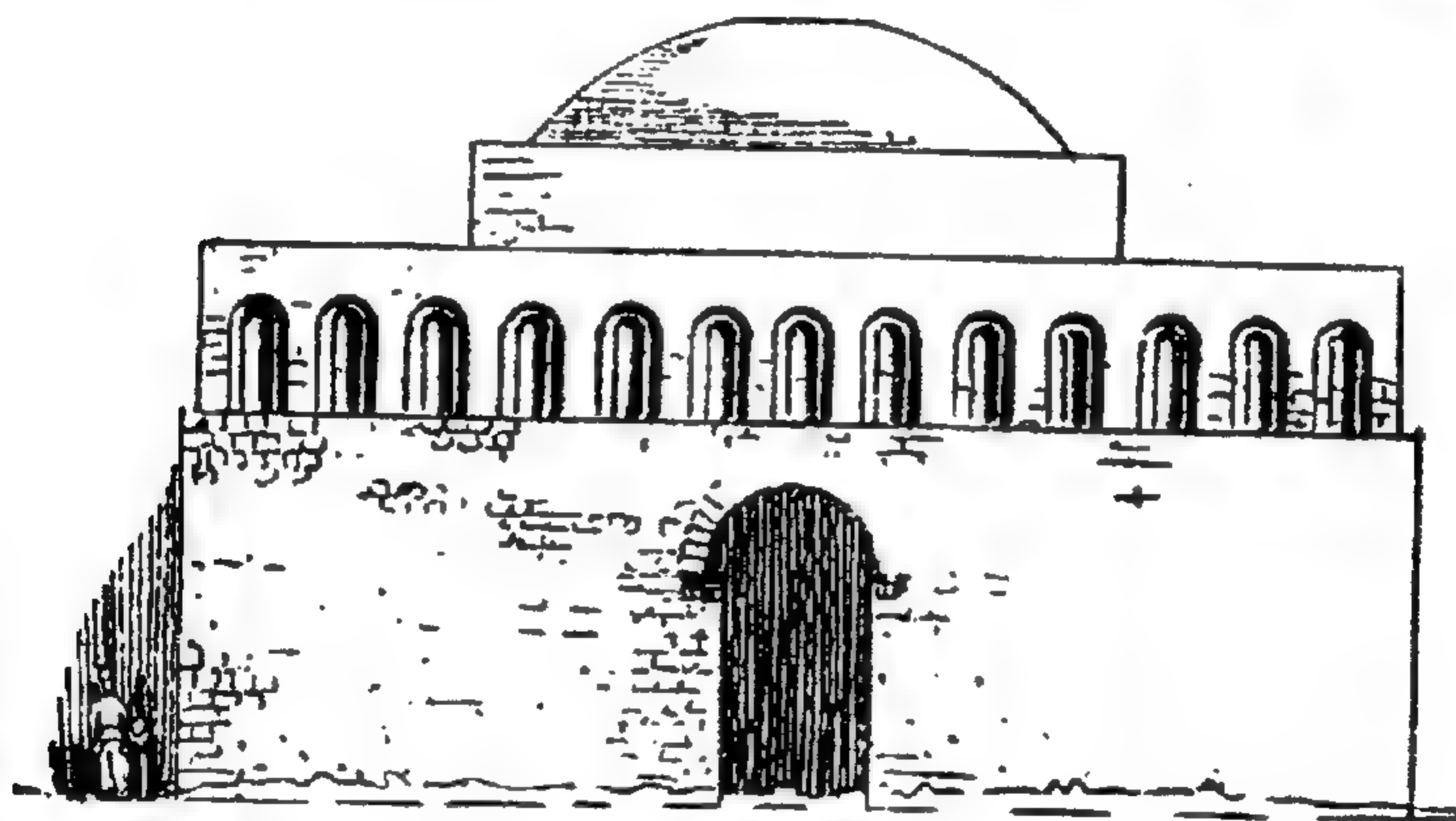
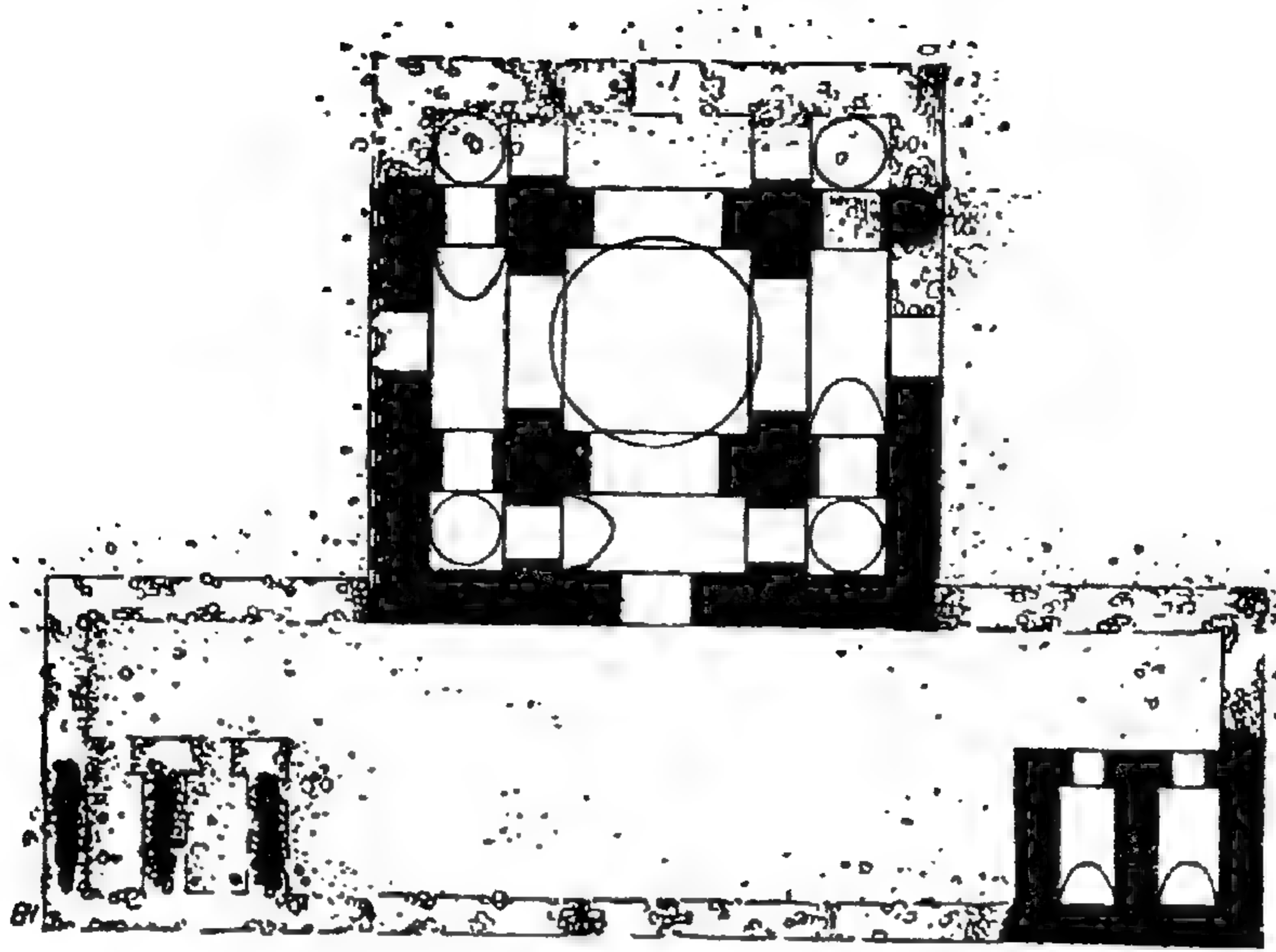
(شكل رقم ١٥٨) ضريح محمد الحسواتي : مسقط .



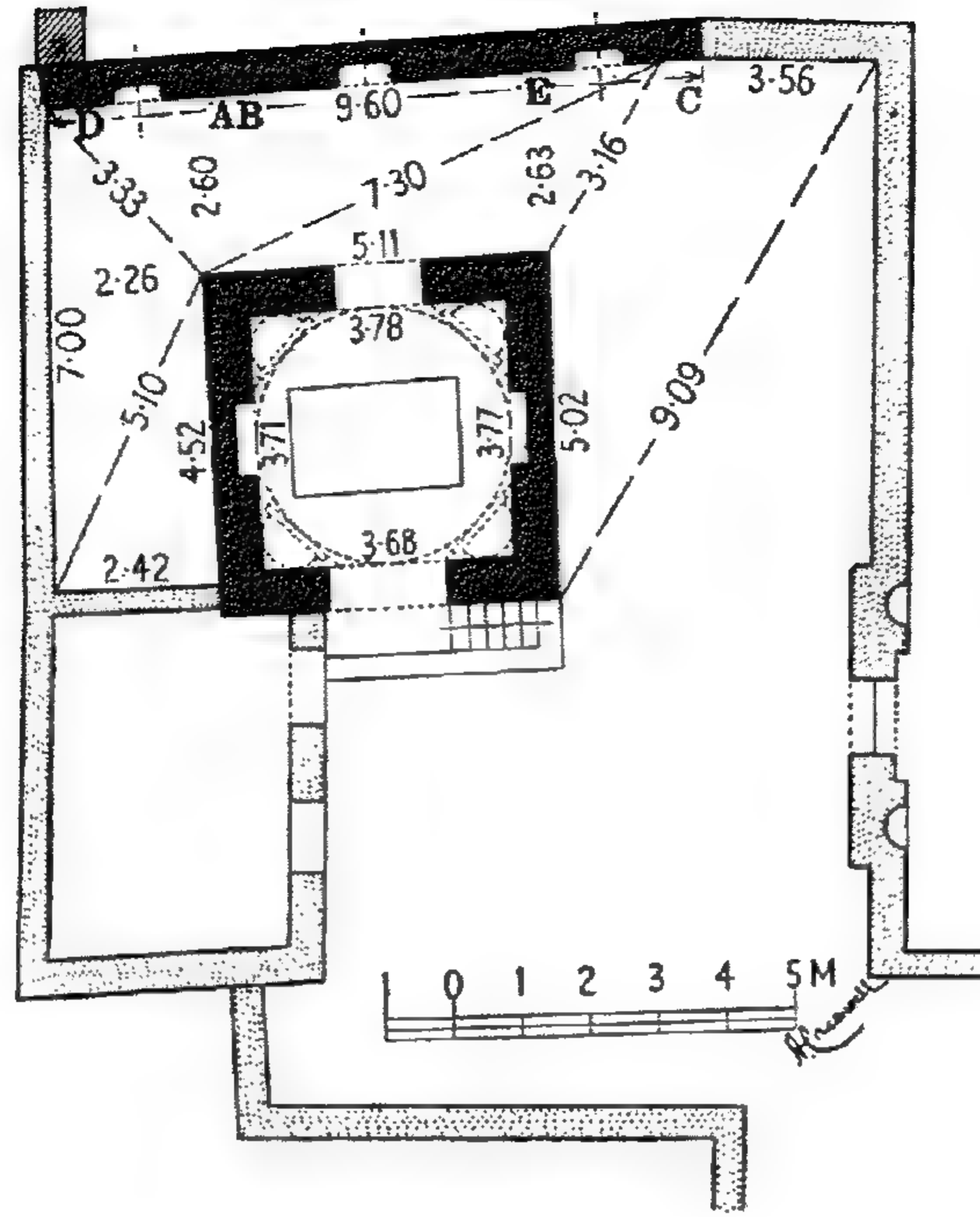
(شكل رقم ١٦٠) ضريح (مشهد) يحيى الشبيه : مسقط .



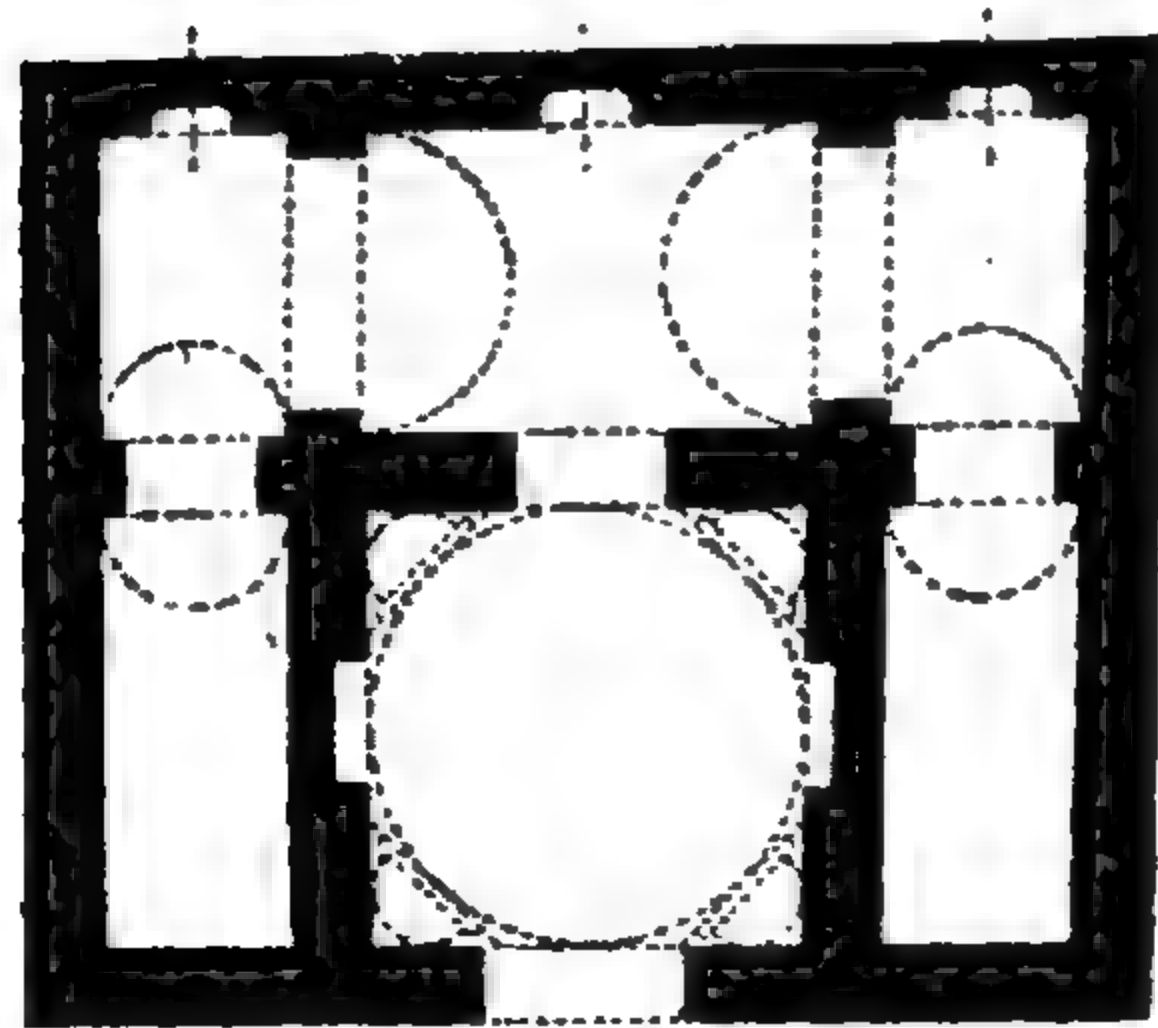
(شكل رقم ١٦١) ضريح (مشهد) يحيى الشبيه : المسقط الأصلي المقترح .



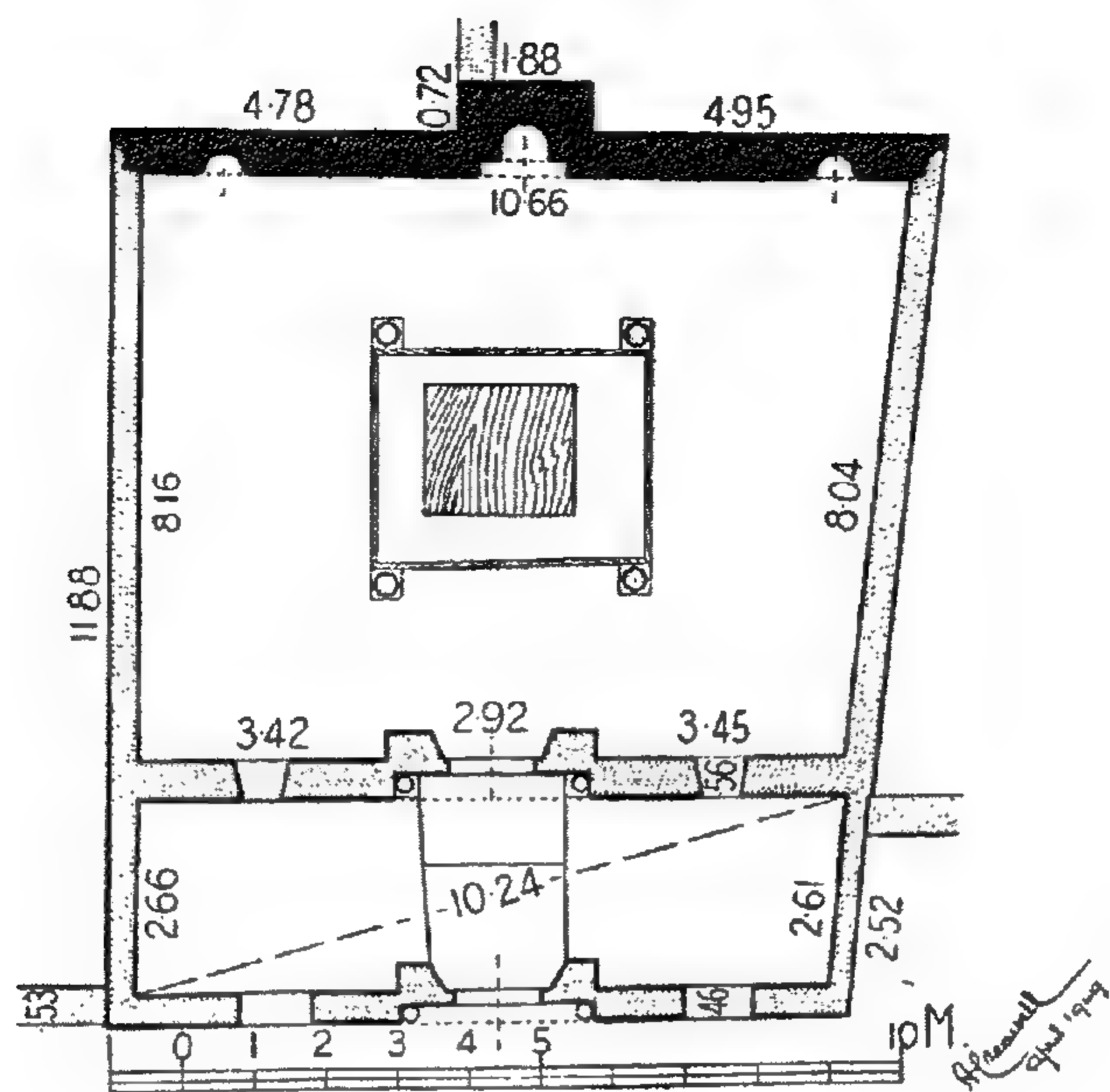
(شكل رقم ١٦٢) معبد النار قرب جيرا (عن هرتزفيلد) .



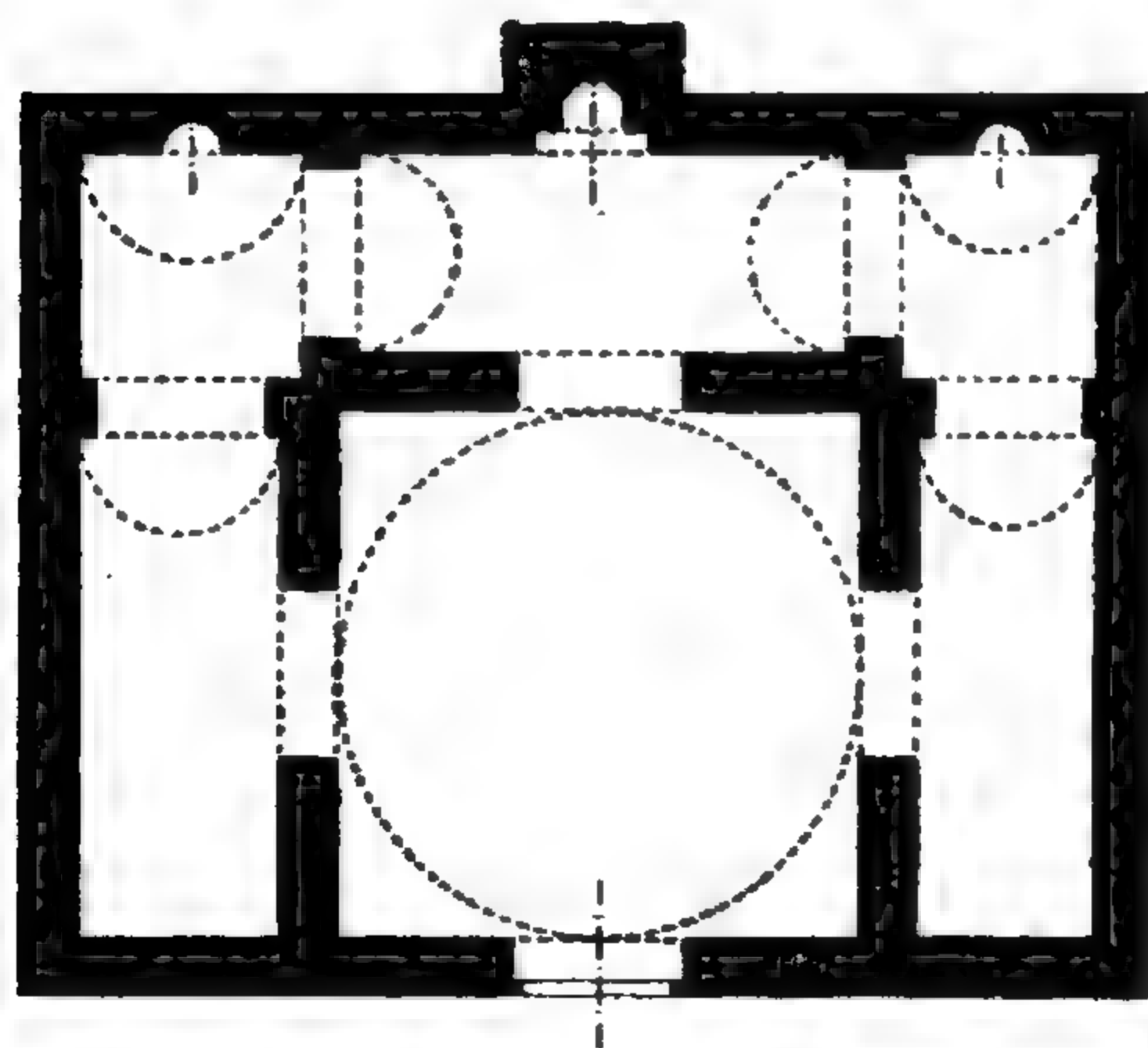
(شكل رقم ١٦٣) ضريح (مشهد) قاسم أبو الطيب : مسقط .



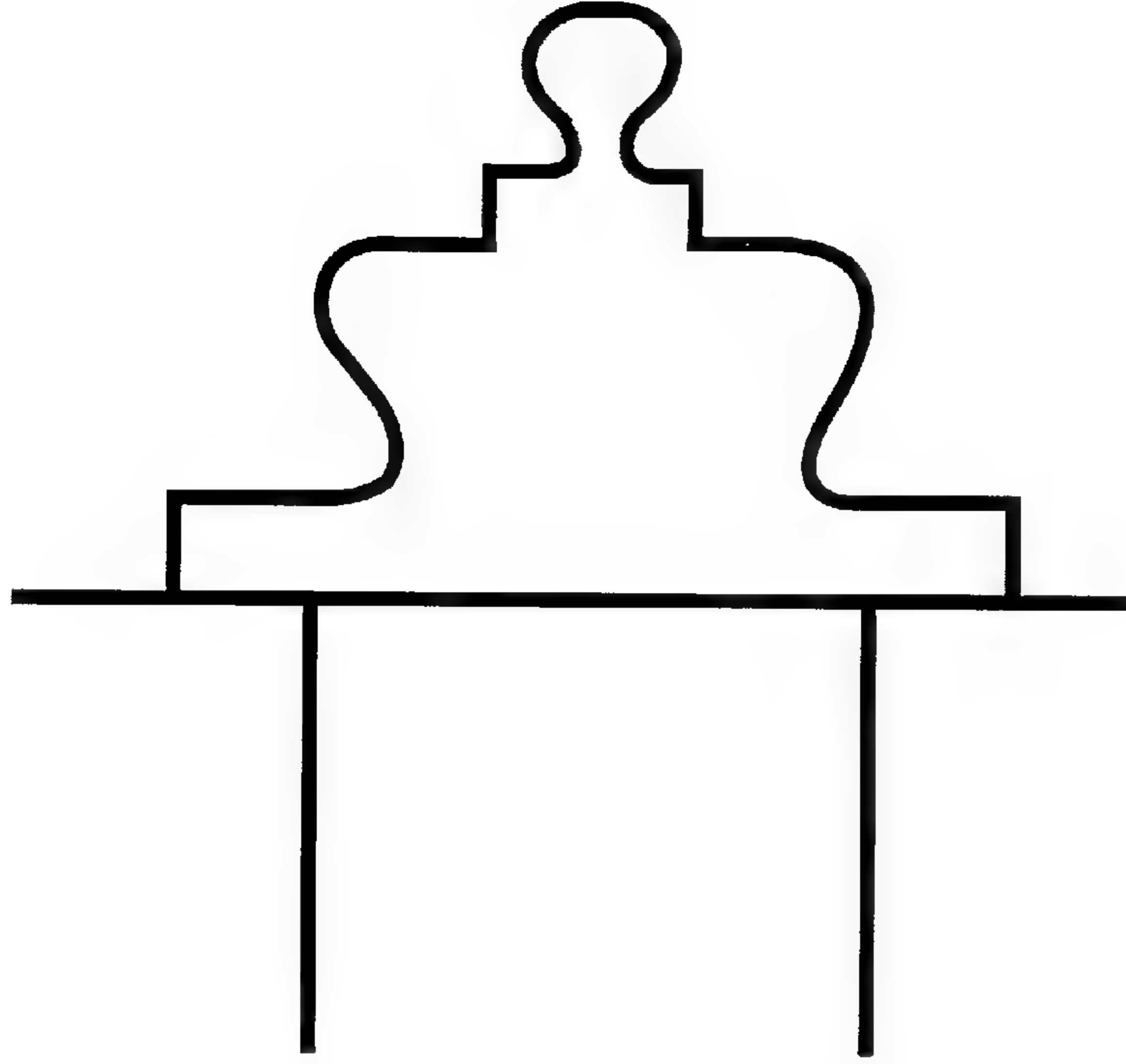
(شكل رقم ١٦٤) ضريح (مشهد) قاسم أبو الطيب : المسقط الأصلي المقترح .



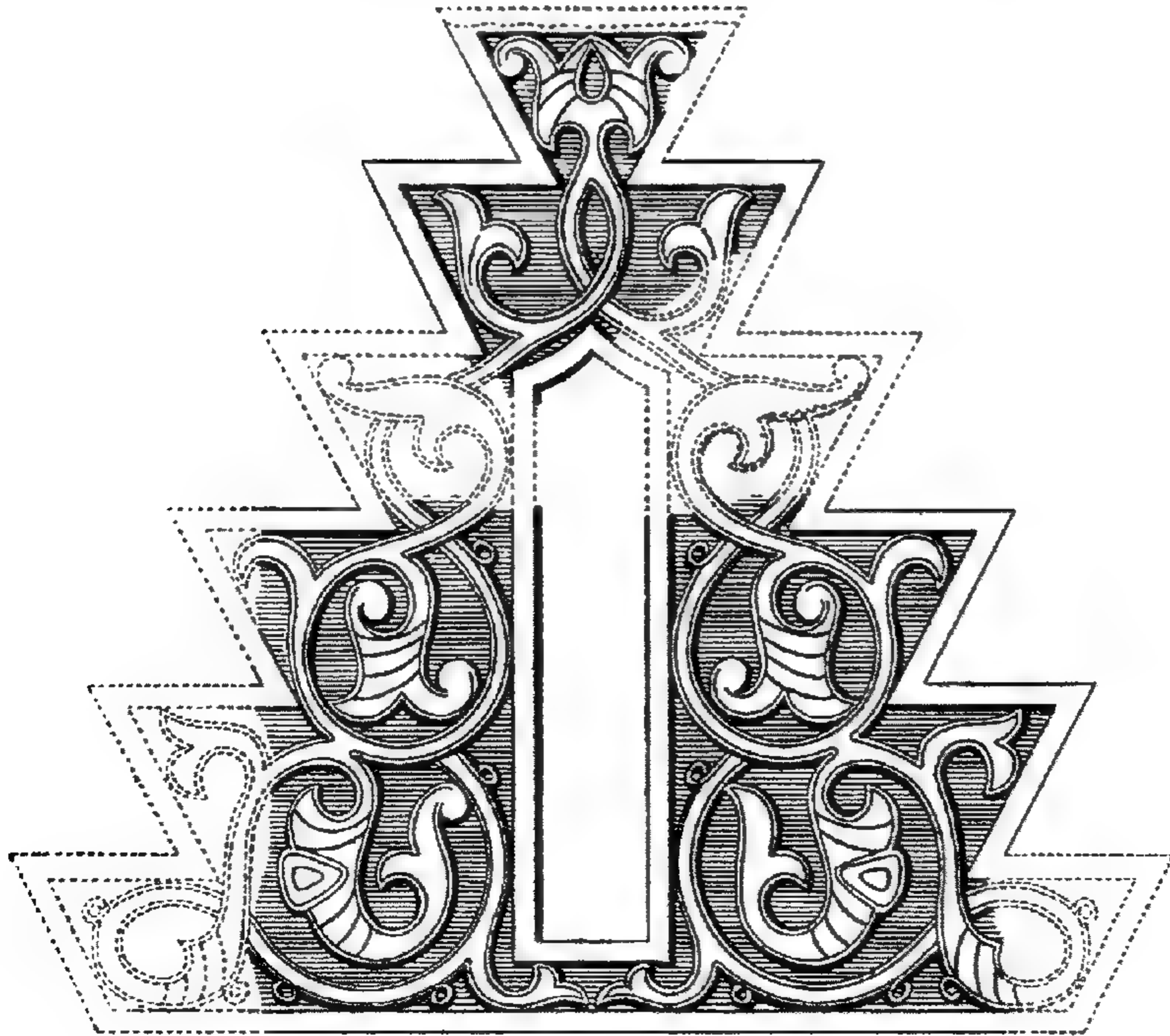
(شكل رقم ١٦٥) ضريح (مشهد) أم كلثوم : مسقط .



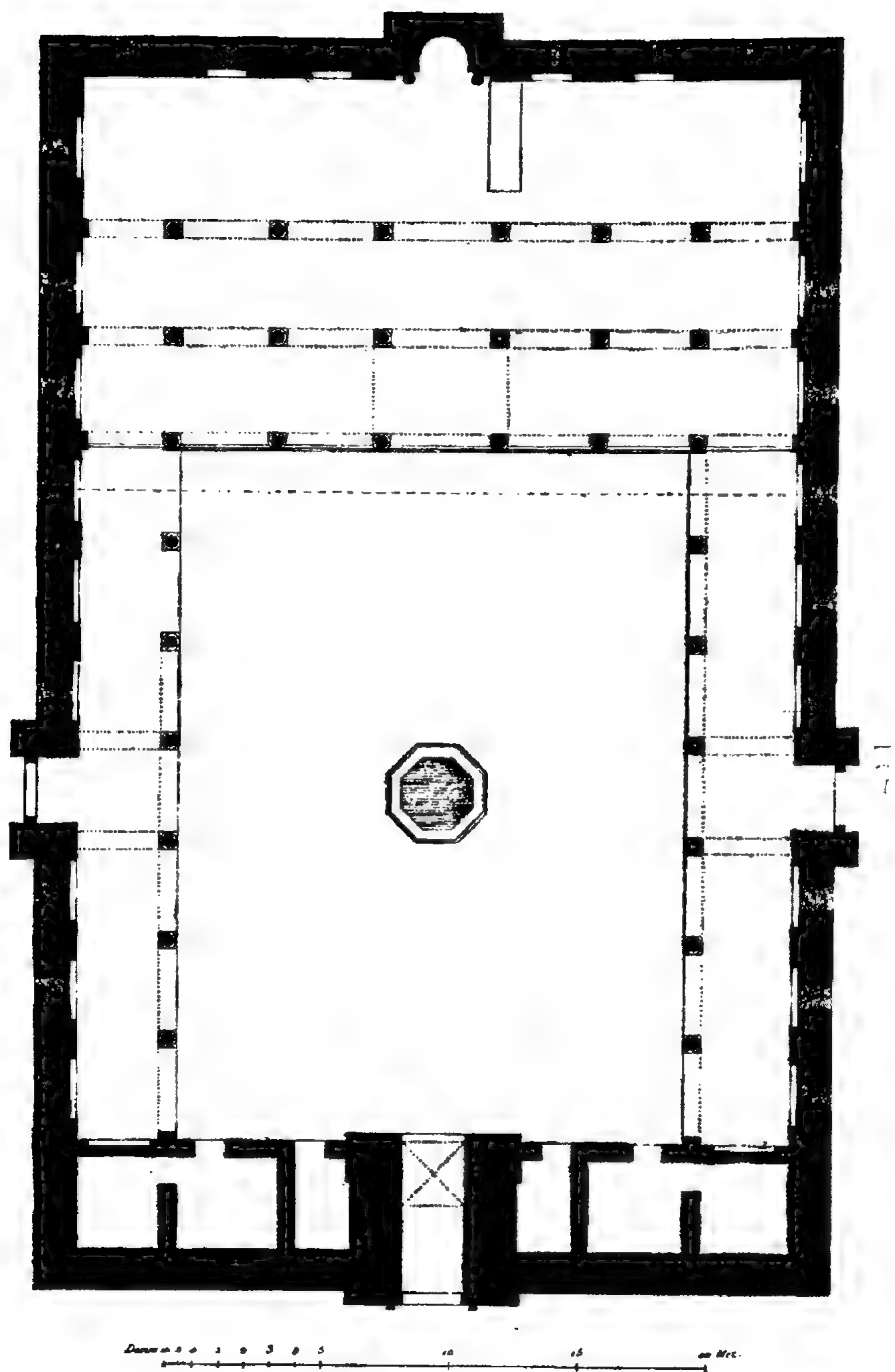
(شكل رقم ١٦٦) ضريح (مشهد) أم كلثوم : المسقط الأصلي المقترح .



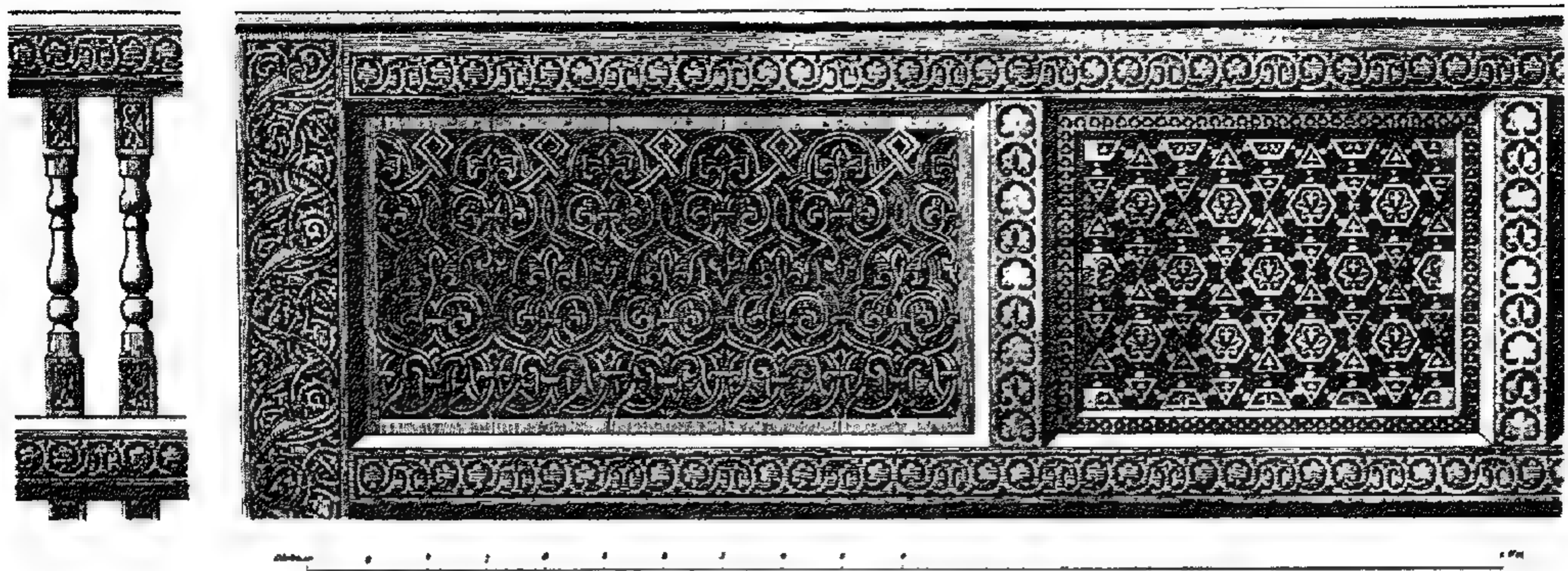
(شكل رقم ١٦٧) مسجد الصالح طلائع ، زخرفة فوق النافذة .



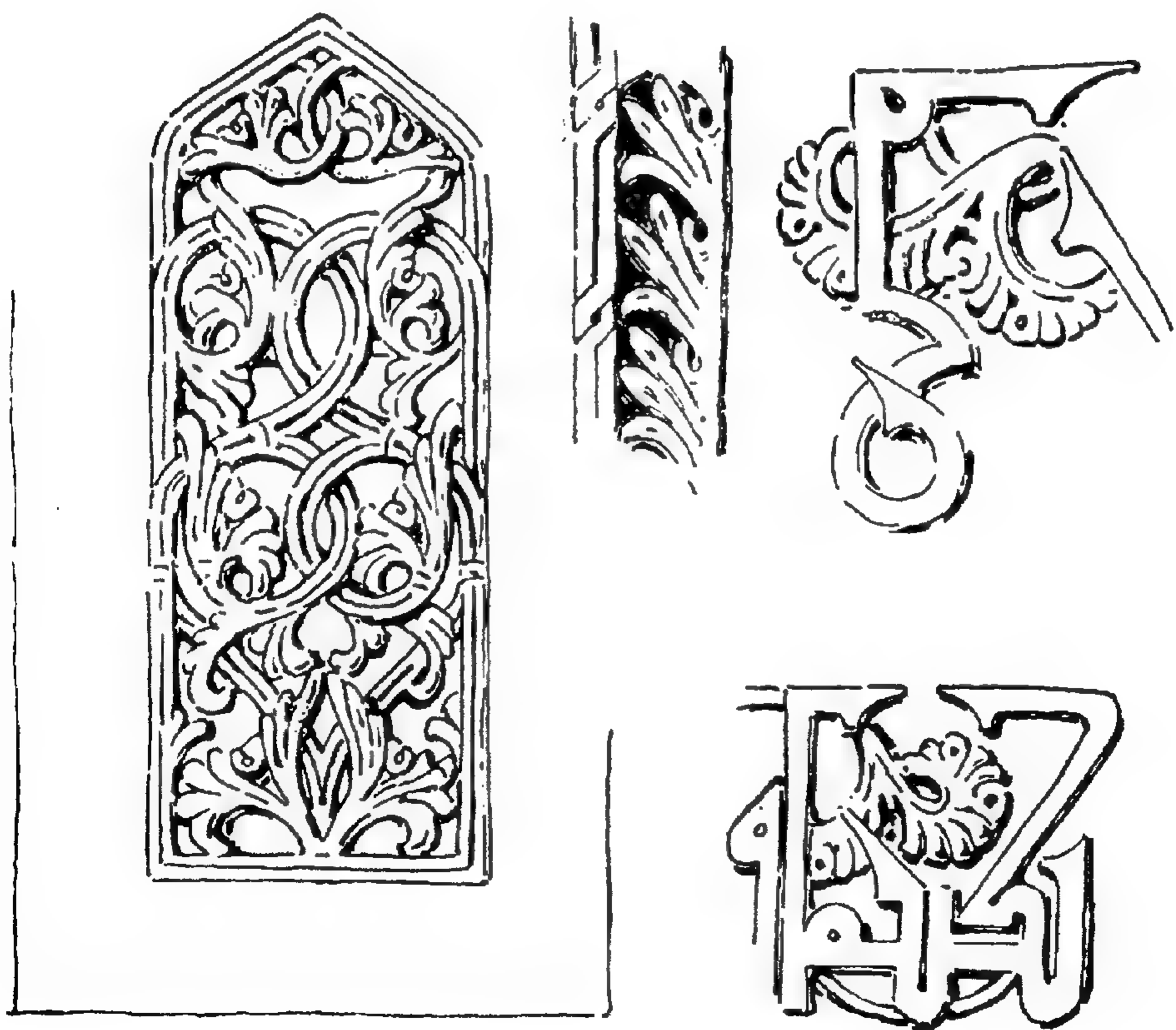
(شكل رقم ١٦٨) مسجد الصالح طلائع ، شرافة .



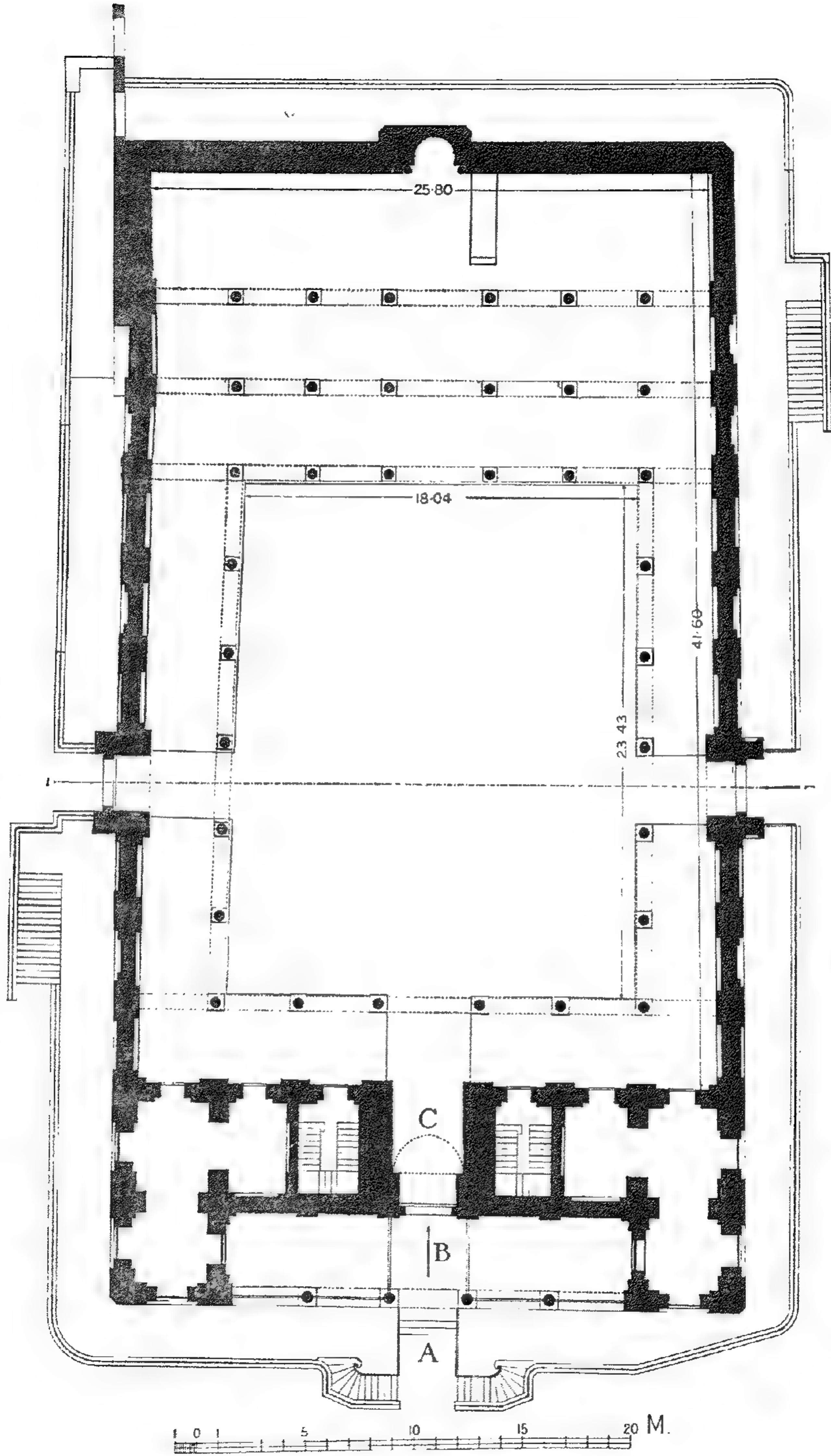
(شكل رقم ١٦٩) مسجد الصالح طلائع : مسقط (عن : بريس دافين) .



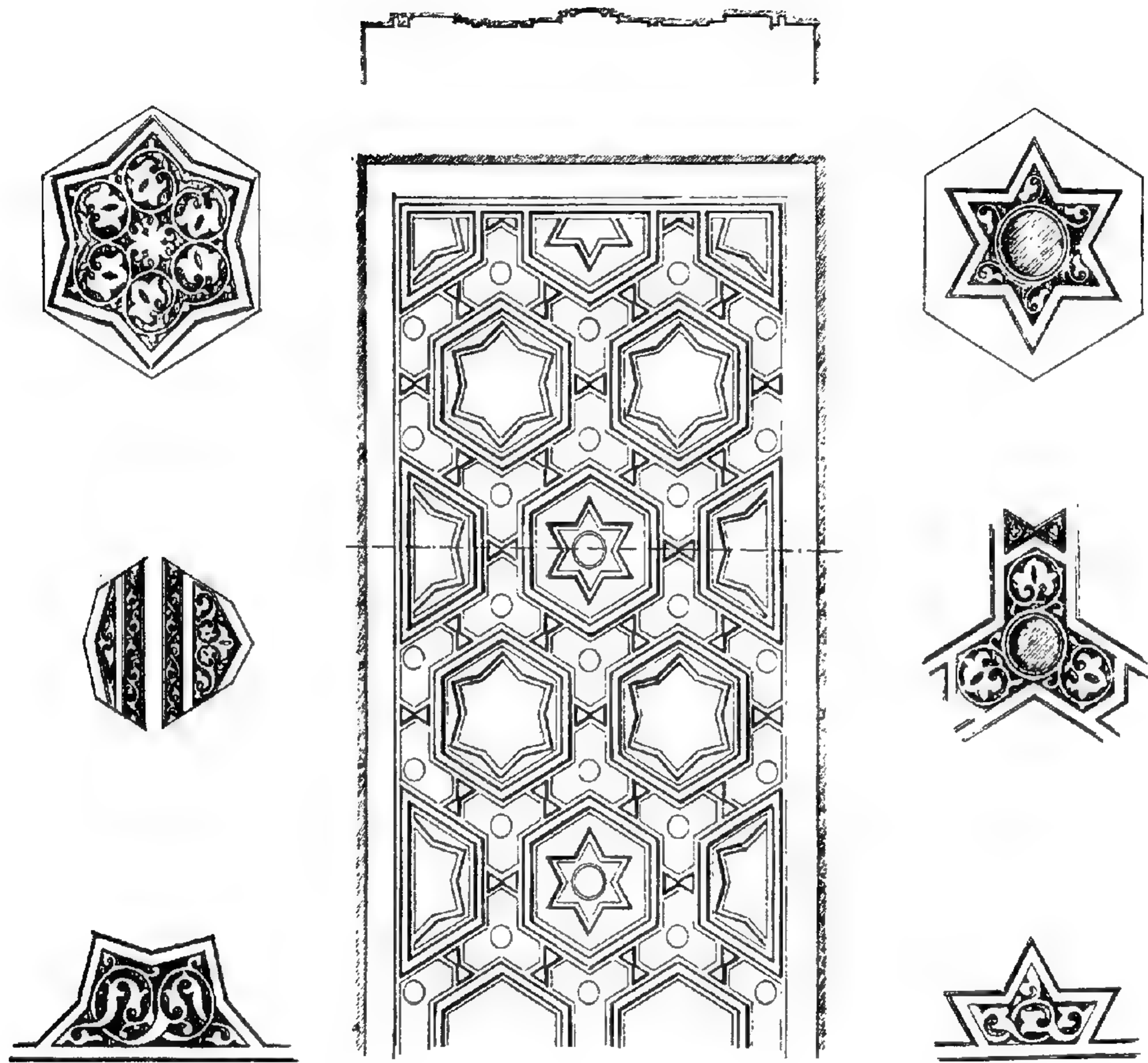
(شكل رقم ١٧٠) مسجد الصالح طلائع : مقصورة . (عن : بريس دافين) .



(شكل رقم ١٧١) مسجد الصالح طلائع : تفاصيل من الزخارف . (عن : مارسيه) .



(شكل رقم ١٧٢) مسجد الصالح طلائع : مسقط أفقي (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .



(شكل رقم ١٧٣) مسجد الصالح طلائع : تفاصيل من السقف
(عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .

ثانياً اللوحات



ج - الجزء البارز في الركن الغربي .



ب - المدخل التذكاري في منتصف الجانب الشمالي .



د - الداخل (جهة الشمال) .

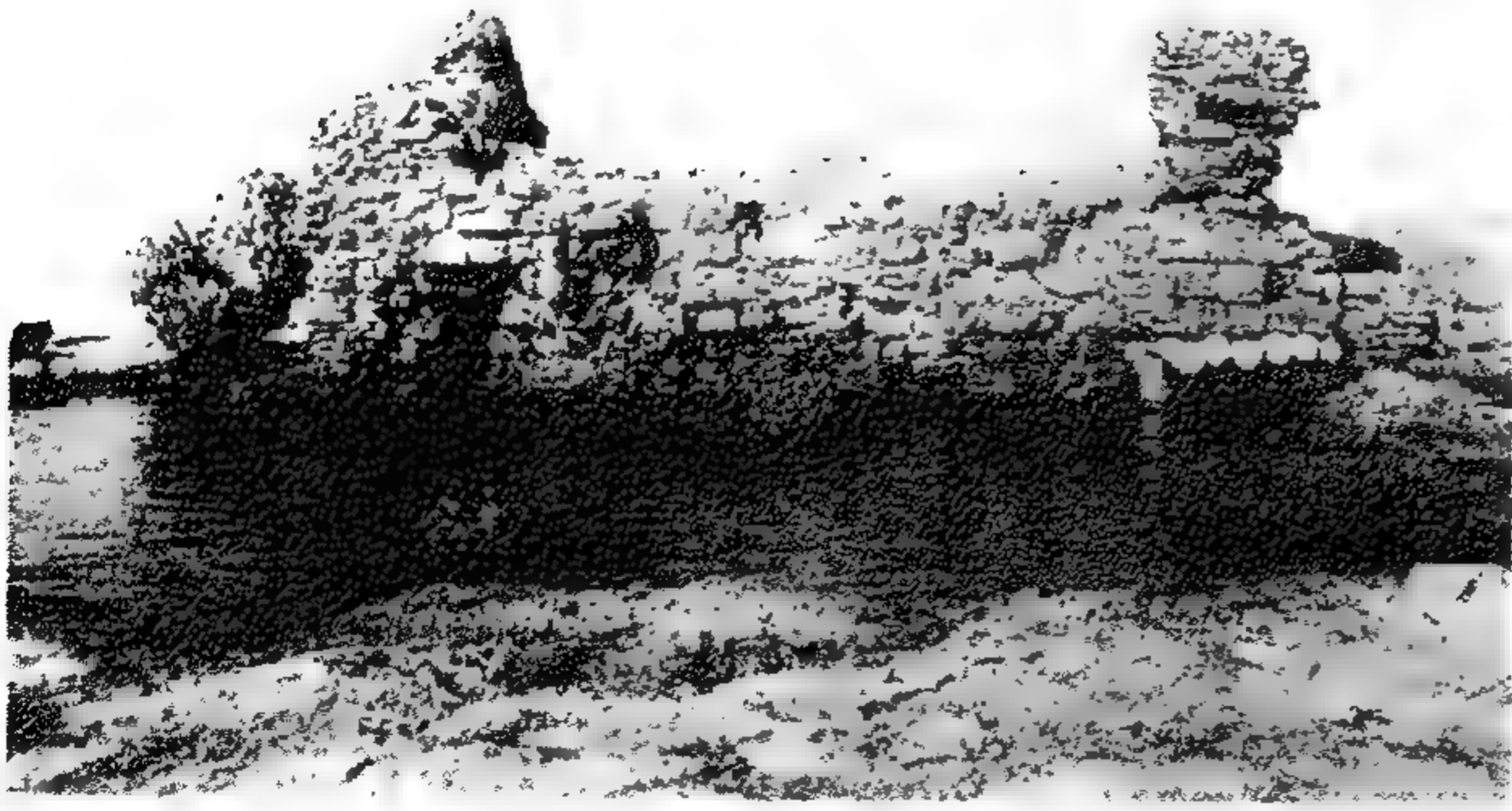
(لوحة رقم ١) جامع المهدية (تونس) .



أ - الجامع : رواق في الجانب الشمالي من الصحن .



ب - الجامع : الداخل (جهة الجنوب) .



د - المدخل إلى الميمنة
(جهة الغرب) .

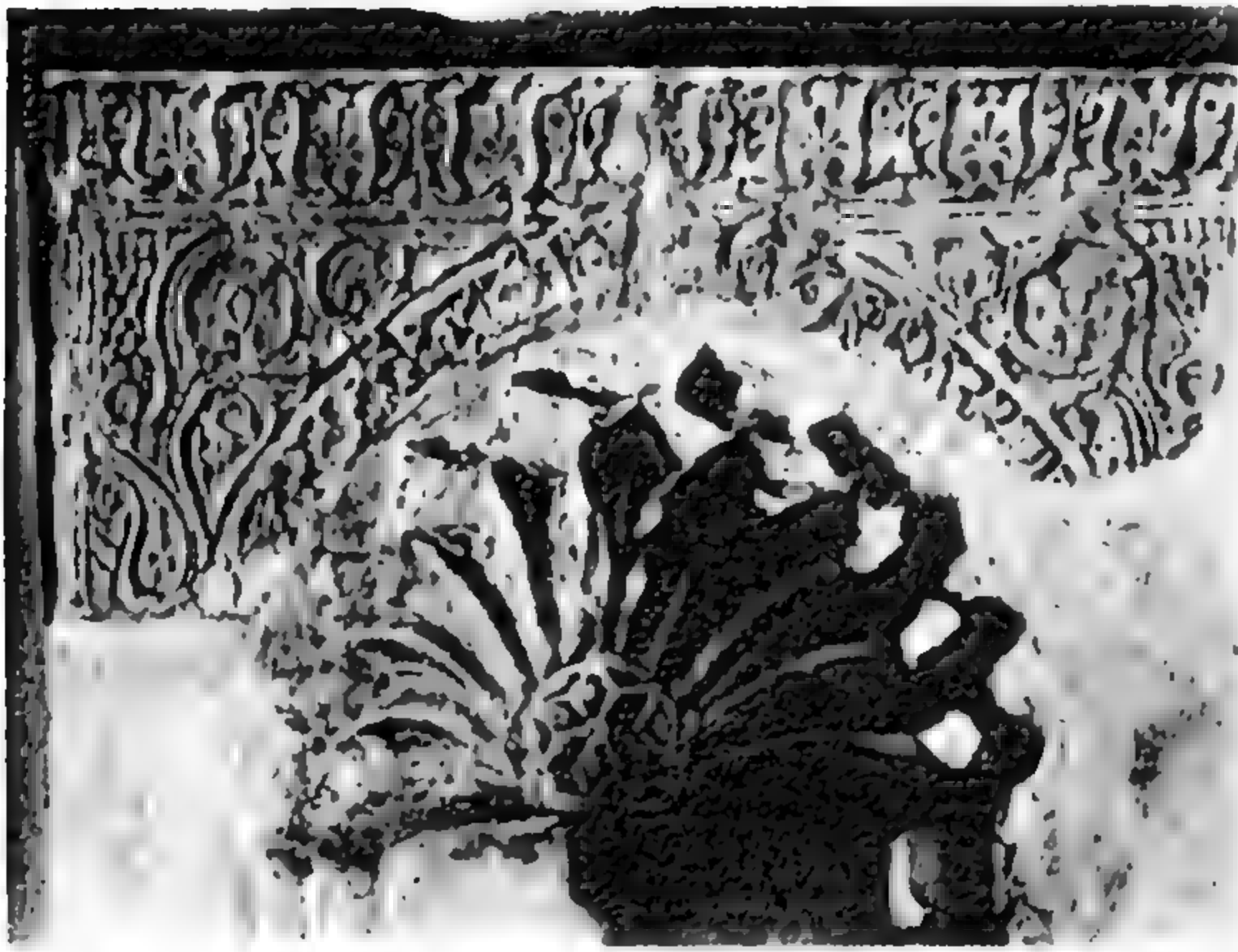


ج - الجدران : بقايا برج
في الجانب الجنوبي .

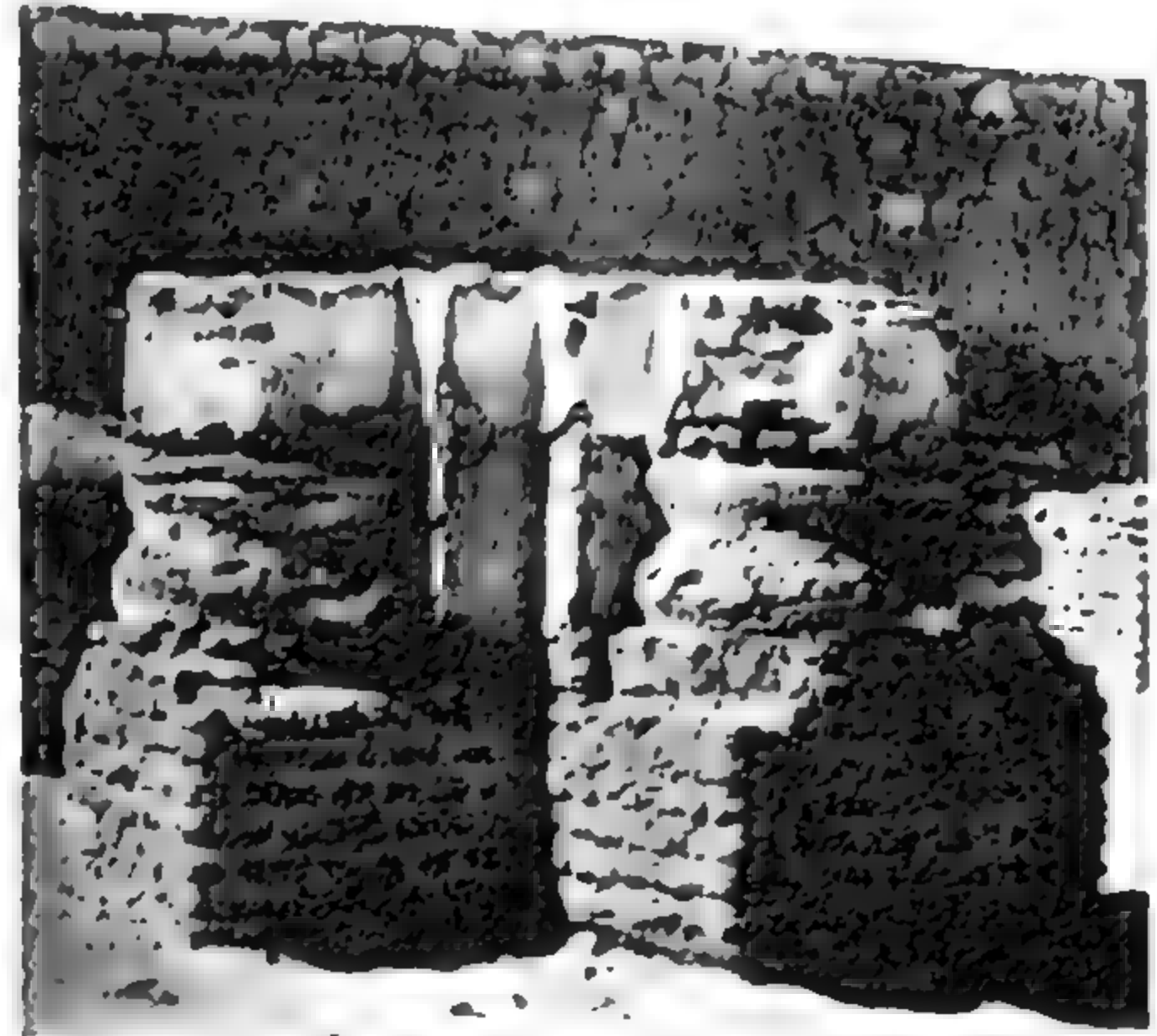
(لوحة رقم ٢) جامع المهديّة .



أ - بقايا مشهد الشريف طباطبا .



ج - محراب مبكر يتقدم مشهد الشبيه .

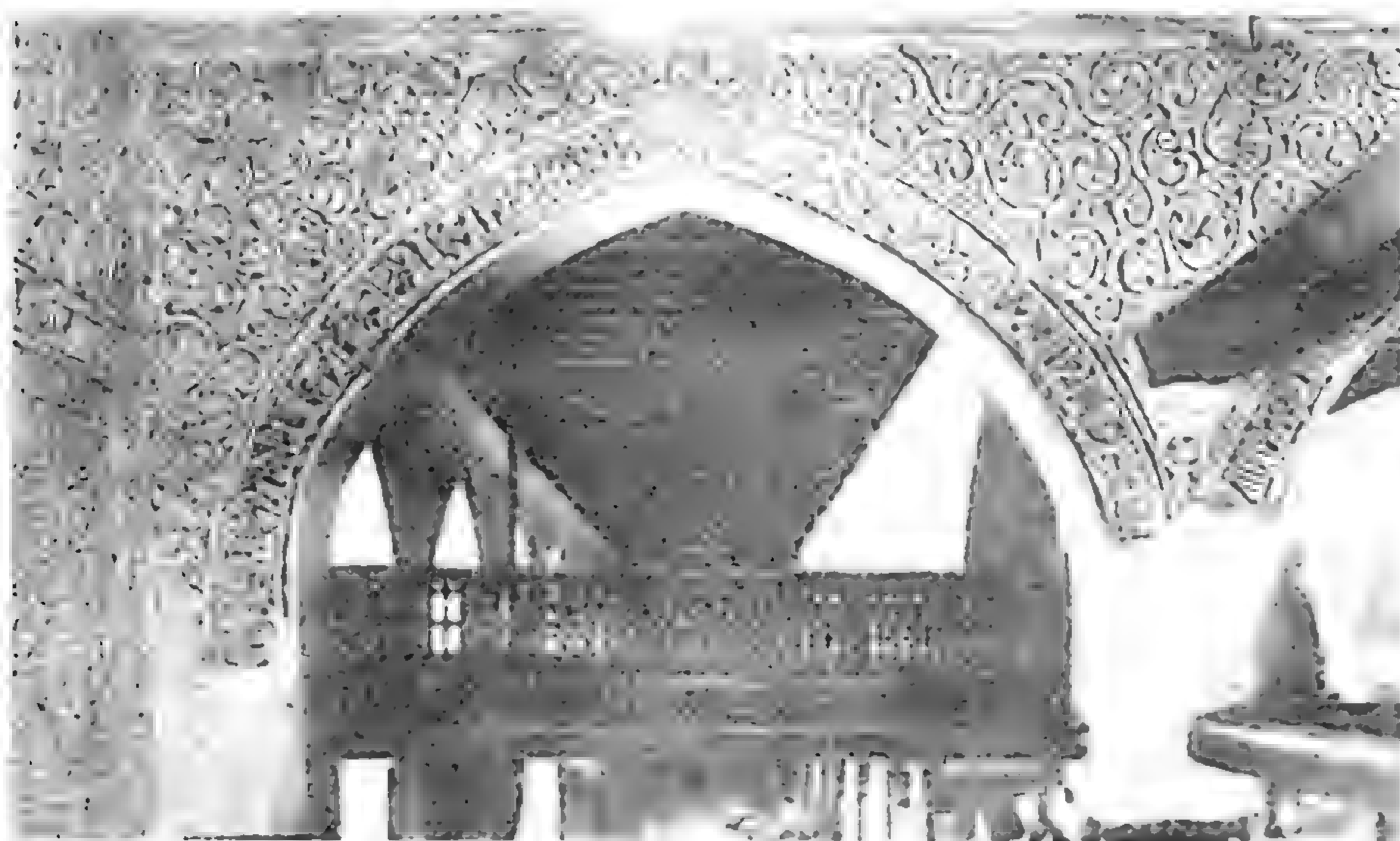


ب - مشهد الشريف طباطبا ، بقايا دعامة .

(لوحة رقم ٣) مشهد الشريف طباطبا بالقاهرة (عين الصيرة) .



أ - المجاز القاطع (الرواق) (البلاط) الأوسط العمودي) المحراب .

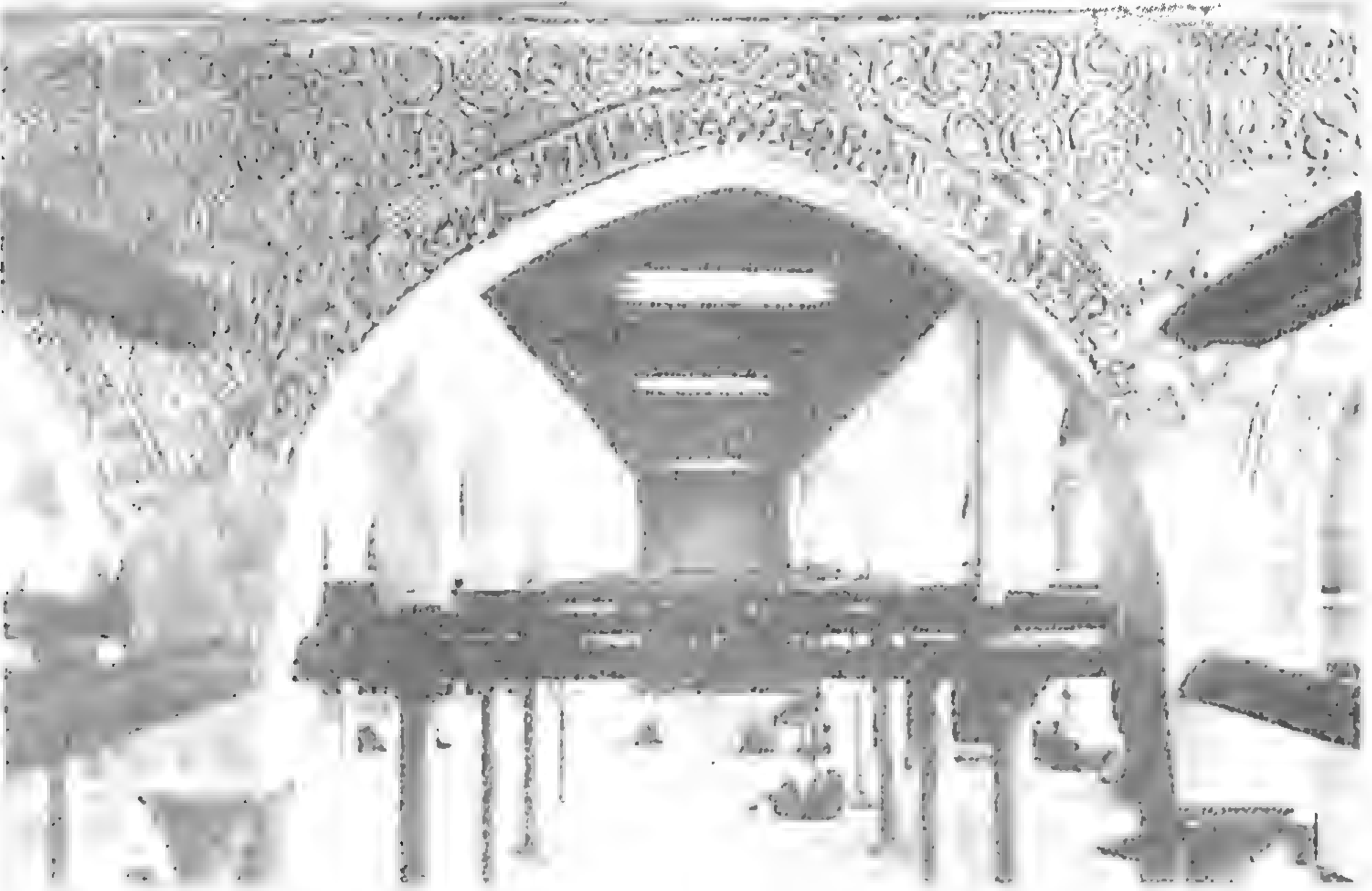


ب - زخرفة المجاز القاطع . العقد الأول إلى اليسار .

(لوحة رقم ٤) جامع الأزهر ، ٣٥٩ - ٣٦١ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٢ م .



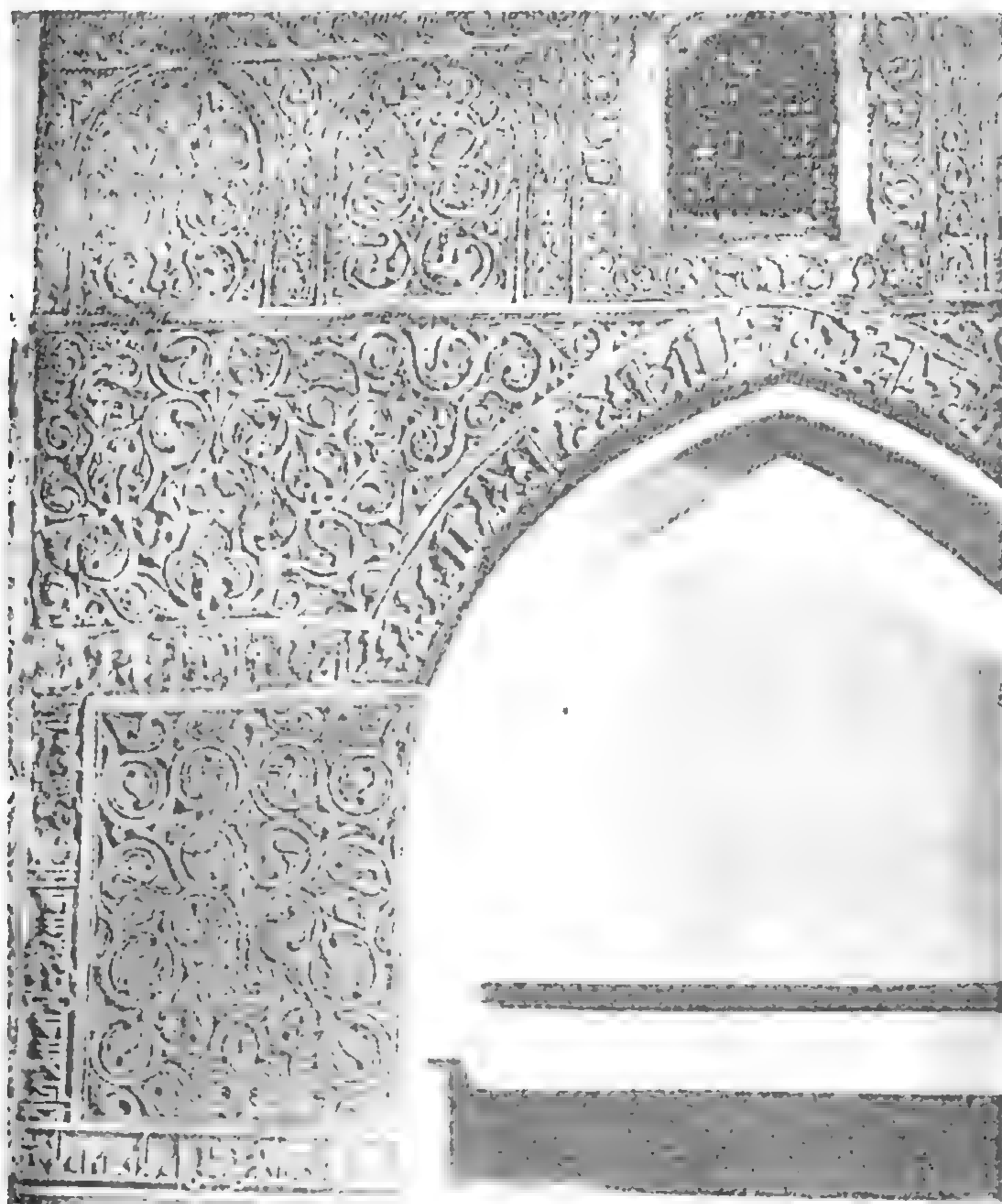
أ - زخرفة المجاز القاطع ، الجانب الجنوبي الغربي . العقد الأول .



ب - زخرفة المجاز القاطع ، الجانب الجنوبي الغربي . العقد الثاني .

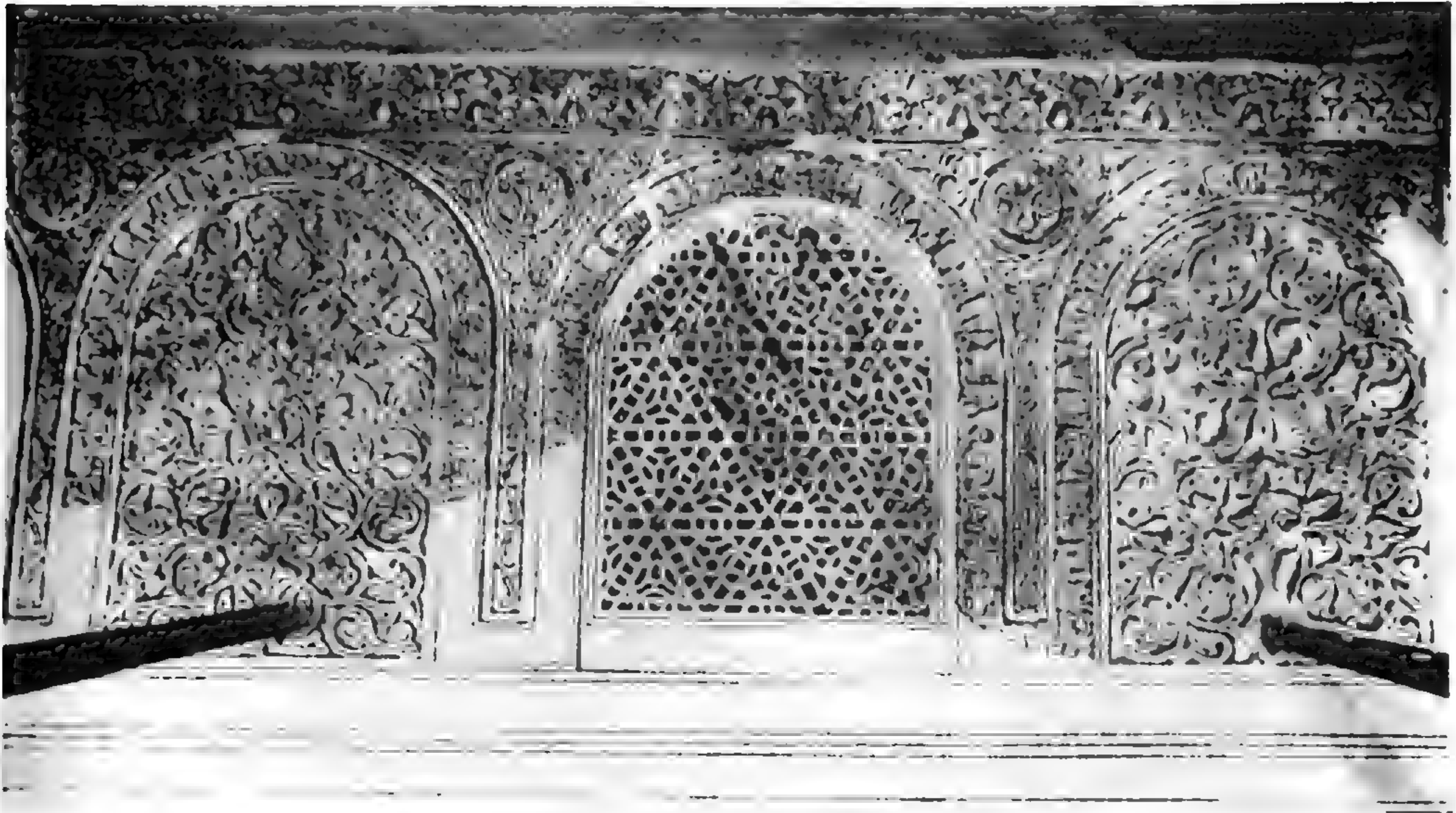


أ - زخرفة المجاز القاطع ، الجانب الجنوبي الغربي ، العقد الثالث .



ب - زخرفة المجاز القاطع ، الجدار الذي يتقدم الصحن .

(لوحة رقم ٦) جامع الأزهر ، ٣٥٩ - ٣٦١ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٢ م .

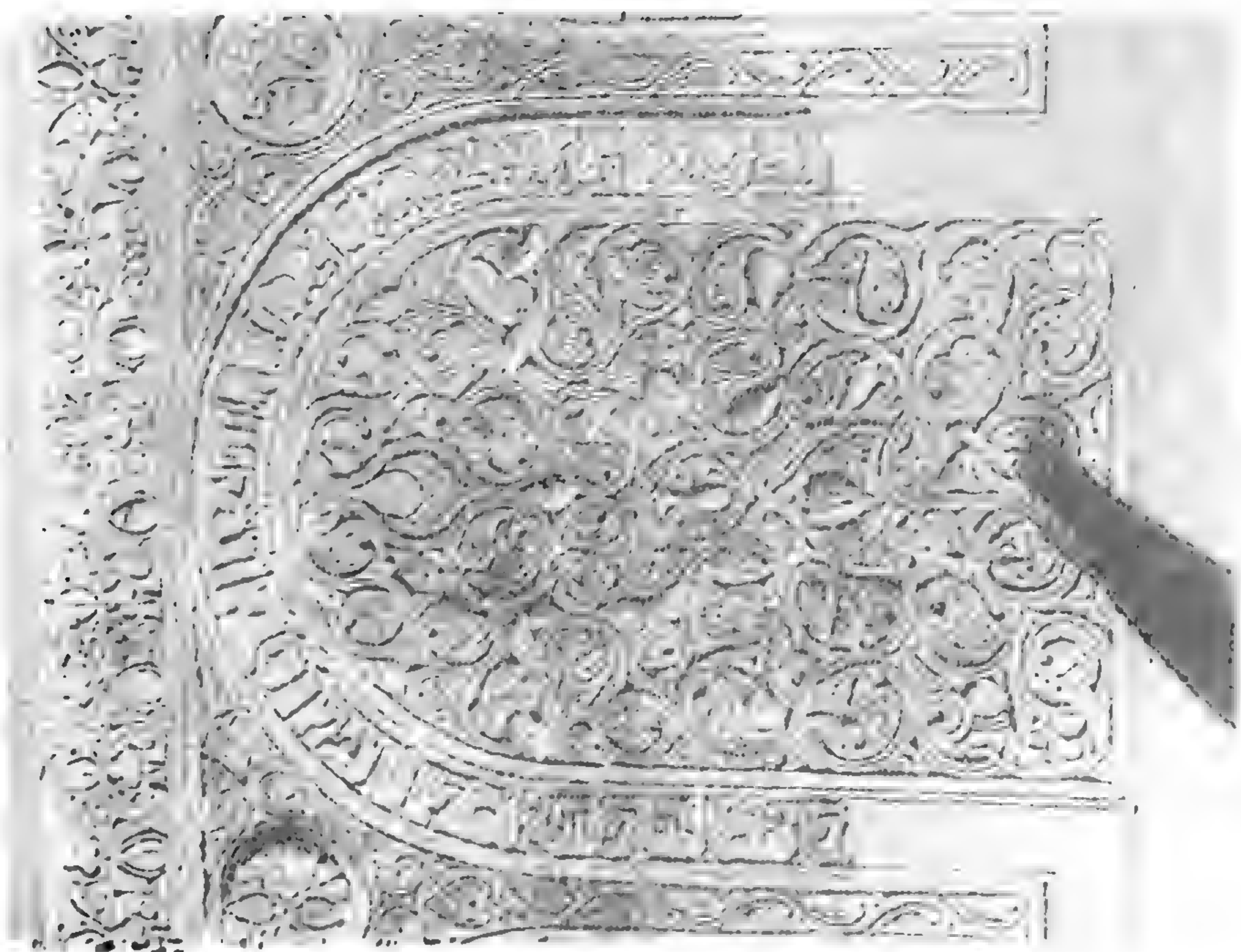


أ - حشوات ونافذة بجدار القبلة (أنظر أيضاً لوحة ٨) .

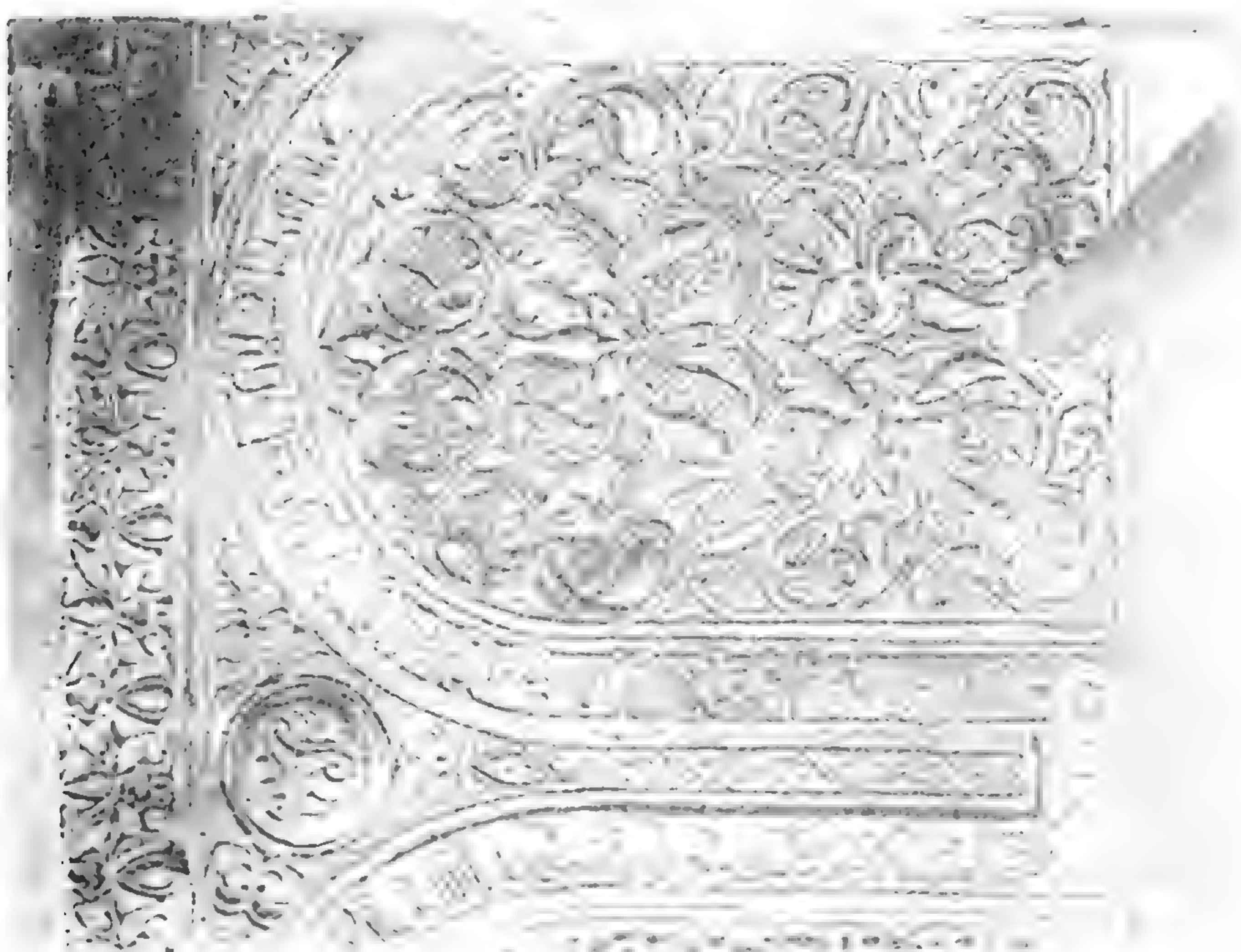


ج - المحراب ، زخرفة العقد ونصف القبة (الطاقية)
أصلية والبقية تعود إلى فترة متأخرة
(أنظر أيضاً لوحة ١١٤) .

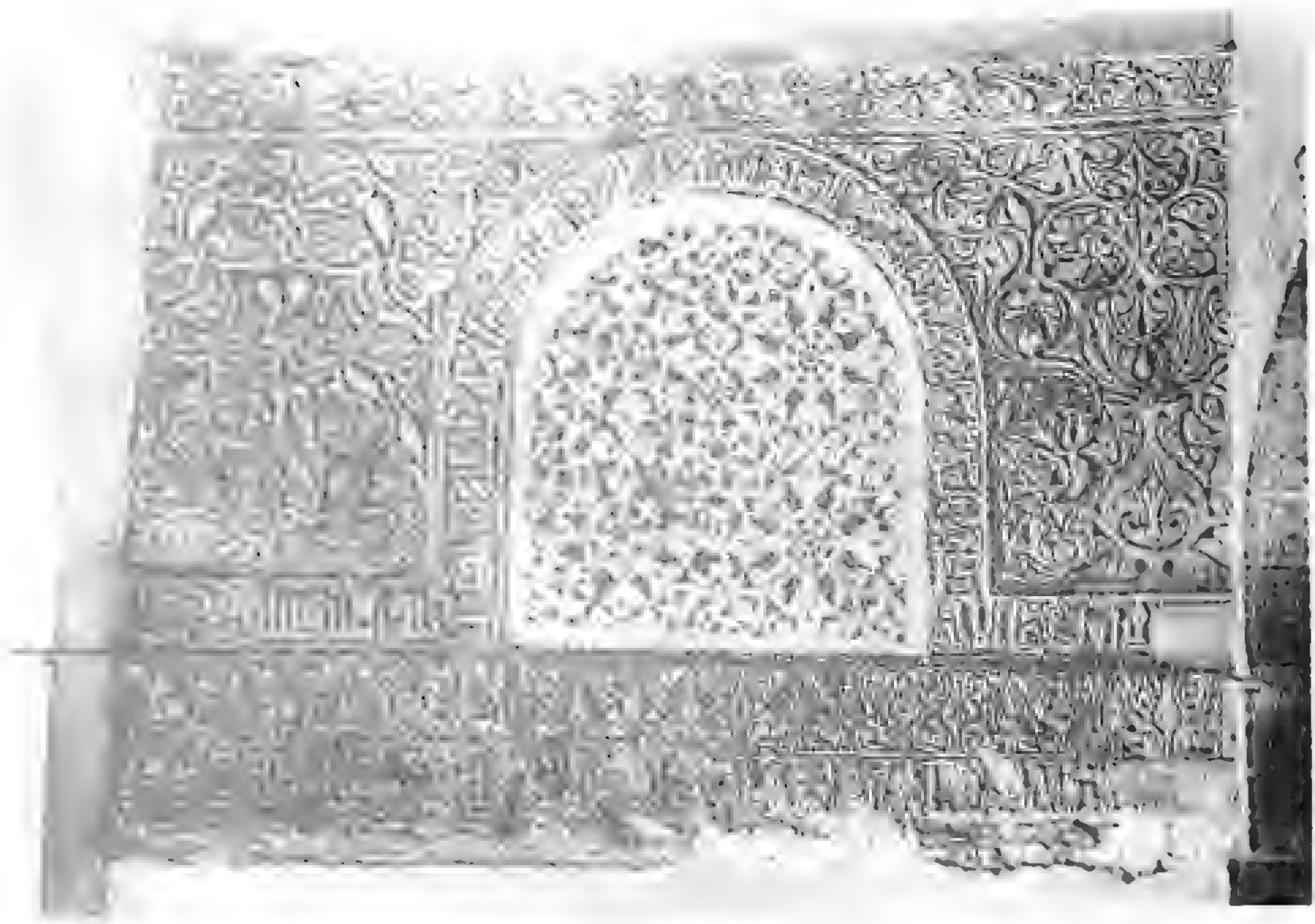
ب - المحراب ، زخرفة باطن العقد .



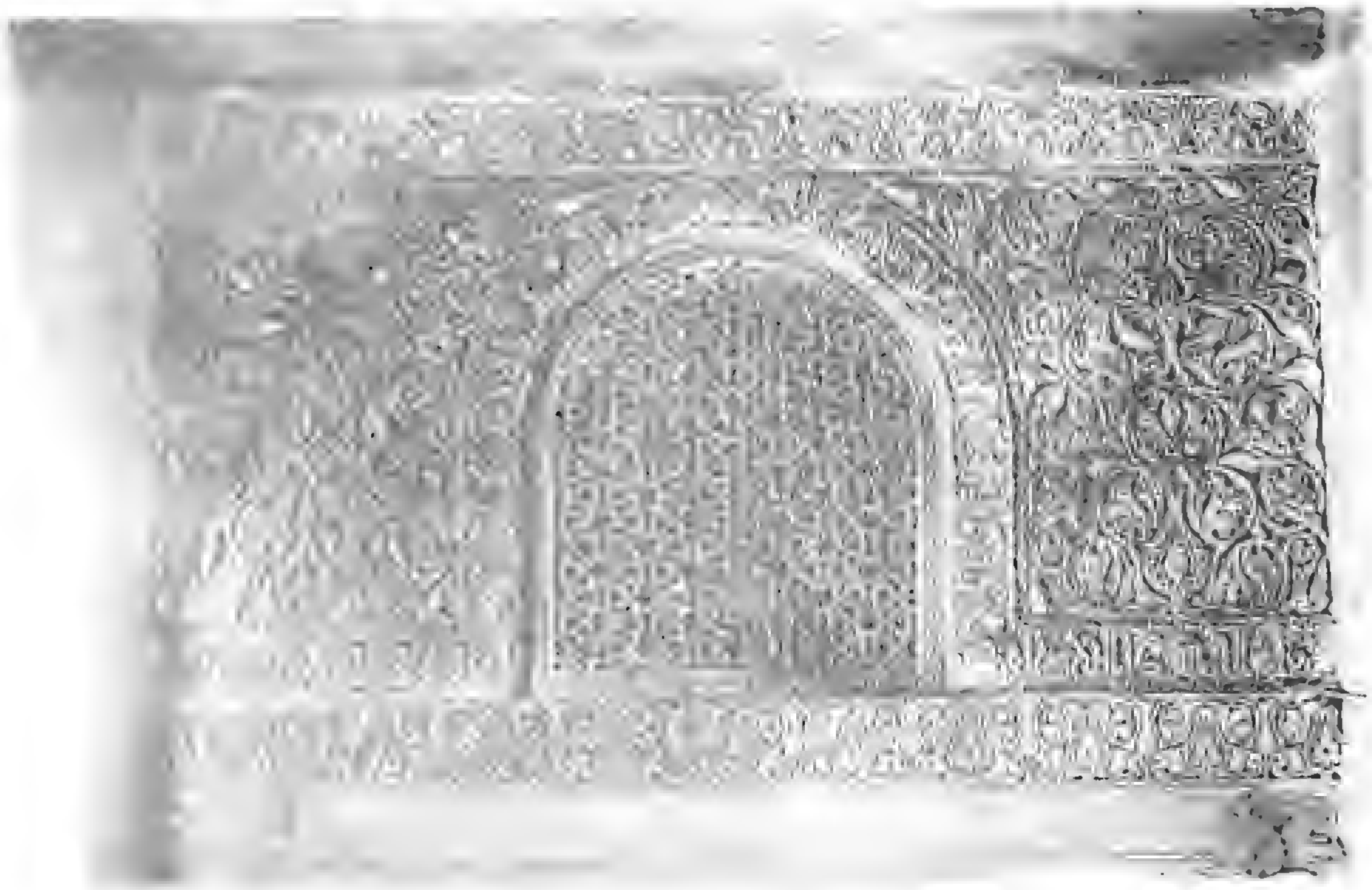
أ - حشوة بجدار القبلة تجاه العمود الثالث من اليمين .



ب - حشوة بجدار القبلة تجاه العمود الثاني من اليمين .



أ - النهاية الشمالية الشرقية لبית الصلاة (مقدم الجامع)
الفسحة الأولى من جدار القبلة القديم -



ب - النهاية الشمالية الشرقية لبית الصلاة (مقدم الجامع)
الفسحة الثانية من جدار القبلة القديم -

(لوحة رقم ٩) جامع الأزهر ٣٥٩١ - ٣٦١١ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٢ م .

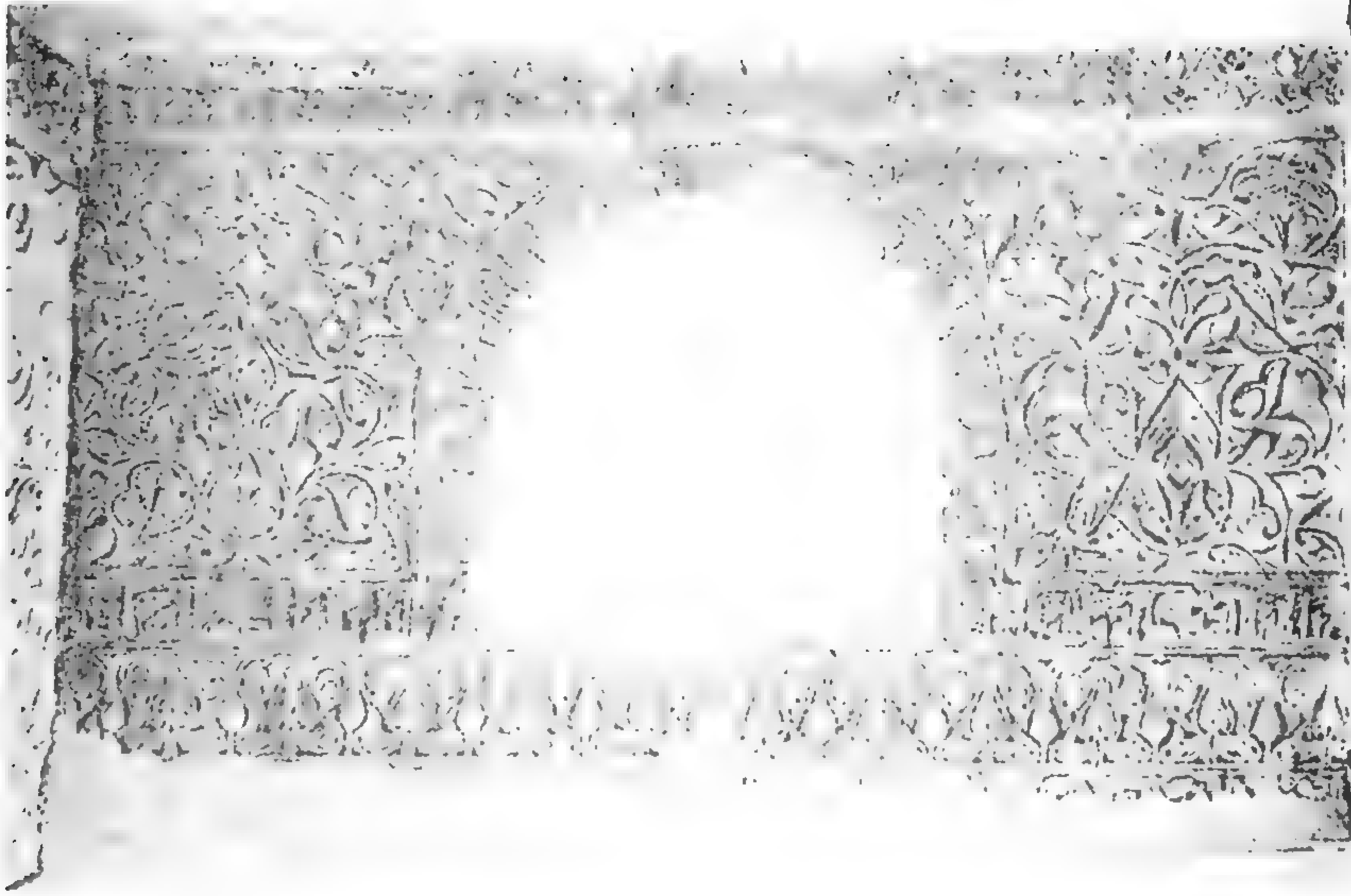


أ - النهاية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة (مقدم الجامع)
الفسحة الثالثة من جدار القبلة القديم .



أ - النهاية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة (مقدم الجامع)
الفسحة الرابعة من جدار القبلة القديم .

(لوحة رقم ١٠) جامع الأزهر : ٣٥٩ - ٣٦١ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٢ م .



أ - زخرفة الجدار الشمالي الشرقي ، الفسحة الخامسة من جدار القبلة القديم
(أنظر ب في نهاية الرواق) .

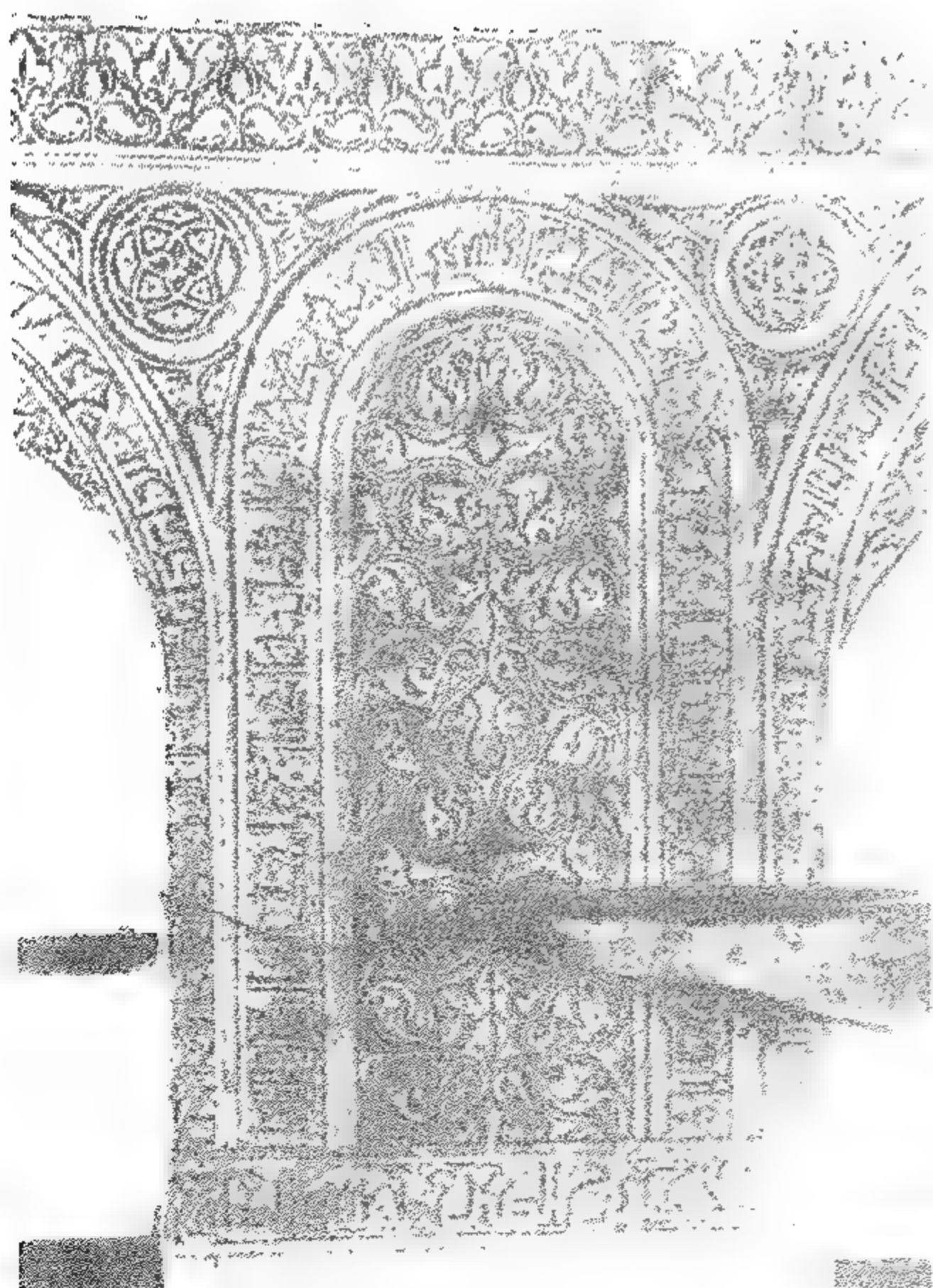


ب - بيت الصلاة (مقدم الجامع) : الرواق (البلاطة) الخامس
من جدار القبلة القديم ، النصف الشمالي الشرقي منه .

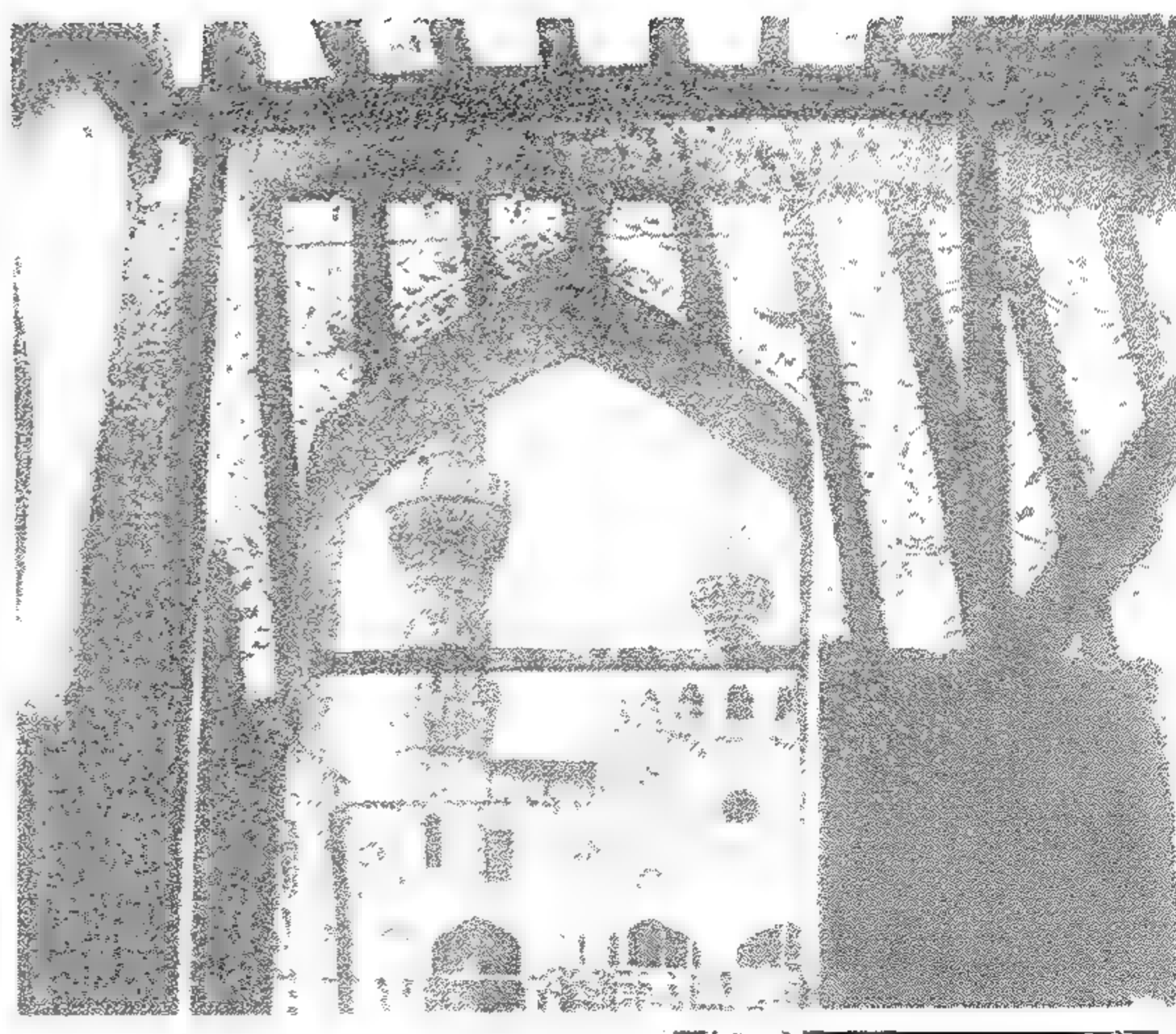
(لوحة رقم ١١) جامع الأزهر ، ٣٥٩ - ٣٦١ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٢ م .



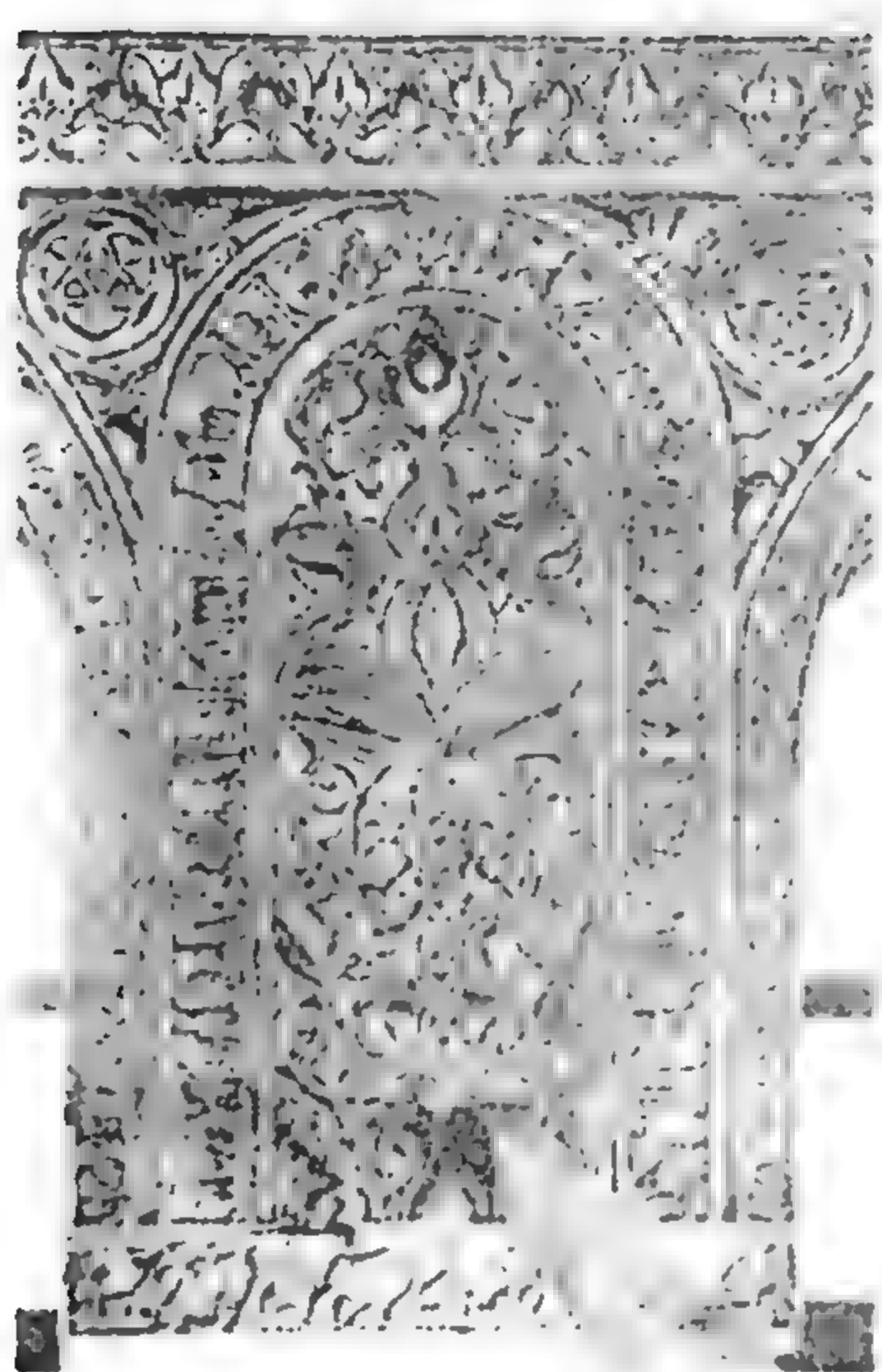
أ - الزخرفة الحالية للعقد الأول إلى اليمين من المجاز القاطع .



ج - الزخرفة الحالية للدعامة الأولى
إلى اليمين من المجاز القاطع
(قارن مع ب) .



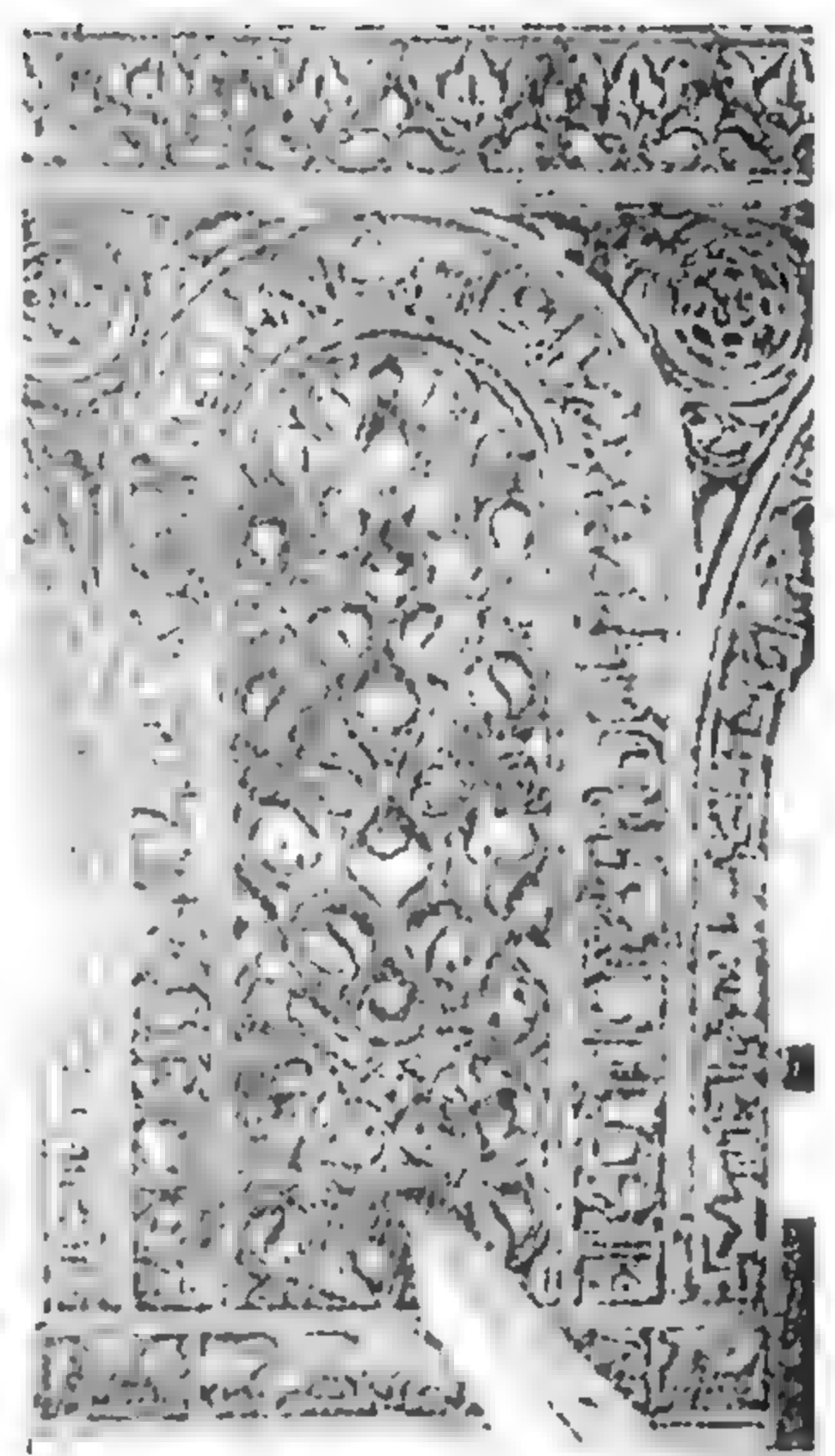
ب - زخرفة العقد الأول إلى اليمين
من المجاز القاطع قبل عام ١٨٩١ م .



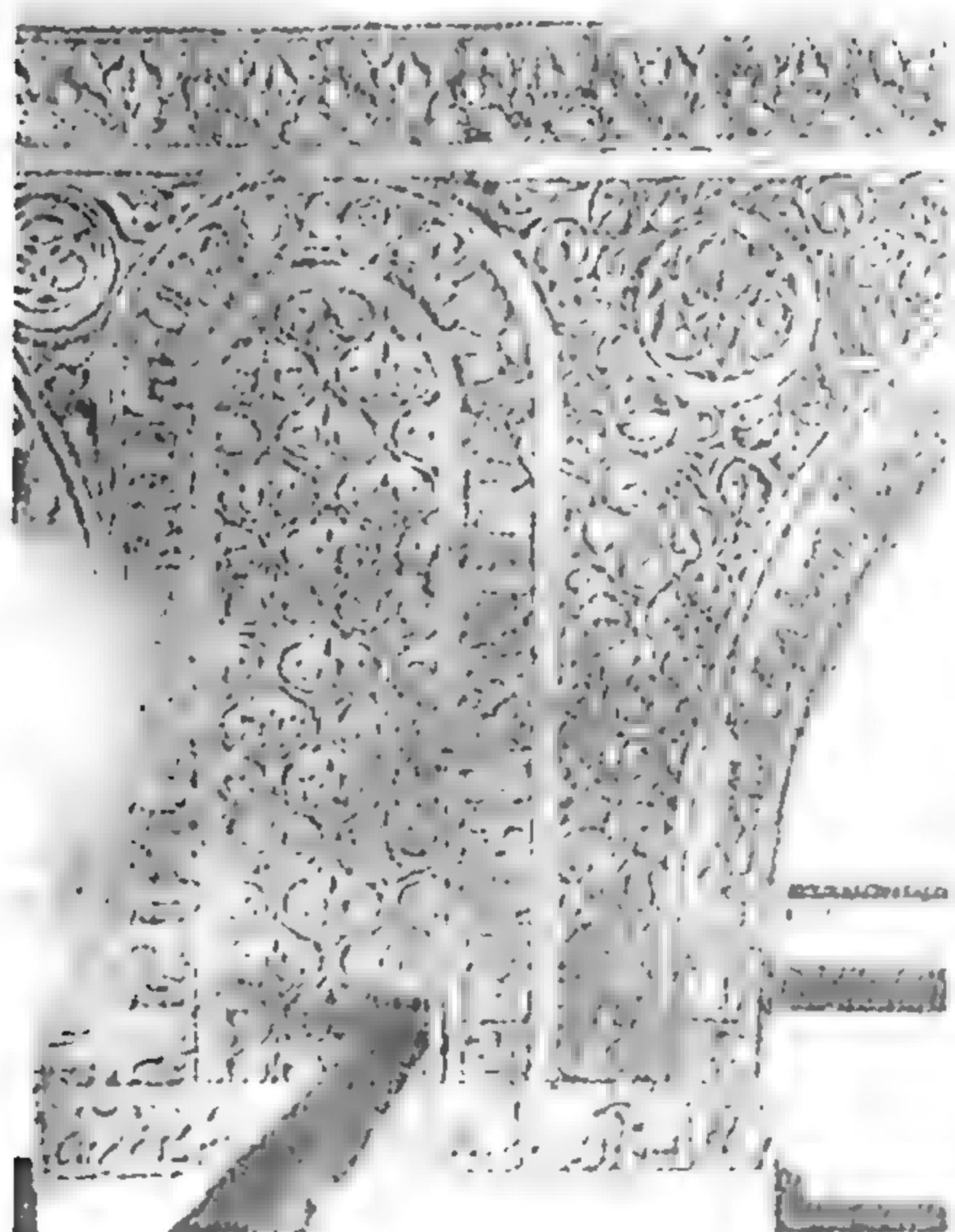
ج - الزخرفة الحالية
للدعامة الرابعة
إلى اليمين من المجاز القاطع .



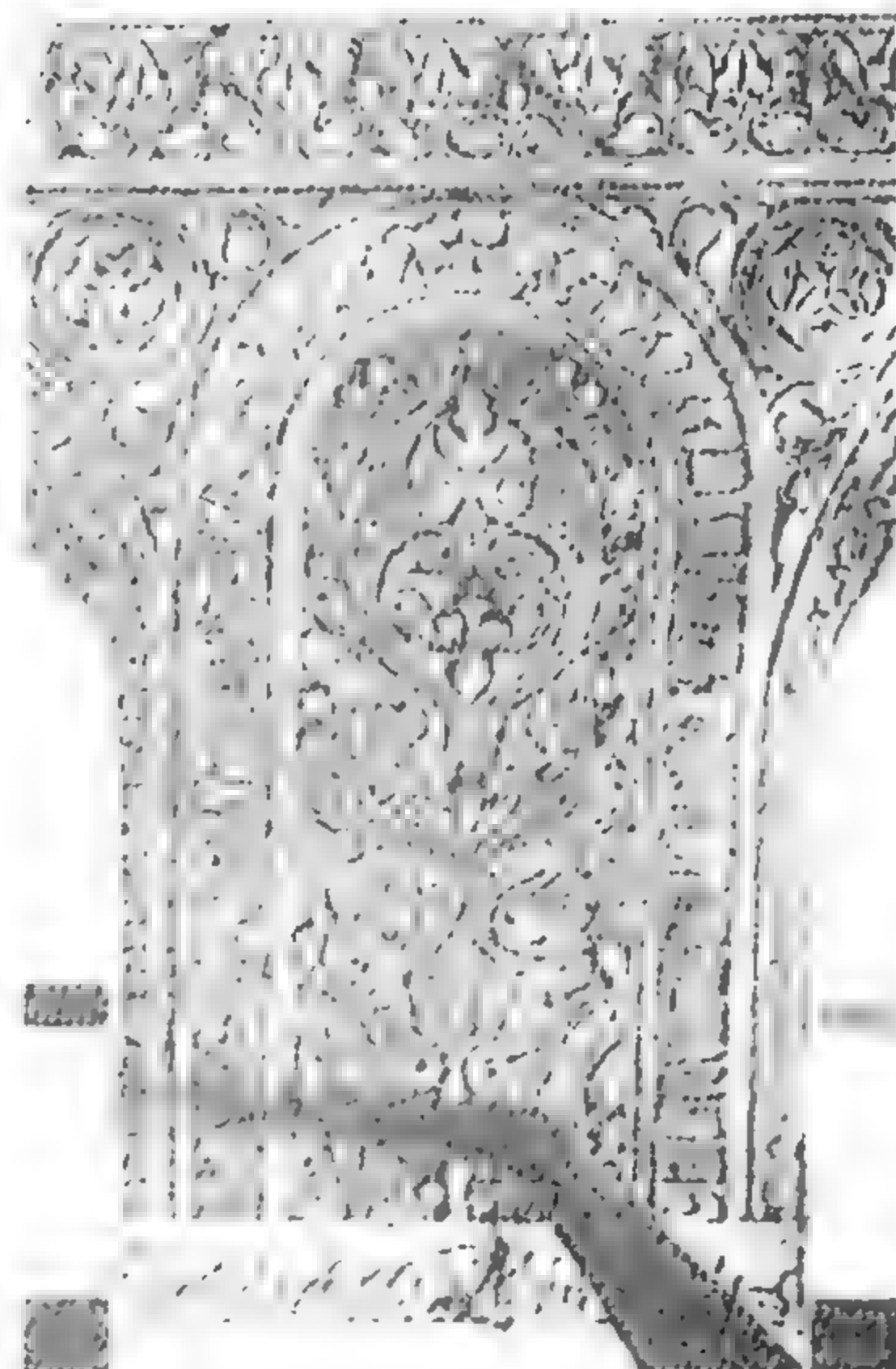
ب - الزخرفة الحالية
للدعامة الثالثة
إلى اليمين من المجاز القاطع .



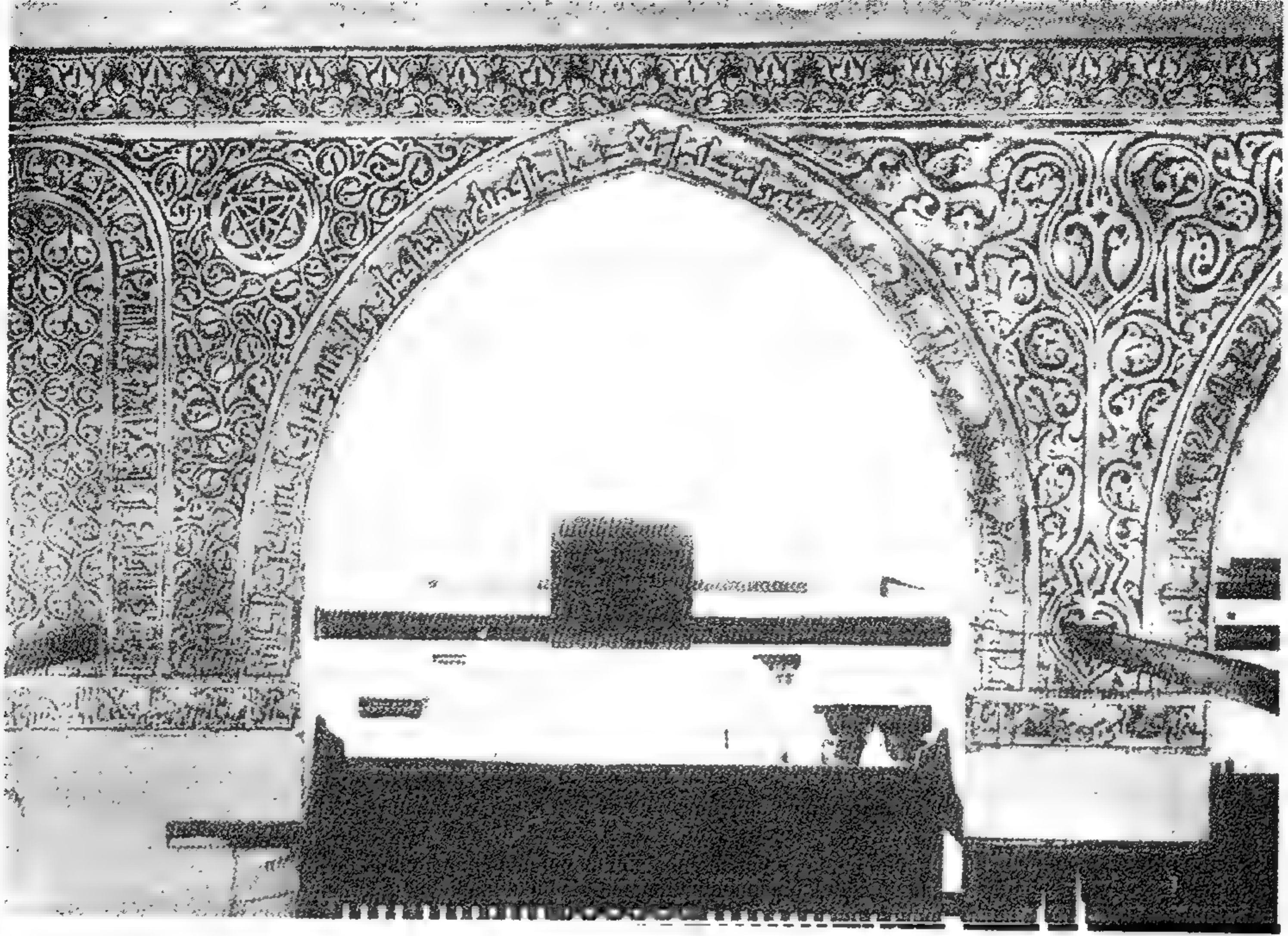
أ - الزخرفة الحالية
للدعامة الثانية
إلى اليمين من المجاز القاطع .



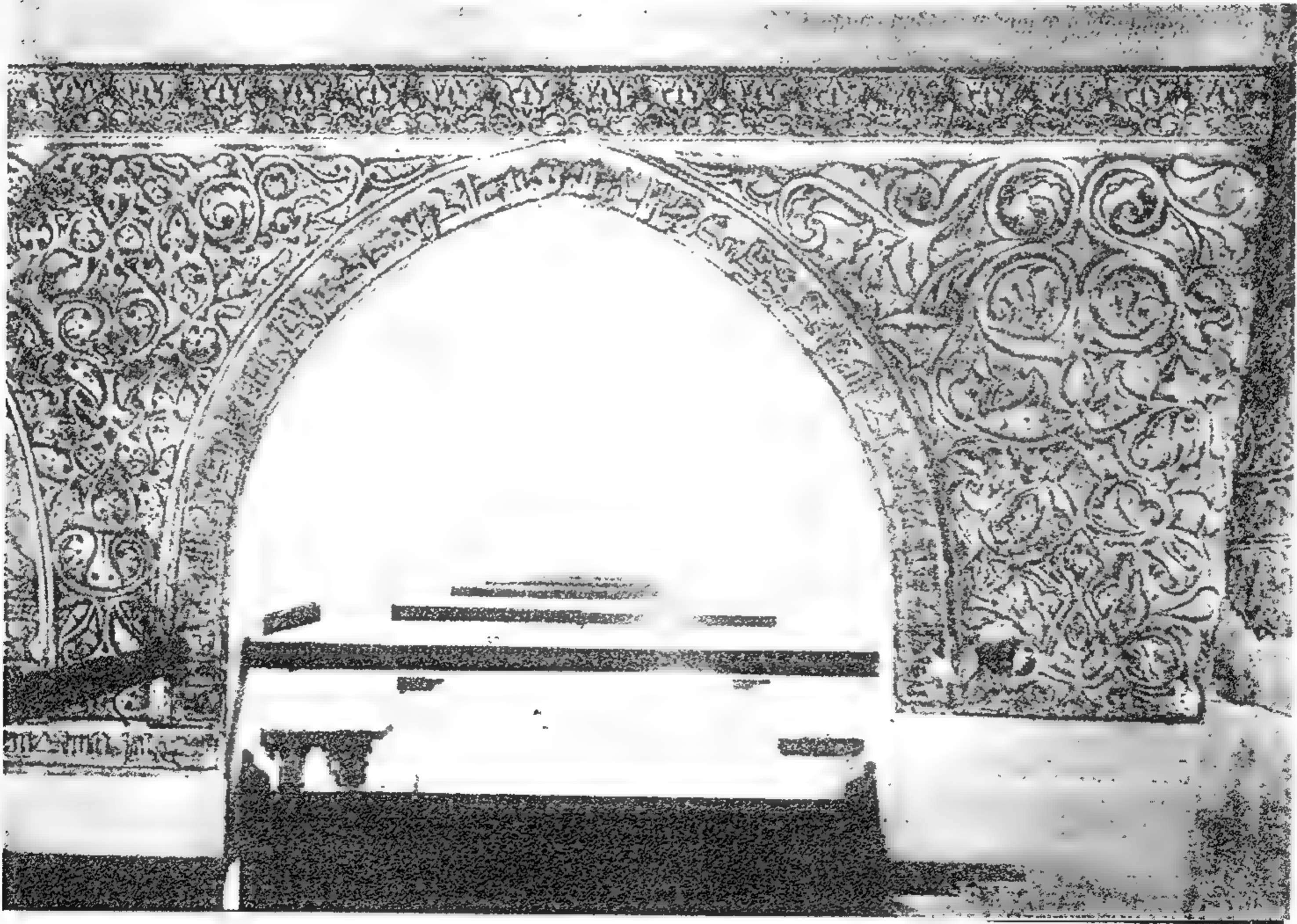
هـ - الزخرفة الحالية للدعامة السادسة
إلى اليمين من المجاز القاطع .



د - الزخرفة الحالية للدعامة
الخامسة إلى اليمين من المجاز القاطع .



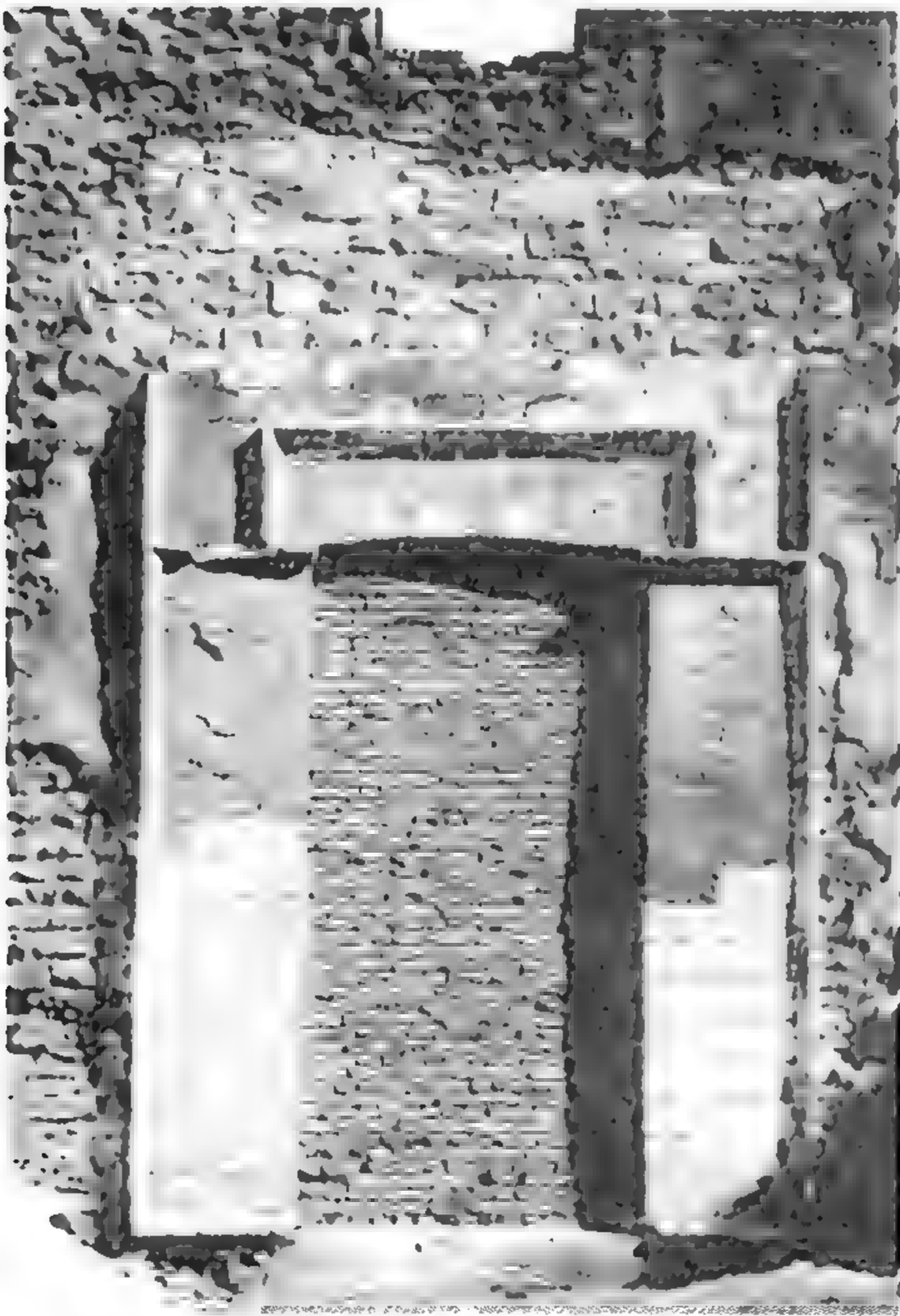
أ - الزخرفة الحالية للدعامة السادسة والسابعة إلى اليمين من المجاز القاطع .



ب - الزخرفة الحالية للدعامة الثامنة إلى اليمين من المجاز القاطع ودعامة الجدار .



أ - الواجهة الشمالية الغربية (بعد تنظيفها - حديثاً - أي قبل ١٩٥٢م) .



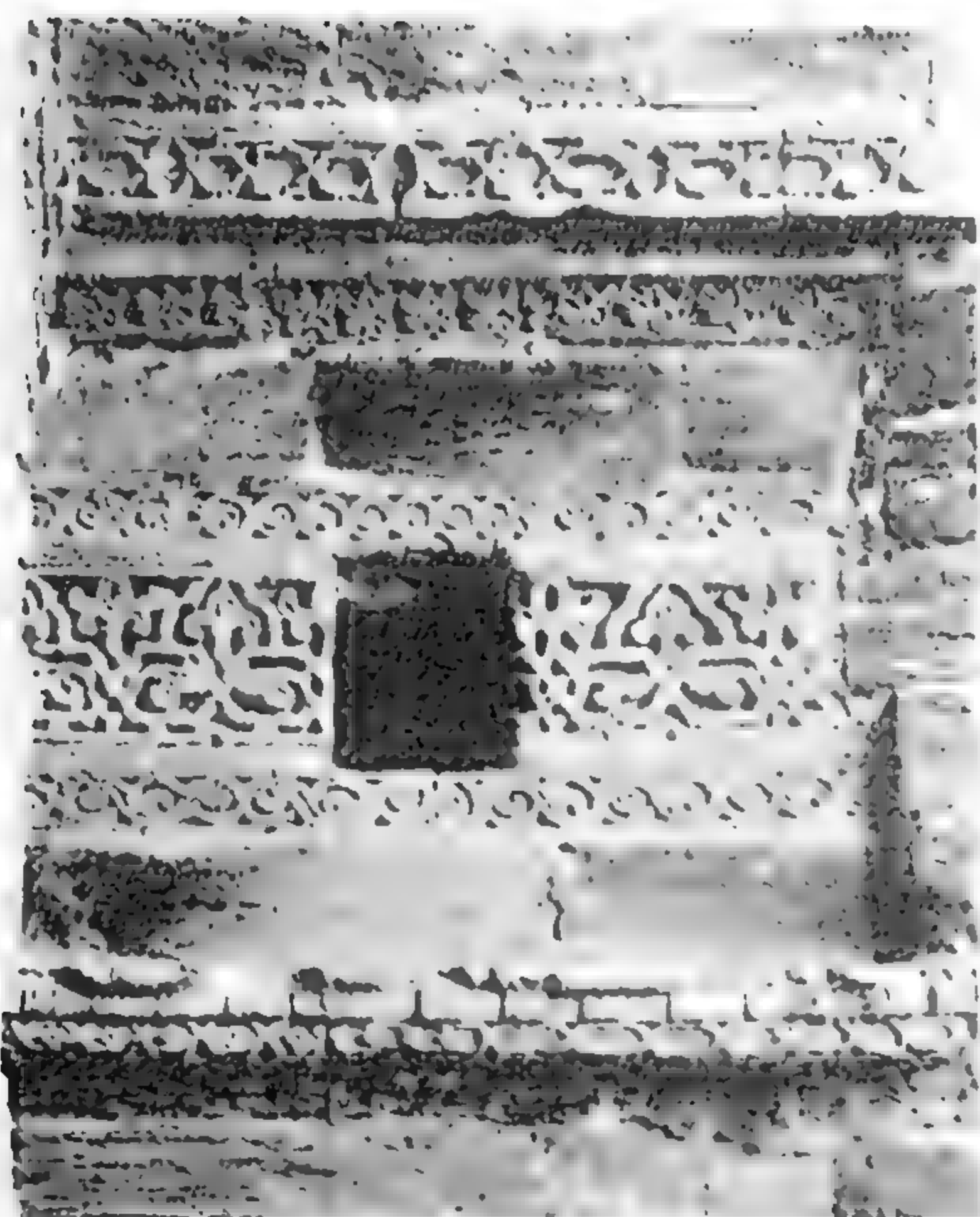
ج - المدخل إلى يسار
المدخل التذكاري (أنظراً) .



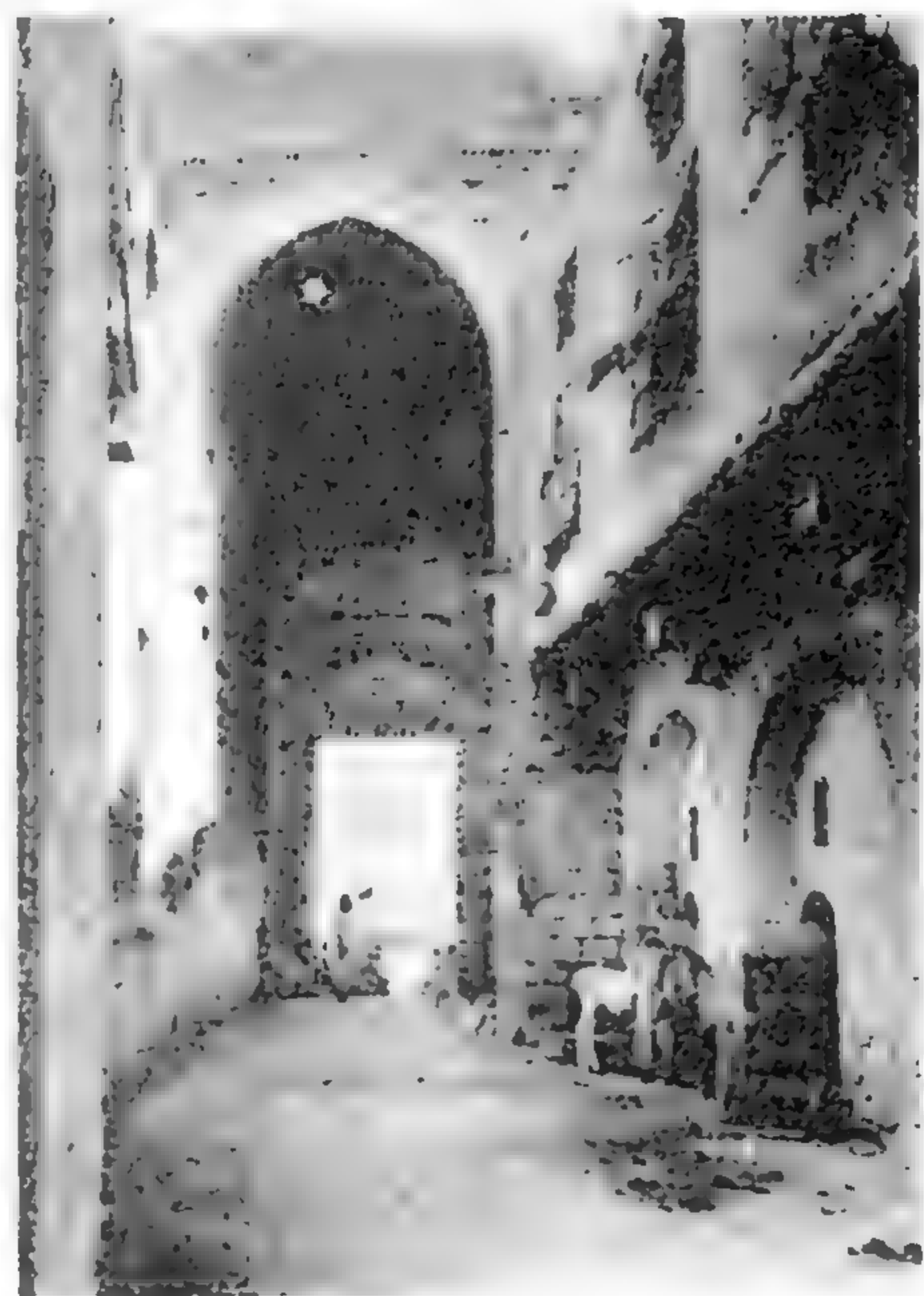
ب - منظر الجدار الشمالي الغربي من أعلى
ويظهر فيه جانب من المدخل التذكاري
(انظر لوحة ١٧) والبروز الغربي .



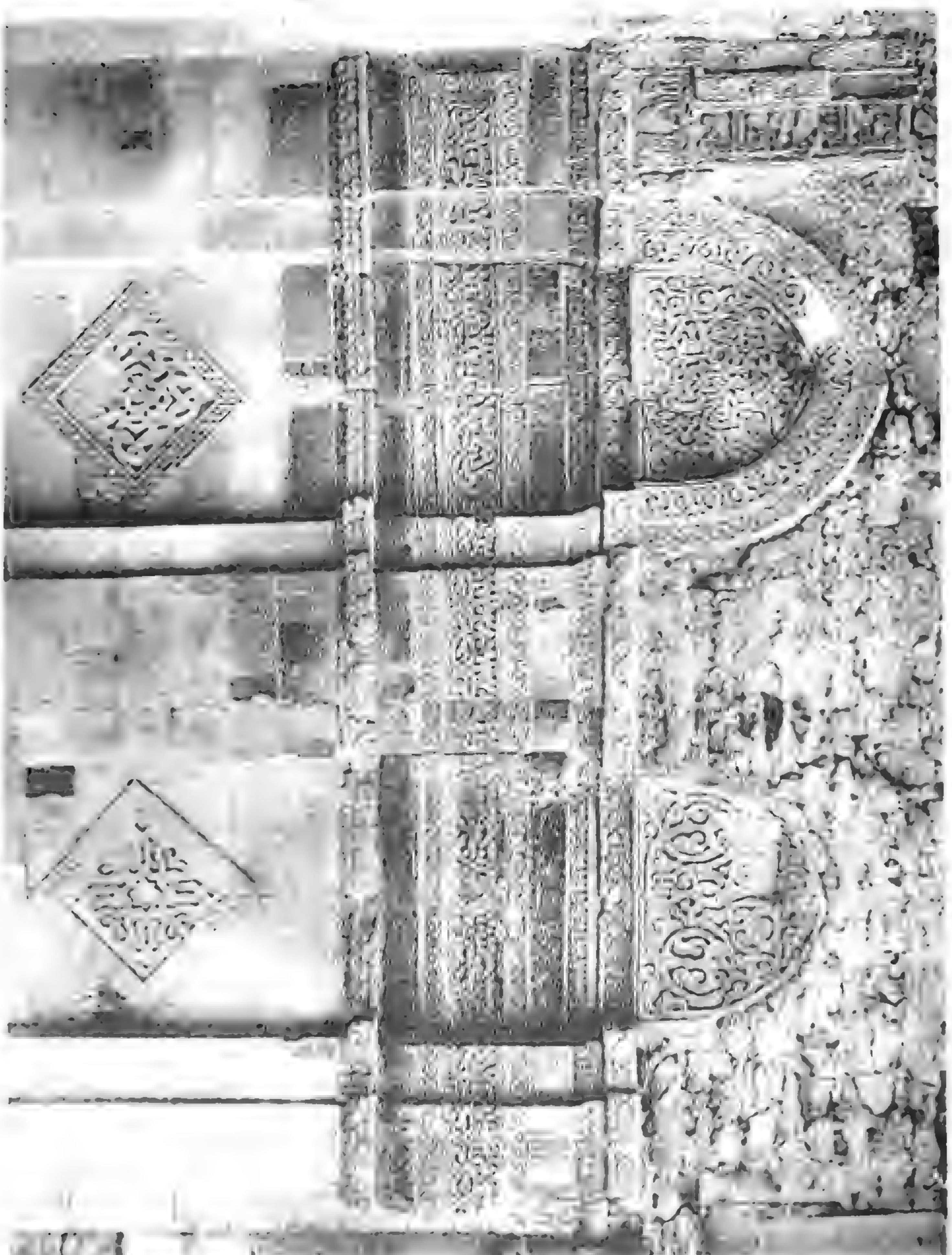
أ - الواجهة الشمالية الغربية (بعد تنظيفها - حديثاً) .



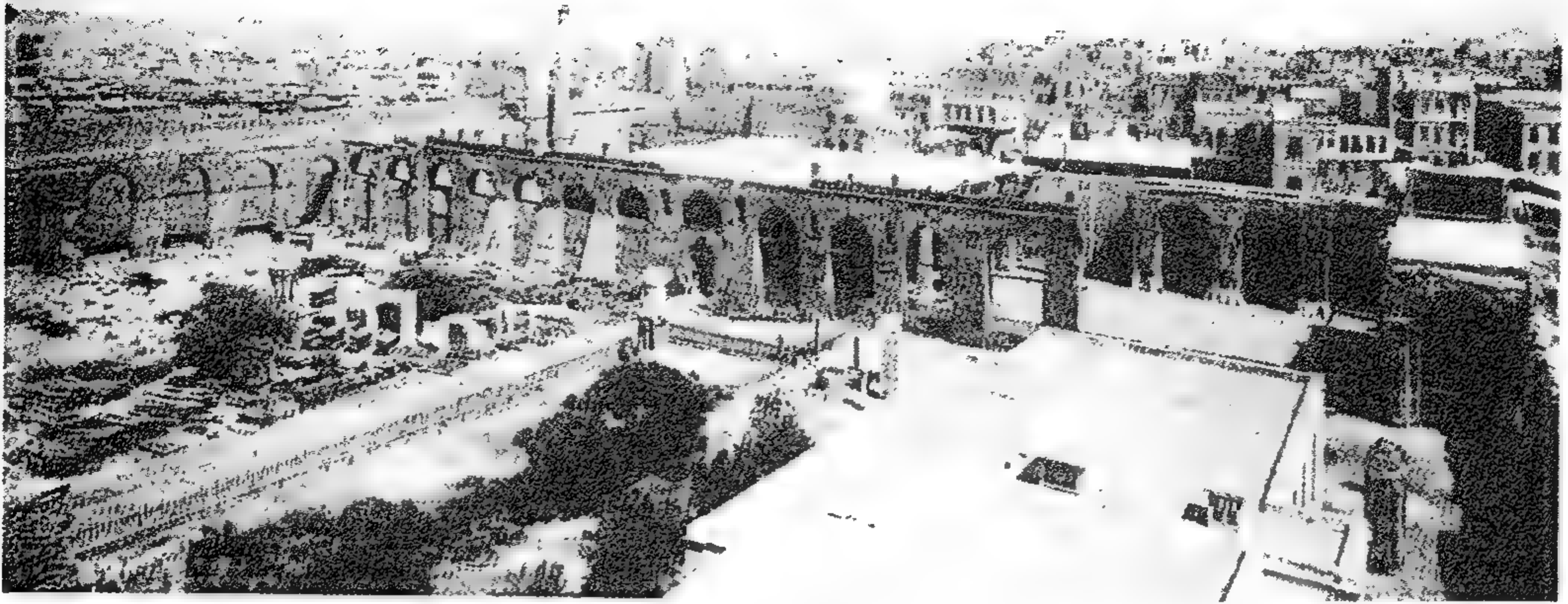
ج - بقايا الزخرفة الأصلية في ممر البوابة
في المكان الذي يشير إليه الرجل في ب .



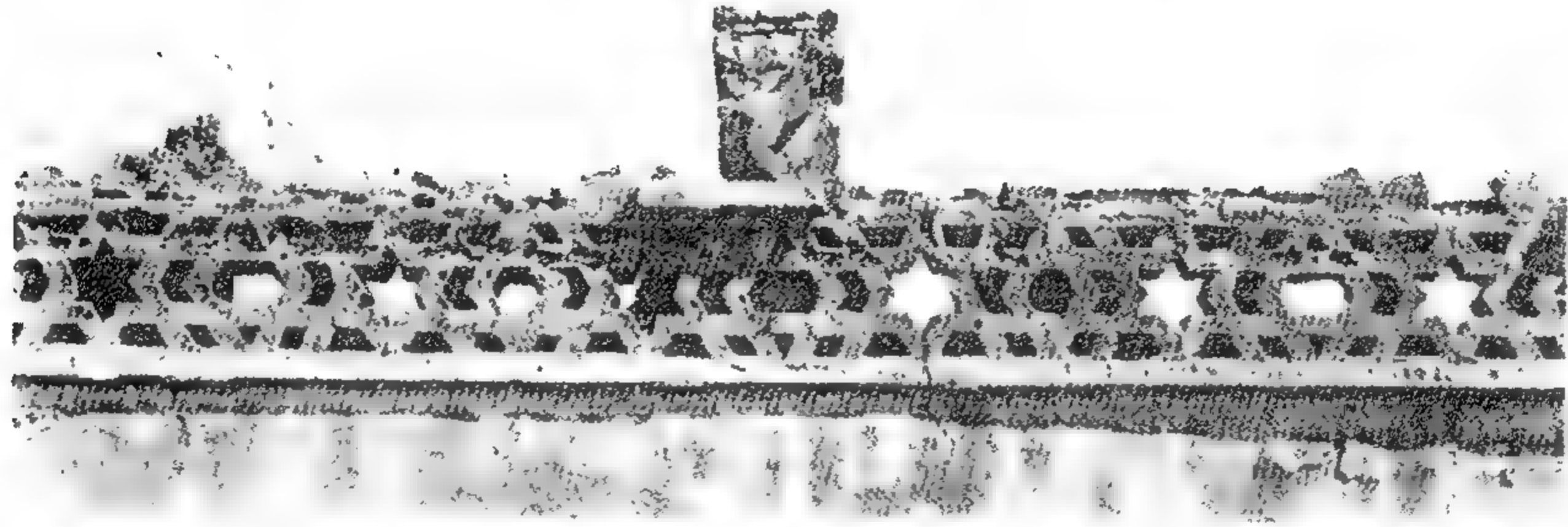
ب - قبو المدخل التذكاري
(من الداخل) .



(لوحة رقم ١٧) جامع الحاكم ، المدخل التتكري . زخرفة الجانب الشمالي الشرقي .



أ - الزاوية الشرقية للصحن وبقايا بيت الصلاة أو الحرم (مقدم الجامع) .



ب - بقايا الشرافات أعلى الدعامة الرابعة إلى يمين المجاز القاطع .



ج - واجهة بيت الصلاة (مقدم الجامع) .

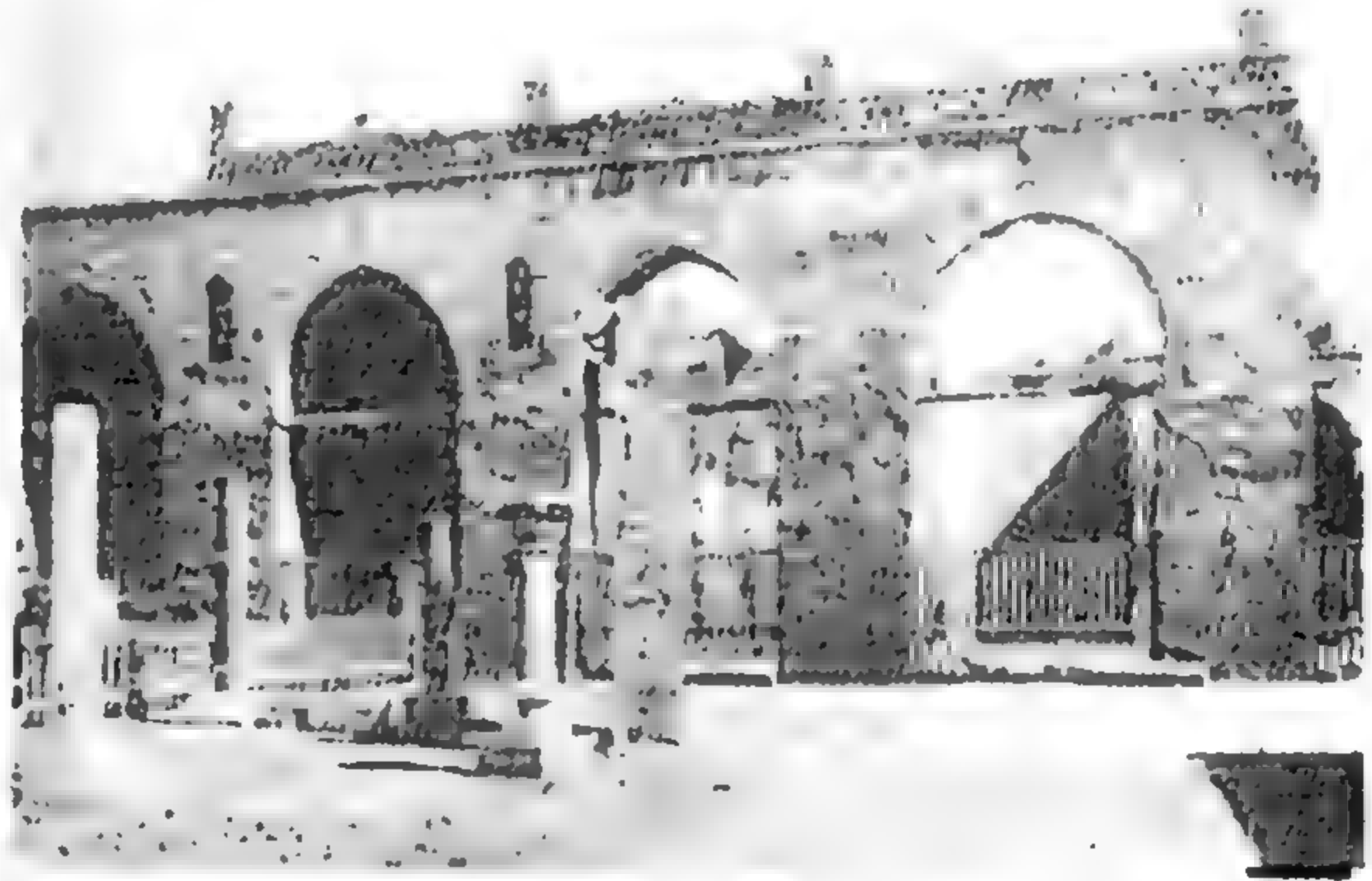
(لوحة رقم ١٨) جامع الحاكم ، ٣٨٠ - ٤٠٣ هـ / ٩٩٠ - ١٠١٣ م .



ج - مدخل المجاز القاطع بعد الترميم .



أ - الزاوية الشرقية للصحن ويظهر فيها الباتكة الثانية والثالثة للرواق الشمالي الشرقي .



ب - واجهة مقدم الجامع ، العقود الأربعة التي لا تزال باقية إلى يمين عقد المجاز القاطع .



هـ - المدخل التذكاري في الجانب الشمالي الشرقي من الداخل .



د - بقايا مدخل تذكاري في الجانب الجنوبي الغربي من الخارج .



أ - المجاز القاطع بعد ترميم نوافذه العلوية والسقف .



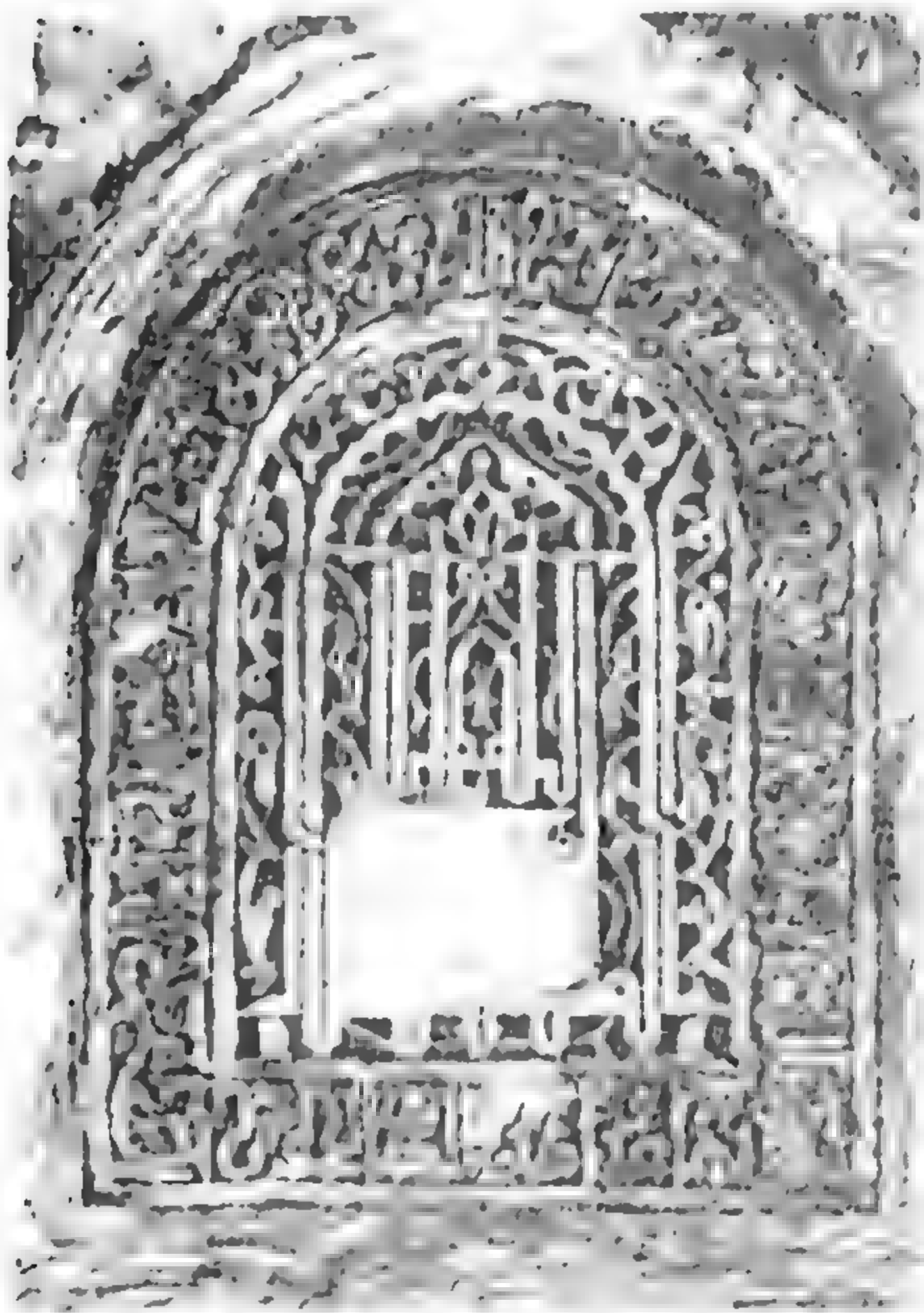
ب - رباط خشبي للقبّة الشمالية الشرقية يحمل عقدا .



ج - رباط خشبي للقبّة الشمالية الشرقية يحمل عقدا . تفصيل للزخرفة .



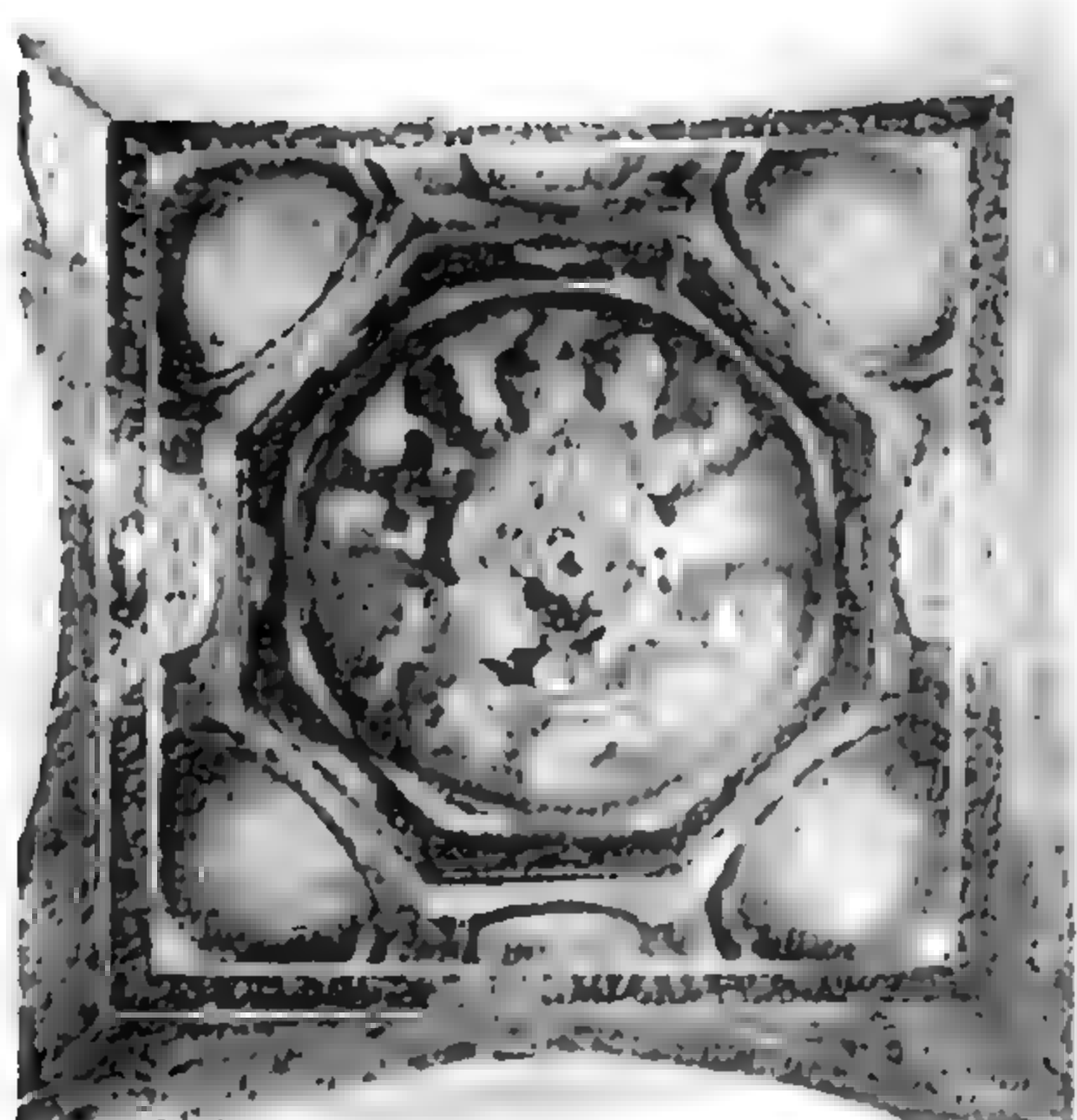
أ - النهاية الداخلية للمجاز (عند المحراب) .



ج - النافذة الأولى على يسار المحراب .



ب - النافذة الثانية على يسار المحراب .



ب - القبة ، الرقبة
ومنتطقة الانتقال .



أ - أساس القبة في نهاية المجاز
قبل إزالة السقف غير الملائم .



ج - أساس القبة ، الحشوة اليسرى .

(لوحة رقم ٢٢) جامع الحاكم ، ٣٨٠ - ٤٠٣ هـ / ٩٩٠ - ١٠١٣ م .



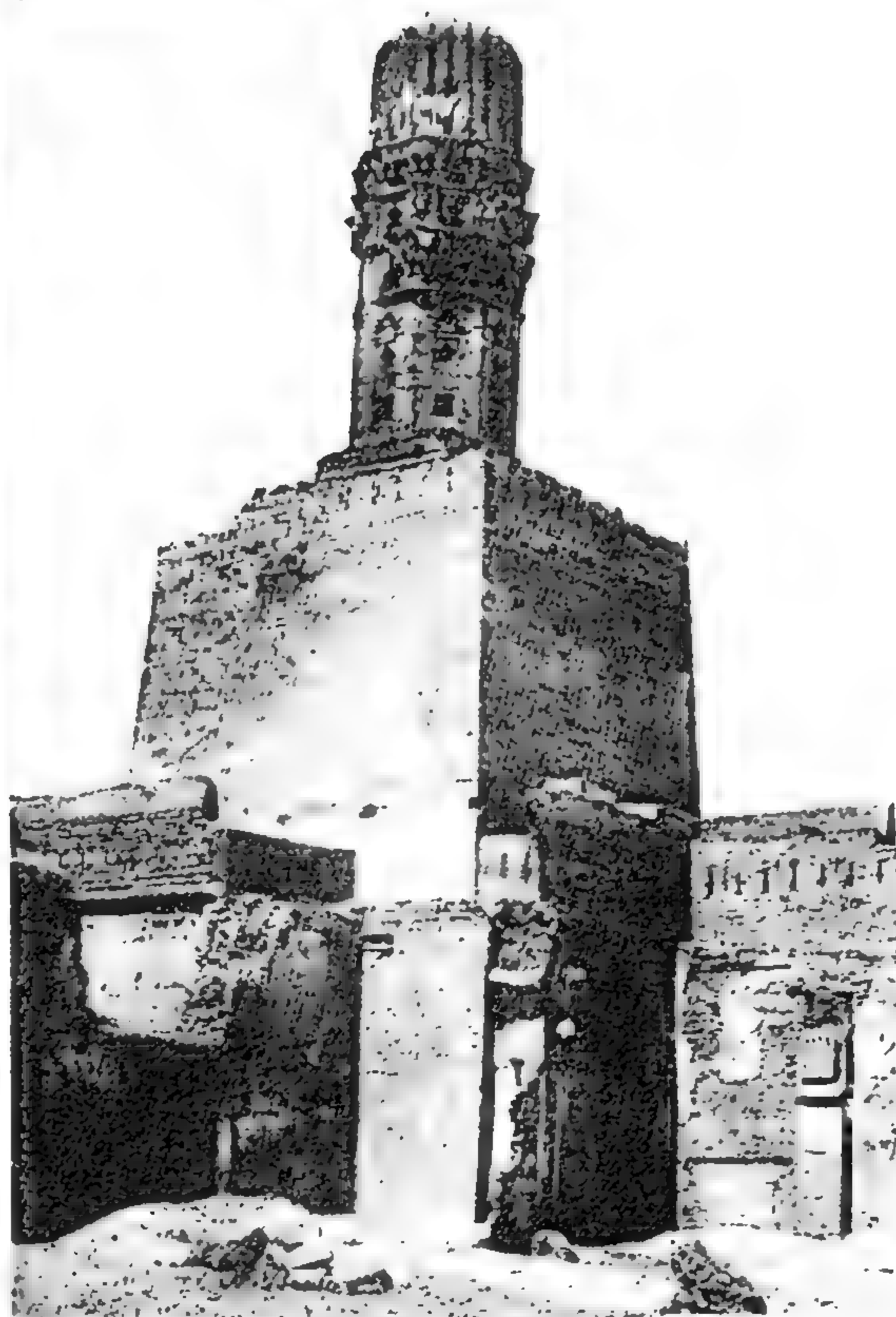
أ - نقش كتابي فوق مدخل
سلم المئذنة الشمالية (أنظر د) .



ب - البروز الشمالي والمئذنة من الغرب .



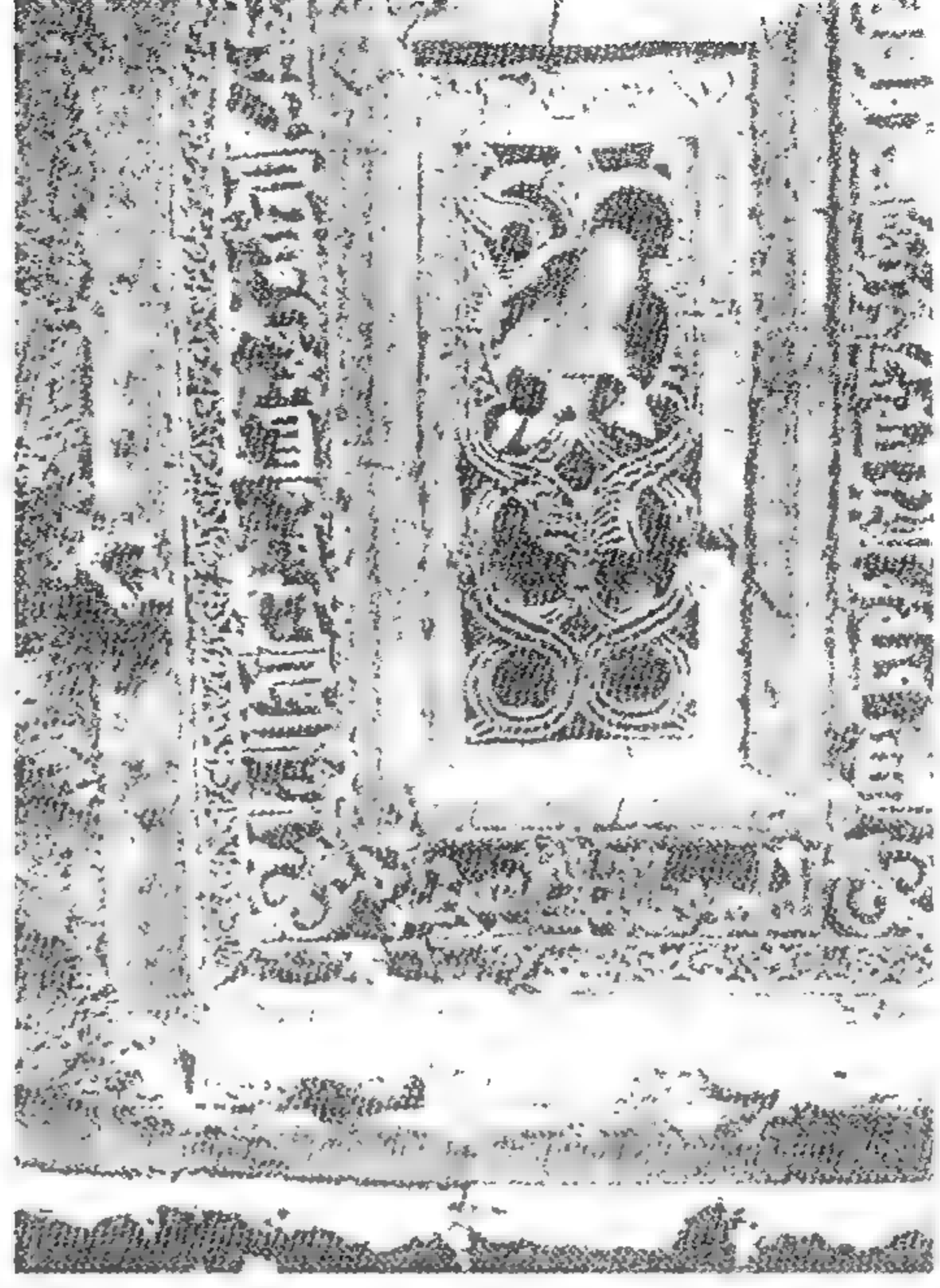
د - مدخل سلم المئذنة الشمالية .



ج - البروز الشمالي والمئذنة من الجنوب .



ب - الشريط الثالث ، نافذة تواجه الغرب .



أ - الشريط الثالث ، نافذة تواجه الشمال .



د - الشريط الثاني
جامعة في الجانب الشمالي الشرقي .



ج - البروز السفلي ، الجانب الجنوبي الشرقي
ويشاهد على اليسار الموضع الذي ينتهي
عنده الحائط الشمالي الشرقي .



أ - الشريط السابع نافذة تواجه الشرق .



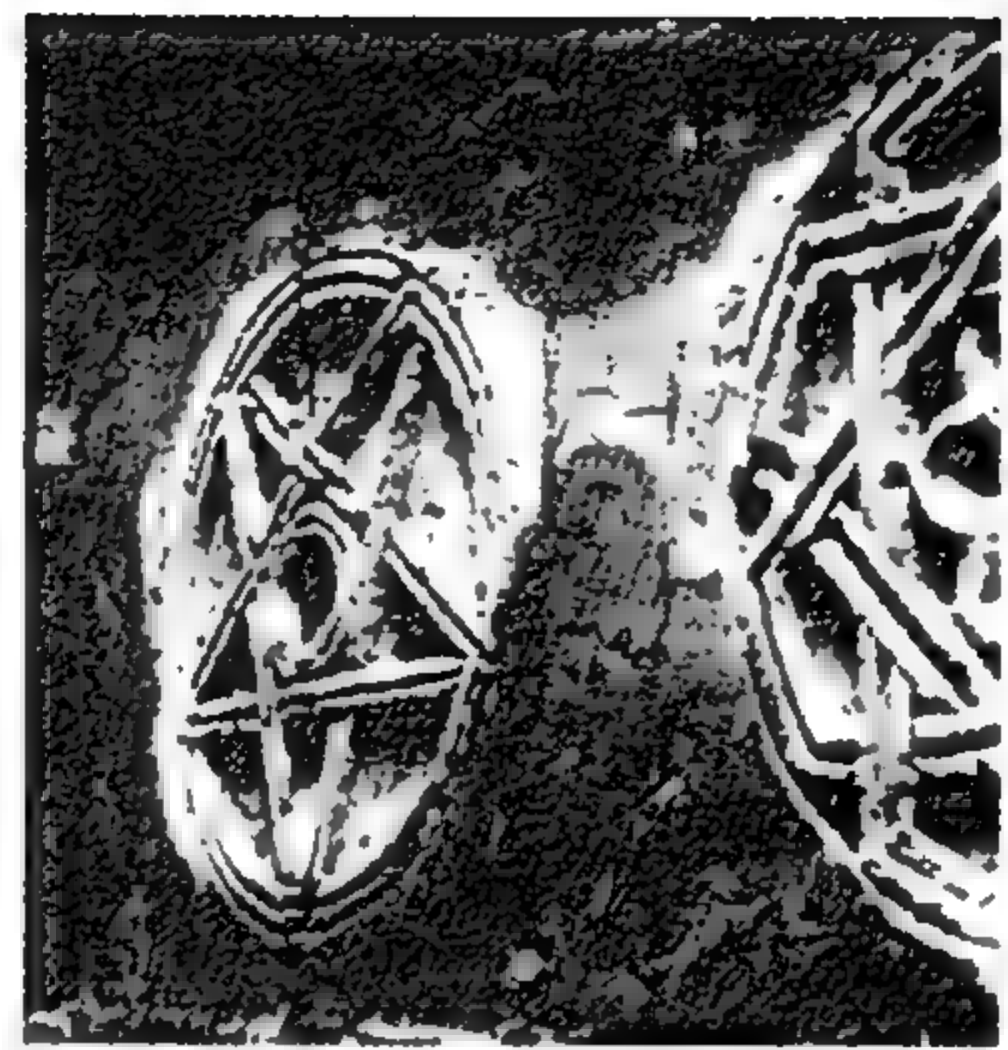
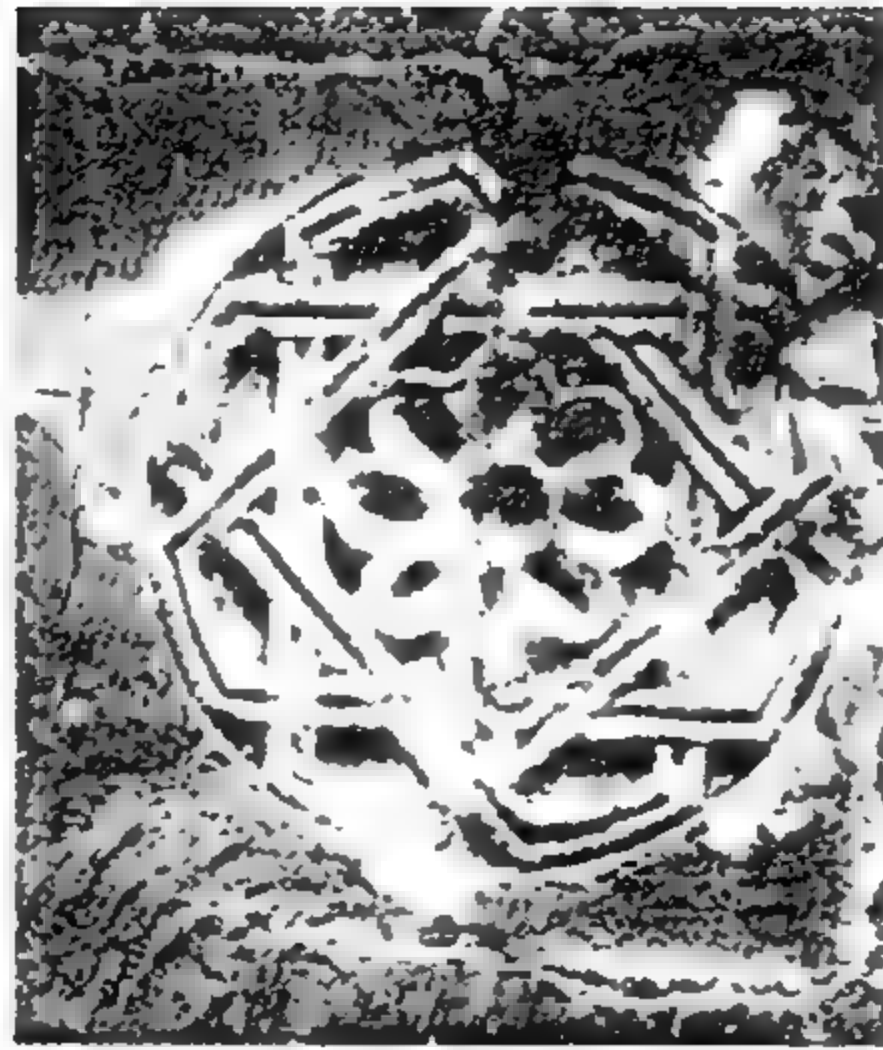
ب - الشريط السادس (فلوري) .



د - الشريط الرابع .



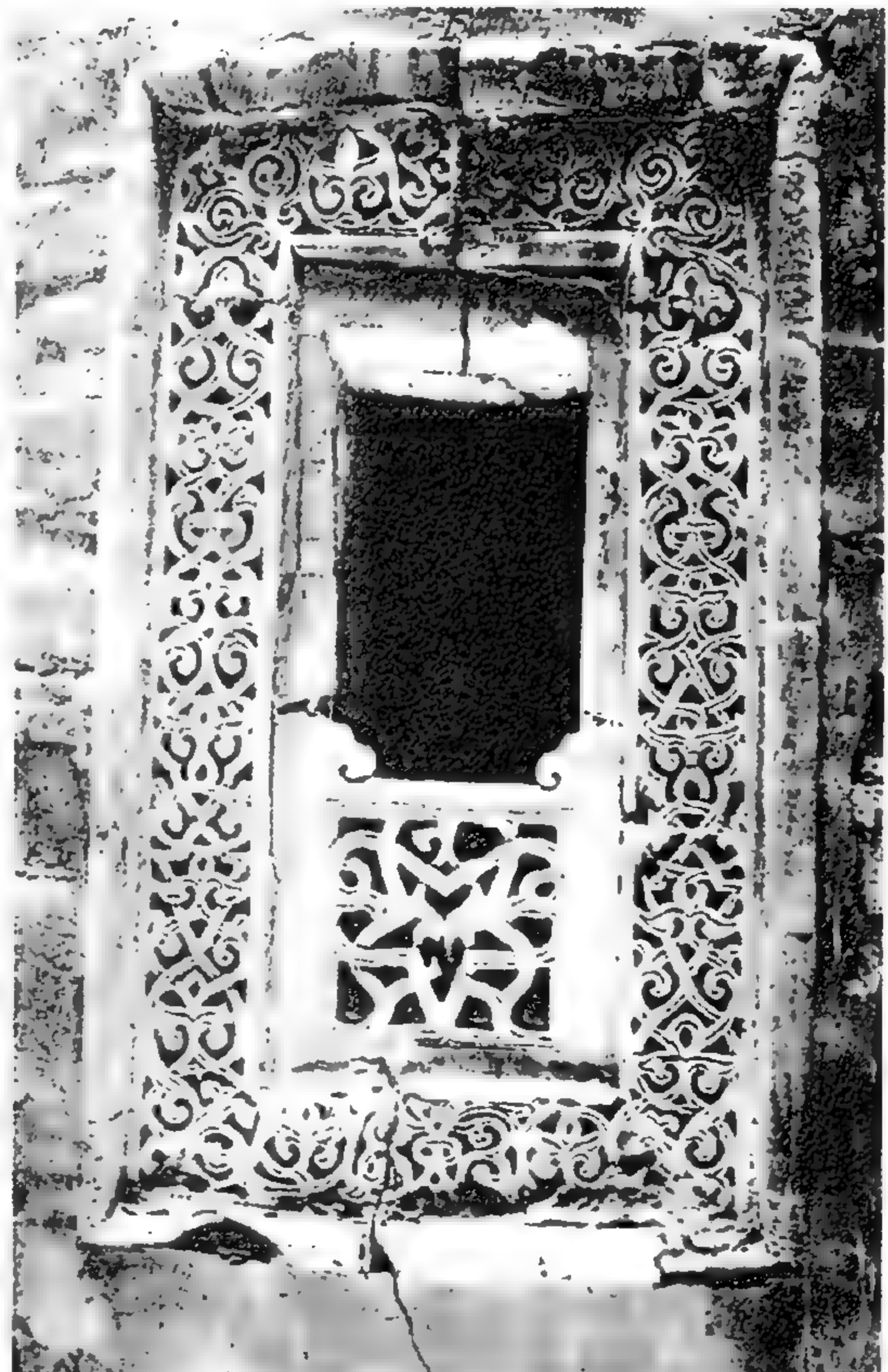
ج - الشريط الرابع
يظهر جزء من تاريخ (فلوري) .



أ. ب. ج. - جامات في الشريط الثامن .

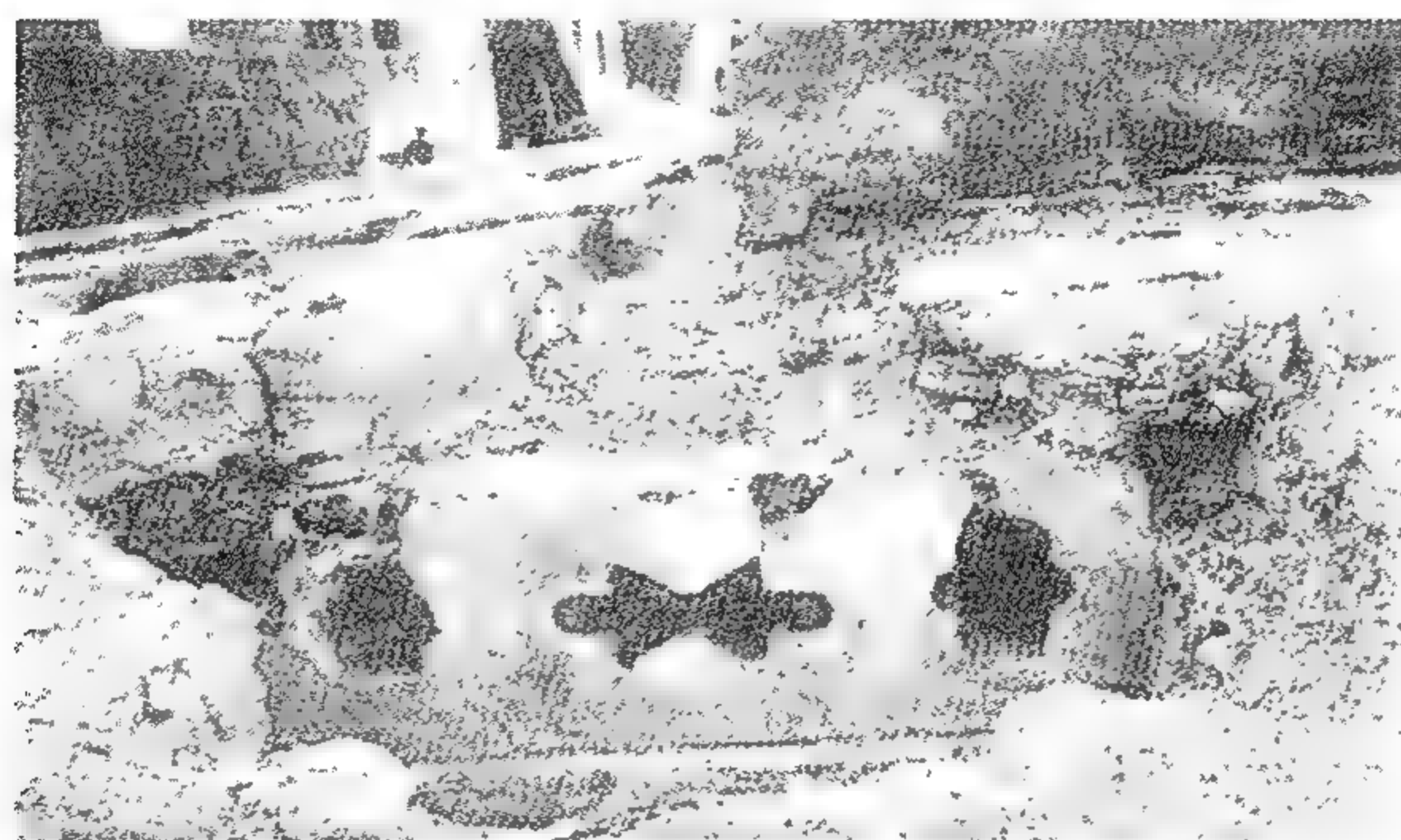
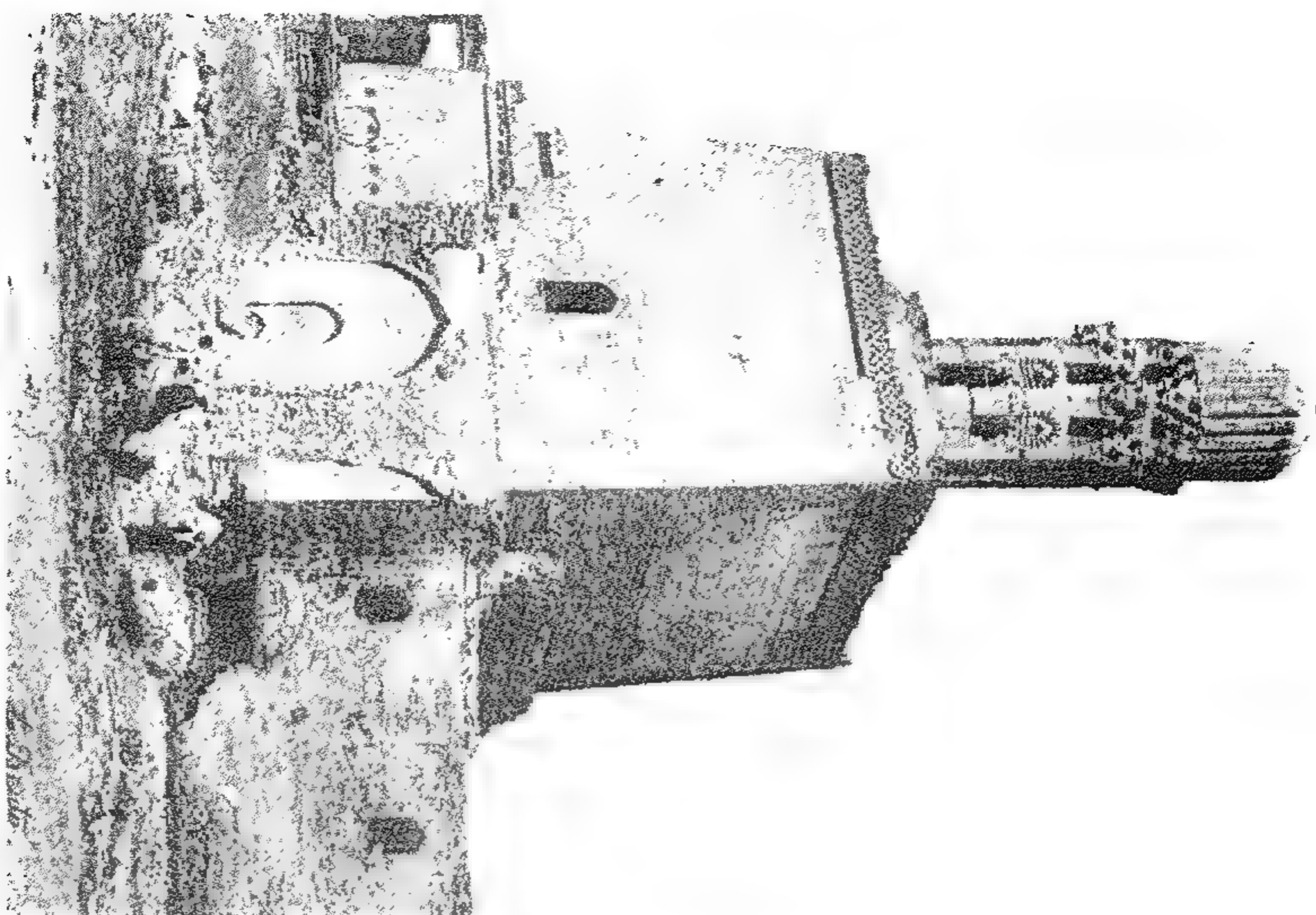


هـ - الشريط السابع ، نافذة تواجه الغرب .

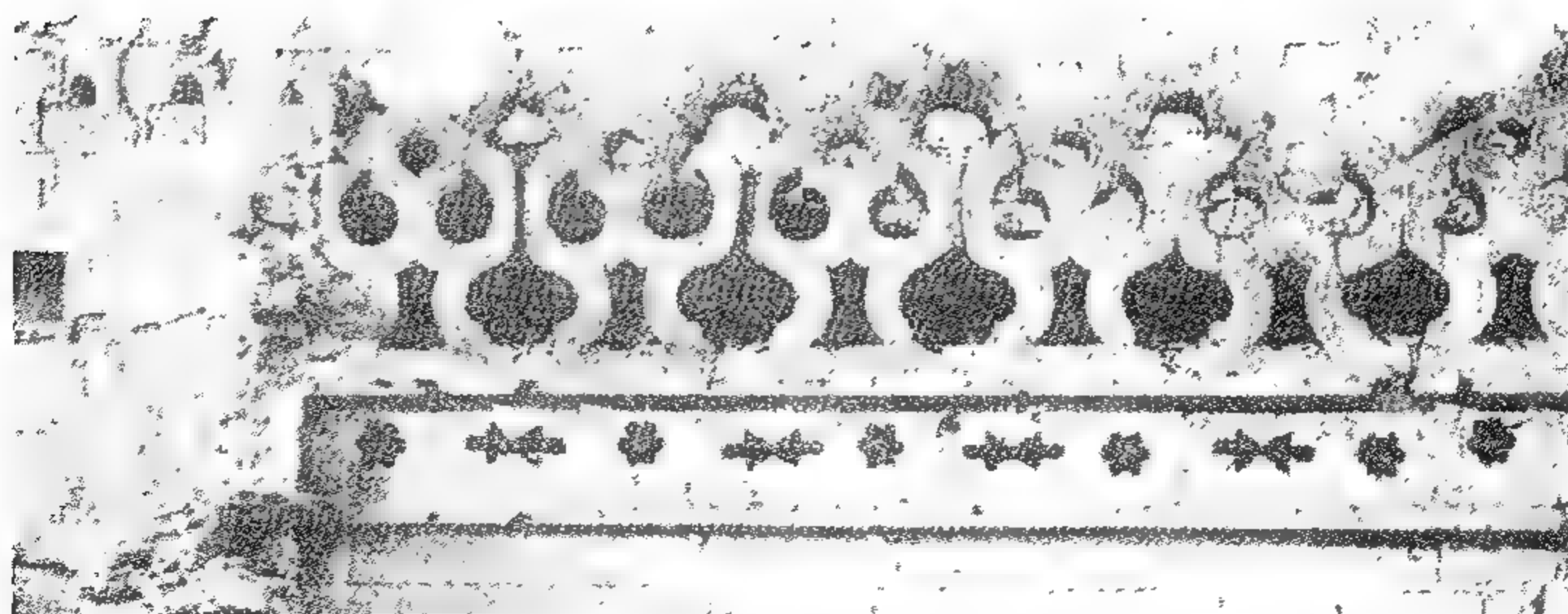


د - الشريط السابع ، نافذة تواجه الشمال .

أ - البروز الغربي والمنطقة من الشرق .



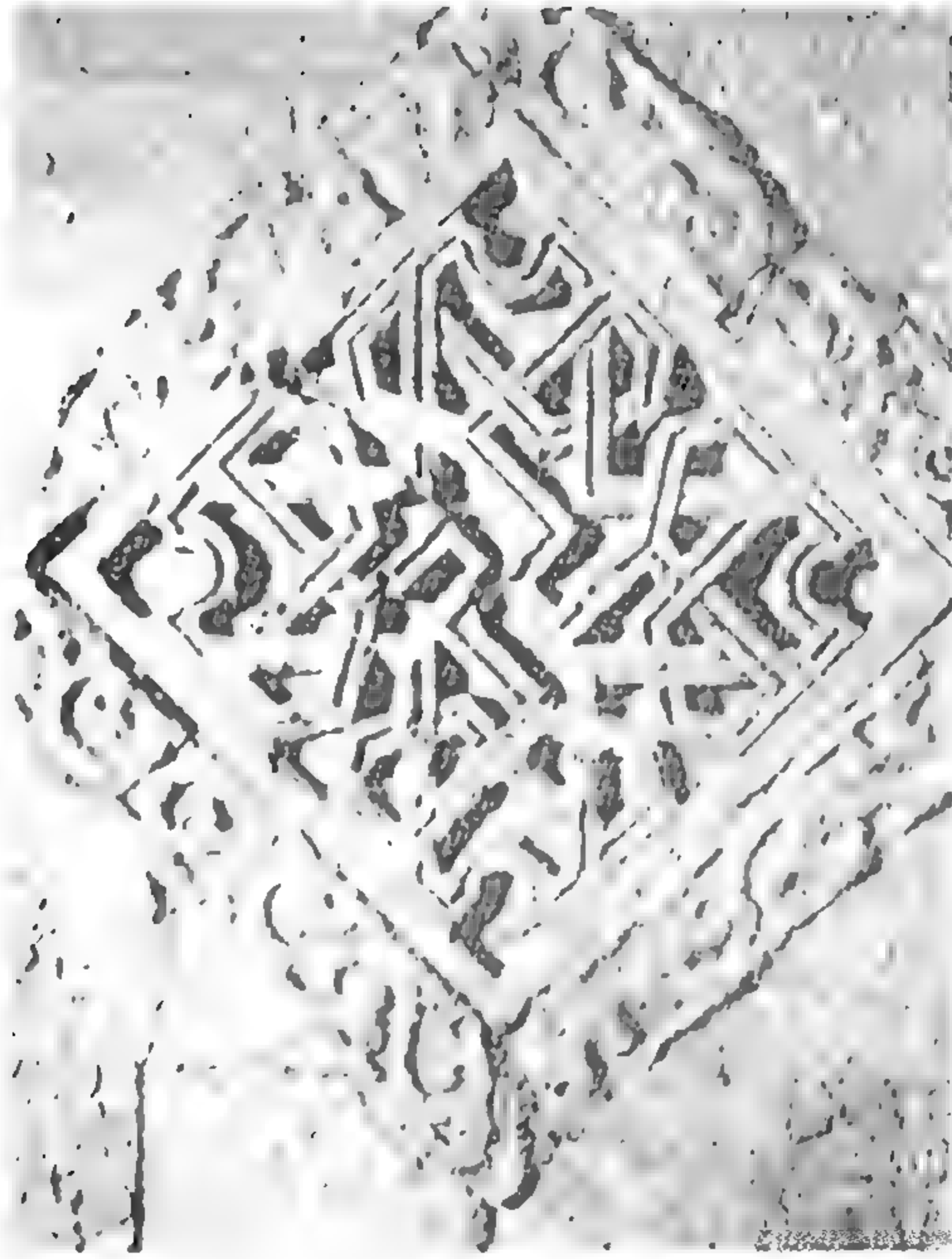
ب - البروز الشمالي ، بقايا شرافة أسفل قمة غلاف بدر الجمالي .



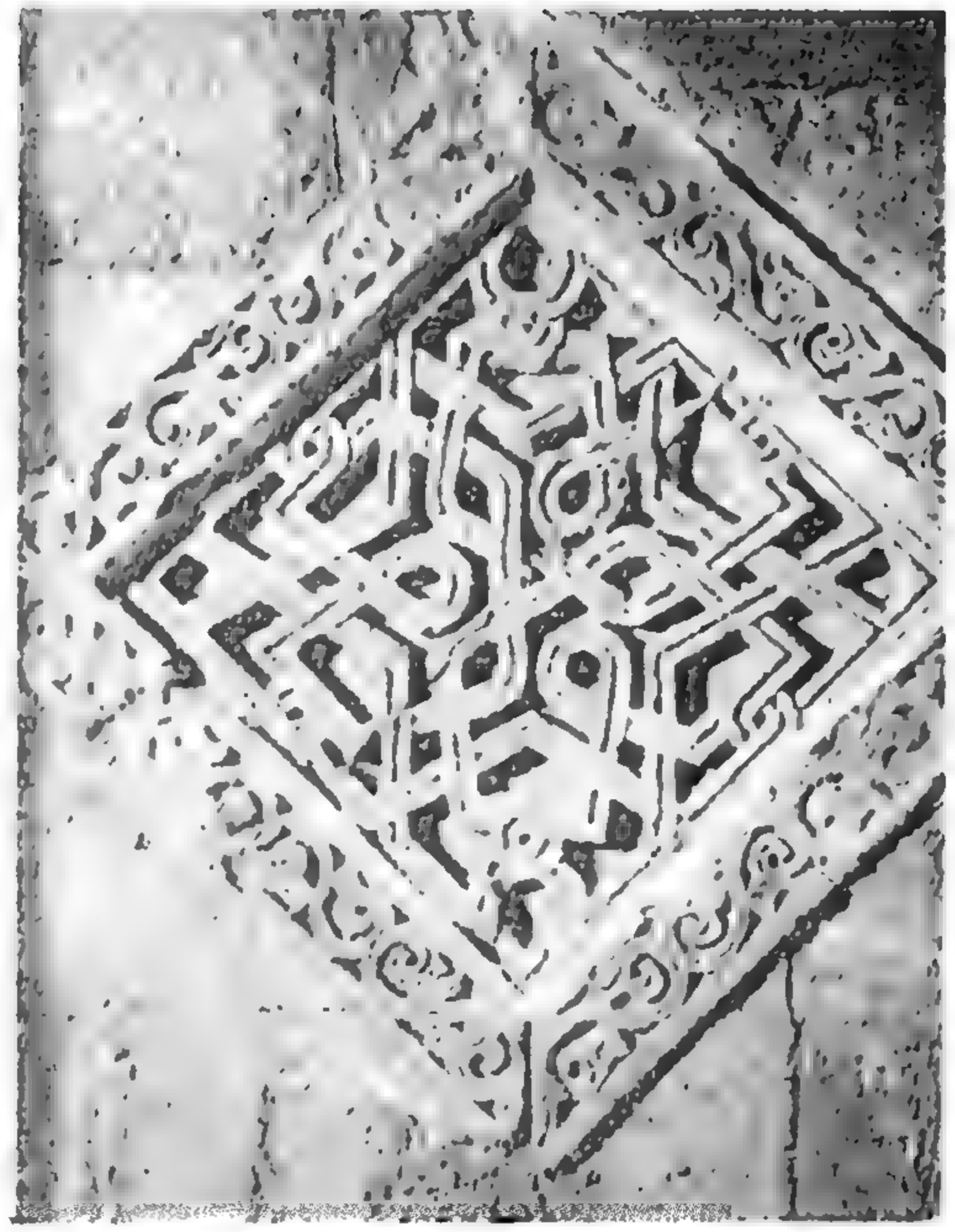
ج - البروز الغربي ، بقايا شرافات .



د - البروز الغربي ، نقش كتابي كوفي .



ب - الشريط السادس ، زخرفة إلى اليمين .



أ - الشريط السادس ، زخرفة إلى اليسار .



ج - زخرفة الشريط الثاني والثالث .

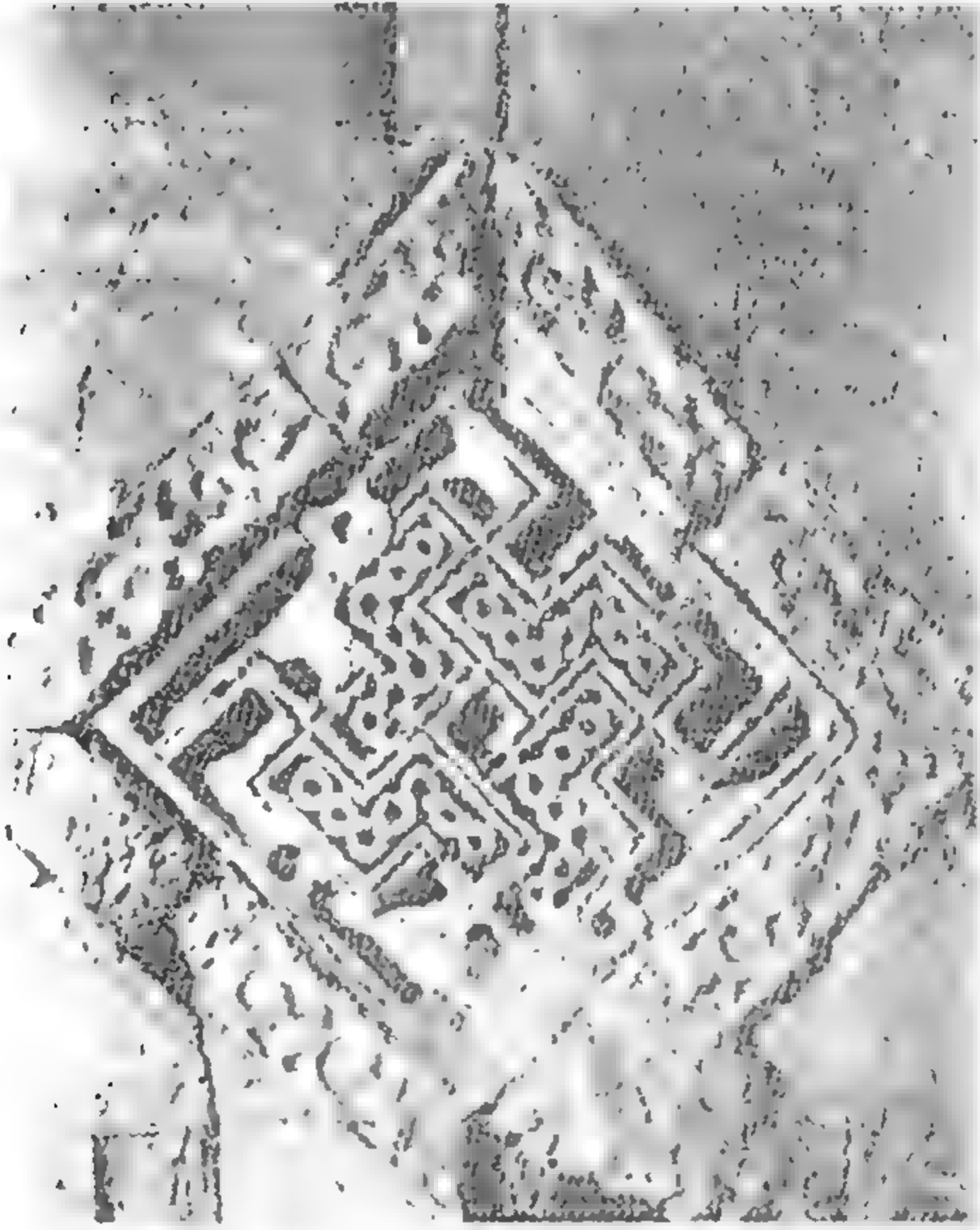
(لوحة رقم ٢٨) جامع الحاكم ، المنذنة الغربية ٥٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م .



ب - زخرفة في الجانب الجنوبي الشرقي استمرارية أ .



أ - الحلية الثامنة والشريط الأول من النقش الكتابي .



د - زخرفة في الجانب الشمالي الغربي بين الحليتين الخامسة والسادسة .



ج - نافذة في الجانب الشمالي الغربي بين الحليتين السادسة والسابعة .



أ - الجانب الشمالي الغربي بين الحليتين التاسعة والحادية عشرة .



ج - الحلية العاشرة والشريط أسفلها .



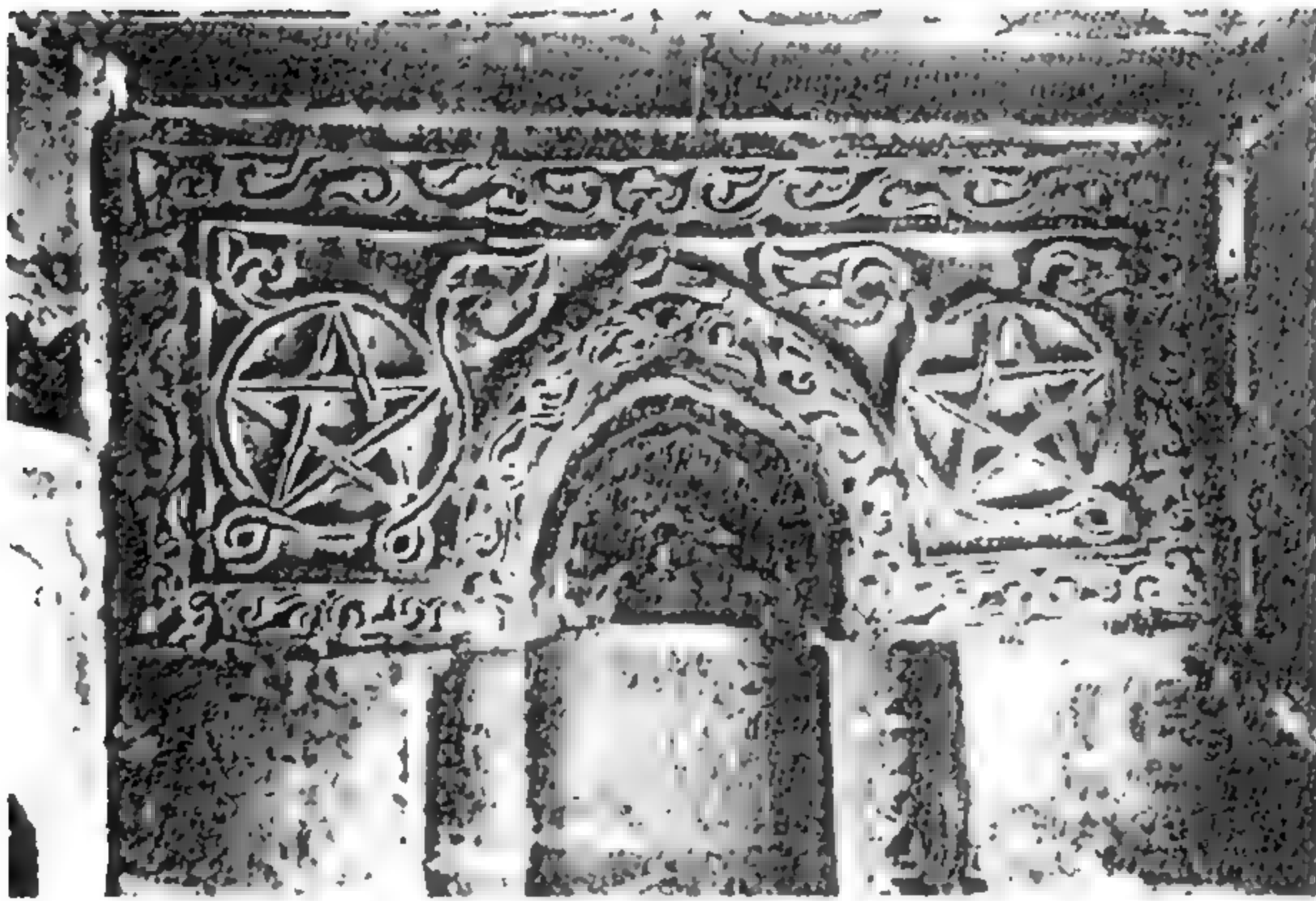
ب - نقش كتابي بين الحليتين العاشرة والحادية عشرة .



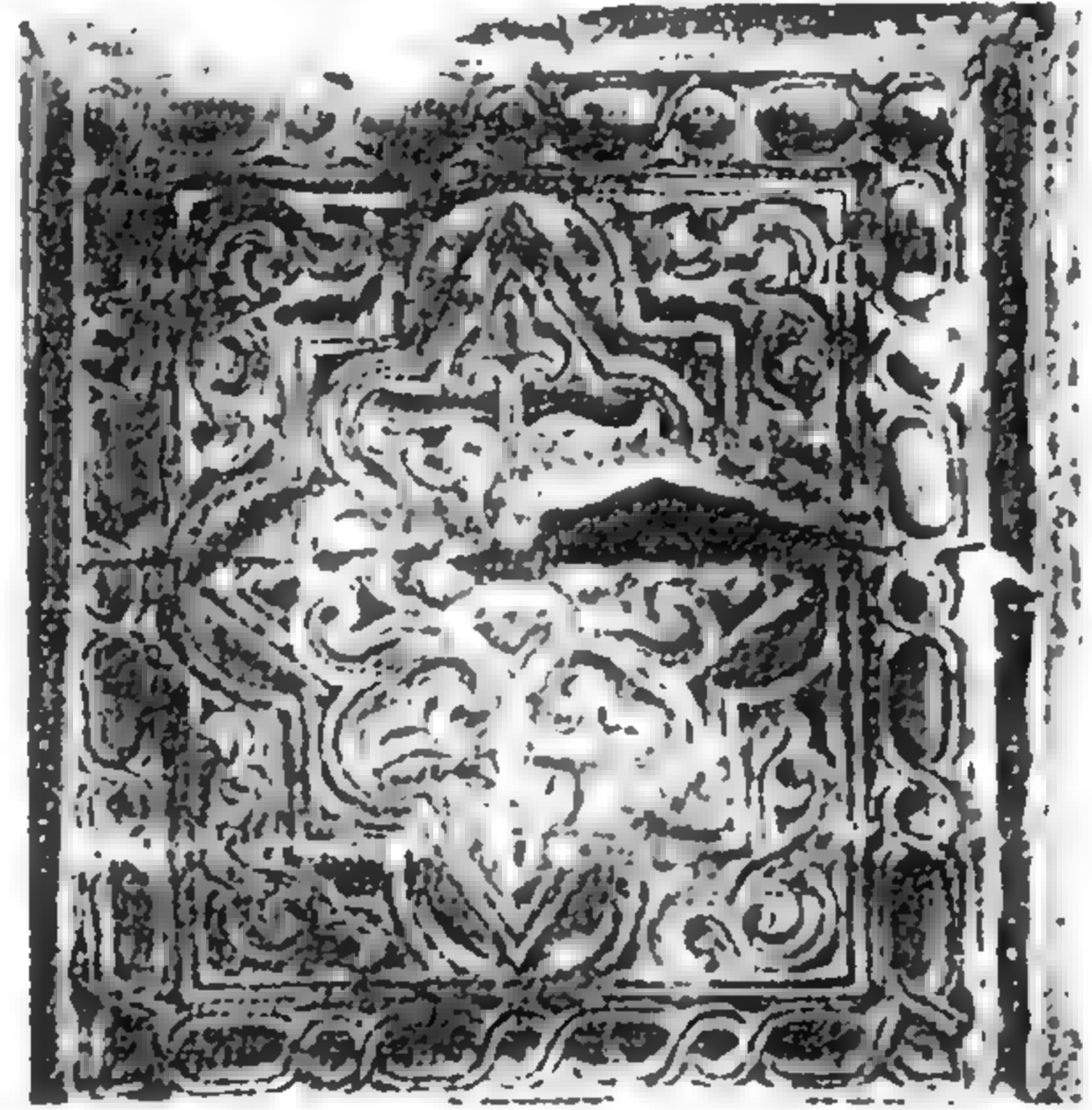
ب - مدخل المصلى ، يوجد باب
السلم في الخلف .



أ - العقود الحاملة للمئذنة
فوق الحلية العاشرة .



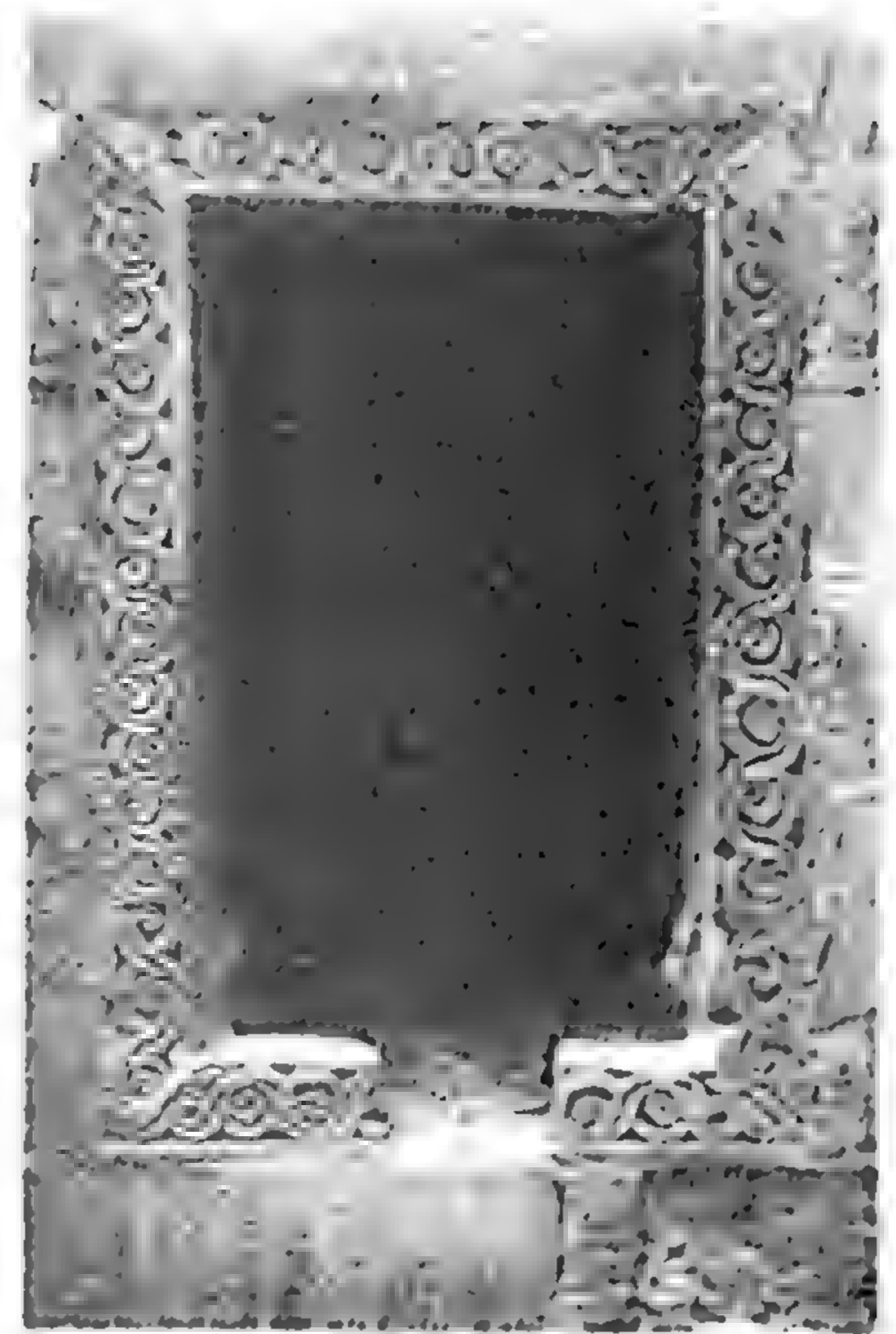
د - الجانب الشمالي الشرقي للمصلى الصغير .



ج - سقف المصلى الصغير .



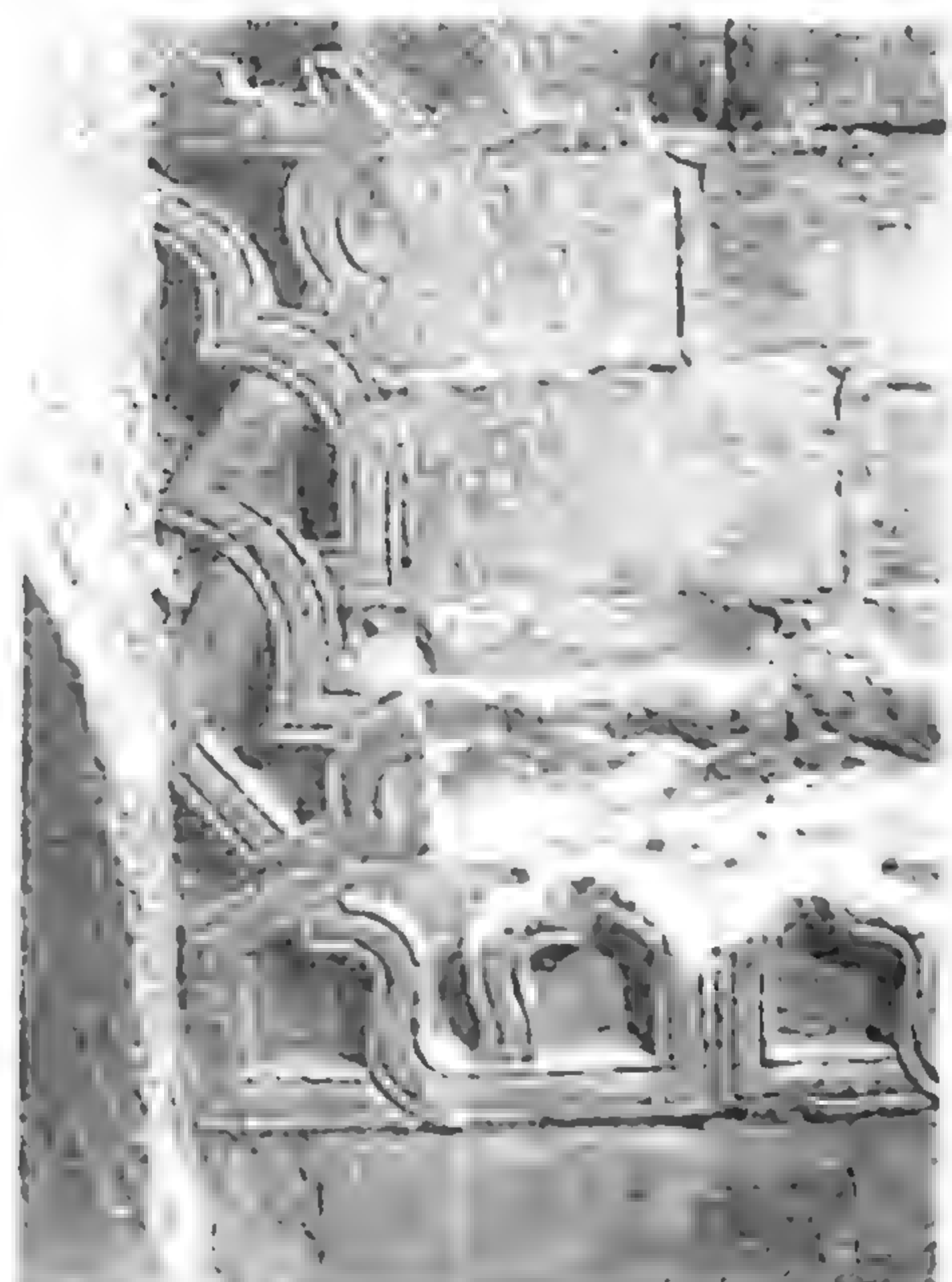
ب - زخرفة في الطابق المئمن الرابع .



أ - نافذة في الجانب الشمالي الشرقي
من الطابق المئمن الثاني .



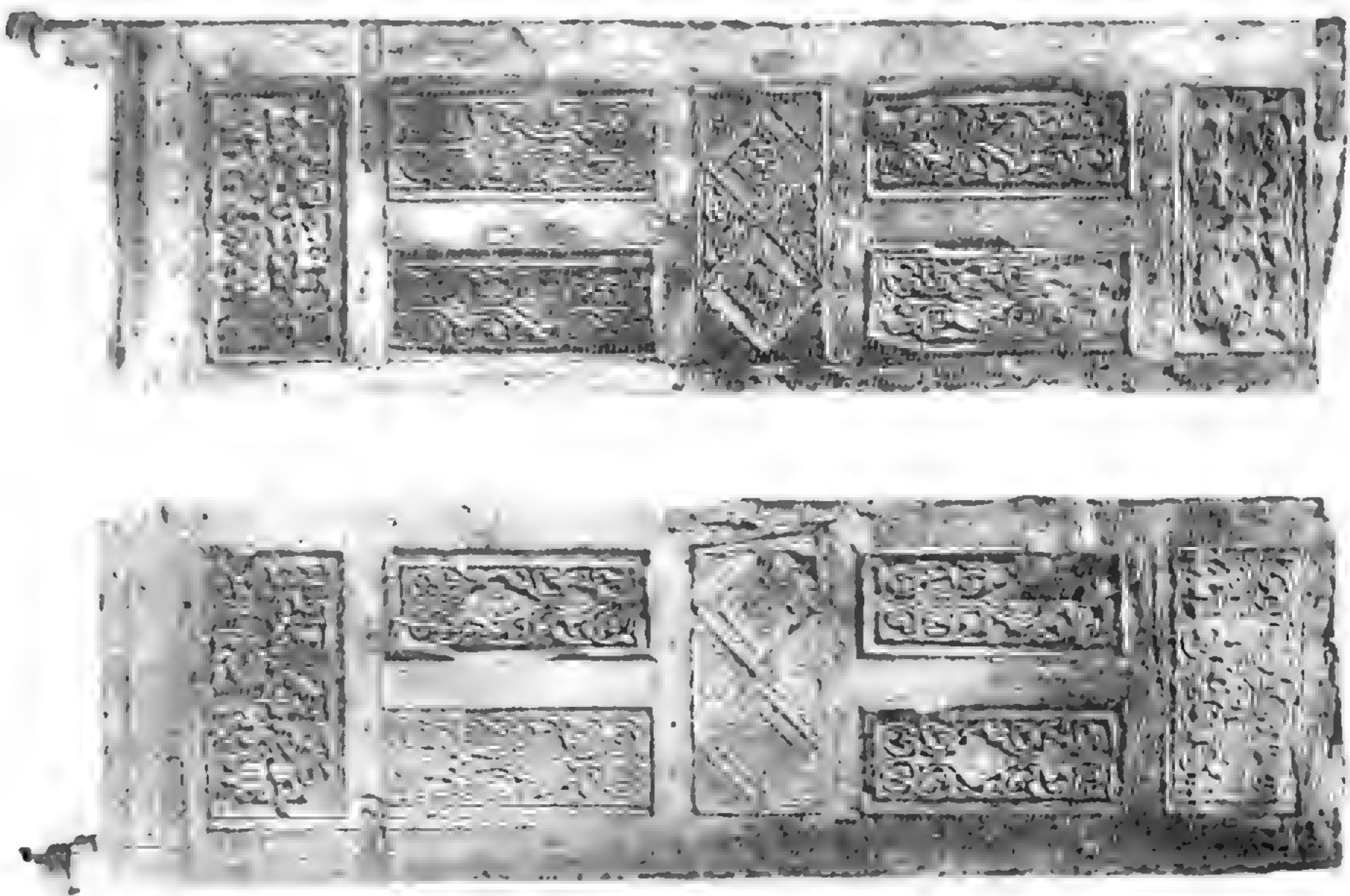
د - الطابق المئمن الأول ، ذو الدعامات نصف
الدائرة ، والطابق المئمن الثاني .



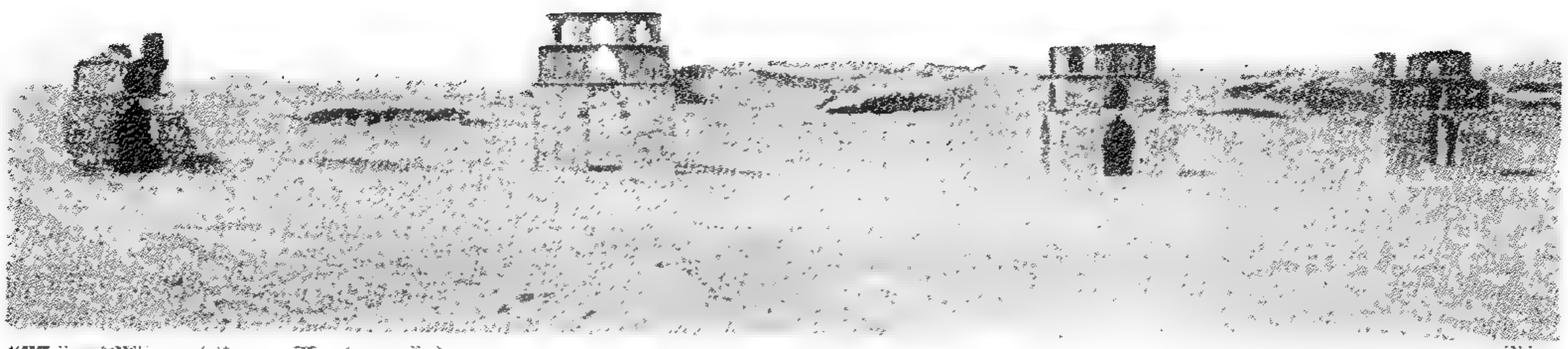
ج - بقايا شرافة في قمة الجزء المربع .



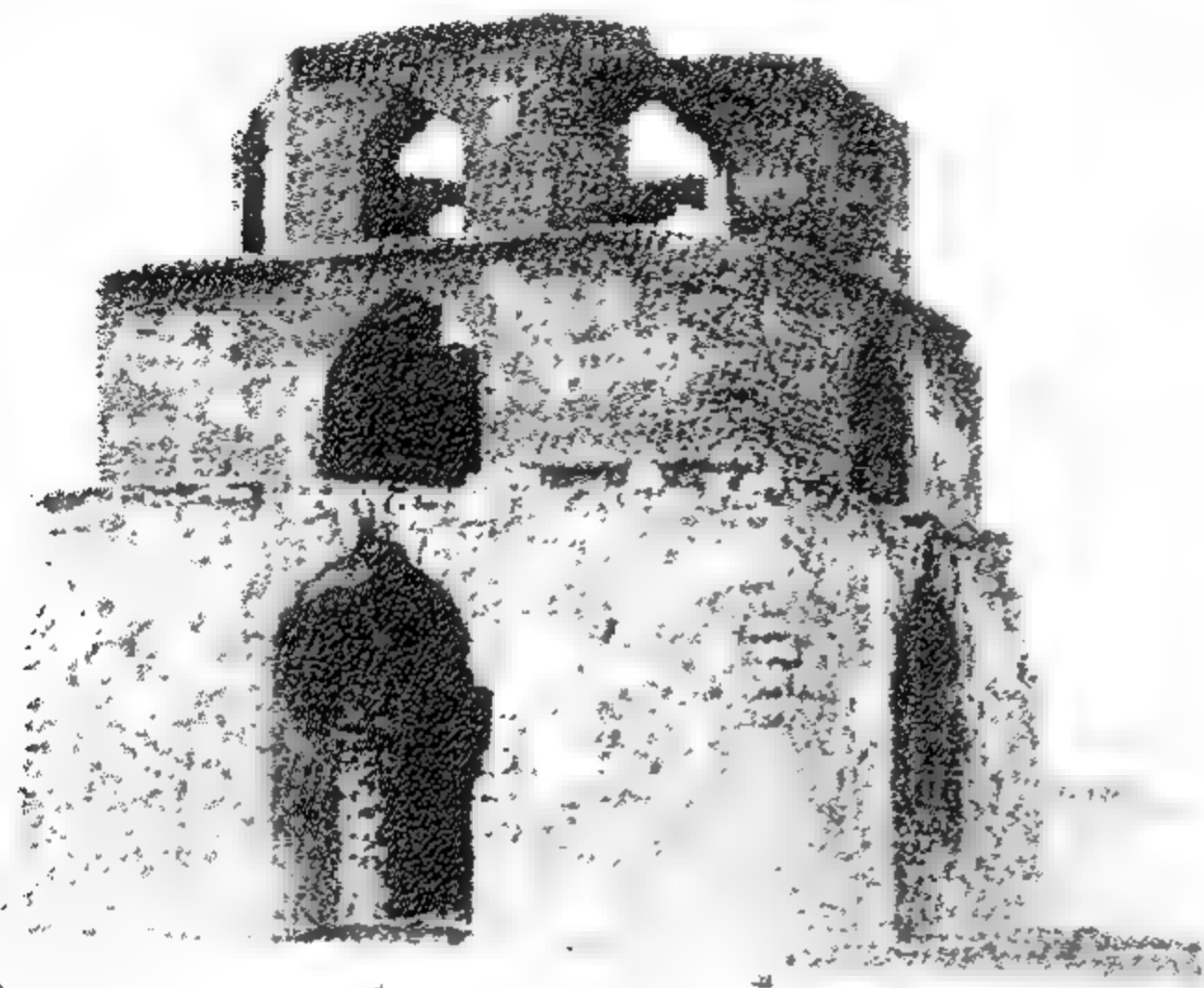
ب - تفصيل للجزء الأسفل ، مقاس الحشوات الرأسية
٢٦×٢٨ سم والحشوات الأفقية ٢٧×٣٩ سم .



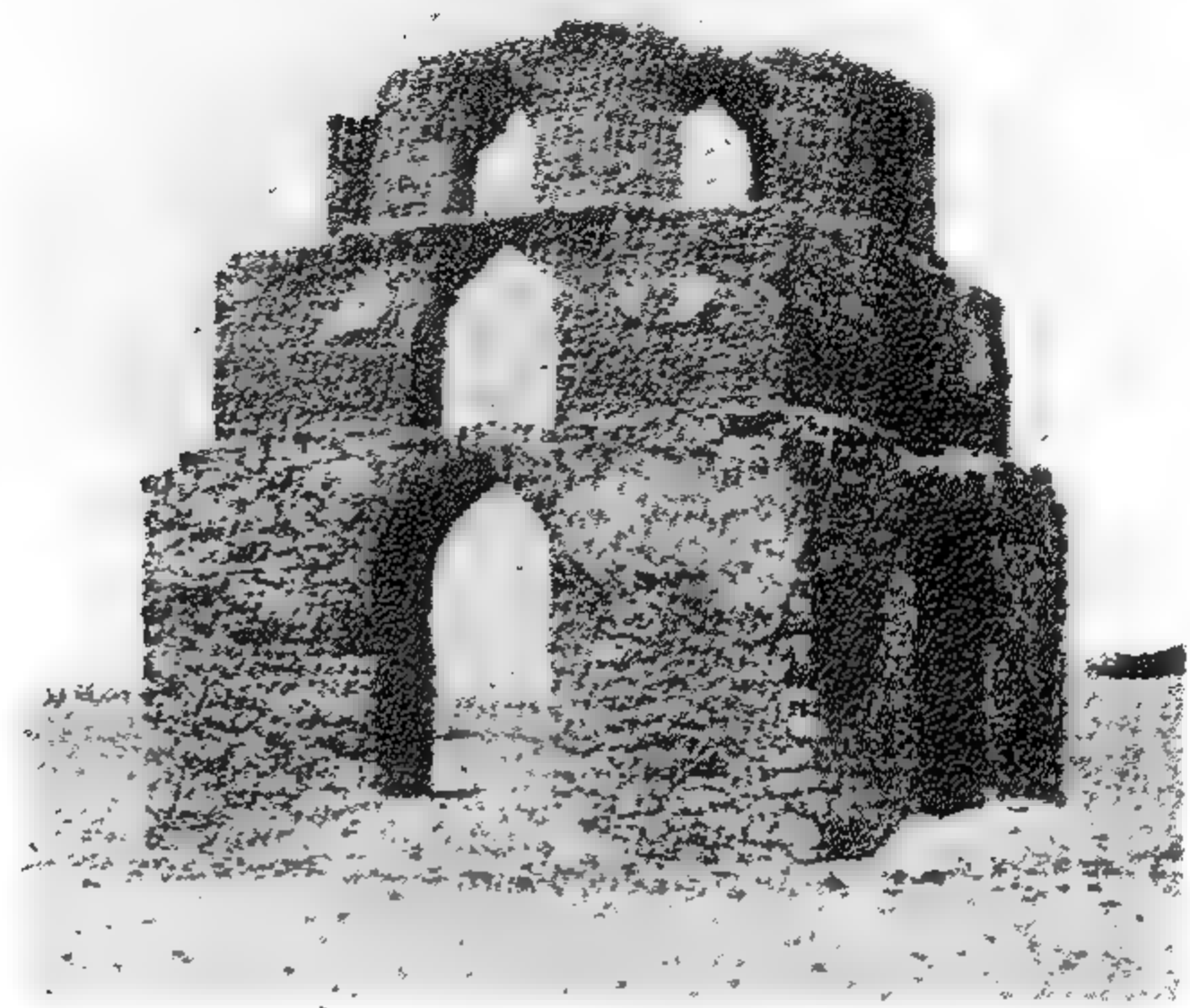
أ - الارتفاع ٢٩م . عرض كل فرقة باب ١م .



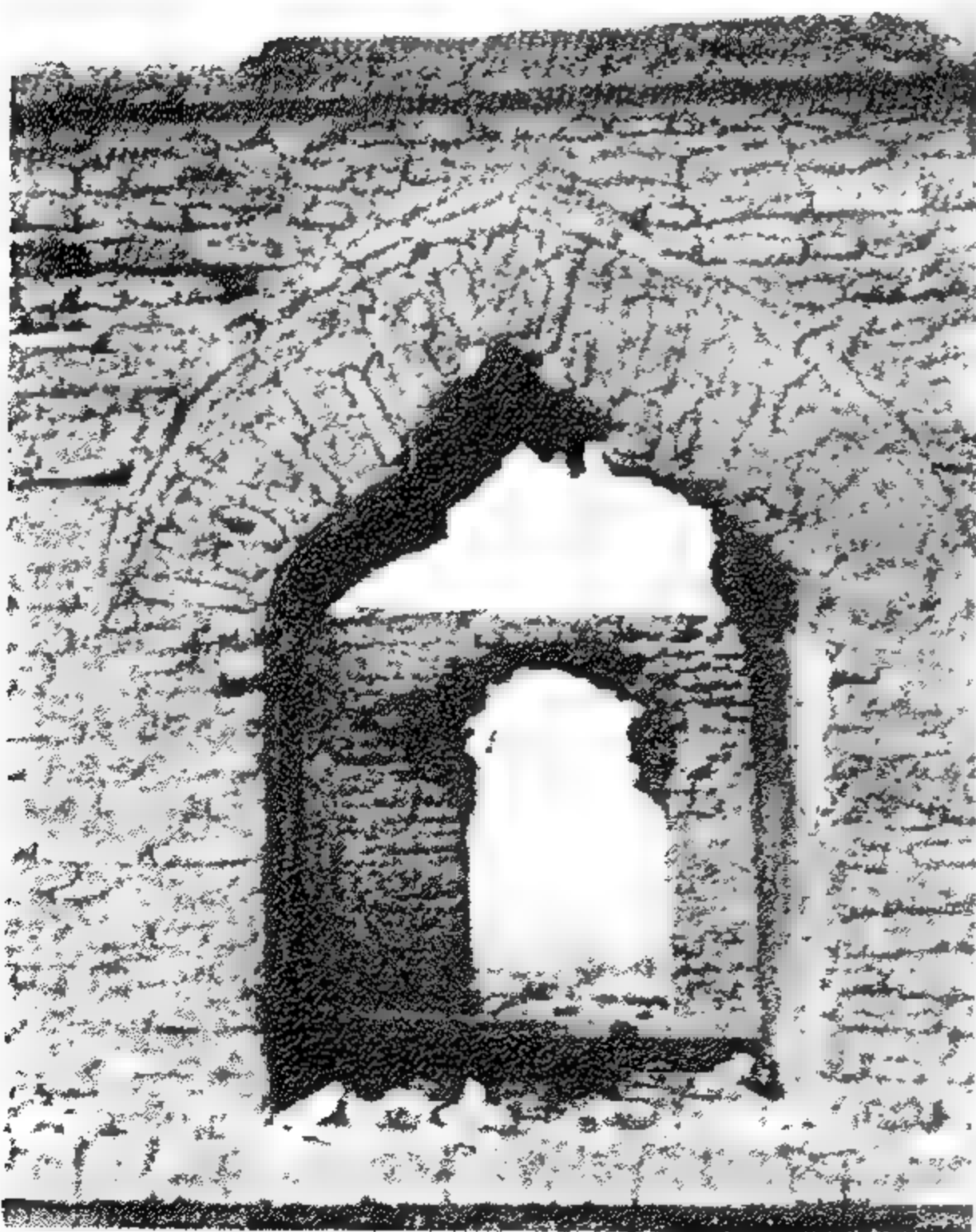
أ - منظر عام من الجنوب الشرقي .



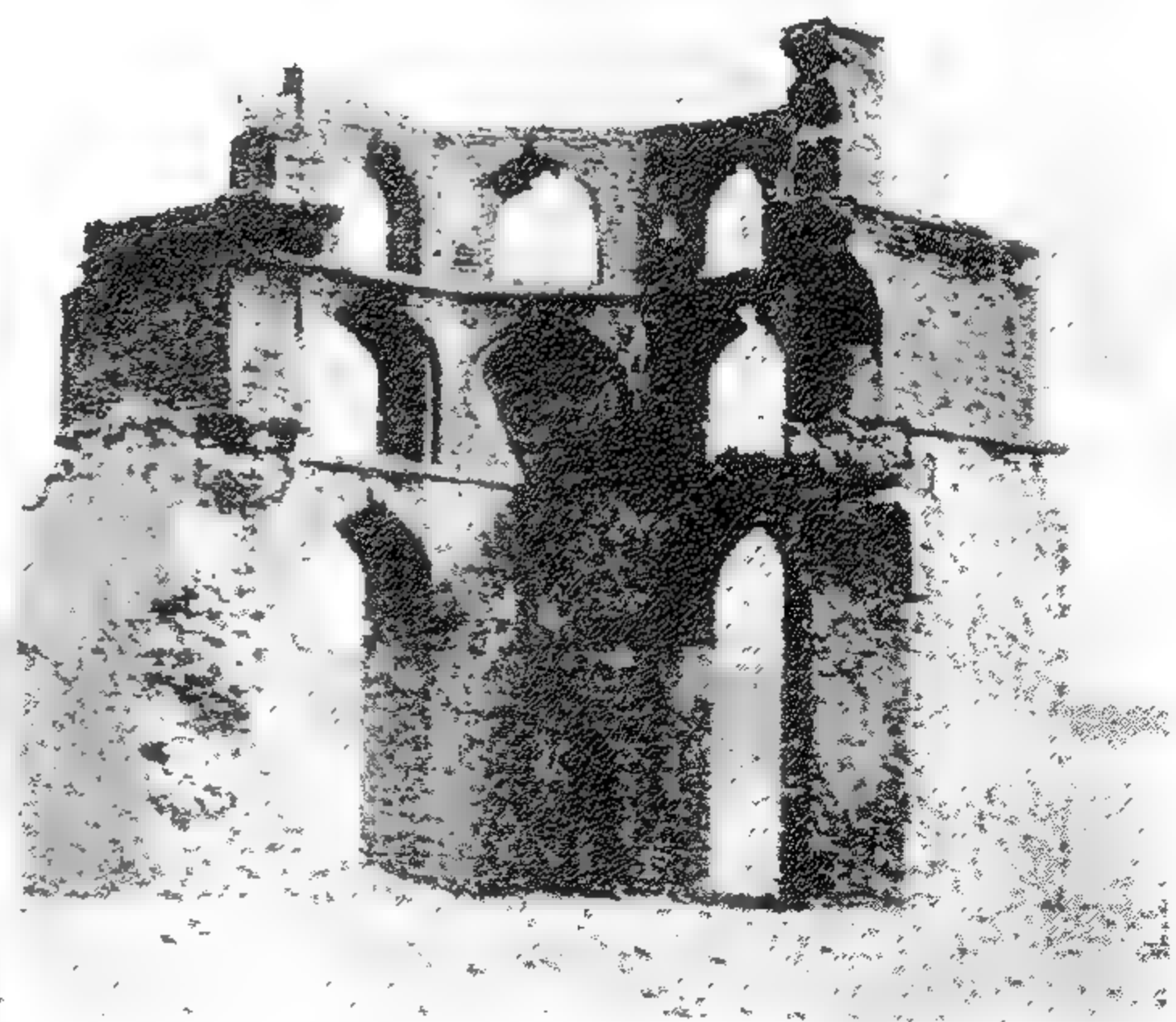
ج - الضريح الثاني من الشرق .



ب - الضريح الأول من الشرق .



هـ - الضريح الثاني من الشرق ،
نافذة في الرقبة .



د - الضريح الثالث من الشرق .

(لوحة رقم ٣٤) السبع بنات ، ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م .



ب - من الغرب .



أ - واجهة قاعة الصلاة في عام ١٩١٧م .



د - من الجنوب ،
ويشاهد بروز المحراب .



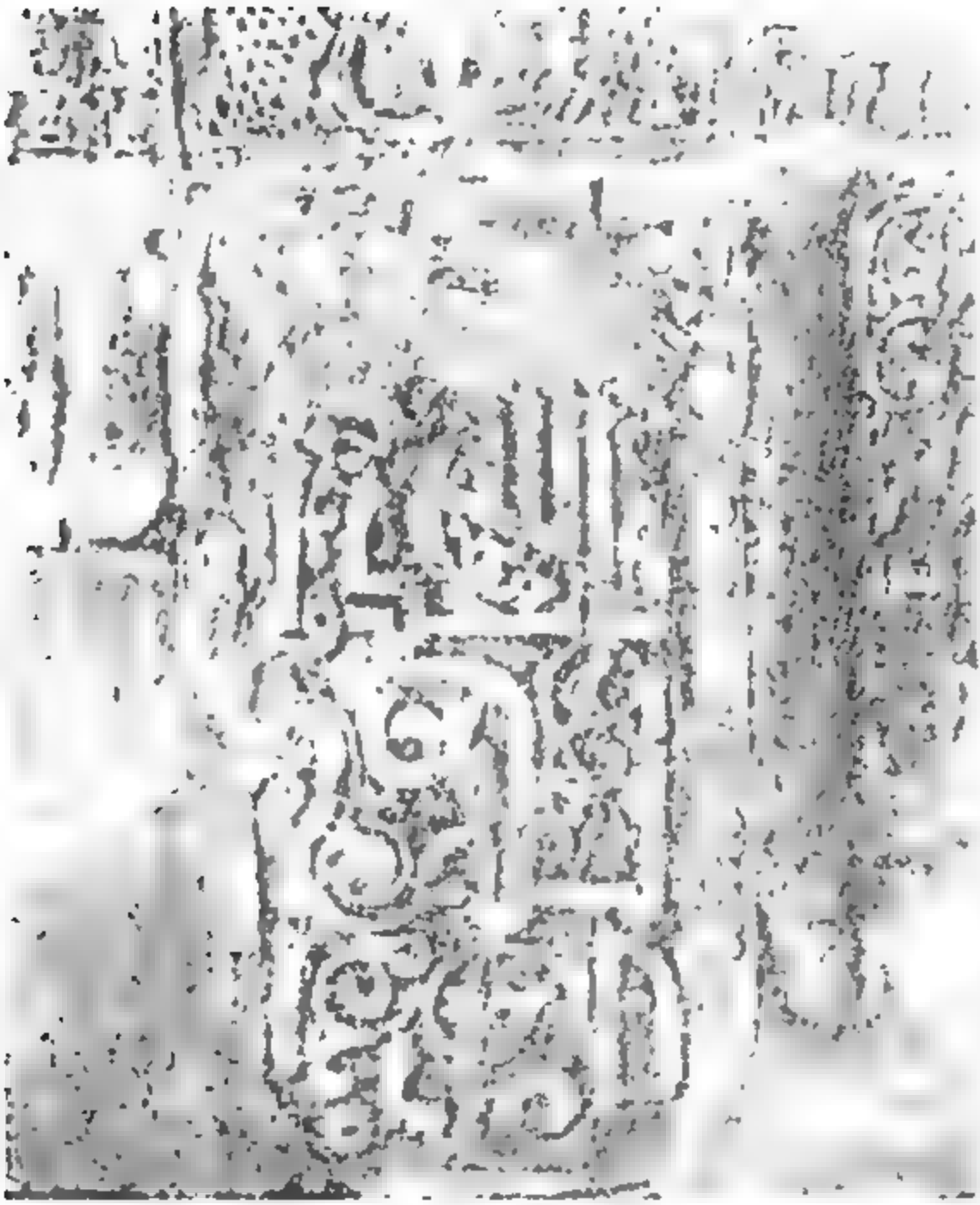
ج - بعد العاصفة الممطرة الشديدة
في ربيع ١٩١٩م ،
الحجرة المقبية العلوية المعرضة للخطر .



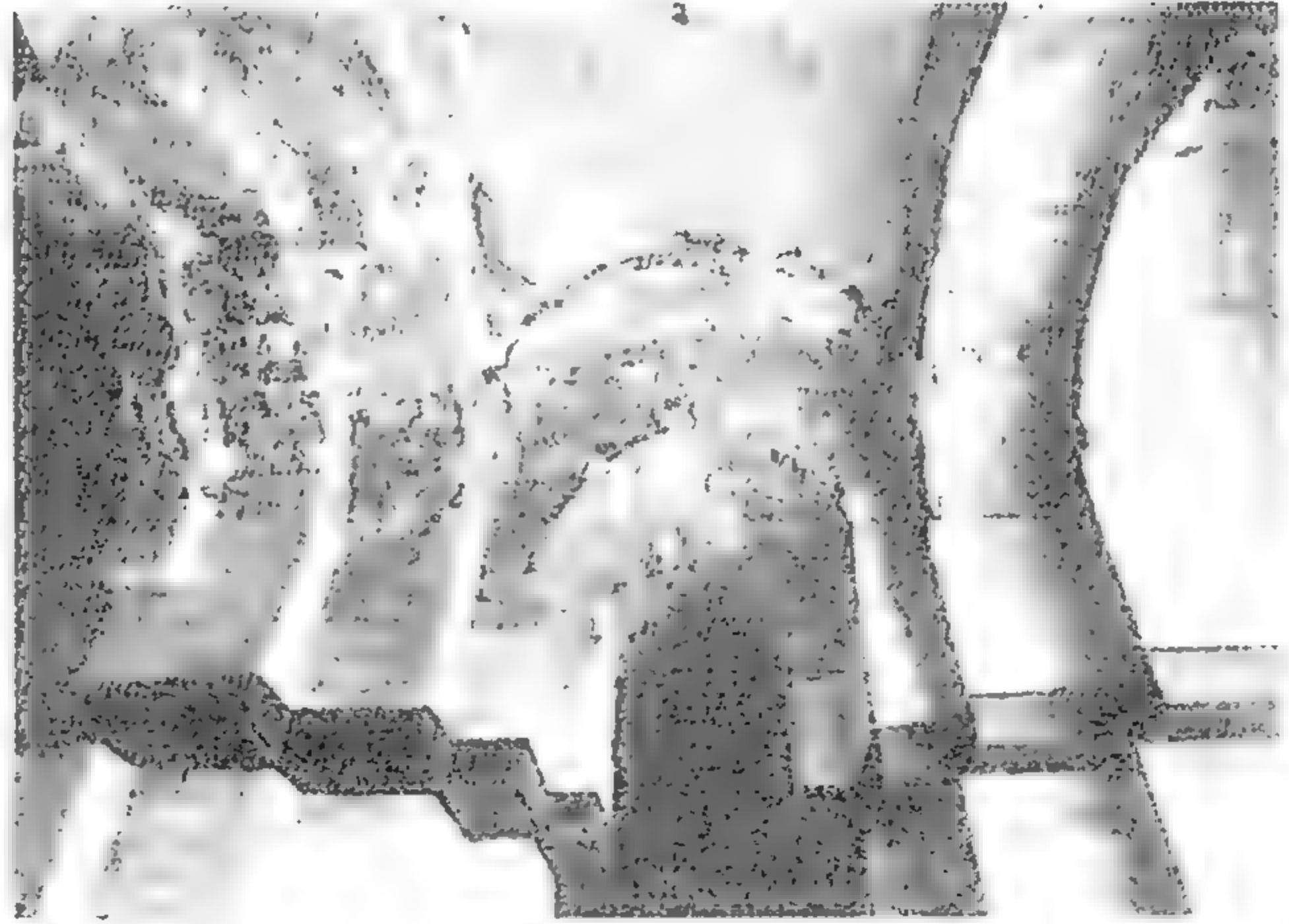
ب - الداخل ، جهة الشمال الشرقي .



أ - الداخل ، جهة الجنوب الشرقي .

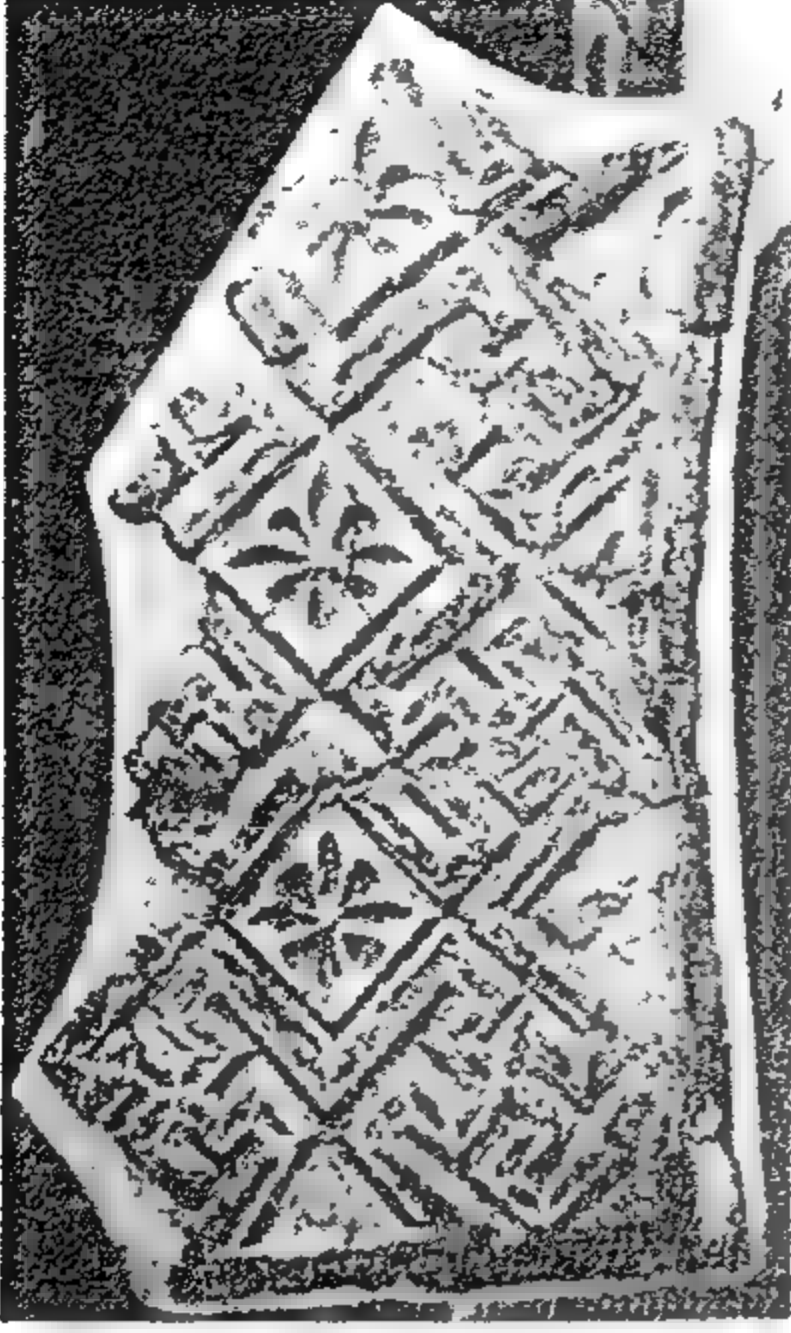


د - محراب الأفضل في الجامع
الطولوني (أنظر لوحة ٧٧)
وبخاصة الحشوة الوسطى
التي محيت زخارفها .

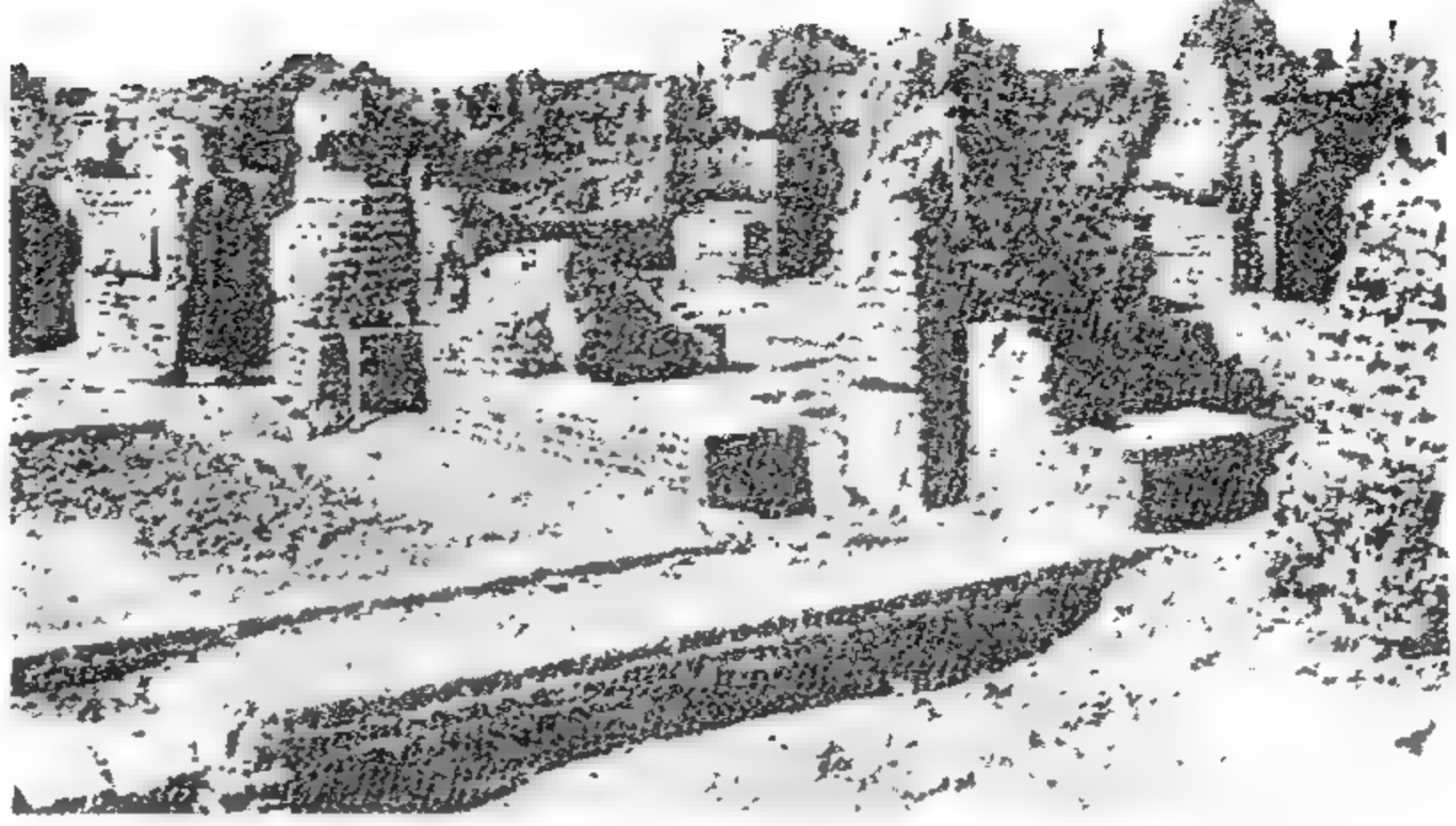


ج - قبو .

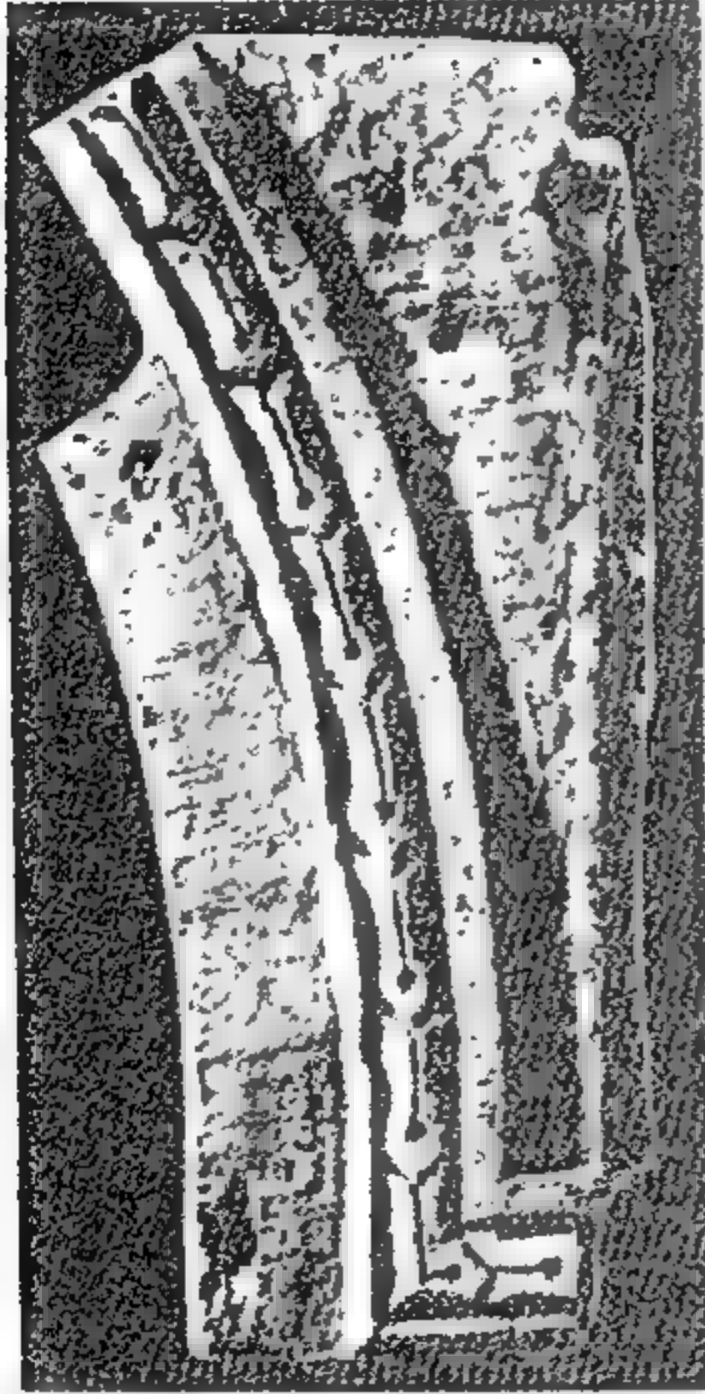
(لوحة رقم ٣٦) المدخل إلى زيادة جامع الحاكم (٤١١ - ٤٢٧ هـ / ١٠٢١ - ١٠٣٦ م) .



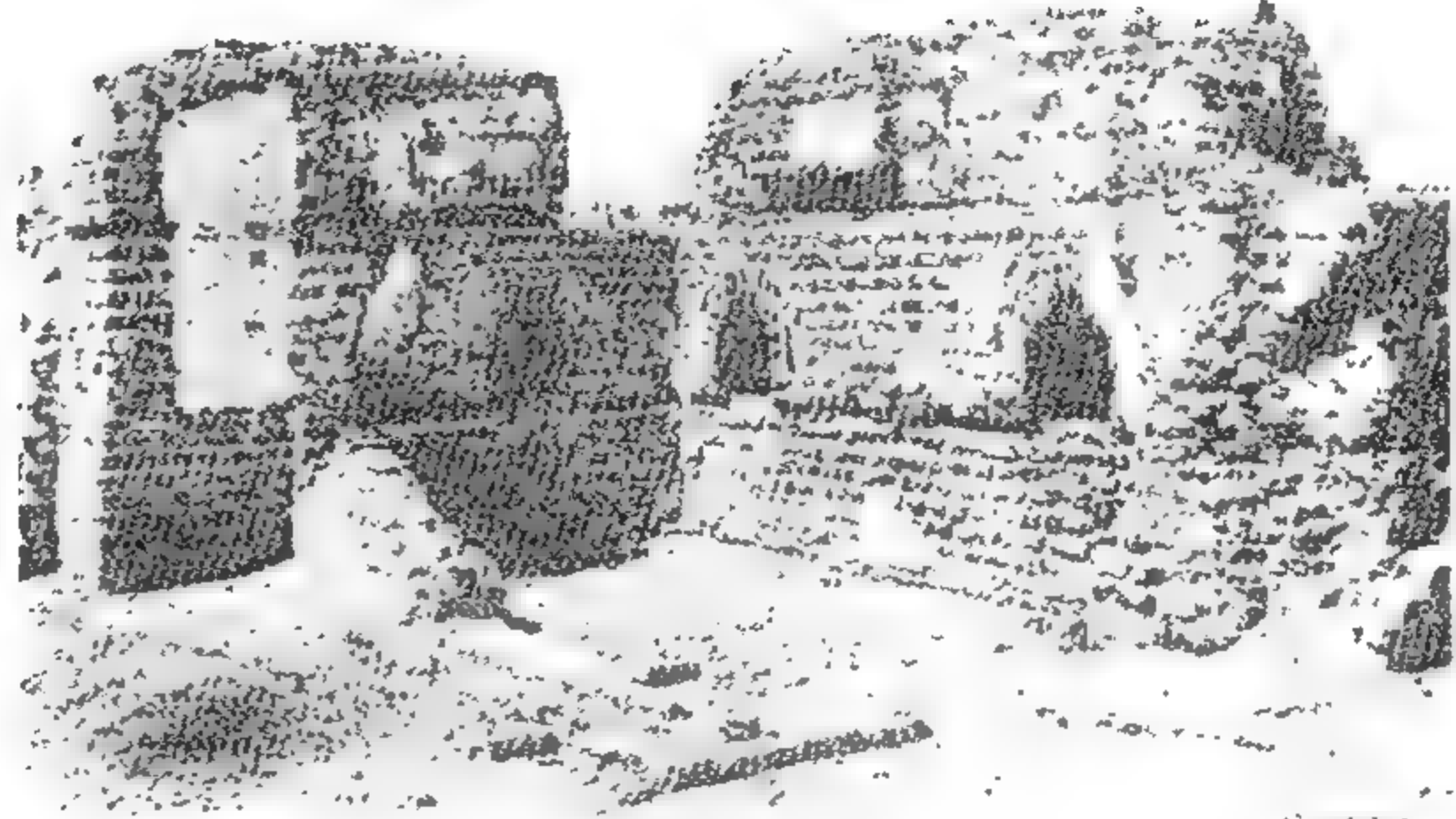
ب - البيت الثاني
تفصيل من الحجرة ج .



أ - البيت الثاني من الجنوب الشرقي .



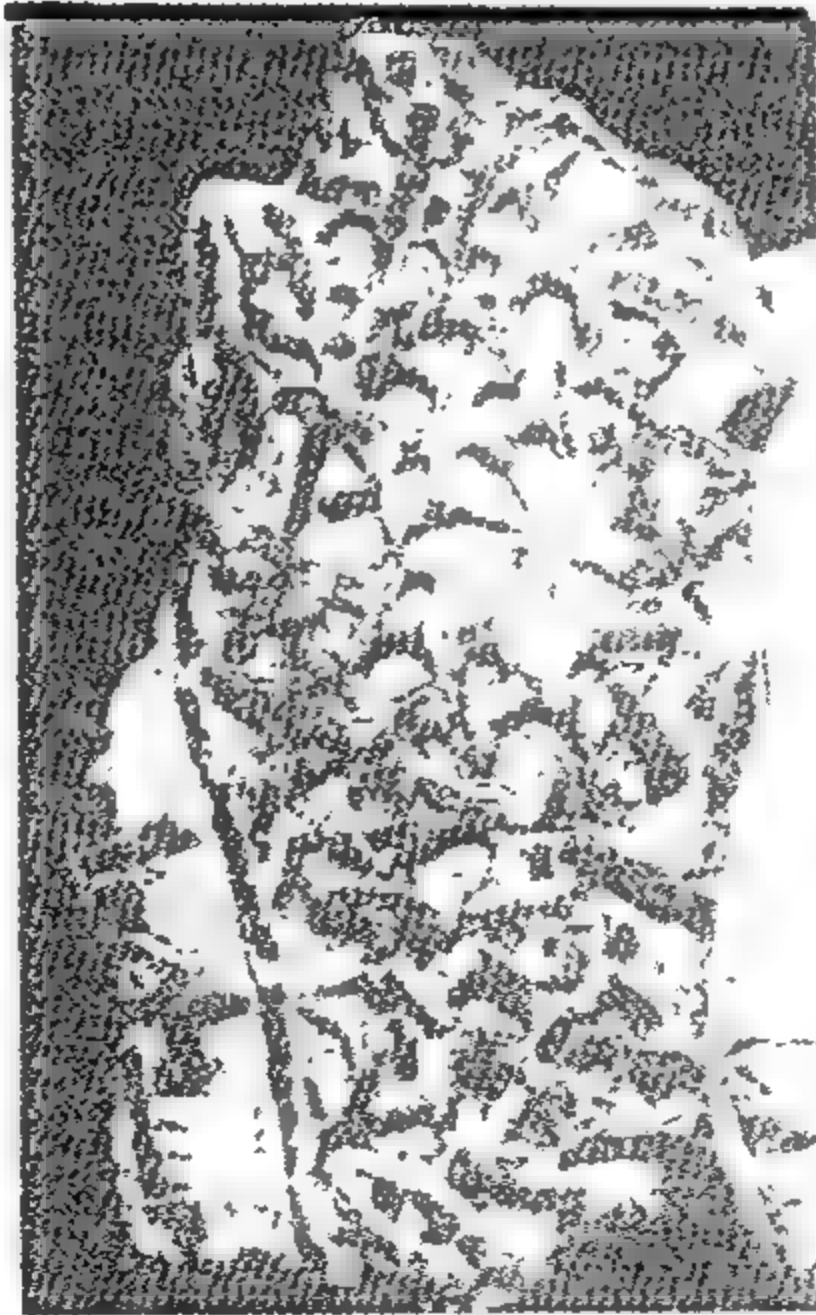
د - بقايا من الزخرفة الجصية
القالبية من البيت السادس .



ج - بقايا زخرفة وجدت في البيت السادس .



ز - نقش تشكّل بواسطة قطع من
الأجر المتداخلة في الجص .



و - بقايا زخرفية أخرى .



هـ - بقايا زخرفية
وجدت في البيت الخامس .

(لوحة رقم ٣٧) بيوت الفسطاط (عن : علي بهجت وجابريل) .



أ - في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة .



ب - متحف الفن الإسلامي بالقاهرة .

(لوحة رقم ٣٨) بقايا ألواح خشبية محفورة
من القصر الفاطمي الغربي أو الأصغر ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م .



ج - الحشوة السفلية
لباب (٦١ × ٢٩ سم) .



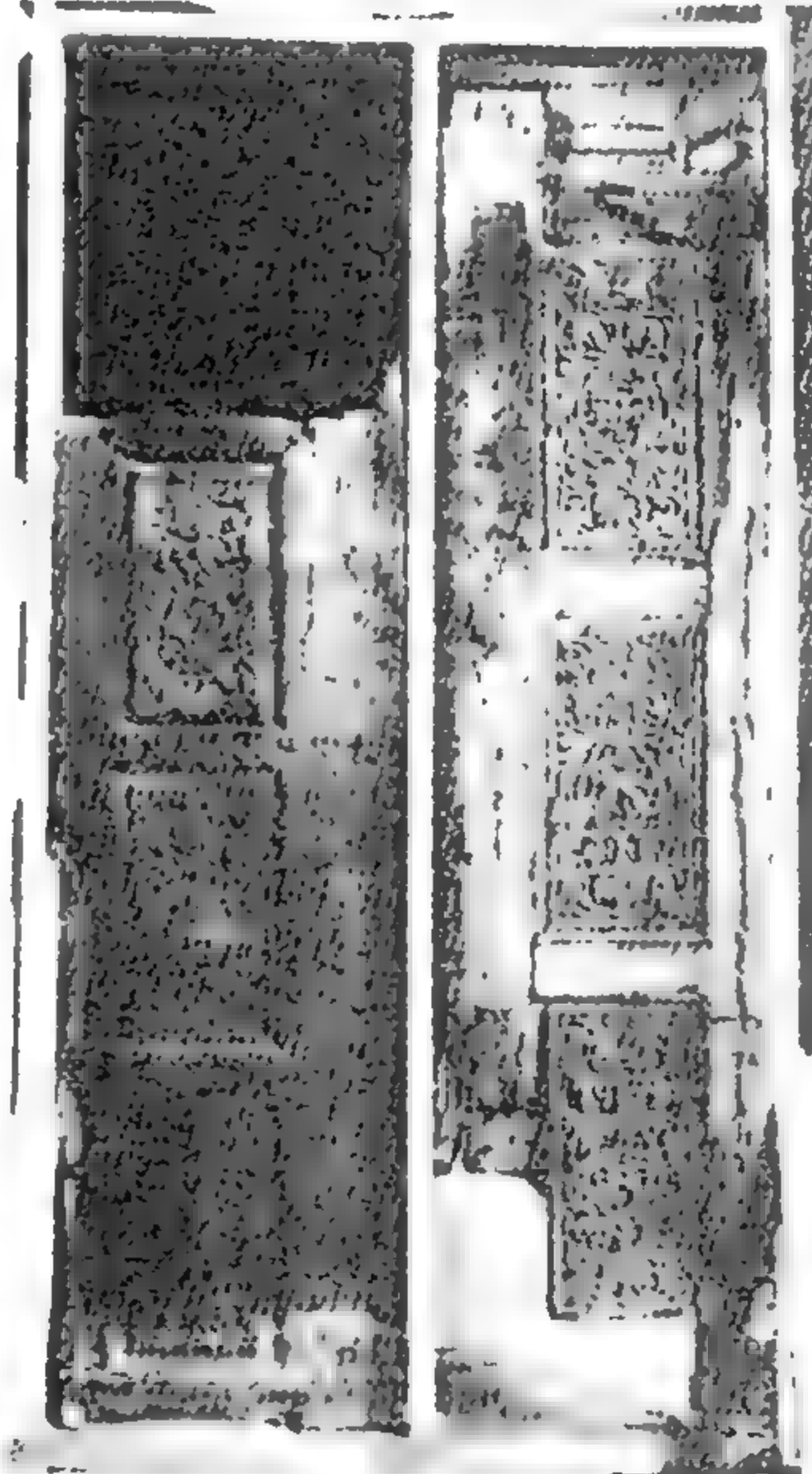
ب - حشوة في نفس
الباب (٦٢ × ٢٩ سم) .



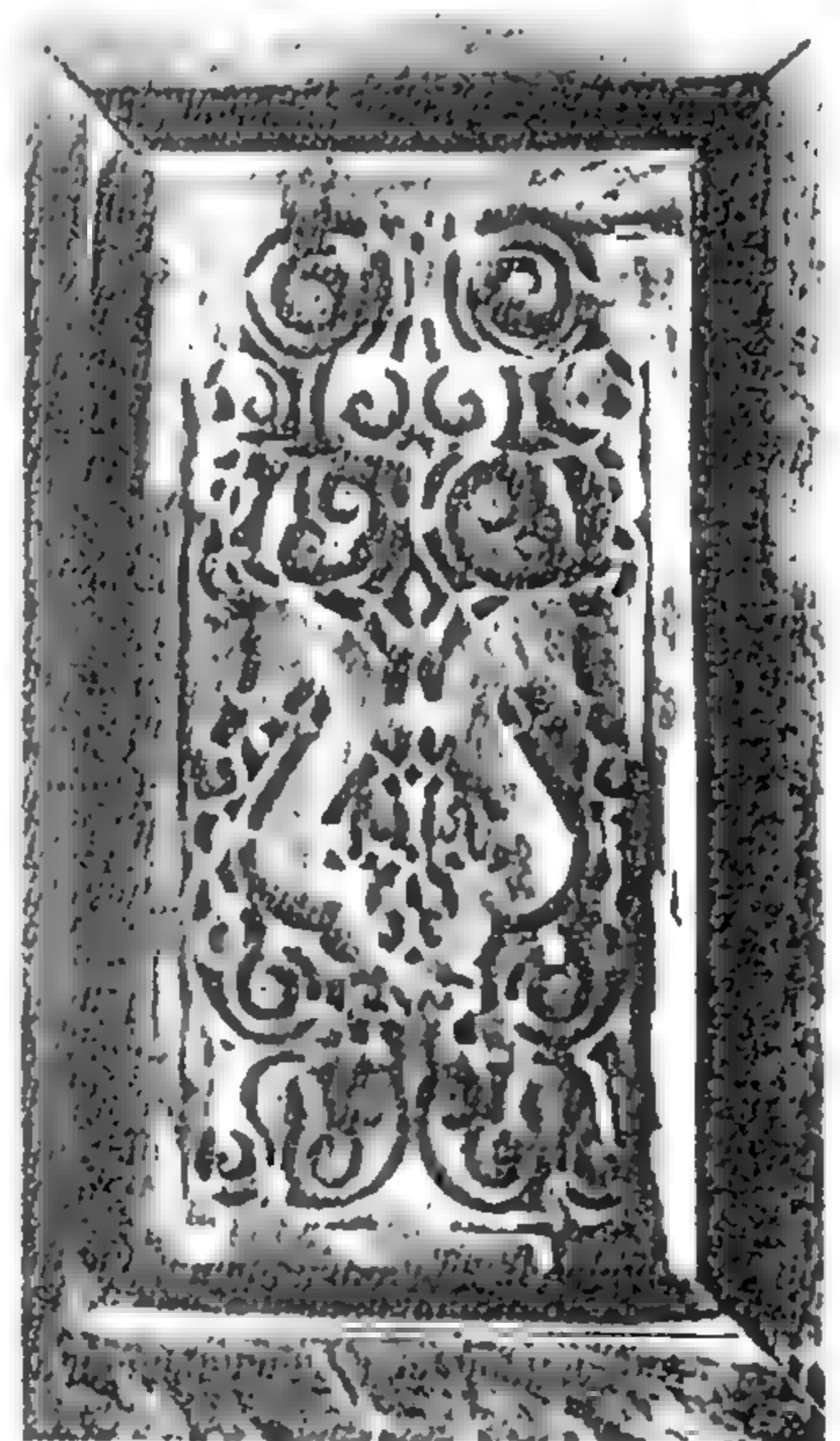
أ - فردة باب وجدت في
بيمارستان قلاوون
(٣١ × ٣٧٩ سم) .



و - تفصيل لحشوة في هـ
الحشوة الوسطى
إلى اليمين (٦٦ × ٣١ سم) .



هـ - بقايا باب وجدت
في بيمارستان قلاوون .



د - تفصيل لحشوة في هـ
(الأعلى إلى اليسار)
(٥٦ × ٢٩ سم) .

(لوحة رقم ٣٩) أشغال الخشب من القصر الفاطمي الغربي .



ب - الضريح رقم ١٧ (من الداخل) .



أ - الضريح رقم ٣٣ (من الخارج) .



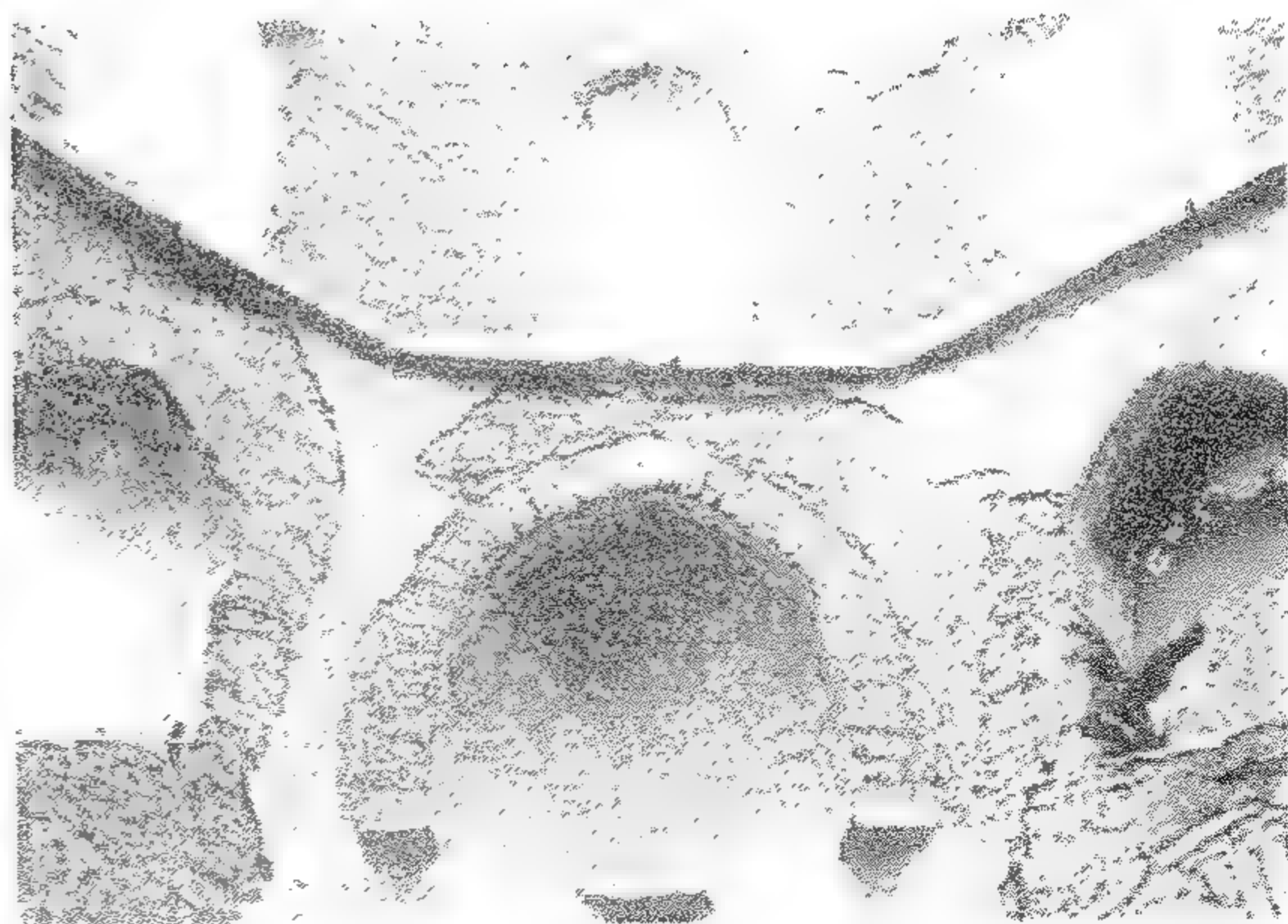
د - الضريح رقم ٤٧ (من الخارج) .



ج - الضريح رقم ١٠ (من الخارج) .



و - الضريح رقم ١٣ (من الخارج) .

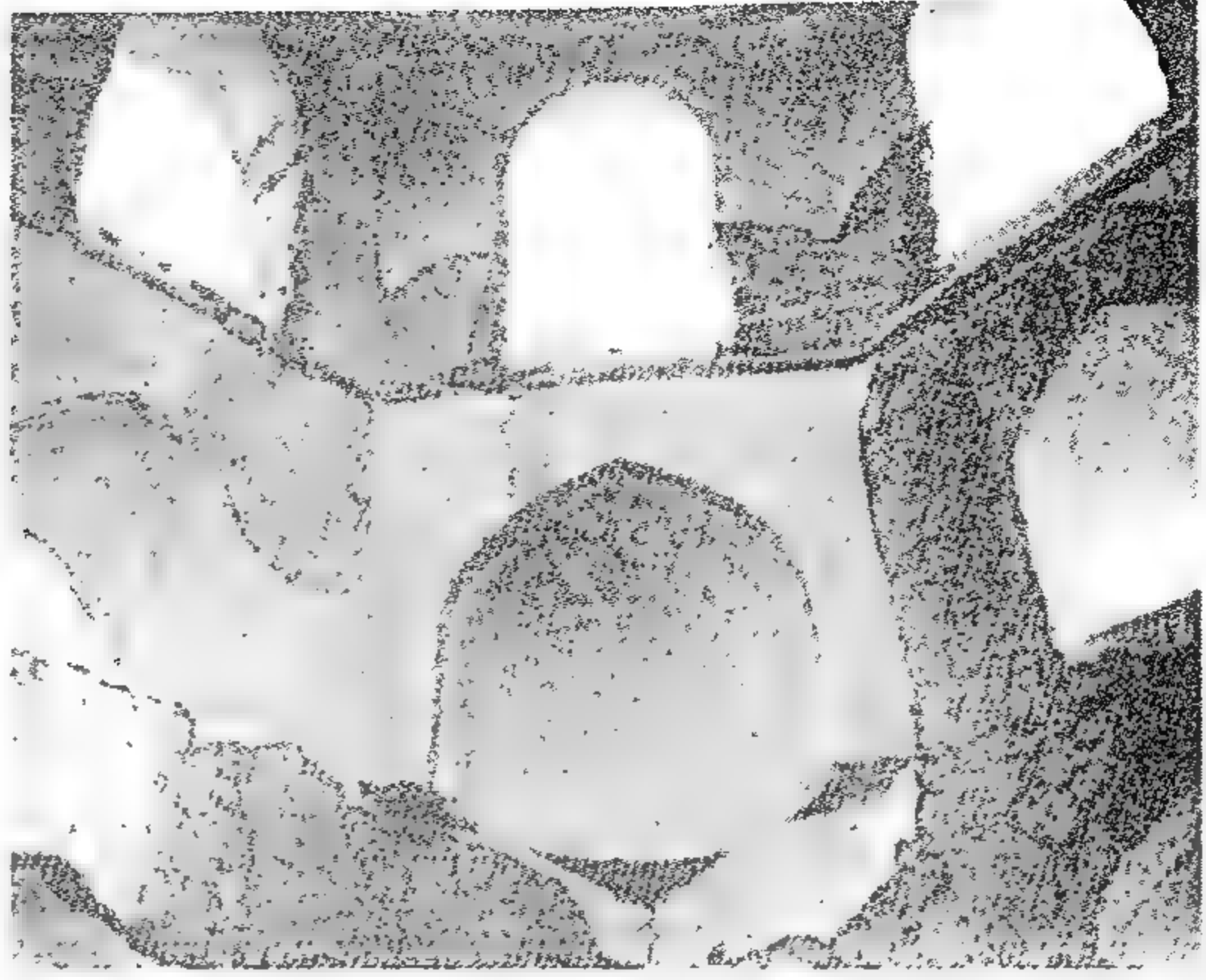


هـ - الضريح رقم ١٣ (من الداخل) .

(لوحة رقم ٤٠) أسوان : أضرحة في الجبانة ق ١١م/٥٥هـ .



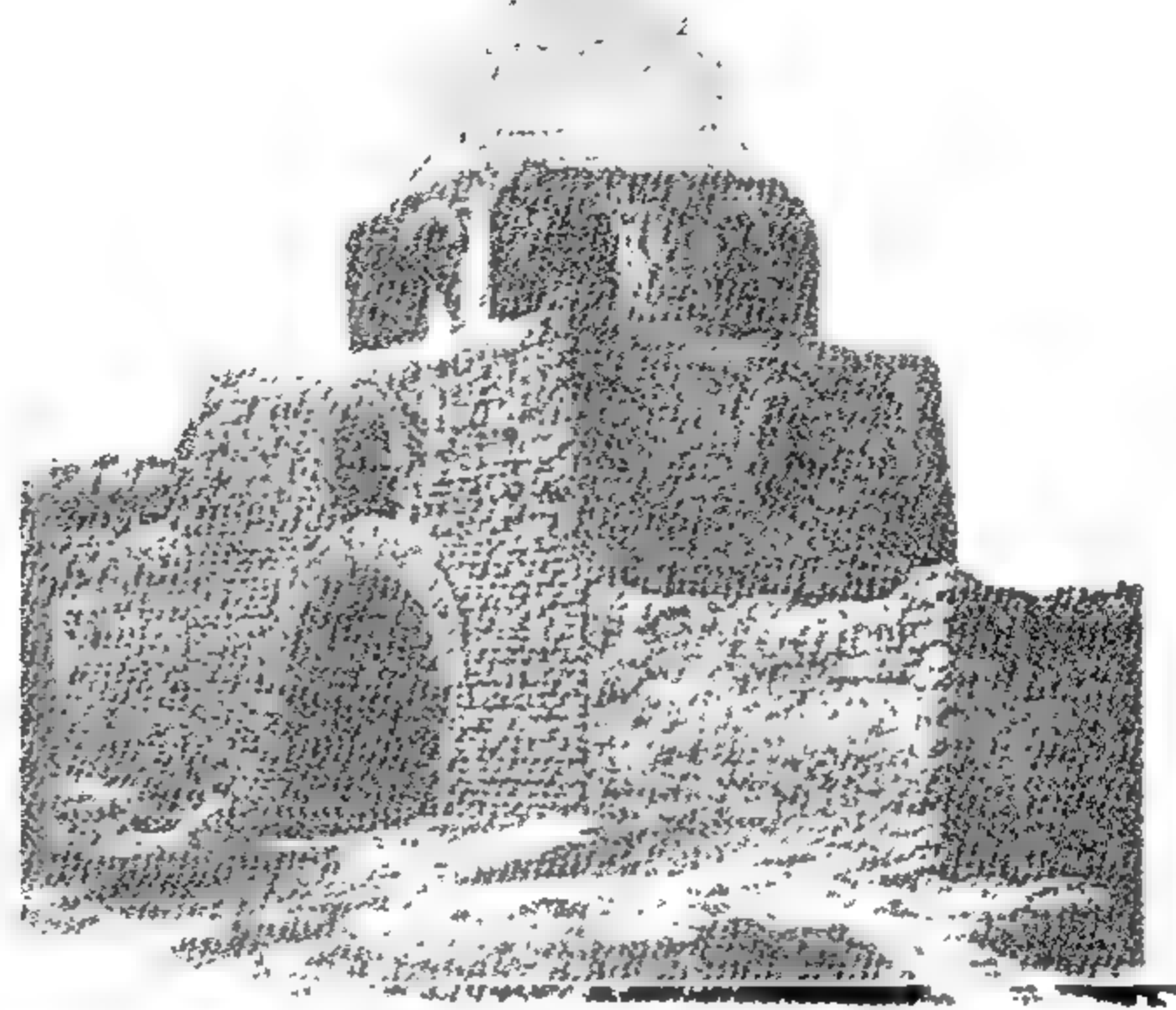
ب - الضريح رقم ١٤ (من الخارج) .



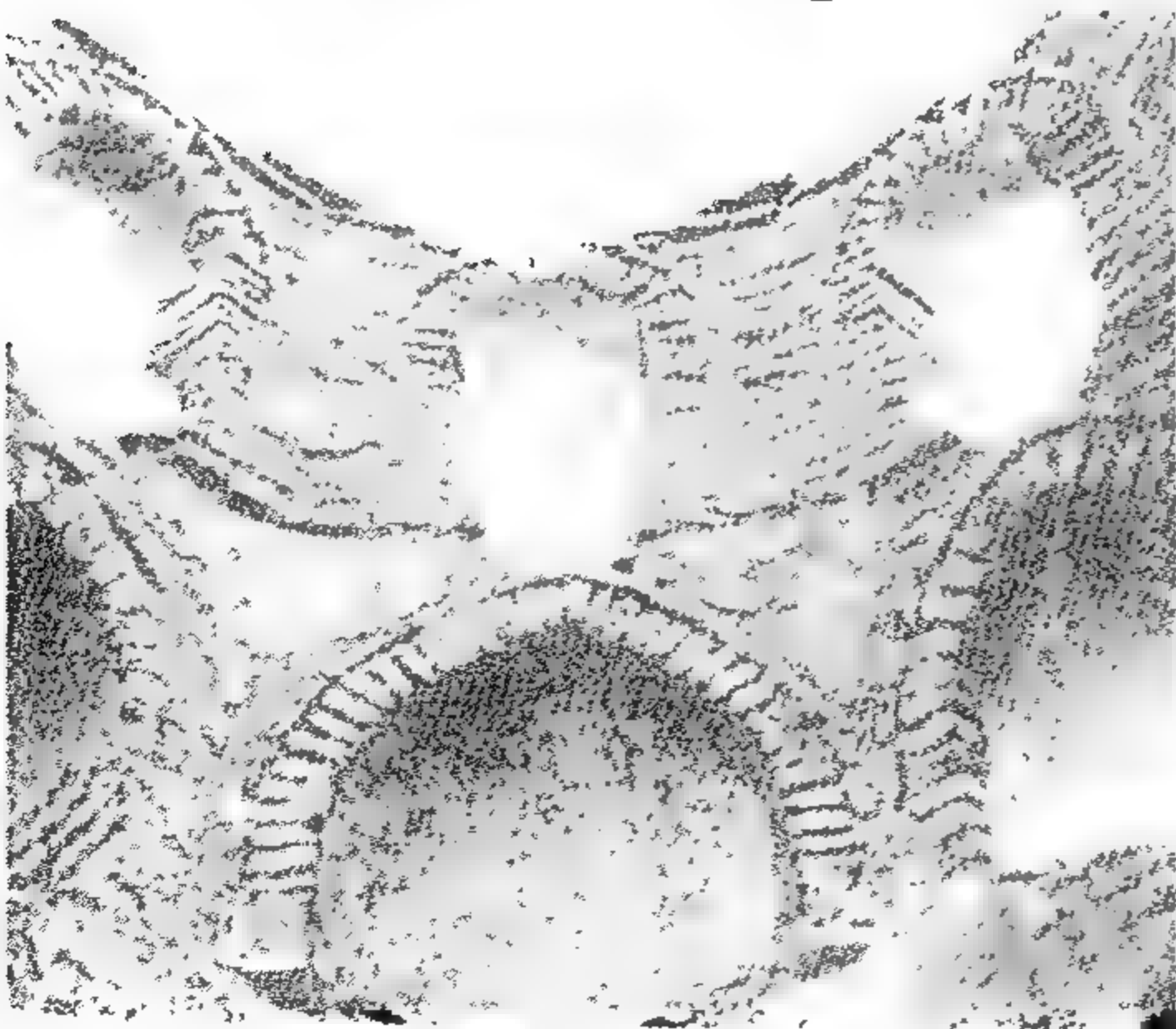
أ - الضريح رقم ١٤ (من الداخل) .



د - الضريح رقم ١٢ (من الخارج) .



ج - الضريح رقم ٢٠ (من الخارج) .



و - الضريح رقم ٢٣ (من الداخل) .



هـ - الضريح رقم ٢٣ (من الخارج) .

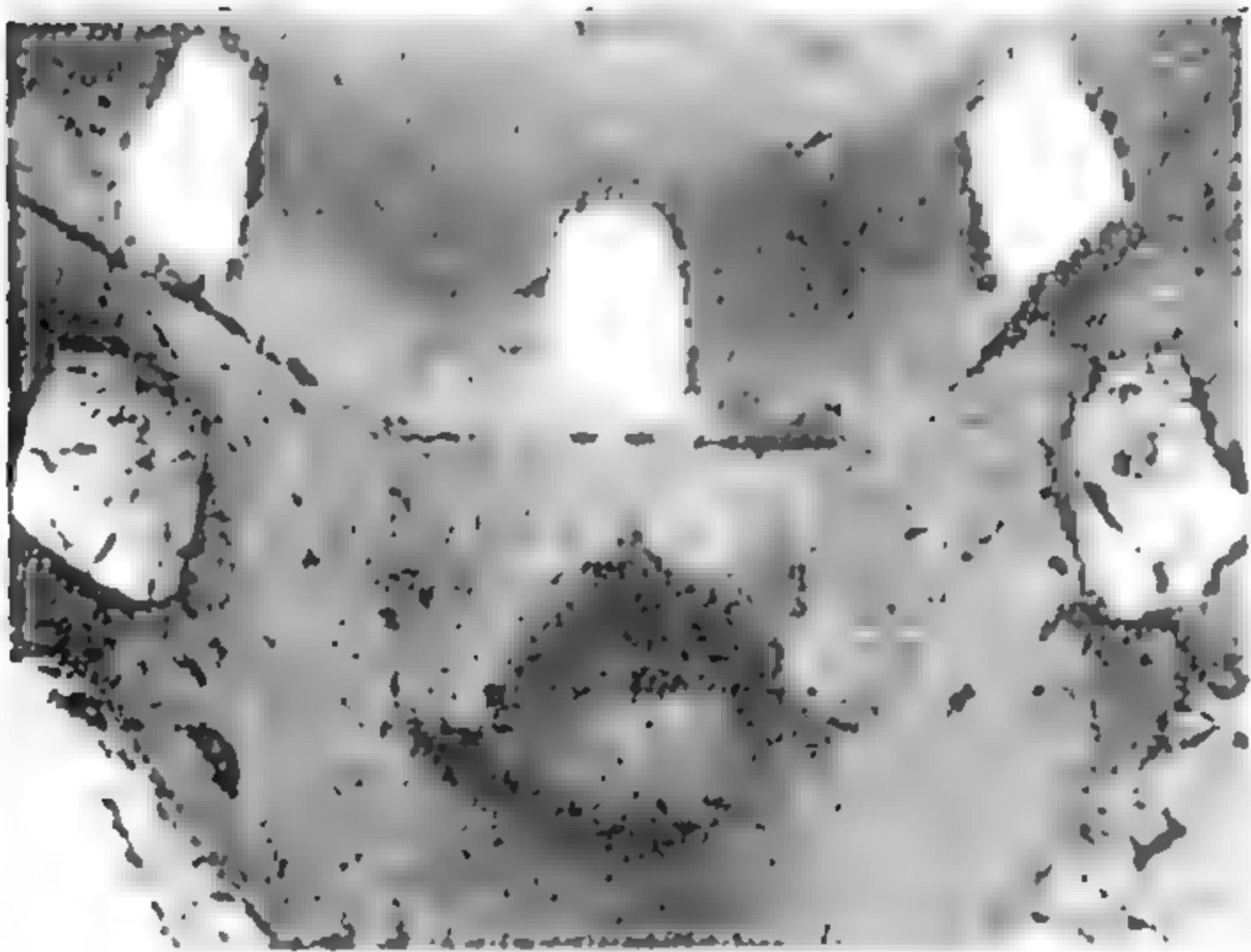
(لوحة رقم ٤١) أسوان : أضرحة في الجبانة ق ١١م / ٥هـ .



ب - الضريح رقم ٤٢ (من الداخل) .



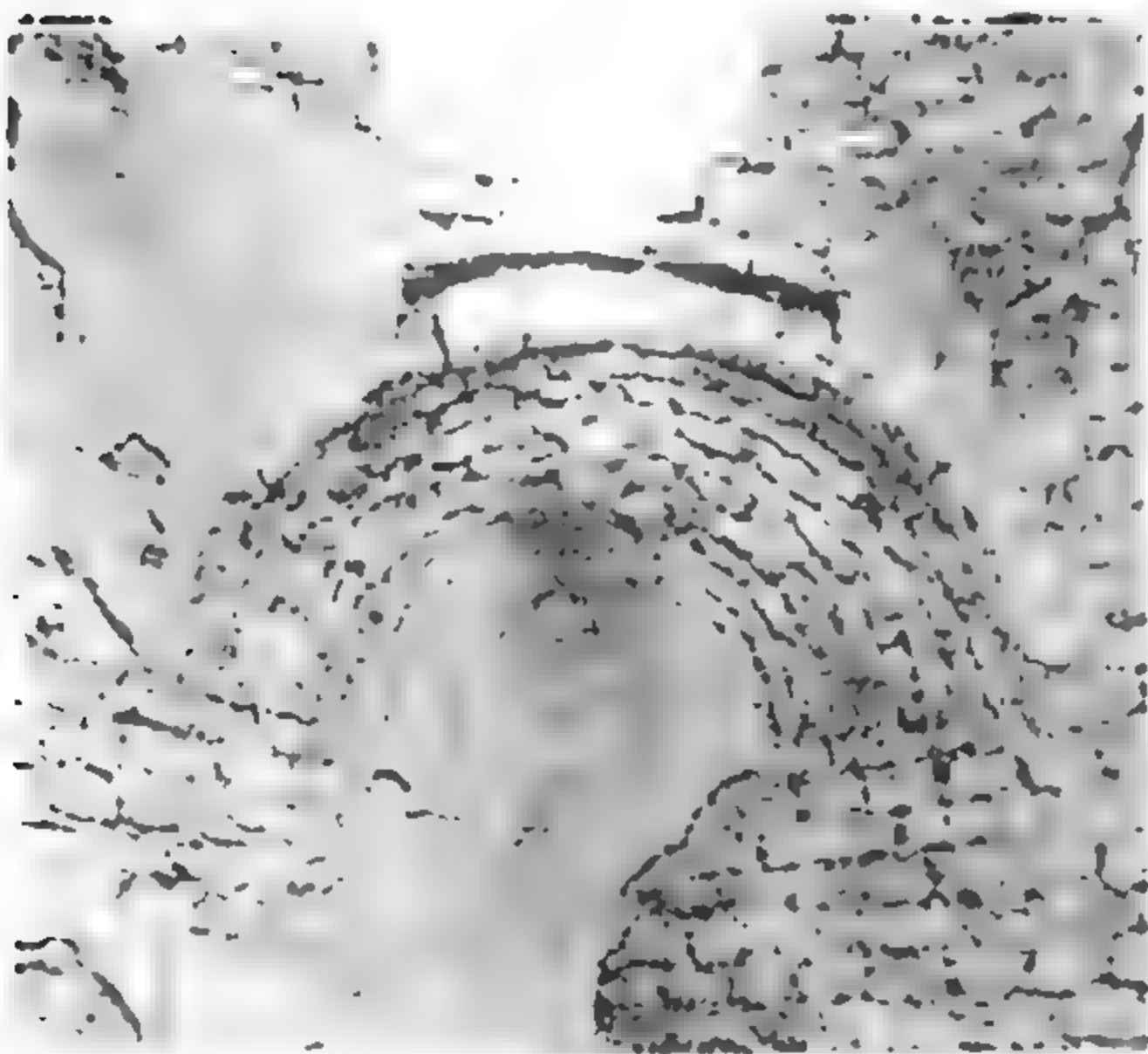
أ - الضريح رقم ٣١ (من الخارج) .



د - الضريح رقم ٤٦ (من الداخل) .



ج - الضريح من ٤٦ إلى ٥١ (من الخارج) .



و - الضريح رقم ٥٤ (من الداخل) .



هـ - الضريحان رقم ٥٣ - ٥٤ (من الخارج) .

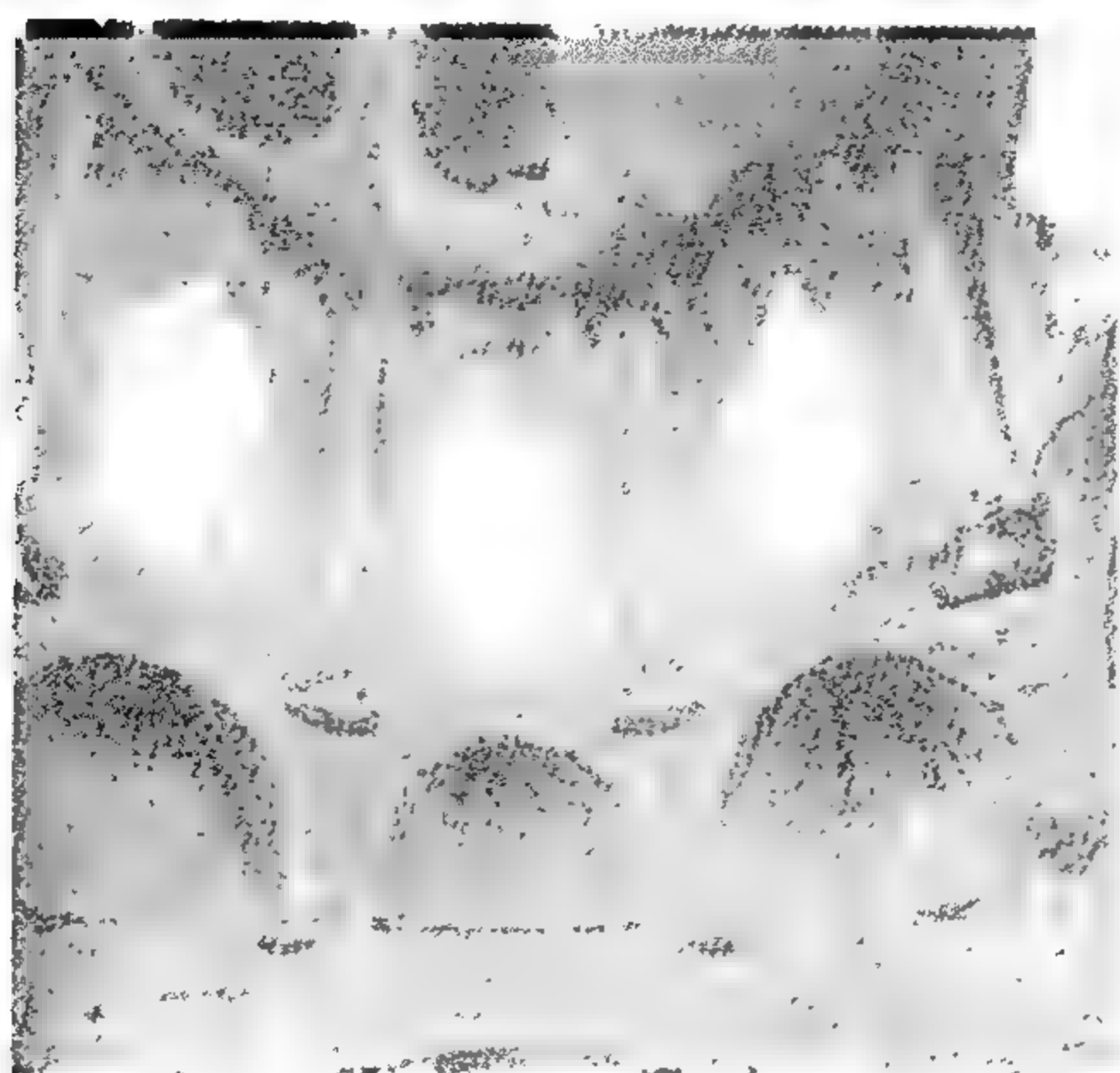
(لوحة رقم ٤٢) أسوان ، أضرحة في الجبانة ق ١١م / ٥٥هـ .



أ - الأضرحة رقم ٥٢، ٥٤، ٥٣ (من الخارج) .



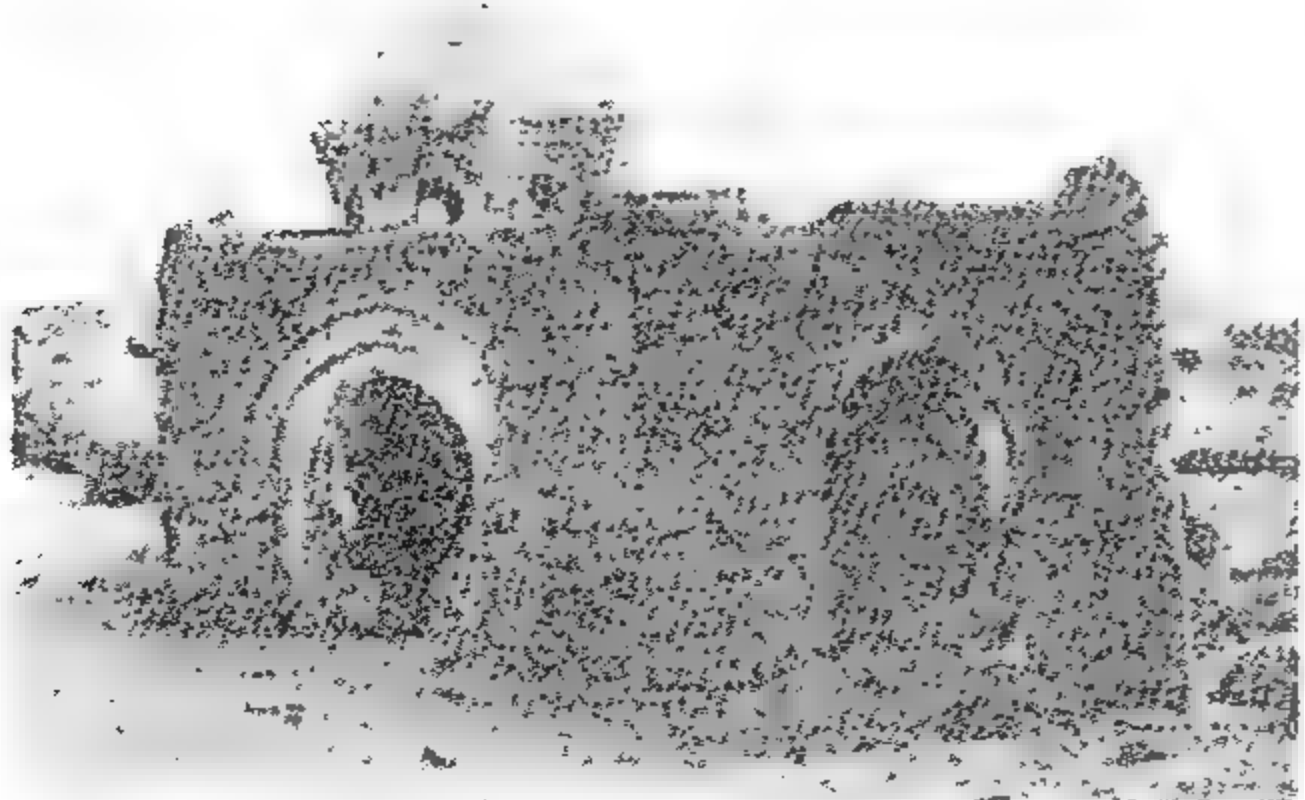
ب - الضريح رقم ٢٥ (من الخارج) .



د - الضريح رقم ٢٤ (من الداخل) .



ج - الضريح رقم ٢٤ (من الخارج) .



و - الضريح رقم ٨ (من الخارج) .



هـ - الضريح رقم ٢٨ (من الخارج) .

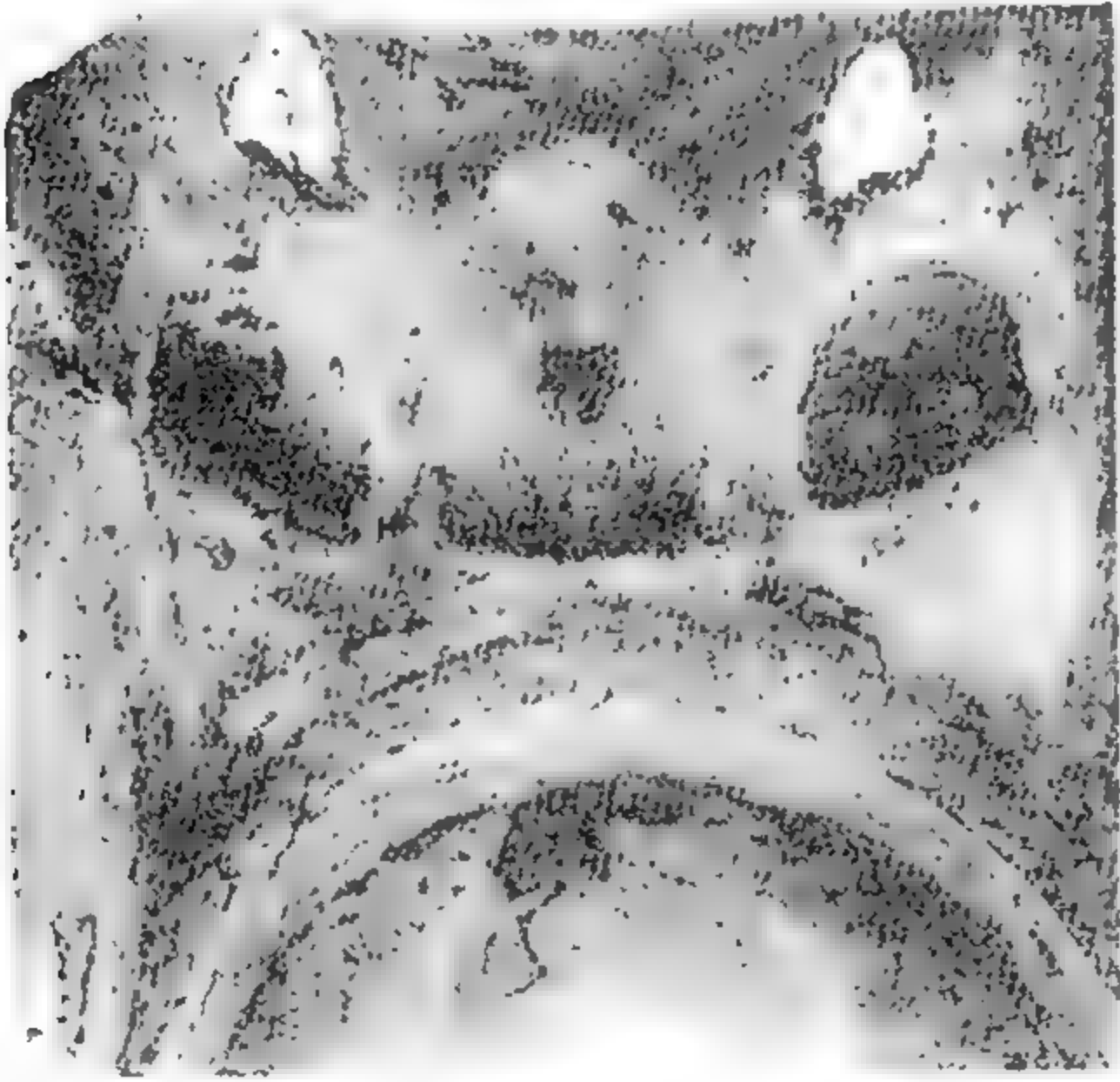
(لوحة رقم ٤٣) أسوان : أضرحة في الجبانة ق ١١م/ ٥٥هـ .



ب - الضريح رقم ٥ (من الداخل) .



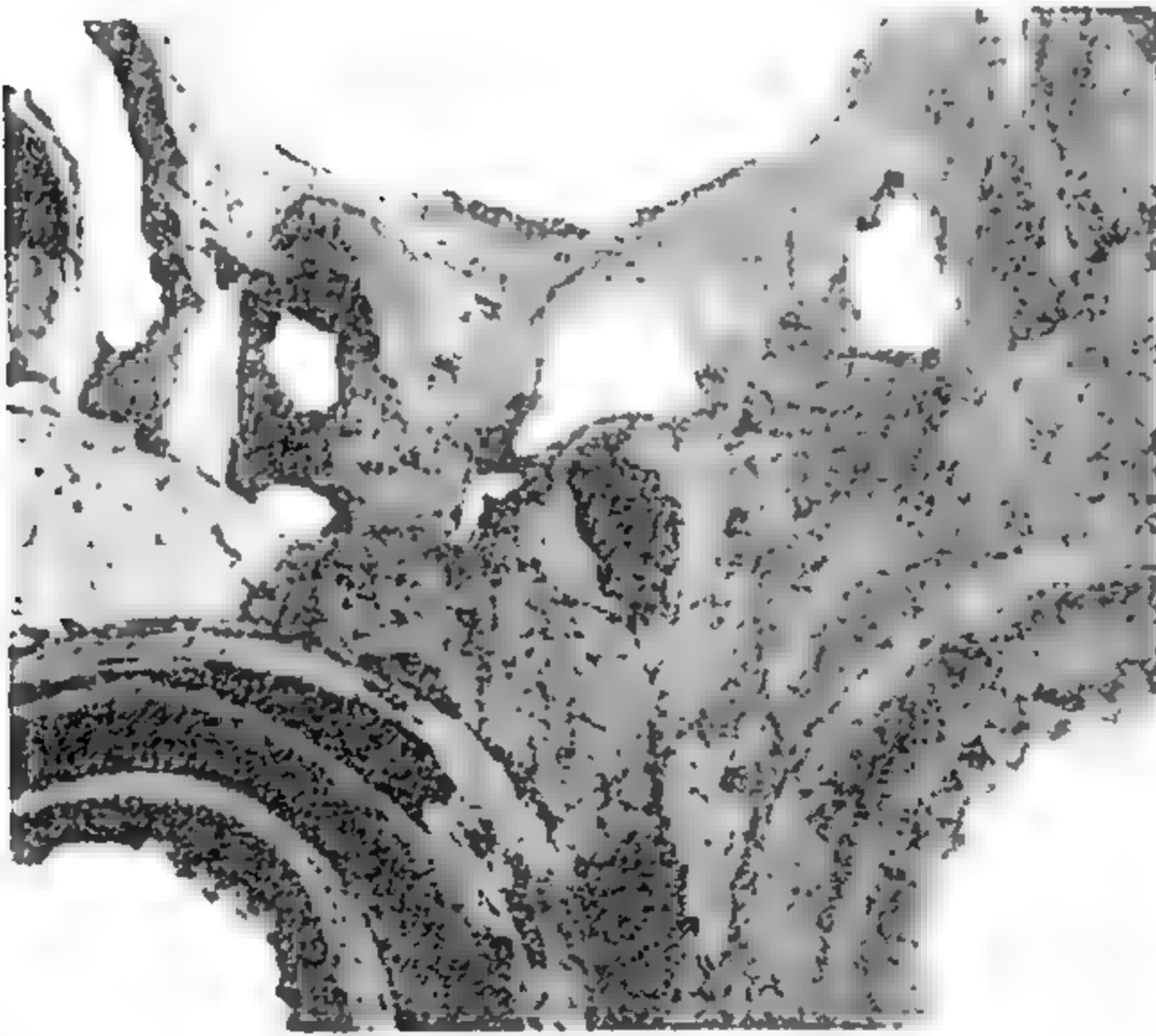
أ - الضريح رقم ٥ (من الخارج) .



د - الضريح رقم ٧ (من الداخل) .



ج - الضريح رقم ٧ (من الخارج) .



و - الضريح رقم ١٩ (من الداخل) .



هـ - الأضرحة رقم ١٧، ١٨، ١٩ (من الخارج) .

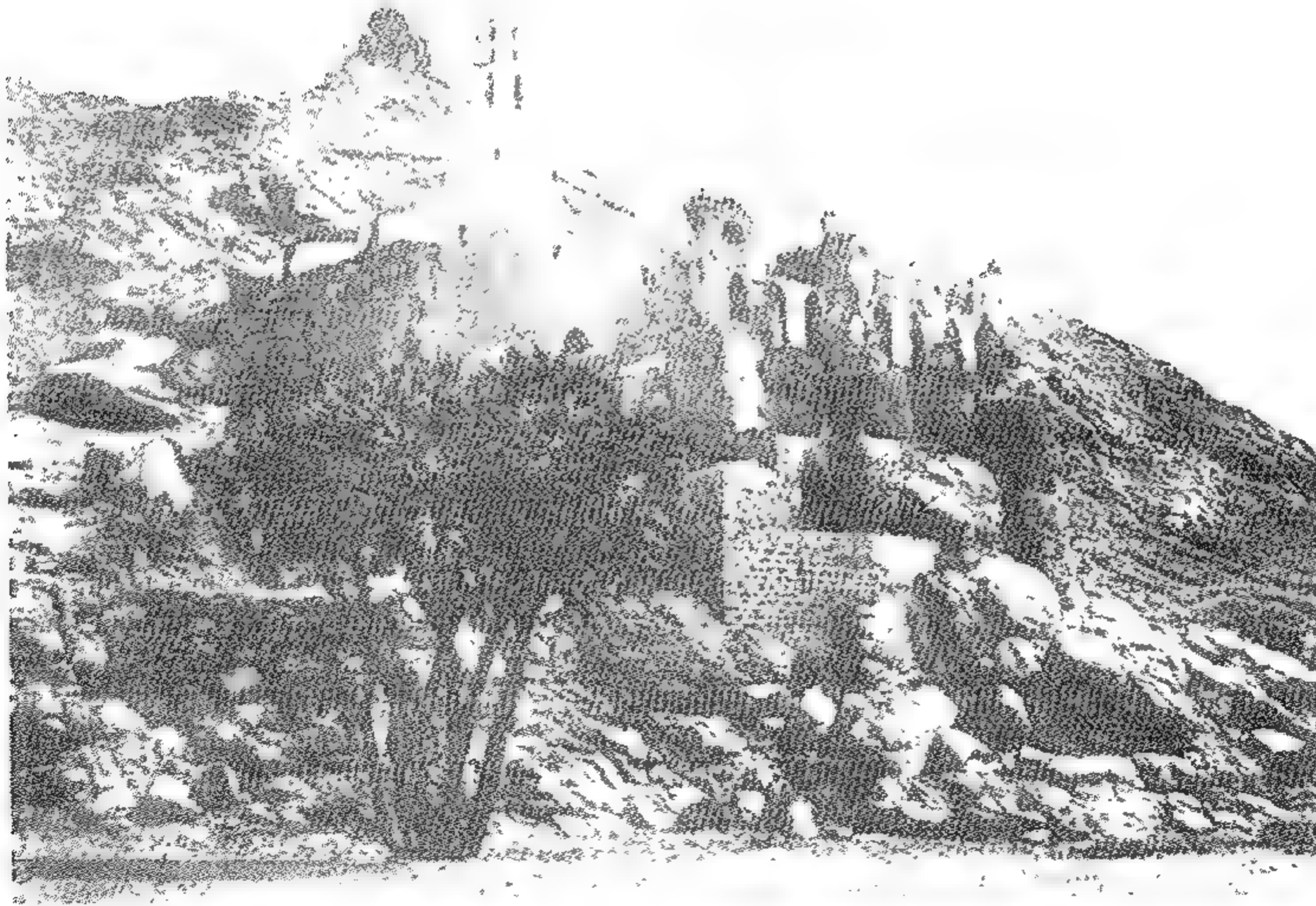
(لوحة رقم ٤٤) أسوان ، أضرحة في الجبانة ق ١١ م / ٥٥ هـ .



ب - قاعة الصلاة
حوالي عام ١٩٣٠ م .
(عن : مونيريه) .

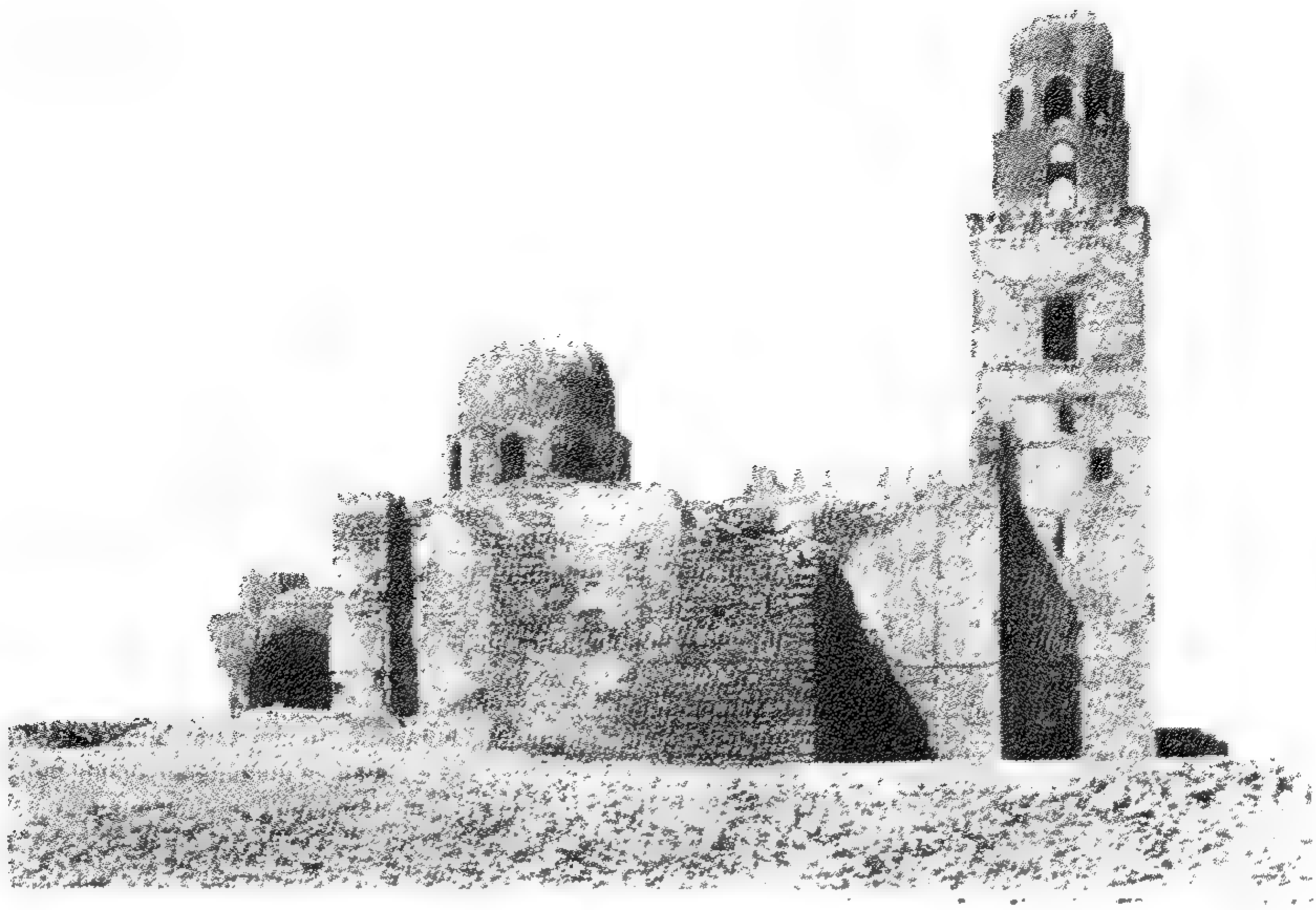


أ - المئذنة ، المسجد والأساس من الجنوب
في عام ١٨٥٨ - ١٨٥٩ م .
(عن : فرانسيس فريث : (مصر وفلسطين) .



ج - المئذنة ، المسجد والأساس من الشمال الغربي في عام ١٨٥٨ - ١٨٥٩ م .
(عن : فرانسيس فريث) .

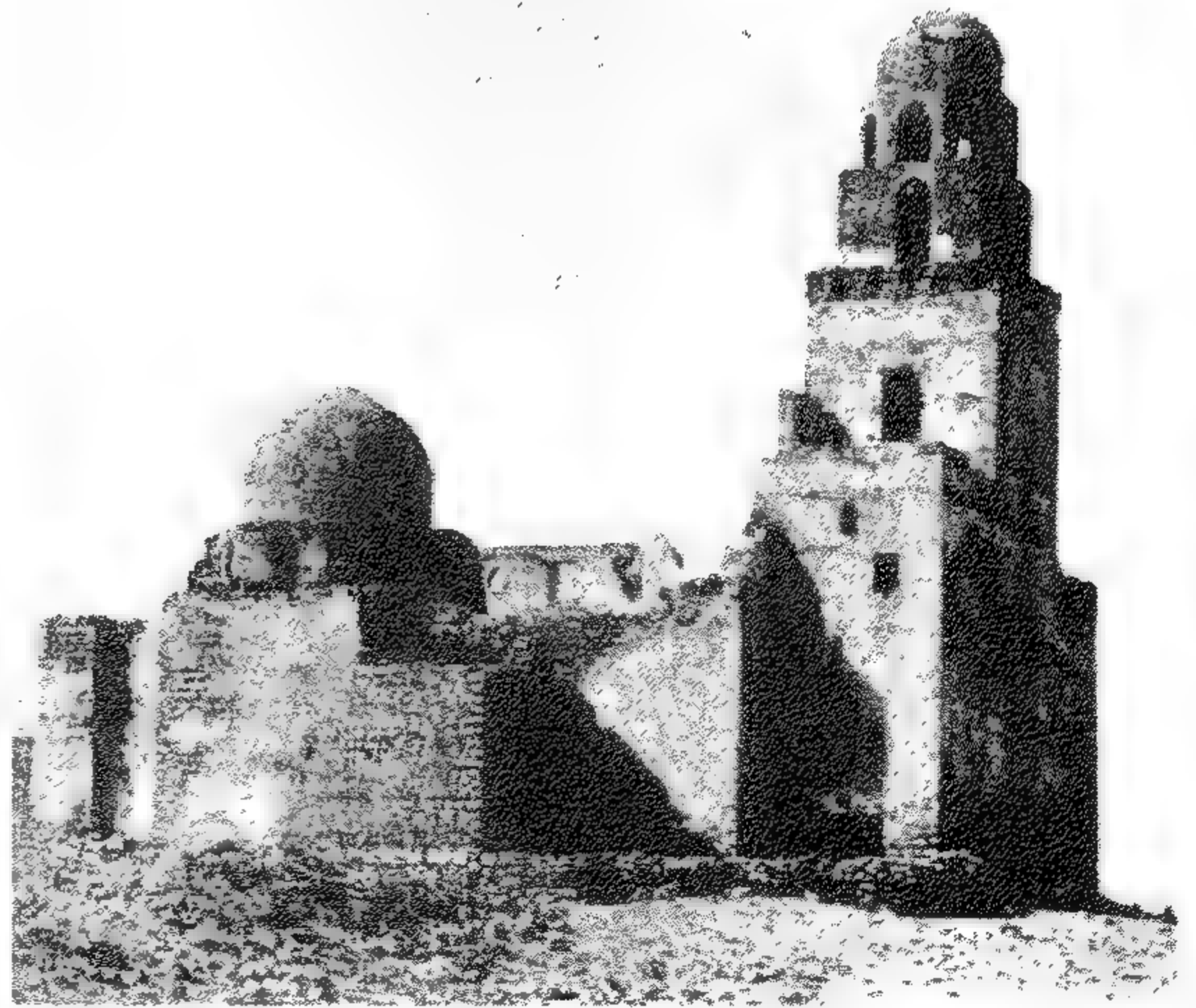
(لوحة رقم ٤٥) المشهد القبلي قرب الشلال .



أ - من الشمال الشرقي .



ج - الواجهة الشمالية الغربية
وبها المدخل .



ب - من الشمال .

(لوحة رقم ٤٦) مسجد (مشهد) الجيوشي ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م .



ب - الداخل .



أ - المدخل .

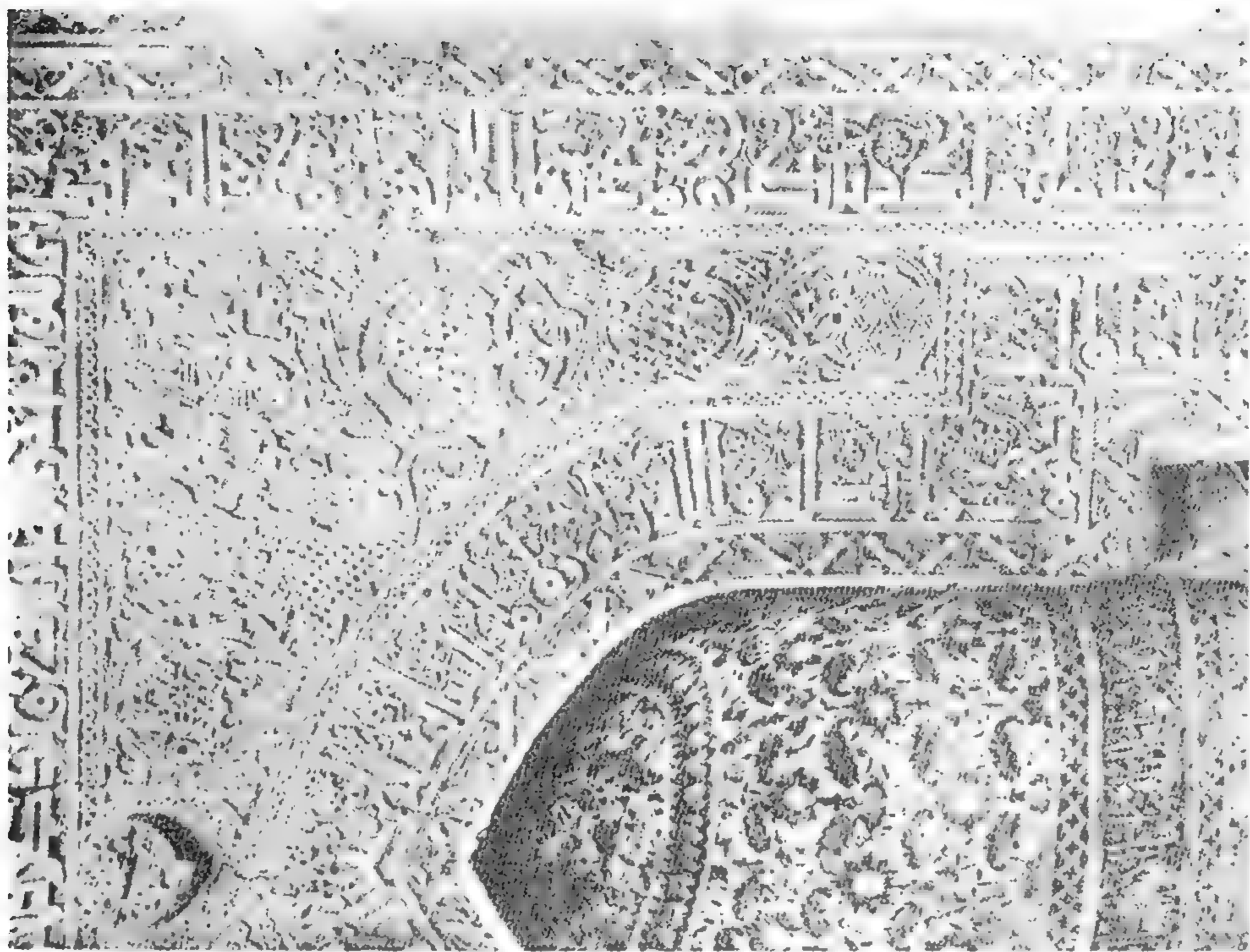


د - مصلى مقبب يظهر في جـ (إلى اليسار) .



جـ - الجانب الجنوبي الغربي ،
وتشاهد الدعامات المتوجة بمصليات
(خلوات أو جواسق) ذات قباب صغيرة .

(لوحة رقم ٤٧) مسجد الجيوشي ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م .



ج - تفصيل من المحراب .



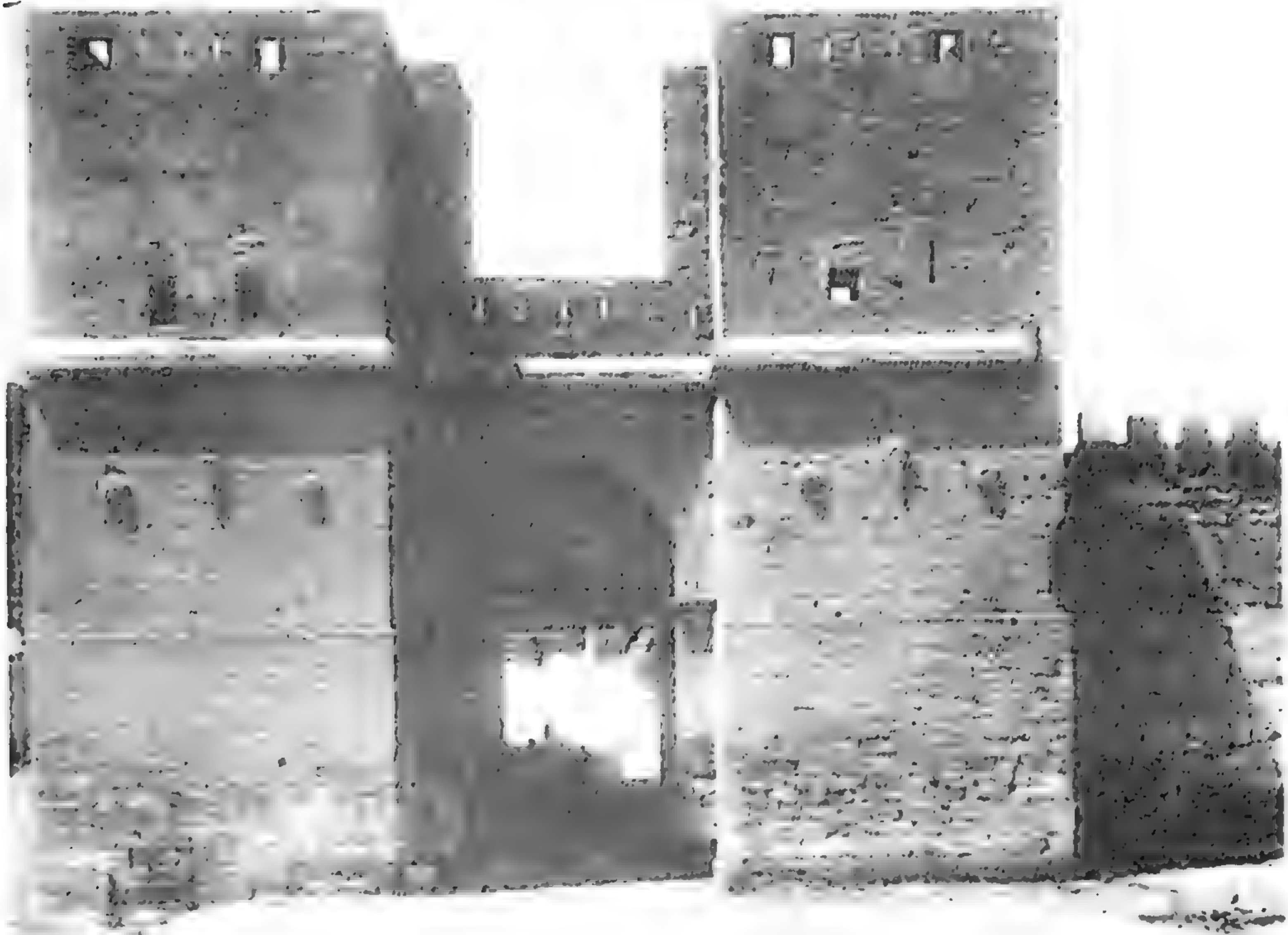
أ - القبة الرئيسية ، المصليات
ذات القباب الصغيرة وشرافات الصحن .



ب - شرفات الجانب الشمالي الشرقي للصحن .

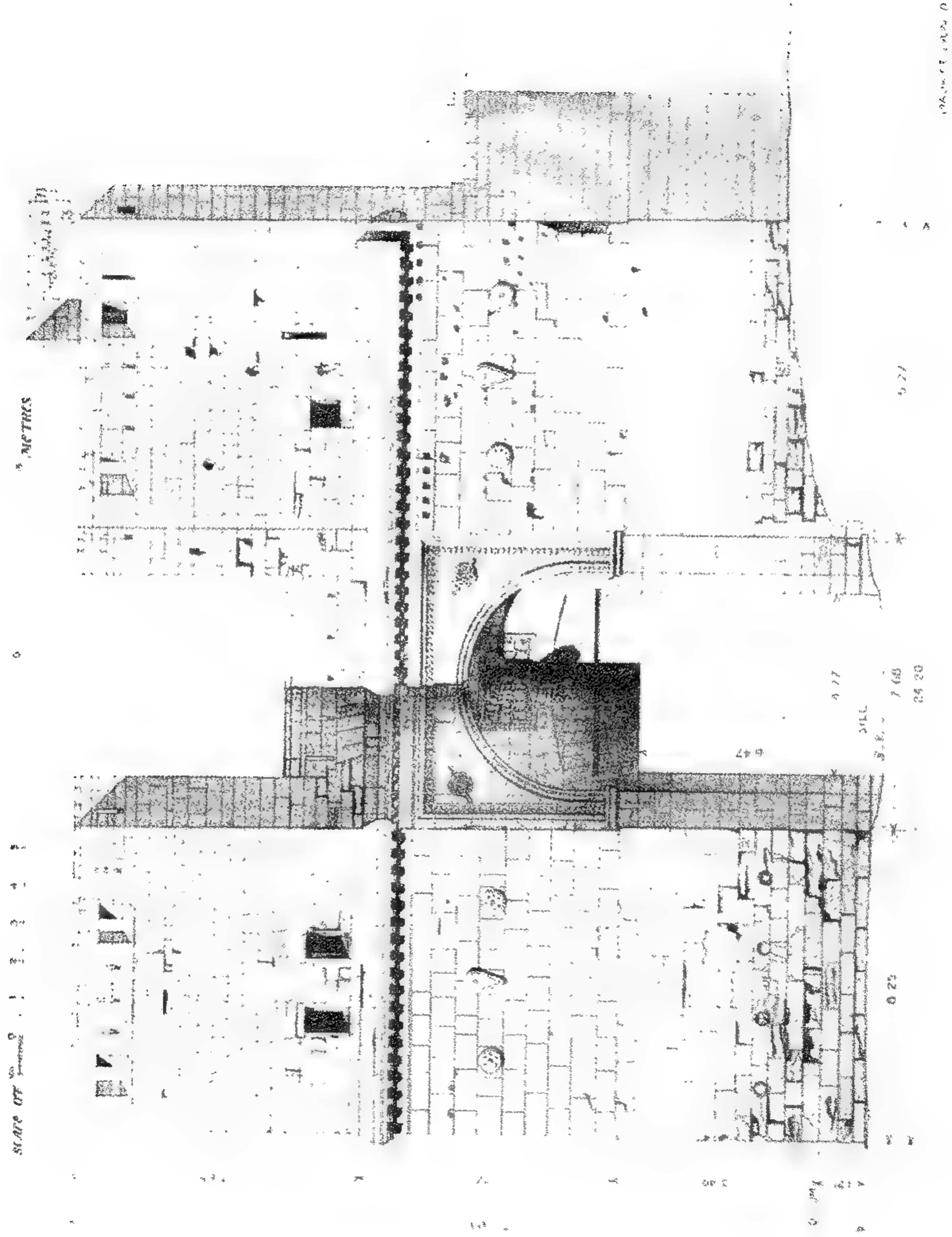


أ - السور الشمالي ، ويشاهد باب النصر ، البرج الأول ، البرج الثاني ،
البروز الكبير ، باب الفتوح و برج السلم .

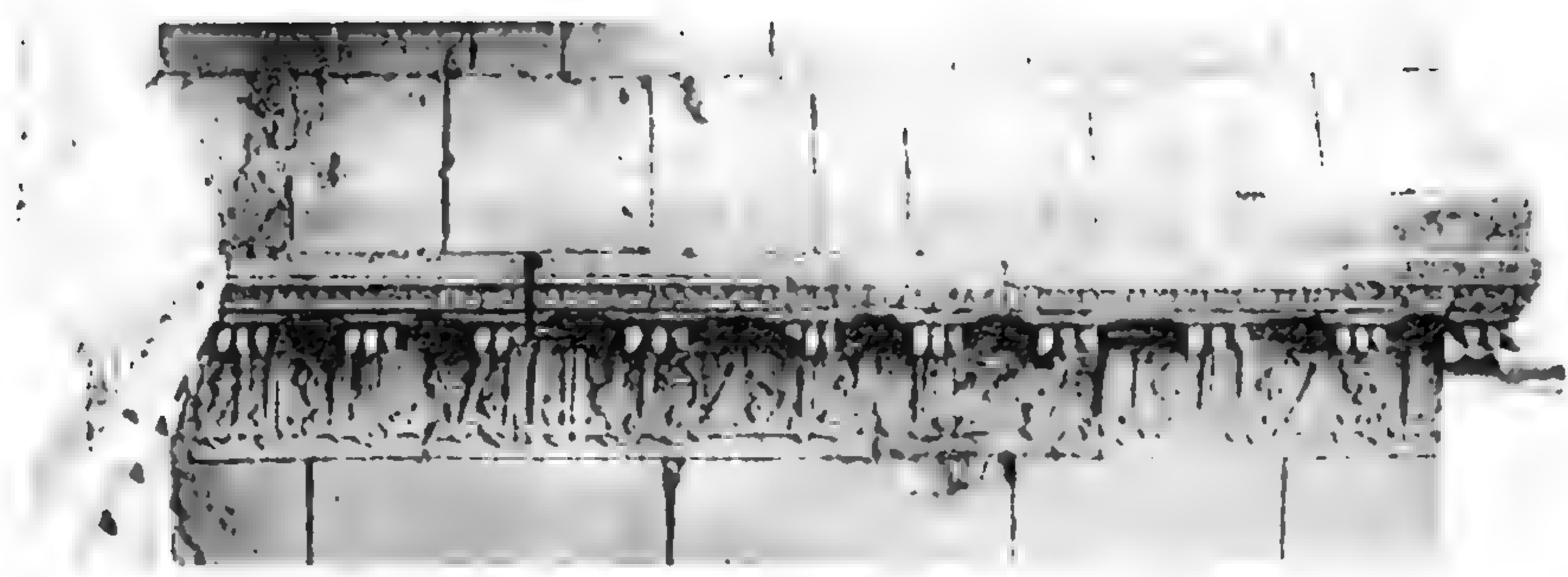


ب - واجهة أمامية .

(لوحة رقم ٤٩) باب النصر ، ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م .



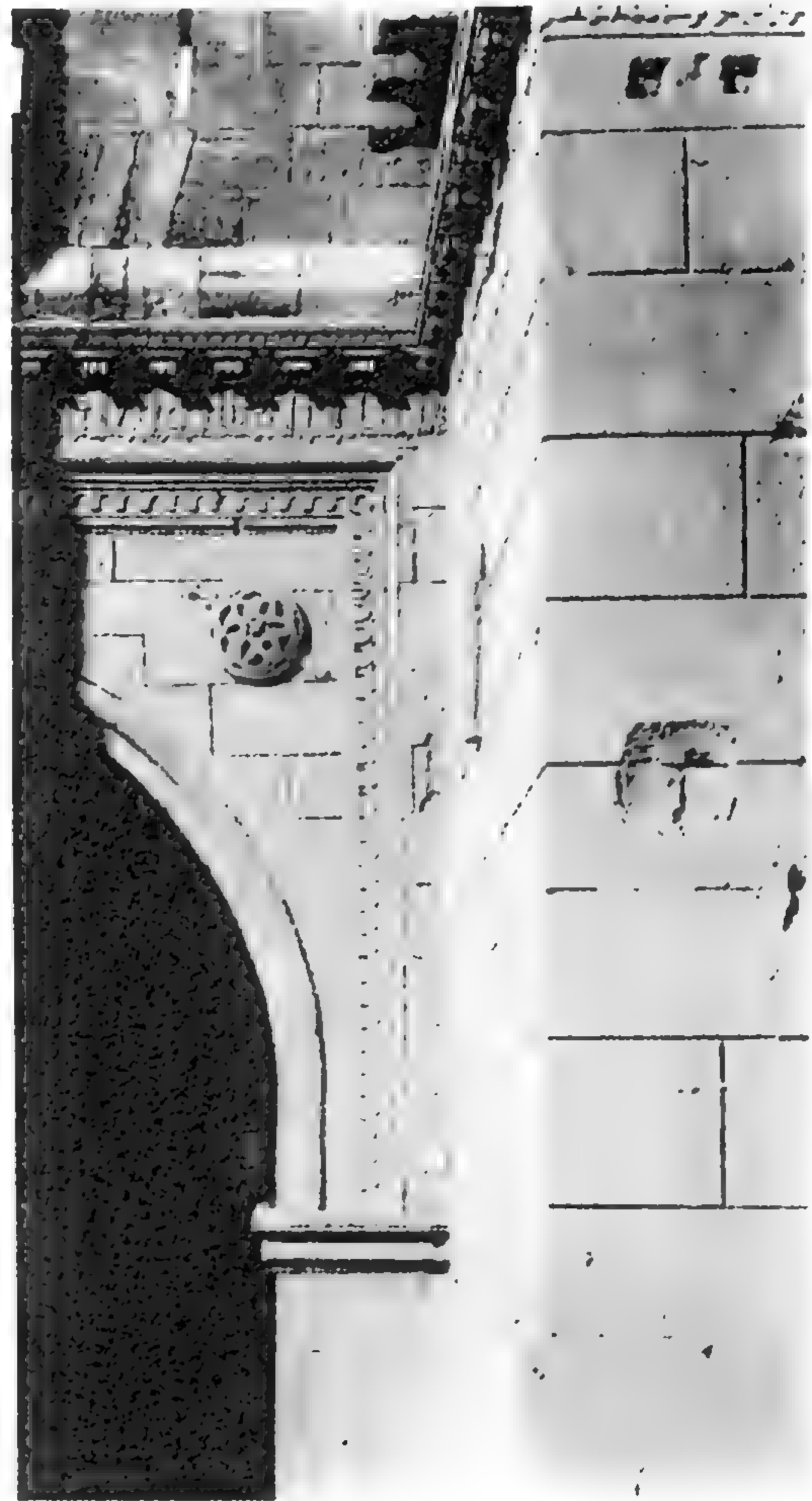
(لوحة رقم ٥٠) باب النصر : ١٠٨٧ هـ / ١٩٦٨ م واجهة أمامية .



أ - كورنيش في أعلى الطابق الثاني .

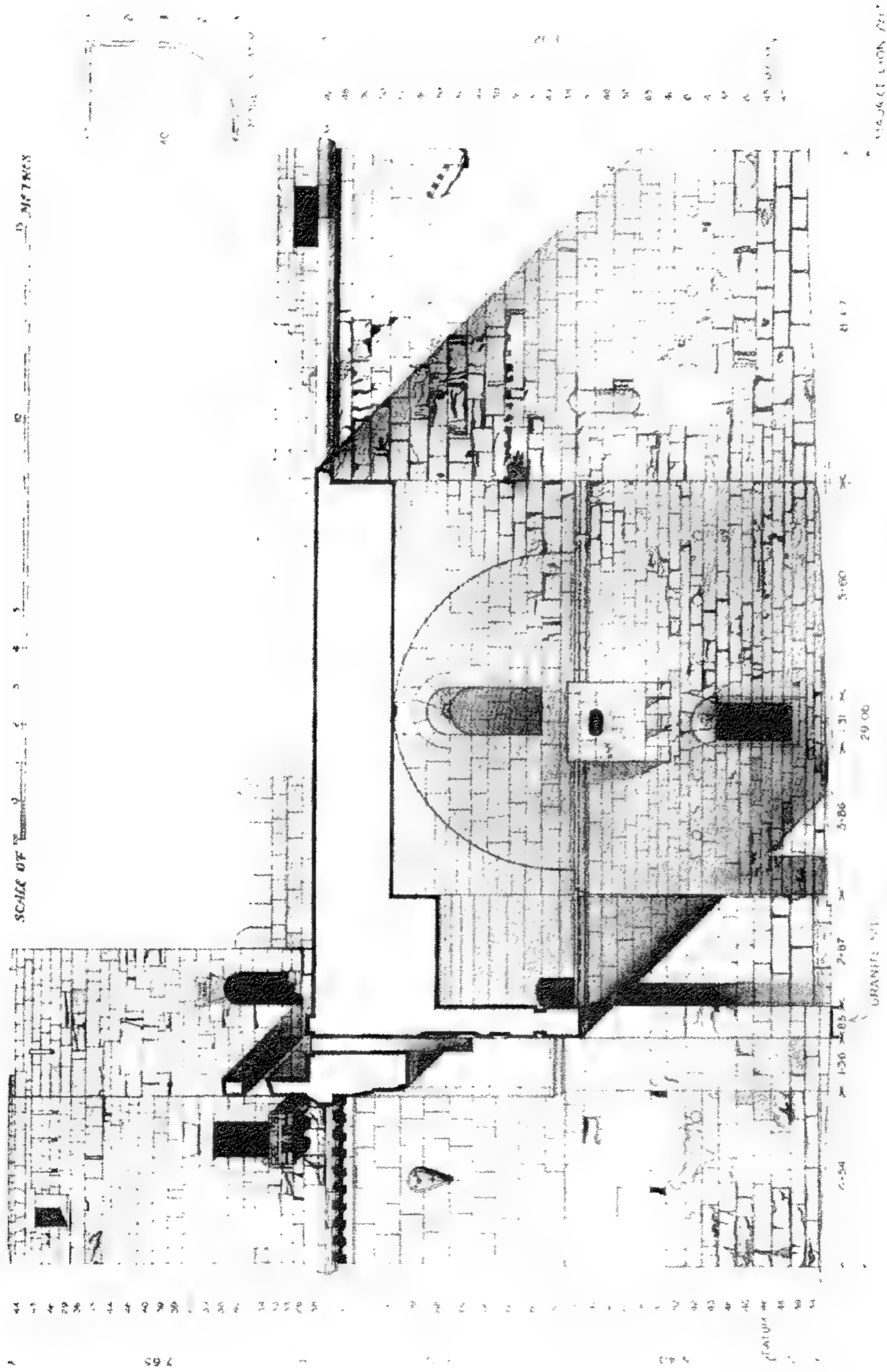


ج - تفصيل في بوابة الدخول .



ب - تفصيل في كوشة العقد .

(لوحة رقم ٥١) باب النصر ، ١٤٨٠ هـ / ١٩٦٧ م .



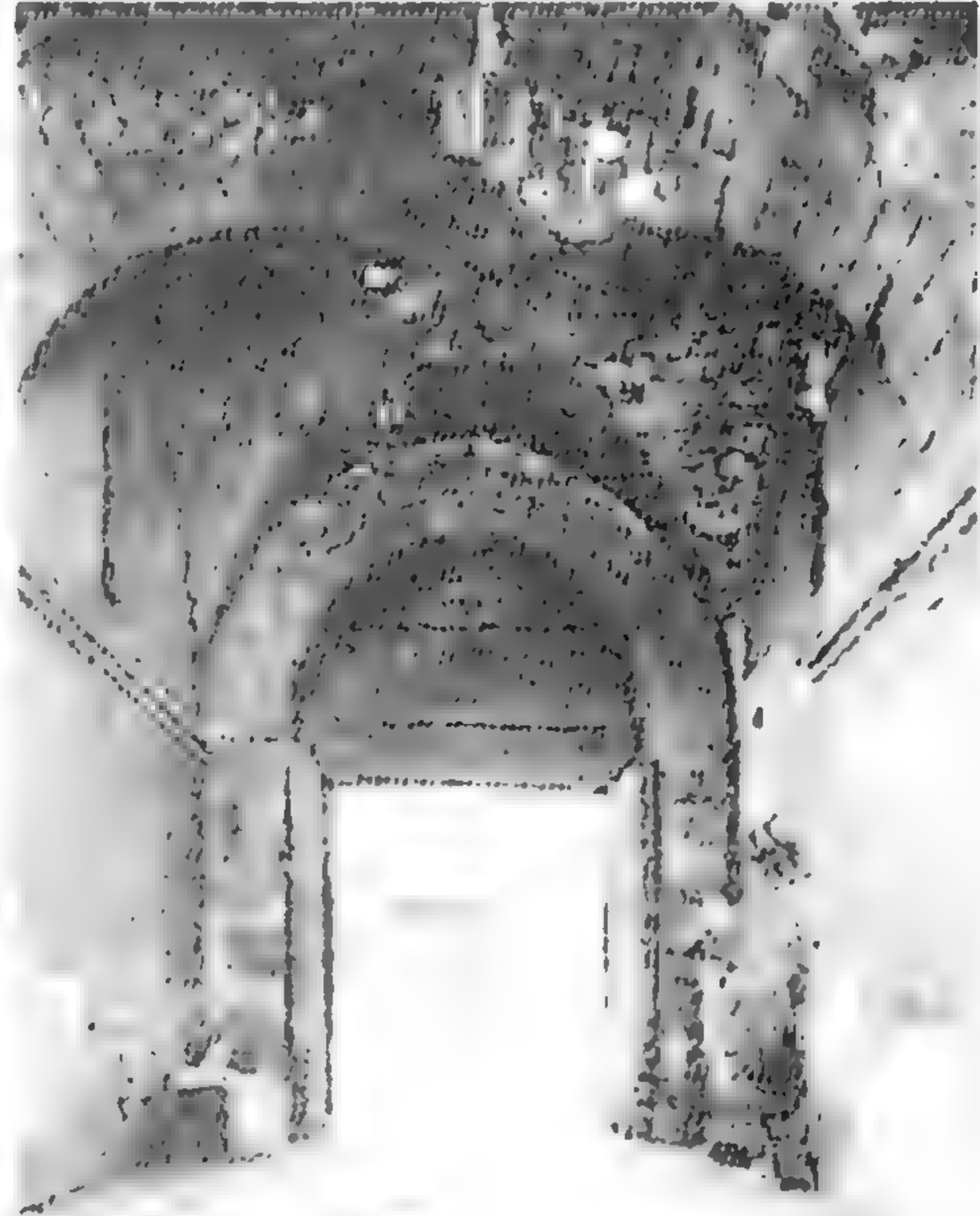
(لوحة رقم ٥٢) باب النصر : ١٠٨٧ هـ / ١٨٨٠ م ، قطاع في ممر البوابة .



أ - الجانب (الجنوبي) الداخلي للبوابة ، سلم البرج إلى اليمين .



ج - مدخل في ممر البوابة المقبي .



ب - ممر البوابة المقبي أنظر شمالاً .

(لوحة رقم ٥٣) باب النصر ، ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م .



أ - من الداخل - سلم الجزء البارز إلى اليمين .

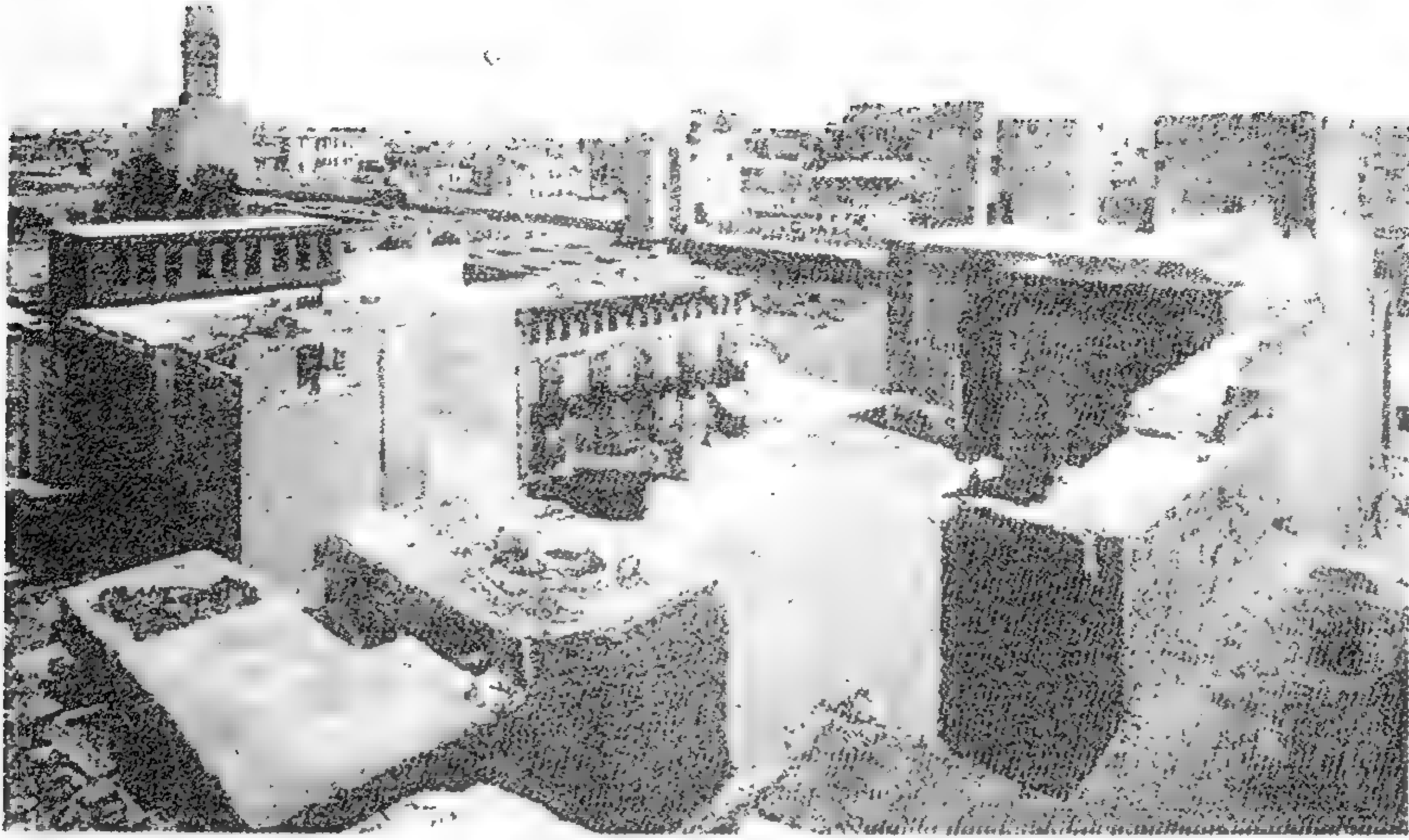


ج - السلم الحلزوني .

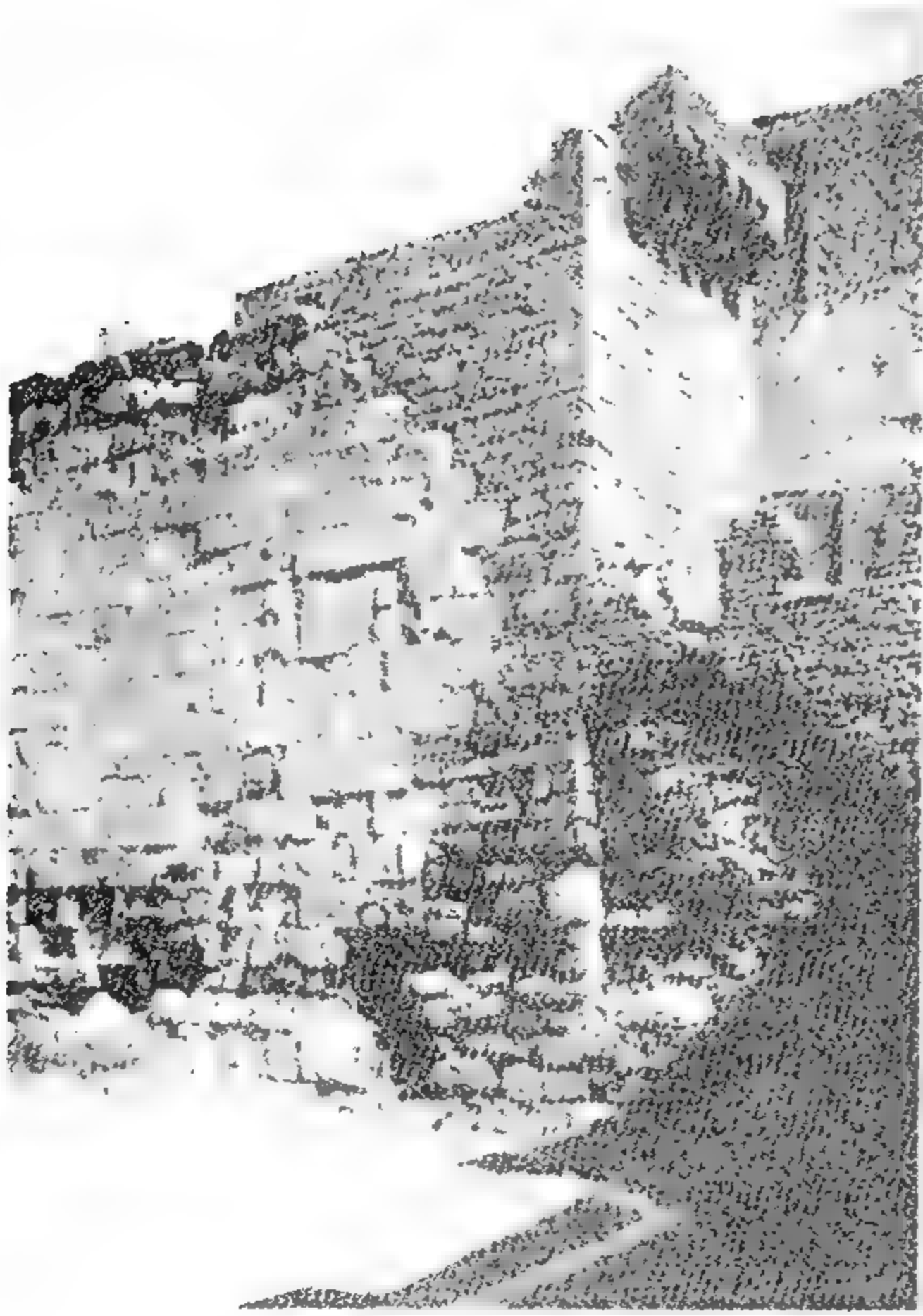


ب - المدخل إلى السلم .

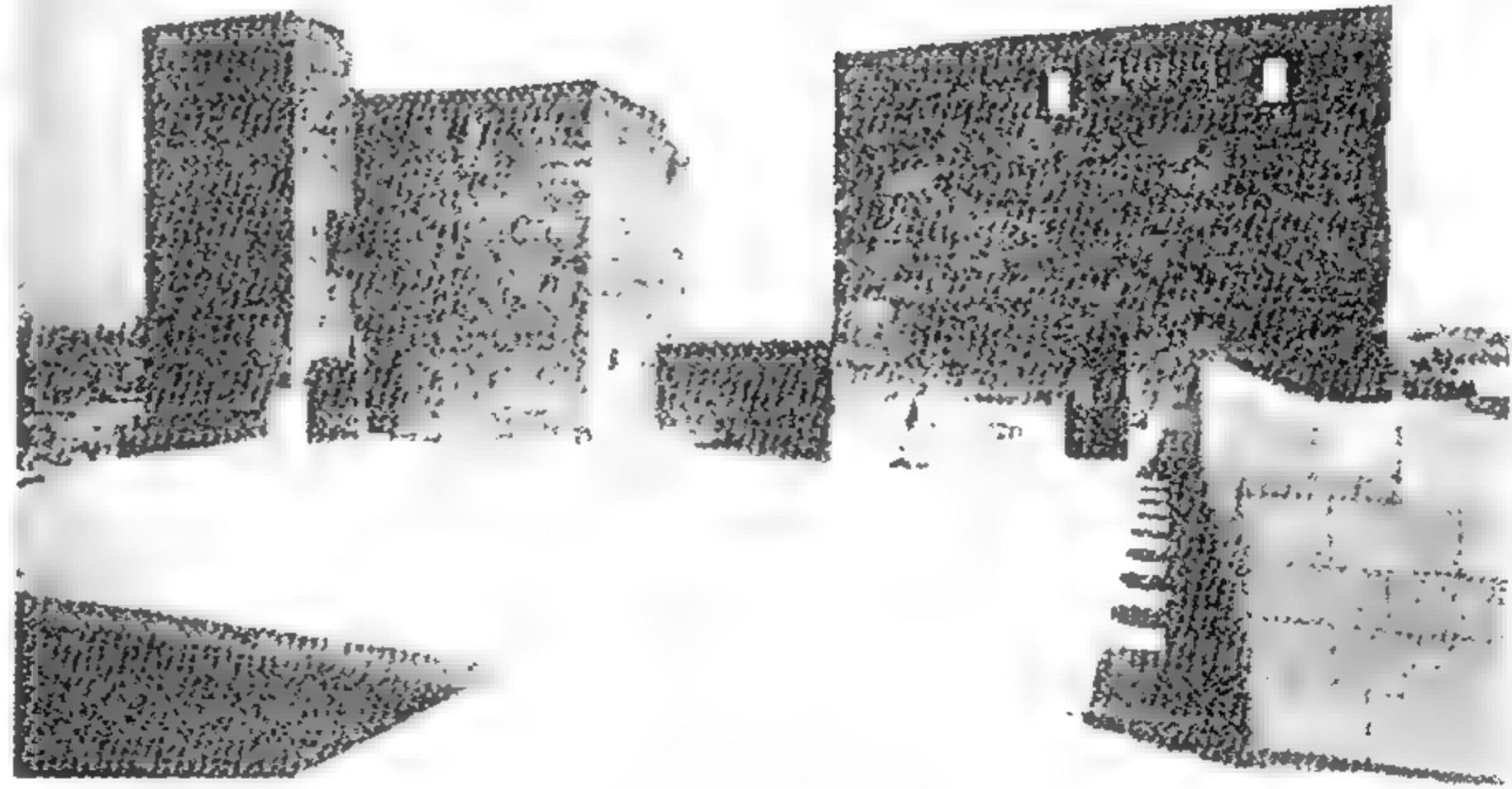
(لوحة رقم ٥٤) باب النصر ، ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م .



أ - من الداخل ، ويشاهد السور المتجه غرباً وجنوباً .



ج - النهاية المتقطعة
للسور المتجه جنوباً (أنظرا) .



ب - المنصة والوجه الخلفي للجزء العلوي للأبراج .

(لوحة رقم ٥٥) باب النصر : ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م .



ب - مثلث كروي في حجرة البرج الشرقي .



أ - ممر على شكل حرف L في أعلى سلم الجزء البارز .



ج - الجانب الغربي من قمة (أعلى) البرج الأول وتشاهد المنصة
سلم الجزء البارز والسور المتجه جنوباً .



أ - باب النصر . مرحاض (سقاطة) بارز . البرج الأول . البرج الثاني . البروز الكبير وباب الفتوح .



ج - كوابيل المرحاض (السقاطة) البارز .



ب - الوجه الداخلي ،
أنظر غرباً من منصة باب النصر .

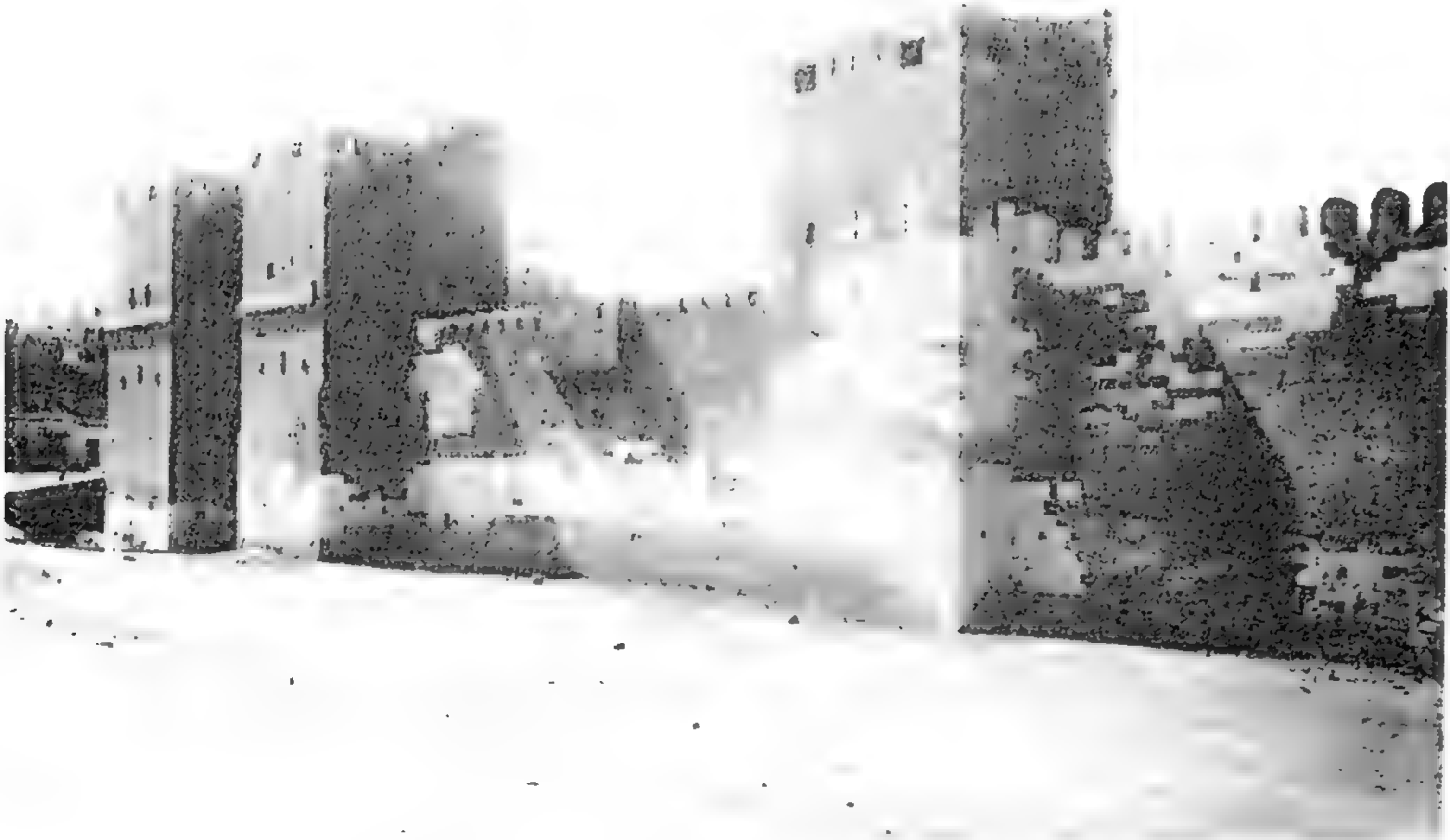
(لوحة رقم ٥٧) السور الشمالي : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م .



ب - البرج الأول . الداخل .

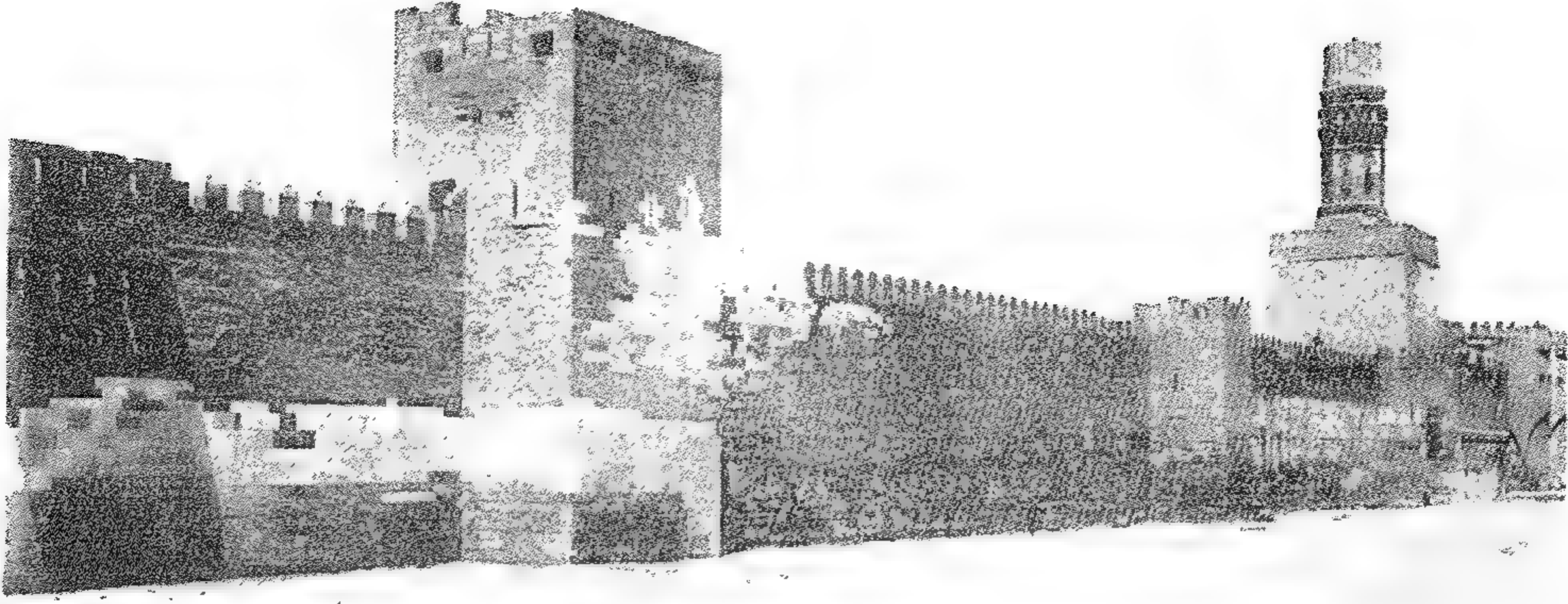


أ - سقف الممر عبر البرج الأول .



ج - باب النصر . المرحاض (السقاية) البارز والبرج الأول .

(لوحة رقم ٥٨) السور الشمالي ، ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م .

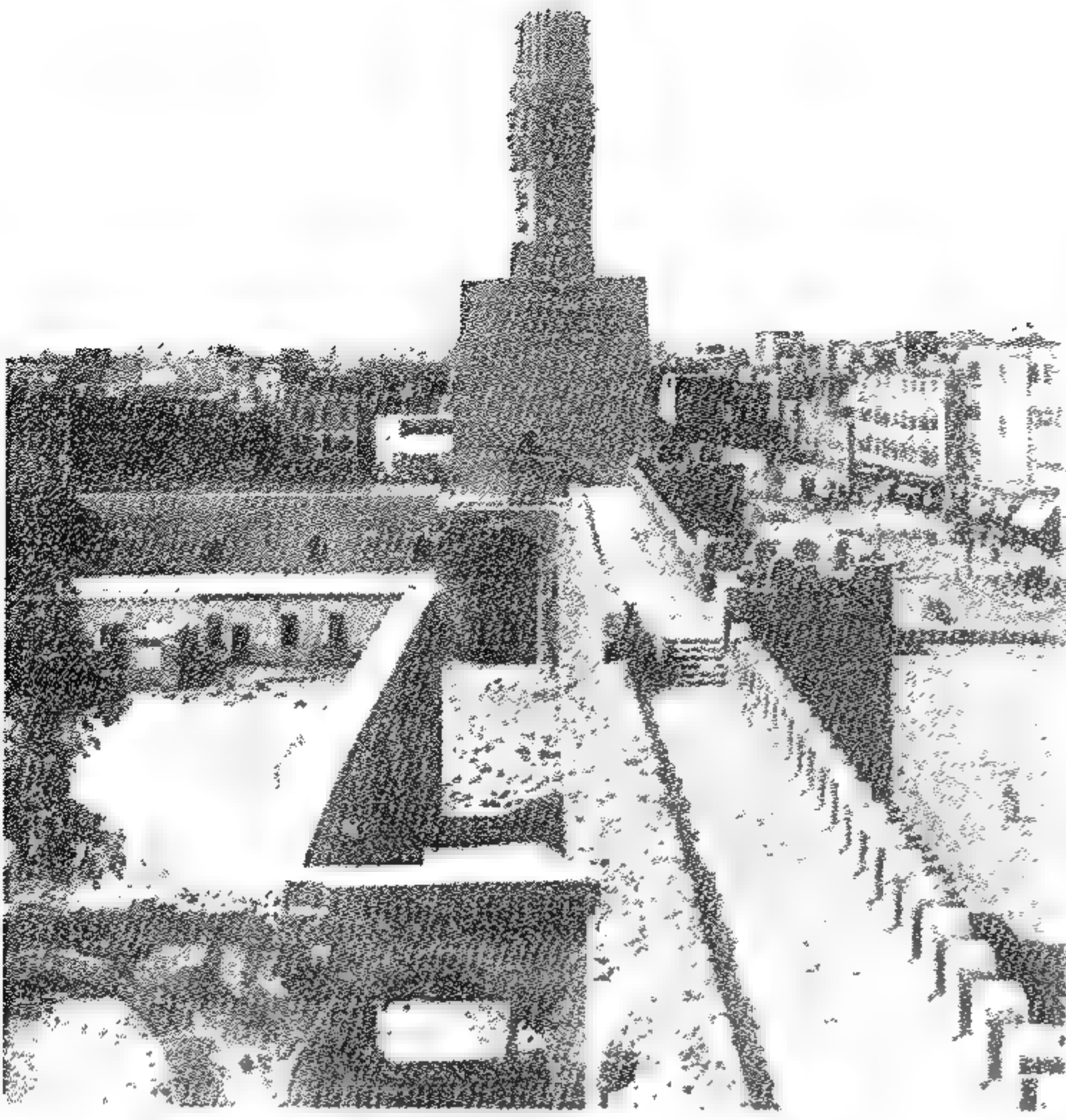


أ - المرحاض (السقاية) البارز ، البرج الأول ، البرج الثاني ، البروز الكبير وباب الفتوح .

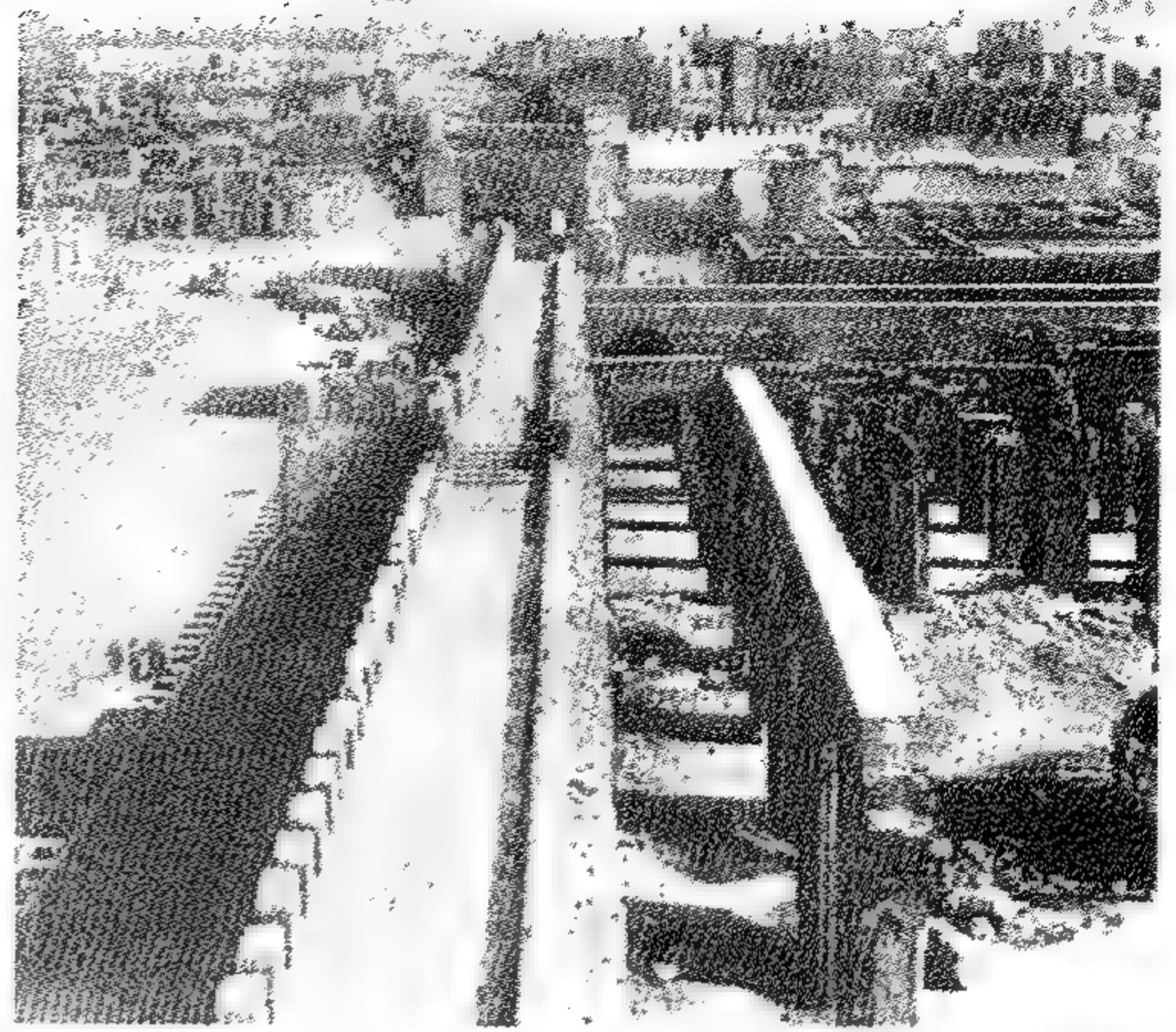


ب - البرج الثاني ، البروز الكبير وباب الفتوح .

(لوحة رقم ٥٩) السور الشمالي : ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م .



ب - المسافة الممتدة غرباً
من أعلى البرج الأول .



أ - المسافة الممتدة إلى الشرق
من أعلى البروز الكبير .



ج - ممر السور فيما بين البرج الثاني والبروز الكبير ، أنظر شرقاً .

(لوحة رقم ٦٠) السور الشمالي : ١٠٨٧/هـ - ١٠٨٧ م .



أ - البروز الكبير وباب الفتوح .



ج - ممر في الجانب الشمالي للبروز الكبير .

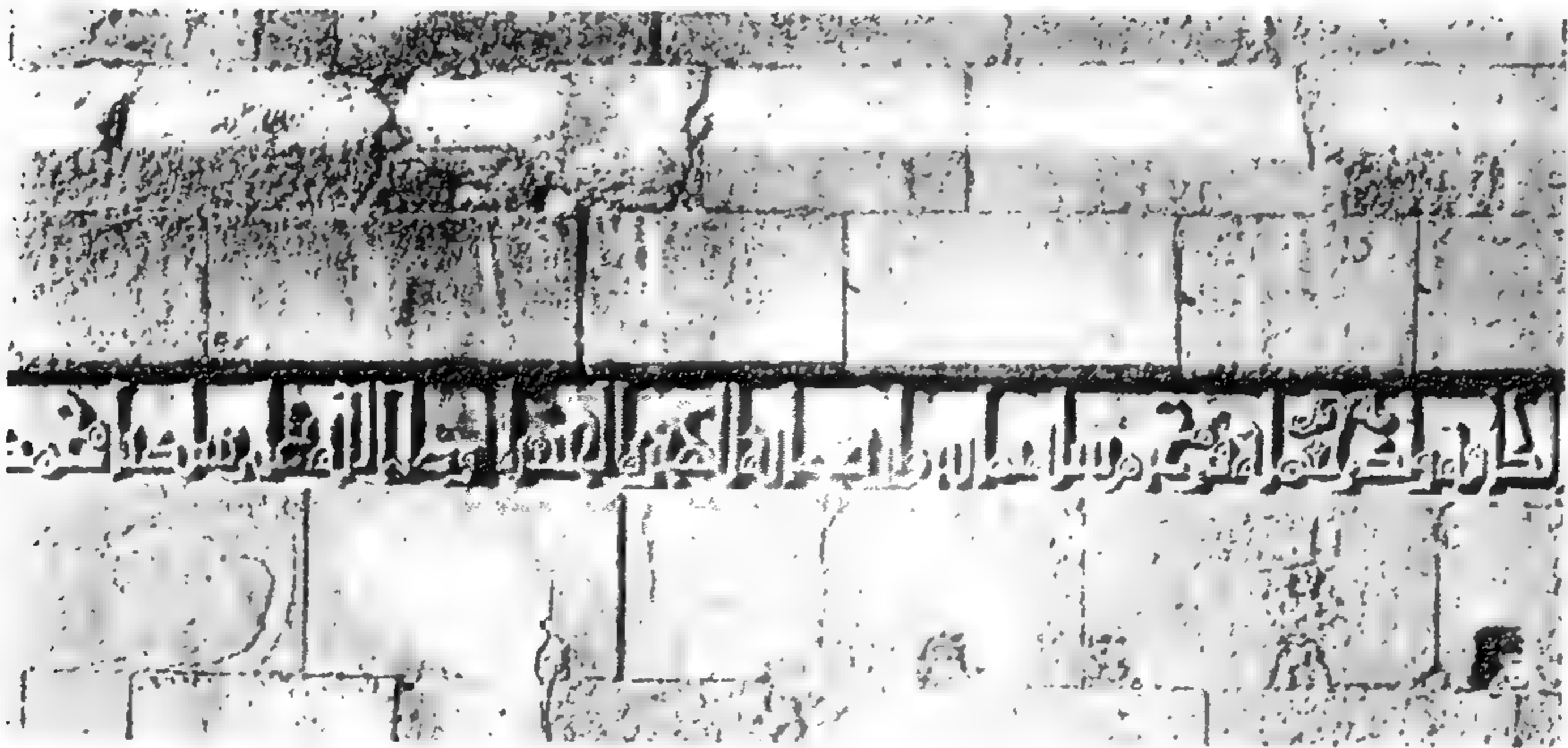


ب - ممر في الجانب الشرقي للبروز الكبير .

(لوحة رقم ٦١) السور الشمالي ، ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م .



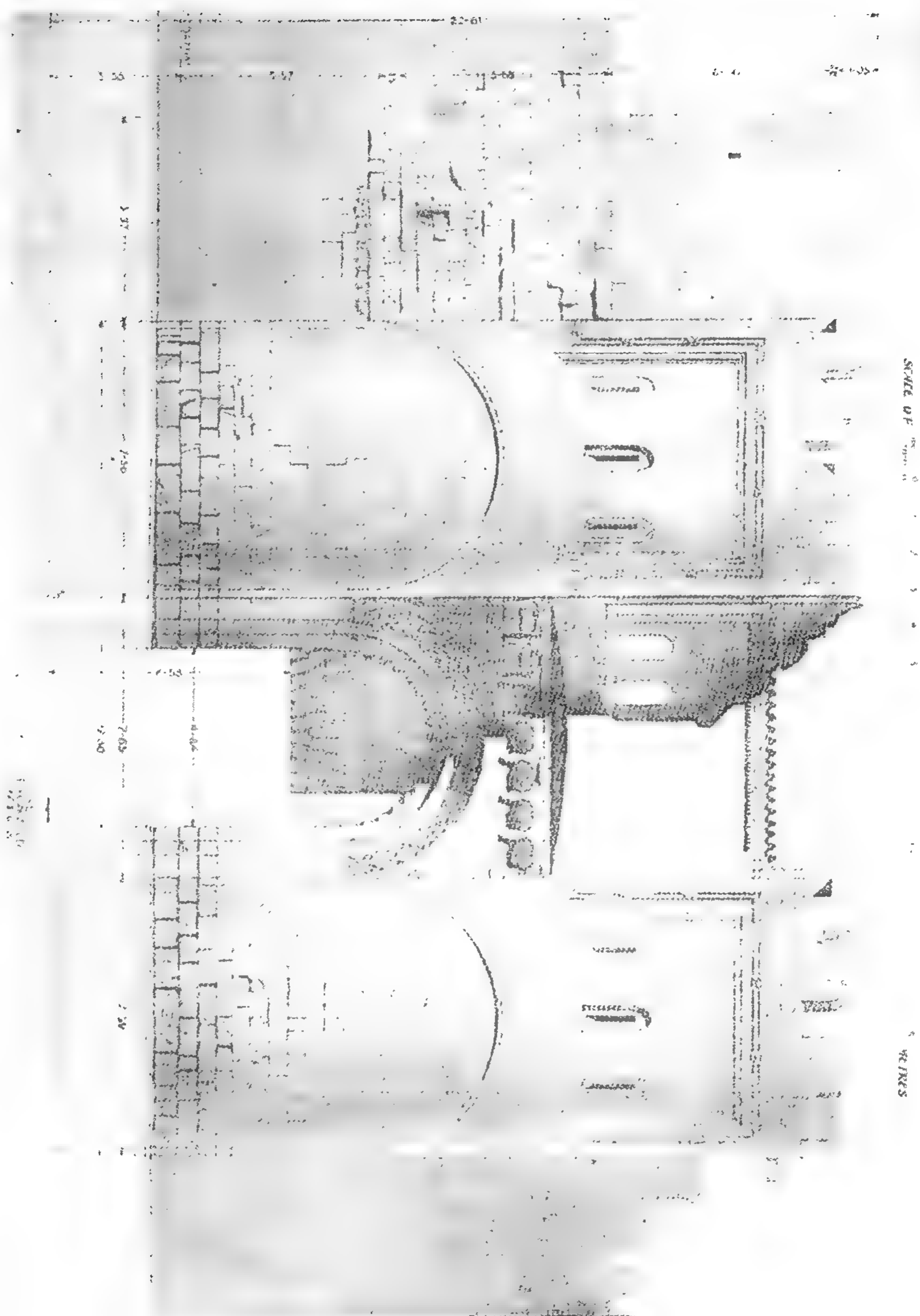
أ - واجهة أمامية .



ب - نقش كتابي مؤرخ (يستمر على واجهة البروز الكبير) .

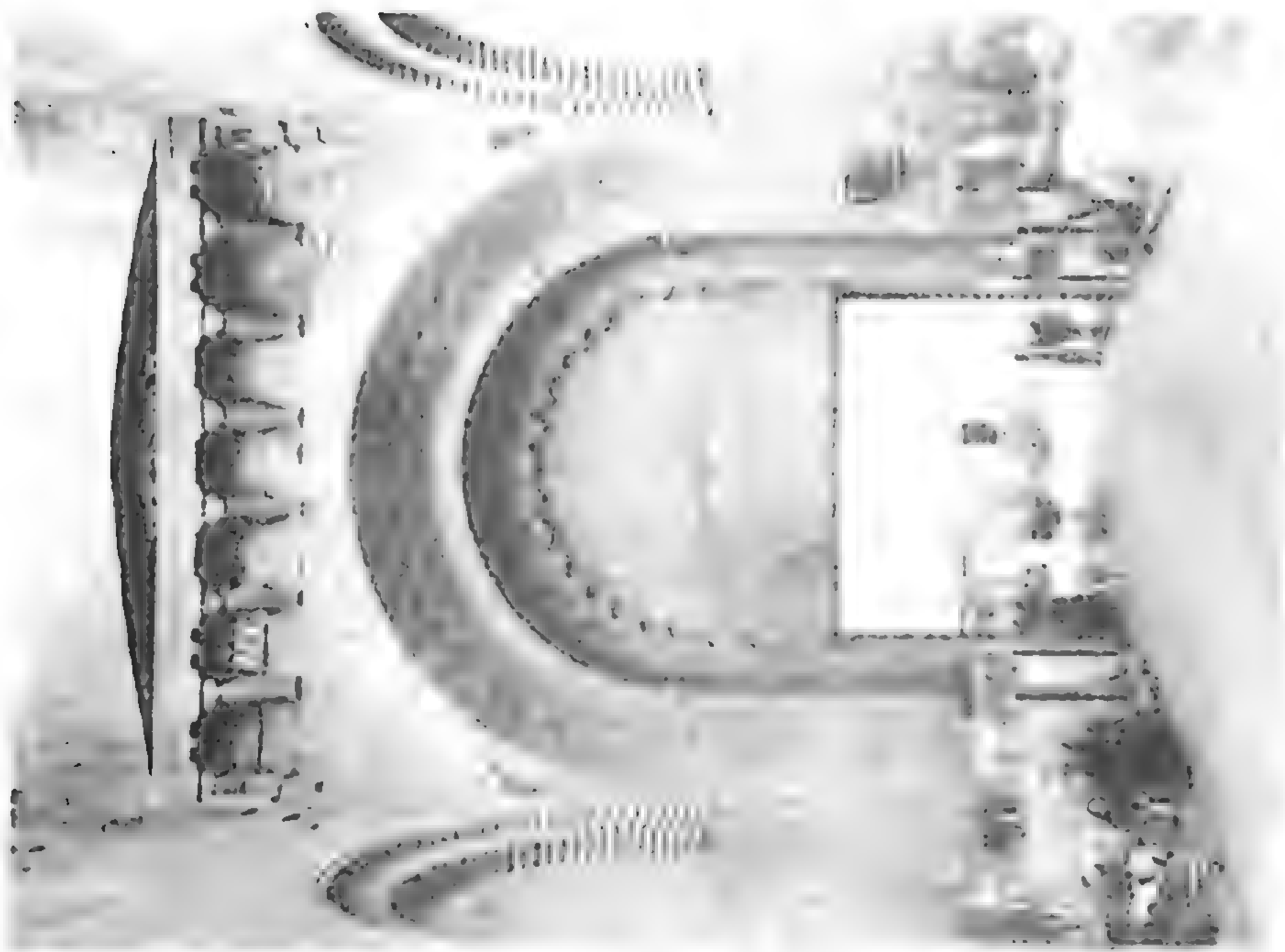
(لوحة رقم ٦٢) باب الفتوح ، ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م .

مخطط واجهة امامية .
(لوحة رقم ٦٣) باب الفتوح ، ٧٤٨٠ هـ / ٨٧ / ١٠٨٧ واجهة امامية .





أ - المدخل من الخارج .



ب - المدخل من الخارج .

(لوحة رقم ٦٤) باب الفتوح ، ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م .



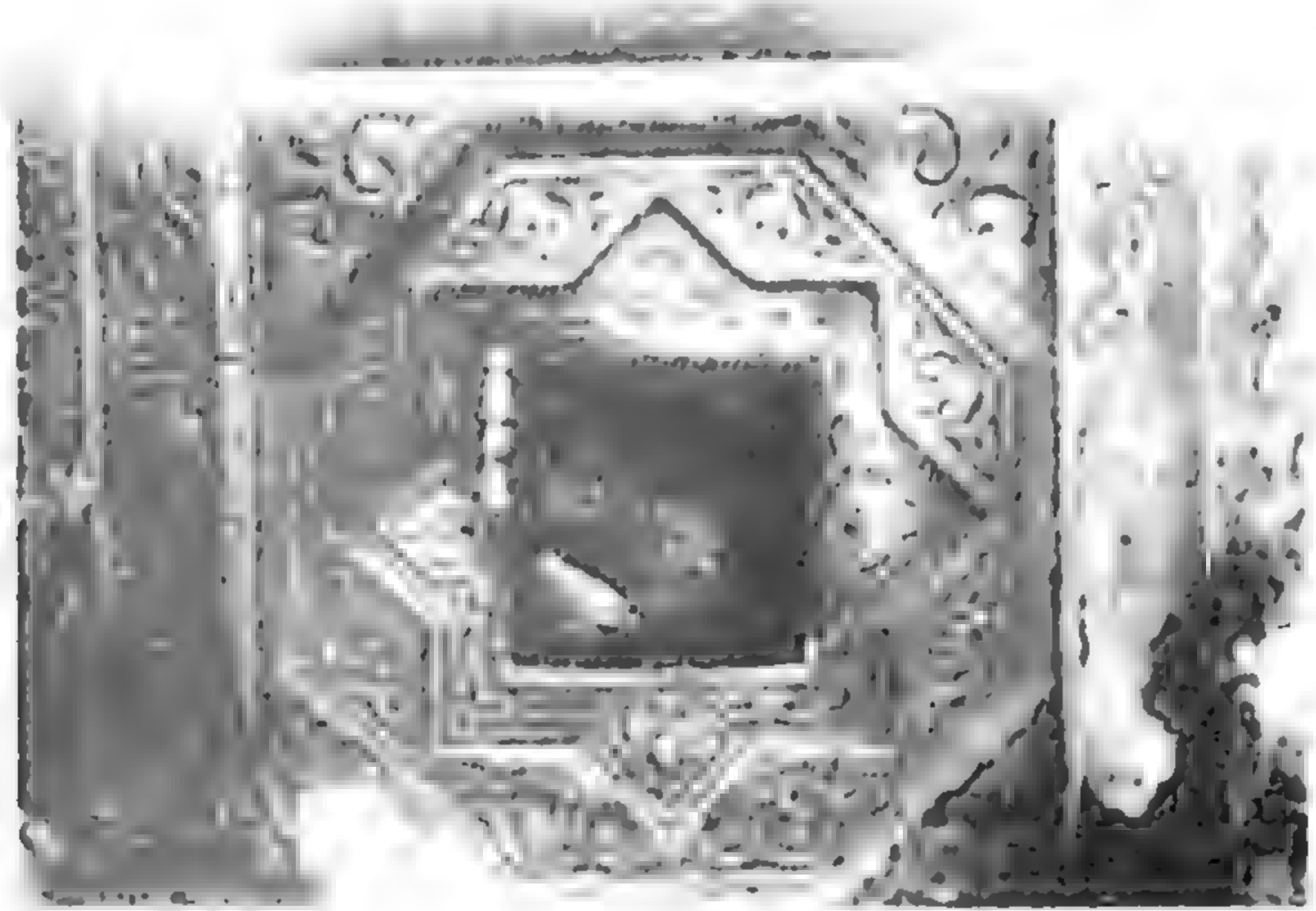
ب - الأجزاء التي تعلو العقد المفلطح .



ا - زخرفة العقد المفلطح .



د - الكوابيل .



ج - سقف حشوة بين الكوابيل .



ب - الكابولي الثاني من اليمين .

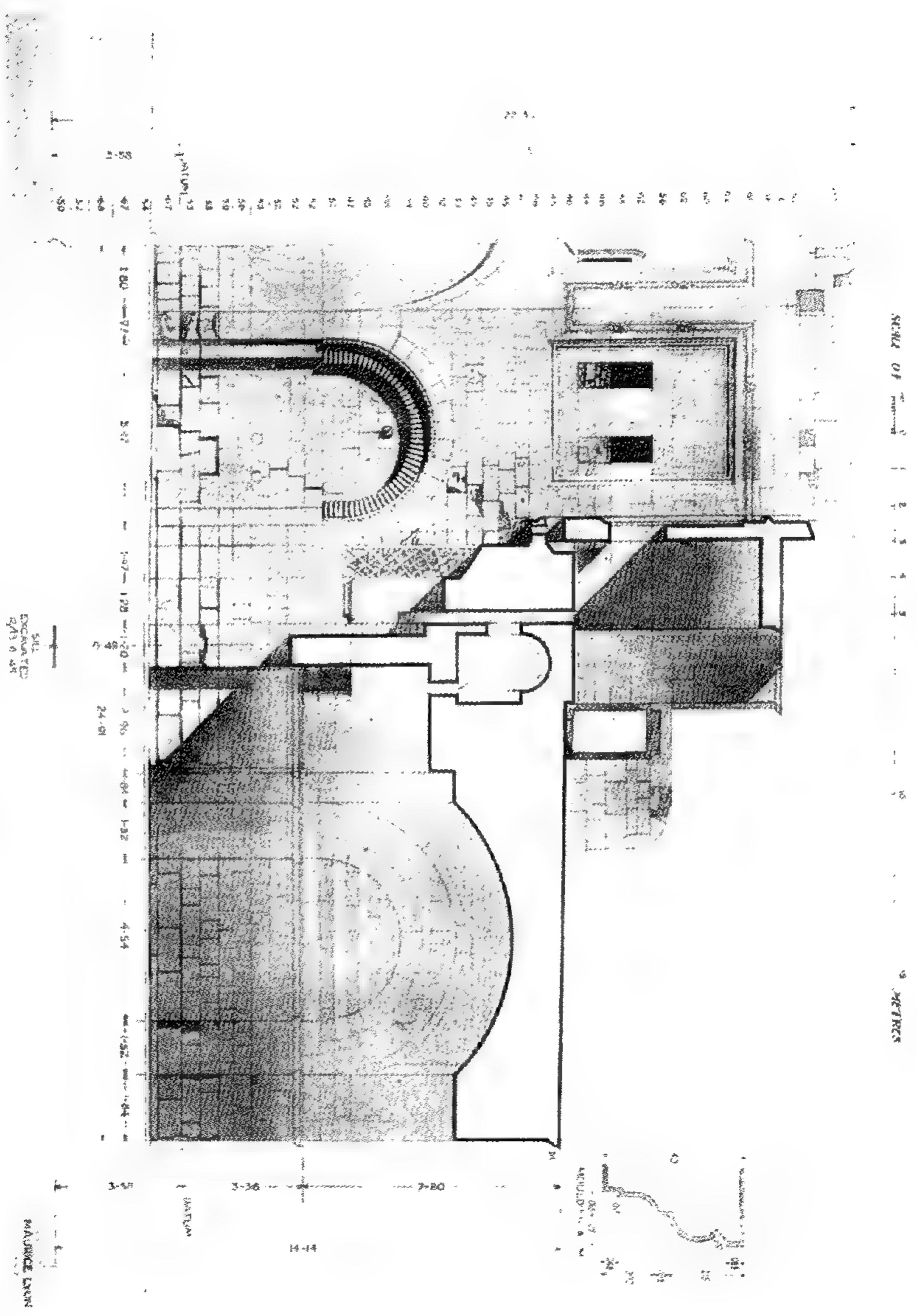


أ - الكابولي الثالث من اليمين .

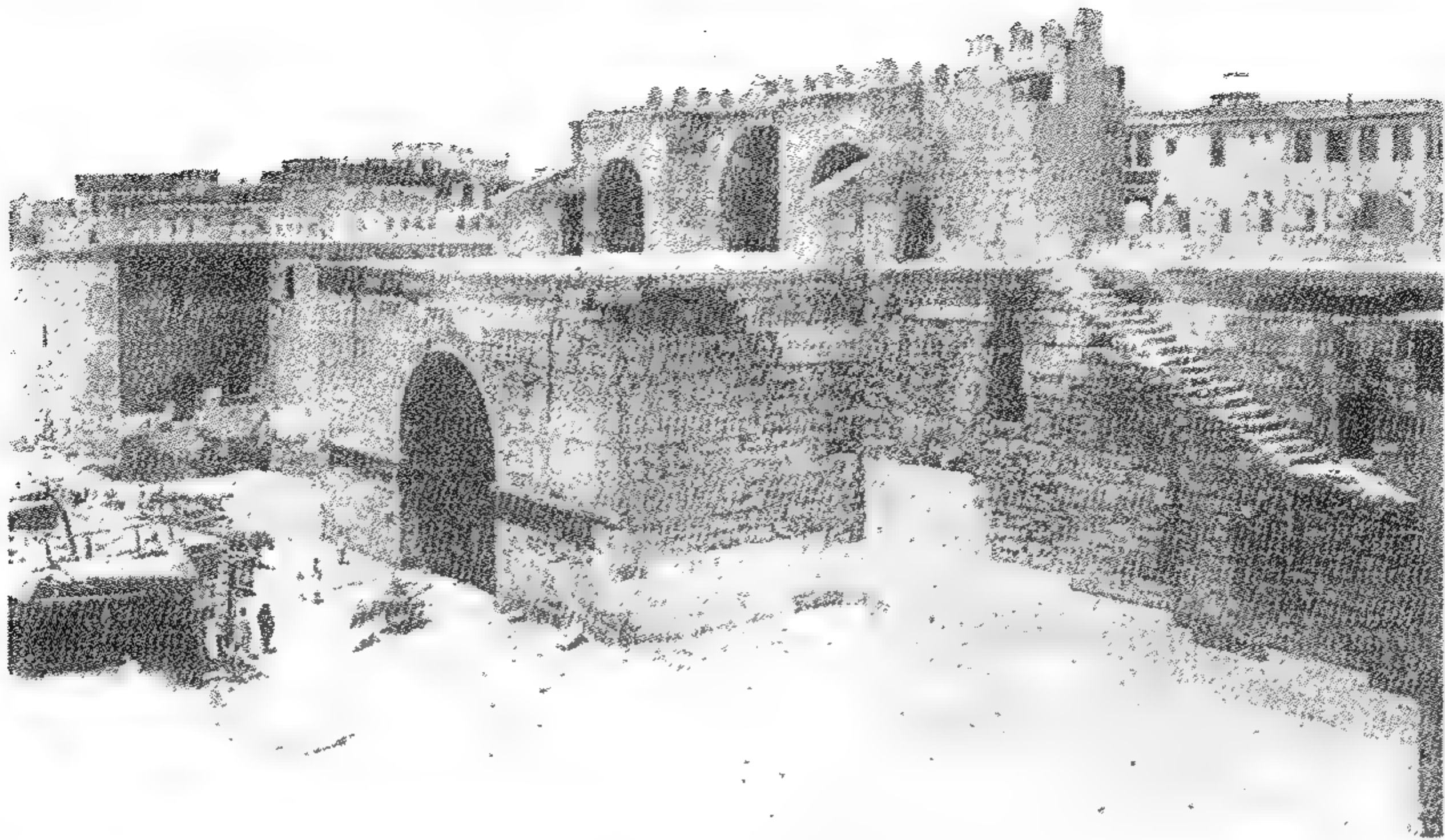


ج - ممر البوابة المقيب من الداخل .

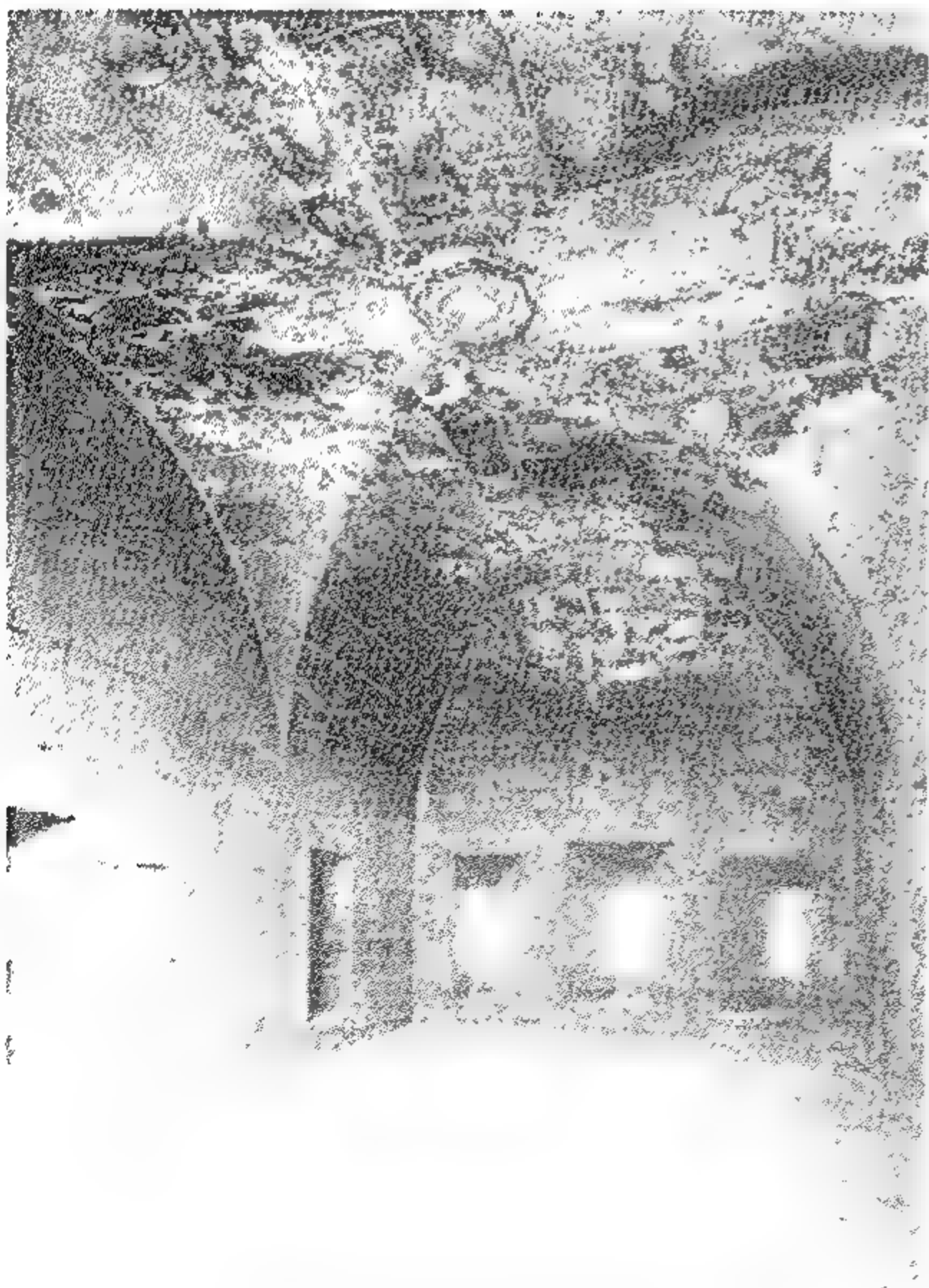
(لوحة رقم ٦٦) باب الفتوح ، ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م .



(لوحة رقم ٦٧) باب الفتوح : ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م ، قطاع من خلال ممر البوابة .



أ - الوجه الخلفي من جدار جامع الحاكم .



ج - داخل البرج الشرقي .



ب - الوجه الخلفي من المنصة .

(لوحة رقم ٦٨) باب الفتوح : ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م .



أ - باب الفتوح وسلم البرج من أعلى البروز الكبير .



ب - الوجه الداخلي لل سور الشمالي من اليمين إلى اليسار : البروز الكبير ،
باب الفتوح ، سلم البرج .

(لوحة رقم ٦٩)



أ - باب الفتوح . الوجه الخلفي . البروز الكبير .



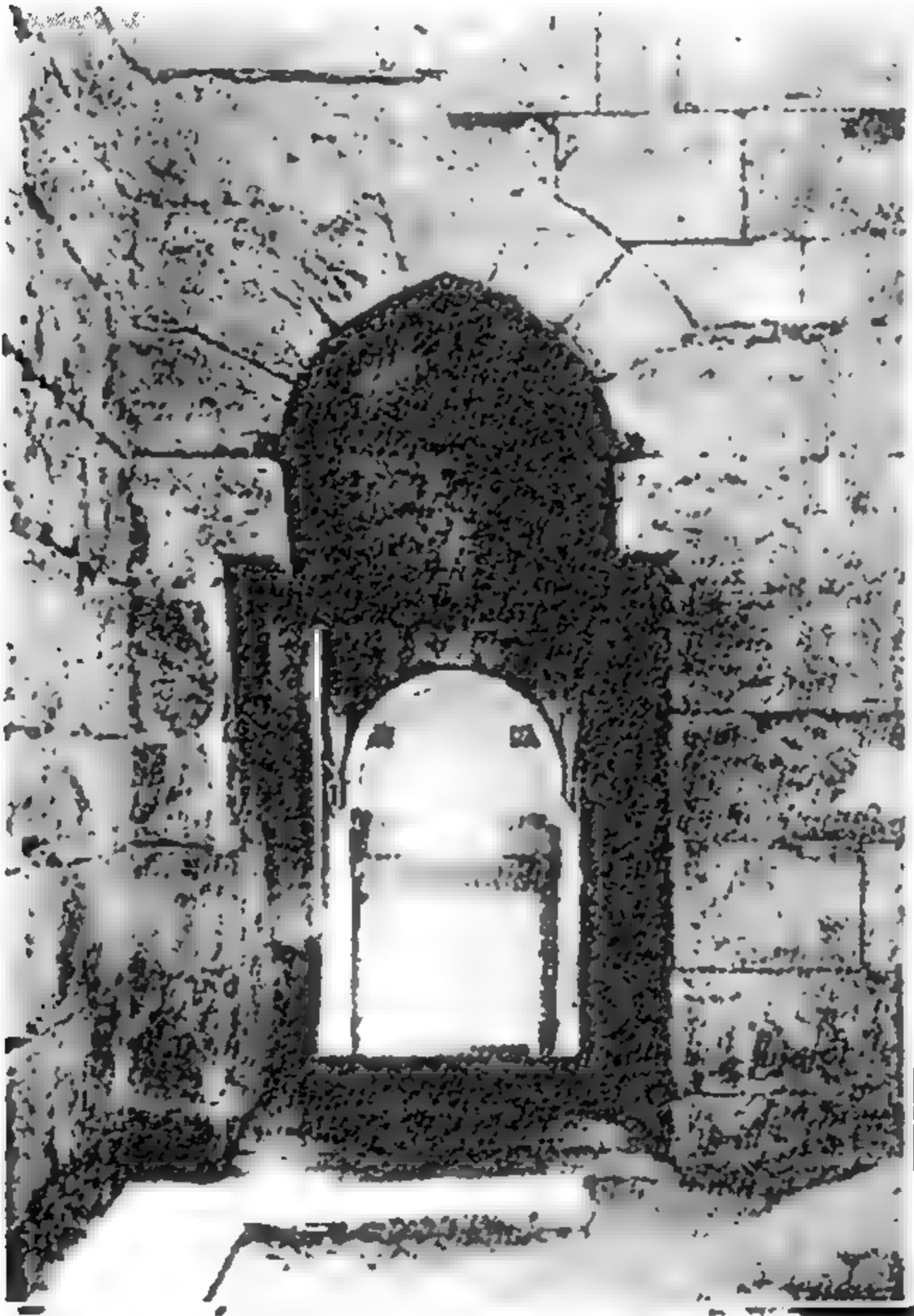
ب - باب الفتوح . برج السلم والبرج ذو الواجهة المستديرة .



ب - مدخل برج السلم ، على العتب شكل
للإله آمون رع وخرطوش الملك تحتمس .



أ - ممر في السور المغيب
بين برج السلم وباب الفتوح ، أنظر شرقاً .



د - الحجرة الأصفر في برج السلم ،
مخرج إلى أول مهبط على السلم .



ج - الحجرة الرئيسية (١٨ر٥٥ × ٨ر٢٣ م)
في برج السلم ، أنظر غرباً .



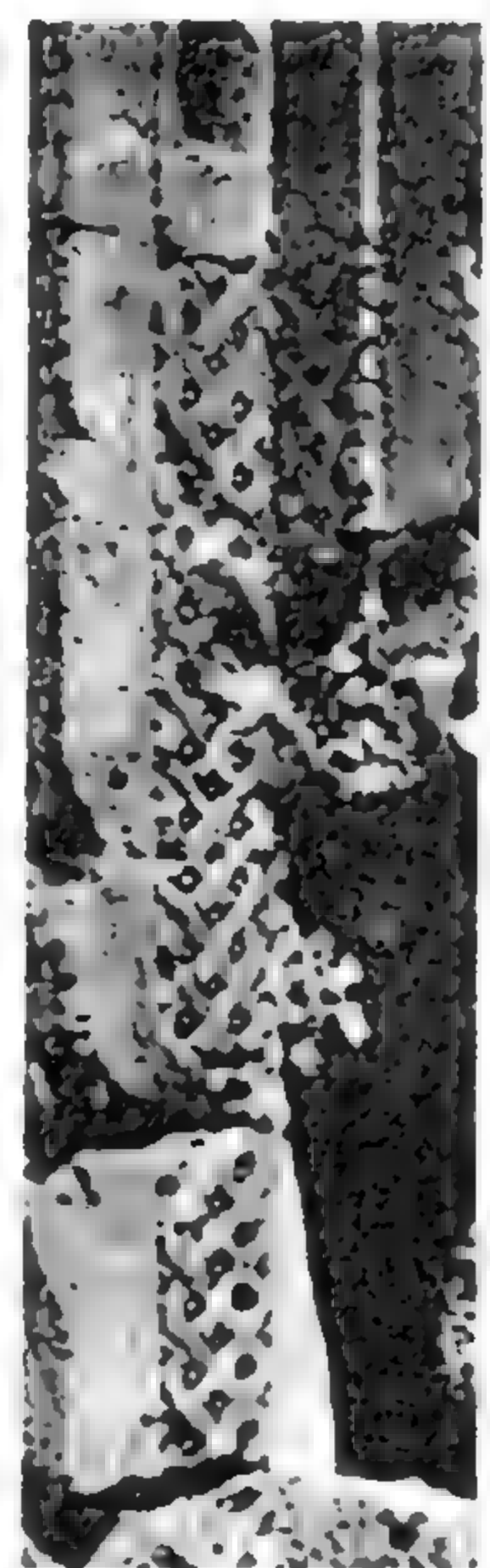
أ - منظر عام من الجنوب .



د - حشوات على
الجانب الداخلي للبرج الشرقي .

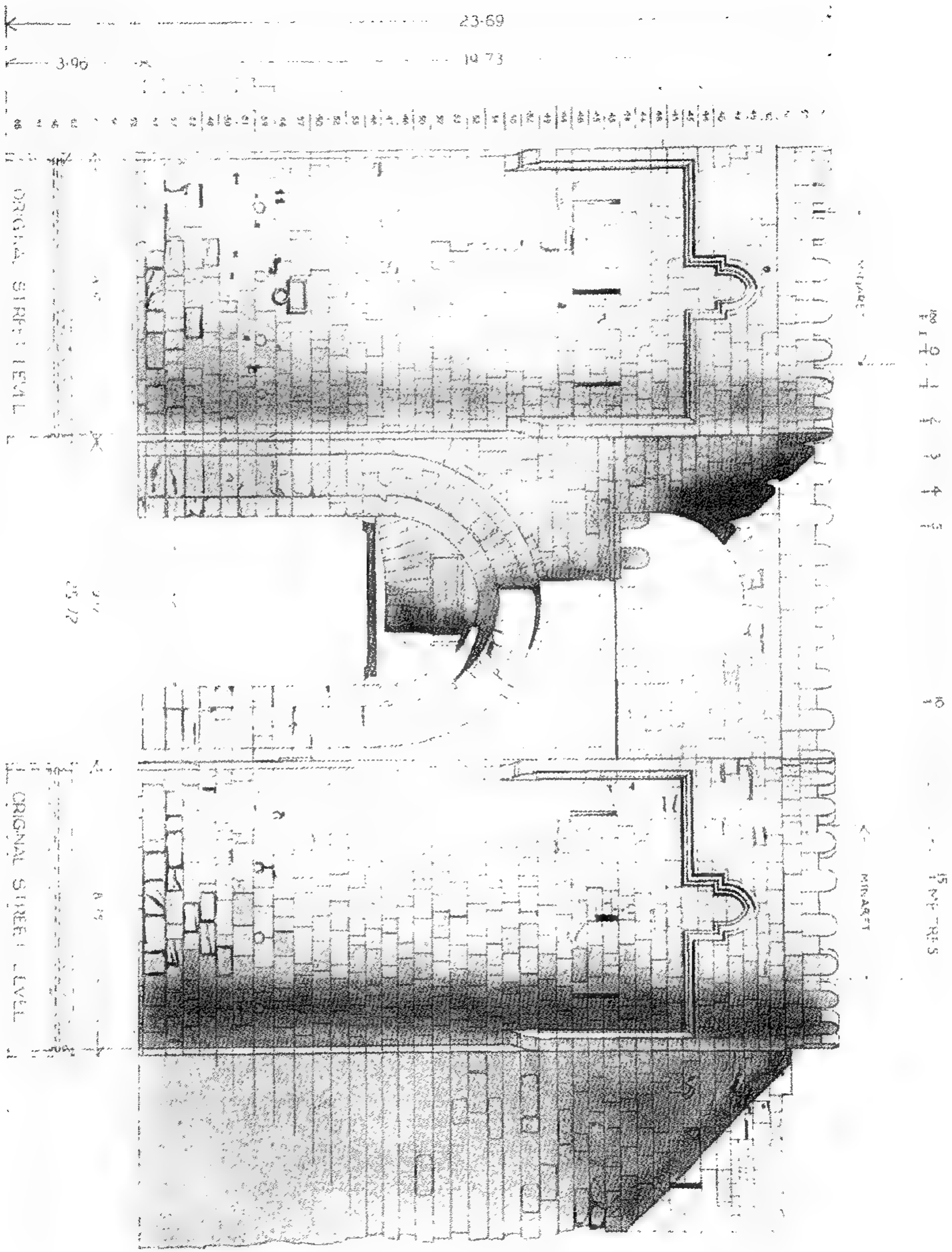


ج - حشوة زخرفية
على الجانب الداخلي للبرج .



ب - زخرفة في
الزاوية الداخلية
الثانية .

(لوحة رقم ٧٢) باب زويلة (بوابة المتولى) ٤٨٥٠ هـ / ١٠٩٢ م .



(لوحة رقم ٧٣) باب زويلة، ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، واجهة أمامية (رسم موريك ليون).



ب - قبة على مثلثات كروية تعلو ممر البوابة .

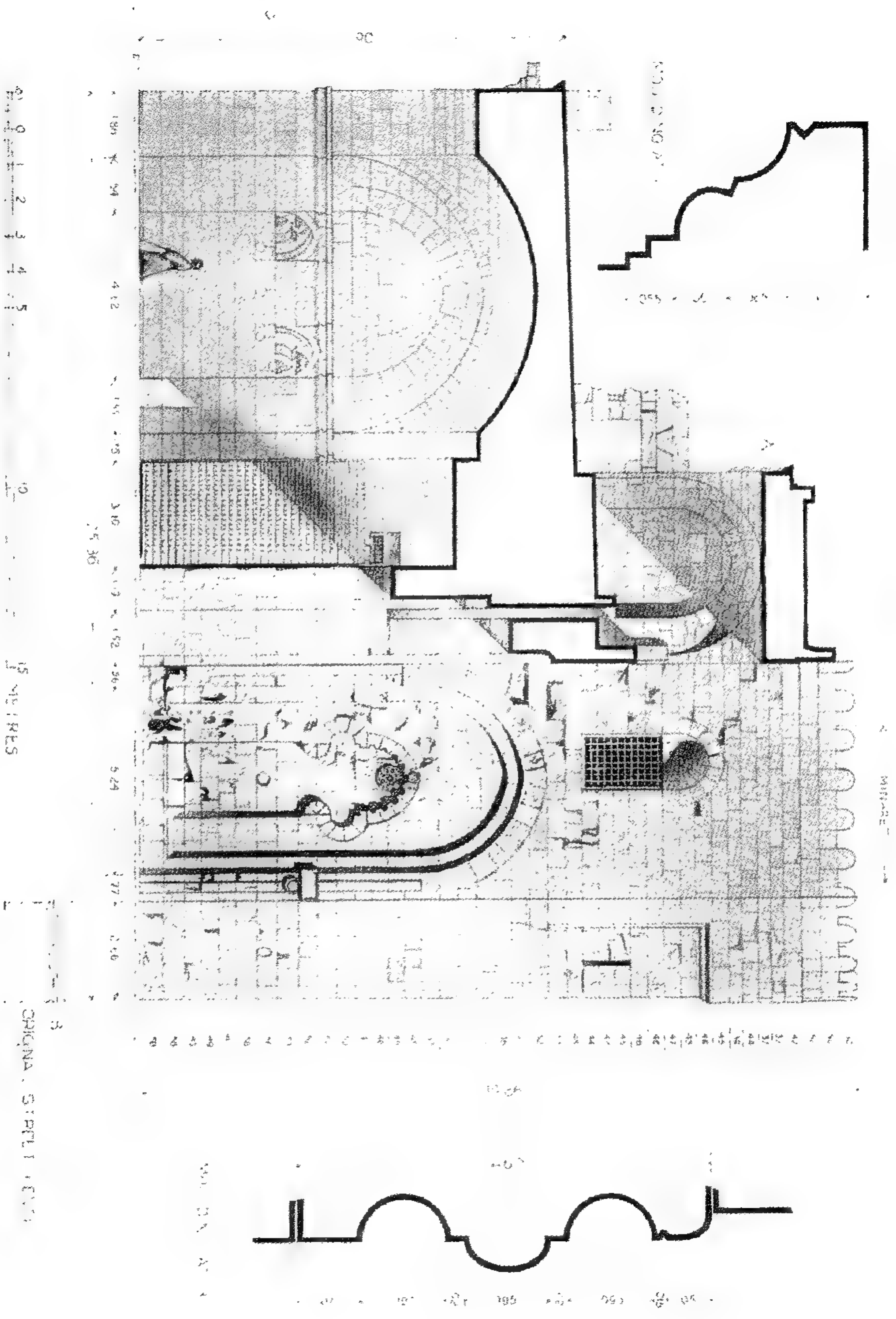


أ - الجزء أعلى البوابة .

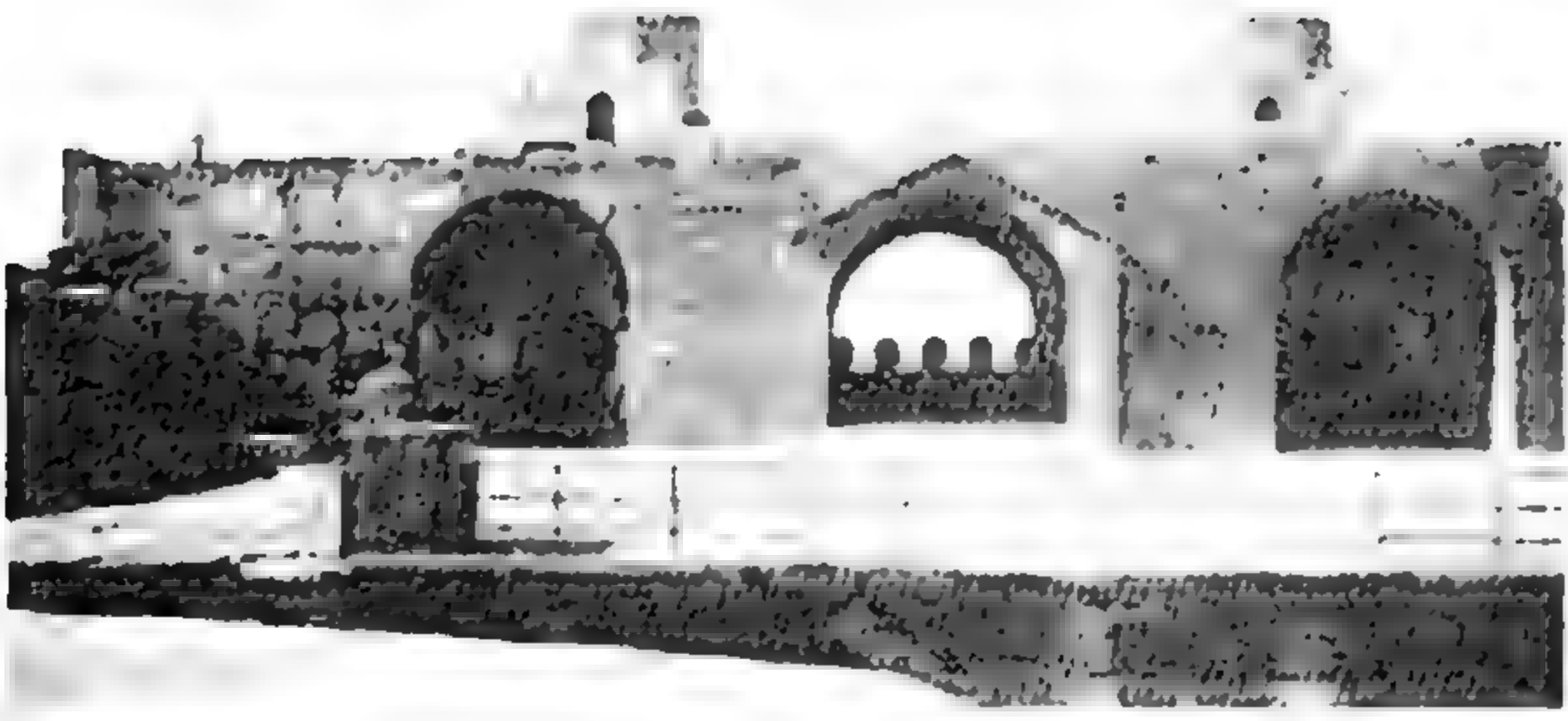


ج - الوجه (الشمالي) الخلفي .

(لوحة رقم ٧٤) باب زويلة ، ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م .



(لوحة رقم ٧٥) باب زويلة : ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ، قطاع من معمر البوابية (رسم مورثاك ليون) .



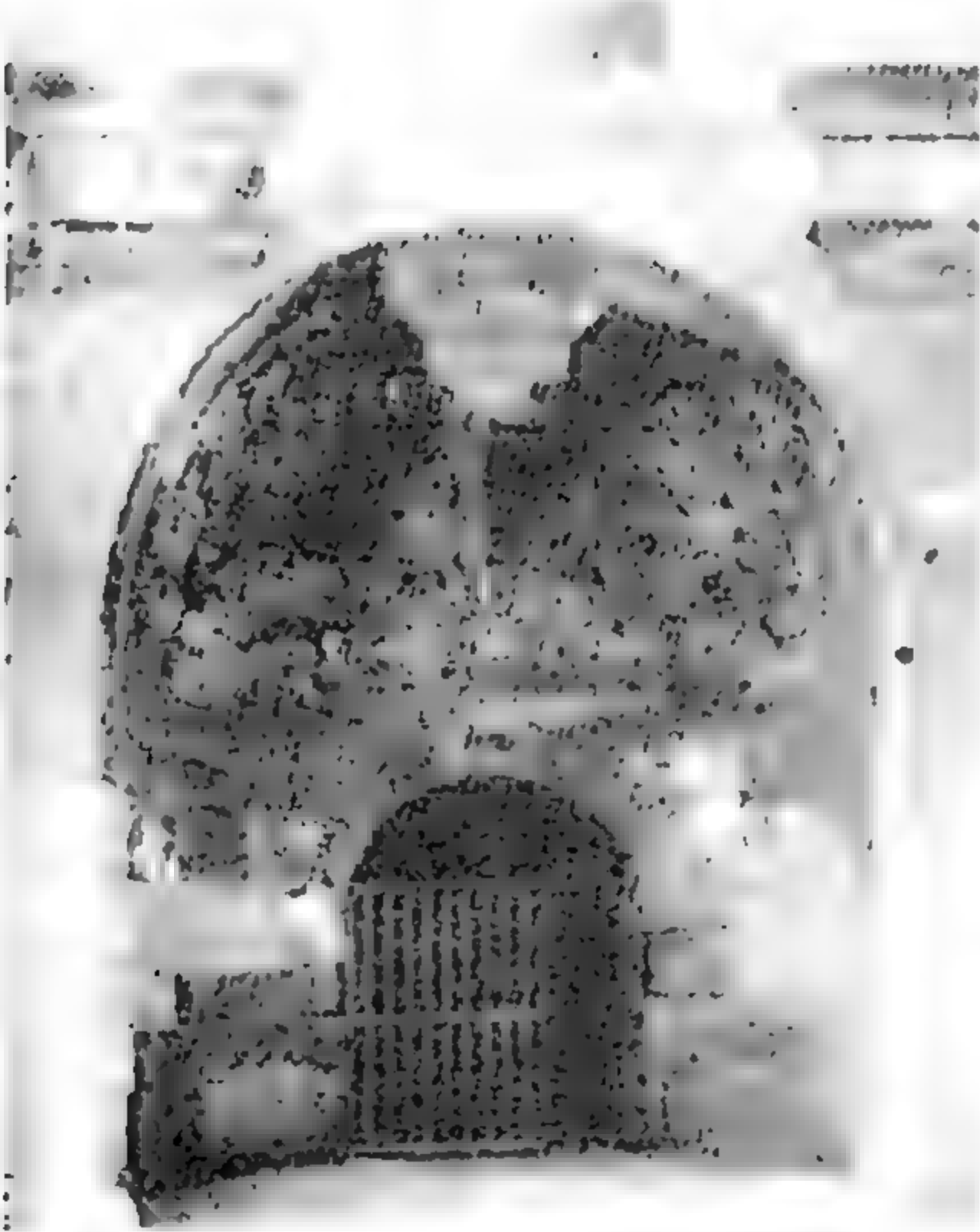
ب - المنصة في قمة البوابة .



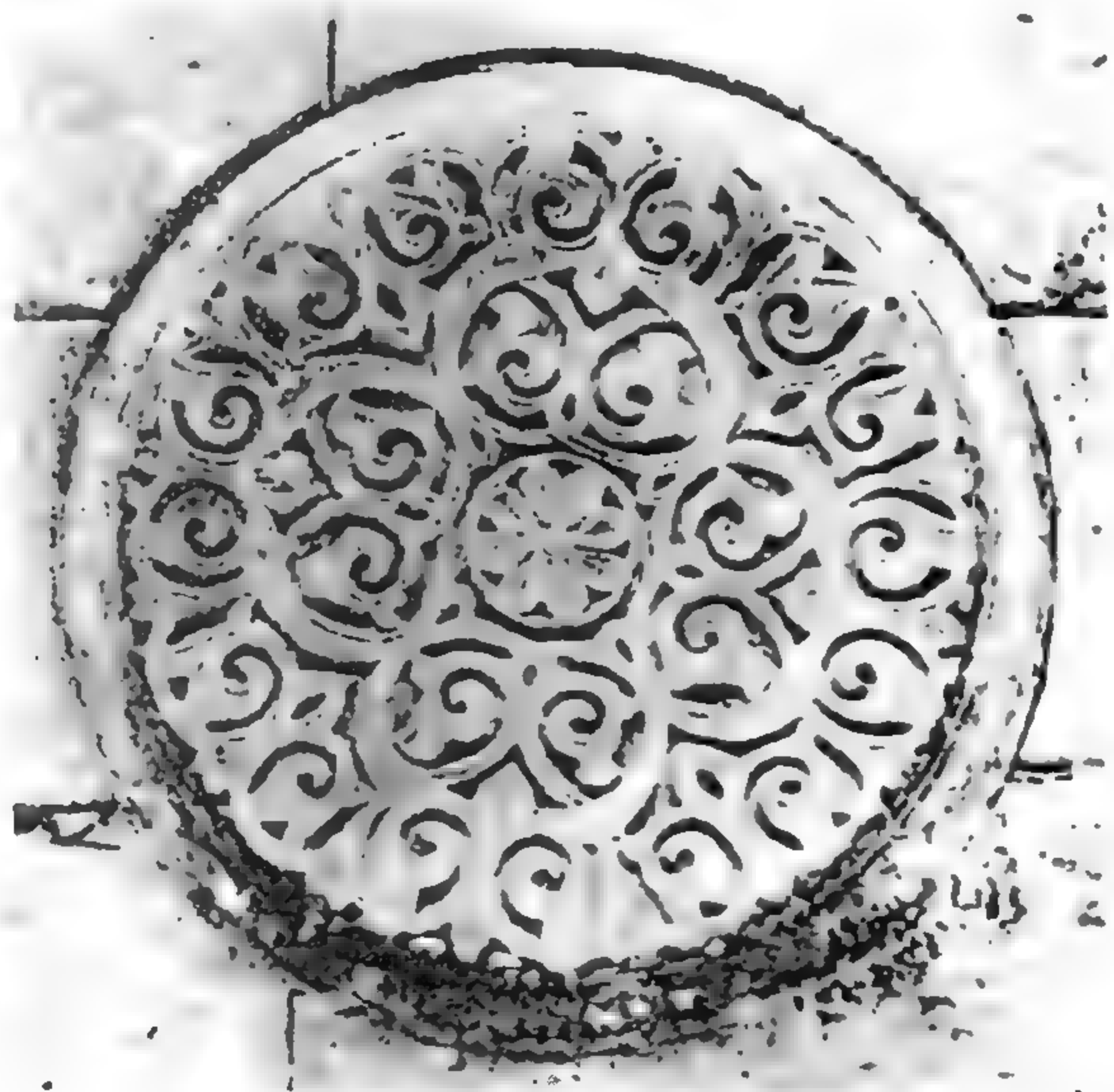
ج - المنصة والجزء العلوي للبوابة .



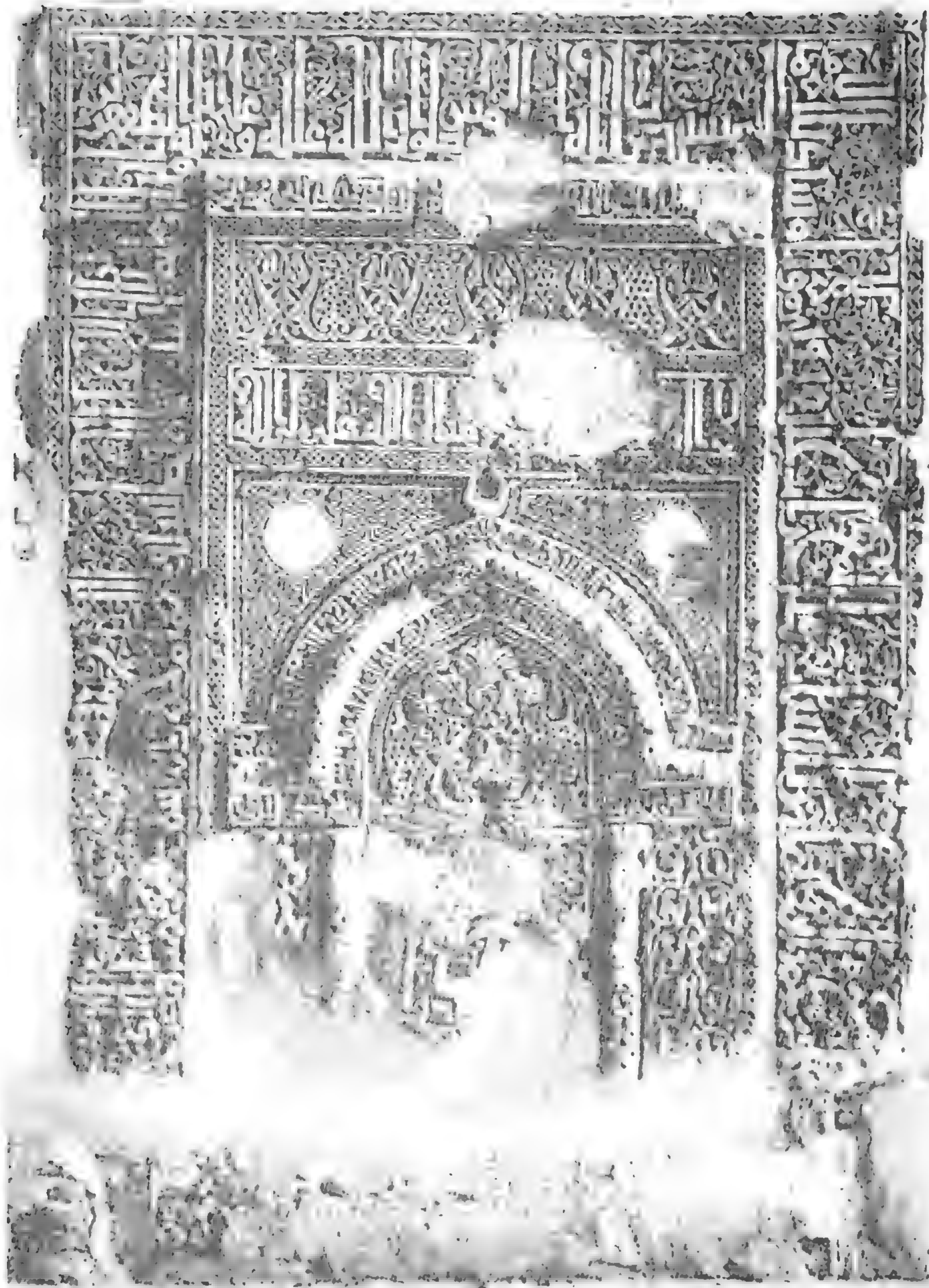
أ - ممر بوابة من المنصة إلى السلم الذي ينزل منه خلف السور المغيّب المتجه شرقاً (أنظر جـ إلى اليسار) .



هـ - مدخل إلى حجرة في الطابق الثالث للبرج الغربي (أنظر بـ ، جـ إلى اليمين) .



د - زخرفة الصنجة المفتوحة (المفتاح) للدعامة المقبية الوسطى في بـ ، جـ .



(لوحة رقم ٧٧) جامع ابن طولون : محراب الأفضل ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م .



ب - واجهة الحرم أو بيت الصلاة
(المصلى) .



أ - من الشمال .



د - مدخل الممر .



ج - مدخل الملحق
(انظر إلى اليسار) .



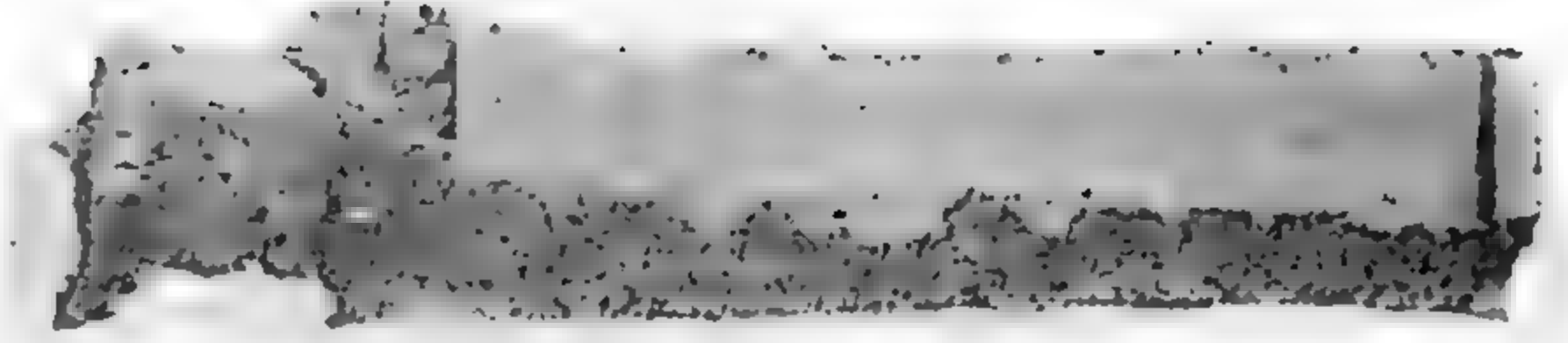
و - الحرم ، جهة الشمال الشرقي .



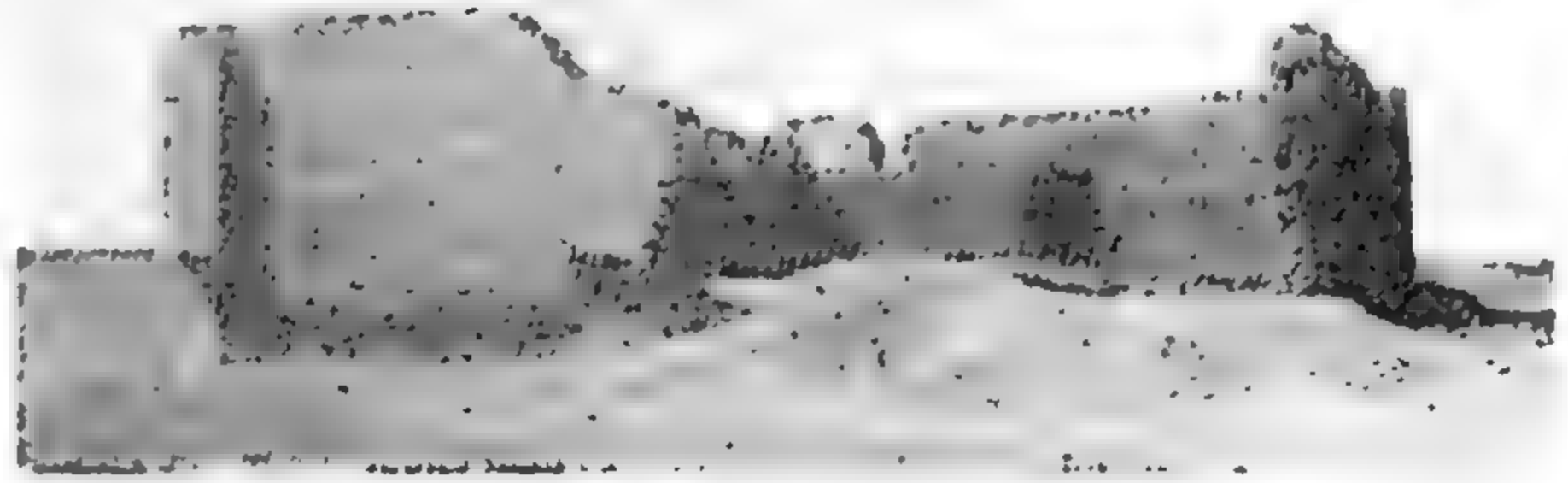
هـ - واجهة الحرم من سقف الممر .



ج - مدخل الصحن من الداخل .



أ - من الجنوب الغربي .



ب - من الشرق .



هـ - الركن الغربي .



د - من الشمال .



ز - زخرفة المحراب على يسار
المحراب الرئيسي ،
المكتشف عن طريق الحفائر .



و - جدار القبلة .

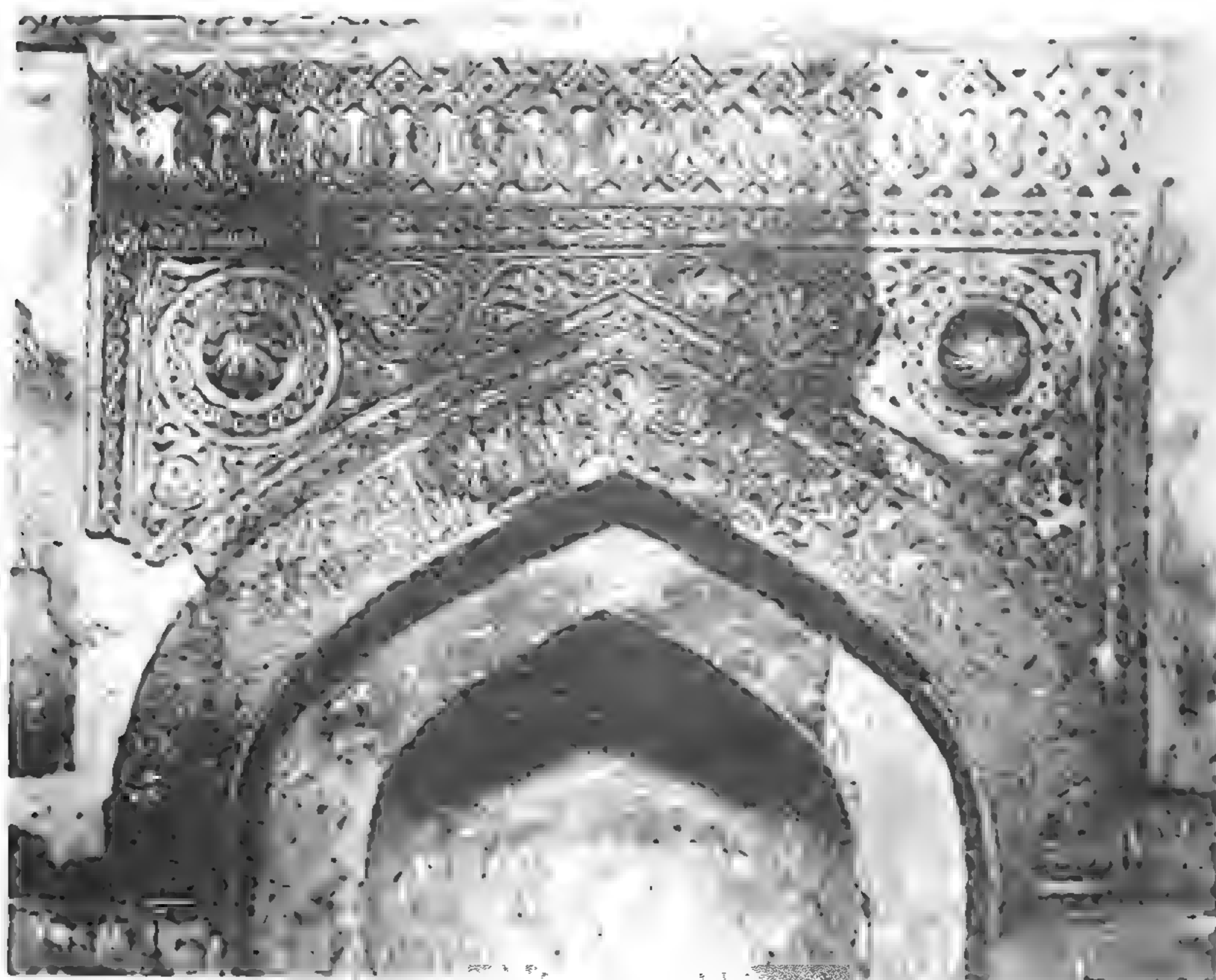
(لوحة رقم ٧٩) خضرة الشريفة .



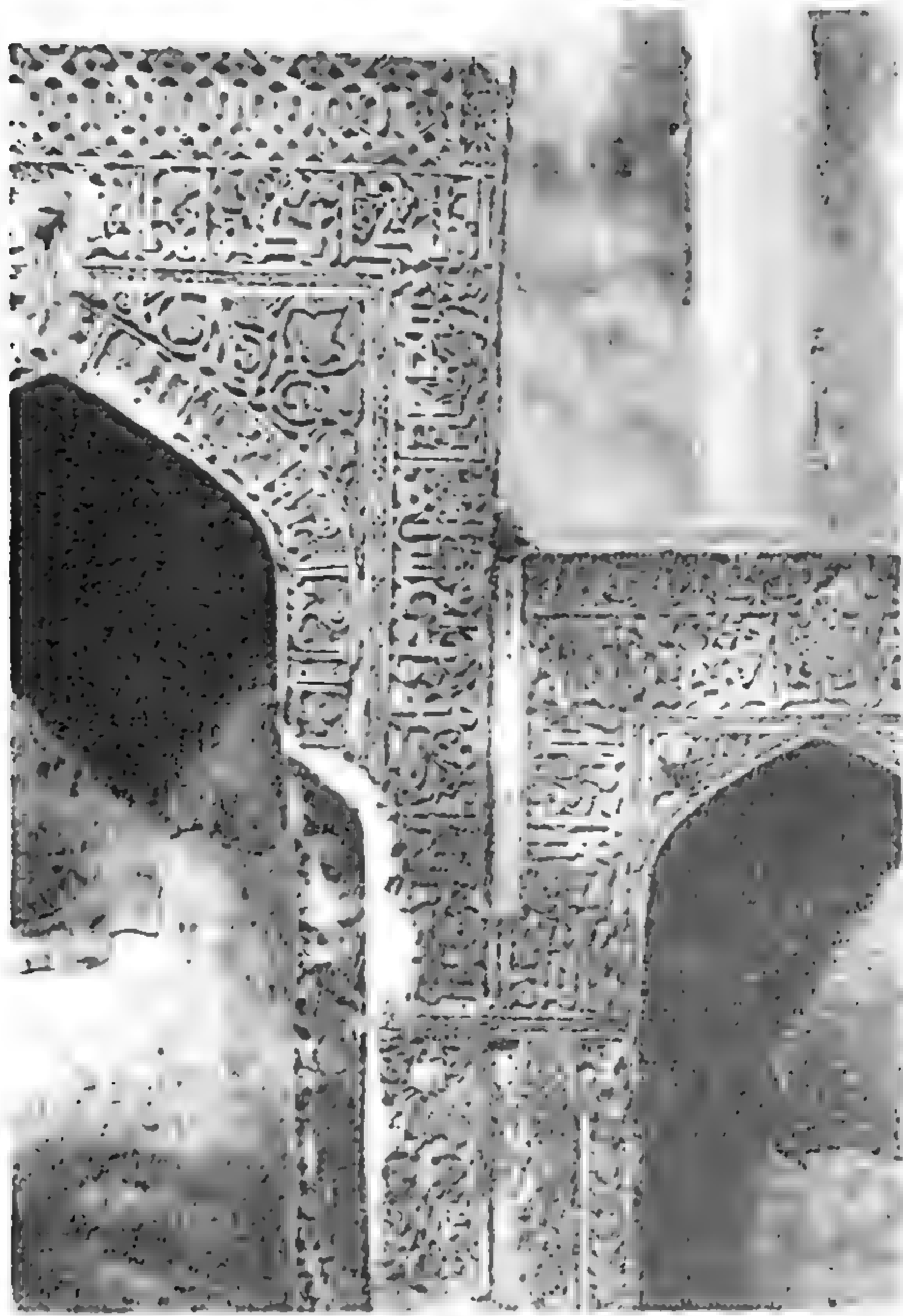
ب - ضريح السيدة عاتكة ، الداخل .



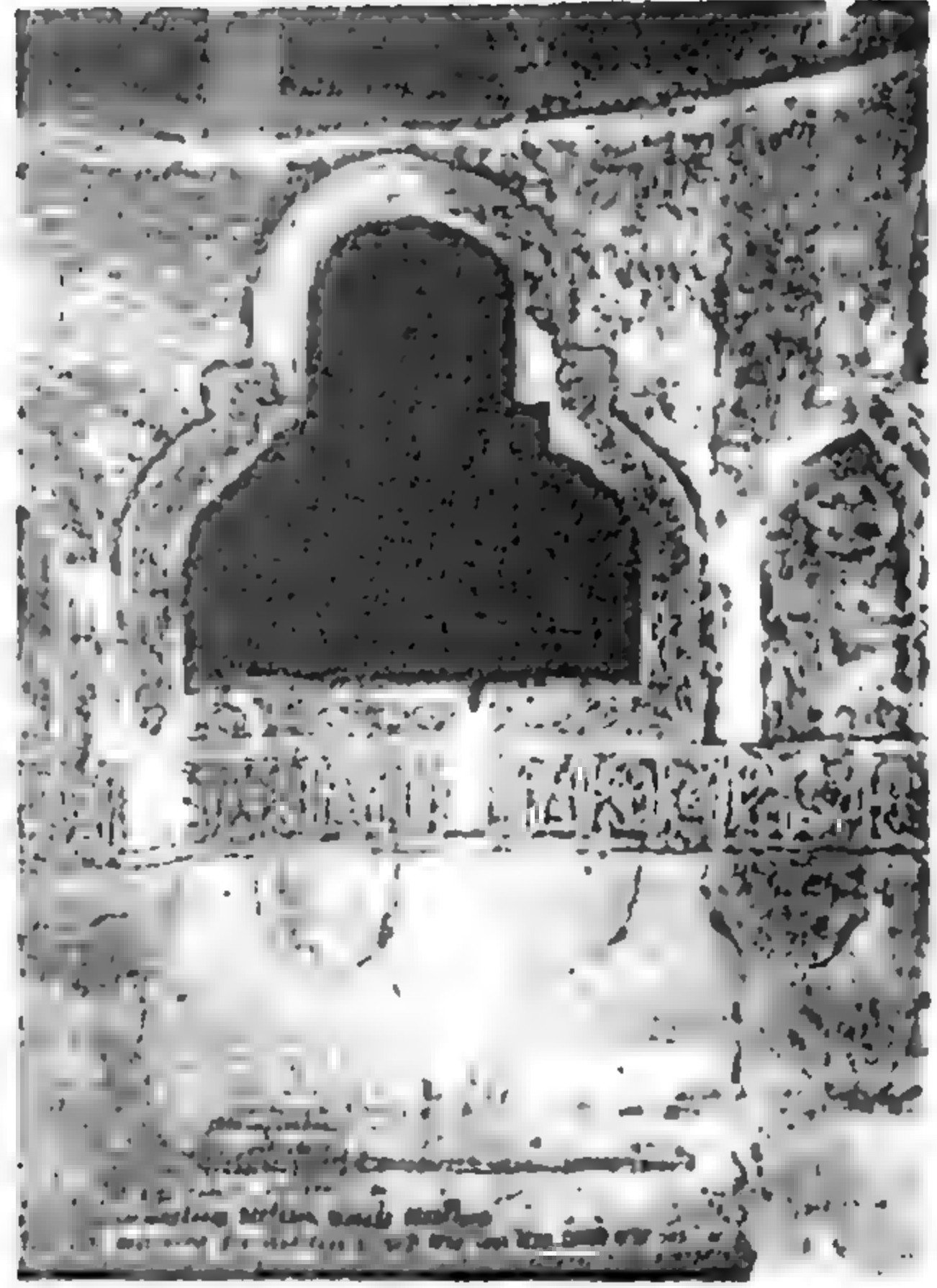
أ - ضريح الجعفري (إلى اليسار)
والسيدة عاتكة (إلى اليمين) .



ج - ضريح السيدة عاتكة : زخرفة المحراب .



ب - أخوة يوسف ، تفصيل للمحراب الثلاثي .



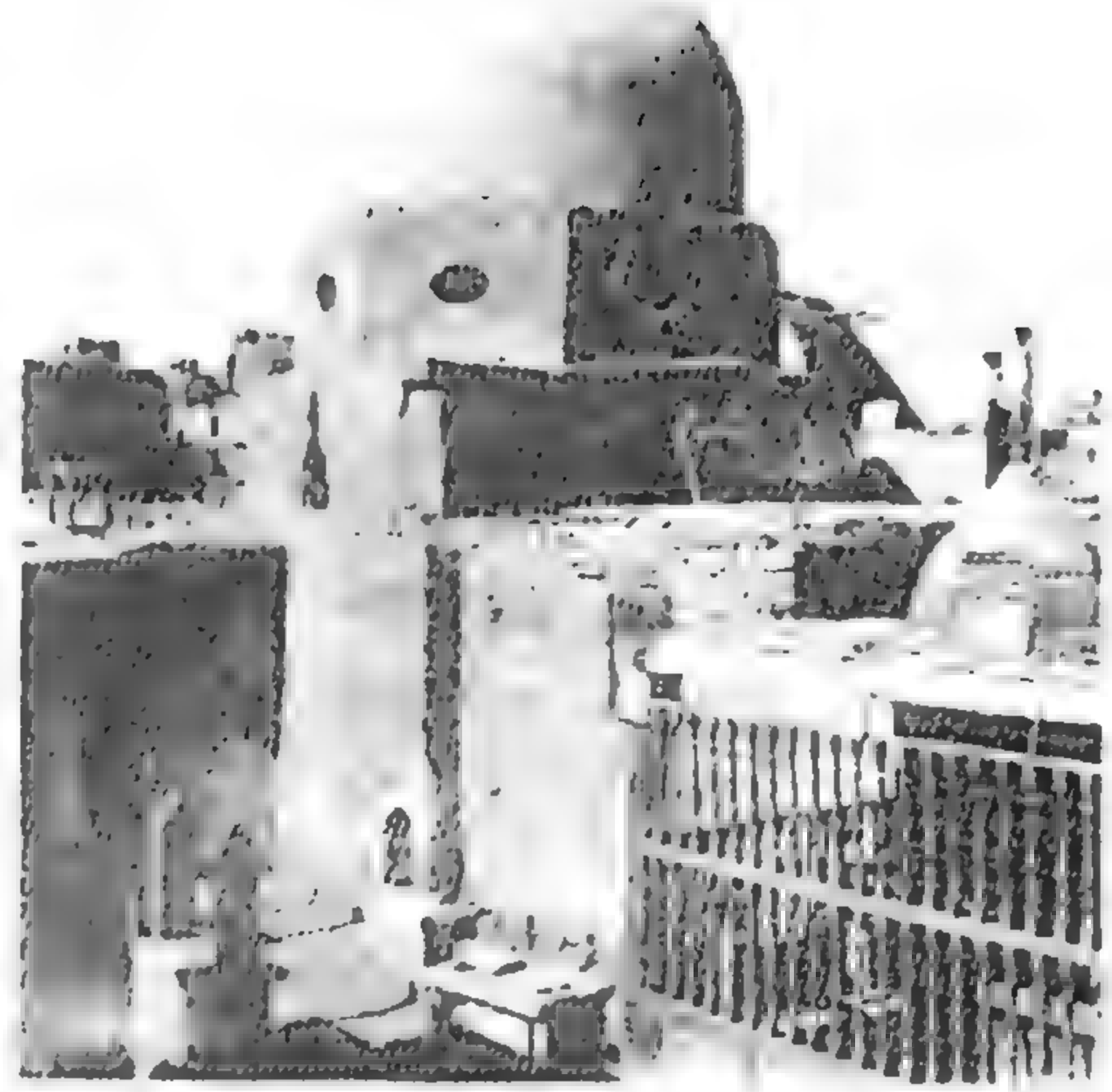
أ - ضريح السيدة عاتكة ، نافذة وشرافات
الحائط السابق ترى أسفل الجص .



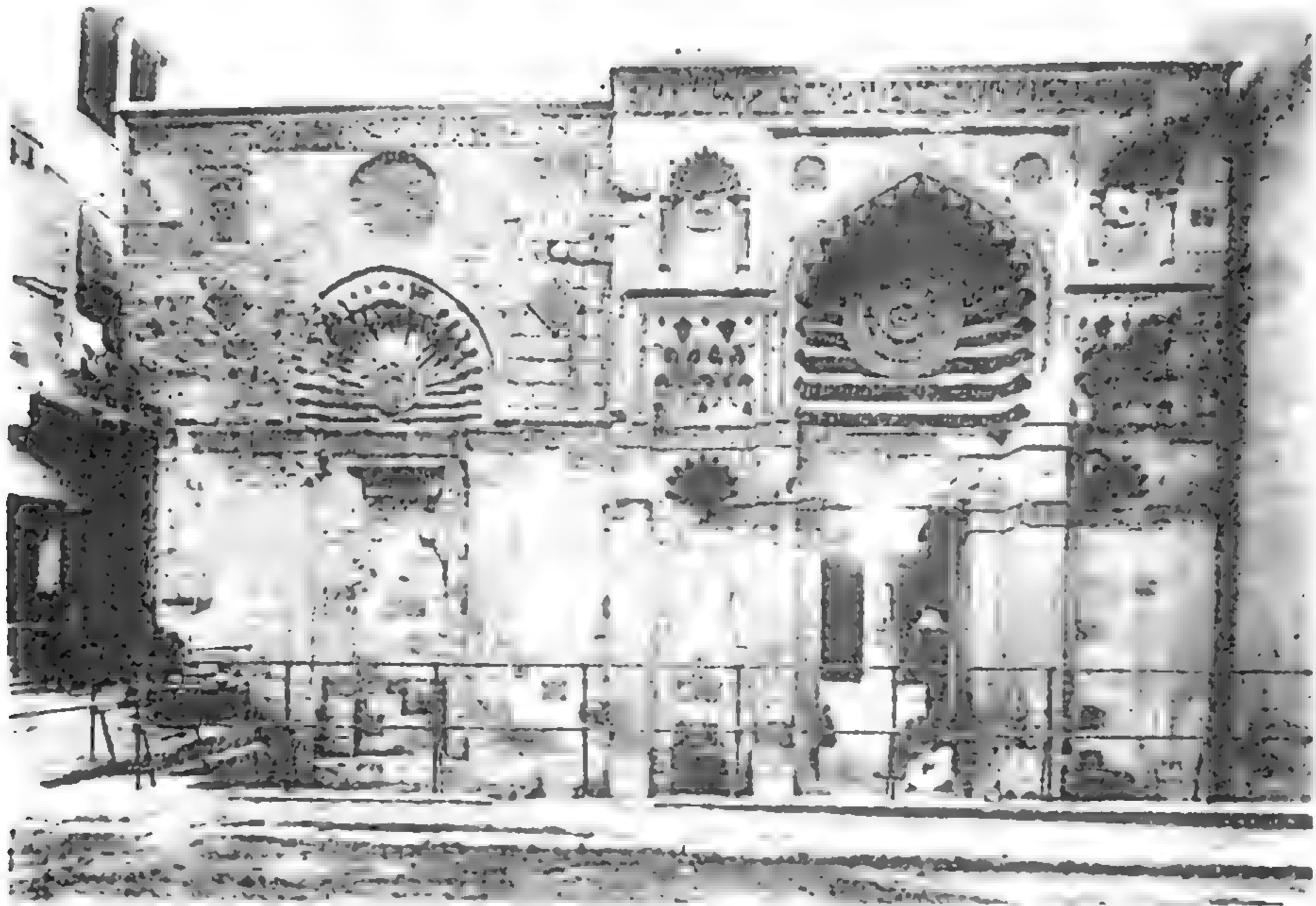
ج - إلى اليسار ضريح السيدة عاتكة ، المبنى جزء منه
على شرافة الضياء الأمامي لضريح الجعفري .



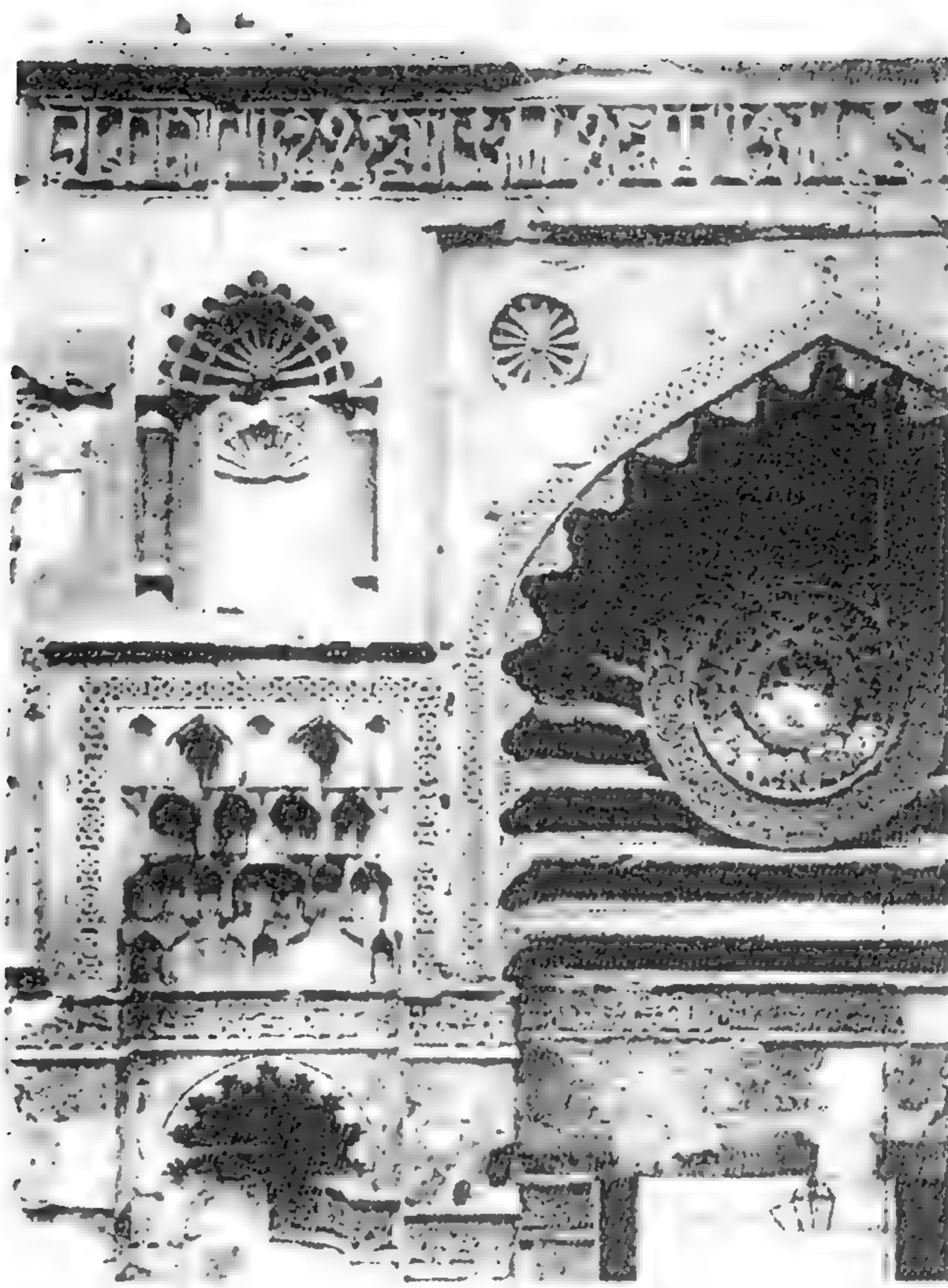
ب - محراب أم كلثوم .



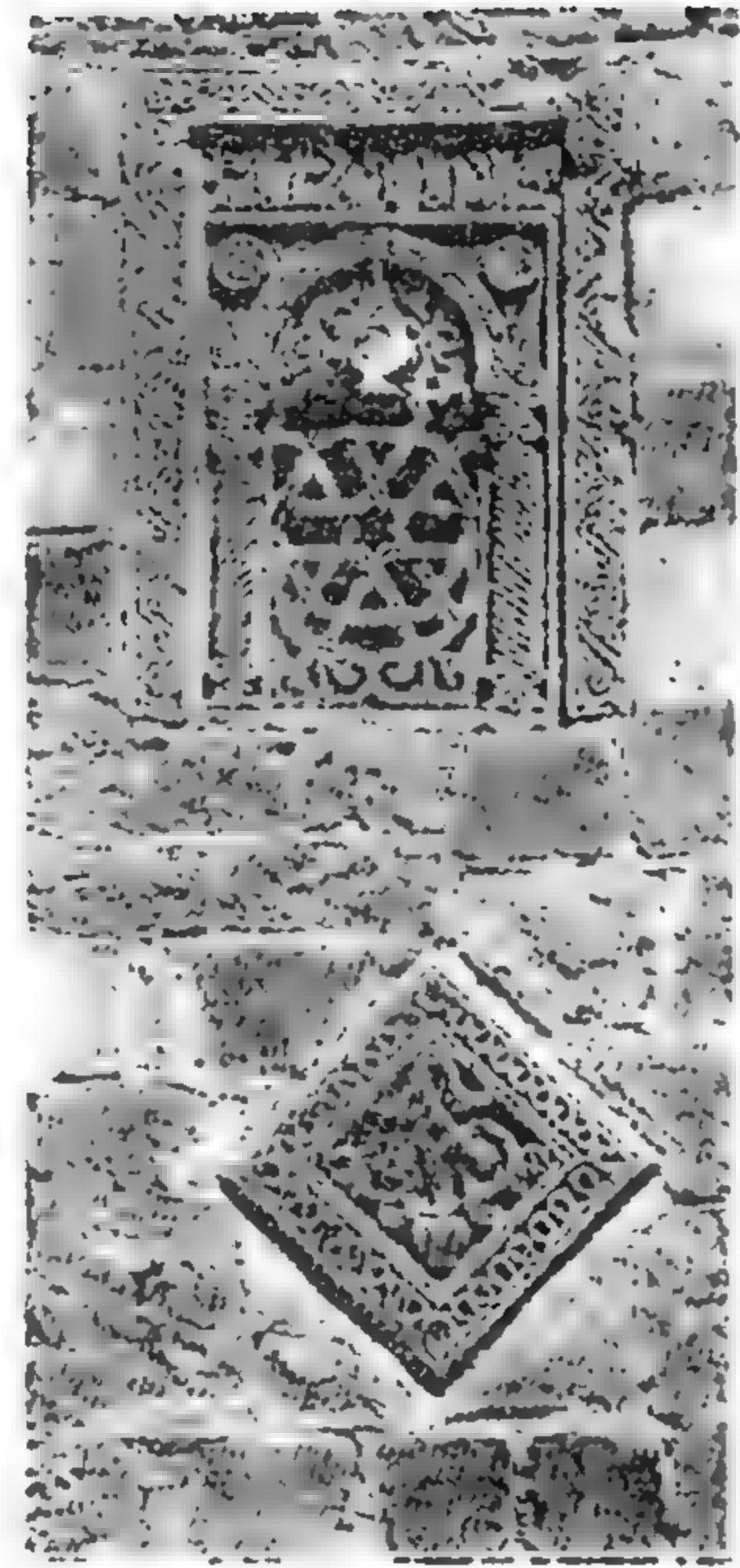
أ - الضريح المعروف بالشيخ يونس .



ج - مسجد الأقمرا، الواجهة الشمالية الغربية ٥١٩هـ / ١١٢٥م .



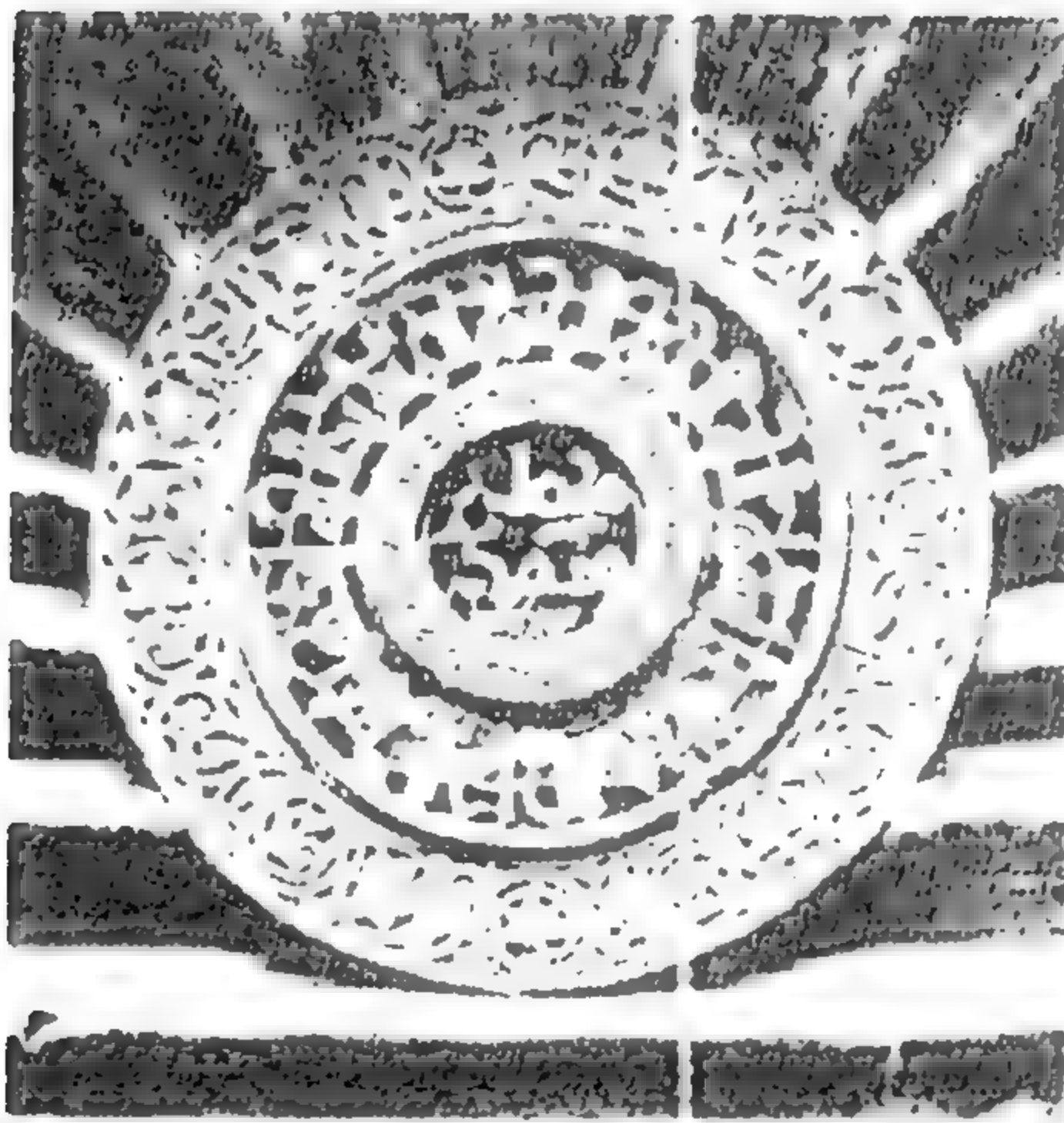
ج - تفصيل لزخرفة بروز المدخل .



أ - تفصيل
(أنظر ٨٢ ج إلى اليسار) .



ب - تفصيل (أنظر ٨٢ ج إلى اليسار) .



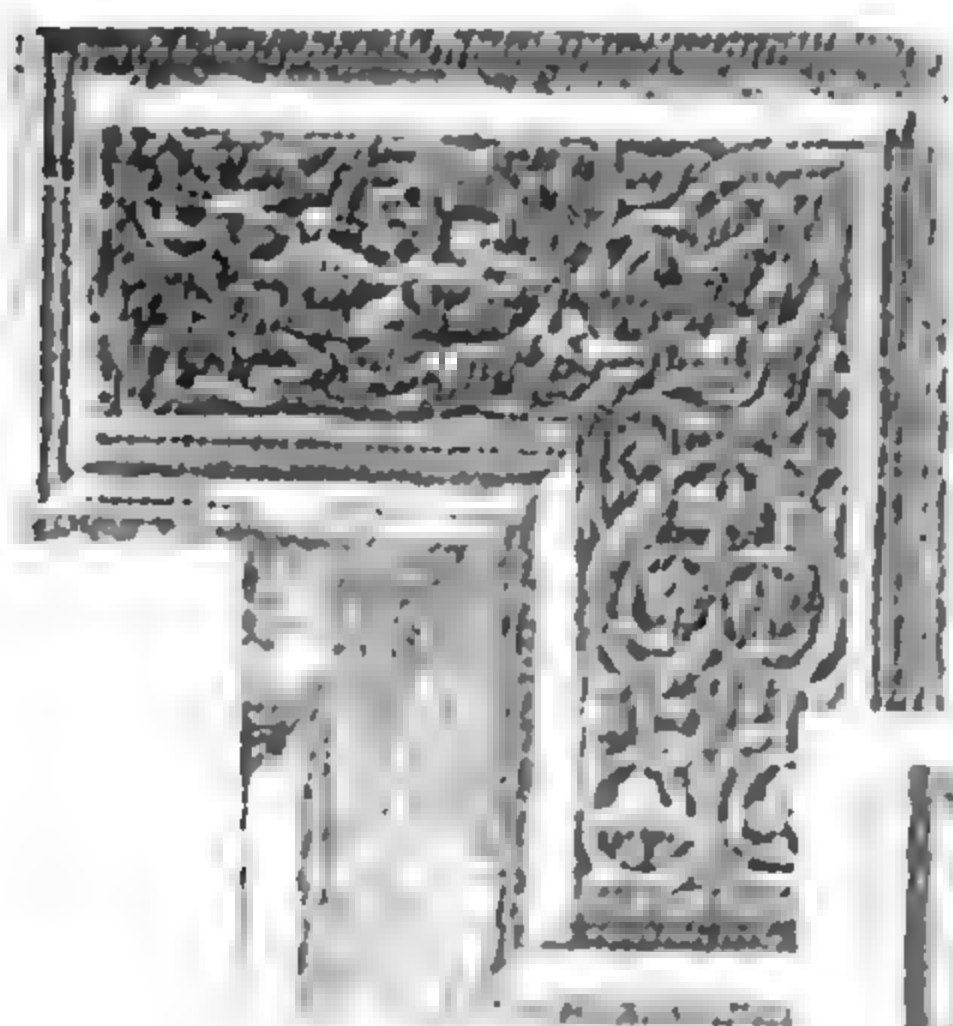
د - جامة مفرغة أعلى المدخل .



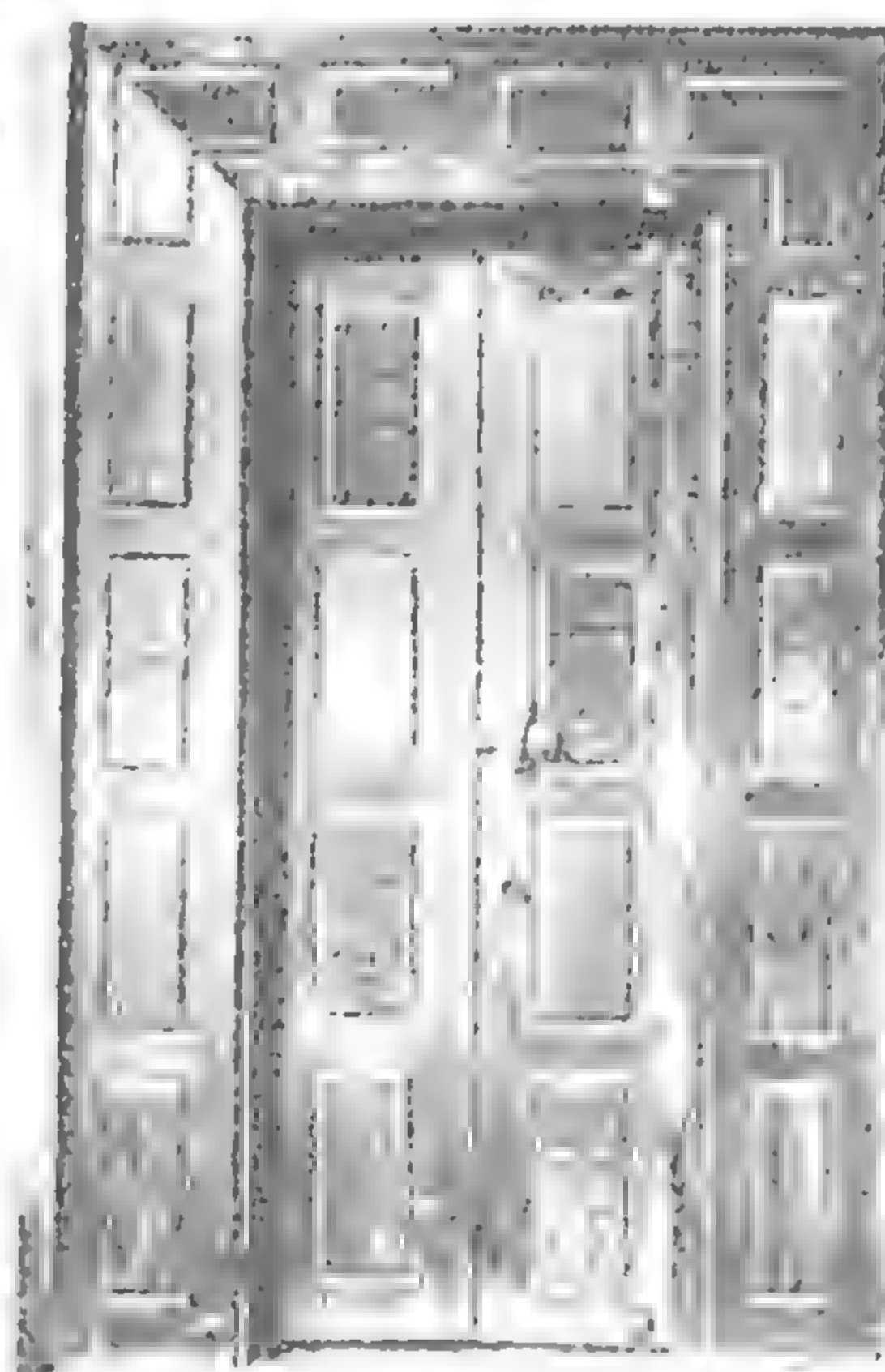
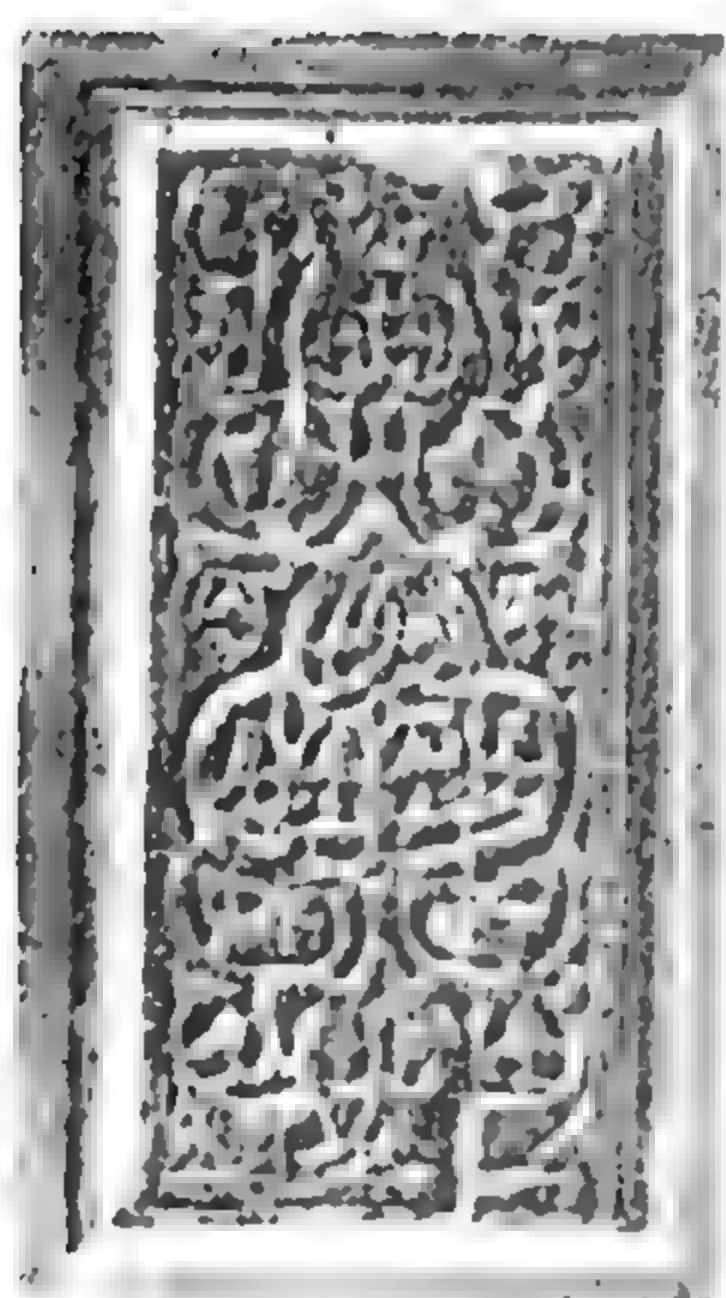
ب - تفصيل للزخرفة الجصية في أ .



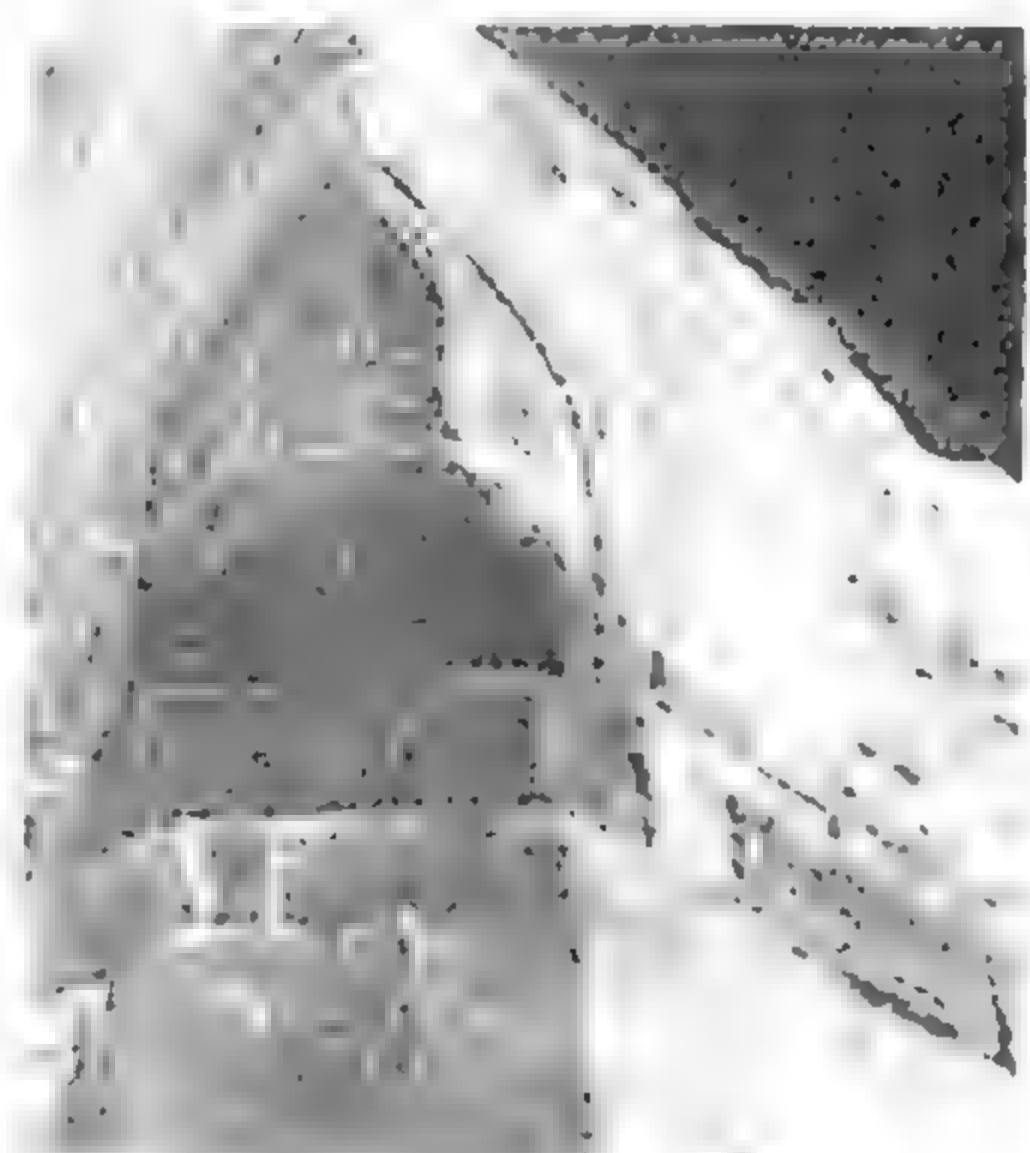
أ - واجهة الرواق الشمالي الشرقي .



ج - جامعة في الواجهة الشمالية الشرقية .



هـ - و . ز . ح - باب خزانة حائطية .



د - معالجة الركن الشمالي .



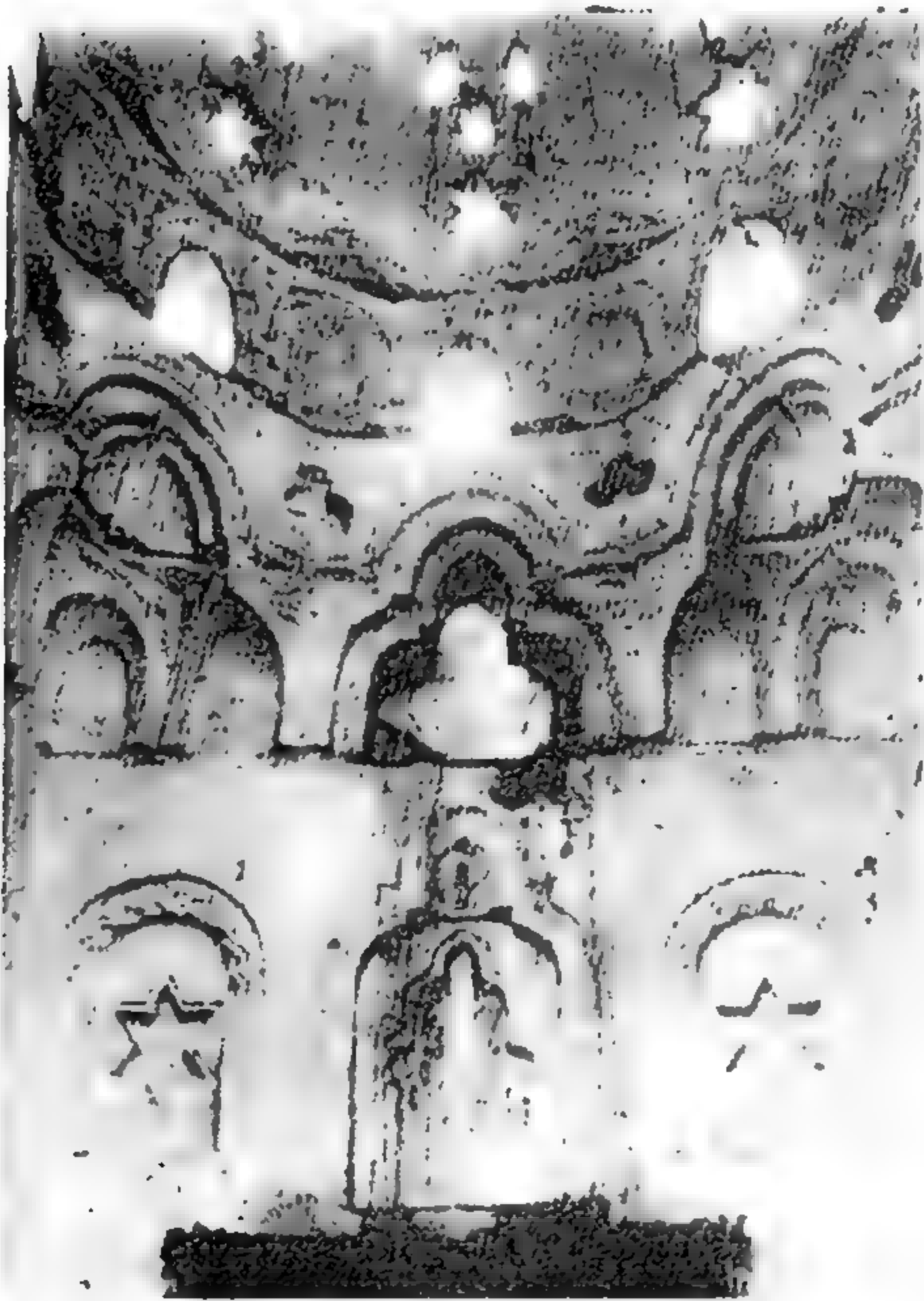
أ - مسجد الأقمر ، الرواق الجنوبي الغربي .



ب - قوس ، الضريح الملحق بالجامع .



ج - قوس ، الضريح الملحق بالجامع من الشمال .



د - قوس ، الضريح . زخرفة الجانب القبلي .



ب - الداخل .

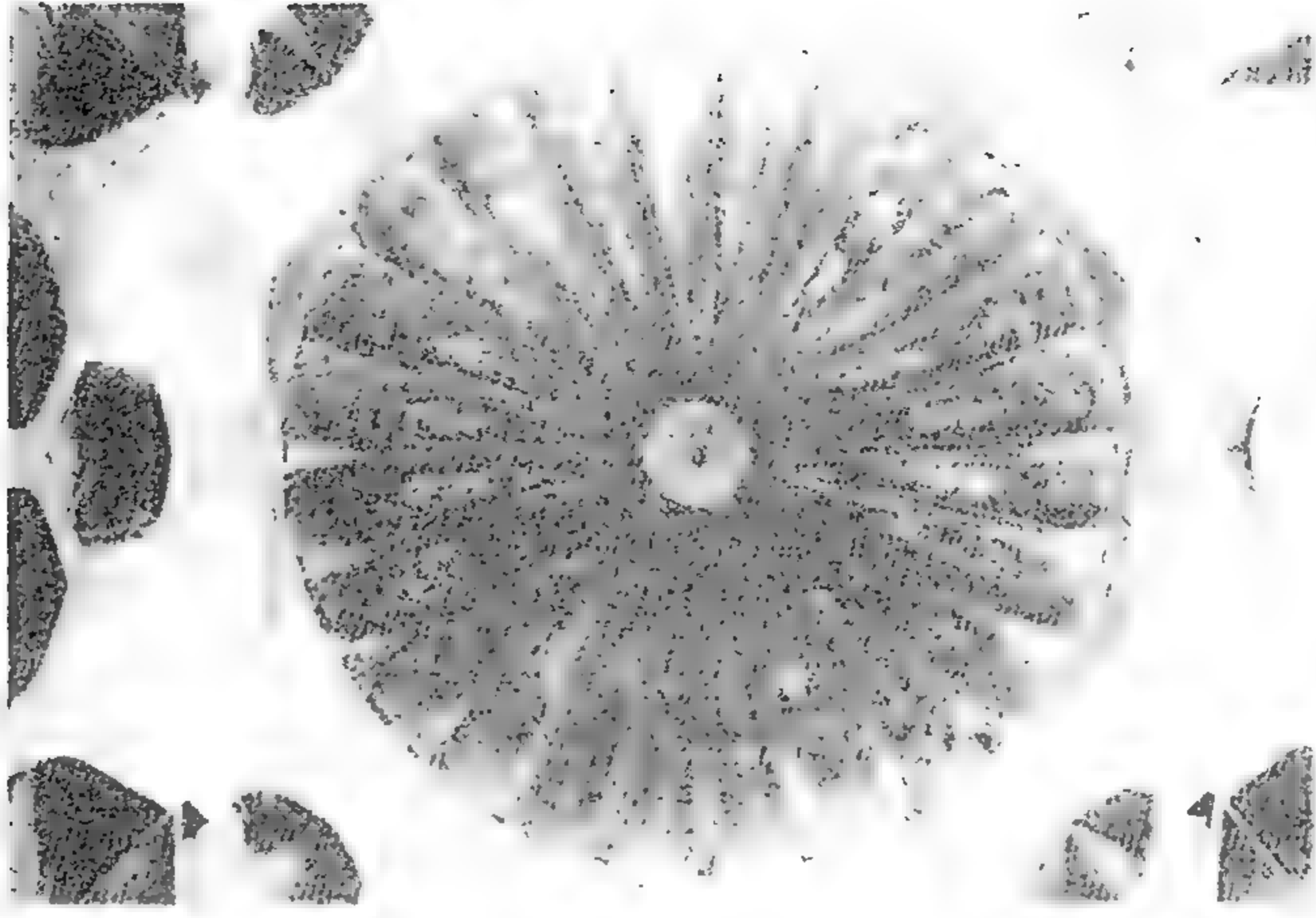


أ - الواجهة الشمالية الغربية .

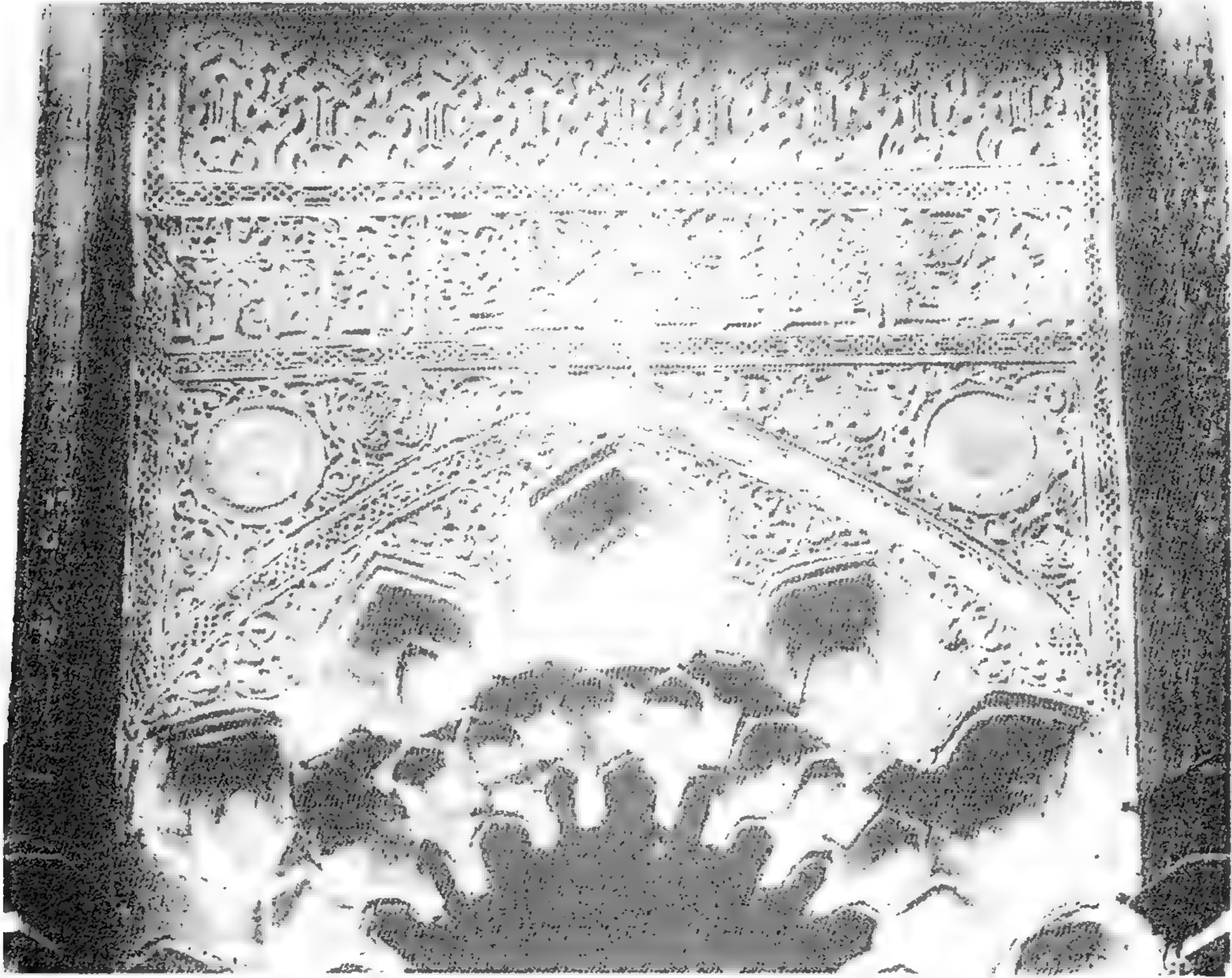


ج - رقبة القبة وبها نقش كتابي ملون مؤرخ .

(لوحة رقم ٨٦) مشهد السيدة رقية ، ٥٥٢٧ / ١١٣٣ م .

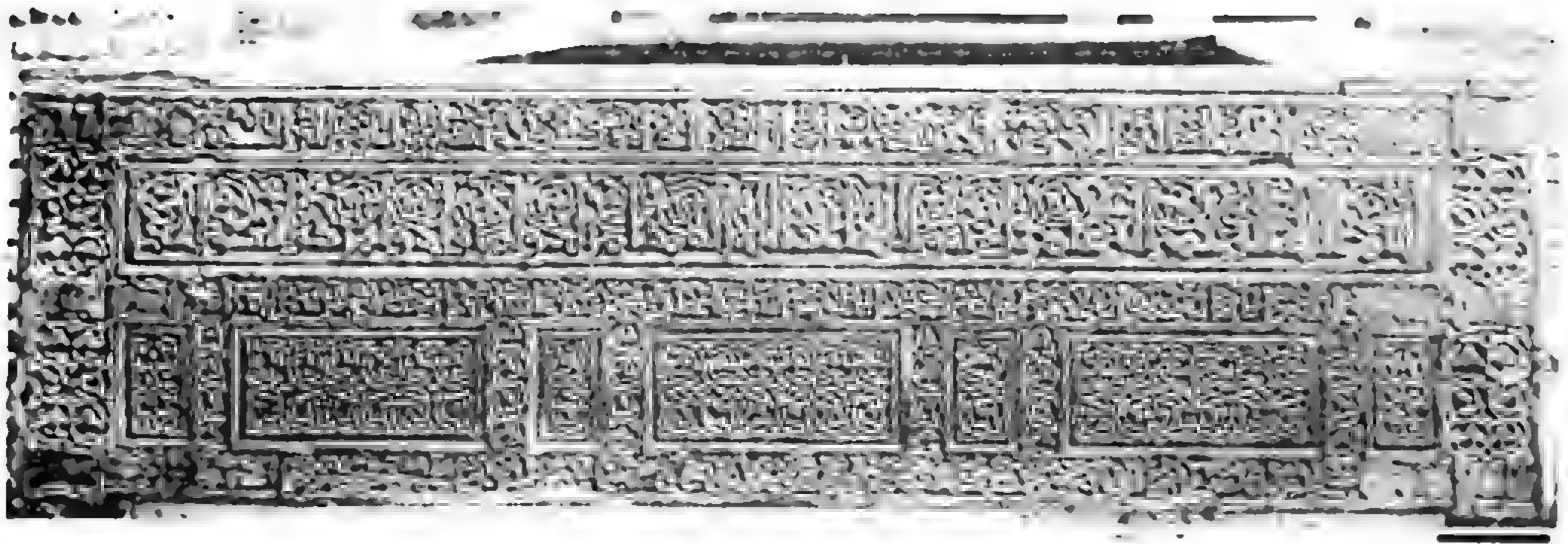


أ - منظر رأسي للقبة المفصصة (باطن القبة) .

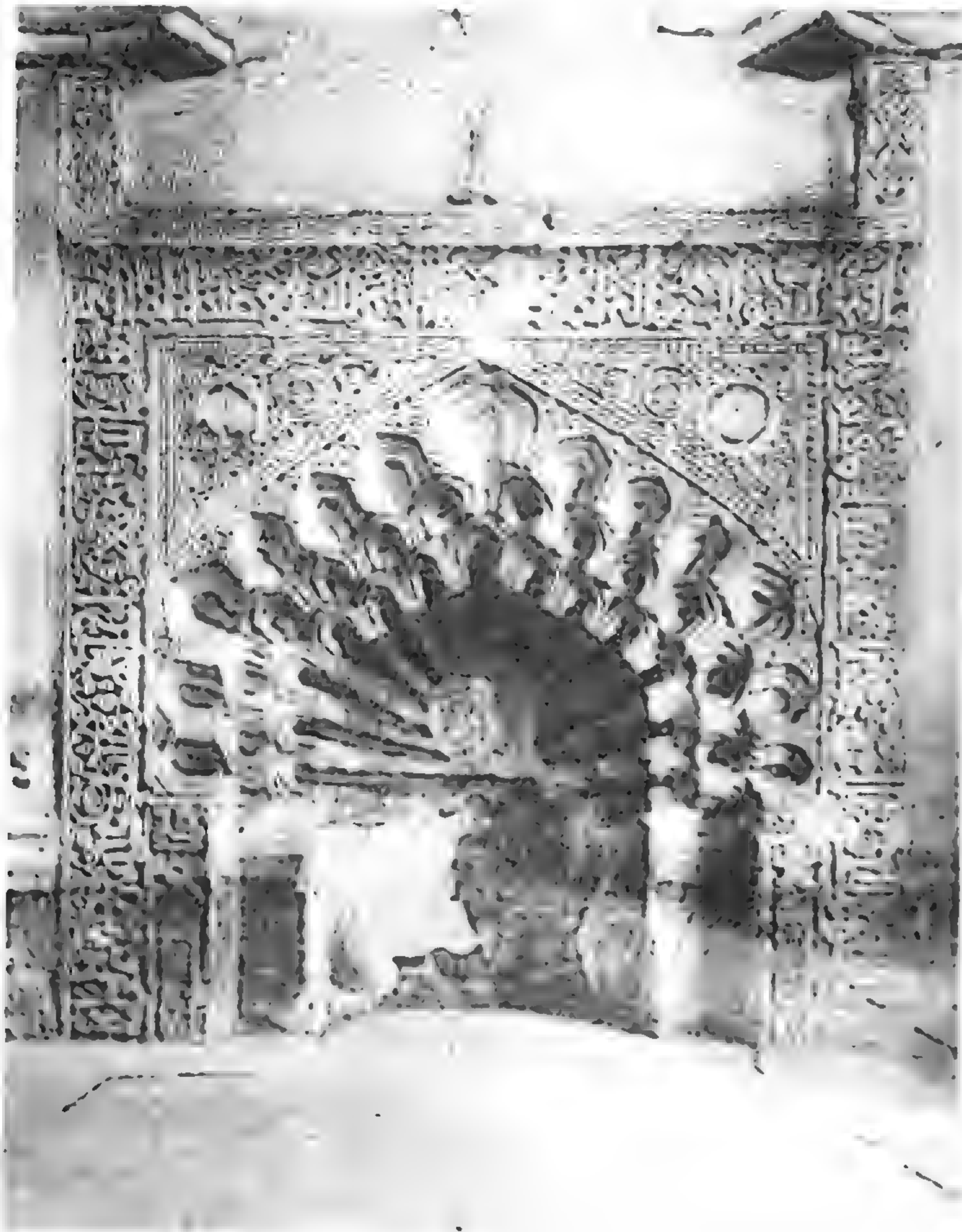


ب - تفصيل من المحراب .

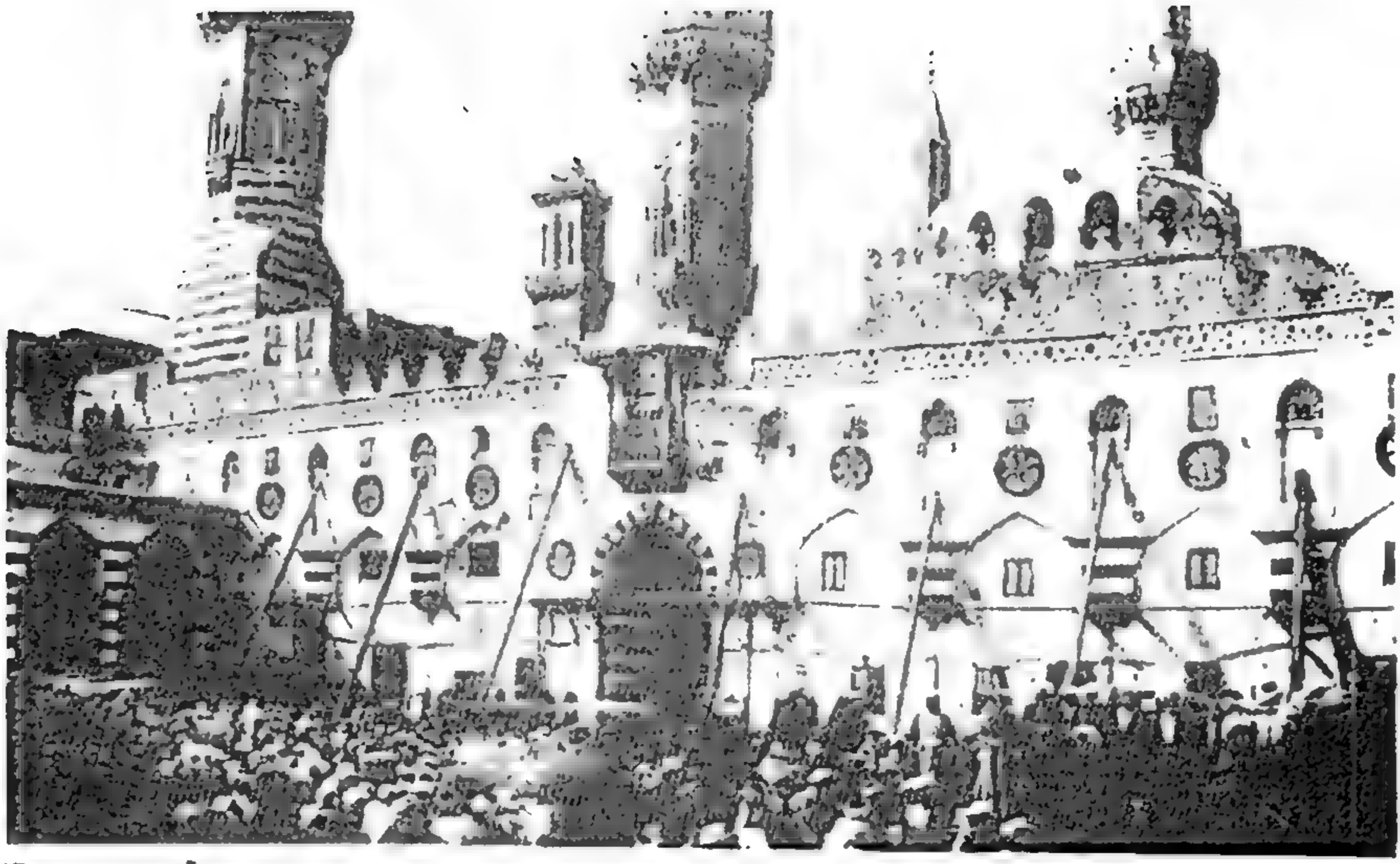
(لوحة رقم ٨٧) مشهد السيدة رقية : ٥٢٧هـ / ١١٣٣م .



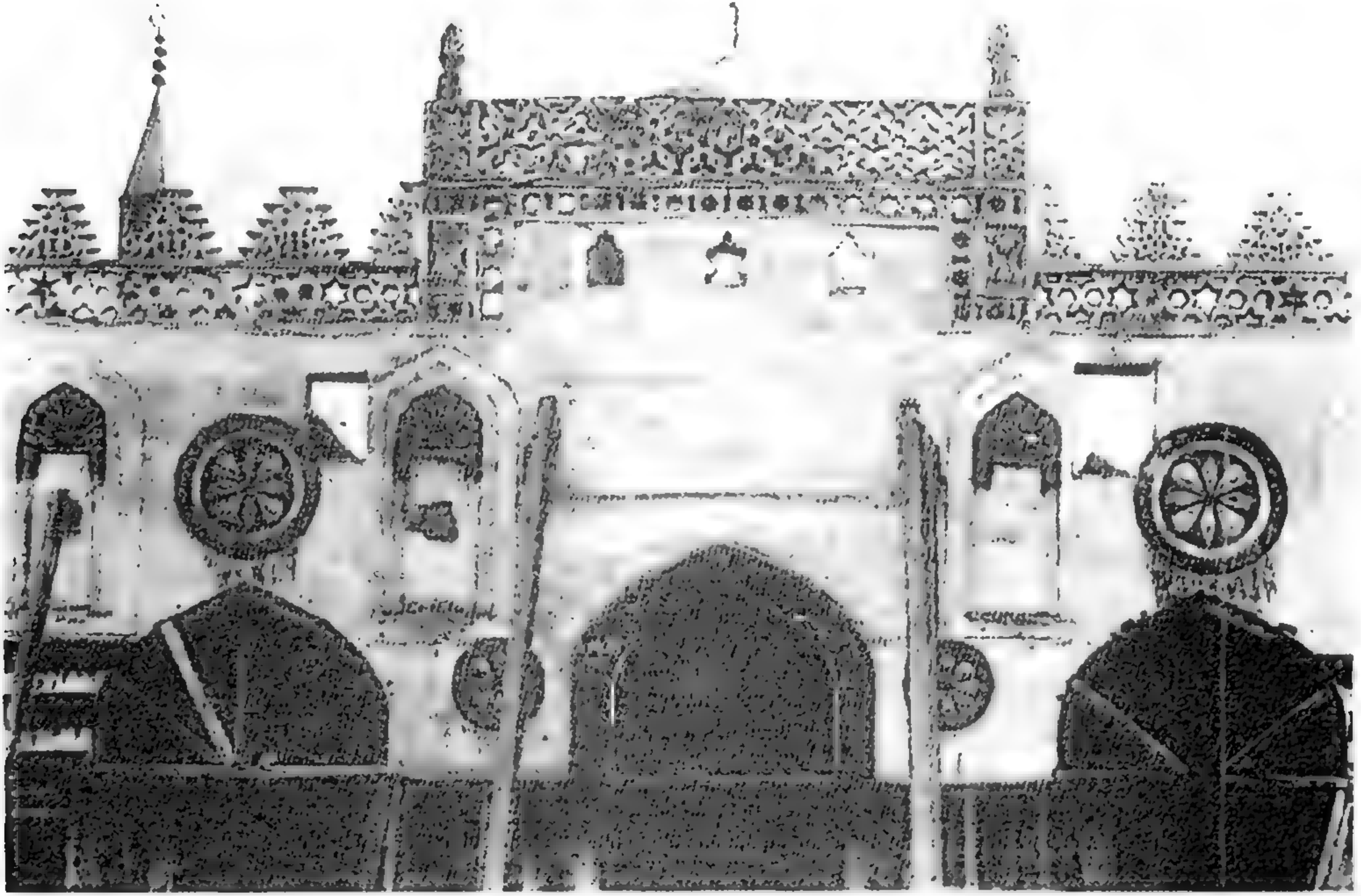
١ - مشهد السيدة رقية ، التابوت الخشبي ١١٣٩/ ٥٥٣٣ م .



ب - ضريح محمد الحسواتي ، المحراب .

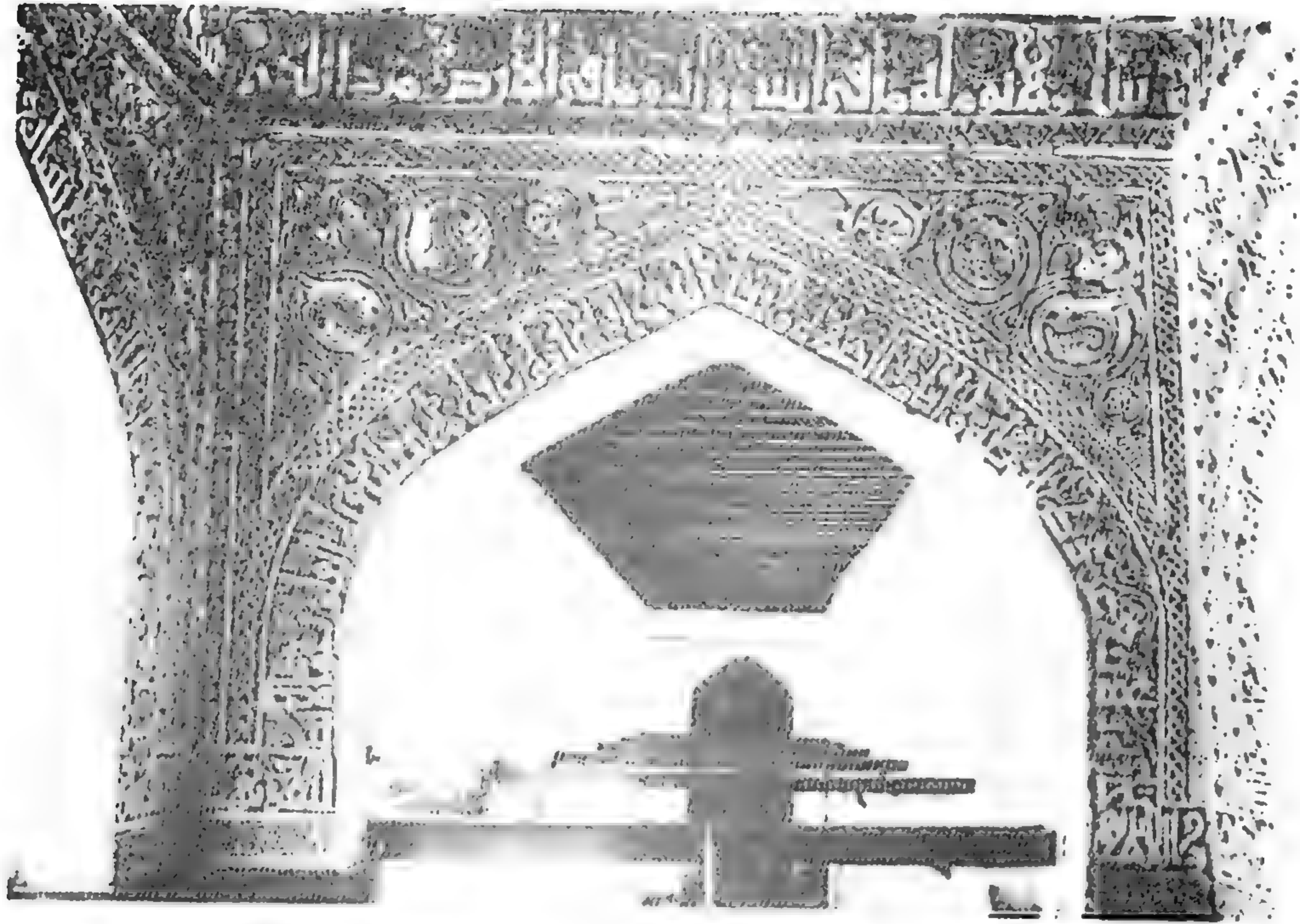


أ - الصحن ، الواجهة الشمالية الغربية قبل أعمال ١٨٩١ م . (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .

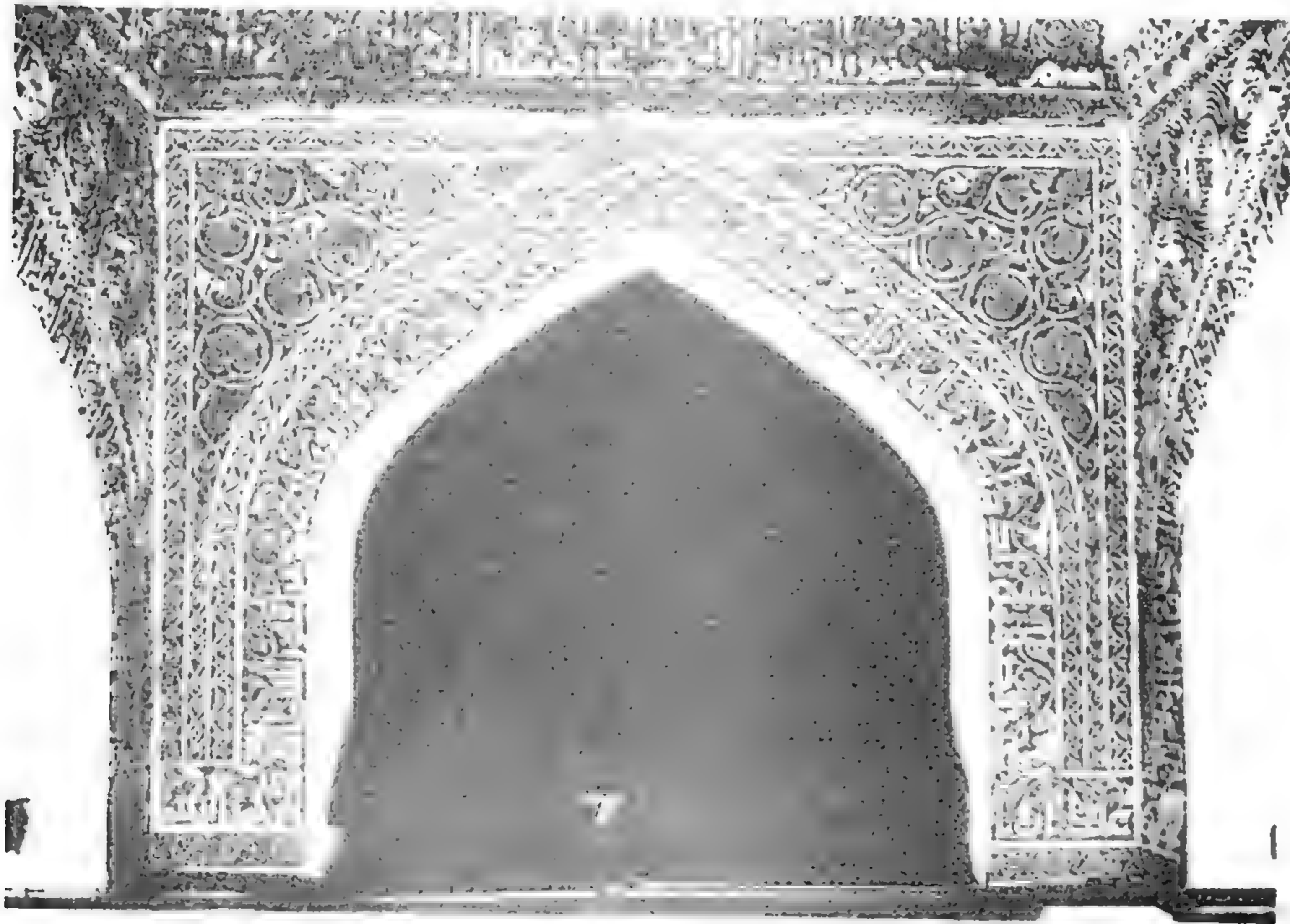


ب - الصحن ، الجزء الأوسط للواجهة الجنوبية الشرقية قبل أعمال عام ١٨٩١ م .
(عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .

(لوحة رقم ٨٩) جامع الأزهر .

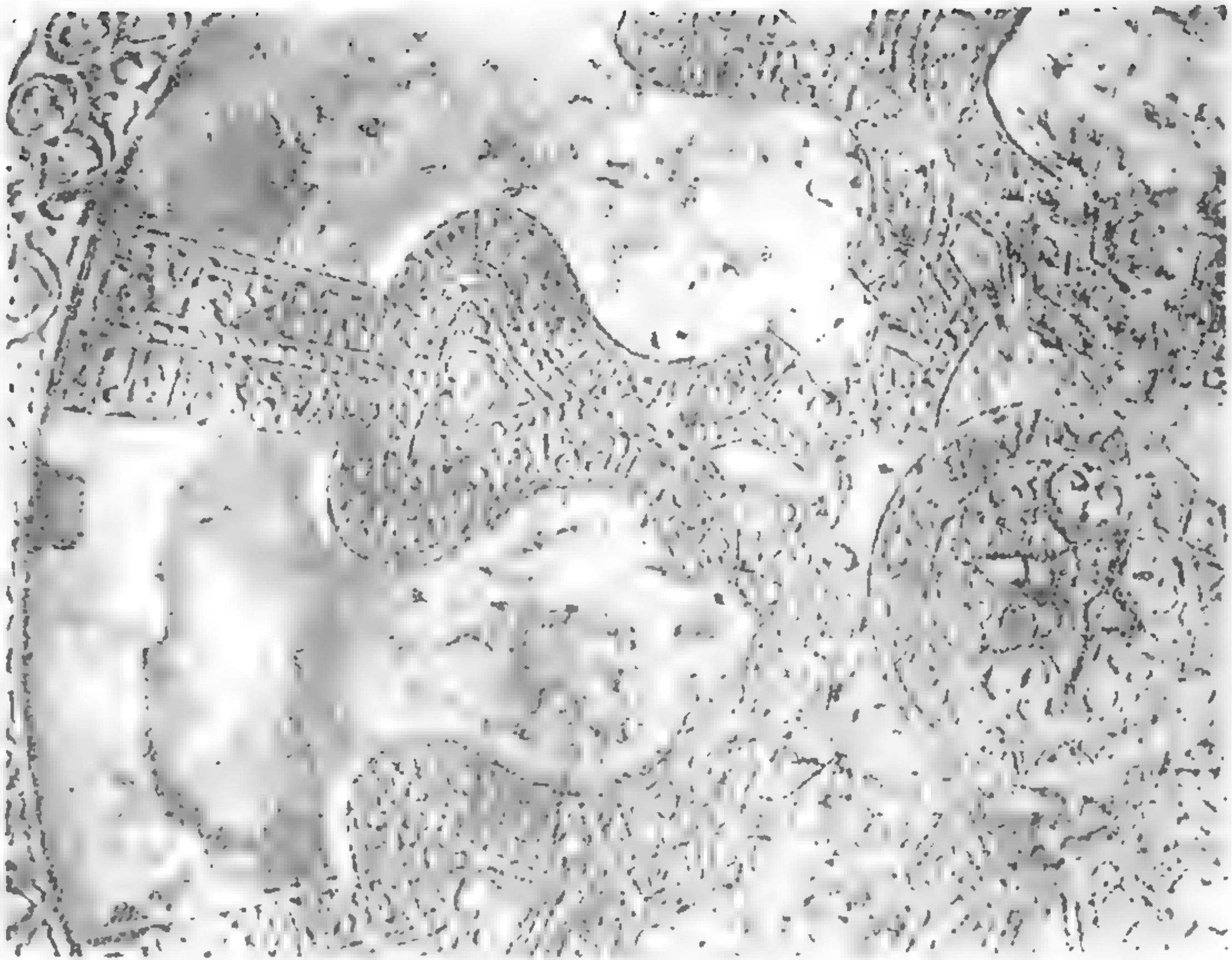


أ - زخرفة العقد الأيسر الذي يحمل القبة عند مدخل المجاز القاطع .

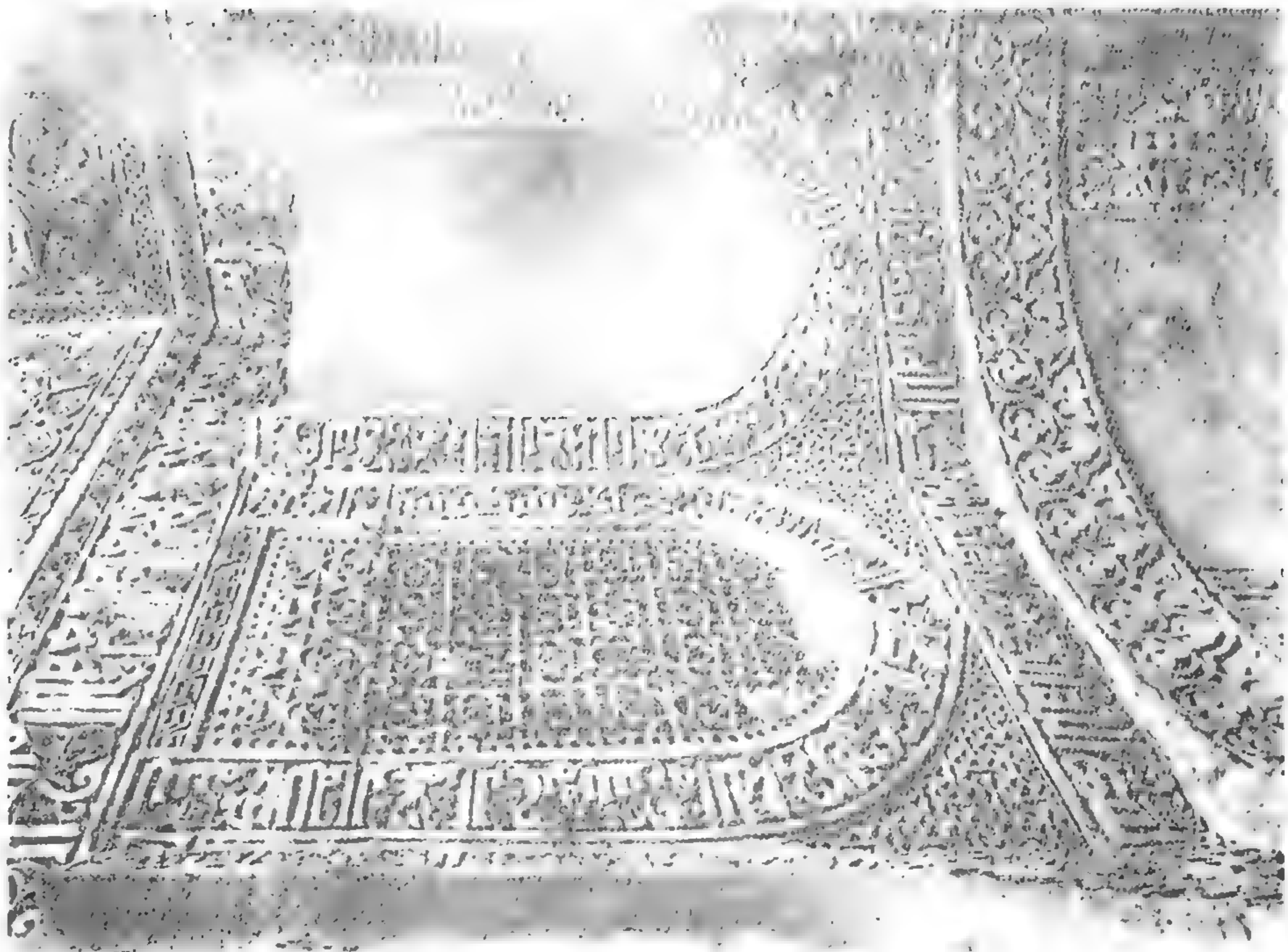


ب - زخرفة العقد الذي يحمل القبة ويفتح على المجاز القاطع .

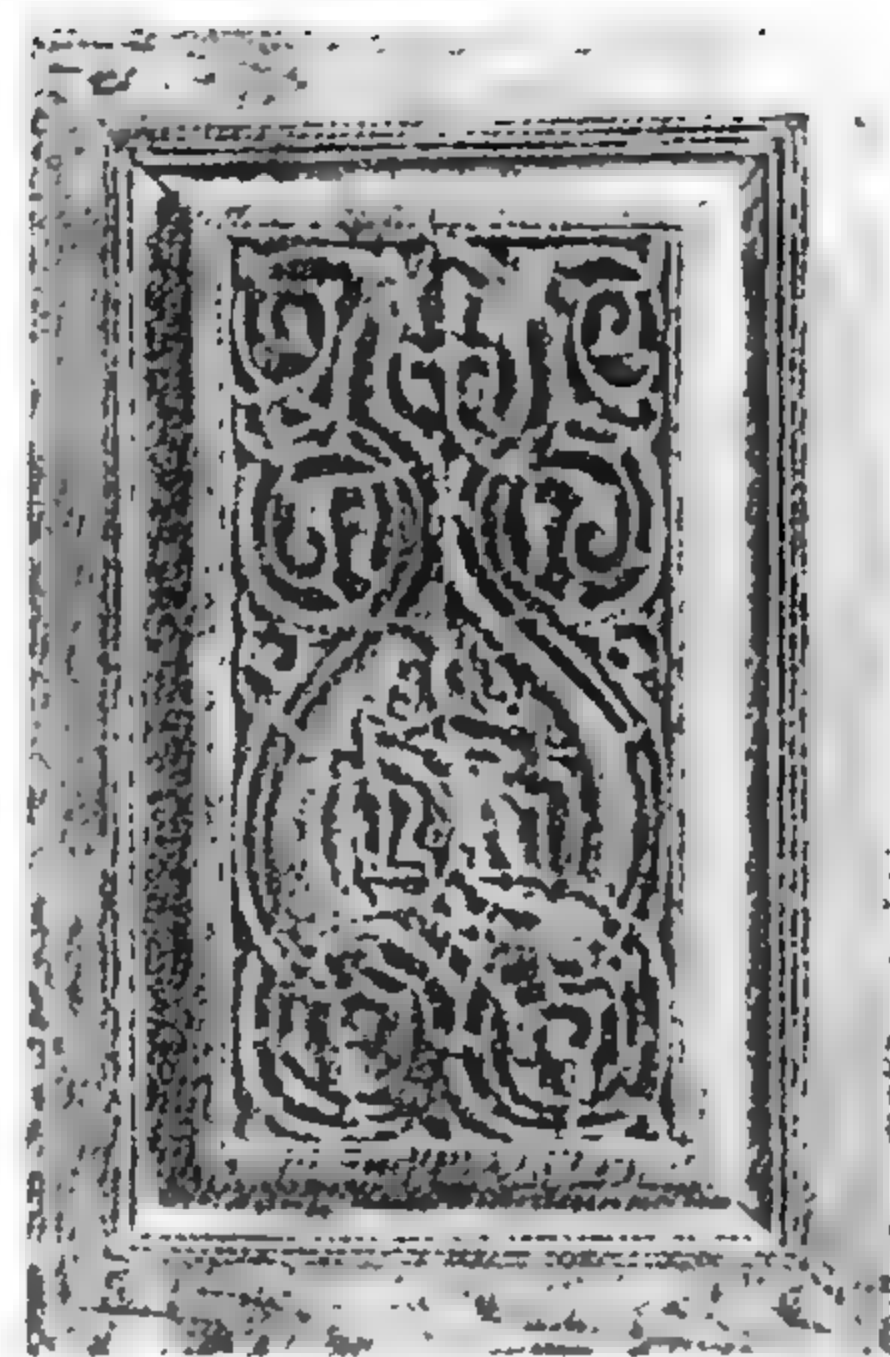
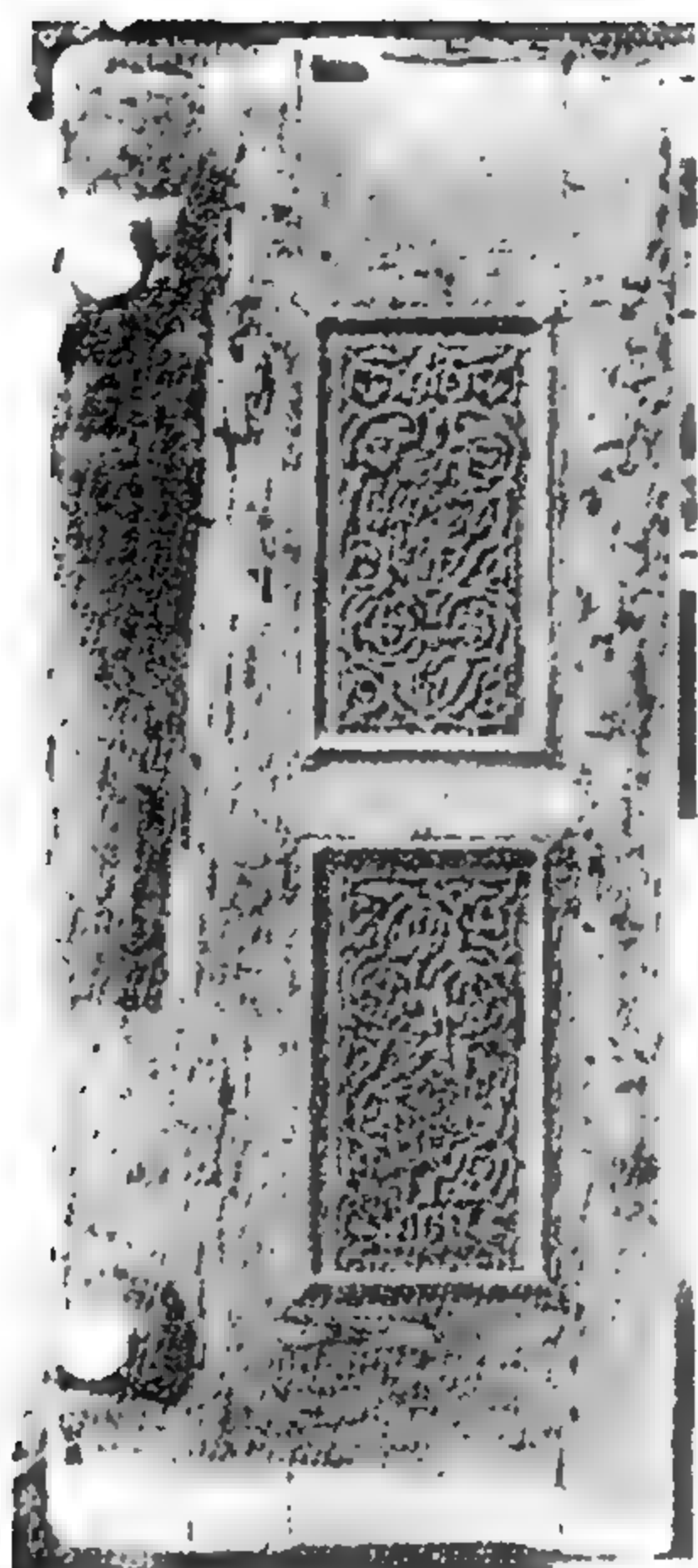
(لوحة رقم ٩٠) جامع الأزهر .



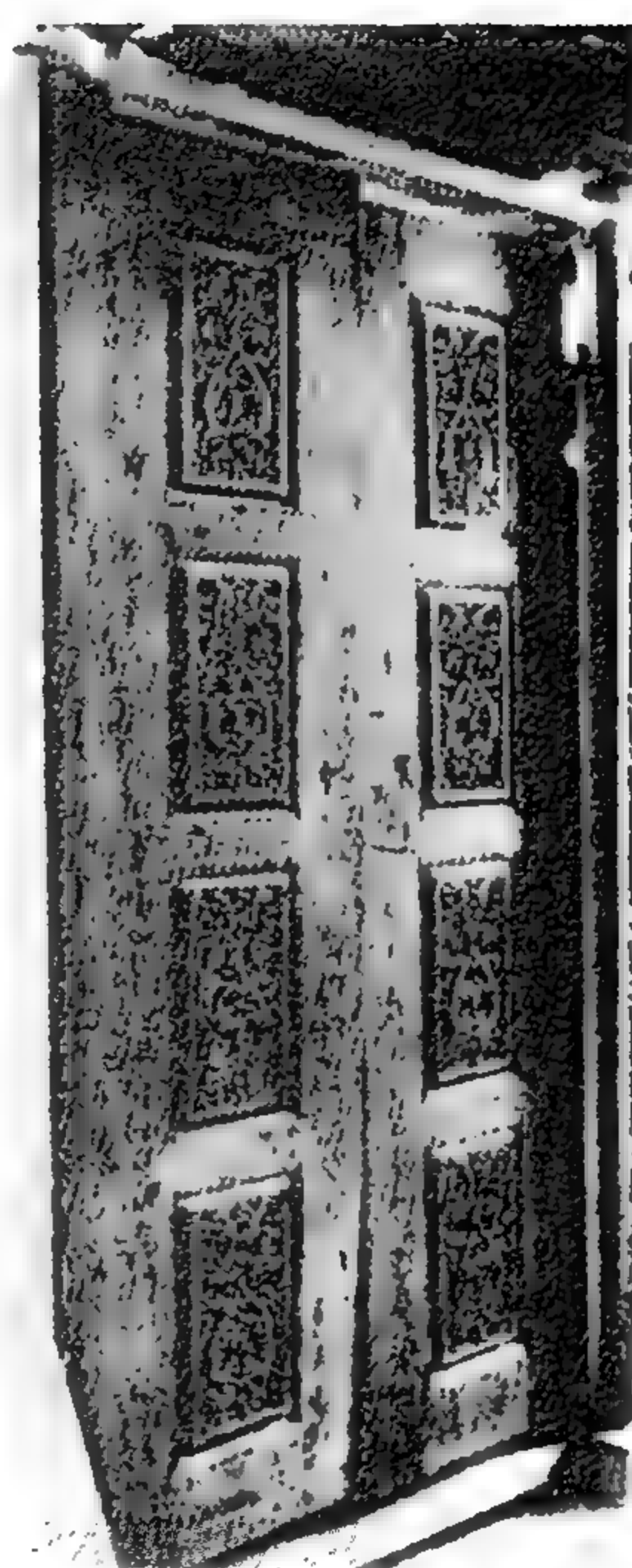
أ - زخرفة قبة الجوسق
(قبة البهو) في النهاية الشمالية للمجاز القاطع .



ب - الجوسق ذي القبة (قبة البهو) في النهاية الشمالية للمجاز ، منطقة الانتقال .

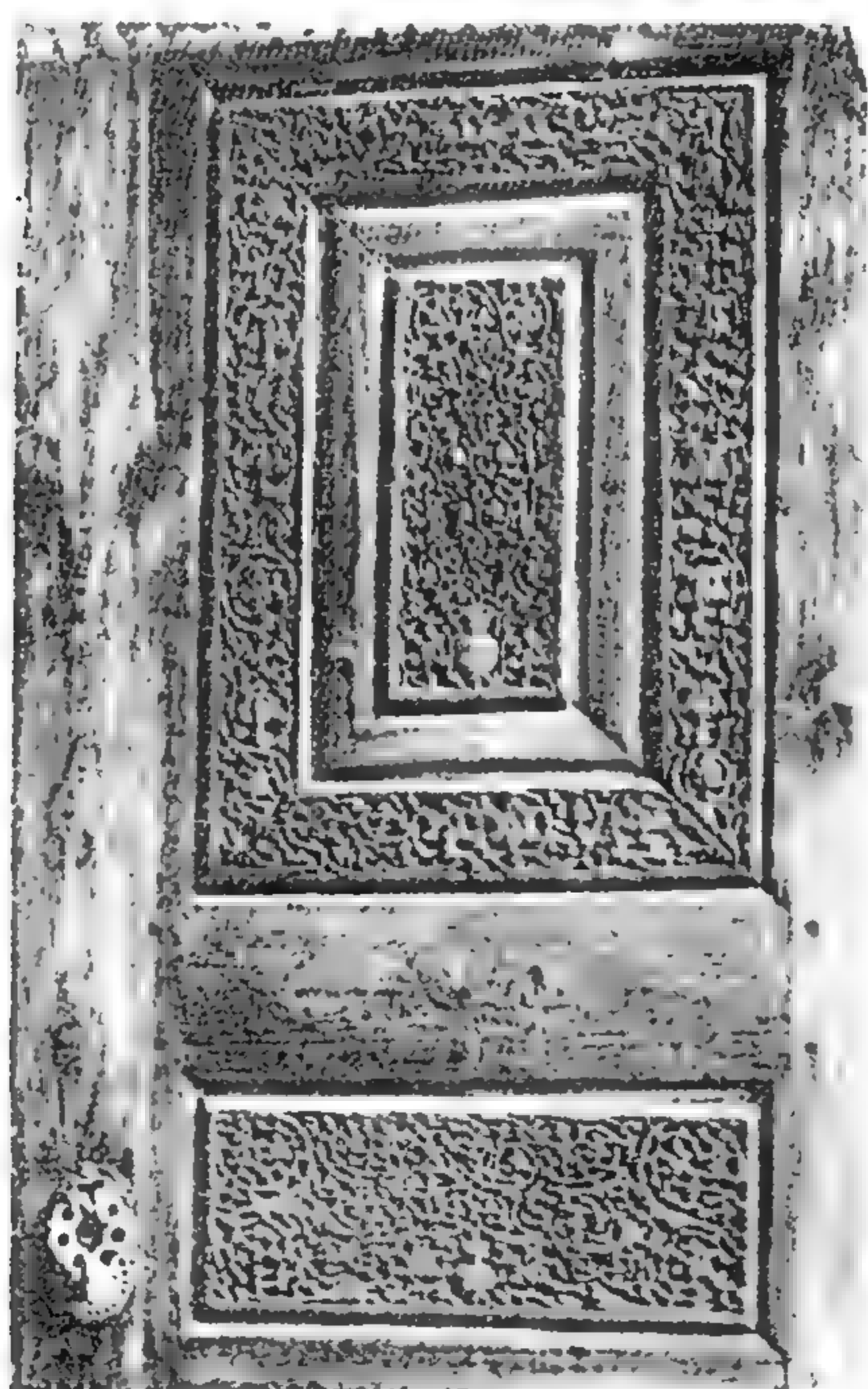


ب - تفصيل من أ .

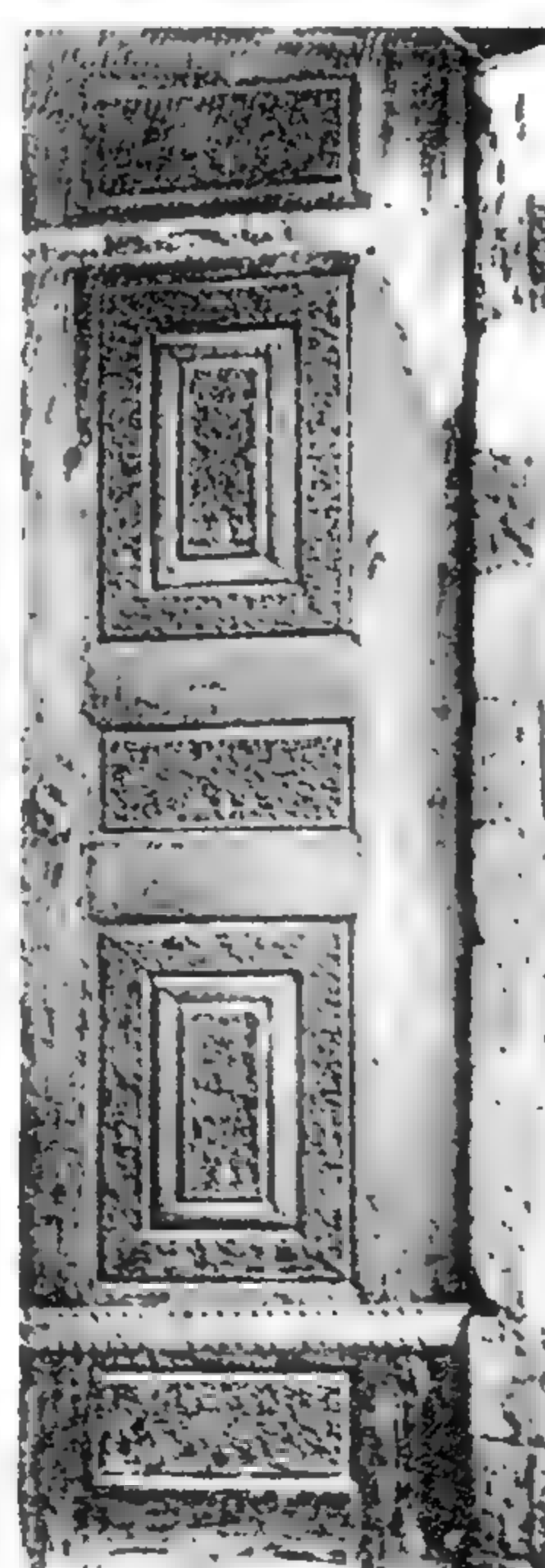


أ - باب من ضريح
السيدة نفيسة ٥٣٢هـ / ١١٣٨م .

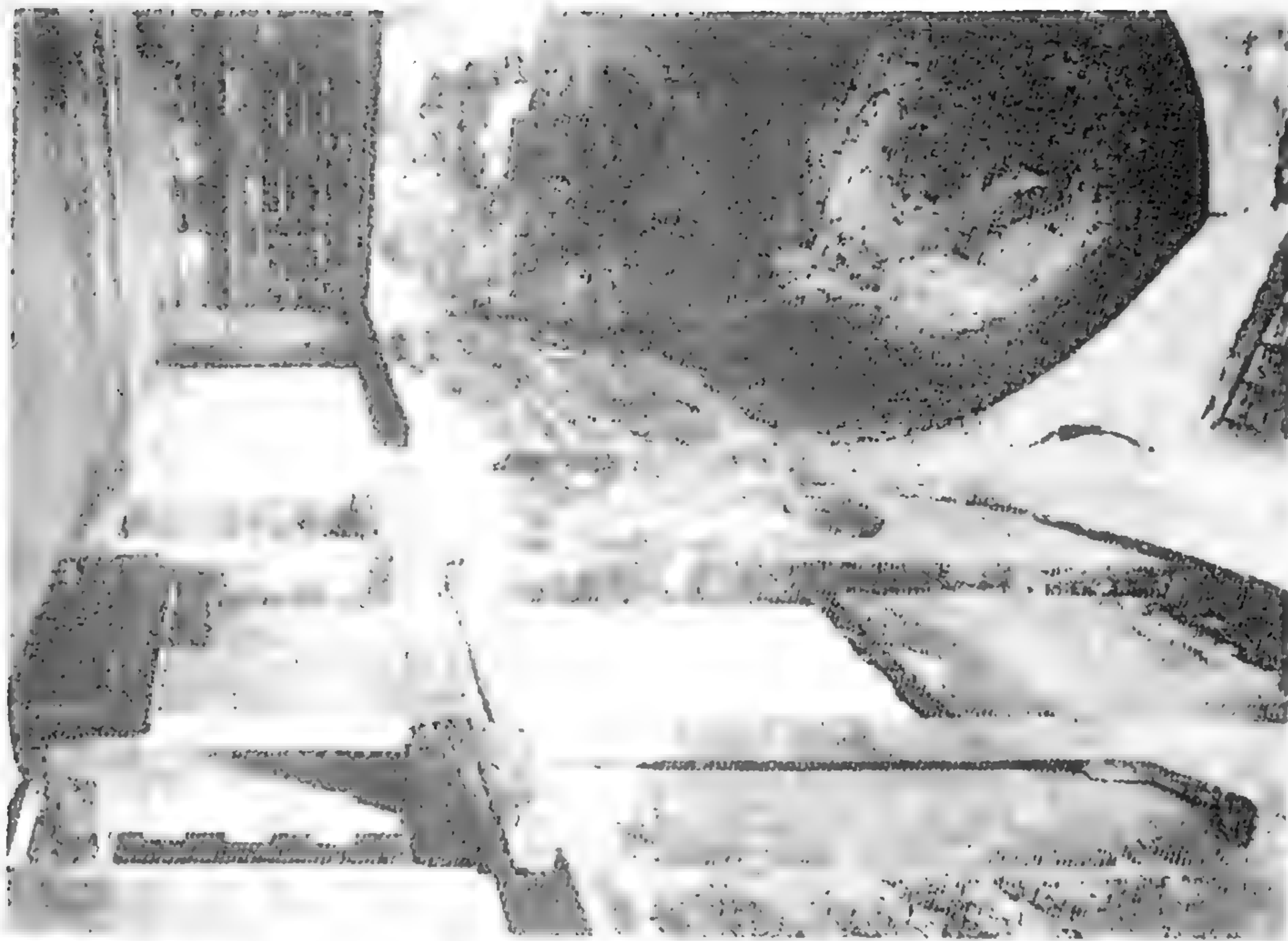
ج - الجزء السفلي لباب
من ضريح السيدة نفيسة
(عن ، لجنة حفظ الآثار العربية) .



هـ - تفصيل من د .



د - مسجد الفكهاني ،
فردة باب ٥٤٣هـ / ١١٤٨م .

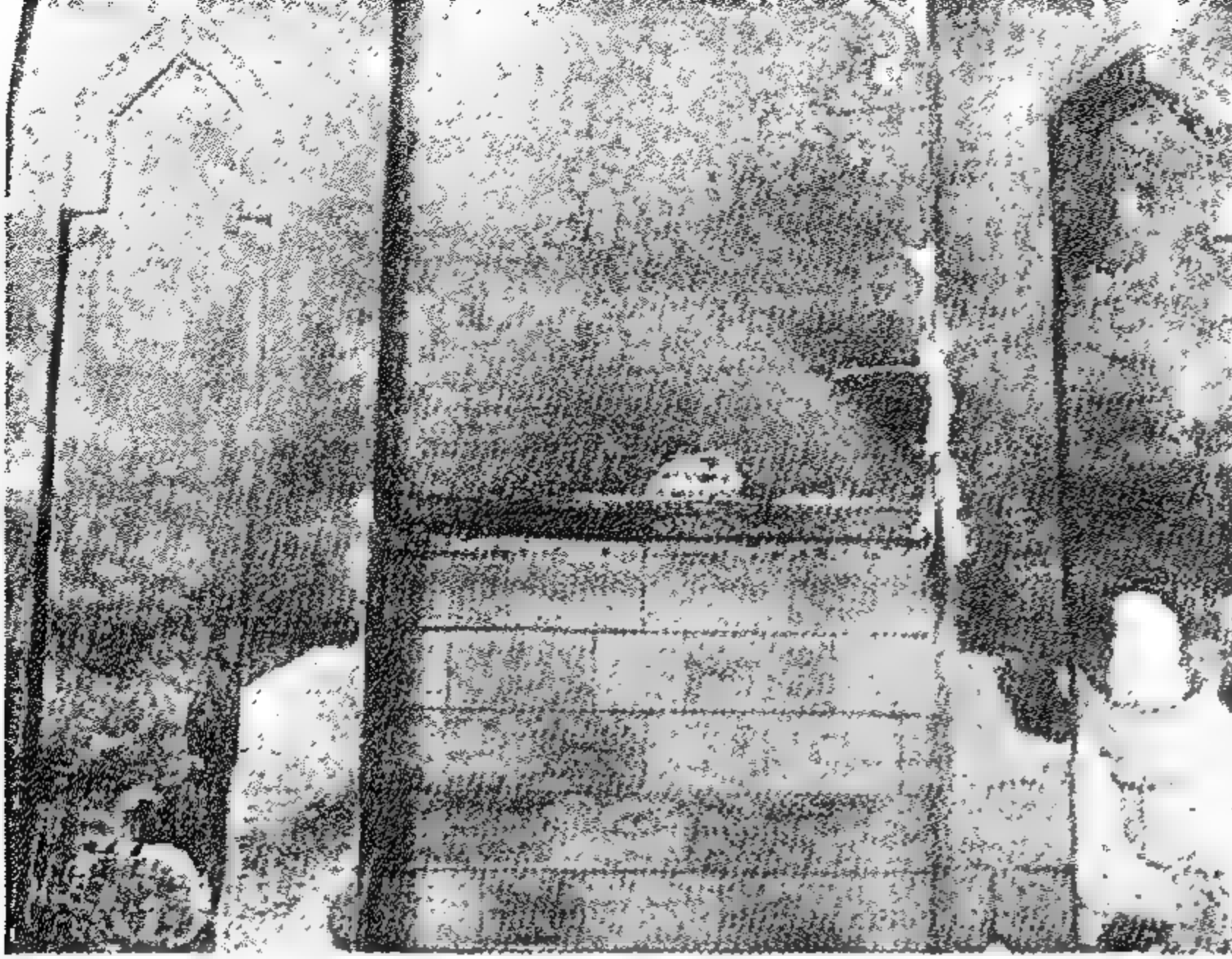


ب - الأيوان الجنوبي .

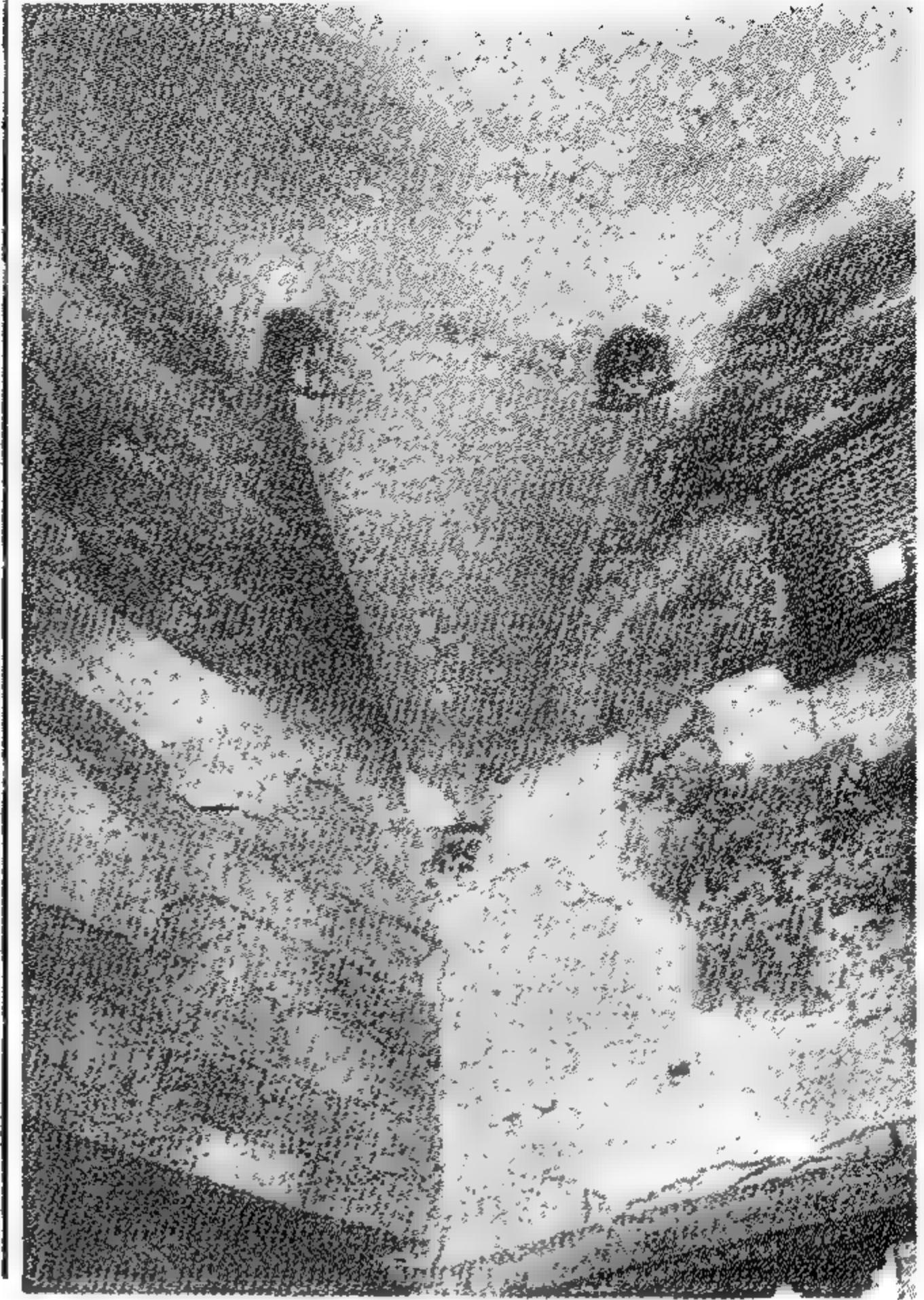


أ - الأيوان الجنوبي .

(لوحة رقم ٩٣) قاعة الدردير .



ب - معالجة الحوائط الجانبية (أنظر لوحة ٩٣ ب) .

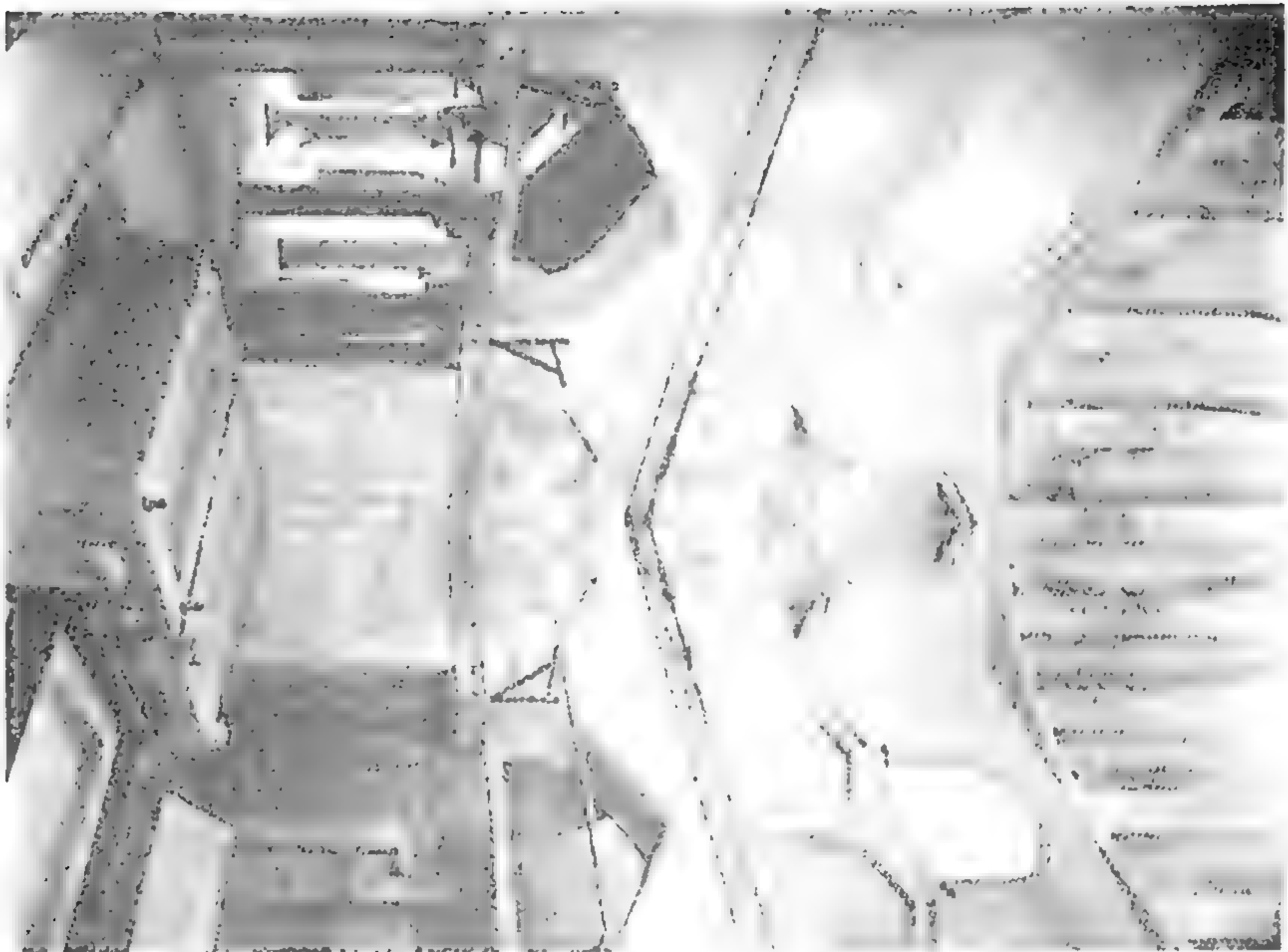


أ - موضع نصف القبة في الايوان الجنوبي .



ج - نقش كتابي كوفي على أفريز خشبي في الدخلة الشرقية .

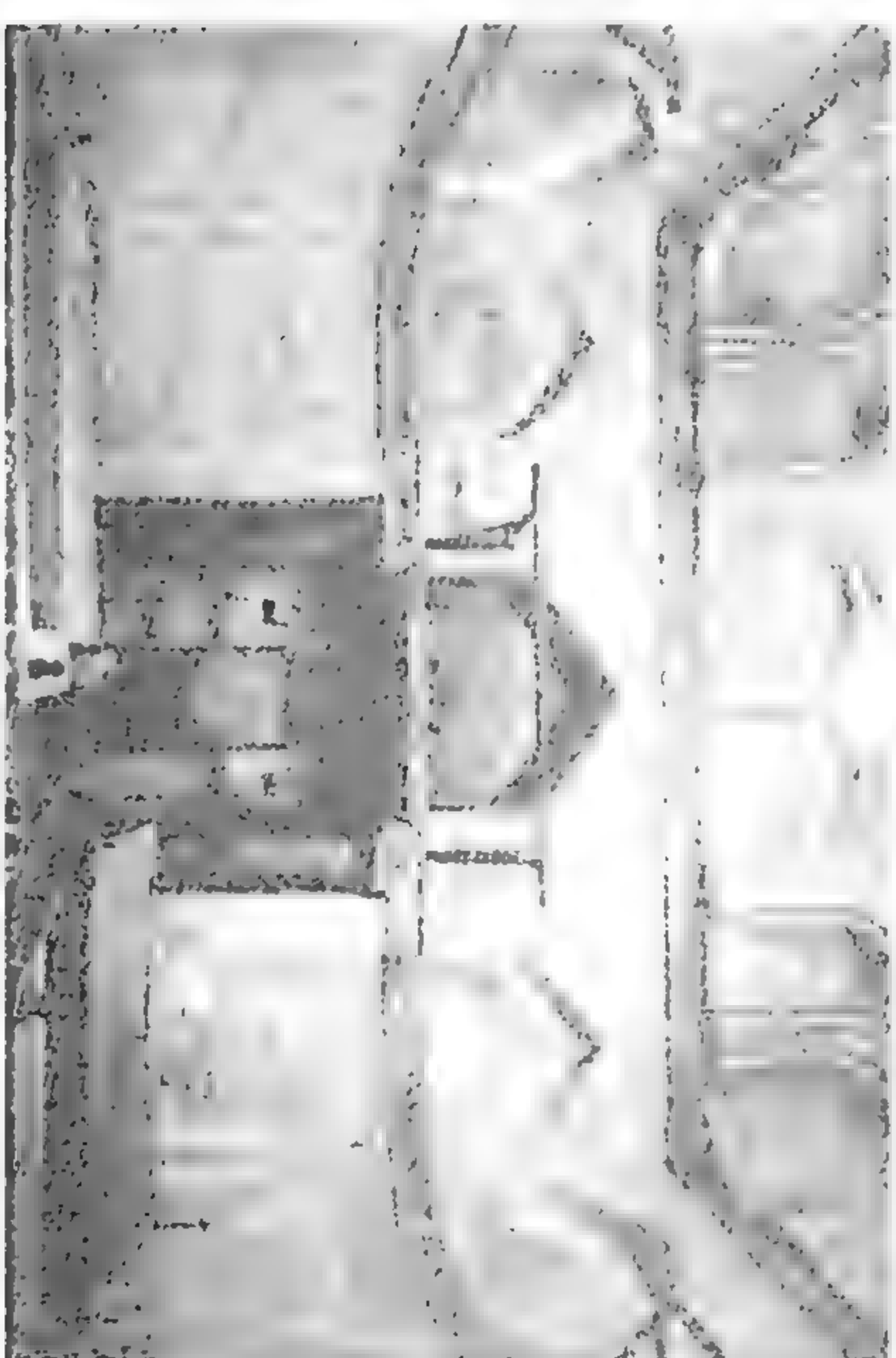
(لوحة رقم ٩٤) قاعة الدردير .



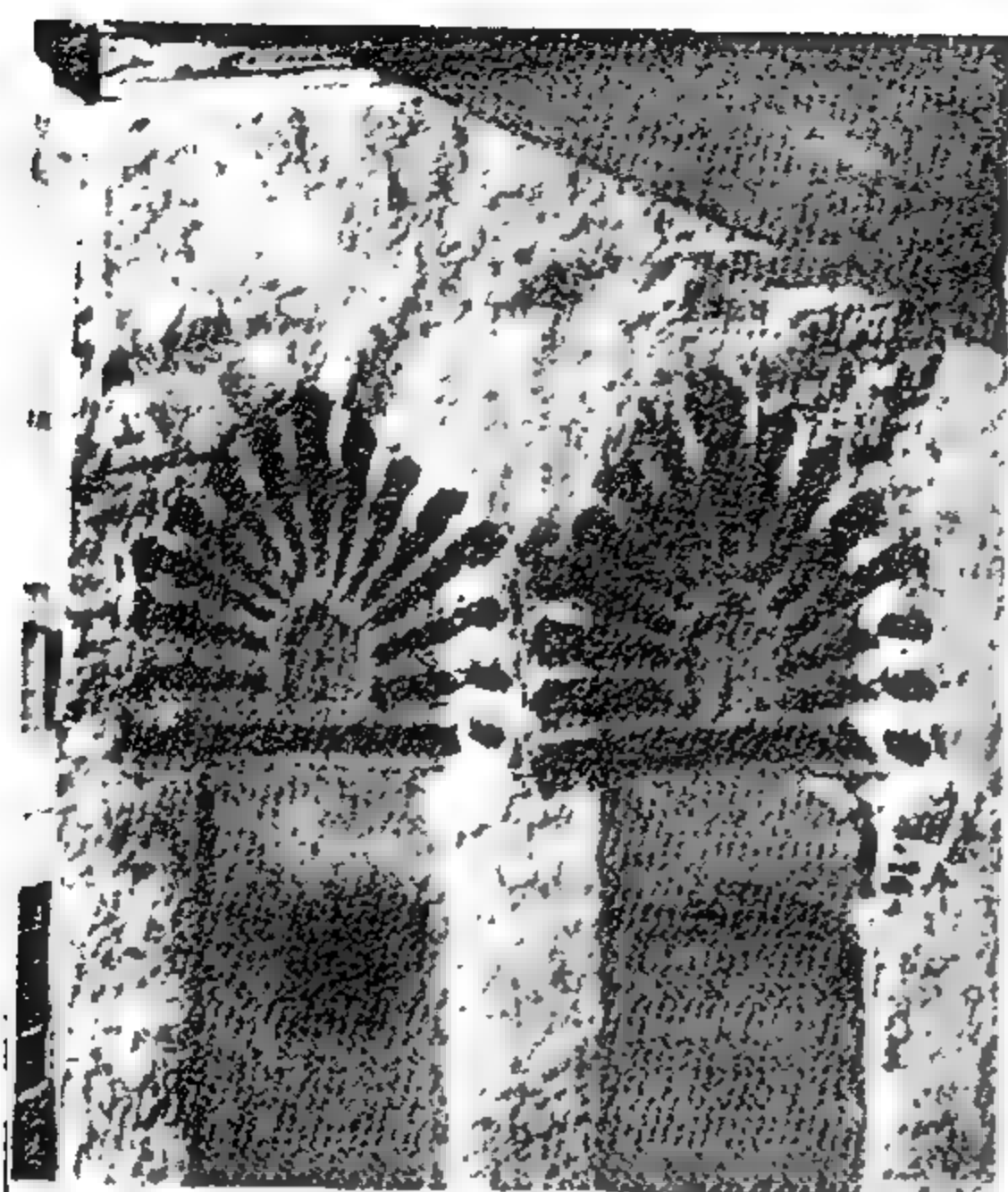
أ - داخل الضريح ، تجاه الشرق .



ج - داخل الضريح تجاه المذبح .



ب - داخل الضريح ، تجاه الجنوب الشرقي .



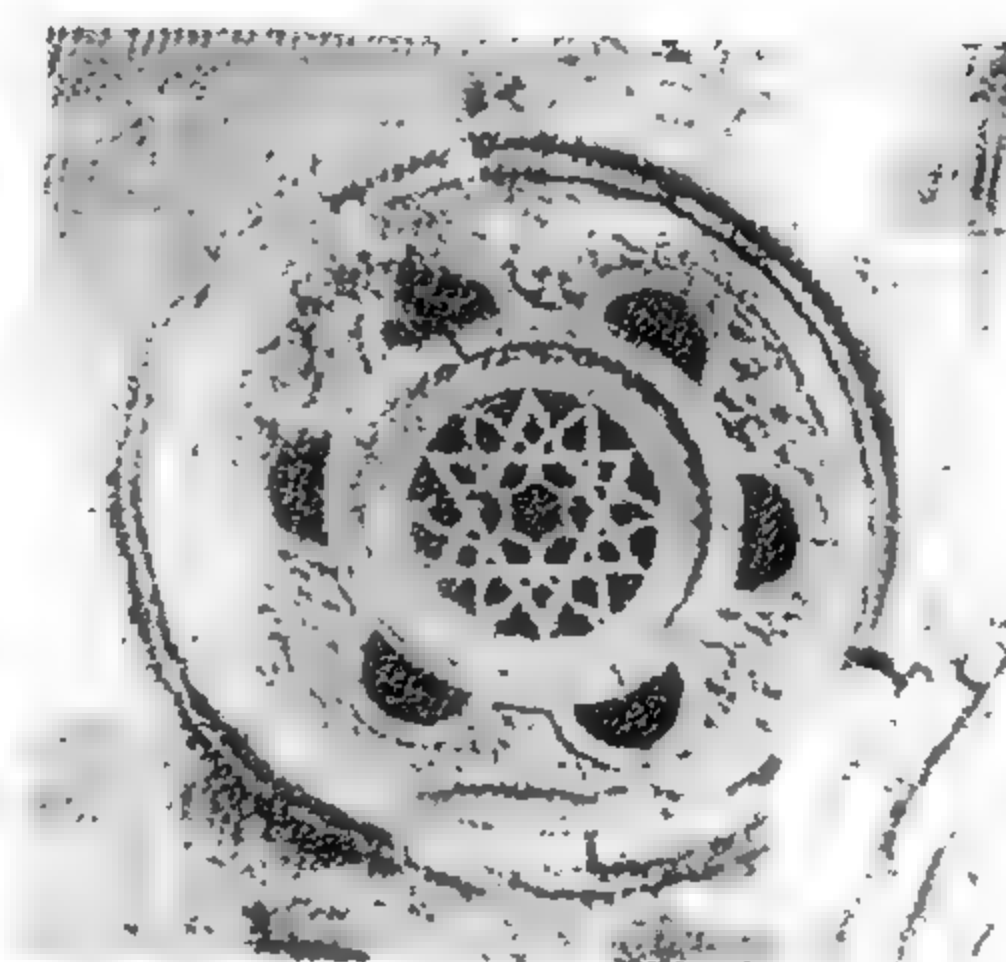
ب - متذنة أبو الفضل، حشوات زخرفية
في الجانب الشمالي الشرقي .



أ - ضريح (مشهد) يحيى الشبيه :
الملحق ، (تجاه الشمال) .



د - الباب الأخضر (جزء من مشهد سيدنا الحسين)
١١٥٣م / ٥٤٨هـ .



ج - تفصيل للجامعة في د .



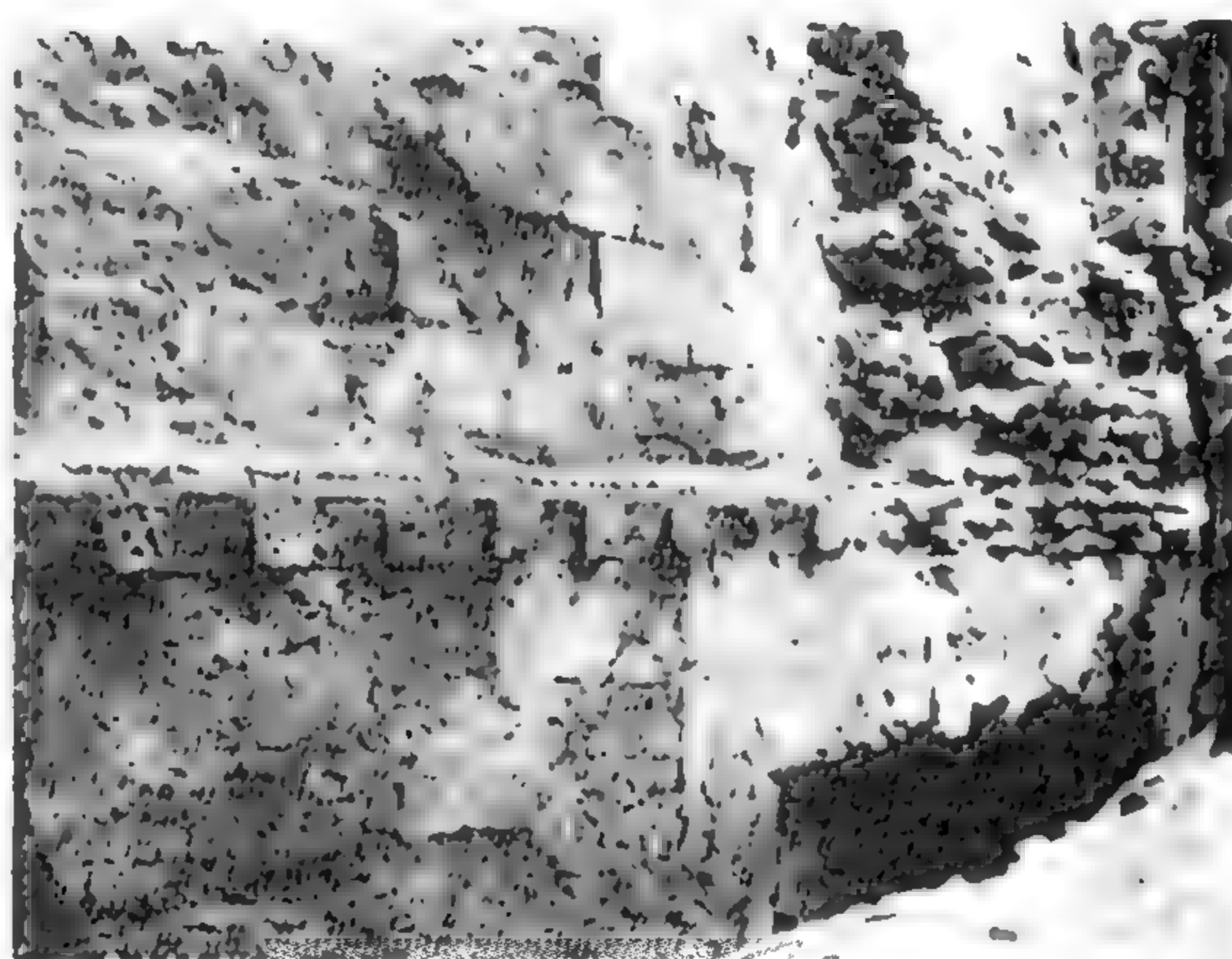
ب - الواجهة الشمالية الغربية
بعد إزالة المنازل وحفائر الطابق السفلي .



أ - حالة المسجد في عام ١٩١٧م
كما يشاهد من فوق باب زويلة .



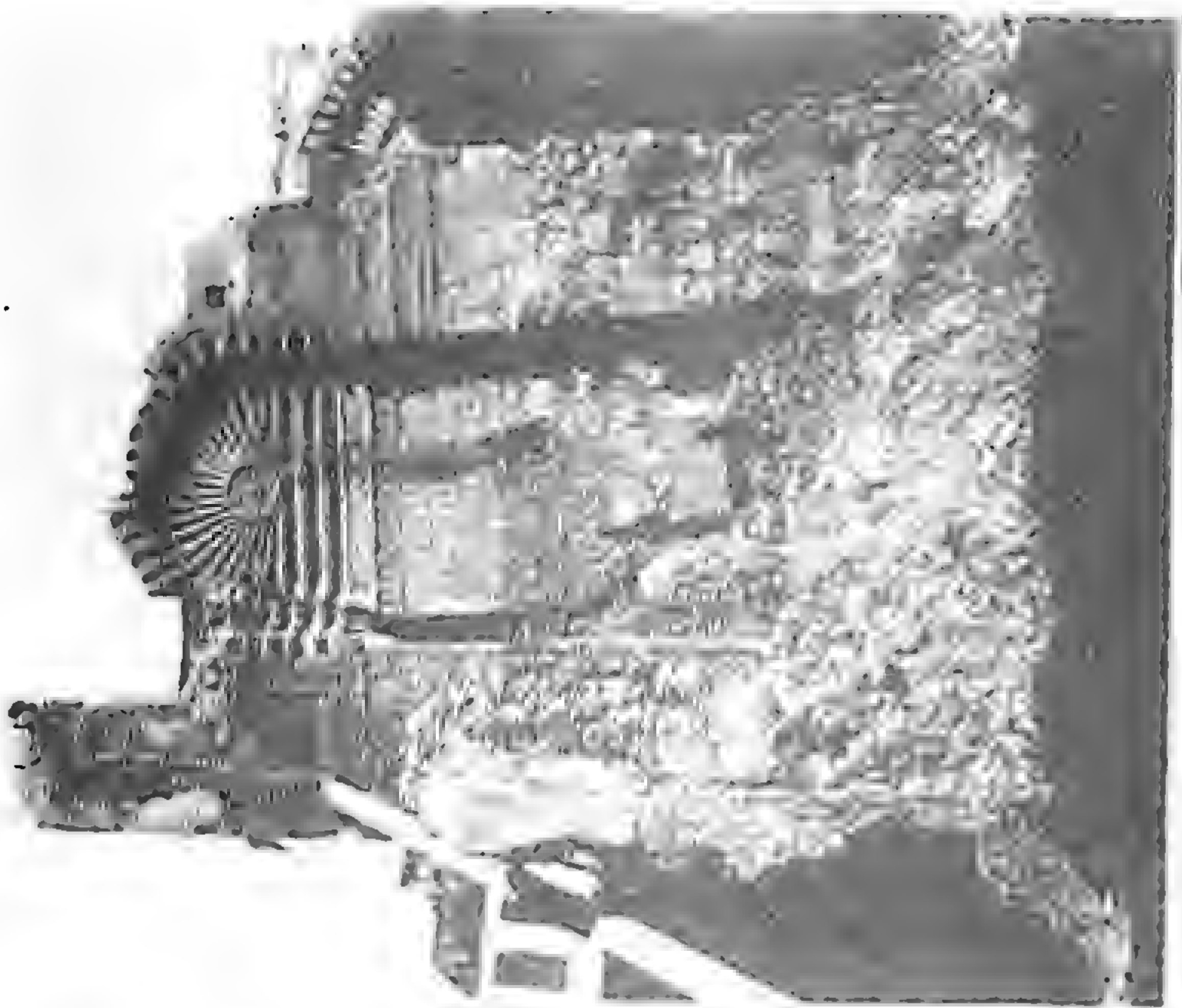
د - الواجهة الشمالية الشرقية ،
نافذة الدعامة الثانية من الركن الشمالي .



ج - الجانب الشمالي الشرقي ،
الطوق الحجري المزخرف
فوق الحوائط في المستوى الأرضي للمسجد .



ب - الواجهة الشمالية الغربية . دعائم في نهاية السقيفة قبل إزالة أرضية المنزل
(عن ، لجنة حفظ الآثار العربية) .



أ - الواجهة الشمالية الغربية . دعامة إلى يسار السقيفة
(عن ، لجنة حفظ الآثار العربية) .

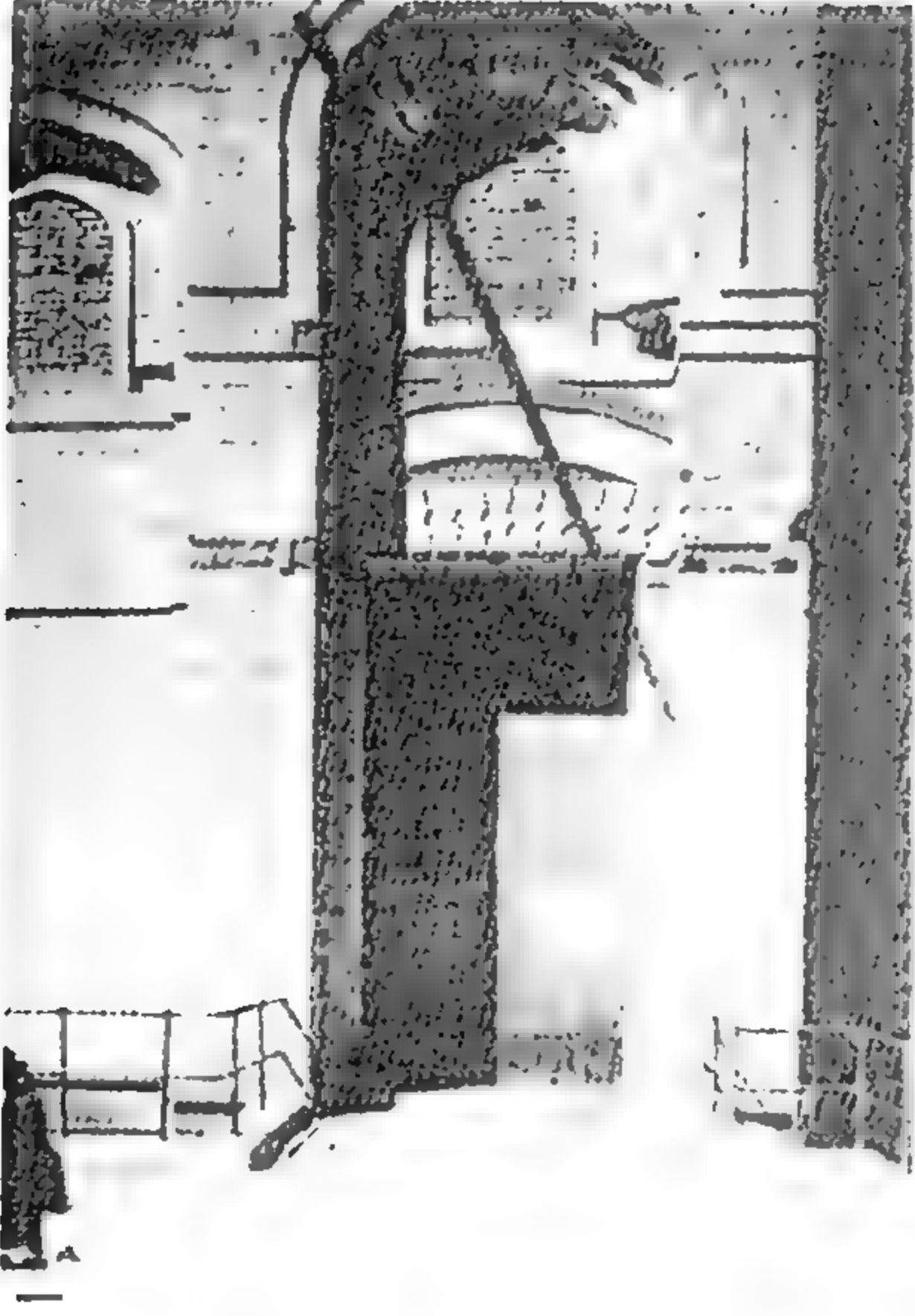


أ - الواجهة الشمالية الغربية بعد الترميم .

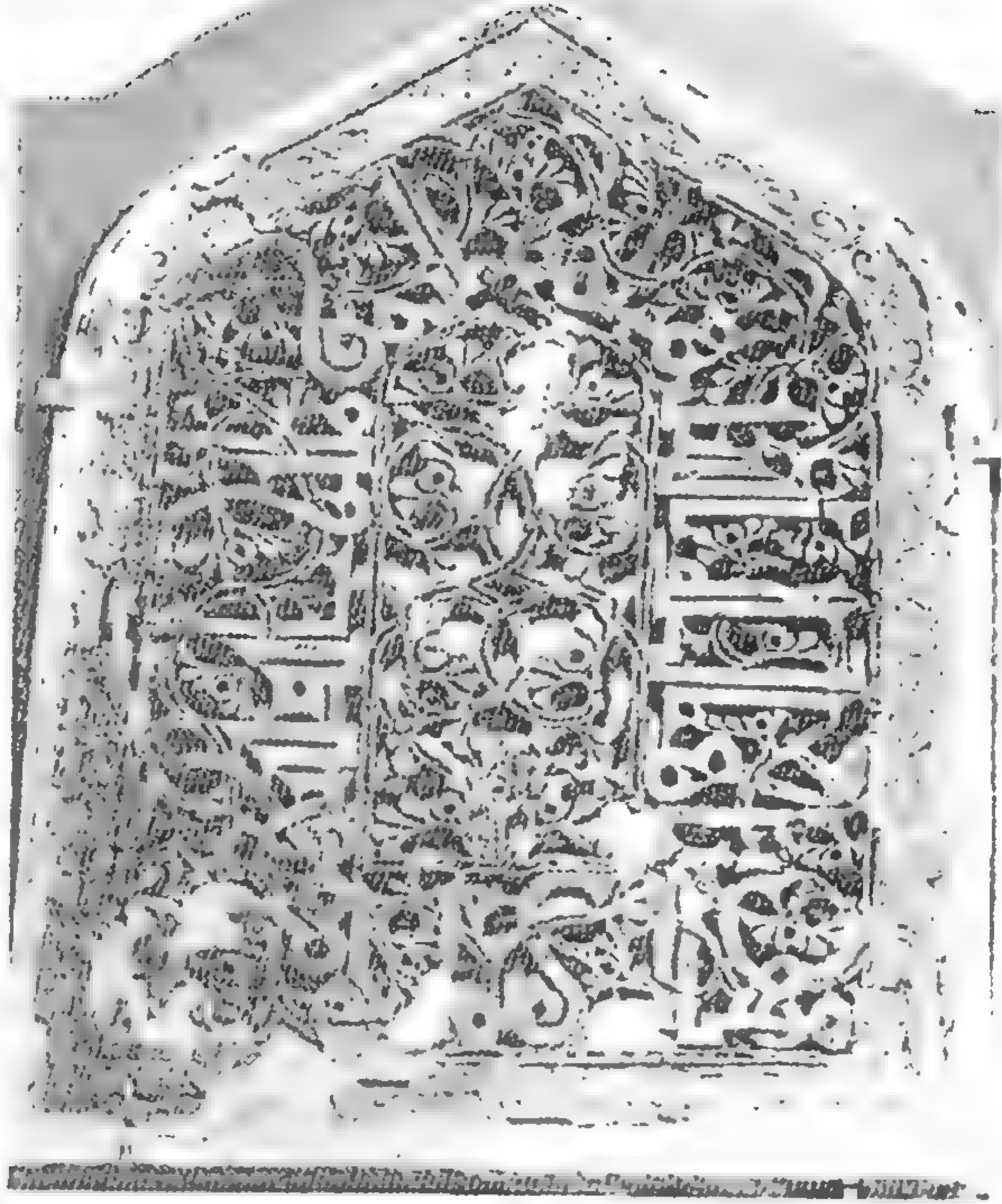


ب - الواجهة الشمالية الشرقية إلى اليمين من المدخل الجانبي بعد الترميم .

(لوحة رقم ٩٩) مسجد الصالح طلائع ، ٥٥٥٥ هـ / ١٩٦٠ م .



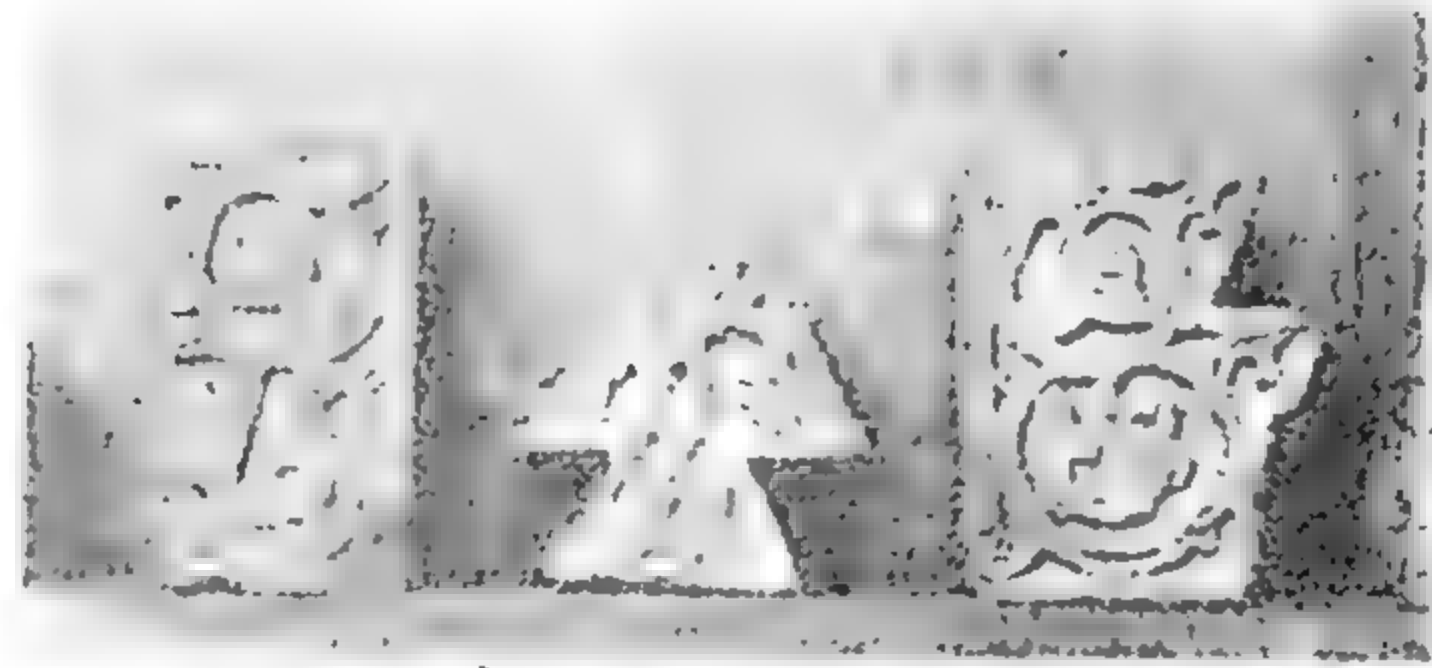
ب - المدخل الشمالي الشرقي .



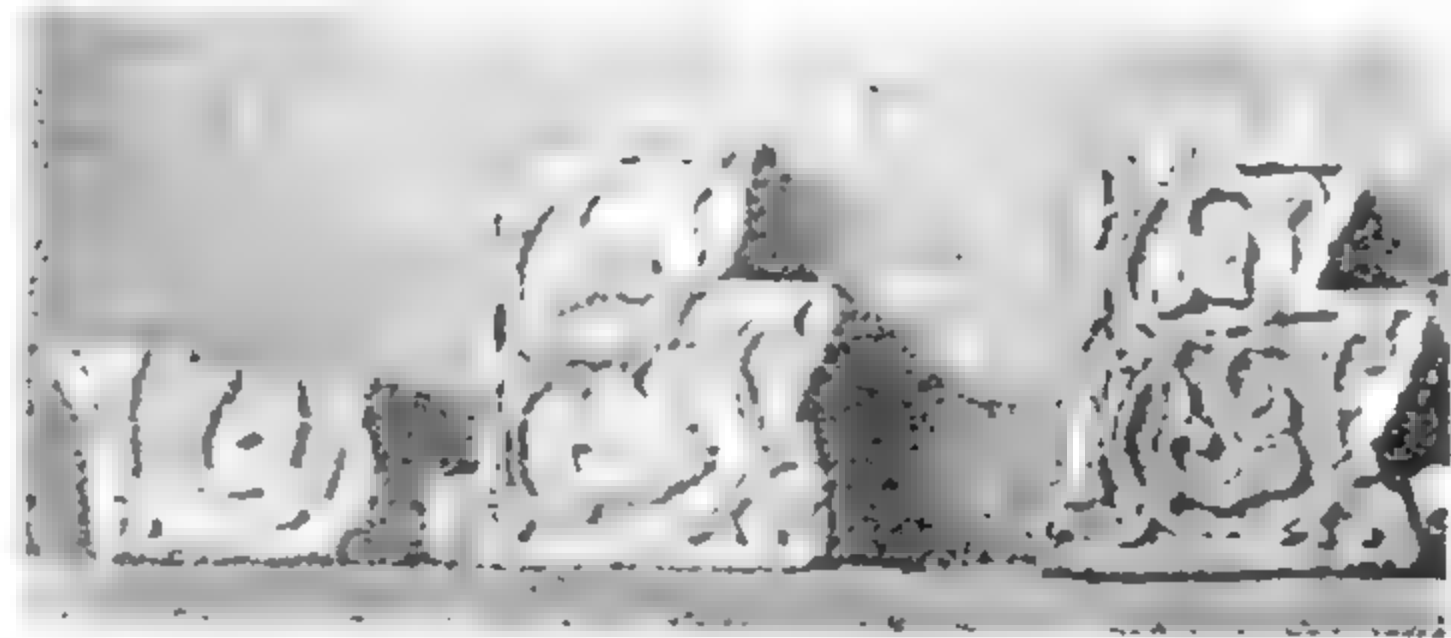
أ - نافذة ذات زخارف مفرغة
(محفوظة حالياً بمتحف الفن الإسلامي) .



هـ - الواجهة الجنوبية الغربية
بعد إزالة الأتربة الملاصقة .



جـ - بقايا الشرافات الأصلية .



د - بقايا الشرافات الأصلية .



ب - المدخل الرئيسي
من الداخل قبل إعادة البناء .



أ - الواجهة الشمالية الشرقية .
أقصى الشمال . بعد الهدم .

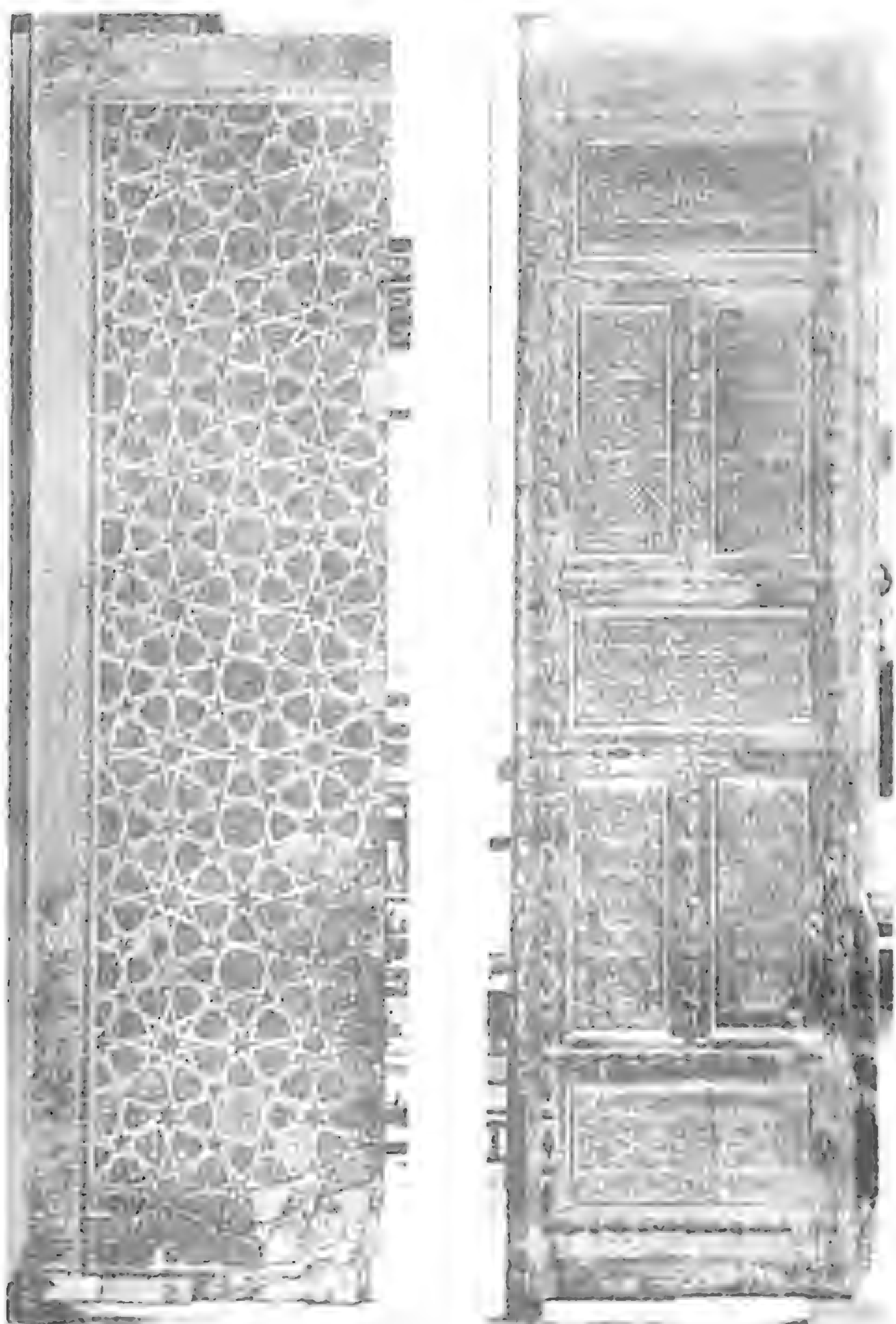


د - المدخل الشمالي الشرقي
من الداخل .



ج - المدخل الشمالي الغربي
(الرئيسي) من الخارج .

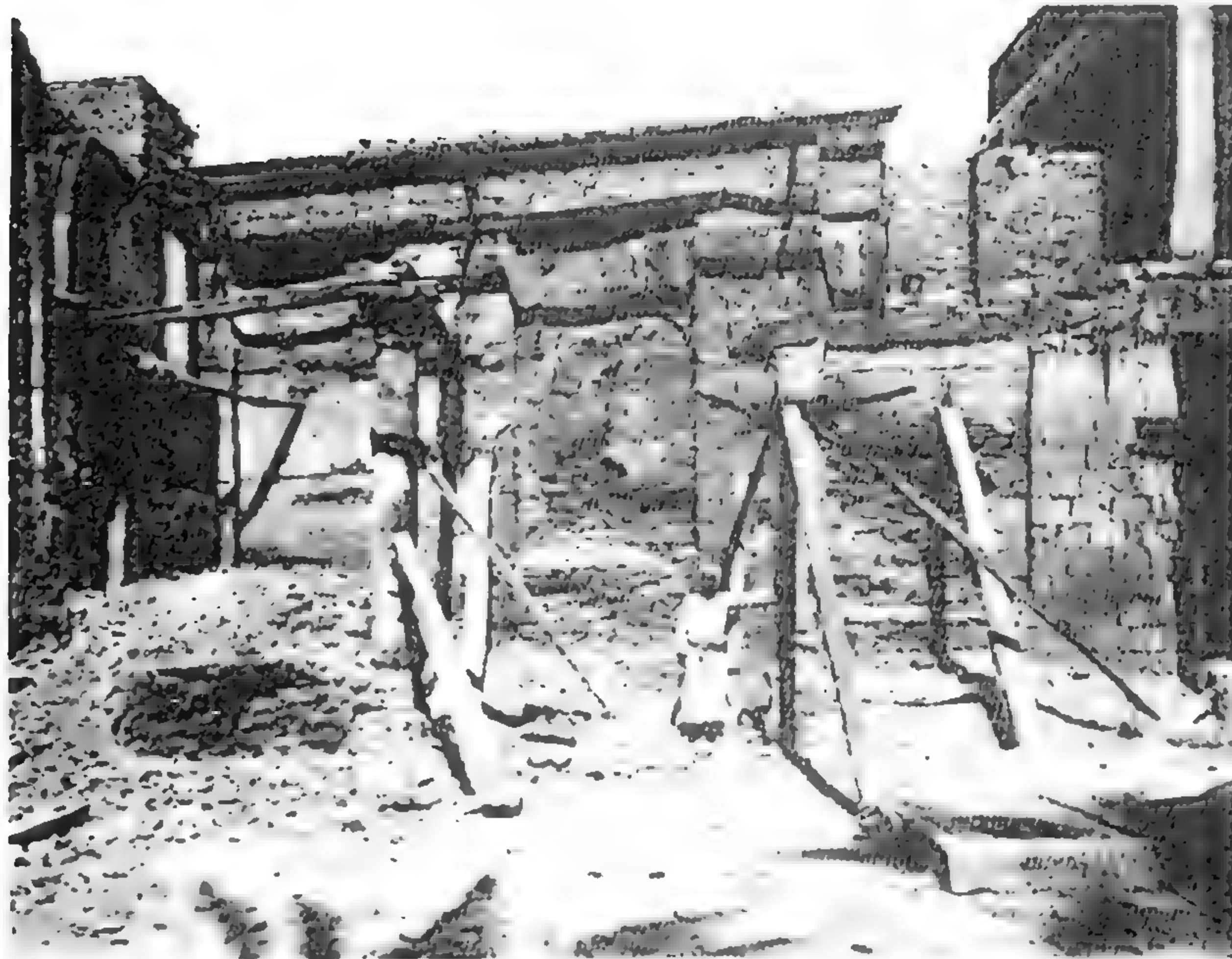
(لوحة رقم ١٠١) مسجد الصالح طلائع ، ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م .



(لوحة رقم ١٠٢) مسجد الصالح طلائع، ٥٥٥٥هـ/١٦٠٠م. باب مصفح بالبرونز.



أ - الداخل ، الركن الشمالي أثناء الترميم .

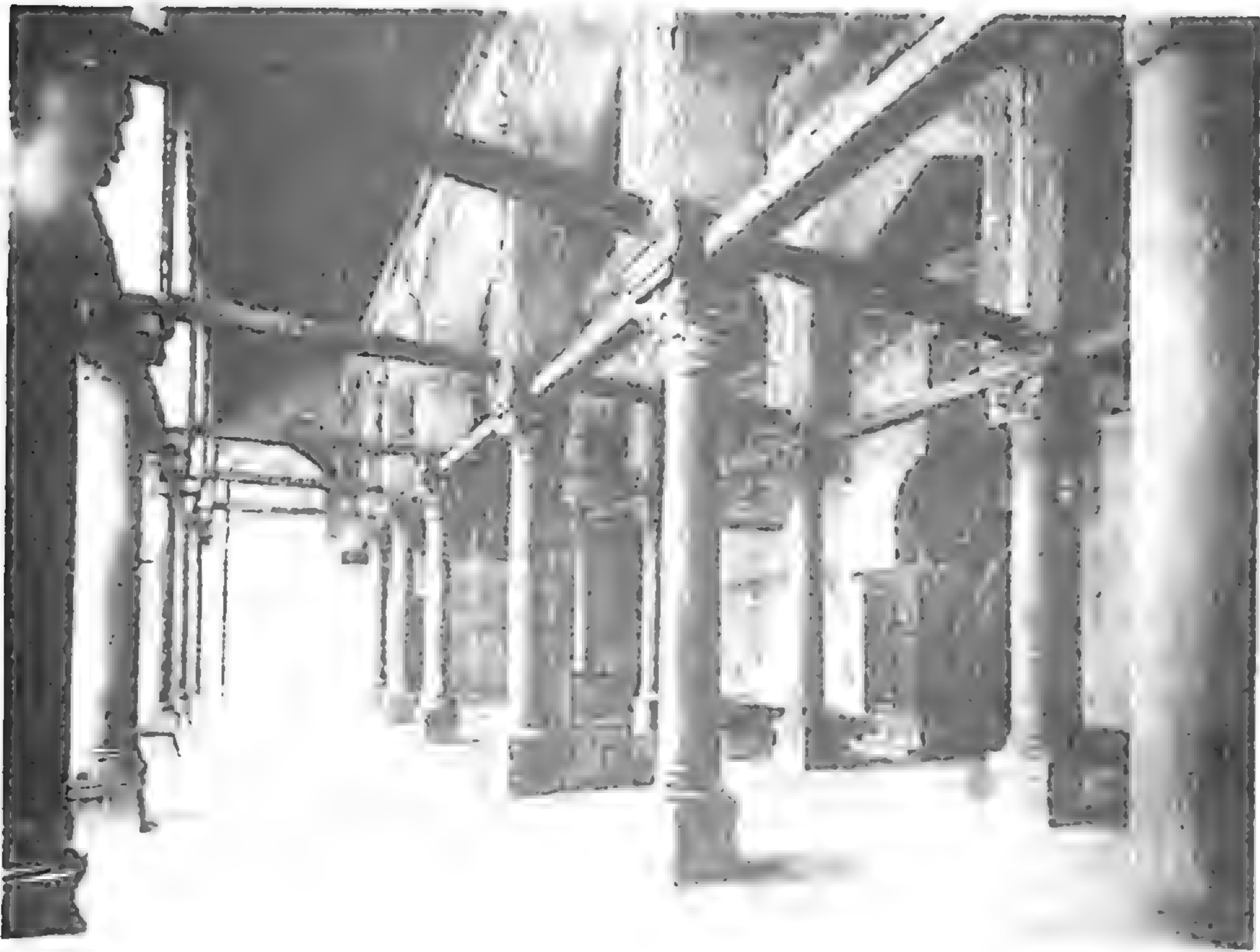


ب - الداخل : الجانب الشمالي الشرقي أثناء الترميم ،
المدخل الشمالي الشرقي هي أقصى اليمين .

(لوحة رقم ١٠٣) مسجد الصالح طلائع ، ٥٥٥٥ هـ / ١٤١٦ م

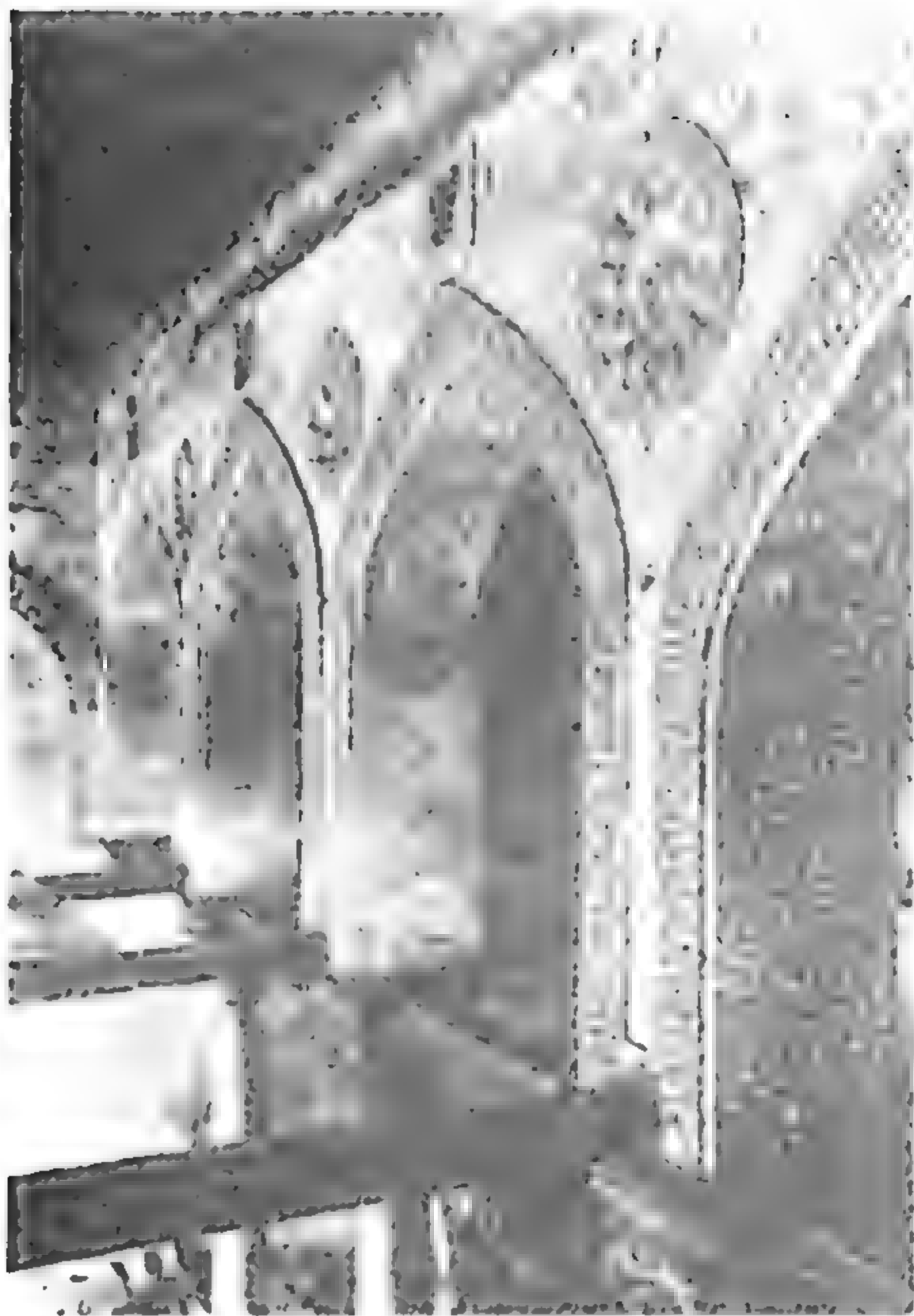


١ - واجهة الحرم (مقدم الجامع) .



ب - داخل الحرم .

(لوحة رقم ١٠٤) مسجد الصالح طلائع ، ٥٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م .



ب - زخرفة البائكة الثالثة في الحرم .



أ - نافذة في الرواق الثاني للحرم .



د - فتحة الملقف (الباداهنج)
خلف المنبر .



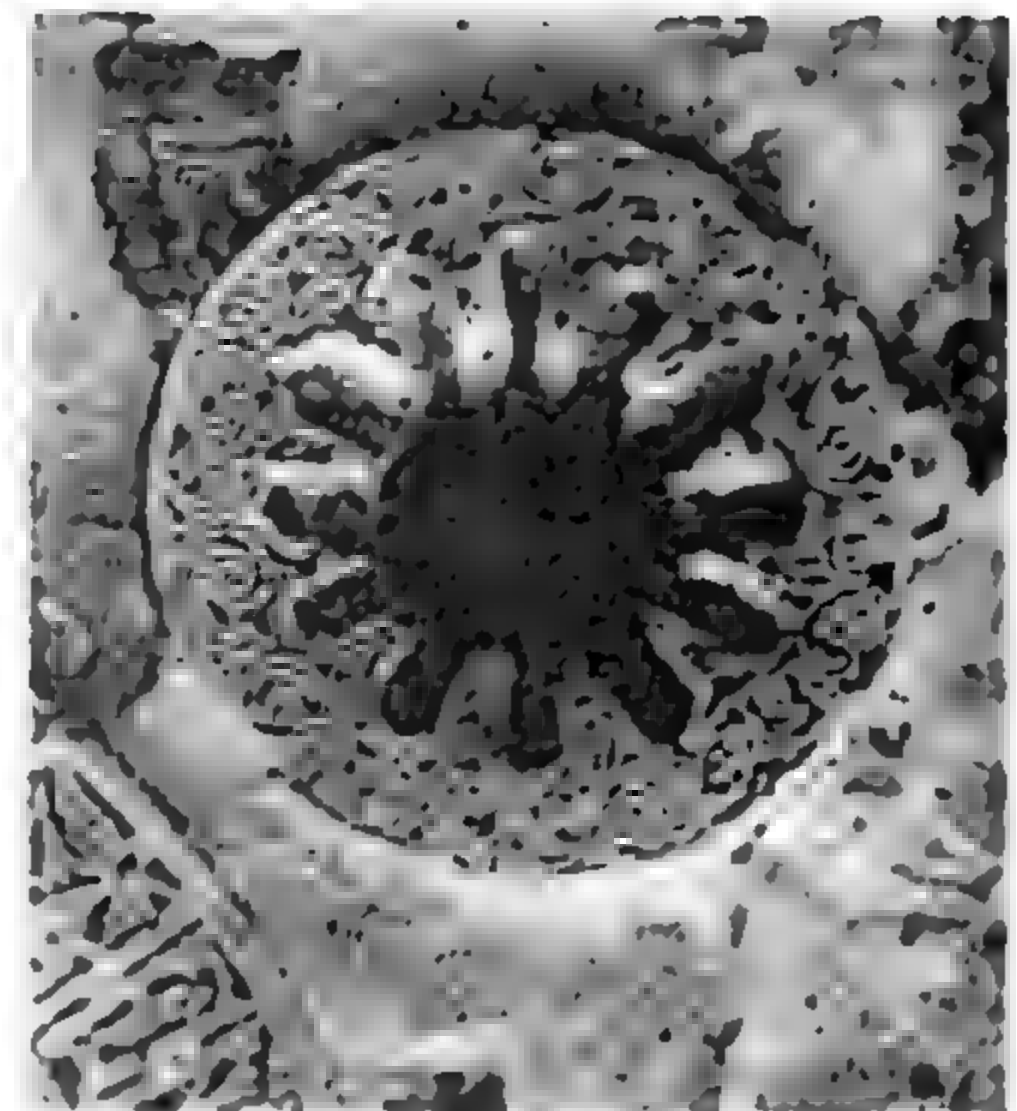
ج - وضع العقود .
ويشاهد طبلية خشبية وأربعة خشبية .



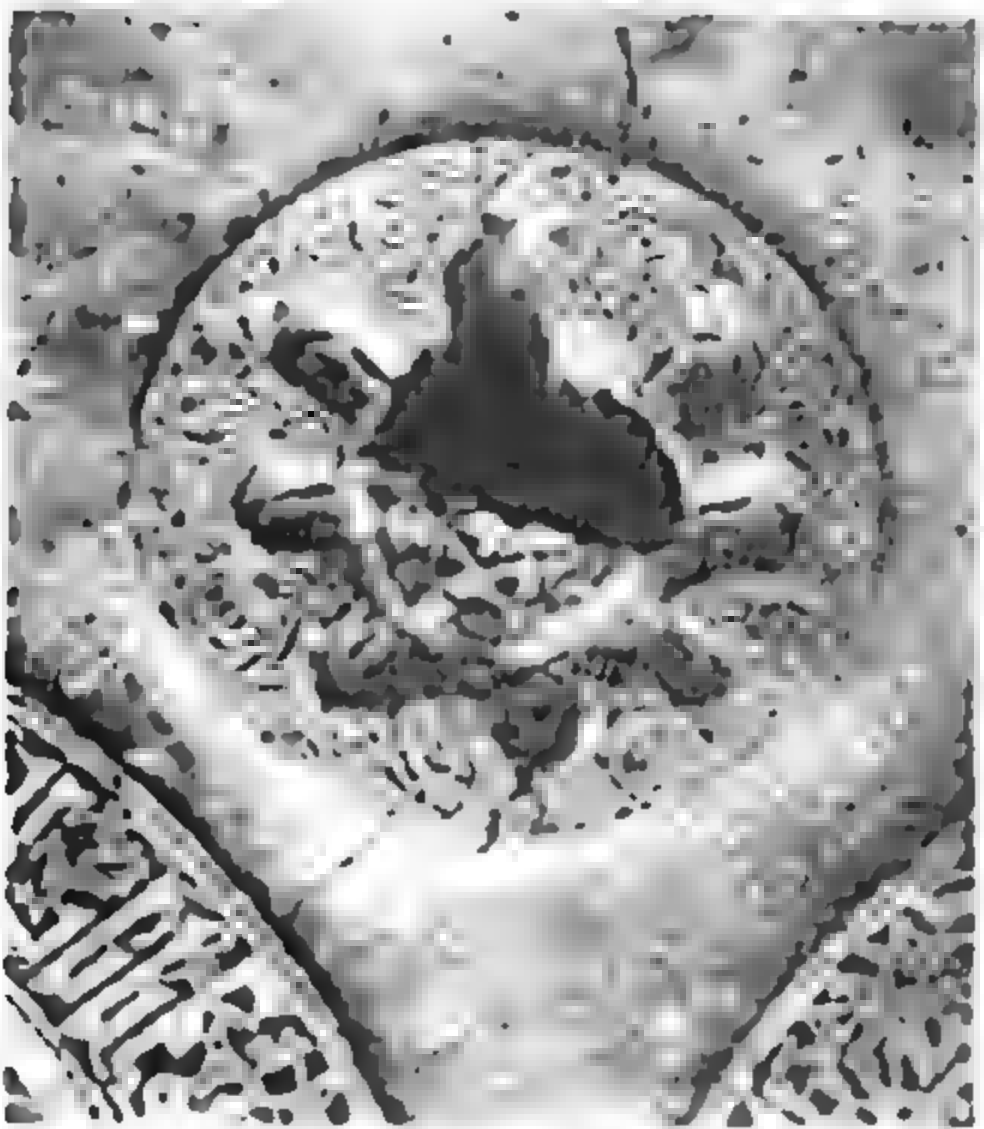
٣ ا



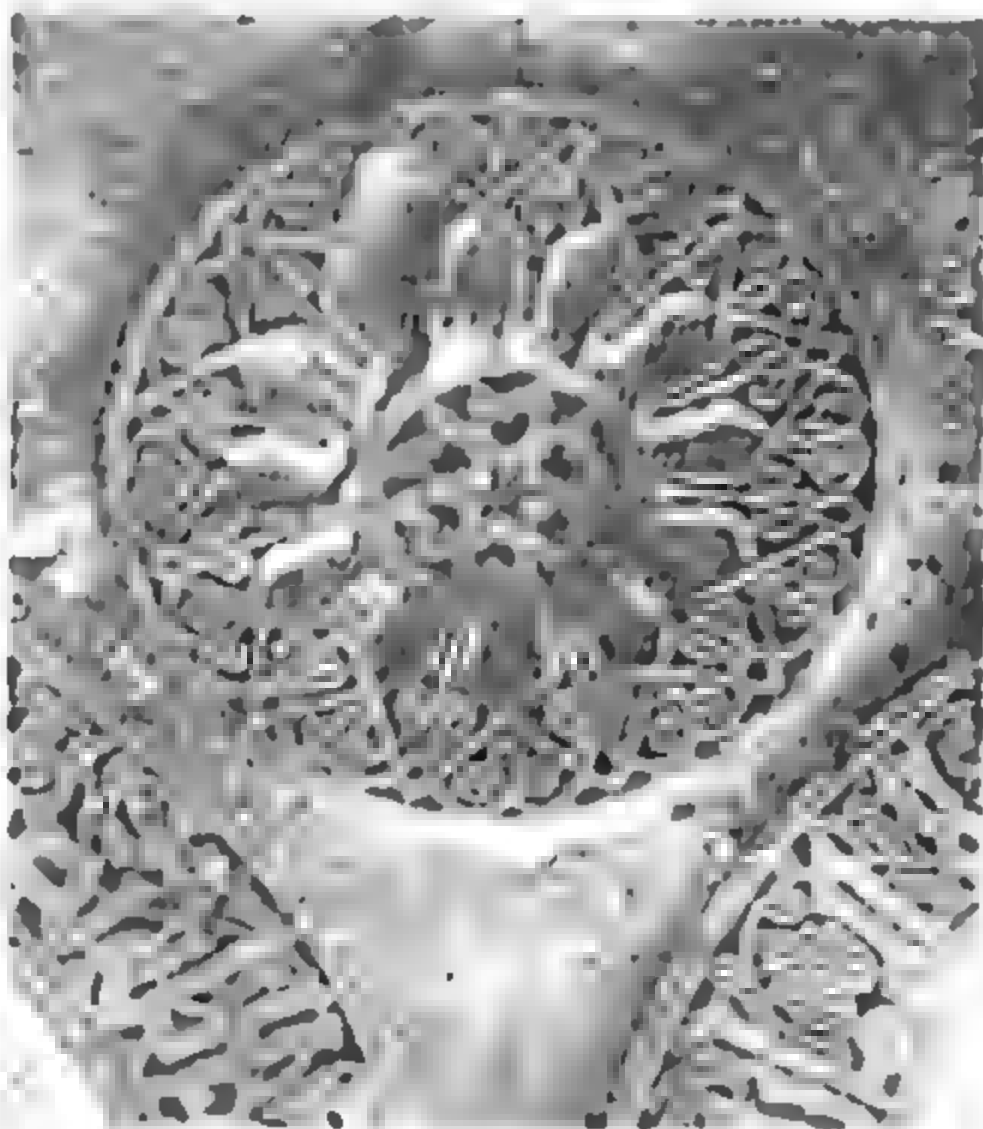
٢ ا



١ ا



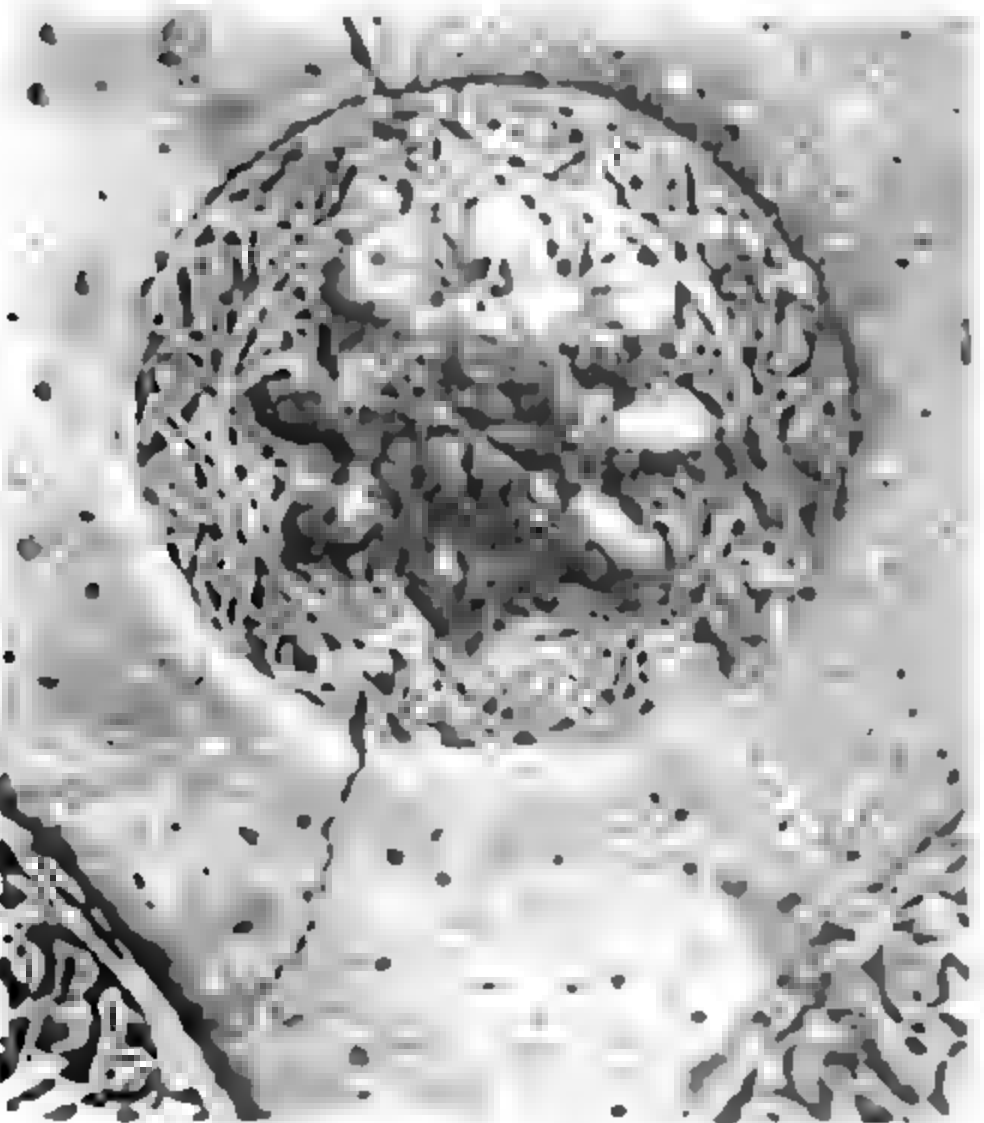
٢ ب



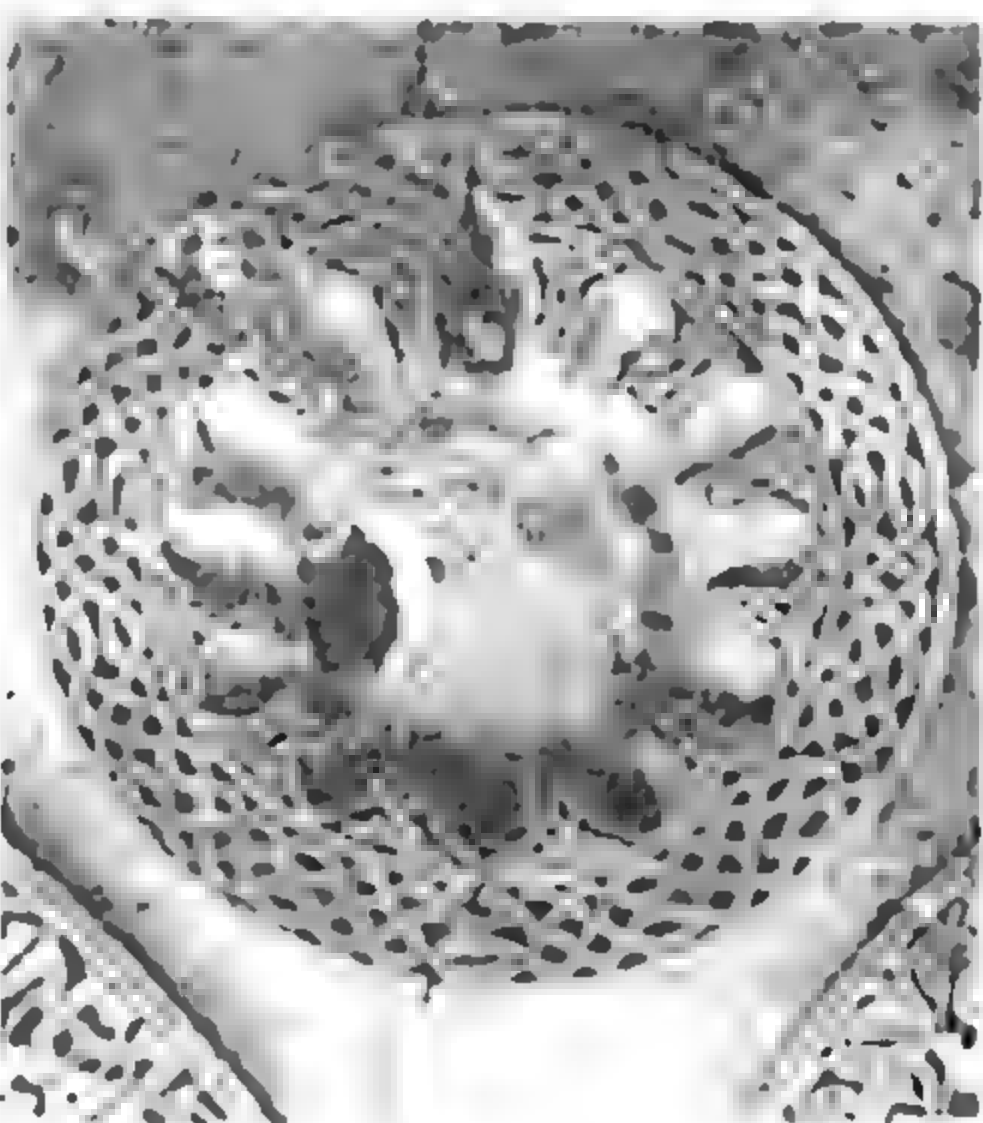
٥ ا



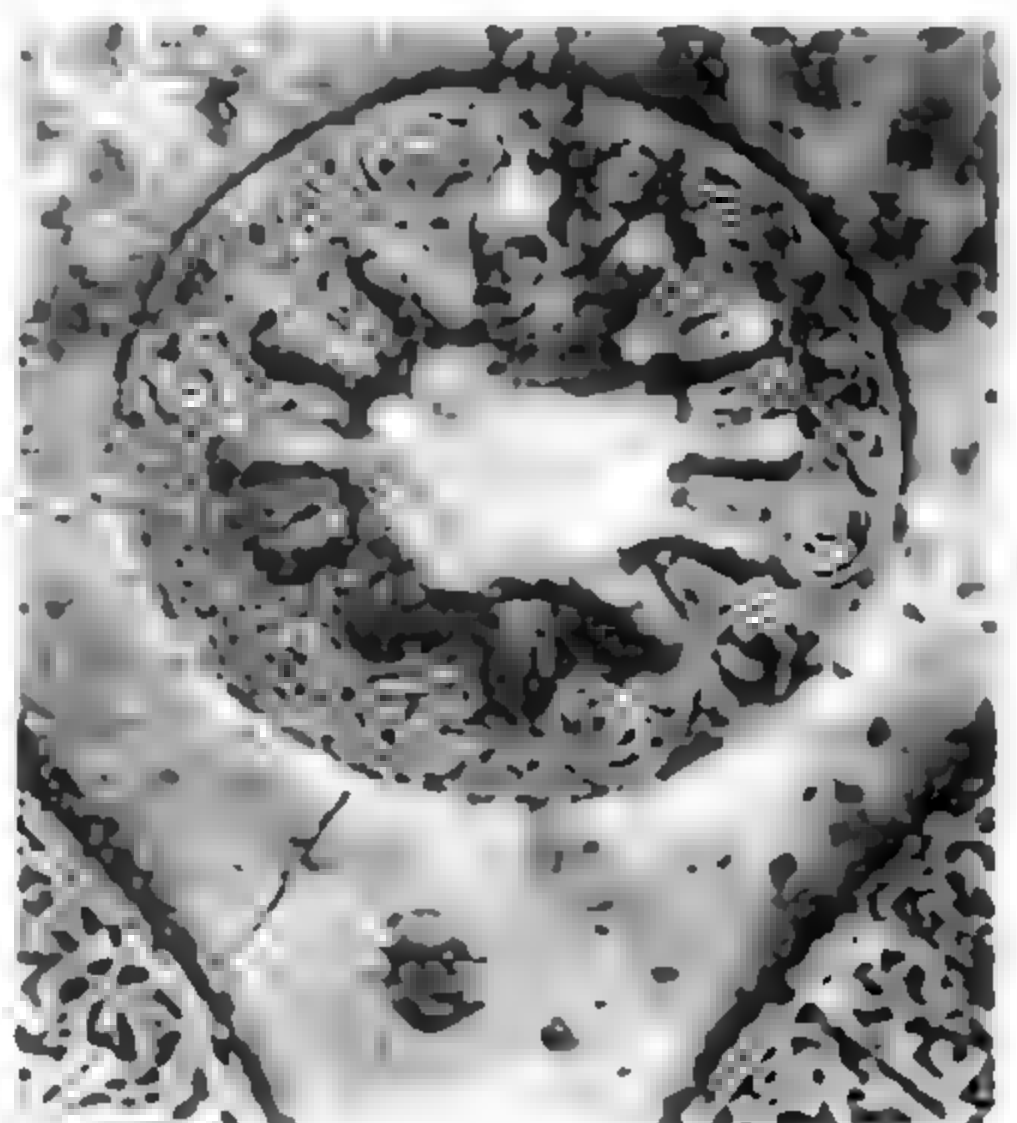
٤ ا



٥ ب



٤ ب

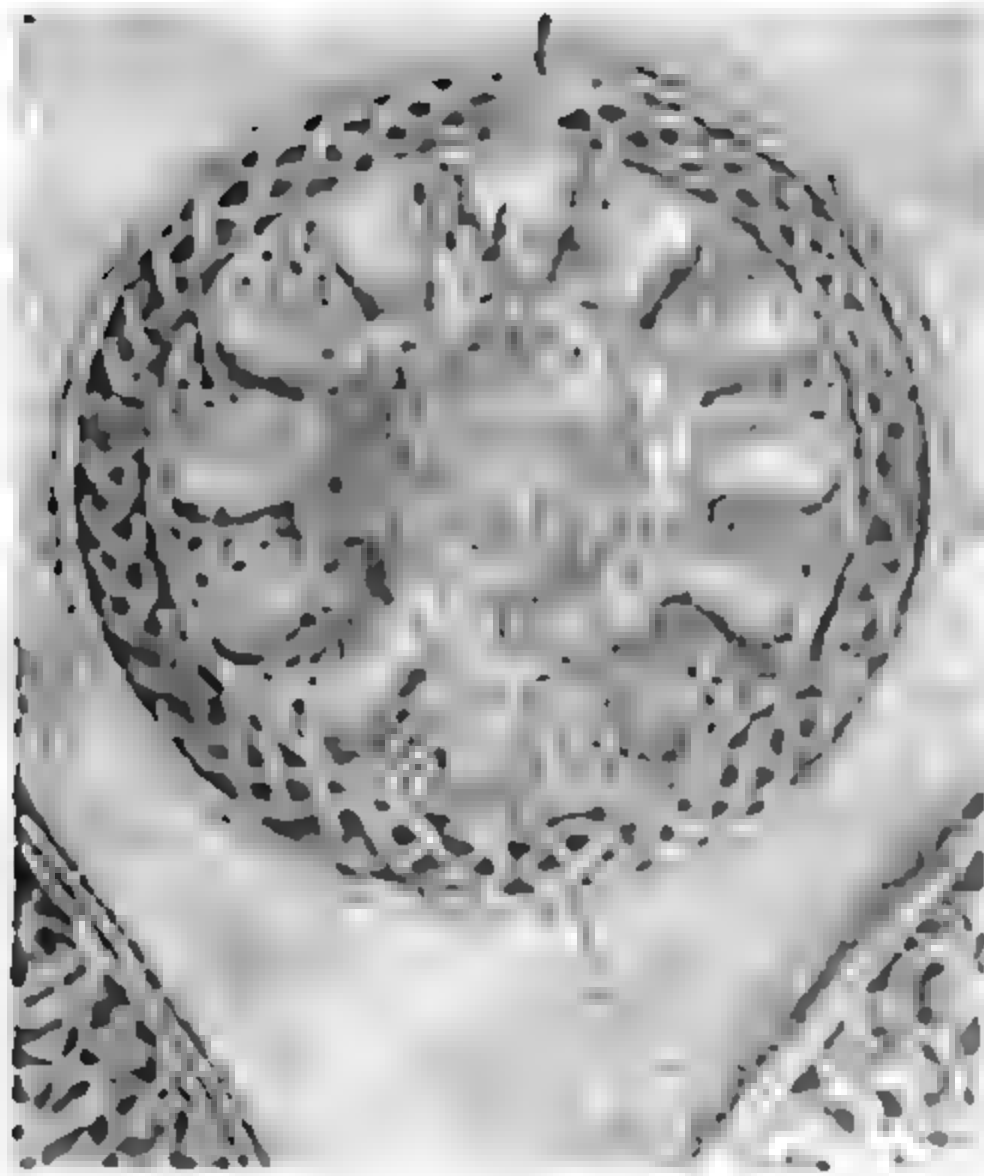


٣ ب

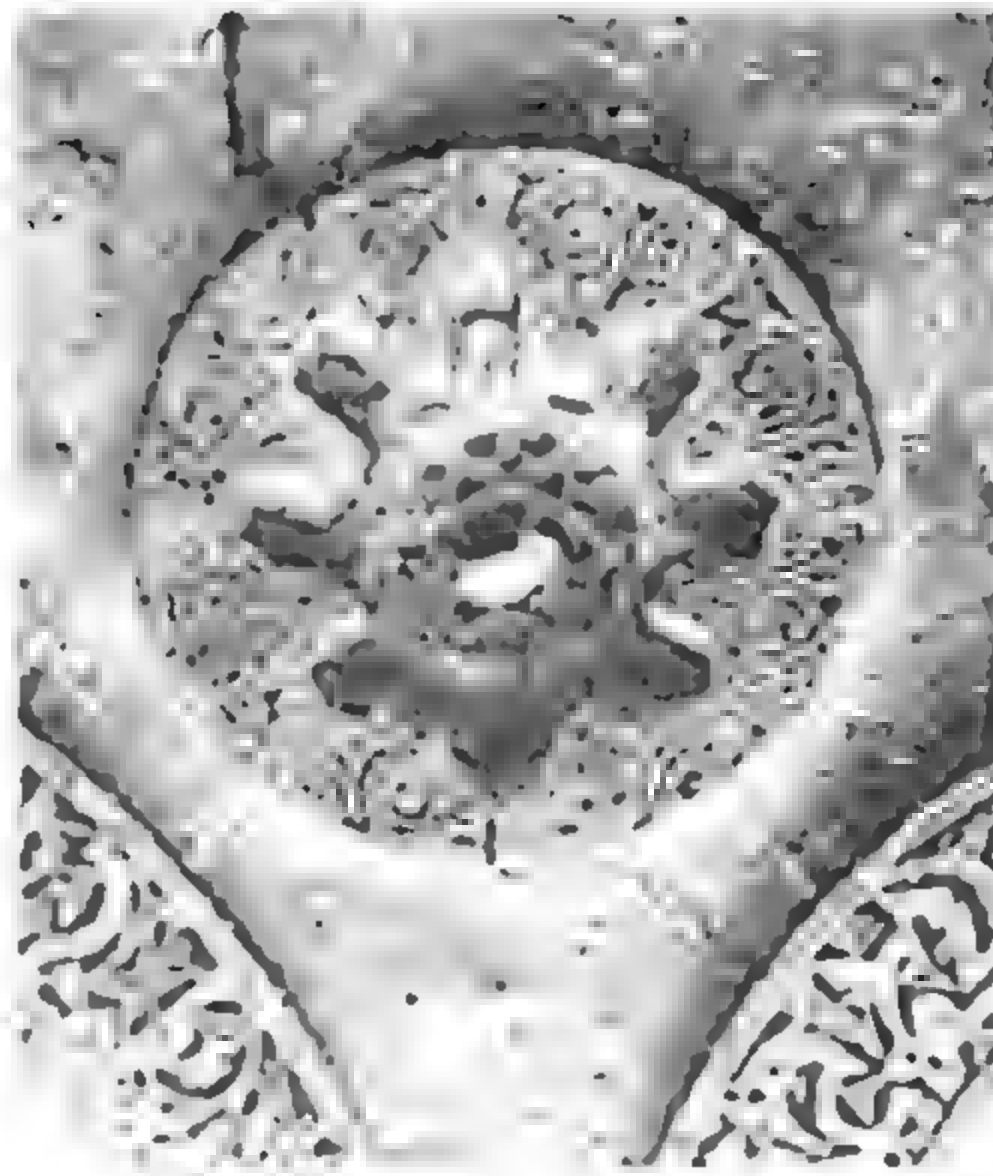
(لوحة رقم ١٠٦) مسجد الصالح طلائع، ٥٥٥٥هـ / ١٦٠م زخرفة كوشات العقود في الحرم .

١- ٥.٤.٣.٢.١

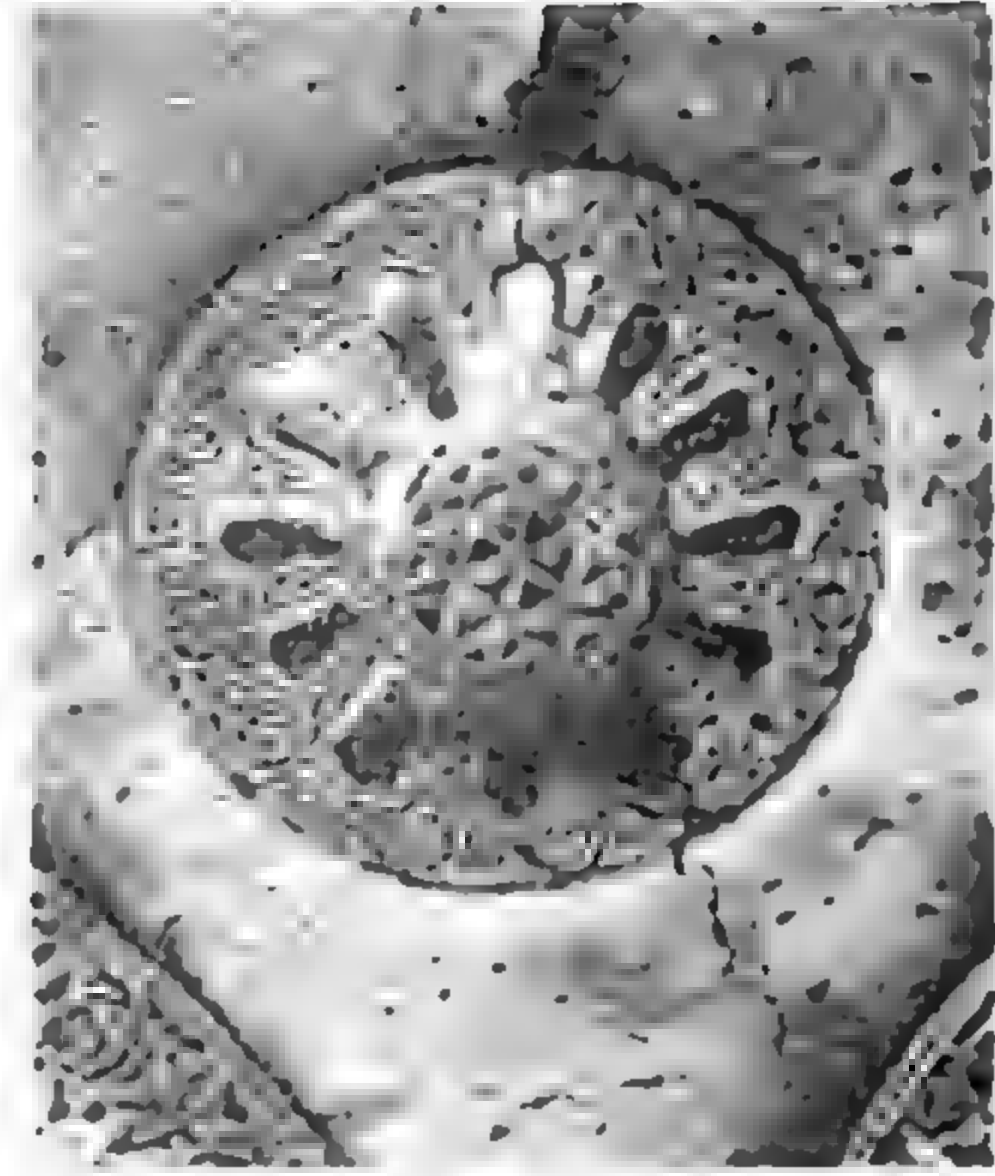
ب- ٥.٤.٣.٢



ج ٤



ج ٢



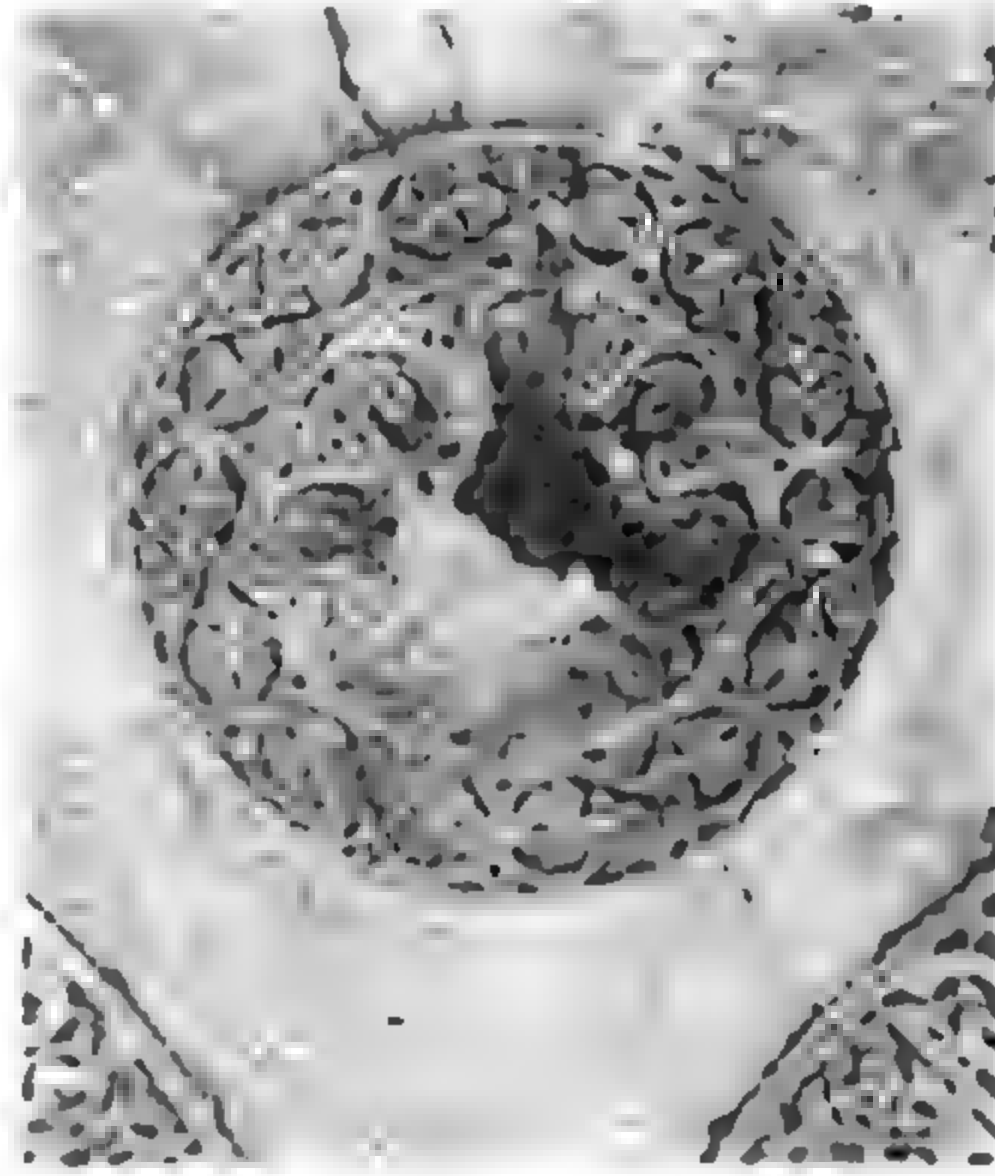
ج ٢



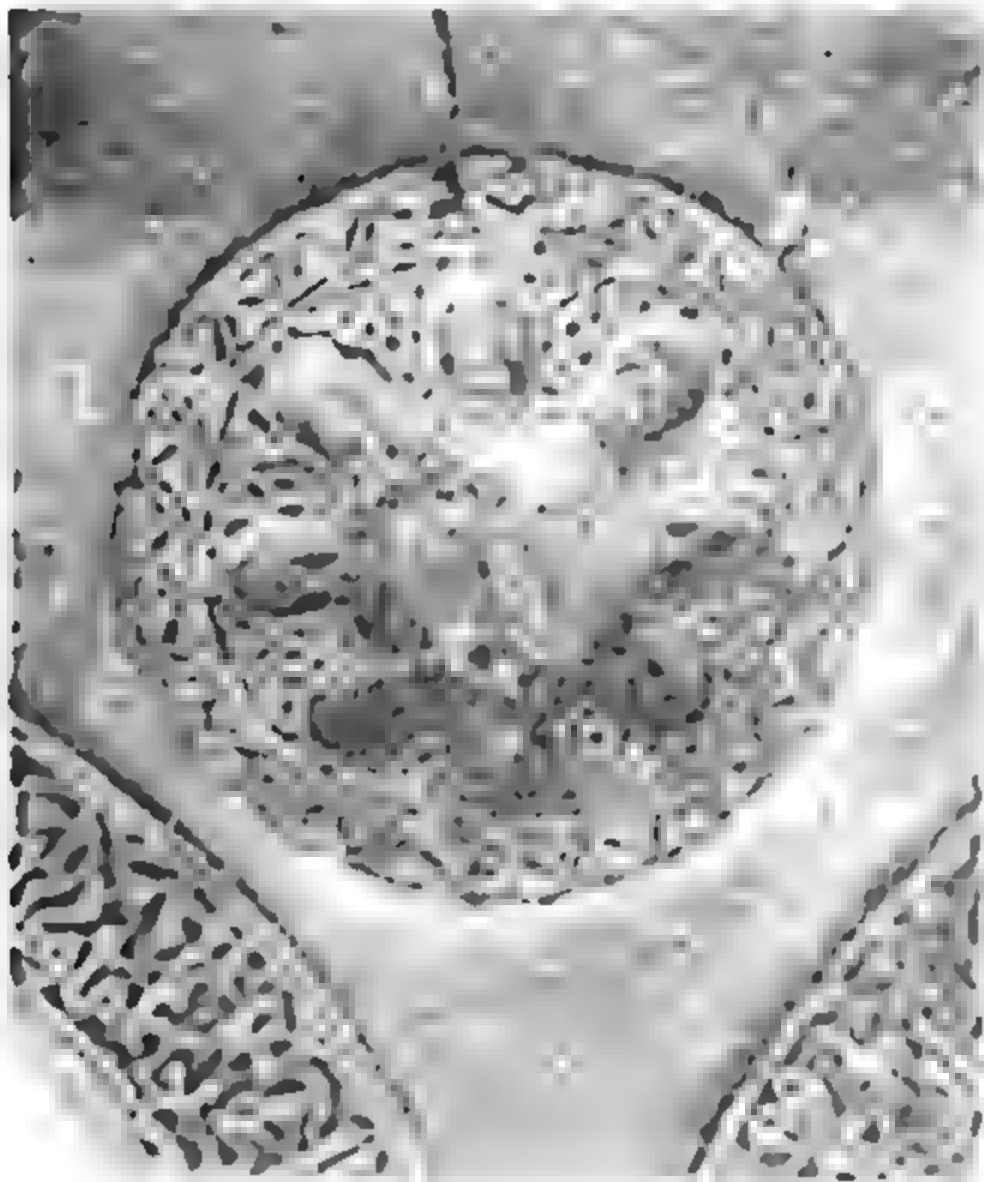
د ٣



د ٢



د ٥



ه ٢



ه ١



د ٥

(لوحة رقم ١٠٧) مسجد الصالح ملاح، ٥٥٥ هـ / ١٦٠ م زخرفة كوشات العقود في الحرم .

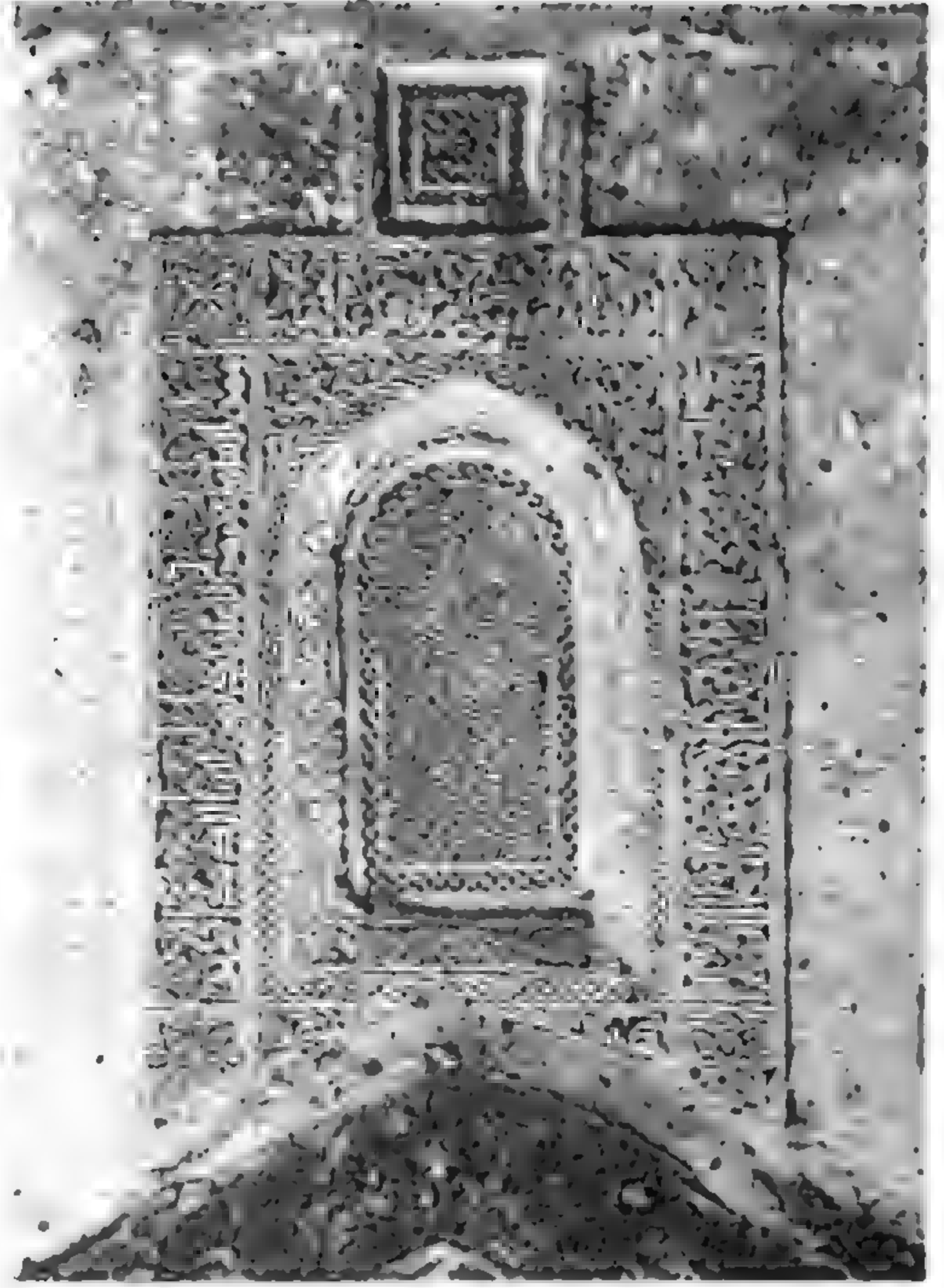
ج- ٢، ٣، ٤، ٥ .

د- ٢، ٣، ٥ .

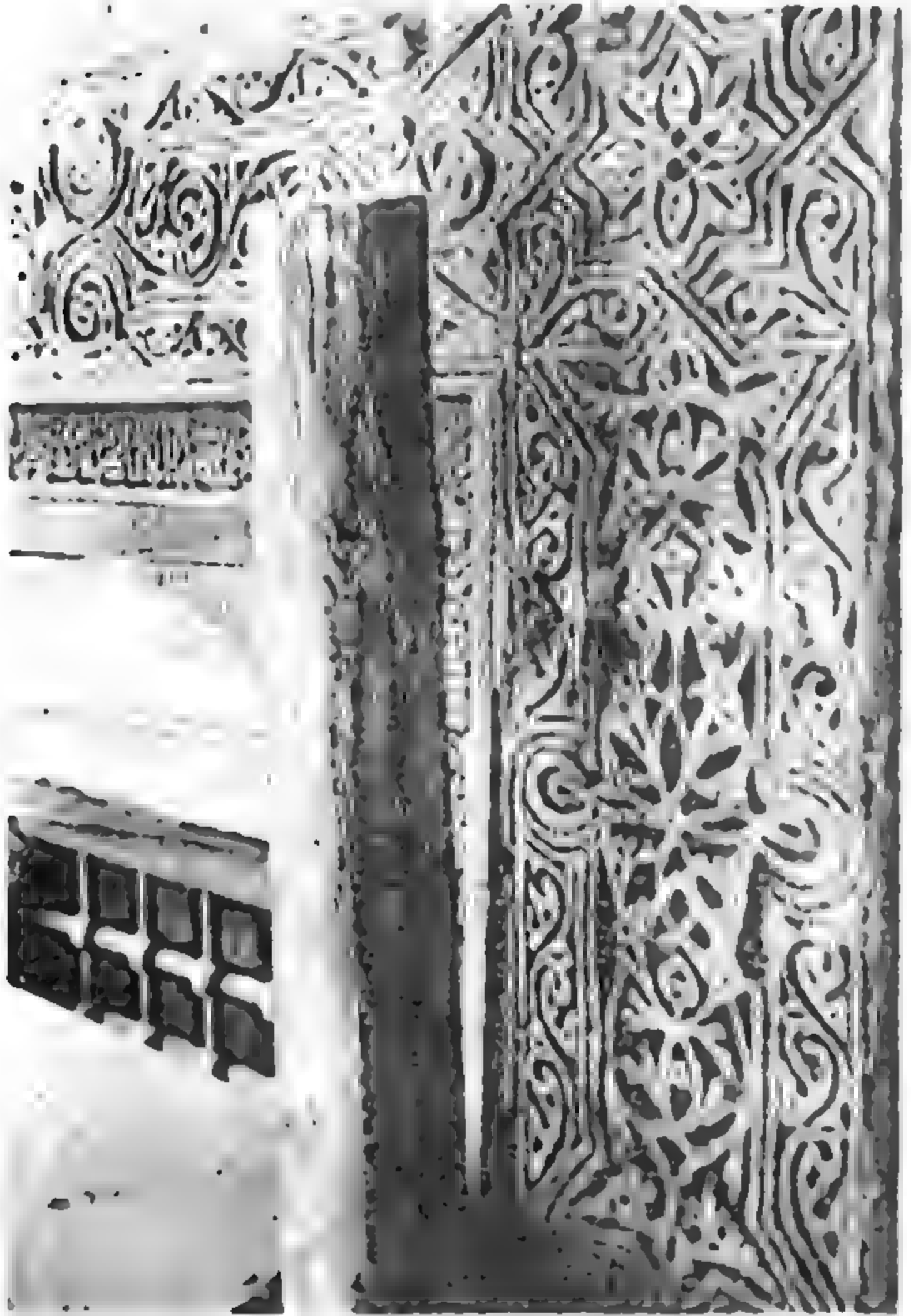
ه- ١، ٢ .



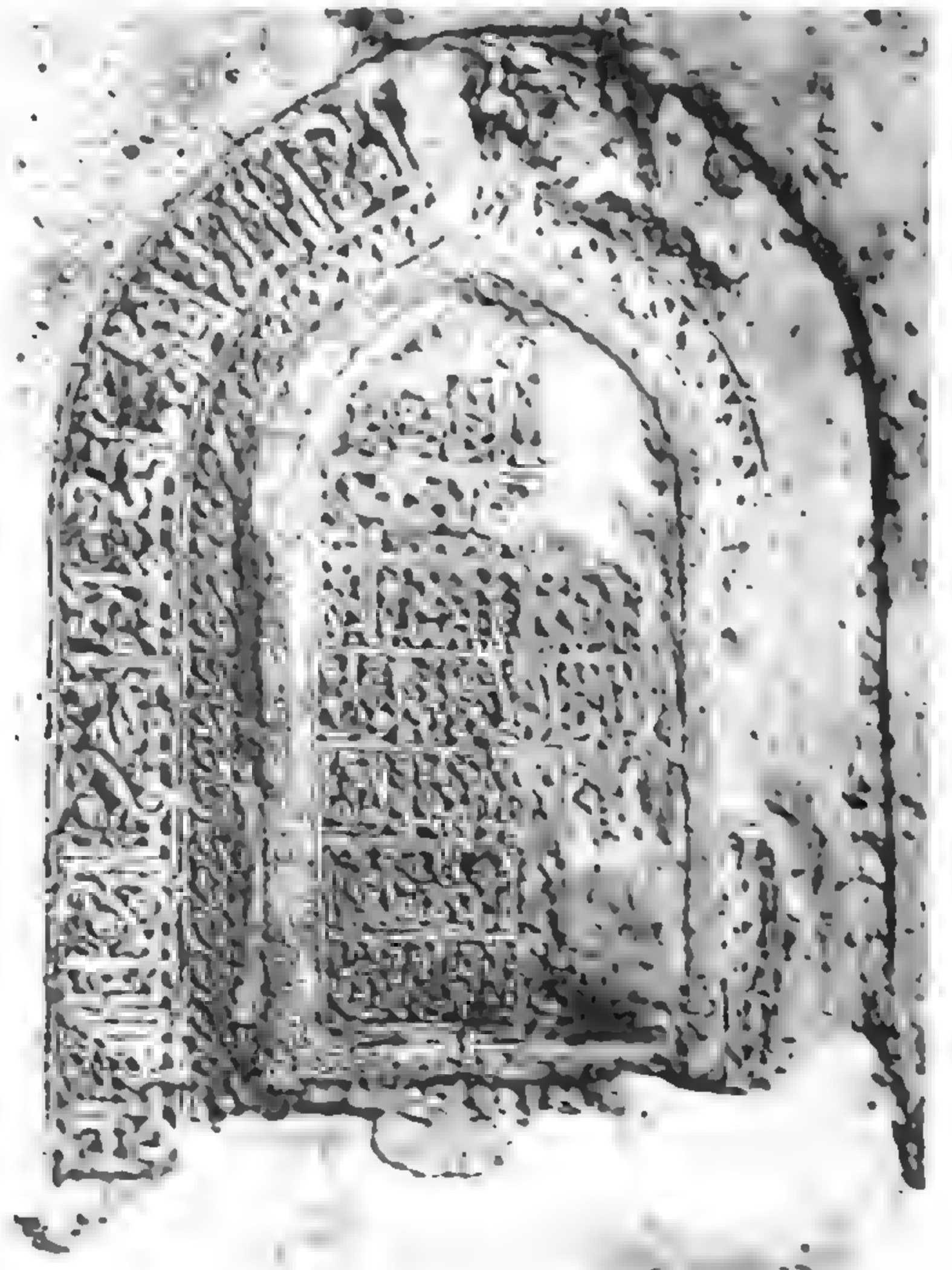
ب - النافذة الخامسة من اليسار .



أ - نافذة فوق المحراب .



د - زخرفة فتحة الملقف (البأذاهنج)
خلف الجزء العلوي للمنبر .



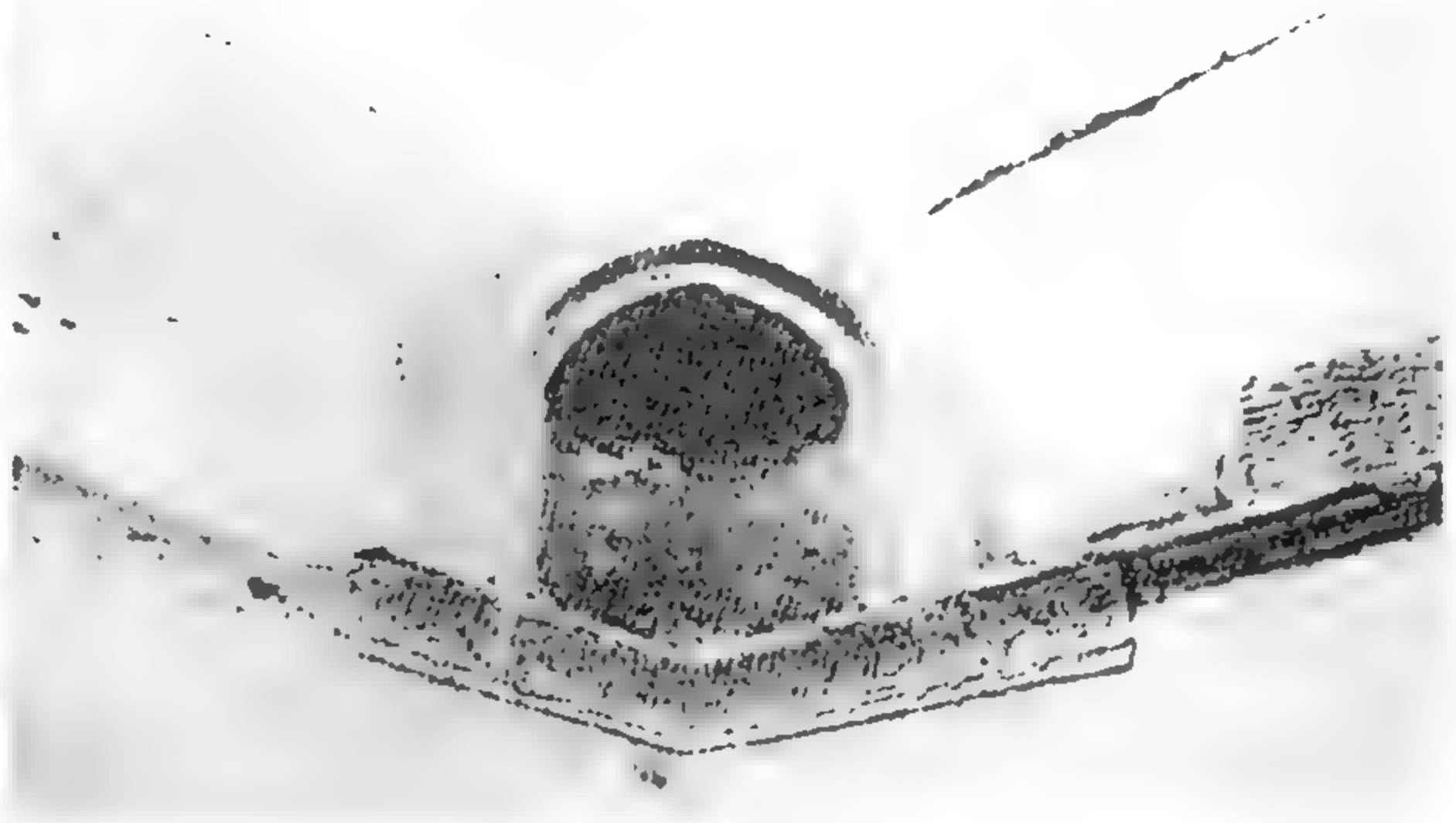
ج - النافذة (الصماء) السابعة من اليسار .



ب - مسجد الحاكم ، القبة الوسطى .



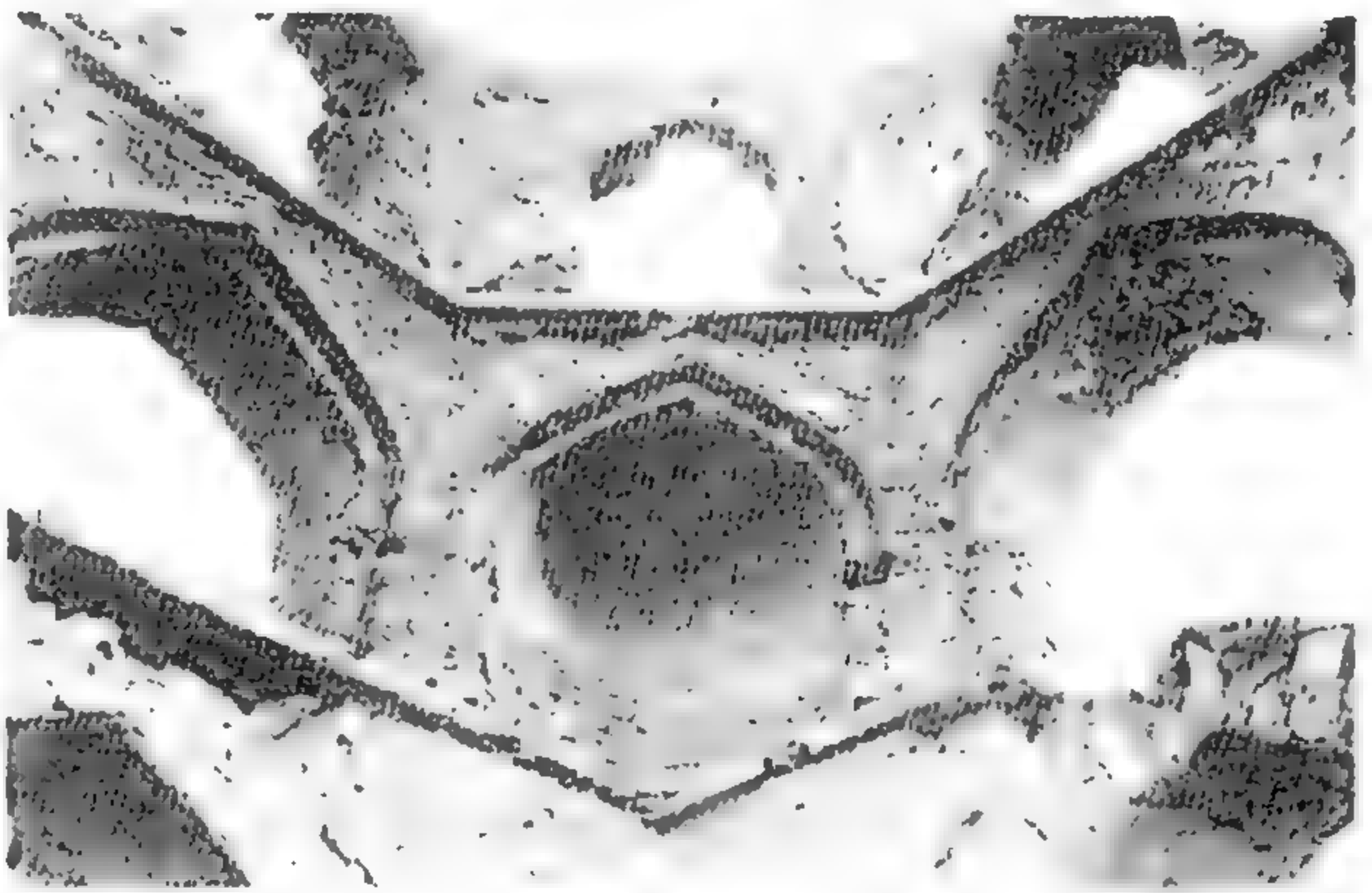
أ - مسجد الحاكم ، القبة الوسطى (٣٩٣هـ / ١٠٠٣م) .



ج - مسجد الحاكم ، الحنية
في الركن الخلفي الأيمن للحرم .



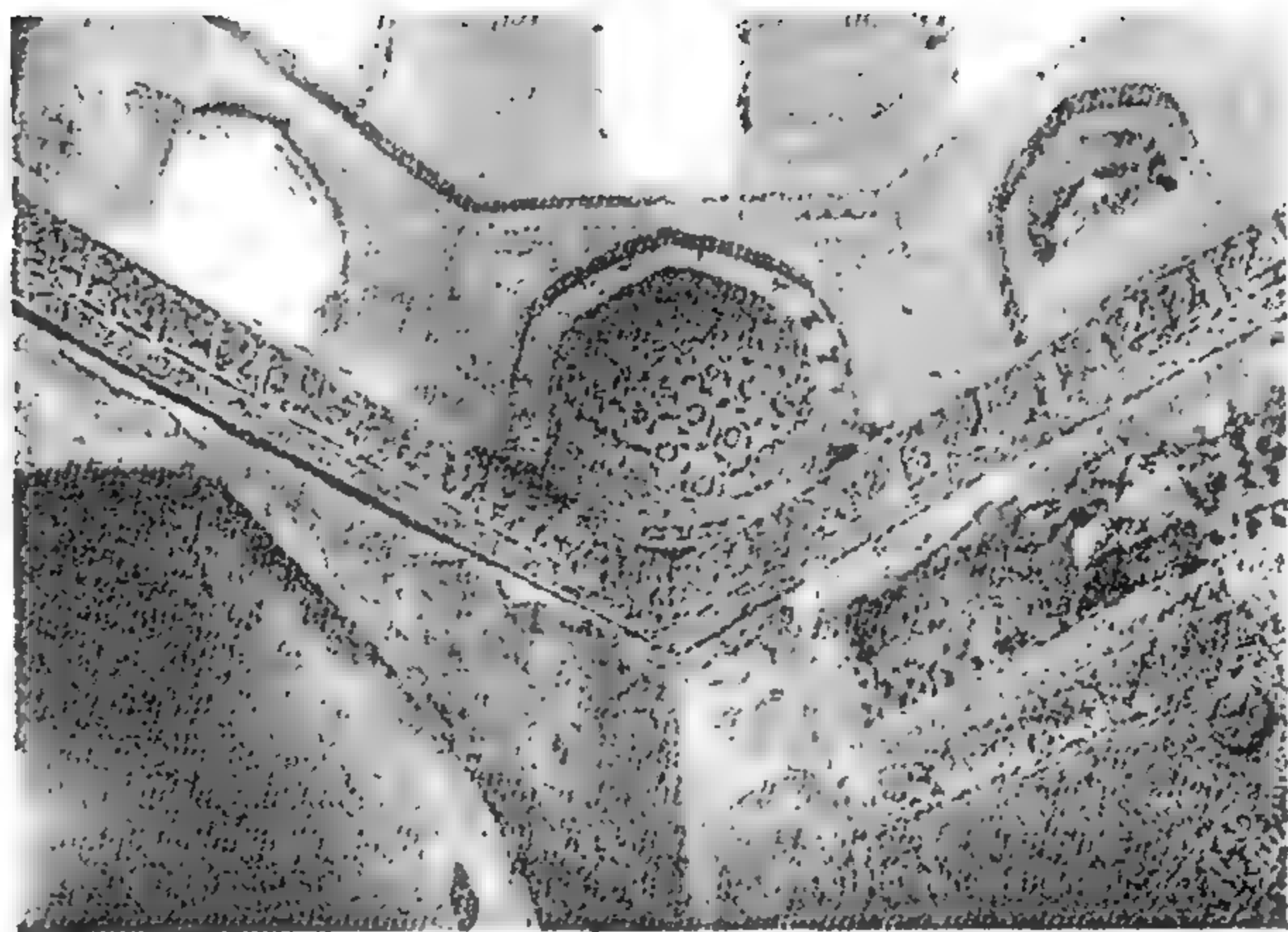
هـ - مسجد الحاكم ، الحنية
وبقايا رقبة القبة في الركن
الخلفي الأيسر للحرم .



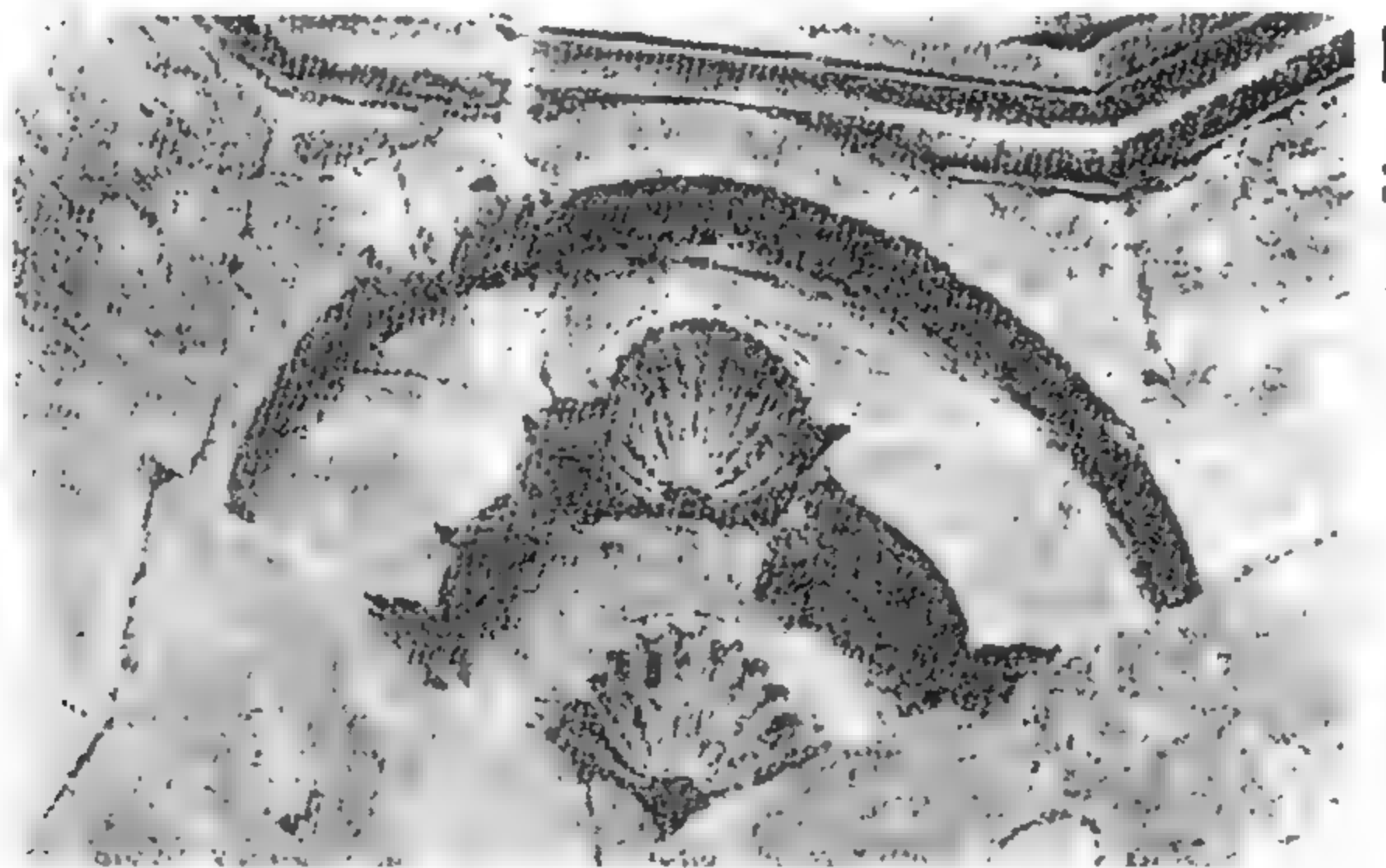
د - السبع بنات ، الحنية والرقبة ٤٠٠هـ / ١٠١٠م .



ب - مسجد الجيوشي .



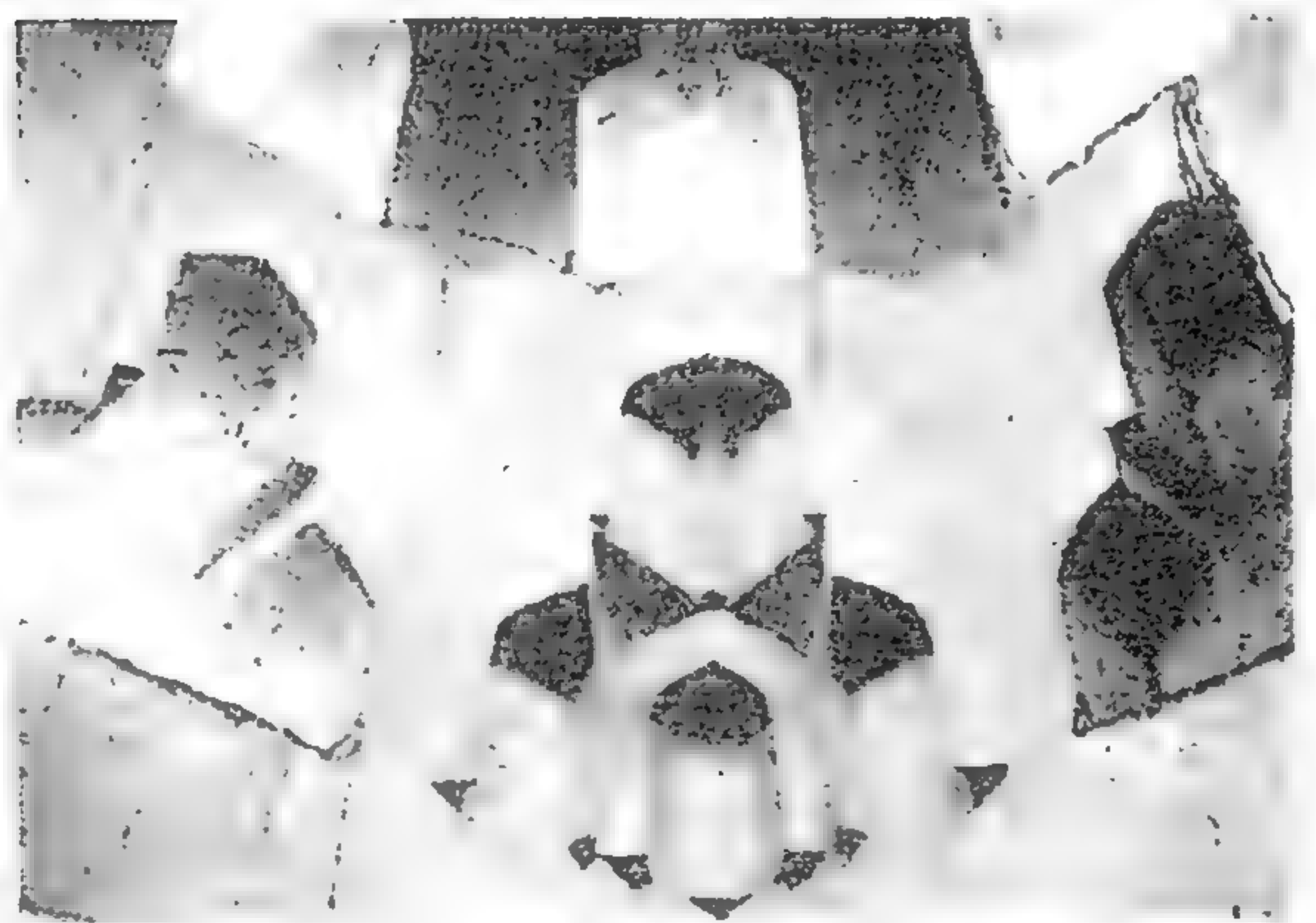
أ - مسجد (مشهد) الجيوشي : ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م .



ج - باب زويله : حنية في دخلة على هيئة نصف قبة
في جانب ممر البوابة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م .

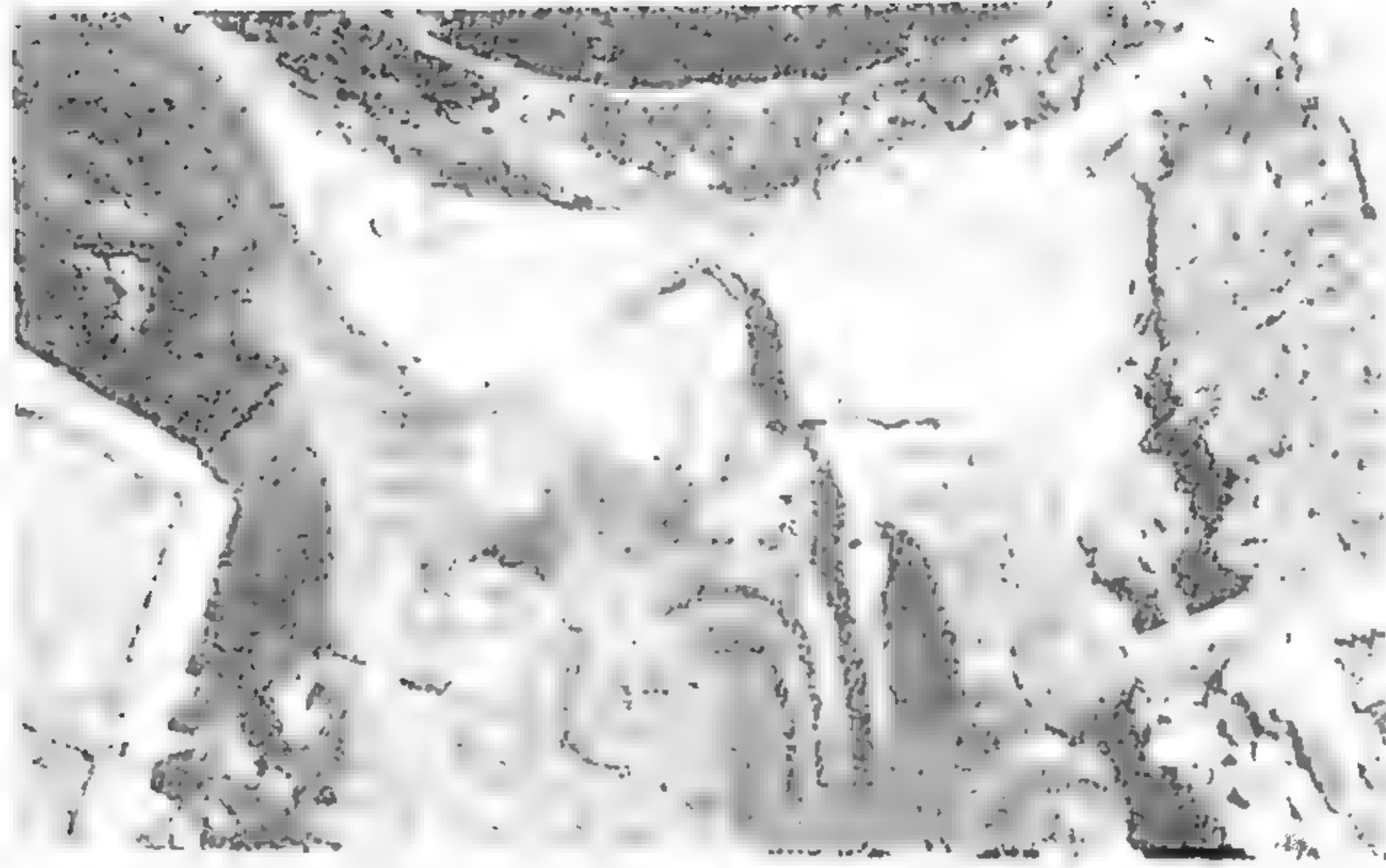


هـ - أسوان : المشهد .



د - أسوان : المشهد حوالي ١١٠٠ - ١١١٠ م .

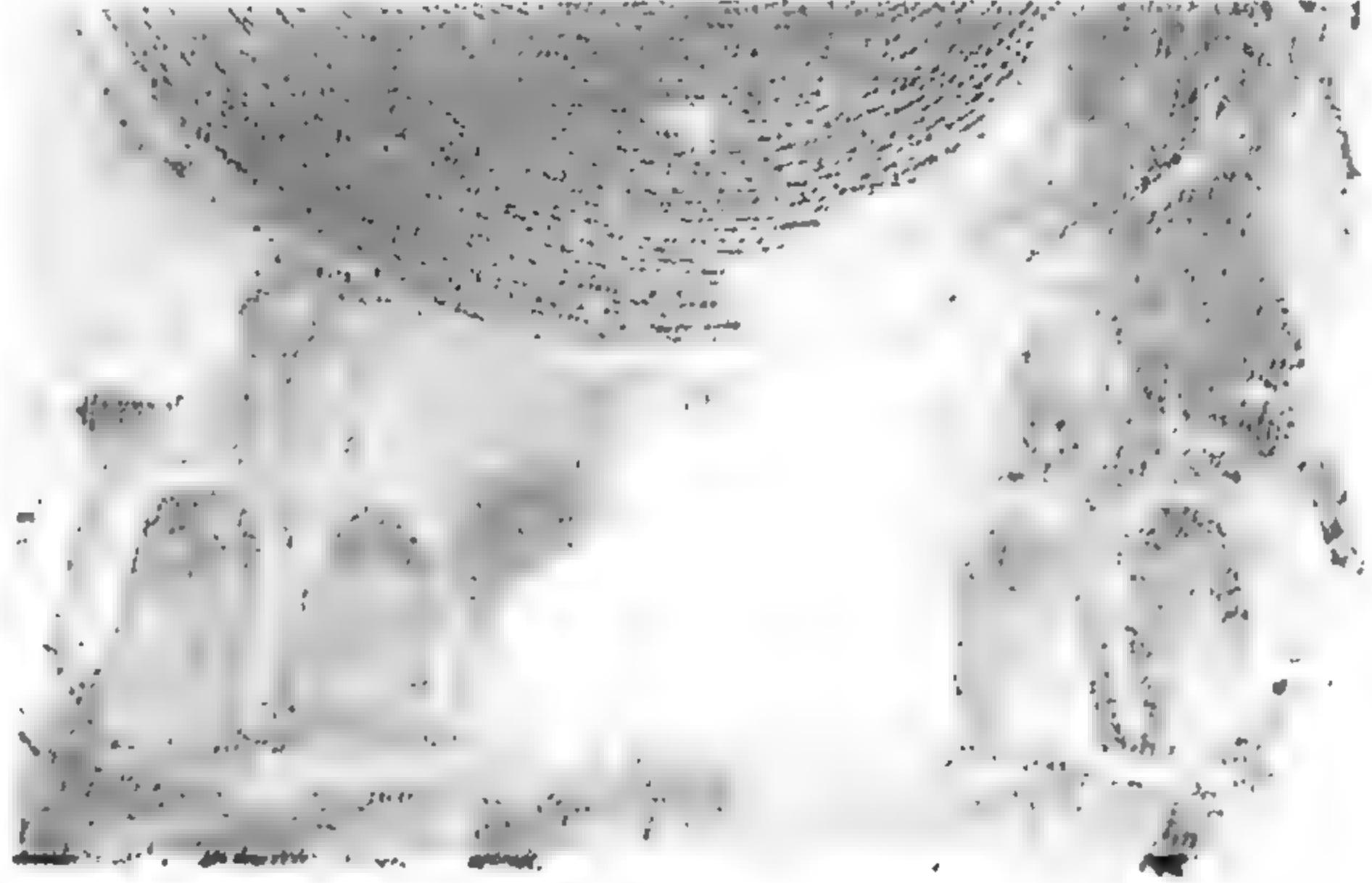
(لوحة رقم ١١٠) تتبع القباب والدلايات .



أ - ضريح قديم (القبة الفاطمية بالجمالية) تجاه خانقاة بيبرس الجاشنكير.



ج - قبنة الجعفري وعاتكة .



ب - ضريح محمد الجعفري .

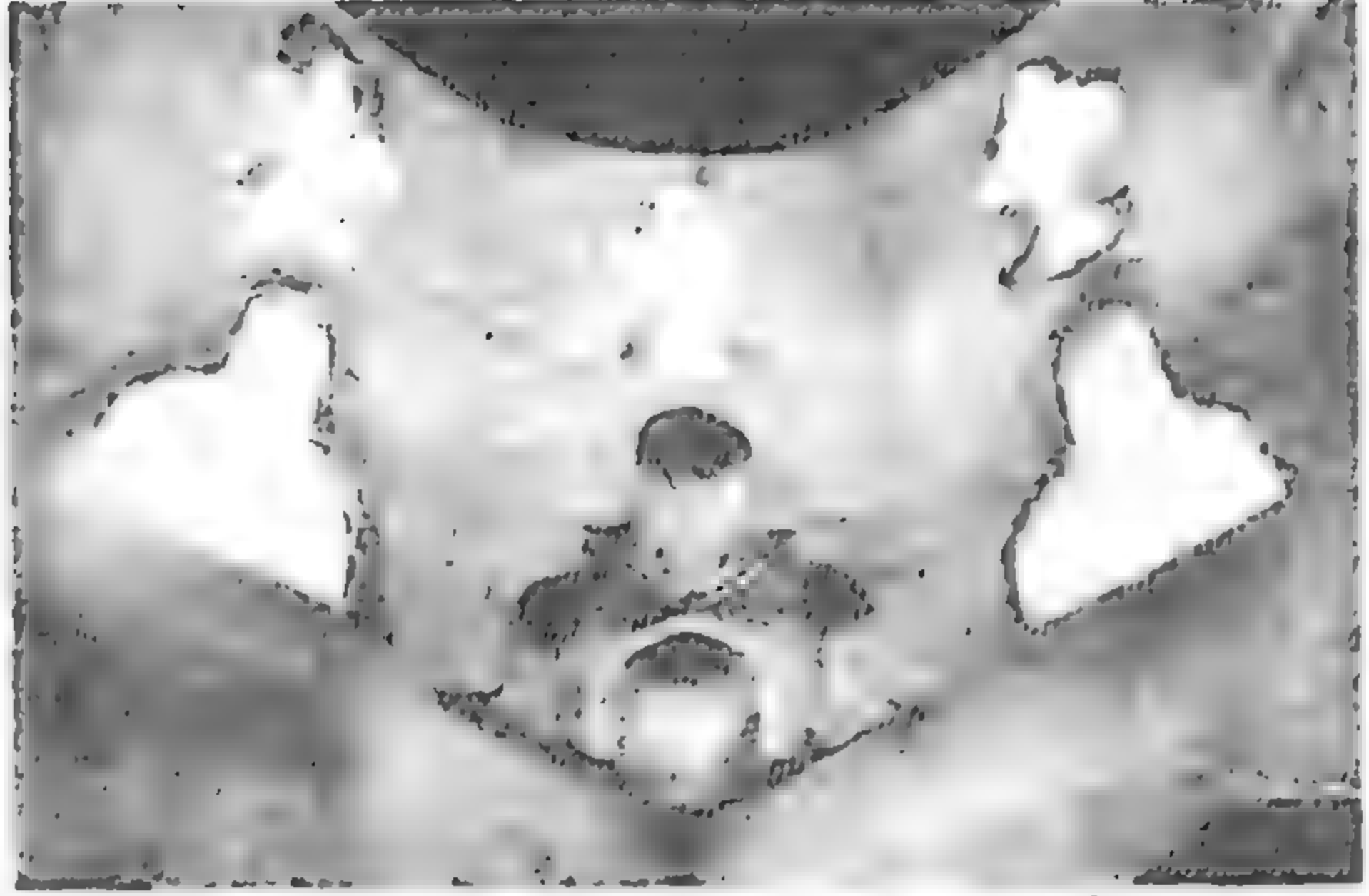


هـ - قبة عاتكة .

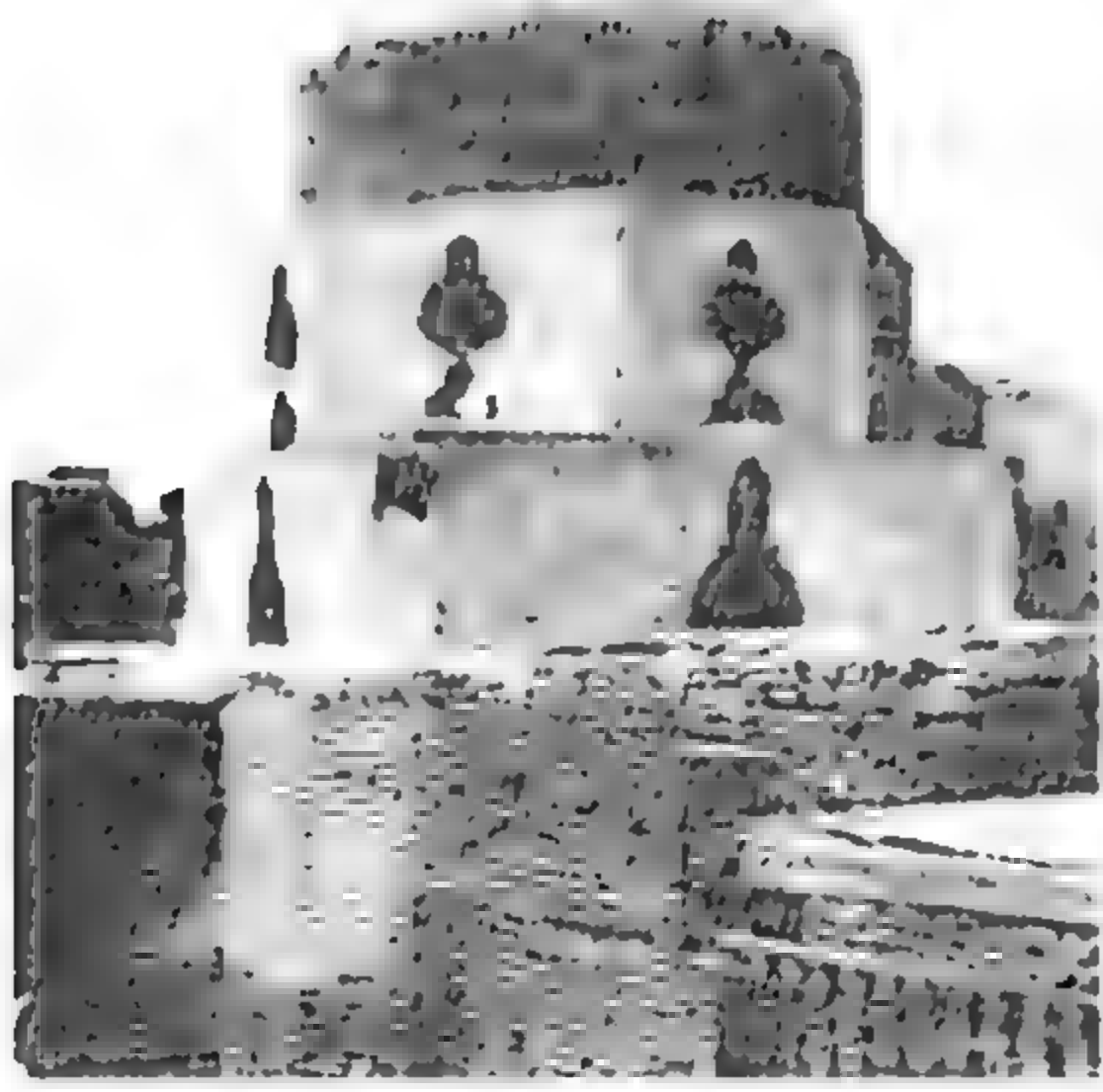


د - ضريح السيدة عاتكة .

(لوحة رقم ١١١) تتبع القباب والدلايات .



أ - ضريح الشيخ يونس بعد ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م .



ب - ضريح الشيخ يونس .



ج - ضريح أخوة يوسف حوالي ١١٠٠ - ١١٢٥م .



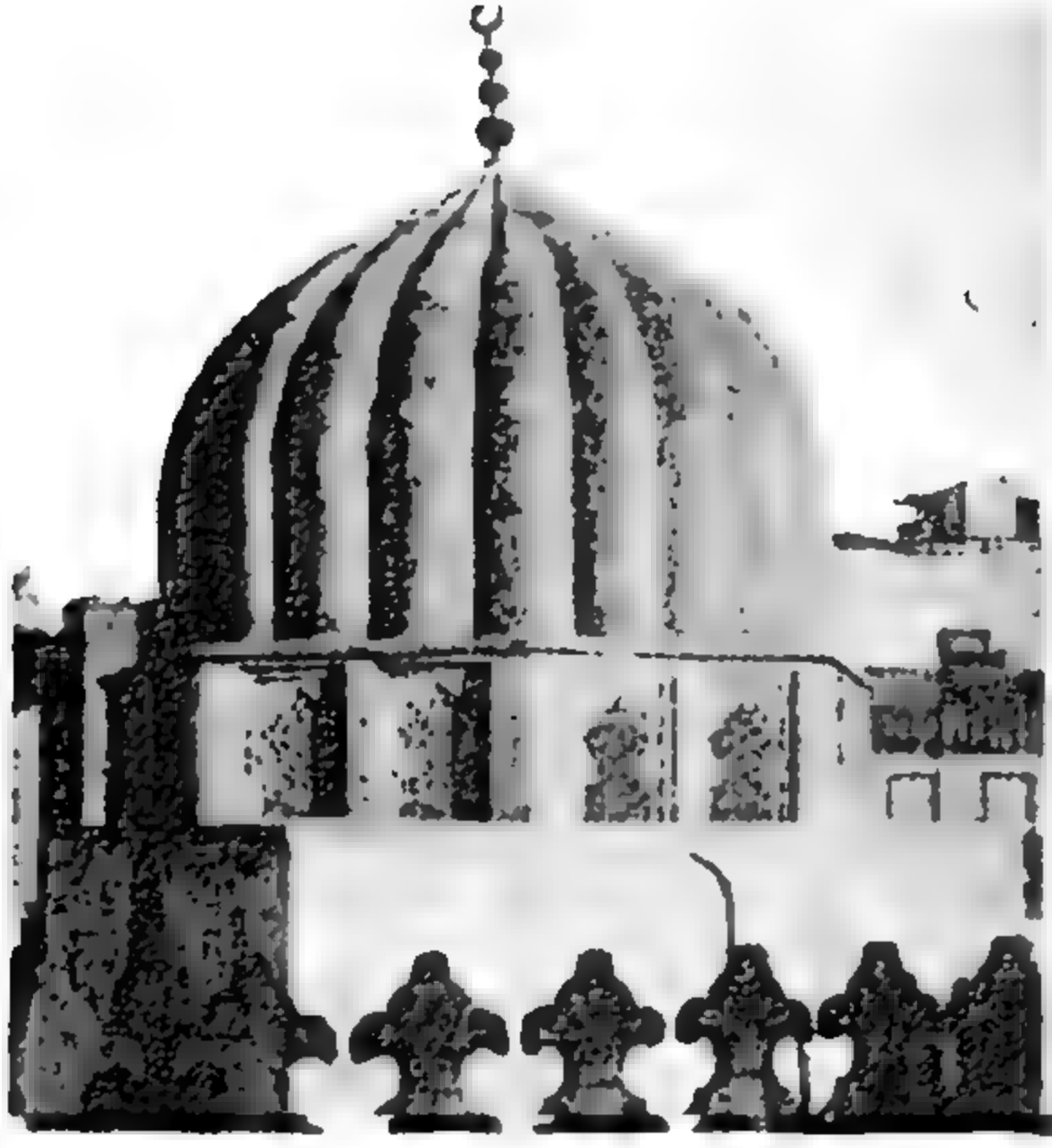
د - ضريح أخوة يوسف .



هـ - قوس ، ضريح في الجانب الشرقي للجامع حوالي ١١٢٠ - ١١٣٠م .



و - قوس ، ضريح في الجانب الشرقي للجامع .



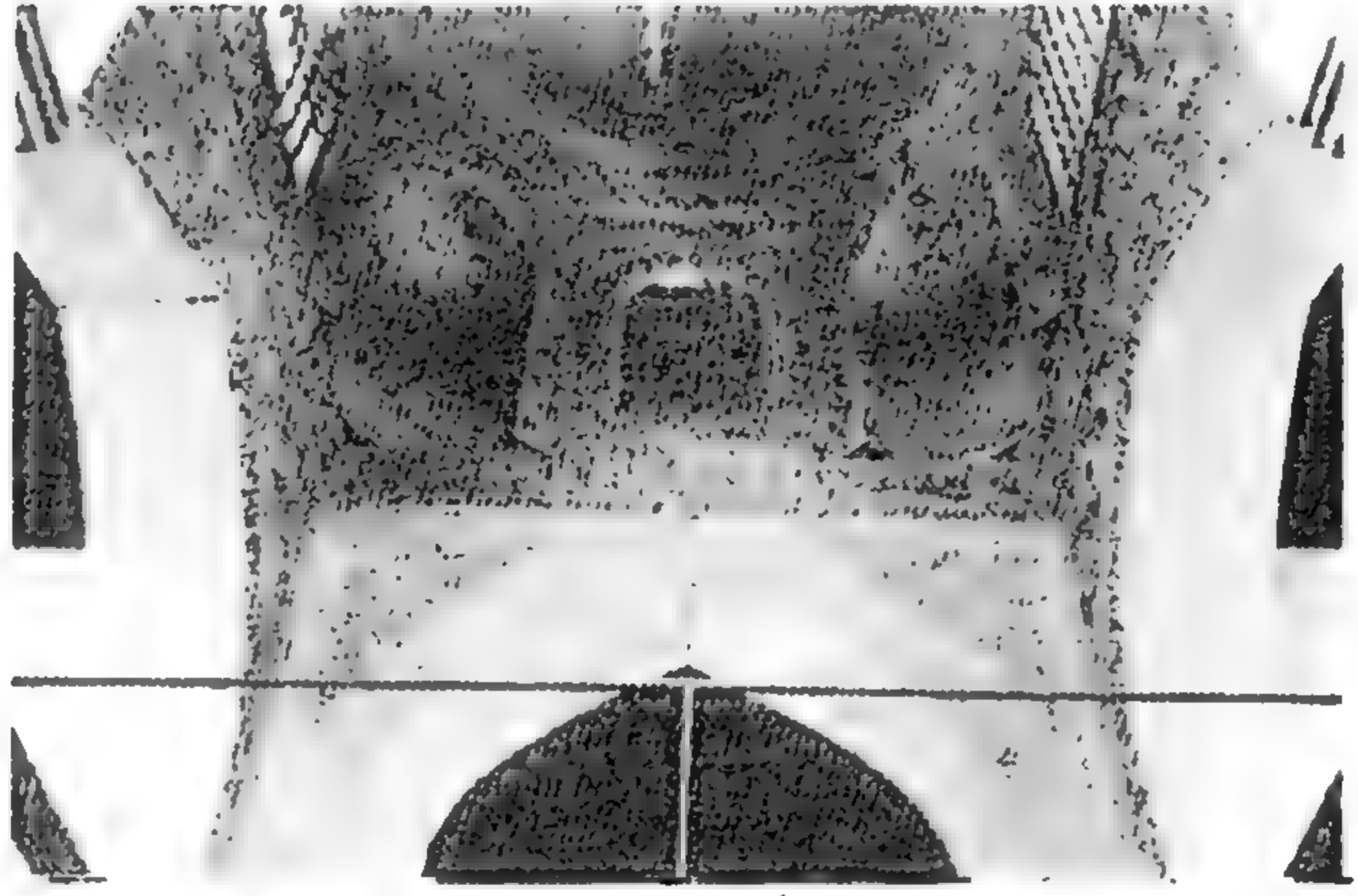
ب - ضريح (مشهد) السيدة رقية .



أ - ضريح (مشهد) السيدة رقية ٥٢٧هـ / ١١٣٣م .



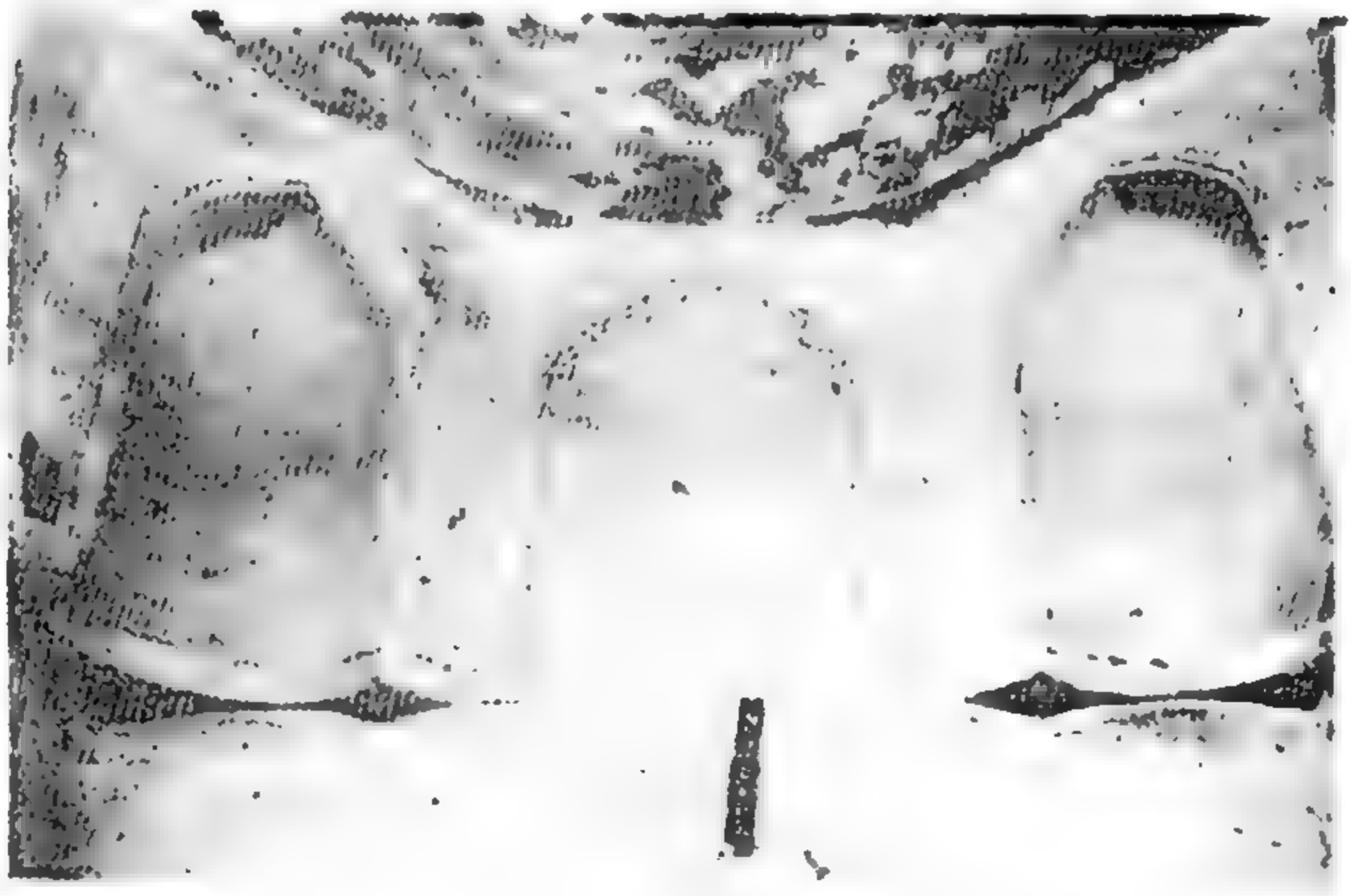
د - جامع الأزهر .



ج - جامع الأزهر، القبلة في مقدمة
المجاز ٥٢٤ - ٥٤٤هـ / ١١٣٠ - ١١٤٩م .

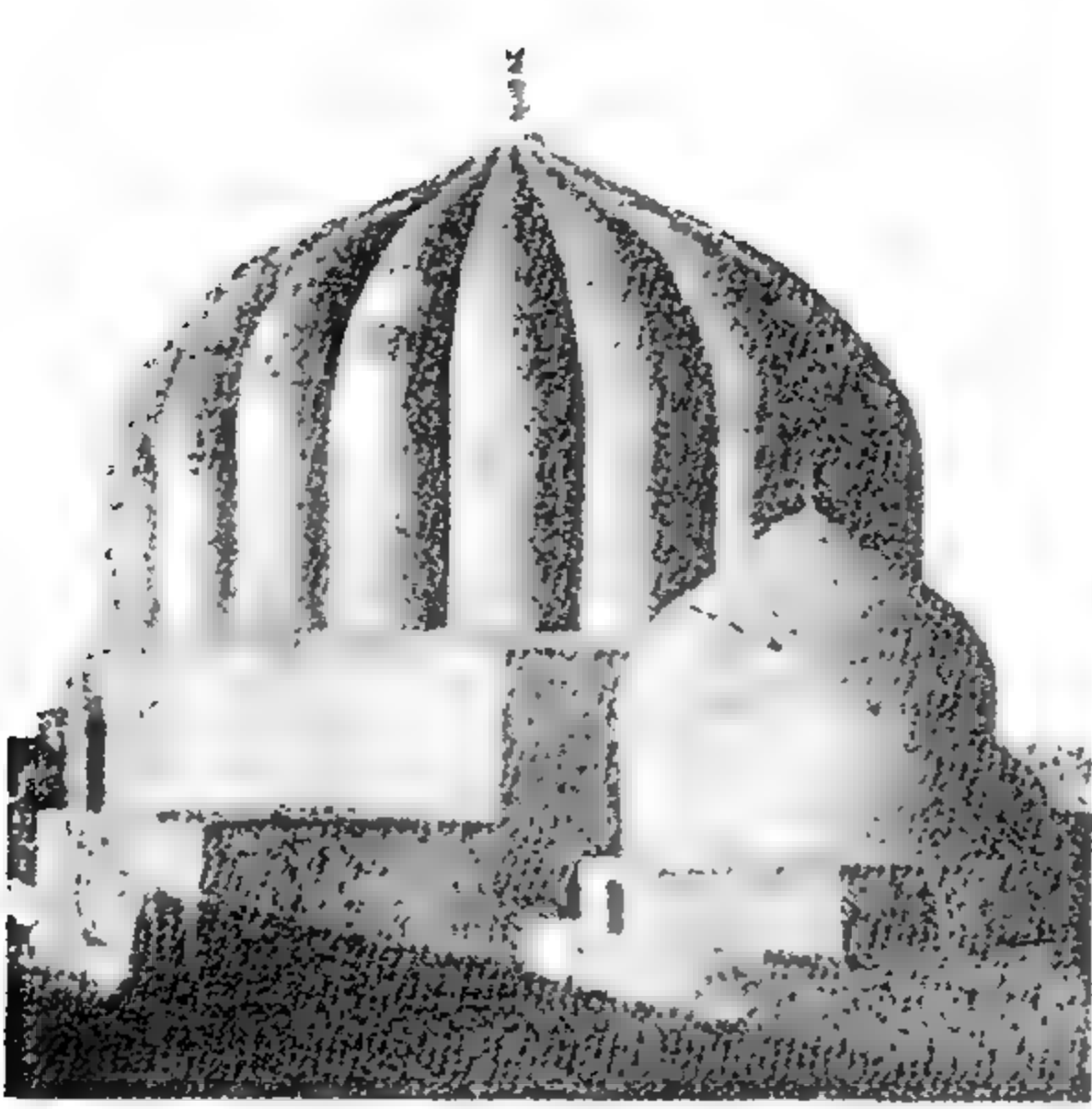


و - ضريح محمد الحصواني .

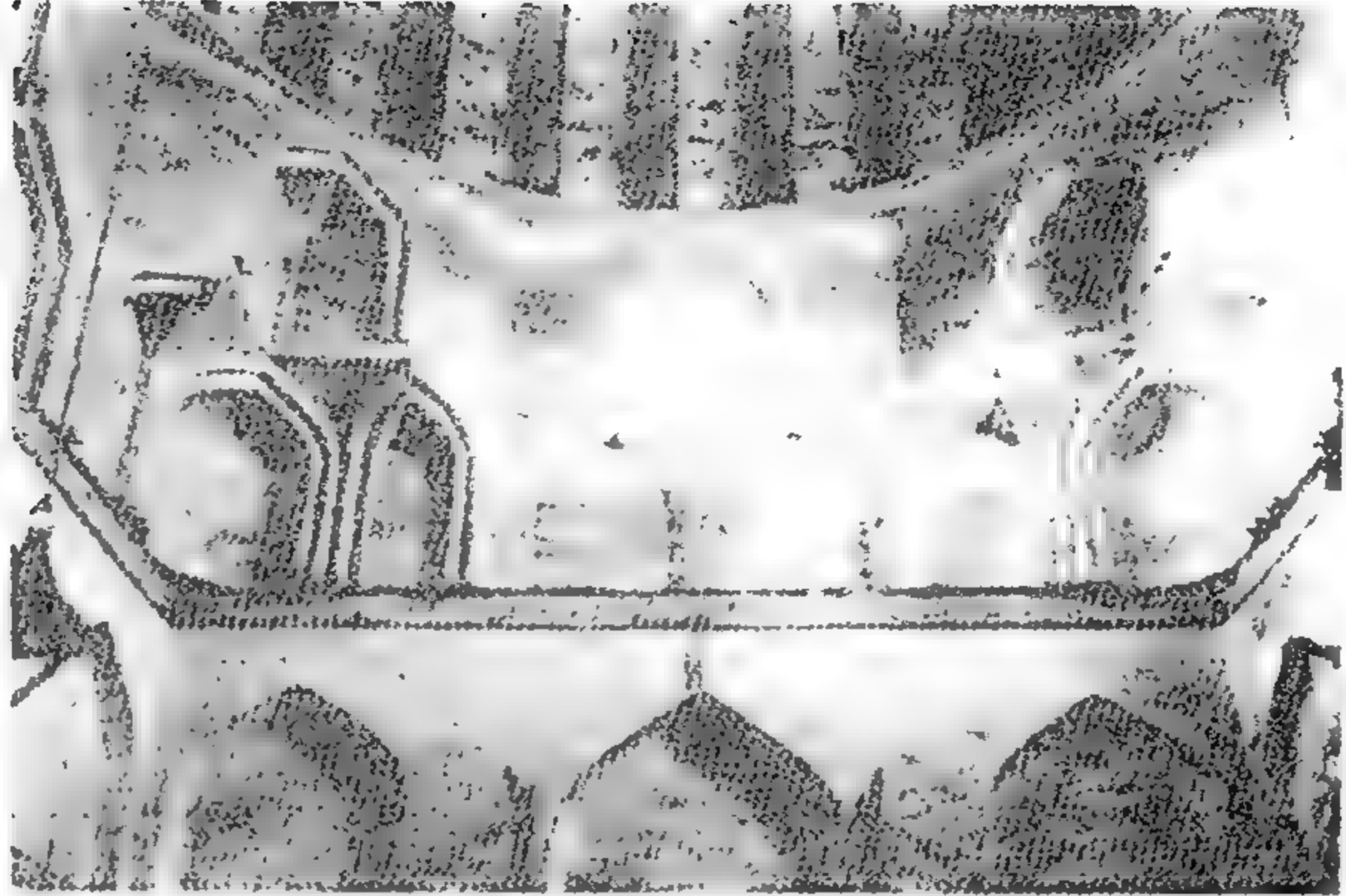


هـ - ضريح محمد الحصواني حوالي ١١٢٥ - ١١٥٠م .

(لوحة رقم ١١٣) تتبع القباب والدلايات .

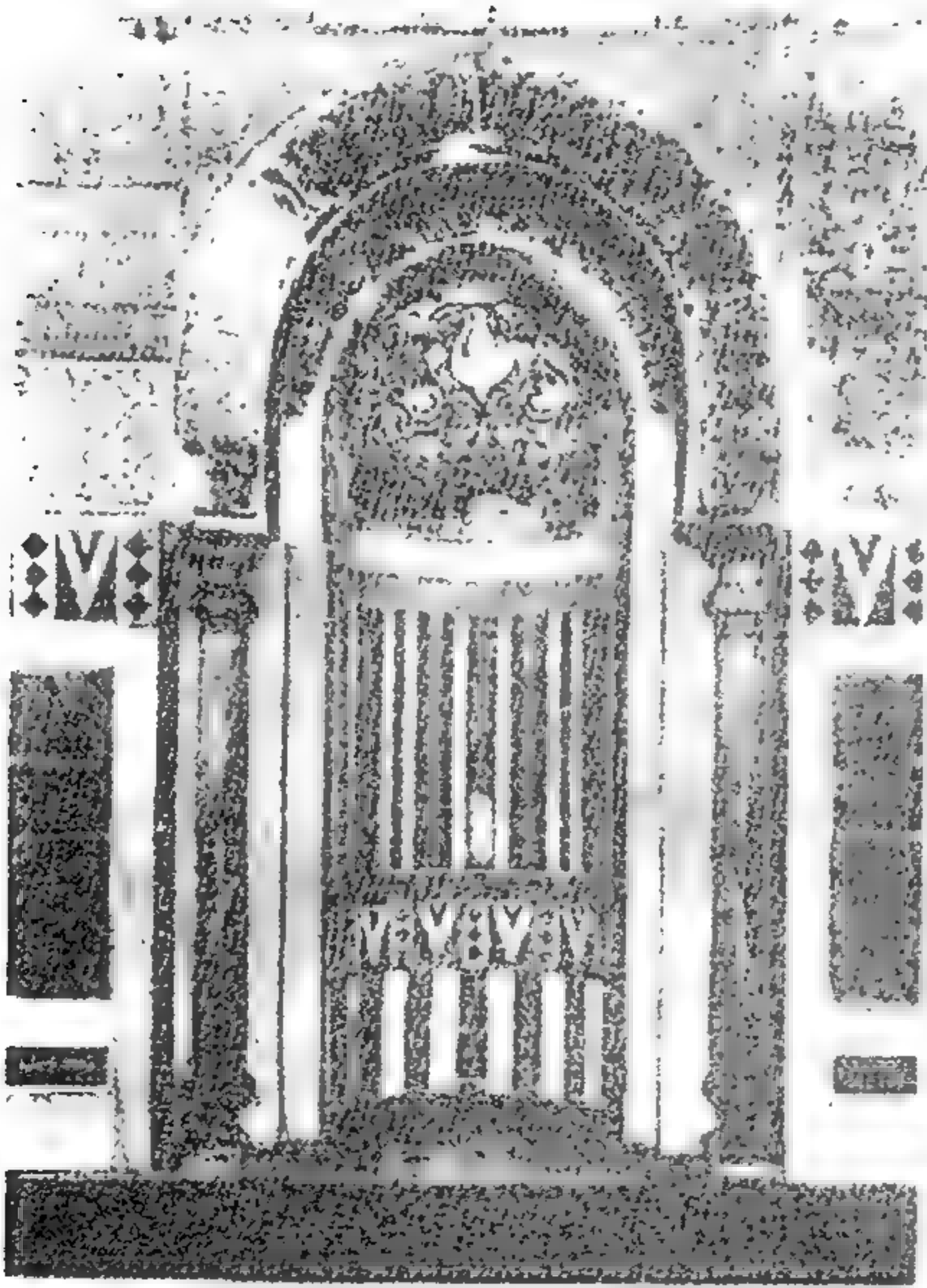


ب - ضريح يحيى الشبيه حوالي ١١٥٠ م .

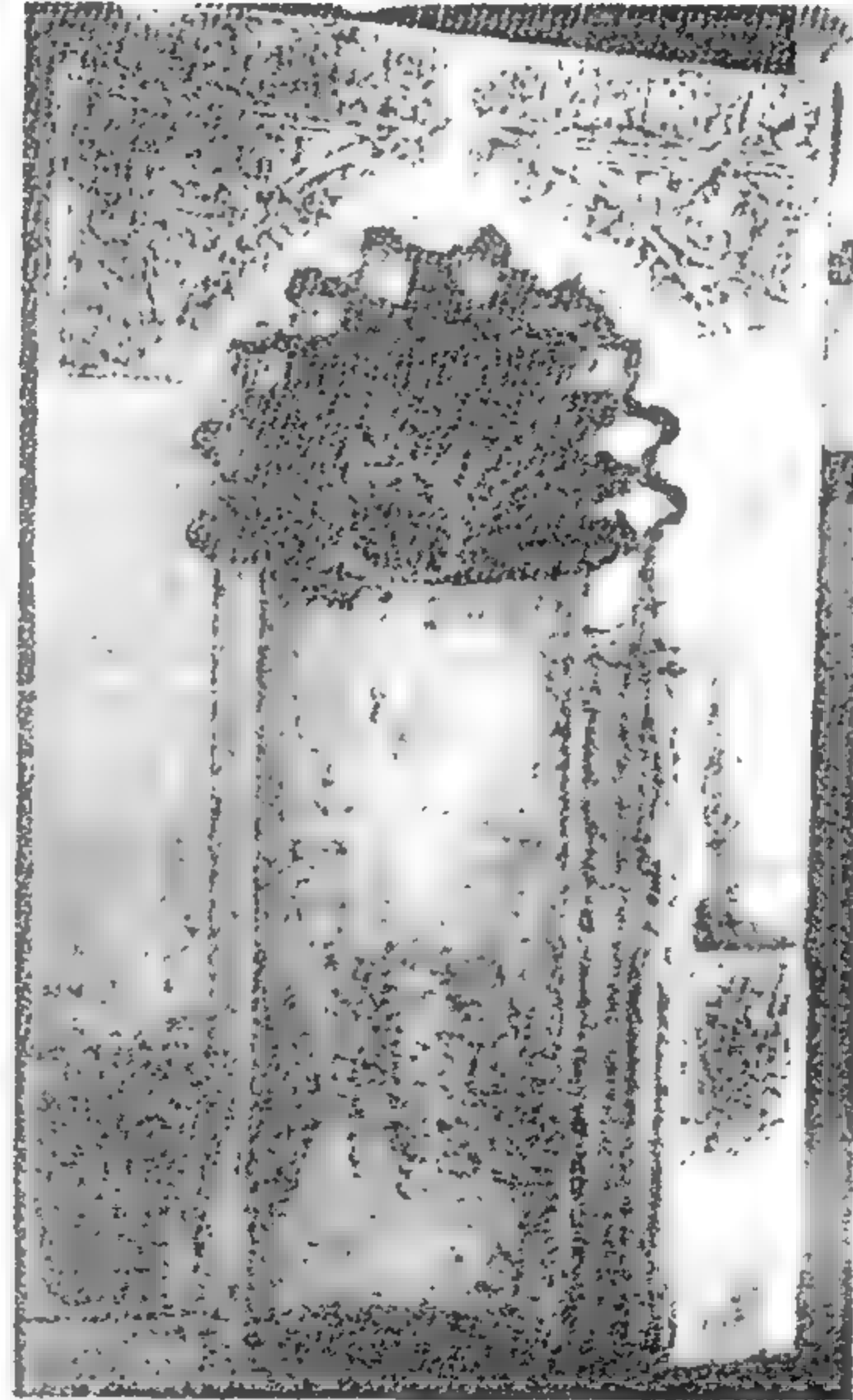


أ - ضريح (مشهد) يحيى الشبيه حوالي ١١٥٠ م .

(لوحة رقم ١١٤) تتبع القباب والدلايات .



د - جامع الأزهر، (زخرفة العقد ونصف القبة
(الطاقية) فقط، والباقي متأخر) ٣٦١هـ/٩٧٢ م .



ج - محراب قديم يتقدم
مشهد الشبيه من الشرق
في متحف الفن الإسلامي حوالي ٩٥٠ م .

(لوحة رقم ١١٤) تتبع المحاريب .



أ - مسجد الحاكم ،
محراب في السطح ٥٣٩٣ / ١٠٠٣ م .

ب - مسجد الحاكم ، المحراب الرئيسي .

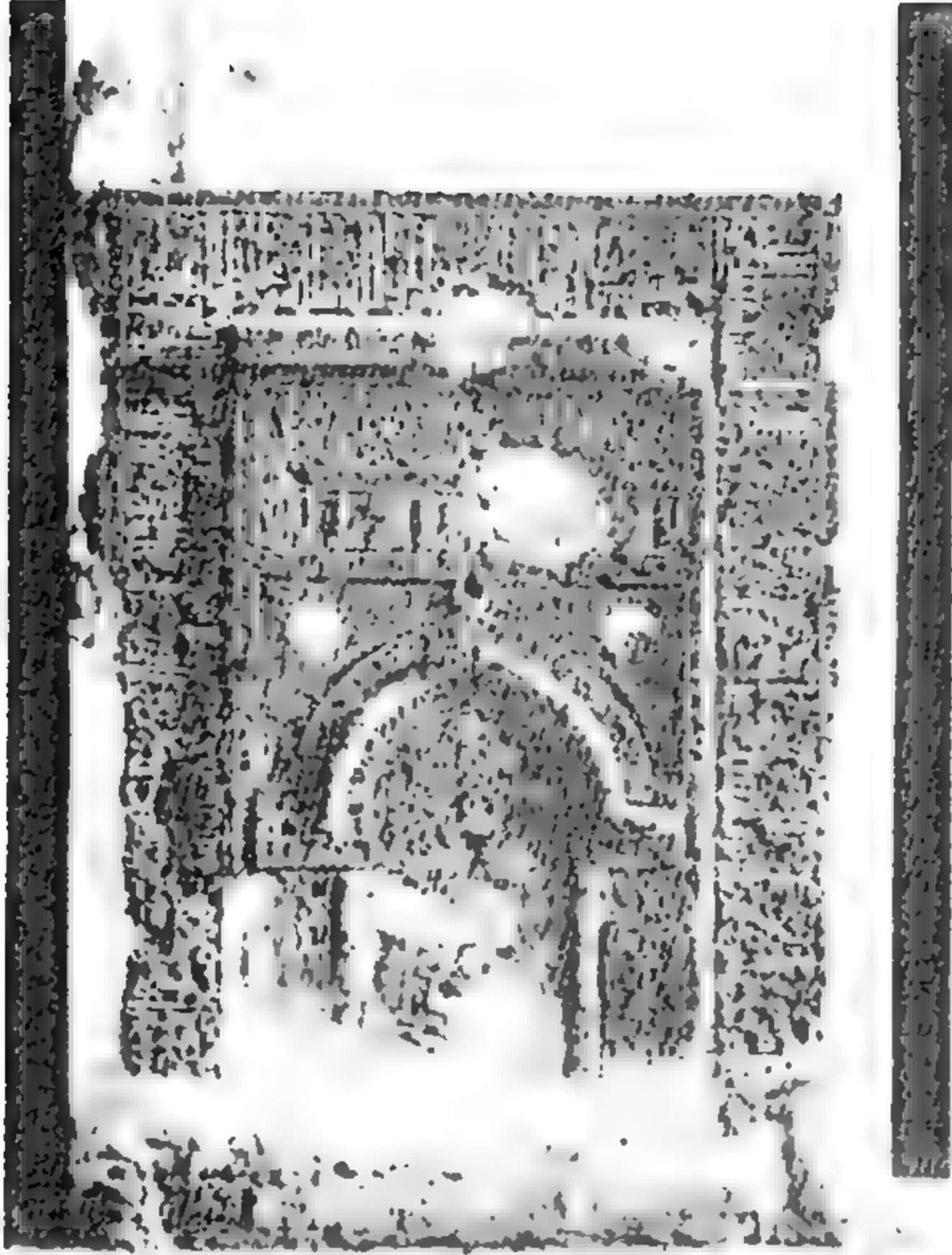


د - مسجد لؤلؤة ،
محراب في الحجرة العلوية
٤٠٦ هـ / ١٠١٥ - ١٠١٦ م .

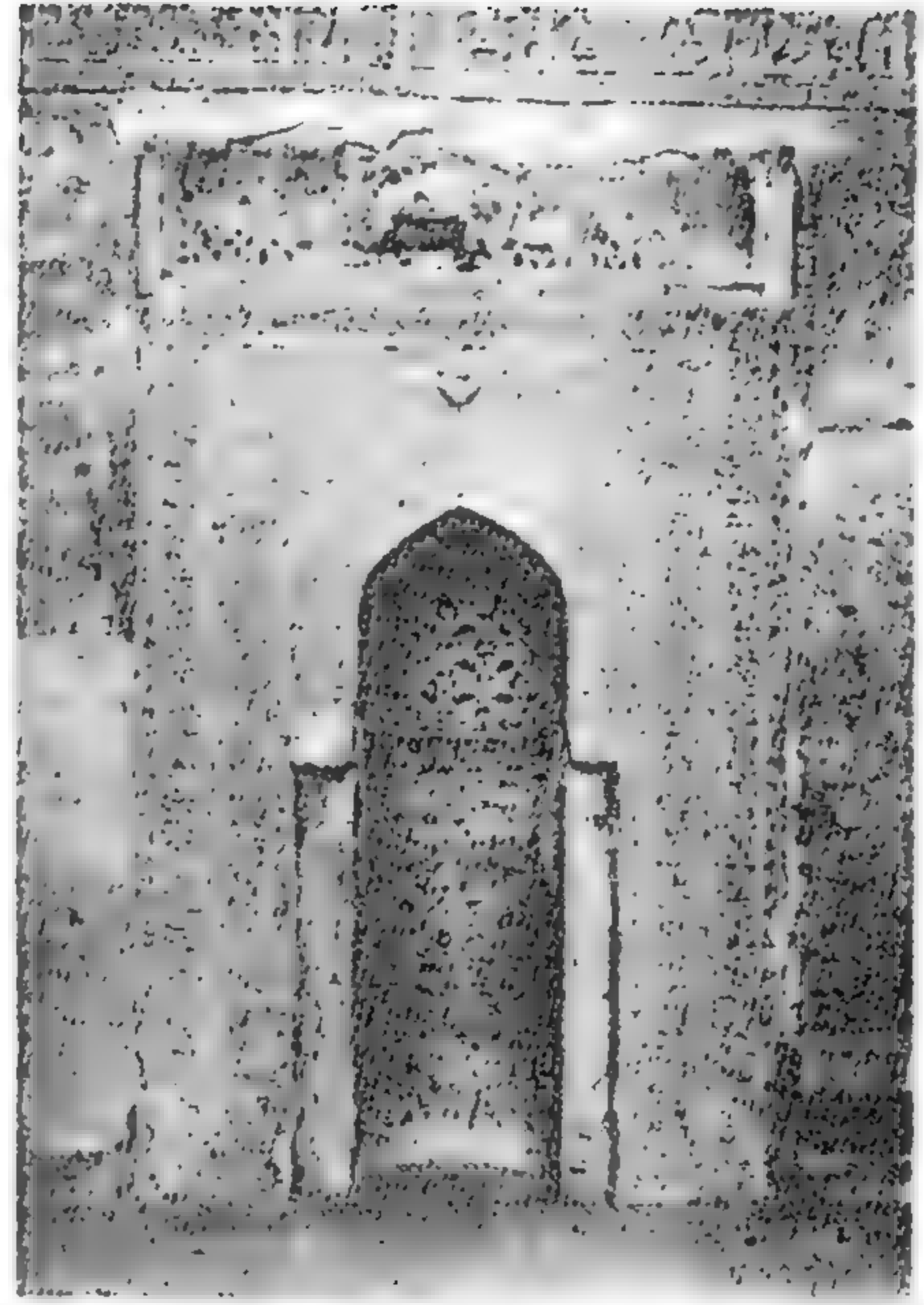


ج - مسجد لؤلؤة ،
محراب في الحجرة السفلية
٤٠٦ هـ / ١٠١٥ - ١٠١٦ م .

(لوحة رقم ١١٥) تتبع المحاريب .



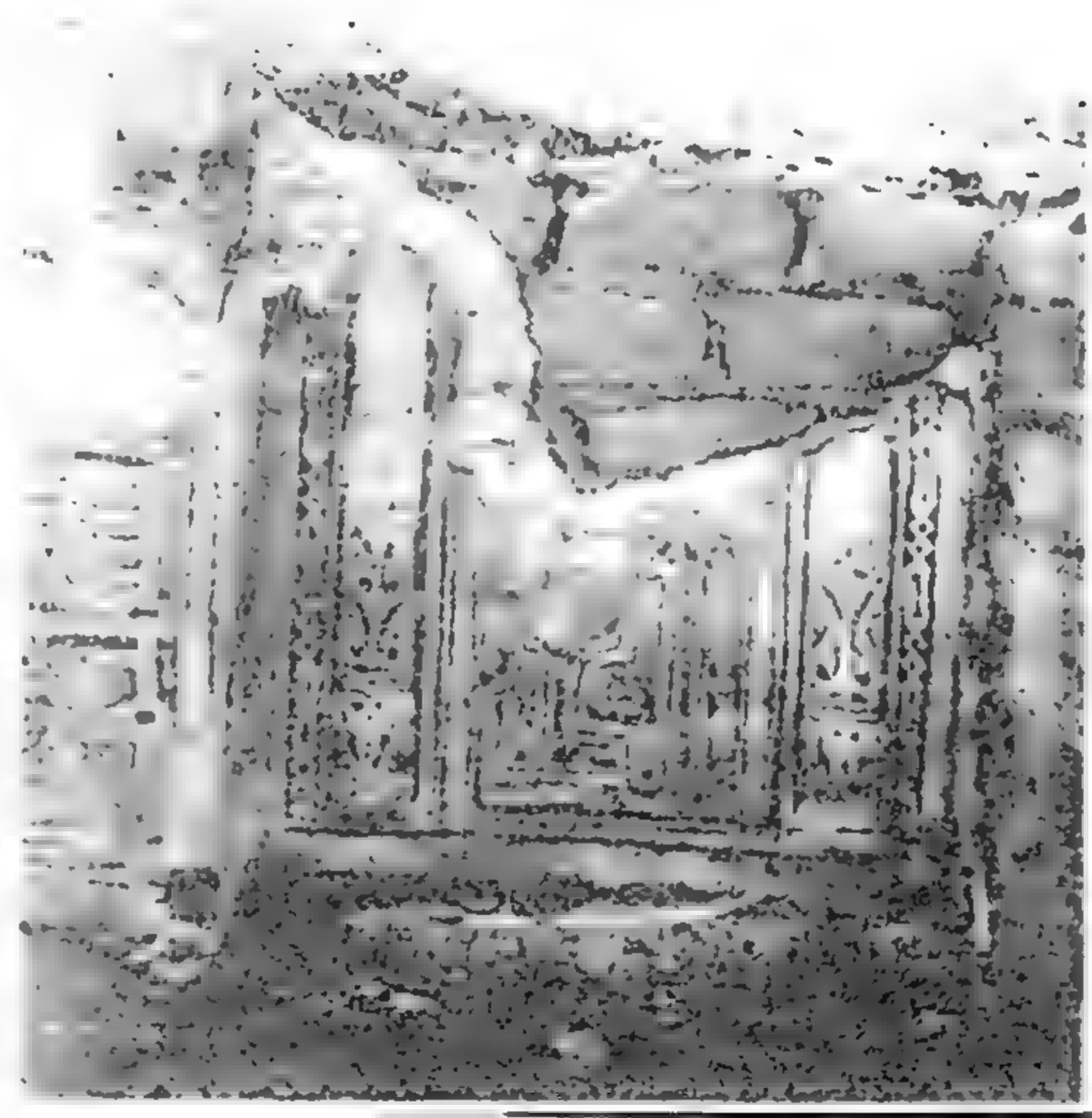
ب - محراب الأفضل
في جامع ابن طولون ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م .



أ - مسجد : (مشهد)
الجيوشي ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م .



د - خضرة الشريفة ، المحراب الرئيسي .



ج - خضرة الشريفة ،
المحراب الجانبي المكتشف
عن طريق الحفائر ٥٠١هـ / ١١٠٧ - ١١٠٨م .

(لوحة رقم ١١٦) تتبع المحاريب .



ب - ضريح السيدة عاتكة حوالي ١١٢٠ م.



أ - ضريح محمد الجعفري حوالي ١١١٠ م.



د - مسجد موسى في مسجد
الشيخ موسى قبل ٥١٣ هـ / ١١١٩ م.



ج - ضريح الشيخ يونس بعد ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م.



أ - أخوة يوسف ، المحراب الثلاثي حوالي ١١٢٥ م .

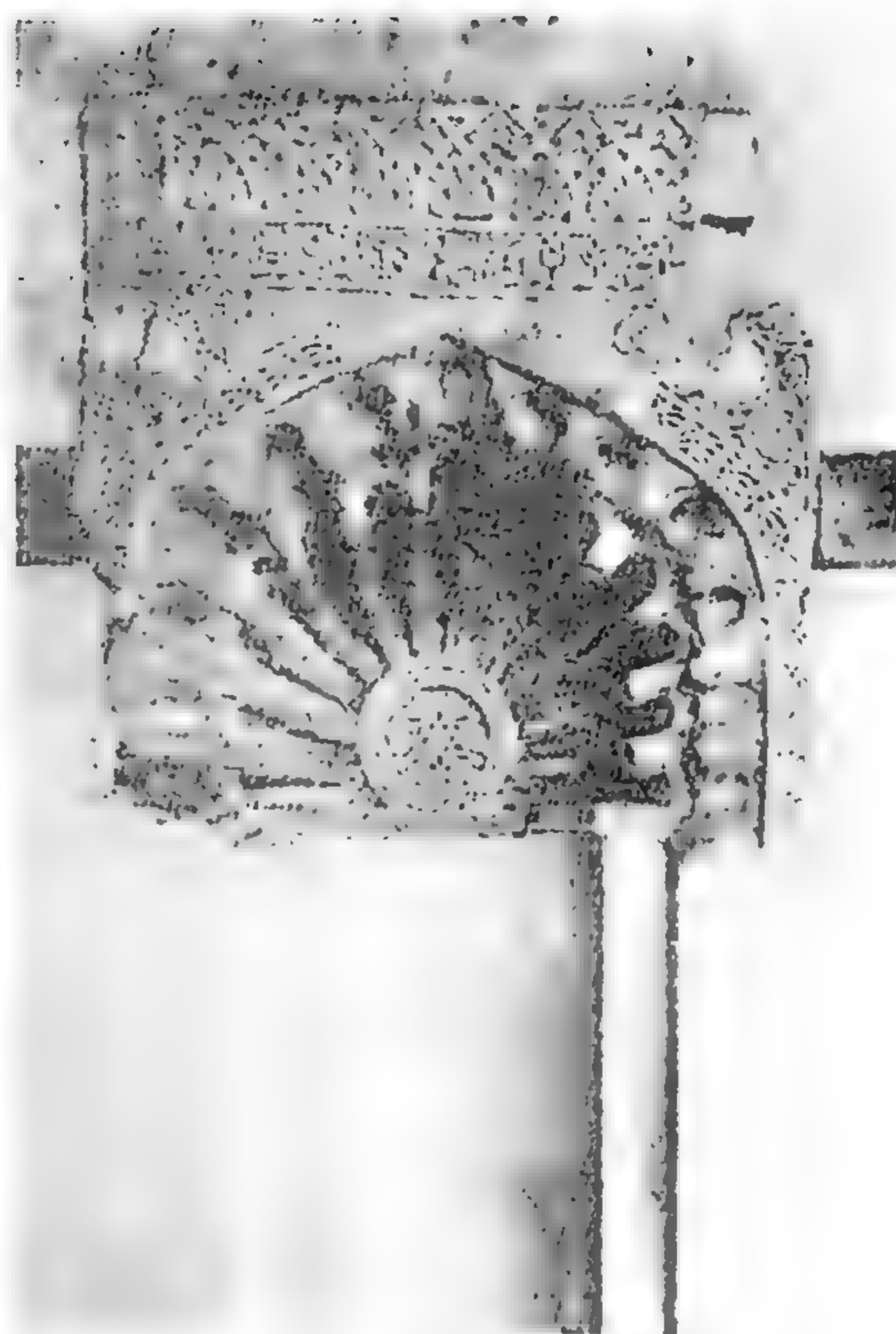
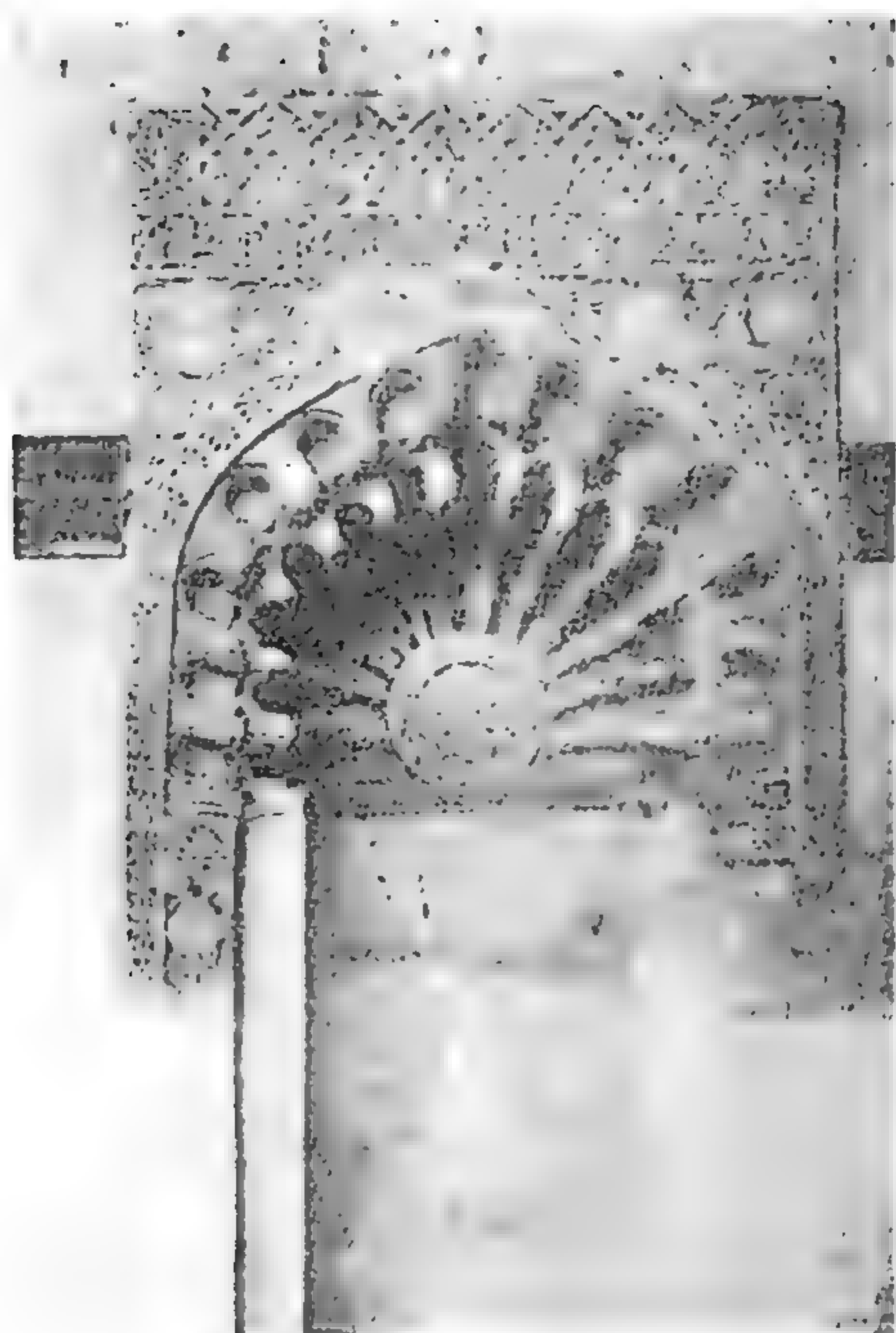


ج - محراب الأمر للجامع الأزهر (بمتحف
الضن الإسلامي حالياً) ٥١٩ هـ / ١١٢٥ - ١١٢٦ م .



ب - ضريح (مشهد) أم كلثوم
٥١٦ هـ / ١١٢٢ م

(لوحة رقم ١١٨) تتبع المحاريب .

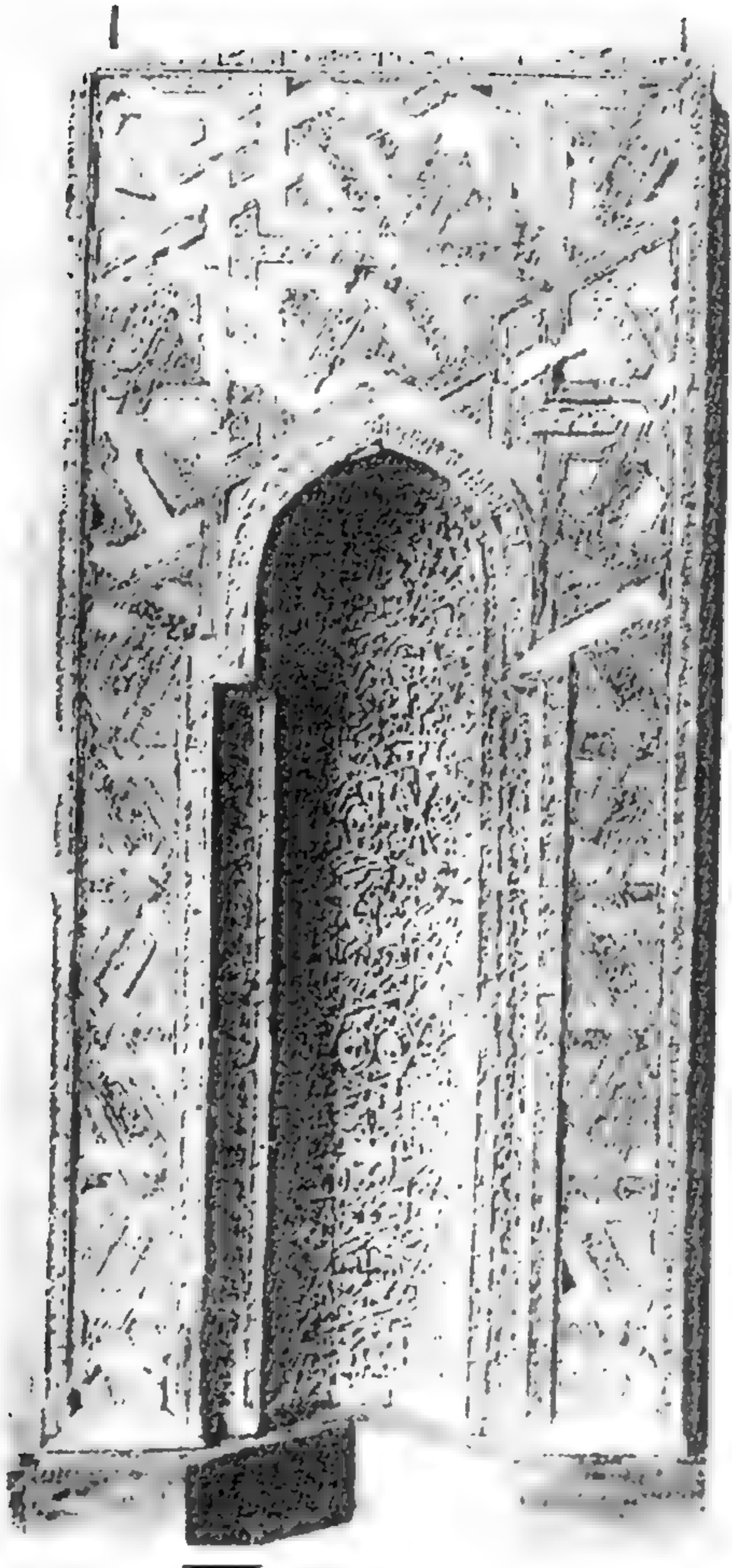


أ، ب - مشهد السيدة رقية ٥٢٧هـ / ١١٣٣م ، المحرابان بالسقيفة عن يمين ويسار المدخل (٣٦٨×٧٢رام و٣٦٨×١٧٠ر) .

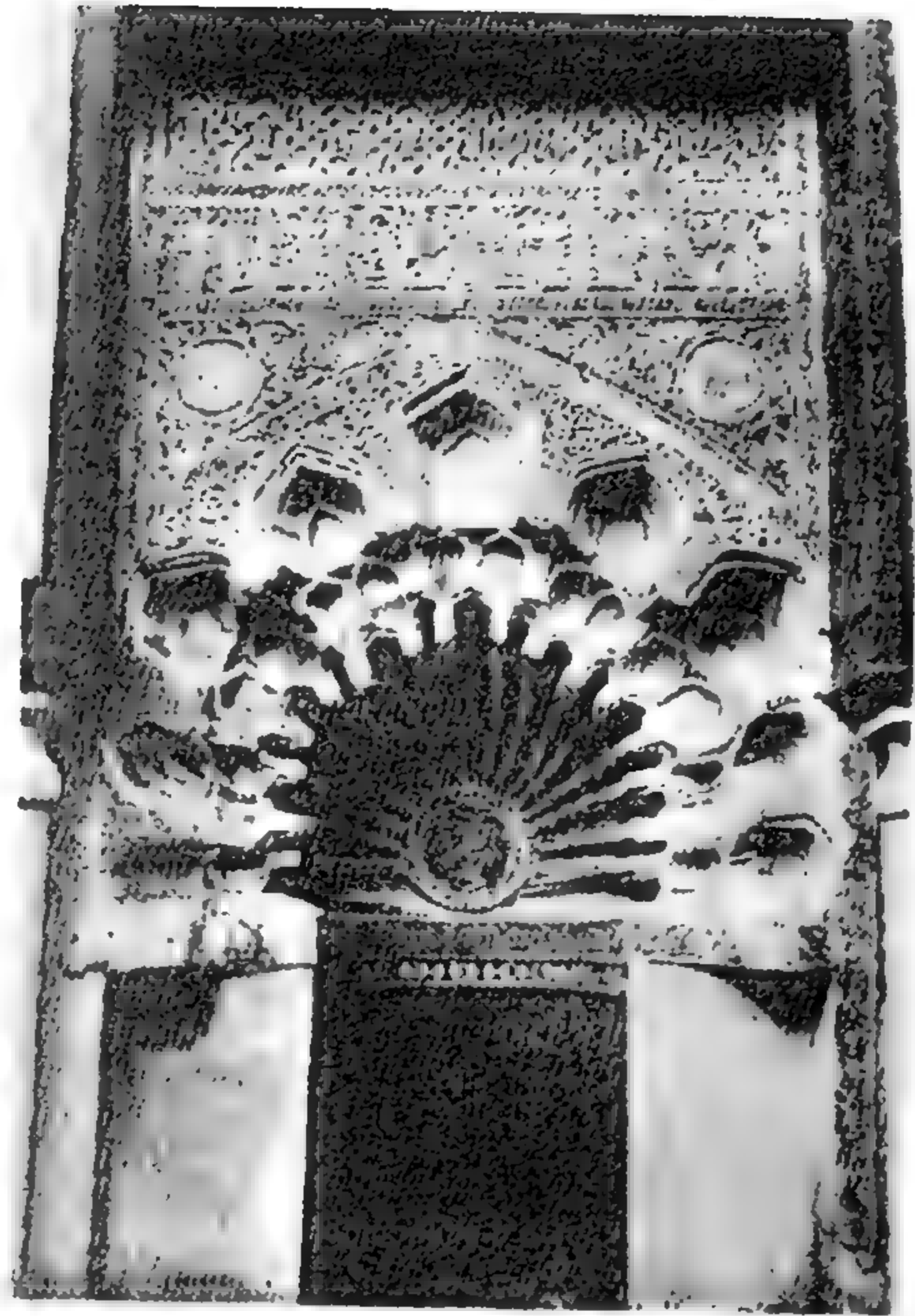


ج، د - مشهد السيدة رقية ٥٢٧هـ / ١١٣٣م ، المحرابان الداخليان عن يمين ويسار المحراب الرئيسي .

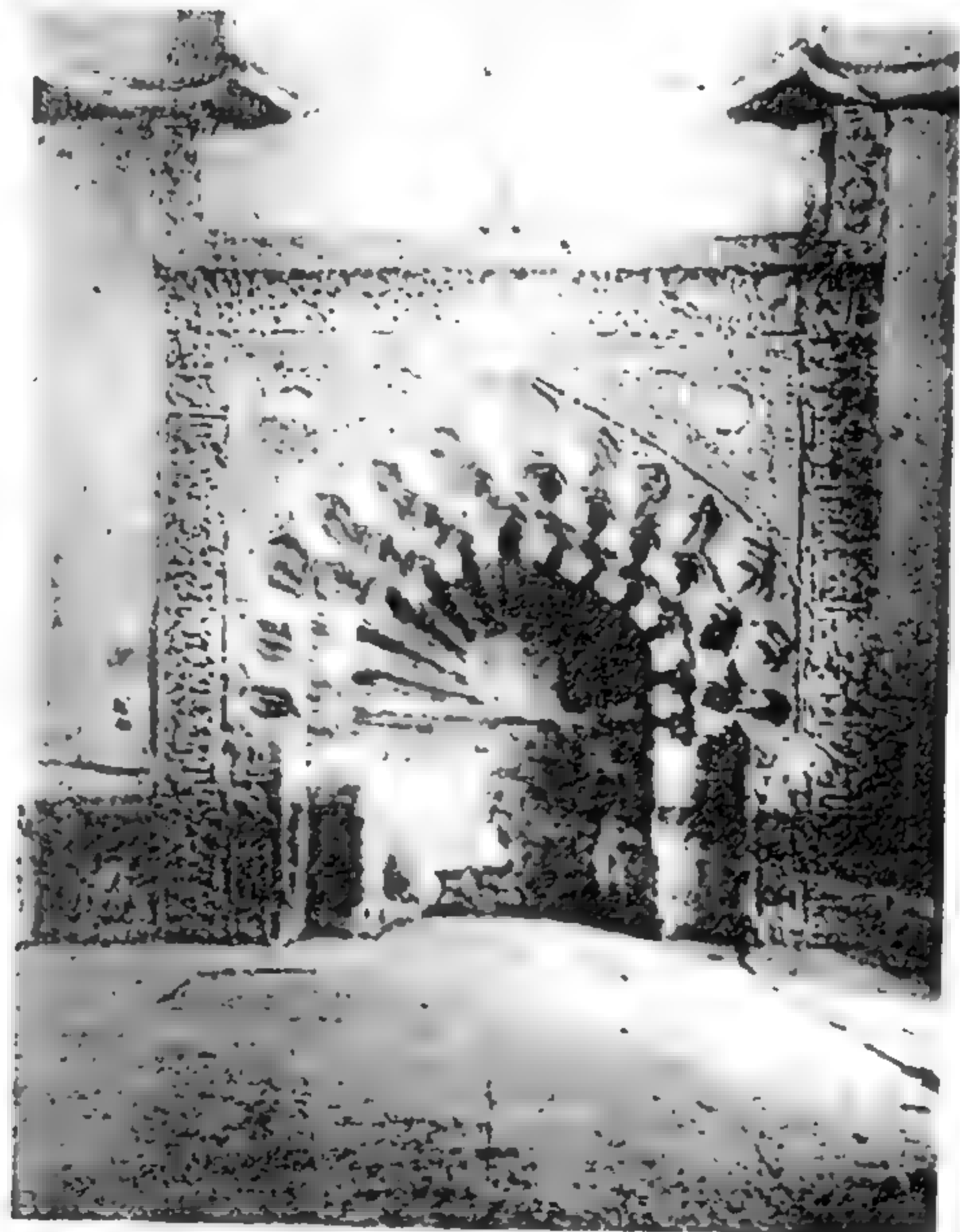
(لوحة رقم ١١٩) تتبع المحاريب .



ج - محراب السيدة نفيسة
حوالي ٥٣٢هـ / ١١٣٨م .

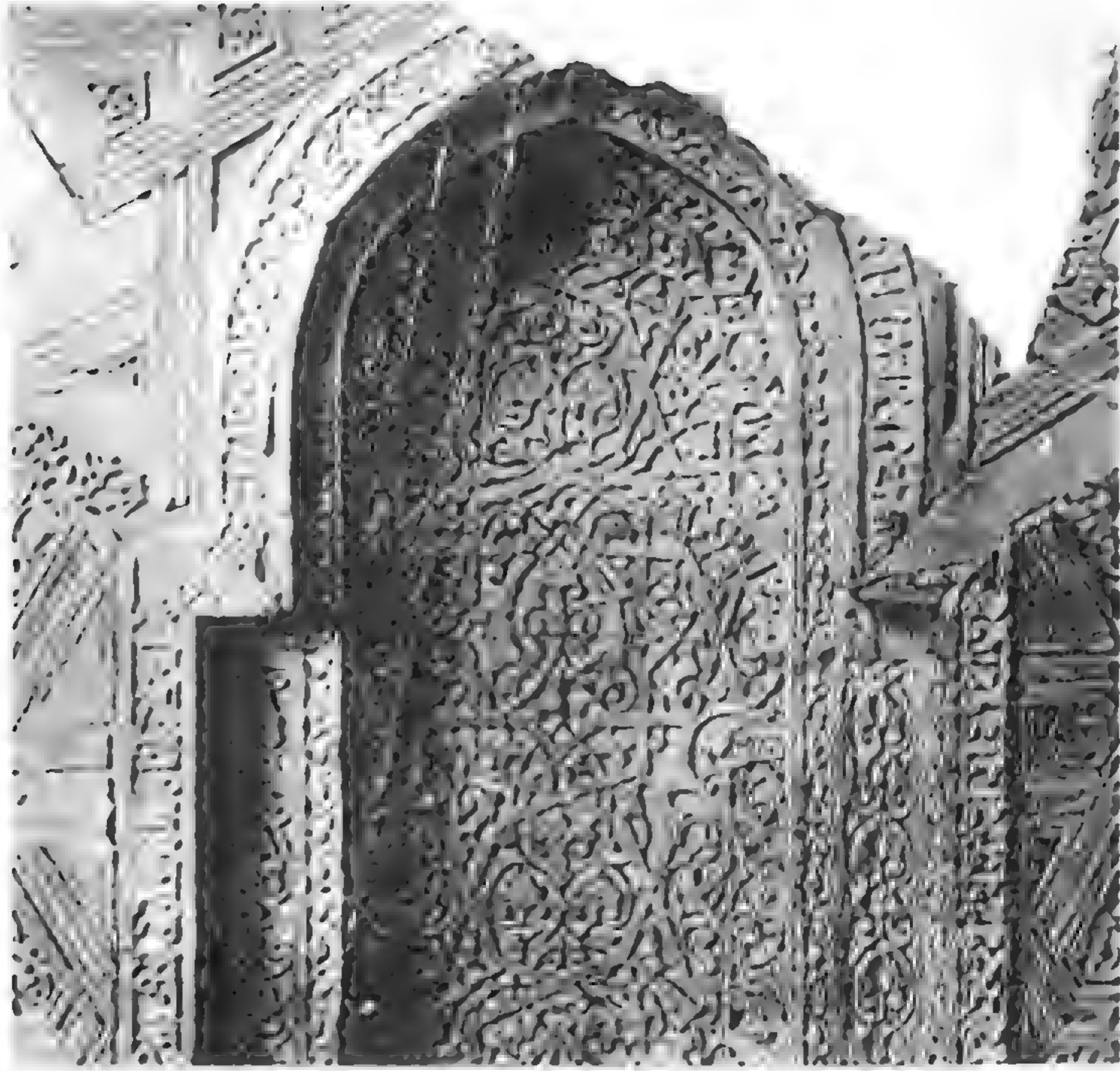


أ - مشهد السيدة رقية ٥٢٧هـ / ١١٣٣م ،
المحراب الرئيسي (٥٢ر٥ × ٢٩٥م) .



ب - ضريح محمد الحسواتي
حوالي ١١٢٥ - ١١٥٠م ، (٢٧٧ر٢ × ٢٤٩م) .

(لوحة رقم ١٢٠) تتبع المحاريب .



أ - محراب السيدة نفيسة ، حوالي ٥٣٢هـ / ١١٣٨م تفصيل .

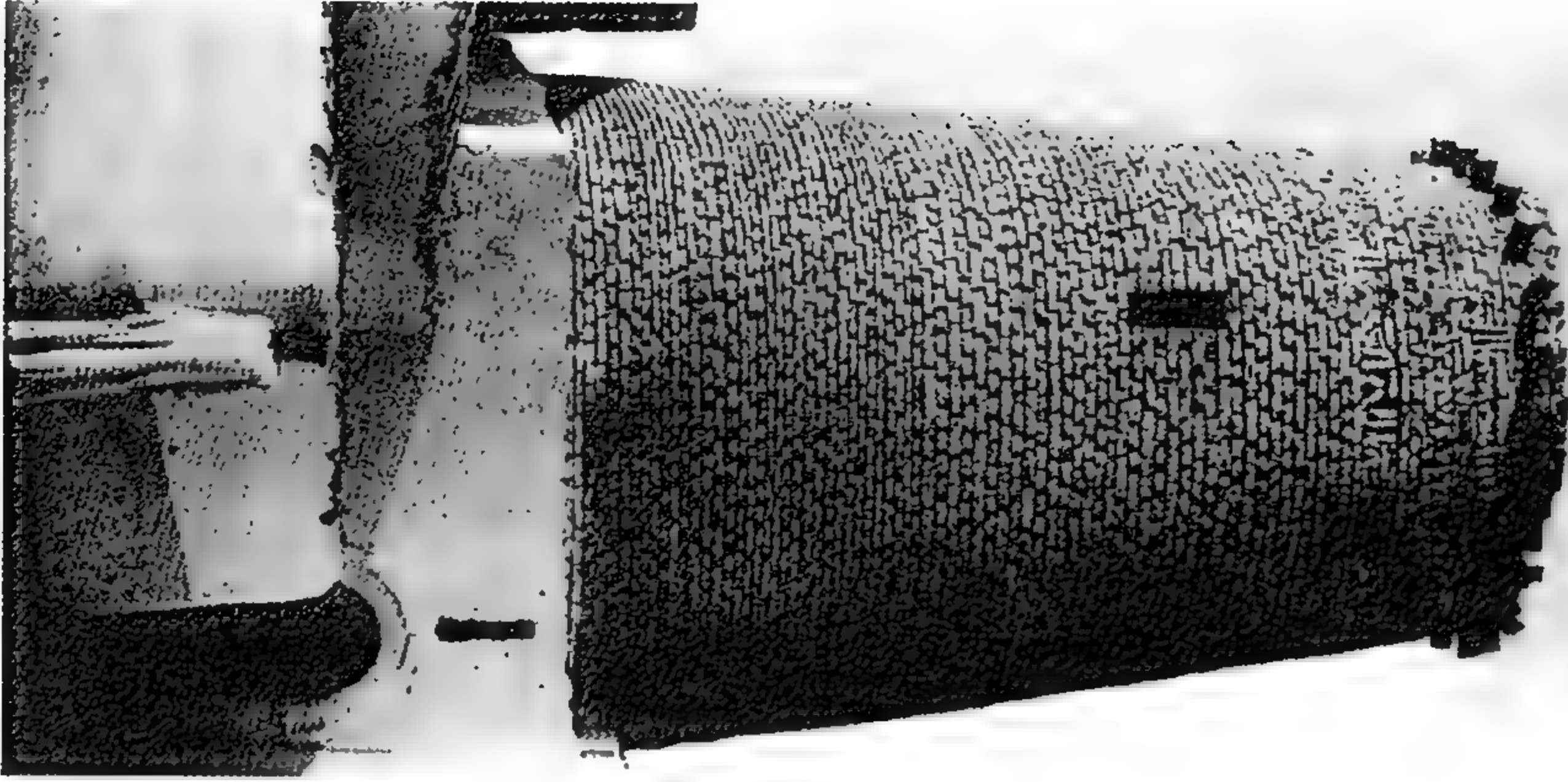


ج - ضريح (مشهد) يحيى الشبيه
حوالي ١١٥٠م ، المحراب الرئيسي .

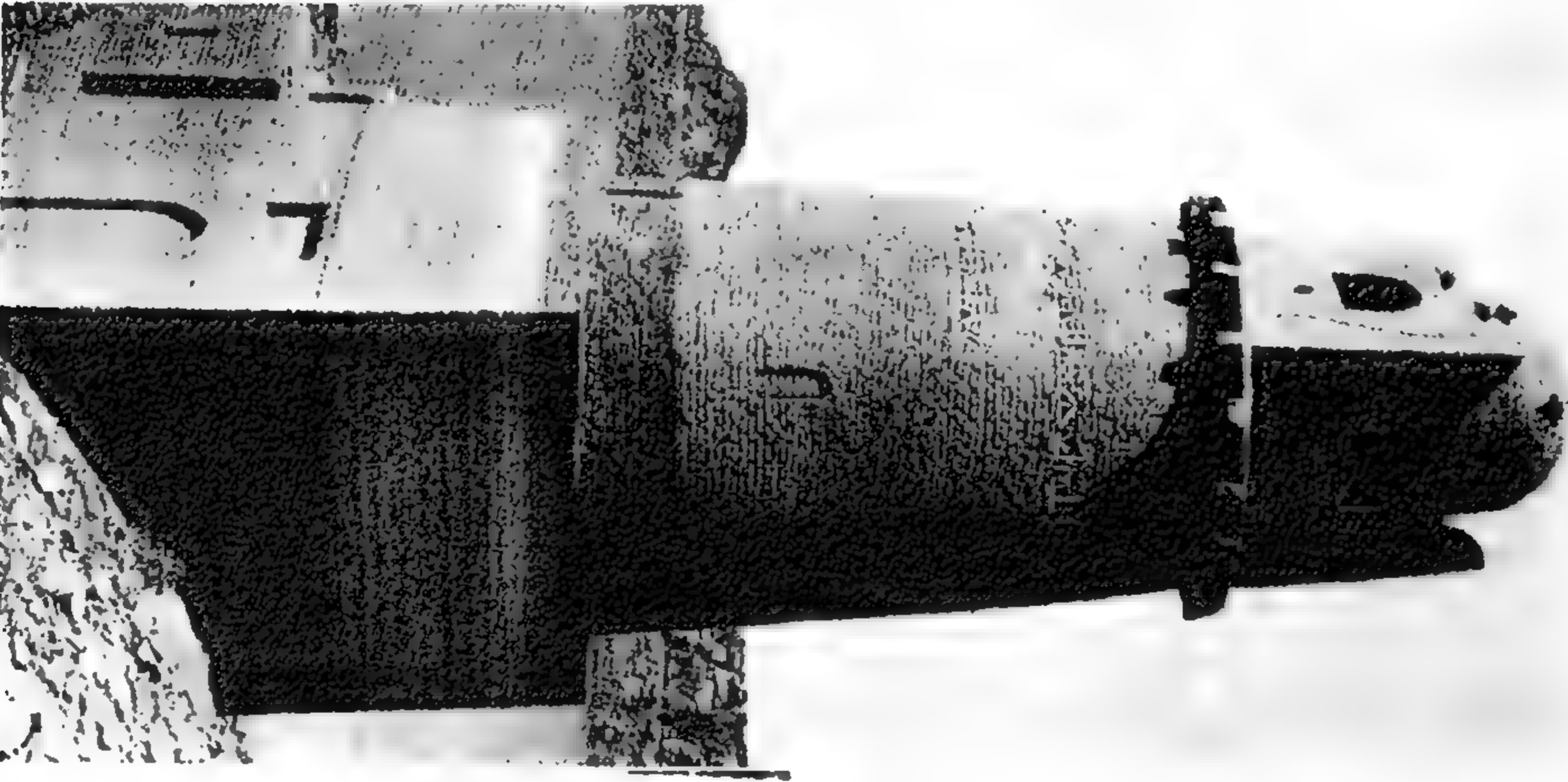


ب - ضريح (مشهد) يحيى الشبيه
حوالي ١١٥٠م ، المحراب الجانبي الأيسر .

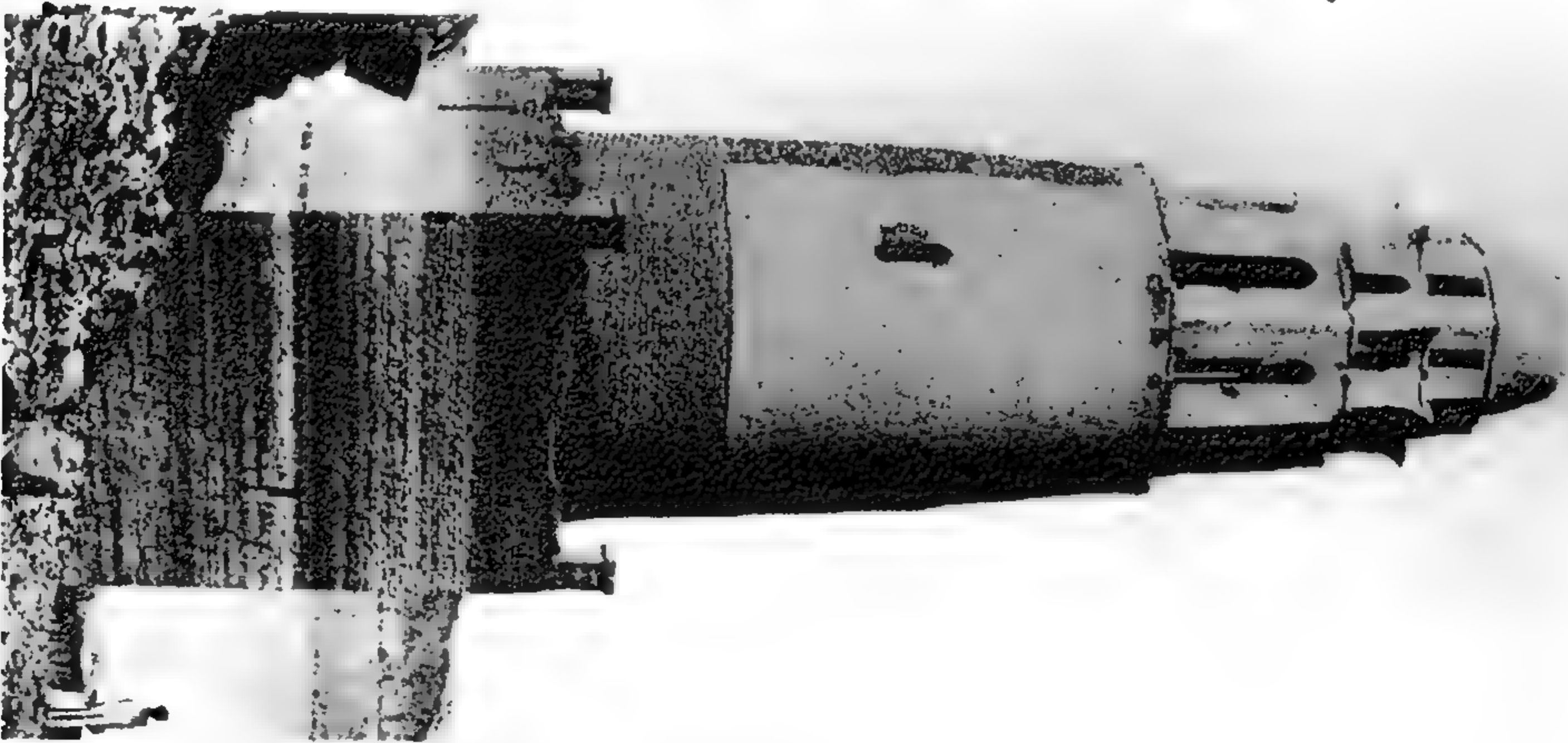
(لوحة رقم ١٢١) تتبع المحاريب .



أ - أسوان ، برج الطابية ٤٦٩ - ٤٧٤ هـ / ١٠٧٧ - ١٠٨١ م .

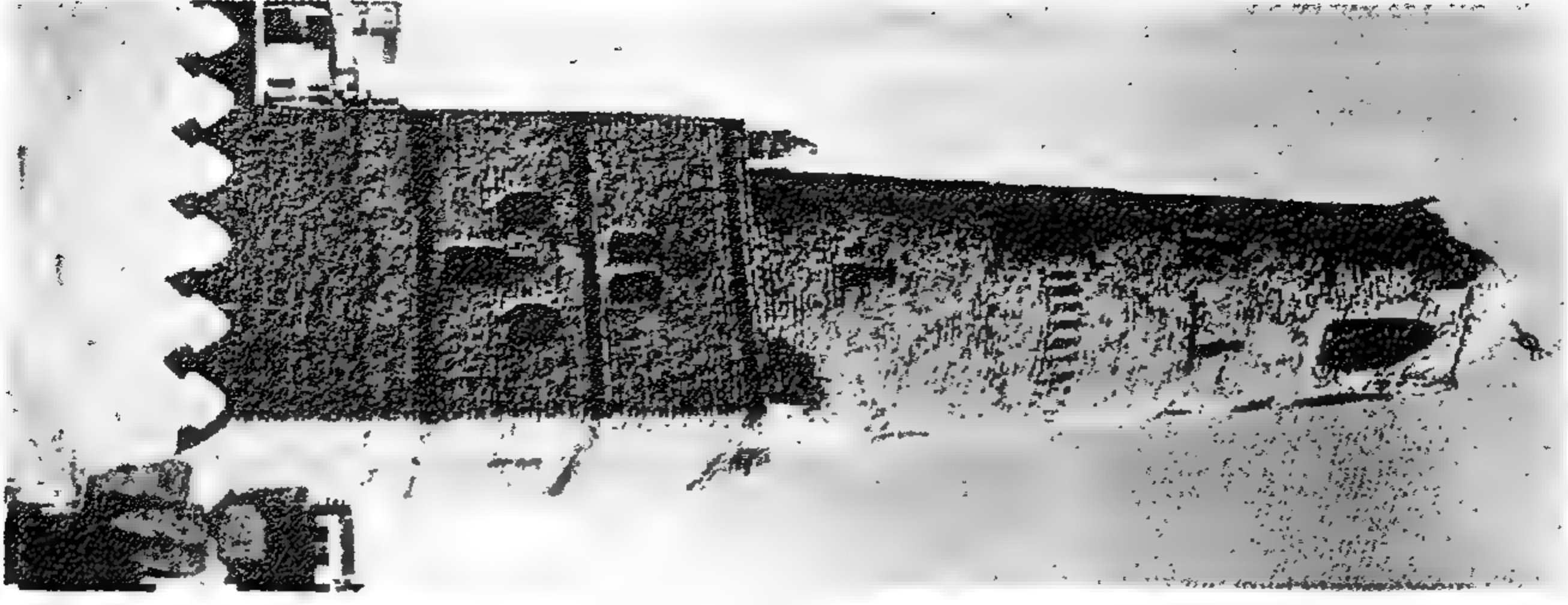


ب - المشهد البحري قرب الشلال ٤٦٩ - ٤٧٤ هـ / ١٠٧٧ - ١٠٨١ م .

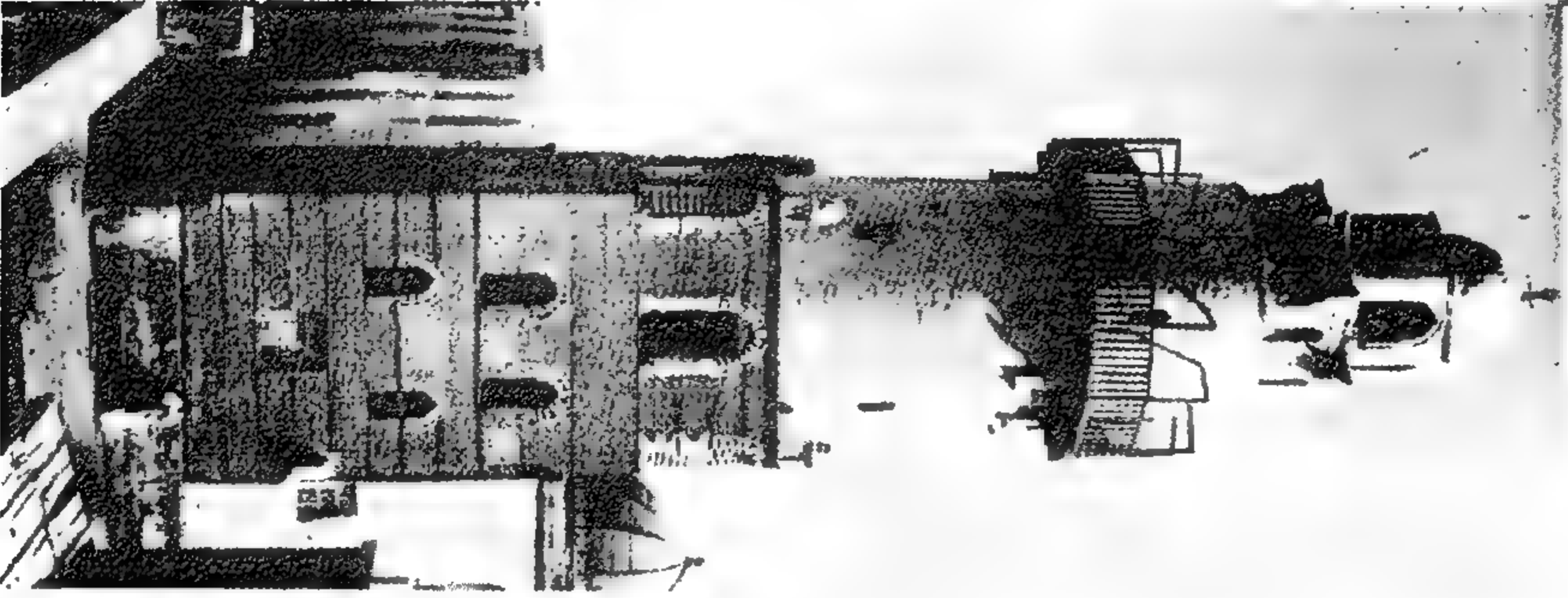


ج - المشهد القبلي قرب الشلال ٤٦٩ - ٤٧٤ هـ / ١٠٧٧ - ١٠٨١ م .

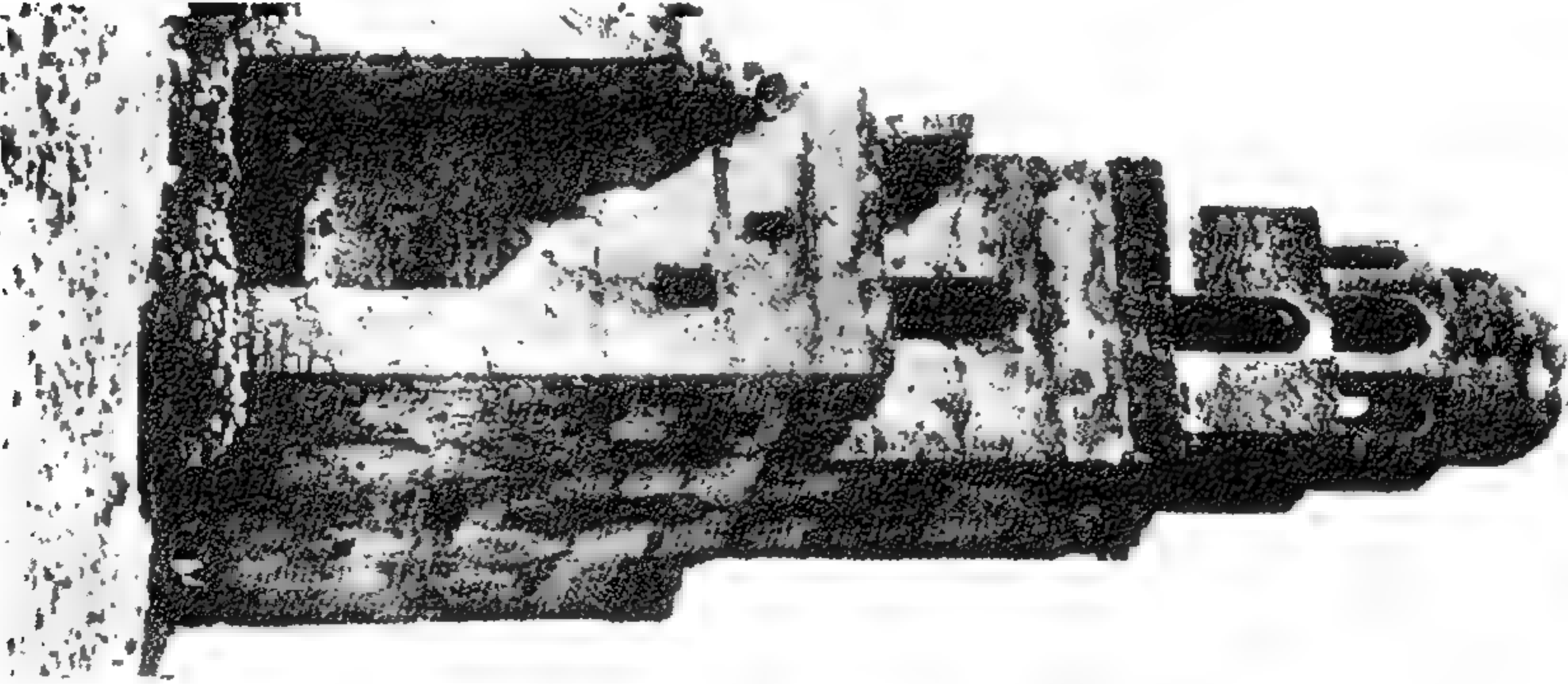
(لوحة رقم ١٢٢) تتبع المآذن .



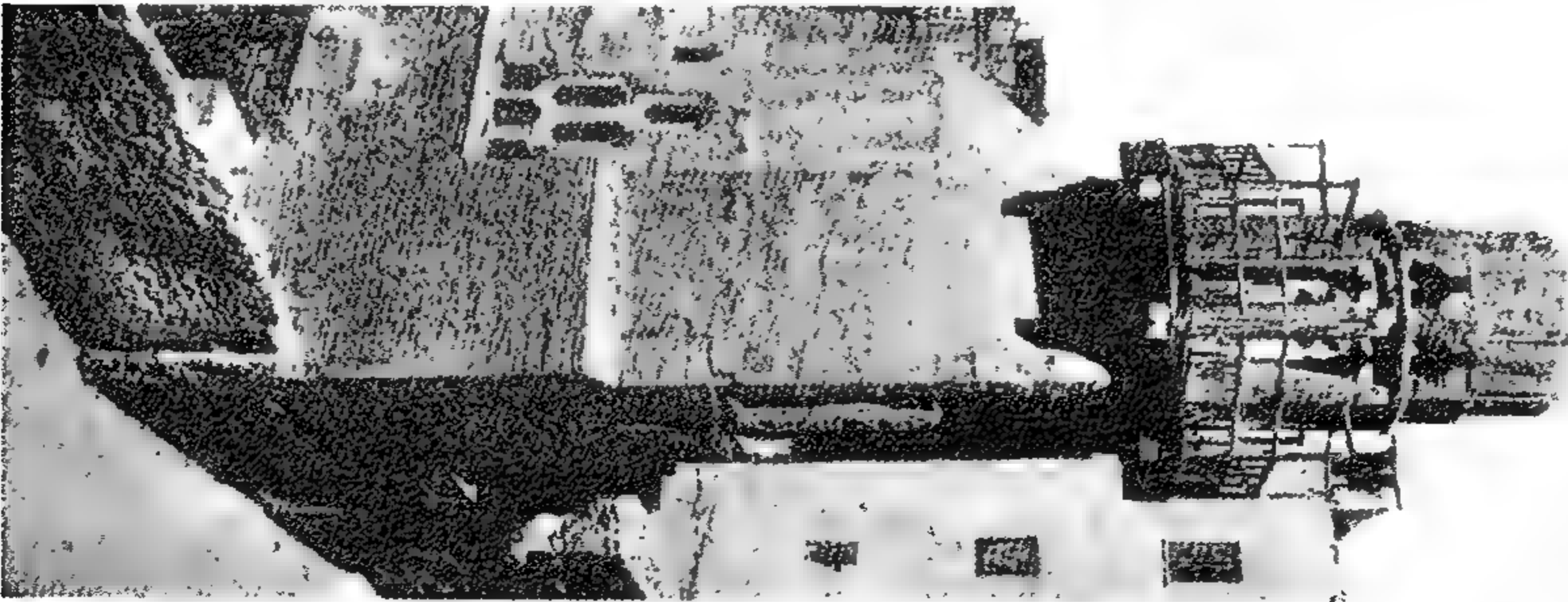
أ - الأقصر : منذنة مسجد أبو الحجاج .



ب - اسنا : منذنة الجامع الكبير ٤٧٤هـ / ١٠٨١ - ١٠٨٢ م .

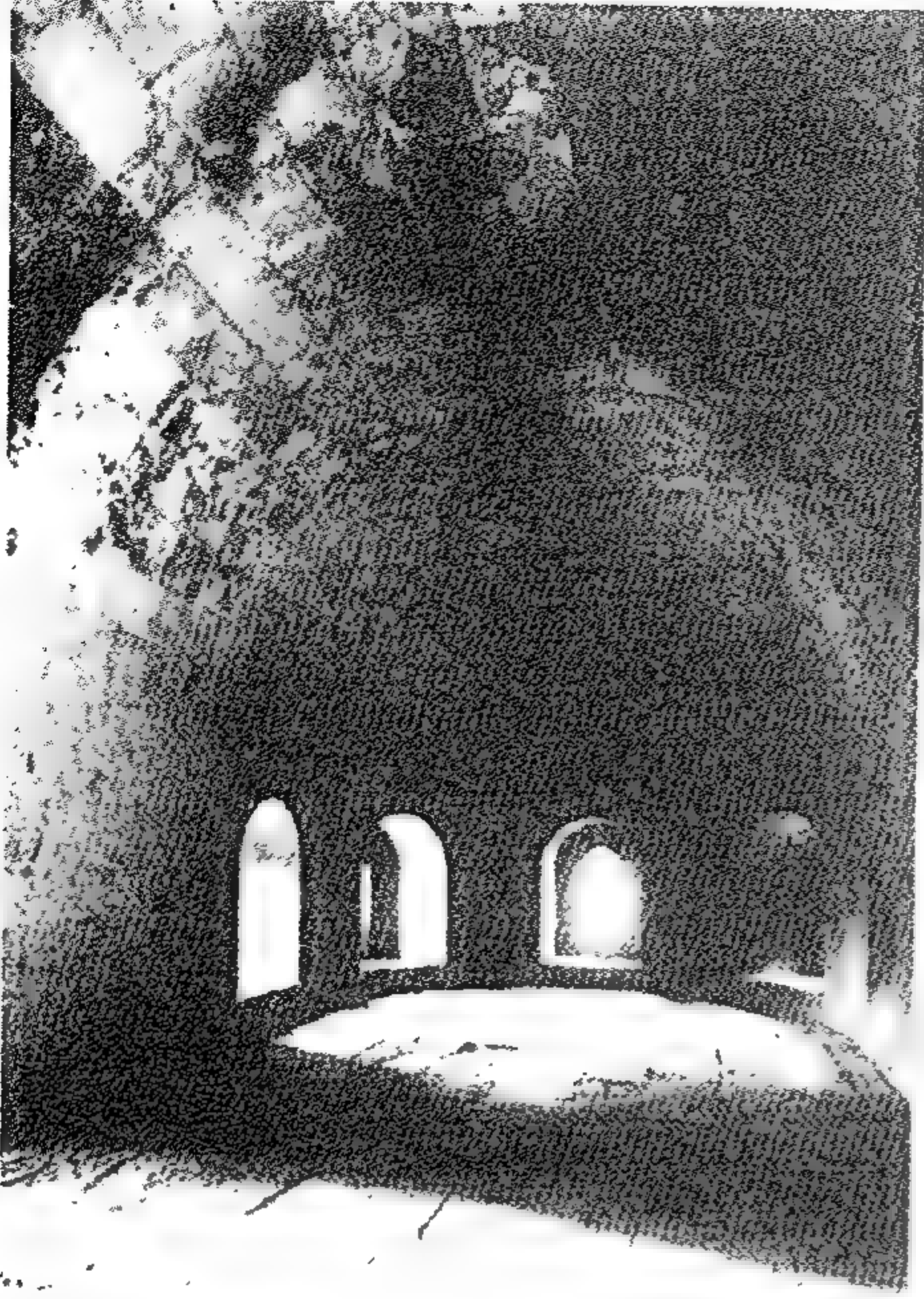


ج - القاهرة : منذنة الجيوشي ٤٧٨هـ / ١٠٨٥ م .

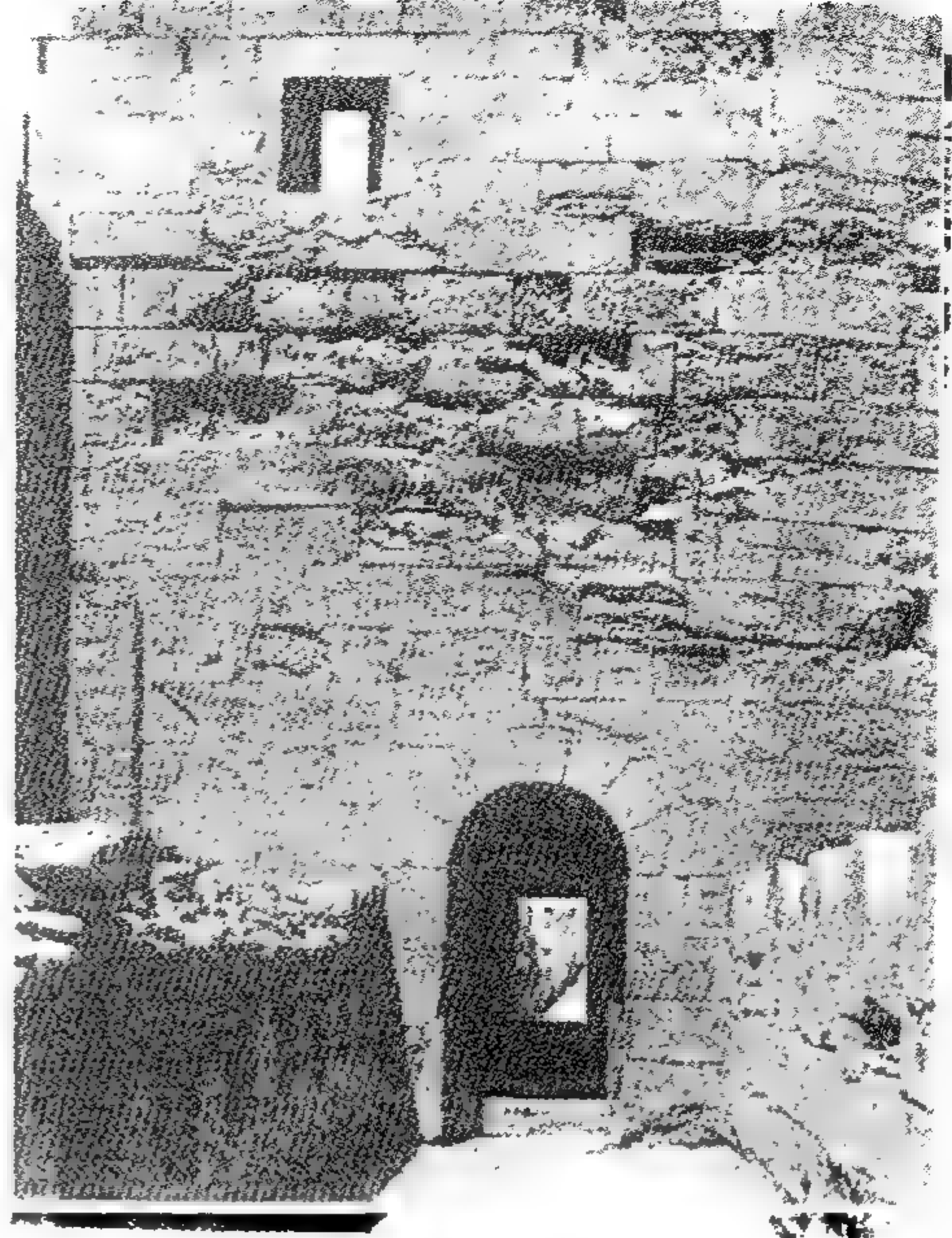


د - القاهرة : منذنة أبو الفضل ٥٥٢هـ / ١١٥٧ م .

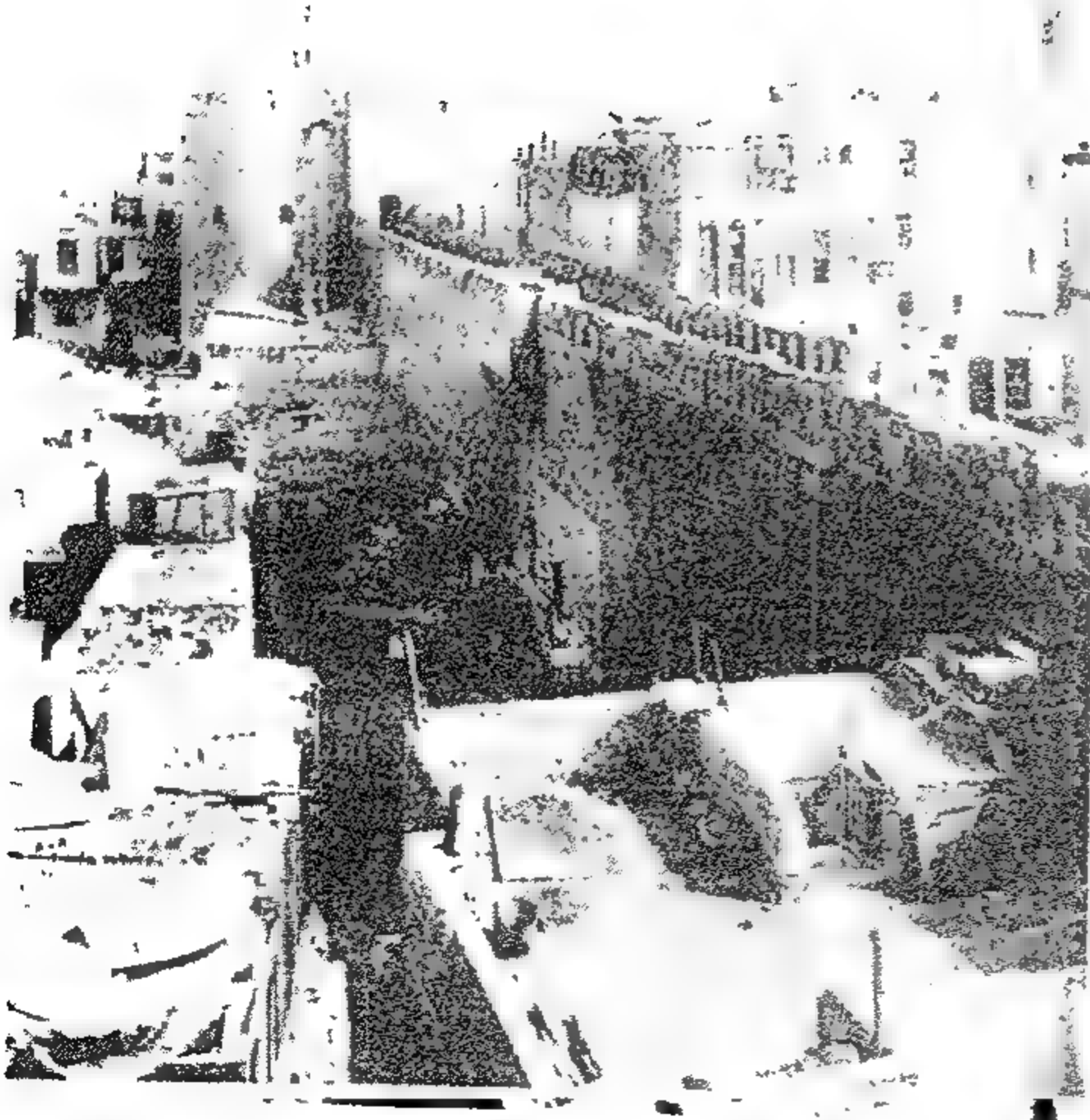
(لوحة رقم ١٢٣) تتبع المآذن .



ب - داخل البرج ذو الواجهة المستديرة .



أ - مدخل البرج ذو الواجهة المستديرة
من ممشى السور الواقع .

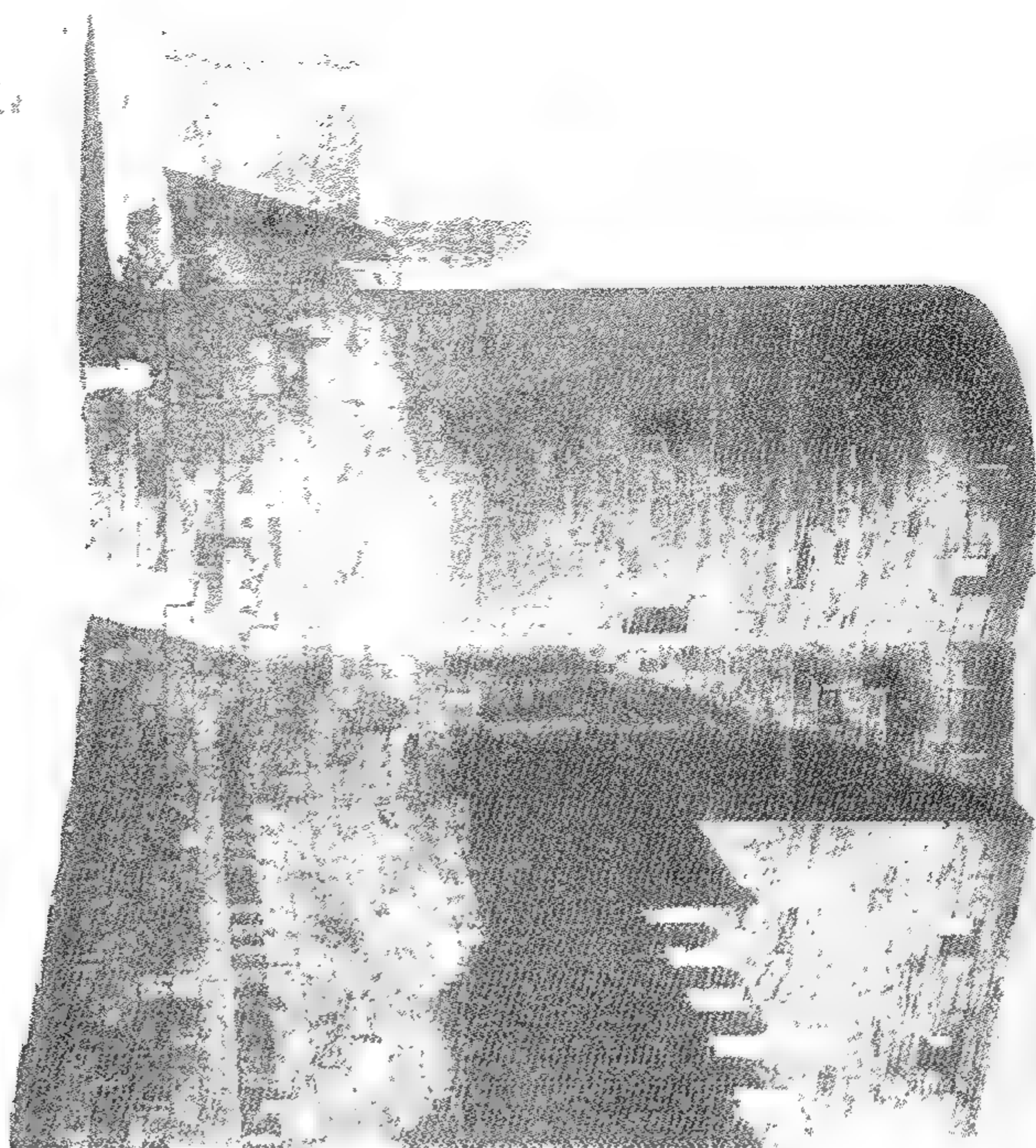


د - البرج ذو الواجهة المستديرة
والسور المغيب إلى الغرب .

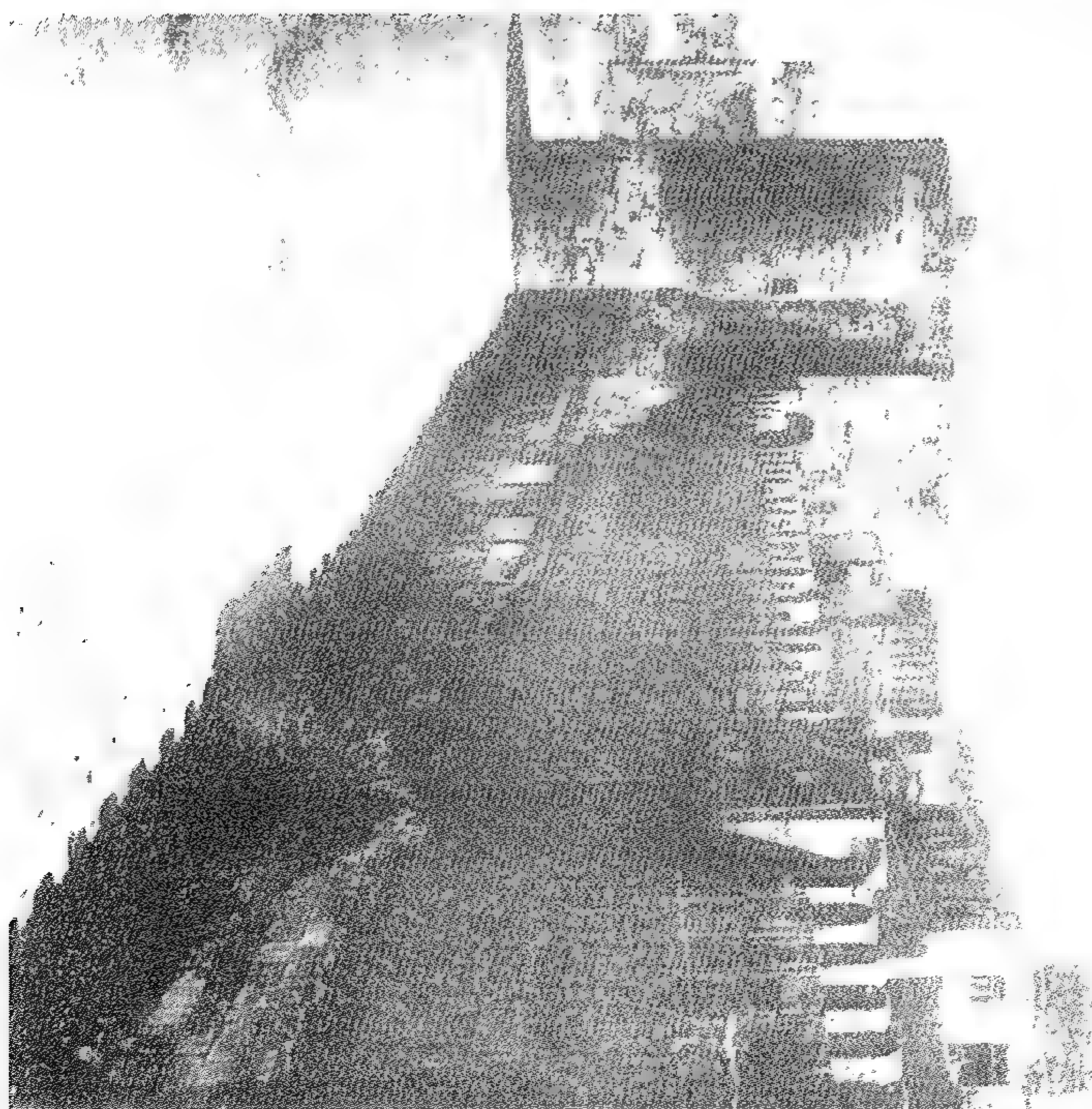


ج - اتصال مادة بدر الجمالي (إلى اليمين)
وصلاح الدين (إلى اليسار) .

(لوحة رقم ١٢٤) السور الشمالي -



أ - برج السلم والبرج ذو الواجهة المستديرة .

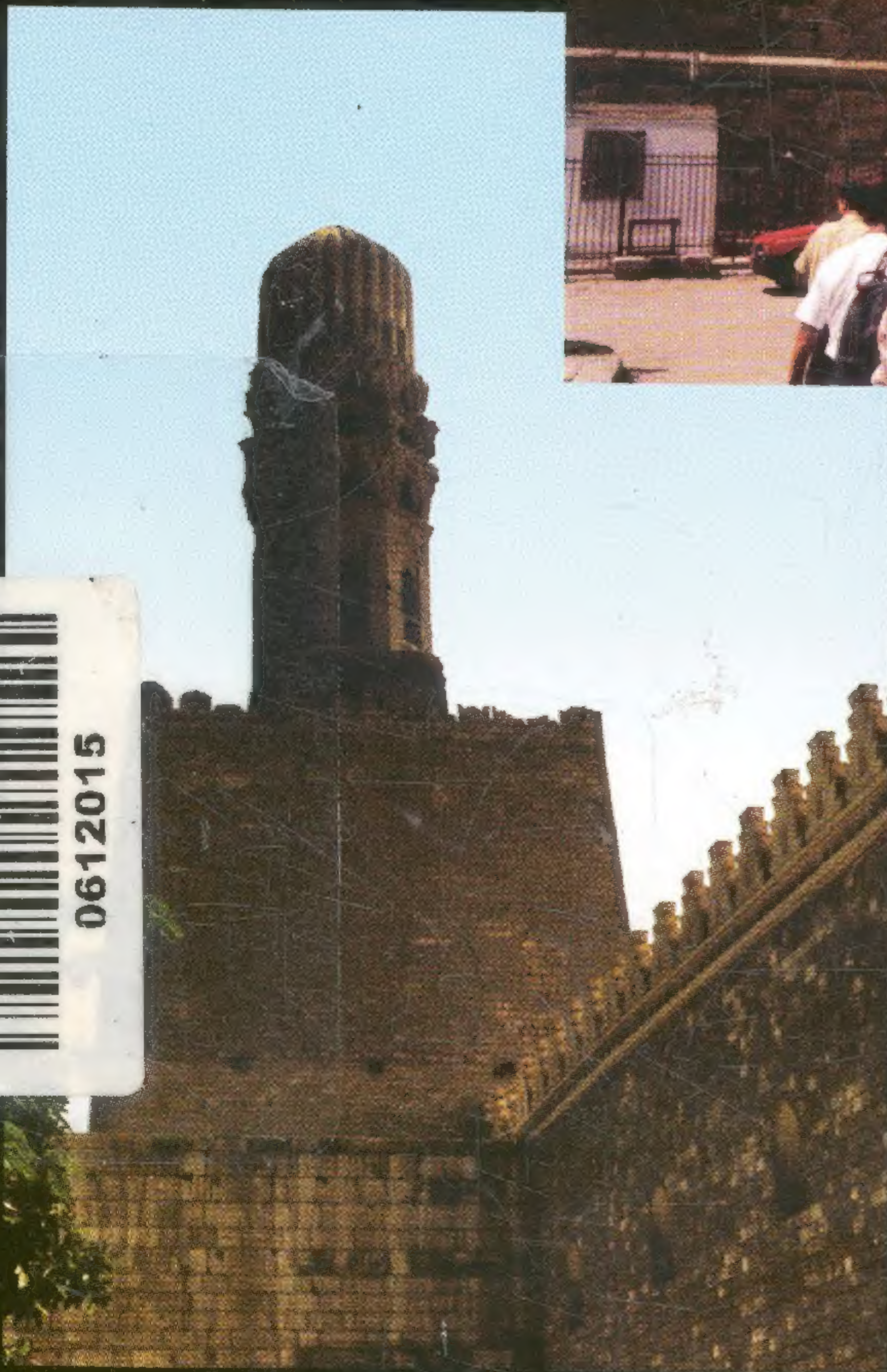
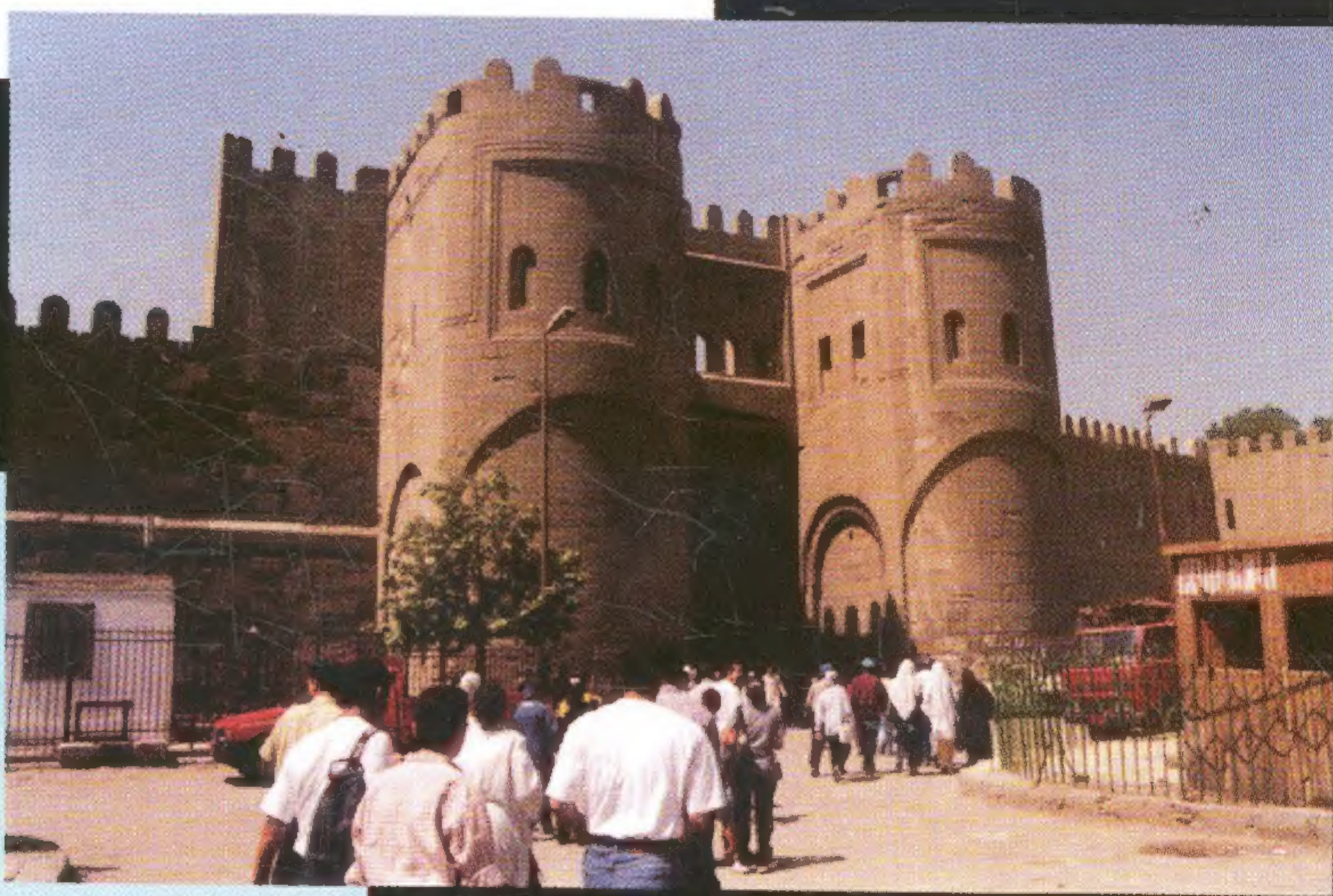
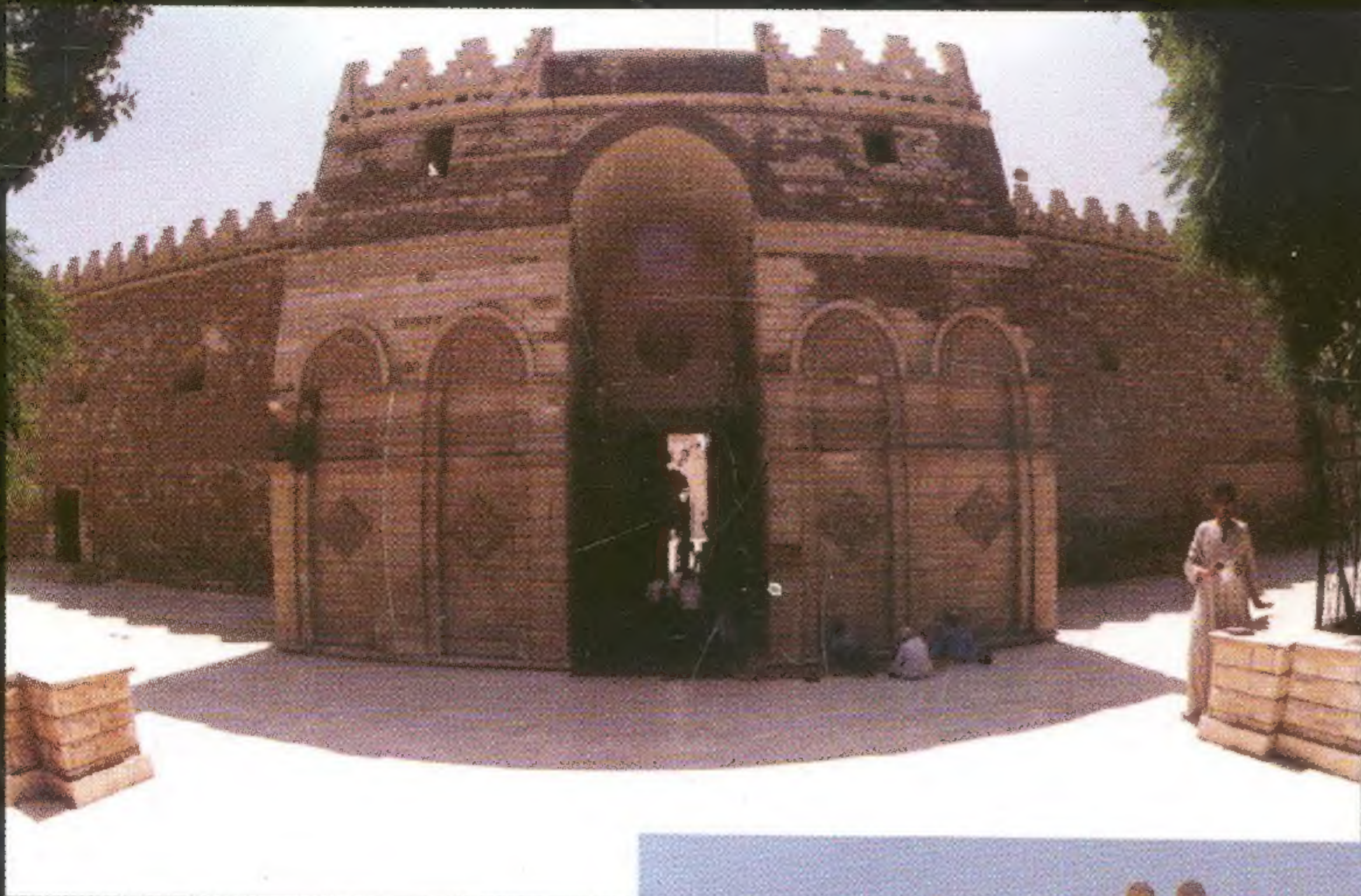


ب - البرج ذو الواجهة المستديرة والسور المغيب ذو السقطة .

(لوحة رقم ١٢٥) السور الشمالي .

مَطْبَعَةُ الْعَمْرِانِيَّةِ لِلْأَوْفَسَاتِ

٤ شارع يوسف عثمان أجيّة. ت : ٧٧٩٧٥٥٠
٣٢ شارع مصنع المكرونة . المنيب



نقدم للقارئ الجزء الأول
من هذا العمل العظيم
من ترجمة كتاب كريزويل
وبإذن الله تعالى سوف نوالى
نشر الجزء الثاني في وقت قريب
الناشر

